

لأحمد البدوي بن محمد المجلسي الشنقيطي

تأليف العلامة

أباه بن محمد عالي بن نعم العبد المجلسي الشنقيطي

طبع على نفقة

محمد عبد الرحمن بن آتاه المجلسي

أعده ونشره

محمد محفوظ بن أحمد

الجزء الأول من التكملة

الطبعة الأولى

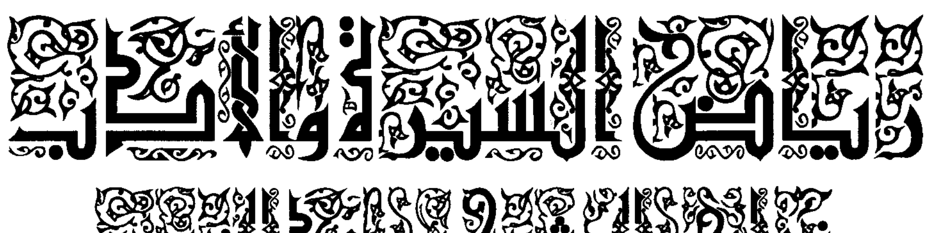
1421 هـ/2001م

تصريح وزارة الإعلام والثقافة رقم: أ ع ش/٣٩٢ بتاريخ ٢٠٠١/٢/٣

الطباعة النهائية

دار الفتح للطباعة والنشر والتوزيع

ص ب: ٢٣٤٢٤ الشارقة ـ إ.ع.م.





وهو تكملة لشرح حماد بن الأمين المجلسي (المتوفى سنة 1256)
على نظم عمود النسب لأحمد البدوي بن محمدا المجلسي (1208)
موسوعة في أنساب العرب وأيامها والسيرة النبوية الشريفة وأخبار آل البيت
والصحابة.. وما تعلق بذلك من القصص العظيمة والعلوم المفيدة والآداب الرفيعة



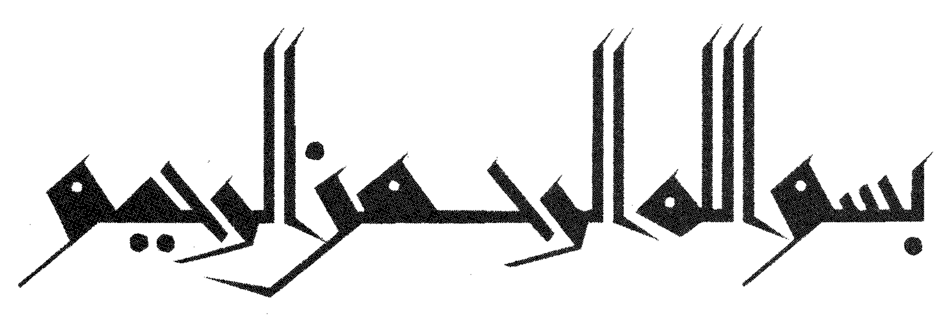
وبهامشه:
تحقيق للمؤلف يشتمل على عزو الآيات والأحاديث والروايات.. وشرح بعض المفردات اللغوية، وعلى تعليقات وفوائد ونكت مختلفة لها مناسبة وارتباط بمحلها المذكورة فيه، مما يوفر على القارئ قسطا كبيرا من الوقت ويكفيه مؤنة كثير من البحث

خرج معظم أحاديثه

مجموعة من طلاب محظرة المؤلِّف بمساعدته وإشرافٍ منه

عُني بمراجعته وتصحيحه: الأستاذ

محمد يحيى بن سيد احمد المجلسي


بسم الله الرحمن الرحيم
وصلى الله وسلم على نبينا الكريم



كلمة الناشر

الحمد لله رب العالمين، الممتنِّ علينا ببعثة الهادي الأمين، خاتم الأنبياء والمرسلين؛ محمد صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد: فهذا هو اللقاء الذي طال إليه الاشتياق والمطلب الذي اشرأبت لتلبيته الأعناق.. ألا وهو إكمال شرح نظم عمود النسب للشيخ أحمد البدوي بن محمدا، الذي كان ابن أخيه وتلميذُه الشيخ حمادٌ بن الأمين قد بدأه وتوغل فيه، وسبر أغواره العميقة وكشف أسراره الأنيقة؛ فجاء منه بالدرر الباهرة والعلوم الوافرة، في شرح بديع بهر العقول واختص بالثناء والقبول؛ لكنه لم يصل نهاية المدى والأمل، حيث قطع طريقه الأجل.. فكانت الرزية بموته ــ رحمه الله ــ أعظم وأجل. ومع ذلك تلقف الناس هذا "الجزء" وتشبثوا به، ولم تغنهم مطولات الشروح عنه. وذلك الفضل من الله يؤتيه من يشاء، ﴿ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾.

ومع أن لنظم البدوي هذا شروحا كثيرة[1]، ولشرح حماد عليه "تتمات" جزيلة،

(1) من الصعب حصر هذه الشروح والتعليقات بسبب ما تعرض له تراث البلد ومخطوطاته من ضياع واندثار، لكن ما وجد منها وذكر يدل على المكانة العظيمة لهذا النظم والاستحسان الكبير الذي حظي به بين أهل العلم في جميع أرجاء القطر الموريتاني. ومن أشهر تلك الشروح وأهمها **شرح حماد** بن الأمين، **وسموط الذهب بشرح نظم أنساب** العرب لمحمد يحيى بن سيد أحمد المجلسي، **ومفيد الطلاب بشرح نظم الأنساب** لأحمد محمود بن يدَّاد الحسني، وتكملة محمد فال **بن آبني** الديماني (ت 1309هـ)، **وشرح قحطان** لأحمد بن ابهوه الكمليلي (ت 1364هـ)، **واحمرار** ابن

<<=

فإن هذا الشرح التكميلي الذي بين أيدينا جاء متميزا عن كل ما سبقه، مستحضرا الشرح الأصلي ومعتبرا نهجه ونسقه؛ ليكون هو التكملة المنشودة واللبنة المفقودة.

ولأن المؤلف ـ حفظه الله ـ أراد ابتداء إتمام هذا الشرح ووصْلَ ما انقطع منه وتشييد ما تم تأسيسه، فقد جاء شرحه ملتحما بالأصلين، في أنسجام أحسن وأكبر، وفي ثراء وكمال وإتمام نظر..

ولن يخفى على القارئ ـ مع ذلك ـ ما تميزت به هذه التكملة المباركة من زيادةٍ في ضبط المادة وشرحٍ وإعرابِ مفردات النظم، وإتقانٍ في التأليف وتمحيصِ الروايات وتوثيقِ النقول، وتوسعٍ وغزارةٍ في العلوم، وتطورٍ في الأسلوب يناسب العصر ويربط الماضي بالحاضر ربطا جزيلا راقيا؛ مما جعل هذه التكملة في حد ذاتها كتابا متميزا قائما بذاته لا غنى عنه، مثلما ظل شرح حماد في حد جزئيته كتاباً كاملا بذاته لا يستغنى عنه. ولهذا كان لابد من المبادرة بنشر هذه التكملة، على أن تشفع ـ إن شاء الله ـ بطبعة صحيحةٍ لشرح حمادٍ على أول النظم، يعكف المؤلف ـ أيده الله ـ الآن على مراجعتها وتنقيحها ؛ ليشكل هذا الكتاب في جملته موسوعة واحدة عظيمة بما حوته من علوم السيرة وأنساب العرب، ونفائس التاريخ ودرر الأدب، وفتوحات الإسلام وتراجم الصحابة الأعلام، وغير ذلك من العلوم والمعارف والفوائد والطرائف..

>>---

عبدم الديماني (ت1286 هـ) الذي رصع به نظم البدوي.. وكلها ـ تقريبا ـ ما تزال مخطوطات نادرة. ومن شروح هذا النظم الكبيرة القديمة **خزانة الأرب في معرفة أنساب العرب** لسيدي عبد الله بن سيدي محمد بن محمد الصغير بن انبوجه العلوي التشيتي (1247 ـ 1300 هـ). وهذا الشرح الذي يؤكد، بقدمه وبعد موقع صاحبه أهمية هذا النظم وسرعة انتشاره، ظل مجهولا حتى اكتشفه الباحث المحقق أحمد بن الحسن ضمن المخطوطات المنتهبة بالقسم العُمري (نسبة إلى عمر تال) في المكتبة الفرنسية بباريس.

ولكن..

هل ينتفع بالثمار وهي في أعالي أشجارها، أو باللآلئ في أعماق بحارها؟ وكم من العلوم العظيمة ما تزال رهينة "مخطوطاتها"، وكم من المؤلفات البديعة ظلت محبوسة في طروسها.. بل كم من كنوز العلم والمعرفة اختفت واندثرت رسومها دون الانتفاع بها، لعدم تيسرها لطلبة العلم وعامة الناس؟!

والحاصل أنه ما كان لهذا العمل الجليل والمصنَّف الجزيل أن يظهر في حلته البهية ويتاح للخاص والعام لولا أن انبرى له فارس آخر رفع لواءه في معركة أخرى هي معركة النشر، فتحمل مشكورا مأجورا نفقات طباعته على ضخامتها وكثرة ما دونها؛ دافعه إلى هذا الإيثار هو التعاون على البر والتقوى، وحب العلم وإجلال قدره، وما جبل هو عليه من الكرم والمروءة. ذلك هو الأستاذ الفاضل والسيد الشهم: **محمد عبد الرحمن بن محمد محمود بن اتّاه** (محمد عبده علما) المجلسي حفظه الله ورعاه وجزاه خيرا. ولا غرو فالمروءة والسخاء والبذل.. من صفاته التليدة، توارثها من أبوين كريمين ومحتد رفيع، ولا يجاريه فيها سوى إخوته السادة الأفاضل الأكارم، بارك الله فيهم وزادهم فضلا وأجرا.

محمد محفوظ بن أحمد

عفا الله عنهما

6 شوال 1421 / غرة يناير 2001م

تقديم الكتاب والمؤلف

بقلم/ محمد بن الشيخ محمدن بن الشيخ باب خي التدغي المالكي

الحمد لله الذي خلقنا من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء. والصلاة والسلام على ولد آدم المبعوث بعبادة الله وتقواه وصلة الرحم،

وبعد: فالعلوم من أعظمها	**فائدة فكان من أهمها**
علم عمود نسب المختار	**ثم عمود نسب الأنصار**
إذ منهما تشعب الإيمان	**والنور والحكمة والفرقان**

وقد خص الله نبينا محمدا ﷺ بأمور لم يعطها غيره؛ فما من باب إلا وله فيه خصائصه التي تفرد بها دون غيره. وإذا كان في خصائصه ـ في باب الفقه ـ ما يشترك معه غيره من الأنبياء فيه، فلا جرم أن له في باب التاريخ خصائص لم يدانه فيها نبي مرسل أو عظيم مصلح، حيث أن تاريخه الشريف ـ سواء ما يصنف منه في إطار سيرته العطرة أو ما يتسع عن نطاقها ـ أصح تاريخ على هذه الأرض، لأنه روي لنا بأصح الطرق وأقواها على أفواه الرجال الذين نقلوا الشرع الحنيف ذاته، وبذات الطرق التي نقلوه بها.

وقد اهتم الرجال بعلم الأنساب منذ القدم حتى صار ناحية مستقلة عن التاريخ في ظاهرها رغم أنه من صميمه لما له من اهتمام بالماضي؛ فكان أبو بكر وابن عباس رضي الله عنهما ـ مثلا ـ من علماء الأنساب، ثم حمله من كل خلف عدوله إلى الآن.

وممن اهتم به وتبحر فيه العلامة أحمد البدوي المجلسي المتوفى سنة 1208هـ

مؤلف "عمود النسب" وابن أخيه حماد بن الأمين المتوفى سنة 1256هـ الذي قيض لما نظمه البدوي ليشرحه ويوضحه.

وعلى فترة من العلماء وانقطاع من العلم وفتور من الهمم ووفور من الشواغل وخطى عالمية نحو نسيان الماضي وهجره والإباحية واختلاط الأنساب.. جاء مؤلف الكتاب الذي بين يديك "رياض السيرة والأدب في تكملة شرح عمود النسب" العلامة محمد يحظيه (اباه) ـ حفظه الله ـ ليصل ما ظل شبه موقوف منذ أكثر من قرن ونصف من الزمان ويرفع البيوت التي جعل الله انتساب سيد ولد آدم ﷺ إليها، منبها القارئ على ما له صلى الله عليه وسلم من الأرحام والقرابات وبعض أعلام هاتيك البيوت.. في سياحة تاريخية ممتعة.

ورغم أن المؤلف ـ نفع الله به وسدده ـ مشغول بحكم جعله وقتَه كلَّه وقْفاً على التعلم منذ نعومة أظفاره بصورة تلقائية أملاها الجو الذي نشأ فيه، وعلى التعليم منذ أسند إليه والده الشيخ "ابـُّـوه" مهمة التدريس في المحظرة وبعد أن أجازه إجازة مطلقة في المنقول والمعقول سنة 1393هـ ولما يزل في أواسط العقد الثالث من عمره وهي مهمة لم يكن بمنأى عنها؛ ولله الحمد أولا وآخرا، وعلى السعي في المهمات والمصالح ـ غريزة ـ وبفعل عدة عوامل أخرى. وبطبيعة هذه العناصر مجتمعة فإن المؤلف ـ أعانه الله وحفظه ـ يركن إلى الكتابة والبحث كلما سنح له فراغ ليخرج إلينا فرائد تشف عن ثراء علمي فياض، وأصالة فينانة تشهد أنه بؤبؤ هذا الأمر وابن بؤبؤه وبأنه "جذيله المحكك وعذيقه المرجب"، مؤكدة كثرة ما ترك الأول للآخر.. وهي فرائد أراد الله أن تطلع من هذه الربوع لتكون امتدادا لعطاء علماء كان لهم في هذا المضمار:

شرف تقصر دونه شمس الضحى أبدا وتغضي مقلة الجوزاء

وبما أن عطاء المؤلف يصل إلى بلادٍ لم تطأها قدماه كما يفيض علـى مـن شـرفه الله بجواره:

كالبحر يهـدي للمقيم بقربـه دررا ويبعـث للبعيـد سحائبا

فإن همة المؤلف ـ حفظه الله ـ أوسعُ من حدود محيطه البشري والجغرافي، وكيف لا وقد انطلق يستكمل ما اندرس من أبواب الفقه على علماء من خارج منطقتـه وهـو جمانة مجلس العلم وابن جمانته فهذه بتلك "ومن شرط كل شرط جزاء".

ولئن أكمل بناء الجدود العلميَّ فما ذاك إلا جانبٌ من جوانب كثيرة بنـى فيهـا على هدي السلف الصالح وأكمل ما تمس الحاجة إليه.

وبالحرف الواحد فإن هذا الكتـاب شـجرة طيبـة غرسـها الآبـاء فرعاهـا الأبنـاء وآتت أكلها على أيديهم وإضافة قيمة إلى المكتبة التاريخيـة الإسـلامية وإبانـة لناحيـة صدف أبناء الزمان عنها في عصر التسيب واختلاط المعايير.

ونرجو الله أن ينفـع بـه ويحفـظ مؤلفـه وأن يصلـح لنـا ولـه وللمسـلمين سـائر الأحوال الدينية والدنيوية والأخروية إنه ولي ذلك والقادر عليه وهو قريب مجيب.

التعريف بالمؤلف

والده:

والد المؤلف هو العلامة المتبحر محمـد عـالي بـن نعـم الملقـب (ابـُّوه) ولـد سـنة 1314هـ الموافق سنة 1898م، أخذ عن بعض أعـلام علمـاء عصـره وتصـدر علـى الشيخين الجليلين سيد احمد(دمَّد) بن أحمد محمود بن السعيدي المجلسي المتوفى سـنة 1343هـ ويحظيه بن عبد الودود الجكني نسـبا القنـاني خؤولـة ووطنـا المتوفـى سـنة

1358هـ. قاطع محمد عالي عالم الطفولة الهزليّ وصحب الجد وعلو الهمة نتيجة طموحه الذي سمى به إلى أسمى مراتب الرجال حيث تابع الدراسة وتغرب لها حتى برز في علمي المنقول والمعقول وبرع فيهما وفاق أقرانه حتى أصبح من أكبر وأجل علماء عصره ومنطقته، إليه تنتهي المسائل ونحوه يتسابق طلاب العلم وخصوصا الراغبين في الدراسات المعمقة - إن صح التعبير - في شتى فنون وعلوم اللغة العربية من نحو وصرف.. والعقائد والفقه وغيرها. كما كان رحمه الله زعيما سياسيا محنكا وقائدا مرجعا في السيادة والريادة في قبيلته وقمة في الكرم والمروءة في المنطقة كلها، وأبرز شاهد على ذلك زميله وصديقه ممُّ بن عبد الحميد الجكني حيث يقول عند توديعه إياه مغادرا محظرة أهل اباه:

لعمرك ما هاجت عليَّ خبالي	**طلول بأعلى البرقتين بوال**
ولا الخدلة الساق البرهرهة التي	**غزالي هوى منها بجيد غزال**
ولا طيفها المؤتاب بالغلس الذي	**تبسم لي عن مثل شوك سيال**
وما ذاك إلا أن نأى عن محلتي	**أخو الكرم العالي "محمدُ عال"**
وهل في أولي التدريس بعدك مُهتدٍ	**إلى حكم ممنوع وحكم حَلال**
وهل في أولي التدريس بعدك مُهتدٍ	**إلى حكم موفوق وحكم ممال**
يمينا بمجتازات كل تنوفة	**لها زور أضلاع وطي مِحال**
لقد كدت من ذاك الفراق ووشكه	**أمُجُّ لدى التوديع غَبْر قَتال**
ألا في ذمام الله نحن وأنتمُ	**فهُوَ الذي نرجو لكل كمال**

توفي أبُوه رحمه الله مساء يوم الخميس 13 شوال من سنة 1409هـ الموافق 18 مايو سنة 1989م تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جناته وجازاه عن الإسلام والمسلمين خيرا.

والدته:

أما والدته فهي الحافظة القانتة القارئة المقرئة أم الخيرِ بنت دمَّد ـ حفظها ا الله ـ والدُها هو العلامة سيد أحمد بن أحمد محمود بن السعيدي المجلسي، كان من أكبر علماء وسادة عصره رحمه ا الله.

المؤلّف:

هو العلامة الشيخ محمد يحظيه (الملقب ابَّاه) بن محمد عالي (أبُّوه) بن محمذفال بن محمد بن نعم العبد بن محمدا بن المصطفى (بوفمين) بن حبيب ا الله (أبي أحمد) الذي يلتقي فيه نسبه مع الناظم.

ولد المؤلف بنواحي "لفريوة" بدائرة إقليم "اترارزة" ليلة الثلاثاء فاتح ذي القعدة الحرام سنة 1366هـ الموافق 16 شتنبر سنة 1947م ونشأ وتربى خير ما تكون التربية متعلما متأدبا حيث حفظ القرآن الكريم على يد والدته الفاضلة وعرضه على بعض كبار تلامذة والده المقرئين ثم التحق نهائيا ـ ولما يزل طفلا ـ بمدرسة والده العامرة بالطلاب والعلماء من شتى البقاع وبدأ بدراسة اللغة العربية متدرجًا من قصيدة كعب بن زهير في مدح رسول ا الله صلى ا الله عليه وسلم:

"بانت سعاد فقلبي اليوم متبول   متيم إثرها لم يفد مكبول"

وقصيدة الفرزدق في مدح الإمام زين العابدين بن الحسين بن علي رضي ا الله عنهم:

"هذا الذي تعرف البطحاء وطأته   والبيت يعرفه والحل والحرم"

إلى ديوان الشعراء الستة الجاهليين. ثم درس مجموعة من المتون الابتدائية والمتوسطة في العقائد والفقه والنحو والصرف.. قبل أن ينتقل للدراسة المعمقة لأمهات المتون والنصوص المعتمدة في المحظرة كإضاءة الدجنة في علم الكلام وسلم الاخضري في

المنطق ولامية الأفعال في التصريف وجامع ألفية ابن مالك وابن بونا الجكني في النحو والصرف وعلومهما ومختصر الشيخ خليل في الفقه المالكي.. وغير ذلك من الكتب والمناهج التي كانت تدرس في المحاظر الكبيرة بالبلاد الشنقيطية.

ومع ما عرف عنه مبكرا من ذكاء وفهم واستيعاب لهذه العلوم وغيرها واصل الجد في الدراسة وحضور دروس والده المتنوعة ــ التي كانت في كثير من الفصول تتواصل من الفجر إلى ما بعد الظلام ــ والمذاكرة مع الطلاب وربما خلف الشيخ في التدريس في حال عذره.. حتى أجازه إجازة مطلقة في المنقول والمعقول سنة 1393هـ، ثم أسند إليه الشيخ مهمة التدريس كليا حيث تفرغ هو للعبادة آخر عمره حتى وفاته رحمه الله تعالى. كما سمع من العلامة الجليل محمد يحي بن الشيخ الحسين الجكني رحمه الله وعرض عليه بعض النصوص وأبواب الفقه التي لم تكن متداولة في محاظر المنطقة القبلية.

وقد واصل إدارة المحظرة (محظرة لفريوه) والتدريس فيها وطور مناهجها وأسلوبها تطويرا ملحوظا؛ ولا تزال بفضل الله ثم بجهود الشيخ ومؤازرة الحي كله تجتذب الطلاب من داخل وخارج منطقتها بل ومن خارج موريتانيا حيث يقصدها الطلاب المجدون من دول عربية وإفريقية مختلفة، ولا غرابة في ذلك فالأستاذ اباه ــ حفظه الله ــ طراز فريد بين علماء هذه الحقبة بصَّره الله بالحق ووفقه إليه وسخره لخدمة هذا الدين على سنة قيمة ومنهاج واضح فلا هو يزدري بالفرع لكونه غير أصل و لم ينصب قول الفقيه للاتِّباع محاولا (خفض) الكتاب والسنة نابذًا إياهما كما يفعل آخرون ﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْئَوْنَ عَنْهُ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾، أو كما قال ابَّاه نفسُه في رد على سؤال الإمام بداه بن البوصيري ــ أطال الله بقاءه ــ الذي تمنى أن لا يكون ابَّاه من الجامدين فأجاب الأخير: "لست

من الجامدين ولا الذائبين"، وهو مازح صادق!.

ولا أدل على سلامة نهجه الديني (كالدنيوي) من عدم وجود قالٍ لعلمه في عصر انقسم المتصدون للشرع الحنيف فيه بين:

شباب يحسبون العلم جهلا وشيب يحسبون الجهل دينا

ولا على سلامة نهجه الدنيوي من قيامه بعبء سياسة قومه وعشيرته وعمله على حفظ وحدتهم واتفاق كلمتهم وصون سمعتهم الحسنة وعلاقتهم الطيبة مع الجميع، وذلك بمساعدة شقيقه الفاضل والسيد الكريم لمرابط (ولد متالي) أطال الله بقاءه وكذا إخوتهما الأفاضل الأكارم بارك الله فيهم ووفقهم آمين.

و لم تكن المحظرة التي يديرها المؤلف وليدة الصدفة فليست إلا امتدادا لعدة محاظر على مدى قرون متعددة، فمن محظرة أبي أحمد وابنه محمدا في القرنين 11 و12هـ والتي كان من أبرز تلامذتها العالم العلامة المختار بن بونا الجكني، إلى محظرة أحمد البدوي صاحب "عمود النسب" وأخويه الإمام والمختار أبناء محمدا[1] في القرن 12هـ، إلى محاظر حماد بن ألمين والمختار بن سيد عبد الله[2] وسيد أحمد بن الشيخ

---

(1) أما الإمام واسمه حبيب الله بن محمدا فقد اشتهر بالعلم والصلاح والعبادة ولقب بالإمام لأنه أقام أربعين سنة إماما للصلاة وكان ذا خشوع وحضور فيها، توفي في حدود نهاية القرن 12هـ.

وأما المختار ويعرف بمختاري بن محمدا فقد كان عالما كبيرا لغويا شهيرا شاعرا وكان من بين مدرسي محظرة والده محمدا أخذ عنه جم غفير، ومن بين الآخذين عنه مولود بن أحمد الجواد اليعقوبي ومحمذ بيَّه بن سيد عبد الله المجلسي، وكانا قرينين في محظرته يتساجلان، وتوفي في نهاية القرن الثاني عشر الهجري.

(2) المختار بن سيد عبد الله بن محمدا كان عالما فاضلا تقيا عابدا غنيا أباً للمساكين حسن الخط نساخا للكتب له مكتبة كبيرة، عاش مائة وعشرين سنة ومات منتصف القرن 13هـ.

(الملقب الجكاني)[1] والشيخ أحمدو بن حبيب ا لله[2] ـ بحر القرن 13هـ ـ ثم محاظر أبناء السعيدي: محمد[3] وسيد أحمد[4] (دمد) ابني أحمد محمود (امِّينْ) وحمادٍ بن سيد[5] بن السعيدي من أواخر القرن 13هـ إلى أوائل القرن 14هـ.. إلى محظرة والد المؤلف الشيخ "ابُّوه" في القرن 14هـ والتي كانت محظرة المؤلف "اباه" ـ أعانه ا لله ـ امتدادا لها، ورحم ا لله السلف وبارك في الخلف وأطال حياة المؤلف معافًى وأدام النفع به آمين.

وإلى هذه المحاظر يشير الأستاذ الأديب محمد عبد ا لله بن ديدي المجلسي ثم

---

(1) اجكان هو سيد أحمد بن الشيخ بن لمام بن محمدا علامة سيري لغوي أديب وشاعر كبير وكاتب شهير ولد سنة 1200هـ وتوفي سنة 1300هـ وعاش قرنا كاملا.

(2) هو الشيخ أحمدُّو بن حبيب ا لله بن سيد عبد ا لله بن محمدا علامة جليل وصوفي كبير تصدر في الطريقة القادرية على الشيخ سيديا الكبير الذي لقبه بالشيخ وكانت له محظرة يرتادها طلاب العلم وخلف مكتبة عظيمة تفرقت بين ورثته، توفي رحمه ا لله في نهاية القرن 13هـ.

(3) هو العالم الفقيه محمد بن أحمد محمود بن السعيدي كان من سادة عصره وأعلام دهره: سيريا ماهرا في التلقين (الإقراء) له أنظام في شتى الفوائد العلمية وكان ذا شكيمة ونخوة، توفي سنة 1341هـ عن عمر يناهز 83 سنة.

(4) سيد أحمد يلقب "دمد" بن أحمد محمود بن السعيدي هو العلامة الكبير والنحوي الشهير كانت له اليد الطولى في اللغة والنحو حتى عرف في منطقته بـ "سيد أحمد النحوي"، وكانت محظرته من أبرز المحاظر وأشملها وأكثرها طلابا؛ يتوافدون عليها من كل حدب وصوب وتمهر في الإقراء بصفة خاصة وكان معروفا بقوة الذاكرة وجودة الحفظ وتصدر عليه جم غفير من داخل وخارج محيطه وتولى رئاسة عشيرته وقام بمصالح العامة والخاصة أحسن قيام وكان حسن السياسة متواضعا جوادا منفقا عابدا قارئا، توفي في محرم سنة 1343هـ عن نحو 70 سنة.

(5) حمادٍ بن سيد بن السعيدي كان عالما جليلا وسيدا جميلا وكانت له اليد الطولى في معرفة التوحيد والنحو وحسن الإقراء قارئا لكتاب ا لله تعالى حسن التلاوة عابدا صواما قواما، توفي سنة 1350هـ عن نيف وثمانين سنة.

الإدوجاني حيث يقول:

مدارس علم الدين أعلى المدارس	ودارسُـه بين الورى خير دارس
ومدرسة "الإفريوَ" مقتبس العُلى	ومقباس علم الدين بين المدارس
ودارســـه فيها وفيها مشايخ	بَنَـــوها على مجد جديد ودارس

وإذا كان الشيخ اباه ـ حفظه ا لله ـ سباقا إلى ما ذكرنا وأكثر منه مما لم نذكر فلعلي مسبوق إلى تعداد مآثره (بشكل خاص) ومآثر المجموعة (بشكل عام) ومآثر القبيلة (بشكل أعم)، حيث أبدع قبلي الشعراء والناثرون وظلت محط رحال القائلين ـ وستظل ـ بإذن ا لله كذلك. فقد أكثر الشعراء وأبدعوا، ليس على مستوى الشعر الفصيح فحسب، بل أكثروا من الشعر الشعبي (لغنَ) إكثارا فوق كل ما يتصور؛ فهناك بعض المقطوعات من هذا اللون لم أكن مغاليا إذا قلت إن كل الموريتانيين يحفظونها وخصوصا أنك تجد الكثيرين يحفظونها، وهم لا يعرفون "مدلش" هل هو رجل أم قبيلة؟! هذا فضلا عن أصحاب الوعي الذين يدركون عمق مدلولها أولا وآخرا. كما أن كثيرا من المبرزين من أعيان المنطقة قديما وحديثا أدلوا بدليهم في هذا المجال الفسيح. فمن الشعر الفصيح في الثناء الصادق في حق هذه القبيلة قول العلامة المختار بن بونا الجكني المتوفى سنة 1220هـ الذي كان واحدا ــ وليس كواحد ــ من أبرز تلامذة محظرة أبي أحمد وابنه محمدا في القرنين 11 و12هـ كما أسبقنا:

يا مجلس العلم والمجد المؤثل والد	دين المـوَّرث من ماحيـــة الملل
الناس في شغُــــل مما تعيش به	وأنتمُ في اكتساب المجد في شغل
تغنــون عن كل تقريظ بحليكم	غنى الظباء عن التكحيل بالكحل
لو لم تك الرسْل بالمختار قد ختمت	آليت أنكمُ من جملة الرســـل!

وقول محمذٍ بن سيد أحمد بن الأمين التندغي المالكي ثم من أهل (أبي بكر في القرن 13هـ:

حث المطـــيَّ ولا تعبأ بظالعها	من أمَّ أمَّـك لا يلوي على الواني

وانم القتود على عيرانـــةٍ أُجُدٍ   مثل الفنيـق أمون السير مـذعان
حتى تُـــلاقيَ أزوالاً جهابـذةً   من مجلس العلم مـأوى الخائف العاني
كأنني نازح الأوطان إن نزحوا   يوما وإن كنت في أهلي وأوطاني
إن الركاب إذا ألقت كلاكلها   بمجلس العلم لم ترجـــع بحرمان

وللمؤرخ الشهير والأديب الكبير المختار بن حامدن بـن محنض بابه بن اعبيد الديماني المتوفى 1414هـ:

مجلس العلم مجلس العلم حقا   مجلـــسٌ كان للثـنا مستحقا
إن يكن مدح غيرهم غير حـق   كان مــدح قد استحقُّـوه حقا

وإذا كانت كلمة "مدلش" مقرونة بعبارات الثناء على مر الحقب فإن أسـرة آل **أبي أحمد**[1] المجلسية كانت عصامية ـ إلى حد كبير ـ في هذا الميدان؛ فقد جالت لسن الشعراء فيها ـ محقين فيما قالوا ـ وتغنوا بمآثرها منذ القدم وحتـى سـاعة كتابـة هـذه الصفحة ولسان حالهم ينشد قول غيلان:

ولم أمـــدح لأرضيـه بمالي   لئيما ان يكـــون أصاب مالا
ولكن الكــرام لهـــم ثنائي   فلا أخزى إذا ما قيـــل قالا

ولما كان "ما لا يـدرك كلـه لا يـترك كلـه" لا يسـعني هنـا إلا أن أسـوق نمـاذج يستدل بها البصير على ما وراءها. فمن ذلك قـول الشـاعر المشـهور أبـي بكـر بـن محمذن بن حجاب بن محمد الكريم الديماني الفاضلي (بكّ) المتوفى سنة 1322هـ:

ما إن أرى من حلّـــة أجودا   في الناس من آل أبـــي أحمدا
من معشـــر في المجد قد برزوا   إذ بلغوا في المجـــد أقصى المدا

---

(1) عرفت هذه الأسرة بآل أبي أحمد كما عرفت أيضا بآل أحمد بن محنض، فهم ينسبون إلى جديهما أبي أحمد (حبيب الله) وأبيه أحمد بن محنض.

قد استوَوا في المجد إذ عمهم | فتاهمُ والكهل والأمردا
أول ما يبدو لأضيافهم | بشاشة الوجوه بادي بدا
فمبتداهم رفْعُه ظاهر | كذاك أيضا خبر المبتدا
فلا تبال حيثما جئتهم | الجمع والإثنين والمفردا
إن تُنفد الأيام جود الورى | فحظهم في الجود لن ينفدا

وفيهم ـ خصوصا ـ يقول محمد سالم بن الامان بن أمغر التندغي ثم اليحيوي وكان نازلا عليهم:

نزلنا على حيٍّ كثير الأفاضل | وما هو إلا من كرام الأوائل
تضمن أقواما كراما أعزة | وما فيه إلا فاضل وابن فاضل

إلى أن يقول:

أولئك قوم سادة جمعوا العلى | بقَفْوِ المعالي واجتناب الرذائل
أولئك قوم بين ناهٍ وآمرٍ | مساجدُهم معمورة بالنوافل
أقاموا بناء الدين من بعد ميله | فأضحى بحمد الله ليس بمائل
وقاموا بحق الجار والضيف في القرى | إذا لم يقم بالحق كل القبائل

وللعالم الأديب القارئ محمدن بن حمديت التندغي اليحيوي:

لقد شَيدت "لفريوَ"[1] في المجد منزلا | على حين ربع المجد في الناس أقفرا
وأحيَت من المعروف ما كان ميتا | ومات بها ما كان من قبل منكرا
وإن حُلِّئ الظمآن عن كل منهل | ترى الماء من أعطافها قد تحدرا
فحازت على الآبار مجدا ورفعة | وحاز ذووها المجد أكبر أكبرا
جزاها إله العرش خير جزائه | وجازاهم عنا جزاء موفَّرا

ولأحمدٌ الواثق بن انبت التندغي المالكي المتوفَّى أوائل (ق 14هـ) في هذا الحي:

---

(1) لفريوه: بئر بها حاضرة آل أبي أحمد.

ألا إن أرباب المكـــارم والعلى ... بنــــو أحمد الأعلين صيتا ومنزلا

لقد قلدوا دين النبي وشيـــدوا ... بمعروفهم عزا ومجدا مـــــؤثلا

لعمرك ما العافي لديهم بخائـب ... ولا الجار يبغي عنهـــم متحوّلا

ولابنه القارئ العالم الأديب محمد عبد ا لله بن الواثق في الحي والمكان معا:

أبناء أحمد حي كـــل من نزلا ... به يلاقي مناه كله نـــــزلا

تبوّءوا قبة العليا فكلهـــــم ... إلى الهدى والندى من بابها دخلا

توطنوها وكانت قبلهـــم وطنا ... لأقدميهـــــم ولم يبغوا بها بدلا

يا قبة المجد لا زلت الزمان حمى ... يلفى ببابـــك من الأى ومن وألا

ويا بني أحمد الأعلين ودكـــــم ... فرض وجدنا عليه السادة الأولا

وقد ورثناه صرفا منهـــم وإذا ... متنا نورثه الأبناء والخـــــولا

حق عليَّ لكـــم أن لا أمر بكم ... إلا كسوتكـــم من مدحتي حللا

ففي أبيات محمد عبد ا لله هذه إشارة واضحة إلى موقف والده من الود والمحبة لهذا الحي. ولم يترك العالم الجليل والأديب النبيل محمدٌ بن محمد عبد ا لله ـ حفظـه ا لله ـ حظه من ميراث أبيه يذهب سدًى فقد قال في الحـي والمكـان كاسيا إيـاهم حلـة لم تكن أضعف نسجا ولا أوهن بناءً من تلك التي كان والده ملتزما بها في حقهم:

على قبة المجـــد الصميم سلام ... يدوم له طـــــول الزمان دوام

يذم الكبا والسوسن الغض عرفه ... ومسكا إذا ما فـــض عنه ختام

يحاكي سجايا قاطنيها أولي العلى ... وليست محاكاة الكـــــرام ترام

فتلك وأيم ا لله أرض كريمـــة ... عليَّ وأقـــــوام عليَّ كـــرام

أقمنا بها دهرا به تمـــت المُنَى ... وطاب لنا بين الكـــــرام مقام

ورضنا صعاب العلـــم في جنباتها ... فلانــــــت لنا والحادثات نيام

وفارقتها والقلب يصلى لظى جــوى ... يشــــب لها بين الضلوع ضرام

أأهلي وأشياخي وقومي الألى هم ... لأهل المعالي كاهـــــــل وسنام

بطول النوى ينسى الفتى شيخ علمه ... وما لكـــم عندي يخان ذمـــام

فلا زلتم مأوى الغريب وكهفه ... ومجلس علم للعلـــوم يرام
ولا ذهب النور الذي كان معْكم ... صـــلاة على خير الورى وسلام

وللأديب المعاصر المصطفى بن حبيب بن أحمدُّو بن لمرابط (محمذ فال بن متـالي) التندغي معمما ومخصصا:

حي الأئمــــة مجلس العلماء ... وحمـــاة دار الملـــة السمحاء
الأحمدين الكــــرام بناة صر ... ح المجـــد أهل العزة القعساء
وانـــزل بساحتهم ولا تبرح بها ... فلقد نزلـــت بساحة الكرماء
واسأل قضاء الحاج إن وافيتهم ... فهناك يقضى حاج ذي الحوجاء
قوم لهم في الفخر أصـل ثابت ... والفرع فـــوق محلة الجـــوزاء
حفظ الزمان لهـــم مآثر لم تزل ... تحلو مـــع الإنشـــاد والإنشاء
والعلم والمجـــد التليد شعارهم ... والبـــذل في السَّراء والضـــراء ..إلخ.

وللقاضي المحدث الدكتور محمد عبد الرحمن بن الشدُّ بأسلوب شـاهد مبين، في الحي عموما:

السؤدد المحض في أهـــل "الفريوَ" ربا ... نالوا بسبقهـــم في السؤدد الأربا
حازوا من المجـــــد حظا لا يعادلـــه ... قسط ففاقوا "زوايا" الأرض و"العربا"
تــــرى التعلم نهجا لا يفارقهـــم ... فالعلم يؤونــــه والخُلْـــق والغُربا
إن ينزل الضيـــف يوما بين أظهرهم ... يجد ذويه وينسى الهـــمَّ والكـــربا
صلى على المصطفى الرحمن بارئـــه ... دأبا وصلى على الأصحاب والقـربا

وللعلامة القارئ الأستاذ محمدو سالم بن جدُّ بأسلوب وجيز في الشيخ ابـَّاه:

يا شيخنا "ابَّاهًا" تحيـــة مخلص ... قد جرَّ من ضافي الجميل مروطا
لو أن عمر المـــرء كان بكفه ... لجعلـــتُ ساعاتي هناك شـــريطا

وللأديب الشاعر أحمدُّو بن مينوك بن امين التندغي في الشيخ "اباه" وأخيه "ولـد متالي":

وافيت فـرع الدوحة الخضراء كهـــف العشيرة نخبة الفضلاء
من آل نعمَ القادة الشم الذرى نــــــور الدياجي حلية الأنداء
رمــز الأصالة والرَّزانة والندى والعلم مشفوعا بنـــور ذكاء
نجمين في أفـــق المعالي والعلى لزما الســـرى بمجـــرة الآباء
ثم انقلبـــت بنعمة جادوا بها جادت عليهــــم ديمة النعماء

.. وهذا غيض من فيض لأن المقام لا يتسـع إلا لهـذه الصبابـة القليلـة. وقبـل أن أطوي هذه الصفحة لا يسعني إلا أن أكتب ما سبق به القلم، غير متكلّف ولا مختلـق على يقين من أنه لن يدرك أي سابق ولن يسد بابا دون لاحق ولن يستكمل مناقب أعجز تعدادها ولن يستأصل تلك الخزائن التي لا يختشى نفادها:

آل أبـــــي أحمـــــد بالإباء قد عـــرفوا والعـــزة القعساء
ومجدهــــم مؤسَّــس البناء محط رحــــل كل ذي حوجاء
وكــــــل عاف زمن اللأواء وهم حماة السمحـــــة البيضاء
أعمالهم لم تــــك عـــن رياء شرفُهـــــــم أعلى من الجوزاء
حازوه بالفعـــل والانتمــــاء إلى قريــــش قمـــــة العلياء
يجمعهــــم بختـــم الأنبياء "عبد مناف قمــــر البطحاء"
كم فيهم من عالم قُــــرَّاء من قـــــوة الإيمان ذي حياء
وهـــو بأمـــر ا لله ذو اعتناء وعن مقام النهـــي ذو تـــناء
نهاره للصـــوم والإقـــراء وليله للذكـــــر والـــدعاء
وكل شيـــخ آمـــر نهَّاء وقلبه في غايـــــة الصـــفاء
حديثه يكـــــرم بالإصغاء معـــوَّد الطاعـــة من أبناء
بــــررة كـــرام اتقـــياء كمثل ما قد كان لـــــلآباء
وكل ندب ورع مشَّـــــاء إلى المساجد لدى النـــــداء
محافـــــظ بالعهـد ذي وفاء عن كـــل مــزر بالوقار ناء

على بدار المجد ذي اجتراء   عن موضع التهم ذي انزواء
وكل شهم ماجد معطاء   يهش للضيوف في الظلماء
تحفزه جِبلّةُ السخاء   لبذل غاليه لدى الغلاء
وعَفَوِيا أزمُن الرخاء   مستهدف البيضاء والصفراء
بارك فيهم فاطر السماء   وكف عنهم كيد ذي العداء
من جعل اسم "مجلس القضاء"   مقترنا بالمدح والثناء
بالمصطفى من مضر الحمراء   صلى عليه بارئ الأشياء

جمعه وكتبه محمد بن الشيخ محمدن بن الشيخ بابَ خَيْ التندغي المالكي بتاريخ: 4 شعبان 1421هـ الموافق: 3 نوفمبر 2000م.

توطئة

بقلم المؤلف

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه.

وبعد: فإنه لا يخفى أن علم السيرة النبوية من أشرف العلوم منزلة، وأكرمها فضيلة، إذ به يعرف نسب وسيرة نبينا محمد ﷺ خاتم رسل الله الذي جعله الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر. وبه ـ أيضا ـ تعرف أصحابه المهاجرون والأنصار الذين أخبر صلى الله عليه وسلم بأن حبهم آية الإيمان ، وأن بغضهم آية النفاق. وكيف يقتدي الإنسان بمن لا يعرف ؛ أو يحب من يجهل؟! فتعين البحث عن هؤلاء لمعرفة أنسابهم وأحسابهم وسيرتهم وأخبارهم.

وكان من فضل الله عز وجل على هذه الأمة المحمدية؛ وإرادته الخير بها أن قيض لها أئمة هداة صالحين، وعلماء أجلاء مخلصين، صرفوا عنايتهم إلى تبليغ هذا الدين الحنيف وحفظه، بمختلف جوانبه، بالتلقين والتدوين؛ تحصينا له عن غائلة النسيان والضياع، وبرعوا في تأليف المتون نظما ونثرا ببسط وإيجاز.

وكان ممن له السبق في ذلك المضمار العالم السيري **أحمد البدوي**، الذي استطاع بعبقريته الفذة وبراعته الفائقة ، أن يأتي في نظمه الوجيز لأنساب العرب بنواح عديدة من التعريف بالنبي ﷺ وصحابته المهاجرين والأنصار، والكثير من أعيان التابعين وأئمة الأمة، وكثير من النكت الأدبية والقصص الرائعة.. كل ذلك بالإضافة

إلى موضوع النظم الذي هو ذكر *أنساب العرب جميعا وتفاريعها وأخبارها*؛ وساق ذلك في يسر واختصار وإتقان، مما جعل نظمه ذلك متناً معتمدا في فن السيرة ومتعلقاتها. فالتفت القلوب حوله، واتجهت النفوس إليه حفظاً ودراسة، وشرحا...

وقبل الشروع في المقصود أذكر - بحول الله - كلمتين وجيزتين، إحداهما في **التعريف بالناظم** أحمد البدوي، والأخرى في **التعريف بنظم عمود النسب**؛

فأقول وعلى الله أتوكل:

كلمة مختصرة في التعريف بالناظم*

هو العلامة السني والحافظ السيري؛ ذو الباع الطويل والبذل الجزيل، أبو الغوث أحمد البدوي[1] بن محمدا بن أبي أحمد (حبيب الله) بن أحمد بن محنض (محمد) بن

---

* للمزيد من المعلومات عنه، راجع ترجمته في بداية شرح الشيخ حمادٍ لأول النظم.

(1) **ملاحظة في سبب تلقيب الناظم بالبدوي:** حدثني كل من النسابة الشهير محمد بن محمد مختار بن بيباه عن والده العالم الجليل محمد مختار - حفيد الناظم - والأستاذ محمد يحيى بن سيد أحمد عن والدته الثقة السيرية -حفيدة الناظم - عائشة بنت محمد بن حبيب بن المختار بن أحمد البدوي: أن الناظم أحمد البدوي سمي ولقب باسم ولقب القطب المشهور أحمد البدوي المصري. وقد كانت التسمية على أهل الفضل والصلاح أمرا مألوفا عند الشناقطة ؛ وفي محيط الناظم بصفة خاصة، رجاء أن ينال المسمى البركة من ذلك. وقد كان المسمى عليه هنا مشتهرا بالعلم والصلاح مع كونه من أهل البيت النبوي الشريف، وكونه أحد رجالٍ أقطاب كان أهل محيط الناظم يعتقدون فيهم، ويتوسلون بهم في أنظامهم. منهم: سيدي عبد القادر الجيلاني الحسني، وسيدي أحمد الرفاعي، وسيدي أحمد البدوي الحسينيين، وسيدي محمد الجزولي.. وغيرهم. فمن ذلك قول بعضهم:

وبالجزولي الطويل الباع والبدوي وأحمد الرفاعي .. إلخ.

والبدوي المسمى عليه الناظم هو الرجل الصالح أحمد البدوي بن علي بن إبراهيم بن محمد الشريف العلوي.. ينتهي نسبه إلى جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي كرم الله وجهه. كان أجداده قد انتقلوا من الحجاز إلى بلاد المغرب أيام إمرة الحجاج بن يوسف الثقفي وسكنوا بالمغرب، وقد ولد البدوي بمدينة فاس بالمغرب، ثم خرج مع أبيه علي بن إبراهيم وإخوته - وكان أصغرهم - إلى مكة، فحج وأقام بها وقرأ القرآن، واشتغل بالعلم على مذهب الإمام الشافعي فصار بحرا، واشتهر بالعبادة فكان صواما قواما، ثم سار من مكة إلى مصر وأقام بها إلى أن توفي سنة خمس وسبعين وستمائة. وكان قد لقب بالبدوي من كثرة ما يتلثم. وعرف بذلك اللقب لذلك. ومما ينسب إليه قوله:

أنا الملثم سل عني وعن هممي ينبئك عزمي بماذا قلته بفمي

<<=

أبيال (يحيى) بن إبراهيم بن أبي بكر بن عبد ا لله بن بادلٍّ بن أك[1] (اكتوشني) بن عبد الرحمن بن عبد ا لله بن إبراهيم الأموي قاضي مجلس أمير المرابطين أبي بكر بن عامر اللمتوني. وإبراهيم هذا ينتهي نسبه إلى الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز بن مروان الأموي.

وأم أحمد البدوي هي مريم بنت حبيب بن ابنحمد الجكنية ثم الرمظانية. وكان محمدا بن أبي أحمد ـ والد أحمد البدوي ـ من أكابر العلماء المشهورين في قطره. وكانت له محظرة من أشهر وأكبر المحاظر التي كانت محط رحال طلاب العلم آنذاك؛ ومن معينها نهل كثير من العلماء الأجلاء والشعراء والأدباء منهم ـ على سبيل المثال ـ أبناء محمدا الخمسة وخصوصا منهم المختار وأحمد البدوي ؛ ومنهم الشاعر المشهور المصطفى بن أبي أحمد المشهور بلقبه "بوفمين" المجلسي. ومنهم العلامة المختار بن بونه الجكني والعالم الجليل عبد ا لله بن سيدي محمود الحاجي.. وغيرهم.

وفي هذا الجو العلمي ولد وتربى ونشأ العلامة أحمد البدوي في بيت والده، تحف به طلاب العلم؛ فدرس على والده محمدا حتى تبحر في العلوم الشرعية، وخصوصا في اللغة العربية والنحو والأدب والكتاب والسنة وعلم الفقه؛ وكان يرجع إليه بصفة خاصة في علم النحو والعربية. وكان ـ بالإضافة إلى ذلك ـ شاعرا مجيدا قوي الإبداع

-------------- >>

قد كنت طفلا صغيرا نلت منزلة وهمتي قد علت من سالف القدم

أنا السطوحي واسمي أحمد البدوي فحل الرجال إمام القوم في الحرم

والسطوحي نسبة إلى السطح ؛ نسب إليه لأنه كان يصعد على سطح غرفة فيقيم عليه مدة طويلة. واشتهرت أصحابه بالسطوحية. وا لله تعالى أعلم.

(1) بادل (بمد الموحدة وكسر الدال المهملة ـ وتروى بالإعجام ـ أيضا وكسر اللام مشددة أصله): أبو ذر. وأك (بضم الهمزة وسكون الكاف) اختصار "اكتوشني" ومعناه باللغة الصنهاجية: العالِم.

مبتكرا. وكان شعره يمتاز بالرقة وفصاحة اللغة وجزالة المعنى ودقة التصوير. وكانت له اليد الطولى في فن السيرة النبوية، والتاريخ، وأنساب وأخبار العرب؛ حتى طغت شهرته بها على غيرها.

ولم تطل حياته، بل عاش كما يعيش الزهر: قصير العمر فواح الشذا[1]. وكان عمره يقاس بالعرض لا بالطول، وقد قضاه في التعلم والتعليم والتأليف. وخلف مؤلفات كلها ممتع مفيد، تناولت كثيرا من المعارف: سيرية وتاريخية وأدبية.. وكان - رحمه الله - غاية في التواضع، ونكران الذات ؛ غير أنه كان ذا ثقة فائقة بنفسه، أبيّ ضيم.

توفي أحمد البدوي سنة ألف ومائتين وثمان (1208) للهجرة ودفن ببلدة تعرف بـ"الكرمايه" شمال مدينة "القوارب" الموريتانية عن عمر يناهز الخمسين.

وقد خلف - رحمه الله - خمسة أبناء، منهم: الغوث (محمدا) وبه يكنى، والمختار وعبادة (وفيهما العقب) وحبيب، أمهم فاطمة بنت أمون اليعقوبية؛ وكان حبيب منهم عالما سيريا، وقد وضع تَعليقاً على بعض مؤلفات والده، وكان خطاطا، وله بعض الأنظام وربما علق على نظم والده، من ذلك قوله:

وصاحبُ الضب الشهير السلمي   قيس سليل شعبة فلتعلم

يعلق به على قول الناظم:

وصاحبُ الضَّب على يَدَيهِ   ...   ... الخ.

ومنها قوله:

---

(1) الزهر: (بالسكون والتحريك) نور النبات والشجر، واحدته: زهرة وجمعه أزهار، وجمع جمعه: أزاهير. والفواح: المنتشر الرائحة، والشذا: قوة ذكاء الرائحة.

وشملتْ ناظمَـــــه والقَـاري مغفـــــرةُ المهيمـــنِ الغفَّـار

ختم به نظم والده لعمود النسب. وقد ضاع إنتاجه رحمه الله.

وانقطع عقب أحمد البدوي رحمـه الله ؛ وكـان آخـر مـن مـات مـن عقبـه مـن الرجال محمد بن حبيب بن المختار بن أحمد البدوي سنة 1349هـ ، وآخر من مات من عقبه من النساء بنت بنت أخي محمد المذكور وهي انّـنّاه (فاطمة) بنت محمذ (بـالذال المعجمة) بن حبيب بن المختار بن أحمد البدوي توفيت سنة 1384هـ.

و لم يبق إلا خؤولات من أسرته الطيبـة. وكـانت ـ في الغـالب ـ تعـرف لتلـك الخؤولة ميزة خاصة تتمثل في نجابةٍ وميول إلى فن السيرة النبوية.



لمحة موجزة في التعريف بنظم عمود النسب

لقد كان علم السيرة النبوية من أجلّ العلوم وأشرفها إذ به تتم معرفة سيدنا محمد ﷺ الذي أرسله الله عز وجل إلى كافة الخلق بشيرا ونذيرا فبلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة، ودعا إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين. فكان هو القدوة العليا والأسوة المثلى.

وبهذا العلم أيضا تعرف صحابته صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والأنصار الذين اتبعوه واهتدوا بهديه وبلغوا من بعده الرسالة المحمدية، بكل مبادئها وتعاليمها وفضائلها ومُثُلِها، وحضوا على تبليغها مَنْ بَعدَهم؛ حتى وصلت إلينا فكانوا مفخرة العالم وهداة البشرية وروادها الأفاضل. وكانوا أيضا أسوة حسنة في قوة الإيمان ومحبة الله ورسوله والصبر على الأذى وتحمل المشقة ومفارقة الديار والأوطان وترك الأموال والأهلين وإخلاص الإيمان ونصرة الله ورسوله والإيثار على النفس والجهاد في سبيل الله، فبذلك زكت أعمالهم وربحت تجارتهم، وأفلحوا فلاحا لا خسارة بعده.

ويكفي في التنويه بهم والإشادة بفضلهم ثناء الله تعالى عليهم في كثير من الآيات القرآنية التي تضمنت الرضا عنهم والشهادة لهم بالصدق والفلاح والوعد لهم بالمغفرة والأجر العظيم وحسن الثواب ودخول الجنة والخلود فيها، وليس بعد ثناء الله تعالى ثناء؛ فمن ذلك قوله تعالى ﴿ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَـٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّـٰتٍ

تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴾ [1]، وقوله عز وجل ﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [2]، وقوله ﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓاْ أَوْ مَاتُواْ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٥٨﴾ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴾ [3] وقوله تعالى ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [4] وقوله جل ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [5]، وقوله ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى

---

(1) آل عمران: 195.

(2) النحل: 41 –42.

(3) الحج: 58 – 59.

(4) الحشر: 8 – 9.

(5) الأنفال: 74.

تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾[1]، وقوله جل ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[2]، وقوله تعالى ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾[3].

فهكذا كانوا بذا أحق الناس بأن تعرف أنسابهم، وتحفظ سيرهم وأحوالهم، وتدون أخبارهم وأنباؤهم.

وقد كان من أحسن ما ألف في ذلك من المختصرات الشاملة نظم العلامة السيري أحمد البدوي المجلسي، المعروف بـ"**نظم عمود النسب**" الذي كان فصل الخطاب في علم أنساب العرب. فقد كان من حيث المعنى والمحتوى نظما مشتملا على ذكر نسب النبي ﷺ ، وأنساب الصحابة من المهاجرين والأنصار والثناء

---

(1) التوبة: 100.

(2) الأعراف: 157.

(3) الفتح: 29.

عليهم والذب عنهم، وعلى ذكر أئمة الأمة ورجالها المشهورين، ويحتوي كذلك على أنساب سائر العرب، وذكر قبائلها وبطونها وتاريخها، وأيام حروبها، وقصصها، وأشعارها، وأخبار مشاهيرها، ومكارم أخلاقها، والحسن والقبيح من عاداتها، والفوائد والنظائر والتلميحات التي يتطرق لها ويشير إليها في دقة وبراعة.. إلى غير ذلك. أما من حيث النص فقد كان يمتاز بفصاحة وبلاغة اللغة وسلاسة وبساطة اللفظ وجمال وقوة السبك وجزالة ووضوح المعنى وسهولة وأناقة الأسلوب، واعتماد أصح الروايات والأقوال، والبعد عما شذ وضعف، والجمع بين الاختصار والاستيفاء. وقد جمع فيه ناظمه بين أشياء الجمع بينها شبه مستحيل، مثل الاختصار والشمولية وحسن السبك ووضوح المعنى، وما لا يسع المسلم جهله، والملح والمختلقات وغير ذلك.. وكل هذا في أقل من ألف وثلاثمائة بيت.

وبالجملة فقد أحسن فيه ناظمه وأجاد. وقد سار هذا النظم مسير الشمس وتلقته الناس بالقبول.

وقبل أن أنهي هذه الكلمة أشير إلى أنه نظرا لما تضمنه هذا النظم البديع من تصحيف وتحريف وأخطاء طغا بها القلم على أيدي النساخ طيلة ما يربو على قرنين من الزمن، وتعاطتها الروايات التي لا تميز الصحيح من السقيم، ولا الغث من السمين، فقد اعتنيت بتصحيحه وتدقيق ضبطه، وتنقيحه حسب أوثق نسخه ومصادره ومنابعه الأصلية المكتوبة والشفهية بالاعتماد على أصح الروايات التي تحفظه؛ واعتنيت بالمنطلقة منها من عقر دار النظم التي تتصل أسانيدها بالشارح والناظم ، بعضها بأربع أواسط وبعضها بخمس وبعضها بست، نظرا إلى أنها هي المرجع الأمين في حفظه، وخاصة من حفدتهما الذين تلقوه كابرا عن كابر؛ وقد قيـــل: "أهل مكة أدرى بشعابها". والله سبحانه وتعالى أعلم.

مقدمة التكملة

الحمد لله رب العالمين حمدا يوافي نعمه ويكافئ مزيده، لا أحصي ثناء عليه هو كما أثنى على نفسه. والصلاة والسلام على صفوة خلقه، وخاتم أنبيائه عبده ورسوله محمد بن عبد الله وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته وأمته أفضل الأمم.

وبعد فيقول الفقير إلى ربه العائذ به من شؤم ذنبه ابَّاهُ (محمّد يُحْظِيه) بن محمد عالي بن نعم العبد، المجلسي ؛ عامله الله ووالديه وذويه بلطفه الخفي:

لا يخفى أن للعارف بعلم السيرة وبأحوال النبي ﷺ الرتبة المنيفة والمنزلة الشريفة، وأن للعلم بذلك حلاوة في الصدور، وطمأنينة في القلوب، ولم تعمر مجالس الذكر بعد القرآن بأحسن من أخبار رسول الله ﷺ والتعرف على نسبه الشريف ونسب أصحابه رضي الله عنهم، وما تفرع من ذلك وتعلق به؛ بل كانت معرفة بعض ذلك فرضا على الأعيان، وشرطا في كمال الإيمان. وقد عني به الكثيرون من المتقدمين والمتأخرين، من أكابر العلماء وأعيان المؤرخين، والأدباء والباحثين، وتناولوا مختلف أنواعه وشتى أحواله، وترددوا في دياره وأطلاله، ولم يتركوا فيه من متردم ؛ فرغبت في أن أتشبث بهم، وأتعلق بجنابهم، كي تكون لي حلية في ميادينهم، وشجرة مثمرة في بساتينهم.

ولما كان من أحسن ما ألف في السيرة النبوية من المختصرات الشاملة نظم العلامة السيري أحمد البدوي المجلسي ؛ الذي جمع فيه ما لا يسع جهله من علم عمودي نسب النبي ﷺ ونسب الصحابة من المهاجرين والأنصار ونسب سائر العرب المتفرعة منهما، عدنانيها وقحطانيها.. وغير ذلك من العلوم التاريخية، والأحكام الشرعية، والفوائد والنكت والعبر والحكم والأمثال والأشعار والمُلَح

والطرائف والآداب.. كل ذلك مع حسن نسج وجميل سبك وقوة إبداع وصحة رواية، مما أكسب النظم محبة وإعجاب الجميع؛ فأقبل عليه الطلاب وتبادر إليه العلماء والدارسون، حفظا وتعليما ؛ فانتشر في المغرب والمشرق، ووضعت عليه الشروح والتعليقات المتنوعة. وكان من أول تلك الشروح وأحسنها شرح ابن أخي الناظم العالم السيري حمادٍ بن الأمين، الذي تلقى النظم غضا ناضرا من ناظمه وقرأه عليه وأمره بشرحه، فكان هو المصدر الأول الذي يعتمد عليه فيه وأول شارح له.

وكان ذلك الشرح - رغم أن مؤلفه لم يبيضه بعدُ (لوفاته في أثنائه) - غاية في الجزالة والحسن؛ وقد تلقته الناس بالقبول وانتشر دون سواه من الشروح، ولكن الثغرة المؤسفة التي أصيب منها هي وفاة الشيخ حماد قبل أن يكمله.

فانتدبتُ لتكميله وسد تلك الثغرة، ليعم النفع ؛ رغبة مني في فضل الله تعالى، ورجاء للحصول منه على ثواب بعض الأعمال التي لا تنقطع بالموت، وخدمة لنبينا محمد ﷺ بإحياء هذا الجزء من سيرته وسيرة أصحابه رضي الله عنهم، وبِرا ووفاء للشارح - لحق الأبوة - بإكمال شرحه، وبِرا بالناظم بشرح وإيضاح نظمه وتصحيح ما طغت به أقلام نساخه على مر العصور من التصحيف والتحريف والاختلاف في ألفاظه وترتيبه، وذكر ما أهمله منه بعض من تعرض لشرحه، وإلغاء ما أدخله فيه البعض مما ليس منه.. وسميت هذه التكملة المباركة إن شاء الله بـ"**رياض السيرة والأدب في إكمال شرح عمود النسب**"[1].

---

(1) كان قصدي عند الشروع في هذا الشرح أن أقتصر على تعليق يوضح بعض الكلمات ويقرر معنى الأبيات ويتناول ما يشير إليه النظم من القصص والتاريخ ويعرف الأعيان الواردة فيه؛ كل ذلك بإيجاز واختصارٍ تجنبا للإطالة وتمشيا مع ما يناسب الأصل الذي هو شرح الشيخ حمادٍ رحمه الله لينتفع به طلاب العلم فسميته "تحفة الطلاب بتكملة شرح حمادٍ للأنساب" ثم انـي لاحظت أثناء

<<=

وأشير إلى أن عدد أبيات النظم ألف ومائتان وسبعة وسبعون بيتا. وقد شرح الشيخ حمادٍ منها سبعمائة وأربعة وتسعين بيتا.

وإذا كان هذا الجزء المتبقي أقل - من حيث عدد الأبيات - فإنه كان الجزء الأكبر والكم الأوفر من حيث المقصد الأصلي من التأليف، وهو رَبع عزته الذي يقف به المعتني ويعقل فيه قلوصه ويتأسف على عدم شرحه، لأنه اشتمل على

كتابة هذا الشرح مباحث واستطرادات مهمة يشير إليها النظم باختصار وإيماء، فرأيت أن من خدمة النظم وتعميم الإفادة محاولة استجلاء ما أمكن من تلك المخبآت النفيسة، فزدت الشرح زيادة كبيرة ؛ فكان من المستحسن أن لا تُهمَل الإشارة لذلك في العنوان فعدلتُ أخيرًا إلى تسمية هذه التكملة بهذا الاسم (**رياض السيرة والأدب**..الخ). والرياض: جمع روضة وهي البستان الحسن أو الأرض المخضرة بأنواع النبات. هذا وقد اشتهر شرح الشيخ حمادٍ بن الأمين لنظم عمود النسب في أسرة المؤلف ومحيطها باسمين هما: **شرح حماد للأنساب، وشرح حماد**، والثاني اختصار للأول، وربما اقتُصر في اسم الشرح على لفظ "حماد" فقط ؛ وإلى ذلك يشير بعض الأدباء الموريتانيين بقوله:

تولىَّ زمان باليمين أقمته ... وما لي عن شهد المسرة مانع

أظل "لحمادٍ" ضجيعا وإنني ... لظبي مليح بالظلام أضاجِعُ

أود رجوعا منه والحال منشد ... "هل الأزمن اللائي مضين رواجع"

فقوله: أظل لحماد ضجيعا: أي أظل أطالع شرح حماد المذكور. وقوله: باليمين: هو اسم موضع (على بعد حوالي 60 كيلو مترا جنوب شرقي انواكشوط).

والمشهور أن المؤلف لم يضع لشرحه اسما، ولعله كان ينوي أن يضعه له إذا وصل إلى مرحلة التبييض. وما اشتهر من تسميته بـ "تحفة الألباب بشرح الأنساب" وغير ذلك من الأسماء .. فلعله من وضع النساخ. والله أعلم. وكما اشتهر هذا الشرح بالتسمية المتقدمة في محيط المؤلف فكذلك اشتهر شرحه الآخر "روض النهاة على شرح الغزوات" باسم "حماد على الغزوات"؛ وإلى ذلك يشير بعض الأدباء الموريتانيين (محمد بن أحمدونا الفاضلي) بقوله:

غزا لي بجند الشوق ظبي رأيته ... يطالع "حمادا على الغزوات"

حمدت إلهي إذ غزالي بجنده ... وما كنت حماداً على الغزوات

الشطر الثاني الذي هو عمود نسب الأنصار وما تفرع منه وارتبط به، وعلى الجزء الأهم من الشطر الأول وهو أهل بيت النبي ﷺ وذريته وأعمامه الذين أسلموا، وعمه الذي كفله ودافع عنه، وعلى ذريتهم. كما اشتمل على الكلام على بني عمومته صلى الله عليه وسلم من بني المطلب وعبد شمس ونوفل.

ورغم أني بذلت فيه الجهد وأفرغت فيه الوسع وجمعت فيه ما لم يكن جمعه هينا، فليعلم الناظر فيه أنه لم يكن لي منه إلا جمع بعض ما تفرق في الكتب وتنظيمه وترتيبه، وإنما لم أبين عزوه في المتن إلى المنقول منه طلبا للاختصار والتقريب، ولأني ربما أسوق كلاما ملخصا من عدة كتب من الصعب عزو كل فقرة منه إلى الكتاب الذي أخذت منه[1].

---

(1) لم تبد لي ضرورة العزو إلى المصادر عند ابتداء جمع مادة هذا الشرح، ولم أر أهمية إثباتها إلا بعد أن أوشك على النهاية ؛ ولكني جد مطمئن على صحة النقل ودقته واعتماد بعض الكتب الصحيحة المشهورة والأخذ من أخرى موثوق بها. ومن أهم مراجع هذا الشرح والتعليق: **كتب التفسير** مثل **القرطبي** و**ابن كثير**، و**كتب الحديث وشروحها**، مثل **صحيح البخاري وشروحه**، **ومسند الإمام أحمد** وغيرها من كتب **الصحاح** و**السنن** و**المسانيد**. ومن المصادر والمراجع: **سموط الذهب بشرح نظم أنساب** العرب للأستاذ السيري محمد يحي بن سيد أحمد المجلسي، **ومفيد الطلاب بشرح الأنساب** للشيخ أحمد محمود بن يدَّاد الحسني، **وتاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس** لحسين بن محمد بن الحسن الدياربكري، **وأسد الغابة** لابن الأثير الجزري، **والاستيعاب** لابن عبد البر النمري، **والإصابة** لابن حجر العسقلاني، **وسيرة ابن هشام** وشرحها **الرَّوض الأنف** للسهيلي، **والاستبصار في نسب الصحابة من الأنصار** لابن قدامة المقدسي، **ونسب قريش** للمصعب الزبيري، **ونهاية الأرب** في معرفة أنساب العرب للقلقشندي، **وجمهرة أنساب العرب، وجوامع السيرة النبوية** (كلاهما لابن حزم الأندلسي)، **والحلة السيراء في أنساب العرب وسيرة خير الورى** (صلى الله عليه وسلم) للشيخ محمد اليدالي، **وتحفة الألباب بشرح الأنساب** للشيخ حماد بن الأمين المجلسي، **والعواصم من القواصم** لابن العربي، **ووفيات الأعيان** لابن خلكان،

<<=

وإذا كانت هناك مآخذ علي في هذا العمل فليس ذلك غريبا، إذ ذاك يتماشى مع طبيعة البشر، فالكمال لله وحده؛ وصدق الله العظيم فقد قال عز وجل ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾[1]؛ ويرحم الله الإمام مالكا إذ يقول: "كل كلام فيه مقبول ومردود إلا كلام صاحب هذا القبر"، يعني النبي ﷺ. وإن لي بالناظم أسوة إذ يقول في مقدمة النظم:

ومـــن رأى خـــلاف ما ذكرته   فليتئـــد.. لعـــــل مـــا أبصرته

في غير ما طالعــــه، إذ الطرق   ... الخ

ورحم الله امرأ أصلح فاسده ودعا لمن جمعه بالعفو والمغفرة.

وهذا أوان الشروع في المقصود، فأقول مستعينا بالله تعالى ومتوكلا عليه ومعتصما به ؛

و**الأعلام** لخير الدين الزركلي، و**ديوان حسان بن ثابت** و**ديوان أبي تمام** و**القاموس المحيط** للفيروزآبادي، و**تاج العروس** للزبيدي، و**لسان العرب** لابن منظور.. وغير ذلك من المعاجم والمراجع القديمة والحديثة.

(1) النساء: 82.

قال الناظم العلامة أحمد البدوي رحمه الله وعفا عنه*:

عُتَيْبَةٌ وعُتْبَـــةٌ مُعَـــتِّبُ وَدُرَّةٌ إلىَ التَّبِيبِ نُسِبُـــوا
وسِبْطُ عُتْبَةَ مُهَاجِي الأَحْوَصِ وعَقْرَبِ الْفَضلُ بِالْقَوْمِ يَصِي

عتيبة (بالتصغير): مبتدأ. **وعتبة** (بالتكبير) **ومعتب** (بوزن محدث) **ودرة** (بوزن غرة): معطوفون على **عتيبة** بحذف العاطف من **معتب**. وقوله **إلى التبيب**: متعلق بنسبوا. وجملة **نسبوا** (بالبناء للمفعول): خبر عن **عتيبة**. **والتبيب**: الهالك الخاسر، والمراد به هنا أبو لهب؛ وإنما أطلق عليه الناظم هذا اللفظ لقول الله تعالى فيـــــه ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾[1] أي خسر وخاب وضل سعيه.

آل أبي لهب

يقول ومن بني هاشم بن عبد مناف: عتيبة وعتبة ومعتب ودرة، بنو أبي لهب بن عبد المطلب بن هاشم. وأبو لهب هو عبد العزى بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي، أمه لبنى بنت هاجر بن عبد مناف بن ضاطر الخزاعية، كان من أعمامه صلى الله عليه وسلم الذين أدركوا البعثة، ولكنه لم يسلم ؛ وكان كثير الأذية لرسول الله ﷺ والبغضة له والازدراء به والتنقيص له ولِما جاء به من الدين

* تناول الناظم الكلام على آل رسول الله صلى الله عليه وسلم بني هاشم بن عبد مناف في نحو سبعين بيتا. وذكر من فصائلهم وبيوتهم: آل الزبير، وآل الحارث، وآل العباس، وآل أبي لهب بني عبد المطلب. وآل عقيل وآل جعفر وآل علي.. بني أبي طالب. وذكر من أعيانهم خمسة وخمسين رجلا، وأربع عشرة امرأة. وقد مر الكلام على آل الزبير وآل الحارث في آخر شرح الشيخ حماد رحمه الله.

(1) المسد: 1.

الحنيف[1]، وفارق بني هاشم وانضم إلى قريش في مقاطعتهم لبني هاشم ومحاصرتهم لهم في الشِّعب. وقد مات بالعدسة[2] بعد وقعة بدر بسبع ليال؛ وأقام ثلاثة أيام لم يدفن لأنهم كانوا يتقون العدسة مخافة العدوى كما يتقى الطاعون. فلما أنتن خاف بنوه السبة فاحتملوه إلى أعلى مكة فرضموا[3] عليه بالحجارة.

وقد روى ابن عباس في سبب نزول هذه الآية فيه أنه لما نزلت ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ [4] خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صَعِد الصفا فنادى: «يا صباحاه» فقالوا: من هذا الذي يهتف؟ قالوا: محمد، فاجتمعت إليه قريش، فقال: «يا بني عبد مناف، يا بني عبد المطلب، يا بني فلان يا بني فلان..» ؛ فاجتمعوا إليه فقال: «أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا تخرج بسفح هذا الجبل[5] أكنتم مُصدقِيَّ»؟ قالوا: نعم، ما جربنا عليك كذبا؛ قال: «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد» فقال أبو لهب: تبا لك أما جمعتنا إلا لهذا؟ ثم قام، فنزلت هذه السورة: ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾

---

(1) فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتتبع القبائل في منازلها بمنى وغيرها وفي الأسواق ويدعوها إلى الله تعالى وإلى الإسلام، ويقف على كل قبيلة ويقول: «يا بني فلان إني رسول الله إليكم آمركم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا، وأن تصدقوني وتمنعوني حتى أبلغ عن الله ما بعثني به، يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا»، فعند ذلك يمشي أبو لهب وراءه ويتبعه حيث ذهب فإذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من كلامه يقول أبو لهب: يا بني فلان هذا صابئ كذاب يريد منكم أن تسلخوا اللات والعزى وحلفاءكم من الجن إلى ما جاء به من البدعة والضلالة فلا تسمعوا له ولا تتبعوه.

(2) قرحة تخرج بالبدن فتقتل وتُعدي أشد العدوى. وكانت العرب تتشاءم بها.

(3) أي جعلوا بعضها على بعض.

(4) الشعراء: 214.

(5) سفح الجبل: أسفله، وقيل عرضه.

إلى آخـــــرها[1].

أما **عتيبة** بن أبي لهب فقد مات على شركه ولم يعقب؛ وكان قد تزوج أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ، كما تزوج أخوه عتبة أختها رقية. فلما نزلت ســـورة ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ عزم عليهما أبواهما: أبو لهب بن عبد المطلب وأم جميل حمالة الحطب أن يطلقاهما؛ وقال لهما أبو لهب: رأسي من رأسيكما حرام إن لم تطلقا ابنتي محمد، فطلقاهما.

وعتيبة هذا هو أكيل الأسد ــ على المشهور ــ وسبب ذلك دعاء رسول الله ﷺ عليه بذلك؛ فقد روي أنه جاء إلى النبي ﷺ وقال له: كفرت بدينك وفارقت ابنتك لا تحبني ولا أحبك، وتفل نحوه وهو خارج إلى الشام في تجارة ؛ فقال صلى الله عليه وسلم: «اللهم سلط عليه كلبا من كلابك»[2]، وأبو طالب حاضر فوجم لها[3]، وقال: ما كان أغناك يا عتيبة عن دعوة ابن أخي، ثم خرج عتيبة مع أبيه في تجر من قريش حتى نزلوا مكانا من الشام يقال له "الزرقاء" ليلا ؛ وكانـــت الأرض مسبعة، فأطاف بهم الأسد تلك الليلــــة؛ فجعــــل عتيبة يقــــول: يا ويل أمي هــــو والله آكلي كما دعا علي محمــــد، أقاتلــــي ابن

---

(1) أخرجه البخاري ومسلم. وفي رواية البخاري: «فجعل ينادي يا بني فهر، يا بني عدي..» لبطون قريش حتى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولا لينظر ما هو. فجاء أبو لهب وقريش فقال: «أرأيتكم لو أخبرتكم ..» ــ الحديث ــ وفيه: "ما جربنا عليك إلا صدقا". ومعنى تبا لك: أي ألزمك الله هلاكا وخسرانا. ومعنى ﴿تبت يدا أبي لهب وتب﴾: أي خسرتا وخسر هو؛ فالتب الأول دعاء والثاني خبر كما يقال: أهلكه الله وقد هلك، وقيل تبت: خابت، وقيل ضلت وهلكت، وقيل صفرت من كل خير.

(2) أخرجه الحاكم من حديث أبي نوفل، والحافظ أبو نعيم بسنده إلى الأسود بن هبار.

(3) أي اشتد حزنه لتلك الدعوة.

أبي كبشة[1] وهو بمكة وأنا بالشام؟! فقال أبو لهب: يا معشر قريش أعينونا هذه الليلة فإني أخاف دعوة محمد، فاحرسوا معي ابني هذا من سباع هذا الوادي؛ فجمعوا أحمالهم وضموا بعضها إلى بعض حتى علت، وفرشوا لعتيبة في أعلاها وأضجعوه عليها وأحدقوا به. فلما ناموا جاء أسد فجعل يشم وجوههم، ثم ثنى ذنبه فوثب إليه وأخذه وافترسه، فصاح عتيبة وقال: قتلني.. ومات. وقد كان في القوم هبار بن الأسود قال: فطلبنا الأسد فلم نجده. وفي ذلك يقول حسان بن ثابت الأنصاري:

من يرجع العام إلى أهله فما أكيل السبْع[2] بالراجعِ

وأما **عتبة** ـ على أنه غير أكيل الأسد ـ فأسلم هو ومعتب يوم الفتح. وكان من خبر إسلامهما ما أخرجه ابن سعد عن العباس بن عبد المطلب ؛ قال: لما قدم رسول الله ﷺ مكة في الفتح قال لي: «يا عباس أين ابنا أخيك عتبة ومعتب لا أراهما»[3]؟ قال: قلت يا رسول الله تنحيا فيمن تنحى من مشركي قريش، فقال لي: «اذهب

---

(1) اختلف في أبي كبشة هذا فقيل هو رجل من خزاعة اسمه وجز بن عامر بن غالب وهو جد وهب بن عبد مناف بن زهرة جد النبي صلى الله عليه وسلم كان قد خالف قريشا في عبادة الأوثان، وعبد الشعرى العبور فكان مشركو مكة ينسبون إليه النبي صلى الله عليه وسلم للاشتراك في مطلق المخالفة، لمخالفته صلى الله عليه وسلم لهم إلى عبادة الله تعالى كما خالفهم أبو كبشة إلى عبادة الشعرى، وكانت قريش تقول: لا يخالف أحد إلا لعرق نزعه، وإنما نسبوه إليه لأن عادة العرب إذا انتقصت نسبت إلى جد غامض، وقيل: أبو كبشة كنية وهب بن عبد مناف جده صلى الله عليه وسلم من أمه، نسبوه إليه لأنه كان قد نزع إليه في الشبه، وقيل بل هو أبوه من الرضاعة؛ واسمه: الحارث بن عبد العزى، كني ببنت له تسمى كبشة فنسبوه إليه. انتهى ملفقا من *فتح الباري*، *والزبيري*، *واللسان*.. وغير.

(2) أكيل بمعنى مأكول، والسبع: (بسكون الموحدة) لغة لأهل نجد – [القرطبي: 050/6].

(3) رواه ابن سعد في طبقاته، كما في الإصابة. وابن عبد البر، وأبو موسى كما في أسد الغابة.

إليهما وائتني بهما». قال العباس: فركبت إليهما بعُرَنَة[1]، فأتيتهما فقلت: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوكما؛ فركبا معي سريعين حتى قدما على رسول الله ﷺ فدعاهما إلى الإسلام فأسلما وبايعا؛ ثم قام رسول الله ﷺ فأخذ بأيديهما وانطلق يمشي بينهما حتى أتى بهما الملتزم (وهو بين باب الكعبة والحجر الأسود) فدعا ساعة ثم انصرف والسرور يرى في وجهه. قال العباس: سرك الله يا رسول الله، فإني أرى في وجهك السرور، فقال النبي ﷺ: «نعم إني استوهبت ابني عمي هذين ربي فوهبهما لي»[2]، قال: فخرجا معه في فوره ذلك إلى حنين، فشهدا غزوة حنين، وثبتا مع رسول الله ﷺ يومئذ فيمن ثبت من أهل بيته وأصحابه، وأصيبت عين عتبة يومئذ ؛ وقيل إن الذي أصيبت عينه معتب، وشهدا معه صلى الله عليه وسلم غزوة الطائف، ثم رجعا إلى مكة وأقاما بها حتى ماتا؛ و لم يأتيا المدينة رضي الله عنهما. ولهما عقب.

وأما **درة** بنت أبي لهب فقيل كانت تحت نوفل بن الحارث بن عبد المطلب، وولدت له عتبة والوليد ومسلما، وقيل تزوجها صفوان بن أسد من بني أسيد بن عمرو بن تميم. وأسلمت رضي الله عنها وهاجرت؛ وروى ابن إسحاق أنها نزلت في دار رافع بن المعلى الزرَقي، فجلس إليها نسوة من بني زريق وقلن لها: أنت بنت أبي لهب الذي يقول الله فيه ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ فما تغني عنك هجرتك؟! فأتت النبي صلى الله عليه وسلم وذكرت له ذلك، فسكنها[3] وقال لها: «اجلسي»، ثم صلى بالناس الظهر وجلس على المنبر ساعة ثم قال: «أيها الناس ما لي أوذى في أهلي؟ فوالله إن

---

(1) عرنة (كهمزة): بين عرفات والمزدلفة ويقال: "بطن عرنة".

(2) أخرجه الطبراني وابن سعد، كما في الإصابة.

(3) سكنها: طمأنها وأنسها ورحمها.

شفاعتي لتنال بقرابتي حتى أن صُدَاء وحَكَمًا وسِلْهِماً[1] لتنالهما يوم القيامة»[2].

وروي عن درة هذه أنها قالت: قام رجل إلى النبي ﷺ - وهو على المنبر - فقال: يا رسول الله أي الناس خير؟ فقال: «خير الناس أقراهم وأتقاهم وآمرهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر وأوصلهم للرحم»[3] وروت عنه - أيضا - «لا يؤذى حي بميت»[4].

ومن ولد أبي لهب أيضا خالدة، تزوجها عثمان بن أبي العاص بن بشر بن عبد بن دهمان الثقفي، فولدت له؛ وقد أسلمت - أيضا - يوم الفتح. وله أيضا عزة بنت أبي لهب، تزوجها أوفى بن حكيم بن أمية بن حارثة بن الأوقص السلمي فولدت له عبيدة وسعيدا وإبراهيم بني أوفى - قاله ابن سعد.

وأم أولاد أبي لهب هؤلاء حمالة الحطب، وهي أم جميل أروى بنت حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشية العبشمية، كانت شديدة العداوة لرسول الله ﷺ، وكانت عونا لزوجها أبي لهب على كفره وجحوده وعناده. ولقبت *حمالَةَ الحطب* لأنها كانت تحمل العضاهَ والشوك فتطرحه بالليل في طريق النبي ﷺ. وقيل

---

(1) صداء (كغراب): هو ابن يزيد بن حرب بن علة بن جلد بن مذحج (مالك) بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ، وهو بطن عظيم - [جمهرة ابن حزم]؛ وحكم: هو الحكم بن سعد العشيرة بن مذحج بن أدد بن زيد بن يشجب، وبنو الحكم هؤلاء بطن ضخم. وسلهم (بكسر السين والهاء بينهما لام ساكنة): هو بن الحكم بن سعد العشيرة بن مذحج، وهو ابو بطن من بطون مذحج؛ وأم جلد وسعد العشيرة - جدي هؤلاء البطون الثلاثة - سلمى بنت منصور بن عكرمة المضرية.

(2) أخرجه أحمد في المسند: 457/6.

(3) أخرجه أحمد في المسند: 457/6.

(4) أخرج نحوه الإمام أحمد في مسنده، والدارقطني في كتاب الأخوة، وابن عدي في الكامل، وابن منده، كما في الإصابة: 298/4.

لأنها كانت تمشي بالنميمة. وقيل كانت تعير النبي صلى الله عليه وسلم بالفقر، ثم كانت مع كثرة مالها تحمل الحطب على ظهرها لشدة بخلها؛ فبينما هي حاملة ـ ذات يوم ـ حزمة أعيت فقعدت على حجر لتستريح، فجذبها المَلَكُ من خلفها فأهلكها.

وقوله **سبط عتبة** (بالرفع): مبتدأ، **والسبط** (بالكسر): ولد الولد. **ومهاجي** (بضم الميم): صفة لسبط، والمهاجاة أن يهجو كل واحد من المتشاتمين صاحبه، وهجا فلان فلانا هجوا وهجاء شتمه بالشعر وعدد معايبه. **والأحوص:** هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح الأنصاري الأوسي الشاعر المشهور الهجَّاء، لقب الأحوص لحوص في عينيه[1]، وسيأتي بعض التعريف به عند ذكر جده عاصم بن ثابت.

قوله **وعقرب** (بالجر): عطف على الأحوص. **والفضل** (بالرفع): بدل من سبط. **ويصي** (بفتح الياء): خبر عن قوله **سبط**. **وبالقوم:** متعلق بيصي (أي يتصل بهم)، يقال وصى الشيء بالشيء وصيا: اتصل به، ووصاه به وصيا: وصله به فهو واصٍ، قال الشاعر:

نَصِي اللَّيلَ بالأيَّام حَتَّى صَلاتُنا مُقاسَمَةٌ شَطْرًا صَلاة المسَافِر[2]

يعني أن من ذرية أبي لهب الفضل بن العباس الذي هاجى الأحوص وعقربا. والفضل هذا هو الشاعر المشهور الفضل بن العبَّاس بن عتبة بن أبي لهب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي الأبوين، أمه آمنة بنت العباس بن

---

(1) الحوص (محركة): ضيق في مؤخر العينين أو في إحداهما حتى كأنها خيطت، وهو أحوص، وهي حوصاء، جمعه: حوص، وأحاوص - [القاموس والمنجد].

(2) يعني أنهم وصلوا سير الليل بسير النهار حتى رجعت صلاتهم من أربع إلى اثنتين كحال صلاة المسافر، وفي رواية: مقاسمة يَشْتَقُّ أنصافَها السَّفْرُ.

عبد المطلب، كان أحد شعراء بني هاشم المذكورين وفصحائهم المشهورين، وكانت له أشعار جيدة وآثار حميدة، وكان طويل القامة آدم اللون[1]؛ وقيل كان أخضر اللون، وإن ذلك سرى له من جدته؛ لأن أمه آمنة بنت العباس أمها جارية سوداء حبشية، وإنه كان يعرف بالأخضر لذلك. وقد أشار هو نفسه إلى ذلك بقوله في قصيدة له في الفخر مطلعها:

شاب رأسي ولداتي[2] لم تشب ... بعد لهوٍ وشباب ولعبْ

شيب المفرق مني وبدا ... في حفافي لمتي[3] مثل الحطبْ

إلى أن يقول:

وأنا الأخضر من يعرفني ... أخضر الجلدة من نسل العربْ

[الأبيات المتقدمة].

وكانت له صحبة حسنة مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وله فيه أبياته المشهورة:

ما كنت أحسب هذا الأمر[4] منصرفا ... عن هاشم ثم منها عن أبي حسن

أليس أول من صلّى لقبلتهِ ... وأعلم الناس بالقرآن والسُّنَن

وآخر الناس عهداً بالنبيِّ ومن ... جبريل عون له في الغسل والكفن

من فيه ما فيهمُ لا تمترون به ... وليس في القَوم ما فيه من الحسنِ

وكانت لأبيه العباس بن عتبة صحبة [كما في الإصابة].

وحاصل ما أشار إليه الناظم من مهاجاة الفضل هذا للأحوص وعقرب، أنه اتفق أن مر يوما الفضل بن العباس على الأحوص، وهو ينشد وقد اجتمع عليه

---

(1) آدم اللون: أي أسمره، والأدمة: السمرة وهي لون بين السواد والبياض.

(2) جمع لدة: وهو الترب (بكسر وتشديد التاء) وهو من ولد معك أو تربى معك.

(3) الحفاف: الجانب جمعه: أحفة، واللمة: شعر الرأس المجاوز شحمة الأذن، جمعها: لمم ولمام.

(4) يعني به الخلافة.

الناس فقال: يا أحوص إنك لشاعر ولكن لا تعرف الغريب ولا تعرب! وإني لأبصر الناس بالغريب والإعراب! فقال الأحوص: أفتسمع؟ فقال الفضل: نعم، فقال الأحوص:

ما ذات حبـــل يراها الناس كلهـم وسط الجحيم ولا تخفى على أحـــد

كُـــل الحبال حبال الناس من شعر وحبلها وسط أهل النار مـن مسد[1]

فقال الفضل:

ما ذا أردت إلى شتمي ومنقصـــتي ما ذا أردت إلى حمّالـة الحطـب

ذكـــــرت بنت قُروم سادة نُجُبٍ كانـــت حليلـة شيخ ثاقب النسب

ثم انصرف عنه.

أما مهاجاته لعقرب: فمما يروى أنه كان بالمدينة رجل يقال له عقرب بن أبـي عقرب تميمي، وكان مشهورا بالتجارة والمطل، حتـى ضـرب بـه المثـل فيهمـا فقيـل "أمطل من عقرب وأتجر من عقرب"؛ وكان الفضل بن العباس هذا مـن أشـد النـاس اقتضاءً للدَّين! فـاتفق يومـا أن وقعـت بينهمـا معاملـة، فقـال النـاس: ننظـر الآن مـا يصنعان ، فلما حل الأجل لزم الفضل باب عقرب وقعد يقرأ القرآن، ومكـث علـى تلك الحال زماناً، فلم يكترث بـه عقـرب وأقـام علـى مطله و لم يعطه شيئاً، فـترك الفضل ملازمته واشتغل بهجائه، ومما قال فيه:

قد تجـــرت في أرضنا عقـرب لا مـرحبا بالعقـــرب التاجرهْ

كُـل عـــدو يتقى مقبــــلا وعقـــرب يخشى من الدابـــره

---

(1) من مسد: أي من ليف، وقيل هو ﴿سلسلة ذرعها سبعون ذراعا﴾ وقد روي عن سعيد بن المسيب قال: كانت لأم جميل قلادة فاخرة من جوهر، فقالت: واللات والعزى لا نفقنها في عداوة محمـد، فاعقبها الله منها يوم القيامة حبلا في جيدها من مسد النار جزاء وفاقا، روي أنها كانت ترفـع بـه إلى شفير النار ثم ترمى إلى أسفلها، ثم كذلك دائما، والعياذ بالله تعالى.

إن عادت العقـــرب عدنا لها وكانت النعـــل لها حاضـــره

وله يقول:

إذا ما كنت متخـــذاً خليـــلا فلا تجعـــل خليلك من تميـــم

بلـــوتُ صميمَهم والعبد منهم فلـــم أدر العبيد من الصميـــم!

وقيل إن الفضل هو الذي مطل عقربا في دين يطالبه به، وقد قيل فيهما: "أمطل من اللهبي وأشد اقتضاء من عقرب" وقد لزم عقرب باب دار اللهبي حين تمادى على مطله، وربط به حماره.

ومن شعر الفضل هذا أبياته المشهورة التي يخاطب بها بني عمه، بني أمية بن عبد شمس:

مهـــلاً بني عَمِّنا مهلا مَـــوَالينا لا تنبُشُـــوا بيننا ما كان مَـــدفونا[1]

لا تطمعـــوا أن تهينونا ونُكْرِمَكُم وأن نكـــفَّ الأذى عنكم وتُـــؤذونا

مهـــلاً بني عمِّنا عن نحْتِ أَثْلَتِنَا[2] سيروا رويـــداً كما كنتم تسيرونا

الله يعلـــمُ أنّا لا نحبكـــمُ ولا نلومكـــمُ إذ لا تحبُّـــونا

كـلٌّ لـه نيةٌ في بُغضِ صاحبـــه والحمـــدُ لله نقلـــوكمْ وتقلـــونا

ومدح الفضل عبد الملك بن مروان الأموي ـ وهو أول هاشمي مـدح أمويـا بعد ما كان بينهما ـ فأكرمه عبد الملك.

بعض أخبار عمر بن أبي ربيعة مع الفضل بن العباس

وكان الفضل معاصرا للفرزدق وابن أبي ربيعة المخزومي، وله معهما أخبار. أما الفرزدق فقد مرت قصته معه في آخر شرح الشيخ حماد رحمـه الله. وأمـا عمـر بـن

---

(1) الدفن والنبش: استعارة عن الكتمان والإظهار.

(2) يقال: نحت أثلته إذا ذمه وتنقصه.

أبي ربيعة فقد روي عنه أنه قال: بينما أنا جالس في المسجد الحرام في جماعة من قريش إذ دخل علينا الفضل بن العباس اللهبي فوافقني وأنا أنشد:

فأصبح بطنُ مكة مقشعرا كأن الأرض ليس بها هشام

فقال: يا أخا بني مخزوم إن بلدة تبجح[1] بها عبد المطلب وبعث منها رسول الله ﷺ واستقر بها بيت الله عز وجل لحقيقة أن لا تقشعر لهشام! وإن أشعر من هذا البيت وأصدق منه قول الآخر:

إنما عبد مناف جوهر زين الجوهر عبد المطلب

قال عمر: فأقبلت عليه وقلت: يا أخا بني هاشم إن أشعر من صاحبك من يقول:

إن ابن مخزوم الحريقُ إذا حَرَّكته تارة ترى ضَرَمَا

يسطع منه الشرارُ في لَهَبٍ من حاد عن حَرِّه فقد سَلِمَا

قال: فوالله ما عَتَّمَ[2] أن أقبل علي وقال: يا أخا بني مخزوم إن أشعر من صاحبك الذي يقول:

هاشم بحر إذا سما وطما أخمد حر الحريق واصطلما

فاعلم - وخير المقال أصدقه - بأن من رام هاشما هُشما

قال عمر: فاسودت الدنيا في عيني ولم أحر جوابا.

ومن جيد شعر الفضل قوله:

يا مي إن تَفقِدي قوما وَلدتهم أو تُخْلَسِيهِمْ[3] فإن الدهر خَلاَّسُ

---

(1) تعظم وتباهى.

(2) يقال ما عتم أن فعل كذا أي ما لبث، ومنه قول ابن الزبعرى:

بجير بن ذي الرمحين قرب مجلسي وراح علينا فضله غير عاتم – أي غير مبطئ.

(3) تخلسيهم: أي تسلبيهم.

عمرو وعبد مناف والذي عهدت بطاحُ مكة آبي الضيم عبَّاس
ليث هزبر مُدِلٌّ عند خِيستِه بالرقمتين له أَجْرٍ[1] وأعراس

وقيل الشعر لمالك بن خالد الهذلي، والله أعلم. وتوفي الفضل في خلافة الوليد بن عبد الملك.

ومن عقب عتبة بن أبي لهب: حمزة والحسن ابنا عتيبة بن إبراهيم بن أبي خداش بن عتبة بن أبي لهب، وكانا من أصحاب الرشيد. ومن حمزة منهما: عبد الله بن علي بن عبد الله بن حمزة، كان من كبار المقرئين بمكة، وأحد أصحاب طرق البزي من قراءة ابن كثير المكي. ومن عبد الله هذا سبطه الحسين بن علي بن عبد الله ولي سوق مكة زمن المطيع.

ومن عتبة أيضا محمد بن أحمد بن الحسن بن عتبة بن إبراهيم بن أبي خداش بن عتبة بن أبي لهب، ولي الصلاة بمكة.

ومن عقب معتب بن أبي لهب: القاسم بن العباس بن محمد بن معتب بن أبي لهب، ولاه محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب اليمن لما قام بالمدينة.

ولما فرغ الناظم من ذكر آل أبي لهب، شرع في ذكر عمي رسول الله ﷺ حمزة والعباس ابني عبد المطلب، فقال رحمه الله وعفا عنه:

وأَنجَبَتْ بِنْتُ أُهَيْبٍ هَالَهْ بِنْتُ أَخِي وَهْبٍ هِلالِ الهالَهْ

---

(1) مدل: واثق بنفسه وعُدَّتِه، والخِيسة: موضع الأسد جمعه: أخياس وخِيَس، وأجر (كظبي) جمع جرو (بتثليث الجيم) ولد الأسد، أو صغير كل شيء.

أنجبت المرأة: ولدت نجيبا (وهو الكريم) جمعه نجباء وأنجاب. **وبنت أهيب** (بالرفع): فاعل أنجبت. **وأهيب** (بصيغة التصغير): هو ابن عبد مناف بن زهرة. وقوله **هالة:** بدل من **بنت أهيب**. وقوله **بنت أخي وهب** (بالرفع): صفة لهالة. وقوله **هلال** (بالجر): صفة **لوهب**. **والهلال**: غرة القمر ، **والهالة**: دارته (جمعها هالات)، وأراد بالهلال: الشريف من الناس وبالهالة: حلقة الناس التي تحف به؛ والمراد به وصف وهب بن عبد مناف بن زهرة ـ والد آمنة أم النبي ﷺ ـ بأنه غرة قومه الذين هم غرة قومهم.. لمكانة وهب وقومه بني زهرة من رسول الله ﷺ. وقوله **بحمزة:** متعلق بأنجبت ، **والشهيد** (بالجر) صفته.

يعني أن من أعمامه صلى الله عليه وسلم حمزة بن عبد المطلب الذي أنجبت به أمه هالة بنت أهيب بن عبد مناف بن زهرة، بنت عم آمنة أم رسول الله ﷺ. وقد مر هذا عند قول الناظم في بني زهرة:

ومنهُ وهـــبٌ وأُهَيْبٌ والدَا آمنـةٍ وهـــالةٍ وسُـــــوِّدَا

ترجمة حمزة بن عبد المطلب

أما حمزة فهو أبو عمارة حمزة بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي عم النبي ﷺ، وأخوه من الرضاعة أمه هالة بنت أهيب، وأم هالة هذه العبلة بنت المطلب، وأم العبلة خديجة بنت سعيد بن سهم.

روي في زواج عبد المطلب بهالة هذه أنه خرج بابنه عبد الله ـ والد رسول الله ﷺ ـ حين شب ـ إلى وهب بن عبد مناف بن زهرة، وكان بيته بيت الشرف والعز في بني زهرة فزوجه من بنته آمنة بنت وهب، وكانت يومئذ أفضل امرأة في قريش نسبا وموضعا، ثم زوج وهب ـ أيضا ـ بنت أخيه هالة بنت وُهَيبٍ من عبد المطلب

نفسه يوم تزويجه بنته آمنة من عبد الله، فحملت هالة بحمزة أوان حمل آمنة برسول الله ﷺ ، فولدت هالة حمزة[1] قبيل مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكان تِربه وأخاه من الرضاعة ـ أرضعتهما ثويبة مولاة أبي لهب بابنها مسروح ـ وقيل ولد قبله بسنتين؛ وقد ولد بمكة ونشأ بها فكان أعز فتى في قريش وأشدهم شَكِيمَةً[2]. وكان أحد صناديدهم ، وأحد ساداتهم في الجاهلية والإسلام، أسلم رضي الله عنه في السنة السادسة من المبعث بعد دخول النبي ﷺ دار الأرقم بن أبي الأرقم، وقيل أسلم في السابعة. وكان إسلامه قبل إسلام عمر بن الخطاب بأيام. فكان قديم الإسلام، وصاحب رسول الله ﷺ ونقيبه ووزيره. ولم يسلم من أعمامه صلى الله عليه وسلم إلا حمزة والعباس رضي الله عنهما.

وقد روي في سبب إسلامه أن النبي ﷺ كان جالسا يوما عند الصفا فمر به أبو جهل فشتمه وآذاه، وقال فيه بعض ما يكره من العيب لدينه والتضعيف لأمره، وصب التراب على رأسه ووطئ برجله الخبيثة عاتق النبي ﷺ الشريف ، فلم يكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم انصرف أبو جهل عنه فعمد إلى نادي قريش عند الكعبة فجلس معهم، وانصرف رسول الله ﷺ إلى بيته. فلم يلبث حمزة أن أقبل متوشحا قوسه[3] راجعا من قنصه[4] وكان إذا رجع لم يصل إلى أهله حتى يطوف بالكعبة ثم يمر بنادي قريش فيتحدث معهم؛ ولما خرج إلى بيته اعترضته

---

(1) حمزة: مشتق من الحمز وهو القبض والضبط لما حمزه، أي الضابط لما ضمه.

(2) الشكيمة: الأنفة والانتصار من الظلم، وفلان ذو شكيمة أو شديد الشكيمة: أي أَنُوفٌ أَبِيٌّ لا ينقاد.

(3) أي متقلدا بها.

(4) أي اصطياده، والقنص: المصيد.

سلمى مولاة صفية بنت عبد المطلب، وقيل مولاة عبد الله بن جدعان ـ وكانت قد رأت ما فعل أبو جهل برسول الله ﷺ ـ فقالت له: يا أبا عمارة لو رأيت ما لقي ابن أخيك محمد آنفا من أبي الحكم بن هشام: وجدَه هنا جالسا فآذاه وسبه وبلغ منه ما يكره ثم انصرف عنه و لم يكلمه محمد، فقال لها: أنت رأيت هذا الذي تقولين؟ قالت: نعم. فاحتمل حمزة الغضب، لما أراد الله به من كرامته، وخرج يسعى يُعرف الغضب في وجهه لا يتكلم حتى دخل المسجد فنظر إلى أبي جهل جالسا في القوم فأقبل نحوه حتى قام على رأسه فرفع القوس وضربه بها فشجه شجة منكرة وقال: أتشتمه وأنا على دينه؟! أقول ما يقول فاردد ذلك علي إن استطعت؟ فقامت رجال بني مخزوم إلى حمزة لينصروا أبا جهل فقال أبو جهل: دعوا أبا عمارة فإني والله سببت ابن أخيه سبا قبيحا. و لم ينزع حمزة عن إسلامه، وبايع النبي ﷺ وقال:

حمدتُ الله حين هدى فؤادي	إلى الإسلام والدين الحنيف
لدين جاء من ربٍّ عزيز	خبير بالعباد بهم لطيف
إذا تليت رسائله علينا	تحدر دمع ذي اللب الحصيف[1]
رسائل جاء أحمد من هَدانا	بآيات مبينة الحروف
وأحمد مصطفى فينا مطاع	فلا تغشوه بالقول العنيف
فلا والله نسلمه لقوم	ولما نقض فيهم بالسيوف

ولما أسلم حمزة عرفت قريش أن رسول الله ﷺ قد عز وامتنع وأن حمزة سيمنعه. فكفوا عن بعض ما كانوا ينالون منه. ثم هاجر رضي الله عنه إلى المدينة، وعقد له رسول الله ﷺ أول لواء عقده حين أَمَّرَهُ على أوَّل سـرَية بعثها صلى الله عليه وسلم ـ على الصحيح ـ في ربيع الأول سنة اثنتين للهجرة إلى سِيفِ البحر من

---

(1) الحصيف: (بالإهمال) محكم العقل جيد الرأي من حصف (ككرم) حصافة.

أرض جُهينة[1]؛ وشهد بدرا وأبلى فيها بلاء حسنا وكان يقاتل فيها بسيفين، وكان أحد المبارزين فيها، قتل شيبة بن ربيعة بن عبد شمس مبارزة، وشارك في قتل عتبة بن ربيعة وقتل طعيمة بن عدي في جماعة؛ وكان شجاعا بطلا لا يطاق حتى عرف بـــ"أسد الله وأسد رسوله" وبـــ"ليث الله".

وشهد أحدا وأبلى فيه بلاء حسنا ولم يزل يقاتل حتى استشهد به رضي الله عنه. وقصة قتل وحشي له مشهورة ولم يُمَثَّل بأحَد ما مُثِّل بحمزة رضي الله عنه. فقد جُدِع أنفُه وقُطعَت أُذنَاه وبُقر بطنُه، فوقف عليه النبي ﷺ ولم ير منظرا كان أوجع لقلبه منه، فبكى وقال: «رحمك الله أي عَمُّ فلقد كنت وصولا للرحم فَعُولاً للخيرات، فوالله لئن أظفرني الله بالقوم لأمثلن بسبعين منهم» وفي رواية: «لئن ظفـــرت بقريش لأمثلن بثلاثين منهم»، فما برح حتى نـــــزلت: ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّـٰبِرِينَ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴾[2] ، فقـــال

---

(1) سيف البحر: (بكسر السين) ساحله من ناحية العيص، وكان صلى الله عليه وسلم قد عقد له ذلك اللواء حين أقبل من غزوة الأبواء قبل أن يصل إلى المدينة على ثلاثين راكبا من المهاجرين ليس فيهم أنصاري، فلقي أبا جهل بن هشام في ذلك الساحل في ثلاثمائة راكب من أهل مكة، فحجز بينهم مجدي بن عمرو الجهني، وكان موادعاً للفريقين معًا، فانصرف بعض القوم عن بعض ولم يكن بينهم قتال، وفي ذلك يقول حمزة ـــ من قصيدة:

فما بـــرحوا حتى انتدبـــت لغارة ... لهم حيث حلوا أبتغي راحة الفضل

بأمر رســـول الله أول خافـــق ... عليه لواء لم يكن لاح مـــن قبلي

لواء لديه النصر من ذي كرامـــة ... إله عزيـــز فعلـــه أفضل الفعـــل .. الخ

وقيل أول راية عقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم راية عقدها لعبيدة بن الحارث، وقيل إنه صلى الله عليه وسلم عقد لهما رايتين وبعثهما معاً في مقامه ذلك، فاشتبه على الناس. [الروض الأنف].

(2) سورة النحل: آية: 126 – 127، والحديث أخرجه ابن عبد البر وابن منده وأبو موسى [كما في أسد الغابة] وذكره ابن حجر في الغيلانيات كما في الإصابة.

رسول الله ﷺ: «بل نصبر» وكَفَّر عن يمينه، وقال: «لولا أن تجد صفية في نفسها لتركته حتى تأكله العافية حتى يحشر يوم القيامة من بطونها»[1] ـ الحديث. ودفن هو وابنُ أُختِهِ عبد الله بن جحش في قبر واحد. وكان له يوم قتل تسع وخمسون سنة. وقال فيه رسول الله ﷺ : «حمزة سيد الشهداء»[2] وفي رواية «خير الشهداء».

وله من الولد عمارة[3] وبه يكنى، أمه خولة بنت قيس من بني مالك بن النجار. وقيل عمارة (بنت) كني بها. ومن ولده يعلى، وبه يكنى أيضا، أمه أوسية وقد أسلم وصحب؛ ولحمزة أيضا عامر وروح وعمرو وبنت اسمها أمامة ـ وقيل فاطمة ـ أمها سلمى بنت عميس الخثعمية، وكانت تحت عمر بن أبي سلمة المخزومي (ربيب رسول الله ﷺ) وهي التي اختصم في حضانتها علي وجعفر وزيد، فقال علي: ابنة عمي، وقال جعفر: ابنة عمي وخالتها تحتي، وقال زيد: ابنة أخي ـ وذلك لأنه صلى الله عليه وسلم كان قد آخى بينهما حين آخى بين المهاجرين ـ وكان زيد وصي حمزة؛ فقضى بها رسول الله ﷺ لخالتها، وقال: «الخالة أم» وفي رواية: «الخالة بمنزلة الأم»[4]. وفيه دلالة على أن من نكحت قريبا لا يسقط حقها من الحضانة. وقد روي عن علي رضي الله عنه أنه قال: قلت لرسول الله ﷺ: ألا تتزوج ابنة حمزة فإنها أحسن فتاة في قريش؟ فقال: «أليس قد علمت أنها ابنة أخي

---

(1) أخرجه الترمذي ورواه ابن منده وأبو موسى كما في أسد الغابة، ورواه ابن عبد البر كما في الاستيعاب.

(2) أخرجه الطبراني من طريق الأصبغ بن نباتة عن علي كما في فتح الباري: 7 / 368.

(3) عمارة: (بضم العين وتخفيف الميم) وكل عمارة فهو كذلك إلا ابن عمارة الذي يروي حديثا في المسح على الخفين فهو (بكسر العين وتخفيف الميم)، وإلا عمَّارة البلوي الذي ينسب إليه أبو عبد الرحمن يزيد بن ثعلبة بن خزمة بن أصرم بن عمرو بن عمارة البلوي فهو (بفتح العين وتشديد الميم) - [الروض الأنف].

(4) أخرجه البخاري وأبو داود وأحمد في مسنده.

من الرضاعة، وان الله عز وجل قد حرم من الرضاعة ما حرم من النسب»[1].

وانقطع عقب حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه.

ولحسان بن ثابت الأنصاري من قصيدة له يرثيه بها:

دعْ عنك داراً قد عفا رسمُهَا	وابكِ على حمزةَ ذي النَّائلِ
المالئِ الشِّيزَى إذا أعصفت	غَبْرَاءُ في ذي الشَّبِمِ المَاحِلِ[2]
والتَّاركِ القِرْنَ لدَى لِبْدَةٍ	يعثر في ذي الخُرُصِ الذَّابلِ[3]
واللاَّبسِ الخيلَ إذا أحْجَمَتْ	كاللَّيثِ في غَابتِهِ البَاسِلِ
أبيض في الذِّرْوَة مِن هَاشِمٍ	لَم يُمْرِ[4] دُونَ الحقِّ بالبَاطِلِ
مال شهيداً بين أسْيَافِكُمْ	شُلَّتْ يَدَا وَحْشِيٍّ مِن قَاتلِ
أيَّ امْرِئٍ غَادَرَ فِي أَلَّةٍ	مَطْرُودَةٍ مَارِنَةِ العَامِلِ[5]
أظلَمَتِ الأرْضُ لِفِقْدَانِهِ	واسْوَدَّ نُورُ القمرِ النَّاصِلِ[6]
صَلَّى عليه الله في جَنَّةٍ	عالِيَةٍ مكرمةِ الداخلِ
كنا نرى حمزة حِرْزًا لنا	في كلِّ أمرٍ نَّابنا نازل
وكان في الإسلام ذا تُدْرَإٍ[7]	يَكفِيك فقدَ القاعد الخاذل .. إلخ.

ولكعب بن مالك من قصيدة يرثيه بها:

---

(1) أخرجه البخاري وأبو داود وأحمد في مسنده.

(2) الشيزى: جفان من خشب، وأعصفت: اشتدت، والغبراء: الريح التي تثير الغبار، والشبم: البارد، والماحل: من المحل وهو الجدب؛ أي في زمن اشتداد البرد والقحط.

(3) القرن: (بالكسر) المنازل في القتال. وذي الخرص: أي الرمح، والخرص: سنانه. والذابل: الرقيق.

(4) لم يمر: من المراء أي الجدال.

(5) غادر: ترك. والألة: الحربة لها سنان طويل. والمطرودة: المحددة. والمارنة: اللينة. والعامل: أعلى الرمح.

(6) الناصل: الخارج من السحابة.

(7) ذا تدرإ: أي ذا مدافعة.

فدع التَّمادِيَ في الغَوايـة سادراً قد كنتَ في طلب الغَواية تُفْنَدُ[1]
ولقد أنى[2] لك أن تناهى طائعا أو تستفيـق إذا نهاك المُـرشِدُ
ولقد هددت لفقد حمـزة هَدَّةً ظَلّت بناتُ الجـوْفِ[3] منها ترعَدُ
ولو انه فُجِعَـتْ حِـراءُ بمثله لرأيتَ راسيَ صخْـرِها يتبـدَّدُ
قَـرمٌ تمكَّـن في ذُؤَابَـة هاشم حيث النُّبوة والنـدى والسـؤدد
والعَاقِرِ الكُوم الجلادَ إذا غـدت ريـح يكاد الماء منها يَجْمُـــدُ
والتَّارِكُ القِرْنَ الكمِيَّ مجَدَّلاً يـــوم الكريهـة والقناَ يَتقصَّد
وتـراه يرْفُلُ في الحديد كأنـــه ذُو لِبْدةٍ شَثْنُ البَرَاثِنِ أرْبَـــدُ[4]
عَـمُّ النَّبيِّ محمــــدٍ وصَفِيُّـهُ ورَدَ الحِمام فطاب ذاك المـوْرِدُ
وأتى المنِيـةَ مُعْلِمًا في أسرَةٍ[5] نصروا الرسول ومنهم المستشْهدُ ..الخ

ولعبد الله بن رواحة من قصيدة له يرثيه بها:

بكـــت عيني وحق لها بكاها وما يغـــني البكاء ولا العويل
على أســد الإله غداة قالوا أحمزة ذلك الرجل القتِـــيل
أصيـب المسلمـــون به جميعا هناك وقد أصـــيب به الرسول
أبا يعلى بــك الأركان هدت وأنت الماجـــد البَرُّ الوَصُـول
عليك ســلام ربك في جنان يخالطـــها نعيمٌ لا يـــزول
ألا يا هاشـــم الأخْيَارُ صبراً فكل فِعالِكـــم حسن جميل
رســـول الله مُصْطَبِر كريم بأمـــــر الله ينطق إذ يقــول الخ.

---

(1) تفند: تلام وتكذب.

(2) أنى لك: أي حان لك.

(3) بنات الجوف: يعني القلب والكبد والأمعاء، سماها بذلك لاشتماله عليها.

(4) ذو لبدة: أي أسد. واللبدة: الشعر الذي على كتفي الأسد. وشثن: أي غليظ. والبراثن للسباع: كالأصابع للإنسان. والأربد: الأغبر يخالطه سواد.

(5) معلما: مشهرا نفسه بعلامة يعرف بها في الحرب، والأسرة: الرهط.

ولأخته صفية بنت عبد المطلب، من أبيات في رثائه:

دعاه إله الحق ذو العرش دعوة   إلى جَنَّةٍ يحيا بها وسرورِ

فذلك ما كنا نرجِّي ونرتجي   لحمزة يوم الحشر خير مصيرِ

فوا لله ما أنساك ما هبتِ الصَّبا   بكاء وحزنا محضري ومسيري

على أسد الله الذي كان مِدْرَهًا   يذود عن الإسلام كل كَفُور ..الخ.

تنبيه: كان لحمزة من الأشقاء: المقوم والمغيرة وصفية، قيل والعوام - بنو عبد المطلب - أما المقوم فمات قبل البعثة و لم يعقب، وأما المغيرة فيلقب بحجل (بتقديم الحاء المهملة المفتوحة على الجيم الساكنة) ومات هو والعوام - على القول بوجوده - قبل البعثة، و لم يكن لواحد منهم عقب. وأما صفية فقد أسلمت وصحبت وحضرت الخندق، وقتلت يهوديا كان يطوف بالحصن الذي كانت فيه هي ونساء النبي ﷺ ، وكانت في الجاهلية عند الحارث بن حرب أخي أبي سفيان بن حرب، ثم هلك عنها، فخلف عليها العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي، فولدت له الزبير والسائب وأم حبيب. والله أعلم.

ثم قال رحمه الله وعفا عنه:

... ... وَالْعَبَّاسُ مُسْقِيهِمُ ثِمَاهُمْ أَسَاسُ

وهْوَ أَبُو الْخَلائِفِ الأَكْيَاسِ أَئِمَّةِ الدِّينِ بَنِي الْعَبَّاسِ

قوله **العباس**: مبتدأ خبره محذوف معلوم من السياق، أي ومن هاشم أيضا العباس[1] بن عبد المطلب. وقوله **مسقيهم** (بصيغة اسم الفاعل) **وثماهم** (بكسر المثلثة) **وأساس** (كلها بالرفع): صفات للعباس. **ومسقيهم**: أي متولي سقايتهم.

---

(1) العباس: في الأصل الأسد الذي تهرب منه الأسود.

وثماهم: أي كهفهم وملجؤهم. **وأساس**: أي أساسهم الذي يعتمدون عليه. والضمير في **مسقيهم** وفي **ثماهم** عائد على أهل مكة ــ وإن لم يجر لهم ذكر، لأن ولاية العباس لسقاية الحاج وسيادته لأهل مكة كالشمس في الوضوح، فحذف مفسر الضمير هنا على حد ﴿ حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴾[1]. وجملة قوله **وهو أبو الخلائف**.. إلخ: صفة للعباس أيضا. **والخلائف**: جمع خليفة وهو ذو الخلافة وهي النيابة عن رسول الله ﷺ في عموم مصالح المسلمين. **والأكياس** و**أئمة** وبني العباس (كلها بالجر): صفات للخلائف. **والأكياس**: جمع كيس للعاقل؛ وإنما وصفهم بهذه الصفات لما روي أن الخلافة أفضت إليهم وما في الأرض أقرأ منهم ولا أنسك ولا أفضل.

يقول: ومن هاشم ــ أيضا ــ ثم من أعمام النبي ﷺ العباس بن عبد المطلب الذي كان يتولى سقاية أهل مكة وكان كهفهم والقائم بأمورهم وأساسهم الذي يعتمدون عليه، وإليه نسبة البطن المعروف بـ"العباسيين" الذي منه الخلفاء العباسيون الذين أطاحوا بدولة بني أمية في الشرق.

ترجمة العباس وبعض مناقبه

أما العباس فهو أبو الفضل العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي، عم النبي ﷺ ؛ أمه نتيلة بنت جناب بن كليب بن مالك بن عمرو بن عامر بن النمر بن قاسط، وقد أنجبت به وهي أول عربية كست البيت الحرام الحرير والديباج؛ وذلك أن ابنها العباس هذا ضل عليها وهو صبي فنذرت إن وجدته أن تكسو البيت، فلما وجدته وفت بنذرها. وكان مولد العباس بن عبد المطلب

(1) سورة ص: 32.

بمكة قبل مولد النبي ﷺ بسنتين أو ثلاث، قيل له يوما: أيكمـا أكـبر؟ أنـت أم النبي ﷺ ؟ قال: هو أكبر مني وأنا ولدت قبله.

نشأ العباس بمكة فكان سيدا من سـادات قريـش في الجاهليـة والإسـلام، وكـان أجود قريش كفا وأوصلهم رحما، وكان يبذل المال ويطعـم الجـائع ويكسـو العـاري ويعطي في النوائب، وكان واسع العقل سديد الرأي محسـنا إلى قومـه، وكـان أنصـر الناس لرسول الله ﷺ بعد أبي طالب، وقد حضر معـه العقبـة الثانيـة واشـترط علـى الأنصار ـ وكان إذ ذاك على دين قومه ـ وحضر بدرا مع المشـركين مكرهـا، فأسـر وافتدى نفسه وابني أخويه: عقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحارث بن عبد المطلـب، ورجع إلى مكة. وأسلم العباس ـ رضي الله عنه ـ قبـل الفتـح وكـان يكتـم إسـلامه وصار يكتب لرسول الله ﷺ بالأخبار، ويسره ما يفتـح الله علـى المسـلمين وكـان مولعا بالهجرة. ولم يزل علـى ذلـك حتـى كـان قبيـل الفتـح هـاجر فلقـي النبي ﷺ بالأبواء وهو خارج لفتح مكة فختمت به الهجرة. ولم يسلم مـن أعمامـه صلـى الله عليه وسلم إلا هو وحمزة ـ كما مر ـ وشهد العباس رضي الله عنـه مـع رسـول الله ﷺ الفتح وحنينا، وكان فيمن ثبت معه صلى الله عليه وسلم به، وفي ذلك يقول:

ألا هـل أتى عرسي مكري ومقدمي	بـوادي حنين والأسنة تشـرع
وقولي إذا ما النفس جَاشَت لَهَا قِرِي	وهام تدهدى بالسيـوف وأدرع
وكيف رددت الخـيل وهي مغيرة	بزوراء تعطي في اليدين وتمنـع
نصرنا رسول الله في الحرب سبعة	وقد فرَّ مَن قد فرَّ عنه وأقشعوا
وثامننا لاقى الحمام بسيفـه	بما مسَّـه في الله لا يتوجـع

وشهد أيضا مع رسول الله ﷺ الطائف وتبوك وكان رضي الله عنـه معظمـا في الجاهلية والإسلام، وكان رسول الله ﷺ يكرمه بعد إسلامه ويعظمه ويجله، ويقول:

«هذا عمي وصنو أبي"[1] وقال فيه: "من آذى العباس فقد آذاني»[2] وقال: «العباس مني وأنا منه»[3]. وكان الصحابة يعرفون له فضله ويقدمونه ويشاورونه ويأخذون برأيه. وكان إذا مر بعمر أو عثمان وهما راكبان نزلا حتى يجوز إجلالا له، ويقولان: عم رسول الله ﷺ ؛ وكان طويلا جميلا أبيض جوادا وصولا للرحم ذا رأي حسن ودعوة مرجوة، وكان كثير العتق مولعا بفك الرقاب.

وتوفي ـ رضي الله عنه ـ بالمدينة يوم الجمعة لاثنتي عشرة ليلةً خلت من رجب ـ وقيل من رمضان ـ سنة اثنتين وثلاثين عن ثمان وثمانين سنة، وصلى عليه عثمان بن عفان، ودفن بالبقيع ونزل في قبره ابنه عبد الله بن عباس رضي الله عنهم؛ ومناقبه رضي الله عنه لا تحصى.

تولي آل العباس السقاية

وقوله **مسقيهم** يحتمل أن يكون أشار به إلى أنه كان يتولى سقاية أهل مكة بعد آبائه، وذلك لأنه كانت له سقاية الحاج، فقد ولي زمزم والسقاية عليها بعد موت أبيه عبد المطلب؛ وهو يومئذ من أحدث إخوته سنا؛ ولم تزل إليه حتى جاء الإسلام وهي بيده فأقرها رسول الله ﷺ على ما مضى من ولايته وصارت لآل العباس بولاية العباس إياها. وذلك لما روي أنه صلى الله عليه وسلم قام يوم فتح مكة بين عضادتي باب[4] الكعبة، فقال: « ألا إن كل دم أو مأثرة[5] كانت في الجاهلية فهي

---

(1) أخرجه الترمذي.

(2) أخرجه الإمام أحمد في مسنده.

(3) أخرج الحديثين الترمذي.

(4) عضادتا الباب: خشبتان على جانبيه منصوبتان مثبتتان في الحائط.

(5) المأثرة: كل ما يذكر ويؤتى من مكارم أهل الجاهلية ومفاخرهم.

تحت قدمي هاتين[1] إلا سقاية الحاج وسدانة الكعبة[2] فإني قد أمضيتهما لأهلهما على ما كانت في الجاهلية»[3]، فقبض العباس السقاية وكانت في يده حتى توفي فوليها بعده عبد الله بن عباس فكان يفعل فيها كفعله دون بني عبد المطلب. وكان محمد بن الحنفية قد كلم فيها ابن عباس فقال له ابن عباس: مالك ولها؟ نحن أولى بها في الجاهلية والإسلام وقد كان أبوك تكلم فيها فأقمت البينة: طلحة بن عبيد الله وعامر بن ربيعة وأزهر بن عبد عوف ومخرمة بن نوفل؛ أن العباس بن عبد المطلب كان يليها في الجاهلية بعد عبد المطلب وجدّك أبو طالب في إبله في باديته بعرفة؛ وإن رسول الله ﷺ أعطاها العباس يوم الفتح دون بني عبد المطلب، فعرف ذلك من حضر. فكانت بيد عبد الله بن عباس بتولية رسول الله ﷺ دون غيره لا ينازعه فيها منازع، ولا يتكلم فيها متكلم حتى توفي، فكانت في يد علي بن عبد الله بن عباس يفعل فيها كفعل أبيه وجده، ويأتيه الزبيب من ماله بالطائف وينبذه حتى توفي، فكانت بعده في يد ولده يتوارثونها.

استسقاء عمر بالعباس

ويحتمل ـ أيضا ـ أن الناظم أشار بمسقيهم إلى قصة استسقاء عمر بن الخطاب

---

(1) تحت قدمي: أراد إبطالها وإسقاطها.

(2) سدانة البيت: خدمته والقيام بأمره، وكانت في الجاهلية لبني عبد الدار كما كانت السقاية لبني هاشم فأقرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما كانتا عليه.

(3) أخرجه أبو داود وابن ماجه والدارقطني وأحمد، وأول هذا الحديث: عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قام يوم فتح مكة على درج الكعبة فحمد الله وأثنى عليه وقال: «الحمد لله الذي صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده» ثم قال: «ألا إن قتيل السوط والعصا فيه مائة من الإبل» وفي رواية: «ألا إن دية الخطإ شبه العمد ما كان بالسوط والعصا مغلظة مائة من الإبل أربعون خلفة في بطونها أولادها ، ألا إن كل دم ومالٍ ومأثرة...» إلخ.

بالعباس المشهورة، حين أقحط أهل المدينة عام الرمادة[1] فأمطروا. فقد روي أن عمر خرج بالعباس يستسقي فقال: اللهم إنا قد توجهنا إليك بعم نبينا وصنو أبيه فاسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين، اللهم إنا نتقرب إليك بعم نبيك صلى الله عليه وسلم ونستشفع به فاحفظ فيه نبيك صلى الله عليه وسلم كما حفظت الغلامين لصلاح أبيهما[2] وأتيناك مستغفرين ومستشفعين. ثم قال عمر: يا أبا الفضل قم فادع فقام العباس ـ وعيناه تنضحان ـ ثم قال: اللهم أنت الراعي لا تهمل الضالة ولا تدع الكسير بدار مضيعة، فقد ضرع الصغير ورق الكبير وارتفعت الشكوى وأنت تعلم السر وأخفى، اللهم فأغثهم بغياثك من قبل أن يقنطوا فيهلكوا، فإنه لا ييأس من روحك إلا القوم الكافرون. فأرخت السماء عزاليها[3] فجاءت بأمثال الجبال حتى استوت الحفر بالآكام، وأخصبت الأرض. وفي رواية: فنشأت طريرة[4] من سحاب، فقال الناس: ترون.. ترون؟! ثم تلاءمت واستتمت

---

(1) سمي هذا العام "عام الرمادة" لأن الريح كانت تسفي ترابا كالرمادة، وقد أصابت الناس فيه مجاعة شديدة، وجدب وقحط، واشتد الجوع حتى جعلت الوحش تأوي إلى الناس، وماتت المواشي جوعا، وكان ذلك في عهد عمر سنة ثمان عشرة، وبعد تسعة أشهر من ذلك القحط خرج عمر يستسقي بالعباس رضي الله عنهما.

(2) أشار بذلك إلى ما ورد في قصة موسى والخضر عليهما السلام في قوله تعالى: ﴿وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحا﴾ الآية.

(3) العزالي: جمع عزلاء: وهي الاست ومصب الماء من القربة ونحوها، يقال أنزلت السماء عزاليها وأرسلت عزاليها: أي انهمرت بالمطر، فهو كناية عن شدة وقع المطر وانهماره من كل ناحية، ومنه قول ذي الرمة من قصيدة له:

كأن أعجازها والريط يعصبها ... بين البرين وأعناق العواهيج

أنقاء سارية حلت عزاليها ... من آخر الليل ريح غير حرجوج

(4) الطريرة: تصغير طرة وهي النسيجة المستطيلة من السحاب.

ومشت فيها ريح ثم هزت ودرت فما برحوا حتى اعتلقوا الجدر وقلصوا[1] المآزر، وطفق الناس بالعباس يمسحون أركانه، ويقولون: هنيئا لك ساقي الحرمين.

وفي ذلك يقول الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب:

بعمي سقى الله الحجاز وأهلَه	**عشية يستسقي بشيبته عمر**
توجه بالعباس في الجدب راغبا	**فما كر حتى جاد بالديمة المطر**

..الخ.

ويقول حسان بن ثابت الأنصاري:

سأل الإمام وقد تتابع جدبنا	**فسقى الغمام بغرة العباس**
عم النبي وصنو والده الذي	**ورث النبي بذاك دون الناس**
أحيا الإله به البلاد فأصبحت	**مخضرة الأجناب بعد الياس**

وقد كانت قريش ـ قبل ذلك ـ إذا أجدبت بلادهم تجمعت منهم رجال فيأتون عبد المطّلب ثم ابنه أبا طالب لالتماس السقي منهما، فيستسقيان برسول الله ﷺ وهو إذ ذاك ما يزال غلاما حديث السن. فقد روي عن رقيقة بنت صيفي بن هاشم، قالت: لقد تتابعت على قريش سنون حتى يبست الضروع ودقت العظام، فأقبل من كل بطن رجل فجاءوا إلى شيبة فجعل ابنه محمدا ﷺ على عاتقه وهو يومئذ ابن سبع سنين فتطيبوا وطافوا بالبيت سبعا، وارتقوا أبا قبيس، فدعا واستسقى وأمن القوم، قالت رقيقة: فما وصلوا البيت حتى انفجرت السماء بمائها، وامتلأ الوادي، قالت: فسمعت شيوخ العرب يقولون لعبد المطلب هنيئا لك يا أبا البطحاء. وفي ذلك تقول رقيقة:

---

(1) شمروها ورفعوها.

بشيبة الحمد أسقى ا لله بلدتنا لما فقدنا الحيا واجلوذ[1] المطر

فجاء بالماء جَوْبِيٌّ[2] له سبل سحا فعاشت به الأنعام والشجر

وأصاب قريشا مرة قحط فخرجوا إلى أبي طالب فقالوا: أقحط الوادي وأجدب العيال وهلكت المواشي فهلم استسق، فخرج أبو طالب ومعه رسول ا لله ﷺ، وهو غلام كأنه شمس دجن تجلت عنها سحابة قتماء، فلما صاروا إلى البيت ألصق الغلام ظهره بالكعبة، وما زال يشير بإصبعه وما في السماء قزعة، فأقبل السحاب من هاهنا وهاهنا، وأغدق واغدودق وانفجر الوادي وأخصب النادي والبادي. وفي ذلك يقول أبو طالب:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل[3]

وقوله ثمالهم: يعني أن العباس بن عبد المطلب كان كهف أهل مكة وملجأهم والقائم بأمورهم وأساسهم الذي يعتمدون عليه لأنه كان سيدا من ساداتهم في الجاهلية والإسلام، وكان يحملهم على عمارة المسجد الحرام بالخير، ولا يدع أحدا يسب فيه أو يقول هُجْراً[4] وكانت قريش عونا له على ذلك لا يمكنهم الامتناع عنه لأنهم جعلوا له ذلك، وكان يؤدب السفيه ويمنع الجار ويبذل المال ويطعم الجائع ويكسو العاري ويعطي في النوائب. وقوله **أبو الخلائف** إلخ: أشار به إلى أن العباس بن عبد المطلب هو جد الخلفاء العباسيين الذين أطاحوا بدولة بني أمية في المشرق.

وكان أول خلفاء بني العباس عبد ا لله السفاح بن محمد بن علي بن عبد ا لله بن

---

(1) اجلوذ: أي امتد وقت تأخره وانقطاعه.

(2) والجوبة هي: الحفيرة المستديرة الواسعة وكل منفتق بلا بناء جوبة –[الخميس].

(3) الأرامل: المساكين وعصمتهم: أي مانعهم من الضياع والحاجة.

(4) الهجر (بضم فسكون): الفحشاء والقبيح من الكلام.

عباس، بن عبد المطلب.. بويع بالخلافة في الكوفة ثالث عشر ربيع الأول سنة اثنتين وثلاثين ومائة بعد سقوط دولة الأمويين بقتل مروان الحمار بن محمد بن مروان بن الحكم، آخر ملوكها. وآخر خلفاء بني العباس ببغداد: المستعصم با لله بن المنتصر با لله بن الظاهر بأمر ا لله بن الناصر لدين ا لله بن المستضيء بأمر ا لله بن المستنجد با لله بن المقتفي لأمر ا لله بن المستظهر با لله بن المقتدي بأمر ا لله بن محمد بن القائم بأمر ا لله بن القادر با لله بن المقتدر با لله بن المعتضد با لله بن طلحة بن المتوكل على ا لله بن المعتصم با لله بن هارون الرشيد بن المهدي بن أبي جعفر المنصور بن محمد بن علي بن عبد ا لله بن عباس. وكان المستعصم با لله هذا قد قتل على أيدي التتار سنة ست وخمسين وستمائة. وبقتله تم القضاء على الدولة العباسية ببغداد - عاصمة دولتهم - التي استمرت حوالي خمسة قرون ونصف، وتعاقب عليها سبعة وثلاثون خليفة.

وقد تعرض الناظم لسرد أسمائهم وذكر بعض أخبارهم في نظم مستقل ، عرف بـ"نظم الدول" تناول فيه بعض الكلام على الدولتين الأمويتين في المشرق والأندلس، بالإضافة إلى الدولة العباسية في بغداد العراق. وقد شرحه زميلي وصديقي الأستاذ محمد يحيي بن سيد أحمد المجلسي فليراجعه من أراد تفاصيل أخبارها وملوكها.

هذا وقد أطلق الناظم على هؤلاء الملوك اسم *الخلافة* نظرا لمعناها الأعم، وهو القيام بمصالح المسلمين، أما بمعناها الأخص الذي يشير إليه الحديث[1] فقد انتهت مدتها بعهد الخلفاء الراشدين ؛ أما من بعدهم كالأموين والعباسيين وغيرهم فهم

---

(1) في الحديث: عن سفينة: «الخلافة ثلاثون عاماً ثم يكون بعد ذلك الملك»، أخرجه أصحاب السنن وصححه ابن حبان، قال العلماء: لم يكن في الثلاثين بعده صلى ا لله عليه وسلم إلا الخلفاء الأربعة وأيام الحسن، وفي الحديث أيضا عن أبي عبيدة بن الجراح قال: قال رسول ا لله صلى ا لله عليه سلم: "إن أول دينكم بدأ نبوة ورحمة ثم يكون خلافة ورحمة ثم يكون ملكا وجبرية" حديث حسن قاله السيوطي في تاريخ الخلفاء.

ملوك أو سلاطين، وا لله أعلم.

بَشَّــرَهُ البَشِـــيرُ بِالأَعْلاَقِ   مُنَوِّهاً بِهِــمْ عَلَى الإِطْلاَقِ

وَخَصَّ بَعْضَهُمْ وَبِالْمُـــلاَءِ   أَلْحَفَهُ إِذْ هُــوَ ذُو دُعَاءِ

وأَمَّنَتْ أُسْكُفَّةُ الْبَابِ عَلَى   دُعَائِهِ وَجُـدُرَانُ ذِي الْعُلاَ

وقَالَ. مُجْمِلاً بَنِيهِ الْخِيَرَهْ.   تَمُّوا بِتَمَّامٍ فَصَـارُوا عَشَرَهْ

يَا رَبِّ فَاجْعَلْهُمْ كِرَاماً بَـرَرَهْ   وَاجْعَلْ لَّهُمْ ذِكْراً وَأَنْمِ الثَّمَرَهْ

وقِيـــلَ فِي سِتَّـتِهِ الأَزْوَالِ   أَهْلِ الْعُلَى وَالْفَضْلِ وَالإِفْضَالِ:

«مَا وَلَدَتْ نَجِيبَةٌ مِّنْ فَحْلِ   كَسِتَّةٍ مِن بَطْنِ أُمِّ الْفَضْـلِ»

الضمير في **بشره** عائد على العباس المتقدم ذكره. و**البشير** من أسمائـه صلى ا لله عليه وسلم، أي المبشر لمن أطاعه بالثواب. و**الأعلاق**: جمع علق (بالكسر) النفيس من كل شيء، وأراد به هنا ذرية العباس. و**منوهاً بهم** أي رافعا ذكرهم، يقال نوه بفلان أي شهره ورفع ذكره وعظمه. والضمير في **بهم** وفي **بعضهم** عائد على بني العباس المعبر عنهم بالأعلاق. و**الملاء** (بالضم والمد): جمع ملاءة وهي الملحفة. و**ألحفه**: غطاه ، والضمير فيه عائد على العباس. وقوله **إذ هو** أي البشير ﷺ **ذو دعاء** أي للعباس وبنيه. و**أسكفة الباب** (بوزن أترجة): عتبته العليا، وتستعمل للسفلى وهي الخشبة يوطأ عليها، جمعها أسكفات. والضمير في **دعائه** عائد على البشير ﷺ. و**الجُدُران** (بضمتين): جمع جدار للحائط. و**ذي العلا** أي صاحب الرفعة والشرف، والمراد به هنا العباس رضي ا لله عنه. وفاعل **قال** ضمير مستتر عائد على العباس، و**مجملا** (بوزن محسن) حال منه. و**بنيه**: مفعول به لمجملا، أي عاداً لهم على سبيل الإجمال لا التفصيل. و**الخيرة** (بكسر الخاء المعجمة وفتح التحتية

وتسكن): مصدر أو اسم مصدر بمعنى الاختيار، ولذا التُزِمَ إفرادُه، ووصف الناظم به بني العباس مبالغة أي المختارين ؛ ويحتمل ضبطه هنا بفتح الخاء والياء على أنه جمع خير (ككيس). وجملة قوله **تموا بتمام** .. إلى قوله **وأنم الثمره** هي محكي القول الذي قبلها. وقوله **واجعل لهم ذكرا** أي صيتا حسنا. وأنم أي زد وكثر. **والثمرة** (بالتحريك): واحدة الثمر، وهي في الأصل حمل الشجر والمراد بها هنا الأولاد، لأن الولد ثمرة الفؤاد وقرة العين. والضمير في **ستته** عائد على العباس. **والأزوال**: جمع زول (كقول وأقوال) وهو الجواد والخفيف الظريف الفطن والشجاع الذي يزول الناس من شجاعته، قال ذور الرمة:

أخا شقـــة زولاً كأن قميصه   على نصل هندي جُراز[1] المضارب

والعلى (بالضم): الرفعة والشرف. وقوله **والفضل والإفضال** أي البذل والإحسان بدون عوض. وقوله **ما ولدت نجيبة**.. إلخ هو محكي قوله **وقيل في سِتّتِهِ**..

أشار الناظم رحمه الله في هذه الأبيات إلى بعض ما ذكرته كتب السير في شأن العباس بن عبد المطلب وبنيه. قال في الحلة السيراء: صح أنه صلى الله عليه وسلم قال للعباس: «ألا أبشرك يا أبا الفضل أن من ذريتك الأصفياء، ومن عترتك الخلفاء»[2] وقد أخبره ـ أيضا ـ أن الخلافة تؤول إلى ولده. فقد أخرج أبو نعيم في الحلية، والخطيب أنه صلى الله عليه وسلم أخبر العباس أن الخلافة ستكون لولده،

---

(1) الشقة: المسافة البعيدة، والنصل: السيف، وجراز(بضم الجيم): القاطع ؛ والمراد بالزول هنا خفيف اللحم كالسيف.

(2) أخرجه الحافظ أبو نعيم في الحلية، وقال السيوطي في تاريخ الخلفاء: عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلقاه العباس، فقال: «ألا أبشرك يا أبا الفضل»؟ قال: بلى يا رسول الله، قال «إن الله افتتح بي هذا الأمر وبذريتك يختمه»؛ قال: وفي إسناده ضعيف، وفيه ـ أيضا ـ أنه صلى الله عليه وسلم قال للعباس في ابنه عبد الله: «هو أبو الخلفاء حتى يكون منهم السفاح حتى يكون منهم المهدي».

وذكر منهم السفاح والمنصور والمهدي والمأمون[1].

أبناء العباس ودعوة النبي ﷺ لهم

وعن ابن عباس قال: أقبل العباس يوما إلى رسول الله ﷺ فقال صلى الله عليه وسلم لأبي بكر: «يا أبا بكر هذا العباس قد أقبل وعليه ثياب بيض، وسيلبس ولده من بعده السواد ويتملك منهم اثنا عشر رجلا» يعني ملكا وينازع فيه، قاله في الخميس. وذلك قوله: *منوّها بهم على الإطلاق .. وخص بعضهم..*

وفي أسد الغابة عن سعد بن إياس الأنصاري البدري قال: شهدت رسول الله ﷺ يقول للعباس بن عبد المطلب: «يا عم إذا كان غد فلا تَرِم[2] أنت وبنوك»، فلما كان الغد صبحهم فقال: «كيف أصبحتم»؟ قالوا: بخير بآبائنا وأمهاتنا أنت يا رسول الله، فقال: «ليدن بعضكم من بعض»، فلما تقاربوا نشر عليهم ملاءة ثم قال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي فاسترهم من النار كستري إياهم» فقالت أسكفة الباب وحوائط البيت: آمين آمين. وفيه ـ أيضا ـ أن رسول الله ﷺ مر بالعباس فقال: «يا

---

(1) أخرج أحمد في مسنده عن العباس قال: كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فقال: «انظر هل ترى في السماء من نجم»، قال قلت: نعم، قال: «ما ترى»؟ قال قلت: أرى الثريا، قال: «أما إنه يلي هذه الأمة بعددها من صلبك اثنين في فتنة». والسفاح هو أول خلفاء بني العباس واسمه عبد الله بن محمد، ولي الخلافة أربع سنين وتسعة أشهر، والمنصور أخوه كنيته أبو جعفر، واسمه عبد الله ـ أيضا ـ ولي الخلافة اثنتين وعشرين سنة وكان فقيها بليغا حافظا للقرآن والسنة، ومات محرما بالحج، والمهدي بن المنصور وليها عشر سنين، وكان من أعدل الملوك العباسيين، والمأمون هو ابن الرشيد ولد سنة سبعين ومائة في ليلة لم يوجد مثلها (مات فيها خليفة وقام فيها خليفة وولد فيها خليفة. ولد هو فيها، وقام فيها أبوه الرشيد، ومات فيها عمه الهادي) ولي الخلافة سنة ثمان وتسعين ومائة، ومات سنة ثمان عشرة ومائتين، و لم يل الخلافة من بني العباس أعلم منه، ولا أحزم لولا ما كدر عهده من القول بخلق القرآن والإفراط في التشيع.

(2) أي لا تبرح منزلك أنت وبنوك غدا، أخرج الترمذي نحوه.

عم اتبعني ببنيك» فانطلق بستة من بنيه: الفضل وعبد الله وعبيد الله وقثم ومعبد وعبد الرحمن، فأدخلهم النبي ﷺ بيتا وغطاهم بشملة سوداء مخططة بحمرة فقال: «اللهم إن هؤلاء أهل بيتي وعترتي فاسترهم من النار كما سترتهم بهذه الشملة» فما بقي في البيت مدرة ولا باب إلا أمن.

وفي الحلة السيراء والمواهب اللدنية وغيرهما أن رسول الله ﷺ غطى العباس وبنيه بملاءة فقال: «يا رب هذا عمي وصنو أبي وهؤلاء أهل بيتي فاسترهم من النار كستري إياهم بملاءتي هذه» فقالت أسكفة الباب وحوائط الدار: آمين آمين آمين، ومثله في الخميس، وفيه: فما بقي في البيت مدرة ولا بابٌ إلا أمَّن. وروي أنه صلى الله عليه وسلم قال ـ ثلاث مرات ـ: «اللهم انصر العباس وولد العباس»[1]. وإلى ذلك أشار بقوله **وبالملاء ألحفه**.. إلخ.

وقد روي أنه صلى الله عليه وسلم فعل ذلك ـ أيضا ـ بآل علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، فقد جعل كساء على علي وفاطمة وابنيهما وقال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي فَأَذْهِبْ عنهمُ الرجس وطهرهم تطهيرا»[2]، وفي رواية: ألقى عليهم كساء ووضع يده المباركة عليهم وقال: «اللهم إن هؤلاء آل محمد فاجعل صلواتك وبركاتك على آل محمد إنك حميد مجيد»، ومثله في أسد الغابة.

وقد روي أن العباس رضي الله عنه كان يحمل ابنه تماما وهو صغير ويقول: *تموا بتمام فصاروا عشرة*.. إلخ الأبيات؛ وإلى ذلك أشار بقوله: **وقال مجملا بنيه الخيره**..إلخ، كما أشار بقوله **ما ولدت نجيبة**.. إلخ.. إلى قول عبد الله بن يزيد الهلالي في أم الفضل وبنيها وزوجها العباس رضي الله عنهم:

---

(1) أخرجه ابن عساكر ـ كما في تاريخ الخلفاء.

(2) أخرجه الترمذي والإمام أحمد.

ما ولـدت نجيبة من فحـــل　　بجبل - نعلمـه - وسهـل

كستة من بطــن أم الفضل　　أكرم بها من كهلة وكهـل

عم النبي المصطفى ذي الفضل　　وخاتم الرسْل وخير الرسْل -ﷺ

وللعباس بن عبد المطلب من الولد عشرة ذكـورا، ومـن الإنـاث ثـلاث؛ وهـم: الفضل - وبه كني أبواه - وعبد الله وعبيد الله وعبد الرحمن وقثم ومعبد وأم حبيب، أمهم أم الفضل (لبابة الكبرى) بنت الحارث بن حـزن الهلاليـة؛ أخـت أمنـا ميمونـة بنت الحارث الهلالية، وعون والحارث، أمهما من هذيل - وقيـل أم الحـارث حجيلـة بنت جندب بن الربيع الهلالية، وقيل أمه أم ولد - وكثير (بوزن أمـير) وتمـام - وهـو أصغرهم - أمهما رومية اسمها سبا، وصفية وآمنة، لأمهات أولاد.

أما **الفضل** - ويكنى أبا عبد الله - فقد شهد حنينا وكان فيمن ثبت مـع رسـول الله ﷺ، وحضر حجة الوداع وأردفه فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وشهد غسل النبي ﷺ، وكان رضي الله عنه جميـلا، واختلـف في وقـت موتـه، فقيـل يـوم أجنـادين، وقيـل يـوم مـرج الصفـر، وقيـل يـوم الـيرموك، وقيـل مـات في طـاعون عمواس[1]؛ ولم يترك ولدا إلا أم كلثوم بنت الفضل، تزوجها أبو موسـى (عبـد الله)

(1) أجنادين: سهل مرمل واقع على جنوبي دمشق بين الرملة وبيت جبرين من أرض فلسطين، وكانت به وقعة عظيمة للمسلمين بقيادة عمرو بن العاص السهمي على الـروم بقيـادة أرطبـون الرومـي في عهد عمر بن الخطاب، ومات فيها خلق كثير وانهزم فيها الروم. ومرج الصُّفَّـر: موضـع بدمشـق. واليرموك: واد بناحية الشام ينتهي إلى نهر الأردن، كانت به وقعة خالد بن الوليد على الروم سـنة ثلاث عشرة في خلافة أبي بكر الصديـق، وانهزمـت فيـه الـروم. وعمـواس: (بفتـح العـين والميـم، وتسكن الميم) قرية بالشام عرف الطاعون بهـا لأنـه منهـا بـدأ ثـم فشـا في أرض الشـام والعـراق، ومكث شهرا ومات فيه خلق كثير لا يحصى من الصحابة وغيرهـم، وكان في عهد عمر سـنة ثمـان عشرة للهجرة، قيل نشأ من كثرة قتلى الروم الذيـن تركـوا في ميـادين القتـال مـن غـير أن يدفنـوا لانهزام جيوشهم وبقاء جثثهم، أما المسلمون فقد دفنوا موتاهم. [حياة عمر بن الخطاب لمحمد رضا].

بن قيس الأشعري فولدت له موسى.

وأما **عبيد الله** ـ ويكنى أبا محمد ـ فقد روى عن النبي ﷺ وسمع منه وحفظ، واستعمله علي بن أبي طالب على اليمن وأمره على الموسم وحج بالناس سنتي ست وثلاثين وسبع وثلاثين. وكان من الأجواد المشهورين في العصر الإسلامي الأول؛ فقد قيل: أجواد الحجاز ثلاثة في عصر واحد: عبيد الله بن عباس وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب وسعيد بن العاص. ولعبيد الله في الجود حكايات نادرة وفيه يقول بعض الشعراء من أبيات:

وأنت ربيع لليتامى وعصمة ... إذا المحْلُ من جو السماء تطلعا

أبوك أبو الفضل الذي كان رحمة ... وغيثا ونورا للخلائق أجمعا

وتوفي سنة ثمان وخمسين ودفن بالمدينة، وانقطع عقبه رضي الله عنه.

وأما **عبد الرحمن** فقد ولد على عهد رسول الله ﷺ، واستشهد بإفريقية عن غير عقب. وأما قثم فقد كان شبيها بالنبي صلى الله عليه وسلم وكان ممدحا، وقد حضر مع أخيه الفضل غسْل النبي ﷺ، وكان آخر الناس عهدا برسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه آخر من خرج من قبره وقد ولاه علي بن أبي طالب على مكة، وقتل بسمرقند وكان قد خرج إليها غازيا في خلافة معاوية مع سعيد بن عثمان بن عفان.

وأما **معبد** ـ ويكنى أبا العباس ـ فقد ولد على عهد رسول الله ﷺ، وانقطع عقبه ـ أيضا ـ وتوفي بإفريقية في خلافة عثمان، وقيل في عهد معاوية. وفي تاريخ الخلفاء: لا يعرف أب وابن من الخلفاء أبعد قبرا من الرشيد والمأمون: مات الرشيد في الغزو بطوس من خراسان ودفن بها. ومات المأمون بالبديدون من أقصى الروم، ونقل إلى طرسوس ودفن بها. وكذلك خمسة من أولاد العباس تباعدت قبورهم أشد تباعد، ولم ير الناس مثلهم: فقبر عبد الله بالطائف، وعبيد الله بالمدينة، والفضل

بالشام، وقثم بسمرقند، ومعبد بإفريقية.

وأما **الحارث وعون وكثير وتمام**: فقد أدركوا النبي ﷺ فكانت لهم رؤية، و لم يصح سماعهم لصغر أسنانهم. أما كثير فقد كان فقيها فاضلا ومات بالمدينة في خلافة عبد الملك عن غير عقب. وأما تمام فقد ولي المدينة في خلافة علي بن أبي طالب ولا عقب له.

أما **أم حبيب** بنت العباس فقد روي أن النبي ﷺ رآها تدب بين يديه وهي طفلة فقال: "إن بلغت هذه وأنا حي تزوجتها"[1] فقبض صلى الله عليه وسلم قبل أن تبلغ فتزوجها الأسود بن سفيان بن عبد الأسد المخزومي، كما في الزبيري[2].

وأما **صفية** فتزوجها عبد الله بن أبي مسروح من بني سعد بن بكر فولدت له محمد بن عبد الله. وأما **آمنة** فتزوجها العباس بن عتبة بن أبي لهب فولدت له الشاعر: الفضل الذي مر ذكره.

ثم قال رحمه الله:

وانْقَرَضُوا غَيْرَ المُنِيبِ الْبَاكِي ... لِصُلْبِهِ النَّدْبِ أَبِي الأَمْلاكِ

وهوَ المُنِيبُ تُرْجُمَانُ الذِّكْرِ ... حِبْرُ الْخَلائِقِ الرَّفِيعُ الذِّكْرِ

رَوَى عَلَى صِغَرِ سِنٍّ أَلْفَا ... وَجُلَّهَا وَالْعِلْمَ نَالَ قَطْفَا

---

(1) رواه ابن عبد البر، كما في الإصابة: 4 /442، وابن منده وأبو موسى كما في أسد الغابة: 6 / 313.

(2) وفي الروض الأنف: تزوجها سفيان بن الأسود بن عبد الأسد المخزومي فولدت له: رزقا ولبابة، وسفيان بن عبد الأسد هذا قيل بصحبته، وقد هاجر بنوه إلى الحبشة منهم: عمرو وهبار وصحب عبد الله والأسود ابنا سفيان بن عبد الأسد -[شرح الشيخ حمادن].

أَيَّامُهُ مَا بَــينَ أَيَّامِ الْعَــرَبْ   وَالْخَوْضِ فِي أَشْعَارِهَا وَهْوَ الأَدَبْ
وِلِتَــدَبُّــرِ كِــتَابِ اللهِ   وَلِلتَّفَقُّـــهِ والاِنْتِبَـــاهِ
وَالْمُكْثِرُونَ غَيْرَهُ مِنَ الخَبَرْ   عَائِشَةُ وَجَابِرُ وابْــنُ عُمَرْ
وأَنَــسُ بنُ مَالِـكٍ وَالسَّادِي   أَبُو هُــرَيْرَةٍ حُلِيُّ النَّادِي

الضمير في **انقرضوا** عائد على بني العباس المذكورين في قوله: **وقال مجملا بنيه** المتقدم. و**المنيب**: التائب لله تعالى. و**الباكي** أي من خشيته، والمراد به عبد الله بن عباس، وفيه إقامة الصفة مقام الموصوف، وقد روي أنه رضي الله عنه أثر الدمع في خديه لكثرة بكائه من خشية الله فلذا وصفه بالمنيب وبالباكي. وقوله **لصلبه** صفة للمنيب الذي هو عبد الله، والضمير فيه عائد على العباس. و**الندب**: الذي يسرع للمكارم. و**الترجمان**: المفسر للسان. و**الذكر** (بالكسر): القرآن الكريم. و**الحبر**: العالم. و**الذكر** ـ الأخير ـ: الصيت. وفاعل **روى ونال** ضمير مستتر عائد على المنيب. وقوله **والعلم** (بالنصب) مفعول به مقدم **لنال**. **وقطفا** (بفتح القاف) مصدر معنوي **لنال**، والقطف القطع؛ يعني أنه قطف العلم قطفا أي جناه من رسول الله ﷺ ومن غيره كما تجنى الثمار من الأشجار. والضمير في **أيامه** عائد على **المنيب** أيضا، وأيام العرب وقائعها في حروبها ومجادلاتها، مثل يوم حليمة الذي قيل فيه: *ما يوم حليمة بسر* ويوم الكلاب، ويوم بعاث وغيرها. و**الأدب**: العلوم والمعارف عموما أو المستظرف منها فقط. و**الانتباه**: التفطن والتعقل أو عدم الغفلة عن الله تعالى. وقوله **والسادي**: مبتدأ وهو لغة في السادس كالخامي لغة في الخامس والثالي لغة في الثالث، قال الشاعر:

عمرو وكعب وعبد الله بينهما   وابناهما خمسة والحارث السادي

وقال:

مضت ثلاث سنين منذ حُلَّ بها وعامُ حُلّتْ وهذا التابـع الخامي

وقال:

يفديك يا زرع أبي وخـالي قد مر يومان وهـذا الثالي

وأنت بالهجـران لا تبالي

وقوله **أبو هريرة**: خبر السادي. **وحلي** (بضم المهملة وكسر اللام): مـا يتحلى به وهو صفة لأبي هريرة. **والنادي**: الجماعة.

يعني أن نسل العباس بن عبد المطلـب انقـرض إلا مـن ابنـه لصلبـه عبـد ا لله بـن عباس ترجمان القرآن وحبر الأمة. وسيتضح ما تشـير إليـه الأبيـات مـن خـلال هـذه الترجمة الموجزة عن ابن عباس.

ترجمة عبد الله بن عباس

وابن عباس هو أبو العباس عبد ا لله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي الصحابي الجليل ابن الصحابي الجليـل وابـن عـم رسـول ا لله ﷺ وأحد العبادلة المشهورين، أمه أم الفضل بنت الحارث الهلاليـة، ولـد بمكـة وبنـو هاشم في الشعب قبل الهجرة بثلاث سنين؛ دعا له النبي ﷺ فبـورك لـه، وروي عنـه أنه قال: وضع النبي ﷺ يده على كتفي أو منكبي ثـم قـال: «اللهـم فقهـه في الديـن وعلمه التأويل»[1] وقال: «اللهم علمه الحكمة وتـأويل القـرآن»[2]، وقـال: «اللهـم زده علما وفقها»[3]؛ وكـان رضـي ا لله عنـه قـد لازم النبي ﷺ فكـان يُعِـد لـه مـاء

---

(1) أخرجه أحمد في المسند.

(2) وفي رواية: وتأويل الكتاب. أخرجه ابن ماجه، والظاهر أن الحكمة هنا يراد بها السنة لأنها قرنـت بالكتاب، قال تعالى: ﴿ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾.

(3) أخرجه أحمد.

وضوئه إذا أراد أن يتوضأ ويصلي خلفه إذا وقف للصلاة، ويكون رديفه إذا عزم على السفر، وهو في كل ذلك يحمل بين جنبيه قلبا واعيا وذهنا صافيا، وقد روي عنه أنه قال: هم رسول ا لله ﷺ بالوضوء مرة فما أسرع أن أعددت له الماء فسر بما صنعت، فلما هم بالصلاة أشار إلي أن أقف بازائه فوقفت خلفه فلما انتهت الصلاة مال علي وقال: «ما منعك أن تكون بازائي»؟ فقلت: أنت أجل في عيني وأعز من أن أوازيك يا رسول ا لله فرفع يديه إلى السماء وقال: «اللهم ءاته الحكمة»[1]. وقد استجاب ا لله دعوة نبيه صلى ا لله عليه وسلم فيه.

وتوفي رسول ا لله ﷺ وهو ابن خمس عشرة سنة. وقد حرص رضي ا لله عنه على تحصيل العلم وجد واجتهد وبجل العلماء وتواضع لهم على جلالة قدره، فقد روي عنه أنه قال: قلت لرجل من الأنصار هلم فلنسأل أصحاب رسول ا لله ﷺ فإنهم اليوم كثير، فقال لي: واعجبا لك يا ابن عباس أترى الناس يفتقرون إليك؟! قال: فترك الأنصاري ذلك وأقبلت أسأل ولقد كان يبلغني الحديث عن رجل فآتي بابه وهو قائل فأتوسد ردائي على بابه تسفي علي الريحُ الترابَ فيخرج فيراني فيقول: يا ابن عم رسول ا لله! ما جاء بك هلا أرسلت إلي فآتيك؟ فأقول: أنا أحق أن آتيك فأسأله عن الحديث. فعاش الأنصاري حتى رآني وقد اجتمع الناس حولي يسألونني، فقال: هذا الفتى كان أعقل مني. وعنه أيضا قال: وجدت علم رسول ا لله ﷺ عند هذا الحي من الأنصار وكنت أقيل عند باب أحدهم ولو شئت أن يؤذن لي عليه لأذن لكن أبتغي بذلك طيب نفسه. وبهذا أدرك ابن عباس رضي ا لله عنه ما كان يصبو إليه وتصدر في العلوم وتبحر فيها حتى أصبح يدعى بحبر الأمة

---

(1) أخرج نحوه أحمد في مسنده.

وبحر العلم وترجمان القرآن. ففي النووي عن عبيد الله بن عتبة قال: ما رأيت أحدا أعلم من ابن عباس بما سمعه من حديث رسول الله ﷺ وبقضاء أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم ولا أفقه منه ولا أعلم بتفسير القرآن وبالعربية والشعر والحساب والفرائض.

وكان يجلس يوما للتأويل ويوما للفقه ويوما للمغازي ويوما للشعر ويوما لأيام العرب، ولا رأيت عالما جلس إليه قط إلا خضع له ولا سائلا يسأله إلا وجد عنده علما. وفي الاستيعاب عن عطاء قال: كان ناس يأتون ابن عباس في الشعر والأنساب، وناس يأتون لأيام العرب ووقائعها، وناس يأتون للعلم والفقه ما منهم صنف إلا يقبل عليه بما شاء. وسئل ابن عمر عن آية فقال للسائل انطلق إلى ابن عباس فاسأله فإنه أعلم من بقي بما أنزل على محمد ﷺ. وعن هشام بن عروة قال: سألت أبي عن ابن عباس فقال: ما رأيت مثل ابن عباس قط. وعن عطاء أيضا قال: ما رأيت قط أكرم من مجلس ابن عباس أكثر فقها وأعظم خشية، إن أصحاب الفقه عنده وأصحاب القرآن عنده وأصحاب الشعر عنده يصدرهم كلهم من واد واسع. وعن أبي نجيح: ما رأيت مثل ابن عباس قط، ولقد مات يوم مات وإنه لحبر هذه الأمة، وكان يسمى البحر لكثرة علمه. وعن أبي وائل قال: قرأ ابن عباس سورة النور فجعل يفسرها فقال رجل: لو سمعت الديلم هذا لأسلمت، وعنه أيضا قال: خطبنا ابن عباس وهو على الموسم فافتتح سورة النور فجعل يقرأ ويفسر فجعلت أقول ما رأيت ولا سمعت كلام رجل مثله ولو سمعته فارس والروم والترك لأسلمت. وقال مسروق بن الأجدع ـ أحد كبار التابعين ـ كنت إذا رأيت ابن عباس قلت أجمل الناس فإذا تكلم قلت أفصح الناس وإذا تحدث قلت أعلم الناس.

وفي ابن عباس يقول حسان بن ثابت الأنصاري:

إذا ما ابن عباس بدا لك وجهه   رأيت له في كل أحواله فضلا

إذا قال لم يترك مقالا لقائـــــل بملتقطات لا ترى بينها فصــلا[1]

كفى وشفى ما في النفوس فلم يدع لذي إربة[2] في القول جدا ولا هزلا

سمــــوت إلى العليا بغير مشقــــة فنلت ذراها لا دنيئا ولا وغــــلا[3]

خلقت خليقا للمــــــروءة والندى فليجا ولم تخلق كهاما ولا خبلا[4]

ونظر إليه معاوية يوما وهو يتكلم فأتبعه بصره وقال متمثلا:

إذا قال لم يترك مقالا لقائـــــل مصيب ولم يثن اللسان على هجر[5]

يصرف بالقول اللسان إذا انتحى وينظـــر في أعطافه نظـر الصقر[6]

وروي عن عمرو بن دينار قال: ما رأيت مجلسا أجمع لكل خير مـن مجلس ابـن عباس: الحلال والحرام والعربية والأنساب والشعر. وعن عبيد ا لله بن عبد ا لله قال: ما رأيت أحدا كان أعلم بالسنة ولا أجل رأيا ولا أثقب نظرا مـن ابـن عبـاس ولقـد كان عمر يعده للمعضلات مع اجتهاده ونظره للمسلمين.

وكان عمر وعثمان يدعوانه ليشير عليهما مع أهل الشورى من أهل بدر وأكابر الصحابة، وكان عمر يحبه ويدنيه ويقــول فيـه: ابـن عبـاس فتـى الكهـول لـه لسـان سؤول وقلب عقول. وقال فيه علي بن أبـي طـالب رضـي ا لله عنـه: إنـه لينظـر إلى الغيب من ستر رقيق لعقله وفطنته. وقال فيه مجاهد: ما سمعت فتيـا أحسـن مـن فتيـا ابن عباس إلا أن يقول قائل قال رسول ا لله ﷺ ؛ وقال القاسم بن محمد: مـا رأيـت

---

(1) الملتقطات: المتخيرات من الكلام، لا ترى بينها فصلا: يعني أن كلامه بليغ لا حشو فيه.

(2) إربة: أي حاجة.

(3) الوغل: السافل النذل.

(4) الفليج: المظفر الفائز، والكهـام (كسـحاب) العيـي البطـيء لا غنـاء عنـده، والخبـل الفاسـد العقـل والمجنون.

(5) الهجر (بضم فسكون): القبيح من الكلام والإفحاش في النطق.

(6) الصقر (بفتح المهملة): البازي الحديد النظر.

في مجلس ابن عباس باطلا، وما سمعت فتوى أشبه بالسنة من فتواه، وكان أصحابه يسمونه بالبحر والحبر.

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: دعاني رسول الله ﷺ فقال: «نعم ترجمان القرآن أنت»[1] وقال فيه ابن مسعود: نعم ترجمان القرآن ابن عباس لو أدرك أسناننا ما عاشره منا أحد. وكان رضي الله عنه آية في الحفظ، روي أنه أنشده عمر بن أبي ربيعة المخزومي قصيدته التي مطلعها:

أمن آل نُعمٍ أنت غادٍ فمبكرُ غداةَ غدٍ أم رائح فمهجِّرُ ..الخ.

فحفظها في مرة واحدة وهي نحو من ثمانين بيتا.

وقد أخرجه ابن الزبير من مكة إلى الطائف. وروي أن سبب ذلك أن عبد الله بن صفوان بن أمية مر يوما بدار عبد الله بن عباس بمكة فرأى فيها جماعة من طلاب الفقه ومر بدار عبيد الله بن عباس فرأى جماعة يتنابونها للطعام فدخل على ابن الزبير فقال له أصبحت والله كما قال الشاعر:

فإن تصبك من الأيام قارعة لم نبك منك على دنيا ولا دين

قال: وما ذاك يا أعرج؟ قال: هذان ابنا عباس أحدهما يفقه الناس والآخر يطعم الناس فما أبقيا لك مكرمة، فدعا عبد الله بن مطيع وقال: انطلق إلى ابني عباس فقل لهما: يقول لكما أمير المؤمنين اخرجا عني أنتما ومن انضوى إليكما من أهل العراق وإلا فعلت وفعلت.. فقال عبد الله بن عباس لابن الزبير: والله ما يأتينا من الناس إلا رجلان: رجل يطلب فقها ورجل يطلب فضلا فأي هذين تمنع؟ وكان بالحضرة أبو الطفيل عامر بن واثلة الكناني فجعل يقول:

(1) أخرجه البيهقي كما في الإصابة، وابن سعد في طبقاته، كما في فتح الباري: 8 / 709.

لا در در[1] الليالي كيف تضحكنا … منها خطوب أعاجيب وتبكينا
ومثل ما تحدث الأيام من عبر … في ابن الزبير عن الدنيا تسلينا
كنا نجيء ابن عبَّاس فيسمعنا … فقها ويكسبنا أجرا ويهدينا
ولا يزال عبيد الله مترعة … جفانه مطعما ضيفا ومسكينا
فالبر والدين والدنيا بدارهما … ننال منها الذي نبغي إذا شينا
إن النبي هو النور الذي كشفت … به عمايات ماضينا وباقينا
ورهطه عصبة في ديننا لهم … فضل علينا وحق واجب فينا
ففيم تمنعنا منهم وتمنعهم … منا وتؤذيهم فينا وتؤذينا؟
ولست ـ فاعلم ـ بأولاهم به رحما … يا ابن الزبير ولا أولى به دينا
لن يؤتي الله إنسانا ببغضهم … في الدين عزا ولا في الأرض تمكينا

و لم يزل ابن عباس في الطائف حتى توفي سنة ثمان وستين عن نيف وسبعين سنة، ودفن به؛ وصلى عليه محمد بن الحنفية. وقبره معروف يزار.

ومناقبه وخصاله رضي الله عنه لا تحصى. وفيه يقول عبد الله بن أبيٍّ بن أبي زيد الهلالي من أخواله:

ونحن ولدنا الفضل والحبر بعده … عنيت أبا العباس ذا الفضل والندى

وله من الولد: العباس، وبه يكنى، ومحمد والفضل وعبد الرحمن وعبيد الله وعلي السجاد ولبابة وأسماء، أمهم زرعة بنت مشرح الكندية.

وقد قيل إنه انقطع عقبه إلا من علي، وهو أصغر بنيه؛ فهو الذي فيه العقب والعدد وهو أبو الخلفاء العباسيين.

وكان عبد الله بن عباس من المكثرين في رواية الحديث، فقد روي له ألف

---

(1) الدر العمل ومنه لله دره ولا در دره أي لا زكا عمله.

حديث وستمائة وستون حديثا؛ وإلى ذلك أشار الناظم بقوله: **روى على صغر سن ألفا وجلّها**.. وقد اتفق الشيخان منها على خمسة وتسعين، وانفرد البخاري بثمانية وعشرين، ومسلم بتسعة وأربعين. ولما كان رضي ا لله عنه أحد المكثرين عن رسول ا لله ﷺ استطرد الناظم ذكر بقية المكثرين غيره المشهورين بذلك فقال: **والمكثرون غيره من الخبر**.. إلخ.

وستأتي تراجم هؤلاء ـ إن شاء ا لله ـ عند ذكر كل واحد منهم في النظم.

أما أمنا عائشة الصديقة زوج النبي ﷺ المبرأة من خالق البرية، التي توفيت سنة ثمان وخمسين، فقد رويت لها ألفا حديث ومائتان وعشرة أحاديث، اتفق الشيخان منها على مائتين وسبعة وتسعين حديثا، وانفرد البخاري بأربعة وخمسين، ومسلم بتسعة وتسعين، رضي ا لله عنها.

وأما جابر بن عبد ا لله بن عمرو بن حرام الأنصاري الخزرجي آخر من مات من الصحابة بالمدينة[1] سنة ثمان وسبعين، فقد رويت له ألف وخمسمائة وأربعون حديثا، اتفق الشيخان منها على ثمانية وخمسين، وانفرد البخاري بستة وعشرين، ومسلم بمائة وستة وعشرين.

وأما عبد ا لله بن عمر بن الخطاب رضي ا لله عنهما المتوفى سنة أربع وثمانين، فقد رويت له ألفان وستمائة وثلاثون حديثا، اتفق الشيخان منها على مائتين وثمانين، وانفرد البخاري بواحد وثمانين، ومسلم بواحد وثلاثين.

وأما أنس بن مالك الأنصاري الخزرجي النجاري ـ آخر الصحابة موتا بالبصرة سنة تسعين ـ فقد رويت له ألفان ومائتان وستة وثمانون حديثا، اتفق الشيخان منها

(1) أي من أهل العقبة ـ قاله في أسد الغابة.

على ثمانية وستين ومائة، وانفرد البخاري بثلاثة وثمانين، ومسلم بواحد وسبعين.

وأما أبو هريرة عبد الرحمن بن صخر الدوسي ـ المتوفي سنة ثمان وخمسين ـ فقد رويت له خمسة آلاف حديث وثلاثمائة وأربعة وسبعون حديثا ، اتفق الشيخان منها على ثلاثمائة وخمسة وعشرين، وانفرد البخاري بثلاثة وتسعين، ومسلم بمائة وتسعين.

وزاد بعضهم في المكثرين أبا سعيد الخدري: رويت له ألف ومائة وسبعون، وعبد الله بن مسعود: رويت له ثمانمائة وثمانية وأربعون، وعبد الله بن عمرو بن العاص: رويت له سبعمائة حديث.

وقد نظمهم الجلال السيوطي في الفيته في مصطلح الحديث فقال:

والمكثرون في رواية الأثر ... أبو هريرة يليه ابن عمر

وأنس والبحر كالخدري ... وجابر وزوجة النبي

[صلى الله عليه وسلم]

تنبيه: كان للعباس بن عبد المطلب هذا شقيق اسمه ضرار بن عبد المطلب أمه نتيلة بنت جناب، كان من فتيان قريش جمالا وسخاء، مات أيام نزول الوحي على النبي صلى الله عليه وسلم و لم يسلم و لم يعقب.

أبو طالب (عم النبي ﷺ)

ولما فرغ الناظم من ذكر آل العباس شرع في ذكر أبي طالب بن عبد المطلب، وبنيه وعقبهم، فقال رحمه الله:

وكَافِلُ النَّبيِّ مِنْهُ الشَّرَفَا ... والْعِزَّ والذِّكْرَ الجَمِيلَ اقْتَطَفَا

كافل مبتدأ خبره جملة **اقتطف**. **ومنه** متعلق **باقتطف**، والضمير فيه عائد على النبي ﷺ. **والشرف** مفعول به مقدم لاقتطف أيضا. **والعز والذكر الجميل** معطوفان على الشرف. **والكافل**: العائل، كفل فلانا: عاله وقام بأمره. **والشرف**: العلو. **والعز**: الغلبة والحمية والأنفة. **والذكر الجميل**: الصيت الحسن. **واقتطف** الشيء: التقطه.

يعني أن من بني هاشم ثم من أعمامه صلى الله عليه وسلم أبا طالب الذي كفله بعد جده عبد المطلب ونصره وآزره بعد الرسالة، فنال بذلك العز والصيت الحسن في الدنيا على أخيه أبي لهب وأضرابه، ونال أيضا تخفيف العذاب عنه في الآخرة بشفاعته صلى الله عليه وسلم فكان أهون أهل النار عذابا. وأبو طالب اسمه عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي، شقيق عبد الله والد رسول الله ﷺ، أمهما فاطمة بنت عمرو بن عائذ المخزومية. ولد أبو طالب بمكة ونشأ بها وكان من أبطال بني هاشم ورؤسائهم وتجارهم، وكان من الخطباء العقلاء الأباة وورث قسطا كبيرا من سيادة أبيه عبد المطلب على قريش، فكان من ساداتهم في الجاهلية؛ ويقال لم يسد فقير إلا عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، وأبو طالب بن عبد المطلب بن هاشم فإنهما سادا بغير مال.

ولكون أبي طالب شقيق عبد الله، والد رسول ﷺ، أوصاه والده عبد المطلب عند وفاته على كفالة رسول الله ﷺ فكان من حسن كفالته له ما هو معروف ومشهور. ولقد كان من أمر هذه الكفالة والنصرة التي أشار إليها الناظم أنه صلى الله عليه وسلم مكث مع حليمة بنت أبي ذؤيب السعدية[1] سنتين في بلاد أهلها بني

---

(1) اسم أبي ذؤيب الحارث بن عبد الله بن سحنة بن جابر بن ناحرة بن قُصيةَ بن نصر بن سعد بن بكر السعدي، وقد أسلمت حليمة هذه وأسلم زوجها وأسلمت بنتها الشيماء يوم حنين وأعطاها النبي ﷺ جارية وغلاما اسمه مكحول فزوجت أحدهما من الآخر فلم تزل فيهم من نسلهما بقية.

سعد بن بكر ترضعه وتتعرف منه الزيادة والخير ثم فصلته وقدمت به على أمِّـه آمنـة بمكة المكرمة، فكان رسول الله ﷺ بها مع أمه آمنة وجـده عبـد المطلـب في كـلاءة الله وحفظه، فلما بلغ أربع سنين توفيت أمه آمنة؛ فكان في كفالة جده عبد المطلـب يلازمه ويجلسه معه على فراشه في ظل الكعبة المشرفة ويمسح ظهره بيـده ويسـره مـا يراه يصنع حتى بلغ ثماني سنين، فعند ذلك حضرت عبد المطلب الوفاة، ولمـا عـرف أنه ميت أوصى به عمه أبا طالب وقال له:

أوصيك يا عبد مناف بعدي   بمـؤتم بعـد أبيـه فـرد

مات أبـوه وهو طفل المهـد

فكان رسول الله ﷺ بعد جده عبد المطلب في كفالة عمه أبي طالب وقد كـان شاركه فيها أولا أخوه شقيقه الزبير بن عبد المطلب، ثم استقل أبو طالب بهـا وقـام بها على أحسن حال حتى بلغ وتم، ثم نصـره بعـد المبعـث ودافـع عنـه. وكـان أبـو طالب يحب رسول الله ﷺ حبا شديدا، فكان أحب إليه مـن أولاده، لا ينـام إلا إلى جنبه ويخرج به متى خرج لا يفارقه. وكان أبو طالب فقيرا فـأراد مـرة أن يخـرج في ركب تاجرا إلى الشام فلما تهيأ للرحيل وأجمع المسير لزمه رسول الله ﷺ وتعلق بـه فرق له وقال: والله لأخرجن به معـي ولا يفـارقني ولا أفارقـه أبـدا فخـرج بـه معـه وكان إذ ذاك ابن تسع سنين، وقيل اثنتي عشرة سنة، ولكنه عاد به سـريعا إلى مكـة حين فرغ من تجارته في الشام خوفا عليه من اليهود وحذرا منهم ولم يخرج به بعد ذلك.

وهكذا شب رسول الله ﷺ في كفالة عمه أبي طالب والله تعالى يكلؤه ويحفظه ويحوطه من أقذار الجاهلية، لما يريد الله به من كرامتـه ورسـالته حتـى بلـغ أن كـان رجلا أفضل قومه مروءة وأحسنهم خلقا وأرفعهم حسبا وأكرمهم جوارا وأرجحهم حلما وأصدقهم حديثا وأعظمهم أمانـة. وقد قال صلى الله عليه وسلم: «أدبني ربي

فأحسن تأديبي»[1].

سفره ﷺ في تجارة خديجة وزواجه بها

ولما بلغ صلى ا لله عليه وسلم خمسا وعشرين سنة قال له أبو طالب: أنا رجل معيل لا مال لي وقد اشتد الزمان وهذه عير قومك قد حضر خروجها إلى الشام وخديجة بنت خويلد تبعث رجالا من قومك في تجارتها وتضاربهم بشيء تجعله لهم فلو ذهبت إليها وكلمتها في ذلك لعلها تقبل. فبلغ ذلك خديجة فأرسلت إلى رسول ا لله ﷺ في ذلك وقالت أعطيك ضعف ما أعطي رجلا من قومك، فقبل صلى ا لله عليه وسلم، وبعثت معه غلامها ميسرة؛ وانطلقوا إلى الشام ثم باع رسول ا لله ﷺ وربح ضعف ما كانوا يربحون ورجع إلى مكة، فسُرت خديجة بما ربحوا وأضعفت له ما كانت سمته له من قبل. وأخبرها ميسرة بما رأى من رسول ا لله ﷺ كإظلال الغمام له وغير ذلك، وكانت امرأة حازمة عاقلة شريفة مع ما أراد ا لله بها من الكرامة والخير وكانت يومئذ أفضل نساء قريش نسبا وأعظمهن شرفا وأكثرهن مالا، وكان قومها حريصين على نكاحها؛ فدعت رسول ا لله ﷺ للزواج بها [*وما أحسن ما يبلغ المنى الأذكياء!*] فقبل صلى ا لله عليه وسلم وحضر زواجه بها عمه أبو طالب ورؤساء مضر فتزوجها رسول ا لله ﷺ وهو في السادسة والعشرين من عمره.

ولما بلغ رسول ا لله ﷺ أربعين سنة بعثه ا لله تعالى رحمة للعالمين، وكافة للناس بشيرا ونذيرا ونزل عليه الوحي فتحمل منه ما حمله على رضا العباد وسخطهم، ومضى على أمر ا لله مستعدا لما يلقى من قومه من الخلاف والأذى؛ فآمنت به خديجة بنت خويلد فكانت له ردءا وعضدا فكانت تصدقه وتثبته وتخفف وتهون

---

(1) في الجامع الصغير: 1 / 25.

عليه أمر الناس. وآمن به علي بن أبي طالب. ثم إن أبا طالب عثر عليهما معا وهما يصليان فقال لرسول الله ﷺ: يا ابن أخي ما هذا الدين الذي أراك تدين به؟ قال: «أي عم هذا دين الله ودين ملائكته ودين رسله ودين أبينا إبراهيم بعثني الله به رسولا إلى العباد وأنت أي عم أحق من بذلت له النصيحة ودعوته إلى الهدى وأحق من أجابني إليه وأعانني عليه» - أو كما قال[1]- فقال أبو طالب: أي ابن أخي إني لا أستطيع أن أفارق دين آبائي وما كانوا عليه ولكن والله لا يخلص إليك بشيء تكرهه ما بقيت، ثم قال لعلي: أي بني ما هذا الدين الذي أنت عليه؟ قال: يا أبت آمنت بالله وبرسوله وصدقته بما جاء به فقال له: أما إنه لم يدْعك إلا إلى الخير فالزمه.

رسالته ﷺ ومناهضة قومه إياه ودفاع عمه عنه

فلما صدع رسول الله ﷺ بما أمر به كما أمره الله لم يبعد منه قومه ولم يردوا عليه حتى ذكر آلهتهم وعابها فعند ذلك أعظموه وناكروه وأجمعوا خلافه وعداوته إلا من عصم الله منهم بالإسلام وقليل ما هم. فعند ذلك حدب[2] عليه عمه أبو طالب ومنعه وقام دونه ؛ فلما رأت قريش من رسول الله ﷺ التماديَ في ذلك مشت جماعة من أشرافهم إلى أبي طالب فقالوا: إن ابن أخيك سب آلهتنا وعاب ديننا وسفه أحلامنا وضلل آباءنا فإما أن تكفه عنا وإما أن تخلي بيننا وبينه، فقال لهم قولا رفيقا وردهم ردا جميلا فانصرفوا عنه ومضى رسول الله ﷺ على ما هو عليه يظهر دين الله ويدعو إليه. فازداد الأمر وكثر حتى تباعد الرجال وتضاغنوا، ثم

---

(1) أخرج نحوه أحمد في مسنده.

(2) أصل الحدب انحناء في الظهر ثم استعير فيمن عطف على غيره ورق له كما قال النابغة:

حدبت علي بطون ضبة كلها إن ظالما فيهم وإن مظلوما

مشوا إلى أبي طالب مرة أخرى فقالوا: يا أبا طالب إن لك سنا وشرفا ومنزلة فينا وإنا قد استنهيناك من ابن أخيك فلم تنهه عنا وإنا وا لله لا نصبر على هذا فإما أن تكفه عنا أو ننازله وإياك في ذلك حتى يهلك أحد الفريقين وانصرفوا؛ فعظم على أبي طالب فراق قومه وعداوتهم و لم يطب نفسا بإسلام رسول ا لله ﷺ ولا خذلانه، فكلمه أبو طالب فيما جاءوه به ففطن رسول ا لله ﷺ أنه قد بدا لعمه فيه بداء وأنه خاذله ومسلمه وأنه قد ضعف عن نصرته فقال: «يا عم وا لله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يُظهره ا لله أو أهلك فيه ما تركته»، ثم استعبر وبكى وقام ؛ فلما ولى ناداه أبو طالب وقال له: أقبل يا ابن أخي وقل ما أحببت فوا لله لا أسلمك لشيء أبدا.

ثم قام أبو طالب وجمع بني هاشم وبني المطلب مسلمهم وكافرهم ودعاهم إلى حماية رسول ا لله ﷺ من قريش وممن أراد قتله فأجابوه لذلك حتى كفارهم فعلوا ذلك حمية وعصبية[1] على عادة الجاهلية فأدخلوه في شعبهم ومنعوه؛ فعند ذلك كتبت قريش صحيفة المقاطعة وأقاموا على ذلك أكثر من سنتين وتنابذ القوم وبادى بعضهم بعضا. وفي ذلك يقول أبو طالب قصيدته المشهورة التي يقول فيها:

ولما رأيتُ القوم لا ود فيهم وقد قطعوا كل العرى والوسائل

وقد صارحونا بالعداوة والأذى وقد طاوعوا أمر العدُوِّ المزايل

وقد حالفوا قوماً علينا أظنة[2] يعضون غيظا خلفنا بالأنامل

صبرتُ لهم نفسي بسمراء سمحة وأبيض عضب من تراث المقاول[3]

---

(1) العصبية: شدة ارتباط المرء بعُصَبَتِهِ أو جماعته ونصرتها في الحق والباطل.

(2) أظنة: جمع ظنين وهو المتهم.

(3) سمراء سمحة: أراد بها قناة لينة تسمح بالانعطاف عند هزها، والعضب: القاطع، والمقاول: أراد بهم السادات، وأصله الذي يسمع قوله ويطاع ولقب به من يخلف الملك عند حمير.

إلى أن يقول:

كذبتم وبيت الله نُبْزَى محمدا ... ولما نطاعن دونه ونناضل[1]
ونسلمه حتى نصرع حوله ... ونذهل عن أبنائنا والحلائل
وما ترْك قوم - لا أبا لك - سيدا ... يحوط الذمار غير ذرب مواكل[2]
وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ... ثمال اليتامى عصمة للأرامِل

إلى أن يقول:

فأصبح فينا أحمد في أرومة ... تُقَصِّر عنه سورة المتطاول[3]
حدبت بنفسي دونَه وحميته ... ودافعت عنه بالذرى والكلاكل
فأيَّده ربُّ العبادِ بنصره ... وأظهر ديناً حقُّه غير باطل

ومن شعره في ذلك قصيدته التي يقول فيها:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم ... حتى أوسَّد في التراب دفينا
فاصدع بأمرك ما عليك غَضَاضة ... وابشر بذاك وقرَّ منك عيونا
ودعوتني وزعمتَ أنك ناصحي ... فلقد صدقتَ وكنت قبل أمينا
وعرضت ديناً قد عرفت بأنه ... من خير أديان البرية دينا
لولا الملامة أو حذار مسبة ... لوجدتني سمحا بذاك يقينا ..الخ.

وصية أبي طالب لقريش

ولم يزل أبو طالب ينصر النبي ﷺ ويذب عنه إلى أن مات؛ ولما حضرته الوفاة جمع إليه وجوه قريش فأوصاهم وقال: يا معشر قريش أنتم صفوة الله من خلقه

---

(1) نبزى: أي نغلب عليه ونسلبه. ونناضل: أي نرامي بالسهام.

(2) الذمار ما يلزمك أن تحميه. وذرب: فاسد. ومواكل: يتكل على غيره.

(3) الأرومة: الأصل. والسورة بضم السين: المنزلة، وبفتحها: الشدة والبطش.

وقلب العرب وفيكم السيد المطاع والمقدام الشجاع والواسع الباع واعلموا أنكم لم تتركوا للعرب في المآثر نصيبا إلا أحرزتموه ولا شرفا إلا أدركتموه فلكم بذلك على الناس الفضيلة ولهم به إليكم الوسيلة، والناس لكم حرب وعلى حربكم ألب وإني أوصيكم بتعظيم هذه البَنِية[1] فإن فيها مرضاة للرب وقواما للمعاش وثباتا للوطأة وصلوا أرحامكم ولا تقطعوها فإن في صلتها منسأة للأجل وزيادة في العدد وإياكم والبغي والعقوق ففيهما هلكت القرون قبلكم، وأجيبوا الداعي وأعطوا السائل، فإن في ذلك شرف الحياة والممات وعليكم بصدق الحديث وأداء الأمانة فإن فيهما محبة في الخاص ومكرمة في العام، وأوصيكم بمحمد خيرا فإنه الأمين في قريش والصديق في العرب وهو الجامع لكُلِّ مَا أوصيتكم به وقد جاء بأمر قبله الجنان وأنكره اللسان مخافة الشنآن.. وأيم الله كأني أنظر إلى صعاليك العرب وأهل الوبر[2] والاطراف والمستضعفين من الناس قد أجابوا دعوته وصدقوا كلمته وعظموا أمره فخاض بهم غمرات الموت[3]، فصارت رؤساء قريش وصناديدها أذنابا ودورها خرابا وضعفاؤها أربابا، قد محضته العرب ودادها وأعطته قيادها ؛ دونكم يا معشر قريش ابن أبيكم كونوا له ولاة ولحزبه حماة، والله لا يسلك منكم أحد سبيله إلا رشد ولا يأخذ أحد بهديه إلا سعد، ولو كان لنفسي مدة ولأجلي تأخير لكففت عنه الهزاهز ودافعت عنه الدواهي[4].. إلى آخر وصيته.

ولما قرب موت أبي طالب جاءه رسول الله ﷺ فوجد عنده عبد الله بن أبي

---

(1) البنية كغنية: الكعبة لشرفها.

(2) صعاليك العرب: لصوصهم وفقراؤهم جمع صعلوك (بوزن عصفور) ، وأهل الوبر: أهل البدو.

(3) غمرات الموت: مكارهه وشدائده.

(4) الهزاهز: الفتن والحروب التي تهز الناس، والدواهي: جمع داهية وهي الأمر العظيم.

أمية وأبا جهل فقال: «يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أشهد بها لك عند الله»[1] فقال له أبو جهل: يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب! ولم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه ويقول: «يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أستحل لك بها الشفاعة يوم القيامة»، وفي رواية: «أحاج لك بها عند الله»[2] وأبو جهل يقول له: يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب! فلما رأى أبو طالب حرص رسول الله ﷺعلى ذلك قال له: "يا ابن أخي والله لولا مخافة قريش يقولون إني إنما قلتها جزعا من الموت لقلتها"، ثم قال: لقد علمت إنك لصادق ولكن أكره أن يقال جزع عند الموت. ولما تقارب من أبي طالب الموت نظر العباس إليه يحرك شفتيه فأصغى إليه بأُذنه ثم قال يا ابن أخي لقد قال أخي الكلمة التي أمرته بها، ولم يكن العباس حينئذ مسلما، فقال رسول الله ﷺ: «إني لم أسمعه»[3].

ولما مات أبو طالب جاء ابنه علي يخبر رسول الله ﷺ بموته فبكى وقال له: «اذهب فواره»[4]، وروي أنه اعترض جنازته وقال: «وصلتك رحم وجزاك الله خيرا يا عم»[5] ثم قال: «لأستغفرن لك ما لم أنه»[6]. فمكث أياما يستغفر له حتى نزل قوله تعالى ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴾[7].

---

(1) أخرجه البخاري ومسلم والإمام أحمد.

(2) أخرجه الإمام أحمد.

(3) قاله ابن إسحاق، سيرة ابن هشام: 2 / 77.

(4) أخرجه أبو داود والنسائي وأحمد.

(5) حديث وصلتك رحم.. إلخ، رواه ابن المبارك عن صفوان بن عمرو، كما في الإصابة: 4 / 116.

(6) أخرجه البخاري ومسلم وأحمد.

(7) التوبة الآية: 113.

وكانت وفاة أبي طالب في العام العاشر بعد المبعث، وكانت أمنا خديجة بنت خويلد قد توفيت قبله بيسير فسمي ذلك العام *عام الحزن*، لأنهما كانا خير عون لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فكانت خديجة له وزير صدْق على الإسلام وأبو طالب له عضدا وناصرا، وقد روي أن العباس سأل رسول الله ﷺ فقال له: ما أغنيت عن عمك فإنه كان يحوطك ويغضب لك؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضحضاح من النار يبلغ كعبيه يغلي منه دماغه»[1].

وروي أنهم قالوا: يا رسول الله هل تنفع أبا طالب نصرته؟ قال: «نعم، دفع عنه بذلك الغل و لم يقرن مع الشياطين و لم يدخل في جُبٍّ الحيات والعقارب إنما عذابه في نعلين من نار في رجليه يغلي منهما دماغه في رأسه وذلك أهون أهل النار عذابا»[2]. وإلى ما ذكر أشار الناظم بقوله: **منه الشرفا والعز والذكر الجميل اقتطفا.**

وفي أبي طالب نزل قوله تعالى ﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾[3]، وقوله ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ

(1) متفق عليه، وفي مسند أحمد عن العباس أنه قال: يا رسول الله هل نفعت أبا طالب بشيء فإنه كان يحوطك ويغضب لك؟ قال: «نعم هو في ضحضاح من النار لولا ذلك لكان في الدرك الأسفل من النار».

(2) فإن قيل أعمال الكفرة لا فائدة فيها لقوله تعالى: ﴿وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا﴾ ولقوله صلى الله عليه وسلم لعائشة حين سألته عما كان يفعله ابن جدعان في الجاهلية من إطعام المساكين وصلة الأرحام هل ذلك نافعه؟ قال: «لا ينفعه إنه لم يقل رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين».. وغير ذلك من الآيات والأحاديث المصرحة بعدم نفع أعمال الكفار لهم ، أجيب بأن هذا النفع الذي يقع لأبي طالب: من بركة رسول الله صلى الله عليه وسلم وخصائصه، كما في فتح المنعم على زاد المسلم.

(3) الأنعام الآية: 26.

﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾[1].

وترك أبو طالب أربعة أبناء وبنتين، وهم طالب وعقيل وجعفر وعلي وأم هانئ وجمانة، أمهم جميعا فاطمة بنت أسد بن هاشم بنت عم أبي طالب، وهي أول هاشمية ولدت هاشميا.

أما **طالب** فهو أسنهم وبه كني أبوه ولم يسلم وقد فقد قبيل وقعة بدر؛ وسبب ذلك أنه كان في بني هاشم الذين خرجوا مع قريش إلى بدر فوقعت بينه وبين بعض قريش محاورة، فقالت قريش: والله لقد عرفنا يا بني هاشم وإن خرجتم معنا أن هواكم لمع محمد، فغضب طالب ورجع إلى مكة وقال:

لاهـمَّ إما يغزون طالب في عصبةٍ محالف محارب
في مقنب[2] من هذه المقانب فليكن المسلوب غير السالب
وليكن المغلوب غير الغالب

ولما رجع طالب هام على وجهه فلم يسمع له خبر ولم ير له أثر، وأسلم الباقون من بني أبي طالب جميعا وصحبوا رسول الله ﷺ. أما عقيل وجعفر وعلي فسيأتي ذكرهم.

وأما **أم هانئ** واسمها فاختة ــ وقيل هند ــ فأسلمت يوم الفتح ودخل عليها رسول الله ﷺ فقالت له: يا رسول الله إن أصهارا لي قد لجأوا إلي وإن علي بن أبي

---

(1) القصص الآية: 56.

(2) لاهم: أصله اللهم، والعصبة من الرجال والخيل ما بين العشرة والأربعين، والمقنب كمنبر واحد المقانب: جماعة الخيل تجتمع للغارة ويقال قنبوا وتقنبوا نحو العدو إذا تجمعوا وصاروا مقنبا، قال كعب بن زهير:

من سره كرم الحياة فلا يزل في مقنب من صالحي الأنصار

طالب لا تأخذه في الله لومة لائم وإني أخاف أن يعلم بهم فيقتلهم فاجعل من دخل دار أم هانئ آمنا حتى يسمع كلام الله، فأمنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: «أجرنا من أجرت يا أم هانئ"[1]، وفي رواية أنها جاءت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بأعلى مكة وأخبرته أنها دخل عليها رجلان من أحمائها من بني مخزوم وأن عليا أراد قتلهما فأغلقت عليهما بابها، فقال لها رسول الله ﷺ: «مرحبا وأهلا بأم هانئ» وقال: «قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ وأمنا من أمنت[2] فلا يقتلنهما».

وكانت أم هانئ هذه قد تزوجها هبيرة بن أبي وهب المخزومي وولدت له بنيه هانئا - وبه كنيت - ويوسف ابني هبيرة وأخاهما جعدة بن هبيرة الذي يقول:

أبي من بني مخزومَ إن كنت جاهلا ومن هاشم أمي لخير قبيلِ
فمن ذا الذي يبأى عليَ بخاله كخالي عليٍّ ذي الندَى وعقيل

وقد مر ذكرهم في بني مخزوم، وكان زوجها هبيرة قد هرب إلى نجران لما فتح رسول الله ﷺ مكة، وقال معتذرا من فراره:

لعمرك ما وليت ظهري محمدا وأصحابه جبنا ولا خيفة القتل
ولكنني قلبت أمري فلم أجد لسيفي غناء إن ضربت ولا نبلي
وقفت فلما خفت ضيقة موقفي رجعت لعود كالهزبر أبي الشبل[3]

ولم يزل هبيرة هذا بنجران إلى أن مات على شركه.

---

(1) رواه البخاري ومسلم وأحمد.

(2) رواه البخاري ومسلم وأحمد.

(3) الهزبر: الأسد. والشبل: ولده.

وأما **جمانة** فتزوجها ابن عمها أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وولدت له ابنيه الصحابيين، جعفرا وعبد الله وأسلمت هي أيضا وصحبت.

أما **أمهم فاطمة** بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف فأسلمت أيضا وصحبت وهاجرت وكانت خير أم لرسول الله ﷺ وتوفيت بالمدينة سنة أربع وشهدها النبي ﷺ ونزع قميصه وألبسها إياه وصلى عليها وتولى دفنها واضطجع في قبرها، فسئل عن ذلك فقال: «ألبستها لتلبس من ثياب الجنة واضطجعت في قبرها لأخفف عنها ضغطة القبر إنها كانت أحسن خلق الله صنعا بي بعد أبي طالب»، ثم بكى وقال: «جزاك الله من أمٍّ خيرا لقد كنت خير أم»[1] ، وقد انقرض عقب أسد بن هاشم إلا من فاطمة هذه.

أعمام النبي ﷺ

تنبيه: كان لأبي طالب بن عبد المطلب من الأشقاء عبد الله، والد رسول الله ﷺ، والزبير وعبد كعبة وأم حكيم وعاتكة وبرة وأميمة وأروى.. بنو عبد المطلب أمهم جميعا فاطمة بنت عمرو بن عائذ المخزومية. أما عبد الله ويلقب بالذبيح فقد ولد بمكة وكان عاشر بني عبد المطلب وأحبهم إليه وكان أبوه قد نذر إن ولد له عشرة أبناء وشبوا في حياته لينحرن أحدهم عند الكعبة ، فولد له عشرة فضرب القداح بينهم فخرجت على عبد الله ففداه بمائة من الإبل كما مر عند قول الناظم: *النَّسَبُ الذي عليه اتفقا* ... إلخ،

وكان عبد الله هذا ذا عفة وسماحة وكان أحسن رجل رئي في قريش وكان أوسط قريش نسبا وأكرمهم حسبا وأجلهم شرفا. ولما بلغ ثمان عشرة سنة زوجه

---

(1) رواه ابن عبد البر في الاستيعاب وغيره.

أبوه من آمنة بنت وهب الزهرية فحملت برسول الله ﷺ، وبعد زواجه بها خرج قاصدا الشام في تجارة مع جماعة من قريش فعاد من "غزة" مريضا فمروا في عودتهم بالمدينة فتخلف بها عند أخواله فأقام عندهم مريضا شهرا ولما قدم أصحابه مكة أخبروا أباه عبد المطلب فبعث إليه ابنه الزبير فوجده توفي، وقيل بل حضر وفاته فرجع إلى أبيه وأخبره بذلك فحزن عليه حزنا شديدا، وقيل إن عبد المطلب كان قد بعث عبد الله إلى المدينة يمتار له تمرا فمرض بها و لم يزل بها حتى توفي ودفن في دار النابغة، وقيل بالأبواء[1] بين مكة والمدينة و لم يولد له إلا رسول الله ﷺ وكفى به.

وأما الزبير فهو أسن أشقائه ويكنى أبا الحارث وكان شريفا شاعرا ذا عقل ونظر وكان رئيس بني هاشم وأحد حكام قريش، ومات قبل البعثة عن ابنه عبد الله بن الزبير بن عبد المطلب الذي مر بعض التعريف به[2] وقد أسلم وصحب، وللزبير أيضا من البنات أم حكيم وضباعة. وأما عبد كعبة فمات أيضا قبل البعثة و لم يعقب. وأما عماته فقد مر الكلام عليهن. ومن أعمامه صلى الله عليه وسلم الحارث وقثم ابنا عبد المطلب أمهما صفية بنت جندب بن حجير من بني عامر بن صعصعة، ومنهم الغيداق وأمه ممنعة بنت عمرو بن مالك الخزاعية.

أما الحارث فهو أكبر ولد عبد المطلب وبه كني وشهد معه حفر زمزم ومات في حياة أبيه عن أولاده المشهورين: أبي سفيان ونوفل وربيعة وعبد الله، كلهم صحابة، وقد مر الكلام عليهم أيضا ؛ وأما قثم فهلك صغيرا و لم يدرك البعثة. وأما الغيداق فاسمه مصعب وقيل نوفل ولقب الغيداق لجوده، والغيداق في الأصل المطر،

---

(1) النابغة: رجل من بني عدي بن النجار، والأبواء قرية من أعمال الفرع من المدينة بينها وبين الجحفة مما يلي المدينة ثلاثة وعشرون ميلا- [معجم البلدان].

(2) عند قول الناظم: وللزبير القرم عم المصطفى.. إلخ.

ويقال للجـــواد الكريم من الرجال؛ وكان الغيداق هذا أكثر قريش مـالا ومـات قبل البعثـــة.

هذا وقد اختلف في عدد أعمامه صلى ا لله عليه وسـلم فقيـل اثنـا عشـر وثـالث عشرهم عبد ا لله قال في نزهة الأفكار: وهذا القول هو الأصح وعليه اقتصر العراقي وصدر به في المواهب. وهؤلاء هم الحارث وقثم والغيداق وأبو لهب والزبـير وعبـد الكعبة وأبو طالب وعبد ا لله وحمزة والمقوم والمغيرة والعباس وضرار. وزاد بعضهـم: العوام ، كما في الزرقاني ؛ فيكون جميعهم أربعة عشر. وقيل هم أحد عشر، وعليـه فيكون المقوم هو عبد الكعبة، كما في المواهب والمناوي؛ وقيل عشرة وعليه فيسـقط منهم الغيداق وحجل، قاله في المواهب. وفي العيون أن ذلك باعتبار أن عبـد الكعبـة هو المقوم وأن حجلا هو الغيداق، وقيل هم تسعة بإسـقاط قثـم والغيـداق وحجـل، ذكره ابن إسحاق وابن قتيبة ؛ قاله في نزهة الأفكار على قرة الأبصار[1].

ذكر أخواله ﷺ

قلت: ولما انتهى الكلام على أعمامه صلى ا لله عليه وسلم كان من المناسب أن أذكر على سبيل الاستطراد لمحة وجـيزة عـن أخوالـه صلـى ا لله عليـه وسـلم تتميمـا للفائدة وجمعا للنظائر للمقابلة بين الأعمام والأخوال، فأقول: أما أخوالـه صلـى ا لله عليه وسلم فهم الأسود وعمير وعبد يغوث وفريعة بنـو وهـب بـن عبـد منـاف بـن زهرة بن كلاب.

أما الأسود وعمير فأسـلما وصحبـا، قيـل ولهمـا روايـة، وروي عـن عائشـة أن الأسـود بـن وهـب اسـتأذن يومـا علـى رسـول ا لله ﷺ فقـال: «يـا خـــال

(1) للعلامة الكبير والمؤلف الشهير: عبد القادر بن محمد بن محمد سالم المجلسي (ت 1337 هـ).

ادخل»[1] فبسط رداءه وقال: «اجلس عليه» قال: حسبي، قال: اجلس على ما أنت عليه قال: «إن الخال والد يا خال من أسديَ إليه معروف فلم يشكر فليذكر فإنه إذا ذكر فقد شكر»[2]. وعن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ لخاله الأسود بن وهب: «ألا أعلمك كلمات من يرد الله به خيرا يعلمهن إياه ثم لا ينسيه أبدا»، قال: بلى يا رسول الله، قال: «قل اللهم إني ضعيف فقو في رضاك ضعفي وخذ إلى الخير بناصيتي واجعل الإسلام منتهى رضاي»[3] ـ الحديث.

وأما فريعة بنت وهب فقد أسلمت أيضا وصحبت ورفعها النبي ﷺ بيده وقال: «من أراد أن ينظر إلى خالة رسول الله ـ ﷺ ـ فلينظر إلى هذه»[4]. وقد نظم أخوال النبي ﷺ هؤلاء العلامة عبد القادر بن محمد بن محمد سالم المجلسي بقوله:

أخوالُه: الأسودُ مع عُمَير قد أسلما وصَحِبا بخَيْر
كذا فُريعَةُ بهَا المختارُ باهَى فقد تَمَّ لها الفخَارُ
ومنهم عبدُ يَغُوث الوَالِدُ لأحَدِ المستهزِئينَ الأسوَدُ[5]

والله تعالى أعلم.

ولما كان العدد والشرف من بني أبي طالب في آل السبطين، الحسن والحسين ابني علي بن أبي طالب رضي الله عنهم بدأ الناظم بالكلام على ذريتهما بادئا

---

(1) رواه ابن شاهين كما في الإصابة: 1 / 47، قال: وفي إسناده ضعيف.

(2) قاله في أسد الغابة والإصابة.

(3) رواه ابن الأعرابي في معجمه ـ الإصابة: 1 / 46.

(4) ذكره أبو موسى في الذيل عن المستغفري، كما في الإصابة.

(5) أشار بمباهاته صلى الله عليه وسلم بها إلى ما روي من أنه رفعها فقال: «من أراد أن ينظر إلى خالة رسول الله ﷺ فلينظر إلى هذه»، وقوله الأسود (بالرفع): خبر مبتدأ محذوف أي وهو الأسود. [نزهة الأفكار].

بالحسن، فقال رحمه الله:

أوَّلُ مَن جَمَعَ بَينَ الْحَسَنِ وصِنْوِهِ الْحُسَينِ، يا مَنْ يَعْتَني
عَبْدُ الإلَهِ الْمَحْضُ مِنْهُما اجْتُني ابْنُ الْمُثَنَّى الحَسَنِ بْنِ الحَسَنِ
وأمُّهُ فَاطِمَةٌ بِنْتُ الحُسَينْ اخْتَارَهَا حَلِيلُهَا مِنِ اثْنَتَينْ
ومِثْلُهُ البَاقِرُ فِي هَذَا السَّنَنْ فَأُمُّهُ فَاطِمَةٌ بنتُ الحَسَنْ

قوله **أول**: مبتدأ خبره **عبد الإله**. **والمحض** (بالرفع) صفة لعبد الإله، والمحض الخالص من كل شيء، ويكون المحض من ابن عم وابنة عم. وقوله **منهما** متعلق **باجتني**، والضمير فيه عائد على **الحسن والحسين**، **واجتني** (بالبناء للمفعول): التقط (من اجتنى الثمر: التقطه)، والمراد أنه ولد منهما فهو ثمرتهما. وقوله **ابن المثنى** (بالرفع) صفة لعبد الإله أيضا. **والحسن** (بالجر) بدل من المثنى.

يعني أن أول من اجتمعت له بنوة السبطين الحسن والحسين ابني علي بن أبي طالب هو عبد الله المحض بن الحسن المثنى، ثم بيَّن كيفية جمعه لبنوتهما، فقال: **ابن المثنى**.. إلخ أي فهو عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط، وأمه فاطمة بنت الحسين بن علي؛ فالحسن السبط جده لأبيه والحسين جده لأمه.

عبد الله بن الحسن المثنى (أول من اجتمعت له ولادة السبطين)

والمحض هذا هو أبو محمد عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي، لُقب بالمحض لأجل بنوته للسبطين رضي الله عنهما ويقال له أيضا ـ لذلك ـ "الكامل"؛ وكان يقول: ولدني رسول الله ﷺ مرتين، يشير بذلك إلى أنه اجتمعت له ولادة الحسن والحسين؛ فهو أول مولود جمع بين السبطين في الولادة، وكان جده علي بن

أبي طالب أيضا محضا لأنه جمع بين هاشميين. وكان عبد الله المحض هذا تابعيا جليلا وعالما كبيرا وفاضلا نبيلا وكان ذا عارضة وهيبة ولسان، وكان شيخ بني هاشم المقدم فيهم وقد انتهى إليه كل حسن، فإذا قيل من أحسن الناس؟ قيل عبد الله بن الحسن المثنى، وإذا قيل من أفضل الناس؟ قيل عبد الله بن الحسن المثنى وإذا قيل من أقول الناس؟ قيل عبد الله بن الحسن المثنى. وكانت له منزلة عند عمر بن عبد العزيز، ولما ظهر العباسيون قدم مع جماعة من الطالبيين على السفاح وهو بالأنبار فأعطاه ألف ألف درهم وعاد إلى المدينة، ثم أخذه المنصور وحبسه سنوات من أجل ابنيه محمد وإبراهيم ثم نقله إلى الكوفة و لم يزل محبوسا حتى مات هو وأخوه الحسن بن الحسن المثنى بمحبسهما بالهاشمية في سجن أبي جعفر المنصور العباسي.

أما أبوه الحسن المثنى بن الحسن السبط فقد كان منقطع النظير في العلم والفضل والكرم والعبادة، روي أنه حج خمسا وعشرين حجة ماشيا والنجائب تقاد بين يديه، وخرج من ماله مرتين، و لم تُسمع منه كلمة فحش قط؛ روي أنه لم يسمع منه ما ينكرونه عليه بالنسبة لما تعودوا عليه من خلقه إلا قوله مرة عن مخاصمة: ليس له عندنا إلا ما أرغم أنفه. وكان رضي الله عنه جوادا كريما يعطي الشعراء.. ومناقبه لا تحصى.

الحسن بن علي بن أبي طالب

وأما الحسن السبط فهو أبو محمد الحسن بن علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي سبط رسول الله ﷺ ابن ابنته فاطمة، وأشبه الناس به وجها، وأحد سيدي شباب أهل الجنة؛ ولد بالمدينة المنورة منتصف شهر رمضان سنة ثلاث للهجرة فحنكه رسول الله ﷺ بريقه وسماه الحسن، وكان يحبه حبا جما ودعا له ولمن أحبه وقال

فيه: «إن ابني هذا سيد ولعلَّ الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين»[1] وكان رضي الله عنه عاقلا ورعا حليما محبا للخير، وكان فصيحا من أحسن الناس منطقا وبديهة، وكان على جانب عظيم من الكرم وسُمُوِّ الأخلاق وهو خامس الخلفاء الراشدين بايعه أهل العراق بالخلافة مقتل أبيه في رمضان سنة أربعين وأطاعوه وأحبوه أشد من حبهم لأبيه ومكث في الخلافة ستة أشهر. وفي الخبر: الخلافة بعدي ثلاثون سنة[2]، ولم تتم هذه الثلاثون إلا بهذه الأشهر الستة.

ولما بويع رضي الله عنه بالخلافة أشار عليه أهل العراق بالمسير إلى الشام لمحاربة معاوية بن أبي سفيان حتى يأخذ منه الشام فزحف بمن معه وقصده معاوية بجيش عظيم، ولما تقارب الجيشان وتراءى الجمعان بموضع يقال له مسكن بناحية الأنبار من أرض السواد، طرأ على الحسن تفكير يجعله يهاب أن يعرض طائفة عظيمة من المسلمين لقتال طائفة أخرى منهم، وعلم أنه لن تغلب إحدى الطائفتين حتى يذهب أكثر الأخرى وأن المصلحة في جمع الكلمة وترك القتال، وقال: إني خشيت أن يجيء يوم القيامة ثمانون ألفا أو أكثر تنضح أوداجهم دما كلهم يستعدي الله فيم هريق دمه[3]، فكتب إلى معاوية يفاوضه في الصلح فقبل معاوية، واشترط عليه الحسن شروطا قبلها معاوية رضي الله عنهما، منها: أن لا يطلب أحدا من أهل المدينة والحجاز والعراق بشيء مما كان في أيام أبيه. وفرح معاوية وأجابه إلى كل ما

---

(1) أخرجه البخاري وأبو داوود والترمذي والنسائي وأحمد.

(2) أخرجه الترمذي وأحمد، وفي رواية: "الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تصير ملكا عضوضا، أخرجه أحمد وأصحاب السنن، وصححه ابن حبان وغيره من حديث سفينة - [كما في فتح الباري: 8 /77].

(3) تنضح: تسيل، والأوداج: جمع ودج وهو: عرق في العنق إذا قطع لا تبقى معه حياة، ويستعدي الله: يستغيثه ويستنصره، وهريق دمه: أي صب وأصله: أريق.

دعا إليه، فتنازل الحسن عن الخلافة، لا عجزا ولا ضعفا بل ابتغاء وجه الله تعالى وتورعا وقطعا للشر وإطفاء لثائرة الفتنة وحقنا لدماء المسلمين والتماسا لصلاح الأمة، فلم يسل في أيامه محجمة دم فظهر بذلك مصداق قوله صلى الله عليه وسلم: «إن ابني هذا سيد...»[1] ـ الحديث.

فدخل معاوية الكوفة وبايعه الناس واجتمعوا عليه في منتصف جمادى الأولى سنة اثنتين وأربعين، وقيل إحدى وأربعين، فسمي ذلك العام بعام الجماعة لاجتماع الأمة بعد الفرقة على خليفة واحد.

ثم انصرف الحسن رضي الله عنه بأهله وحشمه[2] إلى المدينة فأقام بها إلى أن توفي لخمس ليال خلون من ربيع الأول سنة تسع وأربعين وقيل خمسين، وصلى عليه سعيد بن العاص وكان إذ ذاك أميرا على المدينة، فقدمه الحسين للصلاة؛ ودفن الحسن بالبقيع إلى جانب أمه فاطمة الزهراء رضي الله عنهما في قبة ومعهما فيها ابن أخيه علي زين العابدين بن الحسين وابنه محمد الباقر وسبطه جعفر الصادق، فكان هؤلاء الخمسة في قبة تعرف بقبة العباس، وكان الحسن قد سأل عائشة في مرضه فأباحت له أن يدفن مع رسول الله ﷺ في بيتها، فلما مات منع من ذلك مروان بن الحكم وبنو أمية وقالوا: منعوا عثمان من دفنه في المقبرة ويدفنون الحسن في بيت عائشة! والله لا يقع ذلك أبدا، فهم القوم بالقتال، فجاء أبو هريرة إلى الحسين وكلمه وناشده ولم يزل به حتى قبل فحمل إلى البقيع.

---

(1) تقدم تخريجه قريبا.

(2) حشم الرجل (بضم فسكون، وبالتحريك): خاصته الذين يغضبون له أو يغضب لهم من أهل وعبيد أو جيرة، والحَشَم أيضا: العيال والقرابة.

ولما حضرت الحسن الوفاة أوصى الحسين وقال له: يا أخي إن أباك حين قبض رسول الله ﷺ استشرف لهذا الأمر رجاء أن يكون صاحبه فصرفه الله عنه وولي أبو بكر فلما حضرت أبا بكر الوفاة استشرف له أيضا فصرف عنه إلى عمر، فلما قبض عمر جعلها شورى بين ستة هو أحدهم فلم يشك أنها لا تعدوه فصرفت عنه إلى عثمان ، فلما هلك عثمان بويع له ثم نوزع حتى جرد السيف وطلبها، فما صفا له شيء منها وإني والله ما أرى أن يجمع الله فينا أهل البيت النبوة والخلافة فلأعرفن ما استخلفك سفهاء أهل الكوفة فأخرجوك. وقد قيل إنه توفي رضي الله عنه مسموما، فقد روي عنه أنه قال في مرضه الذي مات فيه: إني سقيت السم ثلاث مرات فلم أسق مثل هذه المرة، فقال له الحسين يا أخي من تتهم؟ قال: أتريد أن تقتله؟ قال: نعم ، قال: إن يكن الذي أظن فالله أشد بأسا وأشد تنكيلا وإلا فما أحب أن يقتل بي بريء ، ثم توفي رحمه الله.

وعقب من الولد: الحسن المثنى وزيدا وعمر والقاسم والحسين وأبا بكر وطلحة وعبد الرحمن وعبد الله ومحمدا وجعفرا وحمزة وفاطمة؛ وللحسن المثنى وزيد منهم عقب كثير وإليهم نسبة الحسنيين.

قوله : **اختارها حليلها من اثنتين،** أشار بذلك إلى ما روي من أن الحسن المثنى خطب إلى عمه الحسين بن علي، فقال الحسين: يا ابن أخي طالما انتظرت هذا منك وأخذ بيده وخيره بين ابنتيه سكينة وفاطمة فاختار فاطمة فزوجه إياها وترك سكينة، وكانت أجمل من فاطمة وإنما تركها لينال بها أبوها من الملوك، وتزوجت عدة أزواج أولهم عبد الله بن الحسن بن علي، وهو ابن عمها وأخو زوج أختها، ثم مصعب بن الزبير، ثم زيد بن عمرو بن عثمان بن عفان ثم إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف. وكان يقال: إن امرأة تختار على سكينة لمنقطعة النظير؛ وكانت ذات دعابة ومزح. وفي سكينة وأمها الرباب يقول الحسين بن علي رضي الله عنه:

كأن الليلَ موصول بليلٍ   إذا زارت سكينة والرَّباب[1]

وقيل إن الحسن المثنى لما خيره عمه استحيا فقال له عمه: قد اخترت لك فاطمة فهي أكثر شبها بأمي يعني فاطمة بنت رسول الله ﷺ. وولدت فاطمة للمثنى عبد الله المحض، والحسن المثلث وإبراهيم ؛ وفي المحض منهم الشرف والعدد، فمنه ابنه محمد بن عبد الله القائم بالمدينة وأخوه إبراهيم القائم بالبصرة ، وقد قضي عليهما المنصور العباسي فيمن قضى عليه، وإخوتهما يحيى القائم بالديلم في عهد الرشيد وإدريس القائم بالمغرب وسليمان ـ وقتل بفخ ـ وموسى، ولكُلِّهم عقب، وعيسَى ولاَ عقب له. وتزوج الحسن المثنى أيضا غير فاطمة هذه بنتي عميه محمد وعمر ابني علي بن أبي طالب في ليلة واحدة، فقال محمد بن علي عند ذاك: هو أعز علينا منهما ، فاجتمع عنده بنات أعمامه الثلاثة، وله منهن ومن غيرهن عقب.

وقد انتشر عقب الحسن السبط بن علي من بنيه وبنيهم وتفرقوا في البلاد وقَتل منهم العباسيون خلقا كثيرا ونكلوا بهم، حتى روي أن المنصور العباسي دفن بعضهم حيا، وشردوهم ؛ فمنهم آل طباطبا بعضهم بالكوفة وبعضهم باليمن، ومنهم آل بني الأخيضر أصحاب اليمامة، ومنهم آل جعفر بن محمد الذين غلبوا على مكة أيام الاخشيدية[2]، ومنهم آل بني الأشتر ببغداد وغيرها، ومنهم آل محمد بن سليمان الذين انتشروا في الأندلس والمغرب، ومنهم آل إدريس بن إدريس بن عبد الله المحض جدهم هو باني فاس المغربية ولهم كثرة وملك في المغرب.

---

(1) أي زارت قومها وهم بنو عليم بن جناب من كلب ثم من بني كعب بن عليم، واسم سكينة هذه آمنة ، وسكينة لقب لها، "الروض الأنف".

(2) الاخشيدية: نسبة إلى الاخشيد وهو لقب لكل من حكم فرغانة كما لقب كل من يحكم خوارزم بخوارزم شاه، ومن يحكم مصر بفرعون، وأذربيجان باصفهند، وطبرستان بأرسلان، واليمن بتبع، والحبشة بالنجاشي؛ وقد كانت الدولة الاخشيدية تحكم مصر والشام.

ثم شبه الناظم على بنوة عبد الله المحض للسبطين بنوة محمد الباقر لهما بطريقة معاكسة لبنوة عبد الله المحض لهما، فالحسين بن علي جده لأب والحسن بن علي جده لأم فهو محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي وأمه فاطمة بنت الحسن بن علي، فقال: **ومثله الباقر في هذا السنن**، والسنن ـ بالتحريك ـ: الطريق.

ثم أخذ الناظم في الكلام على بني الحسين بن علي رضي الله عنهم، فقال رحمه الله:

سِلْسِلَةُ الذَّهَبِ مِنْ ضِئْضِئِهِ ... وهوَ إذَا أخَذْتَ في لُؤْلُؤِهِ

فالْحَسَنُ الخَالِصُ نَجْلُ الْعَسْكَرِي ... نَجْلِ محمدِ الجَوَادِ الأَزْهَرِ

نَجلِ الرِّضَا سَلِيلِ مُوسَى الْكَاظِمِ ... سَلِيلِ جَعْفَرٍ سَلِيلِ الصَّارِمِ

محمدِ البَاقِرِ عِلْمَ الثَّقَلَيْنْ ... سَلِيلِ زَيْنِ العَابِدِينَ بْنِ الحُسَينْ

السلسلة (بكسر المهملتين): دوائر من حديد ونحوه تتصل حلقاتها بعضها ببعض. **والذهب**: التبر. **والضئضئ** (بكسر المعجمتين): الأصل والمعدن. وضمير **وهو** عائد على سلسلة الذهب، وذَكَّرها لِإكتسَابِهَا التّذكيرَ من المضاف إليه. **واللؤلؤ**: الدر، والضمير المضاف إليه عائد على سلسلة الذهب أيضا. **والخالص**: المحض الذي لم يخالطه شيء، وهو صفة للحسن. **والعسكري** (بياء النسب الخفيفة) نسبة إلى مدينة يقال لها "عسكر"، والمراد بالعسكري ـ هنا ـ علي بن محمد الجواد. **والأزهر**: النير الصافي اللون المشرق الوجه، وهو صفة لمحمد الجواد. **والرضى**: لقب لعلي بن موسى الكاظم. **والكاظم**: الحابس لغيظه الممسك على ما في نفسه منه، ولقب به موسى بن جعفر لحلمه. **والصارم**: الشجاع الماضي في أمره. وقوله **محمد الباقر** (بالجر) بدل من الصارم، **والباقر** صفة لمحمد. **وعلم** (بالنصب) مفعول به **للباقر**، ومعناه الجامع للعلم. **والثقلين**: الإنس والجن.

السلسلة الذهبية من نسل الحسين السبط

ذكر الناظم هنا بعض ذرية الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما ضمن ما يعرف *بالسلسلة الذهبية* التي تحتوي على أشرف نسب ينميه أحد على وجه الأرض لشرفه برسول الله ﷺ ، وأراد بهذه السلسلة هؤلاء الأعلام المذكورين على نسق عمود النسب المتصل بسيدنا الحسين بن علي بن أبي طالب، وهم: الحسن الخالص بن علي العسكري بن محمد الجواد بن علي الرضى بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم وعنا بهم وأرضاهم وجمعنا وإياهم في مستقر رحمته بمنه وكرمه. آمين.

ثم إن فضائل ومناقب أصحاب هذه السلسلة الذهبية والشجرة الزكية والسلالة النبوية لا تسعها المؤلفات الضخمة ولا التصانيف الفخمة، فأحرى هذه العجالة المتواضعة والبضاعة المزجاة. ولكن لا بد من التعريج عليها، ولو بإلمامة سريعة أو إشارة خفيفة لبعض مناقب هؤلاء المذكورين مع التبرك بذكرهم والتطفل على جنابهم؛ فأقول:

أما **الحسن الخالص** فهو أبو محمد الحسن بن علي العسكري بن محمد الجواد بن علي الرضا الهاشمي العلوي، أمه أم ولد، ولد بالمدينة سنة إحدى أو اثنتين وثلاثين ومائتين، واشتهر بالعسكري مثل أبيه كان على جانب عظيم من الصلاح والعبادة، وكانت له في ذلك حكايات نادرة.

فمما يحكى عنه أنه مر به يوما بعض العبَّاد وهو صبي يبكي، وبجانبه صبيان يلعبون فقال له العابد: أتحب أن أشتري لك ما تلعب به؟ فقال له: ما للعب خلقت، قال: فلماذا خلقت؟ قال: للعلم والعبادة، قال له: من أين لك هذا؟ قال: من قوله

تعالى: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَـٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾[1] فتعجب العابد منه وقال له: ما نزل بك وأنت صغير لا ذنب لك؟! فقال الحسن: إليك عني إني رأيت أمي توقد النار بالحطب الكبار ولا توقده إلا بالحطب الصغار وإني لأخشى أن أكون من صغار حطب جهنم. وكان الحسن الخالص هذا محببا إلى الخليفة، وكانت صِلات الملك تصل إليه دائما، وقد أقام بداره بمدينة "سر من رأى[2]" عزيزا مكرما إلى أن مات بها سنة ستين ومائتين عن عمر يناهز الثلاثين وقبره بجانب أبيه. وخلف الحسن الخالص ابنه محمدا الحجة المكنى بأبي القاسم، أمه أم ولد، ولد "بسر من رأى" في رمضان سنة ثمان وخمسين ومائتين وهو الذي ادعت الرافضة أنه هو المهدي المنتظر.

وأما **العسكري** فهو أبو الحسن علي بن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم الهاشمي العلوي، أمه أم ولد، وقيل أمه أم الفضل بنت المأمون؛ ولد بالمدينة في رجب سنة أربع عشرة ومائتين، وكان يعرف بأبي الحسن الثالث، وكان رضي الله عنه فائقا في العلم والسخاء والديانة والصيانة، وكان أحد الأتقياء الصلحاء وعاشِر الأئمة الاثني عشر عند الإمامية، واشتهر بالنسبة إلى مدينة عسكر لأنه أقام بها نحو عشرين سنة، وهي مدينة عظيمة شرقي دجلة بين بغداد وتكريت، وتعرف ــ أيضا ــ بسر من رأى، وكان المعتصم قد شرع في بنائها سنة إحدى وعشرين ومائتين ليسكن بها جنوده؛ ولما شرع في بنائها ثقل ذلك على عسكره فلما تم بناؤها انتقل بالجنود إليها، فلما جاءوها سر كل واحد منهم برؤيتها وسكنوا بها،

---

(1) المؤمنون الآية: 116.

(2) مدينة عراقية غلب عليها الآن اسم "سامراء".

فسميت لذلك بعسكر وبسر من رأى وبسامراء، ولم يزل علي مقيما بها إلى أن توفي رضي الله عنه في جمادى الأخيرة سنة أربع وخمسين ومائتين عن عمر يناهز الأربعين، ودفن في داره بسر من رأى. وقد روي أن عليا العسكري هذا وُشِيَ به يوما إلى المتوكل العباسي أنه يطلب الخلافة وأن في منزله كتبا من شيعته تدل على ذلك، فأرسل إليه من جاءه به فلم ير ما يسوءه، فرده إلى منزله مكرما مبجلا وقضى عنه دينا كان عليه.

وأما **محمد الجواد** فهو أبو جعفر محمد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق الهاشمي العلوي، أمه أم ولد اسمها خيزران ـ وقيل ريحانة، وقيل كانت من أهل مارية القبطية ـ ولد بالمدينة المنورة في رجب سنة خمس وتسعين ومائة، وكان يعرف بأبي جعفر الثاني لأنه كان موافقا لمحمد الباقر في الاسم والكنية واسم الأب؛ وكان وارث أبيه في العلم والمعرفة والصلاح والكرم والفضل وكمال الخلق والحلم، ولقب بالجواد لكرمه وجوده وبالتقي لتقواه وفضله.

ومما يؤثر عنه أنه جاءه رجل يوما وقال له: أوصني بوصية مختصرة جامعة، فقال له: صن نفسك عن عار العاجلة ونار الآجلة. ومن كلامه: كيف يضيع من الله كافله، وكيف ينجو من الله طالبه، ومن انقطع إلى غير الله وكله الله إليه، ومن عمل على غير علم أفسد أكثر مما يصلح.

وكانت لمحمد الجواد عند المأمون مكانة عظيمة، وقد رغب المأمون فيه وقربه وزوجه على صغر سنه من بنته أم الفضل بنت المأمون وسيرهما إلى المدينة المنورة، ثم أرسلت أم الفضل إلى أبيها المأمون تشتكي إليه أن محمد الجواد تسرى عليها، فأرسل إليها: أنا لم أزوجك به لتحرمي عليه حلالا. ثم عاد إلى بغداد وأقام بها إلى أن توفي سنة مائتين وعشرين عن نحو خمس وعشرين سنة، ودفن في مقابر قريش بالقرب من جده موسى الكاظم.

وأما **الرضى** فهو أبو الحسن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر الهاشمي العلوي، أمه أم ولد، ولـد بالمدينـة المنـورة يـوم الخميـس الحـادي عشر من ربيع الآخر سنة ثلاث وخمسين ومائة للهجرة. وكان اشهر إخوته وأنبههم ذكرا وأجلهم قدرا، وكان ذا أخلاق علية وصفات سنية وكرامات كثـيرة ومنـاقب شهيرة؛ وكان يلقب بالرضى والصابر والزكي.

وقد روي أنه دخل نيسابور مرة وشق وسطها وعليه مظلة لا يرى مـن ورائهـا، فتعرض له الحافظان: أبو زرعة الرازي ومحمد بن مسلم الطوسي ومعهمـا مـن طلبـة الحديث والعلم ما لا يحصى كثرة، وتضرعوا إليـه أن يـروي لهـم حديثـا عـن آبائـه، فاستوقف بغلتَهُ وأنصت الناس له، فقال: "حدثني أبي موسى الكاظم عن أبيه جعفـر الصادق عن أبيه محمد الباقر عن أبيه زين العابدين عن أبيه الحسين عن أبيه علـي بـن أبي طالب قال: حدثني حبيبي رسول ا لله ﷺ قال: «حدثني جبريل قال: سمعت رب العزة سبحانه قال: لا إله إلا ا لله حصني فمن قالها دخل حصني ومـن دخـل حصـني أمن من عذابي»[1]، فعُد أهل المحابر والدوى[2] الذين يكتبـون فأنـافوا علـى عشـرين ألفا. وكان لعلي الرضا هذا عند المأمون مكانة عظيمة، فأحله محل مهجتـه وأشـركه في أمره، وفوض إليه سر خلافته وكتب إليه ولاية عهـده بيـده وأشـهد علـى ذلـك، ولكنه رضي ا لله عنه مـات قبـل المـأمون ، وكـانت وفاتـه بطـوس (قريـة مـن قـرى خراسان) سنة ثمان ومائتين، وقبرهُ في قبلي قبر هارون الرشيد في قبـة؛ وخلـف أبنـاء

---

(1) أخرجه ابن عساكر عن علي كما في الجامع الصغير في حرف الحاء، ورواه الشيرازي عن علي كما في شرح لباب الحديث لأبي عمر.

(2) المحابر: جمع محبرة (بفتح الميم وكسرها وبفتح الموحدة وضمها) وهي الدواة يجعل فيهـا الحـبر وهـو المداد يكتب به، والدوى: جمع دواة وهي المحبرة (وعاء المداد).

كان وارثه منهم في علمه ومناقبه محمد الجواد.

ولأبي نواس في علي الرضا هذا:

قيل لي أنت أحسن الناس طرا   في فنون من المقال النبيه
لك من جيد القريـــض مديح   يثمر الدر في يدي مجتنيه
فعلى ما تركت مدح ابن موسى   والخصال التي تجمعن فيه؟
قلـــت لا أستطيع مـــدح إمام   كان جبريل خادما لأبيه

وأما **موسى الكاظم** فهو أبو الحسن موسى بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين الهاشمي العلوي، أمه بربرية، ولد بالأبواء (بين مكة والمدينة) يوم الأحد لسبع ليال خلون من صفر سنة ثمان وعشرين ومائة، وقيل ولد بالمدينة ولقب بالكاظم لفرط حلمه وتجاوزه عن المعتدين عليه، وكان رضي الله عنه فائقا في العلم والمعرفة والكمال والفضل، وكان إماما كبير القدر كثير الخير، وكان أعبد أهل زمانه وأسخاهم، فكان يصوم نهاره ويقوم ليله، ويعرف عند أهل العراق بـــ"باب قضاء الحوائج عند الله"، وكانت له مناقب جمة وكرامات ظاهرة؛ ويحكى أن الرشيد سأله يوما فقال له: يا موسى لم قلتم إنكم أقرب إلى رسول الله ﷺ منا؟ فقال: يا أمير المؤمنين لو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب كريمتك هل كنت تجيبه؟ قال: سبحان الله وكنت أفتخر بـــذلك على العرب والعجم، قال موسى: فهو لا يخطب إلي ولا أزوجه لأنه والدنا لا والدكم، فلذلك نحن أقرب إليه منكم، ثم قال له: وهل يجوز له أن يدخل على حرمكم؟ فقال: لا، قال موسى: لكنه يدخل على حرمي ويجوز له ذلك، فلذلك نحن أقرب إليه منكم، وسأله الرشيد أيضا: لم قلتم إنكم ذرية رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنتم أبناء علي؟ فتلا قـــــول الله تعالى ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَـٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ

وَهَٰرُونَۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝ وَزَكَرِيَّا وَيَحۡيَىٰ وَعِيسَىٰ ﴾[1] وليس له باب؛ وقال أيضا ﴿ فَمَنۡ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ فَقُلۡ تَعَالَوۡاْ نَدۡعُ أَبۡنَآءَنَا وَأَبۡنَآءَكُمۡ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمۡ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمۡ ثُمَّ نَبۡتَهِلۡ فَنَجۡعَل لَّعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴾[2]، ولم يدع صلى الله عليه وسلم عند مباهلته النصارى غير علي وفاطمة والحسن والحسين، فكان الحسن والحسين هما الأبناء.

هذا وقد كان المهدي قد أقدم موسى الكاظم هذا إلى بغداد ثم رده إلى المدينة فأقام بها إلى أيام الرشيد، ثم قدم الرشيد المدينة وحمله معه إلى بغداد وحبسه بها حتى توفي في حبسه يوم الخميس لخمس خلون من رجب سنة ثلاث أو ست وثمانين ومائة للهجرة، وقيل مات مسموماً بأمر من الرشيد، ودفن بمقابر قريش في بغداد وخلف نحو سبعة وعشرين ولدا بين ذكر وأنثى، وكان وَارِثَهُ في جلالة القدر ابنه علي الرضا.

ومن عقب موسى الكاظم هذا الشريف الرضي؛ وهو أبو الحسن محمد بن الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم بن موسى الكاظم، ولد ببغداد سنة تسع وخمسين وثلاثمائة وتثقف فيها وتعمق في علوم القرآن وتبحر في علم الكلام واللغة والنحو، وانتقلت إليه نقابة الأشراف من أبيه، وأبوه حي، وكان ذا هيبة وجلالة وورع وعفة ومراعاة للأهل والعشيرة، رفيع المترلة لشرف نسبه وعلو منصبه، عزيز النفس أبيًّا، وكان مع محتده الشريـــف ومفخره المنيف يتحلى بأدب

---

(1) الأنعام: 84-85.

(2) آل عمران: 61.

ظاهر وفضل باهر وحظ في المجالس وافر، وكان أشعر الطالبيين ـ بل كان يعد من أشعر القرشيين، وكان غيره من شعرائهم إما مجيد مقل، وإما مكثر غير مجيد، أما هو فقد جمع بين الإكثار والإجادة، وترك آثارا منها كتاب *نهج البلاغة* جمع فيه خطب وحكم ورسائل علي بن أبي طالب فضلا عن ديوان شعر ضخم، وتوفي رحمه الله في بغداد سنة ست وأربعمائة.

وأما جعفر فهو أبو عبد الله جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين بن الحسين الهاشمي العلوي، أمه أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهم، وأمُّ أمِّ فروة هذه أسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر؛ ولذا كان جعفر يقول: ولدني أبو بكر مرتين. وكان مولده بالمدينة يوم الاثنين لثلاث عشرة ليلة بقيت من ربيع الأول سنة ثلاث وثمانين، وكان وصي أبيه وخليفته من بين إخوته، نقل عنه من العلوم ما لم ينقل عن غيره، وكان من سادات أهل البيت، ولقب بالصادق لصدقه، وكان إماما في الحديث وغيره، أوصى ابنه موسى الكاظم فقال له: يا بني احفظ وصيتي تعش سعيدا وتمت شهيدا، يا بني إن من قنع بما قسم الله له استغنى، ومن مد عينيه إلى ما في يد غيره مات فقيرا، ومن لم يرض بما قسم الله له اتهم الله في قضائه، ومن استصغر زلة نفسه استعظم زلة غيره، يا بني من كشف حجاب غيره انكشفت عورات بيته، ومن سل سيف البغي قتل به، ومن احتفر لأخيه بئرا سقط فيها، ومن داخل السفهاء حقر ومن خالط العلماء وقر ومن دخل مداخل السوء اتهم، يا بني إذا طلبت الجودَ فعليك بمعادنه.

وتوفي جعفر الصادق رضي الله عنه بالمدينة يوم الاثنين منتصف رجب سنة مائة وثمان وأربعين، ودفن بالبقيع مع أبيه وجده وعمه في قبة كما مر. وعقب من الولد: موسى الكاظم وعليا ومحمدا وإسماعيل وعبد الله، رضي الله عنهم.

وأما **محمد الباقر** فهو أبو جعفر محمد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي

الهاشمي العلوي، أمه أم عبد الله فاطمة بنت الحسن بن علي بن أبي طالب، كما مر؛ ولد بالمدينة يوم الجمعة ثالث صفر سنة سبع وخمسين للهجرة، وكان وارث أبيه علما وزهدا وعبادة ووصيه من بين إخوته والقائم بأمره من بعده ولقب الباقر لتبقره في العلم، أي توسعه فيه، أو لأنه بقر العلم أي شقه ودخل إليه مدخلا بليغا وأثار مخبآته وكنوز معارفه وحقائق حكمه، ومن ثم سمي باقر العلم أي جامعه؛ وكان رضي الله عنه فائقا في معرفة علم الدين والسنن وعلم السير وفنون الأدب، وعمر أوقاته بطاعة الله، وكفاه شرفا ما روي أن جابر بن عبد الله الأنصاري قال له ـ وهو صغير ـ: رسولُ الله ﷺ يسلم عليك، فقيل له كيف ذلك؟ قال: كنت جالسا عنده والحسين في حجره وهو يلاعبه فقال: «يا جابر يولد له مولود اسمه محمد إذا أدركته يا جابر فاقرئه مني السلام». وروي أنه دخل يوما على عمر بن عبد العزيز فقال له عمر: يا أبا جعفر أوصني، قال: أوصيك أن تتخذ صغير المسلمين ولدا وأوسطهم أخا وكبيرهم أبا فارحم ولدك وصل أخاك وبر أباك، وإذا صنعت معروفا فَرَبِّهِ[1]. ومناقب محمد الباقر كثيرة وشهيرة ولم يكن في أهل البيت مثله فضلا. وتوفي بالمدينة سنة مائة وسبع عشرة ودفن بالبقيع في قبة مع أبيه كما مر.

وأما **زين العابدين** فهو أبو الحسن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي العلوي، أمه سلامة بنت يزدجرد آخر ملوك الفرس ابن الملك العادل أنو شروان؛ وقد كانت ليزدجرد ثلاث بنات سبين في زمن عمر بن الخطاب، فأعطيت إحداهن لعبد الله بن عمر بن الخطاب فولدت له سالما، والثانية لمحمد بن أبي بكر الصديق فولدت له القاسم، والثالثة للحسين بن علي فولدت له زين العابدين هذا، فكانوا ثلاثة علماء أجلاء أبناء خالات ـ كما تقدم ـ وكان مولد زين

(1) فربه: أي أدمه.

العابدين بالمدينة في آخر عمر جده علي بن أبـي طالب سـنة ثمـان وثلاثـين، وكـان رضـي الله عنـه مـن أفـاضل التـابعين والعلمـاء العـاملين والثقـات المـأمونين والعبـاد المجتهدين المخلصين ومن القانتين الخاشعين، يروى أنه كان إذا توضأ يصفر لونه وإذا قام إلى الصلاة يرعد من الخوف، فقيل له في ذلك فقال: أتدرون بين يدي من أقـوم ولمن أناجي؟، وحج مرة وأراد التلبية فأرعد من الخـوف واصفـر وخـر مغشيا عليـه فلما أفاق سئل عن ذلك فقال: إني خشـيت أن أقـول لبيـك فيقـال لي لا لبيـك ولا سعديك، وكان رضي الله عنه كثير البكاء من خشية الله، وكان يقال له السجاد[1] وبذلك لقب زين العابدين؛ وكان كثـير الصدقـة، وأكثـر صدقاتـه بـالليل، وكـان يقول: صدقة الليل تطفئ غضب الرب، وكان الناس يعيشون بالمدينة لا يدرون مـن أين معاشهم ، فلمـا مـات فقـدوا مـا كـانوا يؤتـون بـه إلى منـازلهم ليـلا فعلمـوا أن معايشهم كانت منه، وكان حليما وقورا كريما مهيبا ذا كرامات، يضرب به المثل في الحلم والورع. ويروى أن هشام بن عبد الملك حج في أيام أبيه فطاف بالبيت وجهد أن يصل الحجر الأسود ليستلمه فلم يقدر على ذلك لكثرة الزحام فنصب له كرسي وجلس عليه ينظر إلى الناس ومعه جماعة من أعيان أهل الشام، فبينما هـو كذلـك إذ أقبل الإمام زين العابدين هذا فطاف بالبيت فلما انتهى إلى الحجـر تنحـى لـه النـاس حتى استلم الحجر؛ فقال رجل من أهل الشام لهشام: من هذا الذي هابه الناس هـذه الهيبة؟ فقال هشام: لا أعرفه، مخافة أن يرغب فيه أهل الشام. وكان الفرزدق حاضرا

---

(1) عن محمد الباقر قال: إن علي بن الحسين ما ذكر لله عز وجل نعمة عليه إلا سجد ولا قرأ آية مـن كتاب الله عز وجل فيها سجود إلا سجد ولا دفع الله عز وجل عنه سـوءا يخشـاه إلا سـجد ولا فرغ من صلاة مفروضة إلا سجد ولا وُفق لإصلاح بين اثنين إلا سجد، وكـان فيـه أثـر السـجود فسمي السجاد لذلك.

فقال: أنا أعرفه، ثم اندفع فأنشد قصيدته المشهورة التي أغضبت هشاما حتى أمر بحبسه. يقول منها:

هـــذا سليل حسينٍ نـجل فاطمةٍ	بنتِ الرسولالذي انجابت به الظلم[1]
هذا الذي تعـــرف البطحاء وطأته	والبيت يعرفه والحـــل والحرم[2]
هذا ابن خير عبادِ ا لله كلّهــــمُ	هذا التقيُّ النّقيُّ الطاهـــر العلم
هذا ابن فاطمـــةٍ إن كنت جاهله	بجَـــدِّه أنبياءُ ا لله قد خُتِـموا
ا لله شَــــرّفــــه قِدماً وعَظّمهُ	جـرى بذاك له في لوحـــه القلم
وليـس قَـــولُك من هــذا بضائره	العُــرب تعرف من أنكرتَ والعجمُ
كلتا يديه غِيَاث عـــمَّ نفعهما	تستوكفان ولا يعـــروهما عدمُ[3]
سهْـــل الخليقـــة لا تخشى بوادره	يزينـه اثنان: حسن الخلق والشيم[4]
حـمَّالُ أثقالِ أقوام إذا افتدحـــوا	حلوُ الشمائـــل تحلو عنده نعم[5]
ما قال "لا" قـــطُّ إلا في تَـشَهُّـده	لولا التشهدُ كانت لاءه نعـــم[6]
عَـمَّ البريةَ بالإحسان فانقشعَـــت	عنها الغياهب والإملاق والعَـدم[7]

---

(1) انجابت: انكشفت.

(2) البطحاء: بطحاء مكة. والوطـأة: موضـع القـدم. والبيـت: الكعبـة، والحـل: مـا جـاوز الحـرم مـن الأرض. والحرم: ما لا يحل انتهاكه، يعني أن الممدوح يعرفه أهل الدنيا قاطبة.

(3) غياث: غوث وعون. وعـم: شمـل النـاس عامـة. واسـتوكف: واسـتقطر المـاء واسـتدعى جريانـه. يعروهما: يلم بهما. عدم: فقر.

(4) الخليقة: الطبع والسجية. والبوادر: جمع بادرة وهي مـا يبـدر مـن الإنسـان عنـد غضبـه. والشـيم: الأخلاق، يعني أنه حليم لا يخشى غضبه.

(5) افتدحوا: أثقلوا بالمصائب. والشمائل: جمع شميلة: الخصلة، يعني أنه يساعد من تحل بهـم المصائـب، ويجد لذة في الإجابة بنعم على كل طالب معونة.

(6) يعني أنه لا يعرف قول "لا" إلا حينما يتلو التشهد أي قول: "أشهد أن لا إله إلا ا لله".

(7) عم البرية: أي شمل الخليقة إحسـانه. وانقشـعت: انجلـت. والغيـاهب: جمـع غيهـب وهـو الظلمـة. والإملاق: الفقر المدقع.

إذا رأتـــــه قريشٌ قال قائلُـــها	إلى مكارم هـــذا ينتهي الكـــــرم
يُنمى إلى ذروة العـــزِّ التي قصرت	عن نيلها عَــربُ الإسـلام والعجم
يغضـــي حياءً ويغضى من مهابته	فما يكلـــم إلا حين يبتســــمُ
بكفه خيزران ريحُـــه عبـــقٌ	من كفٍّ أروع في عرنينـه شمم[1]
يكاد يمسكــــه عِـــرفان راحته	ركـنُ الحطيم إذا ما جاء يستلم[2]

إلى أن يقول:

من مَعشرٍ حبهم دين وبغضهـــمُ	كفـرٌ وقُربهمُ منجى ومعتصـــم
مقدمٌ ـ بعدَ ذكـــر الله ـ ذكـــرهم	في كــــل بدء ومختوم به الكلم[3]
إن عُـدَّ أهـــل التُّقى كانوا أئمتهمْ	أو قيل مَن خيرأهلِ الأرض؟ قيل همُ
لا يستطيع جوادٌ بُعْدَ غايتهـــمْ	ولا يدانـيهمُ قـــومٌ وإن كرموا
هم الغيوث إذا ما أزمــــة أزمت	والأسد أسد الشرى والبأس محتدم[4]
لا ينقـص العسر بسطا من أكفِّهِمُ	سيان ذلك إن أثـروا وإن عـدموا .. إلخ[5]

---

(1) الخيزران: عود لين. والعبق: الذي يفوح بالشذا والطيب. والأروع: من يروعك حسنه وشجاعته. والعرنين: الأنف. والشمم: ارتفاع أرنبة الأنف مع حسنها واستوائها.

(2) الركن: الجانب. والحطيم: ما بين ركن الكعبة والباب، وقيل: جدار الكعبة؛ يعني أن حجر الكعبة نفسه يعرف كف زين العابدين فيكاد يمسكه أي يحبسه عنده شغفا به.

(3) يعني أن المسلم بعد أن يذكر الله في بدء الكلام وختامه يصلي ويسلم على النبي صلى الله عليه وسلم وآله ولذا قال: ذكرهم بعد ذكر الله.

(4) الغيوث: الذين يغيثون الناس. والأزمة: الشدة، وأزمت: اشتدت. والشرى: مأسدة من مآسد العرب جانب الفرات يضرب بها المثل، فيقال "هو كأسد الشرى". والبأس: الخوف والشدة في الحرب. ومحتدم: مشتعل وملتهب.

(5) ولما سمع زين العابدين هذه القصيدة أرسل إلى الفرزدق اثني عشر ألف درهم، فردها وقال: مدحته لله تعالى لا للعطاء، فردها إليه زين العابدين وقال: إنا أهل بيت إذا وهبنا شيئا لا نستعيده فقبلها ـ [ابن خلكان].

وتوفي زين العابدين - رضي الله عنه - بالمدينة سنة أربع وتسعين، ودفن بالبقيع، ولم يكن له نسل إلا من بنت عمه فاطمة بنت الحسن، وكان وارث أبيه الحسين في علمه ومناقبه، وروى عن أبيه وعمه الحسن، وعن جابر وابن عباس والمسور بن مخرمة وأبي هريرة وعائشة وصفية وأم سلمة أمهات المؤمنين، وعقب ابنه محمدا الباقر.

وأما **الحسين** فهو أبو عبد الله الحسين السبط بن علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي شهيد كربلاء، وريحانة الرسول ﷺ وثاني سيدي شاب أهل الجَنَّةِ، ولد رضي الله عنه بالمدينة المنورة لخمس ليال خلون من شعبان سنة أربع للهجرة، وتربي ونشأ في بيت النبوءة، وكان النبي ﷺ يحبه حبا شديدا ودعا له ولمن أحبه، وحفظ القرآن الكريم في سن مبكرة، وبرع في العلم والعمل، وكان عابدا ورعا تقيا حليما فصيحا جوادا كريما، وكان ذا شجاعة فائقة، وفضائله رضي الله عنه أشهر من أن تذكر وأكثر من أن تحصر. توفي يوم الجمعة يوم عاشوراء سنة إحدى وستين للهجرة ودفن جسمه الشريف بكربلاء، ودفن رأسه بقرب أمه فاطمة الزهراء بالبقيع، على المشهور، رضي الله عنهم وأرضاهم.

وعقب من الولد: عليا الأصغر، وفيه عقبه وإليه نسبة الحسينيين، ولقب بالأصغر للتمييز بينه وبين أخيه علي الأكبر؛ وله من الولد غيره آخرون لم يعقبوا، بعضهم مات في حياته وبعضهم استشهد معه في وقعة كربلاء.

ترجمة علي بن أبي طالب وذكر أولاده رضي الله عنهم

ولنختم هذه السلسلة المباركة بكلمة موجزة عن جدها الأكبر الذي هو: علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فأقول:

هو أبو الحسن وأبو تراب[1] علي كرم الله وجهه ابن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي، أمه فاطمة بنت أسد بن هاشم، ولد بمكة المكرمة ونشأ بها، وكفله رسول الله ﷺ فكان معه في المنزل إلى زمن الهجرة فتربى في بيت النبوة ونشأ فيه، وأسلم قبل أن يبلغ الحلم، وكان إسلامه بعيد البعثة، ولم يعبد الأصنام قط، هاجر بعد رسول الله ﷺ بقليل ؛ وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد خلفه في مكة ليؤدي عنه ما كان عنده من ودائع الناس فلحق به في قباء وصحبه إلى أن توفي وهو عنه راض، وآخى النبي ﷺ بينه وبين نفسه مرتين، وكان من كتّاب الوحي، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وكان سيد العلماء العاملين، وبطل الشجعان المشهورين، وأزهد الزهاد المذكورين، وأخطب الخطباء المفوهين، وأقضى القضاة العادلين، وصهر رسول الله ﷺ على ابنته فاطمة، وأبا الريحانتين. شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المشاهد كلها إلا تبوك فقد خلفه رسول الله ﷺ بها على أهله، وقال له: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي»[2]، وله في المشاهد بلاء عظيم وأثر حسن، فقد بارز أبطال أعداء الإسلام فصرعهم وفتح الحصون المستعصية وهدم الأصنام ونشر لواء الإسلام وثبت دعائمه ودافع عن رسول الله ﷺ، وكان رضي الله عنه ممن تولى غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم وكفنه وولي دفنه؛ ثم بويع بالخلافة بعد قتل عثمان بن عفان في ذي الحجة سنة ست وثلاثين في المسجد، وكان يومئذ أحق الصحابة

---

(1) هي كنية كناه بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسببها أنه وجده يوما نائما في دقعاء من التراب قد تترب منها وقد سقط رداؤه عن شقه، فجعل صلى الله عليه وسلم يحركه برجله ويمسح عنه التراب ويقول: «قم أبا تراب، قم أبا تراب» فما كان لعلي اسم أحب إليه من أبي تراب وإن كان ليفرح إذا دعي به. أخرجه البخاري ومسلم وأحمد.

(2) أخرجه مسلم.

بالخلافة فكان رابع الخلفاء الراشدين، ومكث فيها نحو أربع سنين حتى ضربه أشقى الناس عبد الرحمن بن ملجم المرادي الخارجي بالسيف على هامته يوم الجمعة لسبع عشرة ليلة مضت من شهر رمضان، كما يأتي[1].

وتوفي رضي الله عنه ليلة الأحد لإحدى عشرة ليلة بقيت منه سنة أربعين عن نحو ثلاث وستين سنة، وغسله ابناه الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر، وصلى عليه ابنه الحسن، ودفن بدار الإمارة بالكوفة على الراجح ليلا وعُمِّيَ قَبرُه خوفا عليه من الخوارج. وله من الولد من فاطمة بنت رسول الله ﷺ: الحسن والحسين ومحسن (ودرج) وأم كلثوم الكبرى (تزوجها عمر بن الخطاب) وزينب الكبرى، (تزوجها عبد الله) بن جعفر. وأولاده من غير فاطمة ـ على اختلاف في عددهم ـ هم محمد بن الحنفية، وهو محمد الأكبر أمه الحنفية، وهي خولة بنت جعفر بن قيس[2] من بني حنيفة، والعباس وجعفر وعثمان وعبد الله أمهم أم البنين بنت حرام من بني عامر بن صعصعة، ومحمد الأوسط أمه أمامة بنت أبي العاص بن الربيع، وأبو بكر وعبيد الله، أمهما ليلى بنت مسعود بن خالد الدارمية النهشلية، وهي التي تزوجها عبد الله بن جعفر خلف عليها عمه فجمع بين زوجة علي وابنته زينب فولدت له صالحا وأم محمد ابني عبد الله بن جعفر، فهما أخوا أبي بكر وعبيد الله ابني علي لأمهما.

ومن ولد علي أيضا محمد الأصغر أمه أم ولد، ويحيى (مات صغيرا) وعون، أمهما أسماء بنت عميس الخثعمية، فهما أخوا بني جعفر بن أبي طالب ومحمد بن أبي

---

(1) عند قول الناظم: *أما التجوبي مبيد حيدره* ... إلخ.

(2) قيس هذا ابن مسلمة بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع بن ثعلبة بن الدول بن حنيفة بن لُجيم؛ وخولة هذه سباها خالد بن الوليد في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه في أيام الردة من بني حنيفة فصارت لعلي بن أبي طالب فولدت له محمداً الأكبر (ابن الحنفية).

بكر لأمهم، وعمر الأكبر وطلحة أمهما حمنة بنت جحش وعمر الأصغر[1] ورقية - وهُما تَوْأَمٌ - أمهما أم حبيب الصهباء بنت ربيعة من بني تغلب، سبية سباها خالد بن الوليد في حرب الردة فاشتراها علي، وموسى وزكرياء ويوسف أمهم أم كلثوم بنت أبي بكر الصديق، وإسحاق ويعقوب وإسماعيل، أمهم أم أيمن بنت معاوية، والقاسم وإبراهيم ورقية (تزوجها مسلم بن عقيل) ورملة الكبرى (تزوجها أبو الهياج عبد الله بن أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ثم خلف عليها معاوية بن مروان بن الحكم) وأم الحسن (تزوجها جعدة بن هبيرة بن أبي وهب المخزومي) أمهم أم سعيد بنت عروة بن مسعود بن معتب الثقفية، وأم كلثوم الصغرى (تزوجها عبد الله الأصغر بن عقيل)، وزينب الصغرى (تزوجها محمد بن عقيل) وجمانة، وميمونة (تزوجها عبد الله الأكبر بن عقيل)، وخديجة (تزوجها عبد الرحمن بن عقيل)، وفاطمة (تزوجها محمد بن أبي سعيد بن عقيل) وأم الكرام، ونفيسة (تزوجها عبد الله الأكبر بن عقيل)، وأم سلمة، وأمامة (تزوجها الصلت بن عبد الله بن نوفل بن

---

(1) كان عمر هذا آخر ولد علي بن أبي طالب، وقد قدم مع أبان بن عثمان على الوليد بن عبد الملك يسأله أن يوليه صدقة أبيه علي بن أبي طالب، وكان يليها يومئذ ابن أخيه الحسن بن الحسن بن علي فعرض عليه الوليد الصلة وقضاء الدين، فقال: لا حاجة لي بذلك إنما جئت في صدقة أبي أنا أولى بها فاكتب لي في ولايتها، فكتب له الوليد رقعة فيها أبيات ربيع بن أبي الحقيق النضري:

إنا إذا مالت دواعي الهوى وأنصت السامع للقائل

واصطرع القوم بألبابهم نقضي بحكم عادل فاضل

لا نجعل الباطل حقا ولا نَلِطُّ دون الحق بالباطل

نخاف أن تَسْفُهَ أحلامنا فنخمل الدهر مع الخامل

ثم دفع الرقعة إلى أبان وقال: ادفعها إليه وأعلمه أني لا أدخل على ولد فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم غيرهم، فانصرف عمر غضبان و لم يقبل منه صلة - قاله الزبيري.

الحارث بن عبد المطلب)، وأم هانئ (تزوجها عبد الله الأكبر بن عقيل)، ورقية الصغرى.. لأمهات شتى.

وكان العقب من علي كرم الله وجهه في بنيه: السبطين ومحمد ابن الحنفية والعباس وعمر رضي الله عنهم، وتوفي عن أربع نسوة وتسع عشرة سرية[1].

تنبيهان:

الأول: أشرف الأنبياء في تواصل الآباء في النبوة: يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام، وفي يوسف قال صلى الله عليه وسلم: «الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم: يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم»[2] وأفضل الأنبياء والمرسلين والخلق على الإطلاق سيدنا محمد ﷺ، وأشرف الناس في الأمة نسبا وحسبا الحسن والحسين رضي الله عنهما: رسول الله ﷺ جدهما؛ والقاسم بن رسول الله ﷺ خالهما، وعلي بن أبي طالب أبوهما، وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أمهما، وخديجة بنت خويلد جدتهما؛ وأشرف الناس في النسب والصهر فاطمة الزهراء: رسول الله ﷺ أبوها، وخديجة أمها، وعلي بن أبي طالب زوجها، والحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة ولداها.

وقد سئل أبو بكر بن داود: أعائشة أفضل أم خديجة؟ فقال: عائشة أقرأها رسول الله ﷺ السلامَ من جبريل، وخديجة أقرأها جبريل السلام من ربها على لسان محمد صلى الله عليه وسلم، فهي أفضل. قيل له: فمن أفضل أخديجة أم فاطمة؟

---

(1) من البداية والنهاية لابن كثير وغيرها.

(2) عليهم السلام، أخرجه البخاري: 2 / 241.

فقال: إن رسول ا لله ﷺ قال: «فاطمة بضعة مني»[1]، فلا أعدل ببضعة من رسول ا لله ﷺ أحدا.

وقد قال رسول ا لله ﷺ : «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة وفاطمة سيدة نسائهم إلا ما كان لمريم بنت عمران»[2] فدخل في هذا الحديث أمها وأخواتها. ومما سادت به فاطمة أخواتها أنها ولدت سيد هذه الأمة وهو الحسن الذي قال فيه رسول ا لله ﷺ: «إن ابني هذا سيد»[3] ولأن أخواتها وأمها متن في حياة النبي صلى ا لله عليه وسلم فكن في صحيفته، ومات أبوها وهو سيد العالمين فكان رزؤه في صحيفتها، وميزانها ؛ وروى البزار من طريق عائشة أنه صلى ا لله عليه وسلم قال: «لَفَاطمةُ خير بناتي إنها أصيبت بي» فحق لمن كانت هذه حاله أن يسود نساء أهل الجنة، ومن سؤددها أيضا أن المهدي المبشر به في آخر الزمان من ذريتها، فهي مخصوصة بهذا كله. قاله في الروض الأنف؛ وا لله أعلم.

التنبيه الثاني : الأغلب في كلام الناظم رحمه ا لله عندما يتحدث عن أهل البيت أو يذكرهم أن يكون مشتملا على كثير من التنويه بهم والإشادة بفضلهم، بل ربما جر ذلك في بعض الأحيان إلى النيل من مناوئيهم، مما جعل في كلامه عنهم غالبا نبرة تشيع، والحقيقة أن كلامه في هذا المجال كان نابعا من غاية المحبة والتعظيم، و لم يكن عبارة عن المذهب المعروف بمذهب الشيعة، وإنما كان محبة خالصة لرسول ا لله ﷺ ولذوي قرابته انطلاقا من قوله تعالى

---

(1) حديث: «فاطمة بضعة مني..» إلخ أخرجه البخاري ومسلم.

(2) أخرجه أحمد في مسنده: 3 / 64.

(3) تقدم تخريجه.

﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾[1]، وانطلاقا من الأحاديث الواردة في الترغيب في محبتهم وتوقيرهم، وقد ذكر القرطبي بعضها في تفسير هذه الآية، وذكرها غيره.

وقد أكرم الله تعالى أحمد البدوي بمحبَّة رسول الله ﷺ ومحبة أهل البيت حتى ملكت عليه مشاعره وسرت في لحمه ودمه مما جعل أكثر اهتمامه ينصب على السيرة النبوية وما تعلق بها من التاريخ الإسلامي حتى كان ينطبق عليه قول الإمام الشافعي رحمه الله:

إن كان رفضا حب آل محمد　　　فليشهد الثقلان أني رافضي

وقوله:

فإن كان ذنبي حب آل محمد　　　فذلك ذنب لست منه أتوب

وكذلك كان هو وأهل بيته في محبة أهل البيت على ما كان عليه السلف الصالح من التوقير والإجلال لهم المأمور به كتابا وسنة، وليس على حساب غير أهل البيت من الصحابة وبقية السلف الصالح، بل كانوا على ما كان عليه أهل السنة من تفضيل أبي بكر وعمر وعثمان على علي مع غاية المحبة لعلي وغيره من أهل البيت والثناء عليهم بما هم أهله رضي الله عنهم، والله تعالى أعلم.

ثم قال رحمه الله وعفا عنه:

واستُشْهِدَتْ مِنْ آلِ خيرِ مُرسَلِ　　بِكَرْبَلا مَعَ الحُسَينِ بنِ عَلي

جَمَاعَةٌ مِّنها عَلِيُّ الأكْبَر　　وِلِضَنىً نجَا عَلِيُّ الأصْغَرُ

وأخْرَجُوهُ عَن خُبَيْبٍ بِثَمَنْ　　وَحَمَلُوهُ لِلْفُوَيْسِقِ فَمَنّ

---

(1) الشورى: 23.

عَلَيْهِ ، وهــوَ والِــدُ الْيَعْسُوبِ زَيْدٍ قَتِيلِ الاحْـوَلِ المَصْلُوبِ
وَصَلَبَتْ يَحْيَى ابْنَـهُ أَيْضاً بَنُو أُمَيَـــةٍ فَأُهْلِكُــوا وأُثْخِـــنُوا

استشهد (بالبناء للمفعول): قتل في سبيل ا لله، والشهيد: المقتـول في سبيل ا لله لأن ملائكة الرحمة تشهده، أو لأن ا لله وملائكته شهود له بالجنة، أو لأنه حي عند ربه حاضر؛ وقيل في اشتقاقه غير ذلك[1]. **وكربـلاء** (بفتـح الكـاف وسـكون الـراء وفتح الموحدة ممدودا): موضع مـن أرض العـراق بـه قتـل الحسـين رضـي ا لله عنـه. وقوله **جماعة** (بالرفع): نائب فاعل استشهدت. **والضنى** (بالفتح والقصـر): المـرض. **والفويسق** (بالتصغير): لقب اشتهر به يزيد بن معاويـة في هـذا النظـم. **ومـنَّ** عليـه: تفضل. وضمائر المفرد الأربعة في قوله **أخرجوه وحملوه وعليه وهـو والـد**.. عـائدة إلى **علي الأصغر**. **واليعسوب** في الأصل أمير النحـل، والمراد به هنا الرئيس الكبـير، يقال هو يعسوب قومه أي رئيسهم وكبيرهم. **وزيـد** (بـالجر) بـدل مـن اليعسـوب. **وقتيل والمصلوب** صفتان **لزيد**. **والأحول** هو هشام بـن عبـد الملـك، لقـب بذلـك لأنه كان أحول؛ وفيه يقول الشاعر:

يقلب رأسا لم يكن رأس سيد وعينا له حـولاء بادٍ عيوبها

وقوله **وأثخنوا** (بالبناء للمفعول) أي بولغ في قتلهم.

أشار الناظم رحمه ا لله بهذه الأبيات إلى قصة قتـل الحسـين ومـن معـه مـن أهـل البيت وغيرهم بكربلاء، وإلى سبب نجاة ابنه علي زيـن العـابدين مـن تلـك الفاجعـة الأليمة، وإلى قتل هشام بن عبد الملك وصلبه لزيد بن علي هذا، وإلى قتـل بـني أميـة وصلبهم لابنه يحيى بن زيد بن زين العابدين بن الحسين رضي ا لله عنهم.

---

(1) القاموس المحيط.

مسير الحسين إلى الكوفة ومقتله مع عترته بكربلاء

وحاصل ذلك أنه لما توفي معاوية في رجب سنة ستين وقام بالأمر بعده ابنه يزيد الفويسق بعث إلى الوليد بن عتبة بن أبي سفيان وهو - إذ ذاك - أمير على المدينة أن يأخذ له البيعة على أهلها، فبعث الوليد إلى الحسين بن علي وعبد ا لله بن الزبير ليلا، فلما أتياه سألهما أن يبايعا يزيد، فقالا له: مثلنا لا يبايع سرا، ولكنا نبايع على رؤوس الناس؛ ورجعا إلى بيتيهما وخرجا من ليلتهما إلى مكة و لم يبايعا.

أما ابن الزبير فلجأ إلى مكة عائذا بالبيت وأقام بها إلى أن قتل؛ فلذلك دعي "عائذ البيت"، وأما الحسين فأقام بها شعبان ورمضان وشوالا وذا القعدة وخرج يوم التروية يريد الكوفة. وذلك لأنه لما سمع أهل الكوفة بامتناعه من مبايعة يزيد أرسلوا إليه حمل بعير صحفا يستقدمونه ويعدونه أن يبايعوه، وبايعته منهم اثنا عشر ألفا، فتجهز للرحيل إليهم فنهاه ابن عباس، وبين له غدرهم لأبيه وخذلانهم لأخيه فلم يقبل، ثم نهاه عن المسير بأهله فأبى؛ فبكى ابن عباس ثم جاءه عبد ا لله بن عمر بمثل ما جاءه به ابن عباس فأبى، فاعتنقه ابن عمر وقبل ما بين عينيه وقال له: استودعك ا لله من قتيل، ثم قال: إني أحدثك بحديث ما حدثتُ به أحدا قبلك: إن جبريل خير النبي ﷺ بين الدنيا والآخرة فاختار الآخرة[1]، وإنكم بضعة منه فوا لله لا يليها أحد من أهل بيتك أبدا، وما صرفها ا لله عنكم إلا بما هو خير لكم؛ ونهاه - أيضا - ابن

---

(1) أخرجه البخاري وأحمد، وفي الحديث أنه صلى ا لله عليه وسلم خيره ا لله بين أن يكون نبيا ملكا أو نبيا عبدا على أنه إن اختار الملك فلن ينقص مما له عند ا لله شيئا، فاختار العبودية على الملك والفقر على الغنى عن رضا منه واختيار له، وقال صلى ا لله عليه وسلم: «إنا أهل بيت اختار ا لله عز وجل لنا الآخرة على الدنيا»، وقال: «إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد».

الزبير وقال له عبد الله بن مطيع: لا تفعل فوالله لئن قتلت لا تبقى حرمة إلا انتهكت، فلم يقبل رضي الله عنه. ثم سار بأهله فحزن المسلمون بمكة والمدينة لسيره، وبكى محمد ابن الحنفية لما بلغه ذلك.

ولما كان في أثناء الطريق بعث إلى أهل الكوفة ابن عمه مسلم بن عقيل ليخبرهم بذهابه إليهم ويأخذ له منهم البيعة ريثما يصل إليهم ، فلما وصل الكوفة وجد عبيد الله بن زياد بها، بعثه إليها يزيد بن معاوية؛ وكان ابن زياد قد قدم الكوفة متنكرا متلثما، فكان كلما مر بنادٍ وسلم عليه يقولون: وعليك السلام يا ابن بنت رسول الله ﷺ (يظنونه الحسين، وكانوا قد سمعوا بخروجه إليهم). ولم يزل ابن زياد كذلك حتى دخل المسجد فصعد المنبر وبايعوه فحسر لثامه فإذا هو ابن زياد فاستمروا على بيعته ليزيد بن معاوية، ولما رأى مسلم بن عقيل ذلك اختفى فأمر ابن زياد بطلبه والقبض عليه، فلما جيء به قدمه للقتل فقال له مسلم: دعني حتى أوصي ففعل ، فنظر مسلم في وجوه القوم فقال لعمرو بن سعد بن أبي وقاص: ما أرى هنا قرشيا غيرك فادن مني، فدنا منه فقال له: هل لك أن تكون سيد قريش؟ إن حسينا ومن معه تسعون إنسانا في الطريق فارددهم واكتب إليهم بما أصابني، ثم قتل رضي الله عنه؛ فقال عمرو لابن زياد: أتدري أيها الأمير بم سارني؟ قال: اكتم عَلَى ابنِ عمك، فقال: الأمر أكبر من هذا ؛ وأخبره بما قال، فقال له ابن زياد: أما إذ دللت عليه فوالله لا يقاتله غيرك، فاخرج إليه.

وجهز ابن زياد جيش الشقاء إلى الحسين وجماعته، وكان أكثر ذلك الجيش من الذين بايعوا الحسين وكتبوا إليه يستقدمونه. فخرجوا إليه ووجدوه بكربلاء وأحاطوا به، فلما رأى الحسين ذلك قال لعمرو بن سعد: اختر مني إحدى ثلاث: إما أن تتركني أرجع من حيث أتيت، وإما أن تسيرني إلى يزيد بن معاوية أضع يدي في يده، وإما أن تتركني أسير إلى الترك أقاتلهم حتى أموت.

فأرسل عمرو إلى ابن زياد بذلك، فقال: بل ينزل على حكمي، فقال الحسين: وا لله لا أنزل على حكم ابن مرجانة[1] فأبطأ عمرو عن قتاله، فكتب ابن زياد إلى شمر بن ذي الجوشن: إن تقدم عمرو فقاتل معه، وإلا فاضرب عنقه وكن مكانه. فعند ذلك قام ثلاثون رجلا من أهل الكوفة ممن كانوا مع عمرو فقالوا: أيعرض عليك ابن بنت رسول ا لله ﷺ ثلاث خصال فلا تقبل منها واحدة؟! فتحولوا عنه إلى الحسين فقاتلوا معه حتى قتلوا.

فحميت الحرب بينهم وأبلى فيها أصحاب الحسين بلاء حسنا حتى استشهدوا رضي ا لله عنهم. وكانوا ثمانية وثمانين فارسا، فيها من أهل البيت اثنان وعشرون: سبعة من أولاد علي بن أبي طالب لصلبه، وهم الحسين والعباس و عبد ا لله وجعفر وعثمان وأبو بكر ومحمد الأصغر؛ وخمسة من أسباطه وهم علي الأكبر وعبد ا لله ابنا الحسين بن علي والقاسم وعبد ا لله وأبو بكر أبناء الحسن بن علي وأربعة من أولاد عقيل لصلبه وهم مسلم وعبد ا لله وعبد الرحمن وجعفر. وثلاثة من أسباطه وهم عبد ا لله ومحمد ابنا مسلم بن عقيل، ومحمد بن أبي سعيد الأحول بن عقيل. وثلاثة من أسباط جعفر بن أبي طالب وهم محمد وعون وعبيد ا لله أبناء عبد ا لله بن جعفر. و لم يكن لهؤلاء يومئذ على وجه الأرض شبيه. [اللهم إنا نبرأ إليك مما فعل بهم].

أما الحسين رضي ا لله عنه فقد قتله سنان بن أبي أوس بن عمرو النَّخَعِيُّ، وقيل هلال بن قيس المذحجي، وشاركه في قتله شمر بن ذي

(1) مرجانة: أمُّه نسبه إليها، وكانت مجوسية وقيل كانت سَبِيَّةً من أصبهان.

الجوشــن[1] وأجهز عليه خولي بن يزيد الحميري الأصبحي، وحـز رأسـه وأتـى بـه عبيد الله بن زياد وقال له:

أوقـــر ركابي فضـة وذهبا إني قتــلتُ المِلِــكَ المحجَّبا
قتلتُ خـــيرَ النَّاس أماً وأبا وخــيرَهـم إذ ينسبـون نَسبا

فقال له ابن زياد: فإن كان خير الناس فلم قتلته؟! فأمر بقتله فقتل.

وأما العباس بن علي بن أبي طالب فقتله زيد بن رقاد الجنبي، وحكيم بن الطفيل الطائي، وكان معه لواء الجيش يومئذ وهو آخر من قتـل مـن إخوتـه فورثهـم إذ لم يكن لهم ولد، وورثه ابنه عبيد الله بن العباس، وكان العباس رضي الله عنـه وسـيما جميلا يقال له "قمر بني هاشم" ويسمونـه ـ أيضا ـ "السـقاء"، ويكنـى "أبـا قربـة"؛ فقد روي أن الحسين عطش بكرلاء فأخذ العباس قربة وحملها إليـه فشـرب الحسـين رضي الله عنه، وفي ذلك يقول بعض الشعراء:

أحــقُّ الناس أن يُبكَى عليــهِ ـ إذا بُكي ـ الحســينُ بكربلاءِ
أخــوه وابن والـــدِه علي أبو الفضل المضــرَّج بالدماء[2]
ومَــــن واساه لا يثنيه شيء وجاد له على عطـــشٍ بماءِ

وأما عبد الله وجعفر ابنا علي: فقتلهما هانئ بـن ثبيـت الحضرمـي، ولم يعقبـا، وأما عثمان بن علي فرماه خولي بن يزيد بسهم فأضعفه، فشد عليـه رجـل مـن بـني أبان بن دارم فقتله وحز رأسه. وأما أبو بكر بن علي فقتله رجل من همـدان، وقيـل لا يدرى قاتله. وأما محمد الأصغر بن علي فقتله ـ أيضا ـ رجل من بني أبان بن دارم من تميم.

---

(1) والأول هو الأشهر وقيل أيضا إن الذي قتله الحصين بن نمير؛ وقيل المهاجر بن أوس التميمـي وقيـل كثير بن عبد الله الشعبي.

(2) الملطخ بها.

وأما علي الأكبر بن الحسين الذي ذكره الناظم فقد ولد في خلافة عثمان رضي الله عنه، ويكنى أبا الحسن، أمه ليلى بنت أبي مرة بن عروة الثقفية، وأمها ميمونة بنت أبي سفيان بن حرب، وكان من سادات الطالبيين، وكان من أشجع الناس وأسخاهم. روي أن معاوية قال: من أحق الناس بهذا الأمر؟ فقيل له: أنت، قال: لا بل أولى الناس به علي بن الحسين بن علي جده رسول الله ﷺ وفيه شجاعة بني هاشم وسخاء بني أمية، وزهو ثقيف[1]. ومما قيل فيه:

لم تَـرَ عين نظـرتْ مثلَه	من محتفٍ يمشي ومن ناعِـلِ
يُغْلي نَيِّ اللَّحـمِ حتى إذا	أنضـج لم يُغْلِ على الآكل[2]
كان إذا شُبَّـت له نارُه	أوقدَهَا بالشـرف القابل[3]
كيما يراها بائـسٌ مرمل	أو فـرد حي ليس بالآهل[4]
لا يؤثر الدنيا على دينـهِ	ولا يبيع الحـقَّ بالباطـلِ

وقاتل علي رضي الله عنه يوم كربلاء أمام والده الحسين، وأبلى بلاءً حسناً. وروي أنه تلقاه رجل من أهل العراق وقال له: إن لك قرابة بأمير المؤمنين (يعني يزيد بن معاوية) ونريد أن نرعى هذه الرحم، فإن شئت أمَّناك، فقال له علي: لقرابة رسول الله ﷺ أحق أن ترعى، وتقدم علي وهو يرتجز، ويقول:

---

(1) الزهو: الكبر والتيه والفخر.

(2) يغلي: من أغلى القدر إغلاء: جعلها تغلي أي تجيش بقوة الحرارة، ونَيُّ اللَّحمِ: أي بَيِّنُ النُّيُوءَةِ وهو الذي لم ينضج، و لم يغل على الآكل أي لم يبخل به عليه.

(3) شب النار: أوقدها، والشرف: ما ارتفع من الأرض، والقابل والقبل (بالتحريك): المرتفع من الأرض يستقبلك.

(4) البائس: الفقير الشديد الحاجة. والمرمل: المحتاج، والذي نفد زاده حتى أشرف على الموت. وليس بالآهل أي: ليس له أهل يأوي إليهم.

أنا علي بن الحسين بن علي نحن وبيت الله أولى بالنبي

تا لله لا يحكم فينا ابن الدعي[1]

وهو أول من قتل في هذه الوقعة الأليمة، قيل قتله مرة بن منقذ بن النعمان العبدي من بني عبد القيس، فانهال أصحاب الحسين على مرة وقطّعوه بأسيافهم، وضم الحسين إليه عليا فلما مات بين يديه قال: قتل الله قوما قتلوك يا بني، وعلى الدنيا بعدك العفاء[2]. و لم يعقب رضي الله عنه وإنما قيل له علي الأكبر تمييزا له عن أخيه علي الأصغر.

وأما القاسم بن الحسن بن علي فقتله عمرو بن سعد بن نفيل الأزدي. وأما عبد الله بن الحسن فقتله حرملة بن كاهل الأسدي، وقيل قتله غيره. وأما أبو بكر بن الحسن فقتله عبد الله بن عقبة الغنوي. وأما مسلم بن عقيل بن أبي طالب فهو أول قتيل من أصحاب الحسين، قتله ابن زياد بالكوفة قبل أن يوجه جيشه إلى الحسين. وأما عبد الله بن عقيل فقيل قتله عثمان بن خالد الجهني وقيل عمرو بن صبيح الصدائي.

وأما عبد الرحمن بن عقيل فقتله عثمان بن خالد الجهني وبشر بن حوط القابضي. وأما عبد الله بن مسلم بن عقيل (وأمه رقية بنت علي بن أبي طالب) فاختلف فيمن قتله، فقيل عمرو بن صبيح الصدائي وقيل أسيد بن مالك الحضرمي. وأما محمد بن مسلم بن عقيل فقتله أبو مرهم الأزدي ولقيط بن ياسر الجهني. وأما محمد بن أبي سعيد الأحول بن عقيل فقتله لقيط بن ياسر الجهني. وأما محمد بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب فقتله عامر بن نهشل التميمي. وأما عون بن عبد الله

---

(1) الدَّعيُّ: المتهم في نسبه أو المنسوب إلى غير أبيه، والمراد به هنا زياد بن أبيه والد عبيد الله المذكور.

(2) العفاء: الزوال والهلاك.

بن جعفر (أمه زينب بنت علي من فاطمة الزهراء) فقتله عبد الله بن قطنة التيهاني.

ولما قتل الحسين ومن معه رضي الله عنهم حمل الجيشُ رؤوس القتلى إلى عبيد الله بن زياد بالكوفة وكانت الرؤوس اثنين وسبعين رأسا: حمل خولي بن يزيد رأس الحسين ، وحملت كندة ثلاثة عشر رأسا، وهوازن عشرين، وبنو تميم عشرين، وبنو أسد سبعة، ومذحج أحد عشر.

هذا وكانت معركة ومصيبة كربلاء هذه من أعظم المصائب على المسلمين وحزن الناس لذلك المصاب، وطفق الشعراء يبكون ويندبون هؤلاء القتلى. فمن ذلك قول مسلم بن قتيبة مولى بني هاشم:

عين جودي بعَبرةٍ وعويل ... واندبي إن ندبت آل الرسولِ
فاندبي سبعةً لصُلب عليٍّ ... قد أصيبوا وخمسةً لعقيل
وابن عم النبي عونا أخاهم ... ليس فيما ينوبهم بخذول
فلعمري لقد أُصبْتِ ذوي القر ... بى فبَكّي على المصاب الجليل
واندبي كهلهم فليس إذا ما ... عُدَّ في الخير كهلُهم كالكهول
لعن الله ذو الجلال زيادا ... وابنَه والعجوزَ ذاتَ البعول

ومنه قول زينب بنت علي بن أبي طالب:

ما ذا تقولون إن قال النبيُّ لكم: ... ما ذا فعلتمْ وأنتم آخر الأمم
بأهلِ بيتي وأنصاري وذريتي ... منهم أسارى وقتلى ضُرجوا بدم؟[1]
ما كان هذا جزائي إذ نصحتُ لكم ... أن تخلفوني بسُوء في ذوي رحمي[2]

وقال سليمان بن قَتَّةَ:

---

(1) ضرجوا بدم: أي لطخوا به.

(2) روي أن أبا الأسود لما سمع هذا قال: نقول: ﴿ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين﴾.

وإن قتيل الطف[1] من آل هاشم أذل رقابا من قريش فذلـــت
مررت على أبيات آل محمـــد فألفيتـــها أمثَالها حيث حُلَّت
وكانوا لنا غنما فعادوا رزيـة لقد عظمت تلك الرزايا وجلت
فـــلا يبعد الله الديار وأهلــها وإن أصبحت منهم برغمي تخلت
إذا افتقـرت قيس جبرنا فقيرها وتقتلنا قيس إذا النعـــل زلت
وعند غني قطـــرة من دمائنا سنجزيهم يوماً بها حيـث حلت
ألم تر أن الأرض أضحت مريضة لفقد حسين والبـــلاد اقشعرت
وقد أعولت تبكي السماء لفقده وأنجمها ناحـــت عليه وصلت

وللرباب بنت امرئ القيس زوج الحسين:

إن الذي كان نورا يستضاء به بكربـــلاء قتيلا غير مدفـــون
سبط النبي جزاك الله صالحـة عني وجنبت خســـران الموازين
قد كنت لي جبلا صعبا ألوذ به وكنت تصحبنا بالرحـم والدين
من لليتامى ومـن للسائلين ومن يغني ويأوي إليه كـــل مسكين؟
والله لا أبتغي صهـــرا بصهركم حتى أغيبَ بين الرمـــل والطين

وقال آخر:

أترجـــوأمة قتلتْ حســيناً شفاعةَ جـــدِّه يـوم الحسابِ؟

ولمنصور النمري:

ويلك يا قاتـــل الحسين لقـــد بُــؤت بحمل ينوء بالحامـــل[2]
أي حباء حبـــوت أحمد في حفرته من حـــرارة الثاكل[3]

---

(1) الطف: موضع قرب الكوفة، قتل به الحسين رضي الله عنه، والطـف أيضـا: مـا أشـرف مـن أرض العرب على ريف العراق.

(2) بؤت: أي رجعت. والحمل (بكسر وضم) ما يحمل. وينوء بالحامل: أي يثقله النهوض به.

(3) الحباء (ككتاب): اسم للعطية، وحباه: أعطـاه بـلا جـزاء ولا مـن، والحرارة هنـا المـراد بهـا شـدة الحزن. والثاكل: فاقد الولد أو الحبيب.

تعالَ فاطلـــــب غدا شفاعته　　وانهض فردْ حوضه مع الناهل[1]

ما الشك عندي بحال قاتلـــه　　لكنـــي قـــد أشـــك في الخاذل ..إلخ.

هذا وكان قتل الحسين بن علي رضي الله عنهما يوم عاشوراء يوم الجمعة سنة إحدى وستين. وروي أنه لم يشارك في قتله أحد إلا أصيب ببلاء ؛ ولم تقم قائمة بعد قتله لآل حرب وزياد، وسلبهم الله ملكهم وأهلكهم على يد المختار بن أبي عبيد كما تقدم.

قوله : ولضنى نجا علي الأصغر[2].. إلخ: أشار به إلى ما رواه الزبيري وغيره في قصة نجاة علي زين العابدين بن الحسين، قال: كان علي بن الحسين مع أبيه يومئذ[3] وهو ابن ثلاث وعشرين سنة، وكان مريضا، فلما قتل الحسين قال عمرو بن سعد: لا تعرضوا لهذا المريض، قال علي: فغيبني رجل منهم وأكرم نزلي وحضنني وجعل يبكي كلما دخل وخرج حتى كنت أقول إن يكن عند أحد خير فعند هذا، إلى أن نادى منادي ابن زياد: ألا من وجد علي بن الحسين فليأت به فقد جعلنا فيه ثلاثمائة درهم، قال: فدخل علي والله وهو يبكي وجعل يربط يدي إلى عنقي وهو يقول: أخاف فأخرجني إليهم مربوطا حتى دفعني إليهم وأخذ ثلاثمائة درهم وأنا أنظر، فأدخلت على ابن زياد فقال: ما اسمك؟ فقلت: علي بن الحسين، فقال: أو لم يقتل

---

(1) روي أن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه قال: لو كنت من قتلة الحسين وغفر الله لي وأدخلني الجنة لما دخلتها حياء من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال عبيد الله بن زياد لحارثة بن بدر العدواني: ما تقول فيَّ وفي الحسين يوم القيامة؟ قال: يشفع له أبوه وجده صلى الله عليه وسلم، ويشفع لك أبوك وجدك فاعرف هاهنا ما تريد!.

(2) نجا من وقعة كربلاء علي زين العابدين لأنه كان مريضا لم يحضر المعركة وأخوه الأصغر عمر وعمتهما زينب بنت علي وأختاهما فاطمة وسكينة.

(3) أي يوم كربلاء.

الله عليا؟ قلت: كان لي أخ يقال له علي أكبر مني قتله الناس، قال: بل الله قتله، قلت: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ﴾[1]، فأمر بقتله، فصاحت زينب بنت علي: يا ابن زياد حسبك من دمائنا، أسألك بالله إن قتلته إلا قتلتني معه، فتركه. وسيرهم إلى يزيد بن معاوية في الشام. فلما صاروا إليه قام رجل من أهل الشام وأشار إليه بقتل علي، وقال: إن نساءهم لنا حلال، فقال علي بن الحسين: كذبت ما ذلك لك إلا أن تخرج من ملتنا، فأطرق يزيد مليا ثم قال لعلي بن الحسين: إن أحببت أن تقيم عندنا فنصل رحمك فعلت وإن أحببت وصلتك ورددتك إلى بلدك؟ قال: بل تردني إلى المدينة، فرده ووصله.

وروي أن عبيد الله بن زياد أرسل رأس الحسين ومن معه من أهله إلى يزيد بدمشق مع شمر بن ذي الجوشن في جماعة من أصحابه فلما قصُّوا عليه قصة أهل كربلاء دمعت عيناه، وقال: ويحكم قد كنت أرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين لعن الله ابن مرجانة، والله لو كنت صاحبه لعفوت عنه، ثم أمر بالذرية فأدخلوا دار نسائه وأكرمهم وعظمهم وتلطف بهم، فكان إذا حضر غداؤه دعا علي بن الحسين وأخاه عمر بن الحسين فأكلا معه، ثم وجههم إلى المدينة ووجه معهم ثلاثين فارسا يصحبونهم حتى وصلوا المدينة. فأقام بها زين العابدين محترما معظما، وكان رضي الله عنه أفضل هاشمي، ومات وهو ابن ثمان وخمسين سنة ودفن بالبقيع سنة أربع وتسعين.

قوله **وأخرجوه عن خبيب**.. إلخ يعني بخبيب الرجل الذي كان عنده علي بن الحسين والذي أخذا فداءه من ابن زياد وهو رجل من أهـــل الكوفـــة كان يخفي عليا

---

(1) الزمر: 42.

في داره، وقيل بل أخذه أسيرا و لم يزل عنده حتى نادى منادي ابن زياد.

قوله **وهو والد اليعسوب**.. إلخ: يعني أن عليا الأصغر بن الحسين هذا هو والد زيد بن علي، يعسوب قومه أي رئيسهم وكبيرهم؛ وكان زيد بن علي من سادات بني هاشم واشتهر بالفضل والعبادة، ولما ظهرَ في قومه وساد أتته طائفة كبيرة من أهل الكوفة وقالوا له: تبرأ من أبي بكر وعمر حتى نبايعك ، فأبى فقالوا له: إذا نرفضك فمن ذلك سموا بالرَّوافض، ثم جاءته طائفة أخرى وقالوا له: بل نتولاهما ونبرأ ممن تبرأ منهما وبايعوه وخرجوا معه فمن ذلك سموا بالزيدية نسبة إلى زيد بن زين العابدين هذا، وكان ذلك في زمن هشام بن عبد الملك.

ثم إن زيدا هذا خرج هو ومن معه على هشام فطلبه، وبعث إليه وزيره نائب العراق يوسف بن عمرو الثقفي، ابن عم الحجاج بن يوسف، فلم يزل يطلبه حتى ظفر به فقتله ثم أخذه هشام وصلبه بالكناسة[1] عريانا على جذع فبنت العنكبوت على عورته فسترتها فلم ير أحد عورته، ثم أنزل جثته وأحرقها وذراها بالفرات، وقيل بل بقي مصلوبا إلى خلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك فأنزله وأحرقه، وكان مقتله يوم الاثنين لليلتين خلتا من صفر سنة مائة وعشرين بالكوفة في المصَافِّ[2].

ولما قتلت بنو أمية زيدا هذا خرج عليهم ابنه يحيى بن زيد بن علي ومعه شيعته، وكان ذلك في زمن الوليد بن يزيد، فطلبوه، وبعد حروب جرت بينهم وبين شيعته قتلوه وصلبوه. ولشؤم ما فعل الأمويون بزيد هذا وابنه يحيى وسائر أهل البيت اضطربت أركان دولتهم وبدأت تنهار، ولما ولي عبد الله السفاح بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس الخلافة أمر بهشام فنبش قبره فوجد بحاله لأنه كان قد طلي

---

(1) الكناسة (بالضم): موضع بالكوفة.

(2) المصافُّ: جمع مَصَفّ: موضع الصَّفِّ وهو واحد الصفوف.

بالصَّبْرِ لِيَلاَّ يتغير[1]، فجلده حتى تناثر لحمه وأحرقه مثل ما فعل بزيد بن علي جزاء وفاقا، ثم أسرف في تقتيل واستئصال بني أمية والتنكيل بهم، وكذلك فعل بهم أبو جعفر المنصور؛ وتتبعوا قبور الأمويين يجلدونهم ويحرقونهم، فأظهر الله الانتقام لآل علي بن أبي طالب من الأمويين على أيدي العباسيين الذين كان أغلبهم ـ أيضا ـ أعداء لبني علي، لأنهم ينازعونهم الملك ويخرجون عليهم كثيرا؛ وإلى ذلك أشار الناظم بقوله **وصلبت يحيى ابنه أيضا بنو أمية**..إلخ.

حقارة الدنيا وخستها

هذا وإن للعاقل هنا وقفة حتى ينظر بعين الحقيقة إلى الدنيا ليرى خستها وحقارتها وانحطاط درجتها وإعراضها عن أهل الفضل، فما وقع فيها لأهل البيت يحير الألباب فهم شجرة النبوة ومهبط الرسالة ومنبع الرحمة ومعدن العلم وينابيع الحكمة، محبهم يرجو رضوان الله والفوز بالنعيم، ومبغضهم يستقبل نقمة الله وأليم عذابه، نسأل الله تعالى العافية. وقد تعرضوا لما تعرضوا له من الأمويين والعباسيين وغيرهم، ولكنهم كانوا على جانب عظيم من الرضا بالقضاء، وإن كان مراًّ، لقوة اليقين بالله تعالى وبعد نظرهم وكمال عقولهم؛ وقد لمح لذلك علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه حيث يقول:

عتبتُ على الدنيا فقلت: إلى متى ... أكابد هما بؤسه ليس ينجلي؟

أكُل شريف من علي نجاره[2] ... حرام عليه العيش غير محلل؟

فقالت: نعم يا ابن الحسين رميتكم ... بسهميْ عناد منذ طلقني علي

---

(1) صبَّر الميتَ: جعل الصَّبْر في جوفه ليلا تسرع النتانة إليه.

(2) النجار (بالكسر): الأصل.

يشير بذلك إلى قول علي كرم الله وجهه وهو يخاطب الدنيا: "إليك عني يا دنيا أَلِيَ تعرضت أم إِلَيَّ تشوفت ؟ هيهات غري بذلك غيري، لقد طلقتك ثلاثا لا رجعة فيها". وللشافعي رحمه الله:

إن لله عبادا فطنا طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا
نظروا فيها فلما علموا أنها ليست لحي وطنا
جعلوها لجة واتخذوا صالح الأعمال فيها سفنا

وفي الخبر: «لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء» [رواه الترمذي]؛ ولذلك لم يرضها الله سبحانه وتعالى دار جزاء لأنبيائه ولا لأوليائه. ولقد أحسن من قال:

عتبت على الدنيا بتقديم جاهلٍ وتأخير ذي علم فقالت: خذ العذرا
بنو الجهل أبنائي وكل فضيلة فأبناؤها أبناء ضرتيَ الأخرى!

وقال:

ليس الزمان ـ وإن حرصت ـ مسالما خلق الزمان عداوة الأحرار

وقال آخر:

ومن الدليل على القضاء وحكمه بؤس اللبيب وطيب عيش الأحمقِ

هذا وقد انتقم الله من قتلة الحسين وشيعته على يد المختار بن أبي عبيد بن مسعود بن عمرو الثقفي، وكان قد خرج يطلب بثار الحسين بن علي رضي الله عنهما فاجتمع عليه كثير من الشيعة بالكوفة حتى غلب عليها فطلب قتلة الحسين فقتلهم: قتل عبيد الله بن زياد، وقتل شمرْ بن ذي الجوشن الضبابي، وخولي بن يزيد الأصبحي، وعمرو بن سعد بن أبي وقاص، قائد الجيش وابنه حفص بن عمرو.

تنبيه: تكرر من الناظم في هذا النظم وغيره إطلاق الفويسق على يزيد بن معاوية كثيرا حتى أصبح عنده لقبا له يعرف به عند الإطلاق، مثل قوله *عن دينه ببيعة الفويسق*.. وقوله *وبعد ذلك الفويسق أمر*.. وقوله *وللفويسق مضعف*.. وقوله *وبنتها أبت عن الفويسق* .. وقوله *وبالفويسق أضرت صرعته*..؛ ووصفه بالفسق والشر في قوله: *لفسقه عن أم إسحاق قدع*، وقوله *ووالي شرهم* .. إلخ.. ورغم استعمال الناظم لهذا أكثر من غيره فقد سبق إلى وصف يزيد هذا بالفسق حتى من بعض أعوانه؛ فقد وصفه به وزيره ووزير أبيه قبله عبيد الله بن زياد بن أبيه، ففي البداية والنهاية[1] لابن كثير: كتب يزيد إلى عبيد الله بن زياد أن يسير إلى ابن الزبير فيحاصره بمكة فأبى عليه ، وقال: والله لا أجمعهما للفاسق أبدا: قتل ابن بنت رسول الله ﷺ وغزو البيت الحرام. وفيه أيضا: أن من منعوا لعْن يزيد حملوا ما صدر منه من سوء التصرفات على أنه تأول وأخطأ ، وقالوا: إنه كان مع ذلك إماماً فاسقاً، والإمام الفاسق لا يعزل ولا يجوز الخروج عليه لمجرد فسقه. والله أعلم.

ثم قال رحمه الله:

وَالْمَحْضُ مِنْهُ الجَوْنُ وَالأَدَارِسَهْ ... عَنْ أَرْضِهِمْ أَجْلَتْهُمُ الْعَبَابِسَهْ

وَالْجَوْنُ مُوسَى انْتَسَبَ الرَّبَّانِي ... إِلَيْهِ عَبْدُ الْقَادِرِ الْجِيلَانِي

قوله **المحض**: مبتدأ. و**الجون**: مبتدأ خبره المجرور قبله والجملة خبر **المحض**؛

(1) راجع البداية والنهاية لابن كثير: 4 / 219.

والمحض لقب عبد الله الكامل بن الحسن المثنى كما مـر. **والأدارسـة**: عطـف علـى الجون، والمراد بهم ملوك المغرب الأقصى؛ عرفوا بالنسبة إلى أبيهم وجدهـم إدريـس بن إدريس بن عبد الله المحض. وقوله **عـن أرضهـم**: متعلـق **بـأجلتهم**، والضمـير في **أرضهم وأجلتهم** عائد علـى الأدارسـة. وقولـه **أجلتهـم** أي أخرجتهـم مـن بلدهـم وأبعدتهم عنه وهو الحجاز. **والعبابسة** فاعل أجلتهم، والمراد بهم الملوك العباسـيون، وأطلقت عليهم العبابسة كالأدارسة لبني إدريس والمهالبة لبني المهلب، والأشاعثة لبني الأشعث.. قوله **والجون**: مبتدأ، **وموسى** بدل منه أو عطف بيان عليه. والجون لقب موسى بن عبد الله المحض. وجملة **انتسب الربـاني** إلخ: خـبر الجـون. **والربـاني** هـو الذي يسوس الناس بالعلم ويربيهم بصغاره قبل كباره، وقيل هو الفقيه السـيد، قـال الشاعر:

لو كنـت مرتهنا في القوس[1] أفتنني منها الكـــلامُ وربانـــي أحبار

وقيل **الرباني** المنسوب إلى علم الرب والفقه فيما أنزل. قوله **إليه**: متعلـق **بانتسـب**. **وعبد القادر** (بالرفع): بدل من **الرباني**. **والجيلاني** (بكسر الجيم) صفة لعبد القادر، وهي نسبة لجيلان لإقليمٍ بالعجم (معرب كيلان) ويقال في نسبته إليه أيضا الكيلاني (بكسر الكاف)، ويقال فيه الجيلي.

يعني أن من ذرية عبد الله المحض ابنيه لصلبه وهما موسى الجـون جـد القطـب الرباني عبد القادر الجيلاني، وإدريس جـد الأدارسـة ملـوك المغـرب الذيـن أجلتهـم ملوك بني العباس عن الحجاز.

---

(1) القوس: صومعة الراهب.

أما **موسى الجون** فهو أبو الحسن موسى بن عبد ا لله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب الهاشمي العلوي، أمه هند بنت أبي عبيدة بن عبد ا لله بن زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصي، سكن رضي ا لله عنه المدينة وكانت له رواية، وكان من شعراء الطالبيين وهو القائل:

تولَّت بهجَـــةُ الدنيا　　فكلُّ جديدِهَا خَلَـــقُ
وخان النَّاسُ كلُّهُـــمُ　　فما أدري بمــن أَثِقُ
رأيتُ مَعَالِـمَ الخيرا　　ت سُدَّت دونَـها الطرقُ
فلا حَسَـبٌ ولاَ نَسَبٌ　　ولا دِينٌ ولا خُلُـــقُ
فَلستُ مُصَـدِّقَ الأقوا　　مِ في شَـيءٍ وإن صَدَقُوا

وله أيضا:

إذا أنا لم أقبـل من الدهـر كلما　　تكرهت منه طال عـتبي على الدهرِ
إلى ا لله كل الأمر في الخلـق كلهم　　وليس إلى المخلوق شيء من الأمر
تعـودت مس الضُّـر حتى أَلِفْتُه　　وأسلمني طـولُ البِلاء إلى الصبر
ووسع صدري للأذى الأنس بالأذى　　وإن كنـت أحيانا يضيق به صدري
وصيرني يأسي من الناس راجـيا　　لسرعة لطف ا لله من حيث لا أدري

وكان قد خرج مع أخويه محمد وإبراهيم على أبي جعفر المنصور فطلبهم حتى ظفر بهم فقتل محمدا وإبراهيم، وضرب موسى الجون ألف سوط فما نطق بحرف واحد، فقيل له في ذلك فقال:

إني من القَـوم الذين يزيدهم　　جلَدا وصبرا قسـوةُ السلطان

ثم عفا عنه وسكـن بغداد وعاش إلى أيام الرشيـد، وتوفي سنة مائة وثمانين وله عقب كثير.

وأما **إدريس** فهو ابن عبد ا لله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب الهاشمي العلوي، أمه عاتكة بنت عبد الملك بن الحارث المخزومية.

أول ملوك الأدارسة بالمغرب

وإدريس هذا هو مؤسس دولة الأدارسة في المغرب وإليه نسبتها وهو أول من دخل بلاد المغرب من الطالبيين وكان أول ما عرف عنه أنه كان مع الحسن بن علي بن الحسن المثلث في المدينة أيام ثورته على الهادي العباسي سنة تسع وستين ومائة، ثم قتل الحسن فانهزم إدريس إلى مصر فالمغرب الأقصى سنة اثنتين وسبعين ومائة، وكان قد فر هو وأخوه سليمان من وقعة فخ التي أوقعها العباسيون بالعلويين، فخرجا ومعهما مولى لإدريس اسمه راشد، خرجوا في جملة حجاج مصر وإفريقية حتى دخلوا بلاد المغرب فوصلوا إلىطنجة وفاس فأقاموا ثَم. ونزل إدريس بمدينة "وليلي" قرب مدينة مكناس فعرفهم بنفسه فأجاروه وأكرموه وخلعوا طاعة العباسيين وبايعوه واستجابت البربر له وتعصب له متعصبون فملك المغرب الأقصى وتم له الأمر سنة اثنتين وسبعين ومائة، فجمع جيشا عظيما وخرج به غازيا فبلغ بلاد تادلة قرب فاس ففتح معاقلها، ثم عاد إلى وليلي ثم غزا تلمسان فبايعوه وعظم أمره، فلما بلغ ذلك هارون الرشيد حزن ثم وجه إليه الشماخ مولى المهدي وكان طبيبا فأظهر له أنه من الشيعة وأنه طبيب فاحتال أن سقاه السم فمات منه بمدينة وليلي سنة سبع وسبعين ومائة. وكان إدريس بن عبد الله المحض هذا قد ترك زوجه حاملا فولدت غلاما سمي إدريس باسم أبيه؛ وكان مولده بمدينة وليلي سنة سبع وسبعين ومائة، وكان راشد مولى أبيه يرعاه حتى شب ثم مات راشد فكفله بعده أبو خالد العبدي حتى بلغ الحادية عشرة فبايعه البربر في جامع وليلي فخلف أباه إدريس الأكبر، فكان ثاني ملوك الأدارسة في المغرب الأقصى ، وقام بأمر البربر أحسن قيام ووليه أحسن ولاية، وكان فارسا شجاعا جوادا شاعرا فصيحا حازما، وأحبته رعيته واستمال أهل تونس وطرابلس والأندلس إليه، وكانت في أيدي العباسيين بالمشرق يحكمها ولاتهم؛ واختط مدينة فاس سنة اثنتين وتسعين ومائة

وانتقل إليها وغزا بلاد المصامدة فاستولى عليها وزار تلمسان فأصلح سورها وجامعها، وأقام فيها ثلاث سنوات ثم عاد إلى فاس، واقتطع المغربين الأقصى والأوسط عن دعوة العباسيين وانتظمت له كلمة البربر وزناتة وصفا له ملك المغرب وضرب السكة باسمه، وتوفي بفاس. ثم تتابع بعده أولاده على الملك بالمغرب وصاروا يعرفون بالأدارسة المغربيين، و لم يزالوا كذلك إلى أن انتزعه منهم المنصور[1] بن أبي عامر القحطاني وغلبهم عليه وضمه إلى ما بيده من الأندلس.

ومن بقايا الأدارسة بنو حمود بن ميمون بن أحمد بن علي بن عبد الله بن عمرو بن إدريس ملوك الأندلس بعد بني أمية ، وأول من ملك منهم علي بن حمود، ثم أخوه القاسم.

وأما **سليمان** بن عبد الله المحض الذي فر مع أخيه إدريس من وقعة فخ إلى المغرب فلحق بتاهرت ثم بتلمسان فملكها وملك ما معها من المغرب الأوسط، وقد قيل إن العباسيين ظفروا به وقتلوه صبرا[2] في أيام موسى الهادي بن محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور.

---

(1) هو أبو عامر محمد بن عبد الله بن أبي عامر محمد بن عبد الله المعافري القحطاني الملقب بالمنصور أمير الأندلس في دولة المؤيد الأموي وأحد الشجعان الدهاة، أمه من تميم وأصله من الجزيرة الخضراء قدم قرطبة شابا طالبا للعلم فبرع، وكان عالي الهمة طموحا، فاتصل بصبح أم المؤيد وخدمها وولي النظر في أموالها وضياعها، فعظمت مكانته عندها، ولما مات زوجها المستنصر الأموي كان ابنها المؤيد صغيرا فضمن لها أبو عامر سكون البلاد واستمرار النفوذ والقيام بشؤون الدولة، فغزا وفتح ودامت له الإمارة ستا وعشرين سنة غزا خلالها بلاد الإفرنج غزوات كثيرة، وكانت الدعوة على المنابر في أيامه للمؤيد والملك لأبي عامر، ولحسن سياسته وقوة إدارته لم ينتقض عليه شيء في حياته. مات في بعض غزواته بمدينة سالم سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة.

(2) يقال قتل صبرا أي حبس على القتل حتى يقتل، وحلف صبرا: أي حبس على اليمين إلى أن يحلف.

ومن عقب موسى الجون عبد ا لله بن موسى الجون الذي توارى في أيام المتوكل حتى مات. ومنه موسى بن عبد ا لله بن موسى الجون، كان رجلا صالحا راوية للحديث، خرج في أيام المهتدي فظفر به فقتله. وابنه إبراهيم بن موسى خرج أيضا في أيام المهتدي فحبسه حتى مات ودفن بالبقيع. ومن الجون أيضا محمد بن صالح بن عبد ا لله بن الجون، كان من فتيان الطالبيين وفتاكهم وشجعانهم وشعرائهم، خرج في أيام المتوكل بن محمد بن المعتصم بن هارون الرشيد.

ومن عقب الجون أيضا بنو الأخيضر بن يوسف بن إبراهيم بن موسى الجون القائمون باليمامة، وذلك أن إسماعيل بن يوسف أخا الأخيضر قصد مكة فاستولى عليها سنة إحدى وسبعين ومائتين وسمي السفاك ثم هلك فولي بعده أخوه الأخيضر وقصد اليمامة فملكها ثم بعده ابنه يوسف ثم ابنه إسماعيل بن يوسف ثم أخوه الحسن بن يوسف ثم ابنه أحمد بن الحسن، حتى غلب عليها القرامطة.

ومن عقب الجون أيضا الهواشم وهم بنو أبي هاشم محمد بن الحسن بن محمد بن موسى بن عبد ا لله بن أبي الكرام بن موسى الجون، وهم أمراء مكة بعد السليمانيين. والسليمانيون هم بنو سليمان بن داود بن الحسن المثنى، وهو ابن عم موسى الجون وقد ملك السليمانيون مكة المكرمة بعد نواب بني العباس، ثم ملكها بعدهم أبناء عمهم الهواشم المذكورون.

عبد القادر الجيلاني

ومن عقب موسى الجون أيضا ـ كما ذكره الناظم ـ العالم الرباني المشهور أبو محمد عبد القادر بن أبي صالح موسى بن عبد ا لله بن يحيى الزاهد بن محمد بن داوود بن موسى بن عبد ا لله بن أبي الكرام بن موسى الجون بن عبد ا لله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط الهاشمي العلوي الجيلاني، ولد في جيلان وراء طبرستان سنة إحدى وسبعين وأربعمائة. وقد قيل في سلسلة نسبه إلى الجون غير ما

ذكر، وقد انتقل عبد القادر الجيلاني هذا إلى بغداد شابا فاتصل بشيوخ العلم والتصوف فسمع الحديث وتفقه على أبي سعيد المخزومي الحنبلي حتى صار إماما جليلا ناصرا للسنة إماما للحنابلة وشيخهم في عصره، فكان مفتي المذهب الحنبلي وكان شيخه أبو سعيد المخزومي قد بني مدرسة ففوضها إليه فكان الشيخ عبد القادر يعظ الناس بها، وانتفعوا به انتفاعا كبيرا. وبالجملة فقد كان الشيخ عبد القادر هذا من سادات المشايخ، له سمت حسن وصمت عن غير الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكان من كبار الزهاد والمتصوفين، وأسس الطريقة القادرية فكان من أجل شيوخها وإليه نسبتها، وتوفي رحمه الله في ربيع الآخر سنة إحدى وستين وخمسمائة هجرية، ودفن بالمدرسة التي كانت له. وأبناؤه عبد الوهاب وعبد الرزاق وعبد العزيز وموسى ويحيى، وقد حدثوا ؛ وكان عبد الرزاق منهم حافظا ثقة من ولده قاضي قضاة بغداد عماد الدين أبو صالح نصر بن عبد الرزاق بن عبد القادر الجيلي الحنبلي، مات سنة ثلاث وثلاثين وستمائة عن سبعين سنة، وكان من خيار القضاة دينا وتواضعا وعلما.

آل جعفر بن أبي طالب

ولما أنهى الناظم الكلام على آل علي بن أبي طالب أخذ يتكلم على بني عمهم آل جعفر بن أبي طالب، فقال رحمه الله:

مِنَ الْجَعَافِرِ الزَّيَانِبُ بَنُو ... بِنْتِ عَلِيٍّ زَيْنَبٍ تَفَنَّنُوا

مِنِ ابْنِهَا ابْنِ الْقَرْمِ عَبْدِ اللهِ ... ذِي الجُودِ عَدْنَانُ بِهِ تُبَاهِي

وبِنْتُهَا أَبَتْ عَنِ الْفُوَيْسِقِ ... يَخْطُبُهَا لَهُ أَبُوهُ الْمُتَّقِي

أَمْهَرَهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَرَفَا ... وأُمُّ كُلْثُومٍ أَبَتْ مَا وَصَفَا

وَآلَ أَمْـــــرُهَا إلَى الْمُبِـــيرِ   وَبَتَّهَا بِسَطْـــــــوَةِ الأَمِيرِ

قوله **الزيانب:** مبتدأ خبره الجار والمجرور قبله وهـي نسـبة إلى زينـب، والزيـانب هم بنو علي بن عبد ا لله بن جعفر بن أبي طالب نسبوا لجدتهم زينب بنت علي بـن أبي طالب، لأنها أم أبيهم علي بن عبد ا لله بن جعفر؛ ويقـال لهـم أيضـا الزينبيـون. **والجعافر** نسبة إلى جعفر بن أبي طالب، وأصله الجعافرة (بالتاء وحذفت للوزن). ثم عرف الزيانب بقوله **بنو بنت علي**.. إلخ، **فبنـو:** صفـة للزيـانب. **وزينـب** (بـالجر): بدل من **بنت علي**. وقوله **من ابنها:** متعلق **بتفننوا**، أي تفرعـوا وتشـعبوا مـن ابنهـا علي بن عبد ا لله بن جعفر. **وابـن القـرم** (بـالجر) صفـة لابنهـا، **والقـرم** (بـالفتح): السيد العظيم، شبه بقرم الإبل أي فحلها لعظم شأنه وكرمه. **وعبد ا لله** (بالجر) بدل من القرم. **وذي الجود** صفة لعبد ا لله. **وتباهي:** أي تفاخر.

يقول: ومن ذرية جعفر بن أبي طالب البطن المعروف بالزينبيين وهم عقب علي بن عبد ا لله بن جعفر بن أبي طالب.

أما **جعفر** فهو أبو عبد ا لله جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلـب بـن هاشـم بـن عبد مناف القرشي الهاشمي ابن عم رسول ا لله ﷺ وأشـبه النـاس بـه خلقـا وخلقـا، أسلم بعد إسلام أخيه علي بن أبي طالب بقليل، روي أن أبـا طـالب رأى النبي ﷺ وعليا رضي ا لله عنه يصليان وعلي عن يمينه فقال لجعفر صل جناح ابن عمك وصل عن يساره؛ وقد هاجر جعفر الهجرتين: هجرة الحبشة وهجرة المدينة. ولما هـاجر إلى الحبشة أقام بها عند النجاشي وكان سـيد مهـاجري الحبشـة والمتكلـم بـاسمهم عنـد النجاشي و لم يزل مقيما بالحبشة حتى قدم على النـبي ﷺ هـو وأصحابـه حـين فتـح خيبر فتلقاه رسول ا لله ﷺ واعتنقه وقبل بين عينيـه وقـال: «مـا أدري بأيهمـا أشـد

فرحا بقدوم جعفر أم بفتح خيبر»[1]. وأنزله رسول الله ﷺ إلى جنب المسجد واختط له؛ وكان رضي الله عنه أكبر من علي بعشر سنين، وكان أخير الناس للمساكين، ولذا كان النبي ﷺ يكنيه «أبا المساكين»[2]، وكان أبو هريرة يقول: ما احتذى النعال ولا ركب المطايا بعد رسول الله ﷺ أفضل من جعفر؛ وفي سنة ثمان للهجرة بعثه رسول الله ﷺ في جيش مؤتة وجعله أحد الأمراء عليه وقاتل حتى قطعت يداه معا، فقال النبي ﷺ: «إن الله تعالى أبدله بيديه جناحين يطير بهما في الجنة حيث شاء»[3]، فمن ذلك لقب *ذا الجناحين*، و*جعفرا الطيار*؛ وعن ابن عمر أنه وجد فيما بين صدره ومنكبيه تسعون جراحة ما بين ضربة بسيف وطعنة برمح[4]، ولما جاء نعيه دخل رسول الله ﷺ إلى آل جعفر وعيناه ترقرق بالدموع والحزن يعرف في وجهه ثم قال: «اللهم إن جعفرا أقدم إلى أحسن الثواب فاخلفه في ذريته بأحسن ما أخلفت أحدا من عبادك»، وعزى زوجه أسماء بنت عميس فيه، وأقبلت فاطمة تبكي وتقول: وا عماه! فقال صلى الله عليه وسلم: «على مثل جعفر فلتبك

---

(1) سيرة ابن هشام: 3 / 414.

(2) أخرجه الترمذي.

(3) أورده الهيثمي في مجمع الزوائد والطبراني في الأوسط، ومما ينبغي الوقوف عليه في معنى الجناحين أنهما ليسا كما يسبق إلى الوهم على مثل جناحي الطائر وريشه لأن الصورة الآدمية أشرف الصور وأكملها، ولكنها عبارة عن صفة ملكية وقوة روحانية أعطيها جعفر كما أعطيتها الملائكة، وقد قال أهل العلم في أجنحة الملائكة ليست كما يتوهم من أجنحة الطير ولكنها صفات ملكية لا تفهم إلا بالمعاينة واحتجوا بقوله تعالى ﴿أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع﴾ فكيف تكون كأجنحة الطير على هذا ولم ير طائر له ثلاثة أجنحة ولا أربعة فكيف بستمائة جناح كما جاء في صفة جبريل عليه السلام، فدل على أنها صفات لا تنضبط كيفيتها للفكر ولا ورد أيضا في بيانها خبر فيجب علينا الإيمان بها ولا يفيدنا علما إعمال الفكر في كيفيتها ـ [الروض الأنف].

(4) أخرجه البخاري.

البواكي»[1]، ثم أمر أهله أن يصنعوا طعاما لأهل جعفر ومكث أبناؤه مع رسول ا لله ﷺ ثلاثة أيام في بيته يدورون معه كلما صار في بيت إحدى نسائه، ثم رجعوا إلى أمهم بعد. وكان لجعفر من أسماء بنت عميس ثلاثة أولاد هم: عبد ا لله وعون ومحمد، ولدوا ثلاثتهم بأرض الحبشة.

عبد الله بن جعفر ونماذج من كرمه

أما **عبد ا لله** فهو أبو محمد أو أبو جعفر عبد ا لله بن جعفر بن أبي طالب القرشي الهاشمي ولد بالحبشة لما هاجر أبواه إليها وهو أول من ولد بها من المسلمين. وقد روي أن رسول ا لله ﷺ رآه وهو صبي يبيع مع الصبيان فقال: «اللهم بارك لعبد ا لله في صفقة يمينه»[2]، ثم نشأ رضي ا لله عنه فكان كريما جوادا ظريفا حليما عفيفا لم يكن له نظير في السخاء والكرم وقد لقب بقطب السخاء وبحر الجود، وكان أحد الأجواد المعروفين في الإسلام حتى ضرب المثل بجوده فقيل إنه لم يبلغ أحد في الإسلام مبلغه في الجود وكان أهل المدينة يتداينون على قدومه، وقد قيل أجواد الحجاز ثلاثة: عبد ا لله بن جعفر بن أبي طالب، وعبيد ا لله بن عباس وسعيد بن العاص. ولعبد ا لله بن جعفر في مجال الكرم حكايات كثيرة وأخبار شهيرة، يروى أنه عوتب مرة في البذل فقال: إن ا لله تعالى عودني عادة وعودت الناس عادة فأنا أخاف إن قطعتها أن يقطع عني.

ومدحه نصيب فأعطاه إبلا وخيلا وثيابا ودنانير ودراهم، فقيل له تعطي لهذا الأسود مثل هذا، فقال: إن كان أسود فشعره أبيض، ولقد استحق بما قال أكثر مما

---

(1) أخرجه ابن عساكر عن أسماء بنت عميس كما في الجامع الصغير.

(2) ابن حجر العسقلاني في الإصابة.

نال وهل أعطيناه إلا ما يبلى ويفنى وأعطانا مدحا يروى وثناء يبقى. وأهدى له يزيد بن معاوية يوما مالا جزيلا ففرقه في أهل المدينة و لم يدخل منزله منه شيئا وفي ذلك يقول ابن قيس الرقيات:

وما كنت إلا كالأغر ابن جعفر رأى المال لا يبقى فأبقى له ذكرا

وروي أن تاجرا جلب إلى المدينة تجارة فكسدت عليه فبلغ ذلك عبد الله بن جعفر فاشتراها وفرقها في الناس. وإلى ما ذكر أشار الناظم بقوله: **ذي الجود عدنان به تباهي**. ومما روي من كرمه وعفته أن دهقانا من أهل السواد كلمه أن يكلم له عليا في حاجة ففعل وقضاها علي، فبعث الدهقان بأربعين ألفا إلى ابن جعفر فردها عليه وقال: إنا لا نبيع معروفا. وروي أنه أسلف الزبير بن العوام ألف درهم، فلما قتل الزبير قال ابنه عبد الله لعبد الله بن جعفر: إني وجدت في كتب أبي أن له عليك ألف درهم قال هو صادق فاقبضها إذا شئت ثم لقيه فقال: يا أبا جعفر وهمْت، المالُ لك عليه، قال: فهو له، قال: لا أريد ذاك، قال: فاختر.. إن شئت فهو له وإن كرهت ذلك فله فيه نظرة ما شئت، وإن لم ترد ذلك فبعني من ماله ما شئت. وتزوج عبد الله بن جعفر بنتَ عمه زينبَ بنتَ علي بن أبي طالب من أمها فاطمةَ الزهراءِ بنتِ رسول الله ﷺ، فولدت له: عونا الأصغر وعلياًّ وعباساً ومحمداً وأختَهم أمَّ كلثوم. والعقبُ من عبد الله بن جعفر في ابنه علي بن عبد الله. وله ـ أيضا ـ من العقب من غير زينبَ معاويةُ وإسماعيلُ وإسحاقُ، لأمهات شتى، وعون الأكبر، ومات في حياة أبيه، والحسين، وقتل هو وأخواه عونٌ الأصغر ومحمد بالطَّفِّ، وجعفر وعياض وأبو بكر، وقتل بالحرَّة، وعبيد الله ويحيى وصالح وموسى وهارون ويزيد، ولا عقب لهم؛ وله غيرُ هَؤلاء. وكان رضي الله عنه أحد الأُمراء في جيش علي بن أبي طالب يوم صفين.

ومات عبد الله بن جعفر بالمدينة سنة ثمانين للهجرة، وحضر غسلَه وتكفينَه أَبَانُ بن عثمانَ بنِ عفان، وهو إذ ذاك والٍ على المدينة من طرف عبد الملك بن مروان، وصلى عليه والناس يزدحمون على سريره، ولم يفارق أَبَانُ عمود السرير حتى وضعه بالبقيع ودموعه تسيل على خديه، وهو يقول: كنتَ والله خيرا لا شرَّ فيك، وكنت والله شريفًا واصلاً برًّا.

وأما **زينب** بنت علي بن أبي طالب - زوج عبد الله بن جعفر المذكور - فهي شقيقة السبطين، وكانت امرأةً عاقلة قوية الجنان، زوَّجها أبوها علي بن أبي طالب من ابن أخيه عبد الله بن جعفر، فولدت له أولاده المذكورين، وكانت مع أخيها الحسين حين قتل بكربلاء؛ فحملت إلى يزيد بدمشق مع سبي الحسين فسيَّرهم إلى المدينة؛ وفي ولدها علي بن عبد الله بن جعفر العقبُ والعددُ، واشتهرت ذريتُه بالنسبة إليها، فعرفوا *بالزيانب* و*بالزينبيين*؛ وإلى ذلك أشار الناظم بقوله **من الجعافر الزيانب بنو بنت علي زينب**..إلخ.

ثم **استطرد** الناظم هنا قصةَ خطبة معاوية بن أبي سفيان لِأُمِّ كُلْثُومٍ بنتِ عَبْدِ الله بن جعفر على ابنه يزيد وتزوج الحجاج لها بعد ذلك، فقال: **وبنتها أبت عن الفويسق** .. إلخ، والضمير في **بنتها** عائد على زينب بنت علي. و**الفويسق**: يزيد بن معاوية. والضمير في **له** وفي **أبوه** عائد على الفويسق. و**أبوه** فاعل **يخطبها**. و**المتقي** صفة لـ**أبوه**، ويعني به معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما. و**أمهرها**: أي جعل لها مهرًا وهو الصداق. و**السَّرَفُ**: مجاوزة الحد والإفراط فيه. و**آل**: أي رجع وصار عاقبة أمرها أن تزوجها الحجاج. و**المبير** في الأصل: المهلك المفسد، والمراد به هنا

الحجاج بن يوسف الثقفي[1]، وقد أطلق عليه الناظم هذا اللقب مرات، مثل قوله: *لما بنى مبيره المنصور*.. إلخ، وقوله: *سهل بن سعد المبير امتهنه*.. إلخ. **وبتها**: قطع عصمتها بدون رجعة. **والسطوة**: القهر. **والأمير**: المراد به هنا الخليفة عبد الملك بن مروان.

يعني أن أم كلثوم بنت عبد الله بن جعفر من زينب بنت علي خطبها معاوية لابنه يزيد ورغّبها ورغب أهلها في القبول والاستجابة، فامتنعوا من ذلك.

وحاصل تلك القصة أن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما كتب إلى مروان بن الحكم ـ وهو إذ ذاك عامله على المدينة ـ أن يخطب أم كلثوم بنت عبد الله بن جعفر بن أبي طالب على يزيد بن معاوية على حكم أبيها في الصداق بالغا ما بلغ، وعلى قضاء ديونه، وعلى كذا وكذا.. ولعلها أن تكون صلحاً بين هذين الحيين من بني هاشم وبني عبد شمس. فلما وصل إليه الكتاب تكلم لأبيها، فقال له: إني كنت جعلتُ أمرها إلى خالها الحسين بن علي. فلما اجتمع الناس في المسجد خطب مَرْوَانُ، ووصَلَ الخطبة بما فيها من التغليظ والشروط والهبات إلى الحسين، فخطب الحسين وجعل يرد كُلَّ كلام مروان، فقال: أما قولك: على حكم أبيها في الصداق بالغا ما بلغ، فلا حاجة لنا في تحكيمكم ولا في أموالكم، وأما قولك: على قضاء ديون أبيها، فمتى وجدتم أباها موثقا في ديونه؟ وأما قولك: لعلها أن تكون

(1) فيه الإشارة إلى الحديث: «يخرج من ثقيف كذاب ومبير» وقد روى مسلم في صحيحه أن الحجاج الثقفي دخل على أسماء بنت أبي بكر ـ بعد أن قتل ابنها عبد الله بن الزبير ـ يشمت بها، فقال: كيف رأيتني صنعت بعدو الله؟ فقالت: رأيتك أفسدت عليه دنياه وأفسد عليك آخرتك، أما إن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا أن في ثقيف كذابا ومبيرا، فأما الكذاب فرأيناه ـ تعني المختار بن أبي عبيد ـ وأما المبير فلا إخالك إلا إياه، فقام عنها و لم يراجعها.

صلحا بين هذين الحيين، فنحن قوم عاديناكم في ا لله ولا نصالحكم على الدنيا، وأما قولك كذا وكذا.. إلى أن أتى على جميع ما قال؛ ثم قال: وأشهدكم أني زوجت هذه الجارية من ابن عمها القاسم بن محمد بن جعفر. فبقي مروان خجلا لا يتكلم.

ثم لما مات القاسم بن محمد بن جعفر عنها تزوجها الحجاج بن يوسف بغير طيب النفس من أبيها عبد ا لله بن جعفر، فشكا ذلك إلى خالد بن يزيد بن أبي سفيان، فأتى خالد عبد الملك، فقال له: أتيتك في أمر فيه لك ما لم يكن لي، قال: وما هو؟ قال: كلبك الذي سلطت على الناس مهتم بتقوية بني هاشم علينا، قال: بماذا؟ قال: فعل كذا وكذا وتزوج بنت عبد ا لله بن جعفر، فكتب إليه عبد الملك أن يبتها أو يفعل به ويفعل.. وكان عبد ا لله بن جعفر صديق عبد الملك جدًّا لا يأتيه في أمر إلا أجابه إليه، ولكن استحيا أن يأتيه بمثل هذه؛ فبت الحجاج أم كلثوم بنت عبد ا لله بن جعفر، وقال: وا لله لأتزوجنَّ من هو أمس بخالد رحما ثم لا يمكنه شيء فيه، فتزوج أم الجلاس بنت عبد ا لله بن خالد بن أسيد بن أبي العيص بن أمية.

تنبيه: قوله رحمه ا لله: **وأم كلثوم أبت ما وصفا**، فيه تجوز لما فيه من إسناد رد الخطبة المذكورة إلى أم كلثوم مع أن الذي رد الخطبة إنما هو خالها الحسين رضي ا لله عنه ، لكن لما كانت قد رضيت بذلك أسند إليها الرد مجازا، اللهم إلا أن يكون قد وقف على رواية أخرى توافق ما ذكره. وا لله تعالى أعلم.

تنبيه آخر: تقدم ذكر هذين البيتين وهما قوله: **أمهرها من كل شيء سرفا..** إلخ، في الكلام على آل طلحة بن عبيد ا لله التيمي في الحديث عن أم إسحاق بنت طلحة، حيث ذكر أن معاوية رضي ا لله عنه خطبها على ابنه يزيد من أخيها إسحاق بن طلحة، فرغب عن ذلك وزوجها من الحسن بن علي رضي ا لله عنهما، ثم استطرد هناك ذكر خطبة معاوية ـ أيضا ـ لأم كلثوم بنت عبد

ا لله بن جعفر على ابنه يزيد، ورغبة آل جعفر عنه حيث قال في القصتين معًا:

لفسقـــه عـن أم إسحاق قدع وبنت آل جعفـــر قدعا بشع

أمهرها من كـــل شيء سرفا ... إلخ.

ثم أعاد هنا هذين البيتين الأخيرين: **أمهرها من كـل شـيء..** إلخ، لأن هـذا هـو محلهما والمكان المناسـب لهمـا في الحديـث عـن آل جعفـر ورغبتهـم عـن خطبـة معاوية رضي ا لله عنه لابنتهم أم كلثوم على ابنه يزيـد وتزويجهـم إياهـا مـن ابـن عمها القاسم بن محمد بن جعفر، وما آل إليه أمرها؛ وهذا نظير تكريره ـ أيضا ـ قولـه:

كلا العتيـــق وخديجة السلام يقرئه جـــــل جلا له السلام

حيث أتى بهذا البيت في أول الكلام عَلَى أبي بكر الصديق رضـي ا لله عنـه، ثـم أعاده ثانية أي بعد واحد وخمسين بيتا، استطرد فيها الكثـير مـن فتـوحات أبـي بكر ومناقبه وفتوح عمر بن الخطاب رضي ا لله عنه، وغـير ذلـك.. وإنمـا أعـاده ليرتب عليه بقية الكلام على أبي بكر ـ حسبما نص عليه تلميـذ النـاظم وشـارح نظمه الشيخ حمادن بن الأمين رحمهما ا لله ـ وا لله تعالى أعلم.

آل عقيل بن أبي طالب

ولما تكلم على آل جعفر أخذ يتكلم على بني عمهم آل عقيل بن أبي طالب.

فقال رحمه ا لله:

ومِنْ عَقيلٍ مُسْلِـــمُ الْقَتِيـلُ قَبْلَ الحُسَينِ وَتَـــوَى عَقِيلُ

غَيرَ محَمَّـدٍ حَلِيلِ زَيْنَـــبِ بِنْتِ عَلِيٍّ مِنْ سِوَى خَيرِ نَبي

وَلِعَقِيلٍ تُوضَــــعُ الطَّـنَافِسُ بِمَسْجِدِ النَّبِيِّ وَهْـــوَ جَالِسُ

يُحَدِّثُ النَّاسَ بِأَيَّامِ الْعَــــرَبْ   ومَا لَهَا مِنْ حَسَبٍ وَمِن نَّسَبْ

قوله **مسلم** (بالرفع): مبتدأ خبره المجرور قبله. **والقتيل** صفة لمسلم. **وتوى**: هلك. **وحليل زينب** (بالجر): صفة لمحمَّدٍ، أي زوجها. **وبنت علي** (بالجر) صفة لزينب. وقوله **من سوى خير نبي**: أي من غير فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، وذلك لأن زينب بنت علي هذه أمها أم ولد. **والطنافس**: جمع طنفسة (بتثليث الطاء والفاء): بساط له خمل رقيق، أو حصير من سعف. وضمير **وهو جالس** عائد على النبي ﷺ . **وأيام العرب**: أي حروبها ووقائعها ومجادلاتها. **والحسب**: شرف الأصل وما يعد من مَفَاخِرِ الآبَاء. **والنَّسَبُ**: القرَابَاتُ.

يعني أن من أولاد عقيل بن أبي طالب مسلم بن عقيل الذي أرسله الحسين إلى أهل الكوفة ليأخذ له البيعة منهم فقتلوه قبل قتلهم الحسين رضي الله عنه ـ كما تقدم ـ وأن عقيلا هذا انقطع عقبه إلا من ابنه محمد بن عقيل زوج زينب بنت علي بن أبي طالب من غير فاطمة الزهراء.

ترجمة عقيل بن أبي طالب

أما عقيل فهو أبو يزيد عقيل بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي، أمه فاطمة بنت أسد بن هاشم وكان أسن من أخيه جعفر بعشر سنين، وكان ممن خرج مع المشركين من بني هاشم إلى بدر ـ مكرها ـ فأسر يومئذ، و لم يكن له مال ففداه عمه العباس؛ ثم أسلم رضي الله عنه يوم الفتح، وقيل أسلم يوم الحديبية وهاجر إلى المدينة في أول سنة ثمان للهجرة، وشهد حنينا ومُؤتةَ، وقال له رسول الله ﷺ: «يا أبا يزيد إني أحبك حبين حبا لقرابتك مني وحبا لما

كنت أعلم من حب عمي إيَّاك»[1].

وكان رضي الله عنه من أعلم الناس بأنساب العرب، وكان أنسب قريش لقريش وأعلمهم بأيامها ومآثرها ومثالبها، وكانت توضع له طنفسة في المسجد النبوي يجلس عليها، ويجتمع الناس إليه في علم النسب، وأيام العرب وأشعارها، يأخذون ذلك عنه؛ وكان ينشد الشعر بحضرة النبي ﷺ - وربما فعل ذلك بين أذان الصبح وإقامته ــ وإلى ذلك أشار الناظم بقوله **ولعقيل توضع الطنافس** .. إلخ، ومراده رحمه الله أن عقيلا كان يحدث بذلك بين يدي النبي ﷺ ولا ينكر عليه، وهو صلى الله عليه وسلم لا يقر على باطل.

وكان عقيل من أربعة قريش الذين تتحاكم الناس إليهم في المنافرات (والآخرون هم مخرمة بن نوفل الزهري وحويطب بن عبد العزى العامري وأبو جهم بن حذيفة العدوي) وكانوا يعدون محاسن الرجل ومساويه، فإن غلبت محاسنه نفروه[2] على صاحبه، ومن كثرت مَسَاوِيهِ نفروا عليه صاحبه. وكان عقيل فصيح اللسان، وكان من أسرع الناس بالجواب المسكت وأحضرهم مراجعة في القول وأبلغهم في ذلك وكان يعد مساويَهم، فلذلك كان مبغضا إليهم[3]..

---

(1) حديث: «يا أبا يزيد ..» إلخ ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب.

(2) نفروه: أي حكموا له بالغلبة على صاحبه.

(3) روي أن معاوية بن أبي سفيان جلس يوما على سريره وأمر بكرسي إلى جنب السرير، ثم أذن للناس فدخلوا وأجلس الضحاك بن قيس معه على سريره، ثم أذن لعقيل فدخل عليه، فقال: يا معاوية من هذا الذي معك؟ قال: الضحاك بن قيس، قال: الحمد لله الذي رفع الخسيسة وتمم النقيصة، هذا الذي كان أبوه يخصي بهمنا بالأبطح، لقد كان بخصائها رفيقا، فقال الضحاك: إني لعالم بمحاسن قريش وإن عقيلا عالم بمساويها فأمر له معاوية بخمسين ألف درهم فأخذها وخرج، وكان عقيل إذا أتاه رجلان يتنافران يعدد المساوي فمن كانت مساويه أكثر تركه، فيقول الرجل: وددت أني لم آته أظهر من عيوبي ما لم يكن الناس يعرفون.

وورث عقيل بن أبي طالب دُورَ أبي طالب التي ورثها من أبيه عبد المطلب؛ وكان أبو طالب قد ورث أباه عبد المطلب لأن بعض أبناء عبد المطلب مات في حياته وبعضهم لم يعقب فحاز أبو طالب جل متروك عبد المطلب وحازه عقيل بعد موت أبي طالب وورثه دون أخويه جعفر وعلي لتقدم إسلامهما على موت أبيهما، ثم باع عقيل تلك الدور من أهل مكة؛ ولما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة وثب عقيل على دوره فحازها كلها واحتوى عليها، ثم أسلم وهي بيده، وقد قضى رسول الله ﷺ أنه من أسلم على شيء فهو له[1]، ثم باعها عقيل. وقد كانت قريش تعمد إلى دور من هاجر من المسلمين فتبيعها، فقيل لرسول الله ﷺ يوم الفتح أين تَنزِل يا رسول الله؟ فقال: «وهل ترك لنا عقيل منزلا»[2]، ثم قال: «نحن نازلون غدا بخيف بني كنانة حيث تقاسموا على الكفر»[3] (وذلك أن بني كنانة كانت حالفت قريشا على بني هاشم أن لا يبايعوهم ولا يناكحوهم ولا يؤووهم).

ثم هاجر عقيل إلى المدينة وسكن بها وكانت له بها دار ثم سكن البصرة ثم وفد على معاوية بالشام لدين لحقه، فأقام معه وانحاز إليه عن أخيه علي رضي الله عنه. قيل كان سبب التحاقه بمعاوية أنه قدم يوما على علي بن أبي طالب بالكوفة فأنزله وأمر ابنه الحسن فكساه ، فلما أمسى دعا بعشائه فإذا خبز وملح وبقل، فقال عقيل: ما هو إلا ما أرى؟ قال: لا، قال: فتقضي ديني؟ قال: وكم دينك؟ قال: أربعون ألفا، قال: ما هي عندي ولكن اصبر حتى يخرج عطائي فأدفعه إليك ـ وكان أربعة آلاف ـ فقال عقيل بيوت المال بيدك وأنت تسوفني بعطائك، فقال: أتأمرني

---

(1) أخرجه البيهقي في السنن وابن عدي في الكامل، الجامع الصغير قال: وهو ضعيف.

(2) في رواية: «وهل ترك لنا عقيل من رباع»؟ أخرجه البخاري ومسلم.

(3) أخرجه ابن ماجه في سننه، والخيف: الوادي ويعني بخيف بني كنانة: المحصب.

أن أدفع إليك أموال المسلمين وقد ائتمنوني عليها؟ قال: فإني آت معاوية فـأذن لـه، فأتى معاوية فقال له: يا أبا يزيد كيف تركت عليا وأصحابه؟ قال: كأنهم أصحاب محمد إلا أني لم أر رسول الله ﷺ فيهم، وكأنك وأصحابك أبـو سـفيان وأصحابـه إلا أني لم أر أبا سفيان فيكم!.

وكان عقيل زوج خالة معاوية وهي فاطمة بنت عتبة بـن ربيعـة، فقـال معاويـة يوما: لولا أن أبا يزيد يعلم أني خير له من أخيه لما أقام عندنا وتركـه، فقـال عقيـل: أخي خير لي في ديني وأنت خير لي في دنياي، وقد آثرت دنيـاي وأسـأل الله خاتمـة الخير. ومات عقيل رضي الله عنـه بالشـام في خلافـة معاويـة، وقيـل في أول خلافـة يزيد قبل وقعة الحرة؛ وعقب كثيرا. ومن عقبه يزيد بن عقيـل وهـو أكـبر بنيـه وبـه كني، ومحمد بن عقيل، وفيه العدد والعقب، ومسلم وعبد الله وعبد الرحمن وجعفر، وقتلوا مع الحسين ـ كما مر ـ وعلي وحمزة وأبو سعيد وعيسى وعثمـان، ولا عقـب لهم.. وغير هؤلاء. وكان في حلب وأطرافها جماعة ينسبون إليه يعرفون ببني عقيـل. أما مسلم فقد تقدم سبب وصفة قتله عند قـول النـاظم: *واستشـهدت مـن آل خـير مرسل* .. إلخ. وأما محمد بن عقيل فقد تـزوج زينـب الصغـرى بنـت علـي بـن أبـي طالب وأمها أم ولد. وانقطع نسل عقيل بن أبي طالب إلا من ابنه محمد هذا؛ وذلك قول الناظم **وتوى عقيل غير محمد**.. إلخ. ومن محمد بن عقيل هـذا عبـد الله وعبـد الرحمن أمهما أم ولد، أما عبد الله فكان فقيها محدثا وابنه القاسم بن محمد بـن عبـد الله بن محمد كان شبيها بالنبي ﷺ ، وأما عبد الرحمن بن محمد فكان رجـلا صالحـا وكان أيضـا شـبيها برسـول الله ﷺ ، ومـن عقـب محمـد بـن عقيـل أيضـا النسـابة المشهور الحسين بن قمن بن محمد بن أحمد بن سـليمان بـن عبـد الله بـن محمـد بـن عقيل، كان من أعلم الناس بالنسب.

ولما أنهى الكلام على بني هاشم ختمه بالكلام على سـلمان الفارسـي لأنـه يعـد

منهم لقوله صلى ا لله عليه وسلم: «سلمان منا أهل البيت»[1]. فقال رحمه ا لله:

سَلْمَانُ فَارِسَ شَهِيرُهَا السَّرِي سَابِقُهَا مِنْهُمْ كَمَا فِي الْخَبَرِ

وَطَالَمَا تَطَلَّبَ الأَدْيَانَا مِنْ أَهْلِهَا وَاسْتَوْضَحَ الْبُرْهَانَا

وَقَرَّ إِذْ أَبْصَرَ مَا وَصَفَ لَهْ أَحْبَارُهُ مِنْ أَحْمَدٍ فَقَبِلَهْ

وَهْوَ الذِي لَيسَ لَهُ كِنٌّ سِوَى عَبَاءَةٍ وَفِي الْعَبَاءَةِ الْتَوَى

يأْكُلُ مِنْ عَمَلِهِ وَيَسْتَظِلْ بِشَجَرٍ وَهْوَ أَمِيرٌ مُسْتَقِلْ

عَلَى الْمَدَائِنِ وَبِالإِسْلاَمِ يَفْخَرُ لاَ بِحَسَبِ الأَنَامِ

وَخَاتِمُ الرُّسْلِ لأَهْلِ الْبَيْتِ أَضَافَهُ إِذْ كُلُّ أَهْلِ بَيْتِ

مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ أَرَادَهُ بِالْحِلْفِ وَالْجِوَارِ

أَرْبَعَةٌ أَخْبَرَ خَيرَ مُرْسَلِ بِحُبِّهِ لَهُمْ إِلَهُهُ الْعَلِي

وَحُبُّهُمْ أَلْزَمَهُ وَهُمْ: عَلِي سَلْمَانُ مِقْدَادُ أَبُو ذَرِّ الْعَلِي

سلمان (بالرفع): مبتدأ مضاف **لفارس**. **وفارس** والفرس: أمة من الناس مشهورون، والنسبة إليهم فارسي، ولغتهم الفارسية؛ وتطلق فارس أيضا على بلادهم. **وشهيرها والسري وسابقها**: صفات لسلمان. والضمير فيهما عائد على فارس، **والسري**: الشريف. وقوله **منهم**: خبر عن سلمان، والضَّمير فيه عائد على أهل البيت المحدث عنهم. **والخبر**: الحديث، وأشار به إلى قوله صلى ا لله عليه وسلم:

---

(1) أخرجه الطبراني، والحاكم في المستدرك كما في الجامع الصغير.

«سلمان منا أهل البيت»[1]. **واستوضح الأمر**: طلب إيضاحه. **والبرهان**: الدليل، مشتق من البره، بفتح فسكون وهو القطع لأنه يقطع حجة الخصم، أو بالتحريك وهو البياض لأن قلب صاحبه يصاحبه بياض، أو من البرهة، بضم فسكون وهي البينة لأنها أيضا تقطع حجة الخصم. **وقر**: أي سكن واطمأن. **والأحبار**: جمع حبر: العالم، مأخوذ من تحبيره العلم وتحسينه، والمراد به هنا رؤساء الأديان الذين صحبهم سلمان قبل إسلامه واسترشدهم في طلب الدين؛ وقد تداوله في ذلك بضعة عشر حبرا قبل أن يصل إلى رسول الله ﷺ. **والكن** (بالكسر): البيت أو ما يقي ويستر. **والعباءة** (بالفتح): كساء معروف. **والتوى** في الثوب: تستر. **والمدائن**: علم على مدينة قرب بغداد كان فيها إيوان كسرى، سميت بالجمع لكبرها[2]، وكان سلمان أميرا عليها مستقلا بولايتها بدون منازع، وكان ذلك في آخر خلافة عمر، قيل وأول خلافة عثمان رضي الله عنهم.

يعني أن من أهل البيت بالولاء سلمان الفارسي المشهور الذي نال الشرف بالإسلام وموالاة سيد الأنام عليه أفضل الصلاة والسلام، فلذلك عده الناظم فيهم وختم به الكلام عليهم. وأشار في هذه الأبيات إلى كثير من خصائصه رضي الله عنه ومراحل حياته مما سيتضح إن شاء الله من ترجمته.

ترجمة سلمان الفارسي وقصة طلبه للإسلام

وسلمان الفارسي هو أبو عبد الله ويقال سلمان الخير، قيل كان اسمه بابه

---

(1) تقدم تخريجه قريبا.

(2) المدائن: عاصمة الفرس بناها أنوشروان بن قباذ وأقام بها هو ومن كان بها من ملوك ساسان، وكانت بها وقعة للمسلمين على الفرس عام 16 هـ . [نهاية الأرب].

(بكسر الموحدة) ابن بوذخشان ابن مورسلان بن بهبوذان بن فيروز بن سهرك من ولد آب الملك، أصله من فارس من رَامَهُرْمُزَ من قرية يقال لها جيٌّ[1] وقيل أصله من أصبهان، وقد روي عنه أنه كان من أبناء أساورة فارس وكان أولا على دين آبائه وهو المجوسية، فتطلب غيرها من الأديان وتنقل في سبيل ذلك في كثير من البلدان وتتبع من يرجوه عنده، فدان بالنصرانية وغيرها وقرأ الكتب وتحمل في ذلك جميع أنواع المشقة وصبر على ذلك متنقلا من حبر إلى آخر حتى أخبره آخرهم أن نبيا سيبعث قد أظل قدومه ووصفه له ووصف له دار هجرته، فخرج في طلب ذلك حتى وصل إليها بعد أن أسر وبيع واسترق ولم يزل كذلك حتى قدم رسول الله ﷺ المدينة فسمع به فجاءه وعرفه بالأمارات التي أخبره بها بعض أحباره فأسلم وكاتب سيده فتحرر ولحق به صلى الله عليه وسلم.

هذا وخير وأصدق ما يروي لنا قصة سلمان الفارسي ومراحل حياته هو سلمان نفسه ، ففي سيرة ابن هشام ومسند أحمد وغيرهما عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: حدثني سلمان الفارسي وأنا أسمع من فيه قال: كنت رجلا فارسيا من أهل أصبهان من أهل قرية يقال لها "جي" وكان أبي دهقان[2] قريته وكنت أحب خلق الله إليه لم يزل به حبه إياي حتى حبسني في بيته كما تحبس الجارية واجتهدت في المجوسية حتى كنت قطن النار أي خادمها الذي يوقدها لا يتركها تخبو ساعة،

---

(1) جي بفتح الجيم وتشديد الياء: اسم مدينة أصبهان القديم وكان أهلها قد اصطلحوا مع المسلمين وكتب الصلح بينهم عبد الله بن عبد الله بن عتبان الأنصاري صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(2) الدهقان بكسر فسكون: شيخ القرية العارف بالفلاحة وما يصلح بالأرض من الشجر يلجأ إليه في معرفة ذلك.

قال وكانت لأبي ضيعة عظيمة فشغل في بنيان له يوما فقال لي يا بني إني قد شغلت في بنياني هذا اليوم عن ضيعتي فاذهب إليها فاطّلعها؛ وأمرني فيها ببعض ما يريد ثم قال لي: ولا تحتبس عني فإنك إن احتبست عني كنت أهم إلي من ضيعتي وشغلتني عن كل شيء من أمري. قال فخرجت أريد ضيعته التي بعثني إليها فمررت بكنيسة من كنائس النصارى فسمعت أصواتهم فيها وهم يصلون وكنت لا أدري ما أمر الناس لحبس أبي إياي في بيته فلما سمعت أصواتهم دخلت عليهم أنظر ما يصنعون فلما رأيتهم أعجبتني صلاتهم ورغبت في أمرهم وقلت هذا وا لله خير من الدين الذي نحن عليه، فوا لله ما برحتهم حتى غربت الشمس وتركت ضيعة أبي فلم آتها، ثم قلت لهم أين أصل هذا الدين؟ قالوا: بالشام.

فرجعت إلى أبي وقد بعث في طلبي وشغلته عن عمله كله، فلما جئته قال أي بني أين كنت أو لم أكن عهدت إليك ما عهدت؟ قال: قلت يا أبت مررت بأناس يصلون في كنيسة لهم فأعجبني ما رأيت من دينهم فوا لله ما زلت عندهم حتى غربت الشمس، قال: أي بني ليس في ذلك الدين خير دينك ودين آبائك خير منه، قلت له: كلا وا لله إنه لخير من ديننا، فخافني فجعل في رجلي قيدا ثم حبسني في بيته. قال: وبعثت إلى النصارى فقلت لهم إذا قدم عليكم ركب من الشام فأخبروني بهم، قال: فقدم عليهم ركب من الشام تجار من النصارى فأخبروني بهم، فقلت لهم: إذا قضوا حوائجهم وأرادوا الرجعة إلى بلادهم فآذنوني بهم قال: فلما أرادوا الرجعة إلى بلادهم أخبروني بهم، فألقيت الحديد من رجلي ثم خرجت معهم حتى قدمت الشام؛ فلما قدمتها قلت من أفضل أهل هذا الدين علما؟ قالوا: الأُسْقُفُ[1]

---

(1) الاسقف: هو عالم النصارى الذي يقيم لهم أمر دينهم، ومرتبته فوق القسيس ودون المطران.

في الكنيسة قال فجئته فقلت له إني قد رغبت في هذا الدين فأحببت أن أكون معك وأخدمك في كنيستك فأتعلم منك وأصلي معك، قال: ادخل فدخلت معه قال: وكان رجل سوء يأمرهم بالصدقة ويرغبهم فيها فإذا جمعوا إليه شيئا منها اكتنزه لنفسه، و لم يعطه المساكين حتى جمع سبع قلال[1] من ذهب وورق، قال فأبغضته بغضا شديدا لما رأيته يصنع، ثم مات فاجتمعت إليه النصارى ليدفنوه، فقلت لهم إن هذا رجل سوء يأمركم بالصدقة ويرغبكم فيها فإذا جئتموه بها اكتنزها لنفسه و لم يعط المساكين منها شيئا، قال فقالوا لي: وما علمك بذلك؟ قال: قلت لهم أنا أدلكم على كنزه، فقالوا دلنا عليه قال فأريتهم موضعه فاستخرجوا سبع قلال مملوءة ذهبا وورقا، قال: فلما رأوها قالوا وا لله لا ندفنه أبدا، قال: فصلبوه ورجموه بالحجارة، وجاءوا برجل آخر فجعلوه مكانه.

قال سلمان: فما رأيت رجلا لا يصلي الخمس أرى أنه كان أفضل منه وأزهد في الدنيا ولا أرغب في الآخرة ولا أدأب ليلا ولا نهارا منه، قال: فأحببته حبا لم أحبه شيئا قبله مثله، قال فأقمت معه زمانا ثم حضرته الوفاة فقلت له يا فلان إني قد كنت معك وأحببتك حبا لم أحبه شيئا قبلك وقد حضرك ما ترى من أمر ا لله تعالى فإلى من توصي بي وبم تأمرني؟ قال: أي بني وا لله ما أعلم اليوم أحدا على ما كنت عليه فقد هلك الناس وبدلوا وتركوا أكثر ما كانوا عليه إلا رجلا بالموصل وهو فلان وهو على ما كنت عليه فالحق به. فلما مات وغيب لحقت بصاحب الموصل فقلت له يا فلان إن فلانا أوصاني عند موته أن ألحق بك وأخبرني أنك على أمره، قال: فقال لي: أقم عندي؛ فأقمت عنده فوجدته خير رجل على أمر صاحبه،

---

(1) جمع قلة وهي: الجرة العظيمة.

فلم يلبث أن مات فلما حضرته الوفاة قلت له: يا فلان إن فلانا أوصى بي إليك وأمرني باللحوق بك وقد حضرك من أمر الله ما ترى فإلى من توصي بي وبم تأمرني؟ قال: يا بني والله ما أعلم رجلا على مثل ما كنا عليه إلا رجلا بنصيبين وهو فلان فالحق به. فلما مات وغيب لحقت بصاحب نصيبين فأخبرته خبري وما أمرني به صاحباي، فقال: أقم عندي فوجدته على أمر صاحبيه فأقمت مع خير رجل فوالله ما لبث أن نزل به الموت فلما حُضِرَ قلت له: يا فلان إن فلانا كان أوصى بي إلى فلان ثم أوصى بي فلان إليك فإلى من توصي بي وبم تأمرني؟ قال: يا بني والله ما أعلمه بقي أحد على أمرنا آمرك أن تأتيه إلا رجلا بعَمُّورِيَةَ من أرض الروم فإنه على مثل ما نحن عليه فإن أحببت فأته فإنه على أمرنا. فلما مات وغيب لحقت بصاحب عمورية فأخبرته خبري، فقال: أقم عندي؛ فأقمت عند خير رجل على هدي أصحابه وأمرهم.

قال واكتسبت حتى كانت لي بقرات وغنيمة، قال: ثم نزل به أمر الله فلما حُضِرَ قلت له: يا فلان إني كنت مع فلان فأوصى بي إلى فلان ثم أوصى بي فلان إلى فلان ثم أوصى بي فلان إلى فلان ثم أوصى بي فلان إليك فإلى من توصي بي وبم تأمرني؟ قال: أي بني والله ما أعلمه أصبح اليوم أحد على مثل ما كنا عليه من الناس آمرك به أن تأتيه، ولكنه قد أظل[1] زمان نبي وهو مبعوث بدين إبراهيم عليه السلام يخرج بأرض العرب مُهَاجَرُهُ إلى أرض بين حرتين بينهما نخل به علامات لا تخفى: يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة، وبين كتفيه خاتم النبوة، فإن استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل.

---

(1) أظل: أي دنا وقرب.

قال: ثم مات وغيب؛ ومكثت بعمورية ما شاء ا لله أن أمكث، ثم مر بي نفر من كلب تجار فقلت لهم احملوني إلى أرض العرب وأعطيكم بقراتي هذه وغنيمتي، قالوا نعم فأعطيتهموها وحملوني معهم حتى إذا بلغوا واديَ القرى ظلموني فباعوني من رجل يهودي عبدا، فكنت عنده؛ ورأيت النخل فرجوت أن يكون البلد الذي وصف لي صاحبي و لم يَحُقّ[1] في نفسي، فبينما أنا عنده إذ قدم عليه ابن عم له من بني قريظة من المدينة فابتاعني منه فاحتملني إلى المدينة، فوا لله ما هو إلا أن رأيتها فعرفتها بصفة صاحبي فأقمت بها.

وبعث رسول ا لله ﷺ فأقام بمكة ما أقام لا أسمع له بذكر مع ما أنا فيه من شغل الرق، ثم هاجر إلى المدينة فوا لله إني لفي رأس عذق[2] لسيدي أعمل له فيه بعض العمل وسيدي جالس تحتي إذ أقبل ابن عم له حتى وقف عليه فقال:يا فلان قاتل ا لله بني قيلة وا لله إنهم الآن لمجتمعون بقباء على رجل قدم عليهم من مكة اليوم يزعم أنه نبي ، قال سلمان: فلما سمعتها أخذتني العُرَوَاءُ ـ يعني الرعدة ـ حتى ظننت أني ساقط على سيدي فنزلت عن النخلة فجعلت أقول لابن عمه ذلك: ما تقول؟ فغضب سيدي فلكمني لكمة شديدة ثم قال: مالك ولهذا؟ أقبل على عملك، قال قلت: لا شيء إنما أردت أن أستثبته عما قال.

وقد كان عندي شيء قد جمعته فلما أمسيت أخذته ثم ذهبت به إلى رسول ا لله ﷺ وهو بقباء فدخلت عليه فقلت له إنه قد بلغني أنك رجل صالح ومعك أصحاب لك غرباء ذوو حاجة وهذا شيء قد كان عندي للصدقة فرأيتكم أحق به من غيركم، قال فقربته إليه فقال رسول ا لله ﷺ لأصحابه «كلوا»، وأمسك يده فلم

---

(1) حق الأمر يَحُقّ حقا وحَقَّة: ثبت ووجب.

(2) العذق بفتح العين: النخلة وبكسرها عنقود النخلة.

يأكل قال فقلت في نفسي هذه واحدة. قال: ثم انصرفت عنه فجمعت شيئا؛ وتحول رسول ا لله ﷺ إلى المدينة، ثم جئته به فقلت له إني قد رأيتك لا تأكل الصدقة فهذه هدية أكرمتك بها، قال: فأكل رسول ا لله ﷺ منها وأمر أصحابه فأكلوا معه[1] فقلت في نفسي هاتان اثنتان. قال: ثم جئت رسول ا لله ﷺ وهو ببقيع الغرقد قد تبع جنازة رجل من أصحابه[2] علي شملتان لي وهو جالس في أصحابه فسلمت عليه ثم استدرت أنظر إلى ظهره هل أرى الخاتم الذي وصف لي صاحبي، فلما رآني رسول ا لله ﷺ استدبرته عرف أني أستثبت في شيء وصف لي فألقى رداءه عن ظهره فنظرت إلى الخاتم فعرفته، فأكببت عليه أقبله وأبكي.. فقال لي رسول ا لله ﷺ «تحول»، فتحولت فجلست بين يديه فقصصت عليه حديثي كما حدثتك يا ابن عباس؛ فأعجب رسول ا لله ﷺ أن يسمع ذلك أصحابه.

قال سلمان: ثم قال لي رسول ا لله ﷺ: «كاتب يا سلمان»[3] فكاتبت صاحبي على ثلاثمائة وَدْية[4] من النخل وأربعين أوقية ذهبا، فقال النبي ﷺ لأصحابه أعينوا

---

(1) استخرج العلماء من حديث سلمان هذا فوائد كثيرة فقهية، منها: أنه لما تصدق عليه في المرة الأولى وأهدى له في الثانية في كلهما لم يسأله صلى الله عليه وسلم هل أنت حر أو عبد ولا من أين لك هذا، وفي الحديث «من قدم إليه طعام فليأكل ولا يسأل» - [الروض الأنف].

(2) ذلك الرجل هو كلثوم بن الهدم.

(3) حديث سلمان هذا أخرجه الإمام أحمد في مسنده عن ابن عباس.

(4) الودية: واحدة الودي وهو فراخ النخل الصغار وإذا خرجت النخلة من النواة فهي غريسة، ثم ودية ثم فسيلة ثم اشاءة، فإذا فاتت اليد فهي: جبارة وهي العصيد والكتيلة، ويقال للتي لم تخرج من النواة لكنها اجتثت من جنب أمها: قلعة وجثيثة وهي الجثائث والهراء، وفي حديث أنس أن رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم قال: «إن قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة فاستطاع أن يغرسها قبل أن تقوم الساعة فليغرسها» – [الروض الأنف].

صاحبكم بالنخل[1]؛ فأعانوني، الرجل بثلاثين ودية، والرجل بعشرين، والرجل بخمس عشرة، والرجل بعشر.. يعين الرجل بقدر ما عنده حتى اجتمعت عندي ثلاثمائة ودية فقال لي رسول الله ﷺ: «اذهب يا سلمان ففقر[2] لها ولا تضع منها شيئا حتى أضعه بيدي». قال سلمان: ففقرت لها وأعانني أصحابي فلما فرغت أتيته فخرج رسول الله ﷺ معي إليها فجعلنا نقرب إليه الودي ويضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده ويسوي عليه ترابا حتى فرغنا، فوالذي نفس سلمان بيده ما ماتت منها واحدة فأديت النخل وبقي علي المال؛ فجاءه صلى الله عليه وسلم رجل بمثل البيضة من الذهب فلو وزنت بأحد لكانت أثقل منه، فقال صلى الله عليه وسلم: «ما فعل الفارسي المكاتب»؟ فدعيت له فقال: «خذ هذه فأد بها ما عليك يا سلمان»، فقلت وأين تقع هذه يا رسول الله مما علي؟ فقال: «خذها فإن الله سيؤدي بها عنك». قال: فأخذتها فوزنت لهم منها حتى أوفيتهم حقهم. وعتق سلمان فالتحق برسول الله ﷺ.

ولما عَتَقَ سلمانُ أراده كل أحد من المهاجرين والأنصار بالحلف والجوار فقال عليه الصلاة والسلام: «سلمان منا أهل البيت»[3]، وقال فيه علي بن أبي طالب: هو منا أهل البيت؛ وعده بعضهم من موالي النبي ﷺ لأنه أعانه في الكتابة وكان سبب مكاتبته لسيده. وقد آخى رسول الله ﷺ بينه وبين أبي الدرداء؛ وقد شغله رضي الله عنه الرق حتى فاته بدر وأحد مع النبي ﷺ ، وأول مشاهده الخندق وهو الذي أشار بحفره على رسول الله صلى الله عليه وسلم، و لم يتخلف عن رسول الله

---

(1) حديث سلمان هذا أخرجه الإمام أحمد في مسنده عن ابن عباس.

(2) أي احفر لها موضعا تغرس فيه، وتسمى الحفرة: فقرة بضم الفاء.

(3) حديث: «سلمان منا.. » إلخ، تقدم تخريجه.

ﷺ في غزوة ولا مشهد بعدها، وشهد فتوح العراق.

وكان رضي الله عنه خيرا فاضلا وحبرا عالما، قال فيه رسول الله ﷺ: «سلمان سابق فارس إلى الجنة»[1]، وقال: «لو كان الدين بالثريا لناله سلمان»، وفي رواية: «لناله رجال من قوم هذا وأشار إلى سلمان»[2]. وسئل عنه علي بن أبي طالب فقال: علم العلم الأول والآخر، بحر لا ينزف؛ وقال أيضا: سلمان الفارسي مثل لقمان الحكيم، وعن أبي هريرة قال: كان سلمان صاحب الكتابين يعني الإنجيل والفرقان، وقالت عائشة رضي الله عنها: كان لسلمان مجلس من رسول الله ﷺ ينفرد به بالليل حتى كاد يغلبنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم. وعن كعب الأحبار قال: سلمان حشي علما وحكمة، وقد روى سلمان كثيرا عن رسول الله ﷺ وروى عنه الجم الغفير من الصحابة والتابعين. وكان رضي الله عنه ناسكا صالحا زاهدا متقشفا يلبس الصوف ويركب الحمار بغير إكاف[3] ويأكل خبز الشعير، وكان إذا سئل عن نسبه يقول: أنا ابن الإسلام من بني آدم، ويقول:

أبي الإسلام لا أب لي سواه   إذا افتخروا بقيس أو تميم

ولم يكن له رضي الله عنه بيت بل كان يستظل بالجدار والشجر وكان له كساء يبسط بعضه تحته ويلتف ببعضه. وكان أميرا على المدائن في خلافة عمر بن الخطاب، قيل وبعض خلافة عثمان رضي الله عنهم، وكان عطاؤه من بيت المال خمسة آلاف، وكان إذا أخذها تصدق بها ولا يقبل شيئا من أحد؛ وكان يعمل

---

(1) أخرجه ابن سعد عن الحسن مرسلا كما في الجامع الصغير.

(2) ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب.

(3) الإكاف ـ بوزن كتاب وغراب ـ البردعة، جمعه أُكُف وآكِفَة، وآكف الحمار والبغل وأكّفهما: شد عليهما الإكاف.

الخوص[1] وقد تعلمه بالمدينة من الأنصار عند بعض مواليه فقيل له: تعمل هذا وأنت أمير يجري عليك رزق؟ فقال: إني أحب أن آكل من عمل يدي. ولم يزل رضي الله عنه واليا على المدائن مستقلا بولايتها لا ينازعه منازع إلى أن توفي بها سنة خمس وثلاثين وقيل ست وثلاثين عن عمر يبلغ ثلاثمائة وخمسين، وقيل مائتين وخمسين[2].

وقد روي عن ابن بريدة عن أبيه قال، قال رسول الله ﷺ: «إن الله عز وجل أمرني بحب أربعة وأخبرني أنه يحبهم»، قيل يا رسول الله سمهم لنا، قال: «علي منهم ـ يقول ذلك ثلاثا ـ وأبو ذر والمقداد وسلمان»[3].

ولما أنهى الكلام على بني هاشم أخذ يتكلم على بني عمهم آل المطلب بن عبد مناف، فقال رحمه الله:

بنو المطلب بن عبد مناف*

وَهَاشِمٌ حَلِيفُـــهُ المُطَّلِـــبُ وَكُفْـــؤُهُ وَالشَّافِعِيُّ يُنْسَـــبُ

لَهُـمْ وَهَاشِمُ الشَّرِيــفُ جَدُّهُ وجَــدُّهُ السَّائِبُ طَارَ مَجْدُهُ

---

(1) الخوص بالضم: ورق النخل الواحدة بهاء ، والخواص: الذي يعمل الأشياء منه ، والبائع له ـ [القاموس و المنجد].

(2) وترك بنتين ، وروي أيضا أنه عاش ثلاثمائة سنة، ودفن بيده مائة من ولده ليس فيها سقط ولا أنثى ولا ولدُ ولدٍ.

(3) أخرجه ابن ماجه ، والحاكم.

* تناول الناظم الكلام على بني المطلب بن عبد مناف في نحو ستة أبيات وذكر من أعيانهم سبعة رجال وامرأة واحدة.

أَسَرَّ إذْ أُسِّـــــرَ إِسْلاماً لَدَى   بَدْرٍ لِيَأخُـــذَ الصَّحَابَةُ الْفِدَا

الحليف: المعـاهد علـى التنـاصر والتعـاضد. **والكـفء** (بتثليـث الكـاف): المثـل والنظير. **والشافعي** مبتدأ خبره الجملـة بعـده. والضَّمـير في **لهـم** عـائد علـى **المطلـب** باعتبار بنيه. وقوله **وهاشم** مبتدأ، **والشريف** صفته، ووصفه بذلك لأنه جد رسـول الله ﷺ ومنه تفرع آل النـبي صلـى الله عليـه وسـلم وللاحـتراز بـه مـن هاشـم بـن المطلب جد الشافعي من الأب. **وجَدُّهُ** الأولى خبر عــن هاشـم، والضمـير فيـه عـائد على الشافعي. **وجَدُّهُ** الثانية مبتدأ والضمير فيه عائد على الشافعي أيضا. **والسائب**: بدل من جده، وخبر المبتدأ جملة قوله **طار مجده**: أي ارتفع ذكره. والضمير في **مجـده** عائد على السائب. **والمجد**:العز والرفعـة. وقولـه **أسـر** (بفتـح الهمـزة والسين مخففـة وتشديد الراء) أي أخفى. وقوله **إذ أُسِّرَ** (بتشديد السين والبناء للمفعول) أي قبـض عليه. وقوله **إسلاما**: مفعول به لأسَرَّ، أي أخفى الإسـلام حـين قبـض عليـه أسـيرا. **والفِدَا** (بالكسر والقصر ويمدُّ): ما يعطى من مال ونحوه عوض المفديّ.

يعني أن هاشما والمطلب ابني عبد مناف كانا متحالفين دون أخويهما: عبد شمـس ونوفل، وأن المطلبي كان كفؤا للهاشمية؛ وقد تقـدم أن أبنـاء عبـد منـاف بـن قصـي أربعة: هاشم وعبد شمس والمطلب ونوفل؛ وكان هاشم وعبد شمس يتقاسمان رئاسـة بني عبد مناف وكانت البقية أحلافهم، فبنو المطلب أحـلاف بـني هاشـم كمـا قـال الناظم: **وهاشم حليفه المطلب**، وبنو نوفل أحلاف بني عبد شمس كما قال: **ونوفـل حليف عبد شمس**. وكان لبني عبد مناف هؤلاء في قريش النسب الصميم والحسـب الكريم، وإلى ذلك أشار أبو طالب بقوله:

إذا افتخرت يوما قريش بمفخر   فعبد مناف أصلــــها وصميمها

فكان هاشم والمطلب حليفين، وجرى ذلك في ذريتهما من بعدهما، حتى قال صلى

ا لله عليه وسلم: «إنما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد لم يفترقا في جاهلية ولا إسلام»[1]؛ ولذلك قال الشافعي رحمه ا لله بحرمة الصدقة على آل المطلب كحرمتها على بني هاشم، وقال: نحن وبنو هاشم سواء ما افترقنا في جاهلية ولا في إسلام، ثم كان التبادل في المصاهرة في ذريتهما أمرا جاريا.

أما **المطلب** بن عبد مناف فقد كان أصغر من هاشم وعبد شمس، وكان ذا شرف في قومه وفضل، وكانت قريش تسميه الفياض لسماحته وفضله وقد ولي السقاية والرفادة بعد أخيه هاشم وهو الذي خرج إلى المدينة ليقبض ابن أخيه عبد المطلب بن هاشم بعد وفاة أبيه هاشم ليلحقه ببلده وقومه، فلما أراد الخروج به امتنعت أمه سلمى بنت عمرو النجارية من ذلك وامتنع شيبة أيضا من الخروج معه ومفارقة أمه حتى تأذن له، فقال لها المطلب: إني غير منصرف حتى أخرج به معي إن ابن أخي قد بلغ وهو غريب في غير قومه ونحن أهل بيت شرف في قومنا نلي كثيرا من أمرهم، وقومه وبلده وعشيرته خير له من الإقامة في غيرهم؛ فأذنت له سلمى ودفعته إليه فاحتمله فدخل به مكة مردفه على بعيره، فقالت قريش عبد المطلب ابتاعه (فبها سمي شيبة عبد المطلب) فقال المطلب: ويحكم إنما هو ابن أخي هاشم قدمت به من المدينة. فغلب على شيبة ذلك الاسم ودعي به من ثم، وقيل

---

(1) أخرجه مسلم وابن ماجه، وسبب ذلك أنه صلى ا لله عليه وسلم جاءه يوما عثمان بن عفان العبشمي وجبير بن مطعم النوفلي فسألاه أن يقسم لهما كما قسم لبني هاشم وبني المطلب وقالا له: إن قرابتنا واحدة، وذلك لأن جدهم جميعا عبد مناف، وفيه يجتمعون، فلم يفعل وقال: «إنما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد.. » - الحديث. وقد أشار صلى ا لله عليه وسلم بذلك إلى مؤازرة بني المطلب لبني هاشم وانضمامهم إليهم حين قاطعتهم قريش وحاصرتهم في الشعب، وقد مالأ بنو عبد شمس وبنو نوفل ابني عبد مناف بطون قريش الأخرى عليهم كما مالأهم أبو لهب من بني هاشم.

لقب عبد المطلب لأن أباه هاشما أوصى أخاه المطلب وقال له: أدرك عبدك؛ فمن ثم سمي عبد المطلب. وتوفي المطلب بردمان من أرض اليمن، فقال رجل يبكيه:

قد ظمئ الحجيج بعد المطلب   بعد الجفان والشراب المنثعب[1]

ليت قريشا بعده على نصب

فولي عبد المطلب بن هاشم بعده السقاية والرفادة، فأقامهما للناس وأقام لقومه ما كان آباؤه يقيمونه قبله لقومهم من أمرهم، وشرف فيهم شرفا لم يبلغه أحد من آبائه وأحبه قومه وعظم خطره فيهم، وهو الذي حفر بئر زمزم وجعلها سقاية للحجيج.

ومن أولاد المطلب بن عبد مناف: هاشم والحارث ومخرمة وعباد وعلقمة وأبو رهم (أنيس) وغيرهم. وقد ذكر الناظم من عقب المطلب سبعة نفر هم الإمام الشافعي، وجده السائب بن عبيد، ومسطح بن أثاثة، وأمه سلمى بنت أبي رهم، وركانة بن عبد يزيد وابنه يزيد بن ركانة وحفيده علي بن يزيد بن ركانة.

التعريف بالإمام الشافعي

أما الشافعي فهو الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن يزيد المحض بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف القرشي المطلبي، يعرف بالشافعي نسبة إلى جده شافع بن السائب بن عبيد، أمه أزدية. ولد بغزة ـ بقرب حدود البلاد المصرية ـ سنة مائة وخمسين عند وفاة الإمام

---

(1) ظمئ ظَمَأً وظماء وظماءة: عطش أو اشتد عطشه، والحجيج جمع حاج، والجفان جمع جفنة وهي القصعة الكبيرة ﴿وجفان كالجواب﴾ وفي المثل: ادع إلى طعانك من تدعو إلى جفانك، ومعناه: استعمل في حوائجك من تخصه بمعروفك، والمنثعب: المنفجر من انثعب الماء ونحوه انفجر فهو منثعب ـ [القاموس والمنجد].

أبي حنيفة، وحمل إلى مكة ونشأ بها، وما ميز حتى ظهرت عليه ملامح الذكاء والحفظ، فحفظ القرآن وهو ابن سبع سنين وأولع بالنحو والشعر واللغة فرحل إلى البوادي في طلبها فحفظ منها كثيرا قبل البلوغ، وحفظ الموطأ وهو ابن عشر سنين ورحل إلى مالك بن أنس فقرأه عليه من حفظه (قيل إن سنه إذ ذاك خمس عشرة سنة) فقال مالك: إن يكن أحد يفلح فهذا الغلام وأضافه وخدمه بنفسه ثم تفقه عليه ويقال إنه أفتى في الخامسة عشرة من عمره. ثم رجع إلى مكة وعلم بها العربية والفقه وصحح عليه الأصمعي شعر الهذليين، ثم رحل إلى بغداد سنة خمس وتسعين ومائة فاجتمع عليه علماؤها وأخذوا عنه وأملى بها مذهبه القديم، ثم قام بعدة رحلات مر خلالها بالجزيرة والشام وغيرها، وخلال إقامته ببغداد وأثناء رحلاته لقي كثيرا من ثقاة المحدثين وعلم منهم ما لم يعلم ورأى من أعراف الناس في الحجاز واليمن والعراق والجزيرة والشام ما جعله يعدل عن بعض آرائه القديمة في جلب المصلحة ودرء المفسدة.

وفي سنة مائتين عاد إلى مصر فألقى بها عصاه وسكن الفسطاط وأملى بها مذهبه الجديد، بجامع عمرو؛ وتبحر في العلم فكان عالم قريش وفخرها وإمام الشريعة وحبرها وهو أول من تكلم في علم أصول الفقه وهو الذي استنبطه؛ وقد استنبط مذهبه من القرآن والحديث والقياس وبعض الرأي، فكان مذهبه وسطا بين أهل الرأي من أصحاب أبي حنيفة وبين أهل الحديث من أمثال مالك وأحمد رضي الله عنهم، فكان أحد الأئمة الأربعة الأعلام، وكان من أبرز الناس ذكاء وعقلا وحفظا وفصاحة لسان وقوة حجة، ولم يناظر أحدا إلا ظهر عليه، واتفق العلماء على ثقته وورعه وأمانته وزهده، وكان جوادا كريما لا يبقي على شيء ولا يدخر شيئا، وكان إماما في كل شيء حتى الرمي بالسهام، فكان حاذقا فيه يصيب منه تسعة من عشرة وكان مع إمامته شاعرا مجيدا. توفي رحمه الله يوم الجمعة آخر يوم

من رجب سنة أربع ومائتين للهجرة وقبره بقرافة مصر معروف مشهور، ومناقبه رضي الله عنه لا تحصى. ومن ولده أبو الحسن قاضي قنسرين وغيرها، وعثمان الذي رحل إلى الإمام أحمد بن حنبل.

وقول الناظم **وهاشم الشريف جده** أراد بهاشم الشريف: هاشم بن عبد مناف بن قصي جد النبي ﷺ ، وأخبر بأنه جد الإمام الشافعي تنبيها على تلك الفضيلة والخصلة النبيلة، وكان جده ثلاث مرات: الأولى لأن أم جده يزيد المحض بن هاشم بن المطلب الشفاء بنت هاشم بن عبد مناف بن قصي، والثانية لأن أم جده السائب بن عبيد الشفاء بنت الأرقم بن نضلة بن هاشم بن عبد مناف، والثالثة لأن أم الشفاء بنت الأرقم هذه خليدة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف، فكان هاشم بن عبد مناف المعبر عنه بهاشم الشريف قد ولد الشافعي ثلاث مرات.

وأما جده السائب فهو أبو شافع السائب بن عبيد بن يزيد - أو عبد يزيد — بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف القرشي المطلبي، أمه الشفاء بنت الأرقم، كما مر. حضر السائب هذا بدرا مع المشركين وكانت معه يومئذ راية بني هاشم فأسره سلمة بن أسلم بن حريش بن عدي بن مجدعة الأوسي الحارثي، فأسلم وأسر إسلامه حتى فدى نفسه، وقيل إنه لما أسر فدى نفسه ثم أسلم، فقيل له لو أسلمت قبل أن تفتدي ، فقال: ما كنت لأحرم المؤمنين طُعْمًا[1] لهم؛ وإلى ذلك أشار الناظم بقوله **أَسَرَّ إذ أُسِّر إسلاما**.. إلخ، فحسن إسلامه رضي الله عنه فكان من فضلاء الصحابة، وكان شبيها بالنبي ﷺ ، وفي الإصابة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ذات يوم في فسطاط فجاءه السائب هذا ومعه ابن له فقال: «من سعادة

(1) طعما: أي رزقا لهم.

المرء أن يشبه أباه»[1].

وقد نظم بعضهم المشبهين بالنبي ﷺ فقال:

بخمسةٍ شبه المختار من مضر يا حسن ما خولوا من شبهه الحسن[2]

بجعفر وابن عم المصطفى قثم وسائب وأبي سفيان والحسن[3]

ومن ولد السائب هذا شافع بن السائب أمه أم ولد وبه كني أبوه السائب، وقد رأى رسول الله ﷺ ؛ وهو الذي إليه نسبة الإمام الشافعي، كما مر.

تنبيه: ممن أسلم يوم بدر وافتدى أبو الحارث نوفل بن الحارث بن عبد المطلب ابن عم رسول الله ﷺ ، فقد روي أنه لما أسر يوم بدر قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «افد نفسك» قال: ما لي مال أفتدي به، قال: «افد نفسك برماحك التي بجُدة» فقال: والله ما علِم أحد أن لي بجدة رماحا بعد الله غيري أشهد أنك رسول الله ففدى نفسه بها، وكانت ألف رمح[4]، وقيل إنه لما أسر فداه عمه العباس، ولما فداه أسلم.

ومنهم أيضا الوليد بن الوليد بن المغيرة المخزومي أخو خالد بن الوليد، فقد

---

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك عن أنس [الجامع الصغير].

(2) خوَّلوا أي: أُعطُوا، خوَّلَه الشيء: أعطاه إياه متَفَضِّلاً.

(3) جعفر هو ابن أبي طالب بن عبد المطلب، وقثم هو ابن العباس بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم، والسائب هو ابن عبيد ـ المترجم هنا ـ وأبو سفيان هو ابن الحارث بن عبد المطلب ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم، والحسن هو الحسن السبط بن علي بن أبي طالب. وقيل المشبهون بالنبي صلى الله عليه وسلم عشرة: الخمسة المذكورون والحسين السبط بن علي وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب، وعبد الله بن عامر بن كريز ، ومسلم بن عقيل بن أبي طالب، وكابس بن ربيعة.

(4) أخرجه ابن سعد من طريق إسحاق بن عبد الله بن الحارث بن نوفل عن أبيه ـ [الإصابة].

شهد بدرا مشركا فأسره عبد الله بن جحش فقدم في فدائه أخواه خالد وهشام ــ وكان هشام شقيقه ــ فتمنع عبد الله بن جحش حتى افتكاه منه بأربعة آلاف درهم، فجعل خالد لا يبلغ ذلك فقال له هشام: ليس بابن أمك، والله لو أبى فيه إلا كذا وكذا لفعلت.

وقد روي أن رسول الله ﷺ قال لعبد الله بن جحش: «لا تقبل في فدائه إلا شكة أبيه الوليد»، وكانت درعا فضفاضة وسيفا وبيضة[1]، فأبى ذلك خالد وأجاب هشام فأقيمت الشكة بمائة دينار فسلماها إلى عبد الله بن جحش، فلما افتدي أسلم فقيل له: هلا أسلمت قبل أن تفتدي؟ قال: كرهت أن تظنوا بي أني جزعت من الإسار، فحبسوه بمكة فكان رسول الله ﷺ يدعو له فيمن دعا لهم من المستضعفين المؤمنين بمكة، ثم أفلت من إسارهم ولحق برسول الله ﷺ وشهد معه عمرة القضية، والله أعلم.

ثم قال رحمه الله:

ومِسْطَحُ وأُمُّهُ وَالأَيِّدُ رُكَانَةُ يَزِيدُهُ المُطَّرِدُ

فِيهِ وَفي ابْنِهِ عَلِيٍّ قُوَّتُهْ وبِالْفُوَيْسِقِ أَضَرَّتْ صَرْعَتُهْ

وَتحْتَهُ بِنْتُ عَقِيلٍ زَيْنَبُ وَهْيَ الَّتِي رَهْطَ الحُسَين تَنْدُبُ

قوله **مسطح** (بوزن منبر وبالرفع): عطف على قوله المتقدم: *والشافعي ينسب لهم*. و**الأيد** (بوزن سيد): القوي. و**ركانة** (بوزن ثمامة) بدل من **الأيد**. **ويزيده** (بالرفع): عطف على **ركانة** بحذف العاطف. والضمير في **يزيده** وفي **قوته** عائد على

---

(1) الشكة (بالكسر): السلاح، والفضفاضة: الواسعة، والبيضة: الخوذة من الحديد وهي ما يجعله المحارب على رأسه ليقيه.

ركانة. و**المطرد** (بصيغة اسم الفاعل): المتتابع والمتسلسل. والضمير في قوله **فيه** وفي **ابنه** عائد على **يزيده**. وقوله **علي** (بالجر) بدل من **ابنه**. **وقوته** (بالرفع): فاعل **المطرد**. **والصرعة** (بفتح فسكون): المرة من صرعه إذا طرحه على الأرض. والضمير في قوله **وتحته** عائد علَى علِيٍّ بن يزيد بن ركانة. **وزينب**: بدل من **بنت عقيل**. **وتندب** (بضم الدال): أي تبكيهم وتذكر محاسنهم.

يقول: ومن عقب المطلب بن عبد مناف مسطح والمعطوفون عليه وهم بقية السبعة المتقدم ذكرهم. أما مسطح فهو أبو عباد عوف بن أثاثة بن عباد بن المطلب بن عبد مناف بن قصي القرشي المطلبي، أسلم قديما وهاجر إلى المدينة صحبة بني عمه عبيدة والحصين والطفيل بني الحارث بن المطلب، ونزلوا على عبد الله بن سلمة العجلاني، وشهدوا بدرا؛ واختلف في وقت موت مسطح فقيل مات سنة أربع وثلاثين، وقيل بل شهد صفين مع علي رضي الله عنه، ومات سنة سبع وثلاثين، وكان ممن خاض في الإفك فجلد في ذلك. وأما أمه فهي أم مسطح (أو أم عوف) سلمى بنت أبي رهم (أنيس) بن المطلب بن عبد مناف القرشية المطلبية وأمها ريطة بنت صخر بن عامر بن كعب التيمية أخت أم الخير بنت صخر أم أبي بكر الصديق رضي الله عنهم، فمسطح ابن بنت خالة أبي بكر الصديق.

ولهذه القرابة كان أبو بكر ينفق على مسطح حتى خاض مع أهل الإفك في أمر عائشة رضي الله عنها، فلما برأها الله تعالى من الإفك أقسم أبو بكر أن لا ينفق على مسطح بعد وأن لا يناله بخير، فأنزل الله تعالى: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[1]، فقال أبو

(1) النور الآية: 22.

بكر: بلى والله أحب أن يغفر الله لي، فكفر عن يمينه وعاد إلى الإنفاق عليه.

وقد أسلمت أم مسطح قديما وكانت من المبايعات وحسن إسلامها وكانت من أشد الناس على مسطح حين تكلم مع أهل الإفك، وورد في قصة الإفك حين خرجت مع عائشة لقضاء الحاجة فعثرت فقالت: تعس مسطح[1]، فقالت لها عائشة: أتسبين رجلا شهد بدرا؟ فقالت: أو ما تعلمين ما قال؟ فذكرت القصة[2]. ولمسطح أخ اسمه مضطجع بن أثاثة بن عباد بن المطلب شهد بدرا مع رسول الله ﷺ وأختهما هند بنت أثاثة.

وأما ركانة فهو أبو محمد ركانة بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف القرشي المطلبي، كان يقال لأبيه عبد يزيد المحض أي الخالص لأن أمه الشفاء بنت هاشم بن عبد مناف، وأباه هاشم بن المطلب، وكان ركانة هذا قويا ليس في وقته مثله قوة، ومن قوته أنه كان يقف على جلد بقرة ويجذبه عشرة من تحت قدميه حتى يتمزق الجلد ولا يتزحزح هو عنه، فكان ذلك سبب إسلامه، فقد روي أنه صلى الله عليه وسلم خلا به يوما وهو في بعض شعاب مكة[3] فدعاه إلى الإسلام وقال له: «يا ركانة ألا تتقي الله وتقبل ما أدعوك إليه»[4] قال: لو أني أعلم أن الذي تقول حق لاتبعتك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أفرأيت إن صرعتك أتعلم أن ما

---

(1) تعس (كسمع ومنع): أي هلك، والتعس: الهلاك والعثار والسقوط والشر والبعد والانحطاط ـ [القاموس].

(2) رواها البخاري ومسلم وغيرهما.

(3) شعاب مكة: طرقها، والشعب: الطريق في الجبل وما انفرج بين جبلين، جمعه: شعاب.

(4) سيرة ابن هشام: 1 / 418.

أقول حق»؟ قال: نعم، قال: «فقم حتى أصارعك»، فقام ركانة إليه فصارعه فصرعهُ رسول ا لله ﷺ وأضجعه وهو لا يملك من نفسه شيئا، ثم قال: عد يا محمد، فعاد فصرعه؛ ثم قال: يا محمد وا لله إن هذا للعجب أتصرعني؟ قال رسول ا لله ﷺ: «فأعجب من ذلك إن شئت أن أريكهُ إن اتقيت واتبعت أمري»؛ قال: ما هو؟ قال: «أدعو لك هذه الشجرة التي ترى فتأتيني»، قال: ادعها؛ فدعاها فأقبلت حتى وقفت بين يدي رسول ا لله ﷺ فقال له ركانة: مرها فلترجع؛ فأخذ عليه النبي ﷺ العهد لئن أمرها فرجعت ليسلمن، فقال لها رسول ا لله ﷺ: «ارجعي إلى مكانك»، فرجعت إلى مكانها؛ فلم يسلم ورجع إلى قومه فقال: يا بني عبد مناف ساحروا بصاحبكم أهل الأرض[1] فوا لله ما رأيت أسحر منه قط، ثم أخبرهم بالذي رأى والذي صنع. فلما كان يوم الفتح أسلم[2]. وفي الإصابة أنه أسلم عند مصارعته قبل الهجرة ، وروي أنه كان يقول: كان مما هداني ا لله إذ علمت أنه لم يصرعني يومئذ بقوته. ثم نزل المدينة وأطعمه رسول ا لله ﷺ ثلاثين وسقا وقيل خمسين من خيبر، وتوفي رضي ا لله عنه سنة اثنتين وأربعين، وقيل أربعين.

وأما يزيد بن ركانة فقد كانت له أيضا صحبة ورواية، روى عنه ابناه: علي وعبد الرحمن، وله قوة نزع فيها إلى أبيه ركانة.

وأما علي بن يزيد بن ركانة فأمه أم ولد، وقد كانت له أيضا قوة زائدة نزع فيها إلى أبويه يزيد وركانة، وله في ذلك أخبار، منها أنه صارع يوما يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، وكان من أشد العرب قوة فصرعه عليٌّ صرعة لم يسمع بمثلها، ثم حمله بعد ذلك معاوية على فرس جموح لا يطاق فعلم ما يراد به، فلما جمح به

---

(1) أي غالبوهم به في السحر.

(2) سيرة ابن هشام: 1 / 418.

الفرس ضم عليه فخذيه فأمسكه فلم يستطع أن يتحرك، وصارعه يوما رجلان أيدان فتأبطهما وجرهما تحت إبطيه حتى أشرفا على الموت ثم أطلقهما.

قوله : وتحته بنت عقيل.. إلخ، يعني أن عليا بن يزيد بن ركانة بن يزيد بن هاشم بن المطلب كانت تحته زينب بنت عقيل بن أبي طالب، وهي التي كانت تبكي آل الحسين بن علي الذين قتلوا مع الحسين بكربلاء بقولها:

ما ذا تقولون إن قال النبي لكم ... ما ذا فعلتم وأنتم آخر الأمم

بعترتي وبأهلي بعد مفتقدي ... منهم أسارى وقتلى ضرجوا بدم ..الخ

ـ كما تقدم ـ وولدت له أولادا منهم عبدة بنت علي أم أبي البختري (وهب) بن وهب بن كبير بن عبد الله بن زمعة بن الأسود بن المطلب الذي كان على قضاء أمير المؤمنين هارون الرشيد، كما في الزبيري.

ومن هاشم بن المطلب أيضا عجيد (كقتيل) ـ أو عجير بالتصغير ـ بن يزيد بن هاشم أخو ركانة، أسلم عام الفتح وأطعمه النبي ﷺ من خيبر ثلاثين وسقا، وهو ممن بعثهم عمر من مشايخ قريش وجِلّتهم[1] لإقامة أعلام الحرم؛ ومات في خلافة علي.

ومن الحارث بن المطلب بن عبد مناف أبناؤه عبيدة والحصين والطفيل، أسلموا ثلاثتهم قبل دخول النبي ﷺ دار الأرقم بن أبي الأرقم وصحبوا وهاجروا إلى المدينة وشهدوا بدرا، وكان عبيدة منهم صاحبَ أول ـ أو ثاني ـ لواء عقده رسول الله ﷺ على ستين من المهاجرين فالتقى بالمشركين بثُنَيَّة المرة وعليهم أبو سفيان بن حرب و لم يكن بينهم إلا الرمي، فكان أول قتال في الإسلام؛ وحضر رضي الله عنه

---

(1) يقال قوم جلة ـ بكسر الجيم وتشديد اللام ـ عظماء وسادة ذوو أخطار، والجلة جمع جليل وفي الحديث "أخذت جلة أموالهم" ـ [القاموس والمعجم الوسيط].

بدرا واستشهد بها في أهل البراز فقطعت ساقه واحتمله حمزة وعلي إلى النبي ﷺ فوسده قدمه الشريفة فقال: يا رسول الله لو أن أبا طالب حي لرأى أني أحق منه بقوله:

كذبتم وبيت الله نسلم محمدا ... ولما نقاتل دونه ونناضل

ونمنعه حتى نصرع حوله ... ونذهل عن أبنائنا والحلائل

ثم حمله رسول الله ﷺ والمسلمون معهم بعد انتهاء المعركة حتى كانوا بحمراء الأسد على ليلة من بدر توفي فدفن حيث توفي بوادي الصفراء وعمره ثلاث وستون سنة، وكان أسن المسلمين يومئذ (أسن من رسول الله ﷺ بعشر سنين) وشهد أخواه الحصين والطفيل بدرا والمشاهد بعدها، وماتا سنة ثلاث وثلاثين في عام واحد وكانا خيرين فاضلين رضي الله عنهم.

ومن مخرمة بن المطلب قيس بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف القرشي المطلبي، ولد عام الفيل فكان لِدَةً[1] لرسول الله ﷺ، وكان شديد الصفير[2] يصفر عند البيت فيسمع صفيره بحراء، ثم أسلم وكان من المؤلفة قلوبهم، أعطاه النبي ﷺ بخيبر ستين وسقا ثم حسن إسلامه رضي الله عنه.

ومن مخرمة أيضا جهيم بن الصلت بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف القرشي المطلبي، أسلم عام خيبر وأعطاه النبي ﷺ من خيبر ثلاثين وسقا، وهو الذي رأى الرؤيا بالجحفة حين نفرت قريش لتمنع عيرها يوم بدر ونزلوا بالجحفة ليتزودوا من الماء، فغلبت جهيما عينه فرأى في منامه راكبا على فرس له ومعه بعير له حتى وقف على العسكر فقال: قتل فلان وفلان، فعدد رجالا من أشراف قريش، ثم طعن في

---

(1) اللدة (بالكسر): الترب، وهو الذي يولد معك، أو يوم ولادتك وتربى معك جمعه لِدات ولِدون.

(2) الصفير: صوت خارج من الفم والشفتين على درجة كبيرة من الرخاوة كالسين والزاي والصاد.

لبة بعيره ثم أرسله في العسكر فلم يبق خباء من أخبية قريش إلا أصابه بعض دمه.

وهذه الرؤيا مثل رؤيا عاتكة بنت عبد المطلب بن هاشم القرشية الهاشمية عمة رسول الله ﷺ ، فقد رأت قبل مقدم ضمضم بن عمرو الغفاري على قريش مكة بثلاث ليال، رأت رؤيا فلما أصبحت بعثت إلى أخيها العباس فقالت: يا أخي لقد رأيت الليلة رؤيا ليدخلن على قومك منها شر وبلاء، فقال: وما هي؟ قالت: رأيت فيما يرى النائم رجلا أقبل على بعير له فوقف بالأبطح فقال: انفروا يا آل غدر لمصارعكم[1] في ثلاث فأرى الناس اجتمعوا إليه ثم أرى بعيره دخل به المسجد واجتمع الناس إليه، ثم مثل به بعيره فإذا هو على رأس الكعبة فقال: انفروا يا آل غدر لمصارعكم في ثلاث، ثم أرى بعيره مثل به على رأس أبي قبيس فقال: انفروا يا آل غدر لمصارعكم في ثلاث، ثم أخذ صخرة فأرسلها من رأس الجبل فأقبلت تهوي حتى إذا كانت في أسفله ارفضت[2] فما بقيت دار من دور قومك ولا بيت إلا دخل فيها بعضها؛ فقال العباس: اكتميها قالت: وأنت فاكتمها، ثم ذكرها العباس للوليد بن عتبة وكان له صديقا واستكتمه إياها، فذكرها الوليد لأبيه، فتحدث بها ففشا الحديث، فقال العباس: والله إني لغاد إلى الكعبة لأطوف بها فإذا أبو جهل في نفر يتحدثون عن رؤيا عاتكة، فقال أبو جهل: يا أبا الفضل متى حدثت فيكم هذه النبية؟ فقلت وما ذاك؟ قال: رؤيا عاتكة بنت عبد المطلب، أما رضيتم أن تتنبأ

---

(1) الأبطح في الأصل: مسيل واسع فيه دقاق الحصى ومنه أبطح مكة وبطحاؤها: مكان بها، جمعه: أباطح وبطاح، وقريش البطاح: الذين ينزلون بين أخشبي مكة، وغدر (بوزن صرد): الرجل الغادر أي الخائن الناقض للعهد، يقال في شتم الرجل يا غدر أي: يا غادر، وفي الجمع يا آل غدر، والمصارع: جمع مصرع وهو مكان سقوط الإنسان على الأرض ميتا.

(2) ارفضت: تكسرت وتفرقت.

رجالكم حتى تنبأت نساؤكم؟! سنتربص بكم الثلاث التي ذكرت عاتكة فإن كان حقا فسيكون وإلا كتبنا عليكم كتابا أنكم أكذب أهل بيت في العرب. ثم كان ما كان وأصاب قريشا ما أصابها ببدر وصدق الله سبحانه وتعالى رؤيا عاتكة.

ولما أنهى الناظم الكلام على بني المطلب أخذ يتكلم على بني نوفل بن عبد مناف، فقال رحمه الله:

بنو نوفل بن عبد مناف*

وَنَوْفَلٌ حَلِيفُ عَبْدِ شَمْسِ وَمُطْعِمٌ أَجَارَ خَيْرَ الإِنْسِ

سَيِّدُهُمْ وَذُو السِّقَايَةِ أَبُوهْ لِنَوْفَلٍ وهْوَ عَدِيٌّ نَسَبُوهْ

لِلْحَارِثِ بْنِ عَامِرِ بْنِ نَوْفَلِ عُقْبَةُ قَاتِلُ خُبَيْبٍ الْعَلِي

نوفل مبتدأ، و**حليف عبد شمس** خبره. و**مطعم** (بصيغة اسم الفاعل): مبتدأ خبره **سيدهم**. وجملة قوله **أجار خير الإنس** صفة لمطعم. و**الإنس** (بكسر الهمزة): البشر. **وذو السقاية**: مبتدأ خبره قوله **نسبوه**. **وأبوه**: بدل من **ذو السقاية**. وقوله **لنوفل**: متعلق **بنسبوه**. وجملة قوله **وهو عدي** مفسرة لقوله **وذو السقاية**.. إلخ.

يعني أن نوفل بن عبد مناف كان حليفا لأخيه عبد شمس دون أخويه هاشم والمطلب ـ كما مر ـ وأن المطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف كان سيد بني نوفل، وهو الذي أجار رسول الله ﷺ مرجعه من ثقيف، وأن أباه عديا بن نوفل كان صاحب سقاية للحاج بمكة.

---

* تناول الناظم الكلام على بني نوفل بن عبد مناف في ثلاثة أبيات، وذكر من أعيانهم أربعة رجال.

أما نوفل بن عبد مناف فأمه واقدة بنت أبي عدي (من بني مازن بن صعصعة)، وله من الولد عدة منهم عدي بن نوفل، وهو أكبر ولده وبه كني، وعامر وعمرو وعبد عمرو وأبو عمرو.. وغيرهم.

وأما عدي فهو أبو المطعم عدي بن نوفل بن عبد مناف بن قصي القرشي النوفلي، أمه هند بنت وهيب بن نسيب (من بني مازن بن منصور) وأخته لأمه مُنَيْنَةُ بنت الحارث بن جابر بن وهب بن نسيب أم بني خويلد بن أسد الأكابر[1]؛ ومن أجل ذلك استنصر بهم عدي بن نوفل حين نازع عبد المطلب في السقاية، وكان عدي من سادات قريش وزعمائها. وكانت السقاية الكبرى للحجيج زمزم سقاية عبد المطلب بن هاشم، ثم أراد عدي بن نوفل أن يحفر سقاية أخرى للحاج بين المشعرين الصفا والمروة، فمنعه عبد المطلب أولا، فاستنصر ببني أخته بني خويلد بن أسد، فأذن له عبد المطلب فحفرها، فكانت تعرف: بـ"سقاية عدي"؛ وفي ذلك يقول عدي نفسه يخاطب عبد المطلب:

متى تَدْعُ مَوْلًى مِّن مواليكَ تلقني	متى أَدْعُ مَوْلَى نوفلٍ غَيرَ أَوْحَدِ
متى أدع عواما ويأت ابن أمه	حزام فمولى نوفل غير مفرد
تَطُفْ أَسَدٌ[2] حَوْلِي بحدِّ رِمَاحِها	ويأتوك أفواجًا على غير موعد
بنو أمنا في كل يوم كريهة	ومن نسل شيخ مَجْدُه غير مُقعَدِ[3]

(1) وهم: عدي وحزام والعوام ورقيقة بنو خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي، وهم حلفاء بني نوفل بن عبد مناف. [الزبيري].

(2) يريد بني أسد بن عبد العزى بن قصي.

(3) بنو أمنا: أي لأن جدتهم هند بنت وهيب بن نسيب، أم آل نوفل بن عبد مناف، ويوم الكريهة: يوم اشتداد الحرب، ومن نسل شيخ: يعني قصيا لأن جدهم قصي بن كلاب، ومجده: عزه ورفعته، وغير مقعد: (بضم الميم وفتح العين) يريد أنه شريف الحسب، يقال: فلان مقعد الحسب: إذا لم يكن له شرف.

وفي تلك السقاية يقول مطرود الخزاعي يمدح عديا:

وما النيـــل يأتي بالسفين يكفه بأجود سيبا من عــدي بن نوفل

وأنبطت بين المشعرين سقاية[1] لحجاج بيت الله أفضـــل منهل

وروي أن سعيد بن سالم القداح - فقيه أهل مكة - وهو من شيوخ الشافعي قال: أدركت سقاية عدي هذه يسقى عليها اللبن والعسل. وقد تزوج نافع بن جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل ميمونة بنت عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب فولدت له غلاما سماه عليا، فكان إذا رآه قال: هذا ابن السقايتين[2].

المطعم بن عدي وحمايته للنبي ﷺ عودته من الطائف

وأما المطعم فهو ابن عدي بن نوفل بن عبد مناف بن قصي القرشي النوفلي، أمه فاختة بنت عباس بن حيي بن رعل بن مالك (من بني سليم بن منصور)، كان من سادات قريش، وهو الذي أجار رسول الله ﷺ حين رجع من الطائف.

وحاصل تلك القصة التي أشار إليها الناظم أنه لما مات أبو طالب وتوفيت خديجة بنت خويلد رضي الله عنها عظمت المصيبة على رسول الله ﷺ بموتهما لأنهما كانا أشد المعضدين له والمدافعين عنه، فكانت هي له وزير صدق على الإسلام يشكو إليها وكان هو له عضدا وحرزا في أمره ومنعة وناصرا على قومه، وبموتهما نالت قريش منه من الأذى ما لم تكن تنال منه في حياتهما حتى سمي ذلك

---

(1) أنبطت البئر: استخرجت ماءها، والمشعر: أحد معالم مناسك الحج التي ندب الله تعالى لها وأمر بالقيام بها، والمراد بالمشعرين هنا: الصفا والمروة. والسقاية: بئر لسقي الحجيج.

(2) يعني العباس بن عبد المطلب صاحب سقاية الحاج، أو عبد المطلب نفسه الذي حفر بئر زمزم لسقاية الحاج، وعدي بن نوفل بن عبد مناف صاحب السقاية الثانية.

العام "عام الحزن" فاشتد أذى قريش لرسول الله ﷺ وبلغوا منه ما لم يكونوا قد بلغوه من قبل ، فلما اشتد عليه الأمر خرج إلى الطائف ومعه مولاه زيد بن حارثة يلتمس من ثقيف النصرة والمَنَعَة[1] بهم من قومه حتى يبلغ عن ربه، فكلمهم في نصرته والقيام معه على من خالفه، فكان ردهم عليه من أقبح الرد، وأخرجوه عن بلدهم، وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به ويرمونه بالحجارة حتى اختضبت نعلاه دما. وقد قالت له عائشة ـ رضي الله عنها ـ: هل أتى عليك يوم أشد من أحد؟! فقال لها: «لقد لقيت من قومك[2] وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة[3] إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كُلال فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت على وجهي وأنا مهموم[4] فلم استفق إلا وأنا بقرن الثعالب...»[5] ـ الحديث[6]، وكان صلى الله عليه وسلم يشير بذلك إلى يوم ثقيف هذا. ثم انصرف رسول الله ﷺ من الطائف راجعا إلى مكة حين يئس من خير ثقيف، حتى إذا كان بنخلة ـ وهي موضع على ليلة من مكة ـ نزل به وقام من جوف الليل يصلي فعند ذلك مر به نفر الجن الذين ذكرت قصتهم في القرآن الكريم

---

(1) النصرة: حسن المعونة، والمنعة (بفتح النون وسكونها): العز والقوة التي تمنع من يريد أحدا بسوء.

(2) يعني قريشا.

(3) يوم وقف فيه صلى الله عليه وسلم عند العقبة التي بمنى ودعا الناس فيه إلى الإسلام فلم يجيبوه وآذوه أشد الإيذاء.

(4) على وجهي: أي على الجهة الواجهة لي، أي انطلقت هائما لا أدري أين أتوجه لكثرة همي الذي كنت فيه.

(5) أي لم أفطن لنفسي و لم أنتبه لحالي وللموضع الذي أنا ذاهب إليه، وقرن الثعالب قيل هو قرن المنازل، وهو ميقات أهل نجد، وهو على مرحلتين من مكة ؛ وأصل القرن: كل جبل صغير ينقطع من جبل كبير.

(6) أخرجه مسلم.

فاستمعوا له وآمنوا به.

ولما علمت قريش بمسيره صلى ا لله عليه وسلم إلى ثقيف ازداد عداؤهم له، فأقام صلى ا لله عليه وسلم بنخلة أياما، ثم انتهى إلى حراء ، فبعث إلى الأخنس بن شريق ليجيره، فقال له: أنا حليف والحليف لا يجير على الصريح[1]، فبعث إلى سهيل بن عمرو، فقال: إن بني عامر بن لؤي لا تجير على بني كعب (بن لؤي)، فبعث إلى المطعم بن عدي فأجابه إلى ذلك، فدخل صلى ا لله عليه وسلم عليه وبات عنده، فلما أصبح تسلح المطعم هو وبنوه وبنو إخوته واحتبوا بحمائل سيوفهم بالمطاف[2] وقالوا لرسول ا لله ﷺ: طف، فقال أبو سفيان للمطعم: أمجير أم تابع؟ فقال: بل مجير، قال: إذن لا تخفر[3]، قد أجرنا من أجرت. فقضى صلى ا لله عليه وسلم طوافه وانصرفوا معه إلى منزله. وكان صلى ا لله عليه وسلم يشكر للمطعم ذلك بعد؛ وقد قال صلى ا لله عليه وسلم: «لو كان المطعم بن عدي فئة لهؤلاء النّتّنى (يعني أسارى بدر) لوهبتهم له»[4]، وفي رواية «لو كان المطعم بن عدي حيًّا وكلمني في هؤلاء النتنى لأطلقتهم له»[5]؛ وكان قد مات بمكة قبل وقعة بدر بنحو سبعة أشهر.

والمطعم بن عدي هذا هو الذي أطلق سعد بن عبادة من أيدي قريش بعد ما تعلقوا به وأجاره، وكان سعد قد قدم معتمرا. وفي المطعم بن عدي يقول حسان بن

---

(1) الحليف: المعاهد، والصريح: الخالص النسب.

(2) الحمائل: جمع حمالة: علاقة السيف، واحتبوا بها: أداروها على أجسامهم، والمطاف: موضع الطواف حول الكعبة.

(3) أي لا ينقض عهدك ولا يغدر به.

(4) رواه البخاري: 6 / 173 – 7 / 249 - [فتح الباري طبعة بولاق].

(5) أخرجه البخاري وأحمد وأبو داوود.

ثابت الأنصاري:

فلو أن مجـدا أخلد الدهر واحـدا ... من الناس أبقى مجـدُه الدهر مطعما
أجـرتَ رسول الله منهم فأصبحوا ... عبيدك ما لبّى مُهِلٌ[1] وأحـرما
فلو سئلـت عنه معدٌ بأسرها ... وقحطانُ أو باقي بقيـة جرهما
لقالوا هـو الموفي بخفـرة جاره ... وذمتـه يوما إذا ما تـذمما
فما تطلـع الشمس المنيرة فوقهم ... على مثله فيهم أعـز وأعظما
وآبى إذا يأبى وأعظـم شيمـة ... وأنـوم عن جار إذا الليل أظلما

ويقول فيه أيضا:

لَـو اَن فتىً نال السماءَ بكفـه ... لَنَالَ عَـدِيٌّ بَابَهاَ بِسَلاَلمـه[2]

ويقول أيضا:

أيا عين فابكي سيد القـوم واسفحي ... بدمـع وإن أنزفته فاسكبي الدما[3]
وبكي عظيـم المشعـرين كليهما ... على الناس معـروفا له ما تكلما

سعيه في نقض الصحيفة

والمطعم بن عدي هذا هو ثالث رجل يقوم في نقض صحيفة قريش في مقاطعتهم بني هاشم وبني المطلب، وهو الذي قام إليها وشقها؛ وكان سبب ذلك أن هشام بن عمرو العامري ـ الذي أبلى في نقضها بلاءً حسنا ـ مشى إلى زهير بن أبي أمية المخزومي وقال: أرضيت يا زهير أن تأكل الطعام وتلبس اللباس وأخوالك حيث قد علمت؟ أما إني أحلف با لله لو كانوا أخوال أبي الحكم بن هشام ودعوته لمثل ما

(1) مهل: رافع صوته بالتلبية.
(2) السلالم والسلاليم: المرقاة التي يرتقي عليها من خشب أو حجر أو مدر.
(3) أنزف عبرته: أنفدها وأفناها، واسكبي: أي صبي الدم.

دعاك إليه منهم ما أجابك إليه أبدا، فقال: ويحك[1] يا هشام ما أصنع؟ فلو كان معي رجل واحد لقمت في نقضها، فقال: أنا معك، فقال زهير: ابغنا ثالثا؛ فذهب إلى المطعم بن عدي فقال له: يا مطعم أقد رضيت أن يهلك بطنان من بني عبد مناف وأنت شاهد موافق لقريش على ذلك؟ أما وا لله لئن أمكنتموهم من هذه لَتَجِدُنَّهَا إليها منكم سراعا، قال: ويحك فما ذا أصنع؟ إنما أنا رجل واحد، قال: قد وجدت ثانياً، قال: من هو؟ قال: أنا، قال: ابغنا ثالثا، قال: قد فعلت، قال: من هو؟ قال: زهير بن أبي أمية، قال: ابغنا رابعاً؛ فذهب إلى أبي البختري بن هشام فقال له نحوا مما قال لمطعم بن عدي، فقال: ابغنا خامسا، فذهب إلى زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد فكلمه وذكر له قرابتهم وحقهم، فقال له: وهل على هذا الأمر الذي دعوتني إليه من أحد؟ قال: نعم.. وسمى له القوم. فاتعدوا خطم الحجون[2] ليلا؛ فاجتمعوا هناك وتعاقدوا على القيام فيها حتى ينقضوها، وقال زهير: أنا أبدؤكم فأكون أول من يتكلم. فلما أصبحوا غدوا على نادي قريش. فجاء زهير وعليه حلة فطاف بالبيت سبعا، ثم أقبل على الناس فقال: يا أهل مكة أنأكل الطعام ونلبس الثياب وبنو هاشم هلكى؟! وا لله لا أقعد حتى تشق هذه الصحيفة القاطعة الظالمة، فقال أبو جهل: كذبت وا لله لا تشق ؛ فتبادر الأربعة الآخرون بتكذيب أبي جهل وتصديق زهير، فقال أبو جهل: هذا أمر قضي بليل تشوور فيه بغير هذا المكان!؛ فقام المطعم بن عدي إلى الصحيفة فشقها[3].

---

(1) ويحك: كلمة ترحم وتوجع، والمعنى: أترحم عليك وأتوجع لك.

(2) الحجون: جبل بمعلاة مكة، وخطمه: أنفه ومقدمه.

(3) والقوم الذين قاموا في نقض هذه الصحيفة هم: هشام بن عمرو بن ربيعة بن الحارث بن حبيب بن شحام العامري (من بني عامر بن لؤي)، كان شريفا في قومه، وهو ابن أخي نضلة بن هاشم بن عبد مناف لأمه، وكان واصلا لبني هاشم في الشعب وأول من قام في نقض الصحيفة، وأحسن

=>>

وفي ذلك يقول أبو طالب من قصيدةٍ له:

جــزى ا لله رهطا بالحجون تتابعوا	على مـــلأ يهدي لحــزم ويرشد
قعــودا لدى خطم الحجون[1] كأنهم	مقاولة[2] بل هم أعــــز وأمجد
أعان عليها كل صقــــر كأنــــه	إذا ما مشى في رفرف الدرع أحرد[3]
جريء على جـل الخطــوب كأنه	شهاب بكفي قابـــس يتوقـــد
قضوا ما قضوا في ليلهم ثم أصبحوا	على مهل وسائــــــر الناس رقـد

--- - - - >>

القوم بلاء في ذلك. وزهير بن أبي أمية بن المغيرة بن عبد ا لله بن عمرو بن مخزوم المخزومي، أمه عاتكة بنت عبد المطلب، وهو أول متكلم في نقضها. والمطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف النوفلي، وهو الذي تولى شق الصحيفة بيده. وأبو البختري ـ واسمه العاصي ـ بن هشام بن الحارث بن أسد بن عبد العزى بن قصي. وزمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى، وهو أول من كذب أبا جهل وردَّ عن زهير وأيده، وكان هؤلاء الخمسة قد خاطروا بأنفسهم وبذلوا الجهد في أمر عظيم، حيث تواطأوا على نقض هذه الصحيفة الظالمة ودبروا ذلك رغم اجتماع قريش على مقاطعة بني هاشم وبني المطلب وتعاقدهم في الصحيفة على ذلك وتمالؤهم على كتابتها وتعليقها في جوف الكعبة تأكيدا لأمرها ومبالغة في حفظها، وقد كان هؤلاء الخمسة كلهم كفارا حين تصدوا لنقضها، و لم يسلم منهم غير هشام وزهير؛ أما هشام فقد أسلم يوم الفتح وشهد حنينا، وأعطاه النبي صلى ا لله عليه وسلم من غنائمها خمسين بعيرا، وأما زهير فيذكر في المؤلفة قلوبهم، وأما المطعم فقد هلك قبيل وقعة بدر، وأما أبو البختري وزمعة فقد هلكا يوم بدر. وهذا من كمال عناية ا لله تعالى بحبيبه ونبيه محمد صلى ا لله عليه وسلم، حيث سخر له عدوه في نصرته، واستعمل مبغضه في خدمته. [من بنيس على الهمزية وغيره].

(1) اسم مكان بمكة.

(2) مقاولة: ملوك وهو (جمع قيل) وهو الذي يخلف الملك عند حمير، والمراد أنهم سادات.

(3) الصقر: البازي. ورفرف الدرع: فضولها. والأحرد (بالمهملة): الذي في مشيه تثاقل. ومن هذه القصيدة:

وإني وإياهم كما قال قائــــل "لديك البيان لو تكلمت أسود"

وأسود هذا اسم جبل كان قد قتل فيه قتيل فلم يعرف قاتله فقال أولياء المقتول هذه المقالة فذهبت مثلا.

وقد تقدم شيء من هذه القصة عند قول الناظم: ***وانسب هشاما ناقض الصحيفه***..إلخ.

قوله : للحارث بن عامر: خبر مقدم. وقوله **عقبة** مبتدأ مؤخر. **وقاتل** (بالرفع): صفة لعقبة. **وخبيب** (بالخاء المعجمة بوزن زبير): هو ابن عدي بن مالك الأنصاري الأوسي. **والعلي**: صفة لخبيب، وهو المرتفع القدر.

يقول ومن بني نوفل بن عبد مناف عقبة بن الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف الذي قتل خبيبا بن عدي بأبيه الحارث بن عامر الذي قتل يوم بدر. وعقبة هذا هو أَبُو سَرْوَعَةَ عقبة بن الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف القرشي النوفلي، أمه بنت عياض بن رافع الخزاعية، أسلم يوم الفتح؛ وهو الذي تزوج أم يحيى غنية بنت أبي إهاب التميمية فجاءت أمة سوداء فقالت: إني قد أرضعتكما، قال: فأتيت النبي ﷺ فأخبرته بذلك وقلت: يا رسول الله إنها كاذبة، فقال عليه الصلاة والسلام: «كيف وقد قيل» - وفي رواية ـ: «كيف وقد زعمت أنها قد أرضعتكما؟ خل سبيلها»[1]، فطلقها عقبة ثم تزوجها بعده نافع بن ظريف بن عمرو بن نوفل النوفلي الصحابي، وقيل إن عقبة أخو أبي سروعة وإنهما ابنا الحارث بن

---

(1) أخرجه البخاري والترمذي والنسائي وأحمد، وقد اختلف في شهادة المرأة الواحدة على الرضاع، فقيل تقبل شهادتها فيه إذا كانت مرضية ، وبهذا قال طاووس والزهري والأوزاعي وابن أبي ذئب وغيرهم. وقد قال الزهري والأوزاعي: فرق عثمان بين أربعة وبين نسائهم بشهادة امرأة واحدة في الرضاع. وقال الشعبي: كانت القضاة تفرق بين الرجل والمرأة بشهادة امرأة واحدة في الرضاع، ولأنه شهادة على عورة فقبل فيها شهادة الواحدة كالولادة ولأنه كالخبر، وقيل لا يقبل إلا شهادة امرأتين وروي عن أحمد وهو قول الحاكم. وقال أصحاب الرأي: لا يقبل فيه إلا رجلان أو رجل وامرأتان. وروي ذلك عن عمر لقوله تعالى: ﴿واستشهدوا شهيدين من رجالكم﴾ الآية، وقال عطاء وقتادة والشافعي: لا يقبل من النساء أقل من أربع لأن كل امرأتين كرجل. والله أعلم. [راجع المغني لابن قدامة المقدسي: 3 / 340 - 341].

عامر وإن أخاهما لأمهما حجير (بالتصغير) ابن أبي إهاب التميمي حليف بني نوفل، وقد أسلم الثلاثة وصحبوا بعد. كما في النزهة[1]، وقيل إن حجيرا هذا هو الذي اشترى خبيبا لعقبة بن الحارث ليقتله بأبيه الحارث بن عامر، وإن أبا إهاب والحارث بن عامر أخوان لأم.

قتل قريش لخبيب بن عدي

وحاصل قصة قتل خبيب التي أشار لها الناظم ـ حسبما في روض النهاة، وابن إسحاق وغيرهما ـ أن رسول ا لله ﷺ أرسل مرة نفرا من أصحابه عرفوا بعد بـ"بعث الرجيع"، قيل كانوا ستة وقيل عشرة، وأمر عليهم عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح، وكان فيهم خبيب بن عدي بن مالك بن عامر بن مجدعة بن جحجبا بن كلفة بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس الأنصاري الأوسي الجحجبي؛ فساروا حتى كانوا بالهدأة (بين عسفان ومكة) ذكروا لحي من هذيل يقال لهم بنو لحيان فاستنفروا إليهم مائة رجل من رماتهم، فلما أحس بهم أصحاب النبي ﷺ التجأوا إلى موضع مرتفع فأحاط بهم القوم، وقالوا لهم: لكم العهد والميثاق إن أنتم أعطيتم بأيديكم أن لا نقتل منكم أحدا؛ فقال عاصم: أما أنا فوا لله لا أنزل في ذمة كافر، ثم قال: اللهم أخبر عنا نبيك. فرموهم بالنبل فقتلوا عاصماً في سبعة نفر، ونزل إليهم ثلاثة على العهد والميثاق، وهم خبيب بن عدي وزيد بن الدثنة وعبد ا لله بن طارق، فلما استمكنوا منهم أطلقوا أوتار قسيهم[2] فربطوهم بها،

---

(1) أي نزهة الأفكار على قرة الأبصار لعبد القادر بن محمد بن محمد سالم المجلسي.

(2) الأوتار: جمع وتر (بالتحريك) وهو معلق القوس. والقسي: جمع قوس وهي آلة على هيأة هلال ترمى بها السهام.

فقال عبد ا لله بن طارق: هذا أول الغدر وا لله لا أصحبكم وإن لي بهؤلاء القتلى لأسوة ؛ فجروه وعالجوه فأبى أن يصحبهم فقتلوه؛ وذهبوا بخبيب وزيد بن الدثنة وباعوهما بمكة (وذلك بعد وقعة بدر).

أما خبيب فاشتراه بنو الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف، وقد قيل إنه هو الذي قتل أباهم الحارث بن عامر يوم بدر. فلبث عندهم أسيرا حتى أزمعوا قتله، فاستعار من بعض بنات الحارث موسى يستحد[1] بها للقتل فأعارته إياها، فدرج بُني لها[2]، قالت: وأنا غافلة حتى أتاه فوجدته مجلسه على فخذه والموسى بيده، قالت: ففزعتُ فزعة عرفها خبيب في وجهي فقال: أتحسبين أني أقتله؟! ما كنت لأفعل ذلك. قالت: فوا لله ما رأيت أسيرا أكرم منه، وا لله لقد وجدته يوما يأكل قطفا من عنب[3] في يده وإنه لموثق بالحديد وما بمكة من تمرة؛ وكانت تقول: إنه لرزق رزقه ا لله خبيبا.

ولما أرادوا قتله خرجوا به للحل، فقصدوا التنعيم الذي يعرف الآن بـ"مساجد عائشة"، فلما وصلوه وأرادوا قتله قال لهم: دعوني أصل ركعتين، فتركوه فصلى ركعتين أتمهما وأحسنهما، ثم أقبل على القوم فقال: وا لله لولا أن تحسبوا أن ما بي جزع من الموت لزدت؛ فكان خبيب هو الذي سن لكل مسلم قتل صبرا الصلاة، واستحسنها المسلمون.

---

(1) الموسى: آلة يحلق بها الشعر. والاستحداد: حلق شعر العانة.

(2) وفي الزبيري أن هذا الطفل الذي دبَّ إلى خبيبٍ اسمه أبو حسين بن الحارث بن عامر بن نوفل، وأن أمه أمامة بنت خليفة، من بني بكر بن وائل

(3) القطف (بالكسر): العنقود ساعة يقطف. والعنقود: هو ما تعقد وتراكم من ثمر العنب في أصل واحد.

ولما أرادوا قتله صلبوه على خشبة وأوثقوه وجعلوا وجهه إلى غير القبلة فاستقبلها فأداروه مرارا حتى أعجزهم فتركوه، ولما أوثقوه قال: اللهم أحصهم عددا واقتلهم بددا[1] ولا تبق منهم أحدا، إنك أنت الباقي سرمدا؛ ثم أنشأ يقول:

لقد جمع الأحزاب حولي وألبوا — قبائلهم واستجمعوا كل مجمع
وقد قربوا أبناءهم ونساءهم — وقربت من جذع طويل ممنع
وكلهم يبدي العداوة جاهدا — علي لأني في وثاقٍ بمضيع
إلى الله أشكو غربتي ثم كربتي — وما أرصد الأحزاب لي عند مصرعي
فذا العرش صبرني على ما يراد بي — فقد بضعوا لحمي وقد ياس مطمعي[2]
وذلك في ذات الإله وإن يشأ — يبارك على أوصال شلو ممزع[3]
وقد خيروني الكفر والموت دونه — وقد هملت عيناي من غير مجزع
وما بي حذار الموت إني لميت — ولكن حذاري حجم نار ملفع[4]
ولست بمبد للعدو تخشعا — ولا جزعا إني إلى الله مرجعي
ولست أبالي حين أقتَل مسلما — على أي جنب كان في الله مصرعي

ولما رفعوه على الخشبة وأوثقوه قام إليه أبو سروعة عقبة بن الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف فقتله، رحمه الله.

روي أنهم لما شرعوا في قتله قال: اللهم إني لا أجد من يبلغ رسولك مني السلام فبلغه مني السلام؛ فجاء جبريل إلى النبي ﷺ فأخبره، فأخبر النبي ﷺ أصحابه بذلك. قال السهيلي: وأصابت دعوة خبيب تلك من سبق في علم الله أن يموت

---

(1) بددا: فرقا ممزقة.

(2) بضعوا: قطعوا. وياس: يئس.

(3) الأوصال: جمع وصل (بضم الواو وكسرها وسكون الصاد) وهي: أعضاء الجسم كلٌّ على حدة، والشلو (بكسر المعجمة): الجسد من كل شيء، جمعه: أشلاء.

(4) حجم الشيء: جرمه. وتلفعت النار: تلهبت. ولفعته: أصابه لهيبها.

كافرا. وروي أن معاوية بن أبي سفيان كان يقول: حضرته يومئذ فيمن حضره مع أبي سفيان فلقد رأيت أبا سفيان يلقيني إلى الأرض فرقا من دعوة خبيب!. وكانوا يقولون إن الرجل إذا دعي عليه فاضطجع لجنبه زلت عنه الدعوة. وقد كان ممن حضره - أيضا - رجل من بني جمح يدعى سعيد بن عامر بن خذيم. ثم بعد ذلك أسلم، واستعمله عمر بن الخطاب على بعض الشام، فكانت تصيبه غشية، فذكر ذلك لعمر فقيل له إن الرجل مصاب، فسأله عمر عن ذلك في قدمة قدمها عليه، فقال: وا لله ما بي بأس ولكنني كنت فيمن حضر قتل خبيب وسمعت دعوته فوا لله ما خطرت على قلبي إلا غشي علي؛ فزاده ذلك خيرا عند عمر رضي ا لله عنه.

ثم أرسل رسول ا لله ﷺ المقداد والزبير لينزلا خبيبا عن الخشبة التي كان مصلوبا عليها، فلما أتياه وجدا أربعين رجلا من قريش حوله نشاوى[1] - وكانت قريش تحرس خبيبا - فصعدا على الخشبة وحلاّه ووجداه رطبا لم يتغير وحملاه؛ فعلم بهما المشركون فلحقوا بهما فرمياه فابتلعته الأرض. وقيل إنه أرسل إليه عمرو بن أمية الضمري عينا، فجاء إلى خشبَة خبيب وهو يتخوف العيون، فرقي فيها فحله فوقع إلى الأرض، ثم نزل فلم يجده، فكأن الأرض ابتلعته.

والتحقيق أن خبيبا هذا لم يشهد بدرا، وإنما الذي شهد بدرا وقتل الحارث هو خبيب بن إساف بن عتبة بن عمرو بن خديج بن عامر بن جشم بن الحارث بن الخزرج الأنصاري الخزرجي، وإنما قتل المشركون خبيبا بن عدي الأنصاري الأوسي لأنه من قبيلة الآخر لأنهما معا من الأنصار. وروي أن خبيبا بن إساف تزوج بعد ذلك إحدى بنات الحارث بن عامر المذكور، وكان الحارث قد ضرب خبيبا

(1) جمع نشوان وهو: السكران.

فوشحه وشاحا بقي به أثره بعد، فكانت ابنة الحارث تقول لزوجها خبيبٍ ـ تمازحه ـ: لا عدمت رجلا وشحك هذا الوشاح، فيقول لها خبيب: لا عدمت رجلا عجل أباك إلى النار!. وكان خبيب بن إساف هذا قد تأخر إسلامه حتى خرج النبي ﷺ إلى بدر فلحقه في الطريق، فأسلم وشهد بدرا وأحدا والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ. وروي من خبر إسلامه أنه قال: خرجت مع رسول الله ﷺ أنا ورجل من قومي، وقلنا له إنا نكره أن يشهد قومنا مشهدا لا نشهده معهم ، فقال: «أسلمتما»؟ فقلنا: لا، فقال: «ارجعا فإنا لا نستعين بمشرك»[1]، فأسلمنا وشهدنا معه بدرا. ومن ولد خبيب هذا خبيب بن عبد الرحمن بن خبيب بن اساف الذي يروي عنه مالك في موطئه.

ومن بني عدي بن نوفل بن عبد مناف طعيمة بن عدي أخو المطعم بن عدي؛ وطعيمة هذا قتله حمزة بن عبد المطلب يوم بدر كافرا؛ روي أن عليا بن أبي طالب قال: رأيت طعيمة بن عدي قد علا رأس كثيب يوم بدر، وقد ساواه سعد بن خيثمة، فصمدت له و لم آته حتى قتل سعدا، فلما رآني أصعد الكثيب إليه انحط علي ـ وكان رجلا جسيما ـ فخشيت أن يعلو علي فانحططت في السهل فظن أني فررت منه فصاح بأعلى صوته: فر ابن أبي طالب! فقلت له: قريبا مفر أبي الشرى[2].. فلما استوت قدماي بالأرض وقفت له، فانحدر إلي وأهويت إليه فسمعت قائلا من خلفي يقول: طأطئ رأسك، فجعلت رأسي في صدر طعيمة وإذا

---

(1) أخرجه أبو داود، وابن ماجه.

(2) الشرى (بفتح الشين والراء): مأسدة مشهورة يضرب بها المثل فيقال "هو كأسَد الشرى، وهم أُسْد الشرى" أي اشداء شجعان، والمعنى أن الاسد إذا فر فإلى قريب.. لأنه لا يفر عادة.

برقة من السيف فأخذت قحف[1] طعيمة فسقط ميتا، وإذا حمزة بن عبد المطلب.

ومن بني عدي ـــ أيضا ـــ جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف القرشي النوفلي، أمه أم حبيب ـــ وقيل أم جميل ـــ بنت سعيد (من بني عامر بن لؤي)،كان من أكابر قريش وساداتهم وحلمائهم، وكان من علماء النسب، فكان أنسب قريش لقريش قاطبة، وكان يقول: أخذت النسب عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه؛ أسلم بين الحديبية والفتح، وقيل يوم الفتح ؛ وروي عنه أنه قال: أتيت النبي ﷺ لأكلمه في أسارى بدر فسمعته يقرأ في صلاة المغرب والعشاء "والطور" فلما بلغ ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ۝ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ﴾[2] كاد قلبي أن يطير فوقع الإسلام في قلبي. ولكنه لم يسلم إلا في التاريخ المذكور. وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ كان يربأ بأربعة نفر من أهل مكة عن الشرك[3] ويرغب لهم في الإسلام، وهم جبير بن مطعم هذا وعتاب بن أسيد وحكيم بن حزام وسهيل بن عمرو؛ وأسلموا جميعا رضي الله عنهم.

وكان جبير بن مطعم قد روى عن رسول الله ﷺ، وروى عنه جماعة من الصحابة والتابعين، وكان أحد الذين دفنوا عثمان بن عفان. ومات رضي الله عنه بالمدينة في خلافة معاوية؛ وابنه نافع بن جبير بن مطعم من علماء التابعين.

ولما تكلـــــم على بني نوفل شرع يتكلم على بني عمهم آل عبد شمس بن عبد مناف، فقال رحمه الله:

---

(1) القحف (بالكسر): العظم الذي فوق الدماغ، أو ما انفلق من الجمجمة فانفصل.

(2) الطور: 7-8.

(3) أي يجلهم عنه ولا يرضاه لهم.

بنو عبد شمس بن عبد مناف*

لِعَبْدِ شَمْسٍ عِدَّةٌ مِنْهَا اشْتَهَرْ أُمَيَّةُ الأَكْبرُ سَيِّـــدُ النَّفَرْ
وهْوَ أَبُو الْعَشْرَةِ عِيصُ الْعَاصُ وَآخَــرَانِ، وَهُــمُ الأَعْـيَاصُ
وأُمُّهُمْ بِنْـــتُ أَبَانِ بْنِ كُلَيْـبْ ابنِ رَبِيعَةَ بْنِ عَامِرِ الْحَسِيبْ
وَبَعْدَهُــمْ نَكَحَهَـا ذَكْــوَانُ مَقْتاً وَمِنْهُ شَـوْعُهُــمْ أَبَانُ
كَذَا الْعَنَابِسَةُ حَرْبُ عَمْرُو سُفْيَانُ بِالْكُنَى الْبَنُـونَ عَشْرُ

عدة (بكسر العين وتشديد الدال وبالرفع): مبتدأ خبره المجرور قبله، **والعدة**: الجماعة قلّت أو كثرت. والضمير في **منها** عائد على **عدة**. **والنفر** (بالتحريك): الجماعة من الرجال من ثلاثة إلى عشرة، جمعه أنفار، والمراد بالنفر هنا بنو عبد شمس. والضمير في قوله **وهو أبو العشرة** عائدٌ على **أمية الأكبر**. **وعيص** (بكسر العين مرفوعا): خبر مبتدأ محذوف، **والعاص**: عطف عليه بحذف العاطف. **وآخران**: عطف على **العيص** أيضا، أي والعشرة هم **عيص والعاص**.. إلخ. والضمير في قوله **وأمهم** عائد على **الأعياص**. **والحسيب**: صفة **لأبان** أو **لعامر**، أي صاحب الحسب، وهو شرف الأصل أو ما يعد من مفاخر الآباء؛ وصفه بذلك لأن بني عامر بن صعصعة هم أهل الشرف في هوازن.

وقد أخذ ـ رحمه الله ـ في الكلام على بني عبد شمس بن عبد مناف وبدأ بابنه

---

* تناول الناظم الكلام على بني عبد شمس بن عبد مناف في ثلاثة وسبعين بيتا، وذكر من فصائلهم: بني أمية الأكبر وبني ربيعة وبني حبيب والعبلات وبني عبد العزى، بني عبد شمس، وذكر من أعيانهم أربعة وستين رجلا وامرأتين.

أمية الأكبر لأن فيه العدد والسيادة، وكان بيت عبد شمس هو أشرف بيوت قريش بعد بيت أخيه هاشم بن عبد مناف، وكان بيت ابنه أمية الأكبر هو أشرف بيوت بني عبد شمس على الإطلاق.

أما عبد شمس فقد كان له من الولد سبعة أو ثمانية، هم حبيب (وهو أكبر ولده وبه يكنى)، وأمية الأكبر (وفيه العدد والشهرة) أمهما بنت عبيد بن رواس بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة وأمية الأصغر وعبد أمية ونوفل وأمهم عبلة بنت عبيد بن جاذل بن قيس بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم، وإليها ينسب ولدها، يقال لهم "العبلات"؛ ومن ولد عبد شمس-أيضا- عبد العزى ورقية، أمهما عمرة بنت وائلة بن الدول بن زيد مناة بن عمرو بن كعب بن الأزد، ومنهم ربيعة وسبيعة، أمهما آمنة بنت وهب بن عمير بن أسامة بن نصر بن قعين بن الحارث بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة، ولهؤلاء السبعة عقب. ومن ولد عبد شمس ـ أيضا ـ عبد الله الأعرج، ولم يعقب، أمه أمامة بنت الجودي الكندية، أما رقية فهي أم أمية بن أبي الصلت الشاعر الثقفي، وأما سبيعة فهي أم عروة بن مسعود بن معتب الثقفي أيضا؛ وإلى هؤلاء أشار الناظم بقوله: **لعبد شمس عدة**..إلخ وبدأ بأمية وبنيه، لأنه كان أشرف ولد عبد شمس ـ كما مر ـ وأشهرهم ذكراً وأكثرهم عددا، وكان سيدا من سادات قريش في الجاهلية، وكان تاجرا كثير المال والولد، وكانت له قيادة الحرب في قريش بعد أبيه، وكان هو وابن عمه عبد المطلب بن هاشم فيمن وفد على سيف بن ذي يزن في قصره بصنعاء لتهنئته بانتصاره على الحبشة، وقد عاش أمية إلى ما بعد مولد رسول الله ﷺ، وكانت في بنيه السيادة في الجاهلية والإسلام حتى بلغ منهم أن كانوا ينافسون بني هاشم رئاسة قريش وسيادتهم، وكانت في الأعياص من بنيه السيادة والرئاسة، والكثرة وهو جد ملوك وأمراء الدولتين الأمويتين المشهورتين في المشرق والأندلس.

ولأمية الأكبر بن عبد شمس من الولد عشرة هم العيص والعاص وأبو العيص وأبو العاص، وأشار الناظم إلى هذين الأخيرين بقوله **وآخران**؛ وهؤلاء الأربعة يعرفون بـــ"الأعياص" أخذا من أسمائهم، وأعقبوا كلهم إلا العيص، وأمهم آمنة بنت أبان بن كليب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن، وأخوهم لأمهم أبو معيط واسمه أبان بن أبي عمرو، وهو ذكوان بن أمية بن عبد شمس، وكان أبو عمرو بن أمية هذا خلف عليها بعد أبيه أمية بن عبد شمس، زوَّجه إياها ابنها أبو العاص بن أمية أخوه لأبيه.

وإلى ذلك أشار الناظم بقوله **وأمهم بنت أبان بن كليب**.. إلخ. والضمير في **وبعدهم** عائد على الأعياص. والضمير في **نكحها** عائد على **بنت أبان**. **وذكوان** هو أبو عمرو بن أمية بن عبد شمس. **ومقتا** (بالنصب): مصدر معنوي من **نكحها**، والمقت (في الأصل): أشد البغض، ثم صار علما على نوع من أنكحة الجاهلية التي حرمها الإسلام وهو أن يتزوج الرجل غير أمه من شاء من زوجات أبيه إذا مات عنها أو طلقها، وفي ذلك نزل: ﴿ وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾[1]، وكان ذلك النوع من الأنكحة فاشيا في العرب شائعا في الأنصار وقريش. وقوله **شوعهم** (بالرفع): مبتدأ خبره المجرور قبله، **والشوع** (بفتح الشين المعجمة): المولود يجيء تاليا لمن قبله، يقال فلان شوع فلان أي ولد بعده و لم يولد بينهما شيء، والضمير المضاف إليه عائد على الأعياص، والضمير في **منه** قبله عائد على **ذكوان**. **وأبان:** بدل من شوعهم. وسيأتي الكلام على ذكوان وأبان هذين إن شاء الله.

---

(1) النساء: 22.

قوله **العنابسة:** مبتدأ خبره المجرور قبله. وقوله **حرب عمرو..** إلخ: بدل من **العنابسة. والكنى:** جمع كنية، وهي كل مركب إضافي صدره "أب"، كأبي حرب وأبي عمرو، أو "أم"، كأم أبان وأم عبد الله. وقوله **البنون** أي بنو أمية بن عبد شمس. وقوله **عشر** أي عشرة؛ فالأعياص أربعة والعنابسة ستة.

يقول: ومن ولد أمية بن عبد شمس ـ أيضا ـ حرب وعمرو وسفيان وأبو حرب وأبو عمرو وأبو سفيان (واسمه عنبسة)، وقد سمي هؤلاء الستة باسمه فقيل لهم "العنابسة"، وقيل لقبوا بالعنابسة أو العنابس لشجاعتهم، وهو جمع عنبس للأسد. فقد روي أنهم كانوا يوم عكاظ مع أخيهم حرب (ابن أمية) يوم الشرب وهو من أعظم أيام حرب الفجار بين كنانة وقيس عيلان، فقيدوا أنفسهم لئلا يفروا، وقاتلوا قتالا شديدا حتى انهزمت قيس فشبهوا بالأسود، فقيل لهم العنابس؛ وأم العنابس أمة بنت أبي همهمة بن عبد العزى بن عامر بن عميرة بن وديعة بن الحارث بن فهر إلا أبا عمرو فأمه أمامة بنت حميري بن الحارث بن جابر بن الأسود بن عمرو الذي ضرب فيه المثل: "شب عمرو عن الطوق"، وهو ابن عدي بن نصر بن مالك بن سعود بن مالك بن غنم بن عمرو بن نمارة بن لخم. وكان في بني نصر بن مالك الملك، وسياتي الكلام على ذلك إن شاء الله.

أما العيص وعمرو وأبو حرب فلا بقية لهم، وأما سفيان فولد طليقاً والحصين؛ وقد ولد طليق منهما حكيما، كان من المؤلفة قلوبهم فأعطي من الإبل، ولا عقب له، وقيل له ولد يدعى المهاجر بن حكيم.

وأما عنبسة فله ابن اسمه أمية بن عنبسة، مات كافرا عن ابن اسمه سفيان بن أمية بن عنبسة، وهو الذي ذهب بنعي علي كرم الله وجهه إلى الحجاز، و لم يعقب؛ وولد عنبسة أيضا حمنة أم سعد بن أبي وقاص القرشي الزهري. وحكي أن عنبسة بن أمية هذا ذهب هو وابنان له في الجاهلية من شدة الفاقة فلا يدرى أين يمموا،

وكان مُسِيفًا[1] قد افتدته بنو عبد مناف ثلاث مرات ثم أنشأ قائلا:

لَمَوْتٌ جَهِيزٌ عاجلٌ لا شـوى له	إذا ما أتى مستمسكا بالمشـارب[2]
أحَـبُّ إلي من سـؤال عشيرة	إذا سئلـوا تغامزوا بالمناكـب
بلوتكـم عند الحجاز عشيـة	نبوتم وكنتم كالسيوف القواضب[3]

ثم شرع الناظم في ذكر بقية أولاد أمية بن عبد شمس، وبدأ بـأبي العيص فقـال رحمه الله:

ومِنْ أَبِي الْعِيصِ وَزِيرُ الهادِي	**بِمَكَّـةٍ عَتَّابُ ذُو الأَيَادِي**
وهْوَ حَلِيلُ بِنْتِ عَمْرِو بْنِ هِشَامْ	**أَنْقَذَ مِنْهَا بِنْتَ أَفْضَلِ الأَنَامْ**
فَأَنجَبَتْ بِصاحِبِ الْيَـدِ الَّتِي	**طَـارَ بِهَا الطَّـائِرُ لِلْيَـمَامَـةِ**
يَعْسُوبِ فِهْرٍ عَابِدِ الرَّحْمَانِ	**أَبِي سَعِيـدٍ الْعَظِيمِ الشَّانِ**

وزير الهادي: مبتدأ خبره الجـار والمجرور قبله، **والوزير:** من يعينه ولي الأمر ليتولى بعض شؤون الأمة فيستغني برأيه وتدبيره. **والهادي:** من أسمائه ﷺ، والبـاء في **بمكة** بمعنى *على* أو *في*. **وعتاب** (بفتح العين وتشديد المثناة الفوقية): بدل مـن **وزير الهادي**. **وذو الأيادي:** صفة لعتاب، **والأيادي:** جمع يُدي (بضم الياء وكسر الـدال آخره ياء مشدده) وهو جمع يدٍ، وهي النعمة والإحسان تصطنعـه، فالأيـادي: جمع الجمع. **والحليـل:** الـزوج. **وبنـت عمـرو بـن هشـام** يعـني بهـا جويريـة بنـت

---

(1) أساف فلان: افتقر فهو مُسِيفٌ، أي فقير.

(2) موت جهيز ومجهز: سريع، والشوي: الأطراف كاليدين والرجلين وما كان غير مقتل من الأعضـاء يعني أنه سريع لا تأخير فيه.

(3) بلوتكم: اختبرتكم. ونبوتم: لم تفيدوا. والسيوف القواضب: الشديدة القطع.

أبي جهل[1]. **وأنقذ** فلانا من كذا: نجاه وخلصه منه. **وبنت أفضل الأنام** (بالنصب): مفعول به لأنقذ، ويعني بها فاطمة بنت رسول الله ﷺ. **وأنجبت**: أي ولدت نجيبا أي كريما، والضمير في **أنجبت** عائد على بنت عمرو بن هشام. **ويعسوب فهر** (بالجر): بدل من قوله **بصاحب اليد**، **واليعسوب** (في الأصل): ذكر النحل وأميرها، والمراد به هنا رئيس القوم وكبيرهم تشبيها بفحل النحل. **وفهر** قريش أي رئيس قريش. **وعابد الرحمن** (بالجر): بدل من **يعسوب فهر**. وقوله **أبي** صفة لعابد الرحمن أي والد سعيد بن عبد الرحمن. **والعظيم** (بالجر): صفة لسعيد. **والشأن**: الأمر.

يعني أن من ولد أبي العيص بن أمية الصحابي المشهور عتابا بن أسيد بن أبي العيص الذي أَمَّرَهُ رسول الله ﷺ على مكة، زوج جويرية بنت أبي جهل، ووالد عبد الرحمن بن عتاب.

عتاب بن أسيد

وعتاب هذا هو أبو عبد الرحمن عتاب بن أسيد (بوزن أمير) بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي، أمه زينب بنت أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس، أسلم رضي الله عنه يوم الفتح. وسبب إسلامه أن رسول الله ﷺ لما دخل مكة يوم الفتح وفرَّ مَن فر من وجوه قريش وتفرق بعضهم في رؤوس الجبال، أمر رسول الله ﷺ بلالا بن رباح أن يقوم على ظهر الكعبة ويؤذن للظهر ليغيظ المشركين ففعل؛ وكان عتاب وخالد ابنا أسيد وأبو سفيان بن حرب والحارث بن

---

(1) ويقال لها ـ أيضا ـ جميلة، وقد أسلمت وبايعت وحسن إسلامها، وبعد عتاب هذا تزوجها أبان بن سعيد بن العاص.

هشام جلوسا بفناء الكعبة، فقال عتاب وخالد: لقد أكرم الله أسيدا أن لا يكون سمع هذا فيسمع ما يغيظه، وقال الحارث: أما والله لو أعلم أنه محق لاتبعته إن يكن الله يكره هذا فسيغيره، وقال أبو سفيان: لا أقول شيئا، لو تكلمت لأخبرت عني هذه الحصى! وقال بعض بني سعيد بن العاص: لقد أكرم الله سعيدا أن قبضه قبل أن يرى هذا الأسود على ظهر الكعبة، وقال الحكم بن أبي العاص: هذا والله هو الحدث العظيم أن يصيح عبد بني جمح على بنية بني طلحة.. فأتى جبريل رسول الله ﷺ وأخبره خبرهم، فخرج عليهم رسول الله ﷺ وقال: «قد علمت الذي قلتم»[1]، وأخبرهم؛ فقال عتاب والحارث: نشهد أنك رسول الله، ما اطلع على هذا أحد كان معنا فنقول أخبرك[2]. وروي أنه صلى الله عليه وسلم قال حين دنا من مكة في غزوة الفتح: «إن بمكة أربعة نفر من قريش أربأ بهم عن الشرك وأرغب لهم في الإسلام»، فقيل من هم يا رسول الله؟ قال: «عتاب بن أسيد وجبير بن مطعم وحكيم بن حزام وسهيل بن عمرو» - [قاله الزبير بن بكار].

واستعمل النبي ﷺ عتابا على مكة حين سار إلى حنين، وقيل بل بعد أن رجع من الطائف. وفي الروض الأنف أن النبي ﷺ رأى في المنام أسيد بن أبي العيص واليا على مكة مسلما؛ فمات على الكفر فكانت الرؤيا لولده عتاب حين أسلم، فولاه رسول الله ﷺ مكة وهو ابن إحدى وعشرين سنة، وقال له صلى الله عليه وسلم: «أتدري على من استعملتك ؟ استعملتك على أهل الله عز وجل ولو أعلم لهم خيرا منك استعملته عليهم». وحج عتاب بالناس سنة الفتح، و لم يزل رضي الله عنه أميرا على مكة إلى أن قبض رسول الله ﷺ ، ثم أقره أبو بكر الصديق رضي الله عنه،

---

(1) سيرة ابن هشام: 4 / 33.

(2) سيرة ابن هشام: 4 / 33.

واستمر أميرا عليها إلى أن توفي يوم وفاة أبي بكر.

قال محمد بن سلام: جاء نعي أبي بكر إلى مكة يوم دفن عتاب[1]. وكان عتاب - رضي الله عنه - لينا على المؤمنين شديدا على المريب، وكان يقول: والله لا أعلم متخلفا عن هذه الصلاة في جماعة إلا ضربت عنقه فإنه لا يتخلف عنها إلا منافق، وكان صالحا فاضلا خيرا. وكانت تحته جويرية بنت أبي جهل، وسبب زواجه بها أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أراد أن يتزوجها على فاطمة (بنت رسول الله) فشق ذلك على فاطمة، فأرسل إليها عتاب: أنا أريحك منها فتزوجها. وفي رواية أن عليا لما خطبها استشار بنو هشام بن المغيرة رسولَ الله ﷺ، فقال — وهو على المنبر-: «إن بني هشام بن المغيرة استأذنوني في أن ينكحوا ابنتهم عليا بن أبي طالب فلا آذن ثم لا آذن ثم لا آذن لهم إلا أن يحب ابن أبي طالب أن يطلق ابنتي وينكح ابنتهم فإن فاطمة بضعة مني يريبني ما رابها[2] ويؤذيني ما آذاها»[3] وقال: «والله لا تجتمع بنت رسول الله وبنت عدو الله عند رجل أبدا»[4]، فقال عتاب: أنا أريحكم منها، فتزوجها فولدت له عبد الرحمن بن عتاب وبه كان يكنى، وكان

---

(1) واستخلف عمر في أول ولايته المحرز بن حارثة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف على مكة، ثم عزله وولى قنفذ بن عمير التيمي، وكان عتاب قد استخلف المحرز قبل ذلك في سفرة سافرها، وقتل المحرز هذا يوم الجمل. [أسد الغابة].

(2) بَضعة (بفتح الباء): قطعة، وفي رواية: "مضغة مني"، والريب: ما رابك من شيء خفت عقباه، وسبب ذلك رعايته صلى الله عليه وسلم لخاطر فاطمة لتأذيها بذلك ولما يحصل لها من الغيرة وعدم الصبر على ذلك، ولذا قال: "وأنا أخاف أن تفتن في دينها"، ولأنها كانت قد أصيبت بأمها ثم بأخواتها واحدة بعد واحدة فلم يبق لها من تستأنس به ممن يخفف عليها الأمر وتفضي إليه سرها إذا حصلت لها الغيرة. [فتح الباري].

(3) أخرجه مسلم والترمذي.

(4) أخرجه البخاري.

مولده في آخر حياة رسول ﷺ، وكان من فتيان قريش ومن بيتي شرف وعز، وكان سيدا من ساداتهم ورئيسا من رؤسائهم. وإلي ذلك أشار الناظم بقوله **يعسوب فهر**.. إلخ. وكان عبد الرحمن بن عتاب هذا مع عائشة يوم الجمل فقاتل قتالا شديدا، وقتل في ثالث أيام وقعة الجمل وهو يقاتل ويقول:

أنا ابن عتاب وسيفي وَلْوَلْ[1] والموت عند الجمل المجَلَّلْ

قتله جندب بن زهير الغامدي، وقيل الأشتر النخعي، ثم وقف عليه علي بن أبي طالب فقال: هذا يعسوب قريش جدعت أنفي وشفيت نفسي؛ ويروى أنه قطعت يده يومئذ فاختطفها نسر فطرحها ذلك اليوم باليمامة، وكانت فيها خاتمه، فعرفت به وكان نقشه "عبد الرحمن"، فعلموا أن القوم التقوا وأن عبد الرحمن قتل.

وفي أسد الغابة أن عبد الرحمن كان يصلي بالناس يوم الجمل إماما ولما قتل حملت الطير يده حتى ألقتها بالمدينة فعرفوا أنها يده بخاتمه، فصلوا عليها ودفنوها.

ومن ولده ـ رضي الله عنه ـ محمد وسعيد، أمهما بنت أبي إهاب بن عزيز، وكان سعيد بن عبد الرحمن بن عتاب هذا سيدا كريما جوادا ممدَّحا، وهو الذي يقول فيه الراعي:

وأخضر آجن في ظل ليل سقيت بحوضه رَسَلاً حِرَارَا[2]
سقيناها عِشاشًا[3] واستقينا تبادر من مخافتها النهارا

---

(1) ولول: اسم سيفه.

(2) الآجن من الماء: المتغير اللون والطعم والرائحة، يقال: "يُفْسِدُ الرجُلَ الجحونُ كما يُفْسِدُ الماءَ الأُجونُ" والأجون: من أَجِنَ الماءُ أجنا وأجونا ـ تغير. والرسل: (بالتحريك): قطيع الإبل أو الغنم نحو عشر أو عشرين، يقال: جاءت الإبل والخيل أرسالا: رسلا بعد رسل. وحرار (بكسر الحاء): جمع حر (بضمها) هو: الخيار من كل شيء.

(3) عشاشا: متعجلين مبادرين الصبح.

إلى أن قال:

ترجـــــي من سعيد بني لؤي	أخي الأعياص أنــــواء غزارا[1]
تلقى نوؤهن سِرارَ شهــــــر	وخير النـوء ما لاقى السرارا[2]
كريم تعزب العـــلات عنه	إذا ما حان يوما أن يــــزارا
إذا ما جئته ترجـــــو نـداه	فلا بخـــــلا تخاف ولا اعتذارا
هو الرجل الذي نسبت قريش	فصار المجـــــد منه حيث صارا
وأنضاء أنخــــــن إلى سعيد	طُرُوقاً ثـــــم عجلن ابتكارا[3]
على أكوارهن بنو سبيـــــلٍ	قليل نومهــــــــم إلا غرارا[4]
حمدن مـــــزاره ولقين منـه	عطاء لم يكن عــــدة ضمارا[5]

ويقول أيضا:

أبلغ سعيـــد بن عتاب مغلغلة	ان لم تغلك بأرض دونه غول[6]
أنت ابن فرعي قريش لو تقايسهم	مجدا لصار إليك العرض والطول
إذا ذكرتـــــك لم أهجع بمنزلة	حى أقول لأصحابي بها حولوا[7]

وله أيضا:

---

(1) أنواء: جمع نوء وهو المطر الشديد، والعطاء. والغزار: جمع غزير، وهو الكثير.

(2) سرار الشهر (بكسر المهملة وفتحها): وسَرَره: آخر ليلة فيه.

(3) أنضاء: جمع نضو: المهزول. وطروقا (بضمتين): آتية ليلا. والابتكار: تكلف البكور، وهو الخروج قبل طلوع الشمس.

(4) الأكوار: جمع كور الرحل، أو هو الرحل بأداته. وبنو سبيل: المسافرون. والسبيل: الطريق. والغرار (بكسر الغين المعجمة): القليل من النوم، يقال: "ما ذقت النوم إلا غرارا".

(5) عدة ضمار (بالكسر): فيها تسويف.

(6) المغلغلة: الرسالة المحمولة من بلد إلى بلد. وتَغُلك: تهلكك. والغُول: الهلكة والداهية.

(7) حولوا: من الحِوَل وهو الانتقال من موضع إلى آخر.

إني جعلـــت يمينا غير كاذبة	وقد حبا دونهـا ثهلان والنير[1]
لولا سعيد أرجي أن ألاقيـــه	ما ضمني في سواد البصرة الدور
الواهب البخت خضعا في أزمتها	والبيــض فوق تراقيها الدنانير[2]
سَجْعَاءَ مُعْجِلَةً تدمــى مناسمها	كأنها حــرج بالقد مأسور[3]
ما عرسـت ليلة إلا على وجل	حتى تلوح من الصبـح التباشير
حتى أنيخت على ما كان من وجل	في الدار حيث تلاقى المجد والخِير[4]
إلى المكارم أحسابا ومأثـــرة	بني الأكارم يبري ظهرها الكور[5] ..الخ.

وإلى هذا أشار الناظم بقوله **أبي سعيد العظيم الشان**..

ولما ذكر الناظم سبب تزوُّج عتاب بن أسيد بجويريـة بنـت أبـي جهـل استطرد ذكر أخواتها وأزواجهن، فقال رحمه الله:

تَحْتَ ابنِ عَبْدِ شَمْسٍ الْوَلِيدِ	**جَدِّ ابنِ الازْرَقِ أَتِيِّ الْجُـودِ**
أَسْمَاءُ أُخْتُهَا وَصَخْرَةُ اخْتُهَا	**تَحْتَ أَخِي الشَّرِيدِ مِنْهُ بِنْتُهَا**

---

(1) ثهلان: جبل بالعالية بنجد لبني نمير بن عامر بن صعصعة. والنير (بكسر النـون): جبـل بـأعلى نجـد غربيَّه لبني غاضرة بن صعصعة.

(2) البخت: الإبل الخراسانية، والخضع: جمع خضعاء: الذليلة المنقادة. والبيض: جمع بيضاء وهي صافية اللون نقيته.

(3) سجعت الناقة: مدت حنينهـا، وناقـة ساجعة: مطربـة فيـه، وأعجلت: ألقـت ولدهـا قبـل تمـام، والمناسم: جمع منسم: طرف خف البعير، أو هو للإبل كالظفر للإنسان. والحـرج: الناقـة المكتـنزة الجسيمة الطويلة لا تركب ولا يضربها الفحل ليكون أسمن لها. والقد (بالكسـر): السـير يقـد مـن الجلد. والمأسور: المقيد

(4) المجد: العز والرفعة. والخير (بكسر الخاء): الكرم والشرف.

(5) الأحساب: جمع حسب، وهو مـا يعـد مـن مناقـب أو شـرف الآبـاء، والمأثرة: المكرمـة المتوارثـة، جمعها: مآثر.

وأُخْتُهَا الحَنْفَاءُ تَحْتَ الْعَامِرِي   سُهَيْلٍ الْمُجَاهِدِ الْمُهَاجِرِ

قوله **أسماء**: مبتدأ مؤخَّر؛ خبره قوله: **تحت ابن عبد شمس. وأختها** (بالرفع): صفة لأسماء، والضمير فيها عائد على **بنت عمرو بن هشام** التي مر ذكرها. **والوليد** (بالجر): بدل من **ابن عبد شمس**. وقوله **جد ابن الازرق** (بالجر): صفة للوليد؛ وابن الازرق هو عبد الله بن عبد الرحمن بن الوليد. **وأتيّ** (بالجر، بوزن غني): صفة لابن الأزرق، والأتي هو السيل الغزير. **والجود**: الكرم. يعني أن جوده غزير نافع كالأتي؛ وتشبيه الجود بالسيل من الاستعارات المطردة، وقد استعملها الناظم أيضا في قوله: *بنو حميد جودهم كالسيل*. وقوله **وصخرة** (بالرفع): مبتدأ. **وأختها**: صفة لصخرة، والضمير فيها عائد على بنت عمرو بن هشام أيضا. وقوله **تحت أخي الشريد**: خبر عن **صخرة. والشريد**: لقب عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي؛ لقب بالشريد لأنه لم يبق من أهله غيره. ومراد الناظم هنا بأخي الشريد: أبو سعيد بن الحارث بن هشام المخزومي. وقوله **منه** أي أخي الشريد. وقوله **بنتها**: مبتدأ خبره المجرور قبله. والضمير في **بنتها** عائد على صخرة، واسم تلك البنت فاطمة بنت أبي سعيد بن الحارث، ولم يكن له من صخرة بنت أبي جهل غيرها. وقوله **وأختها**: مبتدأ، والضمير فيها عائد على بنت عمرو بن هشام أيضا. **والحنْفاء** (بالرفع): بدل من أختها. وقوله **تحت العامري**: خبر أختها. **والعامري**: نسبة إلى عامر بن لؤي جد سهيل بن عمرو. **وسهيل** (بالجر): بدل من العامري. **والمجاهد والمهاجر**: صفتان لسهيل.

يعني أن أسماء بنت أبي جهل أخت جويرية كانت تحت الوليد بن عبد شمس، وأختهما صخرة تحت أبي سعيد بن الحارث بن هشام، وأختهن الحنفاء تحت سهيل بن عمرو، وأم بنات أبي جهل هؤلاء الأربع أروى بنت أبي العيص بن أمية بن عبد شمس، وأم أروى هذه رقية بنت أسد بن عبد العزى بن قصي، وأم رقية هذه خالدة

بنت هاشم بن عبد مناف بن قصي. أما أسماء بنت أبي جهل فكانت تحت الوليد بن عبد شمس بن المغيرة بن عبد ا لله بن عمرو بن مخزوم القرشي المخزومي، فولدت له أم عبد ا لله بنت الوليد، تزوجها عثمان بن عفان.

وأما صخرة بنت أبي جهل فكانت تحت أبي سعيد بن الحارث بن هشام بن المغيرة بن عبد ا لله بن عمرو بن مخزوم القرشي المخزومي أخي عبد الرحمن بن الحارث المعروف بالشريد، فولدت له فاطمة بنت أبي سعيد، وإلى ذلك أشار الناظم بقوله **منه بنتها**؛ وليس لأبي سعيد بن الحارث عقب إلا من بنته فاطمة هذه. ثم تزوجت صخرة أيضا بعد أبي سعيد هذا بخالد بن العاص بن هشام، فولدت له أم الحارث بنت خالد.

وأما الحنفاء بنت أبي جهل ـ قيل اسمها صفية ـ فكانت تحت سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامرٍ بن لؤي القرشي العامري، قيل ولدت له ابنا اسمه أنس كان مضعفا وفيه جرى المثل: "أساء سمعا فأساء جابة[1]"، روي أنه نظر يوما إلى رجل على ناقة يتبعها خروف فقال: يا أبته أذلك الخروف من تلك الناقة؟! فقال أبوه: صدقت هند بنت عتبة!، وكانت حين خطبها قالت: "إن جاءت منه حليلته بولد أحمقت وإن أنجبت فعن خطإ ما أنجبت"، وكان قد خطبها هو وأبو سفيان فاختارت أبا سفيان.

أما الوليد فهو ابن عبد شمس بن المغيرة المخزومي، أمه قيلة بنت جحش، أسلم يوم الفتح فكان صحابيا جليلا، وكان من أشراف قريش، واستشهد رضي ا لله عنه يوم اليمامة تحت لواء ابن عمه خالد بن الوليد المخزومي، والوليد هذا هو جد ابن الأزرق ـ كما قال الناظم.

---

(1) يضرب مثلا للرجل يخطئ السمع فيسيء الإجابة ـ [فرائد الأدب]. وقوله جابة: بمعنى إجابة.

وابن الأزرق هو عبد ا لله الهِبرزِي بن عبد الرحمن بن الوليد بن عبد شمس بن المغيرة المخزوم، أمه أم حكيم بنت حريث بن سليم العذرية. وقد وصف الناظم عبد ا لله الهبرز هذا بالجود لأنه كان من الأجواد المشهورين الممدحين؛ وممن مدحه أبو دهبل الجمحي، وفيه يقول:

لا يُبْعِدِ ا للهُ عبدَ ا لله أذكره ... عند الندى أبدا ما هبت الريح

أغر من ساكني البطحاء ألحفه ... بالمجد والسؤدد البيض المناجيح[1]

منتطق حين يدعى غير مكتتم ... كالسيد لم يخفه القيصوم والشيح[2]

وفيه يقول أيضا:

عقم النساء فما يلدن شبيهه ... إن النساء بمثله عُقم

متقدم بنعم مخالف قول لا ... سيان منه الوفر والعدم[3]

إن الجدود معادن فنجاره ... ذهب وكل جدوده ضخم[4]

نزر الكلام من الحياء تخاله ... ضَمِناً وليس بجسمه سقم[5]

ويقول فيه أيضا ـ وكان واليا لعبد ا لله بن الزبير على بعض الجهات فعزله:

ما ذا رزئنا غداة الخَلِّ من رِمَعٍ ... عند التفرق من خيم ومن كرم[6]

---

(1) البيض: جمع أبيض وهو الرجل النقي العرض. والمناجيح والمناجح جمع منجح وهو ذو النجح أي الظفر.

(2) انتطق: شد وسطه بالمنطقة وهو من أمارات التأهب. والمكتتم: المستور المخفي. والسيد (بكسر السين): الذئب جمعه: سيدان. والقيصوم والشيح: نبتان.

(3) الوفر: الغنى. والعدم: الفقر.

(4) النجار بالكسر: الأصل. والضخم: العظيم.

(5) الضَّمن: الزمن، والضمانة: الزمانة.

(6) رزئنا: أصبنا برزء وهو المصيبة. والخَل هنا: موضع، ويقال ايضا للمستطيل من الرمل. ورِمع: موضع، وقيل جبل باليمن [شرح التبريزي على ديوان الحماسة]. والخيم (بالكسر): السجية والطبيعة. والكرم (محركة): ضد اللؤم.

ظل لنا واقفا يعطـــي فأكثر ما | قلنا وقال لنا في وجهه نعـــم[1]
ثم انتحى غير مذمــوم وأعيننا | لما تولى بدمع سافـــح سجم[2]
تحمله الناقة الأدمــاءمعتجرا[3] | بالبرد كالبدر جلى داجي الظلم
وكيف أنساك لا نعماك واحدة | عندي ولا بالذي أوليت من قدم[4]

ومات عبد الله هذا بتهامة فرثاه أبو دهبل فقال:

لقد غال هذا القبر من بطن عُلَيّبٍ | فتى كان من أهل الندى والتكرم
فتى كان فيما ناب يوما هو الفتى | ونعـــم الفتى للطارق المتيمم

ثم وصف الناظم سهيلا بالمجاهد والمهاجر، وهو إنما أسلم يوم الفتــح ولا هجـرة بعد الفتح، ولعله يشير بذلك إلى أنه انتقل رضــي الله عنـه مـن مكـة وطنـه الحبيـب الذي كان فيه من أبرز سادات قومه، انتقـل منه بأهلـه نحو الشام مجاهدا، وقـال: أرابط حتى أموت ولا أرجع إلى مكة. فقد خرج سهيل بن عمرو هذا والحارث بـن هشام بن المغيرة المخزومي وعكرمة بن ابي جهل بأهلهم وأموالهم لما سمعوا من النـبي ﷺ: «لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونيـة»[5]، وقـالوا: إن فاتنـا إخواننـا بسـابقة

---

(1) أي أكثر شيء قلنا أن سألناه وأكثر شيء قاله لنـا "نعم"، و"يعطي" في محل نصب على الحـال. ووجهه الذي مضى فيه يعني سفرا قد مضى فيه فلم يرجع، وحرك ميم "نعم" للاطلاق وحقها السكون.

(2) سافح: منصب. وسجم: سائل.

(3) الأدماء: شديدة السمرة، والمعتجر: الذي يلفُّ العمامة على رأسـه ويرد طرفهـا علـى وجهـه، وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل مكة يوم الفتح معتجرا بعمامة سوداء.

(4) من قدم بفتحتين: من معروف وخير.

(5) رواه البخاري ومسلم، وقد روى معاوية قال: سمعت رســول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها» رواه أبـو داوود والدارمي في سننهما، وأحمد في مسنده، وعنه صلى الله عليه وسلم:« لا تنقطـع الهجـرة مـا كـان الجهاد» أخرجه النسائي في المجتبى، والإمام أحمد في المسند.

الإسلام وبالهجرة فنبذل أنفسنا وأهلنا في الجهاد فعسى أن نلحق بهم؛ وخرجوا إلى الشام فتبعهم أهل مكة يبكون عليهم لفراقهم، فرقوا لهم وبكوا ثم قالوا: ما كنا نستبدل داراً بدار ولا جارا بجار ما أردنا بكم بدلا ولكنها النقلة إلى ا لله، وا لله ما خرجنا رغبة بأنفسنا عن أنفسكم ولا اختيار بلد عن بلدكم، وقد خرج منه رجال من قريش ما كانوا من ذوي أنسابها ولا من بيوتها ولو أن جبال مكة ذهبا أنفقناها في سبيل ا لله ما أدركنا يوما من أيامهم ولئن فاتونا في الدنيا لنلتمس أن نشاركهم في الأخرى. ثم أقاموا رضي ا لله عنهم بالشام إلى أن استشهدوا ثلاثتهم يوم اليرموك، و لم يبق منهم ولا من أهلهم إلا عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وفاختة بنت عتبة بن سهيل، فقدما المدينة في خلافة عمر بن الخطاب رضي ا لله عنه، فقال عمر: زوجوا الشريد من الشريدة وعسى ا لله أن ينشر منهما أمة، وأقطعهما أرضا، فنشر ا لله منهما عددا كثيرا. ومن ذلك سمي عبد الرحمن هذا بالشريد، وقيل إن سهيل بن عمرو لم يزل مقيما بالشام إلى أن مات في طاعون عمواس[1] سنة ثمان عشرة؛ وقيل استشهد بمرج الصفر، وقيل استشهد يوم اليرموك وهو على كردوس[2] وكان رضي ا لله عنه كثير الصوم والصلاة والصدقة.

تنبيه: هذه هي بنات أبي جهل (عمرو بن هشام) المخزومي، أما أبناؤه فهم عكرمة وعلقمة وأبو علقمة وأبو حاجب، أما عكرمة فأمه أم مجالد إحدى نساء بني هلال بن عامر، أسلم عام الفتح وحسن إسلامه وأبلى في قتال أهل الردة وفي الفتوحات الإسلامية بلاء حسنا، و لم يزل يجاهد في سبيل ا لله إلى أن استشهد

---

(1) عمواس (بفتح العين والميم وتسكن الميم): قرية بالشام عرف الطاعون بها لأنه منها بدأ.

(2) طائفة عظيمة من الخيل ، جَمْعُهَا كراديس.

بأجنادين وليس له عقب رضي الله عنه، وأما علقمة فأمه عائشة بنت الحارث بن ربيع بن زياد بن عبد الله بن سفيان بن ناشب بن عبسٍ (ودرج)، وأما أبو علقمة واسمه زرارة، وأبو حاجب واسمه تميم فأمهما بنت عمير بن معبد بن زرارة بن عدس؛ وقتل أبو علقمة باليمن. والله أعلم.

ثم قال رحمه الله:

وَابْنُ أَسِيدٍ خَالِدُ أَخُو الْوَزِيرْ   دَعَا لَهُ بِالفَخْرِ إِذْ خَالَ الْبَشِيرْ

جَدُّ الثَّلاَثَةِ الذِينَ اسْتَوْزَرَا   أَبُو الْخَلاَئِفِ وَفَضْلُهُمْ سَرَى

إِلَى سَعِيدٍ ابْنِ خَالِدِهِمُ   مُسَوِّدِ الأَعْيَاصِ مَاجِدِهِمُ

قوله **ابن أسيد** (بوزن أمير): مبتدأ، و**خالد** (بالرفع): بدل منه. و**أخو**: صفة **لخالد**. واللام في **الوزير**: للعهد، أي أخو عتاب الذي استوزره النبي ﷺ - كما مر. وجملة **دعا له**.. إلخ: خبر عن ابن أسيد. والضمير في **دعا له** عائد على خالد. **والفخر**: الفضل والعظمة. و**خال** (بالخاء المعجمة): تبختر وتمايل في مشيه، وفاعل خال ضمير مستتر عائد على خالد. **والبشير**: فاعل **دعا له**، وهو من أسمائه صلى الله عليه وسلم. وقوله **جد الثلاثة** (بالرفع): صفة لخالد. **واستوزرهم**: جعلهم وزراء. **وأبو الخلائف**: يعني به عبد الملك بن مروان، **والخلائف**: جمع خليفة، وهو القائم بأمر الأمة ؛ وهؤلاء الثلاثة هم عبد العزيز وأمية وخالد بنو عبد الله بن خالد بن أسيد. والضمير في قوله **وفضلهم**، وفي قوله **خالدهم**: عائد على **الثلاثة**، أي وفضل بني خالد الثلاثة **سرى**، أي جرى، إلى ابن أخيهم وهو سعيد بن خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد. وقوله **مسود** (بصيغة اسم الفاعل وبالجر): صفة لسعيد، أي جعلهم سادة لأنه منهم فشرفوا به [*وكم أب قد علا بابن ذرى حسب*..]. **والأعياص** مر التعريف بهم. **وماجدهم**: أي فائقهم في المجد وهو العز والرفعة.

يعني أن من ولد أبي العيص بن أمية خالد بن أسيد أخا عتاب وزير النبي ﷺ على مكة، وهو خالد بن أسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي شقيق عتاب، أمهما زينب بنت أبي عمرو ـ كما مر. أسلم خالد هذا رضي الله عنه عام الفتح، وروى عن النبي ﷺ ، وعده بعضهم من المؤلفة قلوبهم؛ وكان فيه تيه[1] شديد، قيل رآه النبي ﷺ وهو يتقاذف في مشيه فقال: «اللهم زده فخرا» ــ [قاله الزبيري في كتاب نسب قريش][2]. وإلى ذلك أشار الناظم بقوله **دعا له بالفخر إذ خال البشير** (صلى الله عليه وسلم). ومات خالد بن أسيد هذا بمكة وله من الولد عبد الله بن خالد، أمه ريطة بنت عبد الله بن خزاعي الثقفية، وكان عبد الله بن خالد هذا سيدا ذا قدر استعمله زياد على فارس، وفيه يقول أبو حُزَابَةَ:

إني وإن كنت كبيرا نازحا ... تطوّح الدار بي الْمَطَاوِحَا[3]

ألقى من الغرام برحا بارحا[4] ... لَمَادِحٌ إني كفاني مادحا

من لم يجد في زنده قوادحا[5] ... إن لعبد الله وجها واضحا

ونسبا في الأكرمين صالحا

---

(1) أي تكبُّر.

(2) ج: 6 / 188.

(3) النازح: البعيد عن بلاده. وتطوح في البلاد: رمى بنفسه فيها وذهب ها هنا وها هنا، وتطاوحت به النوى ونحوها: ترامت به وتباعدت، والمطاوح: جمع مطاح: المكان والمسلك الوعر المهلك.

(4) الغرام: التعلق بالشيء تعلقا لا يستطاع التخلص منه. والبرح: الشدة، يقال لقي منه برحا بارحا وبرحا مبرحا: شدة مفرطة.

(5) الزند: العود الأعلى الذي تقدح به النار (والأسفل هو الزندة) جمعه: زناد وأزناد، وقدح بالزند: ضرب به حجره لتخرج منه النار.

وولد عبد الله بن خالد هذا عبدَ العزيز، أمه أم حبيب بنت جبير بن مطعم بن عدي، وأميةَ وخالداً، أمهما أم حجير بنت شيبة بن عثمان بن أبي طلحة بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصي.

أما عبد العزيز بن عبد الله هذا فقد استعمله عبد الملك بن مروان على مكة، وكان ممدحا، وممن مدحه أبو صخر الهذلي، يقول من قصيدة في مدحه:

يا أم حسان إني والسرى تعب جبت الفلاة بلا سمت ولا هاد

إلى قلائص لم تطرح أزمتها حتى ونين ومل العقبة الحادي[1]

والمرسمون[2] إلى عبد العزيز بها معا وشتى ومن شفع وفُرَّاد

عوامدا لندى العيصي قاربة[3] ورد القطا فضلات بعد وراد

إذا تُبُرِّضَت الأثماد أو نُكرت[4] أوردت فيض خليج غير أثماد ..الخ.

وتوفي عبد العزيز برصافة هشام، فرثاه أبو صخر الهذلي بقطعة منها:

فإن تمس رمسا بالرصافة ثاويا فما مات يا ابن العيص أيامك الزهرُ

وذي ورق من فضل مالِكَ مالُه وذي حاجة قد رشت ليس له وفر

وأما أمية بن عبد الله فاستعمله أيضا عبد الملك على خراسان وكان جوادا

---

(1) قلائص جمع قلوص وهي الفَتِيَّة من الإبل المجتمعة الخلق، وذلك من حين تركب إلى التاسعة من عمرها، ثم هي ناقة. والأزمّة: جمع زمام: وهو الخيط الذي يشد في البرة. وونى في الأمر: كل وأعيا. والعُقبة: النوبة من أعقب فلانا في الراحلة والعمل وغيرهما: خلفه. والحادي: الذي يسوق الإبل بالحُداء جمعه: حُداة.

(2) رسم فلان نحو الشيء: ذهب إليه مسرعا، ورسمت الناقة رسيما: عدت عدوا فوق الذميل.

(3) عوامد: قاصدات. وندى: جود وخير. والعيصي: نسبة إلى أبي العيص بن أمية، والمراد به عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبي العيص. وقرب الإبل: سار بها ليلا لترد الماء من الغد.

(4) تبرض الماء: اغترفه كلما اجتمع منه شيء. وتبرض الشيء: أخذه قليلا قليلا. والأثماد: جمع ثمد بفتح الميم وسكونها: الماء القليل لا مادة له.

ممدحا، وفيه يقول نهار بن توسعة:

أميـة يعطيـك اللها[1] إن سألته ... وإن أنـت لم تسأل أمية أضعفا
ويعطيك ما أعطاك جذلان ضاحكا ... إذا عبّـس الكَزُّ اليدين وقفقفا[2]
هنيئا مريئا جود كف ابن خالد ... إذا مسها الرعديد[3] أعطى تكلفا

وقال فيه آخر:

أمسى أمية يعطي المالَ سائلَـه ... عفـوا إذا ضن بالمال المباخيل
لا يتبع المن ما أعطاهُ مُنفِسة ... إذا البليغ زهاه القال والقيـل
بحراك بحـرا يمين فاز وارده ... إذا البحور بنا ريح صلاصيل[4]

وأما خالد بن عبد الله فاستعمله عبد الملك أيضا على البصرة، وفيه يقول الشاعر:

إن الجـواد الذي ترجى نوافله ... أبـو أمية إن أعـطى وإن منعا
تغشى الأراكيب أفواجا سرادقه ... كما يوافي بأهل المسجد الْجُمَعَا[5]

ومن ولد خالد بن عبد الله هذا عبد الملك وسعيد ابنا خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد، أمهما عائشة بنت عبد الله بن خلف بن أسعد بن عامر بن بياضة الخزاعية. وكان سعيد بن خالد هذا جوادا كريما من فتيان وسادات بني العيص بن أمية، وكان ممدحا وفيه يقول موسى شهوات مولى بني سهم:

---

(1) العطية أو أفضل العطايا وأجزلها.

(2) عبَّس وجهه وعبَس يعبس عبسا وعبوسا: كلح وكشر. وكز اليدين: أي البخيل. وقفقف: اصطكت أسنانه واضطربت حنكاه من البرد وغيره.

(3) الرعديد: الجبان يرتعد ويضطرب عند القتال جبنا.

(4) يريد بالمنفسة: العطاء الجزيل. والصلاصيل: جمع صلصل (بضم الصادين) وهو: بقية الماء في الغدير وغيره.

(5) تغشى: تأتي. والأراكيب: جمع ركب - جمع الجمع - والأفواج: جمع فوج: الجماعة. والسرادق: كلما أحاط بالشيء من حائط وغيره. والفسطاط يجتمع فيه الناس. والجمع (بضم الجيم وفتح الميم): جمع جمعة.

سعيـــد الندى أعني سعيد بن خالد أخا العـــرف لا أعني ابن بنت سعيد
ولكنما أعني ابن عائشـــــة الذي أبو أبـــويه خالـــد بن أسيـــد
عقيدَ الندى ما عاش يرضى به الندى وإن مات لم يرض النـــدى بعقيد

وإلى ذلك أشار الناظم بقوله **وفضلهم سرى إلى سعيد**..إلخ. وا لله تعالى أعلم.

ثم قال رحمه ا لله:

وَانْسِبْ سَعِيداً ذَا الْعِمَامَةِ الْخِضَمْ أَبَا أُحَيْحَـــةَ إِلَى الْعَاصِ وَكَمْ
كَانَ لَهُ مِنَ الْبَنِينَ مِنْهُـــمُ كَفَـــرَةٌ وَمِنْهُمُ مَنْ أَسْلَمُـوا
كَخَالِدٍ وَعَمْـرٍو الْمُهَاجِرَيْنْ إِلَى النَّجَاشِيِّ بِخَيْرِ زَوْجَتَيْنْ
أَبَانٍ الْمُمْلِـي ... ...

العمامة (بكسر العين المهملة): ما يلف علـى الرأس، جمعها عمـائم. **والخِضَم** (بكسر ففتح): السيد والجواد المعطاء. **وذَا العِمَامة والخضَمّ**: نعْتَانِ لسَعِيداً، **وأبا أحيحة** (بصيغـة التصغير): بـدل منـه. وقولـه **إلى العـاص**: متعلق **بانسب**. **وكـم**: للخبرية وهي للتكثير. والضمير في **له** عائد علـى سعيد؛ وعـدد بنيه الذكـور ثمانيـة أسلم منهم خمســة ومـات على الكفـر ثلاثـة. **والمهـاجرين** (بالتّثنيـة): صفـة **لخـالد وعمـرو**، والمـراد بهـا الهجـرة الأولى إلى الحبشـة. **والنجاشـي**: ملـك الحبشـة واسمـه أصحمة بن أبجر، وقد أسلم رضي ا لله عنه. وقوله **زوجتين**: تثنية زوجة بالتـاء وهـو مسموع، وفي الحديث «يا فلان هذه زوجتي فلانة»[1]؛ واستعمله النـاظم كمـا هنـا وفي قوله: *وأتحف الملك زوجة الخليل* ؛ والأفصـح تـرك التـاء كمـا في قولـه تعـالى

(1) أخرجه الإمام أحمد.

﴿ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ ﴾[1]، واستعمله الناظم أيضا كما في قوله: وزوجُهُ *سهلة*.. إلخ، ووصفهما الناظم بالخيرية لفضلهما وقِدم إسلامهما. وقوله **أَبَان** (بوزن سحاب وبالجر): عطف على **خالد** و**عمرو** بحذف العاطف. و**المُمْلِي**: صفَةٌ **لأَبَانٍ**، وهو اسم فاعل أملى الكتاب على فلان إملاء: قاله له فكتب عنه.

يعني أن العاص بن أمية بن عبد شمس له من الولد: سعيد بن العاص المكنى أبا أحيحة، أمه ريطة بنت البياع بن عبد ياليل بن ناشب بن غيرة بن سعد بن ليث بن بكر، وكان سعيد بن العاص هذا من سادات قريش في الجاهلية؛ وقد بلغ من السيادة أنه كان إذا لبس عمامته لم يلبس قرشي عمامته حتى يترعها، وقيل كان إذا اعتم بمكة لا يعتم أحد بلون عمامته إعظاما له، وكان يقال له ذو التاج، وفي ذلك يقول الشاعر:

أبو أحيحة من يعتم عمته … يضرب وإن كان ذا مال وذا ولد

ويقول آخر:

وكان أبو أحيحة قد علمتم … بمكة غير مهتضم ذميم
إذا شد العمامة ذات يوم … وقام إلى المجالس والخصوم
لقد حرمت على من كان يمشي … بمكة غير محتقر لئيم

وكان لأبي أحيحة هذا من الولد ثمانية وهم أحيحة وهو أكبر ولده وبه كني، ومات في حرب الفجار، والعاصي قتله علي بن أبي طالب يوم بدر كافرا، وعبد الله وكان اسمه الحكم ولما أسلم سماه النبي ﷺ عبد الله؛ وكان كاتبا فأمره صلى الله عليه وسلم أن يعلم الكتابة بالمدينة، قيل استشهد بمؤتة وقيل باليمامة. وعمرو

(1) البقرة الآية: 35.

وسعيد؛ وقد أسلم قبل الفتح واستعمله رسول الله ﷺ على سوق مكة، واستشهد بالطائف، أم هؤلاء صفية بنت المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم. وأبان وعبيدة؛ قتله الزبير بن العوام يوم بدر كافرا؛ وأم هذين هند بنت المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم وشقيقتهما فاختة بنت سعيد؛ تزوجها أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس بن عبد مناف بعد زينب بنت رسول الله ﷺ فولدت له مريم بنت أبي العاص وليس له بقية إلا من ولدها. ومن ولد سعيد أيضا خالد أمه أم خالد بنت خباب بن عبد ياليل بن ناشب بن غيرة.

أما خالد فكان من السابقين إلى الإسلام، قيل كان رابع أو خامس من أسلم؛ وسبب إسلامه أنه رأى في المنام أنه وقف على شفير جهنم وكأن أباه يدفعه فيها، ورأى النبي ﷺ آخذا بحقويه[1] لئلا يقع فيها، ففزع.. فلقي أبا بكر فذكر له ذلك، فقال: ستتبع رسول الله ﷺ على الإسلام فيحجزك ذلك أن تقع في النار؛ فجاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم فشتمه أبوه وقاطعه؛ فلزم النبي ﷺ ثم هاجر إلى الحبشة بزوجه أَمينة بنت خلف بن أسعد بن عامر الخزاعية، وأقام بالحبشة أربع عشرة سنة ولد له فيها ابنه سعيد وابنته أم خالد، ثم قدم على النبي ﷺ بخيبر، ورجع معه إلى المدينة، وشهد الفتح وحنينا والطائف وتبوك، واستعمله صلى الله عليه وسلم على صدقات اليمن، و لم يزل عليها حتى قبض صلى الله عليه وسلم، وقيل ولاه صنعاء واستكتبه، فلما توفي صلى الله عليه وسلم قدم على أبي بكر فأراد أن يستعمله فقال: ما كنت لأعمل لأحد بعد رسول الله ﷺ. واستشهد رضي الله عنه بوقعة مرج الصفر[2]، وقيل بأجنادين، واستشهد ابنه سعيد المذكور أيضا بمرج

---

(1) تثنية حقو بكسر المهملة وفتحها وهو: الكشح والإزار.

(2) مرج الصفر: موضع بدمشق.

الصفر، وقيل باليرموك.

وأما بنته أم خالد بنت خالد بن سعيد فلها صحبة ورواية، روي أن النبي ﷺ كساها ثوبا وهي صغيرة فقال لها: «سَنَه سَنَه يا أم خالد»[1]، ومعناه: حسن حسن بلغة الحبشة، وفي رواية: أنه قال لها: «أبلي وأخلقي ثم أبلي وأخلقي»[2]، وتزوجها الزبير بن العوام، فولدت له خالدا ـ وبه كنيت ـ وعمراً؛ وانقطع عقب خالد بن سعيد بن العاصي.

وأما عمرو بن سعيد بن العاصي ويكنى أبا عقبة، فأسلم بعد خالد وكان قديم الإسلام أيضا وهاجر بزوجته فاطمة بنت صفوان الكنانية، وشهد مع النبي ﷺ الفتح وحنينا والطائف وتبوك، واستعمله صلى الله عليه وسلم على وادي القرى، وقيل على تيماء وخيبر، ولم يزل على عمله إلى أن توفي رسول الله ﷺ، فرجع إلى المدينة فراوده أبو بكر في الرجوع إلى عمله فقال: إني لا أعمل لأحد بعد رسول الله ﷺ أبدا؛ واستشهد رضي الله عنه بأجنادين ولا عقب له. وروي أن عمرو بن سعيد

---

(1) أخرجه البخاري.

(2) أخرجه البخاري، وأبلي (بفتح الهمزة وسكون الموحدة وكسر اللام): أمر بالإبلاء، وأخلقي بالمعجمة والقاف: أمر بالإخلاق، وهما بمعنى، والعرب تطلق ذلك وتريد الدعاء بطول البقاء للمخاطب بذلك، أي أنها تطول حياتها حتى يبلى الثوب ويخلق، قال الخليل: "أبل وأخلق" معناه: عش وخرق ثيابك وارقعها. وورد في رواية أيضا: «وأخلفي» بالفاء، وهي أوجه من التي بالقاف، لأن الأولى تستلزم التأكيد إذ الإبلاء والإخلاق بمعنى، لكن جاز العطف لتغاير اللفظي؛ والثانية تفيد معنى زائدا وهو أنها إذا أبلته أخلفت غيره، ويؤيدها ما أخرجه أبو داوود بسند صحيح عن أبي نضرة قال: كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا لبس أحدهم ثوبا جديدا قيل له: "تبلي ويخلف الله". [فتح الباري]. ولحسان بن ثابت يخاطب أبا سفيان بن حرب:

كساك هشام بن الوليد ثيابه   فأبل وأخلف مثلها جُدُدا بعدُ

وإن كانت الثياب هنا كناية عن العار الذي لحقه بقتل هشام المذكور.

هذا أعطى النبي ﷺ خاتما نقشه "محمد رسول الله" فنهى صلى الله عليه وسلم أن ينقش عليه أحد وتوفي وهو بيده، ثم كان في يد أبي بكر حتى توفي، فكان في يد عمر حتى توفي، فكان في يد عثمان إلى أن سقط من يده في بئر أريس ــ وهي من آبار المدينة ـ وقيل سقط فيها من يد معيقيب الدوسي، كما سيأتي إن شاء الله.

وأما أبان بن سعيد فقد تأخر إسلامه عن إسلام أخويه خالد وعمرو، وكان سبب إسلامه أنهما لما قدما من الحبشة أرسلا إليه يدعوانه إلى الإسلام فأجابهما له ولحق بهما، وقدم معهما على رسول الله ﷺ وهو بخيبر، فأسلم وشهدها مع رسول الله ﷺ. وقيل سببه أنه خرج تاجرا إلى الشام فلقي راهباً فسأله عن رسول الله ﷺ وقال: إني رجل من قريش وإن رجلا منا خرج فينا يزعم أنه رسول الله ــ ﷺ ــ أرسله مثل ما أرسل موسى وعيسى، فقال الراهب: ما اسم صاحبكم؟ قال: محمد، قال الراهب: إني أصفه لك فذكر صفة النبي ﷺ وسنه ونسبه، فقال أبان: هو كذلك، فقال الراهب: والله ليظهرن على العرب ثم ليظهرن على الأرض؛ وقال لأبان اقرأ على الرجل الصالح السلام. فلما عاد أبان أسلم وحسن إسلامه، وقيل إنه هو الذي أجار عثمان لما أرسله النبي ﷺ يوم الحديبية إلى مكة وقال له: اسلك من مكة حيث شئت آمنا؛ واستعمله رسول الله ﷺ على البحرين، ولم يزل عليها حتى قبض صلى الله عليه وسلم فرجع إلى المدينة فقال له أبو بكر: مالك رجعت؟ ما أحد أحق بالعمل من عمال رسول الله ﷺ ارجع إلى عملك، فقال: إني لا أعمل لأحد بعد رسول الله ﷺ أبدا. وعاش أبان هذا إلى خلافة عثمان. وكان من كتابه صلى الله عليه وسلم هو وأخوه خالد بن سعيد، كما في الخميس وأسد الغابة. وروي أن أبان بن سعيد هذا كان من الذين تولوا إملاء المصحف على زيد بن ثابت الأنصاري حين ندبهم عثمان إلى كتابته؛ وإلى ذلك أشار الناظم بقوله: **أبانٍ المملي.** وقيل إنه مات قبل خلافة عثمان ـ فقيل استشهد بأجنادين وقيل باليرموك وقيل

بمرج الصفر - وإن الذي تولى إملاء المصحف هو ابن أخيه وسميه أبان بن سعيد بن سعيد بن العاص بن أمية. وأما بقية الذين أسلموا من أبناء سعيد فاثنان هما عبد الله، الذي كان يسمى الحكم، وسعيد بن سعيد، وسبق ذكرهما. فجميع من أسلم من بني سعيد بن العاصي خمسة وصحبوا رسول الله ﷺ، ولا عقب لواحد من بنيه إلا العاص بن سعيد. وأما الكفرة منهم فسيأتي ذكرهم قريبا. وكان بنو سعيد بن العاص هؤلاء كلهم سادة نجباء، وكان يقال لهم "أعزة الحرم"، وإلى ذلك يشير أبان بن سعيد يخاطب عثمان بن عفان لَمَّا أَجَاره حين بعثه رسول الله ﷺ إلى قريش عام الحديبية بقوله:

أقبل وأدبر ولا تخف أحدا   بنو سعيد أعزة الحرم

وأدرك أبوهم سعيد بن العاص الإسلام و لم يسلم؛ ويروى أنه مرض فقال إن رفعني الله من مرضي هذا لا يعبد إله ابن أبي كبشة بمكة، فقال ابنه خالد: اللهم لا ترفعه، فمات من مرضه ذلك على كفره - والعياذ بالله تعالى - ودفن بجبل يعرف بالظُّرَيْبَةِ (بصيغة التصغير) بناحية الطائف؛ وكان قد هلك في مال له به، وإلى ذلك يشير ابنه أبان قبل إسلامه بقوله يعاتب أخويه خالدا وعمرا على إسلامهما:

ألا ليت ميتا بالظريبة شاهدٌ   لما يفتري في الدين عمرو وخالد
أطاعا بنا أمر النساء فأصبحا   يعينان من أعدائنا من نكابد

فأجابه أخوه عمرو بقوله:

أخي ما أخي لا شاتم أنا عرضه   ولا هو عن سوء المقالة مقصر
يقول إذا شكت عليه أموره   ألا ليت ميتا بالظريبة ينشر
فدع عنك ميتا قد مضى لسبيله   وأقبل على الحي الذي هو أفقر

ثم أشار الناظم إلى بقية أولاد العاصي فقال رحمه الله وعفا عنه:

... ... وَأَمَّا الْكَفَرَهْ فَمِنْهُمُ الْعَاصِي قَتِيلُ حَيْدَرَهْ
أَبُو سَعِيدٍ السَّخِيِّ أَمْلَى أَيْضًا والاَشْدَقَ اللَّطِيمَ أَتْلَى
مَغْدُورَ أَهْلِهِ وَوَالِي شَرِّهِمْ مُعْطِي وَصِيَّةِ أَبِيهِ خَيْرِهِمْ
أَخَافَ طَيْبَةَ وَفَوْقَ مِنْبَرِ نَبِيِّنَا رَعَفَ وَهْوَ مُجْتَرِي

الكفرة: مبتدأ خبره الجملة بعده، **وال** فيه عهدية يشير بها إلى قوله قبل: *وكم كان له من البنين منهم كفرة..* **وقتيل** (بالرفع): صفة العاص، أي مقتول حيدرة. **وحيدرة**: لقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه. **وأبو** (بالرفع): صفة أخرى للعاص، وهو مضاف إلى سعيد أي والد سعيد. **والسخي** (بالجر): صفة لسعيد، أي الجواد. **وأملى** (بوزن أبقى): فعل ماض وفاعله ضمير مستتر عائد على **سعيد**، والجملة صفة لسعيد أيضا، ومعناها أن سعيدا هذا كان ممن أملى المصحف على زيد بن ثابت ليكتبه. وقوله **أيضا**: أي بالإضافة إلى أبان بن أبي أحيحة الذي مر أنه كان ممن أملى المصحف.

يعني أن من أبناء سعيد بن العاص بن أمية الذين ماتوا على الكفر: العاص بن سعيد بن العاص والد الجواد المشهور سعيد بن العاص بن سعيد أحد الجماعة الذين أملوا المصحف على زيد بن ثابت. وأولاد سعيد الكفرة ثلاثة هم أحيحة الذي كني به، وقد مات في حرب الفجار، والعاص هذا وقد قتله علي بن أبي طالب يوم بدر - كما قال: **قتيل حيدرة** - وعبيدة وقد قتله الزبير بن العوام ببدر أيضا - كما مر.

أما العاص بن سعيد هذا فلم يترك من الولد إلا سعيد بن العاص، أمه أم كلثوم بنت عمرو بن عبد الله بن أبي قيس بن عبد ود العامرية. وكان سعيد هذا من فتيان قريش وقد أدرك تسع سنين من حياة النبي ﷺ ، فكان بذلك صحابيا، وكان رضي الله عنه كريما فاضلا، وقد قال فيه معاوية: "كريمة قريش سعيد بن العاص". وروي

أن محمد بن عقيل بن أبي طالب قال لأبيه: من أشرف الناس؟! قال: أنا وابن أمي وحسبك بسعيد بن العاص؛ وكان مشهورا بالبر والجود والسخاء، وكان إذا سأله أحد وليس عنده ما يعطيه كتب له إلى أيام يسرته؛ وكان ممدحا، وله يقول الفرزدق من قصيدة له:

ترى الغرَّ الجحاجحَ من قريش إذا ما الأمر في الحدَثان غالا[1]

قياماً ينظرون إلى سعيد كأنهمُ يَرون به هلالا

وقد روي أن مروان بن الحكم حين سمع الفرزدق ينشد: *قياما ينظرون إلى سعيد* .. إلخ حسده فقال له: يا أبا فراس قل قعودا ينظرون إلى سعيد، فقال له الفرزدق: والله يا أبا عبد الملك لا أقول إلا قياما على الأقدام!.

وكان سعيد أيضا أفصح الناس وأشبه الصحابة لهجة برسول الله ﷺ، ولذلك قال عثمان رضي الله عنه للجماعة الذين ندبهم لكتابة المصحف: "فليملل سعيد وليكتب زيد"، وتقدم أن أخاه أبانا كان ممن أملى المصحف على زيد بن ثابت، وإلى ذلك أشار الناظم بقوله: *فمنهم العاص قتيل حيدرة... أبو سعيد السخي أملى أيضا*.. وكان سعيد بن العاص هذا من كبار المجاهدين والأمراء المشهورين، وقد استعمله عثمان على الكوفة، وغزا بالناس طبرستان ففتحها، وغزا جرجان؛ وكان في عسكره أجلاء الصحابة منهم حذيفة بن اليمان وغيره؛ ولما قتل عثمان لزم بيته واعتزل الفتنة، فلم يشهد الجمل ولا صفين. فلما استقر الأمر لمعاوية أتاه فعاتبه معاوية على تخلفه عنه في حروبه فاعتذر له، فقبل معاوية عذره واستعمله على المدينة، وكان يعقب بينه وبين مروان بن الحكم في ولايتها، وكان رضي الله عنه

---

(1) الغر: جمع أغر وهو أبيض الغرة، والمراد به الشريف. والجحاجح: جمع جحجاح وهو السيد الكريم. والحدثان: نوائب الدهر. وغال: أصاب بشرٍّ.

وقورا حليما، وكان إذا أحب شيئا أو أبغضه لم يذكر ذلك ويقول: إن القلوب تتغير فلا ينبغي للمرء أن يكون مادحا اليوم عائبا غدا، ومن كلامه: لا تمازح الشريف فيحقد عليك ولا تمازح الدنيء فتهون عليه. واتخذ سعيد بن العاص هذا منزل نزهة بالعرصة على ثلاثة أميال من المدينة وبنى فيه قصرا عجيبا غرس فيه النخيل وزرع فيه، وفي ذلك القصر يقول الشاعر:

القصر ذو النخل بالجماء فوقهما أشهى إلى القلب من أبواب جيرون[1]

ثم أوصى رضي الله عنه إلى ابنه الأشدق وأمره إذا دفنه أن يركب إلى معاوية وأن ينعاه له ويبيعه منزله بالعرصة، وقال له: بعه من معاوية واقض عني ديني ومواعيدي ولا تقبل من معاوية قضاء ديني فتزودنيه إلى ربي؛ ثم مات سعيد في القصر المذكور ودفن بالبقيع سنة تسع وخمسين. فلما دفنه عمرو وقف الناس بالبقيع فعزوه، ثم ركب إلى معاوية فنعاه له فاسترجع وترحم عليه وتوجع لموته، ثم قال: هل ترك من دين؟ قال: نعم، قال: وكم؟ قال: ثلاثمائة ألف درهم، قال: هي علي، قال: قد أبى ذلك وأمرني أن أقضي عنه من أمواله، قال: فعرضني ما شئت منها، قال: أنفسها وأحبها إلينا وإليه في حياته منزله بالعرصة؛ قال معاوية: هيهات لا تبع هذا المنزل انظر غيره، قال: فما نصنع؟ نحب قضاء دينه، قال: قد أخذته بثلاثمائة ألف درهم، قال: اجعلها الوافية - يريد دراهم فارس الدرهم زنة مثقال الذهب - قال: قد فعلت، قال: واحملها إلى المدينة، قال: وأفعل، فحملها له؛ فقدم عمرو بن سعيد فجعل يفرقها على أهل ديونه ويحاسبهم ما بين الدراهم الوافية وبين البغلية وبين الدراهم الجواز، وهي تنقص في العشرة ثلاثة (العشرة الجواز سبعة بالبغلية) حتى أتاه فتى من قريش يذكر حقا له في كُراع من أديم بعشرين ألف درهم على

---

(1) جيرون: بدمشق.

سعيد بن العاص بخط مولى لسعيد كان يقوم على بعض نفقاته، وبشهادة سعيد على نفسه بخط سعيد بيده، فعرف خط المولى وخط أبيه وأنكر أن يكون للفتى هذا المال وإنما هو صعلوك[1] من صعاليك قريش، فأرسل إلى مولى أبيه فدفع إليه الصك، فلما قرأه المولى بكى ثم قال: نعم أعرف هذا الصك، دعاني مولاي وهذا الفتى عنده على بابه معه قطعة الأديم هذه وقال لي: اكتب فكتبت بإملائه هذا الحق، فقال عمرو للفتى: ما سبب مالك هذا يا فتى؟! قال: رأيته وهو معزول يمشي فقمت فمشيت معه حتى بلغ إلى باب داره ثم وقفت، فقال: هل لك من حاجة؟ فقلت: لا إلا أني رأيتك تمشي وحدك فأحببت أن أصل جناحك، قال: وصلتك رحم يا ابن أخي، ثم قال: أبغني قطعة أديم، فأتيت خرازا عند باب داره فأخذت منه هذه القطعة فدعا مولاه هذا فقال له: اكتب، فكتب وأملى عليه هذا الكتاب، وكتب فيه شهادته على نفسه ثم دفعها إلي وقال: يا ابن أخي ليس لك اليوم عندنا شيء فخذ هذا الكتاب فإذا أتانا شيء فأتنا به إن شاء الله، فمات رحمه الله قبل أن يصل إليه؛ قال عمرو: ولا جرم لا تأخذها إلا وافية، فدفعها إليه تزيد كل عشرة على الجواز ثلاثة[2]. وإلى هذا أشار الناظم بقوله الآتي: *معطي وصية أبيه خيرهم.*

ولسعيد بن العاص هذا بضعة عشر ولدا، منهم الأشدق ـ الآتي ذكره ـ وعبد الله، وأمه أم حبيب بنت جبير بن مطعم بن عدي. ولعبد الله هذا يقول الأخطل:

ومن يك سائلا ببني سعيد فعبد الله أكرمهم نصابا[3]

ومنهم عنبسة بن سعيد، أمه أم ولد؛ وقد ذكر أن عنبسة هذا جمع يوما أهله ثم قال:

---

(1) صعلوك: فقير، جمعه صعاليك.

(2) راجع كتاب نسب قريش للزبيري: 176 فما بعدها.

(3) نصابا: أصلا.

لأرسلن إلى سيد قومي مروان، قال فأصلحت داري وتجملت بالفُرُشِ والستور والخدم والبزة الظاهرة[1] وتكلفت في ذلك وصنعت طعاما، وذلك بعد ما ملك ثم دعوته فأتاني هو وابناه: عبد الملك وعبد العزيز، فجعل ينظر إلى ما هيأت، وأتيت بالطعام فوضعته ثم أدخل يده في الثريد ثم أقبل علي ويده في الصُّحفة يهيء لقمته فقال: يا عنبسة هل عليك من دين، قلت: نعم إن علي لدينا، قال: وكم؟ قلت سبعون ألف درهم، فرفع يده من طعامي وقال لابنيه: ارفعا يديكما، حرم علينا طعامك ما كنت تقدر أن تجعل بعض هذه الفضول التي أرى في دينك فهو كان أولى به، ثم قام و لم يأكل من طعامي شيئا؛ فلو كان قضاها عني ما كان ذلك بأنفع لي من عظته، فقلت في نفسي هذا شيخي وسيد قومي صنع ما أرى استخفافا وعظة لي؛ فعمدت إلى تلك الفضول ففرقتها وعمدت إلى ديني أقضيه، فما برح ذلك حتى قضى الله عني الدين وتأثلت المال[2].

قوله: **والأشدق** (بالنصب): مفعول به مقدم **لأتلى**، يعني أن سعيد بن العاص هذا عقب الأشدق، والأشدق لقب لعمرو بن سعيد بن العاص لقب به لِلَقْوَةٍ (أي ميل) في شدقه أصابه من ريح. **واللطيم** (بالنصب): صفة له أيضا. **واللطيم**: المصاب باللطمة وهي ضربة الخد بالكف. وكان عمرو بن سعيد هذا يلقب بلطيم الجن ولطيم الشيطان، لما أصاب شدقه من ذلك، وقيل لأنه صعد مرة المنبر فبالغ في سب علي بن أبي طالب كرم الله وجهه فأصابته تلك اللقوة من يومئذ، وقيل لقب

---

(1) الفرش (بضمتين): جمع فراش (بكسر الفاء) وهو ما يفرش من متاع البيت. والستور: جمع سِتر وهو ما يستر به. والخدَم (بالتحريك) جمع خادم وهو الذي يقوم بما يُحتاج إليه من الخدمة. والبِزَّة (بكسر الموحدة): الهيئة والجمال الرائع.

(2) اكتسبته وادخرته.

به لخطابته وبلاغته في الكلام؛ والأشدق في الأصل البليغ المفوه[1]، وتشدق: لوى شدقه للتفصح. وقد روي أن عمرا هذا لما مات أبوه سعيد دخل على معاوية، فلما استنطقه قال له عمرو: إن أول كل أمر مركب صعب وإن مع اليوم غدا، فقال له معاوية: إلى من أوصى بك أبوك؟! قال: يا أمير المؤمنين إن أبي أوصاني و لم يوص بي، قال: فبأي شيء أوصاك؟! قال: بأن لا يفقد أصحابه منه غير شخصه، فقال معاوية: إن عمرا هذا لأشدق. وفي ذلك يقول الشاعر:

تشادق حتى مال بالقول شدقه وكل خطيب لا أبا لك أشدق

وقوله **مغدور أهله** (بالنصب): صفة للأشدق أيضا، وهو اسم مفعول غدره إذا خانه ونقض عهده فهو غادر، والضمير في **أهله** عائد على الأشدق، والمراد بأهله بنو أمية، **ووالي**: صفة له أيضا وهو مضاف **لشرهم**، والضمير فيه عائد على **أهله** أي عامل لشر بني أمية وهو يزيد الفويسق؛ وكان واليا له على المدينة. ثم وصف الأشدق أيضا بقوله: **معطي** (بصيغة اسم الفاعل) مضاف لوصية أبيه. والضمير في **أبيه** عائد على الأشدق. **وخيرهم** (بالجر): صفة لأبيه، والضمير فيه عائد على **أهله**، أي والأشدق هذا هو منفذ وصية أبيه سعيد الموصوف بأنه خير بني أمية، وتقدم مراد الناظم بهذه الوصية. وقوله **أخاف طيبة** .. إلخ، فاعل كل من **أخاف ورعف**: ضمير مستتر عائد على الأشدق. **وطيبة**: من أسماء المدينة، والمراد أهلها. وجملة **وهو مجترئ** صفة للأشدق، **والمجترئ**: من الجراءة وهي الإقدام على الشيء والهجوم عليه.

يعني أن سعيدا بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس كان من ولده الأشدق وهو عمرو بن سعيد، وكان سعيد قد أعقب غيره بضعة عشر ولدا،

---

(1) البليغ (كأمير): الفصيح الحسن البيان. والمفوه (كمعظم): القوال المنطيق.

وكان أنجبهم وأشهرهم عمرو هذا الملقب بالأشدق وباللطيم، أمه أم البنين بنت الحكم شقيقة مروان بن الحكم وعمة عبد الملك الذي غدره. وكان عمرو هذا يكنى أبا أمية وكان شجاعا جبارا شديد البأس حتى خافه عبد الملك بن مروان على ملكه فقتله غدرا؛ وذلك أنه لما اختل أمر الخلافة بعد يزيد بن معاوية وثب مروان بن الحكم بالشام فعضده الأشدق هذا على أمره بشرط أن يجعل له الأمر من بعده، فوعده مروان بذلك ؛ ثم لما تمكن مروان بايع بولاية العهد من بعده لابنه عبد الملك، ثم من بعده لابنه عبد العزيز. ولما مات مروان وبويع عبد الملك شكا إليه الأشدق ما كان من خلف مروان للوعد وطلب منه أن يجعل له الأمر من بعده فأبى، فتربص الأشدق بعبد الملك الدوائر، ثم خرج عبد الملك لقتال مصعب بن الزبير فخالفه الأشدق إلى دمشق وتمكن من دار مملكتها وبيوت أموالها، فعلم عبد الملك بذلك فكر راجعا وحاصر الأشدق أياما ثم اصطلحا على أن يكون الأمر من بعد عبد الملك للأشدق، فخرج الأشدق من دار المملكة بدمشق، ثم بعد أيام استدعاه عبد الملك في داره، فلما دخل عليه قتله غدرا؛ قيل كان أول غدر وقع في الإسلام، وقد روي أن رجلا رأى في المنام قائلا يقول:

ألا يا لقومي للسفاهة والوهن — وللعاجز الموهون والرأي ذي الأفن[1]

ولابن سعيد بينما هو قائم — على قدميه خر للوجه والبطن

رأى الحصن منجاة من الموت فالتجا — إليه فزارته المنية في الحصن

فقص رؤياه على عبد الملك فأمره أن يكتمها حتى كان من قتله ما كان. وكانت أخت الأشدق آمنة بنت سعيد تحت الوليد بن عبد الملك، فلما قتله عبد الملك خرجت حاسرة[2] وهي تبكي وتقول:

---

(1) الوهن: الضعف في الأمر، ورجل موهون: ضعيف. وأفِنَ الرجل أفْنًا وأفنا فهو أفين: نقص عقله.

(2) حسرت الجارية خمارها عن وجهها: أزالته عنه فانكشف.

أعيني جودا بالدموع على عمرو | عشية نُبْتَزُّ الخلافـــة[1] بالغدر
غدرتم بعمرو يا بني خيط باطل[2] | وأنتم ذوو قربى به وذوو صهــر
وما كان عمرو عاجزا غير أنه | أتته المنايا بغتـــة وهو لا يدري
كأن بني مـــــروان إذ يقتلونه | بغاث من الطير اجتمعن على صقر
لحى ا لله دنيا تعقب النار أهلها | وتهتـــك ما بين القرابة من ستر
ألا يا لقـــومي للوفاء وللغدر | وللمغلقين الباب قسرا على عمرو
فرحنا وراح الشامتــون عشية | كأن على أثباجنا فلق الصخر[3]

ولما توفي عبد الملك سعي إلى الوليد بآمنة أنها لم تبكه كما بكته نظائرها، فذكر لها ذلك، فقالت: صدق القائل وما تريد مني أن أقول في بكائه أتريد أن أقول يا ليته بقي حتى يقتل لي أخا مثل عمرو بن سعيد؟! فأعرض عنها الوليد.

وقول الناظم: **ووالي شرهم** يعني أن عمرو بن سعيد هذا كان عاملا ليزيد الفويسق على المدينة ـ كما مر ـ وفي الزبيري أنه ولاه معاوية المدينة وأقره يزيد بن معاوية. وقوله: **أخاف طيبة**.. أي أخاف أهلها إبان ولايته عليها من طرف يزيد الفويسق؛ وقد روي أنه صلى ا لله عليه وسلم قال: «من أخاف أهل المدينة أخافه

---

(1) بز الشيء: نزعه وأخذه بجفاء وقهر. وبزه: غلبه وسلبه، ومنه المثل: "من عزَّ بزَّ".

(2) كان مروان يلقب خيط باطل لرقته وطوله شبه بالخيط الأبيض الذي يرى في الشمس، وكان قد ضرب يوم الدار على قفاه فخر لفيه حتى كاد يهلك، ولما بويع بالخلافة أو أمَّره معاوية على المدينة قال فيه أخوه عبد الرحمن بن الحكم ـ وكان شاعرا وكان لا يرى رأي مروان ـ قال:

فوا لله ما أدري وإني لسائــــل | حليلة مضروب القفا كيف يصنع
لحا ا لله قوما أمروا خيــط باطل | على الناس يعطي ما يشاء ويمنع

(3) الأثباج: جمع ثبج وهو وسط الشيء. وفلق(بكسر ففتح): جمع فلقة وهي القطعة. والصخر: الحجر العظيم الصلب، وهذا تعبير عن صدمة المصيبة.

ا لله»[1]. وقوله: **وفوق منبر**.. إلخ: أشار بـه إلى مـا روي مـن أن الأشـدق هـذا قـام يوما يخطب على منبر رسول ا لله ﷺ فرعف حتى سال الدم إلى أسـفل المنـبر فظهـر بذلك مصداق ما روي من إخباره صلى ا لله عليه وسـلم بـأن جبـارا مـن بـني أميـة يخطب على منبره فيرعف حتى يسيل الدم إلى أسفله، فعرف أنـه عمـرو بـن سـعيد. وأشار إلى ذلك الناظم أيضا بقوله: **وهو مجتري**؛ وقد كان في عمرو بـن سـعيد هـذا تكبر وجبروتية وإقدام.

وأعقب الأشدق هذا أيضا بنين منهم أمية ـ وبه كان يكنى ـ وإسماعيل، ويعـرف بالأعوصي؛ كان يسكن الأعوصَ (موضع علـى بضعـة عشـر ميـلا شـرقي المدينـة)؛ أمهما أم حبيب بنت حريث بن سليم من بني عذرة، وكان إسماعيل هذا تابعيا جليلا ثقة فاضلا، ولم يتلبس بشيء من سلطان بني أمية. ومن ذرية الأشدق أيضا إسمـاعيل بن أمية بن عمرو الأشدق، أمه أم ولد، كان ثقـة كثـير الحديـث روى عنـه الأئمـة، وكان فقيه أهل مكة. ومنهم أيضا أيوب بن موسى بن عمرو كان فقيها محدثا، حمل عنه مالك بن أنس الحديث وكان ممن يحمل عنه الحديث، وقد قيل لا يوجد قرشيان مثل إسماعيل وأيوب، وكان أيوب أفقههما.

ولما أنهى الكلام على آل العاص شرع في الكلام على بني عمهم آل أبي العـاص بن أمية أصحاب الدولتين الأمويتين بالمشرق والأندلس، فقال رحمه ا لله:

وَمِنْ أَبِي الْعَاصِ الطَّرِيـدُ الْوَزَغُ ... بَيْنَ النَّبِيِّ وَذَوِيهِ يَنْـــزَغُ

وَاتَّخَــذَتْ دِينَ الإِلَهِ دَخَلاَ ... أَوْلاَدُهُ وَالْمُسْلِمِينَ خَــوَلاَ

نَالُوا بِخَــدْعٍ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ ... وَمَا لَهُمْ خَــرْدَلَةٌ فِي الآتِي

---

(1) أخرجه أحمد وابن حبان عن جابر.

الطريد (بالرفع): مبتدأ خبره المجرور قبله، وهو بمعنى المطرود أي المبعد (من طرده عن مكانه نحاه عنه وأبعده منه) والمراد به هنا الحكم بن أبي العاص بن أمية. **والوزغ** (بالتحريك): بدل من **الطريد**، وهو لقب استعمله الناظم للحكم بن أبي العاص المذكور، **والوزغ** في الأصل: الارتعاد والرعشة؛ ولقب به الحكم لما روي من أنه صلى الله عليه وسلم قال فيه وفي ابنه مروان: «الوزغ بن الوزغ»[1]، وقال: «من عذيري من هذه الوزغة». وقوله **ينزغ** (بالغين المعجمة): أي يفسد بين القوم ويغري بعضهم على بعض. **وأولاده** (بالرفع): فاعل **اتخذت**، والضمير فيه عائد على الحكم المعبر عنه بالطريد. وقوله **دين الإله**: مفعول أول لاتخذت، ومفعوله الثاني قوله **دخلا**، و**الدخل** (بالتحريك): المكر والخديعة. و**المسلمين** (بالنصب): مفعول أول لاتخذت مقدرةٍ دلت عليها المذكورة، ومفعوله الثاني قوله **خولا**، و**الخول** (التحريك): العبيد والإماء والحاشية. والضمير في **نالوا** عائد على أولاد الحكم. و**الخدع** (بفتح المعجمة وكسرها وسكون الدال المهملة): الخديعة، وهي المكر والحيلة. **وزهرة الحياة** (بفتح الزاي): بهجتها ونضارتها، والمراد بالحياة هنا الدنيا. و**الخردلة**: واحدة الخردل، وهو حب شجر معروف صغير جدا، أي ما لهم وزن حبة من خردل في **الآتي** أي الدار الآخرة.

يعني أن من أبي العاص بن أمية لصلبه الحكم بن أبي العاص **المطرود** من المدينة وأن ذريته لما ملكوا الأمر استبدلوا دين الله بالمكر والخديعة، واتخذوا المسلمين عبيدا.

أما أبو العاص بن أمية فقد كان من حكماء قريش وشعرائهم وهو الذي يقول:

أبلغ لديك بني أميـــ ـــة آية نصحا مبينـــا

---

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك.

إنا خلقنا مصلحيـــــن وما خلقنا مفسدينا
إني أعادي معشـــرا كانوا لنا حصـــنا حصينا
خلقوا مـع الجوزاء إذ خلقوا ووالدهـم أبونا[1]

وكان يعرف بالأمين، وقد قال عبد الرحمن بن الحكم:

ثماني أبو العاص الأمين وهاشـــم وعثمان والناسي الشهور القلمس[2]

وأما الطريد فهو الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي، أمه رقية بنت الحارث بن كعب بن عبيد بن عمرو بن مخزوم، ولد بمكة وأسلم يوم الفتح، وكان عليه في إسلامه طعن؛ ثم انتقل إلى المدينة وسكن بها حتى أخرجه رسول الله ﷺ منها وطرده عنها، فنزل الطائف[3]، وسكن بها فلقب بالطريد لذلك.

واختلف في السبب الموجب لنفيه صلى الله عليه وسلم إياه، فقيل لأنه كان يفسد بين النبي ﷺ وأصحابه، وكان يتحيل ويستخفي ويتسمع ما يسره النبي ﷺ

---

(1) يعني بني أسد بن عبد العزى، كان ابن أخيه أبو أحيحة بن العاص قد رهن ابنه أبانا بني عامر بن لؤي في دم أبي ذؤيب فأنكر ذلك عليه عمه أبو العاص وإخوته العاص وأبو العيص.

(2) القلمّس (كعملس): رجل كناني من نَسَأَةِ الشهور، كان يقف عند جمرة العقبة ويقول: اللهم إني ناسئ الشهور وواضعها مواضعها ولا أعاب ولا أجَاب اللهم إني قد أحللت أحد الصفرين وحرمت صفر المؤخر وكذلك في الرجبين - يعني رجبا وشعبان - انفروا على اسم الله تعالى - [القاموس]. والأشهر الحرم أربعة: ثلاثة سرد وواحد فرد، قيل أولها ذو القعدة لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم بدأ به حين ذكر الأشهر الحرم، وقيل أولها المحرم، واحتج من قال به بأنه أول السنة، وفقه هذا الخلاف أن من نذر صيام الأشهر الحرم فيقال له على الأول ابدأ بذي القعدة حتى يكون آخرها صيامك في رجب من العام الثاني، وعلى الآخر ابدأ بالمحرم ثم برجب ثم بذي القعدة وذي الحجة.

(3) الطائف: بلدة خصبة طيبة المناخ كثيرة البساتين والعيون والجداول واقعة شرقي مكة.

إلى بعض أصحابه في مشركي قريش وسائر المشركين والمنافقين فيفشي ذلك عنه؛ ولم يزل كذلك حتى ظهر ذلك عليه فنفاه صلى الله عليه وسلم عن المدينة، وقال: «لا يساكنني»؛ ونفى معه بعض بنيه، وقيل كان يتسمع لسر رسول الله ﷺ ويطلع عليه من باب بيته وأنه هو الذي أراد رسول الله ﷺ أن يفقأ عينه بمدرى كانت بيده لما اطلع عليه من الباب[1]، وقال: «من عذيري من هذه الوزغة»، وقيل كان يحكي رسول الله ﷺ في مشيته وبعض حركاته مستهزئا، وكان النبي ﷺ يتكفأ في مشيته فالتفت يوما فرآه يتخلج[2] في مشيته فقال: «كن كذلك»، فلم يزل يرتعش في مشيه من يومئذ إلى أن مات وأصابته خبلة[3]؛ وإلى ذلك أشار عبد الرحمن بن حسان بن ثابت الأنصاري في مهاجاة بينه وبين عبد الرحمن بن الحكم ويعيره بأبيه الحكم:

إن اللعين أبوك فارم عظامه　　　إن ترم ترم مخلجا مجنونا

يمسي خميص البطن من عمل التقى　　　ويظل من عمل الخبيث بطينا

ولم يزل الحكم منفيا إلى أن بويع عثمان بن عفان رضي الله عنه فرده إلى المدينة، وكان ذلك مما نقم عليه، وروي عنه أنه قال: كنت قد شفعت إلى رسول الله ﷺ فيه فوعدني برده - [قاله في أسد الغابة]؛ وروي أنه قال: لما ولي أبو بكر كلمته في رد الحكم إلى المدينة، فقال: ما كنت لأحل عقدة عقدها رسول الله ﷺ. ولم يزل الحكم بالمدينة إلى أن توفي في آخر خلافة ابن أخيه عثمان بن عفان رضي الله عنه. وكان للحكم من الولد واحد وعشرون رجلا ونسوة، وأشهر ولده مروان

---

(1) رواه البخاري.

(2) تخلج: تمايل كأنما يجتذب شيئا مرة يمنة ومرة يسرة، وتخلج المفلوج في مشيه: تفكك وتمايل.

(3) فساد عقل وذهاب فؤاد.

بن الحكم[1]، وكان لمروان من الولد أحد عشر ابنا ونسوة؛ ومن ولـده: عبـد الملـك بن مروان أبو الخلائف في الدولتين الأمويتين في المشرق والأندلس.

هذا وقد أشار الناظم هنا إلى بعض ما رواه كثير من أصحاب السير في كتبهـم، كالحـاكم في المسـتدرك، والزبـيري في نسـب قريـش، والديـار بكـري في الخميـس، والدميري في حياة الحيوان، واليدالي في الحلة السيراء، وغيرهم، مـن سـوء سـيرة بـني مروان بن الحكم، وعقد بهذه الأبيات نص كلامهم؛ ففي الزبيري قال: زَوجَ معاوية بن أبي سفيان ـ وهو خليفة ـ بنته رملة من عمرو بن عثمــان بـن عفـان فولـدت لـه عثمان الأصغر وخالدا. ثم قال: واشتكى عمرو بـن عثمـان فكـان العـواد يدخلـون عليه فيخرجون ويتخلف عنده مروان بن الحكم فيطيل، فـأنكرت ذلـك رملـة بنـت معاوية فخرقت كوة فاستمعت لمروان فإذا هو يقول لعمرو ما أخذ هؤلاء ـ يعني بني حرب بن أمية ـ الخلافة إلا باسم أبيك فما يمنعك أن تنهض بحقك فنحن أكثر منهم رجالا، منا فلان ومنهم فلان ومنا فلان ومنهم فلان.. حتى عـدد رجـالا ثـم قـال: ومنا فلان وهو فضل وفلان وهو فضل.. فعدد فضول رجال أبي العاص على رجال بني حرب؛ فلما برئ عمرو تجهز للحج وخرج إليه، فخرجت رملة إلى أبيها بالشـام فقدمت عليه وأخبرته بما قال مروان لعمرو بن عثمان؛ فكتب معاوية إلى مروان:

---

(1) ولد مروان بن الحكم بمكة، وتوفي رسول الله صلى الله علية وسلم وهو ابن ثمان أو تسـع سـنوات وكان من رجال قريش وساداتهم، وكان من أقرإ الناس للقرآن، وكان يقول: ما أخللـت بـالقرآن قط وإني لم آت الفواحش والكبائر قط ـ [الخميس]. وكان من الفقهاء المذكورين وقال فيه عـروة بن الزبير: كان مروان لا يتهم في الحديـث، وروى عنـه سـهل بـن سـعد الصحـابي اعتمـادا علـى صدقه، وروى عنه أيضا علي بن الحسـين وأبـو بكـر بـن عبـد الرحمـن بـن الحـارث، وقـد أخـرج البخاري أحاديث هؤلاء عنه في صحيحه، وروى عنـه مـالك في موطئـه واعتمـد علـى حديثـه. ـ [الزرقاني على الموطأ].

أواضع رجل فوق أخرى يعدنا عديد الحصى ما إن تـزال تكاثر

وأمكـــم تزجي تؤاما لبعلها وأم أخيكم نـــزرة الولد عاقر

ثم كتب أشهد يا مروان أني سمعت رسول ا لله ﷺ يقول: «إذا بلغ ولد الحكم ثلاثين رجلا اتخذوا مال ا لله دولا ودين ا لله دخلا وعباد ا لله خولا»، والسلام.

فكتب إليه مروان: أما بعد يا معاوية فإني أبو عشرة وأخو عشرة وعم عشرة، والسلام. وفي الخميس عن أبي ذر رضي ا لله عنه أنه قال: أشهد لقد سمعت رسول ا لله ﷺ يقول: «إذا بلغ بنو أبي العاص ثلاثين رجلا جعلوا مال ا لله دولا وعباد ا لله خولا ودين ا لله دخلا ثم يريح ا لله العباد منهم». وإلى ذلك أشار بقوله: **واتخذت دين الإله**.. إلخ. وفي الدميري في مادة *الوزغ* عازيا إلى الحاكم في باب الفتن والملاحم من المستدرك عن عبد الرحمن بن عوف قال: كان لا يولد لأحد مولود إلا أُتِيَ به رسول ا لله ﷺ فيدعو له، فأدخل عليه مروان بن الحكم فأعرض عنه وقال: «هو الوزغ ابن الوزغ الملعون ابن الملعون». ثم روى عن عمرو بن مرة الجهني قال: إن الحكم بن أبي العاص استأذن على رسول ا لله ﷺ فعرف صوته فقال: «ائذنوا له لعنة ا لله عليه وعلى من يخرج من صلبه إلا المؤمن منهم وقليل ما هم، يشرفون في الدنيا ويضيعون في الآخرة ذوو مكر وخديعة يعطون في الدنيا وما لهم في الآخرة من خلاق»[1]. وإلى ذلك أشار بقوله: **نالوا بخدع**.. إلخ.

تنبيه: أطلق الناظم الوزغ هنا على الحكم بن أبي العاص، والأكثر إطلاقه على ابنه مروان، وإنما أطلقه عليهما لما روي من أنه صلى ا لله عليه وسلم قال فيهما: «الوزغ بن الوزغ»، ومن إطلاقه له على مروان قوله:

ومنهـــم ابن قيس الضحاك خُتِّمَ لـه بالـــوزغ الـهلاك

(1) الخلاق كسحاب: النصيب.

وقوله: *برأسه من حمص أوتي الـوزغ ...*

قال في الحلة السيراء، عندما أورد ما مر في مروان وأبيه الحكم: في الحديث الصحيح أنه صلى ا لله عليه وسلم سأل ربه أن من شتمه أو لعنه أو دعا عليه وليس لها بأهل أن تكون له رحمة وزكاة وكفارة وطهارة.. إلى أن قال: وما وقع منه عليه السلام من ذلك غير مقصود بل مما جرت به العادة من العرب كتربت يداك[1]، وعقرى حلقي.. قاله صلى ا لله عليه وسلم لإحدى نسائه[2] فخاف أن يجاب في ذلك فسأل ربه أن يجعله زكاة وطهورا.

قلت: ولعله يشير إلى ما أخرجه مسلم في كتاب البر في باب من لعنه صلى ا لله عليه وسلم، فقد روي أنه صلى ا لله عليه وسلم قال: إني اشترطت على ربي فقلت إنما أنا بشر أرضى كما يرضى البشر وأغضب كما يغضب البشر فأيما أحد دعوت عليه من أمتي بدعوة أن يجعلها له طهورا وزكاة وقربة يقربه بها يوم القيامة[3]. وفي أسد الغابة أنه صلى ا لله عليه وسلم قال: «...اللهم فمن ضربت أو سببت فاجعلها له كفارة وأجرا أو مغفرة ورحمة»[4]؛ وقال عبد ا لله بن

---

(1) أخرجه مسلم. ومعناه لصقت بالتراب، وهذا من الألفاظ الجارية على ألسنة العرب من غير قصد الدعاء بها.

(2) أخرجه مسلم، والمراد بها صفية رضي ا لله عنها، ومعنى عقرى حلقي: عقرها ا لله وحلقها أي عقر جسدها وحلق شعرها وأصابها بوجع في حلقها، وقيل معناه: تعقر قومها وتحلقهم لشؤمها، وقيل معناه: جعلها ا لله عاقرا لا تلد، وحلقى: مشؤومة على أهلها، وعلى كل قول فهي كلمة كان أصلها ما ذكر ثم اتسعت العرب فيها فصارت تطلقها ولا تريد حقيقة ما وضعت له أولا مثل قولهم لمن أتى بالمستحسن: قاتله ا لله ما أشجعه، وأخزاه ا لله ما أشعره، فهو دعاء بدل المدح غير منظور فيه إلى المعنى الأول. [تعليق محمد فؤاد عبد الباقي على صحيح مسلم، والقاموس].

(3) أخرجه مسلم.

(4) أخرجه الإمام أحمد في مسنده: 5 / 294.

عثمان بن خثيم: دخلت على أبي الطفيل فوجدته طيِّب النفس فقلت لأغتنمن ذلك منه، فقلت: يا أبا الطفيل النفر الذين لعنهم رسول الله ﷺ من هم؟ فهم أن يخبرني بهم، فقالت امرأته سودة: إن رسول الله ﷺ قال: «إنما أنا بشر فمن دعوت عليه بدعوة فاجعلها له زكاة ورحمة»[1].

هذا وقد أشار الناظم هنا ـ رحمه الله ـ إلى دولة بني أمية في المشرق، وإلى بعض ما وقع فيها من الأعمال السيئة، وكانت هذه الدولة قد قامت بعد انتهاء عصر الخلفاء الراشدين، وكانت مدتها إحدى وتسعين سنة وتسعة أشهر، وتعاقب عليها أربعة عشر خليفة، وكان خلفاؤها يرجعون إلى فرعين: فرع حرب بن أمية وفرع أبي العاص بن أمية؛ وكان من الفرع الأول ثلاثة خلفاء[2] ومن الثاني أحد عشر خليفة[3]؛ ولم يخل عصر خليفة أموي من حروب داخلية إلاعصر الوليد بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز، وكان غالب تلك الحروب تارة مع الخوارج وتارة مع طلاب الخلافة من العلويين وغيرهم، وقد استمرت الخلافة الأموية بالمشرق العربي في بني مروان بن الحكم إلى أن انهارت دولتهم بقيام دولة بني العباس، ثم كانت لهم دولة أخرى بالأندلس معاصرة للدولة العباسية. وقد أفرد الناظم لدولتي بني أمية ودولة بني العباس هؤلاء نظما عرف بنظم الدول، ثم إن الناظم أشار بصفة خاصة إلى بعض ما وقع في عهد دولة بني أمية هذه من الفظائع والمنكرات، وسوء سيرة بعض خلفائها وسفكهم الدماء وتبذيرهم الأموال، وإسرافهم في اتباع الهوى، وغير

---

(1) أخرجه ابن منده، وأبو نعيم ـ كما في أسد الغابة.

(2) هم: معاوية بن أبي سفيان ويزيد الفويسق ومعاوية ين يزيد.

(3) هم: مروان بن الحكم وعبد الملك بن مروان والوليد وسليمان، ابنا عبد الملك، وعمر بن عبد العزيز ويزيد وهشام، ابنا عبد الملك، والوليد بن يزيد بن عبد الملك ويزيد وإبراهيم، ابنا الوليد بن عبد الملك، ومروان بن محمد بن مروان بن الحكم.

ذلك مما خلده عنهم التاريخ وكتبته أبناؤه وروته أهل السير.

دولة بني أمية ونماذج من أعمالها الصالحة وأخرى من أعمالها السيئة

قلت: والواقع ـ وا لله تعالى أعلم ـ أنه كان لهذه الدولة كثير من الأعمال الصالحة والأعمال السيئة، فقد خلط أهلها عملا صالحا وآخر سيئا؛ فمما وقع فيها من المنكرات ـ بما في ذلك فترة آل حرب بن أمية ـ: مصيبة الإسلام والمسلمين بوقعة كربلاء التي قتل فيها سبط رسول ا لله ﷺ الحسين بن علي ومن معه من أهل البيت النبوي وغيرهم رضي ا لله عنهم، وقد مرَّ الكلام عليها. ومنها وقعة الحرة التي أخافت أهل المدينة واستبيحت فيها دار الهجرة الشريفة عدة أيَّام، وقتل فيها أعداد كثيرة من وجوه الصحابة المهاجرين والأنصار وغيرهم، وفيهم الكثيرون من حملة القرآن العظيم، ولم يبق بعدها بدري[1] [والعياذ بـا لله تعالى]، وإن لم يكن إلا هذا

---

(1) الحرة: أرض ذات حجارة سود نخرة كأنها أحرقت بالنار ، والحرار كثيرة في بلاد العرب، وأكثرها حوالي المدينة والشام، والحرة التي وقعت فيها هذه الوقعة تقع شرقي المدينة واسمها حرة واقم، وكانت هذه الوقعة سنة ثلاث وستين على يد مسلم بن عقبة المري الذي يسميه أهل المدينة: مسرف بن عقبة؛ وكان سببها أن أهل المدينة خلعوا يزيد بن معاوية، وأخرجوا عامله مروان بن الحكم من المدينة كما أخرجوا منها بني أمية، وأمروا على المدينة عبد ا لله بن حنظلة الغسيل، وقد قيل انه لم يوافق على خلع يزيد هذا الذي وقع، أحد من أكابر الصحابة الذين كانوا في المدينة؛ فقد روى البخاري أن عبد ا لله بن عمر لما أرجف أهل المدينة بيزيد دعا بنيه ومواليه وقال لهم: إنا قد بايعنا هذا الرجل على بيعة ا لله وبيعة رسوله وإنه وا لله لا يبلغني عن أحد منكم أنه خلع يدا من طاعته إلا كانت الفيصل بيني وبينه ؛ ثم لزم بيته، ولزم أبو سعيد الخدري بيته. وقد ذكروا أن يزيد بن معاوية أعذر إلى أهل المدينة وبذل لهم من العطاء أضعاف ما كان يعطي الناس، واجتهد في استمالتهم إلى الطاعة وتحذيرهم من الخلاف، ولكن أبى ا لله إلا ما أراد ا لله، وا لله يحكم بين عباده فيما كانوا فيه يختلفون، ﴿تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون﴾.

لكفى.. وكل هذا كان في عهد يزيد الفويسق. ومنها ما كان في أيام عبد الملك بن مروان بن الحكم من تولية الحجاج بن يوسف الثقفي على العراق، يفعل فعلاته المنكرةَ من سفك الدماء وغزو حرم الله تعالى وقتله لابن حواري رسول الله ﷺ حفيد أبي بكر الصديق: عبد الله بن الزبير رضي الله عنهم، وتعنيف وتوبيخ أكابر الصحابة والتابعين وإذلالهم بالختم في أعناقهم وأيديهم بالنار، مثل ما فعل بأنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ وجابر بن عبد الله وسهل بن سعد.. وغيرهم ـ كما يأتي. وقد قال السيوطي رحمه الله: لو لم يكن من مساوئ عبد الملك إلا توليةُ الحجاج على المسلمين وعلى الصحابة يهينهم قتلا وضربا وحبساً لكفى، وقد قتل من الصحابة والتابعين ما لا يحصى، فضلاً عن غيرهم. وقد كان الوليد بن يزيد بن عبد الملك جبارا عنيدا وفاسقًا منتهكا، وارتكب كثيرا من الموبقات والمنكرات، إلى غير ذلك مما يطول ذكره ولا يمكن حصره..

أما الجانب الإيجابي لهذه الدولة، فقد كان من بين خلفائها من تشكر سياستهم وتحمد سيرتهم ويرتضى هديهم، وفيهم صحابة وتابعون. وبالجملة فقد بذلت هذه الدولة جهدا كبيرا ولعبت دورا عظيما في بناء الدولة الإسلامية العامة، سواء في مجال الجهاد في سبيل الله أو نشر العلم أو الاصلاح والعمران.

أما الجهاد فرغم ما كان يهددها من المخاطر والحروب الخارجية، وما كان يعصفُ بهَا من الفتن الداخلية التي تشتعل نيرانها من هنا وهناك، فتحاول كفاح ذلك وتعمل على إطفاء هذا.. لم يمنعها ذلك كله من مواصلة الجهاد في سبيل الله والفتوح العظام في مختلف الأقطار. فقد ازدهرت الفتوحات في عهدها وامتازت بأن عصرها كله كان عصر جهاد وفتح ؛ ففتحت العديد من المدن والكثير من البلاد،

حتى اتسعت حدود المملكة الإسلامية من الجهة الشرقية في السند، والصغد[1] وبلاد الترك، ومن الجهة الشمالية في أذربيجان وأرمينية وبلاد الروم، ومن الجهة الغربية في الأندلس وافريقية.

ففي خلافة معاوية بن أبي سفيان فتحت الرُّخَّجُ (من بلاد سجستان)، وَوَدَّان (من برقة) وكور (من بلاد السودان) والقيقان والقوهستان وطرابلس وغيرها. وبعث رضي الله عنه جيشا تحت إمرة أبي المهاجر إلىافريقية، فقاتل أهلها حتى أذعنوا، فكان أول أمير وطئت خيله المغرب الأوسط (الجزائر)، وبعث جيشا آخر تحت إمرة عقبة بن نافع الفهري إلى افريقية والمغرب، فقاتل أهلها حتى أسلموا، وفتح العديد من المدن وهزم الكثير من الجموع البربرية والرومية، فكان أول أمير وطئت خيلُه المغرب الأقصى. وقد قاد عبد الملك بن مروان جيشا إلى أرض الروم سنة إحدى وأربعين وسار مع المجاهدين مرة أخرى إلى غزو افريقية،كل ذلك في خلافة معاوية؛ ولما ولي الأمر أعاد فتح المغرب ورد الروم في الأناضول وأرمينيا واستعاد بعض الأجزاء، وحارب الترك في الشرق وبلاد ما وراء النهر وانتصر عليهم رغم استفحال قضية الخوارج ومحاربته لهم؛ ونَشَر الأمن والاستقرار في الدولة الإسلامية، الشيء الذي مهَّد للفتوحات الكبرى التي حدثت في عهد ابنه الوليد من بعده، ودخل عبد الملك نفسه المصيصية عام أربع وثمانين على رأس صائفة قادها بنفسه. وفي عهده قامت وُلاتُه من آل المهلب بن أبي صفرة في إقليم خراسان بكثير من الفتوح وغزو مختلف البلدان، مثل خوارزم وكُش وخجندة وغيرها.. ونظَّم

---

(1) السند (بكسر السين): مقاطعة في جنوب باكستان عاصمتها حيدرآباد. والصُّغد (بضم الصاد المهملة): منطقة في جنوب ما كان يعرف بالاتحاد السوفيتي - [المنجد].

الشواتيَ والصوائفَ[1] في بلاد الرومان حتى بسط سلطانه على كثير منها مثل قيسارية وقاليقلا والمصيصية، وغيرها.

ثم اهتم ابنه الوليد بن عبد الملك بالجهاد والفتوحات، وجعلها غَايَتَهُ حتى اشتهر في عهده أربعةُ قواد كان لهم أثر عظيم في الفتوحات، **الأول**: قتيبة بن مسلم الباهلي الذي ضرب به المثل في التفوق في ميادين الحرب بحيث أصبح اسمه يثير الرعب في قلوب الأعداء، وفتح العديد من المدن والبلاد، مثل بلخ والصغد وبيكند وبخارى وسمرقند وبلاد فرغانة، وغيرها؛ وواصل جهاده حتى بلغ حدود الصين، فدفع له ملكهم الجزية. **والثاني**: محمد بن القاسم الثقفي البطل المشهور والشاب الغيور الذي تم على يديه فتح بلاد السند من غرب إيران إلى باكستان الحاليتين، وفتح البيرون وجنوب بلاد البنجاب، وغيرها. **والثالث**: موسى بن نصير الذي كان من أبرز قواد جيشه طارقُ بن زياد، ففتحوا إقليم الأندلس وأخضعوا إشبيلية وقرطبة وطليطلة وقشتالة، وغيرها من المدن والبلاد. **والرابع**: مَسْلَمَةُ بن عبد الملك الأموي الذي كان له جهاد متواصل مع الروم في آسيا الصغرى، وافتتح كثيرا من معاقلها الهامة وحصونها المنيعة، ومهد الطريق إلى القسطنطينية.

وفي عهد سليمان بن عبد الملك فتحت جرجان وحصن الحديد وسردانية وطبرستان ومدينة الصقالبة، وغيرها. وقد واصل مسيرة الجهاد، فخرج إلى مرج دابق، وآلى على نفسه أن لا يرجع حتى تفتح القسطنطينية أو يموت، ومات بدابق[2].

وفي عهد عمر بن عبد العزيز كان في سياسته الحكيمة وعدله الشامل، والبعث

---

(1) الشواتي: جمع شاتية وهي الجيش الذي يغزو في الشتاء، والصوائف: جمع صائفة، وهي الجيش الذي يغزو في الصيف.

(2) دابق: قرية قرب حلب في سورية، كان ينزلها بنو أمية إذا غزوا بلاد الروم.

التي أرسلها تدعو إلى الإسلام سلميا ما بهر أعداء الإسلام وأكبروه حتى جاءوا منقادين إلى الإسلام طائعين، فأسلمت منهم شعوب كثيرة دون حرب ولا قتال، فأحبوا دين الإسلام لما رأوا فيه من العدل والإنصاف، مثل ما وقع للبربر وأهل خراسان، وغيرهم.

وفي عهد هشام بن عبد الملك فتحت قيسارية وخنجرة وخرشة (في ناحية ملطة) وأرمينية وجزء كبير من بلاد الروم، وولى بنيه، وخصوصا معاوية وسليمان قيادة بعض تلك الجيوش، وكذلك أخاه مسلمة بن عبد الملك، وابن عمه مروان بن محمد وغيرهم، حتى قيل إنه لم يكن ليعطي أحدا من بني مروان عطاءه حتى يغزو؛ فكان بعضهم يغزو وبعضهم يبعث بديلاً عنه للقتال، إلى غير ذلك ..

وأما في مجال نشر العلم فقد اعتنت هذه الدولة بنشره وتشجيع أهله، وأمرت بتدوينه مخافة غائلة النسيان؛ ففي خلافة عمر بن عبد العزيز حملت علوم القرآن والفقه إلى أقصى الشرق والغرب، وأرسل الكثيرين من أهل العلم لنشر الإسلام والعلم في الآفاق، وأمر وُلاَتَه بإجراء الأرزاق والأجور على المعلمين، كما أغدق هو نفسه على قضاته ومعلميه العطايا الكثيرة، ورتب لهم الرواتب الكافية. وبعث عشرة من التابعين إلى أهل افريقية ليفقهوهم في الدين ويحثوهم على الجهاد في سبيل الله، واختار رجالا ألباء فأرسلهم إلى أقصى البلدان لنشر الإسلام والعلم وكتب إليهم أن ينشروا العلم في مساجدهم وانها سنة كانت قد أميتت، وأمرهم أن يفشوا العلم ويجلسوا حتى يتعلم من لا يعلم، وبحث عن العلماء في كل موطن وجعلهم سنده وأعوانه في مجلسه، وعلى عماله وعقد لهم الولايات عناية بهم وتقديما لهم على غيرهم، ووظف أهل القرآن وأعطى الاستقلالية للقضاء والعزة والاحترام لأهله، وأمر بجمع الحديث النبوي الشريف وكتب إلى أبي بكر بن حزم أمير المدينة وقاضيها أن يجمع الحديث ويكتبه مخافة أن يدرس العلم ويذهب العلماء، وأمره أن

لا يقبل إلا حديث النبي ﷺ، وجعل لمن انقطع للقرآن والحديث نصيبا من بيت المال، وكتب إلى بعض عماله على الأمصار أن يغني أهل القرآن والحديث حتى لا يشتغلوا عنهما، وأوصى أن يقيد العلم بالكتابة مخافة الضياع. وكان الوليد بن عبد الملك يبعث قطع الفضة لتقسم على قراء مسجد بيت المقدس.

وأما دورها في مجال الإصلاح والعمران، فقد قامت بكثير من الإصلاحات وازدهر في عهدها العمران، ففي خلافة معاوية وضع البريد وهو أول من اتخذه في الإسلام، وفي عهد عبد الملك أمر بتنظيمه بشكل دقيق، فأنشئت له محطات على الطريق الطويل يوجد عند كل محطة منها رعيل من الخيل يستبدل بالرعيل القادم بالبريد وهكذا، وذلك لضمان وصول الخبر بسرعة، ثم أمر عبد الملك أيضا بنقل الدواوين من الرومية والفارسية إلى العربية، وكان ديوان الشام بالرومية، وديوان العراق بالفارسية، فشق ذلك على الروم والفرس وبذلوا الجهد الكبير والأموال الطائلة في سبيل الإعاقة عن ذلك، فلم ينجحوا ؛ وقد نقل ابنه الوليد ديوان مصر إلى العربية بعد، وقد تحدى عبد الملك أيضا دولتي الروم والفرس بإصدار عملة إسلامية، فقد كان المسلمون قبل يتعاملون بالدنانير البيزنطية[1] والدراهم الفارسية، فلم يطمئن عبد الملك لذلك ولم يصبر عليه، فبنى دَارًا لضرب النقود في دمشق وضرب عملة جديدة مصنوعة من الذهب والفضة ونقش عليها بعض الآيات القرآنية، وأمر بسحب العملة الأجنبية ومنع التعامل بها، الشيء الذي دعم اقتصاد الدولة الإسلامية وأتاح لها المزيد من الهيبة والعظمة.

وفي عهد الوليد بن عبد الملك اهتم بإصلاح الطرق وتسهيل السبل وإحياء

---

(1) البيزنطية: نسبة إلى الامبراطورية البيزنطية وهي دولة تأسست في القسم الشرقي من الامبراطورية الرومانية - [المنجد].

الأرض وشق الأنهار وإقامة المرافق وبناء المساجد، وأعاد بناء المسجد النبوي الشريف ووسعه وأدخل فيه الحجرات، وبنى مسجد دمشق وأتم بناءهما على درجة عالية من الفخامة، وضرب حلية من الذهب والفضة للكعبة وزاد في حليها وصرف في ميزابها وسقفها ما كان في مائدة سليمان بن داوود عليهما السلام من ذهب وفضة، وكانت قد احتملت إليه من طليطلة من جزيرة الأندلس على بغل قوي، فتفسخ. تحتها كما في الروض الأنف. وقد جعل لكل مُقعد خادما، ولكل مكفوف قائدا، ورتب لهم النفقات اللازمة والعطاء المناسب. وبنى عمر بن عبد العزيز الاستراحات للمسافرين مجانا، إلى غير ذلك.

وإذا كان بعض أمراء هذه الدولة قد قام بكثير من الأعمال السيئة والأفعال الدنية، مثل لعن آل البيت ـــ رضي الله عنهم ـــ وتأخير الصلاة عن أول مواقيتها، والظلم والزج بالكثيرين في السجون وصرف أموال بيت المال في غير وجهه وغير ذلك، فقد قام أيضا بعض خلفائها بنقض ذلك ورده ؛ فقد رفع عمر بن عبد العزيز لعن آل البيت إلى الأبد ومنَعَه وجعل مكانه ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡىِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾[1]، وأحبهم وأمر بحبهم وإكرامهم وإعطائهم حقوقهم، وافتتح سليمان بن عبد الملك خلافته بإحياء الصلاة لأول مواقيتها، وأمر باتباع القرآن والسنة وإظهار الشرائع الإسلامية، كما اختتم خلافته باستخلاف عمر بن عبد العزيز. ورد عمرُ مظالم بني أمية وأنصف المظلوم وعزل سليمان عمال الحجاج وأخرج من كان في سجن العراق ، وأخرج عمر كذلك الكثيرين من السجون

---

(1) النحل: الآية: 90.

وأوصى بالرفق ببقيتهم، وعزل الولاة الجائرين وولى ولاة صالحين أقوياء، ورد لبيت المال ما أخذ منه بغير حق، وأدخل فيه الفضول وحفظه وأنفقه في طرقه السليمة وسبله الصحيحة، إلى غير ذلك.. وا لله سبحانه وتعالى أعلم.

ثم قال رحمه ا لله وعفا عنه:

عَوْفًا وَعَفَّانَ عَفِيفًا اذْكُرَا وَأُخْتُهُمْ حَمْأَةُ أَشْرَفِ الْوَرَى

وَهْيَ صَفِيَّةُ قَتِيلُ زَيْدِ بَاءَ بِهِ حَنْظَلَةُ ابْنُ الرَّوْدِ

عوفا (بالنصب): مفعول به مقدم **لاذكرا**. **وعفان** (بفتح العين وتشديد الفاء)، **وعفيفا**: معطوفان على **عوفا** بحذف العاطف من **عفيفا**. **واذكرا**: أصله اذكرن بنون التوكيد الخفيفة فأبدلت ألفا ، قال ابن مالك في الخلاصة:

وأبدلنها بعد فتح ألفا وقفا كما تقول في قفن قفا

قوله **وأختهم**: يصح فيها النصب عطفا على **عوفا** قبلها ، **وحمأة** (بوزن ثمرة): صفة لها؛ ويصح فيها أيضا الرفع على الابتداء، **وحمأة** (بالرفع): خبرها، **والحمأة**: قريبة الزوجة، والمراد بها هنا أمها، لأن صفية هذه أم رملة بنت أبي سفيان زوج النبي ﷺ، ثم عرف أختهم بقوله **وهي صفية** ؛ **فهي**: مبتدأ **وصفية**: خبره. **وقتيل** (بالرفع): مبتدأ مضاف إلى **زيد**. **وباء** بالشيء: رجع، ويقال **باء** به **وباء** بدمه: اعترف وأقر. **وحنظلة**: بدل من قتيل. وابن الرود (بالرفع): خبر قتيل زيد، **والرود** (بفتح الراء وتُضم): الشابة الحسناء، والمراد بها هنا صفية بنت أبي العاص، وفيه إقامة الظاهر مقام الضمير، أي ابنها. يقول: وأخت عوف وعفان وعفيف صفية بنت أبي العاص أم حنظلة بن أبي سفيان الذي قتله زيد بن حارثة يوم بدر ولا عقب له؛ وفي بعض النسخ:

وهي صفية قتيل زيد حنظلة بن صخر ابن الرود

فقوله **حنظلة**: بدل من **قتيل**. و**ابن صخر**: صفة لحنظلة، و**صخر** هو أبو سفيان بن حرب. و**ابن الرود**: خبر عن **قتيل**.

يعني أن من أبناء أبي العاص بن أمية بن عبد شمس عوفا وعفان وعفيفا وصفية بني أبي العاص، وأم هؤلاء آمنة بنت عبد العزى بن حرثان بن عوف بن عبيد بن عويج بن عدي بن كعب بن لؤي. وأشهر هؤلاء والذي فيه العقب منهم هو عفان بن أبي العاص؛ وأما أختهم صفية بنت أبي العاص فقد تزوجها أبو سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس قبل هند بنت عتبة فولدت له أم المؤمنين أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان زوج النبي ﷺ ، فكانت صفية لذلك حماة رسول الله ﷺ كما قال: **وأختهم حمأة أشرف الورى وهي صفية..**

وولدت صفية لأبي سفيان أيضا ابنه حنظلة الذي هو أسن أولاده وبه يكنى، قتله زيد بن حارثة يوم بدر كافرا، وإلى ذلك أشار بقوله **قتيل زيد** .. إلخ، وقيل قتله علي بن أبي طالب، وقيل اشترك في قتله زيد وعلي وحمزة رضي الله عنهم. ولما قتل المشركون يوم أحد حنظلة الغسيل بن أبي عامر الأنصاري قال أبو سفيان: حنظلة بحنظلة! أي قتلنا حنظلة هذا بحنظلة الذي قتلتم يوم بدر (يعني ابنه هذا) ــ [قاله الزبيري].

وكانت رملة بنت أبي سفيان هذه قد أسلمت قديما وهاجرت إلى الحبشة مع زوجها عبيد الله بن جحش بن رئاب الأسدي (من أسد خزيمة) فولدت له حبيبة بنت عبيد الله فكنيت بها ومات عبيد الله عنها في أرض الحبشة، فبعث رسول الله ﷺ عمرو بن أمية الضمري أحد بني كنانة فزوجه إياها؛ وكان الذي أنكحه إياها خالد بن سعيد بأمر من النجاشي وأصدقها النجاشي عن رسول الله ﷺ أربعمائة دينار. ولما سمع أبو سفيان بتزويج رسول الله ﷺ بها قال: هو الفحل لا يقدع

أنفه[1]، أي لا يرغب عنه ولا يرد عن حاجة له. ولأبي سفيان بن حرب مـن صفيـة بنت أبي العاص أيضا غير حنظلة ورملة أميمة بنت أبـي سـفيان أم أبـي سـفيان بـن حويطب بن عبد العزى بن أبي قيس من بني عـامر بـن لـؤي، وأم عبـد الرحمـن بـن صفوان بن أمية بن خلف الجمحي أيضا.

ومن ولد أبي العاص بن أمية أيضا عثمان والمغـيرة وريحانـة؛ أمـا عثمـان فشـقيق عوف وإخوته المذكورين، وأما الآخران فأمهما رقيـة بنـت الحـارث بـن كعـب بـن عبيد بن عمرو بن مخزوم، ومنهم أيضا لبابة بنت أبي العاص أمها صفية بنـت ربيعـة بن عبد شمس، وله غير هؤلاء. وقد ولد عفـان بـن أبـي العـاص بـن أميـة الصحـابي الجليل عثمان بن عفان رضي الله عنه وآمنة بنت عفان أمهما أروى بنت كريـز بـن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس؛ وأمها أم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب بـن هاشـم بن عبد مناف شقيقة عبد الله والد رسول الله ﷺ، وقد ولدت آمنة بنت عفـان هـذه محمد بن عبد الله بن أبي سعد بن حكم بن سعد العشيرة من مذحج - [قاله الزبيري].

قصة قتل عثمان وذكر بعض نتائجه

ولما ذكر الناظم عفان وكان ذلك ذكرا ضمنيا لابنه الصحـابي الجليـل والخليفـة الراشدي عثمان بن عفان، أشار إلى ذكر مقتله ملمحا لبعض ما نشأ عن مقتلـه مـن تغير الوضع في المجتمع الإسلامي، فقال رحمه الله:

---

(1) كانت العرب تقدع أنف الفحل عن الضراب إذا لم يكن من كرائم الإبل، وإذا كان كريما لا يدفع عن الضراب ولا يقدع أنفه عن الإبل، وقد قال هذا المثل أيضا عمرو بن أسد بن عبـد العـزى بـن قصي عم خديجة بنت خويلد حين زوجها من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال عمرو: هـو الفحل الذي لا يقدع أنفه - [الروض الأنف].

عُثْمَانُ لَوْ لَمْ يَطْلُبُوا بِدَمِهِ ... لَبِالْحِجَارَةِ رُمُوا لِظُلْمِهِ

وَلَمْ تَزَلْ بِطَيْبَةَ الْمَلَائِكُ ... مُحِيطَةً حَتَّى دَهَاهُ فَاتِكُ

وَبِالْخَلِيفَةِ الْأُلُوفُ تُقْتَلُ ... نَحْوُ الثَّلَاثِينَ وَمَنْ يُنَكَّلُ

بِالْقَتْلِ جَرًّا قَتْلِهِ نَبِيًّا ... سَبْعُونَ أَلْفًا حَارَبُوا الْقَوِيَّا

قوله **عثمان** يعني به الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه. وقوله **لو لم يطلبوا بدمه** أي لو لم يطلب الناس بأخذ الثأر من قتلته لرموا بالحجارة. وقوله **لظلمه**: مصدر أضيف إلى مفعوله، أي لكونه قتل مظلوما[1]؛ وعقد الناظم رحمه الله بهذا البيت نص ما ذكره ابن عباد ـ كما في الحلة السيراء ـ قال: لو لم يطلب الناس بدم عثمان لرموا بالحجارة، وفي رواية: لو اجتمع الناس على قتل عثمان لرموا بالحجارة كما رمي قوم لوط ـ [قاله في الاستيعاب وغيره].

قوله **ولم تزل**.. إلخ: اسم **زال** قوله **الملائك**، **ومحيطة** (بالنصب) خبره. **وطيبة** من أسماء المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام. وقوله **حتى دهاه**: أي أصابه بداهية وهي الأمر المنكر أو العظيم. والضمير في **دهاه** عائد على عثمان، والمراد بتلك الداهية قتل عثمان. **والفاتك**: فاعل **دهاه**، وهو الجريء الذي يرتكب

(1) وفي الحديث عن كعب بن عجرة قال: ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنة فقربها فمر رجل مقنع رأسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هذا يومئذ على الهدى»، فوثبت فأخذت بضبعي عثمان ثم استقبلت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: هذا، قال: «هذا» ـ رواه ابن ماجه؛ وكانت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها تقول: "قتل والله عثمان مظلوما والله لأطلبن بدمه"؛ وقد أصبح من الأمثال السائرة وخصوصا في القطر الشنقيطي قولهم: "قتل عثمانُ مظلوما"، يضرب في كل شخص أخذ بجريمة شخص آخر وليس له فيها كسب.

ما هم به ودعته إليه نفسه من الأمور، **وفتك** بفلان: بطش به أو قتله على غفلة. وقوله **الألوف** (بالرفع): مبتدأ، و **تقتل** (بالبناء للمفعول) خبره. **وبالخليفة** متعلق **بتقتل. ونحو الثلاثين**: بدل من الألوف. **ومَن**: مبتدأ. **وينكل** (بتشديد الكاف والبناء للمفعول): من نكل به إذا أصابه بنازلة أو صنع به صنيعا يحذر غيره ويجعله عبرة له. وقوله **جرا قتله** (بفتح الجيم وتشديد الراء) أي من أجل قتله، يقال فعلت ذلك من جراك وجرائك ـ بتشديد الراء وتخفيفها ـ أي من أجلك. وقوله **سبعون ألفا**: خبر عن قوله **من ينكل. وألفا** (بالنصب): تمييز. **والقوي**: من أسمائه تعالى.

يعني أن الملائكة لم تزل محيطة بالمدينة ومحدقة بها من جميع الجوانب حفظا وصيانة لها حتى قتل عثمان، وأن قتل الخليفة ظلما يجر إلى قتل خمسة وثلاثين ألفا، وقتل النبي يجر إلى قتل سبعين ألفا. وقد أشار الناظم بهذه الأبيات إلى ما روي عن عبد الله بن سلام أنه قال في حصار عثمان ـ وكان من الذين حرسوه ـ: "إن الملائكة لم تزل محيطة بمدينتكم هذه منذ قدمها رسول الله ﷺ حتى اليوم فوالله لئن قتلتموه ليذهبون ثم لا يعودون أبدا فوالله لا يقتله رجل منكم إلا لقي الله أجذم وإن سيف الله مغمود عنكم والله لئن قتلتموه ليسلنه الله ثم لا يغمده عنكم أبدا، وما قتل نبي قط إلا قتل به سبعون ألفا ولا خليفة إلا قتل به خمسة وثلاثون ألفا، قبل أن يجتمعوا"[1]. وفعلا جر قتل الخليفة عثمان ـ الذي قتل مظلوما ـ إلى قتل أكثر من خمسة وثلاثين ألفا، كما جر قتل بني إسرائيل لنبي الله يحيى بن زكريا ـ عليهما السلام ـ إلى قتل أكثر من سبعين ألفا، إذ سلط الله عليهم ملكا قتل منهم بدمه آلافا كثيرة؛ وإنما جُعل عقابُ من قتلوا نبيا أن تقتل منهم سبعون ألفا، ومن قتلوا خليفة

---

(1) قاله في "سموط الذهب شرح عمود النسب".

أن تقتل منهم خمسة وثلاثون ألفا.. لمحاربتهم للقوي وهو الله تعالى، بإفسادهم في الأرض وارتكابهم ما نهوا عنه.

قال في أسد الغابة: لما أريد قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه جاء عبد الله بن سلام بن الحارث القينقاعي نسبا الأنصاري بالحلف فقال له عثمان: ما جاء بك؟ قال: جئت في نصرك، قال: اخرج إلى الناس فاطردهم عني فإنك خارجا خير لي منك داخلاً؛ فخرج عبد الله إلى الناس فقال: أيها الناس إنه كان اسمي في الجاهلية فلانا[1] فسماني رسول الله ﷺ عبد الله ونزلت في آيات من كتاب الله عز وجل؛ نزل في: ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ﴾[2]، ونزل في ﴿ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴾[3]، ثم قال لهم: إن لله سيفا مغمودا عنكم وإن الملائكة قد جاورتكم في بلدكم هذا الذي نزل فيه رسول الله ﷺ فالله الله في هذا الرجل أن تقتلوه، فوالله لئن قتلتموه لتطرُدُنَّ جيرانكم الملائكة وليسلنَّ سيفُ الله المغمود عنكم فلا يغمد إلى يوم القيامة، فقالوا: اقتلوا اليهودي واقتلوا عثمان. وقد قال ابن سيرين: لم تفقد الخيل البلق في المغازي والجيوش ولم يختلف في الأهلة حتى قتل عثمان رضي الله عنه، ولم تر حمرة الشفق حتى قتل الحسين. والله سبحانه وتعالى أعلم.

ترجمة عثمان بن عفان رضي الله عنه

هو الخليفة الثالث أبو عبد الله (وأبو عمرو) عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي؛ ولد بمكة، وقيل بالطائف بعد

---

(1) كان يقال له الحصين فلما أسلم سماه النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله.

(2) الأحقاف: 9.

(3) الرعد: 44.

الفيل بست سنين. وكان من السابقين إلى الإسلام، أسلم رابع أربعة (أسلم قبله أبو بكر وعلي وزيد بن حارثة) وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة، وشهد له رسول الله ﷺ بها عدة مرات وصلى إلى القبلتين وكان أحد الصحابة الذين جمعوا القرآن في حياة رسول الله ﷺ، وأحد الستة الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض، وجعل فيهم عمر الشورى، وكان رضي الله عنه من المهاجرين الأولين: هاجر الهجرتين إلى الحبشة والمدينة، وهو أول من هاجر من المسلمين بأهله. أنكحه رسول الله ﷺ ابنته رقية بمكة فهاجرت معه الهجرة الأولى إلى الحبشة فرارا بدينهما، وكانا من أول من خرج إليها فتابعهما سائر المهاجرين إليها. ثم هاجرا الهجرة الثانية إلى المدينة؛ فأقاما بها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم. وخلفه رسول الله ﷺ حين خرج إلى بدر على تمريض بنته رقية، فماتت يوم قدوم زيد بن حارثة المدينة بشيرا بنصر بدر سنة اثنتين للهجرة، قال أسامة بن زيد: فأتانا الخبر حين سوينا التراب على رقية، قال: وكان رسول الله ﷺ قد خلفني مع عثمان عليها؛ وكان قد ولد لعثمان منها عبد الله وبه كان يكنى ومات صغيرا بعد وفاة أمه. وفي ربيع الأول بعد غزوة بدر زوجه رسول الله ﷺ أختها أم كلثوم ودخل بها في جمادى الأخيرة، ولم تزل عنده حتى توفيت سنة تسع ولم تلد له؛ ولما توفيت قال له رسول الله ﷺ: «لو كانت لنا ثالثة لزوجناكها»[1]؛ ولم تقع هذه الخصلة لغيره[2]، ومن أجلها لقب: "ذا النورين"؛ واستخلفه رسول الله ﷺ على المدينة في غزوة غطفان بذي أمر بنجد، وبايع عنه بيعة الرضوان بجعل يده الشريفة في يده الأخرى نيابة عنه، وجهز

---

(1) حديث: «لو كانت لنا ..» إلخ أخرجه الطبراني.

(2) روي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «سألت ربي عز وجل أن لا يدخل النار أحدا صاهر إلي أو صاهرت إليه».

رضي الله عنه ثلث جيش العسرة بتسعمائة وخمسين بعيرا بأحلاسها وأقتابها، وأتمَّ الألف بخمسين فرسا، وقيل حمل على ألف بعير وسبعين فرسا، وقيل على تسعمائة وأربعين بعيرا وستين فرسا ـ كما في الخميس ـ وحفر بير رومة في سبيل الله. والأحاديث الواردة في فضله كثيرة، منها قوله ﷺ: «لكل نبي رفيق ورفيقي في الجنة عثمان بن عفان»[1]، وقوله صلى الله عليه وسلم لجبل أحد حين ارتج به ـ وكان معه عليه أبو بكر وعمر وعثمان ـ «اثبت فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان»[2]؛ وعن عائشة رضي الله عنها قالت: "كان رسول الله ﷺ مضطجعا في بيته كاشفا عن ساقيه فاستأذن أبو بكر فأذن له وهو كذلك فتحدث ثم استأذن عمر فأذن له وهو كذلك فتحدث، ثم استأذن عثمان فجلس رسول الله ﷺ وسوى ثيابه فتحدث، فلما خرج قالت عائشة: دخل أبو بكر فلم تهتش و لم تبال ثم دخل عمر فلم تهتش و لم تبال ثم دخل عثمان فجلست وسويت ثيابك؟ فقال: «ألا أستحيي من رجل تستحيي منه الملائكة»[3].

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: دخل رسول الله ﷺ حائطا وأمرني بحفظ بابه ، فجاء رجل يستأذن فدق الباب فقال رسول الله ﷺ: «إئذن له وبشره بالجنة» فإذا هو أبو بكر، ثم جاء آخر فدق فقال: «إئذن له وبشره بالجنة» فإذا هو عمر بن الخطاب، ثم جاء آخر فدق الباب فسكت رسول الله ﷺ هنيهة ثم قال: «إئذن له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه[4] ـ وفي رواية: ـ وسيلقى بلاء»

---

(1) أخرجه الترمذي وابن ماجه.

(2) أخرجه البخاري والترمذي.

(3) أخرجه مسلم والإمام أحمد

(4) أخرجه البخاري ومسلم.

فإذا هو عثمان بن عفان، فدخل وعيناه تذرفان[1].

ولما توفي رسول ا لله ﷺ بايع عثمان أبا بكر وصحبه و لم يعصه و لم يغشه حتى مات ثم بايع عمر بن الخطاب وصحبه و لم يعصه و لم يغشه حتى مات. ولما مات عمر بايع الصحابة عثمان رضي ا لله عنهم بالخلافة يوم الاثنين لليلة بقيت من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين (23) للهجرة، بعد دفن عمر بثلاث ليال؛ وقد قال فيه ابن مسعود حين بويع بالخلافة: «بايعنا خيرنا و لم نأل»، وقد روي عن هشام بن عروة أن أبا بكر حين حضرته الوفاة أمر عثمان بن عفان فكتب عهده حتى إذا بقي موضع اسم الخليفة أغمي على أبي بكر فكتب عثمان اسم عمر بن الخطاب، فأفاق أبو بكر فقال: يا عثمان لو مت في هذه ما كنت صانعا؟ فقال عثمان: هذا اسم عمر قد كتبته ، قال أبو بكر: أصبت يرحمك ا لله ولو كتبت اسمك لكنت لها أهلا. ومكث عثمان في الخلافة اثنتي عشرة سنة، وحج بالناس عشر حجج متتابعة. وفي أيامه فتحت الاسكندرية وافريقية وكرمان وسجستان ونيسابور وفارس وطبرستان وأرمينية وحوران واصطخر وبعض حصون قبرس وهراة، وغيرها. وفي أيامه قتل يزدجرد ـ آخر ملوك الفرس.

وقتل رضي ا لله عنه مظلوما يوم الجمعة بعد صلاة العصر صائما، لثمان عشرة ليلةً خلت من ذي الحجة سنة ست وثلاثين (36) للهجرة عن نيف وثمانين سنة وصلى عليه الزبير بن العوام، وقيل صلى عليه جبير بن مطعم وحمله إلى قبره هو وحكيم بن حزام وأبو جهم بن حذيفة ونيار بن مُكْرَمٍ الأسلمي، وزعم آل مالك بن أنس أن جدهم مالكا بن أبي عامر شهد معهم؛ ودفنوه ليلة السبت بين المغرب

---

(1) ذكره الزبيري في كتاب نسب قريش: 3 / 102.

والعشاء في حش كوكب[1] بالبقيع. وقد قال فيه علي بن أبي طالب رضي الله عنه: كان عثمان أوصلنا للرحم وكان من الذين آمنوا ﴿.. ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحۡسَنُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾[2]؛ وقالت عائشة رضي الله عنها لما بلغها قتله: «قتلوه وإنه لأوصلهم للرحم وأتقاهم للرب»، وقال ابن عمر حين قتل عثمان: دعوتموه إلى أمر فلما أجابكم إليه قتلتموه والله ما أراكم إلا قد بؤتم بذنبه"؛ وعن سالم ونافع أن ابن عمر لم يدع بسلاحه بعد رسول الله ﷺ إلا مرتين: يوم الدار ويومَ نَجْدَةَ الحرُوريِّ[3].

وكان عثمان رضي الله عنه معدودا في أهل بدر وأهل بيعة الرضوان ولم يشهدهما، لأمر خاص؛ وقد روي أن مصريا[4] جاء حاجا فلقي ابن عمر فسأله فقال: هل تعلم أن عثمان فر يوم أحد؟ قال: نعم، فقال: هل تعلم أنه تغيب عن بدر

---

(1) حش كوكب: عبارة عن بستان كان لرجل من الأنصار يقال له كوكب فاشتراه منه عثمان ووسع به البقيع، وكان عثمان أول دفين فيه وكان قبل ذلك إذا مر به يقول سيدفن هنا رجل صالح.

(2) المائدة: 93.

(3) يوم الدار: يوم قتل عثمان بن عفان في داره بعد الحصار الذي ضرب عليه، ونجدة الحروري: قائد من قواد الخوارج وهو نجدة بن عامر بن عبد الله بن ساد الحنفي من بني حنيفة من بكر بن وائل، وإليه تنسب النجدات من طائفته. والحروري: نسبة إلى حروراء موضع على ميلين من الكوفة كان أول اجتماع الخوارج به فنسبوا إليه؛ ولد نجدة هذا سنة ست وثلاثين، وكان من أصحاب نافع بن الأزرق الخارجي ثم انشق عنه وتزعم فرقة من الخوارج سنة ست وستين، واستقر باليمامة واستولى أصْحَابه على البحرين واليمامة وعمان، ثم حج سنة ثمان وستين وتوجه إلى المدينة غازيا فتأهب أهلها لقتاله حتى أن ابن عمر تقلد السيف، فبلغ ذلك نجدة فرجع إلى الطائف وترك غزو المدينة، ثم نقم عليه أصحابه بعض أعماله فقتلوه سنة تسع وستين. [الاعلام للزركلي:8 / 10، والكامل لابن الأثير: 3 / 353].

(4) وقيل هو عراقي شيعي.

ولم يشهدها؟ قال: نعم، قال: أتعلم أنه تغيب عن بيعة الرضوان فلم يشهدها؟ قال: نعم، قال: الله أكبر! فقال ابن عمر: تعال أبين لك: أما فراره يوم أحد فأشهد أن الله عفا عنه وغفر له، وأما تغيبه عن بدر فإنه كانت تحته بنت رسول الله ﷺ وكانت مريضة فقال له رسول الله ﷺ: «إن لك أجر رجل ممن شهد بدرا وسهمه»[1]، وأما تغيبه عن بيعة الرضوان فلو كان أحد أعز ببطن مكة من عثمان لبعثه مكانه، فبَعث رسول الله ﷺ عثمان فكانت بيعة الرضوان بعد ما ذهب عثمان إلى مكة فقال رسول الله ﷺ بيده اليمنى: «هذه يد عثمان فضرب بها على يده فقال هذه لعثمان»[2]، ثم قال ابن عمر للرجل: اذهب بها الآن معك![3].

ومما قيل في رثاء عثمان رضي الله عنه، قول حسان بن ثابت الأنصاري:

قتلتم ولي الله في جوف داره وجئتم بأمر جائر غير مهتد
فلا ظفرت أيمان قوم تعاونوا على قتل عثمان الرشيد المسدد ..إلخ.

وله أيضا:

إن تمس دار ابن أروى[4] منه خالية باب صريع وباب مخرق خرب
فقد يصادف باغي الخير حاجته فيها ويأوي إليها الذكر والحسب

ولنائلة بنت الفرافصة الكلبية زوج عثمان تبكيه:

ألا إن خير الناس بعد ثلاثة قتيل التجيبي الذي جاء من مصر
فما لي لا أبكي وتبكي قرابتي وقد حجبت عنا فضول أبي عمرو

---

(1) أخرجه البخاري ومسلم.

(2) أخرجه البخاري ومسلم.

(3) أي اذهب بهذه الأجوبة التي أجبتك بها ليزول عنك ما كنت تعتقد من عيب عثمان ﷺ.

(4) ابن أروى: هو عثمان بن عفان رضي الله عنه نسب لأمه أروى بنت كريز العبشمية الصحابية.

حصار عثمان بن عفان وسبب قتله

اختلف أهل السير والتاريخ في سبب حصار وقتل عثمان رضي ا لله عنه اختلافا كثيرا، فقيل سببهما أن الناس نقموا عليه أشياء منها رده لعمه الحكم بن أبي العاص إلى المدينة بعد نفي رسول ا لله ﷺ له منها، و لم يرده أبو بكر ولا عمر رضي ا لله عنهما؛ ومنها تقريبه لأقاربه من بني أمية وتقليدهم المناصب وإعطاؤهم الأموال الطائلة؛ ومنها نفيه أبا ذر إلى الربذة[1] لأنه كان يزهد الناس في الدنيا؛ ومنها أن أمراء الأمصار آخر خلافته كان أكثرهم من أقاربه، فكان معاوية أميراً على الشام، وسعيد بن العاص على البصرة، وعبد ا لله بن عامر[2] العبشمي على خراسان، ومنها عزله لعمرو بن العاص وتولية عبد ا لله بن أبي سرح[3] مكانه، فشكاه أهل مصر إليه فهدده و لم يعزله و لم ينته ابن أبي سرح بل قتل منهم رجالا.. إلى غير ذلك. وقد أجاب بعض العلماء عن هذه المسائل، كالأُبِّيِّ والسنوسي على صحيح مسلم، وغيرهما.

والحقيقة أن الناس نقموا على عثمان واستوحشوا منه وأكثروا فيه القيل والقال وأنكروا عليه، فحنقت عليه عدَّة قبائل حتى نشأت بمصر جماعة من أبناء الصحابة ينكرون عليه ويؤلبون الناس على حربه وعزله حتى استنفروا مائة راكب وذهبوا إلى المدينة فنزلوا المسجد وشكوا إلى الصحابة في مواقيت الصلاة ما صنع ابن أبي سرح به، فقام علي وطلحة وعائشة رضي ا لله عنهم فكلموا عثمان بكلام

---

(1) الربذة بالتحريك ويكسر: مدفن أبي ذر الغفاري قرب المدينة وإليها ينسب موسى بن عبيدة الربذي - [القاموس].

(2) عبد ا لله بن عامر هذا ابن خال عثمان بن عفان رضي ا لله عنهما وابن عمه.

(3) هو عبد ا لله بن سعد بن أبي سرح من بني عامر بن لؤي، كان أخا عثمان من الرضاعة، أرضعت أمه الأشعرية عثمان بن عفان.

شديد في عزله وتولية محمد بن أبي بكر مكانه؛ وكان عثمان رضي الله عنه حليما لين العريكة فأجابهم إلى ذلك فعزله وكتب لهم كتابا بتولية محمد بن أبي بكر مكانه، فرضوا بذلك منه وساروا؛ فلما كانوا على مسيرة عدة أميال من المدينة فبينما هم نازلون في وقت الهاجرة إذا هم براكب على نجيب لعثمان مغذا في السير فارتابوا فيه وقالوا ما هو إلا شيطان لسيره في الهاجرة وشدة الحر، فتعرضوا له وأخذوه وفتشوه فإذا بإداوة عنده فيها كتاب مختوم بخاتم عثمان مصطنع على لسانه إلى ابن أبي سرح يأمره بالثبات مكانه وقتل محمد بن أبي بكر وجماعة معه، فأخذوا الكتاب ورجعوا به إلى المدينة وداروا به على الصحابة وغيرهم فلم يبق أحد من أهل المدينة إلا حنق على عثمان ولا سيما من غضب لمحمد بن أبي بكر وعمرو بن العاص وأبي ذر، وغيرهم. فتألب عليه خلق كثير من أهل مصر والكوفة والبصرة وغيرهم؛ وكان ذلك في ذي القعدة سنة خمس وثلاثين.

ثم دخل عليه علي وجماعة من وجوه الصحابة يلومونه على شأن الكتاب فحلف لهم ما له به من علم ولا أمر به. فقالوا هذه أشد: أيؤخذ خاتمك ونجيب من إبلك وأنت لا تعلم؟ ما أنت إذن إلا مغلوب على أمرك!. وقد قيل إن كاتب الكتاب هو مروان بن الحكم وأنه زوره على لسان عثمان واحتال لخاتمه حتى ختم به على الكتاب، فقال الناس لن نرضى على عثمان حتى يسلم لنا مروان فنبحث ونعلم شأن الكتاب وكيف يؤمر بقتل صحابي بغير حق، فإن كان كاتبه عثمان عزلناه وإن كان مروان كتبه على لسان عثمان وزوره نظرنا في أمره، فأبى عثمان أن يسلمهم مروان لأنه خشي عليه القتل؛ فكان ذلك سببا في تحريض المصريين على قتل عثمان، فحاصروه في داره ومنعوه الماء حتى عطش؛ وكان رضي الله عنه قد

اشترى بير رومة بالعقيق باربعمائة دينار فتصدق بها على المساكين[1]، ثم أشرف عثمان رضي الله عنه على الناس فقال أفيكم علي أو سعد فقالوا: لا، فسكت ثم قال: ألا أحد يبلغ عليا فيسقينا ماء؛ فبلغ قوله عليا فبعث إليه بثلاث قرب، فما كادت تصل إليه.

فلما بلغ عليا أن عثمان يراد قتله قال: إنما أردنا منه مروان وأما قتل عثمان فلا، وخرج متعمما بعمامة رسول الله ﷺ متقلدا سيفه في نفر من المهاجرين والأنصار فحملوا على الناس وفرقوهم، فدخلوا على عثمان فقالوا: يا أمير المؤمنين إن رسول الله ﷺ لم يلحق هذا الأمر حتى ضرب بالمقبل والمدبر ولا نرى القوم إلا قاتلوك فمرنا فلنقاتل، فقال عثمان: أنشد با لله رجلا رأى لله عز وجل حقا وأقر بأن لي عليه حقا أن لا يهريق في سبيلي ملء محجمة دما أو يريق دمه في. فخرج علي وهو يقول: اللهم إنك تعلم أنا قد بذلنا المجهود؛ ثم قال للحسن والحسين: قوما على باب عثمان بسيفيكما فلا تدعا أحدا يصل إليه؛ وبعث طلحة وابن عمر والزبير وعدة من الصحابة أبناءهم يمنعون الناس أن يدخلوا على عثمان؛ وكان من حراسه في الدار عبد الله بن سلام وأبو هريرة وزيد بن ثابت ومحمد بن حاطب والمغيرة بن

---

(1) رومة أرض بالمدينة بين الجرف وزعابة نزلها المشركون عام الخندق، وفيها بير رومة ــ [معجم البلدان]. وقد روي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من يشتري بير رومة يوسع بها على المسلمين وله الجنة»، فاشتراها عثمان بن عفان من يهودي بأمر النبي صلى الله عليه وسلم، وسبلَها للمسلمين، وكان اليهودي يبيع ماءها. رواه البخاري تعليقا، والترمذي ؛ وروي أن عثمان اشترى منه نصفها باثني عشر ألفا ثم قال اليهودي: اختر إما أن تأخذها يوما وآخذها أنا يوما وإما أن ننصب لك عليها دلوا وأنصب عليها دلوا فاختار يوما ويوما، فكان الناس يستقون منها في يوم عثمان لليومين، فقال اليهودي: افسدت علي بيري فاشتر باقيها، فاشتراه بثمانية آلاف. [مغني بن قدامة: 6 / 147 - 148].

الأخنس. فقام الناس يسألون عثمان إخراج مروان إليهم فأبى، فرموه بالسهام في دراه فأصيب الحسن بن علي ومحمد بن طلحة ببعضها فتخضبا من الدماء وشج قنبر مولى علي، وكان على باب عثمان، وأصيب مروان نفسه بسهم وهو في الدار، وقتل المغيرة بن الأخنس؛ فدخل أبو هريرة على عثمان فقال: يا أمير المؤمنين الآن طاب الضراب قتلوا منا رجلا، فقال عثمان: عزمت عليك يا أبا هريرة إلا رميت بسيفك إنما يقصدون نفسي وسآتيهم، فرمى أبو هريرة بسيفه ثم خرج فقال: أشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول: «تكون بعدي فتن وأحداث» قال فقلنا: فأين المنجى منها يا رسول الله؟ قال: «إلى الأمين وحزبه» وأشار إلى عثمان[1]؛ فقام الناس إلى عثمان وقالوا له: قد أمكنتنا البصائر فأذن لنا في الجهاد فإن معك عددا كثيرا وقوة وأنت على الحق وهم على الباطل وإلا فنخرق لك بابا سوى الباب الذي هم عليه فتركب رواحلك وتلحق بمكة فإنهم لن يستحلوك وأنت بها أو الحق بالشام ففيه معاوية، فقال: إني لا أكون أول خليفة خلف رسول الله ﷺ بسفك الدماء ولن أفارق دار هجرتي ومجاورة رسول الله ﷺ ، وأبى عن القتال ثم قال: عزمت على من كانت لي عليه طاعة أن لا يقاتل، ثم قال: سنجتمع وإياهم عند الله تعالى وسيرون بعدي أمورا فيتمنون أني عشت لهم فقد خدعوا وغروا والله لو لم أقتل لمت وما في الحياة متسع لقد كبر سني ورق عظمي وجاوزت سن أهل بيتي ولقد خبأت عند ربي عشرا: أني رابع الإسلام، وأنكحني رسول الله ﷺ ابنتيه وقال لي: «لو كانت لنا ثالثة لزوجناكها»، و لم أضع يميني على فرجي منذ بايعت بها رسول الله ﷺ، ولا مرت بي جمعة منذ أسلمت إلا وأعتقت فيها رقبة إلا أن لا تكون عندي فأعتقها بعد ذلك ولا زنيت ولا سرقت في جاهلية ولا في إسلام قط

---

(1) قاله الزبيري في كتاب نسب قريش: 3 / 103، وأخرج ابن ماجه نحوه.

ولقد جمعت القرآن على عهد رسول الله ﷺ.. ثم قال: وهؤلاء القوم لا يريدون تركي ووالله لا أرغب في إمارتهم ولولا قول رسول الله ﷺ: «إن الله سيقمصك قميصا فإن أرادوك على خلعه فلا تخلعه لهم»[1] لتركتهم وجلست في منزلي.. والله لو تركتهم ما تركوني.

ولما رأى محمد بن أبي بكر رضي الله عنهما ما وقع من الجراح للسبطين خشي أن يتعصب بنو هاشم لهما فتكون فتنة فيأتون ويكشفون الناس عن عثمان فيبطل ما أراد الناس فنهاهم عن الرمي وأخذ بيدي رجلين فتسوروا من دار رجل من الأنصار بجوار دار عثمان و لم يعلم بهم أحد حتى دخلوا دار عثمان من غير علم منه ولا من أحد من أصحابه لأنهم كانوا فوق البيوت و لم يكن معه إلا امرأته، فقال محمد بن أبي بكر رضي الله عنه لصاحبيه مكانكما حتى أبدأكما بالدخول، فدخل عليه ويروى أنه وجد المصحف منشورا بين يديه وكان صائما فأخذ بلحيته وقال له: ما أغنى عنك معاوية ولا ابن أبي سرح ولا ابن عامر! فقال له عثمان: لو رآك أبوك لساءه مكانك مني ولقد أمسكت لحية كان أبوك يكرمها، فتراخت يده واستحيا وخرج، فدخل عليه أحد الرجلين واسمه رومان بن سرحان مرادي وكان رجلا قصيرا أزرق من أهل مصر فاستقبله بخنجر في يده وقال: على أي دين أنت يا نعثل[2] (أي أحمق)؟ فقال عثمان: لست بنعثل ولكني عثمان بن عفان وأنا على ملة

---

(1) حديث: «إن الله سيقمصك قميصا..» إلخ، رواه ابن ماجه، والإمام أحمد، وفي ابن ماجه عن عائشة أنه صلى الله عليه وسلم قال: «يا عثمان إن ولاك الله هذا الأمر يوما فأرادك المنافقون أن تخلع قميصك الذي قمصك الله فلا تخلعه»، يقول ذلك ثلاث مرات.

(2) نعثل (كجعفر): رجل لِحياني كان يشبه به عثمان رضي الله عنه إذا نيل منه، والنعثل في الأصل: الذكر من الضباع، والشيخ الأحمق - [القاموس].

إبراهيم حنيفا، قال: كذبت فطعنه فقتله وأراد قطع أنفه فقامت إليه امرأة عثمان نائلة بنت الفرافصة الكلبية ـ وكانت جسيمة ـ فأمسكته بين ذراعيها وقبضت سيفه فقطع بعض أصابعها فدعت غلاما لعثمان فأخذ السيف وضربه به حتى مات، ثم صرخت فلم يسمعها الناس لكثرة الجلبة حول الدار، فصعدت إلى الناس وأخبرتهم بقتله، فدخل الناس فوجدوه مذبوحا؛ فجاء علي وطلحة والزبير وسعد وأهل المدينة وقد ذهبت عقولهم فقال علي للسبطين: كيف قتل أمير المؤمنين وأنتما على الباب؟ وضربهما وشتم ابن الزبير وابن طلحة وهو غضبان، فاسترجعوا؛ ثم دخل علي وسأل امرأة عثمان عمن قتله فأخبرته بما وقع، وسأل محمد بن أبي بكر عما قالت امرأة عثمان فقال: لم تكذب والله، دخلت عليه وأنا أريد قتله فذكر لي أبي فقمت عنه وأنا تائب إلى الله وما قتلته ولا أمسكته، فقالت: صدقت ولكنك أدخلتهما.

وقد قيل إن سبب قتل عثمان رضي الله عنه أنه بالقضاء السابق تألبت عليه طائفة من المفسدين في الأرض من أوباش القبائل وأهل الفتن، لأحقاد اعتقدوها ومسائل ارتكبوها أكثرها مزعوم أو محرف فيه، منهم من طلب أمرا فلم يصل إليه فحسده، ومنهم من غلب عليهم الغلو في الدين فأكبروا الهنات وارتكبوا في إنكارها الموبقات، وفيهم الذين ينزعون إلى عصبية على شيوخ الصحابة من قريش ولم تكن لهم في الإسلام سابقة فحسدوا أهل السابقة من قريش على ما أصابوا من مغانم شرعية جزاء جهادهم وفتوحاتهم فأرادوا أن يكون لهم مثلها بلا سابقة ولا جهاد، وفيهم المرتدون من حدود شرعية أقيمت على بعض ذويهم فاضطغنوا في قلوبهم الإحنة والغل[1] لأجلها، وفيهم الحمقى الذين استغل

---

(1) اضطغن القوم: انطووا على الأحقاد، واضطغن فلان على فلان ضغينة أضمرها. والإحنة (بالكسر): الحقد جمعه إحن. والغل (بالكسر): الخيانة والغش والحقد.

السبئيون[1] ضعف قلوبهم فدفعوهم إلى الفتنة والفساد والعقائد الضالـة، وفيهـم مـن أثقل كاهله خير عثمـان ومعروفـه فكفـره وطمـع منـه بما لا يستحقه مـن الرئاسـة والتقدم إلى غير ذلك.. مع ما جبل عليه عثمان رضي ا لله عنه وامتـلأ منـه قلبـه مـن الرحمة والرفق، الشيء الذي أطمع فيه الكثيرين فاتخذوا من رحمتـه مطيـة لأهوائهـم. ولم يكن في قتلته أحد من خيار المسلمين ولا أمر بقتله، فكان السبئيون وغيرهم مـن البغاة يؤلبون عليه الناس ويزورون الكتب على ألسنة الصحابة وأمهـات المؤمنـين في الشكوى من حكم عثمان، وتتلى هذه الكتب في المساجد على الناس وهي مكذوبة مزعومة، وكان معاوية رضي ا لله عنه قد أخذ منهم طائفة فأرسلها إلى عبد الرحمن بن خالد بن الوليد فقبض عليهم وتوعدهم حتى تابوا فأرسل بهم إلى عثمان فتـابوا، وخيرهم عثمان فاختاروا التفرق في البـلاد فسيرهم، فلمـا سـار كـل إلى مـا اختـار أنشأوا الفتنـة وألبـوا الجماعـة وجـاءوا بجملتهـم، ثـم نظمـت هـذه الحركـة فرقـا في الأمصار فخرج أهل مصر في أربع فرق عليها أربعـة أمـراء هـم كنانـة بـن بشـر بـن عتاب التجيبي وسودان بن حمران السكوني - وهو من قبائل مراد اليمنية النازلة بمصر

(1) نسبة إلى عبد ا لله بن سبأ اليهودي من أهل صنعاء، أمه سوداء أظهر الإسلام زمان عثمان ثم تنقـل في بلدان المسلمين يحاول ضلالتهم، فبدأ بالحجاز ثم البصرة ثم الكوفة ثم الشام، فلم يقدر على ما يريد عند أحد من أهل الشام، فأخرجوه حتى أتى مصر، ثم كـان مما قـال لهـم: إن عثمـان أخـذ الخلافة بغير حق وعليٌّ وصيُّ رسول ا لله صلى ا لله عليه وسـلم، ثـم قـال: انهضـوا في هـذا الأمـر فحركوه وابدأوا بالطعن على أمرائكم وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تستميلوا النـاس وادعوهم إلى هذا الأمر، فثبت دعاته وكاتب مـن كـان استفسـد في الأمصـار وكـاتبوه ودعـوا في السر إلى ما عليه رأيهم وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكـر وجعلـوا يكتبـون إلى الأمصـار بكتب يضعونها في عيـوب ولاتهم ويكاتبهم إخوانهم بمثل ذلك، ويكتب أهل كل مصر منهـم إلى الآخر بما يصنعون فيقرأ أولئك في أمصارهم ويخططون وهؤلاء في أمصارهم ويدبرون وهـم يريدون غير ما يظهرون ويسرون غير ما يعلنون.

ـ وعبد الرحمن بن عديس البلوي وقتيرة السكوني، وعلى هؤلاء الأربعة أمير هو الغافقي بن حرب العكي المصري وهو من أبناء وجوه القبائل اليمنية النازلة بمصر إبان الفتح؛ وخرج أهل الكوفة في أربع فرق أيضا وعلى تلك الفرق الأشتر النخعي وزيد بن صوحان العبدي وزيادة بن النضر الحارثي وعبد الله بن الأصم، أحد بني عامر بن صعصعة، وعلى هؤلاء الأربعة عمرو بن الأصم؛ وخرج أهل البصرة في أربع فرق أيضا عليها حُكَيم بن جَبَلة العبدي البصري ـ أصله من قبائل عبد القيس ـ وذريح بن عباد العبدي وبشر بن شريح القيسي وابن المحرش بن عبد عمرو الحنفي، وعلى الجميع حرقوص بن زهير السعدي. والتف في هؤلاء كثير من أوباش القبائل من مختلف البلاد. وكان أهل مصر يريدون تقديم علي بن أبي طالب وأهل الكوفة: الزبير بن العوام، وأهل البصرة طلحة بن عبيد الله؛ وخرج الجميع متظاهرين بالحج وقالوا إنما نأتم هذا البيت ونستعفي هذا الوالي من بعض عمالنا ما جئنا إلا لذلك، وكان رئيسهم العام الغافقي، وأكثرهم من القبائل اليمنية التي في مصر؛ وخرجوا في شوال سنة خمس وثلاثين حتى نزلوا المدينة وكان قد وعظهم وزجرهم أهل العافية والحكمة من أعيان أمصارهم وعلمائها في مصر والكوفة والبصرة وكذلك فعل بهم معاوية في الشام. ولما دخلوا المدينة قام نفر من أهل مصر فاتصل بعلي ونفر من أهل الكوفة واتصل بالزبير ونفر من أهل البصرة واتصل بطلحة.. وعرض كل فريق منهم على من جاءه أن يبايعه ويخلعوا عثمان من الخلافة؛ فكل واحد منهم صاح على الفريق الذي جاءه وطرده ودعا عليه وشتمه، فانقلبوا خائبين. ثم اطلع عليهم عثمان من حائط داره فوعظهم وذكرهم وورعهم عن دمه، وخرج إليهم محمد بن مسلمة فعظم لهم حق عثمان وما في رقابهم من البيعة له فلم يزدهم ذلك إلا إصرارا على قتله ولم يزالوا به حتى تسوروا له ودخلوا عليه وقتلوه وانتهبوا ما وجدوه في داره وأخذوا ما في بيت المال وفعلوا بالمدينة ما لا تفعله فارس والروم.

وبقيت المدينة بعد مقتل عثمان خمسة أيام بلا خليفة، ثم قال الناس إن نحن رجعنا بعد قتل عثمان عن غير إمرة اختلف أمر الناس فرجعوا إلى علي فطلبوا منه أن يقبل البيعة ـ بعد أن طلبوا بها طلحة والزبير وسعداً بن أبي وقاص وابن عمرَ، وأبوا جميعا ـ فقال: ليس ذلك إليكم وإنما ذلك لأهل بدر، فلم يبق بدري إلا أتى عليا فألحوا عليه فقبل فبايعوه. وكان رضي ا الله عنه قد قال عند قتل عثمان: اللهم إني لم أرض و لم أمالئ، كما قال يوم الجمل: اللهم إني أبرأ إليك من دم عثمان، ولقد طاش عقلي يوم قتل وأنكرت نفسي وجاؤوني ليبايعوني فقلت وا لله لأستحيي أن أبايع قوما قتلوا عثمان وأن أبايع وعثمان لم يدفن، وقال: إن بني أمية يزعمون أني قتلت عثمان، لا وا لله الذي لا إله إلا هو ما قتلت ولا ماليت ولقد نَهَيْت فعُصِيت.

ثم كان قتل عثمان بن عفان رضي ا الله عنه وهَنا في الدين على هذه الأمة وبه تفرقت الكلمة وهاجت الفتن حتى قتلت من المسلمين آلاف مؤلفة. وقد ورد في بعض الآثار أن الإسلام كان في حصن حصين وأنهم ثلموا فيه ثلمة بقتلهم عثمان لا تسد إلى يوم القيامة وأن أهل المدينة كانت فيهم الخلافة فأخرجوها و لم تعد فيهم. وكان أول الفتن قتل عثمان فكان سببا للفتنة والخلاف بين الصحابة، فمَن بعدهم. رضي ا الله عنهم أجمعين، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

تنبيه: إنما أطلت الكلام في قصة قتل عثمان هذه التي كانت سببا في الحروب العظيمة التي جرت بين فضلاء الصحابة والتابعين ليظهر أن أسبابها لم يكن لأصحاب رسول ا الله ﷺ فيها مدخل، بل حاولوا قمعها بشتى الوسائل، وأنه كان وراء بلوغها للذروة أيد أجنبية دبرتها ووسعت فتقها على الراقع حتى خرجت عن إرادة وطاقة الصحابة رضي ا الله

عنهم[1]﴿ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾[2]؛ وقد كان أكثر أهل العلم يتجنب البحث فيما جرى بين الصحابة بعد قتل عثمان عن قصد، تأسيا بما كان عليه السلف الصالح، فقد ثبت عن الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز أنه قال: "تلك حروب طهر الله منها سيوفنا فلا ندنس بها ألسنتنا". وروى محمد بن علي بن الحسين رضي الله عنهم عن أبيه أن نفرا من أهل العراق جاءوا إليه فسبوا أبا بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم وأكثروا، فقال لهم: أمن المهاجرين الأولين أنتم؟ — يعني الذين قال الله فيهم ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ ﴾[3] الآية — فقالوا: لا، فقال: أمن ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾[4]؟ قالوا: لا، فقال: قد تبرأتم من هذين الفريقين، أنا أشهد أنكم لستم من الذين قال الله عز وجل فيهم ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[5]، قوموا فعل الله بكم وفعل..

وأرسل الحجاج بن يوسف يوما إلى سعيد بن جبير فقال له ما رأيك في الخلفاء

---

(1) وقد قالت عائشة رضي الله عنها وهي في المسجد الحرام: "إن الغوغاء من أهل الأمصار وأهل المياه وعبيد أهل المدينة ونزاع القبائل غزوا حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم ونالوا من قتل إمام المسلمين بلا ترة ولا عُذر فاستحلوا الدم الحرام وسفكوه وانتهبوا المال الحرام وأحلوا البلد الحرام والشهر الحرام، ومزقوا الأعراض وأقاموا في دار قوم كانوا كارهين لمقامهم ضارين مضرين غير نافعين ولا متقين.

(2) الأحزاب الآية: 38.

(3) الحشر الآية: 8.

(4) الحشر الآية: 9.

(5) الحشر الآية: 10.

وأيهم أحب إليك؟ قال: أرضاهم لخالقه عز وجل، قال: ومن أرضاهم لخالقه؟ قال: علم ذلك عند من يعلم سرهم ونجواهم، قال: ما رأيك في اقتتال علي ومعاوية؟ قال: تلك دماء طهر الله منها أيدينا فلنطهر منها ألسنتنا، قال: ما رأيك في معاوية؟ قال: والله لقد شغلني أمر نفسي عن تتبع أحوال الرجال والحكم عليهم؟ قال: أتفر من الجواب؟ قال: طوبى لمن شغله عيبُه عن عيوب الناس. وسأل رجل يوما الشعبي فقال له: ما تقول في ما يتكلم فيه الناس من أمر هذين الرجلين؟ فقال له الشعبي: أي رجلين تعني؟ فقال: عثمان وعلي، فقال: إني والله لفي غنى عن أن أجيء يوم القيامة خصيما لعثمان أو لعلي رضي الله عنهما. وقال أبو عروة الزبيري[1] كنا عند مالك بن أنس فذكروا رجلا ينتقص أصحاب رسول الله ﷺ فقرأ مالك هذه الآية: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾ حتى بلغ ﴿ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ ﴾[2]، فقال مالك: من أصبح من الناس في قلبه غيظ على أحد من أصحاب رسول الله ﷺ فقد أصابته هذه الآية. وروى مصعب بن سعد قال: الناس على ثلاث منازل: مضت منزلتان وبقيت منزلة فأحسن ما أنتم عليه أن تكونوا بهذه المنزلة التي بقيت، يشير به إلى الآية السابقة ﴿ لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ﴾. وقال ابن أبي ليلى: الناس على ثلاث منازل: المهاجرون، والذين تبوءوا الدار والإيمان، والذين جاءوا من بعدهم، فاجهد أن لا تخرج من هذه المنازل. وقال بعضهم: كن شمسا فإن لم تستطع فكن قمرا فإن لم تستطع فكن كوكبا مضيئا فإن لم تستطع فكن كوكبا صغيرا؛ ومعنى هذا كن مهاجريا فإن لم تجد فكن أنصاريا فإن لم تجد فاعمل كأعمالهم فإن لم تستطع

---

(1) نسبة إلى الزبير بن العوام الأسدي لأنه من ولده.

(2) الفتح الآية: 29.

فأحبهم واستغفر لهم كما أمرك ا لله. وفي الحديث عن عويم بن ساعدة قال: قال رسول ا لله ﷺ: «إن ا لله عز وجل اختارني واختار لي أصحابي فجعل لي منهم وزراء وأختانا وأصهارا فمن سبهم فعليه لعنة ا لله والملائكة والناس أجمعين ولا يقبل ا لله منه يوم القيامة صرفا ولا عدلا»[1].

ثم قال رحمه ا لله وعفا عنه:

أَوْصَى الْحَـــوَارِيَّ عَلَى بَنِيهِ   يَا لَيْتَ شِعْـــرِي لِمَ لاَ تَقِيهِ؟

مِنْهُـــمْ أَبَانُ خَالِـــدُ سَعِيدُ   وَعَمْرُو الْعَزِيـــزُ وَالْـــوَلِيدُ

أوصى: فعل ماض وفاعله ضمير مستتر عائد على عثمان بن عفان المحدث عنه. **والحواري** (بالنصب) مفعول به لأوصى، **والحواري**: الناصر أو ناصر الأنبياء، ومنه الحواريون أصحاب عيسى عليه السلام، والمراد بالحواري هنا الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشي الأسدي؛ ولقب بالحواري لقول النبي ﷺ فيه ليلة الأحزاب: «إن لكل نبي حواريا وإن حواري الزبير»[2]. وقوله **على بنيه**: متعلق بأوصى، والضمير فيه عائد على عثمان أيضا. وقوله **يا ليت شعري**: أي

---

(1) أخرجه الطبراني عن عويم ـ كما في الجامع الصغير (ضعيف). والوزراء: الأعوان والموازرون. والاختان: جمع ختَن (بالتحريك): أقارب الزوجة كأبيها وأخيها؛ فأبو بكر وعمر رضي ا لله عنهما ختنا رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم، كما أن الاحماء أقارب الزوج؛ فالعباس وحمزة وعلي أحماء عائشة رضي ا لله عنهم، والأصهار تجمع ذلك كله، وقيل الختَن: زوج البنت؛ فأبو العاص وعثمان وعلي أحماء رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم، وفي الحديث: "علي ختن رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم" وأنشدوا قول الراجز:

وما عليَّ أن تكون جاريـة   حـتى إذا ما بلغت ثمانيه

زوجها عتبة أو معاويـــه   أختان صدقٍ ومهورٌ عاليه

والصرف: التوبة وقيل النافلة، والعدل: الفدية وقيل الفريضة.

(2) أخرجه البخاري ومسلم.

ليت علمي حاصل لم لا تقيه أي تدافع عنه وتمنعه من العدو، وفاعل **تقيه** ضمير عائد على **بنيه**، والضمير البارز عائد على عثمان.

يعني أن عثمان بن عفان رضي ا لله عنه أوصى الزبير بن العوام على بنيه حتى يكبروا ـ كما في الزبيري وغيره ـ فقد روي أن عثمان لما حاصره المتألبون عليه ونهى من معه أن يريقوا فيه ملء محجمة دما أمر من كان معه في الدار أن يخرجوا إلى ديارهم (وممن كان معه ابن عمر والحسن بن علي وأبو هريرة وسعيد بن العاص ومروان بن الحكم وعبد ا لله بن الزبير) وتهيأ للقتل فكتب وصيته على بنيه ودفعها لعبد ا لله بن الزبير، وكان هو آخر من خرج من القوم عنه وأمره أن يدفعها إلى أبيه الزبير. وكان الزبير قد خرج من المدينة لما اشتد الحصار على عثمان، وإنما أوصى إليه لأنه كان محل الثقة من كبار الصحابة؛ ففي ابن عساكر أن سبعة من الصحابة كانوا قد أوصوا إليه فكان ينفق على أيتامهم من ماله ويحفظ لهم أموالهم[1]، وقد قال ابن عمر في وصية عثمان للزبير: نعم موضع الوصية الزبير.

قوله **منهم**: الضمير عائد على **بنيه** وهو خبر عن **أبان** مقدم عليه. **وخالد وسعيد** معطوفان على **أبان** بحذف العاطف، **وعمرو** عطف عليه أيضا. **والعزيز** (بالرفع): صفة **عمرو**. **والوليد** عطف على **أبان** أيضا.

يقول ومن أبناء عثمان أبان وخالد وسعيد وعمرو والوليد بنو عثمان. وأتى **بمن** التبعيضية لأنه لم يذكرهم كلهم وإنما ذكر منهم خمسة. وكان لعثمان من الولد لصلبه تسعة أبناء وثمان بنات وهم عبد ا لله الأكبر[2]، أمه رقية بنت رسول ا لله

---

(1) منهم عثمان وعبد الرحمن بن عوف وابن مسعود والمقداد وأبو العاص بن الربيع ومطيع بن الأسود.

(2) وقيل هو الأصغر.

ﷺ ولد بأرض الحبشة وبه كني أبوه ومات صغيرا سنة اثنتين للهجرة بعد موت أمه، وقيل مات سنة أربع عن ست أو سبع سنوات، ودخل رسول ا لله ﷺ قبره. والثاني عبد ا لله الأصغر[1]، أمه فاختة بنت غزوان أخت عتبة بن غزوان بن جابر بن نسيب المازني، وعمرو وعمر وخالد وأبان ومريم، أمهم أم عمرو بنت جندب الدوسية، والوليد وسعيد وأم عثمان، أمهم فاطمة بنت الوليد بن عبد شمس بن المغيرة المخزومية، وعبد الملك أمه أم البنين مليكة بنت عييْنة بن حصن الفزارية، وعائشة وأم أبان الكبرى وأم عمرو، أمهن رملة[2] بنت شيبة بن ربيعة بن عبد شمس، وأم خالد وأروى وأم أبان الصغرى، أمهن نائلة بنت الفرافصة بن الأحوص الكلبية. وذكر بعضهم من أولاده المغيرة بن عثمان، وأمه أسماء بنت أبي جهل بن هشام، وأم البنين وأمها أم ولد ـ [كما في الخميس].

أما عبد ا لله الأكبر وعبد ا لله الأصغر وعبد الملك فلم يعقبوا، وأما خالد فانقرض عقبه وتوفي في خلافة أبيه بركض دابة، وأما عمرو وعمر وأبان والوليد وسعيد فأعقبوا كلهم؛ أما عمرو فكان أكبر ولد عثمان الذين أعقبوا وبه كني أبواه وكان أشهرهم وأكثرهم عقبا، ولذا وصفه الناظم **بالعزيز** واقتصر على الكلام على عقبه دون سائر إخوته وخاصة الذين ذكر معه في البيت. وكانت لعمرو هذا رواية؛ وقد أوصى عثمان الزبير على بنيه حتى يكبر عمرو هذا، ولما كبر زوجه معاوية بن أبي سفيان بنته رملة بنت معاوية ـ ومعاوية إذ ذاك خليفة ــ فولدت رملة لعمرو

---

(1) وقيل: هو الأكبر.

(2) رملة هذه من المهاجرات، ولها تقول بنت عمها هند بنت عتبة بن ربيعة تعيب عليها دخولها في الإسلام وتعيرها لقتل أبيها شيبة يوم بدر:

لحى الرحمن صابئة بوج ومكة أو بأطراف الحجون

تدين لمعشر قتلوا أباها أقتل أبيك جاءك باليقين

عثمان الأصغر (ودرج) وخالدا، وله عقب منه سعيد بن خالد بن عمرو؛ كان من أكثر الناس مالا وله عقب كثير. ومن أشهر ولد عمرو بن عثمان أبو محمد عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان القرشي الأموي الذي اشتهر بلقبه المطرف ولقب به لجماله وحسنه ، أمه حفصة بنت عبد الله بن عمر بن الخطاب. وفي المطرف هذا يقول ابن الرئيس الثعلبي:

جميـل المحيا واضح اللون لم يطأ ... بحزن ولم يألم له النكب إصبع

من النفر الشم الذين إذا انتدوا ... وهاب الرجال حلقة الباب قعقعوا

إذا النفر الأدم اليمانون نمنموا ... له حوك بُرديه أرقوا وأوسعوا

جلا الغِسل والحمام والبيض كالدمى ... وطيب الدهان رأسه فهو أنزع

وفيه يقول موسى بن شهر من أبيات:

ليس فيما بدا لنا منك عيب ... غير أن لا بقاء للإنسان .. إلخ.

وأما عُمر بن عثمان فله عقب وقد كانت له رواية، وأما أبان بن عثمان فقد كان فقيها من علماء التابعين ثقة، وكان من رواة الحديث، شهد وقعة الجمل مع عائشة وكان أول من انهزم، وولي المدينة في أيام عبد الملك بن مروان ــ كما في الخميس ـ وتوفي سنة خمس ومائة، وله عقب؛ ومن ولده عبد الرحمن بن أبان كان من خيار المسلمين كثير الصلاة، روي أنه كان يشتري أهل بيت فيكسوهم ويقول لهم أنتم أحرار لوجه الله تعالى أستعين بكم على غمرات الموت، وكان يَفعل ذلك كثيرا؛ روي أنه صلى في مسجد له في منزله ثم نام فوجدوه ميتا. وكان لأبان هذا عقب كثير بالأندلس من ذرية عثمان بن مروان بن أبان بن عثمان بن عفان.

وأما الوليد بن عثمان ويكنى أبا الجهم فله عقب، وفيه يقول بعض الشعراء من قصيدة يمدحه بها:

بأبي الـوليدُ وأم نفسـي كلما طلع النجـوم وذر قرن الشارق[1]
أثـوى فأحسن في الثواء وقُضِّيتْ حاجاتنا من عنـد أروع باسـق[2]

وأما سعيد بن عثمان فله عقب وكان قد ولاه معاوية خراسان وفتح سمرقند وأصيبت عينه، وقدم المدينة فقتله غلمان جاء بهم من الصُّغْد ؛ وفي ذلك يقول بعض الشعراء:

يا عين جـودي كل جـود وابكي هبلـت على سعيـد
ولقد أصبـت بغـدرة وحملتَ حتفـك من بعـيد

وكان معه عبد الرحمن بن أرطاة بن سيحان المحاربي حليف بني حرب بن أمية، فقال خالد بن عقبة يرثي سعيدا:

يا عين جـودي بدمع منك تهتانا وابكي سعيد بن عثمـان بن عفانا
إن ابن زينة لم تصدق مودتـه وفر عنـه ابن أرطاة بن سيحانا

وفيه يقول بعض الشعراء من شعر يمدحه به:

تركي سعيـدا ذا الندى والبيت ترفعـه الدعامـه

أما بنات عثمان فمريم، وقد زوجها أبوها من عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي، ثم خلف عليها عبد الملك بن مروان، وأم أبان الكبرى وزوجها عثمان أيضا من مروان بن الحكم فولدت له وتوفيت عنده، وأم عثمان وزوجها عثمان أيضا من عبد الله بن خالد بن أَسِيد بن أبي العيص فولدت له، وأم خالد وقد خلف عليها عبد الله بن خالد بن أسيد بعد أختها أم عثمان، وتوفيت عنده و لم تلد له، وعائشة وتزوجها عثمان بن الحارث فولدت له ثم خلف عليها عبد الله بن الزبير ثم فارقها، وأم عمرو وزوجها عثمان من سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص

---

(1) الشارق: الشمس، وذر قرنها ذرورا: أي طلع أول شيء منه.

(2) الأروع: الشهم الذكي، والباسق: الرجل الذي علا ذكره في الفضل.

فولدت له، وأروى وتزوجها خالد بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط، وأم أبان الصغرى لم تتزوج.

وقد ورث عثمانَ بنَ عفان بنوه عمرو وعمر وخالد وأبان والوليد وسعيد وبناته كلهن وزوجتاه أم البنين بنت عيينة بن حصن الفزارية ونائلة بنت الفرافصة الكلبية، وا لله أعلم.

تنبيه: **قوله يا ليت شعري لم لا تقيه**: ليت حرف تمن يتعلق بالمستحيل غالبا وبالممكن قليلا وهي حرف ناسخ للمبتدأ والخبر، وشعري: اسمه، وخبره محذوف تقديره: *واقع* أو *حاصل* ، قال ابن بُونَه في احمراره على الخلاصة:

وحذفهم خبر ليت بعدما قد نصبت شعري قد تحتما

وقوله لم لا تقيه أي لأي سبب لا تصونه بنوه وتستره من أذى العدو، أي يا ليتني شعرت، أي علمت السبب في عدم ذكر بني عثمان بن عفان في الذين دافعوا عنه وطالبوا بثأره!. **ووجه** تعجب الناظم ـ رحمه ا لله ـ كون أبناء عثمان التسعة أو الستة الذين ورثوه لم يوجد لهم ذكر فيمن دافعوا عن عثمان من الصحابة وأبنائهم أثناء حصاره إلى أن قتل؛ فقد ورد في ذكر من دافع عنه السبطان وابن الزبير وأبو هريرة وعبد ا لله بن سلام وابن عمر، وغيرهم؛ و لم يرد لبني عثمان ذكر فيمن حملوه ليدفن ولا فيمن طالبوا بدمه، مثل عائشة والزبير وطلحة.. ولا فيمن أخذوا بثأره مثل معاوية ومن معه!.

ولعل جواب استفهام الناظم أنهم كانوا *صغاراً* في تلك المراحل كلها ولذلك كان عثمان نفسه قد كتب وصيته بهم إلى الزبير ـ كما مر ـ وكانوا يوصفون في تلك الحقبة بأنهم *أيتام*؛ ففي الزبيري أن عثمان بن عفان *أوصى* الزبير على بنيه حتى يكبر عمرو، وكان عمرو هذا أكبر ولد عثمان الذين ورثوه. وروى الحافظ ابن عساكر والحميدي في النوادر أن سبعة من الصحابة أوصوا الزبير منهم عثمان بن

عفان، فكان الزبير ينفق على *أيتامهم* من ماله ويحفظ لهم أموالهم ـ كما مر. وفي أيام العرب في الإسلام: سأل سعيد بن العاص طلحة والزبير بعد قتل عثمان فقال: إن ظفرتما لمن تجعلان الأمر؟ قالا: نجعله لمن اختار الناس منا، قال: بل تجعلانه لولد عثمان الذي خرجتم تطلبون بدمه، فقالا: لا ندع شيوخ المهاجرين ونجعلها لأبنائهم *الأيتام*. وقد يكون من أسباب عدم دفاعهم عنه أيضا إصراره — رضي الله عنه ـ على كف الأيدي، لأن طاعته تسري إلى أهل بيته قبل سائر المسلمين؛ خصوصا وأن ابنه أباناً قد حمل السلاح مع عائشة رضي الله عنها، مما يعني أنه كان قادرا على الدفاع عنه. والله سبحانه وتعالى أعلم.

ثم أخذ الناظم في ذكر بعض ولد عمرو بن عثمان بن عفان، فقال رحمه الله وعفا عنه:

لِلْمُطْرَفِ بْنِ عَمْرٍو الَّذِي نَهَى ... عَنْــهُ الْمُثَنَّى أَهْلَـهُ وَمَا انْتَهَى

مُحَمَّدُ الدِّيبَـاجُ كَاسْمِهِ الْمَلِكْ ... أَخُو حَلاَئِـلِ بَنِي عَبْدِ الْمَلِكْ

مِنْ عَمْرٍو الْعَرْجِيُّ سِبْطُهُ الرَّفِيعْ ... مِنْ قَدْرِهِ وَضَعَ أَنْ كَانَ خَلِيعْ

قوله **للمطرف** (بضم الميم وفتح الراء): خبر مقدم على قوله **محمد الديباج** في صدر البيت الثاني، **والمطرف** (كمكرم، بصيغة اسم المفعول) هو في الأصل رداء من خز مربع ذو أعلام جمعه مطارف، ولقب به عبد الله بن عمرو هذا لحسنه وجماله. وجملة قوله **الذي نهى** ..إلخ: صفة للمطرف. **والمثنى**: فاعل **نهى** وهو الحسن بن الحسن السبط. وقوله **أهله** (بالنصب): مفعول به لنهى، والمراد بأهله هنا زوجه فاطمة بنت الحسين بن علي. قوله **وما انتهى**: فاعله ضمير يعود على أهله، وَذَكَّرَ الضمير باعتبار لفظ **الأهل**، والجملة صفة لأهله. **والديباج** (بكسر الدال وبالرفع): بدل من **محمد** ؛ **والديباج** في الأصل: الثوب الذي سداه ولحمته حرير وهو فارسي معرب، ودبجه: زينه وحسنه، ولقب به محمد بن المطرف لحسنه وجماله أيضا، ولذا

قال: **كاسمه**، ووصفه بالمِلكِ لشرفه وعـزه. **والحلائـل**: جمـع حليلـة للزوجـة. **وعبـد الملك** هو ابن مروان بن الحكم الأموي.

يعني أن من ولد المطرف بن عمرو بن عثمان محمـداً الديبـاجَ، أخـا أزواج أبنـاء عبد الملك بن مروان بن الحكم؛ وكان للمطرف بن عمـرو مـن الولـد لصلبـه سـبعة أبناء ونسوة هن زوجات أبناء عبد الملك بن مروان، ولا يعرف رجـل تـزوج بناتُـه أربعة خلفاء إلا عبد الله المطرف هذا.

وأشار الناظم بقوله: **الذي نهى عنه المثنى** ..إلخ: إلى ما ذكره الزبيري في كتاب نسب قريش أن الحسن المثنى لما حضرته الوفاة قال لزوجه فاطمة بنت الحسين: إنك امرأة مرغوب فيك فكأني بعبد الله بن عمرو بن عثمان إذا خرج الناس بجنازتي قـد جاء على فرس مرجلا جُمَّته لابسا حُلته يسير في جانب الناس يتعرض لكِ فـانكحي من شئت سواه فإني لا أدع من الدنيا ورائي هما غيرك، قـالت لـه: أنـت آمـنٌ مـن ذلك وأثلجته[1] بالأيمان من العتق والصدقة لا تَزَوَّجَتْهُ. ومات الحسن المثنى، وخـرج الناس بجنازته فجاء عبد الله بن عمرو في الحال التي وصف الحسن فنظـر إلى فاطمـة حاسـرة[2] تضـرب وجهها فأرسـل إليهـا: إن لنـا في وجهـك حاجـةً فـارفقي بـه! فاسترخت يداها وعُرِف ذلك فيها؛ فلما حلت أرسل إليها يخطبهـا، فقـالت: كيـف بيميني التي حلفتُ بها؟ فأرسل إليها: لك مكان كـل مملـوك مملوكـان ومكـان كـل شيء شيئان، فعوضها عن يمينهـا فنكحتـه وولـدت لـه محمـداً الديبـاج والقاسـم (لا عقب له) ورقية. فكان عبد الله بن الحسن المثنى ـ وهـو أكـبر ولدهـا ـ يقـول: مـا أبغضت أحدا بُغضي لعبد الله بن عمرو وما أحببت أحدا حبي لابنه محمد أخي.

أما الديباج فهو محمد بن عبد الله المطرف بن عمرو بن عثمان بن عفان القرشي

---

(1) ثلِج قلبه: اطمأن ليقينه وثلَجَ صدره: رضي واطمأن.

(2) كاشفة عن وجهها.

الأموي، كان يعرف بمحمد الأصغر للاحتراز من أخيه محمد الأكبر، ولقب بالديباج لحسن وجهه ؛ وكان ذا مكانة وقدر وكان يَفد على أمراء بني أمية فإذا انصرف مر بابن عمه سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان فأقام عنده بعض المُقام، فعوتب الديباج على ذلك فقال: إنه ليصلني كلما مررت به بألف دينار وهي تقع مني موقعا. ومات الديباج أو قتل في سجن المنصور.

ووصف الناظم محمداً الديباج هذا بالملك تجوزا لشرفه وعزه ولمكانه من أمير المؤمنين عثمان بن عفان ولأخوَّته لحلائل الملوك المروانيين. وأخوات محمد الديباج بنات عبد الله المطرف بن عمرو بن عثمان المشار إليهن هن أم عبد الله عَبدة بنت عبد الله المطرف تزوجها الوليد بن عبد الملك بن مروان و لم تلد له ـ وقيل ولدت له عبد الرحمن ـ ومات عنها وخلفه عليها ابن أخيه أيوب بن سليمان بن عبد الملك؛ وأختها عائشة تزوجها سليمان بن عبد الملك وولدت له يحيى وعبد الله وبنتا وتوفيت عنده؛ وأختهما أم سعيد تزوجها يزيد بن عبد الملك فولدت له عبد الله وعائشة وأم عمرو ثم توفي عنها فخلف عليها أخوه هشام بن عبد الملك ثم فارقها، و لم تلد له و لم تتزوج بعده ؛ وأختهن رقية تزوجها هشام بن عبد الملك فولدت له جارية وتوفيت في نفاسها. قال الثعالبي: ولا يعرف رجل له أربعةُ أختان خلفاء إلا هو. وقد قالوا: أشرف الناس في المصاهرة عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان. وإلى هذا أشار الناظم بقوله: أخو **حلائل بني عبد الملك**. ومن بنات المطرف أيضا أختهن حفصة تزوجها عبد العزيز بن مروان بن الحكم وتوفيت عنده وليست من حلائل بني عبد الملك ولكنها حليلة عمهم. ومن ولد المطرف بن عمرو محمد الأكبر، أمه أم ولد؛ كان من أحسن الناس وجها. ومن ولده أيضا خالد بن المطرف كان ذا مروءة، يروى أنه خطب إليه يزيد بن عبد الملك إحدى أخواته فترغب خالد

في الصداق فغضب يزيد وأشخصه إليه[1] ثم رده إلى المدينة وأمر أن يختلف به إلى الكُتاب مع الصبيان ليعلمهم القرآن، فزعموا أنه مات كمدا[2]؛ وله عقب من ابنه سعيد. ومن ولد المطرف أيضا عبد العزيز؛ كان سيدا شريفا له مروءة وقدر استعمله عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك على بعث أخرجه من المدينة فالتقوا بالحرورية بقديد فقتلوه هو ومن معه من الناس.

ولمحمد الديباج بن المطرف عدة من الولد منهم عبد الله الأكبر والقاسم الأكبر وعبد العزيز وخالد وغيرهم. ومن بنات الديباج رقية الكبرى، تزوجها محمد بن هشام بن عبد الملك بن مروان وتوفيت عنده ولم تلد له، ورقية الصغرى تزوجها إبراهيم بن عبد الله بن الحسن المثنى فقتل عنها قبل أن يدخل بها فخلف عليها محمد بن إبراهيم بن علي بن عبيد الله بن عباس وتوفيت عنده في نفاس. ومن بناته حفصة، أمها خديجة بنت عثمان بن عروة بن الزبير؛ ولا تعرف امرأة ولدها رسول الله ﷺ والخلفاء الأربعة وطلحة والزبير قبلها! أما رسول الله ﷺ وعلي رضي الله عنه فلأن أم أبيها محمد الديباج فاطمة بنت الحسين بن علي كرم الله وجهه، وأما أبو بكر الصديق والزبير بن العوام فلأن أمها خديجة بنت عثمان بن عروة بن الزبير وأم عروة بن الزبير أسماء بنت أبي بكر الصديق، وأما عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضي الله عنهما فلأن جدها عبد الله المطرف بن عمرو بن عثمان وأمه حفصة بنت عبد الله بن عمر بن الخطاب، وأما طلحة فلأن جدة أبيها محمد الديباج أم إسحاق بنت طلحة بن عبيد الله. وإخوة محمد الديباج بن عبد الله المطرف لأمه: عبد الله المحض والحسن وإبراهيم، بنو الحسن المثنى؛ فهي - أي فاطمة بنت الحسين

---

(1) أشخصه: حمله من بلد إلى بلد آخر.

(2) مات كمدا: حزنا وغما، وكمِد الرجل حزن حزنا شديدا.

ـ هاشمية ولدت هاشميين وأمويا قُعدَدُهما مُتّحِدٌ[1] للخليفتين المنافيين عثمان وعلي رضي الله عنهما، وجد الجميع رسول الله ﷺ وجدتا الجميع فاطمة الزهراء وخديجة بنت خويلد.. فهذا هو الشرف والعز والمجد والحسب.

قوله : العرجي (بفتح فسكون) مبتدأ خبره الجار والمجرور قبله، **والعرجي** لقب عرف به عبد الله بن عمر بن عمرو بن عثمان بن عفان، وهو نسبة إلى العرج (بفتح العين وسكون الراء، منزل بطريق مكة[2] كان قد نزله فنسب إليه). **وسِبطه** (بالرفع): صفة للعرجي، والضمير فيه عائد على عمرو بن عثمان؛ فالعرجي هذا سبط عمرو لأنه ابن ابنه عمر بن عمرو، **والرفيع**: صفة له أيضا وهو ذو الرفعة وهي علو القدر والمنزلة. وقوله **من قدره**: متعلق **بوضع**، أي حط من منزلته الشريفة ومكانته العثمانية أنه كان خليعا، **والخليع** (كأمير): الصياد أو الملازم للقمار أو الذي خلعه أهله، فإن جنى لم يُطلبوا بجنايته؛ ووقف الناظم عليه بوقف ربيعة الذين يقفون على المنصوب بالسكون، والجمهور يقفون عليه بالألف. واسم **كان**: ضمير مستتر عائد على العرجي.

يعني أن من ولد عمرو بن عثمان عبدَ الله المعروف بالعرجي؛ والعرجي هذا هو عبد الله بن عُمر بن عمرو بن عثمان بن عفان القرشي الأموي، أمه آمنة بنت عُمرَ بن عثمان بن عفان. كان فارسا شجاعا منفقا، أبلى بلاء حسنا في قتال الروم مع مسلمة بن عبد الملك، وأنفق مالا كثيرا في سبيل الله وكان جميلا مولعا باللهو

---

(1) قعيد النسب وقعدده (بضم القاف وسكون العين وفتح الدال وضمها) وأقعد وقُعدود: قريب الآباء من الجد الأكبر، ويقال أيضا للبعيد الآباء منه ـ ضد ـ [القاموس]، والمتحد: المتساوي مع غيره.

(2) العرج (بفتح المهملة وسكون الراء ـ وقد تفتح ـ بعدها جيم): قرية جامعة على طريق مكة بينها وبين المدينة، أو هو عقبة بين مكة والمدينة على جادة الطريق؛ قيل سمي العرج لتعريجه؛ والعرج أيضا واد بالطائف وقرية جامعة من نواحي الطائف.

والصيد، وكان شاعرا ذا فتوة، حبسه محمد بن هشام بن إسماعيل المخزومي الذي كان واليا لهشام بن عبد الملك على مكة؛ واختلف في سبب حبسه، قيل لأنه هجاه وشبب بأمه ـ لغير محبة ـ وبامرأته، فحبسه وحلف لا يخرجه من السجن؛ وقيل بل بتهمة دم مولى لابن عمر كان قد ادعاه عليه.. ولم يزل محبوسا حتى مات في السجن بعد أن مكث فيه سبع سنين وشُهر به في الأسواق[1]، وفي ذلك يقول:

يا ليت سلمى رأتنا لا تراع بنا لما هبطنا جميعا أبطح السوق
وكَشرَنا وكبول القين تنكبنا كالأسْد تكشر عن أنيابها الروق[2]

وقال وهو في الحبس قصيدته التي منها:

أضاعوني وأي فتى أضاعوا ليوم كريهة وسِداد ثغر[3]
أجرِّر في الملاحم كل يوم فيا لله مظلمتي وقسري
كأني لم أكن فيهم وسيطا ولم تك نسبتي في آل عمرو[4]

ومن شعره أيضا:

أظلوم إن مصابكم رجلا أهدى السلام تحية ظلم

وللعرجي من الولد عُمَر وقتل بقديد ولم يعقب، وعثمان وفيه عقب العرجي.

---

(1) شهر به: أذاع عنه السوء وفضحه.

(2) الكشر (بفتح فسكون) مصدر كشر (كضرب): كشف عن أسنانه وابداها عند الضحك وغيره، والمعنى هنا: عبوسنا. وكُبُول: جمع كَبل وهو القيد أو أعظمه. والقين: عظم الساق، قال ذو الرمة:

داني له القيد في دَيمومة قُذُفٍ قَينيْه وانحسرت عنه الأناعيمُ

والأنياب:جمع ناب وهي السن خلف الرباعية، والروق: هي التي طالت العليا منها على السفلى جمع روقاء.

(3) السداد (بالكسر): ما يسد به جمعه: أسدة، والثغر: المكان الذي يخاف منه هجوم العدو وجمعه ثغور.

(4) وسيطا: أي شريفا حسيبا، ويقال هو وسيط فيهم أي هو أرفعهم مقاما وأشرفهم نسبا. وآل عمرو: هم بنو عمرو بن عثمان بن عفان.

نسب العنابسة

ولما أنهى الناظم الكلام على الأعياص أخـذ يتكلـم علـى إخوتهـم العنابسـة و لم يذكر منهم غير حرب وأبي عمرو ابني أمية، فقال رحمه الله:

صَخْرُ بْنُ حَرْبٍ مِّنْ بَنِيهِ الْوَالِي ... يَزِيدُ لِلْهَادِي وَذِي الْخِـــلاَلِ

وَهْــوَ الْمُمَـــزِّقُ عَلَى السُّكُوكِ ... جِيلَ بَنِي الأَصْفَــرِ بِاليَرْمُوكِ

وَفُقِئَــــتْ آخِـرُ مُقْلَتَيْ أَبِيهْ ... تَحْـــتَ لِوَائِهِ يُجَالِدُ الْوَجِيهْ

يَوْمَئِذٍ وَالْقَلْــبُ لِلْحَقَائِـــقْ ... مَا قِيلَ فِيهِ فَهْـــوَ غَيْرُ لاَئِقْ

وَاسْتَخْلَـــفَ الْحَلِيمَ فَارْتَضَاهُ ... أَبُو الْفُتُـــوحِ وَالذِي تَـــلاَهُ

هُنَا انْتَهَى يَزِيدُ ... ...

صخر (بفتح فسكون): مبتدأ. **والوالي**: مبتدأ خبره الجار والمجرور قبله، والجملـة خبر عن **صخر**. **والوالي**: ذو الولاية أي الإمارة والسلطة. **ويزيد**: بـدل مـن الـوالي. وقوله **للهـادي** متعلـق بـالوالي، والهـادي مـن أسمائـه صلـى الله عليـه وسـلم, **وذي الخلال** (بكسر الخاء المعجمة): عطف على الهادي، وهو لقب أبي بكـر الصديـق ـ كما مر ـ وضمير **وهو الممزق**: عائد على **يزيد**، **والممزق** (بصيغة اسم الفـاعل) أي المفرق. **والسكوك** (بضـم السـين المهملـة): جمـع سـكة (بكسـرها) وهـي الطريـق. **وجيل** (بالنصب): مفعول به **للممزق**، **والجيل** (بكسر الجيم): الصنف مــن النـاس. **وبني الأصفر**: هم الروم أولاد الأصفر بن عيصو بن إسحاق. **واليرموك**: واد بناحية الشام ينتهي إلى نهر الأردن وبه وقعة اليرموك المشهورة للمسلمين علـى الـروم سـنة ثلاث عشرة. يعني أن من ولد أبي سفيان بن حرب لصلبه الصحابي الجليل يزيد بـن

أبي سفيان والي النبي ﷺ ووالي خليفته أبي بكر الصديق رضي الله عنه الذي هزم الروم وشتت شملهم في وقعة اليرموك.

قوله **وفقئت** (بالبناء للمفعول): أي قلعت. **ومقلتي**: تثنية مقلة للعين الباصرة جمعها مقل (كغرف). والضمير في **أبيه** وفي **لوائه** عائد على يزيد. وفاعل **يجالد**: ضمير مستتر عائد على **أبيه** أيضا. وجملة **يجالد** حال من أبيه الذي هو صخر بن حرب، **والمجالدة**: المضاربة بالسيوف. **والوجيه**: صفة لأبيه، وهو ذو الجاه أي القدر والمنزلة. وقوله **يومئذ**: متعلق **بيجالد**، أي وفقئت آخر عيني صخر بن حرب - سيد قريش - يوم اليرموك وهو يقاتل تحت راية ابنه يزيد. وقوله **والقلب للحقائق**: خبر مقدم، وقوله **ما**: موصول بمعنى الذي وهو مبتدأ مؤخر. وجملة **قيل فيه**.. إلخ: صلة **ما**، والضمير في **فيه** عائد على صخر بن حرب. يعني أن الذي قيل من الطعن في حسن إسلام أبي سفيان بن حرب رضي الله عنه ليس بصحيح وغير لائق بجناب الصحبة بل هو من قلب الحقائق.

قوله **واستخلف**: فاعله ضمير يعود على يزيد بن أبي سفيان. **والحليم** (بالنصب): مفعول به لاستخلف، **والحليم**: هو معاوية بن أبي سفيان. والضمير في **ارتضاه** عائد على الحليم. **وأبو الفتوح**: لقب عمر بن الخطاب ـ كما مر ـ وهو فاعل **ارتضاه**. قوله **والذي تلاه**: عطف على أبو الفتوح، والمراد به عثمان بن عفان لأنه تلاه في الخلافة. يعني أن يزيد بن أبي سفيان والي النبي ﷺ وأبي بكر، استخلف أخاه معاوية بن ابي سفيان على الشام فأقره عُمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان بعده رضي الله عنهم.

هذا وقد أطلق الناظم الحليم على معاوية بن أبي سفيان في عدَّة مواضع من هذا النظم حتى أصبحت لقبا له يعرف به عند الإطلاق، مثل قوله *ونفي عنها ابنه*

الحليم.. إلخ، وقوله حوشب *ذو الكلاع صاحب الحليم*.. إلخ، وإنما عرف به لأنه كان في غاية الحلم لدعوة النبي ﷺ له بقوله: «ملأ الله بطنك حلما وعلما».

التعريف بأبي سفيان بن حرب

أما صخر فهو أبو سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي، أمه صفية بنت حزن الهلالية ـ عمة أم المؤمنين ميمونة زوجه صلى الله عليه وسلم ـ اشتهر بكنيته، ويكنى أيضا بأبي حنظلة. ولد قبل الفيل بعشر سنين، وكان سيدا من سادات قريش في الجاهلية، قام مقام أبيه حرب بن أمية الذي كان قائد قريش وكنانة في الجاهلية. وكانت عند أبي سفيان راية الرؤساء التي تسمى العقا، وكان لا يحبسها إلا رئيس فإذا حميت الحرب اجتمعت قريش ووضعت تلك الراية بيد الرئيس. وكان أبو سفيان ترجمانا وكان تاجرا من كبار التجار يجهز التجار بماله وأموال قريش إلى الشام وغيره من أرض العجم، وكان يخرج أحيانا بنفسه، وهو صاحب العير يوم بدر وقائد المشركين يومي أحد والخندق قبل إسلامه، وكان شيخ مكة إذ ذاك ورئيس قريش ؛ ثم أسلم يوم الفتح وشهد حنينا والطائف مع رسول الله ﷺ ، وكان من المؤلفة قلوبهم، وأعطاه النبي صلى الله عليه وسلم من غنائم حنين مائة بعير وأربعين أوقية؛ وكذلك فعل لابنيه يزيد ومعاوية، فقال له أبو سفيان: والله إنك لكريم فداك أبي وأمي والله لقد حاربتك فنعم المحارب كنت، ولقد سالمتك فنعم المسالم أنت جزاك الله خيرا. قيل ولاه النبي ﷺ نجران ـــ كما في الزبيري وغيره ـ ولم يزل عليها إلى أن توفي صلى الله عليه وسلم فرجع أبو سفيان إلى مكة فسكنها برهة ثم رجع إلى المدينة، وشارك في الجهاد في حروب الردة وفتوح الشام، وكانت قد أصيبت أولى عينيه يوم الطائف فجاء بها إلى النبي ﷺ

فقال له: «إن شئت دعوت فردت عليك وإن شئت فالجنة» قال: الجنة[1]، وفقئت عينه الأخرى باليرموك وهو يقاتل تحت راية ابنه يزيد ويحرض المسلمين على القتال ويدعو لهم بالنصر ويعدهم بالأجر. وإلى ذلك أشار الناظم بقوله: **وفقئت آخر مقلتي أبيه**.. إلخ. وسكن رضي الله عنه المدينة و لم يزل مقيما بها حتى توفي في خلافة عثمان حوالي سنة ثلاث وثلاثين عن نيف وثمانين سنة وصلى عليه ابنه معاوية، وقيل صلى عليه عثمان ودفن بالبَقيع رضي الله عنه.

وقد أشار الناظم رحمه الله بقوله: **والقلب للحقائق**.. إلخ، إلى ما في الاستيعاب وغيره من كتب السير في ترجمة أبي سفيَان من أنه اختلف في حسن إسلامه فطعنت طائفة فيه وقالت إنه لم يزل كهفا للمنافقين منذ أسلم، وروت عن أهل الأخبار في ذلك حكايات واهية عارية من الصحة تدل على أنه لم يكن إسلامه سالما؛ فمن ذلك ما روي عن بعضهم أن أبا سفيان ريء يوم اليرموك وهو يقاتل تحت راية ابنه يزيد، فكانت الروم إذا ظهرت يقول أبو سفيان: إيه بني الأصفر[2]، فإذا كشفهم المسلمون قال أبو سفيان: بنو الأصفر الكرام ملوك الروم لم يبق منهم مذكور.. فسمع الزبير بن العوام ذلك بعد فتح اليرموك فقال: قاتله الله يأبى إلا نفاقا، أو لسنا خيرا له من بني الأصفر؟. ومنه: ما روي من أنه لما بويع أبو بكر الصديق رضي الله عنه جاء إلى علي كرم الله وجهه فقال: أغلبكم على هذا الأمر أقل بيت في قريش؟ أما والله لأملأنها خيلا ورجالا إن شئت، قال علي: ما زلت

---

(1) الزبير بن بكار كما في الإصابة: 2 / 179.

(2) إيه (بكسر الهمزة والبناء على الكسر): اسم فعل للاستزادة من حديث معين، وتنون وتكون حينئذ للاستزادة من حديث مًا، وبنو الأصفر: ملوك الروم أولاد الأصفر بن روم بن يعصو بن إسحاق أو لأن جيشا من الحبش غلب عليهم فوطئ نساءهم فولد لهم أولاد صفر ـ [القاموس].

عدوًّا للإسلام وأهله فما ضر ذلك الإسلام شيئا، رأينا أبا بكر لها أهلا. ومنه: ما روي أنه دخل على عثمان بن عفان حين صارت إليه الخلافة فقال: قد صارت إليك بعد تيم وعدي فأدرها كالكرة واجعل أوتادها بني أمية فإنما هو الملك وما أدري ما جنة ولا نار.. فصاح به عثمان: قم عني فعل الله بك كذا وكذا. وغير هذا من الأخبار الرديئة الواهية.

والصحيح الثابت الذي عليه الجمهور أنه أسلم وحسن إسلامه وأبلى في الجهاد في سبيل الله بلاء حسنا في عهد رسول الله ﷺ وفي حروب الردة في خلافة أبي بكر الصديق وفي الفتوح في خلافة عمر رضي الله عنهما، فقد أصيبت عيناه في سبيل الله فاحتسبهما وصبر؛ فقد روي أنه لما قلعت عينه يوم الطائف جاء بها إلى رسول الله ﷺ فقال له: «إن شئت يرجعها الله إليك أحسن مما كانت وإن شئت عينا خيرا منها في الجنة» قال بل عينا خيرا منها في الجنة.

وروي عن سعيد بن المسيب عن ابيه أنه قال: لقد خفيت الأصوات يوم اليرموك إلا صوتا ينادي: يا نصر الله اقترب، فنظرت فإذا أبو سفيان تحت راية ابنه يقاتل ويقول: يا نصر الله اقترب. وروي أنه كان يومئذ يقف على الكراديس[1] ويحث الناس على القتال ويقول: الله الله.. انصروا دين الله ينصركم الله فإنكم ذادة العرب[2] وأنصار الإسلام وإنهم ذادة الروم وأنصار الشرك اللهم إن هذا يوم من أيامك اللهم أنزل نصرك على عبادك. وفقئت يومئذ عينه الأخرى في سبيل الله — كما مر.

---

(1) جمع كردوس: الفرقة من الخيل.

(2) جمع ذائد: الذي يذود عن حسبه وحريمه أي يحميه ويدافع عنه.

وروي أن العباس لما سمع كلام أبي سفيان هذا قال: أين قولك يوم أحد: أنعمْتَ فَعَالِ[1] وقولك: اعل هبل[2]؟! فقال: قد أذهب الله عنا أمر الجاهلية وهدانا للإسلام، وقال له الزبير بن العوام: إن هبل الذي كنت تفتخر به يوم أحد قد كسر - أي يوم فتح مكة - فقال أبو سفيان: دعني ولا توبخني لو كان مع إله محمد إله آخر لكان الأمر غير ذلك.

فكل هذا يدل على قوة إيمانه رضي الله عنه؛ وقد قال دحلان: إياك أخي أن تصغي إلى طعن الطاعنين فيه أو في أحد من الصحابة، وقد قال صلى الله عليه وسلم: "الله الله في أصحابي وأصهاري" وهو من أصحابه ﷺ وأصهاره.

يزيد بن أبي سفيان

وأما ابنه يزيد فهو أبو خالد يزيد بن أبي سفيان القرشي الأموي، أمه أم الحكم زينب بنت نوفل بن خلف بن حذيفة بن طريف بن علقمة - الذي يقال له جذل الطعان[3]- بن فراس بن غنم بن مالك بن كنانة، أسلم رضي الله عنه يوم الفتح وشهد حنينا والطائف وأعطاه النبي ﷺ من غنائم حنين مائة بعير وأربعين أوقية، وزنها له بلال؛ وكان يقال له يزيد الخير وكان أفضل أولاد أبي سفيان، وكان من

---

(1) أي ارتفع، فِعل أمر من عالي مثل سامي.

(2) أشار العباس رضي الله عنه بذلك إلى ما روي من أن أبا سفيان لما أراد الانصراف بعد انتهاء معركة أحد أشرف على الجبل وصرخ بأعلى صوته فقال: أنعمت فعال إن الحرب سجال يوم بيوم بدر، اعل هبل (أي أظهر دينك). وكان هبل هو أعظم أصنامهم وكان في جوف الكعبة. ولما سمع عمر كلامه ذلك قال: الله أعلى وأجل لا سواء، قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار.

(3) لُقِّب جذل الطعان لثباته في الحرب كأنه جذل شجرة واقف، وقيل لأنه كان يستشفى برأيه ويستراح إليه كما تستريح البهيمة الجرباء إلى الجذل تحتك به، ومنه "أنا جذيلها المحكك".

فضلاء الصحابة وساداتهم ومناقبه رضي الله عنه لا تحصى. استعمله رسول الله ﷺ على صدقات أخواله بني فراس ثم ولاه أبو بكر الصديق رضي الله عنه على تيماء وأوصاه؛ وفي الزبيري أنه ولاه ربع أجناد الشام. وإلى ذلك أشار الناظم بقوله:

الوالي يزيد للهادي وذي الخلال.

وكان أبو بكر أيضا قد أمَّره على بعض الجيوش التي بعثها إلى الشام، فكان أحد الأمراء الأربعة الذين قادوا جيوش فتح الشام وهم يزيد بن أبي سفيان هذا وأبو عبيدة بن الجراح وعمرو بن العاص وشرحبيل بن حسنة؛ فساروا قِبَلَ فلسطين حتى التقوا بالروم بأجنادين في جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة للهجرة، وكانت وقعة اليرموك للمسلمين على الروم في آخر خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه؛ فبعد عودة أبي بكر من الحج إلى المدينة سنة ثلاث عشرة جهز جيوشا عظيمة ووجهها إلى الروم وأمر عليها أمراء وعقد لكل واحد منهم لواء على جيش مستقل وأمدهم بأعداد كثيرة ممن انتدب إليه للغزو من المسلمين، فدعا بيزيد بن أبي سفيان بن حرب وأمره على جند عظيم هو جمهور من انتدب له، وجعل في جنده سهيل بن عمرو وأشباهَه من أهل مكة وشيعه ماشيا، وكان مما قال له: إذا قدمت على جندك فأحسن صحبتهم وابدأهم بالخير وعدهم إياه فإذا وعظتهم فأوجز فإن كثير الكلام ينسي بعضه بعضا وإذا قدم عليك رسل عدوك فأكرمهم وأقلل لبثهم حتى يخرجوا من عسكرك وهم جاهلون به وامنع من قبلك من محادثتهم وكن أنت المتولي لكلامهم واسمر بالليل في أصحابك تأتك الأخبار وتنكشف عنك الأستار واصدق اللقاء ولا تجبن فيجبن الناس. ثم عقد لواء آخر لعمرو بن العاص على جيش آخر وشيعهم وأوصاهم، واستعمل أبا عبيدة بن الجراح على جموع أخرى وعقد له لواء وخرج معه ماشيا والناس معهما وخلفهما، وعقد لواء آخر لشرحبيل بن حسنة على جيش آخر وسيرهم جميعا إلى فلسطين وشيعهم وأوصاهم.

فلما بلغ أبا بكر ما فعلت الروم من التعبئة وما حشدت من الجموع قال: وا لله لأنسين الروم وساوس الشيطان بخالد بن الوليد، وكتب إليه وهو بالحيرة أن سر حتى تأتي جموع المسلمين باليرموك فإنهم قد شَجُوا وأشْجَوا[1]. فسار خالد بمن معه مُغِذًّا في السير حتى قدم اليرموك فوجد كل قائد على حدة بعسكره فقام فيهم خطيبا وحمد ا لله وأثنى عليه وقال: إن هذا يوم من أيام ا لله، يوم له ما بعده لا ينبغي فيه الفخر ولا البغي فأخلصوا جهادكم وأريدوا ا لله بعملكم، لا تقاتلوا قوما على نظام وتعبئة وأنتم على تساند وانتشار فإن من وراءكم لو يعلم علمكم حال بينكم وبين هذه، فاعملوا فيما لم تومروا به بالذي ترون أنه الرأي، قالوا فما الرأي؟ قال: إن أبا بكر لو علم بالذي كان ويكون لكان قد جمعكم، إن الذي أنتم فيه أشد على المسلمين مما قد غشيكم وأنفع للمشركين من أمدادهم وإن تأمير بعضكم على بعض لا ينقصكم عند ا لله ولا عند خليفة رسول ا لله ﷺ هلموا فلنتعاور الإمارة فليكن علينا بعضنا اليوم والآخر غدا والآخر بعد غد. فقبلوا ما أشار به وأمروه فاصبح خالد أمير المسلمين في ذلك اليوم.

فخرجت الروم في تعبئة[2] لم ير الراؤون مثلها قط؛ فوحَّد خالد جيوش المسلمين وجعلها جيشا واحدا وعبأه تعبئة لم تعبئها العرب قبل ذلك، فجعل القلب كراديس وأقام فيها أبا عبيدة، وجعل الميمنة كراديس وأقام عليها عمرو بن العاص وفيها شرحبيل بن حسنة، وجعل الميسرة كراديس وعليها يزيد بن أبي سفيان، وكان كلٌّ

---

(1) الشجا: الغصص، يريد أن المسلين ضاقوا بعدوهم وضيقوا عليه حتى كان بعضهم لبعض كالشجا في الحلق.

(2) تعبئة: تهيئة واستعداد للحرب.

كردوس يزيد على الألف، وجعل للجيش قاصا[1] يذكرهم وكان القاص أبا سفيان بن حرب؛ فكان يسير ويقف على الكراديس فيحرض الناس على القتال ويحثهم ويعدهم بالفتح ويرغبهم في الأجر ويعدهم بالنصر ـ كما مر ـ والتقى الفريقان واقتتلوا قتالا شديدا حتى حمي الوطيس فصابروا ورابطوا وأبلى أبطال المسلمين فيها بلاء حسنا حتى انهزم المشركون وانقلبوا على أعقابهم وولوا مدبرين، فتفرقوا في كل مذهب لا يلوون على شيء، وقتل الله صناديدهم وفرسانهم، وقتل أخو هرقل ملكهم، وكان من أكبر قوادهم، وفرت منهم أعداد هائلة فسقطوا في خندق وهلكوا فيه جميعا فكانوا كأنما هدم بهم حائط؛ وانتصر المسلمون انتصارا عظيما وغنموا غنائم كثيرة، كان سهم الفارس منها ألفا وخمسمائة، واستشهد من وجوههم أكثر من ثلاثة آلاف وجاءهم نعي أبي بكر وتولية عمر مكانه أثناء المعركة، وانتهت بالفتح على المسلمين؛ وإلى ذلك أشار الناظم بقوله: **وهو الممزق على السكوك**..إلخ.

ثم إن يزيد بن أبي سفيان هذا ولاه عمر بن الخطاب رضي الله عنه على فلسطين ونواحيها ولم يزل عليها من قبله إلى أن توفي في طاعون عمواس[2] سنة ثمان أو تسع عشرة للهجرة، ولما حضرته الوفاة استخلف أخاه معاوية بن أبي سفيان على عمله ـ وكان معه بالشام ـ فلما جاء الخبر إلى عمر رضي بذلك وأقره على عمله ولم يزل عليه حتى مات عمر فأقره عثمان بن عفان بعد عمر رضي الله

---

(1) قاصا: خطيبا يعتمد في وعظه على القصص.

(2) الطاعون: الوباء المعدي الذي ينتشر بسرعة، وعمواس: قرية بين الرملة وبيت المقدس، مات فيه نحو خمسة وعشرين ألفا.

عنهم، وإلى ذلك أشار بقوله: **واستخلف الحليم**.. إلخ.

ولما جاء البريد بموت يزيد بن أبي سفيان إلى عمر وقرأ الكتاب قال لأبي سفيان ـ وكان عنده ـ: أحسن الله عزاءك في يزيد ورحمه، فقال أبو سفيان: من وليت مكانه يا أمير المؤمنين؟ قال: أخاه معاوية، قال: وصلتك رحم يا أمير المؤمنين.

معاوية بن أبي سفيان

وأما الحليم فهو أبو عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس القرشي الأموي، أمه هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، ولد بالخيف من منى قبل الهجرة بخمس عشرة سنة ؛ أسلم يوم الفتح وألفه رسول الله ﷺ بمائة بعير وأربعين أوقية، وروي عنه أنه كان يقول: أسلمت عام عمرة القضية ولقيت رسول الله ﷺ ووضعت إسلامي عنده وقبل مني. وروي عنه أيضا قال: لما كتبوا القضية عام الحديبية وقع الإسلام في قلبي فذكرت ذلك لأمي فقالت: إياك أن تخالف أباك فتقطع عنه القوة، فأسلمت وأخفيت إسلامي وعلم أبي بإسلامي فقال لي: أخوك خير منك هو على ديني، فأظهرت الإسلام عام الفتح فلقيته صلى الله عليه وسلم فرحب بي.

وكان رضي الله عنه أحد كتاب الوحي لرسول الله ﷺ ، وكان يَكتب بينه وبين العرب، وقال فيه صلى الله عليه وسلم: «اللهم علم معاوية الكتاب والحساب وقه العذاب»[1] ؛ وكان على درجة عالية من الحلم والدهاء حتى ضرب به المثل في الحلم، وكان حكيما فصيحا بليغا، اشترك في حروب الردة في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه وأبلى فيها بلاء حسنا، وقيل ولاه أبو بكر قيادة جيش تحت إمرة أخيه يزيد بن أبي سفيان فكان على مقدمته في فتح مدينة صيدا وعرقة وجبيل

---

(1) رواه أحمد في مسنده.

وبيروت. ثم سكن مع أخيه يزيد في الشام. ولما حضرت يزيد الوفاة استخلفه على عمله الذي كان واليا عليه، فلما جاء الخبر لعمر رضي الله عنه رضي بذلك لأنه رأى فيه علما وحزما فأقره واليا على دمشق وكان عمر معجبا بسياسته وعقله وحلمه ؛ فقد روي أنه قال: ما رأيت أحدا بعد رسول الله ﷺ أسود[1] من معاوية، فقيل له: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي؟ فقال: كانوا والله خيرا منه وكان أسود منهم. وذم معاوية يوما عند عمر فقال: دعونا من ذم فتى قريش من يضحك في الغضب ولا ينال ما عنده إلا في الرضى ولا يؤخذ ما فوق رأسه إلا من تحت قدميه. وقال سعد بن أبي وقاص: ما رأيت أحدا بعد عثمان أقضى بحق من معاوية. وقال ابن عباس: ما رأيت رجلا أخلق بالملك من معاوية. وقال عمير بن سعد الأنصاري الأوسي: لا تذكروا معاوية إلا بخير فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اللهم اهد به» وفي رواية: «اللهم اجعله هاديا مهديا واهد به»[2].

ثم مكث معاوية واليا أربع سنين من خلافة عمر؛ وروي أن عمر قدم عليه مرة بالشام فاستقبله معاوية في موكب عظيم، فلما رأى ذلك قال: هذا كسرى العرب!، فلما دنا منه قال له: أنت صاحب هذا الموكب العظيم؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، قال: مع ما يبلغني عنك من وقوف ذوي الحاجات ببابك؟ قال: نعم مع ما يبلغك من ذلك يا أمير المؤمنين، قال: و لم تفعل هذا؟ قال: نحن بأرضٍ جواسيسُ العدوِّ بها كثير فيجب أن نظهر من عز السلطان ما نرهبهم به، فإن أمرتني فعلت وإن نهيتني انتهيت، فقال له عمر: ما سألتك عن شيء إلا تركتني في مثل رواجب الضرس، إن كان ما قلت حقا إنه لرأي أريب وإن كان باطلا إنه لخدعة أديب!، قال: فمرني يا

---

(1) أسود: أي أجل، يقال: هو أسود من فلان أي أجل منه، والأسود من القوم أجلهم (من السيادة).

(2) أخرجه الترمذي، وقيل قائل ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

أمير المؤمنين، قال: لا آمرك ولا أنهاك؛ فقال عمرو بن العاص: يا أمير المؤمنين ما أحسن ما صدر الفتى عما أوردته فيه، قال: لحسن مصادره وموارده جَشَّمْنَاهُ ما جَشَّمْنَا.

ولما توفي عمر وبُويع عثمان بن عفان أقر معاوية في ولايته وجمع له الشام كله، وجعل ولاة الشام تابعين له. ولما قتل عثمان وبويع علي بن أبي طالب رضي الله عنه نازعه الخلافة وبايعه أهل الشام. و لم يزل ينازع عليا إلى أن قتل علي رضي الله عنه فبايع أهل العراق ابنه الحسن بن علي و لم يمض إلا زمن يسير حتى بلغه أن معاوية سائر لقتاله في جيش من أهل الشام، فجهز جيشا من أهل الكوفة ومضى في طريقه إلى معاوية ببلاد الشام حتى جاوز المدائن، فطرأ على الحسن تفكير جعله يفضل السلم على الحرب فكتب إلى معاوية يفاوضه في الصلح وتبودلت بينهما الرسائل حتى توافقا؛ فتنازل الحسن رضي الله عنه عن الخلافة لمعاوية ابتغاء وجه الله تعالى وحقنا لدماء أمة محمد ﷺ ؛ فظهرت بذلك المعجزة النبوية في قوله صلى الله عليه وسلم: «إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين»[1]، فاجتمع المسلمون على خليفة واحد هو معاوية وتوحدت الكلمة وبايعه ابن عمر، وكان قد امتنع عن مبايعة علي قبله. وقد قيل لنافع ما بال ابن عمر لم يبايع عليا وبايع معاوية؟ فقال: كان ابن عمر لا يعطي يدا في فرقة ولا يمنعها من جماعة و لم يبايع معاوية حتى اجتمعوا عليه ثم استقام الأمر.

وبذلك انتهى عصر الخلفاء الراشدين وقامت الدولة الأموية في الشام على يد مؤسسها الأول معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما. وروي أنه كان يقول: أنا

---

(1) تقدم تخريجه.

أول الملوك ؛ وكان ذلك في أواخر ربيع الثاني سنة إحدى وأربعين، وسمي ذلك العام: عام الجماعة. وكان معاوية قد استمر حكمه في الشام أربعين سنة، مكث أميرا عليه عشرين سنة ثم خليفة عشرين سنة[1].

وكانت لمعاوية منقبة في الولاية لم تكن لغيره، فقد تولى بعض عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن تصير الخلافة إلى أبي بكر؛ ثم ولاه أبو بكر ضمنا، لأنه ولى أخاه يزيد فاستخلفه يزيد ـ وقد مر أن أبا بكر ولاه قيادة بعض الجيوش تحت إمرة يزيد ـ ولما استخلفه يزيد أقره عمر لتعلقه بولاية أبي بكر لأجل استخلاف واليه له فتعلق عثمان بعمر فأقره ؛ فكان معاوية بهذا قد تولى لرسول الله ﷺ ثم لأبي بكر بعده ثم لعمر بعده ثم لعثمان بعده. فما أوثق عرى هذه السلسلة التي انفرد بها معاوية رضي الله عنه دون غيره وما أحسنها.

وكان معاوية أحد عظماء الفاتحين في الإسلام، وكانت له عدة فتوحات في خلافتي عمر وعثمان، وفي عهده هو فقد بلغت فتوحاته المحيط الأطلسي[2]، وافتتح عامله بمصر بلاد السودان سنة ثلاث وأربعين، وكان رضي الله عنه أول مسلم

---

(1) ولي الشام لعمر أربع سنين، ولعثمان اثنتي عشرة سنة ـ مدة خلافته ـ وقاتل عليا خمس سنين، وخلص له الأمر تسع عشرة سنة وثمانية أشهر، كان فيها مُلك الدنيا تحت حكمه من حدود بخارى إلى القيروان من المغرب، ومن أقصى اليمن إلى حدود قسطنطينية، وملك اقليم الحجاز واليمن والشام ومصر والمغرب والعراق والجزيرة وأرمينية وأذربيجان والروم وفارس وخراسان والجبال وما وراء النهر، وكان قد دعا له النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «اللهم مكنه في البلاد» فنال الخلافة ؛ وكان عظيم الهيبة مليح الشكل وافر الحشمة، يلبس الثياب الفاخرة والعدة الكاملة، ويركب الخيل المسومة، وكان محببا إلى الرعية حازما شجاعا سيدا خليقا للملك، يقال: انفرد بمملكة الدنيا معاوية بن أبي سفيان وعبد الملك بن مروان. وكان معاوية جوادا كثير البذل والعطاء كبير الشأن، نقش خاتمه: "لكل عمل ثواب".

(2) ويعرف أيضا بـ"الاطلنطيكي"، وهو المحيط الواقع بين أروبا وإفريقيا في الشرق وأمريكا في الغرب.

ركب بحر الروم للغزو، وفُتح في أيامه كثير مـن جزائـر يونـان والدردنيـل، وحـاصر القسطنطينية برا وبحرا سنة ثمان وأربعين، وهو أول من جعل دمشق مقر خلافة. ولما احتضر كان ابنه يزيد إذ ذاك غائبا فكتب إليه بحاله، فلما أتاه الرسول أنشأ يقول:

جاء البريـــد بقرطاس يخـــث به　　فأوجـــس القلب من قرطاسه فزعا

قلنا لك الويل ما ذا في صحيفتكـــم　　قالوا: الخليفـــة أمسى مثبتا وجعا

فمادت الأرض أو كادت تميـــد بنا　　كأن ثهـــلان من أركانـــه انقطعا

أودى ابن هنـــد وأودى المجد يتبعه　　كانا جميعا فظـلا يســـرعان معا ..إلخ.

فلما قدم عليه يزيد قال له معاوية: يا بني إني صحبت رسـول ا لله ﷺ فخـرج يومـا لحاجة فاتبعته بإداوة[1] فكساني أحد ثوبيه الذي كان على جلده فخبأته لهـذا اليـوم، وأخذ رسول ا لله ﷺ من أظفاره وشعره ذات يوم فأخذته وخبأته لهذا اليوم فإذا أنـا مت فاجعل ذلك القميص دون كفني مما يلي جلـدي وخـذ ذلـك الشـعر والأظفـار فاجعله في فمي وعلى عيني وخلوا بيني وبين أرحم الراحمين، ومات معاوية في رجب سنة ستين بدمشق ودفن بها. ولـه مـن الولـد عبـد الرحمـن ويزيـد وعبـد ا لله وهنـد ورملة وصفية وعائشـــة.

ولما أنهى الناظم الكلام على يزيد بن أبي سفيان ـ كما قال: **هنا انتهى يزيـد** ـ وعلى أبيه صخر وأخيه معاوية على سبيل الاستطراد، شرع يتكلم على زياد بن أبيه الذي استلحقه معاوية، فقال رحمه ا لله:

...　　... أَمَّا الْمُلْحَـــقُ　　جَـــرَّاءَ أَنَّهُ بَلِيـــغٌ مُفْلِـقُ

فَهْـــوَ زِيَادُ بْنُ أَبِيــهِ وَيَـدُهْ　　كَفٌّ أَذَاهَا بَعْـــضُ مَنْ يُهَدِّدُهْ

---

(1) الإداوة (بالكسر): المطهرة وهي إناء صغير يحمل فيه الماء جمعه أَدَاوَى.

إِلْحَاقُــــهُ أَوَّلُ حُكْــمٍ غُيِّرَا   وَلِدَهَاهُ فِي الْبِــلَادِ أُمِّــرَا

قوله **أما**: هي بفتح الهمزة حرف تفصيل وهي قائمة مقام أداة الشرط وفعلِه، ولهذا فسرها سيبويه بـ"مهما يك من شيء"، والمذكور بعدها جواب الشرط فلذا لزمتها الفاء، ولكنها أخرت إلى الخبر؛ وقد أشار إلى ذلك ابن مالك بقوله:

أما كمهما يك من شيء وَفَا   لِتِلْوِ تِلْوِهَا وُجُوباً أُلِفَا

والملحق (بفتح الحاء المهملة): الدعي الملصق[1]، **واستلحقه**: ادعاه ونسبه إلى نفسه. وجواب **أما** جملة قوله **فهو زياد**[2] **بن أبيه**. **وجراء** (بالنصب): مفعول لأجله، يقال: فعلت كذا جراءك أي لأجلك، أي الملحق من أجل أنه بليغ؛ **والبليغ**: الفصيح جمعه بلغاء. **والمفلق**: الحاذق بالأمر. والضمير في **أبيه** وفي **يده** عائد على **زياد**، وإنما قيل **ابن أبيه** للاختلاف فيه ولعدم تحقق من ينسب إليه، واشتهر أيضا *بابن سمية* وهي أمه. قوله **ويده**: مبتدأ خبره جملة **كف أذاها**.. إلخ، **وكف**: منع، **وأذاها**: مفعول به لكف، أي كف ضررها. **وبعض** (بالرفع): فاعل كف. **ويهدده**: أي يخوفه ويتوعده بالعقوبة. **وإلحاقه**: مبتدأ. **وأول حكم**: مبتدأ أيضا. **وغير** (بالبناء للمفعول): خبره، والجملة خبر عن قوله **إلحاقه**، أي أول قضاء غير فيه حكم الإسلام. قوله **ولدهاه**: أي ولأجل جودة رأي زياد هذا وحذقه استعمله الصحابة على بعض البلدان. **وأمر** (بتشديد الميم والبناء للمفعول): وُلي الإمارة وهي منصب الأمير.

يعني أن زياداً بن أبيه استلحقه آل صخر بن حرب لأجل ما عرف من فصاحته وبلاغته وأن إلحاقه كان أول قضاء يخالف صريح الحديث: «الولد للفراش وللعاهر

---

(1) الدعي والملصق: الذي يدعي غير أبيه والمتهم في نسبه، جمعه: أدعياء.

(2) زياد: هو بكسر الزاي وتخفيف الياء. [القاموس والبدر العيني].

الحجر»[1]، وأنه لوفور عقله ودهائه وحزمه وحسن سياسته وإحكام ضبطه لما يتولاه، ولاه عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب ومعاوية رضي الله عنهم.

زياد ابن أبيه وذكر استلحاقه

وزياد بن أبيه هذا هو أبو المغيرة زياد بن أبيه، أمه سمية جارية الحارث بن كِلَدَة[2] الثقفي طبيب العرب وأخوا زياد لأمه أبو بكرة ونافع. روى الحافظ ابن عساكر أن سمية هذه كانت لدهقان[3] من دهاقين الفرس فاشتكى من مرض به فدعا الحارث بن كلدة الثقفي - وكان قد قدم على كسرى - فعالجه حتى برئ فوهب له سمية هذه فولدت أبا بكرة واسمه مسروح أو نفيع فلم يُقِر به ثم ولدت نافعا فلم يُقِرَّ به، فلما نزل أبو بكرة إلى النبي ﷺ قال الحارث بن كلدة لنافع إن أخاك مسروحا عبد وأنت ابني فأقرَّ به يومئذ وزوج الحارثُ سمية من غلام له يقال له عبيد الثقفي فولدت زيادا على فراشه وتبناه، وهم بالطائف؛ فكان يعرف بزياد بن عبيد وبزياد بن سمية وزياد بن أبيه وزياد بن أمه[4]. واختلف في وقت مولده فقيل ولد سنة الهجرة وقيل يوم بدر وقيل عام الفتح وليست له صحبة ولا رواية.

ثم نشأ زياد فكان رجلا عاقلا في دنياه داهية مفوها خطيبا، روي في الاستيعاب

---

(1) أخرجه البخاري ومسلم.

(2) كلدة بن عمرو بن علاج بن أبي سلمة بن عبد العزى بن غِيرَة بن عوف بن ثقيف مختلف في صحبته، وهي غير سمية أم عمار بن ياسر جارية آل أبي حذيفة المخزوميين التي قتلها أبو جهل.

(3) الدهقان (بالضم والكسر): رئيس الإقليم، ويجمع بدهاقنة (فارسية).

(4) ثم زوج الحارث بن كلدة جاريته سمية هذه من عبد له اسمه الأزرق فولدت له سلمة بن الأزرق، وبنو الأزرق هؤلاء لهم صيت وذكر بالمدينة، وقد انتسبوا إلى غسان، وكان جدهم الأزرق هذا من العبيد الذين تدلوا من الطائف وأتوا النبي صلى الله عليه وسلم وأسلموا وعَتَقوا.

وغيره عن ابن عباس أن عمر بن الخطاب بعث زيادا مرة في إصلاح فساد وقع في اليمن فرجع من وجهته وخطب خطبة لم يسمع الناس مثلها، فقال عمرو بن العاص: أما وا لله لو كان هذا الغلام قرشيا لساق العرب بعصاه، فقال أبو سفيان: وا لله إني لأعرف من وضَعه في رحم أمه ولو شئت لسميته ولكني أخاف درة[1] عمر بن الخطاب، فقال له علي بن أبي طالب رضي ا لله عنه: ومن هو يا أبا سفيان؟ قال: أنا، قال: مهلا يا أبا سفيان.. فقال أبو سفيان:

أما وا لله لولا خوف شخص[2] يـــراني يا علي من الأعادي

لأظهر أمـــره صخر بن حرب ولم يُكْـــنِ المقالـــة عن زياد

فقـــد طالـــت مجاملتي ثقيفا وتركي فيهـــم ثمـــر الفؤاد

وكان هذا مما حمل معاوية على استلحاقه. وقد قال الشعبي: ما رأيت أحدا أخطب من زياد، وقال قبيصة بن جابر: ما رأيت أخصب ناديا ولا أكرم مجلسا ولا أشبه سريرة بعلانية من زياد، وإلى ذلك أشار الناظم بقوله: **أما الملحق جراء أنه بليغ**.. إلخ. وكان على درجة عالية من وفور العقل وحسن السياسة والضبط لما يتولاه، ويكفي دلالة على حزمه وكفاءته وشهرته بذلك عند أهل عصره أنه كان من عمال عمر بن الخطاب، فقد استعمله على بعض صدقات البصرة، وقد روي أنه اشترى أباه عبيدا الثقفي فأعتقه فكانوا يغبطونه على ذلك[3]. ونظر إليه عمر يوما في هيئة حسنة وعليه ثياب بيض من كتان فقال له: ما هذه الثياب؟ فأخبره، فقال: كم أثمانها؟ فأخبره بشيء يسير وصَدَقَه، فقال له: كم عطاؤك، قال: ألفان، فقال ما

---

(1) الدرة: السوط يضرب به، ودرة عمر سوطه.

(2) يعني به عمر بن الخطاب رضي ا لله عنه.

(3) غبطه غبطا وغبطة: عظم في عينه وتمنى مثل حاله دون أن يريد زوالها عنه.

صنعت في أول عطاء خرج لك؟ قال: اشتريت به والدتي فأعتقتها واشتريت بالثاني ربيبي عبيدا فأعتقته، فقال عمر: وُفِّقْتَ، وسأله عن الفرائض والسنن والقرآن فوجده عالما بالقرآن وأحكامه وفرائضه فسيره إلى البصرة واستعمله على بعض صدقاتها وأمر أمراءها أن يتبعوا رأيهُ؛ ثم عزله وقال له: ما عزلتك عن خِزْيَة[1] ولكني كرهت أن أحمل الناس على فضل عقلك. وقد كان زياد يضرب به المثل في الدهاء حتى قيل فيه: دهاة العرب: معاوية، في الحلم والأناة، وعمرو بن العاص في المعضلات، والمغيرة بن شعبة في المبادهة[2]، وزياد بن أبيه لكل كبيرة وصغيرة. وكان يقال زياد يعد لصغار الأمور وكبارها، وقد سئل بعضهم عنه وعن الحجاج أيهما كان أقوم لما يتولاه؟ فقال: إن زيادا وَلِيَ العراق عقب فتنة واختلاف أهواء فضبط العراق برجال العراق وجبي مال العراق إلى الشام وساس الناس فلم يختلف عليه رجلان، وإن الحجاج ولي العراق فعجز عن حفظه إلا برجال الشام وأمواله وكثرت الخوارج عليه والمخالفون له، فحكم لزياد.

وقد مكث زياد بن أبيه في البصرة مدة كاتبا لأبي موسى الأشعري ثم لعبد الله بن عامر بن كريز ثم للمغيرة بن شعبة ثم لعبد الله بن عباس، ولما صار الأمر إلى علي بن أبي طالب كرم الله وجهه انضم إليه فأراد علي أن يوليه البصرة فأشار عليه زياد أن يوليها ابن عباس ووعده أن يشير إليه ويعينه، ثم وجه علي زيادا إلى فارس واستعمله عليها فضبط البلاد وأصلح الفساد وحمى وجبى. فلما رأى معاوية ذلك كاتب زيادا يريد مداراته ويروم إفساده على علي وأطمعه في أن يلحقه بأبي سفيان،

---

(1) الخزية (بالكسر): الخصلة التي يخزى فيها الإنسان وخـزي خِزية: وقع في بلية وشر فذل بذلك وهان.

(2) المبادهة: المفاجأة وجودة القوْل وحسنه على البديهة.

فلم يفعل زياد ووجه بكتابه إلى علي، فكتب إليه علي: إنما وليتك ما وليتك وأنت أهل لذلك عندي ولن تدرك ما تريد مما أنت فيه إلا بالصبر واليقين، وإنما كانت من أبي سفيان فلتة زمن عمر لا تستحق بها نسبا ولا ميراثا وإن معاوية يأتي المرء من بين يديه ومن خلفه فاحذره ثم احذره والسلام. فلما قرأ زياد الكتاب قال: شهد لي أبو الحسن ورب الكعبة فكان ذلك مما جرَّأ معاوية وزيادا على ما صنعا بعد. ولكنَّ زيادا لم يزل واليا لعلي على بعض أعمال فارس إلى أن قتل علي وسلَّم ابنُه الحسنُ الخِلافةَ إلى معاوية.

ولما توفي علي دعاه معاوية فامتنع زياد وتحصن في قلاع فارس. قال ابن حزم في الفصل: "امتنع زياد وهو فقعة القاع لا عشيرة له ولا نسب ولا سابقة ولا قدم فما أطاقه معاوية إلا بالمداراة والوعد بالاستلحاق والتولية"، فعند ذلك قدم زياد عليه فكان عضده الأقوى فولاه العراقين: البصرة والكوفة، ولم يجمعا قبله لغيره فسار زياد فيهما سيرته المشهورة وساسهما سياسته المذكورة؛ ثم كتب إلى معاوية يقول: إني ضبطت لك أمر العراق بيميني وبقيت شمالي فارغة، يعرض له بالحجاز يريد أن يضمه إليه. فلما بلغ ذلك أهل المدينة قام عبد الله بن عمر وأهل المدينة في مسجد رسول الله ﷺ وتوجهوا إلى الله يضرعون إليه في صرفه عنهم لما علموا فيه من الظلم والعسف[1]، وقال ابن عمر: اللهم اشغل عنا يده، فعرضت له قرحة في شماله كانت سبب موته. وإلى ذلك أشار الناظم بقوله: **ويده كف أذاها بعض من يهدده.**

وروي أنه لما حضرته الوفاة قال لبنيه: ليت أباكم كان راعيا في أدناها وأقصاها ولم يقع في الذي وقع فيه؛ ثم توفي بالكوفة في شهر رمضان سنة ثلاث وخمسين،

---

(1) العسف: الأخذ بالعنف والقوة.

وصلى عليه عبد الله بن خالد بن أسِيد وكان قد أوصى إليه بذلك، ودفن بمكان يعرف بالثوية. ولما سمع ابن عمر بموته قال: "اذهب إليك ابن سمية فقد أراح الله منك". وكان زياد طويلا جميلا له قدر وجلالة عند أهل الدنيا، ومع ذلك كان أحول: في إحدى عينيه انكسار؛ وفي ذلك يقول الفرزدق مخاطبا للحجاج:

وقبلك ما أعييت كاسر عينه زيادا فلم تعلق علي حبائله

وحاصل ما أشار إليه الناظم من استلحاق معاوية رضي الله عنه لزياد بن أبيه هذا، أنه لما كانت سنة أربع وأربعين أراد استلحاقه، فشهد له بذلك مالك بن ربيعة السلولي، وزياد بن أسماء الحرمازي، والمنذر بن الزبير، وجويرية بنت أبي سفيان في جماعة، وضم إلى ذلك قول أبي سفيان المتقدم: "والله إني لأعرف من وضعه في رحم أمه"، وقول علي بن أبي طالب كرم الله وجهه لزياد: "إنما كانت من أبي سفيان فلتة زمن عمر لا تستحق بها نسبا ولا ميراثا"، وما رواه ابن عساكر من أن أبا سفيان قد سار إلى الطائف فنزل على رجل يقال له أبو مريم السلولي فأتاه بسمية فوقع عليها فولدت زيادا؛ عند ذلك قام معاوية فخطب واستلحق زيادا بنسبه وضمه إلى السفيانيين وزوج بنته من محمد بن زياد، فتلكم زياد فقال: إن كان ما شهد به الشهود حقا فالحمد لله وإن يكن باطلا فقد جعلتهم بيني وبين الله. ولكن الكثير من الصحابة والتابعين أنكروا ذلك على معاوية محتجين بحديث: «الولد للفراش وللعاهر الحجر»[1]، وقد مر أن سمية ولدت زيادا على فراش عبيد الثقفي وأنه تبناه، وورد أن عائشة رضي الله عنها قالت لمعاوية في ذلك ما أشهدت الشهود ولكن ركبت الصليعاء، تعني الداهية الشديدة.

---

(1) تقدم تخريجه قريبا.

ولما استلحقه دخل عليه بنو أمية وفيهم عبد الرحمن بن الحكم فقال: يا معاوية لو لم تجد إلا الزنج لاستكثرت بهم علينا قلة وذلة، فأقبل معاوية على مروان وقال له: اخرج عنا هذا الخليع، فقال مروان: والله إنه لخليع ما يطاق؛ فقال معاوية: والله لولا حلمي وتجاوزي لعلمت أنه يطاق.. ألم يبلغني شعره في زياد:

ألا أبلغ معاوية بن صخر ... لقد ضاقت بما تأتي اليدان

أتغضب أن يقال أبوك عف ... وترضى أن يقال أبوك زان؟!

فأشهد أن رحمك من زياد ... كرحم الفيل من ولد الأتان

وأشهد أنها حَمَلَت زيادا ... وصخر من سمية غير دان

وقيل هذه الأبيات ليزيد بن مفرغ الحميري الذي قال أشعارا كثيرة في هجو زياد وبنيه لما لقي من عباد وعبيد الله ابني زياد ـ كما يأتي.

وقول الناظم: **إلحاقه أول حكم غيرا**.. أشار به إلى ما في الحلة السيراء من أن استلحاق معاوية لزياد بن عبيد كان أول قضية غير فيها حكم النبي ﷺ في الإسلام، لأنه قال: «الولد للفراش وللعاهر الحجر»[1]، وقد ولد زياد على فراش عبيد الثقفي، ولما روي أيضا عن سعيد بن المسيب أنه قال: أول قضاء كان في الإسلام بالباطل استلحاق زياد. ولما بلغ أبا بكرة استلحاق معاوية لزياد ورضا زياد بذلك ـ وكان أخاه لأمه كما مر ـ حلف لا يكلمه أبدا وقال: هذا زنّى أمه وانتفى من أبيه، ولا والله ما علمت سمية رأت أبا سفيان قط.. ويل أمه ما يصنع بأم حبيبة زوج النبي ﷺ:إن رآها فيا لها من مصيبة يهتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمة عظيمة، وإن حجبته فضحته. وروي أن زيادا حج في زمن معاوية ودخل المدينة فأراد الدخول على أم حبيبة فذكر قول أبي بكرة فقال: جزى الله أبا بكرة خيرا

(1) أخرجه البخاري ومسلم ـ كما مر.

فما يدع النصيحة على أي حال، ثم انصرف عن ذلك؛ وقيل إن أم حبيبة حجبته و لم تأذن له في الدخول عليها. وا لله تعالى أعلم.

ثم قال رحمه ا لله وعفا عنه:

وَعُتْبَــةُ فَرَّ إِلَى مُعَاوِيَــهْ مِنْ وَقْعَةِ الْجَمَلِ ذَاتِ الدَّاهِيَهْ
لِكَوْنِهِ شَقِيقَـــهُ جَعَلَـــهُ مَكَانَ عَنْبَسَـــةَ إِذْ عَـــزَلَهُ
وَلِمُعَاوِيَـــةَ عَبْـــدُ اللَّهِ لَيْسَ بِآمِـــرٍ وَلاَ بِنَـــاهِ

عتبة: مبتدأ خبره جملة **فر إلى معاوية** .. إلخ. **ووقعة الجمل**: هي الوقعة المشهورة والملحمة العظيمة التي كانت بين علي بن أبي طالب من جهة وعائشة وطلحة والزبير من جهة أخرى. **وذات الداهية** (بالجر): صفة **لوقعة**، **والداهية**: الأمر المفظع، جمعها دواه ؛ ووصف الناظم هذه الوقعة بالداهية لكونها كانت نكبة على المسلمين والإسلام ووهنا فيه، وقد مات فيها أكثر من عشرة آلاف فيهم كثير من وجوه الصحابة وأعلام المسلمين وذوي النجدة.

يقول: ومن ولد أبي سفيان بن حرب عتبة بن أبي سفيان شقيق معاوية الذي فر إليه بالشام من وقعة الجمل فولاه الطائف مكان أخيه عنبسة بن أبي سفيان. وعتبة هذا هو أبو الوليد عتبة بن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس القرشي الأموي، أمه هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، ولد على عهد رسول ا لله ﷺ وكان رجلا عاقلا مهيبا فصيحا خطيبا، حتى قيل إنه لم يكن في بني أمية أفصح منه، (وقد قيل الخطباء في بني أمية عتبة بن أبي سفيان وعبد الملك بن مروان). شهد عتبة هذا رضي ا لله عنه وقعة الجمل مع عائشة وطلحة والزبير بالبصرة ثم فر منها إلى الشام على جواد له سابق يسمى الفيض، وفي ذلك يقول عبد الرحمن بن الحكم يُعَيره:

لعمـــرك والخطُوب لها دواع　　لقد أبعـــدت يا عُتْب الفرارا
أإن أعطيـــت سابقة ومهرا　　يسمى الفيـــض ينهمر انهمارا
تركـــت السادة الأخيار لما　　رأيـــت الحرب تستعر استعارا

وكان قد فر مع عتبة هذا عبد الرحمن ويحيى ابنا الحكم، فـروا يـوم الهزيمـة وقـد شُجِّجوا[1] فلقوا عصمة بن أبيرٍ التيمي ـ من تيم الرباب ـ فقال: هل لكم في الجوار؟ قالوا: نعم، قال: فأنتم في جواري إلى الحول؛ فمضى بهم وحماهم وقام عليهم حتـى برئوا، ثم قال: اختاروا أحب بلد إليكـم أبلغكمـوه، قـالوا: الشـام؛ فخـرج بهـم في أربعمائة راكب من تيم الرباب حتى توغلوا في بلاد كلب قالوا: قـد وفيـت ذمتـك وقضيت الذي عليك فارجع، فرجع. وفي ذلك يقول الشاعر:

وفَى ابنُ أُبيْرٍ والرماح شـوارع　　بآل أبي العاصـي وفاء مذكـرا　　.. إلخ.

وكان معاوية قد ولى أخاه عنبسة بن أبي سفيان علـى الطـائف ثـم عزلـه وولى مكانه عتبة هذا، فقال عنبسة في ذلك:

وكنا لصخـر صالحا ذاتُ بيننا　　جميعا فأمســـت فرقت بيننا هند

يريد هند بنت عتبة بن ربيعة أم معاوية وعتبة ابني أبي سفيان، وكانت أم عنبسة بـن أبي سفيان عاتكة بنت أبي أُزَيْهِر الأزدية، وهي أيضا أم أخيه محمد بن أبي سـفيان. وإلى ذلك أشار بقوله **لكونه شقيقه**.. إلخ. وحج عتبة بـن أبـي سـفيان هـذا بالنـاس سنتي إحدى وأربعين واثنتين وأربعين وولاه معاوية أيضا مكة؛ وكان عتبـة هـذا قـد أشار على أخيه معاوية أن يستعين على أمره بعمرو بن العاص وأبى عمرو إلا بشرط أن يستقل بمصر فتلكأ[2] معاوية، فقال عتبة: عمرو خير لك من مصر، فرضي معاوية

(1) شججوا (بالبناء للمفعول): أي كثرت فيهم الشجاج، وهي الجراحات في الرأس والوجه.
(2) تلكأ عن الأمر: أبطأ وتوقف.

وأمره عليها. و لم يزل عليها إلى أن توفي ثم جعل معاويةُ عليها مكانه عتبة هذا، فقام فيها خطيبا وقال: يا أهل مصر خف على ألسنتكم مدح الحق ولا تأتونه وذم الباطل وأنتم تفعلونه كالحمار يحمل أسفارا يُثقله حملها ولا ينفعه علمها، وإني لا أداوي داءكم إلا بالسيف ولا أبلغ السيف ما كفاني السوط ولا أبلغ السوط ما صلحتم على الدرة وأبطأ عن الأولى إن لم تسرعوا إلى الآخرة فالزموا ما ألزمكم ا لله لنا تستوجبوا ما فرض ا لله لكم علينا. ثم أقام عتبة واليا فيها، ثم خرج إلى الاسكندرية مرابطا وبني دارا في حصنها القديم وتوفي بها.

هذا وكان لأبي سفيان بن حرب من الولد سبعة وثامنهم زياد بن أبيه ـ المتقدم ذكره ـ ونسوة وهم حنظلة وأم حبيبة وأميمة؛ أمهم صفية بنت أبي العاص ـ كما مر ـ ومعاوية وعتبة وجويرية وأم الحكم؛ أمهم هند بنت عتبة بن ربيعة، ويزيد؛ أمه زينب بنت نوفل من جذل الطعان، وعنبسة ومحمد ـ وذكرا قريبا ـ وعمرو وصخرة وهند؛ أمهم صفية بنت أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس.

ثم ذكر الناظم بعض أولاد معاوية بن أبي سفيان. وأشهر أولاده يزيد الذي يعرف بالفويسق، أمه ميسون بنت بحدل الكلبية؛ كان شاعرا فصيحا مولعا باللهو والنساء والصيد، بايع له معاوية بالخلافة من بعده، فولي الخلافة بعد أبيه سنة ستين ومكث فيها ثلاث سنين؛ في السنة الأولى من خلافته وقعة كربلاء: قتل الحسين ومن معه من أهل البيت وغيرهم.. وفي السنة الثانية وقعة الحرة: قتل كثير من الصحابة واستباحة المدينة أياما.. وفي السنة الثالثة غزا الكعبة يريد قتل جار البيت عبد ا لله بن الزبير، ولكنه هلك والحمد لله قبل أن يصل جيشه إلى مكة؛ ولما علم قائد الجيش بوفاته عاد بجيشه إلى الشام.

ومن ولد معاوية بن أبي سفيان عبد ا لله بن معاوية، أمه فاختة بنت قرظة بن عبد عمرو بن نوفل بن عبد مناف كان مضعفا أي ضعيف العقل والرأي و لم يكن

له تدخل في شؤون الإمارة. وإلى ذلك أشار الناظم بقوله: **ليس بآمر ولا بناه**. وعبد الله بن معاوية هذا هو والد عبْدة بنت عبد الله زوج هشام بن عبد الملك، التي يقول فيها عمر بن أبي ربيعة المخزومي:

أعبدة لا ينسى مودتك القلب	**ولا هو يسليه رجاء ولا كرب**
ولا قول واش كاشح ذي عداوة	**ولا بعد دار إن نأيت ولا قرب**

وعبدة بنت عبد الله هذه هي المذبوحة، ذبحت أيام عبد الله بن محمد بن عَليٍّ بن عبد الله بن عباس.

تنبيه: لقد تكرر ذكر الناظم في هذا النظم لوقعة الجمل تصريحا ـ كما هنا ـ وتلويحا كما مر في قوله: **وأنجبت بصاحب اليد التي** .. إلخ وغير ذلك، فكان من تمام الفائدة أن أذكر ملخصا عن سبب وقعة الجمل وبعض ما جرى فيها، فأقول:

وقعة الجمل

لما قتل عثمان رضي الله عنه اجتمع أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار، وفيهم طلحة والزبير، وأتوا عليا وقالوا: لا بد للناس من إمام وأرادوا أن يبايعوه فامتنع وقال: بايعوا من شئتم غيري ومن اخترتم رضيته وإني أن أكون لكم وزيرا خير من أن أكون أميرا، فقالوا: ما نختار غيرك وألحوا عليه؛ فلما لم يجد بدا من ذلك قال: اخرجوا إلى المسجد فإن بيعتي لا تكون خفية ولا تكون إلا في المسجد؛ فبايعه جل من حضر. ولما تمت البيعة ورجع إلى داره دخل عليه طلحة والزبير في جماعة يطلبون منه أن يأخذ من قتلة عثمان، فقال: إني لست أجهل ما تعلمون ولكن كيف أصنع بقوم يملكوننا ولا نملكهم قوم قد ثارتْ معهم عبدانكم وثابت إليهم أعرابكم وهم خلالكم يسومونكم ما شاءوا فهل ترون موضعا للقدرة

على شيء مما تريدون؟ إن الناس من هذا الأمر إن حُرِّك على ثلاث فرق: فرقة لا ترى ما ترون، وفرقة ترى ما لا ترون، وفرقة لا ترى هذا ولا هذا، فاهدأوا عني حتى يهدأ الناس وتقع القلوب مواقعها وتؤخذ الحقوق ثم عودوا. فتفَرق القوم بعضهم يقول وا لله لئن ازداد الأمر لم نقدر على الانتصار من هؤلاء الأشرار ولترك هذا إلى ما قال علي أمثل، وبعضهم يقول نقضي الذي علينا ولا نؤخره وإن عليا لمستغن برأيه..

فبدأت الأمور تتحرك والأحوال تضطرب ويَعمل فيها من وراء حجاب بعضُ الأشرار الذين تجمعوا من سائر الأمصار لقتل عثمان، ودب الخلاف والوهن، وهرب بعض بني أمية وغيرهم إلى الشام وسار بعض الناس إلى مكة. وقد كانت أم المؤمنين عائشة رضي ا لله عنها قد خرجت من المدينة وعثمان محصور بها وقدمت مكة للحج ثم رجعت إلى المدينة، فلما كانت بسرف لقيها عبد بن أم كلاب فأخبرها بقتل عثمان واستباحة قتلته للمدينة أياما وبمبايعة الناس لعل، فقالت: ردوني إلى مكة؛ وانصرفت وهي تقول: قتل وا لله عثمان مظلوما، وا لله لأطلبن بدمه. وسارت وهي لا تقول شيئا حتى نزلت على باب المسجد فقصدت للحجر وسترت فيه واجتمع الناس حولها، فقالت: أيها الناس إن الغوغاء من أهل الأمصار وأهل المياه وعبيد أهل المدينة اجتمعوا على هذا الرجل المقتول ظلما بالأمس ونقموا عليه، فلما لم يجدوا حجة ولا عذرا بادروا بالعدوان فسفكوا الدم الحرام واستحلوا البلد الحرام والشهر الحرام وأخذوا المال الحرام، وا لله لإصبع من عثمان خير من طباق الأرض أمثالهم؛ فكان أول متكلم بعدها عبد ا لله بن عامر الحضرمي، وكان عامل عثمان على مكة فقال: أنا أول طالب؛ وتبعه بنو أمية الذين أتوا من المدينة هرابا وغيرهم من سائر أهل مكة. ثم قدم عليهم طلحة والزبير من المدينة فقالت عائشة: ما وراءكما؟ فقالا: إنا تحملنا هرابا من المدينة من غوغاءَ وأعرابٍ وفارقنا قوما حيارى.

فاجتمعوا وأخذوا يتداولون ويتشاورون أين يذهبون فاتفق رأيهم على الذهاب إلى البصرة، وكانت عائشة تنوي العودة إلى المدينة، فقالوا لها: يا أم المؤمنين دعي المدينة واشخصي معنا إلى البصرة فتنهضيهم كما أنهضت أهل مكة، ثم تقعدين فإن أصلح الله الأمر كان الذي تريدين وإلا احتسبنا وبذلنا الجهد، فرأت أن الأمر لا يكون مستقيما إلا بها، فقالت: نعم. ثم نادى المنادي إن أم المؤمنين وطلحة والزبير شاخصون إلى البصرة فمن كان يريد إعزاز الإسلام والطلب بثأر عثمان فليلحق بهم، ثم نادوا بالرحيل ولحقهم الناس فكانوا في ثلاثة آلاف رجل ؛ فشيعهم أهل مكة وبكوا، فلم ير يوم كان أكثر باكيا وباكية من ذلك اليوم حتى سمي بعد بيوم النحيب. وأعطى يعلى بن منية عائشة جملا كان قد اشتراه بثمانين دينارا فركبته وارْتحلوا جميعا نحو البصرة حتى كانوا بفنائها نزلوا، وكتبت عائشة إلى رجال من أعيان أهل البصرة بما جاءت له هي ومن معها، فبعث إليهم عثمان بن حنيف والي علي على البصرة عمران بن حصين وأبا الأسود الدؤلي ليعرفا حقيقة ما جاء بهم فقالت عائشة: "إن الغوغاء ونزاعَ القبائل[1] غزوا حرم رسول الله ﷺ ونالوا من قتل إمام المسلمين بلا ترة ولا عذر فاستحلوا الدم الحرام وسفكوه وانتهبوا المال الحرام وأحلوا البلد الحرام والشهر الحرام ومزقوا الأعراض والجلود وأقاموا في دار قوم كانوا كارهين لمقامهم ضارين مضرين غير نافعين ولا متقين لا يقدرون على امتناع ولا يأمنون، فخرجتُ في المسلمين أعلمهم ما أتى هؤلاء القوم وما فيه الناس وراءنا وما ينبغي لهم أن يأتوا في إصلاح هذا وقرأت: ﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾[2] فهذا شأننا إلى

(1) الغوغاء: السفلة من الناس والمتسرعون إلى الشر. ونزاعَ القبائل: أي غرباءَها، جمع نازع.

(2) النساء الآية: 114.

معروف نأمركم به ومنكر ننهاكم عنه". فكان أهل البصرة على قسمين: قسم مال إلى عائشة ومن معها، وقسم مع عثمان بن حنيف والي علي. ثم خرج إليها من أهل البصرة من أراد أن يخرج ويكون معها؛ فاجتمعوا بالمربد[1] حتى غصَّ بالناس؛ وكان طلحة والزبير في ميمنة المِربد وعثمان بن حنيف في ميسرته، ثم وقف طلحة فحمد الله وأثنى عليه وذكر عثمان وفضله والبلد وما استحل منه ودعا إلى الطلب بدمه وحثهم على الأخذ به، وقال: إنه حد من حدود الله إن فعلتم أصبتم وعاد أمركم إليكم وإن تركتم لم يقم لكم سلطان ولم يكن لكم نظام؛ وتكلم الزبير بمثل ذلك، فقال مَن في ميمنة المربد: صدقا وبرا وقالا الحق وأمرا به، وقال من في ميسرته: فجرا وغدرا وقالا الباطل وأمرا به، قد بايعا ثم جاءا يقولان ما يقولان.. فتحاثى الناس وتحاصبوا وأثاروا الغبار. ثم نشِبَ القتال بينهم إلى أن حجز بينهم الليل، وباتوا يتأهبون للحرب؛ ثم نشبت بينهم من حين بزغت الشمس واقتتلوا قتالا شديدا إلى أن زال النهار وكثر القتل في أصحاب ابن حنيف وفشت الجراحة في الفريقين، ومنادي عائشة يناشدهم ويدعوهم إلى الكف فيأبون حتى مسهم الشر وعضهم نادوا أصحاب عائشة إلى الصلح فأجابوهم وتهادنوا، ثم نشب القتال بينهم أيضا فاقتتلوا قتالا شديدا كان النصر فيه حليف أصحاب عائشة وطلحة والزبير؛ ثم كتبوا لأهل الشام بما صنعوا وصاروا إليه وناشدوهم أن ينهضوا بأنفسهم بمثل ما نهضوا إليه، وكتبوا إلى أهل الكوفة واليمامة والمدينة بمثله.

ولما جاء الخبر عليا بن أبي طالب دعا وجوه أهل المدينة وأخبرهم وحمد الله وأثنى عليه ثم استنهضهم للقتال فتثاقلوا ثم تجهز للخروج واستخلف على المدينة، وخرج بمن معه، ثم تتابع الناس استعدادا لنصرته وسار في تعبئته التي كان قد تعبأها

(1) المربد (كمنبر): موضع بالبصرة - [القاموس].

لأهل الشام، ثم سار والناس من القبائل يتلاحقون، حتى نزل بذي قار ـ قرب الكوفة ـ فكتب إلى أهل الكوفة: إني اخترتكم والنزول بين أظهركم لما أعرف من مودتكم وحبكم لله عز وجل ولرسوله صلى الله عليه وسلم فمن جاءني ونصرني فقد أجاب الحق وقضى الذي عليه.

وفي أثناء مراسلات علي وأهل الكوفة جاء كتاب عائشة ومن معها إلى أهل الكوفة يدعونهم ويناشدونهم للأخذ بدم عثمان، فتثاقلوا أولا عن الخروج مع علي، ثم خرج إليه منهم نحو تسعة آلاف؛ فلما وصلوا إليه قال: إنما دعوتكم لتشهدوا معنا إخواننا من أهل البصرة فإن يرجعوا فذاك ما نريد وإن يلجوا داويناهم بالرفق وبايناهم حتى يبدأوا بظلم، ولن ندع أمرا فيه صلاح إلا آثرناه على ما فيه الفساد إن شاء الله؛ ثم ساروا إلى البصرة فأرسل إلى أهلها يدعوهم إلى الالفة والجماعة ويعظم عليهم الفرقة ويحثهم على إيثار العافية وأن يكونوا مفاتح للخير فإن فعلوا ذلك أمكنهم الأخذ بثأرهم وإلا فسيعرضون المسلمين للبلاء والشر ولن يتمكنوا من الذي أرادوا من الثأر، فاستحسنوا ما دعاهم إليه وقبِلوه وأشرفوا على الصلح. فأمر علي بالرحيل وقال: إني راحل غداً فارتحلوا ولا يرحلن غدا أحد أعان على عثمان بشيء في شيء من أمور الناس؛ ثم جاءت وفود قبائل البصرة إلى قبائل الكوفة وهم لا يريدون حربا ولا يظنونها وأمن الناس بعضهم بعضا. ولما وصل علي إلى البصرة بعث إلى القوم: إن كنتم على ما كنتم عليه فكفوا واقرونا ننزل وننظر في الأمر؛ فنزلوا والقوم لا يشكون في الصلح، ومشت السفراء بين الفريقين وبات القوم ينتظرون العافية من هذا الحادث الجلل. ولكن نفرا من الذين أثاروا أمر عثمان لم يَرُقْهم الصلح و لم يطمئنوا إلى حقن الدماء، فاجتمعوا وقال بعضهم لبعض إن اجتمع الناس غدا واصطلحوا فليس الصلح إلا علينا، وقالوا إن عِزَّكُم في خلطة الناس فصانعوهم وإذا التقى الناس غدا فانشبوا القتال ولا تفرغوهم للنظر، واتفقوا على

ذلك والناس لا يشعرون. ولما كان وقت الغلس وضعت تلك الشرذمة السلاح في عسكر أهل البصرة، فسأل طلحة والزبير: ما هذا؟ قالوا: طرقنا أهل الكوفة ليلا، فقالا: قد علمنا أن عليا غير منتهٍ حتى يسفك الدماء ويستحل الحرمة وأنه لن يطاوعنا؛ وسأل علي بن أبي طالب عن الخبر، وكانت تلك الشرذمة التي أنشبت القتال قد وضعت رجُلا قريبا منه يخبره بما يريدون فقال له: فوجئنا بقوم بيتونا فرددناهم من حيث جاءوا ، فقال علي: قد علمت أن طلحة والزبير غير منتهيين حتى يسفكا الدماء ويستحلا الحرمة وأنهما لن يطاوعانا. و لم يجد الفريقان بدا من القتال، إذ لم يكن ثمت مجال لاستجلاء الواقع.

وثار العسكران لبعضهما فكان القتال في ذلك اليوم من أشد القتال هولا، وصدق كل فريق الحملة على الآخر؛ وكانت عائشة ـ وهي في عسكر أهل البصرة ـ في هودجها[1] وقد جللته بالحديد وجعلت فيه موضعا لعينيها، وجعل شجعان أهل البصرة وذوو النجدة منهم يلوذون بجملها ويدافعون عنها حتى لا تصاب بشر، فقتل حوله بشر كثير وقطعت على زمامه أيد كثيرة معظمها من بني ضبة، كلما قطعت يد رجل أخذ آخر خطام الجمل، وراَجز بني ضبة يقول:

نحن بني ضبة أصحاب الجمل   ننزل بالموت إذا الموت نزل

ننعى ابن عفان بأطراف الأسل[2]   والموت أحلى عندنا من العسل

ردوا علينا شيخنا ثم بجل[3]

---

(1) الهودج: محمل له قبة كانت النساء تركب فيه، وسمي هودجا لأنه يضطرب على ظهر البعير، جمعه: هوادج.

(2) الأسل بالتحريك: الرماح.

(3) شيخنا أي كبيرنا، والشيخ من كان كبيرا في أعين القوم علما أو فضيلة أو مقاما، والمراد به هنا عثمان رضي الله عنه. وبجل: اسم فعل بمعنى: حسب ويكفي.

ولما رأى علي كثرة القتلى حول الجمل وأن الناس يَستميتون دونه[1] ولا يسلمونه أبدا وفيهم عين تَطرِف[2] نادى: اعقروا الجمل، فجاء رجل إلى الجمل من خلفه وضرب عرقوبه فعقره وسقط، فسقط الهودج وتفرق أصحابه ؛ فجاء محمد بن أبي بكر وعمار بن ياسر واحتملا الهودج فنحياه عن القتلى وأمرهما علي أن يدخلا عائشة بهودجها في دار عبد الله بن خلف الخزاعي على صفية بنت الحارث بن طلحة بن أبي طلحة بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار ـ وهي ام طلحة الطَّلَحَات بن عبد الله بن خلف ـ وكانت داره أعظم دار في البصرة. وظهر الضعف في الناس فتركهم الزبير بن العوام وولى شطر المدينة، فعلم بمسيره عمرو بن جرموز فاتبعه حتى إذا كان بوادي السباع غافله وقتله. وقتل في هذا اليوم نحو عشرة آلاف فيهم كثير من الصحابة وأعلام المسلمين وذوي النجدة منهم طلحة بن عبيد الله وابنه محمد، وعبد الرحمن بن عتاب ـ صاحب اليد الذي مر ذكره ـ وكثير من رجال قريش ؛ وفر بعضهم إلى الشام، منهم عتبة بن أبي سفيان ـ كما مر.

وممن فر يومئذ أيضا مروان بن الحكم حتى دخل على أهل بيت من عنزة فقال لهم: أعلموا مالكا بن مسمع بمكاني، فأتوا مالكا فأخبروه بمكانه، فأرسل إليه وأنزله في داره وتقلد سيفه وقال: الموت دون الجوار، فلم يزل يحرسه حتى انصرف هو والأسود بن البختري إلى المدينة؛ وقد حفظ بنو مروان بن الحكم ذلك لآل مالك بن مسمع وإخوته بعد وانتفعوا به عندهم وشرفوا به. وكانت عائشة رضي الله عنها قد آوتْ ذلك اليوم كثيرا من الجرحى منهم ابن أختها عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما.

---

(1) أي لا يبالون في الحرب بالموت ويطيبون بها نفسا.

(2) تطرف: أي تتحرك، يقال: ما بقيت منهم عين تطرف أي ماتوا وقتلوا جميعهم.

ولما انتهت الوقعة مر علي في القتلى ثم صلى عليهم وأمر بدفنهم جميعا، ثم زار عائشة في البيت الذي أنزلت فيه فسلم عليها وقعد عندها وقال: كيف أنت يا أمه؟ قالت: بخير يغفر الله لَكَ، قال: ولَكِ؛ ثم أمر بتجهيزها فجهزت خير جهاز بكل شيء تحتاج إليه من مركب وزادٍ ومتاع وأخرج إليها كل من نجا ممن خرج معها إلا من أحب المقام، وسيرها إلى المدينة وودعها وشيعها بنفسه أميالا في جم غفير، فقالت وسط مشيعيها: إنه والله ما كان بيني وبين علي في القديم إلا ما يكون بين المرأة وأحمائها وإنه عندي على معتبتي[1] من الأخيار، وقال علي: أيها الناس صدقت والله وبرت ما كان بيني وبينها إلا ذلك وإنها لزوجة نبيكم صلى الله عليه وسلم في الدنيا والآخرة، ثم سرح بنيه معها يوما.

وكانت وقعة الجمل هذه يوم الخميس العاشر من جمادى الأولى ـ وقيل من الأخيرة في خامس عشره ـ سنة ست وثلاثين من ارتفاع الشمس إلى العصر، وكانت الغَلَبَةُ فيها لطائفة علي كرم الله وجهه.

ثم أخذ يتكلم على بعض أبناء يزيد الفويسق، فقال رحمه الله:

وَلِلْفُوَيْسِقِ مُضَعَّفُ كَذَا ... وَمَنْ أَبَى إِمَارَةً وَحَبَّذَا

وَخَالِدُ نَازَعَ فِيهَا الْوَزَغَا ... وَأَلْقَتُ أُمُّهُ عَلَيْهِ مِصْدَغَا

وَجَلَسَتْ مَعَ الْوَلَائِدِ عَلَيْهْ ... وَأَهْلَكَتْ مُعَلِّمَ ابْنِهَا النَّبِيهْ

مضعف (كمعظم): مبتدأ خبره المجرور قبله. و**الفويسق**: لقب يزيد بن معاوية ـ كما مر. و**المضعف**: ضعيف العقل والرأي، والمراد به عبد الله بن يزيد بن معاوية.

---

(1) على معتبتي: أي نكراني عليه بعض أفعاله وموجدتي عليه.

وقوله **كذا**: أي كعمه عبد الله بن معاوية المذكور قبل، فهو مثله اسما وصفة. وقوله **ومن أبي**.. إلخ: عطف على قوله **مضعف**، والمراد به معاوية بن يزيد بن معاوية؛ والمراد بالإمارة هنا الخلافة. وقوله **حبذا**: كلمة مركبة من **حبَّ** **وذا**: اسم إشارة، وهي تستعمل للاستحسان والمدح وتلازم هذه الصورة في كل حال.

يعني أن من أولاد يزيد الفويسق عبد الله بنَ يزيد الذي كان كعمه عبدِ الله بنِ معاوية في عدم التدخل في شؤون الإمارة. ومنهم ـ أيضا ـ معاويةُ بن يزيد الذي انخلع من الإمارة تورعا وزهدا [ونعم ما فعل، لأنه تورع في محله وعمل دالٌّ على خوفه من ربه؛ وفي بعض الآثار: «لا خير في الإمارة لرجل مسلم»[1]]. وقد كان ليزيد بن معاوية من الولد نحو العشرة ومعهم نسوة، وهم لأمهات شتى؛ ولعقبه عقب، كما في الزبيري وغيره.

أما **المضعَّف** المشار إليه فهو عبد الله بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان بن حرب بن أمية القرشي الأموي، كان مضعفا لم يتدخل في شأن الخلافة؛ وهو الذي عبث به الوليد بن عبد الملك واستحقره ـ كما سيأتي ـ أمه أم كلثوم بنت عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس، وهي التي قال فيها أبوه يزيد بن معاوية بن أبي سفيان (وكان معاوية بن أبي سفيان قد وجهه لغزو الروم، فأقام بدير سمعان ووجَّه الجنود فأصابهم الوباء) فقال يزيد:

إذا اتكأت على الأنماط مرتفقا بدير مُرَّان حولي أم كلثوم[2]

(1) أخرج نحوه أحمد.

(2) الأنماط: ضرب من البُسُطِ، والمرتفق: المتكئ على مرفقه أو على مخدة. ودير مُرَّان: كان واقعا في غوطة كثير الرهبان مزينا بالزخارف اتخذه الوليد بن يزيد متنزها ومات فيه.

فلا أبالي بما لاقـــت جموعهم بالفَرْقَدُونَـةِ من حمى ومن موم[1]

فبلغ ذلك معاويةَ فأقسم با لله لتلحقن بهم حتى يصيبك ما أصابهم فلحق بهم.

وأما الذي **أبى الإمارة** فهو أبو ليلى معاوية بن يزيد بن معاوية بـن أبـي سـفيان القرشي الأموي، أمه أم هاشم بنت أبي هاشم بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس؛ كان فتى شابا صالحا فاضلا تقيا زاهدا عازفا عن الحياة الدنيا[2] وزخرفها، عكسا لما كان عليه أبوه، وكان يعرف بالنسبة إلى جده معاوية. عهد له أبوه بالخلافة من بعده. ولما مات يزيد بايعه الناس، وعاش بعد أبيـه أربعـين يومـاً تخلى في أثنائهـا عـن الخلافـة تورعا وزهدا ؛ فبعد أيام قليلة من بيعته دعا الناس للاجتماع ثـم قـام خطيبـا فيهـم، فحمد ا لله وأثنى عليه وذكر جده معاوية ومنازعته لمن هو أولى منه بالخلافة ـــ يعـني عليا ـ ثم ذكر أباه يزيد وما كان عليه من سوء فعلـه في أهـل البيـت، وأنـه لم يكـن خليقا للخلافة لسوء سيرته، وأنه إنما نالها لهوى كان لأبيه فيه.. وبكـى واسـتعبر ثـم قال: أيها الناس إن كانت الإمارة مغنما فحسبنا ما أَصبْنَـا مِنهَـا، وإن كـانت مغرمـا فحسبنا ما أصابنا منها[3]، إني خلعت ما في أعناقكم من بيعتي فاختاروا لأمركم مـن شئتم، ثم دخل بيته وبكى؛ فدخلت عليه أمه أم هاشـم وهـو يبكـي فقـالت: ليتـك كنت حيضة فلم أسمع بخبرك، فقال: وددت وا لله ذلك يا أماه!.

ولم يعهد بالخلافة لأحد، وقد قيل له في ذلك فقال: ما أصبت من حلاوتها شيئا فلمَ أتحمل مرارتها؟! ثم توفي وصلى عليه مروان بن الحكم، ودفن إلى جنب أبيه.

---

(1) الفرقدونة: موضع. والحمى: علة يستحر بها الجسم. والموم: أشد الجدري الذي يصير الجسـم كلـه قرحة واحدة.

(2) أي منصرف النفس عنها زاهدا فيها.

(3) المغنم: الغنيمة وهي المكسب. والمغرم: الغرامة وهي الخسارة.

وقوله: **وخالد نازع فيها**: أي في الخلافة، **والوزغ**: لقب مروان بن الحكم — كما تقدم. **وأمه** (بالرفع): فاعل **ألقت**، والضمير فيه عائد على خالد. والضمير في **عليه** عائد على الوزغ. **والمصدغ** (كالمصدغة): الوسادة، لأنها توضع تحت الصدغ. **والولائد** (جمع وليدة): للجارية. والضمير في **عليه** عائد على الوزغ — أيضا — وفاعل كل من **جلست وأهلكت**: ضمير مستتر عائد على **أمه**. **ومعلم** (بصيغة اسم الفاعل وبالنصب): مفعول به لأهلكت. والضمير في **ابنها** عائد على **أمه** أيضا. **والنبيه**: الفطن ذو النباهة وهي الفطنة.

يعني أن من أولاد يزيد بن معاوية أيضا خالد بن يزيد، وهو الشهم الخطيب المفوه؛ كان من سراة قريش وفتياهم علما وأدبًا وكرما حتى قيل إنه لم يكن في بني أمية أفضلُ منه غير عمر بن عبد العزيز. وخالد هذا شقيق معاوية المذكور، أمهما أم هاشم بنت أبي هاشم بن عتبة — وكانت تكنى به — وفيها يقول أبوه يزيد:

وما نحن يوم استعبرت أم خالد … بمرضى ذوي داء ولا بصحاح

ويحكى أن أخاه عبد الله بن يزيد دخل عليه يوما وهو غضبان، فقال له خالد: مالك؟ فقال: كدت أقتل الوليد بنَ عبد الملك، فقال خالد: بئس ما قلت، أتقتل وليّ عهد المسلمين ابنَ عمك وابنَ أمير المؤمنين! قال عبد الله: مرت به خيلي اليوم فعبث بها واستصغرني، فقال خالد: أنا أكفيك ذلك؛ فدخل على عبد الملك — والوليد عنده — فاشتكاه إليه، وقص عليه ما حدث، فقال عبد الملك: ﴿ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾[1]، فقال خالد: ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا

---

(1) النمل: 34.

﴿فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَـٰهَا تَدْمِيرًا﴾[1]، فقال عبد الملك: أعن عبد الله تناضل يا خالد؟ فوالله لقد دخل علي في مقامك هذا فما أقام لسانه لحنا، فقال خالد: أوَ على الوليد تعول ـــ إذن ـــ في الفصاحة؟ قال عبد الملك: إن كان الوليد يلحن فإن أخاه سليمانُ! فقال خالد: وإن كان عبد الله يلحن فإن أخاه خالد!. فتدخل الوليد فقال: اسكت يا خالد إنك لست في العير ولا في النفير، فقال خالد: أيسمع أمير المؤمنين؟ ويلك ـــ وإن كان هذا فخر جاهلية ـــ من للعير والنفير غيري؟! جدي أبو سفيان بن حرب سيد العير، وجدي عتبة بن ربيعة سيد النفير، ولكنك لو قلت غنيمات وحليبات والطائف ويرحم الله عثمان[2] لقلنا صدقت.. وخرج عنهما.

وكان خالد بن يزيد بن معاوية هذا من الشجعان، وكان يتعصب لأخوال أبيه من كلب ويعينهم على قيس عيلان في حرب كانت بينهم، فقال أحد شعراء قيس:

يا خالدُ بنَ أبي سفيان قد فـــرقت — منا القلـــوب وضاق السهل والجبل

أأنـــــت تأمر كلبًا أن تقتلـــــنا — جهلاً وتمنعهـــــــم منا إذا قتلـــوا

ها إن ذا لا يُقـــــر الطَّيرَ سَاكنة — ولا تُبرك من جرائه الإبـــــــل[3]

وحاصل قصة منازعة خالد هذا لمروان بن الحكم في شأن الخلافة، أنه لما تخلى عنها أخوه معاوية بن يزيد طمِعَ فيها مروان بن الحكم وطالب بها، فنازعه خالد بن يزيد هذا ؛ ونازعهم كذلك الأشدق بن سعيد بن العاص الأموي. فتدخل الأقارب

---

(1) الإسراء: 16.

(2) يشير بذلك إلى أن الحكم كان بالطائف يرعى غنيمات ويأوي إلى شجيرات حلبة حتى أدخله عثمان إلى المدينة.

(3) يشير به إلى المثل المشهور: "لا تَبرُك الإبل على هذا" يضرب لمن لا يصبر عليه لشدته . [مجمع الأمثال للميداني].

بينهم حتى اصطلحوا على أن يكون الأمر لمروان ثم لخالد من بعده ثم للأشدق بعد ذلك. غير أن مروان نقض العهد، وعهد لولده عبد الملك، فلاحاه خالد في ذلك حتى سب مروانُ أمَّ خالد في المجلس يريد أن يضع مِنه بذلك ـ وكان مروان قد تزوج أمَّه أمَّ هاشم ـ فقال له خالد: أنت مؤتمنٌ خائنٌ. ودخل خالد على أمه وأخبرها بذلك وقال: أنت التي جلبت علي هذا، فقالت: دعه فسأكفيكه ولن يسبك بعدها، ثم قالت: لا تعلمه أنك أخبرتني.

ثم دخل عليها مروان وقال: هل أخبرك خالد بشيء جرى بيني وبينه؟ قالت: يا أمير المؤمنين إن خالدا أشد تعظيما لك من أن يذكر شيئا جرى بينك وبينه. فَلَمَّا أمسى مروان وتمكن منه النوم عمدت إلى وسادة ووضعتها على أنفه وقعدت عليه هي وجواريها حتى مات. وإلى ذلك أشار الناظم بقوله: **وألقت أمه عليه مصدغا**.. إلخ، وقيل إنها سقته السم، وقيل بل مات مطعونا، وقيل حتف أنفه. ويروى أن عبد الملك بن مروان هم بقتل أم هاشم، فلما بلغها الخبر قالت: أما إنه أشد عليه أن يعلم الناس أن أباه قتلته امرأة، فلما بلغه ذلك كف عنها.

وقوله **وأهلكت معلم ابنها**: يعني أن أم هاشم بنت أبي هاشم، والدةَ خالد ومعاوية ابني يزيد بن معاوية أهلكت معلم ولدها معاوية بن يزيد، أي أمرت الأمويين بقتله بدعوى أنه علمه حب علي بن أبي طالب (وهذا المعلم اسمه عمرو المقصوص)، فقالت له بنو أمية، حين انخلع معاوية بن يزيد من الخلافة وخطب خطبته المشهورة: أنت الذي علمته هذا ولقنته إياه وأخذته عن الخلافة وزينت له حب علي وأولاده، فقال: وا لله ما فعلته ولكنه مجبولٌ مطبوع على حب علي. فلم يقبلوا منه، فأخذوه ودفنوه حيا حتى مات.

ومن بنات يزيد الفويسق عاتكة، قيل كان لها اثنا عشر محرماً كل منهم خليفة؛ منهم يزيد أبوها ومعاوية بن أبي سفيان جدها ومعاوية ين يزيد أخوها وعبد

الملكَ بن مروان زوجها ومروان بن الحكم حموها ويزيد بن عبد الملك ابنها والوليد وسليمان وهشام أبناء عبد الملك أولاد زوجها.

ثم أخذ يتكلم على عقب أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس، ويذكر الخلاف في نسَبه، فقال رحمه الله وعفا عنه:

أَمَّا أَبُـو عَمْرٍو فَجَاءَ أَنَّـهُ عَبْدُ أُمَيَّـةَ وَمَا كَانَ ابْنَـهُ
وَهْوَ أَبُو أَبِي مُعَيْـطٍ الَّذِي هُوَ أَبُو الظَّالِـمِ عُقْبَـةَ الْبَذِي
النَّادِمِ الْقَائِـلِ قَوْلاً غَـيًّا: يَا لَيْتَـنِي لَمْ أَتَّخِـذْ أُبَيًّا
أَبُو الْوَلِيدِ وَعُمَارَةَ الْخِضَـمّْ وَأُمِّ كُلْثُـومٍ حَلِيلَةِ الْبُهَمْ

أبو عمرو هو ذكوان بن أمية بن عبد شمس (على القول بأنه ابنه). وقوله **فجاء أنه**..إلخ: أي روي أنه عبد لأمية كان قد تبناه فتنوسي تبنيه له حتى نسب إليه. وقوله **وهو** أي أبو عمرو هذا. **أبو**: أي والد **أبي معيط** (بوزن زبير) واسم أبي معيط أبان بن أبي عمرو، وهو أخو الأعياص لأمهم ــ كما مر ــ وقد كني بابن له يسمى معيطا لم يعقب. **والظالم**: المشرك أو الجائر. **وعقبة**: بدل من الظالم، ووصفه بالظالم اقتداء بالآية: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ ﴾[1]. **والبذي**: أي الفاحش. **والنادم** (بالجر): صفة ل**عقبة** ــ أيضا ــ أي الحزين المتأسف. **والقائل قولا غيا**: أي ضلالا وباطلا. وجملة **يا ليتني لم أتخذ أبيا**: بدل من قوله: **قولا غيا**. **وأبيا**: مفعول به **لأتخذ**، ومفعوله الثاني محذوف تقديره: *خليلًا*، **وأبيٌّ** هذا هو أبيّ بن خلف بن حذافة الجمحي.

---

(1) الفرقان: 27.

أشار النّاظم رحمه ا لله إلى الخلاف الذي ذكره أهل السير في نسب أبي عمرو هذا، فقد قيل هو أبو عمرو ذكوان بن أمية بن عبد شمس، أحد العنابسة، وأمه أمامة بنت حميري بن الحارث اللخمية؛ وتقدم هذا عند قول الناظم: *لعبد شمس عدة*..إلخ، ثم ذكر القول الثاني وهو أنه ليس من ولد أمية وإنما هو ابن لجارية كان أمية قد اشتراها من الشام وهي حبلى فولدت ذكرا فسماه أمية ذكوانا وتبناه، ثم تنوسي التبني وظنت البنوةُ حتى خلفه على زوجه آمنة بنتِ أبان بن كليب أمِّ الأعياص ـ وكان ذلك عادة العرب في الجاهلية ـ فولدت له أبان بن ذكوان وهو أبو معيط والدُ عقبة بن أبي معيط الذي يعد من أكبر أعداء رسول ا لله ﷺ والمؤذين له. ويؤيد هذا القول ما روي من أن عقبة بن أبي معيط بن أبي عمرو هذا لما أسر يوم بدر ورجع رسول ا لله ﷺ بالأسرى إلى المدينة وكان بعرق الظبية[1] قدمه للقتل، فأراد عقبة أن يحرض قريشا على رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم حمية له، فقال: أأُقتل بين قريش صبرا؟ بين من أنا إذا؟ فقال رسول ا لله ﷺ: «لست من قريش وإنما أنت من يهود صفورية"[2]، فقال عمر: "حن قدح ليس منها"[3]، فأمر صلى ا لله

(1) عرق الظبية: موضع بطريق بدر من المدينة بين الروحاء وصخيرات اليمام، والظبية: شجرة شبه القتادة يستظل بها ـ [الروض الأنف].

(2) لأن الأمة التي ولدت جده أبا عمرو كانت ليهودي من أهل صفورية اسمها ترنى اشتراها أمية بن عبد شمس وهي حامل فولدت ذكرا فسماه أميةُ واستلحقه وتبناه فنسب إليه. وصفورية: قرية في فلسطين شمال غربي الناصرة.

(3) أراد التعريض بنسبه وذلك أن القداح في الميسر ربما جعل معها قدح مستعار قد جرب منه الفلج واليمن فيستعار لذلك ويسمى المنيح، فإذا حرك في الربابة مع القداح تميز صوته لمخالفة جوهره جوهر القداح، فيقال حينئذ: "حن قدح ليس منها"، فتمثل عمر بهذا المثل يريد أن عقبة ليس من قريش.

عليه وسلم عليا ـ وقيل عاصما بن ثابت ـ بضرب عنقه في الأسر.

وروي ـ أيضا ـ أن دغفل بنَ حنظلة، النسابةَ المشهور دخل يوما على معاوية ـ وهو شيخ ـ فقال له مُعاوية: من رأيت من عُلّيَّة قريش[1]؟ قال: رأيت عبد المطلب بنَ هاشم وأميَّةَ بنَ عبد شمس، فقال معاوية: صفهما لي، فقال: كان عبد المطلب أبيض مديد القامة حسن الوجه في وجهه نور النبوة وعز الملك تطوف به عشرة من بنيه كأنهم أسد غاب، قال: فصف لي أمية، قال: رأيته شيخا قصيرا نحيف الجسم ضريرا يقوده عبده ذكوان، فقال معاوية: مه! ذلك ابنه أبو عمرو، قال: ذلك شيء قلتموه بعد وأحدثتموه.. وأما الذي عرفت فهو الذي أخبرتك به.

عقبة بن أبي معيط وأذيته لرسول الله ﷺ

هذا وكان حفيد أبي عمرو هذا، الذي هو عقبة بن أبي معيط بن أبي عمرو من أكبر أعداء رسول الله ﷺ وأشدِّهم أذية له صلى الله عليه وسلم؛ فقد وجده يوما بمكة ـ أي قبل الهجرة ـ وهو ساجد فوضع قدمه الخبيثة على رقبة رسول الله صلى الله عليه وسلم الشريفة حتى آذاه، وجر عليه يوما ـ وهو ساجد ـ سلا جزور، ووضع يوما سلا شاة في قدر آل رسول الله ﷺ.. إلى غير ذلك من أفعاله القبيحة وأخلاقه الرديئة؛ وقد قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لا ألقاك خارجا من مكة إلا علوت رأسك بالسيف»، فلذلك قتله بعد يوم بدر دون سائر الأسرى.

وروي أن عقبة هذا كان يكثر مجالسة النبي ﷺ ويسمع منه، وكان قد هم بالإسلام فمنعه منه أبيّ بن خلف الجمحي، وكانا خدنين متصافيين؛ وكان مرة قد

---

(1) يقال: هو من علية قومه (بكسر العين وضمها وبكسر اللام وفتح الياء مشددتين) أي من أهل الرفعة والشرف فيهم.

قدم من سفر فصنع وليمة ودعا إليها بني عبد مناف ودعا رسولَ الله ﷺ فأبى أن يأتيه إلا أن يسلم، فكره عقبة أن يتأخر عن طعامه من أشراف قريش أحدٌ فنطق بالشهادتين فأتاه رسول الله ﷺ وأكل من طعامه؛ وكان أبي بن خلف غائبا فلما قدم وعلم بذلك عاتب عقبة، فقال له عقبة: عظم عليَّ أن لا يحضر طعامي رجل من أشراف قريش، فقال أبيّ: وجهي من وجهك حرام ولا أكلمك ولا أرضى عنك حتى تسير إلى محمد وتبصق في وجهه، ففعل (فرجع بصاقه في وجهه وأحرق خديه وشفتيه؛ فلم يزل أثر ذلك في وجهه حتى قتل لعنه الله، فنــزل قولــه تعالى ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ﴾[1]، فعضه على يديه: كناية عن شدة الغيظ والحسرة والندامة على ما فرط في جنب الله، إذ أوبق نفسه بالكفر، وأطاع خليله الذي صده عن سبيل الله؛ وقد روي أنه يوم القيامة يأكل يديه حتى يبلغ مرفقيه ثم تنبتان فيأكلهما، وهكذا.. تحسرا منه على ما فعل [والعياذ بالله]، فعض اليدين وأكل الأصابع وقرع الأسنان كلها كنايات عن التوجع والحسرة والندم. وقوله ﴿يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا﴾: يعني طريقاً في الدنيا إلى الجنة، وهي الإيمان والعمل الصالح؛ وقوله ﴿يا ويلتى﴾: دعاء بالويــــل والثبور[2] على مخالفـــــة الرسول صلى الله عليه وسلم ومطاوعة الكافــــر. وقولــه ﴿لم أتخذ فلانا﴾ : يعني أبيًّا ـــ وقرأ ابــن

(1) الفرقان: الآيات: 27-29.

(2) الويل: حلول الشر، وكلمة يدعى بها لمن وقع في هلكة يستحقها، والثبور: الهلاك والحزن، يقال "دعا بالويل والثبور" أي قال: وا ويلاه وا ثبوراه، يقولها إذا هلك أو أصابته مصيبة شديدة.

مسعود: ﴿لم أتخذ أبيا خليلا﴾[1]ـ وإنما كنى عنهما *بالظالم* *وفلانا* و لم يصرح باسميهما لأن ذلك أبلغ في الفائدة ليعلم أن هذا سبيل كل ظالم قَبِلَ من غَيْرِه أن يحمله على معصية الله ويصده عن طاعة الله، ولئلا يكون هذا الوعيد مخصوصا بهما مقصورا عليهما ؛ بل يتناول جميع من فعل مثل فعلهما. و لله در القائل:

تجنب قرين السوء واصرم حباله فإن لم تجد عنه محيصا فداره

وقول الآخر:

وصاحب خيار الناس تنج مسلّما وصاحب شرار الناس يوما فتندما

وكما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال لعقبة بن أبي معيط هذا: «لا ألقاك خارجا من مكة إلا علوت رأسك بالسيف» فأمكنه الله تعالى منه فقتله، فكذلك فعل بخليله أبيّ بن خلف.

وقد كان من حديث أبيّ بن خلف هذا أنه كان إذا لقي النبي ﷺ بمكة قبل الهجرة يقول: يا محمد إن عندي العوذ[2] (يعني فرسا) أعلفه كل يوم فَرَقًا[3] من ذرة أقتلك عليه، فيقول له النبي ﷺ: «بل أنا أقتلك إن شاء الله»[4]. فلما كان يوم أحد جاء أبيّ مع المشركين وهو يقول: أين محمد؟ لا نجوت إن نجا، فاعترضه رجال من المسلمين فأمرهم النبي ﷺ أن يخلوا طريقه؛ قال الزبير: وكانت معي حربة فأخذها مني رسول الله صلى الله عليه وسلم فانتفض بها انتفاضة تطايرنا عنه تطاير

---

(1) وفي كتاب أضواء البيان: "ذكر بعضهم أن في قراءة بعض الصحابة: "ليتني لم أتخذ أبيًّا خليلا" وهو على تقدير ثبوته مِن قَبيلِ التفسير لا القراءة.

(2) في رواية: العود (بالدال المهملة) وهو اسم فرسه.

(3) الفرق (بفتح الفاء وفتح الراء وتسكن): مكيال يسع اثني عشر ـ أو ستة عشر ـ مُدًّا.

(4) سيرة ابن هشام، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد: 3 / 32 - 33.

الشَّعْراء[1] عن ظهر البعير إذا انتفض، فأبصر رسول الله ﷺ ترقوة أبيّ بين سابغة الدرع والبيضة فطعنه فيها فوقع عن فرسه صريعا، ولم يخرج من طعنته دم، فارتُثَّ من المعركة[2] وله خوار وهو يقول: قتلني والله محمد، فقالوا له: ذهب والله فؤادك والله ما بك من بأس، فقال: إنه كان قد قال لي بمكة: أنا أقتلك.. والله لو بصق علي لقتلني. فقفلوا به نحو مكة وهو يقول: والذي نفسي بيده لو أن الذي بي بأهل الحجاز لماتوا أجمعون! ومات عدو الله بسَرِفٍ (وهو موضع قريب من التنعيم).

قوله أبو الوليد: خبر مبتدإ محذوف، أي وعقبة هذا هو أبو الوليد وعمارة..إلخ. **وعمارة** (كثمامة). **والخضم** (بكسر الخاء المعجمة وبشديد الميم): السيد الجواد المعطاء، صفة لعمارة. **وأم كلثوم** (بالجر): عطف على **الوليد**. **وحليلة:** صفة لأم كلثوم، أي زوجة. **والبُهَم** (كصرد): جمع بُهمة (بضم فسكون): الشجاع الذي لا تدري أقرانه من أين تأتيه.

يعني أن من ولد عقبة بن أبي معيط الوليدَ وعمارةَ وأمَّ كلثوم، وهم إخوة عثمان بن عفَّان لأمه، أمهم أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس؛ أسلمت أروى هذه يوم الفتح وتوفيت في خلافة ابنها عثمان عن تسعين سنة ودفنت بالبقيع. وكان قد تزوجها عفان فولدت له عثمانَ وآمنةَ فمات عنها، ثم تزوجها عقبة بن أبي معيط فولدت له الوليد وعمارة وخالدا وأم كلثوم وأم حكيم وهندًا.

أما الوليد فقد كان من رجال قرش وشعرائهم يكنى أبا وهب، وكان فصيحا حليما سخيا؛ ومن سخائه ما روي أن لبيد بن ربيعة (وهو أبو عقيل) كان قد نذر أن لا تهب الصبا إلا نحر فاتفق أن هبت يوما والوليد بن عقبة في ناديه، فقيل هبت

(1) هي ذباب صغير له لذع.

(2) أي حمل منها.

رياح أبي عقيل فأيكم يعينه؟ فقال الوليد: أنا، وأرسل إليه مائة بكرة سوداء وأرسل إليه معها أبياتا ـ مرَّ ذكرُها ـ فأجابته بنت لبيد بقولها:

إذا هبّت رياح أبي عقيل دعونا عند هبتها الوليدا
طويل الباع أبيض عبشميا أعان على مروءته لبيدا
بأمثال الجبال كأن ركباً عليها من بني حام قعودا
أبا وهب جزاك الله خيرا نحرناها وأطعمنا الثريدا
فعد إن الكريم له معاد وظني بابن عقبة أن يعودا

فقال لها لبيد: أحسنت يا بنيتي إلا أنك استطعمتيه، فقالت: إن الملوك لا يستحيا من مسألتهم، فقال: وأنت يا بنيتي في هذه أشعر!.

وأسلم الوليد بن عقبة يوم الفتح، واستعمله عثمان على الكوفة، فرفع إليه أنه شرب الخمر فعزله وجلده الحد، فقال الوليد في ذلك:

يا باعد الله ما بيني وبينكم بني أمية من قربى ومن نسب
من يكسب المال يحفر حول زبيته وإن يكن عائلا مولاهم يخب[1]

ثم سكن المدينة وقيل سكن الكوفة إلى أن قتل عثمان، فخرج يرتاد منزلا حتى أتى الرقة (وهي بلدة بناحية بغداد) فنزلها فأعجبته، فقال: منك المحشر! ولم يزل بها حتى مات في خلافة معاوية؛ وكان قد اعتزل القتال بين علي ومعاوية، ولكنه كان يحرض معاوية، ومن شعره:

بني هاشم إنا وما كان بيننا كصدع الصفا لا يرأب الدهر شاعبه[2]

---

(1) الزبية (بالضم): الرابية لا يعلوها ماء، ومنه قولهم "بلغ السيل الزبى". والعائل: الفقير. والمولى هنا: ابن العمِّ.

(2) الصدع: الشق في شيء صلب، والصفا: جمع صفاة للصخرة، ورأب الصدع: أصلحه، والشاعب: المصلح.

بني هاشـــــم كيف التقدر عندنا وبزُّ ابنِ أروَى فيكـم وحوائبه[1]

بني هاشم أدوا سـلاح ابنِ أختكم ولا تنهبـــوه لا تحـل مناهبه

فإلا تـــردوهُ إلينا فإنـــه ســـواء علينا قاتـلاه وسالبـه

وأما عمارةَ بن عقبة فقد أسلم يوم الفتح ــ أيضا ــ وكان لــه قدر، سكن الكوفة وبها عقبه، وله يقول أخوه الوليد:

وإن يـك ظــني بابن أمي صادقا عمارة لا يـــدرك بدخل ولا وتر[2]

تُضاحك اقتالَ ابنِ عفان لاهــيا كأنك لم تسمع بصـوت أبي عمرو[3]

وأما أم كلثوم بنت عقبة، فقد أسلمت قديما وبايعت ثم خرجت إلى المدينة في هدنة الحديبية مهاجرة فرارا بدينها، وكانت هجرها سبب نزول سورة الممتحَنة؛ فقد قدم في طلبها أخواها الوليد وعمارة وطلبا ردها عليهم، فقالت: يا رسول الله أتردني على المشركين فيستحلوا مني ما حـرم الله ويفتنوني عن ديني؟! فأنـزل الله ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ مُهَـٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَـٰنِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَـٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ﴾[4]، فلم يدفعها رسول الله ﷺ إليهما. وكانــت قبل أن تهاجر بلا زوج، فلما قدمــت المدينة تزوجها زيد بن حارثـــة (الحِبُّ)،

---

(1) التقدر: نيل القدر والتعظيم، والبز: السلاح. وابن أروى: عثمان بن عفان. وحوائبه: جمع حَوْبَــة وهي الأخت والبنت، ويقال أيضا للقرابة من الأم، يقال "لي فيهم حوْبة" أي قرابة من أمي؛ وكانت جدة عثمان بن عفان أمَّ حكيم البيضاءَ بنتَ عبد المطلب بن هاشم.

(2) بدخْل: أي خديعة، وتر: أي ظلم.

(3) أبو عمرو: هو عثمان بن عفان رضي الله عنه، وأقتاله قاتلوه.

(4) الممتحنة: 10.

ثم قتل عنها يوم مؤتة، فخلف عليها الزبير بن العوام فولدت له زينب، ثم طلقها فخلف عليها عبدُ الرحمن بنُ عوف فولدت له محمداً وإبراهيم وحميدا وإسماعيل الصحابة الفضلاء، ثم مات عنها فتزوجها عمرو بنُ العاص وماتت عنده. وإلى ذلك أشار الناظم بقوله: **وأم كلثوم حليلة البهم..**

ومن ولد عقبة بن أبي معيط ـ أيضا ـ خالد وهو شقيق بنيه المذكورين، كان حسن المذهب، له أثر في حصار عثمان يوم الدار[1]، وإليه يشير أزهرُ بن سحبانَ بقوله:

يلومونني أن جلت في الدار حاسرًا وقد فر منها خالد وهو دارع

ونزل خالد الرقةَ وأقام بها، وله بها عقب، وإليه ينسب المعيطيون بقرطبةَ.

ومن ولد الوليد بن عقبة بن أبي معيط: عمرو بن الوليد الذي يقال له: أبو قطيفة، أمه الربيع بنت ذي الخمار من بني أسد بن خزيمةَ، الشاعر المشهور؛كان من أمره أنه لما خلع أهل المدينة يزيدَ بنَ معاوية وتمالؤوا مع ابن الزبير على إخراج مَن بالمدينة من بني أمية وطردوهم، كان أبو قطيفة هذا ممن خرج إلى الشام مكرها وأقام به واشتاق المدينة وقال في ذلك أشعارا كثيرة منها:

بكى أحد لما تحمل أهله فكيف بذي وجد من القوم آلف
من اجل أبي بكر[2] جلت عن بلادها أمية والأيام ذات تصارف

ولما طال مقامه بالشام قال:

ألا ليت شعري هل تغير بعدنا جنوب المصلى أم كعهدي القرائنُ

---

(1) يوم الدار: يعني به يوم قتل عثمان في داره.

(2) أبو بكر: كنية عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما.

وهل أدؤرٌ حول البلاط[1] عوامرٌ   من الحي أم هل بالمدينــة ساكن
إذا برقــت نحو الحجاز سحابةٌ   دعا الشـــوقَ مني برقُها المتيامن
فلم أتركنها رغبةً عن بــلادها   ولكنـــــهُ ما قـــدر ا لله كائن
أحـــن إلى تلك الوجوه صبابةً   كأني أسيرٌ في السلاســل كائن

وقال أيضا:

ليت شعـــري وأين مني ليت   أعلى العهـــد يلبنٌ فـــبرام؟
أم كعهدي العقيـــقُ أم غيرته   بعـــديَ الحادثاتُ والأيـــام
وبأهلي بـــدلت عكًّا ولخمًا   وجذامًا وأيـن مني جُـــذام؟
وتبدلتُ من مساكـــن قومي   والقصـــور التي بها الآطـام
كل قصــر مشيد ذي أواس   يتغـــني على ذراه الحمـــام
أقْرِ مني السلامَ إن جئت قومي   وقليلٌ لهم لديَّ الســـلام
أقطـــع الليلَ كلَّه بزفير   واكتئاب فما أكَـادُ أنـام   .. إلخ.

ولما سمعها ابن الزبير قال: حنَّ وا لله أبو قطيفة وعليه السـلام ورحمـة ا لله، فمـن أتاه فليخبره أنه آمن فليرجع؛ فأخبر بذلك فانكفأ راجعًا إلى المدينـة فلـم يصـل إليهـا حتى مات.

ولما أنهى الكلامَ على بني أمية بن عبد شمس شرع يتكلم على بني عمومتهـم آلِ ربيعة بن عبد شمس، فقال رحمه ا لله وعفا عنه:

وَاذْكُـر رَبِيعَـــةَ لِعَبْدِ شَمْــسِ   أَيْضًا أَبَا عُتْبَةَ كَبْشِ الْحُمْـــسِ

---

(1) البلاط: موضع قرب المدينة، وهو الذي يعني الوليد بـن عقبـة في رثائـه عثمـان بـن عفـان رضـي ا لله عنـه بقوله:

طال ليلي وملـني عوَّادي   وتجافى عـن الضلوع مَهادِي
يوم لاقيت بالبلاط نجادا   ليتني مــت قبل يـوم نجادِ ..   إلخ.

ونجاد هذا مولى وهو الذي أخبر الوليد بقتل عثمان.

وَضَـــعَ كَفَّـــهُ عَلَى فَمِ النَّبِي   إِذْ خَافَ مِنْ إِنْذَارِهِ بِالْغَضَبِ

حِينَ تَـلاَ تِـــلاَوَةً رَائِقَـةً   آخِـرُهَا ﴿أَنْذَرْتُكُـمْ صَاعِقَةً﴾

فَقَالَ مَا هَـــذَا بِسِحْرٍ لاَ وَلاَ   كَهَانَةٍ فَصَدَّهُ شَـــرُّ الْمَـلاَ

عَمْرُو عَـنِ الَّذِي إِلَيْهِ جَنَحَا   وَطَالَـــمَا بِجَانِحِيهِمْ رَجَحَا

قوله **لعبد شمس**: متعلق بـ**اذكر**، أي اذكر ربيعةَ من أبناء عبد شمس. وقوله **أيضا**: أي بعد ذكر ابنه أميةَ الذي مر. وقوله **أبا عتبة** (بالنصب): صفةٌ **لربيعة**، أي والدُ عتبة. **وكبش** (بالجر): صفة لعتبة، **والكبش**: سيد القوم. **والحمس** (بضم الحاء المهملة): لقب قريش وكنانةَ، أو لساكني مكة من بني كعب وغيرهم؛ لقبوا بذلك لالتجائهم بالحمساء وهي مكة لأن حجرها أبيض إلى السواد، فسموا باسم الأرض التي هم عليها؛ وقيل سميت بذلك لحمرة ترابها، وقيل الحمس: جمع أحمس وهو الشديد الصلب، مأخوذ من الحماسة التي هي الشدة وسموا الحمس لأنهم اشتدوا في دينهم [في زعمهم] وذهبوا في ذلك مذهب التزهد والتأله.

يقول: ومن ولد عبد شمس بن عبد مناف ـ أيضا ـ ربيعةُ بن عبد شمس والدُ عتبةَ بنِ ربيعة سيدِ أهل مكة؛ وعتبة هذا هو أبو الوليد عتبةُ بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي العبشمي، كان أحد سادات قريش في الجاهلية، وكان من أهل الرأي والحلم، وكان خطيبا نافذ القول؛ وكان يقال لم يسد مملق إلا عتبةُ بن ربيعةَ وأبو طالب بن عبد المطلب، فقد سادا بغير مال.

وكان من أول ما ظهر من سيادة عتبةَ بنِ ربيعة أنه كان غُلامًا نشأ يتيما في حجر ابنِ عمه حربٍ بنِ أُمَيَّة بن عبد شمس، الذي كان قائدَ قريش وكنانة في

حرب الفجار[1]، فأراد عتبةُ الخروجَ معه فردَّه حربٌ ـ استصغارًا له ـ فأبى فضربه، ثم لم يشعر حرب بخروجه إلا وهو واقف بين الصفين على بعيره ينادي: يا معشر مضر علام تَفانَوْن؟! فقالت له هوازن: إلى م تدعو؟ فقال: إلى الصلح، قالوا: وكيف؟ قال: ندفع إليكم ديات قتلاكم ونعفو عن دمائنا، قالوا: ومن لنا بهذا؟ قال: أنا، قالوا: ومن أنت؟ قال: أنا عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، قالوا: رضينا. فرضيت كنانة ودفعت إلى هوازن أربعين رجلا رهنا فيهم حكيم بن حزام، فلما رأت بنو عامر بن صعصعة الرهن بأيديهم عفوا عن الدماء وأطلقوا الرهائن وانقضت حرب الفجار. فمن ذلك اليوم ظهرت مبادئ سيادة عتبة بن ربيعة في قريش، فكانوا بعد ذلك يقدرونه ويقدمونه للأمور العظام، والخطوب الجسام.

---

(1) الفجار (بكسر الفاء وتخفيف الجيم): بمعنى المفاجرة (كالقتال والمقاتلة) ، وسميت "حرب الفجار" لأن العرب فجرت فيها، فأوقعتها في الأشهر الحرم. وهي فجاران: أما الفجار الأول فثلاثة أيام، الأول بين كنانة وقيس، وقد تحاور فيه الحيان فرأوا أن الخطب يسيرٌ فتراجعوا و لم يقع قتالٌ، والثاني: بين قريش وكنانة، وقيس ووقعت بينهم دماء يسيرة، وتوسط فيه حرب بن أمية بين الفريقين فتوقفوا، والثالث بين كنانة وقيس وقد أصلح بينهم عبد الله بن جدعان، فلم يقع فيه قتال.

وأما الفجار الثاني فخمسة أيام في خمس سنين: الأول والثاني والثالث: لقيس عيلان على كنانة وقريش، واقتتلوا فيها قتالا شديدا؛ والرابع: لكنانة وقريش على هوازن، وهو الذي قيدت فيه العنابس بنو أمية بن عبد شمس أنفسها لئلا تبرح المكان حتى تظفر أو تهلك، واقتتلوا فيه قتالا شديدا. وقد حضر النبي صلى الله عليه وسلم هذا اليوم وسنُّه أربعَ عشرةَ سنةً، وقيل عشرون، وحضر من أعمامه: حمزة والعباس وأبو طالب والزبير بنو عبد المطلب، وكان الزبير يومئذ قائد بني هاشم. روي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كنت أنبل عن أعمامي أو عمومتي». والخامس كان لقيس على كنانة وقريش واقتتلوا فيه أولا ثم تداعوا إلى الصلح فرهنت قريش منها رجالا لقيس، ثم لما رأت قيس ما فعلت قريش أطلقت الرهائن وانصرف الناس بعضهم عن بعض، ووضعوا الحرب بينهم.

وقوله **وضع كفه**.. إلخ: الضمير في **كفه** عائد على عتبة. وفاعل كل من **وضع** **وخاف وقال وجنح**: ضمير مستتر عائد على عتبة أيضا. والضمير البارز في **إنذاره** والمستتر في **تلا**: عائدان على النبي ﷺ ، **والإنذار**: هو الإخبار بشيء فيه تخويف من شيء قبل وقوعه بزمن يمكن فيه الاحتراز منه. والمراد **بالغضب** هنا غضب ا لله تعالى وانتقامه [استعذنا با لله منهما]. **والتلاوة الرائقة**: المعجبة للسامع. **والصاعقة** (في الأصل): صوت شديد في الجو تكون منه نار، أو هي نار تسقط من السماء في رعد شديد لا تمر بشيء إلا أحرقته أو أتلفته. **والسحر** (في الأصل): ما لطف مأخذه ودق، والمراد هنا ما يسلب العقل ويوقع في الفتنة. **والكهانة** (بفتح الكاف): الإخبار بالغيب وتعاطي خبر الكائنات في المستقبل؛ والكاهن هو من يدعي معرفة الأسرار وأحوال الغيب ؛ وكانت الكهانة ظاهرة موجودة آنذاك فأبطلها ا لله عز وجل بمبعث النبي ﷺ. **وصده**: منعه وصرفه، والضمير فيه عائد على **عتبة**. **وشر الملا**: فاعل صده، **والملا**: أصله الملأ (كجبل) وهو في الأصل الجماعة ويطلق على أشراف القوم الذين يملأون العيون أُبَّهَةً والصدور هيبة، والمراد به هنا الناس. ويعني **بشر الملا**: أبا جهل، أي شر الناس ؛ وأصله أشرهم أي أَكْثرهم شرا، فهو أفعل تفضيل حُذِفَتْ همزته لكثرة الاستعمال (كخير الناس)، قال ابن مالك في الكافية:

وغالبا أغناهُمُ خير وشر   عن قولهم: أخير منه وأشر

والشر: نقيض الخير، فهو اسم جامع لأنواع الرذائل. وقوله **عمرو** (بالرفع): بدل من **شرُّ الملا**، وهو أبو جهل بن هشام. **وجنح** إلى الشيء: مال إليه. وقوله **وطالما بجانحيهم**.. إلخ: أي كَثُرَ ما يميل أبو جهل بالجانحين من قريش إلى الإسلام عنه، أي يصدهم عنه ويغلب على رأيهم برأيه المشؤوم؛ من ذلك صده لعتبة هذا وصده لعمه الوليد بن المغيرة ـ كما مر ـ وصده لأبي طالب عند موته؛ ومن ذلك ـ أيضا ـ أنه كان إذا سمع بالرجل قد أسلم: إذا كان ضعيفا ضربه وأغرى به، وإذا كان له شرف

ومنعة أنَّبه وخزَّاه[1] وقال له: تركـت دين أبيك وهو خير منـك، لنسفهن حلمـك ولَنُفَيِّلَنَّ[2] رأيك ولنضعن شـرفك؛ وإن كـان تـاجرا قـال: وا لله لنكسـدن تجـارتك ولنهلكن مالك.. إلى غير ذلك.

جهد عتبة في إحباط دعوة النبي ﷺ

وحاصل ما أشار إليه الناظم هنا من خبر عتبة بن ربيعة مع النبي ﷺ، أن قريشا اجتمعت يوما في بعض أنديتها وتذاكـرت خـبر رسـول ا لله صلـى ا لله عليـه وسـلم ورأت إسلام عمر وحمزة، وأن أصحاب رسول ا لله ﷺ يزيدون ويكـثرون، فقـالوا: انظروا أعلمَكم بالسحر والكهانة والشـعر فليـأت هـذا الرجـل الـذي فـرق جماعتنـا وسبَّ آلهتنا وعاب ديننا فليكلمه، ولننظر ما ذا يرد عليه، فقالوا: ما نعلم أحـدا غـير عتبة بنِ ربيعة. فقام عتبةُ إلى رسول ا لله ﷺ وهو جالس بالمسجد وحـده فقـال: يـا ابن أخي إنك منا حيث علمت من البسطة[3] في العشيرة والمكانة في النسب، وإنـك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم وسفهت به أحلامهم وعبت به آلهتهم ودينهم وكفرت به من مضى من آبائهم، فاسمع مني أعرضْ عليك أمورا تنظـر فيهـا لعلك تقبل بعضها، فقال رسول ا لله ﷺ: «قل يا أبا الوليد أسمعْ» قال: يا ابن أخـي إن كنت تريد بما جئت به من هذا الأمر مـالا جمعنـا لـك مـن أموالنـا حتـى تكـون أكثرنا مالا، وإن كنت تريد به شرفا سوَّدناك علينا حتى لا نقطع أمـرًا دونـك، وإن كنت تريد ملكا ملكناك علينا، وإن كان الذي يأتيك رئيا[4] تراه لا تستطيع ردَّه عن

---

(1) أنبه: عنفه ولامه، وخزاه: أوقعه في الخزي والفضيحة.

(2) فال رأْيه: أخطأ وضعُف، وفَيَّل رأيَه: خطَّأه وضعَّفه وقبَّحه.

(3) البسطة: الفضيلة.

(4) الرئي: (كغني، وقد يكسر): مس الجن، يقال به رئي مـن الجـن أي مـس، والمـراد هنـا: جـني يريـه كهانة أو يلقي على لسانه شعرا.

نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه، فإنه ربما غلب التابعُ على الرجل حتى يداوى منه.

فلما فرغ عتبةُ، ورسول الله ﷺ يسمع منه قال: «أفرغت يا أبا الوليد»؟ قال: نعم، قال: «اسمعْ مني» قال: أفعلُ. فأنصت عتبة له وألقى بيديه خلف ظهره معتمدا عليهما يستمع منه، فقرأ رسول الله ﷺ: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ۝٣ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا.. ﴾ ثم مضى رسولُ الله ﷺ فيها حتى بلغ قولَه تعالى: ﴿ فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَقُلۡ أَنذَرۡتُكُمۡ صَٰعِقَةٗ مِّثۡلَ صَٰعِقَةِ عَادٖ وَثَمُودَ ﴾[1]، فلما سمع عتبة ذلك بهرَهُ فوضع يدَه على فم النبي ﷺ وهو يقول: سمعتُ سمعتُ.. ويناشده بالله والرحم أن يكف، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أسمعت يا أبا الوليد ما سمعت؟ فأنت وذاك».

فقام عتبةُ إلى أصحابه، فقال بعضُهم لبعض: نحلف با لله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به؛ فلما جلس إليهم قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد؟ قال: إني سمعت قولا وا لله ما سمعت مثله قط! فوا لله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة[2]، يا معشر قريش أطيعوني واجعلوها لي: خلوا بين هذا الرجل وما هو فيه

---

(1) فصلت: الآيات:1 – 13.

(2) وروي ـ أيضا ـ أن خالد بن عقبة جاء إلى النبي صلى ا لله عليه وسلم فقال: اقرأ علي القرآن، فقرأ: ﴿إن ا لله يأمر بالعدل والإحسان﴾ الآية، فقال له: أعد، فأعاد.. فقال له: وا لله إن له لحلاوةً وإن عليه لطلاوةً وإن أعلاه لمثمرٌ وإن أسفله لمغدقٌ وما يقول هذا بشرٌ وإنه ليعلو ولا يعلى. وروي أن ضمادا بن ثعلبة الأزدي لما سمع قولَه صلى ا لله عليه وسلم: "إن الحمد لله نحمده ونستعينه .." إلخ،

<<=

فاعتزِلوه، فوا لله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأٌ.. فإن تصبْه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم وكنتم أَسعدَ الناس به، ولقد أنذركم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود، وقد علمتم أنه إذا قال لم يَكذب. فقال أبو جهل: سحرك وا لله يا أبا الوليد بلسانه، فقال عتبة: هذا رأيي فيهِ فاصنعوا ما بدا لكم. (وإنما أُنذروا بصاعقة مثل صاعقة عاد وثمود التي أهلكتهم، لأن قريشا كانوا يمرون في أسفارهم على بلاد عاد وثمود ويشاهدون آثارهم ويعلمون شيئا من أخبارهم وسبب هلاكهم).

وقد قال صلى ا لله عليه وسلم في عتبة هذا يوم بدر - وقد رآه على جمل أحمر -: «إن يكن فيهم خير ففي صاحب الجمل الأحمر إن يطيعوه يرشدوا»[1]، وكان قد طلب من قريش الرجوع عن قتال المسلمين ببدر لما أتاهم رسول أبي سفيان بن حرب بالرجوع، فامتنع أبو جهل.

قال: وا لله لقد سمعت قول الكهنة وسمعت قول السحرة وسمعت قول الشعراء.. فما سمعت مثل هؤلاء الكلمات فوا لله لقد بلغت ناعوس البحر، يعني وسطه. وروي أن أعرابيا سمع رجلا يقرأ: ﴿فاصدع بما تؤمر..﴾ - الاية - فخر ساجدا فقيل له: لم سجدت؟ قال: سجدت لفصاحة هذا القول. وروي أن النضر بن الحارث، الذي قتل كافرا بعد وقعة بدر، قال لقريش يوما: قد كان محمد فيكم غلاما حدثا أرضاكم فيكم وأصدقكم حديثا وأعظمكم أمانة ، حتى إذا رأيتم في صدغيْه الشيب وجاءكم بما جاءكم به قلتم ساحر، لا وا لله ما هو بساحر. ولقي الأخنسُ بنُ شريق أبا جهل يوم بدر فقال له: يا أبا الحكم ليس هنا غيري وغيرك يسمع كلامنا، أخبرني عن محمد أصادق هو أم كاذب؟ فقال أبو جهل: وا لله إن محمدًا لصادق وما كذب محمدٌ قط. وسأل هرقلُ عنه أبا سفيان، فقال: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قال: لا. وكل هذا شهادة من أعدائه صلى ا لله عليه وسلم ــ وإن كان بعضهم وهو القليل أسلم بعد [والحق ما شهدت به الأعداء].

(1) أخرجه أحمد.

وَهْـــوَ أَبُو أَبِي حُذَيْفَةَ الذَّرِبْ لَيْسَ لَهُ وَلاَ لِسَالِمٍ عَقِــــبْ
مَوْلاَهُ وَهْوَ فَارِسِيٌّ نَجْـــرَا وَقَــدْ تَبَنَّاهُ فَكَانَ بَحْـــرَا
وَزَوْجُهُ سَهْلَةُ أَرْضَعَـتْ عَلَى كِبَرِهِ مَــوْلاَهُ ذَا وَجُعِـــلاَ
إِرْضَاعُهَا بَعْــدُ رَضَاعًا مُعْتَبَرْ أَوْ هُوَ رُخْصَةٌ وَمَا حُكْمًا نَشَرْ
أُلْقِــيَ إِرْثُـــهُ عَلَى مُعْتِقَتِهْ فَأَمَـــرَتْ بِجَعْلِــهِ بِرُمَّتِهْ
فِي بَيْتِ مَالِ الْحُنَفَا أَنْ كَانَا مُسَيَّبَ الْعِتْـــقِ فَلاَ يُدَانَى

قوله **وهو**: أي عتبة بن ربيعة الذي مر ذكره. **وأبو**: أي والد أبي حذيفة بن عتبة. **والذرب** (ككتف): الفصيح اللسان. **وهو**: صفة **لأبي حذيفة**. والضمير في **له**: عائد على أبي حذيفة. **ومولاه**: صفة **لسالم**، والضمير فيه عائد على **أبي حذيفة**، أي ليس لأبي حذيفة ولا لمولاه سالم عقبٌ؛ وقد كان سالم مولىً لأبي حذيفة بالصحبة والحلف والنصرة لا بالعتق. وقوله **وهو**: أي سالم. **وفارسي** نسبة إلى فارس (وهم أمة معروفة). **والنجر**: الأصل كالنجار. **وتبناه**: اتخذه ابنا. **فكان** ـ أي سالم ـ **بحرا**: أي عالما كريما كثير المعروف. **وزوجه** (بالرفع): مبتدأ. والضمير فيه عائد على أبي حذيفة. **وسهلة**: بدل من زوجه. وجملة **أرضعت** .. إلخ: خبر عن قوله **زوجه**. **ومولاه**: مفعول به لأرضعت، والمجرور قبله صفة له متقدمة عليه ـ وفيه الإضمار قبل الذكر وهو جائز ـ يعني أن سهلة هذه أرضعت سالما مولى أبي حذيفة على كبر سنه. وقوله **رضاعا معتبرا**: أي ينشر الحرمة؛ ووقف عليه بوقف ربيعة[1]. **والرخصة**: التسهيلُ في الأمر والتيسير،

(1) يقفون على المنصوب المنوَّن بالسكون، كقول الشاعر:

ألا حبذا نعم وحسن حديثها لقد تركتْ قلبي بها هائماً دنفْ

يقال: *له في هذا الأمر رخصة*[1]. وقوله **وما حكما نشر**: أي لم ينشر الحرمة.

وأبو حذيفة هذا هو مهشم بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي العبشمي، أمه أم صفوان فاطمةُ بنت صفوان بن أمية بن محرز الكنانية، وقد اختلف في اسمه، فقيل مهشم[2] - كما مر - وقيل قيس، وقيل هشيم، وقيل هاشم، وقيل اسمه كنيته، وقيل غير ذلك.. أسلم رضي الله عنه قديما قبل دخول النبي ﷺ دار الأرقم بنِ أبي الأرقم؛ وكان من فضلاء الصحابة جمع الله له الفضل والشرف، وصلى إلى القبلتين وهاجر الهجرتين فكان من المهاجرين الأولين؛ هاجر بامرأته سهلةَ بنتِ سهيل بن عمرو العامرية إلى أرض الحبشة، وولدت له هناك محمداً بن أبي حذيفة، ثم قدم على النبي ﷺ بمكة وأقام بها، ثم هاجر إلى المدينة وشهد بدرا والمشاهد بعدها؛ واستشهد يوم اليمامة في قتال أهل الردة تحت رَاية المهاجرين. وانقطع عقبه رضي الله عنه.

تنبيهٌ: ولد لأبي حذيفة هذا محمدٌ بنُ أبي حذيفة، وكان مولده بأرض الحبشة على عهد رسول الله ﷺ ، أمه سهلةُ بنت سهيل بن عمرو، أخي بني عامر بن لؤي، ثمَّ كفله عثمانُ بنُ عفَّانَ بعد موت أبيه وانفق عليه سنين؛ فلما قاموا على عثمان كان من أَشد الناس تأليبًا عليه، ولما قتل عثمان فرَّ محمدٌ بن أبي حذيفة إلى الشام فلقيه رشيدٌ مولى معاوية فقتله ؛ وقيل كان مع علي بن أبي طالب وولاَّه مصر، ثم عزله عنها وولى مكانه قيسَ بنَ سعد بن عبادة. وقتل محمدٌ هذا عن غير عقب، وبموته انقرض عقب أَبي حذيفة، بل وعقب أبيه عتبة بن ربيعة

---

(1) وهي في الشرع الانتقال من صعوبة إلى سهولة مع بقاء السبب الأصلي، تارة تكون واجبة كأكل الميتة للمضطر، وتارة مندوبة كقصر الصلاة في السفر، وتارة خلاف الأولى كفطر المسافر الذي لا يشق به الصوم.

(2) وقيل إن مهشما هو أبو حذيفة بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم.

إلا من ابنه الوليد. وقد يتبادر من عبارة الناظم **ليس له ولا لسالم عقب** نفي عقب أبي حذيفة من أصله، وليس هو المراد لشهرة ابنه محمد هذا، بل المراد أنه انقطع عقبه بموت ابنه محمد. وا لله أعلم.

سالم مولى أبي حذيفة والقول في رضاعة الكبير

أما **مولاه** فهو أبو عبد ا لله سالم بن معقل، وقيل سالم بن عبيد بن ربيعة الفارسي الأصل، الأنصاري بالولاء المهاجري بالحلف والتبني؛ أصله من أهل إصطخر، وقيل من عجم الفرس، ثم كان مولى لثبيتة[1] بنت يعار (بفتح الياء) بن زيد بن عبيد بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس الأنصارية الأوسية، فأعتقته سائبةً (أي على أن لا ولاء لها بل للمسلمين جميعا)، ولما أعتقته قالت له: أنت سائبة وال من شئت؛ فوالى أبَا حذيفة بنَ عتبة بنِ ربيعة، فتبناه حتى نُسب إليه إلى أن نزل قولُه تعالى﴿ادعوهم لآبائهم﴾[2] - الآية - رُدَّ إلى أبيه وقيل له *سالم مولى أبي حذيفة*. ولما نزلت هذه الآية جاءت سهلة بنت سهيل بن عمرو — زوج أبي حذيفة - إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول ا لله إنا كنا نرى سالما ولدا وقد بلغ ما يبلغه الرجال وعقل ما عقلوه، وكان يدخل عليَّ وأنا فضل[3] وليس لنا إلا بيت واحد، وإني أظن أن في نفس أبي حذيفةَ من ذلك شيئا؛ فقال لها رسول ا لله ﷺ: «أَرضعيه تحرمي عليه ويذهبْ ما في نفس أبي حذيفة»، وفي رواية أنه قال لها:

---

(1) اختلف في اسمها فقيل عمرة، وقيل سلمى، والمشهور ثبيتة ؛ كانت من المهاجرات الأول، ومن فضيلات نساء الأنصار - [الاستبصار] - وكانت تحت أبي حذيفة، ولذا لما أعتقت سالما حالف زوجها.

(2) الأحزاب: 5.

(3) الفُضُل (بضمتين): اللابسة ثوب النوم، والمتفضلة: التي في ثوب واحد.

«أرضعيه خمس رضعات»[1] ففعلت؛ فكانت بعد ذلك تراه ابنًا من الرضاعة. فأخذت بذلك أُمُّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وبه قال ابن عطاء والليثُ؛ وكانت عائشة تأمر أُختها أمَّ كلثوم بنت أبي بكر وبناتِ أخيها عبدِ الرحمن بن أبي بكر أن يرضعن من أَحبت أن يدخل عليها من الرجال. وإلى ذلك أشار الناظم بقوله: **وجُعِلاَ إرضاعُها بعدُ رَضَاعا معتبر..**

وقد أبى سائر أزواج النبي ﷺ أن يدخل عليهن بتلك الرَّضاعة أحدٌ، وقلن ما نرى الذي أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم سهلة بنتَ سهيل إلا رخصةً في رضاعة سالم وحده. ولم تزل أزواجه صلى الله عليه وسلم ــ غيرَ عائشة ــ على ذلك من أنه لا ينشر الحرمة؛ وهو مشهور مذهب الإمام مالك رحمه الله. وإلى ذلك أشار بقوله **..أو هو رخصة وما حكما نشر.**

وكان أَبو حذيفة بن عتبة قد زوج مولاهُ سالما هذا من بنت أَخيه فاطمةَ بنتِ الوليد بن عتبة بن ربيعة، وكانت من المهاجرات ومن أَفضل أيامى قريش، ولم يعقب رضي الله عنه. وكان من فضلاء الموالي وخيار الصحابة وكبارهم وقرَّائهم، شهد بدْرًا وما بعدها من المشاهد مع رسول الله ﷺ ؛ وكان بيدهِ لواءُ المهاجرين يومَ اليمامة، فقيل له: إنما يؤتى الجيوشُ من قبل راياها، فقال: بئس حاملُ القرآن أنا إن فررت!؛ فلم يزل قائما بيده اللواء حتى قطعت يمينه، فأخذه بيساره فقطعت، فاعتنقه وهو يقول: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا

---

(1) أخرجه مسلم وأبو داوود وأحمد، وكانت قد أرضعته وهو ذو لحية؛ وروي أنها حلبت له في مسعط وشرب اللبن، ذكره محمد بن حبيب ــ [الروض الأنف].

وَسَيَجۡزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾[1] ــ الآية ــ حتى صرع، فقال لأصحابه: ما فعل أبو حذيفة؟ قيل: قتل، قال: فأضجعوني بجنبه؛ وقيل لما قتل وُجد أحدهما عند رجلي الآخر. وكان ذلك سنة اثنتي عشرة للهجرة.

وقوله **ألقي إرثه** .. إلخ: الضمير في **إرثه** وفي **معتقته** عائد على سالم، أي عُرض متروكُه على معتقته ودفع إليها ولكنَّها أبت عنه وامتنعت منه وقالت: إني كنت قد سيَّبته لله. وقوله **برُمَّته** (بضم الراء وتشديد الميم): أي جميعه[2]. **والحنفاء**: الصحابة. وقوله **أن كانا** (بفتح الهمزة): أي لأجل أن كان **مسيَّب** العتق (بصيغة اسم المفعول): أي الذي أعتق على أن لا ولاء لمعتقه. وقوله **فلا يدانى** (بضم الياء): أي لا يقرب ماله بالإرث بالولاء ، لأن ميراثه للمسلمين كافة.

وحاصل ما أشار إليه الناظم أن سالما مولى أبي حذيفة هذا لما استشهد يوم اليمامة أرسل أبو بكر ميراثَه إلى معتقته ثبيتةَ بنتِ يعار الأوسية فلم تقبله، ثم أرسله عمر إليها، فقالت: كنت قد سيبته لله، فجعله عمر في بيت المال. وقد قيل إن عمر أرسل ميراث سالم هذا إلى أمه؛ وقيل إنه لما كان مسيَّبَ العتق أوصى بثلث ماله في سبيل الله، وثلثه في الرقاب، وثلثه لمواليه[3]. والله أعلم.

---

(1) آل عمران: 144.

(2) وفي المثل "أخذه برمته" أي بجملته، والرمة: القطعة من الحبل البالية؛ وأصله أن رجلا دفع إلى رجل بعيرا بحبل في عنقه ، فقيل لكل من دفع أو أخذ شيئا بجملته: "دفعه إليه برمته" و"أخذه منه برمته".

(3) اختلف الأئمة والعلماء فيمن لم يخلف من وُرَّاثه عصبةً ولا ذا فرض، فقد روي عن أحمد أن وصيته جائزة بكل ماله، وثبت ذلك عن ابن مسعود، وبه قال عبيدة السلماني ومسروق وإسحاق وأهل العراق، وأن المنع من الزيادة على الثلث إنما كان لتعلق حق الورثة به بدليل قوله صلى الله عليه وسلم: «إنك إن تترك ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس»، وقيل لا يجوز لهُ أن يوصي إلا بالثلث، وبه قال مالك والشافعي والأوزاعي وابن شبرمة، وروي أيضا عن أحمد. [راجع المغني لابن قدامة المقدسي: 8 / 516].

وفي قول الناظم: **فأمرت بجعله..** إلخ تجوُّزٌ لما فيه من إسناد الأمر بجعل الإرث المذكور في بيت المال إلى مولاة سالم، لأن الذي أمر بجعله في بيت المال هو عمر بن الخطاب، ولكن لما كان في امتناعها من أخذ الإرث وقولها: أعتقته سائبة أمر ضمني بجعله في بيت المال، أسنده إليها مجازا. وا لله أعلم.

وكان سالم هذا يذكر في الأنصار لعتق ثبيتةَ إيَّاه، وفي المهاجرين لتولي أبي حذيفة له وتبنيه إياه بعد العتق، وإلى ذلك أشار بعضهم بقوله:

يعد للأنصار بالـــولاء وللمهاجـــرين للجلاء

ولعله يعني بالجلاء الهجرةَ والإقامة فيهم ومحالفة أَحدهم. وا لله أعلم.

فائدة: من قال لعبده أنتَ سائبةٌ وقصد به العتقَ عَتَقَ وولاؤه للمسلمين، وإن لم يقصد به العتق فلا يعتق، بخلاف ما لو قال له: أنت حرٌّ سائبة أو معتق سائبة أو مسيَّبٌ، فإنه يكون حرا وإن لم يرد العتق. واختلف الفقهاء المالكيون في العتق بلفظ *السائبة* فقيل يكره لأنه من ألفاظ الجاهلية، وقيل يجوز وقيل يمنع، والمعتمد من الخلافِ الكراهةُ. وقد أَبطل التسيُّبَ في العتق كثيرٌ من العلماء عملاً بحديث ابن مسعود «لا سائبة في الإسلام»[1]، وجعلوا الولاء لكل من أعتق أخذا بعموم حديث «الولاء لمن أعتق»[2]، وجعلوا ميراثه لمسيبه إن لم يكن له وارث؛ ورأى الإمام مالك أن التسييب والعتق حكمان مختلفان وأن ولاء السائبة لجماعة المسلمين لا لمن سيبه، وأن متروكه يجعل في بيت المال لأن منفعته عامة للمسلمين، وهذا إن لم يكن له وارث أيضا وإلا ورِثه. وا لله أعلم.

---

(1) أورده القرطبي دون عزو [ج6/ص341].

(2) أخرجه البخاري ومسلم.

ومن ولد عتبة بن ربيعة بن عبد شمس الوليد بن عتبة وبه كان يكنى، وانقطع عقب عتبة إلا منهُ؛ قتل يوم بدر كافرا مع أبيه وعمه في البراز، قتله علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وله عقبٌ بالشام.

ومن ذرية عتبة ـ أيضا ـ هندُ بنت عتبة الصحابيةُ المشهورة أمُّ معاوية وعتبةَ ابني أبي سفيان بن حرب، كانت ذات شرف وعز وأنفة، أمها صفية بنت أمية بن حارثة بن الأوقص السلمية. وقد تزوجت هند هذه بحفص بن المغيرة المخزومي فولدت له أبان بنَ حفص، ولعله هو بكرها الذي تعني بقولها:

ما كان عن عتبة لي من صبر ولا أخي وعمه وبكري

ثم تزوجها بعد حفص الفاكه، وجرى له معها ما مرَّ في قوله: *والفاكه اتهم هندا*..إلخ، ففارقته؛ ثم خطبها أبو سفيان بن حرب وسهيل بن عمرو، فقال أبوها عتبة مخاطبا لها:

أتاك سهيل وابن حرب وفيهما رضى لك يا هندَ الهنود ومقنع
وما منهما إلا كريم مرزأٌ وما منهما إلا أغر سميذع[1]
فدونك فاختاري وأنت بصيرة ولا تخدعي إن المخادع يخدع

فاختارت أبا سفيان، فتزوجها فولدت له عتبة ومعاوية وجويرية وأم الحكم. وكان يقال في هند بنت عتبة هذه: لم تر امرأة لها أربعة إخوة وعمان شهدوا بدرا كلهم إلا هند: أخوان وعم من المسلمين، وأخوان وعم من المشركين؛ فالأخوان المسلمان أبو حذيفة بن عتبة ومصعب بن عمير، والعم المسلم عمرو بن الحارث ـ أخو عتبة

---

(1) مُرَزأٌ (بوزن مُعظم): كريم سَخِي، والسميدع (بالدَّال المهملة والمعجمة): السيد الكريم، والشريف الشجاع.

لأمه ـ، والأخوان المشركان الوليد بن عتبة وأبو عزيز بن عمير، والعم المشرك شيبة بن ربيعة[1].

وأخبار هندَ وزوجِها أبي سفيان قبل الإسلام مشهورة؛ وأسلما يوم الفتح وحسن إسلامهما رضي الله عنهما. وكان من حديث إسلامها أنها جاءت في نسوة من قريش إلى النبي ﷺ وهو على الصفا وعمر دونه على العقبة ليبايعنه على الإسلام، فجعل عمر يكلمهن عن رسول الله ﷺ ؛ فلما أخذ عليهن ﴿ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا ﴾، قالت هند: قد علمت أنه لو كان مع الله غيره لأغنى عنا، فلما قال: **ولا يسرقن**، قالت: وهل تسرق الحرة؟ ثم قالت: يا رسول الله إن أبا سفيان رجل شحيح وليس يعطيني من النفقة ما يكفيني وولدي، فقال: «خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف»[2]، ثم قال: «إنك لأنت هند»؟ قالت: نعم.. فاعف عني يا رسول الله قال «عفا الله عنك» ـ وكان أبو سفيان حاضرا فقال: أنتِ في حل مما أخذت ـ فلما قال: ﴿وَلَا يَزْنِينَ ﴾، قالت: وهل تزني الحرة يا رسول الله؟ فلما سمعت: ﴿وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ ﴾ ، قالت: والله قد ربيناهم صغارا حتى قتلتهم أنت وأصحابك ببدر كبارا،

---

(1) وفي الزبيري: أن مصعبا وأبا عزيز ابني عمير ليسا أخوى هند بنت عتبة، لأن هند أمها صفية بنت أمية بن حارثة بن الأوقص السلمية، وأم مصعب وأبي عزيز خناس بنت مالك بن المضرب بن أهيب بن عمرو بن حجير بن عبد بن مَعيص بن عامر بن لؤي العامرية، وإنما هما أخوا أخويها: أبي هاشم وأم أبان ابني عتبة بن ربيعة لأم؛ وأما حذيفة بن عتبة فأخوها لأب لأن أمه أم صفوان فاطمة بنت صفوان بن أمية بن محرز الكنانية وهي أيضا أم أخيه حفص بن عتبة ؛ وأما عمها عمرو فهو عمرو بن الحارث بن زهير بن أبي شداد بن ربيعة بن هلال الفهري الهلالي أخو عتبة وشيبة ابني ربيعة لأمهما، أمهم هند بنت المضرب بن أهيب عمة خناس بنت مالك بن مضرب المذكورة؛ وأما الوليد بن عتبة فشقيق هند.

(2) أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما.

فضحك عمر من قولها حتى مال ؛ فلما قال: ﴿ولا يعصينك في معروف﴾ ، قالت: بأبي أنت وأمي ما أكرمك وأحسن ما دعوت إليه.

وتوفيت هند في خلافة عمر هي وأبو قحافة والد أبي بكر الصديق في يوم واحد، وقيل توفيت في خلافة عثمان. والله أعلم.

لَوْ كَانَ حَيًّا لَمْ تَكُ الْخِلَافَه ... شُورَى وَمَسْجِدُ ذَوِي النَّظَافَه

هُوَ إِمَامُ أَهْلِهِ قَبْلَ الأَمِينْ ... وَعَدَّهُ فِي الْقَارِئِينَ الْمُتْقِنِينْ

بِالأَخْذِ مِنْهُمْ أَمَرَ النَّبِيُّ: ... قَعِيدُهُ مُعَاذُهُ أُبَيُّ

وَسِتَّةُ الشُّورَى عَلِيٌّ سَعْدُ ... عُثْمَانُ طَلْحَةُ الزُّبَيْرُ بَعْدُ

وَنَجْلُ عَوْفٍ وَمَعَ الْقَوْمِ حَضَرْ ... ـ وَلَا يَكُونُ مَنْ ذَوِيهَا ـ ابْنُ عُمَرْ

قوله **لو كان حيا**: اسم **كان** ضمير مستتر عائد على سالم المحدث عنه، **وحيا**: خبرها. **وشورى** (بضم الشين المعجمة): أي متشاورا فيها. وقوله **ومسجد ذوي النظافة**: مبتدأ خبره جملة **هو إمام أهله**.. إلخ، **والنظافة**: الطهارة من القذر والنجس والنقاوة من الوسخ والدنس؛ والمراد به مسجد أهل قباء[1] الذي مدح الله تعالى أهله

(1) قباء: مسكن بني عمرو بن عوف، وهو على فرسخ من المدينة، وهو اسم بئر عرفت القرية بها، وبها مسجد من أشهر وأعظم المزارات بالمدينة المنورة، تستحب زيارته وصلاة ركعتين فيه وخصوصا يوم السبت، لما رواه البخاري والنسائي من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأتي مسجد قباء كل سبت راكبا أو ماشيا. وفي الصحيحين عن ابن عمر قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزور قباءَ ، أو يأتي قباء راكبا أو ماشيا، وروى الترمذي أنه صلى الله عليه وسلم قال: «الصلاة في مسجد قباء كعمرة»، وكان عبد الله بن عمر يفعل ذلك؛ وعن عائشة بنت سعد بن أبي وقاص قالت: سمعت أبي يقول: لأن أصلي في مسجد قباء ركعتين أحب إلي من أن آتي بيت المقدس مرتين، ولو يعلمون ما في قباء لضربوا إليه أكباد الإبل.

بقوله ﴿ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴾[1].

وأهل قباء هم بنو عمرو بن عوف. وقوله **قبل الأمين**: أي قبل قدومه صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، بل وقبل بناء المسجد، والأمين: من أسمائه صلى الله عليه وسلم.

أشار الناظم ــ رحمه الله ــ إلى قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين طعن: لو كان سالم حيا ما جعلت الخلافة شورى وقلت لربي إن سألني سمعت نبيك يقول: «إن سالما شديد الحب لله تعالى» ؛ قال أبو عمر: ومعناه أنه كان يصدر عن رأيه فيمن يوليه الخلافة، وروي أيضا أنه قال: "لو كان أبو عبيدة حيا ما تركت الأمر شورى"، وفي رواية: "لو أدركني أجلي وأبو عبيدة حي استخلفته فإن سألني الله عز وجل لم استخلفته على أمة محمد؟ قلت: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن لكل نبي أمينا وأميني أبو عبيدة»[2].

وكان عمر رضي الله عنه يبالغ في الثناء على سالم مولى أبي حذيفة، وقد هاجر سالم هذا من مكة إلى المدينة في نفر من الصحابة، منهم عمر بن الخطاب وأبو سلمة بن عبد الأسد، فكان يؤمهم في السفر لأنه كان أكثرهم قرآنًا، ولَمَّا قدموا المدينة نزلوا بالعصبة[3] إلى جنب قباء، فكان سالم يؤم المهاجرين ومن معهم بقباء قبل قدوم النبي ﷺ لأنه كان أقرأهم؛ حتى قدم النبي صلى الله عليه وسلم ونزل بأهل قباء وأسس مسجدها على التقوى وأقام فيهم أربعة أيام، وقيل بضع عشرة ليلة. وإلي هذا أشار الناظم بقوله: **ومسجد ذوي النظافة**.. إلخ،

(1) التوبة: 108.

(2) أخرجه البخاري ومسلم.

(3) العصبة (بفتح العين وتضم): منزل بني جحجبا غربي مسجد قباء ــ [وفاء الوفاء].

وفي كلامه ـ رحمه الله ـ تجوز لأن مسجد قباء إنما بُنيَ بعد مقدم الأمين ﷺ المدينة مهاجرا، ولكن لما كان سالم يؤم المهاجرين ومن معهم قبل قدوم النبي صلى الله عليه وسلم بالمكان الذي بني به هذا المسجد فيما بعد، أطلق عليه أنه كان إمام أهل هذا المسجد مجازا. والله أعلم. قوله **وعده**: فاعله ضمير مستتر عائد على الأمين ﷺ، وضمير المفعول به عائد على سالم. وقوله **بالأخذ منهم**: متعلق **بأمَرَ**. **وقعيده** (بالرفع): خبر مبتدأ محذوف تقديره: وهم *قعيده*.. إلخ، وهذا الضمير المقدر عائد على القارئين، وكذلك الضمير في **بالأخذ منهم** ؛ **والقعيد** (كأمير): المجالس، وأراد به عبد الله بنَ مسعود لأنه صاحب السَّوادِ ـ كما مر ـ وأضافه لضمير الأمين صلى الله عليه وسلم إضافة تشريف، كما فعل في معاذ وهو ابن جبل ؛ وسيأتي التعريف بهم في محله من النظم إن شاء الله.

وقد أشار ـ رحمه الله ـ بذلك إلى ما في الاستيعاب في ترجمة سالم بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: «خذوا القرآن من أربعة: من أبي بن كعب ومعاذ بن جبل وسالم مولى أبي حذيفة وابن مسعود»[1]. وروي عن عائشة رضي الله عنها قالت: احتبست على رسول الله ﷺ فقال: «ما حبسك»؟ قالت: سمعت قارئا يقرأ.. فذكرت من حسن قراءته؛ فأخذ رداءه وخرج فإذا هو سالم مولى أبي حذيفة، فقال: «الحمد لله الذي جعل في أمتي مثل هذا»[2].

ولما أشار رحمه الله إلى قول عمر في سالم: لو كان حيا ما جعلت الخلافة شورى، استطرد ذكر الستة الذين جعل فيهم عمر الشورى فقال: **وستة الشورى**.. إلخ، **والشورى** (بضم المعجمة وتشديدها): اسم بمعنى التشاور. وقوله **ومع القوم**:

---

(1) رواه البخاري ومسلم.

(2) أخرجه ابن ماجه في سننه، والإمام أحمد في مسنده.

متعلق **بحضر**. و**ابن عمر**: فاعل حضر. وجملة: **لا يكون من ذويها**: اعتراضية. واسم **لا يكون**: ضمير مستتر عائد على **ابن عمر**؛ وفيه الاضمار قبل الذكر، وهو شائع. وخبر **لا يكون**: المجرور بعدها، والضمير فيه عائد على الخلافة.

يعني أن عمر أمر أهل الشورى بأن يحضروا معهم ابنه عبد الله ليستعينوا برأيه بشرط أن لا يكون له حظ في الخلافة ؛ وقد روي أنه قيل له: مالك في ابن عمر؟ فقال: يكفي آل الخطاب رجل واحد من الحساب.

الستة أصحاب الشورى

ولما طعن عمر رضي الله عنه وعلموا أنه لا يعيش، قال له سعيد بن زيد: إنك لو أشرت برجل من المسلمين ائتمنك الناس، فقال: والله لا أتحملها حيا وميتا، ولقد رأيت من أصحابي حرصا سيئا، وإني جاعل هذا الأمر إلى هؤلاء النفر الستة بقية العشرة الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض: عثمان بن عفّان وعلي بن أبي طالب وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص، فمن استخلفوا فهو الخليفة. وضرب لهم ثلاثة أيام للتشاور وقال: لا يأت عليكم اليوم الرابع إلا وعليكم أميرٌ منكم ـ يعني من هؤلاء الستة ـ بعد التشاور والاتفاق عليه ؛ وكان طلحةُ يومئذ غائباً، فقال: إن لم يجئ طلحةُ فيها فيختار الخمسة غيرَه خليفةً؛ وجعل ابنَه عبدَ الله مُشيرا وليس له في الأمر شيءٌ، وأمر المسور بنَ مخرمة في ثلاثين من الأنصار أن يقوموا على بابهم، وقال لهم: إن اتفقوا على واحد إلى ثلاثة أيام وإلا فاضربوا رقابَ الكل فلا خير للمسلمين فيهم، وإن افترقوا فرقتين فالفرقة التي فيها ابن عوف؛ وأوصى أن يصليَ صهيبٌ بالناس في تلك الأيام الثلاثة.

فتداول القوم في شأن الخلافة، فأخرج ابنُ عوف منها نفسَه ـ أي من الطلب بها ـ ثم آل أمرهم إلى اختيار عثمان بنِ عفان، في قصة طويلة مشهورة ؛ فبايعه ابنُ

عوف وبقيةُ النفر ثم بايعه الناس جميعا.

أما علي وعثمان فقد تقدم التعريف بهما. **وأما سعد** فهو الصحابي الجليل أبو إسحاق سعد بن أبي وقّاص مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب القرشي الزهري، كان سابع سبعة في الإسلام؛ أسلم وهو ابن سبعَ عشرةَ سنةً، وهو أول من رمى بسهم في سبيل الله، وفي ذلك يقول:

ألا هل اتى رسول الله أني — حميت صحابتي بصدور نبلي

أذود بها عدوّهم ذيادًا — بكل حزونة وبكل سهل

فما يعتد رام من معد — بسهم في سبيل الله قبلي

وكان - رضي الله عنه - أحد فرسان وشجعان قريش الذين كانوا يحرسون رسول الله ﷺ في مغازيه، وكان يقال له: فارس الإسلام، وهو الذي تولى قتال فارس فكان فتح القادسية على يده، وهو الذي فتح مدائن كسرى وكَوَّفَ الكوفة (أي بناها) وجعلها خططا لقبائل العرب وابتنى بها دارا وكثرت فيها الدور وظل أميرا عليها من طرف عمر مدة، ثم ولاّه عثمان زمنا ثم عزله فعاد إلى المدينة؛ ولما قتل عثمان عرضت عليه الخلافة فامتنع منها، ثم قعد ولزم بيته في الفتنة. وقد تقدمت نبذة من ترجمته عند قول الناظم: *ومنه سعد بن أبي وقاص* ..إلخ.

وأما طلحة فهو أبو محمد طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة القرشي التيمي، كان أحد الخمسة الذين أسلموا على يد أبي بكر وأحد الستة أصحاب الشورى وأحد العشرة المبشرين بالجنة. وقد بعثه رسول الله ﷺ قبيل وقعة بدر هو وسعيد بن زيد إلى طريق الشام يتحسسان الأخبار، فقدما المدينة يوم وقعة بدر فضرب لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم سهمين في الغنيمة وأجرهما. وشهد طلحة أحدا، وثبت مع النبي ﷺ وبايعه على الموت وأبلى فيه بلاءً حسناً ووقى النبي ﷺ بنفسه واتقى النبل عنه بيده حتى شلت

في الذب عنه وأصيب بأكثر من عشرين جرحا، وشهد ما بعد أحُد من المشاهد؛ وكان من الشجعان البارزين. وكان رضي الله عنه جوادا، فعن قبيصة بن جابر قال: صحبت طلحة فما رأيت رجلاً أعطى لجزيل مال من غير مسألة منه، وكان قد اشترى بئر نعمان وتصدق بها على أهل المدينة، فقال له رسول الله ﷺ: «ما أنت يا طلحةُ إلا فياضٌ»، فمن ذلك لقب طلحة *بالفياض*، *وطلحة الخير*، *وطلحة الجود*، وكلها ألقاب لقبه بها رسول الله ﷺ في مناسبات مختلفة، فقد لقبه بطلحة الخير يوم أحد وطلحة الفياض يوم العشيرة وطلحة الجود يوم حنين. وتزوج رضي الله عنه أربع نسوة عند النبي ﷺ أخت كل واحدة منهنَّ، وهنَّ أم كلثوم بنت أبي بكر أخت عائشة، وحمنة بنت جحش أخت زينب، والفارعة بنت أبي سفيان أخت أم حبيبة، ورقية بنت أبي أمية أخت أم سلمة. وتوفي ـ رضي الله عنه ـ في وقعة الجمل ـ كما مر ـ وهو بجانب الزبير وعائشة رضي الله عنهم سنة ست وثلاثين عن أربع وستين سنة. وروي أنه صلى الله عليه وسلم قال: «من أحبَّ أن ينظر إلى شهيد يمشي على وجه الأرض فلينظر إلى طلحة»[1].

وأما الزبير فهو أبو عبد الله الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب القرشي الأسدي، حواري رسول الله ﷺ وابن عمته صفية بنت عبد المطلب، وابن أخي خديجة بنت خويلد زوج النبي صلى الله عليه وسلم. أسلم رضي الله عنه وله اثنتا عشرة سنة وهاجر الهجرتين، ولم يتخلف عن غزوة غزاها رسول الله ﷺ ، وكان من الشجعان المشهورين، وأول من سل سيفًا في الإسلام ؛ وكان على بعض الكراديس باليرموك. وكان موسرًا كثير المتاجر

(1) أخرج ابن ماجه نحوه، ورواه ابن عبد البر بهامش الإصابة: 2 / 221.

مجدودا[1] خلف أملاكا كثيرة ؛ وكان قد أوصى إليه نفر كبير من الصحابة منهم عثمان والمقداد وابن مسعود وابن عوف وأبو العاص بن الربيع.. فكان يحفظ أموالهم وينفق على أولادهم من ماله ؛ وممن أوصى إليه مطيع بن الأسود، وروي أنه لما أوصى إليه أبى، فقال له مطيع: أسألك با لله والرحم إلا ما قبلت فإني سمعت عمر يقول: إن الزبير ركن من أركان الدين.

وكان رضي ا لله عنه قد حضر وقعة الجمل ثم انصرف عنها راجعًا إلى المدينة على فرس له، فتبعه عمرو بن جرموز التميمي فقتله غدرا بموضع يعرف بوادي السباع على سبعة فراسخ من البصرة سنة ست وثلاثين عن بضع وستين سنة (كما مر).

وفيه يقول حسَّان بن ثابت الأنصاري:

أقام على هدي النبي وعهده حواريه والقول بالفعل يعدل
أقام على منهاجه وطريقه يوالي وليَّ الحق والحقُّ أَعدل
هو الفارس المشهور والبطل الذي يصول إذا ما كان يوم محجل[2]
وإن امرأً كانت صفية أمه ومن أسد في بيته لمرفل[3]
له من رسول ا لله قربى قريبة ومن نصرة الإسلام مجد مؤثل[4]

---

(1) المجدود: ذو الحظ.

(2) يوم محجل: مشهور، يقال: أمر أغر محجل: أي مشهور.

(3) مرفل: معظم.

(4) مجد مؤثل: أي مؤصل، قال الشاعر:

ولكنما أسعى لمجد مؤثل وقد يدرك المجد المؤثل أمثالي

وشرف أثيل: أصيل.

وأما عبد الرحمن فهو أبو محمد عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة بن كلاب القرشي الزهري، كان اسمه عبد الكعبة وقيل عبد عمرو فسماه النبي ﷺ عبد الرحمن. ولد بعد الفيل بعشر سنين وأسلم قبل دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم دار الأرقم بن أبي الأرقم، وهاجر الهجرتين. وكان ممن حرم الخمر على نفسه في الجاهلية، وكان أحد الستة أصحاب الشورى وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وقد أسند إليه أصحاب الشورى أمرهم أخيرا، فبايع عثمان وكان قد زوى الأمر عن نفسه وعن ابن عمه سعد بن أبي وقاص.

وكان يحترف التجارة وأكثر ماله منها واجتمعت له ثروة كبيرة، وكان كثير الإنفاق في سبيل الله؛ تصدق مرة على عهد رسول الله ﷺ بشَطر ماله؛ وتصدق مرة بأربعين ألف دينار كان قد باع بها أرضا له، ثم حمل على خمسمائة فرس في سبيل الله وخمسمائة راحلة وأعتق ثلاثين ألف نسمة. وقال فيه رسول الله ﷺ: «عبد الرحمن سيد من سادات المسلمين» وقال: «عبد الرحمن أمين في السماء أمين في الأرض» ؛ وكان أمين رسول الله صلى الله عليه وسلم على نسائه، وقال صلى الله عليه وسلم: «الذي يحافظ على أزواجي من بعدي هو الصادق البار»، فكان عبد الرحمن بن عوف يخرج بهن ويحج معهن، ويجعل على هوادجهن الطيالسةَ وينزل بهن في الشعب[1] الذي ليس له منفذ.

واستخلفه عمر على الحج سنة ولي الخلافة، وتوفي عبد الرحمن سنة اثنتين وثلاثين وصلى عليه عثمان، وقيل الزبير بن العوام ودفن بالبقيع. وروى عنه خلق

---

(1) الطيالسة: جمع طيلسان (بكسر اللام وضمها): وهو كساء أخضر يلبسه الخواصُّ من المشايخ ونحوهم، والشعب (بالكسر): الطريق في الجبل.

كثير؛ ومناقبه رضي ا لله عنه جمة ؛ وقد تقدمت ترجمته عند قول الناظم: *أوصى ابن عوف العظيم القدر*..إلخ.

وأما ابن عمر فهو الصحابي الجليل ابن الصحابي الجليل أبو عبد الرحمن عبد ا لله بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي، أمه زينب بنت مظعون الجمحية؛ كان بيته من أعز بيوتات قريش في الجاهلية. أسلم بمكة في صغره مع إسلام أبيه عمر وهاجر مع أبويه إلى المدينة، وهو ابن عشر سنين، وكان يوم أحد ابن أربعَ عشرةَ سنة فاستصغره صلى ا لله عليه وسلم؛ وشهد الخندق والمشاهد بعدها ؛ وشهد اليرموك وفتح مصر وغزا افريقية مرتين: الأولى مع ابن أبي سرح والثانية مع معاوية بن حديج سنة أربع وثلاثين. وكان رضي ا لله عنه عالما مجتهدا عابدا لَزوما للسنة فَرورا من البدعة ناصحًا للأمة؛ وكان كثير الاتباع لآثار رسول ا لله ﷺ حتى أنه كان ينزل منازله ويصلي في كل مكان صلى فيه، وروي له في كتب الحديث ألفان وستمائة وثلاثون حديثا. وكان من أئمة المسلمين ؛ أقام بعد النبي ﷺ ستين سنة يفتي الناس في الموسم وغيره؛ وكان شديد الاحتياط والتوقي لدينه في الفتوى. وكان كثير الحج كثير الصدقة والعتق؛ فكان إذا أعجبه شيء من ماله تصدق به، وكان رقيقه قد عرفوا ذلك منه فربما شمر أحدهم ولزم المسجد وأقبل على الطاعة.. فإذا رآه على تلك الحالة أعتقه، فقيل له إنهم يخدعونك! فقال: من خدعنا في ا لله انخدعنا له ؛ قيل لم يمت حتى أعتق أكثر من ألف إنسان. ولما قتل عثمان عرض عليه نفر أن يبايعوه بالخلافة فأبى. وهو آخر من توفي بمكة من الصحابة سنة ثلاث وسبعين عن نيف وثمانين سنة، وصلى عليه الحجاج؛ واختلف في تعيين موضع دفنه من مكة[1]. وقال فيه أبو سلمة بن عبد الرحمن: مات ابن عمر وهو مثل عمر في

---

(1) دفن رضي ا لله عنه بموضع يقال له الفخُّ بمكة. [القاموس المحيط].

الفضل، وكان عمر في زمان له فيه نظراء وعاش ابن عمر في زمان ليس له فيه نظير.

وقد روي في سبب موته أن الحجاج بن يوسف دس له رجلا قد سمَّ زجَّ رمحه فزحمه في الطريق وطعنه به في ظهر قدمه، فدخل عليه الحجاج فقال: يا أبا عبد الرحمن من أصابك؟ فقال ابن عمر: أنت أصبتني! فقال: ولم تقول ذلك رحمك الله؟ قال: حملت السلاح في بلد لم يكن يحمل فيها وفي يوم لم يكن يحمل فيه. وروي أنه إنما فعل الحجاج ذلك لأنه خطب يوما وأخر الصلاة، فقال ابن عمر: إن الشمس لا تنتظرك، فقال الحجاج: لقد هممت أن أضرب الذي فيه عيناك، قال: إن تفعل فإنك سفيه مسلط ؛ وقيل إن عبد الملك بنَ مروان كان أمر الحجاجَ أن يقتديَ بابن عمر، فكان ابن عمر يتقدم الحجاج في المواقف بعرفة وغيرها، فكان ذلك يشق على الحجاج. والله أعلم. وقد تقدمت نبذة من ترجمة ابن عمر عند قول الناظم: *أولاده عوابد الرحمن*..الخ. ثم قال رحمه الله:

وَاذْكُرْ حَبِيبًا وَلَهُ تَرَقَّى ... سِبْطُ كُرَيْزٍ الْجَوَادُ الْمُسْقَى

وَالْعَبَلَاتِ وَهْيَ: عَبْدُ نَوْفَلُ ... أُمَيَّةُ الأَصْغَرُ فِيمَا نَقَلُوا

وَاذْكُرْ لَهُ كَذَاكَ عَبْدَ الْعُزَّى ... أَبُو أَبِي الْعَاصِي إِلَيْهِ يُعْزَى

قوله **حبيبا**: هو بوزن (أمير). والضمير في **له**: عائد على **حبيبا**. **وترقى**: أي ارتفع وتَصَعَّدَ، والمراد هنا أنه ارتفع إليه نسب سبط كريز واتصل به. **وسبط** (بالرفع): فاعل **ترقى**، والسبط ولد الولد؛ والمراد بالسبط هنا عبد الله بن عامر بن كريز. **وكريز**: بوزن زبير. **والجواد والمسقى** (بصيغة اسم المفعول): صفتان **لسبط كريز**.

يقول: ومن ولد عبد شمس بن عبد مناف ـ أيضا ـ حبيب بن عبد شمس، وهو أكبر ولده وبه كان يكنى؛ وهو شقيق أمية الأكبر، أمهما نعجة بنت عبيد بن روّاس بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة.

عبد الله بن عامر

أما سبط كريز فهو عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي العبشمي، أمه دِجاجة بنت أسماء بن الصلت السلمية. ولد رضي الله عنه على عهد رسول الله ﷺ ، وأتِي به إليه وهو صغير، فقال صلى الله عليه وسلم: «هذا يشبهنا»[1]، وجعل يتفل عليه ويعوذه وتفل في فيه فاستساغ عبد الله ريقه، فقال صلى الله عليه وسلم: «إنه لمسقى[2]»؛ فكان لا يعالج أرضا إلا ظهر له الماء، وفي رواية أنه قال: «أرجو أن تكون سقاء» أي لا تعطش، فكانت له في الأرض آبار كثيرة، فقد استنبط رضي الله عنه ماءً بالنباج (وهو موضع قريب من البصرة في الطريق إلى مكة) فجَّرَ فيه عيونا وغرس فيه نخلاً فكان يقال له *نباج ابن عامر*، وسكن به رهطه بنو كريز ومن انضمَّ إليهم من العرب ؛ وكان له بنخلة[3] بستان يعرف ببستان ابن عامر أيضا. وهو الذي عمل السقاية بعرفة فاتخذ بها الحياض وأجرى إليها العيون. وكان من فتيان قريش شجاعة وجودا وسخاء وكرما، وكان ميمون النقيبة وأحد الأجواد الممدحين ؛ ومما قيل فيه:

أخٌ لك لا تراه الدهر إلا ... على العلات بساما جوادا

سألناه الجزيل وما تَلَكَّا[4] ... وأعطى فوق منيتنا وزادا

وأحسن ثم أحسن ثم عدنا ... فأحسن ثم عدتُ له فعادا

مراراً ما رجعتُ إليه إلا ... تبَسم ضاحكا وثنى الوسادا

وإلى هذا أشار الناظم بقوله: **الجواد المسقى.**

---

(1) رواه ابن عبد البر، هامش الإصابة: 2 / 359.

(2) رواه ابن عبد البر، [هامش الإصابة: 2 / 359].

(3) نخلة: واد بالحجاز بينه وبين مكة مسيرة ليلتين، بأسفله بستان ابن عامر.

(4) ما تلكأ: أي ما تردد ولا توقف.

ويحكى أن معاوية بن أبي سفيان زوجه بنته هند، فكانت أبرَّ شيء به وتتولى خدمته بنفسها فجاءته يوما بالمرآة والمشط، فنظر في المرآة فالتقى وجهه بوجهها فرأى شبابها وجمالها، ورأى الشيب في لحيته، فرفع رأسه إليها وقال لها: الْحَقي بأبيك! فانطلقت حتى دخلت عليه فأخبرته، فقال: وهل تطلق الحرة؟ قالت: ما أتى من قبلي وأخبرته الخبر؛ فأرسل إليه فقال: أكرمتك بابنتي فرددتها علي؟ فقال عبد الله: إن الله منَّ علي بفضله وخلقني كريما لا أحب أن يتفضل علي أحد وإن ابنتك أعجزتني مكافأتها بحسن صحبتها لي، فنظرت فإذا أنا شيخ وإذا هي شابة لا أزيدها مالا إلى مالها ولا شرفا إلى شرفها، فرأيت أن أردها إليك لتزوجها فتى من فتيانك صبيح الوجه.

وكان عبد الله بن عامر هذا ابن خال عثمان بن عفان: فأبوه عامر وأم عثمان أروى ابنا كريز، أمهما أم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ، وقد أسلم عامر يوم الفتح وبقي إلى خلافة عثمان. وكان قد ولاه عثمان البصرة بعد أبي موسى الأشعري؛ ولما قدمها قال أبو موسى لأهل البصرة: قد أتاكم فتى من قريش كريم الأمهات والعمات والخالات، يقول بالمال فيكم هكذا وهكذا. وهو الذي اتخذ السوق بالبصرة فاشترى دورا فهدمها وجعلها سوقا، ثم ضم إليه عثمان فارس فافتتح خراسان وأطراف فارس وسجستان وكرمان وغيرها، وفي أيامه قتل يزدجرد آخر ملوك فارس، فأحرم ابن عامر من نيسابور بعمرة وحجة شكراً لِله عز وجل على فتحه عليه؛ وقدم على عثمان بالمدينة فقال له عثمان: صل قومك وقرابتك، ففرق في قريش والأنصار شيئا عظيما من الأموال والكسوات، فأثنوا عليه، وعاد إلى عمله. ولم يزل عبد الله واليا على البصرة حتى قتل عثمان رضي الله عنه فسار بما كان عنده من الأموال إلى مكة فوجد عائشة وطلحة والزبير يتأهبون إلى البصرة فرجع معهم إليها؛ وشهد معهم وقعة الجمل، وقتل فيها ابنه عبد

الرحمن. ولما استقل معاوية بالحكم واجتمع عليه الناس ولاه البصرة ثلاث سنين ثم عزله عنها فرحل إلى المدينة، وأقام بها حتى مات سنة سبع وخمسين، وأوصى إلى عبد الله بن الزبير.

قوله : **والعبلات** (بالتحريك والنصب بالكسرة): مفعول به لاذكر مقدرة، أي واذكر من بني عبد شمس بن عبد مناف - أيضا - العبلات وهي: أبناؤه الثلاثة، وهم **عبد** (بالتنوين) ويقال فيه: عبد أمية **ونوفل وأمية الأصغر** أبناء عبد شمس، أمهم عبلة بنت عبيد بن جاذل بن قيس بن حنظلةَ بن مالك بن زيد مناة بن تميم ؛ وقد عرفوا بالنسبة إلى أمهم عبلة هذه واشتهروا بذلك فيقال لهم العبلات، ولكلهم عقب.

أما عبد أمية فمنه معقل وعقيل وأسد بنو عبد أمية بن عبد شمس، أمهم فاختة بنت عدي بن نوفل بن عبد مناف، ومن ولَدِه أيضا - ولعله غير مباشر - الأحوص بن عبد أمية - أمه من ثقيف - ولاه معاوية على البحرين. ولعبد أمية هذا عقب بالشام. وأما نوفل بن عبد شمس فمن ولده أبو العاص، أمه بنت عمرو بن عائذ المخزومية ؛ ومن ولد أبي العاص هذا حاجب وعثمان وهبار وحزن، أمهم فاطمة بنت أبي وهب بن عمرو بن عائذ المخزومية - أيضا - وكان العقب منهم في حاجب وهبار. فمن حاجب بن أبي العاص بن نوفل وهب وعثمان. ومن هبار خالد بن يزيد بن عثمان بن هبار، قتله عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بالشام ؛ وكان عقب نوفل بن عبد شمس هذا بالشام أيضا.

وأما أمية الأصغر بن عبد شمس فمن ولده الحارث بن أمية، أمه عاتكة بنت خالد من تيم بن مرة؛ ومن ولد الحارث بن أمية هذا عبد الله بن الحارث، أمه زينب بنت نوفل بن عبد شمس؛ وكان عبد الله هذا صحابيا فاضلا، قيل إنه ورث دار عبد شمس بمكة لأنه كان أقعدهم نسبا؛ فلما حج معاوية دخل تلك الدار وجعل ينظر إليها، فخرج إليه عبد الله بمحجن عنده وهو يقول: أما تكفيك الخلافة؟! فخرج

معاوية وهو يضحك. ومن ولد عبد الله بن الحارث هذا علي الأكبر وعلي الأصغر والوليد ومحمد وأم الحكم وزينب والثريا، التي تزوجها سهيل بن عبد الرحمن بن عوف، فقال عمر بن أبي ربيعة المخزومي ـ وكان يكثر ذكرها في شعره ـ:

أيها المنكح الثريا سُهيلا عمرك الله كيف يلتقيان؟

هي شامية إذا ما استهلت وسهيلٌ إذا استهلَّ يمان!

وكانت ذرية أمية الأصغر بمكة.

قوله: **واذكر له كذاك**.. إلخ: الضمير في **له** عائد على عبد شمس بن عبد مناف وقوله **كذاك**: أي كذكر أمية الأكبر وربيعة وحبيب والعبلات، بني عبد شمس الذين مرَّ ذكرُهم آنفًا. **وعبد العزى** (بالنصب): مفعول به **لاذكر**. وقوله **أبو أبي العاصي**: مبتدأ خبره الجملة بعده. والضَّمير في **إِلَيْهِ** عائد على عبد العزى. **ويعزى**: أي ينسب. **وأبو أبي العاصي**: يعني به الربيع بن عبد العزى.

يقول: واذكر لعبد شمس من الولد ـ أيضا ـ عبد العزى الذي ينسب إليه الربيع بن عبد العزى والد أبي العاصي بن الربيع زوج زينب بنتِ رسول الله ﷺ. أما عبد العزى بن عبد شمس فأمه عمرة بنت وائلة الأزدية، وشقيقته رقية بنت عبد شمس أم أميةَ بن أبي الصلت الثقفي الشاعر، وكان يقال لعبد العزى هذا *أسد البطحاء*، وله من الولد الربيع وربيعة.

وحكي أن أم حبيب بنت عبد شمس خرجت مرة إلى الطائف واكترت رجلا من بني عقيل فحملها، فلما كانا بالطريق لقيها رِجال من بني بكر فسألوها مَن هي ومن معها؟ فانتسبت لهم هي وانتسب لهم من معها حتى انتهوا إلى العقيلي؛ فلما انتسب لهم وثَبُوا عليه فقتلوه، فرجعت أم حبيب إلى مكة فجاءت حرب بنَ أمية فشكت إليه ما صنع بصاحبها وما كان من قتله وقالت: لا ألبس خماري حتى أدرك به، فقال لها: البسي خمارك فلا سبيل إلى ما قِبَلَ بكر؛ فخرجت من عنده حتى

دخلت على الربيع وربيعة ابني عبد العزى فشكت إليهما ما لقيت وما قال لها حرب، فغضبا لها وقاما معها حتى أخذا لها الدية، فبعثت بها إلى أهل العقيلي؛ فقال الخليع العقيلي شاعر بني عقيل في ذلك:

ألم يبلغك عنّا ما لقينا ... من الحدثان والرُّزْءُ الوجيعُ

بمصرع ما أصاب الحيُّ بكرٌ ... فلا يبعَدْ هنا لكم الصريع

إلى أن يقول:

فأدّى ا لله خفرتها عليها[1] ... وأداها ربيعة والربيعُ إلخ..

وقد وَلد الربيعُ بن عبد العزى أبا العاصي؛ وإلى ذلك أشار الناظم بقوله.. **عبد العزى أبو أبي العاصي إليه يعزى.** وأبو العاصي هذا هو ابن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي العبشمي، أمه هالة بنت خويلد أخت أمنا خديجة. واختلف في اسمه، والأكثر أن اسمه لقيط، وقيل غيرُ ذلك؛ وهو مشهور بكنيته وكان يلقب بالأمين، و*بجِرو البطحاء* كما لقب جده عبد العزى *بأسد البطحاء*.

ابو العاصي بن الربيع

وأبو العاصي هذا هو زوج زينب بنت رسول ا لله ﷺ وابن خالتها، وكان في الجاهلية مؤاخيا لرسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم مصافيا له، ويكثر إتيان منزله لمكان خالته خديجة، وزوَّجه رسول ا لله ﷺ أكبر بناته زينب، وكان من رجال مكة المعدودين مالا وأمانة وتجارة ؛ فلما جاء الإسلام وأسلمت زينب بقي هو على شركه وطلب منه المشركون فراقها فأبى ؛ وقد شكر رسول ا لله ﷺ له مصاهرته وأثنى عليه بذلك خيرا[2].

---

(1) الخفرة (بضم فسكون): اسم بمعنى الخفارة، يقال هو في خفرة فلان أي في ذمته.

(2) رواه البخاري وابن ماجه، ومن ذلك قوله: صلى ا لله عليه وسلم فيه: «حدثني فصدقني ووعدني فوفى لي».

وكان قد حضر بدرا مع المشركين فأُسر ، فلما بعث أهل مكة في فداء أسراهم، بعثت زينب بنت رسول الله ﷺ في فدائه قلادة لها كانت خديجة قد أدخلتها بها على أبي العاصي، فلما رآها رسول الله ﷺ عرفها فرقَّ لها وقال للمسلمين: «إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردوا عليها..»[1]، ففعلوا؛ واشترط عليه النبي ﷺ أن يرسل له زينب إلى المدينة ففعل[2]، وبقي هو في مكة على دينه؛ فاتفق أن خرج إلى الشام في تجارة فأسره المسلمون وأخذوا ما معه، فأجارته زينب فرد عليه النبي ﷺ والصحابةُ جميعَ ما أخذ منه. فلما رأى الصحابة ذلك قالوا له: يا أبا العاصي إنك في شرف من قريش وأنت ابن عم رسول الله ﷺ وصهره، فهل لك أن تسلم فتغنم ما معك من أموال أهل مكة؟! قال: بئسما أمرتموني أن أنسخ ديني بغدرة؛ فمضى حتى قدم مكة فدفع إلى كل ذي حق حقه، ثم قام فقال: يا أهل مكة أوفيت ذمتي؟ قالوا اللهمَّ نعم، قال: فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله. ثم قدم المدينة مهاجرا فرد إليه رسول الله ﷺ زينب بالنكاح الأول، وقيل بنكاح جديد. وكان رضي الله عنه ممن سار مع علي بن أبي طالب إلى اليَمَنِ واستخلفه عليه حين رجع إلى المدينة.

وولد لأبي العاصي من زينب بنت رسول الله ﷺ علي وأمامة. أما علي فكان رديف رسول الله ﷺ عند دخوله مكة يوم الفتح، وتوفي وقد ناهز الحلم. وأما أمامة فقد ولدت على عهد رسول الله ﷺ وكان يحبها، وحملها في الصلاة فكان إذا ركع أو سجد تركها وإذا قام حملها[3]. ولما كبرت تزوجها علي بوصية من خالتها فاطمة الزهراء ـ زوجه منها الزبير بن العوام لأن أباها قد أوصاه عليها ـ ولم تزل

(1) أخرجه أحمد.

(2) ابن إسحاق، الإصابة: 4 / 122.

(3) رواه البخاري.

عنده حتى توفي عنها فخلفه عليها المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب بوصية منه[1]، وماتت عنده. ولأبي العاصي بن الربيع ـ أيضا ـ الحارث بن أبي العاصي، أمه فاختة بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس ولم يعقب. وله ـ أيضا ـ مريم بنت أبي العاصي، أمها فاختة بنت أبي أحيحة بن العاص، تزوجها محمد بن عبد الرحمن بن عوف. وقد انقرض ولد أبي العاصي بن الربيع إلا من بنته مريم هذه. وتوفي أبو العاصي رضي الله عنه سنة اثنتي عشرة في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وكان قد أوصى إلى الزبير ابن العوَّام.

أما ربيعة بن عبد العزى بن عبد شمس فله عقب منه محرز بن حارثة بن ربيعة الصحابي الجليل، ولاّه عمرُ مكةَ بعد عتاب بن أسِيد، وقتل رضي الله عنه يوم الجمل. ومن عقب ربيعة ـ أيضا ـ عبد الله بن عمر بن عبد الله بن علي بن عدي بن ربيعة الشاعر العبلي؛ وليس بعبلي وإنما العبلات من ولد عبلة بنت عبيد ـ كما تقدم ـ ولكن النَّاسَ أدخلوا آل عبد العزى في العبلات لما صار الأمرُ لبني أميةَ الأكبر، وسادوا في الجاهلية والإسلام. وبقية آل ربيعة بن عبد العزى بمكة وبالمدينة منهم ولد محرز بن حارثة بن ربيعة. والله سبحانه وتعالى أعلم.

ولما أنهى الكلام على القبائل المتفرعة من عدنان عمود نسب النبي ﷺ، شرع يتكلم على القبائل المنحدرة من قحطان ـ عمود نسب الأنصار رضي الله عنهم ـ حسب الترتيب السابق الذي أشار إليه بقوله:

علم عمود نسب المختار ثم عمود نسب الأنصار

فقال رحمه الله وعفا عنه:

---

(1) روي أن عليا قال لها حين حضرته الوفاة: إني لا آمن أن يخطبك معاوية فإن كان لك في الرجال حاجة فقد رضيت لك المغيرةَ بنَ نوفل عشيراً ، فلما انقضت عدتها كتب معاوية إلى مروان أن يخطبها عليه ويبذل لها مائة ألف دينار ، فزوجها الحسن بن علي من المغيرة بن نوفل.

القول في قحطان

عمود نسب الأنصار

قَحْطَانُ: إِمَّا حَضْرَمَوْتُ الْحَائِرُ عَنْ طَيْبَةٍ أَوْ سَبَأُ الثَّائِرُ

قحطان: مبتدأ خبره جملة قوله **إما حضرموت**..إلخ. **وقحطان**: هو الجد الجامع للقبائل اليمنية، وقد تفرعت منه الشعوب القحطانية، كما تفرعت من عدنانَ الشعوب العدنانية، **وحضرموت**[1]: اسم موضع باليمن[2]، واسم قبيلة - كذلك - هم بنو حضرموت بن قحطان، والنسبة إليها حضرمي. **والحائر**: صفة لحضرموت، وهو اسم فاعل من "حار" بمعنى تحير، أو رجع. **وطيبة**: من أسماء المدينة. وقوله **أو سبأ**[3] (بالرفع، بوزن جبل): عطف على حضرموت. **والثائر** (بالمثلثة): صفة **لسبأ**، والمراد به هنا المنتشر والمتفرق في البلاد.

يعني أن قحطان ينقسم إلى شعبين: شعب تخلف عن سكنى المدينة وأقام باليمن وهم ولد حضرموت بن قحطان، وشعب تفرق في البلاد وهم ولد سبأ بن قحطان، ومنهم من سكن المدينة وهم بنو قيلة. أما قحطان فهو ابن عابر بن شالخ

---

(1) حضرموت (بفتح الحاء المهملة وسكون الضاد المعجمة وفتح الراء المهملة والميم وسكون الواو بعدها تاء فوقية مثناة): صقع واسع غربي اليمن.

(2) قيل: به قبر هود عليه السلام.

(3) سبأ: يصرف ويمنع ويقصر ويمد - [المعجم الوسيط]، وقرئ في السبع كما يلي: نافع وابن عامر وعاصم وحمزةُ والكسائي: **سبإٍ** (بالصرف)، والبصري والبزي عن ابن كثير: **سبأَ** (بالمنع)، وقنبل عن ابن كثير: **سبأْ** (بإسكان الهمزة)، ولم يرد لفظه في القرآن إلا في موضعين (مجرورا فيهما).

بن أرفخشد بن سام بن نوح عليه السلام. وهذا هو المشهور في نسبه وهو الذي عليه جمهور أهل النسب، وقيل هو ابن هود عليه السلام، وإلى ذلك أشار المتنبِّي ـ وهو يمدح شجاعا بن محمد الطائي ـ بقوله:

إلى الثمر الحلـو الذي طيئ له فروع وقحطان بن هود له أصل

وقول بعضهم في مدح سبأ:

له ملك قحطان بن هود وراثة .. إلخ.

وقيل هو هود نفسه، وقيل إن قحطان من ولد نبت بن إسماعيل، وعليه تكون العرب كلها (عدنانيها وقحطانيها) من أولاد إسماعيل ؛ إلا أن هذا القول ضعيف، لوجود قحطان قبل إسماعيل ؛ فهو قول شاذ ـ كما في القلقشندي وغيره ـ وقد سبق قول الناظم رحمه الله: *وهو أبو قحطان في قول أبي عنه* .. إلخ.

وقحطان قيل كان اسمه في التوراة: يقطن، فعرب بقحطان، وقيل اسمه يرد ولقب قحطان لأنه كان يطعم الناس في القحط فيطرد القحط بسخائه، فاشتهر بلقبه قحطان. وكان ملكا باليمن قيل هو أول من حيَّاه ولدُه بتحية الملك "أبيت اللعن"[1] و"أنعم صباحا"[2]؛ وكانت له عدة أولاد منهم يعرب وحضْرَمَوْتُ وجرهم. وقد ملك بعده ابنه يعرب، وقد قيل إنه هو أول من حياه ولده بتحية الملك، واسمه يمن لأن أباه قحطان قال له: أنت أيمن ولدي نقيبةً[3]، وهو الذي أجلى بني حام إلى بلاد المغرب؛ ويقال إن العرب إنما سميت عربا باسمه "يعرب". وكان أفصح أهل زمانه؛

---

(1) أبيت اللعن: تحية الملُوك فِي الجاهلية، أي لا فعلت ما تستوجب به اللعن أيها الملك.

(2) أنعم صباحا، وعم صباحا: كانوا ـ أيضا ـ يحيون بها ملوكهم، ومعناها لينعم صباحك، أو طاب عيشك في الصباح، أو جعل الله صباحك ذا لين ورغد.

(3) أي أحمدهم مختبرا؛ وميمون النقيبة: أي منجح الفعال مظفر المطالب، وأصل النقيبة النفس.

قيل هو أول من قال: "أما بعد"[1] وأول من قال القريض والرجز. وهو أصل عرب اليمن الذين أقاموا به ومنه تناسلوا ، فولد له يشجب، وولد ليشجب سبأ؛ ومنه تفرعت جميع القبائل المذكورة. وأما حضرموت فهم شعب كبير من قحطان؛ وقد ذهب أكثرهم واندرج باقيهم في كندة وصاروا في عِدادهم[2]، وكانت فيهم ملوك تقارب ملوك التبابعة في علو الصيت ونباهة الذكر، وبهم عرفت مدينة حضرموت من أرض اليمن. ومنهم بنو الحضرمي حلفاء بني أمية. ومنهم بنو الصدِف[3] الذين حضروا فتح مصر واختَطُّوا بها. ومن حضرموت ـ أيضا ـ الصحابي الجليل وائل بن حجر بن رفيعة بن وائل بن يعمر بن حجر الحضرمي؛ وكان وائل هذا قيلا وابنَ قيل من أَقيال[4] حضرموت باليمن، وفد على النبي ﷺ ، فلما دخل عليه رحب به وبسط له رداءه فأجلسه عليه وقال: «اللهم بارك في وائل»[5]. وقد قيل إن النبي صلى الله عليه وسلم بشر به قبل قدومه، ثم استقطعه وائل أرضا فأقطعه

---

(1) أي في خطبه وكلامه، وهي كلمة تدل على فصاحة المتكلم ولذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي بها في خطبه ورسائله؛ واختلف في أول من نطق بها على أقوال. ولبعضهم في ذلك:

جرى الخلف "أما بعد" من كان بادئا ... بها سبعة الأقوال: داوود أقرب

ـ لفصل خطاب ـ ثم يعقوب، قسهم، ... فسحبان، أيوب، فكعب، فيعرب

وقوله: لفصل خطاب يشير به إلى قوله تعالى: ﴿وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب﴾.

(2) يقال: هو في عِدَادهم أي: واحد من جملتهم، والعديد من القوم من يعد فيهم.

(3) (بفتح الصاد وكسر الدال المهملتين) قيل سمي الصدف لأنه صدف عن قومه حين أتاهم سيل العرم، فبعث إليه بعض ملوك غسان بعثا في خيل عظيمة، فجعل كلما جاء حيا من العرب سأل عنه فيقولون: صدف عنا وما رأينا له وَجها، ثم لحق بكندة فنزل بهم؛ والنسبة إليه صدَفي (بفتح الدال)، ومنه جعشم الخير بن خليبة الصدفي الصحابي، بايع تحت الشجرة وكساه رسول الله صلى الله عليه وسلم قميصه ونعليه. [نهاية الأرب].

(4) القيل: مَنْ دُونَ المِلِك، إلا في حمير فهو الملك نفسه، فأقيالها: ملوكها.

(5) ابن الأثير، وابن حجر.

إياها[1] وبعث معه معاوية ليسلمها له، ووائل راكب ومعاوية راجل، فقال له معاوية: أردفني، فقال: لست من أرداف الملوك!. فلما استخلف معاوية قصده وائل، فتلقاه معاوية وأكرمه؛ قال وائل: فوددت لو كنت حملته بين يدي. واستعمله النبي ﷺ على حضرموت، وكتب له كتابا فيه عهد وأحكام خاطبه فيه بألفاظ غريبة على لغة قومه من حضرموت. وروى وائل عن النبي ﷺ، وهو من رواة أحاديث القبض، قال: «رأيت النبي ﷺ يمينه على شماله في الصلاة»[2]. ثم سكن الكوفة بعد، ومات في خلافة معاوية ؛ وروى عنه ابناه: علقمة وعبد الجبار وزوجه أم يحيى ومولى لهم، وآخرون.

ومن ولد وائل بن حجر ـ أيضا ـ المؤرخ الكبير عبد الرحمن بن محمد المعروف (بابن خلدون)، وخلدون الذي ينسب إليه: جده الحادي عشر، ويتصل نسبه بوائل المذكور. وكان بيته من أشرف بيوتات الشرف وقيادة الجند بإشبيلية من قديم الزمان، ولم ينقطع منهم إلى خدمة العلم غيرُ عبد الرحمن المذكور وأبيه؛ وكان أهل بيته قد انتقلوا إلى تونس حين تغلب الاسبان على إشبيلية، فولد عبد الرحمن بها سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة، وحفظ القرآن وقرأ بالسبع وتلقى العلم والأدب من أبيه وكبار العلماء وقرأ العلوم العقلية والفلسفية على بعض حكماء المغرب حتى صار من أعلام المحققين وحكماء المؤرخين. ألف تاريخا في سبع مجلدات عظام سماه "كتاب العبر في أخبار العرب والعجم والبربر"، اشتهرت مقدمته في سفر عرف *بمقدمة ابن خلدون*. وكان فقيها قاضيا كاتبا شاعرا، تولى قضاء القاهرة، وتوفي سنة ثمان وثمانمائة هجرية.

---

(1) استقطعه: أي سأله أن يقطعه إياها، أي يعطيها له على سبيل المنحة له ولأولاده بعده.

(2) رواه رزين ـ [مجمع الزوائد].

وأما سبأ فاسمه عبد شمس بن يشجب بن يعرب بن قحطان. كان أحد ملوك اليمن المشهورين، ورث ملك جدوده يعرب وقحطان، قيل هو أول من تتوج من ملوك العرب، وإنه ضرب بالخيل والرجال في الأرض، فكان لا يذكر له بلد إلا قصده وفتحه ؛ وفي ذلك يقول بعض شعراء زمانه:

لقد ملك الآفاق من حيث شرقها إلى الغرب منها عبد شمس بن يشجب

له ملك قحطان بن هود وراثة عن اسلاف صدق من جدود ومن أب

وقد تفرعت من سبأ هذا عامة قبائل اليمن ــ كما مر. ومواضع سكنى سبأ باليمن يقال لها مأرب[1]، بينها وبين صنعاء مسيرة ثلاث. وقد تفرقت ذريّة سبأ تفرقا ضرب به المثل، فقيل "تفرقوا ـ أو ذهبوا ـ أيدي سبأ ــ أو أيادي ــ سبأ" أي تفرقوا تفرقا لا اجتماع بعده[2]؛ وأصله أن أهل بلدة سبأ لما أنذروا بسيل العرم[3] خرجوا من اليمن متفرقين ـ كما يأتي.

ولما مات قحطان وملك بعده ابنه يعرب ـ دون سائر بنيه ــ بقي باليمن وبقي معه أخوه حضرموت بن قحطان، وولى أخاه جرهماً بن قحطان على الحجاز فاستولى عليه وملكه ثم ملك بعده ابنه ياليل بن جرهم ثم بقيلة بن عبد المدان ثم ابنه عبد المسيح ثم ابنه مضاض بن عبد المسيح ثم ابنه الحارث بن مضاض. وقيل إنما نزلت جرهم الحجاز مع بني قطورا من العمالقة، لقحط أصاب اليمن ثم غلبت

---

(1) مأرب: مدينة كانت باليمن أقيم بها السد المشهور وهو سد مأرب.

(2) والمراد بالأيدي أو الأيادي: الأنفس، وهو في موضع النصب على الحال، أي متفرقين أو شاردين، وقيل الأيدي هنا الطرق، أي فرقتهم طرقهم كما تفرق أهل سبأ في مذاهب شتى، وإلى هذا المثل يشير ذو الرمة بقوله:

أمن أجل دار صير البين أهلها أيادي سبا بعدي وطال احتيالها.

(3) العرم (بوزن كتف): هو الذي لا يطاق دفعه، فسمي به سيل العرم.

جرهم العمالقة على ملكه وملكوا أمره، ولم يزالوا به إلى أن نزل إسماعيل عليه السلام مكة فنزلوا عليه فتزوج منهم وتعلم لغتهم، وقدم عليه الخليل ـ عليه السلام ـ وقاما ببناء البيت وتولاه إسماعيل ثم بعض بنيه، ثم استولت جرهم على أمر البيت. وتفرقت قبائل اليمن بسيل العرم فنزلت خزاعة مكة وغلبوا جرهما عليها؛ فخرجت جرهم من مكة ورجعوا إلى ديارهم في اليمن، فأقاموا بها حتى هلكوا[1]، فهم من العرب البائرة ؛ ولذا لم يذكرهم الناظم هنا. وا لله أعلم.

ثم أخذ يتكلم على ولد سبأ، فقال رحمه ا لله وعفَا عنه:

لِسَبَأ بْنِ يَشْجُبِ بْنِ يَعْرُبِ   سَلِيلِ قَحْطَانَ قَرِيعِ الْعَرَبِ

نَسَبَ خَيْرُ مُرسَلٍ بَنِينَا   عَشَرَةً: الأَزْدَ الاَشْعَرِينَا

وَحِمْيَراً وَمَذْحِجًا وَكِنْدَهْ   أَنْمَارُ سَادِسُ لَهُمْ فِي الْعِدَّهْ

وَقَدْ تَيَامَنُوا ، وَمَنْ أَشْأَمَ لَهْ:   غَسَّانُ لَخْمُ وَجُذَامُ عَامِلَهْ

قوله **لسبأ**: متعلق بنسب **خير مرسل**. وسليل، **وقريع** (بالجر): صفتان **ليعرب**. **وقريع العرب**: أي سيدهم والمختار منهم. **وخير مرْسل** (بالرفع): فاعل **نسب**، **وبَنِينَ**: مفعوله. **وعشرة** (بالنصب): صِفَة **لِبنينا**. **والأزد** (بالنصب) هو والمعطوفات بعده: بدل من **بنين** ؛ (**والأزد** بفتح الهمزة وسكون الزاي وبالدال المهملة، ويقال فيه الأسد بالسين المهملة بدل من الزاي، وهو بالزاي أفصح). وقوله **الأشعرينا**: معطوف بحذف العاطف. **وأنمار** (بالرفع): مبتدأ خبره **سادس لهم**. والضمير في **لهم** عائد على **الأزد** وما بعده. **والعدة** (بالكسر وتشديد الدال): العدد.

---

(1) راجع نهاية الأرب للقلقشندي.

وتيامنوا: قصدوا اليمن. و**مَن**: موصولية (بمعنى الذي) وهي مبتدأ خبره **غسَّان** وما بعده، و**لخم وعاملة**: معطوفان بحذف العاطف. **وأشأم**: قصد الشَّام. والضمير في **له**: عائد على سبأ.

أشار الناظم في هذه الأبيات إلى ما رواه الإمام أحمد وابن جرير والترمذي وابن عبد البر، عن ابن عباس وتميم الداري: أنه لما أنزل الله تعالى في سبأ ما أنزل قال رجل[1]: يا رسول الله ما سبأ؟ أهو رجل أم امرأة أم أرض؟ فقال صلى الله عليه وسلم: «ما هو بامرأة ولا أرض بل هو رجل ولد له عشرة من العرب فتيامن منهم ستة وتشاءم أربعة، فأما الذين تيامنوا فالأزد والأشعريون وحمير ومذحج وكندة وأنمار، وأما الذين تشاءموا فلخم وجذام وغسان وعاملة»، فقال الرجل: يا رسول الله ومن أنمار؟ قال: «الذين منهم خثعم وبجيلة»[2] (أو كما قال صلى الله عليه وسلم). ومعنى قوله *ولد له عشرة*: أي كان من نسله هؤلاء العشرة الذين يرجع إليهم أُصول القبائل من عرب اليمن، لا أنهم ولدوا من صلبه، بل منهم من بَيْنَه وبَيْنَه الأبوان والثلاثة والأقل والأكثر.. كما هو مقرر مبيَّن في مواضعه من كتب النسب، وكما يأتي تبيينه قريبا إن شاء الله. ومعنى قوله *فتيامن منهم ستة وتشاءم أربعة*، أي بعد ما أرسل الله عليهم سيل العرم، فمنهم من أقام ببلادهم، ومنهم من نزح عنها إلى غيرها.

أمَّا الأزد فهو ابن الغوث بن نبت بن مالك بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، قيل سمي الأزد لكثرة عطائه، ومنه انحدرت قبائل الأزد؛ وله من الولد: نصر ومازن والهنء وعبد

---

(1) هو فروة بن مسيك الغطيفي [سيرة ابن كثير].

(2) أخرجه الترمذي، وأحمد.

ا لله وعمرو. وتعتبر قبيلة الأزد هذه من أعظم قبائل قحطـان وأكثرهـا بطونـا وأمدهـا فروعًا، يقال إنهم افترقوا على نحو سبْع وعشرين قبيلة[1].

وقد قسم بعض النّسابة الأزد إلى ثلاثة بطون: **أزد شنوءة** (بإضافة أزد إلى شنوءة) وهم بنو نصر بن الأزد؛ وشنوءة لقب لنصر غلب على أولاده، قيل لشنآن - أي تباغض - كان بينهم. **وأزد السراة** (بالإضافة أيضا)،والسراة: موضع بأطراف اليمن نزلت به فرقة من الأزد فعرفوا به. **وأزد عُمان** (بالإضافة أيضا)، وعمان: بلد باليمن نزلت به فرقة منهم فعرفت به، وفيه نظر لأن أزد السراة من أزد شنوءة؛ ولبعضهم:

وكنت كذي رجلين رجل صحيحة ورجـل بها ريـب من الحدثان[2]

فأما التي صحّت فأزد شنوءة وأما التي شلّت فأزد عمان

وإلى الأزد هؤلاء ينسب الصحابي الجليل ضماد بن ثعلبة الأزدي، كان صديقًا للنبي ﷺ في الجاهلية، وكان رجلا يتطبب ويرقي ويطلب العلم، أسلم أول الإسلام؛ روي أنه قدم مكة فسمع سفهاء من أهل مكة يقولون إن محمدا مجنون، فقال: لو

---

(1) هجروا اليمن بسبب تصدُّع سدِّ مأرب، منهم آل ثعلبة العنقاء الذين منهم الأوس والخزرج، نزلوا المدينة وعرفوا بعد الإسلام بالأنصار. ومنهم آل حارثة بن عمرو، وخزعوا - أي تخلفوا - عن إخوانهم فسموا "خزاعة". ومنهم آل عمران بن عامر، ذهبوا إلى عُمان وأسلموا ثم ارتدوا فوجه إليهم أبو بكر الصديق رضي ا لله عنه حذيفة بن محصن فقاتلهم، فعادوا إلى الإسلام. ومنهم أزد شنوءة، نزلوا تهامة وتبدّوا. ومنهم آل جفنة بن عمرو، تعاقدوا على ماء يسمى "غسان"، وهم الغساسنة أسسوا دولة في مشارق الشام وتنصروا؛ آخرهم جبلة بن الأيهم الذي اسلم زمن عمر - رضي ا لله عنه - ثم تنصر والتحق بالقسطنطينية ومات بها على كفره. ومنهم لخم الذين منهم المناذرة أو آل نصر الذين اقاموا دولة في العراق.

(2) أي صروف الدهر وحوادثه، والحدثان: الليل والنهار.

رأيت هذا الرجل لعل ا لله أن يشفيه على يدي؛ فلقيته وقلت: يا محمد إني أرقي من الريح وإن ا لله يشفي على يدي من شاء فهل لك؟ فقال النبي ﷺ: «إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه من يهده ا لله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا ا لله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد[1]..»، فقال ضماد: أعد علي كلماتك هؤلاء، فأعادهن النبي ﷺ ثلاثا، فقال ضماد: وا لله لقد سمعت قول الكهنة وسمعت قول السحرة وسمعت قول الشعراء، فما سمعت مثل هؤلاء الكلمات فوا لله لقد بلغت ناعوس البحر[2].. فمد يدك أبايعك على الإسلام، فمد النبي ﷺ يده فبايعه ؛ فقال النبي ﷺ: «وعلى قومك»[3]؟ فقال: وعلى قومي.

وأما الأشعريون: فهم بنو الأشعر، واسمه نبت بن سبأ، قيل لقب الأشعر لأن أمه ولدته وعليه شعر، وقيل الأشعر بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ، وتفرعت من الأشعر بطون كثيرة منهم بنو الجُماهر وبنو ناجية وغيرهم؛ وقد وفد على النبي ﷺ من الأشعريين وفد سنة سبع، وكان صلى ا لله عليه وسلم قد أخبر بهم قبل قدومهم، فقال: «يقدَم عليكم قوْم هم أرق منكم قلوباً»[4]، فقدم الأشعريون ـ وهم يرتجزون ــ فأسلموا وبايعوا. وروى أبو هريرة قال: سمعت رسول ا لله ﷺ يقول ـ لما جاء أهل اليمن ــ: «هم ألين قلوبا وأرق أفئدة، الإيمان يمان والحكمة يمانية[5] والسكينة في أهل الغنم». وإلى الأشعريين هؤلاء

---

(1) أخرجه مسلم.

(2) ناعوس البحر: وسطه.

(3) أخرجه مسلم.

(4) أخرجه البخاري.

(5) أخرجه البخاري والترمذي وأحمد.

ينسب الصحابي الجليل أبو موسى الأشعري؛ وهو عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار بن حرب بن عامر بن غنم بن بكر بن عامر بن عامر بن عدي بن وائل بن ناجية بن الجُماهر بن الأشعر، الأشعري اليمني، قدم مع جعفر بن أبي طالب فَتْحَ خيبر، فأسلم وصحب؛ واستعمله النبي ﷺ على زبيد وعدن وأعمالها من اليمن، واستعمله عمر على البصرة ؛ وافتتح الأهواز وأصبهان ؛ ثم استعمله عثمان على الكوفة، ثم كان أحد الحكمين بصفين ثم اعتزل الفريقين. وكان حسن الصوت بالقرآن[1] ومن علماء الصحابة وقضاتهم، توفي سنة أربع وأربعين عن ثلاث وستين سنة، قيل بالكوفة وقيل بمكة. ومروياته في كتب الأحاديث ثلاثمائة وسبعون حديثا، ومناقبه رضي الله عنه جمة. ومن عقب أبي موسى هذا أبو الحسن الأشعري: علي بن إسماعيل بن بشر بن إسحاق بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري شيخ طريقة أهل السنة والجماعة وإمام المتكلمين. ولد بالبصرة سنة سبعين ومائتين، ونشأ بها ـ أولا ـ على مذهب المعتزلة، ثم رجع عنه وألف كتبا في نصرة أهل السنة والرد على أكثر عقائد المعتزلة، فناظره المعتزلة؛ فما زال يدحض حججهم حتى انقطعوا عن مناظرته وتبعه منهم ومن غيرهم خلق كثير. وكان على مذهب الشافعي، وتوفي سنة أربع وعشرين وثلاثمائة ودفن ببغداد.

ومن الأشعريين ـ أيضا ـ أبو عامر عُبيْد بن سليم بن حضار بن حرب الأشعري عم أبي موسى الأشعري، كان من كبار الصحابة؛ قتل يوم حنين أميرا لرسول الله ﷺ في سرية بعثها إلى أوطاس في أثر طائفة من هوازن، فقتل منهم تسعة إخوة مبارزة ثم ضربه العاشر فأثبته، فحمل وبه رمق؛ فلما أخبر صلى الله عليه وسلم

---

(1) قال له النبي صلى الله عليه وسلم: «إني مررت بك البارحة وأنت تقرأ فقد أوتيت مزمارا من مزامير آل داوود» فقال أبو موسى: لو علمت أنك تستمع لحبرته لك تحبيرا ـ الحديث [متفق عليه].

بقتله رفع يديه وقال: «اللهمَّ عبيدك أبو عامر اجعله فوق الأكثرين يوم القيامة»[1].
ومنهم أيضا: مشرح (كمنبر) الأشعري الصحابي، روي أنه قال: "رأيت النبي ﷺ قص أظفاره وجمعها ودفنها"[2].

وأما حمير فهو ابن سبأ لصلبه، قيل كانت له عشرة أولاد من عقبه وانتشرت منهم بطون وأفخاذ كثيرة، وكانت بلادهم مشارف اليمن فظفار وما حولها، وكان غالب قبائل حمير من ذرية ابنيه الهميسع ومالك ؛ وكان حمير من ملوك اليمن المشهورين وتسلسلت في بنيه، فمنهم التبابعة والأذواء والأقيال[3]؛ وقد تفرعت من ابنه الهميسع بطون كثيرة، منهم بنو الخبائر وبنو السَّحُول ابني عمرو بن قيس وبنو الأملوك بن وائل بن الغوث وبنو الافروع بن الهميسع وبنو تكالم بن عريب بن حيدان، منهم القائد حميد بن إبراهيم بن منقذ، وبنو حرام بن عوف وبنو شرعب بن قيس، وإليهم تنسب الثياب الشرعبية، وبنو شعبان بن عمرو بن قيس، وإليهم ينسب الفقيه المشهور الشعبي؛ واسمه عامر بن شراحيل، وبنو شيبان بن عوف، منهم ذو أصبح بن مالك، وهو أول من عملت له السياط الأصبحية، وبنو عبد شمس بن وائل بن قطن وبنو غيدان بن حجر، منهم ابن مثوب الذي بعثه تبع على مقدم جيشه إلى جديس، وبنو زيد الجمهور، منهم بنو ميتم بن عوف بن عدي، منهم كعب الأحبار واحاطة بن سعد الذي كتب له النبي ﷺ مع جرير بن عبد ا لله،

---

(1) أخرجه مسلم.

(2) ابن أبي عاصم، وابن السكن. [الأصابة: 3 / 421].

(3) التبابعة: ملوك اليمن الحميريون، جمع تبع: لقب أطلق على كل من ملك اليمن والشِّحر وحضرموْت، مثل كسرى للفرس وقيصر للروم والنحاشي للحبشة. والأذواء: لقب لبعض التبابعة، لقبوا بذلك لأن كل واحد منهم يبدأ اسمه بـ "ذو" مثل: ذو أصبح، وذو رعين، وذو الأذعار.. والأقيال: جمع قيل لقب لمن دون الملِك.

ومنهم الاوزاع، وهم بنو مرثد بن زيد بن شداد بن زرعة بن سبأ الأصغر بن كعب بن زيد الجمهور، وإليهم ينسب الفقيه النبيه عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي، وليس منهم ولكنه سكن فيهم فنسب إليهم.

ومن مالك بن حمير بن سبأ تفرعت بطون قضاعة ؛ وقضاعة هو ابن مالك بن حمير - وإن كان بعض النسابة ذهب إلى أنه من العدنانية، وأنه ابن معد بن عدنان - وتقدم للناظم ذكره في القبائل المتذبذبة بين القحطانية والعدنانية؛ وسيأتي أيضا مزيد من الكلام على ذلك إن شاء الله.

وبطون قضاعة: بنو بلي وبنو بهراء وبنو حيدان، من عمرو بن الحاف بن قضاعة، وبنو كلب بن وبرة وبنو جرم بن زبان، من بني عمران بن الحاف، وبنو عذرة بن سعد وبنو جهينة بن زيْد وبنو نهد، من بني أسلم بن الحاف - وسيأتي ذكرهم في الكلام على قضاعة إن شاء الله -.

وأما مذحج فهو لقب مالك بن أدد بن زيد بن يشجب أخي طيئ، وعرف بنوه بعده بلقبه. ومذحج (بوزن مجلس) في الأصل: اسم أكمة باليمن؛ واختلف في سبب تسمية هذه القبيلة بها، فقيل ولدت عندها امرأة من حمير فسميت باسمها، واسمها الحقيقي: دلة بنت ذي منجشان بن حمير، فتزوجها أدد بن زيد بن يشجب فولدت له مالكا وطيئا فنسبت ذريتهما لها وغلبت التسمية على مالك منهما دون طيئ، وقيل مذحج لقب مالك بن أدد، لقب به لأنه ولد بالأكمة المذكورة فأطلق اسمها على ذريته ؛ فعلى الأول تكون القبيلة منسوبة إلى جدتها، وعلى الثاني إلى جدها واسمه مالك بن ادد - وقيل ابن يحابر بن مالك بن ادد - بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ.

ولمذحج بن ادد بطون كثيرة منها: بنو عنس وبنو سعد العشيرة وبنو مراد وبنو جلد وبنو لميس بن مذحج (وهم أهل بيت قليل ودخلوا في عنس) أمهم جميعا

سلمى بنت منصور بن عكرمة المضرية. فمن بني عنس بن مذحج: بنو يام وبنو مالك وبنو عزيز ؛ فمن بني يام بن عنس: آل ياسر الذين كان لهم في الإسلام قدم صدق، ومن بني مالك بن عنس: الأسود المتنبئ باليمن، وهو عبهلة بن كعب بن غوث بن صعب بن مالك بن عنس. ومن بني عزيز بن عنس: بنو الصحيم بن قرة بن عزيز، كان لهم بالشام شرف. ومن بني سعد العشيرة: بنو الحكم وبنو الصعب وبنو نمرة وبنو جعفي، وآخرون. ومن بني مُراد بن مذحج: بنو قرن وبنو غطيف وبنو زاهر، فمن بني قرن: أويس بن عامر القرني وعمرو بن مرة المحدث؛ ومن بني غَطيف: فروة بن مُسَيْكٍ بن الحارث بن سلمة الغطيفي الشاعر، له صحبة واستعمله عمر، ومنهم شَرِيك بن عمرو بن عبد يغوث (هو الذي ضرب ابن رستم يوم القادسية بالسيف). ومنهم هند بن عمرو بن جندلة قتل يوم الجمل مع علي رضي الله عنه. ومن بني زاهر: قيس بن مكشوح المرادي وصفوان بن عسال بن الربض (صحابي). ومن مراد بن مَذحج - أيضا - عبيدة بن قيس بن عمرو من بني سلمان بن ناجية بن مراد المرادي السلماني الكوفي الفقيه العلم؛ كان من كبار التابعين كاد أن يكون صحابيا، أسلم باليمن زمن فتح مكة و لم يلق النبي ﷺ، وكان ثقة، هاجر من اليمن إلى الكوفة زمن عمر، وأخذ عن علي وابن مسعود وكان أحد أصحاب ابن مسعود الذين يقرئون ويفتون النّاس؛ روى عنه محمد بن سيرين وأبو إسحاق السبيعي وإبراهيم النخعي والشعبي وغيرهم، وكان ابن سيرين أروى الناس عنه وقال: ما رأيت أشد منه توقيا، وقال الشعبي: كان عبيدة يوازي شريحًا في القضاء، بل كان شريح إذا أشكل عليه شيء كتب إلى عبيدة. وتوفي سنة اثنتيْن وسبعين.

وأما بنو جلد بن مذحج فمنهم: بنو رهاء وبنو صداء وجنب وبنو النخع. فمن بني رهاء: عمرو بن سبيع الرهاوي، وفد على رسول الله ﷺ ؛ ومنهم مالك بن مرارة الرهاوي الصحابي، بعثه النبي ﷺ إلى اليمن؛ ومنهم يزيد بن شجرة بن أبي

شجرة الرهاوي، كان من أصحاب معاوية بصفين وتوفي في آخر خلافته سنة ثمان وخمسين.

أما بنو صداء فهم بطن ضخم، وسمُّوا "صداء" لأنهم صدُّوا عن بني يزيد بن حرب وجانبوهم وحالفوا بني عمومتهم بني الحارث بن كعب بن عمرو بن عُلَة بن جلد بن مذحج، منهم زياد بن الحارث الصدائي، وفد على النبي ﷺ وبعثه إلى قومه فأسلموا، وقال له صلى الله عليه وسلم: «إنك لمطاع في قومك يا أخا صداء»[1]، وكان من مؤذنيه صلى الله عليه وسلم.

وأما جنب فمنه منبه والحارث والغل وسنحان وهَفَّان وشمران بنو يزيد بن حرب؛ وقد تحالف هؤلاء الستة على عمهم صداء فسموا جَنباً، لأنهم جانبوا عمَّهم صداء ثم تحالفوا مع بني عمهم بني سعد العشيرة. ومن جنب هؤلاء معاوية بن عمرو بن معاوية بن الحارث بن منبه الذي تزوج سُلَيمى بنت مهلهل بن ربيعة التغلبي بنجران ومهرها أُدُمًا؛ وكان مهلهل قد نزل بهم فأرغموه على ذلك، فقال:

أنكحَهَا فَقْـــدُها الأرَاقمَ في جَنبٍ وكانَ الحِبَـــاءُ مِن أُدُم[2]
لـــو بأبَانَيْن جَاء يخطبهـــــا ضُرِّجَ ما أنْفُ خَاطِبٍ بـــدَم[3]

---

(1) أخرجه البيهقي في الدلائل، وابن سعد في طبقاته، وابن الأثير.

(2) الأراقم: بطون من تغلب، والحباء: العطية - وحِباء المرأة مهرها جمعه أحبية، والأدم (بضمتين) جمع أديم الجلد، يعني أنه أنكحها لغربتها وفقدانها عشيرتها من غير كفؤ حين خطبها الجنبي المذكور، و لم يستطع منعها، وكان مهرها من أدم.

(3) أبانين: تثنية أبان وهما جبلان مشهوران: أبان الأبيض وأبان الأسود، وأحدهما هو المذكور في قول امرئ القيس بن حجر الكندي:

كأن ابانا في أفانين ودقه كبير أناس في بجادٍ مزمَّل

وضرج: أي لطخ. وما: زائدة. وأنف: نائب فاعل ضرج. وبدم: متعلق بضرج؛ يعني أن الجنبي لو خطبها وهي ببلدها وفي أهلها لضرج أنفه بالدم. وبعد هذين البيتين:

<<=

ومن جنب أيضا الفقيه أبو ظبيانَ الحصين بن جُنْدَ بن عمرو بن الحارث، وابنه قابوس بن أبي ظبيان المحدثان.

وأما كندة فهو أبو الحي العظيم القحطاني ثم الكهلاني؛ واسم كندة ثور بن عُفير بن عدي بن الحارث بن مرة بن ادد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان؛ ولقب ثور هذا بكندة لأنه كند أباه، أي كفر نعمته وعقه ولحق بأخواله. ومن ولد كندة: معاوية واشرس، أمهما رملة بنت أسد بن ربيعة بن نزار ؛ وتفرعت منهما بطون كثيرة، وتفرعت من تلك البطون بطون أخرى متسعة ومتشعبة منها: بنو آكل المرار وبنو الحارث الولاد وبنو امرئ القيس بن عمرو بن معاوية بن الحارث وبنو الرائش وبنو اشرس بن معاوية.

فمن بني آكل المرار بنو الجون وآل حجر. ومن الحارث الولاد بنو حجر القَرِد بن الحارث، منهم الملوك الأربعة: مِخوس ومِشرح وجَمْد وابْضَعَة بنو معد يكرب بن وليعة بن شرحبيل بن معاوية بن حجر القرد، وفدوا على رسول الله ﷺ، ثم ارتدوا بعد فقتلوا جميعا؛ ومن بني الحارث ـ أيضا ـ بنو الشيطان. ومن بني امرئ القيس بن عمرو ـ أخي آكل المرار والحارث الولاد ـ الرجل الصالح امرؤ القيس بن عابس؛ ومنهم رجاء بن حيوة بن جندل بن الأحنف بن السمط بن امرئ القيس، وسيأتي الكلام عليهم إن شاء الله.

ومن بطون بني كندة: بنو السكون وبنو السكاسك ؛ فمن السكون: بنو عدي

<< - - -

أصبحت لا منفساً أصبت ولا أبتُ كريماً حرا من الندم

اعزز على تغلب بما لقيت أختُ بني الأكرمين من جشم

ليسوا بأكفائنا الكرام ولا يغنون من عيلة ولا عدم

والمنفس: المال الكثير الذي له خطر. وجشم: عشيرة مهلهل من تغلب.

وبنو سعد ابني اشرس بن شبيب بن السكون بن اشرس بن كندة، أمهما تجيب واشتهروا بالنسبة إليها، وسيأتي ذكرهم أيضا إن شاء الله. وأما بنو السكاسك فقد كانت لهم ثروة عظيمة بالشام، ومنهم حوي بن ماتع بن زرعة السكسكي قاتل عمار بن ياسر ؛ ومنهم زياد بن هَجعم السكسكي، ولي الشرطة لعبد الملك بن مروان؛ ومنهم يزيد بن أبي كبشة بن يسار السكسكي، ولاه الوليد البصرة بعد الحجاج. وبطون كندة لا تحصى كثرة ؛ وبلادهم باليمن من قبل حضرموت، وكان لهم ملك بالحجاز واليمن ؛ وأول من ملك منهم آكل المرار، وانتزع من اللخميين ما كان بأيديهم من أرض بكر بن وائل، وآخر ملوكهم امرؤ القيس بن حجر الشاعر، وكانت لهم ملوك منهم على مخالفيهم؛ وقد قدم وفد كندة على رسول الله ﷺ فقال: «أتاكم أهل اليمن هم ألين قلوبا وأرق أفئدة الإيمان يمان والحكمة يمانية»[1]، فلما أرادوا الرجوع إلى بلادهم قالوا له: أوصنا، فقال: «إن لكل ساع غاية وغاية ابن آدم الموت فعليكم بذكر الله فإنه يسهلكم ويرغبكم في الآخرة»[2]، وسيأتي مزيد من الكلام على كندة إن شاء الله.

وأما أنمار فهو ابن إراش[3] بن عمرو بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ ، وفيهم بطون كثيرة، من أشهرها خثعم وبجيلة، ودارهم يمانية.

أما خثعم فهو ابن أنمار بن إراش، وأمه هند بنت مالك بن الغافق بن الشاهد بن علك، قيل سمي خثعما باسم جمل كان له اسمه خثعم ، وقيل باسم جبل تحالفوا عنده اسمه خثعم، وقيل لقبوا خثعما لأنهم تخثعموا بالدم أي تلطخوا به عند حلف عقدوه

---

(1) تقدم تخريجه.

(2) البغوي ـ كما في الجامع الصغير.

(3) أنمار: بفتح أوله وسكون النون. وإراش: بكسر أوله وتخفيف الراء وفي آخره معجمة [فتح الباري].

بينهم. وقد تفرعت خثعم إلى بطون كثيرة، منهم بنو ناهس وبنو شهران ابني عِفرس بن حُلْف بن خثعم. وقد تفرع هذان البطنان إلى بطون متشعبة؛ فمن بني ناهس بن عِفرس: بنو معاوية بن خرم بن ناهس، وهم أهل بيت خثعم؛ وفدوا على رسول الله ﷺ فقال لهم: «أنتم بنو راشد». ومنهم بنو رشد وحام ابني ناهس؛ ومن بني شهران بن عفرس: بنو قحافة بن عامر بن ربيعة بن عامر بن سعد بن مالك بن بشر بن وهب بن شهران، منهم أسماء بنت عميس بن النعمان بن كعب بن مالك الخثعميةُ، تزوجها جعفر بن أبي طالب فولدت له عبد الله ومحمداً وعوناً، ثم تزوجها أبو بكر الصديق فولدت له محمداً، ثم تزوجها علي بن أبي طالب فولدت له يحيى. ومنهم أيضا ذو الأنف بن عبد الله الخثعمي الذي قاد خثعما إلى رسول الله ﷺ. ومنهم مالك بن عبد الله الخثعمي الذي قاد الصوائف[1] أربعين سنة أيام معاوية ويزيد وابن الزبير، وكان من التابعين الصلحاء.

وقيل خثعم ثلاث: شهران وناهس (المذكوران) وأكلب ؛ غير أن أكلب هذا عند أهل النسب هو ابن ربيعة بن نزار، ولكنهم دخلوا في خثعم وانتسبوا إليهم، ولذا قال فيهم رجل من خثعم:

فما أكلب منّا ولا نحن منهم … وما خثعم يوم الفخار وأكلب
قبيلة سوء من ربيعةَ أصلُها … فليس لها عمٌّ لدينا ولا أبُ

فأجابه أحد بني أكلب فقال:

فإني من القوم الذين نسبتني … إليهم كريمُ الجَدِّ والعمُّ والأبُ[2]

---

(1) جمع صائفة: وهي الجيش الذي يغزو في الصيف.

(2) العم والأب مرفوعان على الابتداء والخبر محذوف تقديره "كذلك"، على حد قوله تعالى ﴿إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابون والنصارى﴾ في قراءة الكوفيين.

فلو كنت ذا علم بهم ما نفيتني إليهم تـــرى أني بذلك أثلب[1]

فإلا يكـن عماي خلفا وناهسًا فإني امرؤ عماي بكـــرٌ وتغلب

أبونا الذي لم تركب الخيل قبله ولم يدر مَـرْءٌ قبلــه كيف يركب

يريد أنه من ربيعة، وربيعة كان يقال له ربيعة الفرس.

وأما بجيلة فهم الغوث وصهيبة وخزيمة وعبقـر بنـو أنمـار بـن إراش، أمهـم بجيلـة بنت صعب بن سعد العشيرة المذحجية، نسبوا إليها وعرفوا بها فغلـب عليهـم اسـم "بجيلة"، وقيل حبشية حضنت أبناء أنمار هؤلاء فنسبوا إليها ـ وقد وقعت النسبة إلى الأم في كثير من قبائل العرب ـ وقيل بجيلة أب وهو ابن أنمار بـن نـزار بـن معـد بـن عدنان. فهم من قبائل عدنان ولكنهم صاروا إلى اليمن؛ واستدل من قال ذلـك بـأن جريرًا البجلي نافر[2] الفرافصة الكلبي إلى الأقرع بن حابس التميمي حكـم العـرب، فقال له:

يَا أقــــرعُ بنَ حابس يَا أقرعُ إنك أن يُصْـــرَعْ أخوك تُصرَعُ

فجعل نفسه أخًا له وقال:

ابني نزار انصـــــرا أخاكمـا إن أبي وجــدته أباكما

لن يغلب اليــوم أخ والاكما

وقد تفرعت بجيلة إلى بطون منهم بنو عرينة بن نذير بن قيس بن عبقر بن أنمـار؛ منهم الرهط الذين قدموا على رسول ا لله ﷺ في المدينة ثم استوخموها، فبعـث بهـم

---

(1) ثلب فلانا: عابه وتنقصه.

(2) نافر: أي حاكم، والمنافرة: مأخوذة من النفر، وكانوا إذا تنازع الرجلان وادعى كل واحـد منهمـا أنه أعز نفرا من صاحبه تحاكموا إلى بعض حكمائهم، فمن فضّل منهما قيـل نفّـره عليـه أي فضـل نفره على نفر الآخر، فمن هذا أخذت المنافرة، ولزهير المزني:

وإن الحق مقطعه ثلاث يمين أو نفار أو جلاء - [الروض الأنف].

رسول الله ﷺ إلى إبل الصدقة[1] يشربون من ألبانها وأبوالها، فلما صحُّوا قتلوا راعيَها واستاقوا الإبل ؛ فبعث رسول الله ﷺ في طلبهم فلما جيء بهم إليه سمل أعينهم كما فعلوا براعي الإبل وتركهم بالحرة حتى ماتوا.

ومن أنمار ـ أيضا ـ بنو علقمة بن عبقر بن أنمار؛ منهم جندب بن عبد الله بن سفيان البجلي العلقمي صاحب رسول الله ﷺ. ومن بني الغوث بن بجيلة بنو أحمس بن الغوث، قيل كان منهم قيس بن مكشوح، فهو بجلي بالنسب مرادي بالحلف؛ وكان سيد بني مراد بن مذحج وعداده فيهم. ويروى أنه نهضت مائة وخمسون فارسا من فرسان بني أحمس هؤلاء مع جرير بن عبد الله البجلي إلى حرق ذي الْخَلَصَة[2] وهو صنم لبجيلة وخثعم وبني الحارث بن كعب وغيرهم، فبارك رسول الله ﷺ في خيل أحمس ورجالها ودعا لهم[3].

ومن بني الغوث ـ أيضا ـ بنو قتبان بن ثعلبة بن معاوية بن زيد بن الغوث، منهم رفاعة بن شداد القتباني الذي نجا يوم الوردة. ومنهم أم خارجة عَمرة بنت سعد بن عبد الله بن قداد بن قتبان صاحبة المثل: "أسرع من نكاح أم خارجة"؛ وذلك أنها

---

(1) البخاري ومسلم.

(2) الخلصة (بفتح الخاء المعجمة واللام بعدها مهملة وروي بفتح أوله وإسكان ثانيه وضمه والأول أشهر): بات له حب أحمر، وذو الخلصة اسم للبيت الذي كان فيه الصنم، وقيل اسم البيت الخلصة واسم الصنم ذو الخلصة.وقد صار موضع ذي الخلصة مسجدا جامعا لبلدة يقال لها: العبلات من أرض خثعم ـ [فتح الباري].

(3) أخرجه البخاري وأحمد، وفي البخاري عن جرير قال: كان بيت في الجاهلية يقال له ذو الخَلَصَة والكعبة اليمانية والكعبة الشامية ، فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم: «ألا تريحني من ذي الخلصة»؟ فنفرت في مائة وخمسين راكبا فكسرناه وقتلنا من وجدنا عنده، فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته فدعا لنا ولأحمس، وفي رواية: فبارك في خيل أحمس ورجالها خمس مرات.

كان يأتيها الخاطب فيقول لها: خُطب، فتقول: نكح! وقد ولدت كثيرا من القبائل؛ تزوجها بكر بن يشكر بن عدوان بن عمرو بن قيس عيلان فولدت له خارجة، وبه كنيت؛ ثم تزوجها عمرو بن ربيعة بن حارثة بن مزيقيا فولدت له سعداً أبا المصطلق؛ ثم تزوجها بكر بن عبد مناة بن كنانة فولدت له ليثا ومدلجا؛ ثم تزوجها مالك بن عمرو بن دودان فولدت له غاضرة وعَمراً؛ ثم تزوجها جشم بن مالك بن كعب بن القين بن جسر فولدت له عرافة؛ ثم تزوجها عمرو بن تميم فولدت له أُسَيِّداً والهجيم والعنبر. وتزوجها آخرون[1]. ومن بجيلة ــ أيضا ــ شق الكاهن بن صعب بن يشكر صاحب سطيح، وسيأتي بعض التعريف به عند قول الناظم: *في فم شق وسطيح تفلت*.. إلخ.

وكانت منازل أنمار بسروات[2] اليمن والحجاز إلى تبالة. وقد قدم وفد بجيلة سنة عشر، وفيهم جرير بن عبد الله البجلي؛ وكان رسول الله ﷺ قال للصحابة: «يطلع عليكم من هذا السفح من خير ذي يمن على وجهه مسحة ملك»[3]، فطلع جرير على راحلته ومعه قومه فأسلموا وبايعوا، قال جرير: فبسط رسول الله ﷺ يده فبايعته وقال «وعلى أن تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله وتقيم الصلاة

---

(1) قيل تزوجت نيفا وأربعين زوجا، وولدت في العرب في نيف وعشرين حيا من آباء متفرقين. وكانت أم خارجة هذه ومارية بنت الجعيد العبدية وعاتكة بنت مرة بن هلال السلمية، وفاطمة بنت الخرشب الأنمارية وسلمى بنت عمرو بن زيد بن لبيد النجارية ـ أم عبد المطلب بن هاشم ــ إذا تزوجت الواحدة منهن رجلا كان أمرها إليها: إن شاءت أقامت وإن شاءت ذهبت ــ [مجمع الأمثال للميداني].

(2) سروات: أي ضواحي وأعالي.

(3) أخرجه أحمد وابن حبان. ويقال: عليه مسحة من جمال أو هزال أي شيء منه، وذو المسحة: جرير بن عبد الله البجلي ـ [القاموس].

وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتنصح [1] للمسلمين وتطيع الوالي وإن كان عبدا حبشيا»، فقلت: نعم، فبايعته. وسأله رسول الله ﷺ عما وراءه؟ فقال له جرير: يا رسول الله قد أظهر الله الإسلام والأذان وهدمت القبائل أصنامها التي كانت تعبد. وكان جرير بن عبد الله البجلي من سادات قومه، وكان صحابيا جليلا وسيداً نبيلا، وكان بديع الحسن حتى لقب بيوسف هذه الأمة ؛ وكان قد جمع قومه بعد تفرق وساسهم، وفيه يقول الشاعر:

لولا جرير هلكت بجيلَه نعم الفتى وبئست القبيله!

(ولما سمع عمر هذا البيت قال: ما مدح رجل هجيت قومه). وكان قد أسلم قبل وفاة النبي ﷺ بأربعين يوما، ولما قدم عليه صلى الله عليه وسلم أكرمه وقال فيه: «إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه»[2] وأمَّره على قومه. وتوفي سنة إحدى وخمسين.

وأما غسان (بوزن كتان): فهو اسم لعدة بطون ، منهم بنو جفنة والحارث (وهو مُحرِّقٌ)[3] وثعلبة (وهو العنقاء) وحارثة ومالك وكعب وخارجة وعوف، بنو عمرو (مزيقياء) بن عامر (ماء السماء) بن حارثة (الغطريف) بن امرئ القيس (البطريق) بن ثعلبة بن مازن بن الأزد، وتفرعت منهم بطون كثيرة وانضم إليهم

---

(1) أخرج نحوه أحمد في مسنده.

(2) أخرجه ابن ماجه، والطبراني في الأوسط.

(3) هو الحارث بن عمرو ملك الشام من آل جفنة، ولقب المحرق لأنه أول من حرق العرب في ديارهم، أو أول من حرق الناس بالنار، فكان يقال لبنيه: آل المحرق، ولقب عمرو بن هند ـ أيضا ـ بالمحرق لأنه أحرق تسعة وتسعين من بني دارم، وكمل مائة بواحد من البراجم (من بني تميم) هو صاحب المثل: "إن الشقي وافد البراجم"، وقد كان عمرو بن هند حلف ليحرقن منهم مائة بأخيه سعد، فمرَّ رجل من البراجم فاشتم رائحة الشواء من لحوم الناس، فظن أن الملك اتخذ طعاما، فعدل إليه ليرزق منه، فقيل له: ممن أنت؟ قال: وافد من البراجم، فألقاه في النار، فقيل: "إن الشقي وافد البراجم".

غيرهم. وقد كانت كل قبيلة من قبائل العرب بنو أب واحد، سوى ثلاث قبائل هي غسان هؤلاء وتنوخ والعتق.

أما غسان فعدة قبائل اجتمعوا على ماء باليمن يقال له غسَّان فسموا به، وفي ذلك يقول حسان بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه:

يا بنت آل معـاذ إنني رجل ... من معشر لهـمُ في المجد بنيان

شم الأنوف لهم عـزٌّ ومكرمة ... كانت لهم من جبال الطَّودِ أركان

إما سألـت فإنا معشر نجب ... الأزد نسبتنا والماء غسَّـانُ

وأما تنوخ فعدة بطون ــ أيضا ــ منهم: فهم بن تيمِ الله بن أسد بن وبرة الكلبيون. ومنهم نزار (وهم لوث، ليس نزار بوالد لهم ولا أمٌّ، ولكنهم من بطون قضاعة كلها). ومنهم: الأحلاف، وهم من جميع قبائل العرب من كندة ولخم وجذام وعبد القيس، اجتمعوا على المقام بمكان بالشام وتحالفوا على ذلك، فسموا لذلك بتنوخ (من التنتخ وهو المقام).

وأما العتق (بوزن عنق): فهم لفيف من العرب، اجتمعوا من عدة أحياء متفرقة، بعضهم من حَجْرِ ذي رُعين الحميري وبعضهم من سعد العشيرة المذحجي ــ وهذان من القحطانيين ــ وبعضهم من كنانة العدنانيين ؛ وكانوا ثمانين رجلا هبطوا من التنعيم[1] متمالئين على غدر النبي ﷺ فظفر بهم وأعتقهم، فسموا بالعُتُقِ؛ وَنزل فيهم قوله تعالى ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾[2] ، منهم زيـد

---

(1) التنعيم: موضع على ثلاثة أميال أو أربعَة من مكة، أقرب أطراف الحلّ إلى البيت، سُمي بذلك لأن على يمينه جَبَلَ نُعَيم، وعلى يَسَارهِ جَبَلَ ناعِمٍ، والوادي اسمه: نَعْمَانُ ــ [القاموس].

(2) الفتح: 24.

بن الحارث العتقي الصحابي من حجر حمير، ومنهم عبد الرحمن بن القاسم العتقي صاحب الإمام مالك بن أنس، وعبد الرحمن بن الفضل قاضي تدمر.

هذا وكان لغسان ملك العرب بالشام بعد سليح القضاعيين، فتداولته ملوكهم حتى كان آخرهم جبلة بن الأيهم الغساني، الذي أسلم زمن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ ثم ارتد ولحق ببلاد الروم، كما يأتي إن شاء الله. ومن غسان بنو عمرو بن الأزد، منهم ثعلبة بن عمرو رأس غسان عند سيرهم إلى الشام وأخوه جذع صاحب المثل: "خذ من جذع ما أعطاك".

وأمَّا لخم (بفتح فسكون) فهو مالك بن عدي[1] بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ. ومن لخم هذا تفرعت بطون كثيرة وأفخاذ متشعبة، منهم بنو نُمَارَةَ وبنو جزيلة ابني لخم؛ فمن بني نمارة بنو الدار[2] بن هانئ بن حبيب بن نُمارة، منهم الصحابي الجليل تميم الداري، وهو تميم بن أوس بن خارجة بن سُود بن خَذِيمة (وقيل أوس بن حارثة بن سواد بن جذيمة) بن دارع بن عدي بن الدار بن هانئ اللخمي الداري؛ كان نصرانيا وأسلم سنة تسع، وذكر للنبي ﷺ قصة الجساسة والدجال، فحدث عنه النبي ﷺ بذلك على المنبر؛ ولا يعلم أحد روى عنه رسول الله ﷺ حديثا حدث به الناس إلا هو! فكان ذلك من مناقبه رضي الله عنه، وسكن المدينة و لم يزل بها حتى قُتل عثمانُ فانتقل منها إلى الشام وسكن فلسطين، وكان عابد أهل زمانه وراهب أهل عصره

---

(1) وأخوه جذام واسمه عامر، وقد جذم مالك اصبع عامر فسمي جذاما، ولَخَمَ عامر مالكا فسمي لخما، واللخم: اللطم؛ يقال لخم وجهه: لطمه، واللخم أيضا: القطع؛ يقال لخم الشيء لخما: قطعه - [تاج العروس].

(2) الدار (في الأصل) اسم المحلة والمثوى، فنقلت إلى الرجل فسمي بها وصار يعرف بالدار بن هانئ، وإليه ينسب تميم الداري.

كثير التهجد، قام ليلة بآية ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾[1] حتى الصبح. وهو أول من أسرج السراج[2] في المسجد وأول من قصَّ به، وكان ذلك في عهد عمر بن الخطاب بإذن منه؛ ومات بالشام وقبره ببيت جيرون من بلاد فلسطين. وأهدَى تميم الداري هذا فرسا يسمى الورد للنبي ﷺ فأعطاه لعمر فحمله عمر في سبيل الله ثم وجده يباع برخص فأراد أن يشتريه فسأل النبي ﷺ فقال: «لا تشتره لا تعد في صدقتك وإن أعطيك بدرهم فإن العائد في صدقته كالكلب يعود في قيئه»[3].

ومن نمارة ــ أيضا ــ بنو نصر بن ربيعة، رهط المنذر اللخمي ملك الحيرة، وبنو امان بن عمرو بن رُزَيْن بن نُمَارة، منهم قصير بن عَمْرو بنِ رُزَيْن صاحب المثل: "لأمر ما جدع قصير أنفه"[4]، وهو الذي قتل الزبّاء.

---

(1) الجاثية: 21.

(2) أسْرج: أوقد، والسراج: المصباح الزاهر.

(3) أخرجه البخاري ومسلم، عن عمر قال: حملت على فرس في سبيل الله فأضاعه الذي كان عنده وظننت أنه بائعه برُخْص فأردت أن أشتريه فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «لا تبتعه ولا تعد في صدقتك ولو أعطاكه بدرهم فإن العائد في صدقته كالكلب يعود في قيئه».

(4) يضرب فيمن استعمل حيلة لنيل مرامه، وأول من نطق به الزباء بنت الريّان الغسانية لما رأت قصيرا مجدوعا. وأصله أن قصيرا كان وزيرا لجذيمة الأبرش ، ولما قَتلت الزباء جذيمةَ احتال قصير في قتلها فجدَع أنفه وضرب جسده ورحل إليها زاعما أن عمْرا بن أخت جذيمة صنع به ذلك، وأنه لجأ إليها هاربا منه واستجار بها، ولم يزل يتلطف لها بطريق التجارة وكسب الأموال إلى أن وثقت به، وعلم خفايا قصرها، ثم وضع رجالا من قوم عمرو في غرائر وعليهم سلاح وحملهم على الإبل على أنها قافلة متجر إلى أن دخل بهم مدينتها فحلوا الغرائر وأحاطوا بقصرها وقتلوها، فعلمت حيلته وقالت المثل المذكور ــ [فرائد الأدب].

ومن بني جزيلة بن لخم: بنو إراش وبَنُو حُجرٍ وبنو عمرو وبنو يشكر وبنو أذْب وغيرهم.. فمن بني إراش عمارة بن تميم صاحب ابن الأشعث. ومن بني حجر الفقيه عبد الملك بن عمير بن سويد المعروف بالقبطي، نسبة إلى فرس له. وأما بنو يشكر فينسب إليهم "جبل يشكر" بين مصر والقاهرة. ومن بني أَذْب الصحابي الجليل البدري: حاطب بن أبي بَلتعة حليف الزبير بن العوام، وبطنه من بني أذب بنو راشدة ـ وإليهم ينسب جامع راشدة بفسطاط مصر ـ ومنهم المغيرة بن زيد بن حاطب بن أبي بلتعة، قتله الحسن بن عثمان بن صهيب فأقيد به. ومنهم زياد بن عبد الرحمن بن زياد الملقب "شبطون" (أول من أدخل الموطّأ الأندلس).

ومن لخم ـ أيضا ـ أكدر بن حمام بن صعب بن كثير اللخمي، شهد فتح مصر هو وأبوه وجالس الصحابة وكان ذا دين وفضل وفقه، وهو صاحب الفريضة التي تسمى بالأكدرية[1]؛ وكان ممن سار إلى عثمان ثم كان علويا، ثم كان معاوية بعد يؤلف قومه ويكرمه ويدفع إليه عطاءه ويرفع مجلسه. ثم حارب الأكدر مروان حين

---

(1) الأكدرية (في الفرائض): زوجٌ وأمٌّ وجدٌّ وأختٌ لأبٍ وأمٍّ ، لقبت بالأكدرية لأن عبد الملك بنَ مروان سأل عنها رجلا يقال له أكدر فلم يعرفها ، أو كانت الميتة تسمى أكدرية، أو لأنها كدرت على زيد ـ [قاموس] ؛ وأصل هذه الفريضة: ستة، فيفرض للزوج: النصف (ثلاثة) وللأم الثلث (اثنان)، وللجد السدس (واحد)، وللأخت: النصف (ثلاثة)، فقد عالت إلى تسعة ثم يجمع نصيب الجد والأخت ـ وهو أربعة ـ ويقاسمها (للذكر مثل حظ الأنثيين)، والأربعة لا تصح على ثلاثة ولا توافق فتضرب المسألة بعولها تسعة في ثلاثة عدد رؤوس المنكسر عليها يحصل سبعة وعشرون، من له شيء من تسعة أخذه مضروبا في ثلاثة، فللزوج ثلاثة في ثلاثة (بتسعة)، وللأم اثنان في ثلاثة (بستة) وللجد ثمانية، وللأخت (أربعة).

وتلقى هذه المسألة ـ أيضا ـ في المعايات فيقال أربعة ورثوا ميتا: فأخذ أحدهم ثلث المال وانصرف، وأخذ الثاني ثلث ما بقي وانصرف، وأخذ الثالث ثلث ما بقي وانصرف، وأخذ الرابع ما بقي وانصرف!.

حاصر مصر فاحتال لَهُ مروان حتى قتل.

وقد كان للخميين ملك بالحيرة والعراق في الجاهلية، وأولهم عمرو ذو الطوق، وآخرهم النعمان بن المنذر. ودار لخم بالشام بينه وبين مصر، وانحدرت طائفة منهم في زمن الفتوحات إلى مصر حين فتحت فاختطُّوا بها، وبعضهم بصعيدها مسكنهم بالبر الشرقي، وكان لبقاياهم في الإسلام ملك بإشبيلية من الأندلس، وهي دولة بني عباد اللخميين؛ وأول من ملك منهم القاضي محمد بن إسماعيل بن قريش بن عباد من نسل النعمان بن المنذر، وآخرهم المعتمد بن عباد؛ ودارهم بالأندلس: شذون والجزيرة وإشبيلية. وسيأتي بعض الكلام على هاتين الدولتين.

وأما جذام (بوزن غراب) فهو عمرو بن عدي بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ. وزعم نسابة مضر أنهم من العدنانية، وأنهم انتقلوا إلى اليمن فنزلوا به فنسبوا إلى القحطانيين، واستدلوا على ذلك بقول الكميت يذكر انتقالهم ذلك إلى اليمن وانتسابهم فيه:

نعاءِ[1] جذاما غير موت ولا قتل ... ولكن فراقا للدعائم والأصل

وَبِقَوْلِ جنادة بن خشرم الجذامي:

وما قحطان لي بأبٍ وأم ... ولا تصطادني شبه الضلال

وليس إليهم نسبي ولكن ... معديا وجدت أبي وخالي

وقيل إنهم من ولد أعصر بن مدين بن إبراهيم عليه السلام، وورد أن النبي ﷺ قدم عليه وفد من جذام فقال لهم: «مرحبا بقوم شعيب وأصهار موسى». ولجذام من الولد: حرام وَحِشْم، ومنهما تفرعت بطون كثيرة وأفخاذ متّسعة؛ منها بنو

---

(1) نعاء (بالبناء على الكسر): اسم فعلٍ للأمر بمعنى: إِنْعَ يقال: نَعَاءِ فلانا أي أظهر وبلغ خبر وفاته. [المنجد].

عتيب بن أسلم، وإليهم تنسب جفرة عتيب بالبصرة وفيهم المثل: "أودى عتيب"، قيل أصله أن بعض الملوك أغار عليهم فسبى الرجال فكانوا يقولون: إذا كبر صبياننا لم يتركونا حتى يفتكونا.. فلم يزالوا كذلك حتى هلكوا، فضرب بهم المثل المذكور، وفي ذلك يقول الشاعر:

ترجيها وقد وقعت بُقير كما ترجو أصاغرها عتيب

فمن بني حرام بن جذام بنو غطفان وبنوافصي ابني سعد بن اياس بن افصى بن حرام بن جذام، وهما بطنان ضخمان فيهما بيت جذام وعددها؛ منهم بنو شأس بن سعد الذين منهم الفقيه صاحب الجواهر في الفقه على مذهب الإمام مالك. ومن بني افصى: أبو زرعة روح بن زنباع بن روح بن سلامة الجذامي، أحد قواد جيش عبد الملك بن مروان؛ وقد قال فيه عبد الملك: جمع روح طاعة أهل الشام ودهاء أهل العراق وفقه أهل الحجاز؛ وكان روح يقول: لم أطلب بابا من الخير إلا تيسر لي ولا طلبت بابا من الشر إلا لم يتيسر لي. وكانت لروح هذا مزرعة إلى جانب مزرعة للوليد بن عبد الملك، فشكا وكلاء روح إليه من وكلاء الوليد، فشكا ذلك روح إلى الوليد فلم يشكه؛ فذكر ذلك روح لعبد الملك بحضرة الوليد، فقال عبد الملك: ما يقول روح يا وليد؟ قال: كذب يا أمير المؤمنين، فقال روح: غيري وا لله أكذب! فقال الوليد: لا سرعت خيلك يا روح، قال: نعم.. كان أولها بصفين وآخرها بمرج راهط![1] وقام مغضبا، فقال عبد الملك للوليد: بحقي عليك لما أتيته

---

(1) صفين: موضع بقرب الرقة من سورية، وقعت فيه الملحمة العظيمة بين علي ومعاوية رضي ا لله عنهما، ومرج راهط: موضع بالشام، وقعت فيه الواقعة المشهورة بين مروان بن الحكم الأموي والضحاك بن قيس الفهري، وقتل فيها الضحاك واستقام الأمر لمروان، وكان روح وقومه مع معاوية بصفين ومع مروان بمرج راهط.

فترضيته ووهبت له المزرعة. فخرج الوليد يريد روحا، فقيل لروح هذا ولي العهد قد أتاك، فخرج يستقبله فوهب لـه المزرعـة. ولـروح هـذا ابنـه ضِبعـان بـن روح، ولي الأردن وله عقب. وديار بني حرام من الكَرْد إلى الأزلم من بريـة الحجـاز إلى مصـر وبناحية المدينة إلى حدود غزة من بلاد الشام؛ وبافريقية من بلاد المغرب منهـم فـرق كثيرة، ودارهم بالأندلس: شذونة والجزيرة وتُدمير وإشبيلية.

ومن جذام ـ أيضا ـ بنو سويد بن زيد، ومساكنهم بالديار المصرية؛ منهم طريف بن مكنون بن الوليد بن سويد الملقب *بزيـن الدولـة*، كـان مـن أكـرم العـرب كثـير الضيفان يهشم الثريد في المراكب. ومن جذام ـــ أيضـا ـــ بنـو الضُّبَيْـبِ وبنـو بعجـة وغيرهم. وقد جاء بنو جذام في الفتح الإسـلامي مـع عمـرو بـن العـاص إلى مصـر، فكانوا من أول من سكنها من العرب، واقتطعوا بها بلادا توارثتها بنوهم.

وأما عاملة فاسمه الحارث بن عدي بن الحارث بـن مـرة بـن أدد بـن زيـد بـن يشجب بن عريب بن زيد بـن كهـلان بـن سبأ، وقيـل عاملـة أمهـم، وهـي عاملـة القضاعية. وزعم بعض نسابة مضر أن عاملةَ ابنُ قاسط بن أسد بـن ربيعـة، واحتـج على ذلك بقول الأعشى:

أعامـــل حتى متى تذهبين ... إلى غير والدك الأكـــرم
ووالدكـم قاسط فارجعـوا ... إلى النسـب الأتلـد الأقـدم

وكانت عاملة حلفاء لكلب، وغزت معهم إلى طيئ فأسر رجل من عاملة ـ اسمه قعيسيس ـ عديا بنَ حاتم فانتزعه منه شعيب بن الربيع بن مسعود العليمي أحـد بـني عليم من كلب، وقال له: ما أنت وأسر الأشراف؟! وأطلقه بغير فـداء. ومـن بطـون عاملة بنو شغل وبنو عجل وبنو سلامة.

ومن عاملة ـ أيضا ـ بنو الزهد وبنو معاوية، ابني عاملـة؛ فمـن الزهـد ثعلبـة بـن سلامة بن جحدم، ولي الأردن والأندلس وقتل مع مروان بن محمد. ومن بني معاوية عدي بن الرقاع، شاعر إسلامي في عهد الوليد بن عبد الملـك، وقـد مدحـه. وبـلاد

عاملة الشام؛ وكان منهم الجم الغفير بجبال عاملة (من بلاد الشام). [والله تعالى أعلم].

ثم ذكر الناظم بعض خواص بلاد سبأ المتقدم ذكره، فقال رحمه الله:

طِيبُ هَـوَاءِ سَبَأٍ يَمُوتُ لَهْ مِنْ حِينِهِ قَمْلُ غَرِيبٍ نَزَلَهْ
وَمَا تَـوَلَّـدَ مِنَ الْعُفُـونَهْ وَمِنْ ذَوَاتِ السِّمِّ لاَ يَـرَوْنَهْ

قوله: **طيب هواء** (بكسر الطاء وسكون الياء): أي جودة وحسن هواء سبأ أي جو بلادها ومناخها (وهو حالة جوها)، والمراد بسبأ هنا بلادهم ومنازلهم. والضمير في **له**: عائد على **طيب**. **والغريب**: البعيد عن وطنه جمعه غرباء. والضمير في **نزله**: عائد على سبأ. **والعفونة** (بضم العين): فساد الشيء من نُدُوَّةٍ تصيبه وتغير رائحته فتتولد منه بعض الحشرات. **وذوات السم**: السامة من الحيوان، **والسم** (بتثليث المهملة): مادة سامة تسري في الجسم تقتل أو تعطل الأعمال، جمعه سِمَام وسُمُوم. والضمير المرفوع في **لا يرونه**: عائد على سبأ بمعنى أهلها، والمنصوب عائد على **ما تولد**.. إلخ.

يعني أن أرض سبأ لطيب هوائها وجودة تربتها لا يمر بها غريب وفي ثيابه قمل إلا ومات ذلك القمل من حينه، ولا يوجد فيها بعوض ولا ذباب ولا حية ولا عقرب؛ وقد أشار ــ رحمه الله ــ بذلك إلى بعض ما ذكره المفسرون في قوله تعالى ﴿ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴾[1]. وحاصل بعض ما جاء في كتب التفسير وغيرها من ذلك، أنه كانت لولد سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان منازل باليمن، من أعظم مدنها مدينة مأرب ــ بينها وبين صنعاء مسيرة ثلاثة أيام ــ وهي التي يضاف إليها السد المشهور، فيقال *سد مأرب*. وكانت طيبة الهواء جيدة التربة سليمة من الأوبئة والهوام لا يوجد فيها بعوض ولا بق ولا ذباب ولا برغوث ولا حية ولا

---

(1) سورة سبأ: 15، ومعنى طيبة: أي ليس فيها هوام لطيب هوائها، وقيل معناه: كثيرة الثمار.

عقربٌ. ويروى أن الغريب إذا مر بها وفي ثيابه قمل يموت ذلك القمل من حينه لطيب هوائها. وفي تفسير القرطبي أن الآية التي كانت لأهل سبأ في مساكنهم: أنهم لم يروا فيها بعوضة قط ولا ذبابًا ولا برغوثا ولا قملة ولا عقرباً ولا حية ولا غيرها من الهوام، وإذا جاءهم الركب في ثيابهم القمل والدواب، فإذا نظروا إلى بيوتهم ماتت الدواب؛ ولعل الناظم عقد كلامه هذا. وا لله أعلم.

ويروى أن الماء كان يأتيهم من بين جبلين وتجتمع إليه أيضا سيول الأمطار من أوديتهم، فعمد ملوكهم الأوائل فَبَنوا بينهما سدا عظيما محكما حتى ارتفع الماء وحكم على حافات ذينك الجبلين، فغرسوا الأشجار واستغلوا الثمار، فكانت البلدة في غاية ما يكون من الكثرة والحسن وكانت كثيرة الخيرات والبركات فيها الثمار الطيبة والفواكه اللذيذة والظلال الوارفة والمناظر الحسنة والجنان الجميلة والبساتين العظيمة، عن يمين الوادي وشماله، وعلى حافات الطرق التي بين مساكنهم؛ وكانت لتقاربها ونضرتها كأنها جنة واحدة. وكانت فيها مختلف أنواع الثمار والفواكه؛ قيل كانت المرأة منهم تمشي تحت الأشجار وعلى رأسها المكتل[1] فيمتلئ مما تساقط فيه من تلك الأشجار من أنواع الثمار والفواكه من غير أن تحتاج إلى قطْفٍ أو كلفة لكثرته ونضجه واستوائه. واشتهروا مع ذلك بالصناعة وبناء القصور الفخمة كقصر سلحين (وهو قصر ملكتهم بلقيس) فكانوا مقيمين في بلادهم في نعمة عظيمة وغبطة واتساع معيشة، واستمروا على ذلك قرونا كثيرة قبل الإسلام؛ وبعث ا لله تعالى إليهم الرسل يأمرونهم بتوحيد ا لله تعالى وعبادته وشكره على نعمه، فكانوا كذلك ما شاء ا لله. ثم أعرضوا عما أمروا به فعاقبهم ا لله عز وجل بسيل العرم[2]؛

---

(1) المكتل (كمنبر) والمكتلة: زنْبيل يعمل من خوص يحمل فيه التمر وغيرهُ، يسع خمسة عشر صاعا.

(2) العرم (بوزن كتف): سد بناه السبئيون في مأرب بين جبلين لحجز المياه والاستفادة منها، وقد تفرق عرب الجنوب إثر انهياره.

ولما أعرضوا وأراد الله تعالى عقوبتهم بعث على السد دابة من الأرض يقال لها الجُرَذُ نقبته فانساب الماء في أسفل الوادي فخرب ما بين يديه من الأبنية والأشجار وغيرها، ونضب[1] الماء عن الأشجار فيبست وتحطمت وتبدلت تلك الأشجار المثمرة الأنيقة بأشجار ذات شوك، وتلك الثمار الطيبة الشهية بثمر مر الطعم، كما قص الله تعالى في محكم كتابه: ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ ﴾، ثم فسَّر تلك الآية بقوله تعالى ﴿جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ[2] فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴾[3].

ثم تفرق شملهم بعد الاجتماع وانتشروا في البلاد حتى ضرب المثل بهم في التفرق، فكانت العرب تقول في القـــوم إذا تفرقوا: "تفرقوا أيادي سبأ" و"أيدي سبأ"،

---

(1) الجرذ (كصرد): ضرب من الفأر، جمعه: جرذان، والنقب: الثقب، وانساب الماء: جرى ومشى مسرعا، ونضب عن الأشجار: أي غارَ وانقطع.

(2) آية: علامة دالة على قدرة الله تعالى وأن لهم خالقا خلقهم، وهي جنتان: أي بساتين وأشجار وثمار تستر الناس بظلالها، إحداهما عن يمين الوادي، والأخرى عن شماله، وقيل لهم: كلوا من رزق ربكم، أي قد أباح الله تعالى لكم هذه النعم فاشكروه بالطاعة على ما رزقكم، وقوله: "بلدة طيبة" أي ليس فيها هوام لطيب هوائها، أو طيبة لكثرة ثمارها، "ورب غفور" أي والمنعم بها عليكم رب غفور يستر ذنوبك، فجمع لهم بين مغفرة ذنوبهم وطيب بلدهم و لم يجمع ذلك لجميع خلقه.

(3) سبأ: 15 - 16، ومعنى فأعرضوا: أي عن أمره تعالى واتباع رسله، فأرسل الله عليهم سيل العرم وفاض الماء على أموالهم فغرَّقها، ودفن بيوتهم. والخمط: ضرب من الأراك، أو هو كل شجر ذي شوك فيه مرارة. والأثل: شجر يشبه الطرفاء إلا أنه أعظم منه طولا، ومنه اتخذ منبره صلى الله عليه سلم، قال قتادة: بينما شجر القوم من خير الشجر إذ صيرهُ الله تعالى من شر الشجر بأعمالهم فأهلك أشجارهم المثمرة، وأنبت بدلها الأراك والطرفاء، والسدر .[القرطبي].

أي تفرقوا تفرقا لا اجتماع بعده؛ وذلك لأنهم لما أنذروا بسيل العرم خرجوا من اليمن متفرقين فلحقت غسان وآل جفنة بن عمرو بن عامر بالشام، ونزلت أزد السراة السراة، وأزد عمان بعمان، والأوس والخزرج بيثرب، وخزاعة بتهامة، وبنو لخم بالحيرة، وكندة بنجد؛ وأقام بعضهم ببلادهم الأصلية؛ ومزقوا كل ممزق، قال أعشى قيس بن ثعلبة من قصيدة له:

وفي ذاك للمؤتسي إسوة ... ومأرب عفى عليها العرم[1]
رخام بنته لهم حمير ... إذا جاء مواره لم يرم[2]
فأروى الزروع وأعنابها ... على سعة ماؤهم إذ قسم[3]
فصاروا أياديَ ما يقدرو ... ن منه على شرب طفل فطم

[نسأل الله تعالى دوام النعمة وجميل العاقبة وحسن الخاتمة].

ولما كانت الأبناء العشرة المنسوبون إلى سبأ بعضهم لصلبه وبعضهم من ولد ولده وبعضهم مختلف فيه، هل هو لصلبه أو من أسباطه، شرع في بيان ذلك فقال رحمه الله وعفا عنه:

لِصُلْبِهِ عِنْدَ ذَوِي الأَنْسَابِ: ... كَهْلاَنُ حِمْيَرُ بِلاَ ارْتِيَابِ
وَالْخُلْفُ فِي عَامِلَةٍ وَالأَشْعَرِ ... فَقِيلَ مِنْ كَهْلاَنَ أَوْ لِلأَكْبَرِ
وَسَائِرُ النَّفَرِ مِنْ كَهْلاَنَا ... وَمِنْهُ خَوْلاَنُ بَنُو هَمْدَانَا

---

(1) ائتسى به: اتخذه إسوة واقتدى به. ومأرب: مدينة كانت باليمن، وعفّى عليها: أي أزال أثرها ومحا بقيتها، والعرم: السيل الذي لا يطاق.

(2) الرخام: ضرب من الحجر يمكن صقل سطحه بسهولة، والموار: السريع الاندفاع (يعني به الماء)، ولم يرم: أي لم يثبت.

(3) أروى: أي سقى، والزروع: جمع زرع، وهو البذر يطرح في الأرض. والأعناب: جمع عنب، وهو ثمر الكرم.

قوله **لصلبه**: خبر مقدم على **كهلان**، والضمير فيه عائد على سبأ المحدث عنه والذي مر ذكره. **وذوو الأنساب**: المراد بهم علماء النسب. **وكهلان** (بوزن سكران): مبتدأ مؤخر. **وحمير** (بالرفع): عطف على **كهلان** بحذف العاطف. وقوله **فقيل من كهلان**: أي من ولده لصلبه. وقوله **أو للأكبر**: أي وقيل إنهما من صلب الأب الأكبر للقحطانية الذي تفرعت منه جل قبائلها وهو سبأ بن يشجب، فعلى القول الأول يكون عاملة وأشعر ابني كهلان لصلبه، وعلى الثاني فهما أخوا كهلان وحمير ابني سبأ. وقوله **وسائر النفر**: أي بقيته، **وال** فيه عهدية مشار بها إلى المذكورين في قوله السابق: *لسبأ بن يشجب بن يعرب*، ويعني **بسائر النفر**: الأزد ومذحجا وكندة وأنماراً وغسان ولخماً وجذاما. يعني أن كهلان وحمير ابنا سبأ لصلبه بدون واسطة باتفاق أهل النسب، وأما عاملة والأشعر فقد اختلف فيهما، فقيل تفرعا من كهلان، وقيل بل هما ابنا سبأ لصلبه، والأول أشهر. أما سائر قبائل سبأ المذكورة - غير حمير وعاملة والأشعريين - فقد تفرعوا من كهلان.

فالحاصل أن لسبأ من الولد لصلبه كهلان وحمير اتفاقًا، وأن الأزد ومذحجا وكندة وأنمارا وغسان ولخما وجذاما من ولد ولده كهلان اتفاقا، وأن الأشعر وعاملة مختلف فيهما؛ فقيل لصلبه وقيل من ولده كهلان، وهو المشهور. والله أعلم.

أما كهلان فهم بنو كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، ومنهم تفرع معظم القحطاني، وكانت قبيلة كهلان متداولة الملك باليمن مع أختها حمير، فكانت سياسة الملك ودار المملكة لحمير، وأعنة الخيل وملك الثغور والأطراف لكهلان، وأقاموا على ذلك فترة ثم انفردت حمير بالملك، وبقيت بطون كهلان على كثرتها تحت ملكهم، ثم تقلص ملك حمير وبقيت الرئاسة على العرب بالبادية لبني كهلان. وشعوب كهلان - مع كثرتها واتساعها - كلها متشعبة من زيد بن كهلان، وهم قبائل كثيرة ؛ والمشهور منها إحدى عشرة قبيلة هي الأزد وطيئ ومذحج وهمدان وكندة ومراد وأنمار وجذام ولخم وعاملة والأشعريون.

وقوله: **خولان** (بالرفع): مبتدأ خبرهُ الجار والمجرور قبله. والضمير في **منه**: عائد على كهلان. وقوله **بنو همدان**: عطف على **خولان** بحذف العاطف. يعني أن من بطون كهلان الحيين المشهورين وهما خولان وبنو همدان.

أما خولان فهم بنو خولان، واسم خولان فَكْلُ بن عمرو بن مالك بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان، ومالك بن الحارث بن مرة هذا أخو عدي بن الحارث والد لخم وجذام وعاملة، المتقدم ذكرهم. وبلاد خولان هؤلاء اليمن من شرقيه؛ وبطونهم سبعة: بنو سعد وبنو بكر وبنو نبت وبنو قيس وبنو الأصهب وبنو حبيب وبنو عمرو، وكل هؤلاء بنو خولان لصلبه ؛ وتشعبت هذه البطون إلى أفخاذ كثيرة. وقد قدم وفد خولان من اليمن على رسول الله ﷺ بالمدينة سنة عشر وقالوا له: نحن مؤمنون بالله مصدقون برسول الله، ونحن على من وراءنا من قومنا وقد ضربنا إليك آباط الإبل وركبنا حزون الأرض وسهولها، والمنة لله وَلِرسوله، وقد قدمنا زائرين لك؛ فقال صلى الله عليه وسلم: «أما ما ذكرتم من مسيركم إلي فإن لكم بكل خطوة خطاها بعير أحدكم حسنةً، وأما قولكم زائرين لك فإنه من زارني في المدينة كان في جواري يوم القيامة»[1]. فسألوه عن فرائض الدين فعلمهم إياها وأمرهم بالوفاء بالعهد وأداء الأمانة وحسن الجوار وأن لا يظلموا، ومكثوا أياما ثم ودعوه وأجازهم[2]. وأول ما صنعوا حين رجعوا إلى بلادهم أن هدموا صنمهم "عم أنس" ثم حرموا ما حرم عليهم النبي ﷺ وأحلوا ما أحل لهم. وقد افترقوا في الفتوحات ونزلوا بمصر والشام فخملت أنسابهم؛ وبقيتهم باليمن.

---

(1) رواه ابن سعد في طبقاته: 1 / 324.

(2) أجاز فلانا: أعطاه من الماء ما يجوز به من منهل إلى منهل، وأجازه إذا أعطاه الجائزة، وفي الحديث: «أجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم».

ومن خولان الفقيه التابعي الجليل عالم أهل الشام أبو إدريس بن عبد الله بن عمرو الخولاني الدمشقي، كان واعظ أهل دمشق في خلافة عبد الملك بن مروان، وقد ولاه عبد الملك قضاء دمشق، وتوفي سنة ثمانين. ومنهم أبو مسلم الخولاني واسمه عبد الله بن أيوب، ومن ذريته المحدث المشهور عمرو بن عبد الملك بن سليمان الخولاني، كان من أهل قرطبة؛ ومنهم السمح بن مالك الخولاني، من ولده إسحاق بن قاسم بن سمرة بن ثابت بن نهشل بن مالك بن السمح الخولاني، من أهل قرطبة أيضا، أصله من الجزيرة، ويكنى أبا عبد الحميد.

وأما همدان (بإسكان الميم) فهم بطن من كهلان ـ أيضا ـ وهم بنو همدان، واسم همدان اوسلة بن مالك بن زيد بن اوسلة بن ربيعة بن الخِيَارِ بن مالك بن زيد بن كهلان، وكانوا أعظم قبيلة؛ وكانت ديارهم باليمن من شرقيه ولما جاء الإسلام تفرق من تفرق وبقي من بقي باليمن، ولم تبق لهم قبيلة بعد تفرقهم إلا باليمن. وبطونهم كثيرة، منها بنو الزريع، وهم أصحاب الدعوة والملك في عدن، وبنو أرحب بن مالك بن معاوية وإليهم تنسب الإبل الأرحبية[1]، منهم أيوب بن أعظم الشاعر؛ جاء إلى النبي ﷺ وهو ابن مائة وخمسين سنة، وقال أبياتا منها:

وقبلك ما فارقت بالْحَوْفِ أرحبا ...

ومنهم مالك بن النمط بن قيس بن مالك بن سعد بن مالك الهمداني الأرحبي كان على وفد همدان الذين قدموا على رسول الله ﷺ سنة تسع، وكان شاعرا محسنا؛ ومن شعره ما كان يرتجز به حين قدموا على رسول الله ﷺ، ويقول:

---

(1) قال الشاعر:

وما كادَ جون أرحبي يقلها بزفرته حتى اكلأزَّ وأعصما

إليك جاوزنا سواد الريفِ في هبوات الصيف والخريف[1]

مخطمات بحبال الليف[2]

ومنه قوله:

ذكرت رسول الله في فحمة الدجى	ونحن بأعلى رحرحان وصاردِ[3]
وهن بنا خوص طلائح[4] تعتلي	بركبانها في لاحب متمدد
على كل فتلاء الذراعين جسرة	تمر بنا مرَّ الهجف الخفيدد[5]
حلفت برب الراقصات إلى منى	صوادر بالركبان من هضب قردد[6]
بأن رسول الله فينامصدق	رسول أتى من عند ذي العرش مهتد
فما حملت من ناقة فوق رحلها	أشدَّ على أعدائه من محمدِ

---

(1) سواد البلدة: ما حولها من الريف والقرى، ومنه سواد العراق لما بين البصرة والكوفة ولما حولهما من القرى. والريف (بالكسر): أرض فيها زرع وخصب وما قارب الماء من أرض العرب، أو حيث الخُضَر والمياه والزروع، والهبوات: جمع هبوة وهي الغبرة، والهباء: الغبار، أو يشبه الدخان ودقاق التراب ساطعة ومنثورة على وجه الأرض. [القاموس]

(2) المخطمات: الإبل التي جعلت فيها الأزمَّة، والخطام (بالكسر): ما يوضع في أنف البعير ليقاد به، والليف: قشر النخل وما شاكله.

(3) الدجى: الظلمة، وفحمة الليل: أوله، أو أشد سواده، أو ما بين غروب الشمس إلى نوم الناس - [القاموس] - ورحرحان وصارد: موضعان أو جبلان.

(4) الخوص: جمع خوصاء: التي غارت عينها في رأسها من دوام السير، وطلائح: جمع طليح: البعير إذا أعيا وتعب وهزل.

(5) فتلاء الذراعين: التي بانت مرافقها من آباطها ، فلا يصيبها ضاغط ولا حاز وهو جرح يصيب كراكرها إذا صكتها مرافقها فيمنعها ذلك عن السير، فهو أفتل وهي فتلاء، والجسرة: العظيمة، والهجف: الظليم المسن أو الجافي الثقيل منه. والخفيدد: السريع وذكر النعام جمعه: خفادد وخفاديد.

(6) هضب: جمع هضبة: للجبل المنبسط على وجه الأرض، أو ما ارتفع من الأرض. والقردد (كمهدد): جبل أو أرض مستوية غليظة مرتفعة.

وأعطى إذا ما طالب العــرف جاءه وأمضى بحد المشـــــرفي المهند[1]

ومن بطون همدان ـ أيضا ـ بنو حرب بــن سبيع؛ منهـم الحـارث بـن عبـد الله الأعور أحد رجال الحديث (وهو ضعيف الحديـث) وبنـو الأوزاع، وإليهـم ينسـب الأوزاعي[2]، وبنو أزد بن عبد الله بن قادح وبنو الصائد بـن شـرحبيل، ومنهـم بنـو حاشد وبَكِيلٍ ابني جشم بن خيران بن نوف بن همدان. وقد تفرع هذان البطنان ــ أيضا ـ إلى بطون كثيرة؛ فمن بني حاشد: بنو يريم بن جشم بن حاشد وبنو حجـور وبنو قابض بن يزيد بن جشم بن حاشد وبنو شِبَامٍ بن أسعد بـن جشـم بـن حاشـد وبنو الجندع بن مالك وبنو وَادِعَة وبنو خارف، وهو مالك بن عبد الله بن كثير بن مالك بن جشم بن حاشد. ومن بني بكيلٍ بن جشم بن خيران بن نوف بن همدان: بنو شاكر بن ربيعة بن مالك بن معاوية بن صعب بن درمان بن بَكِيلٍ، ومنهـم بنـو مُرْهَبَة وأرحب ابني دَعَام بن مالك بن معاوية بن صعب، ومنهم بنو صهلان بن ثور بن مالك بن معاوية بن صعب بن درمَان بن بكِيلٍ. ومن همـدان ــ أيضـا ــ خيـوان الذين كانوا يعبدون يعوق بأرض همدان من اليمن، وبطون أخرى لا تحصى كثرةً.. وقد بدأ الناظم ببَني كهلان فقال: *ومنه خولان بنو همدان*.. ثـم بـدأ بخولان فقـال رحمه الله:

---

(1) المشرفي: السيف المنسوب إلى مشارف الشام، وهي قرى من أرض العرب تدنو من الريف، وقيل ان النسبة لمشارف اليمن، والمهند: السيف المطبوع من حديد الهند، وكان خير الحديد.

(2) هو الإمام أبو عمرو (عبد الرحمن) بن عمرو بن يحمد الأوزاعي الشـامي، أحد المجتهدين الذين لم تعد مذاهبهم موجودة. ولد ببعلبك سنة 88 هـ وروى ـ بعد أن شب ـ عن قتادة وعطـاء بـن أبي رباح ونافع مولى ابن عمر. وروى عنه مالك بن أنس والثوري وابن المبارك وغيرهم. سـاد مذهبه بالشام مدة وساد في الاندلس حتى سنة 255 هـ حيث تراجع أمـام انتشـار مذهـب مـالك. تـوفي الاوزاعي رحمه الله مرابطا ببيروت سنة 157 ـ [تهذيب التهذيب].

نسب خولان*

خَوْلَانُ مَعْشَرُ ذُؤَيْبِ بْنِ كُلَيْبْ   أَلْقَاهُ فِي النَّارِ وَمَا ضَرَّتْ ذُؤَيْبْ
عَبْهَلَةُ الْعَنْسِيُّ ذُو الْحِمَارِ   فَكَانَ كَالْخَلِيلِ لِلْمُخْتَارِ
أَضَلَّهُمْ صَنَمُهُمْ «عَمُّ أَنَسْ»   كَانُوا إِذَا مَا الْغَيْثُ عَنْهُمُ احْتَبَسْ
تَوَسَّلُوا إِلَيْهِ بِالذَّبَائِحِ   فَأُمْطِرُوا ؛ وَأَعْظَمُ الْقَبَائِحِ
أَنْ جَعَلُوا لَهُ وَلِلَّهِ نَصِيبْ   مِنْ مَّالِهِمْ ، وَإِنْ تَعَيَّبَ النَّصِيبْ
أُعْطِيَ لِلصَّنَمِ حَظُّ اللَّهِ   وَحَظُّهُ لَمْ يُعْطَ لِلإِلَهِ!

خولان: مبتدأ، **ومعشر ذؤيب**: خبره. **وذؤيب وكليب** كلاهما بصيغة التصغير. والضمير في **ألقاه**: عائد على **ذؤيب**. قوله **وما ضرت ذؤيبا**: أي ما أحرقته. وفاعل **ضرت**: ضمير مستتر عائد على النار. **وذؤيب**: مفعول به، ووقف عليه بوقف ربيعة ـ الذين يقفون على المنصوب بالسكون ـ وفيه الإظهار في محل الإضمار. **وعبهلة** (بالرفع): فاعل **ألقاه**. **والعنسي وذو الحمار**: صفتان لعبهلة، **والعنسي**: نسبة إلى عنس بن مذحج (بطن من كهلان) وهم قبيلة الأسود هذا ورهطه، منهم بنو مالك. **وذو الحمار** (بالحاء المهملة): وصف به، قيل لأنه كان له حمار يقول له: ابرك فيبرك، واسجد فيسجد! [وفي بعض نسخ النظم: *ذو الخمار* (بالخاء المعجمة)؛ قيل لأنه كان يغطي وجهه بخمار]. وقوله **فكان كالخليل**.. إلخ: اسم **كان** ضمير مستتر عائد على ذؤيب، **وللمختار**: خبرها؛ والمراد بالخليل: نبي

---

* تناول الناظم الكلام على خولان في ستة أبيات ذكر فيها بعض أخلاقهم السيئة في الجاهلية، وذكر من أعيانهم الرجل الصالح: ذؤيب بن كليب الخولاني.

ا لله إبراهيم خليل الرحمن على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام.

يعني أن بني خولان هم قبيلة الصحابي الجليل ذؤيب بن كليب بن ربيعة الخولاني، وأشار الناظم - رحمه ا لله - إلى قصته التي جرت له مع عبهلة العنسي التي تشبه قصة إبراهيم الخليل مع النمرود في عدم إحراق النار له، وحاصلها - كما في أسد الغابة، والحلة السيراء، وغيرهما - أن ذؤيبا بن كليب هذا كان أول من أسلم باليمن وصدق النبي ﷺ ، فسماه رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم عبد ا لله، فألقاه الأسود الكذاب - وهو المراد بعبهلة العنسي - في النار لتصديقه النبي ﷺ فلم تحرقه؛ فذكر رسول ا لله ﷺ ذلك لأصحابه وشبهه بإبراهيم الخليل صلوات ا لله وسلامه عليه. وعبهلة العنسي هو الأسود بن كعب الكذاب؛ كان قد ادعى النبوة باليمن، وهو أحد الكذابين الذين أخبر رسول ا لله ﷺ بخروجهما قبل ظهورهما؛ وهما الأسود (العنسي) هذا ومسيلمة الكذاب من أرض اليمامة، وسيأتي مزيد من التعريف بعبهلة هذا وخبرُ قتله عند قول الناظم: *من مذحج عنس قبيل الأسود*.. إلخ.

وقوله **أضلهم**: الضمير فيه لخولان، أي صاروا به إلى ضلال. **وصنمهم**: فاعل **أضلهم**. **وعم أنس** (بالرفع، وهو بفتح العين والهمزة والنون اسم للصنم المذكور): بدل من **صنمهم**. **واحتبس** المطر: تأخر. والضمير (المجرور) في **توسلوا إليه**: عائد على الصنم. **والذبائح**: جمع ذبيحة (فعيلة بمعنى مفعولة). **وأعظم القبائح**: مبتدأ، **والقبائح**: جمع قبيحة وهي الفعلة ذات القبح - وهو ضد الحسن - وخبر المبتدإ جملة **أن** (بفتح الهمزة) وصِلتها. وقوله **نصيبا**: مفعول به **لجعلوا**، ووقف عليه - أيضا - بوقف ربيعة. وقوله **وإن تعيب** (بفتح المهملة): أي فسد أو تلف. والألف واللام في **النصيب**: عهدية، أي النصيب المذكور للصنم. وقوله **حظ** (بالرفع): نائب فاعل **أعطِيَ**. والضمير في **حظه**: عائد على الصنم.

يعني أن خولان أضلهم صنم كانوا يعبدونه من دون ا لله، يدعونه "عم أنس" كانوا يستسقون به الغيث إذا أجدبوا فيمطرون، ويقربون له القربان ويذبحون له

الذبائح؛ وأعظم ما كان في ذلك من القبائح ما كانوا يقسمون من أموالهم ويجعلونه بينه وبين الله تعالى، كما قص الله تعالى عنهم في محكم كتابه حيث يقول عز وجل ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ ۗ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾[1].

وحاصل ما أشار إليه الناظم أنه كان لبطن من خولان (يقال لهم الأذيم) صنمٌ في بلادهم يُسمونَه "عم أنسَ" يقسمون له من حرثهم وأنعامهم نصيبا يجعلونه بينه وبين الله تعالى بزعمهم فما كان من نصيب عم أنس أحصوه وحفظوه، وإن سقط منه شيء فيما سمي لله ردوه إلى ما جعلوه لعم أنس، وإن سقط شيء مما جعلوه لله في نصيب عم أنس لم يردوه، وإذا رأوا ما عينوهُ لله أزكى أبدلوه بما لعم أنس، وإن رأوا ما لعم أنس أزكى تركوه له، وإذا هلك ما جعلوه لعم أنس أخذوا له بدله مما جعلوه لله، ولا يفعلون ذلك فيما جعلوه لله تعالى، وكانوا يصرفون نصيبَ الله تعالى للضيفان والمساكين، وما لعم أنس يصرفونه في سدنته[2]، فإذا نفد ما للصنم في الإنفاق على سدنته عوضوا منه ما لله، وإذا ذهب ما لله بالإنفاق على المساكين والضيفان لم يعوضوا منه شيئا، وقالوا: الله مستغن عنه وصنمنا فقير إليه، فأنزل الله تعالى في شأنهم قولَه جل ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا ﴾ــ الآية. وروي أنه لما قدم وفد خولان على رسول الله ﷺ يسألونه عن الدين والفرائض أخبرهم بها وأمر من يعلمهم القرآن والسنن، ثم أمر بهم فأنزلوا

(1) الأنعام: 136.

(2) سدنة: جمع سادن: وهو خادم بيت الصنم. وسدنة الكعبة: خدامها.

وأمر لهم بضيافة تجري عليهم، وسألهم يوما: «ما أعظم ما رأيتم من فتنة» فقالوا: يا رسول الله لقد أسنتنا حتى أكلنا الأرضة والرملة[1] وهَلكت ثاغيتُنا وراغيتنا وحافرنا[2]، فقلنا قربوا قربانا[3] لعم أنس فيشفع لكم فتغاثوا، فتعاونا حتى جمعنا ما قدرنا عليه من مالنا ثم ذهب به ذاهبنا فابتاع مائة ثور ثم حشرها علينا فنحرناها في غداة واحدة وتركناها للسباع، ونحن أحوج إليها من السباع، فجاءنا الغيث من ساعتنا، فأي فتنة أعظم من هذه؟! فلقد رأينا العشبَ يواري الرجالَ، ويقول قائلنا: أنعم علينا عم أنس، فذكر لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله أنزل عليه في ذلك ﴿وجعلوا لله..﴾ الآية. وقالوا له كنا نتحاكم إليه فَتُكَلِّمُ، فقال صلى الله عليه وسلم: «تلك الشياطين تكلمكم»، ثم أمرهم صلى الله عليه وسلم بالوفاء بالعهد وأداء الأمانة وحسن الجوار، وأن لا يظلموا أحدا. ثم ودعوه بعد أيام، فأجازهم ورجعوا إلى قومهم، فما حلوا عقدة حتى هدموا صَنَمَهم عم أنس. وفي رواية: قدم وفد خولان سنة عشر، وكانوا عشرة مسلمين، فقال لهم رسول الله ﷺ: «ما فعل صنم خولان الذي كانوا يعبدونه»؟ قالوا: أبدلنا الله به ما جئت به إلا أن عجوزا وشيخا كبيرا يتمسكان به فإن قدمنا عليه هدمناه؛ فعلمهم فرائض الدين وأمرهم بالوفاء بالعهد.. إلى آخر ما مرَّ.

---

(1) أسنت القوم: أصابهم الجدب والقحط. والأرضة: دويبة بيضاء تشبه النملة ودويبة تأكل الخشب ونحوه، والرملة: القطعة من الأرض يعلوها الرمل.

(2) يقال: ماله ثاغية ولا راغية: أي ماله شاة ولا ناقة. والثغاء (بالضم): صياح الشاء. والرغاء: صوت الإبل، ويقال أيضا "ما له ثاغ ولا راغ" أي ما له شيء. والحافر (من الدواب): ما يقابل القدم (من الإنسان) أي لم يبق لهم شيء.

(3) القربان: كل ما يتقرب به من ذبيحة وغيرها.

ومن خولان ـ أيضا ـ أبو أيمن سفيان بن وهب الخولاني، وفد على النبي ﷺ وحضر حجة الوداع، وشهد فتح مصر وإفريقية، وسكن المغرب. روي عنه أنه قال: كنت تحت ظل راحلة رسول الله ﷺ يوم حجة الوداع فسمعته يقول: «روْحة في سبيل الله خيرٌ من الدنيا وما عليها وغدْوة في سبيل الله خيرٌ من الدنيا وما عليها وإن المؤمن على المؤمن عرضَه ومالَه ونفسَه حرامٌ كما حرم هذا اليوم»[1]، وقال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تأتي المائةُ وعلى الأرض أَحد باق»[2]، كما في أسد الغابة. ومنهم ـ أيضا ـ عبد الله بن ثوب أبو مسلم الخولاني، غلبت عليه كنيته؛ قدم المدينة بعد وفاة رسول الله ﷺ واستخلاف أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وكان فاضلا عابدا ناسكًا له فضائل كثيرة؛ وكان من كبار التَّابعين، وقيل إنه أسلم في عهد النبي ﷺ ولم يره. وشهد صفين مع معاوية، وكان يرتجز ويقول:

ما علتي ما علتي وقد لبست درعتي

أموت عند طاعتي

وغزا الروم وتوفي في أرضهم في خلافة معاوية رضي الله عنه.

ومن خولان ـ أيضا ـ أبو مُكنِف عبد رضا الخولاني، قدم في وفد خولان على رسول الله ﷺ وكتب له كتابا إلى معاذ بن جبل، وكان ينزل ناحية الاسكندرية.

ولما فرغ من الكلام على خولان شرع يتكلم على إخوتهم بني همدان، فقال رحمه الله:

---

(1) أخرجه البخاري ومسلم.

(2) أخرجه مسلم.

نسب همدان*

هَمْـدَانُ عَيْبَـةُ عَلِيٍّ الَّتِي يَوَدُّ لَـوْ يُتْحِفُهَا بِالْجَنَّـةِ
عَلَى يَدَيْهِ أَسْلَمُـوا جَمِيعُهُمْ وَجَاءَ خَيْرَ مُرْسَلٍ إِسْلاَمُهُمْ
فَخَرَّ سَاجِداًوَبَعْدَهَا الْيَمَنْ** فِي الدِّينِ قَدْ تَتَابَعُوا عَلَى سَنَنْ

همدان (بفتح فسكون): مبتدأ، **وعيبة**: خبره؛ **وعيبة** الرجل: مستودع سره، وفي الحديث: «الأنصار كرشي وعيبتي»[1]. **ويود**: يتمنى. **ويتحفها**: أي يعطيها ويكرمها. **وجميعهم** (بالرفع): توكيد للضمير في **أسلموا**. **وخير مرسل** (بالنصب): مفعول به **لجاء**. **وإسلامهم** (بالرفع): فاعل **جاء**. **وخرَّ**: أي انكبَّ على الأرض ساجدا شكرًا لله على هذه النعمة. قوله **وبعدها اليمن**: أي أهله. **والسنن** (بالتحريك): الطريقة، أي تتابعوا على طريقة واحدة وهي الإسلام، وقد مر التعريف بهمدان قريبًا.

أشار الناظم ـ رحمه الله ـ هنا إلى ما روي في إسلام همدان وحبهم عليا رضي

---

* تناول الناظم الكلام على همدان في ثلاثة أبيات أشار فيها إلى بعض خصائصهم السَّنية وسبب إسلامهم.

** اليمن من أشهر بلاد العرب، وينقسم إلى خمسة أقسام: حضرموت، الشحر، مهرة، عمان، نجران. وسمي اليمن لوقوعه عن يمين الكعبة لمن استقبل المشرق؛ ومن أشهر مدنه: "صنعاء"، وكانت عاصمة ملوك اليمن، وهي حسنة الأسواق واسعة التجارة وبقربها مدينة: "مأرب" المسماة "سبأ"، سميت باسم عبد شمس الملقب "سبأ"، يقال انه بنى هناك سدا عظيما، وهو الذي دفعه سيل العرم فهلك منه خلق كثير وتفرق أهله في البلاد حتى ضرب بهم المثل. [من كتاب "حياة محمد صلى الله عليه وسلم" لمحمد رضا].

(1) «الأنصار كرشي..»: الحديث رواه مسلم والترمذي. والكرش: وعاء يصنع من كرش البعير يجعل فيه ما يطبخ من اللحم. والعيبة: موضع السر؛ ومعنى الحديث: أي خاصتي وموضع سري.

الله عنه؛ فقد روي عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد إلى أهل اليمن يدعوهم إلى الإسلام، وكنت فيمن سار معه، فأقام عليهم أشهرا لا يجيبونه إلى شيء. فبعث النبي ﷺ عليا بن أبي طالب وأمره أن يرسل خالدا ومن معه إلاَّ من أراد البقاء، فكنت فيمن بقي مع علي؛ فلما انتهينا إلى أوائل اليمن بلغ القومَ الخبرُ، فصلى بنا علي الفجر وصفنا صفا ثم تقدم بين أيدينا فحمد الله وأثنى عليه ثم قرأ عليهم كتاب رسول الله ﷺ ؛ فأسلمت همدان كلها في يوم واحد، فكتب بذلك إلى رسول الله ﷺ. فلما قُرِئ عليه الكتاب خر ساجدا وقال: «السلام على همدان.. السلام على همدان (مرتين)»[1]، وكان ذلك في شهر رمضان سنة عشر للهجرة. ثم تتابع اليمن على الإسلام. وكانت همدان شيعة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه عند وقوع الفتنة بين الصحابة، وكانوا أنصاره جميعًا رجالهم ونساؤهم، في حضوره وغيبته، حتى بعد وفاته رضي الله عنه، وفيهم يقول:

ولما رأيت الخيل ترجم بالقنى ... فوارسها حمر النحور دوام

وأقبل رهج في السماء كأنه ... غمامة دجن ملبس بقتام[2]

ونادى ابن هند في كلاع وحمير ... وكندة مع لخم وحي جذام

تيممت همدان الذين همُ همُ ... - إذا ناب أمر - جُنّتي وسهامي[3]

وناديت فيهم دعوة فأجابني ... فوارس من همدان غير لئام

فوارس من همدان ليسوا بعزل ... غداة الوغى من شاكر وشبام

---

(1) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى.

(2) الرهج (بالسكون ويحرك): الغبار. والغمامة: السحابة. والدجن: إلْباس الغيم الأرضَ وأقطارَ السماء. والقتام (كسحاب): الغبار الأسود، يقال "ارتفع القتام حتى خفيت الأعلام".

(3) الجنة (بالضم): السترة، ومنه المجن، والمجنة: كل ما وقى من السلاح. والسهام: النبال التي يرمى بها.

ومن أرحب[1] الشم المطاعين بالقنى ورهـــم وأحياء السَّبِيـع ويام[2]

بكل رديني وعضـــب تخاله إذا اختلـف الأقوام شعل ضرام[3]

يقودهم حامي الحقيقـة ماجد سعيد بن قيـس والكـريم محام

فخاضوا لظاها واصطلوا بشرارها وكانوا لدى الهيجا كشرب مدام[4]

جزى الله همدان الجنان فإنهم سمام العدا في كـل يوم خصام[5]

لهمدان أخـلاق ودين يزينهم وبأس إذا لاقـوا وحسن كلام

فلو كنت بوابا على باب جنـة لقلت لهمدان: ادخلـوا بسلام

وأشار الناظم إلى ذلك بقوله **عيبة علي التي يود**.. إلخ.

وقد روي أن أمير المؤمنين عليا بـن أبـي طـالب صعـد المنبر يومـا فقـال: ألا لا يزوجنَّ أحـدٌ منكـم الحسـن فإنـه مطـلاقٌ، فنهـض رجـل مـن همـدان فقـال: والله لنزوجنه، إن أمهر أمهر كثيفًا وإن أولد أولد شريفا، فقال علي:

فلو كنت بوابًا على باب جنـة لقلت لهمدان: ادخلو بسلام

ومن همدان هؤلاء: العوام بن جهيـل الهمدانـي، كـان سـادن يغـوث ثـم أسـلم وصحب، فكان يحدث بعد إسلامه ويقول: كنت أسمـر مـع جماعـة مـن قومـي فـإذا أوى أصحابي إلى رحالهم نمت أنا في بيت الصنم، فنمـت في ليلـة ذات ريـح وبـرق ورعد فلما ابهَارَّ الليل سمعت هاتفًا من الصنم - و لم نكن سمعنا منه قبل ذلك كلاما:

---

(1) شاكر وشبام وأرحب: بطون من همدان.

(2) السَّبِيع (بوزن أمير) ويام: بطنان من همدان أيضا.

(3) الرديني: الرمح المنسـوب إلى ردينـة (وهـي امـرأة اشـتهرت بتقويـم الرمـاح) ، والعضـب: السـيف القاطع، والشعل: لهب النار، والضرام (بالكسر): اتقاد النار.

(4) الشرب (بالفتح): القوم المجتمعون على الشراب، والمدام: الخمر.

(5) السمام (بكسر المهملة): جمع سم وهو المادة المبيدة، وعبَّر به عن الحتف والهلاك.

يا أبا جهيل، حل بالأصنام الويل.. هذا نور سطع من الأرض الحرام فودع يغوث بالسلام، قال: فألقى الله في قلبي البراءة من الأصنام، وكتمت قومي ما سمعت، وإذا هاتف يقول:

هل تسمعن القول يا عوام أم قد صممت عن مدى الكلام

قد كشفت دياجر الظلام واصفق[1] الناس على الإسلام

قال فقلت:

يا أيها الهاتف بالنوام لست بذي وقر عن الكلام

فبينن عن سنة الإسلام

قال: ووالله ما عرفت الإسلام قبل ذلك، فأجابني قائلا:

ارحل على اسم الله والتوفيق رحلةلا وَانٍ ولا مَشِيق[2]

إلى فريق خير ما فريق إلى النبي الصادق المصدوق

قال: فرميت الصنم، وخرجت أريد النبي ﷺ، فصادفت وفد همدان يريدون النبي ﷺ؛ فدخلت عليه فأخبرته خبري، فسُر بقولي ثم قال: «أخبر المسلمين»، وأمرني بكسر الأصنام؛ فرجعنا إلى اليمن وقد امتحن الله قلوبنا للإسلام.

ومن همدان ـ أيضا ـ عامر بن شهر الهمداني، قدم على النبي ﷺ ، فأسلم وصحب وكان من عمال رسول الله ﷺ على اليمن، وكان أول من اعترض على الأسود العنسي وكابره، ثم سكن الكوفة.

ثم أخذ الناظم يتكلم على الأزد بن سبأ، وبدأ بابنه نصر بن الأزد، فقال رحمه الله وعفا عنه:

---

(1) دياجر ودياجير: جمع ديجور وهو: الظلام. واصفق الناس: اجتمعوا.

(2) الواني: التعب. والمشيق (بوزن أمير): المهزول.

نسب الأزد*

مِنْ نَصْـرِ أَزْدٍ مَلِكَا عُمَانَا   لِهْـبٌ ، ثُمَالَـةُ بَنُو عِدْثَانَا
مِنْ لِهْبٍ الْمَبْعُوثُ أُمَّةً خَطَرْ   وَكَانَ مِنْ كَهَانَةٍ عَلَى خَطَـرْ
وَمِنْ ثُمَالَةَ الْمُبَـرِّدُ الذَّرِبْ   وَبِشَنُـوءَةَ جَمِيعُهُـمْ لُقِبْ

قوله **ملكا** (بكسر اللام): مبتدأ، خبره الجار والمجرور قبله، أي أميرا عمان؛ وعمان (بوزن غراب) مدينة باليمن سميت بعمان بن سبأ[1]. والمراد **بملكي عمان**: جيفر وعبد ابنا الجلندى (بضم الجيم واللام مقصوراً وبضم الجيم وفتح اللام ممدودا)، والجلندى هذا ينسب إلى عمان لأنه رئيس أهلها؛ قال الأعشى:

وجلنداء في عُمان مقيما   ثم قيسا في حضرموت المنيف

وقوله **لهب**(بكسر اللام وسكون الهاء)، **وثمالة** (بوزن ثمامة)، **وبنو عدثان** (بتثليث العين) ـ كلها بالرفع ـ: معطوفات على **ملكا عمان**.

يقول: ومن بطون نصر بن الأزد بنو لهب وبنو ثمالة وبنو عدثان ؛ وقد مر

---

* تقدم أن الأزد قبيلة من أعظم قبائل قحطان وأكثرها بطونا، وأمدها فروعا، وأنهم افترقوا على نحوسبع وعشرين قبيلة، وأن تلك القبائل تشعبت إلى بطون وأفخاذ متسعة، وذكر منها الناظم: بني نصر وبني مازن، ابني الأزد؛ أما بنو مازن فيأتي ذكرهم، وأما بنو نصر هؤلاء فقد تفرعوا أيضًا إلى بطون عديدة وأفخاذ كثيرة، منهم بنو مالك وبنو دهمان وبنو زياد وبنو حران وبنو معاوية، ويطلق على الجميع: أزد شنوءة ؛ ومنهم بنو راسب وبنو لِهب وبنو ثمالة وبنو عدثان (الذين منهم دوس)، وذكر الناظم منها أربعة أفخاذ، وذكر من أعيانهم تسعة رجال وامرأة، فيهم ثلاثة رجال صحابة وثلاثة ملوك وكاهن.

(1) عُمان: إقليم في الجنوب الشرقي من بلاد العرب على الخليج العربي وبحر الهند، وكان ضمن حدود اليمن الشرقية، واصبح الآن دولة مستقلة.

الكلام على نسب نصر بن الأزد وعلى قبائل الأزد الثلاث: أزد شنوءة وأزد السراة وأزد عمان. وقد تفرعت من نصر بن الأزد (وهو شنوءة) بطون كثيرة، فمن بنيه عثمان ومالك ودهمان، بنو نصر. فمن عثمان: بنو عبد شمس بن عمرو بن غنم بن غالب بن عثمان، وهم عدة بطون: زياد وحران ومعاوية، بنو عبد شمس؛ فمن معاوية بن عبد شمس: ملكا عمان وهما جيفر وعبد (أو عباد) ابنا الجلندى بن كركرة بن المستكبر بن الحراز بن عبد العزى بن مِعولة بن عثمان بن عبد شمس بن عمرو بن غنم بن غالب بن عثمان بن نصر، الأزديان العمانيان.

كتاب النبي ﷺ إلى جيفر وأخيه

كان جيفر بن الجلندى رئيس أهل عمان والمقدم عليهم، وكان أسن من أخيه عبد، وكان عبد أحلم منه وأسهل خلقا؛ وقد أرسل إليهما رسول الله ﷺ عمرو بنَ العاص بن وائل السهميَّ بكتاب، ولما قدم عليهما نزل على عبد أولا وقال له: إني رسول رسول الله ﷺ إليك وإلى أخيك، فقال عبد: أخي المقدم علي في السن والملك وأنا أوصلك إليه، ثم قال له: وما تدعو إليه؟ قال: إلى عبادة الله وحده لا شريك له وأن تخلع ما عبد من دونه وتشهد أن محمدا عبده ورسوله، فقال: يا عمرو إنك ابن سيد قومك، فكيف صنع أبوك.. فإن لنا فيه قدوة؟ قال عمرو: مات ولم يؤمن.. وودت أنه كان أسلم، فقد كنت على مثل رأيه حتى هداني الله للإسلام. قال: فسألني أين كان إسلامك؟ فقلت: عند النجاشي وقد أسلم، قال عبد: فكيف صنع قومه بملكه؟ قلت: أقروه، قال: والأساقفة والرهبان تبعوه؟ قلت: نعم، قال: ما أرى هرقل علم بإسلام النجاشي، قلت: بلى قد علم وقال رجل رغب في دين واختاره لنفسه ما أصنع به؟ والله لولا الضنُّ بملكي لصنعت كما صنع!. فمكث عمرو عند عبد أيَّاما، وعبد يصل إلى أخيه جيفر ويخبره خبر عمرو، ثم أدخله عليه.

قال عمرو: فلما دخلت علي جيفر أخذ أعوانه بضبعي، فقال: دعوه، فأرسلوني؛ فذهبت لأجلس فأبوا أن يدعوني أجلس، فقال: تكلم بحاجتك. قال: فدفعت إليه الكتاب مختوما، فَفَضَّه وقرأه ثم دفعه إلى أخيه عبد فقرأه مثل قراءته، إلا أني رأيت أخاه أرق منه؛ فقال جيفر: كيف صنعت قريش؟ فقلت: تبعوه، إما راغب في الدين وإما مقهور بالسيف. قال: ومن معه؟ قلت: الناس قد رغبوا في الإسلام واختاروه على غيره وعرفوا أنهم كانوا في ضلال، فما أعلم أحدا بقي غيرك في هذه الحرجة[1]، وإن لم تسلم اليوم وتتبعه يوطئك الخيل.. فأسلم تسلم ويستعملك على قومك. قال: دعني يومي هذا وارجع إليَّ غدا. قال عمرو: فلما أتيته غدا لم يأذن لي، فأخبرت أخاه أنه لم يأذن لي وإني لم أصل إليه، فأوصلني إليه، فقال: إني فكرت فيما دعوتني إليه فإذا أنا أضعف العرب إن مكنت رجلا مما في يدي، وهو لا تبلغ خيله ههنا. قال عمرو فقلت له: إني خارج غدا. فلما أيقن بمخرجي خلا به أخوه عبد. فلما أصبح أرسل إلي؛ فأجاب إلى الإسلام هو وأخوه جميعًا فأسلما على يدي وخليا بيني وبين الصدقة وبين الحكم فيما بينهم، وكانا لي عونا على من خالفني. ولم يقدم جيفر وعبد على رسول الله ﷺ ولم يرياه. ولم يزل عمرو مقيما فيهم حتى بلغته وفاة النبي ﷺ.

وجاء في كتاب رسول الله ﷺ الذي أرسل إليهما: «بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبد الله ورسول الله إلى جيفر وعبد ابني الجلندى سلام على من اتبع الهدى أما بعد فإني أدعوكما بدعاية الإسلام أسلما تسلما فإني رسول الله إلى الناس كافة لأ نذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين وإنكما إن أقررتما بالإسلام وليتكما وإن أبيتما أن تقرا بالإسلام فإن ملككما زائل عنكما وخيلي تحل

(1) الحرجة (بالتحريك): غيضة الشجر الملتفة لا يقدر أحد أن ينفذ فيها.

بساحتكما وتظهر نبوَّتي على ملككمـا..». وكـان ذلـك في ذي القعـدة سـنة ثمـان للهجرة بعد فتح خيبر. ولما توفي النبي ﷺ ارتد أهل عمـان، فـأمد أبـو بكـر ملكهـم جيفر هذا بعكرمة بن أبي جهل وعرفجة بن خزيمة ولقيط بن مالك الأزدي وحذيفة بن محصن القلعاني، فظفرُوا بالمرتدين.

وللجلندى عقب كثِير كـانوا يملكـون جزيـرة واسعة بقـرب عمـان ـ كمـا في القلقشندي ـ ومن عقبه: زبير الأعرج بن الجلندى، أسلم ثم ارتد.

ومن مالك بن نصر بن الأزد: بنو راسب بن مالك بـن جدعـان بـن مـالك بـن نصر، منهم عبد الله بن وهب الراسبي الخـارجي ذو الثفنـات[1] رأس الخـوارج يـوم النهروان، وقتل يومئذ. ومنهم بنو عبد الله بن مـالك بـن نصـر، منهـم ماسـخة بـن الحارث بن كعب الذي تنسب إليه القسي الماسخية، وهو أول من رمى بها.

وأما لهب فهو حي من الأزد، وهم بنو لهب بن احجن بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد؛ وعرف بنو لهب هؤلاء وبنو أسد بن خزيمة بالعيافة[2] والزجر (وهما التطير بالطـير والتفـاؤل بأسمائهـا وأصواتهـا وممرهـا)

---

(1) الثفنات في الأصل: أعضاء الناقة التي تلتصق بالأرض عند البروك. وقد قال حسان بن ثابت يصـف ناقتَـه:

فإن بركت خوَّت على ثفناتها ... كأن على حيزُومها حرفَ أعبلا .. الخ

ومعنى خوَّت تجافت. والحيزوم: الصدر، والأعبل: الغليظ. ولقب هذا الخارجي بذي الثفنـات لأن طول السجود أثر في ثفناته ـ [القاموس].

(2) العيافة: بكسر العين المهملة. روي عن وهب بن قَبيصة عن أبيـه قـال: قـال رسـول الله صلـى الله عليه وسلم: «العيافة والطَّرق والجِبتُ من عمل الجاهلية» ـ أخرجه أبو داوود في كتاب الطب عـن قطن بن قبيصة عن أبيه. والعيافة: زجر الطير والتفاؤل بأسمائها وأصواتها، وهو من عـادة العـرب، كثير في أشعارهم. والطرق: الضـرب بـالحصى الـذي يفعلـه النسـاء، وقيـل هـو الخـط في الرمـل.

<<=

واشتهرت بنو لهب بها ؛ ومما قيل فيهم:

خبير بنو لهب فلا تك ملغيا — مقالة لهبي إذا الطير مرت

ويقول فيهم كثير عزة:

تيممت لهبا أبتغي العلم عندهم — وقد رد علم العائفين إلى لهب

ويقول أيضًا:

فما أعيف اللهبي لا در دره — وأزجره للطَّير لا عز ناصره

ومنهم اللهبي الذي زجر حين وقعت الحصاة بصلعة عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأدمته ـ وذلك في الحج ـ فقال: أُشْعِر أمير المؤمنين[1]، والله لا يحج بعد هذا العام، فكان كذلك!. وأما ثمالة (بضم المثلثة) فهو لقب لعوف بن أسلم بن احجن

والجبت: كل ما عبد من دون الله، وقيل الجبت والطاغوت: الكهنة والشياطين، وفي القرطبي في تفسير ﴿أو أثارة من علم﴾: قال ابن العربي: إن الله تعالى لم يبق من الأسباب الدالة على الغيب التي أذن في التعلق بها والاستدلال منها إلا الرؤيا، فإنه أذن فيها وأخبر أنها جزء من النبوة وكذلك الفال، وأما الطيرة والزجر فإنه نهى عنهما. والفال: هو الاستدلال بما يسمع من كلام على ما يريد من الأمر إذا كان حسنا، فإذا سمع مكروهًا فهو تطير، أمره الشرع بأن يفرح بالفال ويمضي على أمره مسرورا، وإذا سمع المكروه أعرض عنه ولم يرجع لأجله؛ وقد قال صلى الله عليه وسلم: «اللهم لا طير إلا طيرك ولا خير إلا خيرك».

(1) أي دُمِّيَ كما يُدمَّى الهديُ إذا أشعر، والإشعار الإعلام والشعار العلامة وأشعر البدنة أعْلمها، وهو أن يشق جلدها أو يطعنها بحديد ونحوها في أحد جانبي سنامها حتى يظهر الدم ويُعرَف أنها هدي. وقيل ان قائل ذلك ليس لهبيا وإنما هو رجل من الحاضرين ولكنَّ لهبيا سمع ذلك فتطير به لما كان عليه من العيافة والزجر والتشاؤم فقال: "ليقتلن أمير المؤمنين". وقد كانت العرب تقول للملوك إذا قتلوا: "أشعروا"، وتقول لسوقة الناس: "قتلوا".. فتطير هذا اللهبي بقول الرجل "أشعِر أميرُ المؤمنين" وحقت طيرته، لأن عمر لما صدر عن الحج ورجع إلى المدينة قتل في تلك السنة. [لسان العرب].

بن كعب المذكور؛ ولقب ثمالة لأنه سقى قومه لبنـا بثمالتـه أي رغوتـه، وقيـل ثمالـة اسم امرأة أم بني أسلم بن احجن عرفوا بها.

وأما بنو عدثان فهم بطن من نصر بن الأزد؛ وهم بنو عدثـان بـن عبـد ا لله بـن الحارث بن زهران بن كعب بن الحارثِ بن كعب بن عبد ا لله بن مـالك بـن نصـر، وهو شنوءة بن الأزد بن الغوث.

ثم أخذ الناظم يتكلم على هذه البطـون الثلاثـة مرتبـا لهـا حسـب ذكـره لهـا، فقـال: **مـن لهـب**..إلخ. وقولـه **المبعـوث**: مبتـدأ، خـبره الجـار والمجـرور قبلـه. **وأمـةً** (بالنصب): حال من **المبعوث**. **وخطر** (بفتح الخـاء المعجمـة والطـاء المهملـة): اسـم كـاهن، وهـو بـدل مـن **المبعوث**. وقولـه **علـى خطـر**: متعلـق **بكـان**، **والخطـر** (بالتحريك): الأمر العظيم. **والكَهانة** (بفتح الكاف): الإخبار بالغيب[1]، والكـاهن: صاحبها، جمعه كُهَّان وكَهَنَة؛ والكِهانة (بالكسر): حرفة الكاهن. وتقريـر الكـلام: من لهب بن أحجن خطر المبعوث أمة وحـدهُ، الـذي كـان علـى جـانب عظيـم مـن معرفة علم الكهانة. وخطر هذا هو خطر بن مالك اللهبي الكاهن المشهور.

بعض أخبار خطر بن مالك وكهانته

وقد أشار الناظم ـ رحمه ا لله ـ بهذا البيت إلى ما روي عن لهيب بن مالك اللهبي في أعلام النبوة ؛ قال: حضرت عند رسول ا لله ﷺ ، فذكرت عنـده الكهانـة، قـال فقلت: بأبي أنت وأمي نحن أول من عرف حراسة السماء، وزجر الشياطين ومنعهم

(1) روي أن وفدَ بني أسد بن خزيمة الذي وفد على رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم سنة تسـع سـألوه عن الكهانة والعيافة وضرب الحصى ، فنهاهم عن ذلك كله.

من استراق السمع عند قذف النجوم[1]؛ وذلك أنا اجْتمعنا عند كاهن لنا يقال له خطر بن مالك، وكان شيخا كبيرا قد أتت عليه مائتا سنة وثمانون سنة ــ وكان من أعلم كهاننا ـ فقلنا: يا خطر هل عندك علم من هذه النجوم التي يرمى بها فإنا قد فزعنا لها وخفنا سوء عاقبتها؟ فقال: عودوا علي السحر، ائتوني بسحر، أخبركم الخبر، ألخير أم ضرر، أو لأمن أو حذر! فانصرفنا عنه يومنا. فلما كان الغد أتيناه في وجه السحر، فإذا هو قائم على قدميه شاخص في السماء بعينه، فناديناه: يا خطر، فأومأ إلينا أن امسكوا، فأمسكنا؛ فانقض نجم عظيم من السماء، وصرخ الكاهن رافعًا صوتَه: أصابه أصابهُ.. خامره عقابه، عاجله عذابه، أحرقه شهابه، زايله جوابه، يا ويله ما حاله، بلباله بلباله، عاوده خباله، فقطعت حباله، وغيرت أحواله!! ثم أمسك طويلا وهو يقول: يا معشر بني قحطان.. أخبركم بالحق والبيان، أقسمت بالكعبة والأركان، والبلد المؤمن والسُّدَان، قد منع السمع عتاة الجان، بثاقب بكف ذي سلطان، من أجل مبعوث عظيم الشان، يبعث بالتنزيل والقرآن، وبالهدى وفاصل الفرقان، تبطل به عبادة الأوثَان. فقلنا: ويحك يا خطر إنك لتذكر أمرا عظيما فماذا ترى لقومك؟ فقال:

أرى لقومي ما أرى لنفسي ... أن يتبعوا خير نبي الإنس

---

(1) روى عبد الله بن عباس عن رهط من الأنصار أنهم قالوا: كنا جلوسا عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ رمي بنجم، فقال: «ما كنتم تقولون لمثل هذا إذا رمي»؟ قالوا: كنا نقول: ولد الليلة رجل عظيم ومات رجل عظيم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فإنها لا يرمى بها لموت أحد ولا لحياته ولكن ربنا إذا قضى أمرا سبحه حملة العرش ثم أهل السماء الذين يلونهم حتى يبلغ التسبيح أهل السماء الدنيا ثم يقول الذين يلون حملة العرش لحملة العرش: ما ذا قال ربكم؟ فيجيبونهم ، فيستخبر أهل السماوت بعضهم بعضا حتى يبلغ الخبر السماء الدنيا، ثم تخطف الجن السمع ليلقونه إلى أوليائهم ، فترمى الشياطين بالنجوم» ـ [مسند الإمام أحمد: 1 / 218].

برهانه مثـــل شعاع الشمس يبعث في مكـــة دار الحمس

بمحكم التنزيـــل غير اللبس

فقلنا: يا خطر وممن هو؟ فقال: والحياة والعيش، إنه لمن قريش، ما في حلمه طيش، ولا في خلقه هيش[1]، يكون في جيش، وأي جيش، من آل قحطان وآل أيش! فقلنا له: بين لنا من أي قريش؟ فقال: والبيت ذي الدعائم، والركن والأحايم، إنه لمن نجل هاشم، من معشر أكارم، يبعث بالملاحم، وقتل كل ظالم. ثم قال: هذا هو البيان، أخبرني به رئيس الجان. ثم قال: الله أكبر، جاء الحق وظهر، وانقطَع عن الجن الخبر. ثم سكت وأغمي عليه، فما أفاق إلا بعد ثلاثة، فقال: لا إله إلا الله!. فقال رسول الله ﷺ: «سبحان الله لقد نطق عن مثل نبوة وإنه ليبعث يوم القيامة أمة وحده»[2]. [قاله في الروض الأنف].

وكان خطر بنُ مالك هذا أحدَ الثلاثة الذين يُبعث كلٌّ واحد منهم أُمَّةً وحدَه، وهم: خطر هذا وقسٌّ بن ساعدة وزيدُ بن عمرو بنِ نفيل العدويُّ، وقد ذكرهم الناظم: فقال في خطر: *من لهب المبعوث أمةً خطر..*، وفي قس بن ساعدة: *..وقس المسلم*، وهو إشارة إلى أنه يبعث أُمَّةً وحدَه؛ وفي زيد بن عمرو بن نفيل: *يبعث أُمةً أبوها..* إلخ. كما أشار فيما تقدم إلى شهرة بني لهب بالعيافة وشهرة بني مدلج بالقيافة، فقال:

في مدلج من بكر القيافه كما للهب كانت العيافه

ومن لهب ـ أيضا ـ الحارث بن عمير اللهبي، بعثه النبي ﷺ إلى ملك الروم أو

---

(1) الحلم: العقل، والطيش: الخفة والنزق، والخلق (بضم اللام وسكونها): الطبع والسجية والمروءة والعادة، والهيش: الطرب وكثرة الكلام.

(2) أخرجه العقيلي وأبو سعد ـ [الإصابة: 3 / 332] ـ وضعف ابن عبد البر إسناد هذا الحديث.

صاحب بصرى، فلما نزل مؤتة عرض له شرحبيل بن عمرو الغساني فأوثقه ربطا وضرب عنقه صبرا، ولم يقتل لرسول الله ﷺ رسولٌ غيرهُ. فلما بلغه صلى الله عليه وسلم الخبر بعث جيشَ مؤتة المشهورَ وأمَّر عليهم زيدَ بنَ حارثةَ في ثلاثة آلاف فَلقيتهم الرومُ في مائة ألف، فكانت غزوة مؤتة.

قوله: المبرد (بصيغة اسم الفاعل): مبتدأ، خبره الجار والمجرور قبله. **والذرب** (ككتف): صفة للمبرد، وهو الحديد اللسان الفصيحه. أي ومن بني ثمالة المذكورين النحوي البصري: المبرد وهو محمد بن يزيد بن عبد الأكبر بن عمير بن حسَّان بن سليم بن سعد بن عبد الله بن يزيد بن مالك بن الحارث بن عامر بن عبد الله بن عوف (وهو ثمالة) بن أسلَم بن احجن الثمالي.

أخذ المبرد الأدبَ عن أبي عثمان المازنيِّ، وأبي حاتم السجستاني، وأخذ عنه نفطويه، وكان كثير الأمالي حسن النوادر يحب المناظرة مع أبي العباس أحمد بن يحيى الملقب *ثعلب*، صاحب كتاب الفصيح. توفي المبردُ سنة ست وثمانين ومائتين بِبَغدَاد[1]، وفيه يقول عبد الصمد بن المعذَّل:

سألنا عن ثمالةَ كلَّ حي فقال القائلون: ومن ثمالَه؟
فقلت: محمدُ بن يزيد منهم فقالوا: زدتنا بهمُ جهالَه

قوله **جميعهم** (بالرفع): مبتدأ، خبره جملة قوله **لقب**. وقوله **بشنوءة**: متعلق **بلقب**، **ولقب** مبنيٌّ للمفعول نائبُه ضمير مستتر عائد على **جميعهم**. والضمير في **جميعهم** عائد على بني نصر بن الأزد. يعني أن شنوءة لقب يطلق على جميع بني نصر بن الأزد ـ كما مرَّ.

---

(1) راجع ترجمته في طبقات النحويين للزبيدي. ص: 21.

ثم شرع يتكلم على البطن الثالث وهو بنو عدثان، فقال رحمه ا لله:

دَوْسُ بْنُ عُدْثَانَ قَبِيلُ قَارِبِ أَبِي هُرَيْرَةَ الطُّفَيْلِ الذَّاهِـبِ
مِنْ وَجْهِهِ النُّـورُ إِلَى عَصَاهُ فَكَانَ ذَا النُّـورِ إِذَنْ سُمَـاهُ

دوس: مبتدأ، وابن **عدثـان**: صفتـه (**وعدثـان**:بتثليـث العين)، **وقبيـل قـارب**: خبره، **والقبيـل** (بـوزن أمـير): الجماعـة. **وأبـي هريـرة، والطفيـل** (بـالجر فيهمـا) معطوفان على **قارب** بحذف العاطف. **والذاهب**: صفة **للطفيـل**. **والنـور** (بـالرفع): فاعل **الذاهب**. **وإلى عصاه**: متعلـق بـالذاهب. **وذا النـور** (بـالنصب): خـبر **كـان**. **وسماه** (بتثليث السين): لغة في الاسم، وهو اسم **كان**.

يعني أن البطن المسمى بدوس بن عدثان منه قارب والدُ سَوَادٍ بـن قـارب، ومنـه أبو هريرة والطفيل بن عمرو الدَّوسيون. ودوس بطن من أزد شنوءة وهـم: بنو دوس بن عدثان بن عبد ا لله بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعـب بـن عبـد ا لله بـن مالك بن نصر ـ وهو شنوءة ـ بن الأزد بن الغـوث كمـا مـر. وأم دوس بـن عدثـان ليلى بنت الظرب، أخت زينب بنت الظرب أم ثقيف؛ فدوس وثقيف ابنا الخالة.

سواد بن قارب الدوسي

أما قارب الدوسي فهو والد سواد بن قارب الشاعر الدوسي الصحابي الجليـل، وقد كان سواد بن قارب هذا يتكهن في الجاهلية. قال أبو علي القالي: خرج خمسـة نفر من طيء، هم: برج بن مسْهر (أحد المعمرين) وأنيْف بـن حارثـة بـن لام وعبـد ا لله بن سعد (والد حاتم) وعارق الشاعر ومـرة بـن عبـد رُضـا، يريـدون سـواد بـن قارب ليمتحنوا علمه فقالوا ليخبأ كل منا خبيئـا[1] ولا يخبر أصحابه، فـإن أصـاب

(1) يخبأ: يستر ويخفي. والخبيء: ما خبئ أي ستر يقال: اختبأ له خبيئا أي عمَّى له شيئا ثم سأله عنه.

عرفنا علمه وإن أخطأ ارتحلنا عنه. ثم وصلوا إليه فأهدوا إليه إبلا وطُرَفًا، فضرب عليهم قبة ونحر لهم؛ فلما مضت ثلاثة أيام دعاهم، فتكلم برج ـ وكان أسنّهم ـ فقالوا: قد خبأ كل واحد منا لك خبيئًا لتخبره باسمه وخبيئته. فذكر اسم كل واحد منهم وذكر خبيئته في أسجاع ـ في قصة طويلة ـ ثم ارتحلوا عنه مصدقين له ومعجبين بأمره. وقال فيه عارق الشاعر:

ألا لله علم لا يجارى ... إلى الغايات في جنبي سواد

أتيناه نسائله امتحانا ... ونحسب أن سيَعمِد[1] بالعناد

فأبدى عن خفي مُخبّآت ... فأضحى سرها للناس باد

حسام لا يُليق ولا يُثأثي ... عن القصد الميمَّم والسداد [2]

كأن خبيئنا لما انتحينا ... بعينيه يصرح أو ينادي

فأُقسم بالعتائر حيثُ فَلسٌ ... ومن نسك الأُقيصرَ مِ العباد[3]

لقد حزت الكهانة عن سطيح ... وشِق والمرفَّل من إياد[4]

وقد روي في سبب إسلام سواد بن قارب هذا، أنه حدث أنه أتاه قبيل إسلامه رئيُّه من الجن ثلاث ليال متواليات، وهو فيها كلها بين النائم واليقظان، فقال له: قم

---

(1) سيعمد: أي يهلك.

(2) الحسام: السيف القاطع، يقال: *هذا سيف لا يُليق شيئا* أي لا يمر بشيء إلا قطعهُ، وثأثأ عن الشيء: فتر عنه.

(3) العتائر: جمع عتيرة، وهي: شاة كان العرب يذبحونها لآلهتهم في شهر رجب، وفلس: اسم صنم.

(4) سطيح وشق كاهنان مشهوران. والمرفَّل: المملَّك أو المعظَّم والمسوَّد، مستعار من ترفيل الازار وهو إسباغه وإرساله. وإياد (بوزن كتاب): قبيلة من معد بن عدنان، ولعله يعني به حكيمهم وبليغهم المشهور قُسّاً بن ساعدة الإيادي، الذي ورد فيه الحديث: «يرحم الله قسا إني لأرجو يوم القيامة أن يبعث أمة وحده» ؛ وقبر قس هذا بلحف روحين وهي قرية بجبل لبنان.

يا سواد فاسمع مقالتي واعقل إن كنت تعقل، قد بعث رسول من لؤي بن غالب يدعو إلى الله وإلى عبادته. وأنشده في كل ليلة من الليالي الثلاث ثلاثة أبيات معناها واحد وقافيتها مختلفة، وأولها:

عجبت للجن وتطلابها — وشدها العيس بأقتابها

تهوي إلى مكة تبغي الهدى — ما صادق الجن ككذابها

فارحل إلى الصفوة من هاشم — ليس قداماها كأذنابها

فرحل إلى رسول الله ﷺ، ولما قدم عليه أخبره بما كان من رئيه في الليالي الثلاث وأسلم. وفي ذلك يقول:

أتاني نجيّي[1] بعد هدء ورقدة — ولم يك فيما قد بلوت بكاذب

ثلاث ليال قوله كلَّ ليلة — أتاك رسول من لؤي بن غالب

فرفّعت أذيال الإزار وشمرت — بيَ العِرْمِسُ الوجنا هجول السباسب[2]

فأشهد أن الله لا ربَّ غيره — وأنك مأمون على كل غائب

وأنك أدنى المرسلينَ وسيلة — إلى الله يا ابن الأكرمين الأطايب

فمرنا بما يأتيك من وحي ربنا — وإن كان فيما جئت شيب الذوائب

وكن لي شفيعا يوم لا ذو شفاعة — بمغنٍ فتيلا عن سواد بن قارب

وداعبه عمر يوما، فقال له: ما فعلت كهانتك يا سواد؟ فغضب وقال: ما كنا عليه نحن وأنت يا عمر في جاهليتنا وكفرنا شرٌّ من الكهانة، فما لك تعيرني بشيء تبت

---

(1) النجي: المناجي.

(2) شمرت: أسرعت، والعرمس (بالكسر): الناقة الصُّلبة. والوجناء: الناقة الشديدة. وهجول: جمع هَجْل وهو المطمئن من الأرض. والسباسب: جمع سبسب، وهو المفازة أو الأرض المستوية البعيدة. ولابن أحمر ـ من قصيدة له ـ:

بهَجْلٍ من قساً ذَفِرِ الخُزامى — تداعى الجِرْبِياءُ به حنينا ..الخ.

منه وأرجو من الله العفو عنه، فقال عمر: اللهمَّ غَفرا. وفي رواية أن عمر قال لسواد يومًا - وكان عمر إذ ذاك خليفة: كيف كهانتك اليوم؟ فغضب سواد وقال: يا أمير المؤمنين ما قالها لي أحد قبلك، فاستحيا عمر ثم قال: إيه يا سواد.. الذي كنا عليه من الشرك وعبادة الأصنَامِ أعظم من كهانتك؛ وسأله عن حديثه في بدء الإسلام وما أتاه به رئيُّه[1] من ظهور رسول الله ﷺ، وقال له: كنت أشتهي أن أسمع هذا الحديث منك؛ فقال سواد: إنه لعجب، كنت كاهنا في الجاهلية فبينما أنا نائم إذْ أتاني نجيِّي، فضربني برجله ثم قال: قم يا سواد اسمع أقل لك، قلت: هات، قال: عجبت للجنِّ.. [إلخ الأبيات]. فقال عمر: هل يأتيك رئيك اليوم؟ قال: أمَّا منذ قرأت القرآن فلا، ونعم العوضُ كتاب الله عز وجلَّ.

ولما بلغ دوسا وفاة رسول الله ﷺ قام فيهم سواد بن قارب خطيبا، وحرَّضهم على التمسك بالإسلام وخوفهم من عاقبة الرجوع عنه فأجابوه لما قال وأطاعوه. وقال في ذلك:

جلت مصيبتك الغداة سواد	وأرى المصيبة بعدها تزداد
أبقى لنا فقد النبي محمدٍ	صلى الإله عليه ما يعتاد
حزنا لعمرك في الفؤاد مخامرا	أو هل لمن فقد النبي فؤاد؟
كنا نحل به جنابًا ممرعًا	جَفَّ الجنابُ فأجدب الرُّوادُ
فبكت عليه أرضنا وسماؤنا	وتصدعت وجدًا به الأكباد
إن النبي وفاته كحياته	الحق حق والجهاد جهاد
إني أحاذر - والحوادث جَمَّةٌ -	أمرًا لقاصف ريحه إرعاد
إن حل منه ما يخاف فأنتم	للأرض إن رجفت بنا أوتاد

(1) رئيه: تابعه من الجِنِّ.

لــو زاد قوم فوق منية صاحب زدتم وليـــــس لمنية مـــزداد

فأعجب القومَ شعرُه وقوله، وأجابوه إلى ما أحبَّ.

تنبيهٌ: يلاحظ أن الناظم يشير في عدة مواضع من هذا النظم إلى ذكر بعض المشاهير بذكر آبائهم الذين يقلون عنهم شهرةً كما فَعل هنا، فالمراد بذكر قارب الإشارةُ إلى ذكر ابنه سواد الذي كان مشهورا في كتب الأدب والسير، وكذلك فعل بالنسبة لربيعة بن مكدِّم ـ أحد الأبطال المشهورين الذين ضرب المثل بشجاعتهم ـ بذكر أبيه مكدم بقوله المتقدم:

ومن كنانة بنو فراس رهط مكدم وكل قاس

وقد يشير رحمه الله بذكر الابن قصدًا إلى ذكر أبيه لنكتة تتعلق به، كما فعل في قوله: *أصهار هند بنت عوف الفضلا*..إلخ، فذكر خالدا بن الوليد ـ حيث قال: *وتلك أيضا أم خالد*.. إلخ ـ وفي ذكره ذكر الوليد بن المغيرة في أصهار هند ضمنيا و لم ينص عليه، تنزيها للأصهار الكرام الذين منهم النبي ﷺ وبعض أعيان الصحابة عن أن يذكره معهم لكفره ـ وإن كان له شرف ومكانة في الجاهلية ـ كما قال الشيخ حمادٍ رحمه الله عند قول الناظم: *أصهار هند*..إلخ.

التعريف بأبي هريرة

وأما أبو هريرة فاختلف في اسمه واسم أبيه اختلافًا كثيرا، أصحه أن اسمه عبد الرحمن بن صخر بن عامر بن عبد الشرى بن طريف بن عتاب بن أبي صعب بن منبه بن سعد بن ثعلبة بن سليم بن فهم بن غنم بن دوس بن عدثان الدوسي. وكان وسيطا في قبيلته دوس، وكان اسمه في الجاهلية عبد شمس، فلما أسلم سماه رسول الله ﷺ عبد الرحمن، واشتهر بكنيته *أبي هريرة*؛ واختلف في سبب تكنيته بها. فقد

روي عنه أنه قال: كنت أحمل يوما هرة في كمي فرآني رسول الله ﷺ فقال: «ما هذه»؟ فقلت: هرة، فقال: «يا أبا هريرة»[1] ــ [قاله ابن عبد البر في **الاستيعاب**]. وروي ــ أيضًا ــ عن عبد الله بن أبي رافع قال قلت لأبي هريرة: لم كنيت أبا هريرة؟ قال: كنت أرعى غنم أهلي، وكانت لي هرة صغيرة فكنت أجعلها بالليل في شجرة وإذا كان بالنهار ذهبت بها معي ألعب بها، فكنوني أبا هريرة ــ [قاله الشبرخيتي في **شرح الأربعين**].

أسلم رضي الله عنه سنة سبع للهجرة، وقدم على النبي ﷺ بخيبر وسار معه إلى المدينة، ولزمه وواظب عليه رغبة في العلم راضيا بشبع بطنه، فكانت يده مع يد رسول الله ﷺ وكان يدور معه حيث دار، وكان من أحفظ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ وكان يحضر ما لا يحضر سائر المهاجرين والأنصار لاشتغال المهاجرين بالتجارة والأنصار بحوائطهم. وقد شهد له رسول الله ﷺ بأنه حريص على العلم والحديث.

وروي عنه أنه قال: قلت يا رسول الله إني قد سمعت منك حديثا كثيرا وأنا أخشى أن أنسى، فقال: «ابسط رداءك»، قال: فبسطتهُ حتى قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثه ثم قال: «ضمه إلى صدرك»[2]، فضممته فما نسيت شيئا بعده؛ وأيم الله لولا آية في كتاب الله عز وجل ما حدثتكم بشيء أبدا: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴾[3]. رويت له خمسة آلاف حديث وثلاثمائة وأربعة وسبعون حديثا، اتفق الشيخان منها على

(1) أخرجه الترمذي.

(2) أخرجه مسلم.

(3) البقرة: 159.

ثلاثمائة وخمسة وعشرين، وانفرد البخاري بثلاثة وتسعين، ومسلم بمائة وتسعين - كما مرَّ - وروى عنه أكثر من ثمانمائة ما بين صحابي وتابعي. وروي عنه أنه قال: نشأت يتيما وهاجرت مسكينًا، وكنت أجيرا لبرة بنت غزوان بطعام بطني وعَقَبة رجلي، فكنت أخدم إذا نزلوا وأحدوا إذا ركبوا، فزوجنيها الله والحمد لله الذي جعل الدين قواما وأبا هريرة إمامًا. وكان رضي الله عنه هو وأمه أميمة بنت صبيح محبَّبين إلى كل مؤمن، لا يسمع بهما أحد من المؤمنين إلا أحبهما لدعوة رسول الله ﷺ لهما بذلك. وكان قد استعمله عمر على البحرين ثم عزله، ثم راوده على العمل فأبى ولم يزل يسكن المدينة حتى توفي في خلافة معاوية سنة سبع - أو ثمان أو تسع - وخمسين، وصلى عليه الوليد بن عتبة بن أبي سفيان، وكان أميرا على المدينة يومئذ.

التعريف بالطفيل بن عمرو

وأما الطفيل فهو ابن عمرو بن طريف بن العاص بن ثعلبة بن سليم بن فهم بن غنم بن دوس الدوسي الصحابي. كان سيد دوس في الجاهلية، وشريفا من أشراف العرب؛ كان يؤمن الخائف ويجير المستجير ويطعم الجائع، وكان مع ذلك أديبًا أريبًا لبيبًا شاعرا. وكان من سبب إسلامه رضي الله عنه ما روي عنه أنه قال: كنت رجلاً شاعرا سيدا في قومي، فقدمت مكة فمشيت إلى رجالات قريش، فقالوا: يا طفيل إنك رجل شاعر سيد مطاع في قومك وإنك قدمت بلادنا وهذا الرجل بين أظهرنا قد عضل[1] بنا، وفرق جماعتنا وإنا قد خشينا أن يلقاك فيصيبك ببعض حديثه، فإنما حديثه كالسحر فاحذر أن يدخل عليك وعلى قومك ما أدخل علينا وعلى قومنا.. فلا تكلمه ولا تسمع منه. قال: فوالله ما زالوا يحدثونني ويحذرونني

(1) عضل بي الأمر، وأعضل بي: اشتد وغلظ.

أن أسمع منه حتى قلت: وا لله لا أدخل المسجد إلا وأنا سادٌّ أذنَيَّ! قال: فحشوتهما كرسفا[1] ثم غدوت إلى المسجد، فإذا برسول ا لله ﷺ قائما في المسجد. قال: فقمت منه قريبا وأبى ا لله إلا أن يُسمعني بعض قوله. قال: فقلت في نفسي وا لله إن هذا للعجزُ.. وا لله إني امرؤ ثبت لبيب ما يخفى عليَّ من الأمور حسَنُها ولا قبيحُها؛ وا لله لأستمعن منه، فإن كان أمرهُ رُشْدًا أخذت منه، وإن كان غير ذلك اجتنبته. قال: فنزعت الكرسفَ من أذنيَّ وألقيته ثم استمعت له ؛ فلم أسمع كلامًا قط أحسن مما تكلم به. قال: فقلت يا سُبحان ا لله ما سمعت كاليوم لفظًا أحسن منه ولا أجمل. قال: فانتظرته حتى انصرف من المسجد فاتبعته حتى دَخلت عليه فقلت له: يا محمد إن قومك قالوا لي كذا وكذا ـ وأخبره بالذي قالوا ـ وقد أبى ا لله إلا أن أسمعني منك ما تقول، وقد وقع في نفسي أنه حق، فاعرض عليَّ أمرَك وما تأمرني به وما تنهاني عنه. قال: فعرض علي رسول ا لله ﷺ الإسلام وتلا عليَّ القرآنَ ؛ قال: فوا لله ما سمعت قولا قط أحسن منه ولا أمرا أعدل منه، فأسلمت وشهدت شهادة الحق وقلت: يا رسول ا لله إني أرجع إلى دوس وأنا فيهم مطاع وأنا داعيهم إلى الإسلام لعلَّ ا لله أن يهديهم، فادع ا لله أن يجعل لي آية تكون لي عونا عليهم فيما أدعوهم إليه، فقال: «اللهم اجعل له آية تعينه على ما ينوى من الخير»، وفي رواية أنه قال: «اللهم نور له»[2]. قال: فخرجت حتى أشرفت على الثنية التي تُهبطني على حاضرة دوس[3] ـ وأبي هناك وأمي وامرأتي ـ فلما علوت الثنية وضع ا لله بين عينيَّ

---

(1) الكرسف: القطن.

(2) أخرجه الطبراني.

(3) أشرف على الشيء: اطلع عليه من فوق. والثنية: طريق العقبة. وتهبطني: تنزلني من فوق، والحاضرة: خلاف البادية.

نورا كالشهاب يتراآه الحاضر في ظلمة الليل، فقلت: اللهمَّ في غير وجهي فإني أخشى أن يظنوا أنها مثلة لفراق دينهم، فتحول في رأس سوطي كانه قنديل معلق فيه. فلذلك لقب "ذا النور"؛ وإلى ذلك أشار الناظم بقوله: **الذاهب من وجهه النور**..إلخ. قال: فسرت حتى قدمت عليهم ؛ ثم أسلم أبواي وامرأتي، وكان أبي شيخا كبيرا. وروي أن أبا هريرة كان ممن أسلم على يديه.

قال الطفيل: ثم هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة، وأقمت مع أهلي أدعوهم إلى الإسلام حتى استجاب لي منهم من استجاب ؛ وفاتني بدر وأحد والخندق مع رسول الله ﷺ، ثم قدمت عليه وهو بخيبر بثمانين أو تسعين بيتا من دوس. وقيل قدم عليه بالمدينة، فكان بها معه إلى أن شهد الفتح، وبعثه صلى الله عليه وسلم إلى ذي الكفين (صنم عمرو بن حممة الدوسي) فحرقه وجعل يوقد النار عليه ويقول:

يا ذا الكفين[1] لست من عبادكا ميلادنا أكبر من ميلادكا

إني حشوت النّار في فؤادكا

ثم رجع إلى رسول الله ﷺ وأقام معه حتى قبض صلى الله عليه وسلم؛ ثم خرج في الجيش الذي أرسله أبو بكر الصديق رضي الله عنه إلى مسيلمة الكذاب، واستشهد باليمامة. وصحب أبوه عمرو بن طريف وابناه عمرو وعبد الله، وحضر منهما عمرو اليمامةَ مع أبيه الطفيل وقطعت فيها يدُه. وروي أنه دخل يوما على عمرَ وهو خليفة، فأُتي عُمرُ بطعام والناسُ جلوس عنده، فدعاهم إلى الطعام فتنحى عمرو عنه، فقال له عمرُ: مالك؟ لعلك تأخرت عن الطعام خجلا من يدك؟ قال: أجل يا أمير المؤمنين، قال عمر: والله لا أذوق هذا الطعام حتى تخلطه بيدك

(1) أراد الكفين (بالتشديد)، فخففه للضرورة.

المقطوعة، وا لله ما في القوم أحد بعضه في الجنة إلا أنت! يريد بذلك يده. واستشهد عمرو بن الطفيل هذا باليرموك. وابنه عبد ا لله بن عمرو بن الطفيل بن عمرو صَحب أيضا. فهم أربعتهم صحابة؛ ولا تعرف إلا لهم ولآل أبي بكر الصديق وآل زيد بن حارثة ـ كما سيأتي. وكان عبد ا لله بن عمرو بن الطفيل هذا من فرسان المسلمين، قتل بأجنادين. وا لله سبحانه وتعالى أعلم.

ثم قال رحمه ا لله وعفا عنه:

أُمُّ شَرِيكٍ أُدْلِيَتْ دَلْوٌ لَهَا ... فَشَرِبَتْ وَسَاسَ ذَاكَ أَهْلَهَا

وَوَهَبَتْ لِلْمُصْطَفَى عِصْمَتَهَا ... وَأَنْكَرَتْ عَائِشَةُ فَعْلَتَهَا

فَنَزَلَتْ فِي الْبَذْلِ فِيمَا عَتَبَتْ ... ﴿وَامْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ﴾

فَقَالَتُ امْنًا: «الإِلَهُ لَكَ فِي ... هَوَاكَ يُسْرِعُ» نَعَمْ وَيَصْطَفِي

وَأُدْلِيَتْ لأُمِّ أَيْمَنَ فَمَا ... بَعْدُ اشْتَكَتْ بِالصَّوْمِ فِي الْحَرِّ الظَّمَا

وَشَرِبَتْ مِنْ بَوْلِ أَحْمَدَ فَمَا ... فِي بَطْنِهَا بَعْدُ تَشَكَّتْ أَلَمَا

أم شريك (بوزن أمير): مبتدأ، خبره: الجملة بعده. **ودلو** (بالرفع): نائب فاعل **أدليت**. والضمير في **لها**: عائد على أم شريك. **والدَّلو**: ما يستقى به (مؤنث ويذكر) جمعه: دلاء وأدل ودلي. قوله **وساس ذاك**: أي إدلاءُ الدلو لها من السماء. **وأهلها** (بالنصب): مفعول به **لساس**، أي أصلحهم وأرشدهم إلى طريق الحق[1].

يقول: ومن بطن دوس بن عدثان ـ أيضا ـ أم شريك بنت جابر الدوسية؛ وأم

---

(1) ساس القومَ: دَبَّرهم وتولى أمرهم، وساس الأمور: دبرها وقام بإصلاحها، والسياسة: استصلاح الخلق بإرشادهم إلى الطريق المنجِّي في العاجل والآجل.

شريك هذه هي غُزَيْلَةُ، ويقال غَزِية بنت جابر بن حكيم الدوسية الصحابية الجليلة، قيل كانت تحت أبي العكر بن سُمَيٍّ بن الحارث الأزدي، فولدت له شريكا فكنيت به، وقيل أبو العكر بن سمي هذا هو شريك نفسه.

وحاصل قصة إدلاء الدلو لها التي أشار إليها النَّاظم ـ كما في أسد الغابة وغيره ـ عن ابن عباس قال: أخبرتني أم شريك بنت جابر قالت: أسلم أبو العَكَر وهاجر إلى رسول الله ﷺ فجاءني أهله فقالوا: لعلك على دينه، قالت: فرحلوا وحملوني على جمل ثفَّالٍ[1] لا يطعمونني ولا يسقونني ، وإذا انتصف النهار نزلوا في أخبيتهم وطرحوني في الشمس حتى ذهب عقلي وسمعي وبصري، فلما كان اليوم الثالث عند انتصاف النهار وجدت برد دلو على صدري، فأخذته فشربت منه نفسا ثم انتزعَ مني فنظرت فإذا هو بين السماء والأرض، ثم دنا مني ثانية فشربت منه نفسًا، ثم رفع ثم دنا مني ثالثة فشربت حتى رويت، وأهرقت على رأسي ووجهي وثيابي. قالت: فنظروا إلي فقالوا: من أين لك هذا يا عدوة الله؟! قالت: رزقني الله تعالى، فانطلقوا سراعًا إلى قِرَبهم فوجدوها مربوطة فقالوا: نشهد أن الذي رزقك هو الذي شرع الإسلام، فأسلموا وهاجروا إلى رسول الله ﷺ. وروي أيضا أنها لما أسلمت أقبل أهلها عليها يعذبونها ليردوها عن الإسلام ومنعوها الماء والظل حتى بلغت الجهد من العطش فأُدْليت لها دلو من السماء فيها ماء فشربت منها، فقالوا لها: من أين لك هذا؟ قالت: هو من عند الله، فقالوا: إذن دينك خير من ديننا ونشهد أن ربَّك ربُّنا فأسلموا. وإلى ذلك أشار بقوله **وساس ذاك أهلها**[2]. وروي أنها أسلمت في رمضان فأقبلت تطلب من يصحبها في الهجرة إلى رسول الله ﷺ، فلقيت يهوديا فقال: ما لك يا أم شريك؟ قالت: أطلب من يصحبني إلى النبي ﷺ، قال: أنا

(1) الثفال (بالثاء المثلثة): البطيء الثقيل.

(2) تقدم شرحها.

أصحبك، فسارت معه فأمست وهي صائمة، فقال اليهودي لامرأته: لئن سقيتها لأفعلن؛ فباتت كذلك حتى إذا كان في آخر الليل إذا على صدرها دَلو موضوع فشربت منها.

قوله **ووهبت:** فاعله ضمير مستتر عائد على **أم شريك**. **وعصمتها** (بالنصب): مفعوله، أي وهبت له نفسها بغير مهر. **وعائشة:** فاعل **أنكرت**، والمراد بها أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها. **وفعلتها** (بالنصب): مفعول به لأنكرت، والفعلة التي أنكرت عائشة هي هبة أم شريك نفسها لرسول الله ﷺ. وقوله **في البذل:** أي بذلها نفسها لرسول الله ﷺ، فــ**أل** فيه خلف عن الضمير، **وعتب** فلان على فلان (كضرب ونصر) عتبا ومعتبة أنكر عليه شيئًا من فعله. وفاعل **عتبت:** ضمير مستتر عائد على عائشة. وجملة قوله **فيما عتبت:** بدل من قوله **في البذل**، أي نزل في عتب عائشة على أم شريك بذلها نفسها لرسول الله ﷺ قوله تعالى ﴿ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ ﴾[1] ؛ فقوله **وامرأة مؤمنة** (بالنصب على الحكاية): فاعل **نزلت**. يعني أن أم شريك هذه لما وهبت نفسها لرسول الله ﷺ أنكرت عليها عائشة ما فعلت، فأنزل الله تعالى في ذلك ﴿ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ ﴾ ــ الآية.

وحاصل ما أشار إليه الناظم هنا أن أم شريك بنت جابر هذه وهبت نفسها لرسول الله ﷺ بغير مهر ــ وكانت جميلة قد أسنت ــ فقالت لها عائشة: أما تستحيي المرأة أن تهب نفسها لرجل؟ ما في امرأة حين تهب نفسها لرجل خير! فقالت أم شريك: هي أنا. وإنما كان ذلك غيرة من عائشة رضي الله عنها، فنــزل

---

(1) الأحزاب: 50.

في ذلك قوله تعالى ﴿وامرأة مؤمنة﴾ ـــ الآية ـــ فقالت عائشة: يا رسول الله ما أرى ربك إلا يسارع لك في هواك.

ثم علق الناظم رحمه الله على قول عائشة هذا بقوله **نعم ويصطفي**، فـ**نعم** هنا حرف تصديق وتقرير. والمعنى نعم يسرع له في هواه ويصطفي، أي يختار له ويخصه ببعض الأحكام دون أُمته. ومن ذلك أنه يجوز أن تهب له المرأة نفسها دون مهر، ويجوز له النكاح بلا مهر وبلا ولي وبلا شهود، ويجوز له نكاح أكثر من أربع .. وغير ذلك من مما خصه الله تعالى به.

وقوله تعالى ﴿وامرأة﴾ (بالنصب): معطوف على مفعول *أحللنا* في قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّـٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّـٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَـٰلَـٰتِكَ ٱلَّـٰتِى هَاجَرْنَ مَعَكَ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِىِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِىُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۗ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِىٓ أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[1].

وقيل إن التي نزلت فيها هذه الآية زينب بنت جحش، وقيل هي ميمونة بنت الحارث الهلالية حين بعث إليها رسول الله ﷺ جعفراً بن أبي طالب يخطبها له، فجاءها وهي على بعيرها فقالت: البعير وما عليه لرسول الله ﷺ.

---

(1) الأحزاب: 50.

الواهبات أنفسهن للنبي ﷺ

والنساء اللائي وهبن أنفسهن لرسول الله ﷺ قيل أربع: أم شريك ـ هذه ـ وميمونة بنت الحارث[1] وزينب بنت خزيمة (أم المساكين)[2] وخولة بنت حكيم[3]، وقيل لا يحصرن كثرة. وقد روي أنه صلى الله عليه وسلم قبِل من أم شريك هبتها نفسها له، فلما دخل عليها رأى بها كَبْرَةً[4] فطلقها، وقيل لم يقبلها ـ أصلا ـ و لم تتزوج حتى ماتت.

ثم استطرد الناظم رحمه الله بمناسبة ذكره إدلاء الدلو لأم شريك، قصة إدلائها ـ أيضا ـ لأم أيمن رضي الله عنها، فقال: **وأُدليت لأم أيمن**..إلخ، **وأدليت** (بالناء

---

(1) الحارث هو ابن حزن بن بجير بن الهرم بن روبية بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صعصعةَ؛ الهلالية أم المؤمنين، كانت قبل النبي صلى الله عليه وسلم عند أبي رهم بن عبد العزى بن عبد ود القرشي العامري (من بني عامر بن لؤي) ، وقد ذكر الزهري وقتادة وعكرمة أنها التي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم فنزلت فيها الآية، وقيل الواهبة غيرها، وقيل إنهن تعددن وهو الأقرب. [الإصابة].

(2) خزيمة هو ابن عبد الله بن عمر بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة؛ الهلالية أم المؤمنين، كنيت بأم المساكين لأنها كانت تطعمهم وتتصدق عليهم، قيل: كانت تحت عبد الله بن جحش فاستشهد بأحُد، وقال ابن الكلبي: كانت عند الطفيل بن الحارث بن المطلب فطلقها، ثم خلف عليها أخُوه عبيدة بن الحارث، فقتل عنها ببدر، فخطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى نفسها فجعلت أمرها إليه فتزوجها في شهر رمضان سنة ثلاث فأقامت عنده ثمانية أشهر وماتت في ربيع الآخر سنة أربع، وهي أخت ميمونة بنت الحارث لأمها. [الإصابة].

(3) حكيم هو ابن أمية بن حارثة بن الأوقص بن مرة بن هلال بن فالج بن ذكوان بن ثعلبة بن بهثة بن سليم؛ السلمية، كانت امرأة صالحة فاضلة، روت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وروى عنها بعض الصحابة والتابعين، روى هشام بن عروة عن أبيه وهشام بن الكلبي أنها كانت من اللاتي وهبن أنفسهن لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنها كانت عند عثمان بن مظعون ومات عنها. [الإصابة].

(4) الكبرة (بفتح الكاف وسكون الموحدة) الكبر في السن، يقال: علاه الكِبَر، أو علته كَبْرة، إذا أسن.

للمفعول) نائبه ضمير **الدلو** المذكورة. وقوله **فما بعد**: أي بعد شربها من تلك الدلو، **اشتكت**: أي تألمت من العطش. **والظمأ**: العطش. وقوله **فما في بطنها**..إلخ: أي لم تشتك من ألم البطن بعد شربها ذلك.

أم أيمن مولاة رسول الله ﷺ

وقد أشار بذلك إلى ما روي أن أم أيمن خرجت من مكة مهاجرة إلى المدينة ماشية ليس معها زاد، فلما كانت دون الروحاء عطشت وليس معها ماء ــ وهي صائمة ـ فأجهدها العطش فدليت عليها من السماء دلو فيها ماء فشربت منها حتى رويت، فكانت تقول: ما أصابني بعد ذلك عطش ولقد تعرضت للعطش بالصوم في الهواجر فما عطشت ؛ وفي رواية: ولقد كنت بعد ذلك أصوم في اليوم الحار أطوف في الشمس كي أعطش فما عطشت بعدُ. وروي عنها ـ أيضا ــ قالت: كان للنبي ﷺ فخارة[1] يبول فيها بالليل، فكنت إذا أصبحت صببتها ؛ فنمت ليلة ثم استيقظت وأنا عطشى فغلطت وشربتها، فذكرت ذلك للنبي ﷺ فقال: «إنك لا تشتكي بطنك بعد يومك هذا»[2]. وإلى ذلك أشار بقوله **وشربت من بول أحمد**..إلخ.

وأم أيمن هذه هي مولاة رسول الله ﷺ وحاضنته، اسمها بركة بنت ثعلبة بن

(1) الفخارة: الجرة، وهي إناء من خزفٍ له بطن كبير وعروتان وفم واسع.

(2) أخرجه ابن السكن ـ كما في الإصابة، وقيل إن التي شربت بول النبي صلى الله عليه وسلم هي بركة الحبشية مولاة أم المؤمنين أم حبيبة بنت أبي سفيان؛ فعن أبي عمر قال: أخبرتني حكيمة بنت أميمة عن أمها أميمة بنت رقيقة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يبول في قدح من عيدان ويوضع تحت السرير، فجاء ليلة فإذا القدح ليس فيه شيء فقال لبركة خادم أم حبيبة: «أين البول الذي كان في هذا القدح»؟ قالت: شربته يا رسول الله، وبركة هذه جاءت مع أم حبيبة من أرض الحبشة.

عمرو بن حصن بن مالك بن سلمة بن عمرو بن النعمان ؛ قيل إنها حبشية، ورثهـا صلى الله عليه وسلم من أبويه، قيل كانت لأبيه عبد الله بن عبد المطلب؛ فلما ولـد رسول الله ﷺ بعد وفاة أبيه كانت تحضنه حتى كبر. وقيل كانت لأمـه آمنـة بنت وهب فورثها صلى الله عليه وسلم وأعتقها. وكـانت مـن السـابقات إلى الإسـلام، وهاجرت الهجرتين إلى الحبشة ثم إلى المدينة. تزوجها عبيد الحبشي فولدت لـه أيمـنَ بنَ عبيد، وبه كنيت؛ فكان يعرف بابن أُم أيمن، وقيل تزوجها عبيـد بـن عمـرو بـن هلال الأنصاري الخزرجي ثم الحبلوي فولدت له أيمـن ـ كمـا يـأتي ـ. واشـتهرت بكنيتها أم أيمن، وعرفت أيضا *بأم الظباء*. ثـم تزوجهـا زيـد بـن حارثـة فولـدت لـه الحب ابن الحب: أسامة بن زيد. وكان رسول الله ﷺ يكرمها ويزورهـا في منزلهـا، ويقول: «أم أيمن أمي بعد أمي»[1]، ويقول لها: «يا أمَّه»، وكان إذا نظر إليها يقول: «هذه بقية أهل بيتي»[2]. وكانت إذا دخل عليها رسول الله ﷺ تلاطفه وتضاحكـه وتقرب إليه اللبن، وكانت تقدم عليه.

ولما كان بعد وفاة رسول الله ﷺ قال أبو بكر لعمر: انطلق بنا نزر أمَّ أيمن كمـا كان رسول الله ﷺ يزورها. فلما دخلا عليها بكت، فقالا: مـا يبكيـك؟ فمـا عنـد الله خير لرسوله، فقالت: أبكي على الوحي الذي رفع عنّا؛ فهيجتهمـا علـى البكـاء فجعلت تبكي ويبكيان معها. فكانا بعد ذلك يزورانها في منزلها تأسيا برسـول الله ﷺ. ولما قتل عمر بكت، فقيل لها، فقالت: اليوم وَهَى الإسلام.

وتوفيت رضي الله عنها في أول خلافة عثمان سنة ثلاث وعشرين، وقيـل إنهـا توفيت بعد رسول الله ﷺ بخمسة أشهر، وقيل بستة. والله أعلم.

---

(1) ذكره ابن حجر في الإصابة: 4 / 432 - 433.

(2) المرجع السابق.

ولما ذكر بعض خبر أم شريك، واستطرد بموجبه بعض خبر أم أيمن، رجع إلى سرد بعض أعيان دوس بن عدثان، فقال رحمه ا لله وعفا عنه:

مِنْهُمْ مُعَيْقِيبُ الَّذِي مِنْ يَدِهِ سَقَطَ فِي بِئْرِ أَرِيسٍ عِدِّهِ

خَاتَمُ خَيْرِ مُرْسَلٍ فَاخْتَلَفَتْ آرَاؤُهُمْ وَبَعْدَ ذَا مَا ائْتَلَفَتْ

وَكَوْنُهُ مِنْ يَدِ عُثْمَانَ سَقَطْ هُوَ الَّذِي عَلَيْهِ جُلُّ مَنْ فَرَطْ

مُجَذَّمٌ وَلَيْسَ فِي الصَّحَابَهْ مِنَ الْجُذَامِ غَيْرُ مَا أَصَابَهْ

وَاكَلَهُ عُمَرُ لَكِنِ اعْتَذَرْ بِفَضْلِهِ مُبَسْمِلاً عَنِ الضَّرَرْ

معيقيب: مبتدأ خبره الجار والمجرورُ قبله (وهو بالقاف وبوزن دنينير ويقال فيه معيقب بوزن دريهم). وضمير **منهم**: عائد على دوس المحدث عنهم. **وبئر أريس**: بئر معروفة بقباء، **وأريس** (بوزن أمير) الذي تضاف إليه: اسم حديقة قريبة من مسجد قباء[1]. **وعده** (بالجر): بدل من **بئر أريس**، **والعد** (بكسر العين وتشديد الدال المهملتين): الماء الجاري الذي له مادة لا تنقطع جمعه اعداد ويقال أيضا للقديم

---

(1) وهي البئر التي تفل فيها رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم، وهي قريبة من المسجد في داخل البستان، ويستحب الإتيان إليها والتوضؤ والشرب من مائها، وكذلك الإتيان إلى الآبار الأخرى التي كان النبي صلى ا لله عليه وسلم يتوضأ منها ويشرب ويغتسل من مائها، اتباعا لفعله صلى ا لله عليه وسلم، وطلباً للشفاء والبركة، وهي سبعة آبار يعرفها أهل المدينة ؛ وقد أشار إليها القائل بقوله:

إذا رمت آبار النبي بطيبة فعدتها سبع مقالاً بلا وهن

أريس وغرس رومة وبضاعة كذا بضة قل بئر حاء مع العهن

وقيل إن آثار بئر أريس هذه كانت ماثلة حتى سنة 1389هـ. وا لله أعلم.

من الركايا[1]. وقوله **خاتم** (بالرفع): فـاعل **سقط**. وقولـه **آراؤهـم**: أي المسلمون. وقوله **ما ائتلفت**: أي ما اتفقت بعد ذلك. وقوله **مجذم** (بصيغة اسم المفعـول): خـبر مبتـدإ محـذوف تقديـره: هـو، عـائد علـى معيقيـب. والضمير في **أصابه**، **وواكله**، **وبفضله**: عائد على معيقيب أيضا. **وعمر**: فـاعل **واكله**، وهـو عمـر بـن الخطـاب رضي ا لله عنه. **ومبسملاً**: حال من **عمر**. وقوله **عن الضرر**: أي ضرر الجذام.

يعني أن من دوس بن عدثان ـ أيضا ـ معيقيب بن أبي فاطمة الدوسي حليف بني العاص بن أمية بن عبد شمس. وقد أسلم معيقيب هذا قديما بمكـة، وهـاجر منهـا إلى أرض الحبشة الهجرةَ الثانية، وأقام بها حتى قـدم علـى النـبي ﷺ بخيـبر، وشـهد بيعـة الرضوان والمشاهدَ بعدها، وكان على خاتم رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم[2].

خاتم النبي ﷺ الذي سقط في البئر

وكان هذا الخاتم المذكور قد وهبه عمرو بن سعيد ذي العمامة للنبي ﷺ ـ كمـا مر[3]ـ فلم يزل عنده حتى قبض، ثم كان عند أبي بكر ثم عمر ثم كـان بعـده عنـد عثمان حتى سقط من يده في بئر أريس في السنة السادسة من خلافتـه[4]؛ وقيـل بـل سقط من يد معيقيب في البئر المذكورة، والراجح الأول،كما قال الناظم: **وكونه من**

---

(1) جمع ركية (بوزن مطية): البئر لم تطو.

(2) يعني أنه كان أمينا عليه، وقد روى إياس بن الحارث بن معيقيب عن جـده قـال: كـان خـاتم النبي صلى ا لله عليه وسلم من حديد ملويٌ عليه فضة فربما كان في يدي.

(3) وروي أيضا أن صانع خاتمه صلى ا لله عليه وسلم هو يعلى بن منية (بضم الميم وسكون النون وفتح التحتية) وهو اسم أمه، واسم أبيه أمية، روى الدارقطني عنه قال: أنا صنعت للنبي صلـى ا لله عليـه وسلم خاتما لم يشركني فيه أحد نقش فيه "محمد رسول ا لله". [نزهة الأفكار على قرة الأبصار].

(4) وقيل في السابعة، فكان في يده ست سنين. [البدر العيني].

يد عثمان سقط..إلخ، وهو الذي في صحيح البخاري وغيره؛ فعن ابن عمر قال: "فلبس الخاتم بعد النبي ﷺ أبو بكر ثم عمر ثم عثمان حتى وقع من عثمان في بئر أريس"، وعن أنس قال: "كان خاتم النبي ﷺ في يده وفي يد أبي بكر بعد وفي يد عمر بعد أبي بكر فلما كان عثمان جلس على بئر أريس ــ قال ــ: فأخرج الخاتم فجعل يعبث به فسقط" ـ قال ـ: "فاختلفنا ثلاثة أيام مع عثمان فتنزح البئر فلم نجده"[1]. ولما سقط فيها نزحوها وأخرجوا منها أكواما من الطين فلم تزل البئر تجم، فلم يجدوه، وكان ذلك سنة ثلاثين. ومن حين سقط اختلفت كلمة المسلمين؛ وكان من أمر عثمان ما كان.. ولم يزل الخلاف إلى الآن. فكان الخاتم المذكور كالأمان للناس من الفتن، كما في الحلة السيراء وفي البدر العيني: قيل كان في خاتمه صلى الله عليه وسلم سر مما كان في خاتم سليمان عليه السلام، لأن سليمان لما فقد خاتمه ذهب ملكه، وعثمان رضي الله عنه لما فقد خاتم النبي ﷺ انتقض عليه الأمر وخرج عليه الخارجون، وكان ذلك مَبْدأَ الفتنة التي أفضت إلى قتله واتصلت إلى آخر الزمان. وفي جوامع السيرة لابن حزم: كان أثرا مباركا فذهب، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

ولما سقط الخاتم في بئر أريس جدَّد عثمان خاتما آخر ونقش عليه "محمد رسول الله" مثل ما كان في الخاتم المذكور[2]. قال في أسد الغابة: والناس يعجبون من خاتم

---

(1) أخرجهما البخاري، وقوله: فلما كان عثمان: يعني في الخلافة، وقوله: فجعل يعبث به: قال الكرماني: يعني يحركه ويدخله ويخرجه، وذلك صورته صورة العبث، وإلا فالشخص إنما يعمل ذلك عند تفكره في الأمور. وقوله: فاختلفنا ثلاثة أيام ..إلخ أي في الصدور والورود والمجيء والذهاب والتفتيش.ـ [البدر العيني].

(2) راجع البدر العيني.

سليمان بن داوود عليهما السلام وكانت المعجزة بها في الشام حسبُ[1]، وهذه الخاتم مذ عدمت اختلفت الكلمة وزال الإتفاق في جميع بلاد الإسلام من أقصى خراسان إلى آخر بلاد المغرب. وإلى ذلك أشار الناظم بقوله: **فاختلفت آراؤهم**..إلخ.

وكان معيقيب هذا قد نزل به داء الجذام، فعولج منه بالحنظل[2] بأمر من عمر بن الخطاب فتوقف ، ولم يكن في الصحابة بمجذوم غيره[3]؛ وكان عمر يجالسه ويواكله ويشرب سؤره، وربما وضع فمه على موضع فمه، ويقول: لو كان هذا البلاء بغيرك ما واكلني، ويقول إذا واكله: بسم الله ثقة بالله وتوكلا علي الله. كما في الحلة

---

(1) ذكر المفسرون في قصة خاتم سليمان بن داوود عليهما السلام حكايات كثيرةً، أكثرها من الإسرائيليات الواهية العارية من الصحة، وحاصل بعض ما يمكن ذكره من تلك القصص أن سليمان كان ذات مرة على شاطئ البحر وهو يعبث بخاتمه إذ سقط منه في البحر وكان ملكه في خاتمه، وفي رواية ـ أيضا ـ أنه كان في الشياطين مارد لا يقوى عليه شيء من الشياطين، وكان ذلك المارد يطلب خاتم سليمان فلم يزل يحتال عليه حتى ظفر به، قيل وجده تحت فراشه، وقيل عند إحدى نسائه، فأخذه فعند ذهاب ذلك الخاتم ذهب ملك سليمان، فخرج تائها وسائحا فبينما هو ذات يوم بساحل البحر يتضيف إذ أطعمه صياد سمكة فشق بطنها فوجد خاتمه فيها، وكان ذلك بعد أربعين يوما من زوال مكله، فأخذه ولبسه ورد الله عليه ملكه، وسلطانه وبهاءه وأبهته، فجاءت الطير حتى حامت عليه، فعند ذلك دانت له الإنس والجن والشياطين. وروى الطبراني في الكبير من حديث عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "كان فص خاتم سليمان بن داوود عليهما السلام سماويا فألقي إليه فأخذه فوضعه في خاتمه وكان نقشه: أنا الله لا إله إلا أنا محمد عبدي ورَسُولي". [البدر العيني].

(2) الجذام: داء كالبرص يسبب تساقط اللحم والأعضاء، وسمي بذلك لتجذم الأصابع وتقطعها، والحنظل: نبات يمتد على الأرض كالبطيخ ثمره يشبه ثمر البطيخ لكنه أصغر منه جدا، ويستعمل في الطب، ويضرب المثل بمرارته ، فيقال: "أمر من الحنظل".

(3) المجذوم، والمجذم والأجذم: المصاب بالجذام، وقد كان بأنس بن مالك رضي الله عنه وضح.

والزرقاني وغيرهما؛ وقد عقد الناظم بهذه الأبيات نَصَّ عبارتهما.

واستعمل أبو بكر وعمر رضي الله عنهما معيقيبًا هذا على بيت المال، وتوفي في آخر خلافة عثمان، وقيل بل توفي سنة أربعين في آخر خلافة علي رضي الله عنه، وله عقبٌ. وروى عن النبي ﷺ: «ويل للأعقاب من النّار»[1]، وروى عنه ابناه محمد والحارث وابن ابنه إياس بن الحارث، وأبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف.

ومن دوس - أيضا - عمرو بن حممة بن الحارث بن رافع بن ربيعة بن ثعلبة بن لؤي بن عامر بن غانم بن دهمان بن منهب بن دوس الدوسي أحد حكام العرب في الجاهلية وأحد المعمرين، قيل مات في الجاهلية؛ وقيل بل أدرك الإسلام ووفد على رسول الله ﷺ وصحب، ومما ينسب إليه:

كبِرْت وطال العمر مني كأنني ... سليم أفاع ليله غير مودع[2]

وما السقم أبلاني ولكن تتابعت ... عليَّ سنون من مصيف ومربع

ثلاث مئين من سنين كوامل ... وها أنا ذا قد أرتجي مرَّ أربع

فأصبحت بين الفخ والعُشِّ ثاويا ... إذا رام تطيارا يقال له: قَعِ[3]

أخبر أخبار القرون التي مضت ... فلا بد يوما أن أطارَ لمصرعي

لطيفة: روي عن الشعبي قال: كنّا عند ابن عبَّاس وهو في صفة زمزم يفتي الناس، إذ قام إليه أعرابي فقال: أفتيتهم فأفتنا، قال: هات، قال: ما معنى قول

---

(1) أخرجه البخاري ومسلم.

(2) السليم: اللديغ، سموه به تفاؤلا بالسلامة، جمعه سلْمَى. والمودع: الهادئ الساكن.

(3) الفخ: آلة تصاد بها الطيور والسباع. والعش (بضم المهملة وفتحها): موضع الطائر يجمعهُ من دقاق العيدان وغيرها في أفنان الشجر، فإذا كان في جبل أو جدار ونحوها فهو وكر ووكن، وإذا كان في الأرض فهو أُفْحُوصُ. وقع (بفتح القاف) أمر من وقع الطائر في الشرك إذا حصل فيه أو نزل عن طيرانه.

الشّاعر:

لذي الحلم قبل اليوم ما تقرع العصا   وما عُلِّمَ ا لإنســــان إلا ليعلما

فقال ابن عباس: ذلك عمرو بن حممة الدوسي، قضى بين العرب ثلاثمائة سنة، فكبر فألزموه السابع أو التاسع من ولده، فكان إذا غفل قرع له العصا[1] فيرجع إليه فهمه، فلما حضرتهُ الوفاة أوصاهم بوصية حسنة فيها حِكَمٌ.

وإليه أشار الحارث بن وعلة بقوله:

إن العصا قـــرعت لذي الحِلْـــم

وقال الفرزدق:

كأن العصا كانت لذي الحلم تقرع

وابنه جندب بن عمرو صحابي، وبنتــه أم عمـرو بنـت جنـدب؛ هـي أم عمـرو وأبان وعمر وخالد ومريم، بني عثمان بن عفان رضي ا لله عنه. وقد هـاجر جنـدب هذا وصحب ثم مضى إلى الشام، وكان من بـين الصحابـة الذيـن قتلـوا بأجنـادين؛ وكان قد خلف ابنته أم عمرو بنـت جنـدب عنـد عمـر بـن الخطـاب وقـال لـه: إن

---

(1) العصا: العود الذي يتخذ للتوكؤ عليه والضرب به، جمعه: عصي (بكسر العين وضمها) وأعص، وأعصاء، ومثناها: عصوان، قيل سميت عصًا لأن اليد والأصَابع تجتمع عليها، مأخوذة من "عصوت القوم" إذا جمعتهم على خير أو شر، وقد ضربت العرب فيها أمثالا كثيرة، منها "قرع له العصا": أي نبَّهه وفطّنه، و "شق العصا": أي خالف جماعته، و"انشقت عصا القوم": أي وقع الخلاف بينهم، و "رفعَ العصا": أي سار، و"ألقى المسافر عصاه": أي بلغ موضعه، و"ألقى عصا الترحال": أي أقام واستقر، و"الناس عبيد العصا": أي يهابون من آذاهم، و"قرعه بعصا الملامة": أي بالغ في عذله، و"قشر له العصا": أي أبدى له ما في ضميره، و"فلان لين العصا" و"ضعيف العصا": أي رقيق لين حسن السياسة، وفي ضده: "صُلب العصا" و"شديد العصى": أي عنيف. وغير ذلك. [المعجم الوسيط، ومنجد اللغة].

وجدت لها كفؤا فزوجها ولـو بشـراك نعلـه[1]، وإلا فأمسـكها حتـى تلحقهـا بـدار قومها؛ فكانت عند عمر تدعوه أباها إلى أن زوجها من عثمـان فولـدت لـه أولاده المذكورين.

فائدة:ورد في كثير من الأحاديث أنه كان للنبي ﷺ خاتم من فضة نقشـه "محمد رسول الله" وأنه جعله مرة في يمينه ومرة في يساره. فقـد روي عـن علـي وابـن عبَّاس وابن عمر وجابر وعبد الله بن جعفر وأبي أمامة أنه تختم في يمينـه. وعـن أنس وابن عمر أنه كان يتختم في يمينه ويجعل فصه في باطن كفـه، وعـن عائشـة أنه كان يتختم في يمينه ويقول: «اليمين أحق بالزينة مـن الشـمال»، وأنـه قبـض والخاتم في يمينه. وعن ابن عمر ـ أيضا ـ أنـه كـان يتختـم في يمينـه ثـم حولـه في يساره. وعن أنس وأبي سعيد الخدري أنه صلى الله عليه وسلم كـان يتختـم في يساره. وعن عائشة وأنس ـ أيضـا ـ أن خاتمـه صلـى الله عليـه وسـلم كـان في خنصره اليسرى. وعن أنس وابن عمر أنه كان يتختم في يسراه ويجعـل فصـه في باطن كفه. وعن جعفر بن محمد عن أبيه قال: كـان رسـول الله ﷺ وأبـو بكـر وعمر وعلي والحسن والحسين رضـي الله عنهـم كلهـم يتختمـون في اليسـار[2]. وعن أنس قال: كان لرسول الله ﷺ خاتم مـن ورق وكـان فَصـه حبشـيا ؛ وفي رواية كان خاتمه صلى الله عليه وسلم من فضة.

---

(1) الشراك: سير النعْل على ظهر القدم ، جمعه: أشرُك وشُرُك.

(2) ذهب مالك رحمه الله إلى استحباب التختم في اليسار، وكره التختم في اليمين ، وقـال: إنمـا يـأكل ويشرب ويعمل بيمينه فكيف يريد أن يأخذ باليسار ثم يعمل، واختلف في الشافعية، فقيل الأرجح عندهم التختم في اليمين، وقيل في اليسار، ومذهب الحنفية: استحباب جعلـه في خنصـر اليسـرى، وسوى الفقيه أبو الليث بين اليمين واليسار. [البدر العيني].

ولما أراد رسول الله ﷺ أن يكتب إلى ملوك الأعاجم وغيرهم ليدعوهم إلى الإسلام، وقيل له إنهم لا يقبلون الكتاب إلا مختوما؛ اتخذ خاتما من فضة، ونقش عليه "محمد رسول الله" ثلاثة أسطر: سطر "محمد" وسطر "رسول" وسطر "الله" وقال للناس: «إني اتخذت خاتما ونقشت فيه محمد رسول الله فلا ينقش أحدٌ على نقشه»، فكان يختم به الكتب إلى الملوك؛ وسبب النهي فيه هو أنه إنما اتخذه ونقش فيه ليختم به كتبه إلى الملوك، فلو نقش غيره مثله ـ ولو على سبيل التبرك ـ لأدى إلى الإلتباس وبطلان المقصود. والله سبحانه وتعالى أعلم.

ثم قال رحمه الله وعفا عنه:

جَذِيمَةُ الأَبْرَشُ مَلْكُ الْحِيرَهْ قَبْلَ بَنِي مَاءِ السَّمَاءِ الْخِيرَهْ
مُلُوكُ لَخْمٍ(*) الْمَنَاذِرُ الْبُهَمْ أَوَّلُهُمْ ذُو الطَّوْقِ عَمْرُو الْخِضَمّْ

جذيمة (بوزن سفينة): مبتدأ، **والأبرش**: صفته. **وملك** (بفتح الميم وسكون اللام): لغة في المِلِك، وهو خبر المبتدإ. **والحيرة** (بكسر الحاء المهملة): قرية قرب

(*) كانت للخميين دولتان مشهورتان بالحيرة من العراق وبإشبيلية من الأندلس، أما دولتهم بالحيرة فتعرف بدولة المناذرة لكثرة من تسمى منهم بالمنذر، وتعرف بملوك لخم، وملوك بني ماء السماء اللخميين؛ مكثت نحوا من خمسمائة سنة، وتعاقب عليها اثنان وعشرون ملكا، أولهم: ذو الطوق عمرو بن عدي اللخمي، وآخرهم: المنذر الخامس بن النعمان بن المنذر الرابع اللخمي. وانتهت هذه الدولة سنة اثني عشرة للهجرة في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه. وإلى هذه أشار بقوله: *ملوك لخم المناذر* ..إلخ.

وأما دولتهم بإشبيلية فتعرف بدولة بني عباد اللخميين من ذرية ذي الطوق عمرو بن عدي، مكثت نيفا وسبعين سنة، وتعاقب عليها أربعة ملوك، أولهم إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن قريش بن عباد اللخمي، وآخرهم المعتمد بن عباد اللخمي، وانتهت هذه الدولة سنة ثمان وثمانين وأربعمائة للهجرة. وإلى هذه أشار بقوله: *وآل عباد ملوك الأندلس* ..إلخ.

الكوفة بالقرب من نهر الفُرَات؛ قيل إن أول من حيرها بخت نصر، جعل فيها سبايا العرب فتحيروا هنالك؛ فسميت *الحيرة*. وقوله **قبل بني ماء السماء**: أي قبل استيلاء ملوك بني ماء السماء عليها، وهم المناذرة. **وماء السماء**: لقب أمهم مارية بنت عوف. **والخيرة** (بكسر الخاء المعجمة): جمع خَيِّرٍ (بوزن سيد). **وملوك لخم**: بالجر: صفة لبني ماء السماء أو بالرفع: خبر مبتدأ محذوف، أي وهم ملوك لخم. **والمناذر**: بدل من **ملوك لخم**، وهو جمع منذر؛ يعني بهم آل المنذر بن ماء السماء. **والبهم** (بضم ففتح): جمع بهمة (بضم فسكون) وهو الشجاع الذي يستبهم مأتاه على أقرانه. والضمير في **أولهم**: عائد على ملوك لخم. **والطوق**: القلادة. **وعمرو**: بَدَل من **ذو الطوق**. **والخضم** (بكسر ففتح): السيد والجواد المعطاءُ.

بعض أخبار جذيمة الأبرش

يعني أن من دوس بن عدثان أيضا جذيمة الأبرش ملك الحيرة قبل المناذرة ـ ملوك بني ماء السماء اللخميين ـ وهو جذيمة بن مالك بن فهم بن غنم بن دوس بن عدثان الدوسي الفهمي، يعرف بجذيمة الأبرش وجذيمة الوضاح؛ لأنه كانت قد أصابته حروق فبقيت فيه نقط سود وحمر، فكنَّت العرب عنه بالوضاح، والأبرش ـ عدولا عن الأبرص ـ إعظاما له. ويقال له ـ أيضا ـ منادم الفرقدين. وأبوه مالك بن فهم هو أول من ملك الحيرة، ثم ولي الملك بعده ابنه جذيمة هذا ؛ وهو أول من تملك بالعراق من العرب فساس العرب وملك على قضاعة. وقد ملك من شاطئ الفرات إلى الأنبار وما وَالَى ذلك إلى السواد[1].

(1) سواد العراق: ما بين البصرة والكوفة وما حولهما من القرى.

وكان أعز من سبقه وأول من غزا بالجيوش المنظمة وأول من عملت له المجـانيق[1] للحرب من ملوك العرب، قيل كانت مدة ملكه ستين سنة، وكان من أفضل العرب رأيا وأبعدهم مغارا وأشدهم نكايَة[2]، وكانت تفد عليه الوفود وتجبى إليه الأمـوال.

ويروى أنه هو أول من رمى بالمنجنيق وأول من أوقد الشمع[3]. وكان قـد بلغـه أن غلاما من لخم يسمى عدي بن ربيعة بن نصر مقيم في أخواله من إياد له ظَـرف ولُبٌّ[4]، وأنه يصلح لمنادمة الملـك والقيـام بمجلسـه، فبعـث إلى إيـاد أن يبعثـوه إليـه ففعلوا، فضمه إلى نفســه ؛ فكـان ينادمـه ويسـقيه. فتعشـقته[5] رقـاش أخـت الملـك جذيمة، فبعثت إليه: إذا سقيت الملِك أخـي وانتشـى[6] فـاخطبني إليـه وأشـهد عليـه؛ ففعل، فقالت لـه: عـرس بـأهلك ففعـل. فـأصبح عـدي علـى جذيمـة وهـو مضـرج بالطيب، فقال له جذيمة: ما هذا الأثر؟ فقال: آثار العرس، قـال: وأي عـرس؟ قـال: عرس رقاش! فأكب جذيمـة علـى الأرض؛ ففـرَّ عـدي، فطلبـه جذيمـة فلـم يدركـه. فأرسل جذيمة لأخته رقاش يقول:

خبريني رقاش لا تكذبيـــــني ... أبحُـــــــرٌ زنيتِ أم بهجين[7]

أم بعبـــد وأنت أهــل لعبد ... أم بدون وأنــت أهــل لدون

فأجابته بقـــولها:

---

(1) المجانق، والمجانيق: جمع مِنجنيق (بفتح الميم وكسرها) وهو آلة حربيـة كـانوا يرمـون بهـا الحجـارة، وهي كلمة يونانية معربة.

(2) المغار: بمعنى الغارة وهي النهب، والنكاية: هزيمة العدو وغلبتهم.

(3) الشمع: نوع من المصابيح.

(4) الظرف: الكياسة والحِذق والبَراعَة. واللب: العقل الخالص من الشوائب، أو ما ذكى منه.

(5) تعشقه: أحبه أشد الحب، والعشق: إفراط الحب يكون في عفاف، وفي دعارة.

(6) انتشى: سكر.

(7) الهجين: الذي أبوه عربي وأمه أعجمية أو أمة غير محصَنة.

أنت زوجتني وما كنت أدري وأتتني النســـــاء للتزيـــين

ذاك من شربـــك المدامة صرفا وتماديك في الصبا والمجـــــون

فحبسَها جذيمة في قصر له، وكانت قد حملت من عدي فولـدت غلامًا سمته عمـرا وربته حتى شب وترعرع، فألبسته كسوة لم ير مثلها وحلته وعطرته، ثـم أزارتـه خاله جذيمةَ فأعجبه وألقيت عليه محبته. ثم خرج جذيمة في سنة قد أكمأت، فبسـط له بسطُهُ في روضة[1]؛ وكان قد خرج بعمــرو هـذا وأغلمـة معــه يجتنـون الكمـأة، فكانوا إذا أصابوا كمأة طيبـة أكلوهـا وإذا أصابهـا عَمـرو خبأهـا لخالـه، ثـم أقبلـوا يتعادون وعمرو يقدمهم ويقول:

هذا جناي وخياره فيـه إذ كل جـان يده إلى فيه

فالتزمه جذيمة وحل عنده بمكان.

ثم إن الجن اختطفت عمرا هذا، فطلبه جذيمة زمانا وأرسل فيـه إلى الآفـاق فلـم يوجد له خبر. فبينما مالك وعقيل ابنا فالج بن كعب بن القين بن جسر بن قضاعـة، وهما متوجهان إلى جذيمـة ومعهمـا قينـة تغنيهمـا وتطعمهمـا وتسقيهما تُسمَّى أمَّ عمرو وقدْ نزلا منزلا، إذ جاءهما عمرو بن عدي هذا فرمت له الجارية بكـراع مـن طعامهما فلم يرض ومدَّ يده، فقـالت: "أعـط العبـد الكـراع فيطمـع في الـذراع" ـ فأرسلتها مثلاً ـ فناولتهما الشراب وأوكأت زِقّها، و لم تناول عمرا شيئا؛ فقال:

صـددت الكأس عنا أم عمرو وكان الكأس مجـــراها اليمينا

وما شـــر الثلاثة أم عمـرو بصاحبـــــك الذي لا تعلمينا

---

(1) أكمأت: كثر فيها الكمء وهو نبات يعيش تحت الأرض يميل إلى الغبرة، يطبخ فيهيأ منه طعام لذيذ. والبسط: جمع بساط وهو ضرب من الطنافس. والروضة: الأرض المخضرة بأنواع النبات، جمعهـا: روض، ورياض.

فما شرب الشراب كمثل عمرو وما نال المكـــــارم فاصبحينا

فإن تك تنكـري عمرا فإني أنا ابن عدي حقًّا فاعـــــرفينا

وخالي ـ لا أبا لك ـ ذو المعالي جذيمـة كيف ـ ويحك ـ تنكرينا؟

فقالا له: من أنت يا فتى؟ قال: أنا عمرو بن عـدي. فضمـاه إليهمـا وألبسـاه بعـض الثياب التي كانت عندهما، وقالا ما كنا لنهدي إلى الملك أنفس من ابـن أختـه. ثـم قدما به على جذيمة فسر به سرورا شديدا وقال لهما: تمنيا، فسألاه أن يكونـا نديميـه ما عاش وعاشا، فنادماه أربعين سنة؛ فهما نديمـا جذيمـة المشـهوران اللـذان يضـرب المثل بهما في الملازمة، وإليهما يشير متمم بن نويرة بقوله:

وكنا كندمانيْ جذيمـــة حقبة من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

وكان جذيمة لا ينادم أحدا، كـبرا وزهـوا، ويقـول أنـا أعظـم مـن أن أنـادم إلا الفرقدين!. ويقال إنهما نادماه أربعين سنة يحدثانه، فما أعادَا عليه حديثا.

وعمدت رقاش إلى ابنهـا عمـرو وأدخلتـه الحمـام وألبسـته مـن طرائـف الثيـاب وجعلت في عنقه طوقا من ذهب وأمرته بزيارة خاله جذيمة، فلما رآه في تلك الحـال قال: "شب عمرو عن الطوق" فأرسلها مثلا. وأقام عمرو بن عدي مع خاله جذيمـة يوليه بعض أموره ويخلفه في بعض شؤونه.

وقد كان مُلْكُ العرب بأرض الجزيرة ومشارف الشام في زمن جذيمة هذا لعمرو بن الظرب بن حسان بن أذينة من العمالقة، وهو والد الزباء بنت عمـرو المشـهورة؛ فطمع جذيمة في امتلاك تلـك الجزيـرة فغزاهـا وحـارب ملكهـا عمـرو بـن الظـرب، فوقعت بينهما حروبٌ مات فيها عمرو بن الظرب وهزمت جيوشه وانتُهبـتْ بـلاده وعاد جذيمة سالما ظافرا. ثم ملكت بعد عمرو بن الظرب هذا ابنته الزبـاء ـ واسمهـا نائلة ولقبت الزباء لكثرة شعرها ـ فجمعت جيوشا وغزت بها مَن حولها من الملـوك فذللتهم، فضرب بها المثل فقيل "أعز من الزباء". فلما استحكم ملكهـا أرادت غـزو

جذيمة لتدرك منه ثأر أبيها، فنهاها بعض خواصها وقالوا: لا طاقة لك به، ولكن اعملي له بالمكر والحيل ؛ فتركت غزوه وكتبت إليه تدعوه إلى نفسها ليتزوج بها وتضيف ملكها إلى ملكه فيصير بذلك أعز الملوك، وقالت ـ فيما كتبت له به ـ إنها لم تجد ملك النساء إلا قبحا في السما وضعفا في السلطان، وإنها لم تجد لنفسها وَلا لملكها كفؤا غيره. فلما انتهى إليه كتابها استخفه ما دعته إليه ورغب فيما أطمعته فيه، وكانت أجمل نساء عصرها ؛ وكان قد بلغه من جمالها ما أطمعه في الظفر بها. فجمع ثقات دولته وعرض عليهم ما دعته إليه واستشارهم، فأجمع رأيهم على أن يسير إليها ويستولي على ملكها، إلا رجلا من مستشاريه اسمه قصير بن سعد بن عمرو من لخم ـ وكان أريبا حازما أثيرا عند جذيمة[1]ـ قال له: هذا رأي فاتر وغدر حاضر ؛ ثم قال لجذيمة: الرأي أن تكتب لها كتابا، فإن كانت صادقة فلتقبل إليك وإلا فلا تمكنها من نفسك وقد وترتها وقتلت أباها. فأبى جذيمة ما أشار إليه به قصير، ودعا ابن أخته عمرو بن عدي اللخمي واستخلفه على ملكه، وجعل عمرو بن عبد الجن التنوخي معه على جنوده وخيوله.

وسار جذيمة في جمع قليل من جيوشه ووجوه أصحابه، فلما كان في أثناء الطريق استقبلته رسُل الزباء بالهدايا والألطاف، ثم تلقته الكتائب وأحاطت به، فأدخلوه على الزباء في القصر ؛ فأمرتْ بِنِطْع فأجلسته عليه، وأمرت بقطع رواهشه[2] فقطعت ومات جذيمة.

---

(1) الأريب: العاقل الماهر البصير، والحازم: الذي يضبط أموره ويحكمها ويأخذ فيها بالثقة، والأثير: المفضل على غيره والمكرَّم المكين.

(2) النطع: بساط من جلد يقتل فوقه المحكوم عليه بالقتل، يقال علي بالسيف والنطع. والرواهش: عروق باطن الذارع أو ظاهر الكف، واحدها: راهش وراهشة، والراهشان: عرقان في باطن الذراعين.

ولما رأى قصير ما فعلت الكتائب بجذيمة ركب فرسا مشهورة لجذيمة اسمها العصا، لا تبارى ولا يشق لها غبار[1] ونجا عليها، فلما نظر إليه جذيمة موليا على متنها ينقطع دونها السراب، قال: "ما ذل من جرت به العصا"، فذهبت مثلاً. فلحق بالعمرين بالحيرة، وقال لعمرو بن عبد الجن - أمير الجنود - اطلب بدم الملك وإلا سبتك العرب. فلم يفعل، وأيس منه قصير؛ ثم مشى إلى عمرو بن عدي وقال له: هل لك في أن أصرف إليك الجنود على أن تطلب بثأر خالك بقتل الزباء؟ فقال: كيف وهي أمنع من عقاب الجو؟ - فسارت مثلا - (ويقال إن الزباء كانت من أحزم الناس).

حيلة قصير لقتل الزباء

فاستهوى قصير قادة الجنود بالمال حتى انصرفوا إلى عمرو بن عدي وانقادوا له حتى انقاد له عمرو بن عبد الجن نفسه، و لم يزل قصير بعمرو بن عدي حتى أقنعه بطلب ثأر خاله ؛ فأراد عمرو أن يعمل الحيلة في قتل الزباء، فأرسل قصيرا إليها ليطلع له على أمورها ؛ فجدع قصير أنفه وضرب ظهره، وخرج كانه هارب من عمرو إلى الزباء، فقالت العرب: *لأمر ما جدع قصير أنفه*، فسارت مثلا.

فلحق قصير بالزباء حتى وقف ببابها، فأعلموها بمحله وأدخلوه عليها ؛ فقالت له: ما الذي أرى بك يا قصير؟ قال: زعم عمرو بن عدي أني قد غررت خاله جذيمة وزينت إليه المسير إليك ومالأتك عليه، ففعل بي ما ترين، فأقبلت إليك وعرفت أني لا أكون مع أحد أثقل عليه منك. فأكرمته وأصابت عنده بعض ما أرادت من الرأي والحزم والتجربة والمعرفة بأمور الملك.

فلما عرف أنها وثقت به قال لها: إن لي بالعراق أموالا كثيرة وطرائف وثيابا

---

(1) يقال: طلب فلانا فما شق غباره: أي لم يدركه.

فابعثيني لأحملها إليك. فسرحته وجهزت معه عيرا، فسار حتى دخل العراق متنكرا، فدخل على عمرو بن عدي فأخبره الخبر، وقال: جَهِّزني بصنوف البز والأمتعة لعل الله يمكنك من الزباء فتصيب ثأرك وتقتل عدوك؛ فأعطاه حاجته وخاصة ما كان يعجبها من بضائع العراق. ورجع قصير إلى الزباء بما معه من الطرائف فعرضه عليها، فأعجبها ما رأت وسرها، وازدادت ثقة. فجهزته ثانية بأكثر مما جهزته في الأولى، فسار حتى قدم العراق؛ فلم يدع طرفة ولا متاعا قدر عليه إلا وساقه إليها. ثم عاد الثالثة فأخبر عمراً الخبر، وقال له: اجمع لي ثقات أصحابك وجندك وهيئ لي الغرائر والمسوح[1]؛ ثم جعل الرجال بأسلحتها في الغرائر وجعل معقد رؤوسها من داخل، وحمل على كل بعير رجلين في غرارتين.

وكان للزباء نفق في الأرض تدخله إذا هاجمها أمر؛ ثم قال قصير لعمرو: إذا دخلنا مدينتها قم على باب نفقها لتقتلها. فساروا إليها، فكانوا يسيرون الليل ويكمنون النهار. وكانت الزباء تتطلع إلى أخبار قصير، فسمعت أنه قد أخذ طريق الغوير (وهو ماء معروف لبني كلب) فقالت: عسى *الغوير أبؤسا*، فذهبت مثلا.

فلما قرب قصير من مدينة الزباء تقدم إليها فأعلمها بكثرة ما حمل إليها من المتاع والطرائف، وطلب منها أن تخرج لتنظر ما جاء به فخرجت، فلما أبصرت الإبل تكاد قوائمها تسيخ في الأرض من ثقل أحمالها قالت: يا قصير:

ما للجِمال مشيها وئيدا ... أجندلا يحملن أم حديدا؟

أم صرفانا باردا شديدا؟ ... أم الرجال جثما قعودا؟![2]

---

(1) الغرائر: جمع غرارة وهي: العدل من صوف أو شعر، وهي أكبر من الجواليق. والمسوح: جمع مِسح: الكساء من شعر.

(2) وئيدا: أي على تؤدة وتمهل. والجندل: الصخر العظيم (واحدته جندلة وجمعه جنادل). والصرفان: النحاس والرصاص، والصرفان - أيضا - الموت. والجثم: (جمع جاثم) وهو المتلبد بالأرض اللاصق.

ثم دخلت الإبل المدينة؛ فلما توسطتها وأنيخت، دل قصير عمرا على باب النفق وخرجت الرجال من الغرائر، وصاحوا بأهل المدينة ووضعوا فيهم السلاح، وقام عمرو على باب النفق، فأقبلت الزباء تريده؛ فلما أبصرت عمرا عرفته ـ وكانت قد رأت صورته ـ فمصَّت خَاتما لها مسمومًا وقالت: *بيدي لا بيد عمرو،* وأرسلتها مثلا ؛ فتلقاها عمرو بن عدي وجللها بالسيف فماتت. واستباح عمرو بلادها، وخلف فيها خيلا ورجع هو وقصير بالغنائم.

تملك عمرو بن عدي وبدء ملك المناذرة

ولما مات جذيمة الأبرش وقتل عمرو بن عدي الزباء خلص الملك لابن أخت جذيمة وهو عمرو (ذو الطوق) بن عدي بن ربيعة بن نصر بن مالك بن معمم بن نمارة بن لخم اللخمي. فكان له الملك على الحيرة والعراق، وعظم أمره وهابته الملوك لما علموا من حيلته في طلبه بثأر خاله وقتله الزباء التي كانت من أحزم وأعز ملوك عصرها؛ ومكث عمرو في الملك نيفا وستين سنة؛ ثم توارث الملك بَعْده بنوه، وعرفوا بملوك لخم ـ نسبَة إلى جدهم لخم ـ وبالمناذرة (وهو جمع منذر) لكثرة من تسمى منهم بهذا الاسم، مثل المنذر بن النعمان بن امرئ القيس بن عمرو ذي الطوق؛ وهو أول المناذرة، وكان قد تولى الملك بعد أبيه وبنى دير حنة بالحيرة. والمنذر الثاني ابن المنذر الأول بن امرئ القيس بن عمرو، تولى الملك بعد أخيه الأسود بن المنذر، وأقرته الفرس (وكانت الحيرة تابعة للفرس). والمنذر الثالث ابن امرئ القيس بن النعمان بن الأسود بن ماء السماء، كان يلقب ذا القرنين ـ بضفيرتين له ـ وكان من أرفع المناذرة شأنا وأشدهم بأسا وأكثرهم أخبارا، انتهى إليه ملك الحيرة بعد أبيه وأقره كسرى، وبني قصر الزوراء بالحيرة؛ ووقعت بينه وبين الحارث بن أبي شمر الغساني حروب مات فيها. والمنذر الرابع ابن المنذر بن امرئ القيس بن النعمان بن الأسود، تولى الملك بعد أخيه قابوس. والمنذر الخامس ابن

النعمان بن المنذر (الرابع) بن المنذر (الثالث) بن امرئ القيس بن النعمان بن الأسود، وكان آخر المناذرة أصحاب الحيرة ؛ قتل في الفتوحات الإسلامية، قيل يوْم جؤاثى بالبحرين، وقيل مع مسيلمة الكذاب؛ وبموته انقرضت دولة اللخميين بالحيرة، قيل كان ذلك سنة اثنتي عشرة للهجرة.

ومن ملوك لخم بالحيرة: امرؤ القيس بن عمرو ذي الطوق، تولى بعد أبيه عمرو. ومنهم النعمان الأول ابن امرئ القيس بن عمرو، تولى بعد أبيه، وكان شجاعا كثير الغارات داهية رفيع الذكر؛ وكان له جيش مكون من كتيبتين إحداهما من رجال الفرس تسمى "الشهباء"، والأخرى من تنوخ وتسمى "دوسر"[1]، وكان يغزو بهما من لا يدين له من العرب ؛ وكان حازما صارما كثير الأموال والرقيق، وهو باني القصرين المشهورين: الخورنق والسدير[2] ؛ يعرف "بفارس حليمة" وبـ"الأعور السائح". ملك نحو ثلاثين سنة، ثم

---

(1) سميت بذلك: اشتقاقا من الدسر وهو الطعن وكانت هي أخشن كتائبه ، وفي المثل: "أبطش من دوسر".

(2) اللذين يعنيهما أعشى بني قيس بن ثعلبة (أو الأسود بن يعفر النهشلي) بقوله:

بين الخورنق والسدير وبارق والبيت ذي الشرفات من سنداد

ويقول عدي بن سالم المري في الخورنق من قصيدة له:

وتذكر رب الخورنق إذ أشرف يوما وللهدى تفكير ..إلخ.

والخورنق: قصر بناه النعمان هذا لسابور ليكون ولده فيه عنده وبناه بنيانا عجيبا لم تعرف العرب مثله، واسم الذي بناه: سنمار ، وَلَمَّا تم بناؤه عجب الناس من حسنه فقال سنمار: أما والله لو شئت حين بنيته لجعلته يدور مع الشمس حيث دارت ـ وكان بناه في عشرين سنة ـ فقال له النعمان: إنك لتحسن أن تبني أجمل من هذا؟! وخاف أن يبني لغيره مثله، وأمر به فطرح من أعلاه فمات، فقالت العرب: "جزاء سنمار"، وفي ذلك يقول الشاعر:

جزاني ـ جزاه الله شر جزائه ـ جزاء سنمار وما كان ذا ذنب

<<=

زهد عند اكتهاله فتخلى عن الملك وانصرف سائحا في البلاد فانقطع خبره.

ومنهم النعمان الثاني ابن الأسود بن المنذر بن امرئ القيس بن عمرو اللخمي. ولي الملك بالحيرة بعد عمه المنذر الثاني، واستنصر به ملك الفرس على فتح مدينة الرها، فانصرف إليها بجيش من العرب ومات على أبوابها محاصرا لها.

ومنهم النعمان الثالث ابن المنذر الرابع ابن المنذر بن امرئ القيس، يعرف بأبي قابوس. ورث ملك الحيرة عن أبيه فأقره كسرى عليها؛ وكان من أشهر ملوك الحيرة دَاهية مقداما، وهو ممدوح النابغة الذبياني وغيره؛ واستمر ملكه إلى أن نقم عليه كسرى أمرا فعزله، فقيل سجنه وقيل ألقاه تحت أرجل الخيل فوطئته حتى هلك[1]. وقد روي أن فترة ملوك لخم بالحيرة نحو خمسمائة سنة وأن عدد ملوكهم بلغ اثنين وعشرين ملكا، أولهم عمرو بن عدي.

وقد أشار الناظم إلى هذا بقوله: **ملوك لخم المناذر**.. إلخ. **وماء السماء**: لقب ماوية بنت عوف بن جشم بن النمر بن قاسط، وهي أم المنذر بن امرئ القيس بن

>>---

سوى رضفه البنيان عشرين حجة	**يعد عليه بالقرامد والسكب**
فلما انتهى البنيان يوما تمامه	**وآض كمثل الطود والباذخ الصعب**
رمى بسنمار على حق رأسه	**وذاك لعمر الله من أقبح الخطب**

(1) راجع تاريخ الزركلي لخير الدين. وفي النعمان هذا يقول الشّاعر:

هو المنزل النعمان بيتا سماؤه	**نحور الفيول بعد بيت مسردق**

ويقول فيه زهير المزني:

ألم تر للنعمان كان بنجوة	**من الشر لو أن امرأ كان ناجيا**
فغير منه ملك عشرين حجة	**من الدهر يوم واحد كان غاويا**
فلم أر مسلوبا له مثل ملكه	**أقل صديقا باذلا ومواسيا** ..إلخ

النعمان بن امرئ القيس (المحرق)[1] بن عمرو بـن عـدي، لقبت بـه لجمالها فعـرف ولدها ببني *ماء السماء*. وفيهم يقول زهير بن حبان:

ولازمت الملوك من آل نصر　　وبعدهـــــمُ بنو ماء السماء

وقد اختلف في نسب المناذرة هؤلاء، فقيل من لخم (وهو المشـهور) وعليـه درج الناظم، وقيل هم من ذرية قنص بن معد بن عدنان، وقد نسبهم إليه جبير بن مطعـم حين سأله عمر رضي الله عنهما عن نسب النعمان بن المنذر.

وكانت لغة المناذرة عربية وبلاطهم يشبه بـــلاط الفـرس، ولهـم فضـل كبـير في تعليم الخط العربي، وكانوا يدينون بالوثنية ثـم اعتنقـوا النصرانيـة، وبنـوا كثـيرا مـن البيَع وأقاموا القصور والحدائق، واشتهرت الحيرة ـ مقرهم ـ بطيب هوائها. وقد ظل المناذرة يحكمونها إلى أن تم استيلاء المسلمين عليها في عهد أبي بكر الصديـق رضـي الله عنه ـ كما مرَّ قريبًا.

ثم أشار إلى دولتهم بالأندلس، فقال رحمه الله وعفا عنه:

وَآلُ عَبَّـادٍ مُلُوكُ الأُنْـدُلُسْ　　مِنْ نَسْلِ ذِي الطَّوْقِ وَغَالَهَا النَّدُسْ
يُوسُفُ الْعَـدْلُ ابْنُ تَاشِفِينَا　　الْحِمْيَـرِيُّ ثُمَّ مِنْ لَمْتُـونَا

آل عباد: مبتدأ، (**وعباد**: بفتح العين وتشديد الموحـدة بـوزن كتّـان). **وملوك الأندلس**: صفة لآل عباد، **والأندلس** (بفتح الهمزة والدال وضمهما، واللام مضموم ـ على كل ـ): هو الإقليم المعروف، وسمي بأول من خَطَّه وعَمَره، وهو أندلسُ بـنُ

(1) وقيل المحرق لقب لابنه: عمرو بن المنذر، ويعرف بعمرو بن هند، عرف ـ أيضا ـ بامـه هنـد بنت الحارث آكل المرار الكندي، ولقب محرقا: لأنه حرق مدينة يقال لهـا: ملهـم حـول اليمامـة، وقيـل لأنه حرق مائة من بني تميم.

يافث بنِ نوح. وقوله **من نسل ذي الطوق**: خبر المبتدإ، **وذو الطوق**: عمرو بن عدي ـ المتقدم. **وغالها**: أهلكها، والضمير فيه عائد على ملوك الأندلس من بني عباد. **والندس** (كعضد وكتف): الفطن الكيس، وهو فاعل **غالها**. **ويوسف**: بدل من **الندس**. **والعدل** وما بعده: أوصاف ليوسف. **والحميري**: نسبة إلى قبيلة حمير بن سبأ. **ولمتونة**: قبيلة مشهورة من قبائل صنهاجة، يعود نسبها إلى قبيلة حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان.

يعني أن بني عبَّاد ملوكَ إشبيلية وما والاها من الأندلس هم من ذرية ذي الطوق عمرو بن عدي اللخمي، وأن ملك إشبيلية لم يزل بأيديهم حتى انتزعه منهم أمير المسلمين يوسف بن تاشفين بن إبراهيم الحميري ثم اللمتوني سنة أربع وثمانين وأربعمائة للهجرة.

دولة اللخميين بالأندلس

وآل عباد هم الملوك اللخميون بإشبيلية من الإقليم الأندلسي، وأول من دَخل الأندلس من أسلافهم نعيمٌ اللخمي من نسل النعمان بن المنذر ملك الحيرة وابنه عطاف بنُ نعيم، وأول زعماء الدولة العبادية بإشبيلية أبو الوليد إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن قريش بن عباد اللخمي، من بني عطاف بن نعيم اللخمي.

وكان إسماعيل بن محمد هذا ـ في بدء أمره ـ من حرس الخليفة هشام بن الحكم بن عبد الرحمن الناصر الأموي بقرطبة، ثم عرف بالفضل والصلاح، فولاه هشام إمامة مسجده بها؛ ثم قدمه المنصور بن أبي عامر فتولى القضاء بإشبيلية، وأضيفت إليه الأمانة، فلقب بذي الوزارتين؛ ثم اضطرب أمر الأمويين في الأندلس فنهض بأعباء إشبيلية مستقلا، وضعف بصره فولى ولده أبا القاسم محمدَ بن إسماعيل القضاءَ واقتصر هو على شياخة البلد والنظر في الأمور السلطانية. وكان آية في العلم

والمعرفة والأدب والحكمة، وحمى مدينة إشبيلية من سطوة المعتدين بالتدبير الصحيح والرأي الراجح، إلى أن توفي سنة أربعمائة وأربع عشرة للهجرة.

ثم تولى بعده ابنه أبو القاسم محمد بن إسماعيل، وكان أول أمره قاضيا بإشبيلية، وعرف بالقاضي ابن عباد. وكان عاقلا مهيبا كريم اليد بارعا في العلم والأدب، وكان يشارك الشعراء والبلغاء في صنعة الشعر وحوك الرسائل، وكان ذا معرفة فائقة بتدبير الدول. وقد أصبح من مؤسسي الدولة العبادية في إشبيلية من الأندلس، وتوفي ـ رحمه الله ـ سنة أربعمائة وثلاث وثلاثين هجرية. ثم تولى بعده ابنه أبو عمرو الملقب بالمعتضد بالله عبَّاد بن محمد بن إسماعيل، وكان غاية في كمال الخلق وجمال الصورة وفخامة الهيأة وثقابة الذهن وحضور الخاطر، وكان جوادا سخيا. وكان قبل طلب السلطان قد مال إلى الأدب فحصل منه على حظ كبير، فكان يقول الشعر ويطرب له؛ وازدهر الأدب في عصره وجمع له ديوان. وكان في أيام أبيه يقود جيشه لقتال بني الأفطس وغيرهم؛ وكان شجاعا حازما، ينعت بأسد الملوك، طمح إلى الاستيلاء على جزيرة الأندلس فدان له أكثر ملوكها واستولى على غربيها وولى عليها العمال وطالت مدته. وتوفي بإشبيلية بالذبحة الصدرية[1] سنة اربعمائة وإحدى وستين للهجرة. وفيه يقول محمد بن عمار الأندلسي:

ملك إذا ازدحم الملوك بمورد ... ونحاه لا يردون حتى يصدرا

اندى على الأكباد من قطر الندى ... وألذ في الأجفان من سنة الكرى

قداح زند المجد لا ينفك من ... نار الوغى إلا إلى نار القرى

ثم تولى بعده ابنه أبو القاسم الملقب بالمعتمد على الله محمد بن عباد بن محمد بن

---

(1) الذبحة (بضم المعجمة وكسرها مع سكون الموحدة وفتحها) وجع في الحلق كأنه يذبح، وضيق بالصدر مع إحساس بالاختناق وبالاشراف على الموت.

إسماعيل، كان أحد أفراد الدهر شجاعة وحزما وضَبطا للأمور، ولي إشبيلية بعد أبيه وامتلك قرطبة وكثيرا من المملكة الأندلسية، واتسع سلطانه إلى أن بلغ مدينة مرسية، وكانت تعرف بتدمير. وأصبح محط الرحال، يقصده العلماء والشعراء والأمراء. يروى أنه لم يجتمع بباب أحد من ملوك عصره ما كان يجتمع عند بابه من أعيان الأدب، وكان فصيحا شاعرا وكاتبا له ديوان شعر؛ ومن شعره:

أكثرت هجرك غير أنك ربما عطفتك أحيانا إلى أمور

فكأنما زمن التهاجر بيننا ليل وساعات الوصال بدور

وكتب إلى ندمائه بقصره بقرطبة وقد أصبحوا بالزهراء، وهي من عجائب أبْنية الدنيا ـ بناها الأمويون بالقرب من قرطبة ـ كتب إليهم:

حسد القصر فيكم الزهراءَ ولعمري وعمركم ما أساءَ

قد طلعتم بها شموسا نهارا فاطلعوا عندنا بدورا مساءَ

ولم يزل المعتمد بن عباد هذا في صفاء ودعة إلى سنة ثمان وسبعين وأربعمائة، حيث استولى الروم على طليطلة (مملكة بني ذي النون) وكان ملوك الطوائف ـ وعلى رأسهم المعتمد بن عباد هذا ـ يؤدون ضريبة سنوية لملك الروم، فلما استولوا على طليطلة ردوا على المعتمد ضريبته وأرسلوا إليه يهددونه ويدعونه إلى النزول لهم عما في يده من الحصون، وإلا فعلوا به مثل ما فعلوا بملك طليطلة، فكتب المعتمد إلى ملوك الأندلس يستثير عزائمهم ويستنهض هممهم، وكتب إلى يوسف بن تاشفين بمرَاكُش يستنجده.

ضعف ملوك الأندلس واستنجادهم بالمرابطين

وحاصل ذلك أنه بينما كان ملوك الطوائف في مثل تلك الحال من الفرقة والانقسام، توحد بعض دول النصارى في الشمال، وأخذوا يقومون بغارات على المناطق الإسلامية في مختلف نواحي الأندلس، منتهزين حالة التفرق والانقسام في

ملوك الطوائف. فأثار سقوط طليطلة في أيدي النصارى الذعر في نفوس عدد من هؤلاء الملوك وعامة المسلمين، وكانت شهرة يوسف بن تاشفين ـ كمجاهد وبطل عظيم ـ قد وصلت إلى الأندلس، فاتفقت كلمة بعض هؤلاء الملوك وخاصة مملكة بني عباد بإشبيلية ومملكة غرناطة وبلنسية وغيرهم، على الاستنجاد بهذا المجاهد الكبير.

ومن الجدير بالذكر ـ في هذه المناسبة ـ أنه عندما أبدى بعض الزعماء أو الأمراء مخاوفهم من استيلاء يوسف بن تاشفين على الأندلس رد عليه المعتمد بن عباد هذا بكلمته التي صارت مثلا: "رعي الجمال خير عندي من رعي الخنازير"، ومعناها أنه كان متأكدا من سقوط إشبيلية في أيدي النصارى، وأنه يفضل أن يكون راعي جمال في المغرب ـ في حال إستيلاء المرابطين عليها ـ على أن يكون راعي الخنازير بعد سقوطها في أيدي النصارى الذين طالبوه بتسليمها إليهم وإلا فسيكون مصيره مصير صاحب طليطلة.

ثم أرسل ملوك تلك الطوائف وفدا من قضاة قرطبة وفقهائها إلى يوسف بن تاشفين يستنجدونه، ثم جاء المعتمد بن عباد نفسه مستنجدا. فقرر يوسف الذهاب بنفسه لمساعدتهم ـ قياما بالواجب الإسلامي ـ وسار إليهم بجيوش عظيمة، وكسب معركة الزلاقة المشهورة وغيرها، فانتصر انتصارا عظيما وانهزم الروم وقتل أكثر عساكرهم، وثبت المعتمد في ذلك اليوم ثباتا عظيما وشهد له بالشجاعة، وغنم المسلمون سلاح ودواب عدوهم وكثيرا من الذخائر، ورجع يوسف إلى بلاده.

وحاصل سبب استيلاء يوسف بن تاشفين على مملكة آل عباد الإشبيليين، الذي أشار إليه الناظم، أنه بعد سقوط الدولة الأموية في الأندلس وتمزق وحدته، قام ملوك الطوائف بإنشاء دويلات عددها نحو عشرين دولة بين كبيرة وصغيرة؛ وقد أشار أحد شعراء الأندلس إلى حقيقتها متهكما فقال:

وتفرقوا شيعا فكل محلة فيها أمير المؤمنين ومنبر

وكان من تلك الطوائف مملكة بني حمود في قرطبة ومملكة بني ذي النون في طليطلة ومملكة بني عباد في إشبيلية (وكانت هي أكبر هذه الدويلات).. إلى آخر ما هناك من تلك الإمارت أو الممالك، فتناسى هؤلاء الملوك رابطة الأخوة الإسلامية في علاقاتهم، بل ناصب كل منهم العداء للآخر!.

فلما رأى يوسف بن تاشفين تفرق كلمتهم ومؤامرات بعضهم ضد بعض واتصالاتهم السرية بالنصارى، واستنجادهم بهم لحماية عروشهم المتداعية.. أدرك أن هذا الوضع السيئ سوف يمهد لاستيلاء النصارى على جميع الأندلس، فاتخذ قراره الحاسم بإزالة ملوك الطوائف، وتوحيد الأندلس مع المغرب. وفي تلك الآونة تلقى فتاوى من فقهاء الأندلس والمغرب، وبعض أئمة المشرق يلحون عليه بضرورة خلع ملوك الطوائف بالأندلس، وتدارك الأمر لنصرة الإسلام فيه. فتوجه إليهم بجنود عظيمة، ولم يزل يواصل جهادهم وحصارهم حتى تم فيما بين سنتي 484 و488 هـ إخضاع معظم ملوك الطوائف، وضم ممالكهم إلى الدولة المرابطية؛ مثل مmكلة آل عباد المذكورة، ومماليك قرطبة وبلنسية والمرية، وغيرها.

وهكذا انتهى حكم ملوك الطوائف في الأندلس وتم توحيدها في دولة المرابطين القوية، وبذلك أنقذت الأندلس من الإنهيار والسقوط في أيدي النصارى، فكان ذلك أكبر إنجاز تم على يد أمير المسلمين يوسف، وكان من نتائجه استمرار الإسلام في الأندلس لأربعة قرون أخرى.

ولما جاء جيش يوسف إلى إشبيلية تلقاهُ المعتمد بن عباد بجيشه فأظهر لهم الشجاعة والمصابرة، فحاصروه حتى استولى الفزع على أهلها، وتفرقت جموع

المعتمد، وقتل ولداه المامون والراضي، وفت في عضده[1] فأدركته الخيل فدخل القصر مستسلما للأسر، فحمل مقيدا مع أهله على سفينة حتى أدخل على يوسف بن تاشفين في مراكش؛ فأمر بإرساله هو ومن معه إلى أغمات[2]، فحبس بها إلى أن مات سنة ثمان وثمانين وأربعمائة ؛ فكان آخر ملوك بني عباد بإشبيلية والأندلس.

ويروى أنه دخلت عليه بناته يوما وهو في السجن وكان ذلك يوم عيد، وكن يغزلن للناس بالأجرة في أغمات، فرآهن في أطمار رثة[3] وحال سيئة، فصدعن قلبه فقال:

فيما مضى كنت بالأعياد مسرورا　　فساءك العيد في أغمات ماسورا

ترى بناتك في الأطمار جائعة　　يغزلن للناس ما يملكن قطميرا[4]

يدرن حولك للتسليم خاشعة　　أبصارهن حسيرات مكاسيرا[5]

يطأن في الطين والأقدام حافية　　كأنها لم تطأ مسكا وكافورا[6]

وكان دهرك مامورا فتامره　　فردك الدهر منهيا ومامورا

من بات بعدك في ملكٍ يسرُّ به　　فإنما بات بالأحلام مغرورا

وفي اعتقال ابن عباد ـ بأغمات ـ هذا يقول ابن اللبانة:

لكل شيء من الأشياء ميقات　　وللمنى من مناياهن أوقات

انفض يديك من الدنيا وساكنها　　فالأرض قد اقفرت والناس قد ماتوا

---

(1) أي كسرت قوته وفرق عنه أعوانه.

(2) أغمات: بلدة في المغرب جنوبي مراكش، كانت قاعدة البلاد قبل تأسيس مراكش، فيها مياه غزيرة وبساتين كثيرة.

(3) الأطمار: جمع طمر (بكسر الطاء): للثوب الخَلَق، والرث (بفتح المهملة وتشديد المثلثة): البالي.

(4) القطيمر (بالكسر): شق النواة أو القشرة التي فيها أو القشرة الرقيقة بين النواة والتمرة أو النكتة البيضاء في ظهرها ـ [القاموس].

(5) حَسَر البصر يحسِر: كلَّ وانقطع من طول مدىً فهو حسير، وحَسِر عليه حَسْرَة: تلهف فهو حسير أيضا. وكسر من طرفه: غض.

(6) المسك والكافور: نوعان من الطيب.

وقل لعالمها بالأرض قد كتمت سريـــرة العالَم العلوي أغمات

(من قصيدة طويلة)

وفي المعتمد هذا وبنيه: الرشيد والراضي والمأمون والمؤتمن يقول أحد الشعراء:

يغيثك في محــــل يعينك في رَدًى يروعك في درع يـــروقك في برد

جمال واجمال وسيـــف وصـــولة كشمس الضحى كالمزن كالبرق كالرعد

ببهجتــه زاد العلى ثـــم زادها بناء بأبنـــاءِ جَحَاجِحَـــةٍ لُدٍّ

بأربعـــة مثـــل الطباع تركبوا لتعديل جسم المجـــد والشرف العد

وفي ملوك بني عباد هؤلاء يقول أحد الشعراء:

من بني المنـذرين وهو انتساب زاد في فخـــره بنـــو عباد

فتيـــة لم تلد ســـواها المعالي والمعـــالي قليلـــــة الأولاد

وفيهم يقول ابن اللبانة:

تبكي السماء بمـزن رائح غاد على البهاليـل مـــن أبناء عباد

على الجبال وقد هدت قواعدها وكانت الأرض منهم ذات أوتاد

(من قصيدة له)

ويقول محمد بن عمار الأندلسي:

ملوكٌ مناخ العـــز في عرصَاتهم ومثوى المعالي بين تلـك المعـــالم

إذا قصر الروع الخطا نهضـت بهم طوال العـــوالي في طوال المعاصم

وأيدٍ أبت من أن تمـــوت ولم تفـز بجـــز النواصي أو بحز الغلاصم

ومكارم آل عباد وإحسانهم العام ومدائحهم لا تسعها الطروس، ومع ذلك لم يسلموا من لسان طاعن؛ ففيهم يقول بعض الشعراء:

تعز عن الدنيا ومعـروف أهلها فقد عدم المعـروف في آل عباد

حللت بهـــم ضيفًا ثلاثة أشهر بغير قِرى ثم ارتحلت بـــلا زاد

ويقول آخر:

لا تمدحن ابن عباد وإن هطلت يداه بالوبـــل حتى أخجل الديما

لأنها فلتات من وساوسه   يعطي ويمنع لا بخلا ولا كرما

وهجا ابن عمار المعتمد وأباه المعتضد ببيتين كانا سبب قتله؛ وهما:

مما يقبح عندي ذكر أندلس   سماع معتضد فيها ومعتمد
أسماء مملكة في غير موضعها   كالهر يحكي انتفاخا صولة الأسد

وأشعار الشعراء في دولة بني عباد هذه كثيرة. [فَسبحَانَ مَن لَّهُ العز والبقاء والعظمة والكبرياء].

وإلى سقوط دولة بني عباد هذه أشار الناظم بقوله **وغالها الندس يوسف**..إلخ.

يوسف بن تاشفين

أما يوسف بن تاشفين، فهو أبو يعقوب يوسف بن تاشفين بن إبراهيم الحميري ثم اللمتوني من قبيلة "لمتونة" المشهورة؛ وهي من قبائل صنهاجة التي يعود نسبها إلى قبيلة حمير بن سبأ، وكانت قبائل صنهاجة تنتشر ـ آنذاك ـ في صحراء المغرب.

وقد ولد يوسف بن تاشفين في حدود سنة أربعمائة وعشر (410)هـ، ونشأ في ظل حركة الإصلاح والجهاد التي قام بها الشيخ المجاهد عبد الله بن يا سين الجزولي مع أفراد أسرته الذين لعبوا في هذه الحركة دورا قياديا مشهورا، وشارك في الجهاد ضد القبائل البربرية المارقة عن الدين في شبابه، حتى عين قائدا على الجيش الذي وجهه ابن عمه الأمير أبو بكر بن عمر اللمتوني في سنة ثمان وأربعين وأربعمائة (448) هجرية لفتح بلاد السوس الأقصى على ساحل المحيط في جنوب المغرب؛ وهذه أول مرة يظهر فيها اسمه.

نشأة دولة المرابطين

ثم تولى بعد ذلك قيادة دولة المرابطين فكان أبرز أمرائها فيما بعد، وكانت هذه الدولة قد ولدت في أوائل القرن الخامس الهجري (أي في فترة انهيار الدولة الأموية

في الأندلس وقيام ملوك الطوائف فيه، وسقوط دولة الأدارسة بالمغرب، وقيام عدة إمارات فيه تحكمها بعض القبائل المحلية، واضطراب الأحوال في الأندلس والمغرب). وفي ظل ذلك التفكك السياسي والمحن الدينية والحروب الأهلية، قامت حركة المرابطين على أساس دعوة دينية إصلاحية. وكان الفضل في إنشائها واتساع فتوحاتها وجهادها المتواصل ودورها في نشر الإسلام والعلم، من أقصى شمال الأندلس إلى جنوب افريقيا الغربية، يعود إلى أربعة من أمرائها وهم يحيى بن إبراهيم الكدالي ويحيى وأخوه أبو بكر ابنا عمر ويوسف بن تاشفين اللمتونيون.. وإلى مستشاريهم من أهل العلم.

فقد كان مولدها ونشأتها وبعض فتوحاتها تعود إلى القائدين الأول يحيى بن إبراهيم الكدالي، والثاني يحيى بن عمر اللمتوني، ومستشارهما الروحي المعلم الأول: عبد الله بن ياسين الجزولي. ثم كان التوسع فيها بالجهاد المتواصل في الجنوب يعود إلى القائد الثالث المحنك والأمير الكبير: أبي بكر بن عمر اللمتوني. وذلك أنه لما توفي أخوه يحيى بن عمر، أخذ له عبد الله بن ياسين البيعة في سجلماسة على قيادة جيش المرابطين في سابع عشر ربيع الآخر سنة خمسين وأربعمائة (450) هجرية، فكان مجاهدا مخلصا ورعًا فقاد الجيش ودخل أغمات وبر غواطة، فكانت لهم في هذه الأخيرة ملاحم أصيب فيها عبد الله بن ياسين بجروح استشهد منها يوم الأحد الرابع والعشرين من جمادى الأولى من نفس السنة، بعد أن استولوا على سجلماسة وأعمالها وبلاد السوس، وغيرها. وأصبح أبو بكر هو المسؤول الأول عن الدعوة والدولة المرابطية، فعبأ العساكر وفتح بلادًا كثيرة. ثم قرر التوجه إلى الصحراء الكبرى وجنوبها، وإلى ممالك السودان (مثل مملكة غانا المشهورة آنذاك وغيرها) لمواصلة الجهاد ضد الوثنيين، ولنشر الإسلام بين الافريقيين؛ فاستخلف على المغرب ابن عمه يوسف بنَ تاشفين اللمتونيَّ ـ الذي

كان قد ظهر كأبرز قائد عسكري ومجاهد كبير في صفوف المرابطين، بالإضافة إلى انتسابه إلى بيت الإمارة في القبيلة اللمتونية ـ وسلم له الأمر، وأوصاه بتقوى الله في المسلمين وبالمحافظة على أمورهم، وترك معه جيشا عظيما؛ وخرج هو بجيش آخر من أخلاط الناس من العرب والبربر وغيرهما، وتوجه إلى الجنوب ـ وكان ذلك سنة ثلاث وستين وأربعمائة ـ وصحب معه رجالا من أهل العلم والدين، مستشارين وقضاة ومعلمين.

ثم لم يزل يواصل الجهاد والفتوح الإسلامية في طريقه تلك حتى استشهد إثر إصابته بسهم مسموم رماه به بعض المحاربين من السودان، فكان فيه حتفه سنة ثمانين وأربعمائة بمنطقة (تكّانت) الشنقيطية[1]. ثم تفرق رجال العلم والدين من أعيان جيشه في بلاد الصحراء، وما يعرف ـ حاليا ـ "بموريتانيا" وأصبحوا ينشرون الإسلام وتعاليمه في شتى ربوع القطر بين سكانه، فمنهم ـ على سبيل المثال ـ الإمام محمد بن الحسن الحضرمي المرادي؛ الذي كان مستشارا ومعلما للأمير، فأقام شمالي القطر حتى مات سنة تسع وثمانين وأربعمائة، ودفن "بأزوكي" حول مدينة "أطار" الشنقيطية، والقاضي إبراهيم الأموي الذي كان قاضي مجلس الأمير ومعلما فيه، والذي أقام في الجنوب الغربي من القطر الموريتاني حتى مات في نهاية القرن الخامس الهجري ودفن بموضع يسمى "انبلطون" شمالي غرب مدينة "القوارب" الموريتانية. وآخرون من أجداد بعض القبائل المحلية في القطر الشنقيطي.

ومن الجدير بالذكر هنا أن إبراهيم الأموي هذا الذي كان قاضي مجلس الأمير

---

(1) تكَانت (بكاف معقودة): معناها: الغابة، وهي الولاية التاسعة من ولايات الدولة الموريتانية، وعاصمة ولاية تكَانت "تجحكة" والمحل الذي استشهد فيه يعرف الآن بـ"مكسم بوبكر بن عامر".

أبوبكر بن عمر يعود إليه نسب قبيلة المؤلفين: الناظم أحمد البدوي والشارح حماد بن الأمين المجلسيين؛ وهي نسبة إلى مجلس العلم، وهو اسم قبيلتهما التي اشتق اسمها من مجلس جدها إبراهيم هذا. وسبب ذلك أن المجتمع الشنقيطي في محيطه كانوا في زمنه (وزمن بنيه وأحفاده) إذا اختلفوا في حكم أو أشكل عليهم، يقولون: اذهبوا بنا إلى مجلس القضاء أو مجلس العلم، يعنون بذلك مجلس إبراهيم الأموي هذا وبنيه. و لم يزالوا كذلك حتى أصبحوا يعروفون *بمجلس العلم* ، وأصبح هذا الاسم علما عليهم. وجدهم إبراهيم الأموي هذا ينتهي نسبه إلى عبد الله بن عمر بن عبد العزيز بن مروان الأموي ؛ وهو أمر شائع بين عُلماءِ وَثِقَاتِ المؤرخين وغيرهم في القطر الشنقيطي.

أما القائد الرابع في دولة المرابطين فهو **يوسف بن تاشفين** الذي عاد إلى المغرب ـ بعد تنازل أبي بكر له عنه ـ وأصبح قائدا عاما لدولة المرابطين، فبدأ يُوَطِّدُ أركانها وينظمها ويوسع رقعتها. فواصل حركة الإصلاح والجهاد التي رسمها له سلفه، حتى توسعت رقعة دولته إلى أضعاف ما كانت عليه قبله، ووحد المغرب العربي من حدود تونس إلى المحيط الأطلسي، ومن سواحل البحر الأبيض المتوسط إلى حدود مملكة غانة في الجنوب، بعد القضاء على إمارات البربر العديدة في تلك المنطقة الواسعة، وذلك بعد حروب متواصلة عبر سنين عددا. ولهذا اعتبره بعضهم هو المؤسس الحقيقي للدولة. ولا شك أنه أشهرُ قواد المرابطين، ولو لم يكن له في حياته غير هذا لكفاه خلودًا في التاريخ، ولكنه أضاف إلى ذلك إنجازات أخرى عظيمةً منها: إنقاذه الوجود الإسلامي في الأندلس من الانهيار المحقق أمام نصارى الشمال بجهاده المتواصل ضد دول الروم القوية في شمال إسبانيا، والتي كادت تبتلع جميع بلاد الأندلس في عصر ملوك الطوائف، عصر التمزق السياسي والفساد الاجتماعي

والنزاعات الداخلية، وبذلك أطال عمر الإسلام في تلك البلاد ولمدة أربعة قرون أخرى؛ وبهذا سجل له التاريخ صفحة مشرقة في سجل حياته الحافلة بجلائل الأعمال. ومن أهم إنجازاته الحضارية إنشاء مدينة مراكش عاصمة دولته، وغدت هذه المدينة مركز العلم والثقافة في المغرب في عهده وبعد عهده، فكان لها اثر كبير في نشر الإسلام والثقافة الإسلامية في شتى المناطق المغربية والافريقية، وغيرها.

وكان ـ رحمه الله ـ ورعا تقيا زاهدا متقشفا، وكان يحب العلماء والفقهاء ويقربهم إليه ويستمع إليهم، وكان متمسكا بأحكام الشرع الحنيف رفيقا بالناس متسامحا سخيا جوادا، وكان دائم التفقد لبلاده وثغورها وأحوال شعبه، مجاهدا لا يكل عن متابعة الجهاد، واتخذ لنفسه لقب "أمير المسلمين" وأحبه المسلمون داخل وخارج دولته لصفاته الشخصية الكريمة وإنجازاته السياسية والجهادية.

توفي ـ رحمه الله ـ في أوائل سنة خمسمائة (500) هـ عن عمر يناهز مائة سنة، وبعد حكم دام سبعا وثلاثين سنة، ودفن في قصره بمراكش.

وتولى الحكم بعده ابنه علي بن يوسف، وسار على سيرة أبيه في التدين والجهاد وحب العلم والعلماء وتقريبهم، والاعتماد على آرائهم في جميع شؤون الدولة، ولكنه لم يكن مثله في الحزم والصرامة، بل كان كثير التسامح حليما زاهدا في متاع الدنيا، كريم الخلق محببا لدى الجميع، وضعف أمرُ الدولة في فترته، وتوفي سنة سبع وثلاثين وخمسمائة بمراكش. وتولى الأمر بعده ابنه تاشفين بن علي. ثم استمر تدهور شؤون الدولة حتى سقطت بعد وفاة علي بن يوسف بأربع سنين، حيث خلفتها دولة الموحدين.

وكان شعب المرابطين يتقنعون باللثام لعادة قديمة عندهم، فكانوا يتوارثونهُ خلفا عن سلف[1]، ومن ثم عرفت دولتهم المرابطية بدولة الملثمين أيضا، وفي ذلك يقول أبو محمد بن حامد:

قوم لهم شرف العلى من حمير وإذا انتموا صنهاجة فَهُمُ هُمُ

لما حووا إحراز كل فضيلة غلب الحياء عليهم فتلثموا

ولما ذكر الناظم بعض بطون بني نصر بن الأزد شرع في ذكر بعض بني عمهم: مازن* بن الأزد، فقال رحمه الله وعفا عنه:

مِن مَّازِنِ بْنِ الأَزْدِ ثُمَّ مِن بَنِي مَاءِ السَّمَاءِ حَيٌّ غَسَّانَ السَّنِي

وَهَكَذَا الأَكْرَادُ وَالْمَهَالِبَهْ لِلأُمَوِيِّينَ هُمُ الْمَرَازِبَهْ

تَطَوَّقُوا الْمَجْدَ وَطَوَّقُوا الْمِنَنْ ... ...

قوله **حي غسان**: مبتدأ، خبره **من مازن**. **والسني**: صفة **لحي غسان**، ومعناه: الرفيع القدر. **والأكراد**: مبتدأ مؤخر، خبره **هكذا** قبله. **والأكراد** (جمع كرد بضم الكاف): نسبة إلى جدهم كرد بن مزيقيا. **والمهالبة**: (بفتح الميم وكسر اللام وفتح الموحدة): عطف على الأكراد، نسبَة إلى جدهم المهلب (بوزن معظم ـ بصيغة اسم المفعول) ابن أبي صفرة الأزدي، وهم: ضمير عائد على **المهالبة**، وهو مبتدأ،

(1) وما زال اللثام شعاراً لمعظم بني جلدتهم (الموريتانيين) إلى اليوم.

* تفرعت من مازن هذا بطون عديدة وأفخاذ كثيرة منهم: غسان (الذين منهم الأنصار)، وملوك آل جفنة المشهورون، ومنهم أيضا بنو أسلم وبنو مالك ابني أفصى والمهالبة والأكراد وخزاعة ـ على قول ـ وهؤلاء ذكرهم الناظم، إما تصريحا وإما تلويحا، وذكر من أعيانهم ـ من سوى الأنصار ـ ستة عشر رجلا وامرأتين، من بينهم عشرة رجال صحابة وملك وثلاثة كهان مشهورون.

والمرازبة (بفتح الميم): خبره. **وللأمويين**: متعلق **بالمرازبة**: وهو جمع مرزبان (بفتح الميم وضم الزاي): يقال للذي دون المِلك في الرتبة، وللفارس الشجاع المقدم على القوم؛ وهي لفظة فارسية معربة. وقوله **تطوقوا المجد**: أي اتخذوه طوقًا، أي قلادة؛ أي تزينوا به. [وفي بعض النسخ: *تطوقوا الحمد*، أي الثناء؛ لمدح الشعراء لهم]. وقوله **وطوقوا المنن**: أي ألبسوها الناس بجودهم وكرمهم. **والمنن**: النعم.

يعني أن من بني مازن بن الأزد، ثم من بني ماء السماء منهم خاصة، حي غسان ومنهم ـ أيضا ـ الأكراد؛ وهم بنو كرد بن مزيقيا، والمهالبة؛ وهم بنو المهلب بن أبي صفرة وزراء بني أمية المشهورون بالسيادة والشجاعة والكرم الممدحون.

أما مازن بن الأزد فقد تفرعت منه غسان والأنصار وخزاعة، وقد تقدم سبب تسمية غسان وأنه اسم لعدة بطون؛ منهم بنو جفنة، والحارث (وهو المحرق) وثعلبة (وهو العنقاء) وحارثة ومالك وكعب وخارجة وعوف، بنو عمرو (وهو مزيقيا) ابن عامر (وهو ماء السماء). ويقال لعامر هذا ـ أيضا ـ المنذر بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد، وتقدم ـ أيضا ـ نسب الأزد. ولقب جدهم ـ عامر بن حارثة ـ بماء السماء لجوده؛ قيل لأنه كان إذا أجدب قومه مأنهم[1]، فكان لهم خلفا من المطر وقيل لقب به لجماله، فقيل لولده بنو ماء السماء، كما قيل لبني ماوية بنت عوف بن النمر بن قاسط بنو ماء السماء لجمالها ـ كما مر. ووصف الناظم حي غسان بالرفعة لأن منهم أنصار رسول الله ﷺ وكفى بها رفعة، ولأن منهم ـ أيضا ـ بني جفنة الملوك المشهورين الآتي ذكرهم إن شاء الله.

وأما الأكراد فهم بنو كرد بن مزيقيا بن ماء السماء بن حارثة بن امرئ

---

(1) مأنهم: أي احتمل مؤنتهم، أي قوتهم حتى يأتيهم الخصب.

القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد، كانوا قد انفردوا في القديم في الجبال والبراري، وجاوروا أمم العجم فتعجموا لغة وطبعا، وتناسلوا بأرض العجم وكثروا؛ فعرفوا بالأكراد نسبة إلى جدهم كرد بن مزيقيا المذكور. وقد قال بعض الشعراء في ذلك:

لعمرك ما الأكراد أبناء فارس ولكنه كرد بن عمرو بن عامر

[قاله ابن عبد البر في كتابه القصد الأمم في أنساب العرب والعجم[1]، وذكره أيضا صاحب الحلة السيراء، وعلى ذلك درج الناظم]. وقيل إن الأكراد من ربيعة بن نزار، وقيل هم بنو كرد بن صعصعة من هوازن. وا لله أعلم.

وأما المهالبة فهم بنو المهلب بن أبي صفرة[2] بن غالب بن سراق بن صبيح بن كندي بن عمرو بن عدي بن وائل بن الحارث بن العتيك بن الأسد بن عمران بن مزيقيا بن ماء السماء الأزدي. وقد أسلم أبو صفرة هذا ووفد على عمر بن الخطاب رضي ا لله عنه في عشرة من ولده، فيهم المهلب - وهو أصغرهم - فقال له عمر: هذا سيد ولدك.

المهلب بن أبي صفرة

والمهلب هو أبو سعيد المهلب بن أبي صفرة بن غالب بن سراق الأزدي ثم العتكي؛ ولد في "دبا" ونشأ بالبصرة، وكان تابعيا ثقة في الحديث، وكان أميرا مشهورا بالشجاعة والكرم، نشأ في دولة معاوية بن أبي سفيان، ثم ولاه مصعب بن الزبير على البصرة - نيابة عنه - في أيام أخيه عبد ا لله بن الزبير؛ وقد قال فيه عبد ا لله إنه سيد أهل العراق. وكان المهلب هذا قد قدم على عبد ا لله بن الزبير أيام خلافته

---

(1) راجع كتاب وفيات الأعيان.. تاريخ ابن خلكان.

(2) اسم أبي صفرة هذا: ظالم بن غالب، وكني ببنت له اسمها صفرة.

بالحجاز والعراق فخلا به عبد الله يشاوره، فدخل عليهما عبد الله بن صفوان بن أمية بن خلف الجمحي، فقال لابن الزبير: من هذا الذي قد شغلك يا أمير المؤمنين يومك هذا؟ قال: أما تعرفه؟! قال: لا، قال: هذا سيد أهل العراق، قال: فهو المهلب بْن أبي صفرة؟ قال: نعم؛ فقال المهلب: من هذا يا أمير المؤمنين؟ قال: هذا سيد قريش، قال: فهو عبد الله بن صفوان؟ قال: نعم!.

ولما ولي عبد الملك بن مروان الخلافة جعل المهلب بن أبي صفرة هذا على قيادة الجيش في قتال الخوارج، فكانت له في حروبهم أيام مشهورة ووقائع مذكورة، وحمى البصرة منهم حتى سميت بصرة المهلب لذلك. وكانوا يرمونه بالكذب، بل سموه الكذاب، وكان سبب ذلك أنه كان يخادعهم في الحرب بالمعاريض والحيل[1]؛ وفي الخبر: «الحرب خدعة»[2]، ثم ولاه ـ أيضا ـ خراسان فقدمها سنة تسع وسَبعين؛ وفقئت عينه بسمرقند[3]. وكان قائدا مشهورا وسيدا مذكورا. يقال: "ساد الأحنف بحلمه ومالك بن مسمع بمحبته العشيرة وقتيبة بدهائه والمهلب بن أبي صفرة بجميع هذه الخلال"؛ وكان يقول لبنيه: أحسن ثيابكم ما كان على غيركم. وقد أشار إلى ذلك أبو تمام فيما كتبه إلى من يطلب منه كسوة بقوله:

---

(1) المعاريض: (جمع معراض): وهو التورية بالشيء عن شيء آخر، وفي الحديث: "إن في المعاريض لمندوحة عن الكذب" أي في الكلام المورى به، أو المعمى، والحيل: (جمع حيلة): وهي الحذق، وجودة النظر.

(2) أخرجه مسلم وأحمد.

(3) كان في جيش سعيد بن عثمان بن عفان في خلافة معاوية حين فتح سمرقند، ولما أصيبت عين المهلب قال:

لئن ذهبت عيني لقد بقيت نفسي وفيها بحمد الله عن تلك ما ينسي

إذا جاء أمر الله أحيا حيولنا ولا بد أن تعمى العيون لدى الرمس

أتطلب أنت العلـــم إن وصية   بها كان أوصى في الثياب المهلب

ومما يحكى عنه أنه كانت له جارية فتغنى بها فتى يوما، فقال المهلب:

لعمرك إني للمحبين راحـــــم   وإني بســـــر العاشقـــين حقيق

سأجمع منكـــم شمل جمع مفرق   وإني بما قـــد قلتـــه لخليـــق

و لم يـــزل المهلــــب على خراسان إلى أن مات سـنة ثـلاث وثمـانين ، ودفـــن بمرو الروذ[1] بخراسان. وفي ذلك يقول نهار بن توسعة:

ألا ذهب الغــزو المقرب للغنى   ومات الندى والحزم بعد المهلب

أقاما بمرو الــروذ وهي ضريحه   وقد غيبا عن كل شرق ومغـرب

ولما حضرته الوفاة عهد إلى ولده يزيد بن المهلب وأوصاه بوصايـا منهـا: يـا بـني استعقل الحاجب واستظرف الكاتب، فـإن حـاجب الرجـل وجهـه وكاتبـه لسـانه. وحث بنيه على الاجتماع وحذرهم مـن الفرقـة، ودعـا بسـهام فحزمـت ثـم قـال: أترونكم كاسريها مجتمعة؟ قالوا: لا، قال: أفترونكم كاسـريها مفَرَّقـة؟ قـالوا: نعـم، قال: هكذا الجماعة[2]. وخلف المهلب أولادا كرماء نجباء أجوادا أمجادا، ولـه عقـب كثير بخراسان عرفوا بالمهالبة، نسبة إلى جدهم المهلب هذا. وقـد روي أنـه كـان لـه من الولد ثلاثمائة، وأعقب منهم تسعة عشر ولدا. وكان المهلب وبنوه أهـل شـجاعة وبسالة وكانوا أيضا أهل جود وسخاء، وقد قالوا إنه لم يكن في دولة بني أمية أكـرم من بني المُهلب، كما لم يكـن في دولـة بـني العبـاس أكـرم مـن البرامكـة، واشـتهروا

---

(1) توفي بقرية "راغول" من أعمال مرو الروذ الخراسانية. [ابن خلكان].

(2) ومما ينسب إليه في هذا المعنى:

كونوا جميعا يا بنيَّ إذا اعـــترى   خطـــب ولا تتفـرقوا آحادا

تأبى الرماح إذا اجتمعن تكسرا   فإذا افترقن تكســرت أفرادا

بالسيادة والمجد. وقد روي أن الحجاج سأل مالكا بن بشير عن ولد المهلب، فقال: هم رعاة البيات حتى يؤمنوه، وحماة السرح حتى يردوه. فقال: وأيهم أفضل؟ قال: ذلك إلى أبيهم، فقال: لتقولن، قال: هم حلقة مفرغة لا يعلم طرفاها[1].

وقد تنافس الشعراء في مدحهم وأكثروا منه إجمالاوتفصيلا؛ ومِمَّا قيل فيهم:

آل المهلب قوم إن نسبتهم | كانوا المكارم آباء وأجدادا
كم حاسد لهم يعيا بفضلهم | وما دنا من مساعيهم وما كادا
إن العرانين تلقاها محسدة | ولا ترى للئام الناس حسادا
لو قيل للمجد حد عنهم وخلهم | بما ابتغيت من الدنيا لما حادا
إن المكارم أرواح تكون لها | آل المهلب دون الناس أجسادا

ومنه أيضا قول الأخفش الطائي:

نزلت على آل المهلب شاتيا | غريبا عن الأوطان في زمن المحل
فما زال بي إكرامهم وافتقادهم | وبرهم حتى حسبتهم أهلي[2]

وقال آخر:

فلأمدحن بني المهلب مدحة | غراء ظاهرة على الأشعار
مثل النجوم أمامها قمر لها | يجلو العمى ويضيء ليل الساري

---

(1) البيات: الهجوم على الأعداء ليلا، والسرح: الماشية (من التسمية بالمصدر) ولا يسمى سرحا إلا ما يغدى به ويراح، والحلقة: كل شيء استدار (جمعه حلق وحلقات) والمفرغة: المتصلة لا قطع فيها المصمتَة الجوانب فارغ جوفها. وكان مالك بن بشير هذا قد أوفده المهلب إلى الحجاج حين هزم قطري بن الفجاءة، فلما دخل عليه قال له: ما اسمك؟ قال: مالك بن بشير، قال: ملك وبشارة، ثم قال: كيف تركت المهلب؟ قال: أدرك ما أمل وأمن ما خاف، فقال: كيف هو بجنده؟ قال: والد رؤوف، قال: كيف رضاهم عنه؟ قال: وسعهم بالفضل وأقنعهم بالعدل، قال: أخبرني عن ولد المهلب، فقال: هم رعاة البيات ..إلخ.

(2) افتقد الشيء: طلبه عند غيبته، قال ابو فراس:

... وفي الليلة الظلماء يُفتقَد البدرُ

ورثوا الطعان عن المهلب والقرى   وخـــلائقا كتدفـــــق الأنهار

يزيد بن المهلب ونماذج من كرمه

ولما مات المهلب بن أبي صفرة خلفه ابنه يزيد على خراسان بعهد منه ـ كما مر ـ فمكث نحوا من ست سنين فعزله عبد الملك بن مروان برأي مـن الحجـاج الثقفـي وولى مكانه ـ في خراسان ـ قتيبة بن مسلم الباهلي؛ فدخل عليه نهار بن توسعة وهو يعطي الناس العطاء، فقال له: من أنت؟ فقال: أنا نهار بن توسعة، فقال قتيبة: أنـت القائل في المهلب ما قلت؟ قال: نعم.. وأنا القائل ـ أيضا:

فما كان مذ كنا وما كان قبلنـا   ولا كائن من بعدُ مثل ابن مسلم

أعم لأهــل الشرك قتلا بسيفه   وأقسم فينا مغنما بعد مغنـــم

فقال: إن شئت فأقلل وإن شئت فأكثر وإن شـئت فـاحمد وإن شـئت فـذم.. لا تصيب معي خيرا أبدا، اقرض يا غلام اسمه من الدفتر!. فـلزم نهـار بيتـه حتـى مـات قتيبة بن مسلم، فجاء نهار بن توسعة إلى يزيد بن المهلب فقال:

لئن كان ذنبي يا قتيبـــــة أنني   مدحت امرأ قد كان في المجد واحدا

أبا كل مظلـــوم ومن لا أبا له   وغيــث مغيثات أطلن التلددا[1]

فشأنــك إن ا لله أحسن محسن   إلى إذ ابقى لي يزيدا ومـــزيدا

فقال له يزيد: احتكم، قال: مائة ألف درهم، فأعطاه إياها. وكان يزيد بـن المهلـب أميرا من القادة الشجعان الأجواد، وكان الحجاج يخشى بأسه ويكرهه لمـا يـرى فيـه من النجابة ويخاف أن يجعل مكانه، فكان يقصده بـالمكروه كـي لا يثـب عليـه؛ ثـم قبض عليه مرة وجعل يعذبه، فسأله يزيد أن يخفف عنه العذاب على أن يعطيــه كـل

(1) مغيثات (جمع مغيثة): الأرض التي نزل بها الغيث. والتلدد: الإلتفـات يمينـا وشمـالا تحيرا. والتلبـث والتبلد.

يوم مائة ألف درهم، فجمع يزيد يوما مائة ألف درهم ليشتري بها عذابه في يومه؛ فدخل عليه الأخطل الشاعر، فقال:

أبا خالد بادت خراسان بعدكم ... وصاح ذوو الحاجات أين يزيد

فلا مطر المروان بعدك مطرة ... ولا أخضر بالمروين[1] بعدك عود

فما لسرير الملك بعدك بهجة ... ولا لجواد بعد جودك جود

فأعطاه المائة ألف، فبلغ ذلك الحجاج فدعا به وقال: يا مروزي أفيك هذا الكرم وأنت بهذه الحالة؟! قد وهبت لك عذاب هذا اليوم وما بعده.

ومما يروى من جوده أنه طلب يوما حلاقا فجاء فحلق رأسه فأمر له بألف درهم، فتحير ودهش، وقال: بهذه الألف أمضي إلى أمي فلانة فأشتريها، فقال: أعطوه ألفا أخرى، فقال: امرأتي طالق إن حلقت رأس أحد بعدك! فقال: أعطوه ألفين. ومما مدح به قول الشاعر:

إني رأيت يزيد عند شبابه ... لبس التقى ومهابة الجبار

ملك عليه مهابة الملك التقى ... قمر النهار به وشمس نهار

وإذا الرجال رأوا يزيد رأيتهم ... خضع الرقاب نواكس الأبصار

ما زال مذ عقدت يداه إزاره ... فسما فأدرك خمسة الأشبار

يدني كتائب من كتائب تلتقي ... بالطعن يوم تجاول وغوار

وذكر أنه هرب من الحجاج قاصدا الشام، وأقام به حتى أفضت الخلافة إلى سليمان بن عبد الملك فولاه العراق ثم خراسان، فعاد إليها وفتح فتوحات عديدة، ثم ولي البصرة حتى أفضت الخلافة إلى عمر بن عبد العزيز فعزله وحبسه بحلب

---

(1) المروان: تثنية مرو إحداهما: مرو الشاهجان وهي العظمى والأخرى: مرو الروذ وهي الصغرى، وهما مدينتان مشهورتان بخراسان ـ [ابن خلكان]. والنسبة إلى مرو "مروزي" على غير قياس.

بسبب بعض أفعاله وتجاوزاته وأخذه أموال المسلمين، ومنع الناس من الدخول عليه؛ ثم أتاه سعيد بن عمرو بن العاص فقال: يا أمير المؤمنين إن لي على يزيد بن المهلب خمسين ألف درهم، وقد حلت بيني وبينه، فإن رأيت أن تأذن لي فأقتضيه؛ فأذن له فدخل عليه فسر به يزيد ـ وكان سعيد مؤاخيا ليزيد ـ فقال له يزيد: كيف وصلت إلي؟ فأخبره سعيد، فقال يزيد: والله لا تخرج إلا وهي معك، فامتنع سعيد، فحلف يزيد ليقبضنّها. فقال في ذلك بعض الشعراء:

فلم أر محبوسا من الناس ماجدا حبا زائرا في السجن غير يزيد

سعيد بن عمرو إذ أتاه أجازه بخمسين ألفا عجلت لسعيد

وقدم عليه قوم من قضاعة فقال أحدهم:

والله ما ندري إذا ما فاتنا طلب إليك من الذي نتطلب

ولقد ضربنا في البلاد فلم نجد أحدا سواك إلى المكارم ينسب

فاصبر لعادتنا التي عَوَّدتَنا أوْ لاَ، فأرشدنا إلى من نذهب

فأمر له بألف دينار. فلما كان في العام المقبل وفد عليه فأنشد:

ما لي أرى أبوابهم مهجورة وكأن بابك مجمع الأسواق

خافوك أم هابوك أم شاموا الندى بيديك فانتجعوا من الآفاق؟[1]

إني رأيتك للمكارم عاشقا والمكرمات قليلة العشاق

فأمر له بعشرة آلاف درهم. ولما مات عمر خرج يزيد من السجن وسار إلى البصرة وغلب عليها، فعند ذلك جهز يزيد بن عبد الملك جيشا لقتال يزيد بن المهلب،

---

(1) شام البرق: نظر إليه أين يتوجه، وأين يمطر، وشام مخايل الشيء: أي تطلع نحوه ببصره منتظرا له، والندى: المطر والجود والفضل والخير، وانتجع فلانا: أتاه طالبا معروفه (من "انتجع الكلأ" ذهب لطلبه في مواضعه)، والآفاق: النواحي (جمع أفق).

وجعل عليه أخاه مسلمة بن عبد الملك؛ فخرج يزيد بن المهلب للقائه، واستخلف على البصرة ابنه معاوية بن يزيد وقدم بين يديه أخاه عبد الملك بن المهلب وسار حتى نزل العفر[1] حول الكوفة، فالتقى الجيشان واقتتلوا قتالا شديدا ومكثوا أياما، فقتل يزيد ومن معه. فعند ذلك اجتمع آل المهلب بالبصرة ـ وكانوا يتخوفون ذلك ـ وأمروا عليهم المفضل بن المهلب ـ وكان أكبرهم سنا ـ فأعدوا السفن البحرية، وتجهزوا بكل الجهاز وخرجوا إلى كرمان. فبعث مسلمة بن عبد الملك في طلب فلولهم، فأدركوهم في عقبة بفارس؛ فاشتد قتالهم فقتلوا عن آخرهم إلا أبا عتبة وعثمان بن المفضل فإنهما نجوا ولحقا بخاقان.

ومن سراة[2] أولاد المهلب: أبو فراس المغيرة بن المهلب، كان مشهورا بالشجاعة والكرم، وكان أبوه المهلب يقدمه في قتال الخوارج؛ وله معهم وقائع مشهورة أبلى فيها بلاء حسنا. ومات بمرو ـ في حياة أبيه ـ سنة اثنتين وثمانين، ورثاه زياد الأعجم العبقسي بقصيدة من غرر القصائد، منها:

قل للقوافل والغزاة إذا غزوا ... والباكرين وللمجد الرائح

إن السماحة والمروءة ضمنا ... قبرا بمروَ على الطريق الواضح

رجفت لمصرعه البلاد فأصبحت ... منا القلوب لذاك غير صحائح

فإذا يناح على امرئ فلتعلمن ... أن المغيرة فوق نوح النائح

تبكي المغيرة خيلنا ورماحنا ... والباكيات برنة ونصائح

---

(1) العفر: موضع قريب من كربلاء التي قتل بها الحسين بن علي رضي الله عنهما، ولما مات يزيد بن المهلب قال الناس "ضحى بنو أمية بالدين يوم كربلاء وبالكرم يوم العفر". [ابن خلكان].

(2) سراة القوم: أشرافهم وخيارهم، جمع سري (كغني) وهو السيد الكريم والسخي ذو المروءة، ويجمع سراة بسروات.

كان المهلب بالمغيرة كالذي ألقى البلاء إلى قليب المائح[1]

ملك أغر متوج يسمو له طرف الصديق بغض طرف الكاشح[2]

رفّاع ألوية الحروب إلى العدا بسُعودِ طَيرٍ سَوانِحٍ وبَوارحِ[3]

ومن آل المهلب ـ أيضا ـ مخلد بن يزيد بن المهلب أحد الأجواد الممدحين.

وفيه يقول حمزة بن بيض الحنفي ـ وكان قدمَ عليه في جماعة من أهل الكوفة:

أتيناك في حاجة فاقضها وقل: مرحبا يجب المرحَبُ[4]

ولا تكِلَنّا إلى معشر متى يعدوا عدة يكذبوا

فإنك في الفرع من أسرة لهم خضع الشرق والمغرب

وفي أدب فيهم قد نشأت فَنِعْمَ ـ لعمرك ـ ما أدبوا

بلغت لعشر مضت من سنيـ ـك ما بلغ السيد الأشيب

فهمك فيها جسام الأمور وهم لداتك أن يلعبوا

وجدت فقلت: ألا سائل؟ فيسأل أو راغب يرغب

فمنك العطية للسائلين وممن ببابك أن يطلبوا

(1) القليب: البئر، والمائح: من يستقي الماء مغترفا باليد ، جمعه: ماحة.

(2) الأغر: الكريم الأفعال والسيد الشريف (جمعه: غُرٌّ وغُرَّان)، والمتوج: الذي يلبس التاج، وهو الإكليل، شبه عصابة تزين بالجوهر توضع على رأس الملك. والكاشح: العدو الباطن العداوة كأنه يطويها في كشحه.

(3) الألوية: (جمع لواء) العَلَم، وهو دون الراية، قيل سمي اللواء لواء لأنه يلوي لكبره فلا ينشر إلا عند الحاجة. وسعود:جمع سعد وهو اليمن ونقيض النحس. والسوانح (جمع سانح) هو الذي يأتي من جانب اليمين، ويقابله البارح وهو الذي يأتي من جانب الشِّمال، وكانت العرب تتيمن بالسانح وتتشاءم بالبارح، ومنه المثل: "من لي بالسَّانح بعد البارح" أي من يتسبب لي بالمبارك الميمون بعد المشؤوم، يضرب في توقع المحبوب بعد المكروه، ويضرب ـ أيضا ـ في اليأس من تحسن الأحوال. [فرائد الأدب ومنجد اللغة].

(4) المرحب: السعة، ويقال في الترحيب "مرحبا بك" أي أنزل في الرحب والسعة، وأقم فقد صادفت سِعة ورُحبا، و"أهلا ومرحبا" أي أتيت أهلا وصادفت سعة فاستأنس ولا تستوحش.

فقضى له حاجته، وأمر له بمائة ألف درهم. وقدم عليه رجل فقضى له حاجته، فعاد إليه ـ أيضا ـ فقال له: ألم تك أتيتنا فأجزناك؟ قال: بلى، قال: فما ذا ردك؟ قال: قول الكميت:

سألناه الجزيل فما تلكا ... وأعطى فوق منيتنا وزادا
فأعطى ثم أعطى ثم عدنا ... فأعطى ثم عدت له فعادا
مرارا ما أعود إليه إلا ... تبسم ضاحكا وثنى الوسادا

فأضعف له ما كان أعطاه. ولما مات رثاه بقوله:

وعطلت الأسرة[1] منك إلا ... سريرك يوم تحجب بالثياب
وآخر عهدنا بك يوم يحثى ... عليك بدابق سهل التراب

ورثاه الفرزدق بقوله:

وما حملت أيديهم من جنازة ... ولا ألبست أثوابها مثل مَخْلَدِ
أبوك الذي تُستهزَمُ الخيل باسمه ... وإن كان فيها قيد شهر مُطَرَّدِ
وقد علموا إن شد حقويه أنه ... هو الليث ليث الغاب لا بالمعرد[2]

وإلى هذا أشار الناظم بقوله **تطوقوا الحمد**.. إلخ. ثم قال رحمه الله:

... ... وَجَدُّهُمْ عِمْرَانُ كَاهِنُ الْيَمَنْ
أَخْبَرَ أَهْلَهُ بِرَحْمَتَيْنِ سَتَأْتِيَانِ وبِسَخْطَتَيْنِ

---

(1) عطل الشيء: ترك، يقال: "عطلت الرعية": أي تركت بلا وال يسوسها، وعطلت الثغور: تركت بلا حامية تحميها، والأسرة (جمع سرير) وهو عرش الملك، ويقال: "زال عن سريره" أي ذهب عزه ونعمته.

(2) الليث: الأسد، والغاب: جمع غابة وهي الأجمة ذات الشجر الكثير المتكاثف (لأنها تغيب ما فيها)، والمعرد: الهارب الفار؛ يقال: "عرد عن قرنه" أي نكل وأحجم.

خَيْرِ الْوَرَى وَمَنْ بِذِي السُّوَيْقَتَيْنْ   شَرَّدَ وَالسَّيْلِ مُجِيحِ الْجَنَّتَيْنْ
وَقَهْرِ آسَادِ الأَحَابِيشِ الْيَمَنْ   وَاسْتَنْصَرُوا بِسَيْفٍ ابْنِ ذِي يَزَنْ

جدهم: مبتدأ، والضمير فيه عائد على المهالبة الآنفي الذكر، و**عمران** (بالرفع): خبره. وفاعل **أخبر أهله**: ضمير مستتر عائد على **عمران**. و**خير الورى** (بالجر): بدل من قوله **برحمتين**. وقوله **من بذي السوقتين**.. إلخ: عطف على **خير الورى**. و**شرد** (بتشديد الراء) معناه في الأصل: طرد وفرق، والمراد به هنا الإهلاك. وقوله **والسيل** (بالجر): عطف على **خير الورى** ـ أيضا ـ و**مجيح** (بضم الميم وبالجر): صفة للسيل (من أجاحه: استأصله وأهلكه). و**الجنتين** (تثنية جنة) وهي الحديقة ذات الشجر، سميت بذلك لسترها الأرض بظلالها، وجمعها جِنَانٌ وجَنَّاتٌ. وقوله **وقهْر** (بالجر): عطف على **السيل**، أي غلبة. و**آساد الأحابيش**: أي أبطال الحبشة. و**اليمن**: مفعول به **لقهر**، وهو على حذف مضاف أي أهل اليمن. والضمير في **انتصروا** عائد على أهل اليمن. و**سيف بن ذي يزن**: أحد ملوك اليمن الحميريين.

يعني أن آل المهلب بن أبي صفرة يرجع نسبهم إلى كاهن اليمن المشهور عمران بن ماء السماء، أخي مزيقيا. وكان عمران بن ماء السماء هذا ملكا متوجا من التبابعة، وكانت دار مملكته مدينة مأرب، وبها مات؛ وكان كاهنا لم يكن في زمنه أعلم منه، وعاش عمرا طويلا وتنبأ بحوادث ستقع. يروى أنه عند موته قال لأخيه مزيقيا بن ماء السماء: إن بلادكم ستخرب، وإن لله في أهل اليمن سخطتين وهما تخريب البلاد بسد مأرب وغلبة الحبشة على أهل اليمن، ورحمتين وهما بعثة نبي اسمه محمد، ورجل يقال له شعيب بن صالح يهلك من خرب بيت الله ويخرجهم حتى لا يكون في الدنيا يمان إلا في أرض اليمن. [قاله في الحلة السيراء، وقد عقد الناظم نص كلامه].

والمراد **بذي السُّويقتين**: الحبشي الذي يخرب الكعبة في آخر الزمان؛ ففي

الحديث: «يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة»[1]، وفيه «لا يستخرج كنز الكعبة إلا ذو السويقتين من الحبشة[2] كأني به أسود أفحج يقلعها حجرا حجرا». والمراد بالذي يشرد به ويقتله شعيب بن صالح التميمي قائد جيش المهدي. وأشار بقوله: **والسيل مجيح الجنتين..** إلى قوله تعالى ﴿ فَأَعْرَضُواْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَـٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴾[3]. وقد مر ذكر ذلك.

انهيار ملك حمير في اليمن

وقد ملك اليمن بعد عمران هذا أخوه مزيقيا بن ماء السماء، وكان مزيقيا من التبابعة، قيل كان أعظم ملك بمأرب؛ وكان له تحت السد من الحدائق ما لا يحاط به، وكانت له ولآبائه من قبله بادية كهلان باليمن تشاركهم حمير. ثم استقلوا بالملك بعد حمير. وقد بدأ الضعف يدب في الدولة أيامه، فتغلب بدو كهلان على أرض سبأ وعاثوا وأفسدوا، فذهب الذين كانوا يقومون بصيانة السد بمأرب، وأهمل أمره فخرب. وبدأت هجرة الأزد من تلك الديار، ورحل مزيقيا بجموع منهم فنزلوا بماء غسان، ثم انتقلوا إلى وادي عك، وبه مات مزيقيا؛ وتفرقت الأزد ــ كما مر.

وأما **سيف بن ذي يزن** فاسمه معد يكرب، وهو سيف بن ذي يزن بن ذي أصبح بن مالك بن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن قطن بن عريب بن زهير بن أيمن بن الهميسع بن حمير بن سبأ.

---

(1) أخرجه مسلم. والسويقتين: تصغير ساق الإنسان، قال القاضي: صغرهما لرقتهما وهي صفة سوق السودان غالبا.

(2) أخرجه أبو داوود.

(3) سبأ: 16.

وحاصل ما أشار إليه الناظم ـ رحمه الله ـ من غلبة الحبشة على اليمن وانتصار سيف بن ذي يزن الحميري اليمني على الحبشة ـ حسبما ذكره أهل السير ـ أنه لما مات أسعد بن كرب بن زيد الحميري ملك اليمن ولي الملك بعده ابنه حسان بن أسعد، فسار بأهل اليمن يريد أن يطأ بهم أرض العرب والعجم، حتى إذا كانوا بأرض العراق كرهت حمير وقبائل اليمن المسير معه وأرادوا الرجعة إلى بلادهم، فكلموا أخاه عمرا بن أسعد ـ وكان معه في جيشه ـ وقالوا له: اقتل أخاك حسانا ونملكك علينا وترجع بنا إلى بلادنا. فأجابهم لذلك واجتمعوا على ذلك إلا ذا رُعَيْنٍ الحميري فنهاه عن ذلك فلم يلتفت إليه، فقال ذو رعين:

ألا من يشتري سهرا بنوم   سعيد من يبيت قرير عين

فإما حمير غدرت وخانت   فمعذرة الإله لذي رعين

ثم كتب الأبيات في رقعة وأودعها عند عمرو. وقتل عمرٌو أخاه حسانا فولي ملك حمير بعده ورجع بمن معه إلى اليمن، فنزل بغمدان من اليمن وأقام به. فمُنع النومَ وسُلط عليه السهرُ، فلما أجهده ذلك سأل الأطباءَ والعرافين عما به؟ فقالوا له: إنه ما قتل رجلٌ قط أخاه أو ذا رحمه على مثل ما قتلت أخاك عليه إلا ذهب نومهُ وسُلط عليه السهرُ، فأخذ يقتل كلَّ من أشار إليه بقتل أخيه حسان حتى خلص إلى ذي رعين يريد قتله، فقال له ذو رعين: إن لي عندك براءةً! فأخرج الكتاب فإذا فيه البيتان: *ألا من يشتري سهرا بنوم* ..إلخ، فتركه ورأى أنه نصحه. ثم هلك عمرو بن أسعد فحل محله أخوه ذو نواس بن أسعد، فأكثر فيهم التقتيل، ومرج أمرُ حمير عند ذلك وتفرقوا. وانفلت رجل من سبأ اسمه دوس وهرب إلى قيصر ملك الروم، فاستنصره وأخبره بما كان من ذي نواس، فقال: إن بلادك بعيدة من بلادي ولكني سأكتب لك إلى ملك الحبشة لأنه على دينك وأقرب إلى بلادك؛ فكتب إليه يأمره بنصره والطلب بثأره. فقدم دوس على النجاشي بكتاب قيصر،

فبعث معه سبعين ألفا من الحبشة وأمَّر عليهم رجلا منهم يقال له أرياط ومعه في جنده الأشرم (وهو ابرهة صاحب القُلَّيس)؛ فركبوا البحر حتى نزلوا بساحة اليمن، فخرج إليهم ذونواس في أصحابه فاقتتلوا حتى انهزم ذو نواس، فدخل البحر وغرق وتفرق أصحابه. فدخل ارياط اليمن وتملك به، ولم يزل عليه حتى نازعه ابرهةُ الأشرم فحلَّ محله.

سيطرة الأحباش على اليمن وهمهم بهدم الكعبة

ولما ملك ابرهة اليمن ـ وكان نصرانيا ـ بنى القليس بصنعاء (وهي كنيسة[1] لم يُر مثلها في زمانها في الأرض) ثم كتب إلى النجاشي إني قد بنيت لَكَ أيها الملك كنيسة لم يُبن مثلها لملك قبلك، ولستُ بمنتهٍ حتى أَصرف إليها حج العرب. فتحدثت العرب بكتاب ابرهة للنجاشي وغضبت لذلك؛ ثم خرج رجلٌ من بني فقيم بن عدي حتى أتى تلك الكنيسة فتغوط فيها وخرج حتى لحق بأرضه، فأُخبر بذلك ابرهةُ فقال: من صنع هذا؟ فقيل صنعه رجلٌ من أهل البيت الذي تحج إليه العرب بمكة لـمَّا سمع قولك: أَصرف إليها حج العرب، يرى أنها ليست لذلك بأهل. فغضب عند ذلك ابرهة وحلفَ ليسيرنَّ إلى البيت حتى يهدمَه؛ وبعث إلى بني كنانة (قبيلةِ الرجل الذي تغوَّط في الكنيسة) يدعوهم إلى حج تلك الكنيسة، فقتلوا رسولَه؛ فزاد ذلك ابرهةَ غضبًا وحنقًا. ثم أمر الحبشة فتهيأت وتجهزت، ثم خرج بجموعه وفِيَلته وسار يريد هدمَ الكعبة بيتِ الله الحرام. فسمعت العربُ بذلك

---

(1) خربت هذه الكنيسة زمن السفاح العباسي، وكان قد أمر عامله على اليمن فأخذ خشبها المرصع بالذهب والآلات المفضضة التي تساوي قناطير الذهب، فعفا رسمها وانقطع خبرها واندرست آثارها.

فـأعظموه وأفظعـوه[1] ورأوا جهـادَه حقًّـا عليهـم، وتعرضـت لـه منهـم عـدة قبـائل وقاتلوه، فهزمهم ومضى على وجهه يريد ما خرج له حتى نزل بـالمغمس[2]، فبعـث خيلا من الحبشة حتى انتهت إلى مكة؛ فساقت إليـه أمـوالَ أهـل تهامـة مـن قريـش وغيرهم، وأصابت فيما أخذت مائتي بعير لعبد المطلب بن هاشم ـ وهو يومئذ كبـيرُ قريش وسيدُها ـ وقد عرفت قريش أنه لا طاقة لها بقتال ابرهة، فأعرضت عنه.

ثـم بعث ابرهةُ رسولا إلى مكة يسأل عن سيدها ويأتيه به؛ فلما دخل مكة سأل فقيل له: عبد المطلب بن هاشم. فانطلق معه عبد المطلب إلى ابرهة حتى دخل عليه ـ وكان عبد المطلب أَوسمَ الناس[3] وأجملَهم وأعظمَهم ـ فلما رآه ابرهةُ أَجلَّه وأعظمه عن أن يجلس تحته وكره أن يُجلسَه على سريره، فنزل ابرهة عن سريره وجلس على بساطه وأجلسه معه عليه إلى جنبه وقال له: إني لم آت لحربكم، إنما جئت لهدم هذا البيت فإن لم تتعرضوا لي بحرب فلا حاجة لي بدمائكم. فقال له عبدُ المطلب: إنـا لا نريد حربك، وهذا بيت ا لله الحرامُ وبيتُ خليلِه إبراهيمَ عليه السلام، فإن يمنعهُ منك فهو حرمه وبيته وإن يخلِّ بينك وبينه فلن ندفعك عنه. ثم قال ابرهـة لعبـد المطلـب: ألك حاجة؟ قال: نعم.. أن ترد عليَّ مـائتي بعـير أصبتَهـا لي، فقـال لـه ابرهـةُ: لقـد كنت أعجبتني حين رأيتك ثم زهدت فيـك حـين كلمتـني! أتكلمـني في مـائتي بعـير أصبتها لك وتترك بيتا هو دينك ودين آبائك قد جئتُ لهدمه لا تكلمني فيه؟! فقـال عبد المطلب: إني أنا رب الإبل "وإن للبيت ربًّا سيمنعه"، قال: ما كان ليمتنع مـني،

---

(1) أفظعوه، واستفظعوه: وجدوه فظيعًا أي شديد الشناعة مجاوزا الحد في ذلك.

(2) المغمس (بوزن معظم ومحدث): موضع بطريق الطائف، فيه قبر أبي رغـال (دليـل ابرهـة) ويرجـم. [القاموس].

(3) الوسامة: أثر الحسـن، ووسـم (ككـرم) وسـامة ووسـامًا (بفتحهمـا) فهـو وسـيم، جمعـه: وسمـاء. [القاموس].

قال: أنت وذاك؛ فرد عليه الإبل.

وانصرف عبد المطلب إلى قريش، وأخبرهم الخبر وأمرهم بالخروج من مكة والتحرز في الجبال والشعاب، تَخَوُّفًا عليهم معرةَ الجيش[1]. ثم أخذ بحلقة باب الكعبة وقام معه نفرٌ من قريش يدعون الله ويستنصرونه على ابرهة وجنده، ثم خرج وخرجت قريشٌ إلى شَعَف الجبال[2] فتحرزوا فيها ينتظرون ما يقع إذا دخل ابرهة مكة.

فلما أصبح ابرهةُ تهيأ لدخول مكة وهيَّأ فيلَه وعبَّأ جيشه، وهو مُجمِعٌ لهدم البيت ثم الانصراف إلى اليمن، فأرسل الله تعالى عليهم طيرا مجتمعة (أو متتابعة بعضُها في أثر بعض) فرمتهم بحجارة من سجيل فجعلتهم كعصف مأكول.

سيف بن ذي يزن وانتصاره بالفُرس على الأحباش

ولما هلك ابرهة تتابع على ملك اليمن ابناه يكسوم ومسروق، فأكثرا القتل في أهل اليمن وفي حمير، فَعند ذلك نهض سيف بنُ ذي يزن بنِ ذي أصبح الحميري، وكان من زعماء العرب اليمانيِّين ودُهاتهم ــ وقد ولد ونشأ بصنعاء ــ فسار إلى أنطاكية، وفيها قيصرُ ملك الروم، فشكا إليه ما أصاب اليمن فلم يلتفت إليه؛ فقصد النعمانَ بن المنذر عاملَ كسرى (أنوشروان) ملكِ الفرس على الحيرة وما يليها من أرض العراق، فقال له النعمان: إن لي على كسرى وفادةً في كل عام فأقم حتىَّ يكون ذلك، ففعل حتى خرج معه إليه فحدثه بأمره، وشكا إليه أمرَ الحبشة في اليمن، وقال له: جئتك أيها الملك لتنصرني ويكونَ لك ملك بلادي، قال: إن

---

(1) معرة الجيش: شدته.

(2) شعف (بالتحريك): جمع شعفة (محركة): رأس الجبل.

بلادَك مني بعيدةٌ مع قلة خيرها، فلم أكن لأورِّط جيشا من فـارس بـأرض العـرب.. لا حاجة لي بذلك.

و لم يزل سيفُ بنُ ذي يزن يعمل الحيَلَ في أن ينصره كسرى حتى جمع كسـرى مرازبته وقال لهم: ما ترون في أمر هذا الرجل وما جاء به؟ فقال بعضهـم: أيها الملـك إن في سجنك رجالا قد حبستهم للقتل فلو أنك بعثتهم معه، فإن يهلكوا كان ذلك الذي أردت بهم وإن ظفروا كان ملكًا ازددتـه؛ فبعـث معـه كسـرى مَـن كـانوا في سجنه ـ وكانو نحو ثمانمائة رجل ـ وأمَّر عليهم رجلا من أشراف العجم، فسـار بهـم إلى الأُبلة ـ غربَ البصرة ـ وركبوا البحر وخرجوا بساحل عدن، فأقبل إليهم أنصـار سيف من رجال اليمن ومن انضاف إليهم من قبائل العرب.

فلما سمع بهم ملك اليمن الحبشيُّ مسروق بنُ ابرهة الأشرم جمع جنـده وخـرج إليهم، وتواقفوا على مصافّهم، وكان مسروق على فيل لـه عظيـم علـى رأسـه تـاجُ الملك وبين عينيه ياقوتة حمراءُ. فحملت عليهم الفـرس فـاقتتلوا قتـالا شـديدا، وقتـل مسروق، وانهزم جيشه في كل وجه. ودخل سيف بن ذي يزن هو وعاملُ كسـرى صنعاء نـاصبين رايتهـم. وطـردوا الحبشـةَ مـن اليمـن، وكتبـوا بذلـك إلى كسـرى؛ فألحقت اليمن ببلاد الفرس على أن يكون ملكَها والمتصرفَ في شـؤونها سيفُ بـن ذي يزن، وعاد الفرس إلى بلادهم.

واتخذ الملـك سـيف "غمـدانَ" قصـرا لـه بصنعـاء، وقدمـت عليـه وفـود العـرب وأمراؤها تهنئه بالانتصار على الحبشة. وممن قدم عليه يهنئه وفد من وجوه قريش فيه عبد المطلب بن هاشم وأمية بن عبد شمـس بـن عبـد منـاف وعبـد الله بـن جدعـان وأسد بن عبد العزى ووهب بن عبد مناف وقصي بن عبد الدار، وكان عبد المطلب رئيسَهم ومتكلمَهم. وفي ذلك يقول أَبو الصلت بن أبي ربيعة الثقفي (وتروى لابنـه أمية بن أبي الصلت):

ليطلب الوترَ أمثالُ بنِ ذي يزنِ ريَّمَ في البحر للأعداءِ أحوالا[1]
يَمَّمَ قيصر لما حان رحلته فلم يجد عنده بعض الذي سالا
ثم انثنى نحو كسرى بعد عاشرةٍ من السنين يُهين النفس والمالا
حتى أتى ببني الأحرار يحملهم إنك عمري لقد أسرعت قلقالا[2]
لله درهم من عصبة خرجوا ما إن أرى لهم في الناس أمثالا
بيضا مرازبة غُلْبًا أساورة أُسدًا تُربِّبُ في الغيضات أشبالا[3]
يرمون عن شُدُف كأنها غُبُط بزَمْخَرٍ يُعجل المرمي إعجالا[4]
أرسلت أسدا على سود الكلاب فقد أضحى شريدهم في الأرض فُلَّالا
فاشرب هنيئا عليك التاج مرتفقا في رأس غمدان دارا منك محلالا[5]
واشربْ هنيئا فقد شالت نعامتهم[6] وأسبل اليوم في برديك إسبالا

---

(1) ريم في البحر: أقام، يريد أنه غاب زمانا وأحوالا ثم رجع للأعداء.

(2) يريد ببني الأحرار: الفرس، والقلقال (بالكسر والفتح): شدة الحركة.

(3) الغلب: (جمع أغلب): وهو الشديد، والأساورة: رماة الفرس، وتربب: من التربية، والغيضات: (جمع غيضة): للشجر الملتف، والأشبال: جمع شبل (بالكسر): وَلَدُ الأسد إذا أدرك الصيد.

(4) يريد بالشدف: عظام القسي، والغبط (جمع غبيط) وهي عيدان الهودج، والزمخر: القصب اليابس، يريد به قصب النشاب.

(5) غمدان (بضم فسكون): قصر بناه يشرح بن يحصب على أربعة أوجه: وجه أبيض ووجه أحمر ووجه أصفر ووجه أخضر، وبنى في داخله قصرا على سبعة سقوف بين كل سقفين منها أربعون ذراعا، وجعل في أعلاه منزلا ملأه بالرخام الملون، وجعل سقفه رخامة واحدة، وصير على كل ركن من أركانه تمثال أسد كأعظم ما يكون من الأسد، فكانت الريح إذا هبت إلى ناحية تمثال من تلك التماثيل دخلت في دبره وخرجت من فيه فسمع له زئير كزئير السباع. وقيل إن الذي بناه هو سليمان بن داود عليهما السلام، وللشعراء فيه كثير من الشعر. وروي أنه هدم في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه.

(6) شالت نعامتهم: هلكوا، والنعامة: باطن القدم، وشالت: ارتفعت ومن هلك ارتفعت رجلاه وانتكس رأسه فظهرت نعامة قدمه.

تلك المكـــارم لا قعبان من لبن   شيبا بـــماء فعادا بعـــدُ أبوالا

ثم ودعهم وأحسن جوائزهم، وبشر عبدَ المطلب بمبعث النبي ﷺ.

ومكث سيفُ بن ذي يزَنٍ في الملـك بضعـا وعشـرين سـنة. وكـان قـد اسـتبقى جماعةً من الحبشة أشفق عليهم وجعلهم خدماً له، ثم تآمروا عليه مع بقايا الأحبـاش باليمن فقتلوه. وكان سيف هذا هو آخر من ملك اليمن من قحطانَ.

وقد روي أَن الحبشة ملكوا اليمن لمدة اثنتين وسبعين سنةً، تعـاقبَ عليهـا أربعـة ملوك هم: ارياط وأبرهةُ الأشرمُ، وابناه: يكسوم ومسروق.

وروي ـ أيضا ـ أن بعض جيش الفرس بقي بـاليمن و لم تـزل أحفـادهُ بـه، وهـم الأبناء الذينَ اشتهروا باليمن، وأن كسرى أمَّر على اليمن وهرز الفارسـي، و لم يـزل عليه حتى مات، فأمر ابنه المرزبان بن وهرز الفارسي ثم ابنه التيجان بن المرزبان ثـم ابن التيجان مكانه، ثم عزله وأمر على اليمن باذان؛ فلم يزل عليه حتى جاء الإسلام وأسلم باذان سنة عشر، وبعث بإسلامه وإسلام من معه مـن الفـرس إلى رسـول ا لله ﷺ. وكان من الأبناء هؤلاء: فـيروز ودادويـه اللـذان قتـلا العنسـيَّ الكـذابَ. وا لله سبحانه وتعالى أعلم.

ثم قال رحمه ا لله وعفا عنه:

وَهَكَـــذَا أَسْلَـمُ رَهْطُ الأَكْوَعِ   وَابْنِ أَبِي حَـــدْرَدٍ الْمُرْتَفِعِ

تِبْيَانُ خَيْرِ لَيْلَـةٍ أَنْ لاَحَى   كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ وَخَيْراً جَاحَا

أَوْسُ الَّذِي بِأَمْرِ خَيْـرِ قَبَسِ   وَسَمَ سَرْحَهُ بِقَيْدِ الْفَـــرَسِ

وَوَهَـــبَ النَّبِيَّ وَالصِّدِّيقَا   قَرِيعَـــهُ وَنَكَّـبَ الطَّرِيقَا

بِهِمْ غُلاَمُـــهُ إِلَى الْمَدِينَهْ   فَزَانَ مَازِنًا حُلَى ذِي الزِّينَـهْ

وَ الإِخْوَةُ السَّبْعَةُ تَحْتَ الشَّجَرَهْ   قَدْ بَايَعُوا مِنْ هَؤُلاَءِ الْخِيَرَهْ

قوله **أسلَم** (بفتح اللام)[1]: مبتدأ، خبره: **هكذا** قبله. **ورهط** (بالرفع): صفة **لأسلم**. **وابن أبي حدرد** (بالجر): عطف على **الأكوع**، والمراد به عبد ا لله بن أبي حدرد. **والمرتفع**: صفة لابن أبي حدرد. **وتِبيان** (بكسر التاء) فاعل **المرتفع**، والمراد **بخير ليلة**: ليلة القدر. **وأن** (بفتح الهمزة): تعليلية، أي لأجل أن **لاحى** (وهو من الملاحاة وهي المخاصمة والمنازعة). وفاعل **لاحى**: ضمير مستتر عائد على ابن أبي حدرد. **وكعب بن مالك** (بالنصب) مفعول به للاحى. وقوله **خيرا** (بالنصب) مفعول به **لجاح** بعده. والألف في **جاحا** ضمير عائد على ابن أبي حدرد وكعب. أي أزالا خيرا كثيرا بملاحاتهما التي كانت سببا في ارتفاع ليلة القدر.

يقول: ومن مازن بن الأزد ـ ثم من بني ماء السماء منهم ـ بنو أسْلَم بن أفصى رهط الأكوع وعبد ا لله بن أبي حدرد. وأسلم هذا ابن افصى بن حارثة بن مزيقيا بن ماء السماء بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأَزد.

أما **الأكوع** فهو سنانُ بن عبد ا لله بن قشير بن خزيمة بن مالك بن مازن بن الحارث بن سلامان بن أسلم؛ وقيل هو سنان بن عياذ بن ربيعة بن كعب بن أُمية بن يقظة بن خزيمة بن مالك بن سلامان بن أسلم الأسلمي والدُ الصحابي الجليل عامر بن الأكوع المستشهد يومَ خيبر وجدُّ سلمةَ بنِ عمرو بن الأكوع الذي كان ممن بايع تحت الشجرة ؛ وهو الشجاع المشهور العدَّاء الذي كان يسبق الخيل عدْوا

---

(1) ليس في العرب أسلم (بضم اللام) إلا ثلاثة اثنان منهم في قضاعة وهما: أسلمُ بن الحاف وأسلمُ بن تدول بن تيم اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب، والثالث في عك وهو أسلم بن القيانة بن غابن بن الشاهد بن عك، وما عدا هؤلاء فأسلم (بفتح اللام). ذكره ابن حبيب في المؤتلف والمختلف. [الروض الأنف].

على قدميه، وكان راميًا فاضلا.

وأما **ابن أبي حدرد** فهو أبو محمد عبد الله بنُ ابي حدرد، واسم أبي حدرد سلامة بن عمير بن أبي سلامة بن سعد بن مساوب بن الحارث بن قيس بن هوازن بن أسلم الأسلمي. شهد الحديبيةَ وخيبرَ وما بعدهما، وكان معدودا من أهل البيت، وبعثه رسول الله ﷺ في السنة الثامنة ـ ومعه رجلان ـ إلى "الغابة"، لما بلغه أن رفاعة بن قيس (أَحدَ بني جشم بن معاوية) يجمع لحربه في بطن عظيم من بني جشم ــ وكان سيدا فيهم ـ فقال ﷺ لعبد الله بن أبي حدرد وصاحبيه «اخرُجوا إلى هذا الرجل حتى تاتوا منه بخبر وعلم»[1] قال عبد الله: فخرجنا ومعنا سلاحنا من النبل والسيوف حتى جئنا قريبا من القوم مع غروب الشمس، قال: فكمنت في ناحية وأمرت صاحبيَّ فكمنا في ناحية أخرى، وقلت لهما: إذا سمعتماني كبرت وشددت في ناحية العسكر فكبرا وشدا معي. قال: وأقمنا كذلك ننتظر غرة القوم أو أن نصيب منهم شيئا، وقد غشينا الليل حتى ذهبت فحمة العشاء[2]. وكان لهم راعي سرح في ذلك البلد فأبطأ عليهم حتى تخوفوا عليه، فقام صاحبهم ذلك فأخذ سيفه وجعله في عنقه، وقال: لأتبعن أثر راعينا هذا ولقد أصابه شر، فقالوا له: دعنا نحن نذهب في طلبه ونكفك أنت أو نذهب معك إليه، قال: والله لا يذهب إليه أحدٌ إلا أنا ولا يتبعني أحد منكم. قال عبد الله: فخرج حتى مر بي، فلما أمكنني نفحته بسهم[3] فوضعته في فؤاده، فوالله ما تكلم، ووثبت عليه فاحتززت رأسه وشددت في ناحية العسكر وكبرت وشد صاحباي وكبرا ؛ فوالله ما كان إلا النجا ممن فيه

---

(1) حديث: اخرجوا إلى هذا الرجل.. إلخ: ذكره ابن هشام: 4 / 306 ، وابن كثير في البداية والنهاية.

(2) الفحمة (بفتح فسكون): سواد الليل وقيل خاص بأول ظلام الليل.

(3) أي رميته به.

عندك عندك[1].. بكل ما قدروا عليه من نسائهم وأبنائهم، وما خف معهم من أموالهم؛ فاستقنا إبلا عظيمة وغنما كثيرة، فجئنا بها إلى رسول الله ﷺ، وجئت برأسه أحمله معي. قال عبد الله بن أبي حدرد: فأعاني رسول الله ﷺ من تلك الإبل بثلاثة عشر بعيرا في صداق امرأة تزوجتها من قومي على مائتي درهم، فجئت بها إلى أهلي.

ثم بعث رسول الله ﷺ أيضا عبد الله بن أبي حدرد هذا عينا إلى هوازن بحنين، فدخل فيهم حتى سمع وعلم ما قد اجمعوا عليه من حرب رسول الله ﷺ، وسمع من مالك بن عوف النَّصْرِيِّ، رئيسهم؛ ثم أقبل حتى أتى رسول الله ﷺ فأخبره الخبر. وتوفي عبد الله بن أبي حدرد هذا سنة إحدى وسبعين عن إحدى وثمانين سنة.

وأشار الناظم بقوله: **المرتفع تبيان خير ليلة**.. إلى ما روي في الصحيح وغيره أن كعب بن مالك الأنصاري لقي عبد الله بن أبي حدرد الأسلمي ـ وكان له عليه دين فأراد أن يتقاضاه منه. فسارا حتى دخلا المسجد فجرت بينهما مخاصمة وملاحاة حتى ارتفعت أصواتهما في المسجد، وكان رسول الله ﷺ قد خرج ليخبر الناس بليلة القدر ؛ فوجدهما يتلاحيان فحجز بينهما واشتغل بإصلاحهما، ثم قال: «خرجت لأخبركم بليلة القدر[2] فتلاحى فلانٌ وفلان فرفعت[3] وعسى أن يكون خيرا لكم»[4]. وفي النهر الجاري على صحيح البخاري قال: كان لكعب بن

---

(1) النحا: السرعة ، وعندك عندك: كلمتان يقولهما الإنسان عند الإغراء.

(2) أي بتعيين ليلة القدر.

(3) أي من قلبي فنسيت تعيينها للاشتغال بالمتخاصمين.

(4) أخرجه البخاري ، ووجه الخيرية من جهة أن خفاءها يستدعي قيام كل الشهر أو العشر بخلاف ما لو بقيت معروفة.

مالك الأنصاري على عبد الله بن أبي حدرد الأسلمي مال، قيل كان أوقيتين، فلقيه كعب فلزمه؛ فارتفعت أصواتهما في المسجد حتى سمعها رسول الله ﷺ وهو في بيته فخرج إليهما فقال: «يا كعب ضع عنه من دينك الشطر» أي النصف، فقال كعب: قد فعلت يا رسول الله، فقال ﷺ لابن أبي حدرد: «قم فاقضه الشطر الآخر»[1] ففعل.

وأما **كعب بن مالك** فهو الصحابي الجليل شاعر رسول الله ﷺ الخزرجي الجشمي ثم السلمي، وسيأتي التعريف به عند ذكره في النظم.

قوله أوس (بالرفع) مبتدأ، خبره محذوف. أي ومن أسلم بن افصى ـ أيضا ـ أوس بن عبد الله بن حجر. **والقبس** (بالتحريك): الضوء، وكنى **بخير قبس** عن رسول الله ﷺ لأنه أفضل ضوء يستضاء به وخير نور يهتدى به، وهو قبس يلوح كما يلوح ضوء المهنّد إذا أخرج من غمده كما قال حسان بن ثابت:

أغر عليه للنبوءة خاتم ... من الله مشهود يلوح ويشهد

وأرسله ضوءا منيرا وهاديا ... يلوح كما لاح الصقيل المهند

وكما قال كعب بن زهير:

إن الرسول لسيف يستضاء به ... مهند من سيوف الله مسلول

وقول حسان أيضا:

فينا الرسول وفينا الحق نتبعه ... حتى الممات ونصر غير مجدود

واف وماض شهاب يستضاء به ... بدر أنار على كل الأماجيد

مبارك كضياء البدر صورته ...إلخ.

---

(1) أخرجه أحمد في المسند.

وكقول كعب بن مالك:

فإني - وإن عنفتموني - لقائل فدى لرسول الله أهلي وماليا
أطعناه لم نعدله فينا بغيره شهابا لنا في ظلمة الليل هاديا

وقد كان ﷺ وهو ما زال في أصلاب الرجال نورا ينتقل من أصلاب الطاهرين لأرحام الطاهرات ، كما قال شمس الدين الدمشقي:

تنقل أحمد نورا عظيما تلألأ في جباه الساجدينا
تقلّب فيهمُ قَرنا فقرنا إلى ان جاء خير المرسلينا

وقوله وسم سرحه: أي جعل له سمة (وهي أثر الكي بالنار) والسرح (في الأصل): المال السائم، والمراد به هنا إبل أوس. وقوله **بقيد الفرس:** متعلق **بوسم**، والمراد **بقيد الفرس:** سمة خاصة تكون في العنق على صورة قيد الفرس، وهي حلقتان بينهما مد (صورتها >—<) قال الراجز:

كوم على أعناقها قيد الفرس تنجو إذا الليل تدانى والتبس

وقوله **ووهب:** فاعله ضمير عائد على **أوس. وقريعه** (بالنصب) مفعول ثان **لوهب**، والقريع (بوزن أمير) فحل الإبل، سمي بذلك لأنه مقتَرَع من الإبل أي مختار. **ونكب الطريق:** أي عدل عنها. وقوله **بهم:** متعلق **بنكب**، وهو عائد على النبي ﷺ وأبي بكر الصديق ورفقتهما رضي الله عنهم. **وغلامه:** فاعل **نكب. وحلي** (بضم الحاء المهملة): فاعل **زان. والزينة** (بكسر الزاي): ما يتزين به.

يعني أن من أسلم بن أفصى - أيضا - أوس بن عبد الله الأسلمي الذي مر به رسول الله ﷺ في طريق الهجرة هو ورفقته، وقد أعيت إحدى روَاحلهما، فأعطاهما فحْل إبله، وبعث معهما غلامه مسعودا؛ فكانت فعلته هذه حلية وزينة لقبيلته بني مازن بن الأزد بصفة عامة، ولرهطه أسلم بصفة خاصة.

أوس بن تميم وصنيعه مع النبي ﷺ وأبي بكر

وأوس هذا هو أبو تميم أوس بن عبد الله بن حجر (بتقديم المهملة وبضم فسكون أو بالتحريك) الأسلمي، وربما نسب إلى جده فقيل أوس بن حجر. كان رضي الله عنه شيخا من أهل العرج يسكن البادية. وقد مر به رسول الله ﷺ وأبو بكر في الهجرة برحبات (بين الجحفة وهَرْشَى) - وقد أبطأ عليهما بعض ظهرهما - فطلب منه أبو بكر أن يحملهما على بعير وأن يزودهما ويرسل معهما دليلا يدلهما على الطريق؛ فحملهما على فحل إبله وبعث معهما غلامه مسعودا دليلا، ومعه وطب لبن وقال له: لا تفارقهما حتى يصلا المدينة ويقضيان حاجتهما منك ومن جملك؛ ونكب بهما الطريق واسلك بهما حيث تعلم من مخارمها؛ فسلك بهما كما أمره سيدُه. قال مسعود: فجعلت أتخلل بهما الجبال والأودية، وكنت قد عرفت الإسلام[1]. قال: فصلى رسول الله ﷺ فقام أبو بكر إلى جنبه فجئت أصلي فدفع النبي ﷺ في صدر أبي بكر فقمنا خلفه. ولم يزل مسعود معهما حتى أوصلهما المدينة؛ ولما أراد الرجوع أمره رسول الله ﷺ أن يأمر سيده أوسًا أن يسم إبله في أعناقها بقيد الفرس، فامتثل أوس أمره صلى الله عليه وسلم؛ ولم تزل تلك سمتهم في إبلهم. وغلام أوس هذا اسمه مسعود بن هنيدة، أسلم حين مر بهم رسُولُ الله ﷺ في الهجرة، ولما عاد إلى سيده أوس أعتقه. ثم قدم بعد على رسول الله ﷺ فقال له: «أين تريد يا مسعود»؟ قال: جئت لأسلم عليك وقد أعتقني أبو تميم، قال: «بارك الله عليك، أين تركت أهلك»؟ قال: بموضعهم والناس صالحون، وقد كثر الإسلام حولنا، فأعطاه النبي ﷺ عشرا من الإبل فرجع إلى أهله فأصاب منها خيرا[2]. ولما مر

---

(1) وذلك لأنه كان قد أسلم حين مر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(2) الواقدي عن أبي سبرة: 3 / 413، من الإصابة.

المشركون بأهل العرج يقصدون المدينة (غزوة أحد) أرسل أوس غلامه مسعودا هذا إلى رسول الله ﷺ يخبره بهم؛ وكان آل أوس يسكنون "العرج" وهو منزل بين مكة والمدينة من بلاد أسلم بين الجحفة وهرشى[1].

قوله والإخوة: مُبتدأ خبره جملة قوله **من هؤلاء الخيرة، وهؤلاء:** إشارة إلى قبيلة أسلم. **والخيرة** (بالتحريك): جمع خير للكريم الفاضل، (وبكسر ففتح): أي المختارين.

يعني أن من أسلم بن أفصى ـ أيضا ـ الإخوة السبعة الذين أسلموا وصحبوا النبي ﷺ، وشهدوا معه بيعة الرضوان، ولا نظير لهم فيها. وقد تبع الناظم رحمه الله ـ في عدهم سبعةً ـ صاحبَ الحلة السيراء حيث قال: وهم سبعة إخوة شهدوها ولا نظير لهم. وقال في الإصابة والاستيعاب: إنهم ثمانية وهؤلاء الإخوة هم: هند وأسماء وخراش وذؤيب وفضالة وسلمة ومالك وحمران، بنو حارثة بن هند بن عبد الله بن غياث بن سعد بن عمرو بن عامر بن ثعلبة بن مالك بن أفصى؛ ومالك بن أفصى هذا أخو أسلم بن أفصى. ولم تعرف هذه المنقبة لغيرهم، وقد لزم منهم النبي ﷺ اثنان: أسماء وهند، قال أبو هريرة: ما كنت أرى أسماء وهندا إلا خادمين لرسول الله ﷺ من طول لزومهما بابه وخدمتهما إياه، وكانا من أهل الصفة. ومات هند بن حارثة بالمدينة في خلافة معاوية. وبعث رسول الله ﷺ أسماء إلى قومه يوم عاشوراء وقال: «مرهم بصيام يوم عاشوراء» فقال: أرأيت إن وجدتهم قد طعموا؟

---

(1) هرشى هذه: هضبة معروفة في طريق الهجرة، مر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتمر الطريق تارة من بطنها وتارة من خلفها، وفي ذلك يقول بعض الأعراب:

خذا بطن هرشى أو قفاها فإنما كــلا جانبي هرشى لهن طريق

قال: «فليتموا»[1]. وتوفي أسماء سنة ست وستين بالبصرة عن ثمانين سنة. وفي ابن حجر أنه لا يعلم إخوة في عددهم شهدوا بيعة الرضوان غيرهم. وقد أوردُوا عليه بني مقرن وهم: النعمان وسويد ومعاوية ونعيم وعقيل وعمرو ومعقل، بنو مقرن[2]؛ وكانت لهم صحبة وهجرة وفضل. وقد قال مصعب: هاجر النعمان بن مقرن ومعه سبعة إخوة له ؛ قال النعمان بن مقرن: قدمنا على رسول الله ﷺ في أربعمائة راكب من مزينة؛ وقال ابن مسعود: إن للإيمان بيوتا وللنفَاق بيوتا وإن من بيوت الإيمان بيت ابن مقرن.

تنبيه على أن الرجل قد ينسب إلى أخيه أو عمه للشهرة

هذا وقد نسب الناظم ـ رحمه الله ـ هؤلاء الإخوة السبعة إلى أسلم بن أفصى، مع أنهم ليسوا من ولده وإنما هم من ولد أخيه مالك بن أفصى، لاشتهار أسلم؛ وهو في ذلك متبع وما كان بدعا: قال في أسد الغابة: أسماء بن حارثة أسلمي وهو من ولد مالك بن أفصى أخي أسلم بن أفصى، ولاشتهار أسلم ينسب ولد أخيه إليه. وفيه أيضا: نعيم بن هزال الأسلمي من بني مالك بن أفصى، ومالك أخو أسلم، ويقال لهم: أسلميون ومالكيون. ثم إنه قد جرت عادة أهل السير أن ينسبوا إلى العمِّ وإلى الأخ إذا كانا مشهورين. ففي أسد الغابة ما نصه: أبو زيد عمرو بن أخطب الأنصاري، قال: وإنما قيل له *أنصاري* وليس من الأوس ولا الخزرج لأنه من ولد

---

(1) أخرجه أحمد، والحاكم في المستدرك ، وغيرهما .[الإصابة].

(2) وورد في أسمائهم ـ أيضا ـ ما نظمه من قال:

حذيفة نعيم النعمان ومعقل ضرارهم سنان
كذا سويد سبعة قد هاجَروا في الله ثم جاهدوا وصبروا
أبوهم مقرن يا هم من سبعة قد أنجبت أمهمُ

أخيهما عدي بن حارثة، والأوس والخزرج ولدا حارثة، وكثيرا ما كانت العرب تفعل هذا: تنسب ولد الأخ إلى عمه لشهرته. وفيه ـ أيضا: قيس بن مسحل من ولد كلب بن عوف الكناني، ثم قال: قيس بن مسحل اليعمري نسبة إلى يعمر الشداخ بن عوف، وهو أخو كلب بن عوف الكناني، قال: وكثيرا ما ينسبون إلى الأخ المشهور. وفيه ـ أيضا: أبو سعيد بن المعلى بن لوذان الزرقي جده حبيب بن عبد حارثة أخو زريق، وإنما قيل له *الزرقي* لأن العرب كثيرا ما تنسب ولد الأخ إلى أخيه المشهور. وهذا النوع لا ينحصر، وفي أسد الغابة وغيره له نظائر كثيرة.

ومن أسلم أيضا: بريدة بن الحصيب بن عبد الله بن الحارث بن الأعرج الأسلمي، مر به رسول الله ﷺ في طريقه مهاجرا بموضع يقال له الغميم[1]، فأسلم هو ومن معه، وكانوا نحو ثمانين بيتا، وصلى عندهم رسول الله ﷺ العشاء الآخرة فصلوا خلفه. وأقام بريدة بأرض قومه، ثم قدم على رسول الله ﷺ بعد أحد، فشهد معه ما بعدها من المشاهد؛ وكان ممن بايع تحت الشجرة. وسكن المدينة ثم تحول إلى البصرة وابتنى بها دارًا ، ثم خرج إلى خراسان فأقام بها بمرو حتى مات، ودفن بها. ومنهم ـ أيضا ـ خيرة بنت أبي حدرد أخت عبد الله بن أبي حدرد، وهي المشهورة (بأم الدرداء). وكانت لأبي الدرداء زوجتان كلهما تدعى أمَّ الدرداء إحداهما بنتُ أبي حدرد هذه ـ وهي الكبرى ـ وتوفيت قبل أبي الدرداء بالشام في خلافة عثمان، وكانت فاضلة ذات علم ودين وعبادة وعقل ورأي. والثانية أم الدرداء الصغرى، عاشت بعد أبي الدرداء؛ وكانت قد قالت لأبي الدرداء: إنك خطبتني إلى أبويَّ في الدنيا فأنكحوني إيَّاك، وإني أخطبك إلى نفسك في الآخرة، قال: فلا تنكحي

---

(1) وفي القاموس: كراع الغميم (كأمير): واد بين الحرمين على مرحلتين من مكة.

بعدي؛ فخطبها معاوية فأبت أن تتزوجه وأخبرته بما كان بينها وبين أبي الدرداء فقال لها: عليك بالصيام.

ومن أسلم أيضا: أبو عقبة أهبان بن الأكوع، عم سلمة بن عمرو بن الأكوع (وقيل هو ابن أوس) كان من أصحاب الشجرة في الحديبية، ثم سكن الكوفة. وروي في سبب إسلامه أنه كان في غنم له فكلمه الذئب، وستأتي قصته عند قول الناظم: *مكلم الذئب دليل خالد*..إلخ.

فائدة: يوخذ من أمره صلى ا لله عليه وسلم لأوس بن حجر المذكور قبلُ بوسم إبله في أعناقها بسمة خاصة، مدرك لجواز الوسْم للماشية ؛ وفعلاً نصَّ العلماء على جوازه. وكما أمر صلى ا لله عليه وسلم أوسا بذلك فقد أمر آخرين بسمات أُخرى وأرشدهم إلى بعض المواضع التي يسمون فيها، ونهاهم عن الوسم في أخرى. ففي أسد الغابة أنه صلى ا لله عليه وسلم أمر سِمْعَان بن خالد الكلابي من بني قرط أن يجعل ميسمه عِلاَطين بالسالفة اليسرى (والعلاط: علامة تجعل في عنق البعير عرضا وربما كانت خطا واحدا أو خطين أو أكثر في كل جانب، والسالفة: مقدم العنق). وكان سمعان هذا قد قدم على النبي ﷺ فدعا له بالبركة ومسح ناصيته وقال له: «أيما أحب إليك؟ تجعل رزقك في الوبر أو في المدر»؟[1]، قال: بل في الوبر؛ فأمره بالسمة المذكورة. وقدم عليه صلى ا لله عليه وسلم ـ أيضا ـ جُنادة بن جراد العيلاني الأسدي بإبل قد وسمها في أنفها، فقال: «يا جنادة أما وجدت عظما تسمها فيه إلا الوجه أوما علمت أن أمامك

---

(1) أخرجه أبو نعيم وابن منده ـ كما في أسد الغابة. وقوله: أيما أحب إليك..إلخ: يعني في البادية أو في المدينة والقرية، والبدو يتخذون بيوتهم من وبر الإبل، والمدر: جمع مدرة وهي البنية، وهي بناء أهل الحضر.

القصاص»؟ قال: قلت: أمرها إليك، قال: «ائتني بشيء ليس عليه وسم»، قال فأتيته بابن لبون وحقة وجعلت الميسم حيال العنق، فقال: «أخر»، ولم يزل يقول: «أخر».. حتى بلغ الفخذ، فقال النبي ﷺ: «على بركة الله»، قال: فوسمتها في أفخاذها، وكانت صدقتها حقتين[1].

وفي الاستبصار لابن قدامة: جاء أنس بن مالك إلى النبي ﷺ يحمل أخاه عبدَ الله بنَ أبي طلحة حين وُلد، فوجده يسم إبلاً أو غنما (أي يضع عليها علامة للتمييز) فألقى ما بيده وتناول الصبيَّ فحنكه بتمر ودعا له.

وكان من العرب من لا يَسِم - وهو قليل - مثل مُغفِل بن الواقعة بن حرام بن غفار الغفاري، وإنما لقب مُغفلا لأنه أغفل سمة إبله فلم يسمها - [كما في أسد الغابة].

ومن النيران التي كانت العرب توقدها في الجاهلية "نار الوسم" وهي النار التي يسم بها الرجل منهم إبله وخيله، فيقال له: ما سِمة إبلك؟ فيقول: نار كذا - [كما في نهاية الأرب]. ولوسوم الإبل أسماء كثيرة[2] وباب طويلٌ، ذكر أبو عبيد منه كثيرا في كتاب الإبل. والله أعلم.

ثم قال رحمه الله:

خُزَاعَةُ كَذَاكَ لَكِنِ انْخَـزَعْ ‌ ‌ عَنْ وِرْدِ غَسَّانَ وَمَا مِنْهُ نَقَعْ

---

(1) أخرج الدارقطني بعضه - [الإصابة].

(2) منها: المشيطنة والمفعاة والقرمة (وهي في الأنف) والدلو والمشط والفرثاج والثؤثور والدماع (في موضع الدمع) والصداغ (في الصدغ) واللجام (من الخد إلى العين) والهلال والخراش (وهو من الصدغ إلى الذقن) والجرف والخطاف (وهي في العنق) والعلاط والعلطتان (وهما في قصر العنق) وقيد الفرس والشعب (وهو كالمحجن، وهما في العنق) والرقمة (وهي في العضد والكشاح (للوسم في الكشح) والسطاع والخباط (في الفخذ)...

خزاعة: مبتدأ، و**كذاك**: خبره. و**المخزع**: أي انقطع. و**ورد** (بكسر الواو): بمعنى الورود. و**غسان**: اسم ماء ـ كما مر. والضمير في **منه**: عائد على **غسان**. و**نقع** (كمنع): شرب. وفاعل كل من **المخزع** و**نقع**: ضمير مستتر عائد على **خزاعة**.

يعني أن من بني مازن بن الأزد ثم من بني ماء السماء منهم ـ أيضا ـ القبيلة المعروفة بخزاعة، فهي من بني عمومة البطون الغسانية.

خزاعة وسبب تسميتها

وكان من خبرها وبدء أمرها وسبب تسميَتها بخزاعة: أنه لما تفرق أهل اليمن أيدي سبا ـ بسبب سيل العرم ـ تجمعت بطون من الأزد على ماء باليمن يقال له *غسان*[1] فسموا به وصار كل من أقام به يدعى غسانيا. وسار إخوتهُم بنو عمرو بن لحي بن حارثة الغطريف حتى نزلوا مرَّ الظهران وأقاموا به فسموا خزاعةَ لعدم ورُودهم ماءَ غسان وتخلفهم عنه، فكان ذلك سببَ تسميَةِ غسان بـ"غسان" وخزاعة بـ"خزاعة". وفي ذلك يقول عوف بنُ أيوب الأنصاريُّ ؛ وقيل حسانُ بن ثابت:

فلما نزلنا بطن مَرٍّ تخزعت ... خزاعةُ عنا في حلول كراكر[2]

---

(1) غسان: ماءٌ أو موضع بالشام، نزل به بنو ماء السماء اليمنيون.

(2) بطن مر: يريد مر الظهران، وهو موضع قريب من مكة، سمي "مرًّا" لمرارة مائه، وبه تخزعت خزاعة عن أخواتها، ونزل به رسول الله صلى الله عليه وسلم عشاء ومعه عشرة آلاف من المسلمين(في غزوة فتح مكة) فأوقدوا عشرة آلاف نار حين أمرهم صلى الله عليه وسلم بذلك. وتخزعت: تخلفت. وحلول: جمع حال من حل بالمكان: نزل. والكراكر: الجماعات من الناس واحدها: كركرة، وسميت خزاعة بهذا الاسم لأنهم لما ساروا مع قومهم من مأرب فانتهوا إلى مكة تخزعوا عنهم فأقاموا وسار الآخرون إلى الشام.

حمت كل واد من تهامة واحتمت بصم القنا والمـــرهفات البواتر[1]

ثم خرجت خزاعة حتى قدمت مكـة، فـنزلت علـى جرهـم، وهـم ـ إذ ذاك ـ سدنةُ الكعبة[2]، فأقاموا معهم ثلاث ليـال يقرونهـم، ثـم قـالوا لهـم: الضيافـة ثـلاث فارتحلوا عنا، فقالت خزاعة: نعم ولكن أمهِلونا نقيم اليومَ حتى ننتجعَ منزلا، فـأبت جرهم! فاقتتلوا فانهزمت جرهـم وأخرجتهـم خزاعـة مـن الحرم وخلفوهـم عليـه، وانتزعوا منهم مفاتح الكعبة. و لم تزل خزاعة بعد جرهم أهـلَ الحـرم وسـدنةَ البيـت يفتحونه لمن شاءوا وَمتى شاءوا حتى أزالهم عنـه قصـيٌّ بـنُ كـلاب، فوليـت قريـش بعدهم أمرَ الكعبَة. وقد قيل إن ولاية خزاعة للبيت كانت نحوًا من ثلاثمائة سنة. وقد تقدم أن خزاعةَ وإخوتَهم قضاعةَ من القبـائل المتذبذبـة بـين العدنانيـة والقحطانيـة، فخزاعة بنو عمرو بن لحي اتفاقا؛ واختلف في لُحي ـ واسمه ربيعة وكنيته أبو عمرو ـ فقيل هو ابن قمعة بن إلياس العدناني، وقيل هو ابن حارثة الغطريف بن ثعلبة العنقاء بن مزيقيا الأزدي ؛ كما قال الناظم:

"خـــزاعة كذاك ذو تذبذب ما بين قمعة وأزد يثـــرب"

وقيل لكل من النسبتين وجهٌ، فنسبته إلى قمعة بن إليـاس بـالولادة، وإلى حارثـة بـن

---

(1) وبعد البيتين:

خزاعتنا أهل اجتهاد وهجـــرة وأنصارنا جنـــد النبي المهاجـــــر
وســرنا إلى أن قد نزلنا بيثرب بـــــلا وهن منا وغير تشاجر
وسارت لنا سيارة ذات منظـــر بكوم المطايا والخيـــــول الجماهر
يؤمـــون أهل الشام حين تمكنوا ملوكا بأرض الشام فـــوق البرابر
أولاك بنــو ماء السماء توارثـوا دمشقا بملك كابــراً بعد كابــــر

(2) سدنة الكعبة: خدامها القائمون بشؤونها.

ثعلبة بالتبني. وذلك أن حارثة بن ثعلبة العنقاء خلف على أم لحي بعد أن آمت من قمعة بن إلياس ـ ولحي صغير ـ فتبناه حارثة، فنسب تارة إلى قمعة وتارة إلى حارثة. وقد اختلف في لفظ *خزاعة*، فقيل لقب جد من بني عمرو بن لحي اختلف النسابون في اسمه، وقيل خزاعة اسم قبائل من نسل عمرو بن لحي. وبطونهم كثيرة؛ مثل بني كعب وبني عدي وبني عوف وبني سعد وبني مليح وبني سلول.. وغيرهم.

أما بنو كعب فمنهم أكثم بن الجون الخزاعي الذي قال له النبي ﷺ: «رأيتُ عمرو بن لحي يجر قُصْبَه في النار[1] وما رأيت رجلا أشبه برجل منك به» ـ أو كما قال ـ فقال أكثم: هل يضرني شبهه يا رسول الله؟ قال: «لا، لأنك مسلم وهو كافر»[2]. وأم أكثم هذا أم معبد عاتكة بنت كعب الخزاعية ـ صاحبة الشاة ـ التي نزل بها رسول الله ﷺ هو وأبو بكر في طريقهما في الهجرة؛ والتي يقول فيها الشاعر:

جزى الله عنا والجزاء بفضله رفيقين حلاّ خيمتي أم معبد

هما نزلا بالبر ثم تروحا فأفلح من أمسى رفيق محمد

ليهنئ بني كعب مكانُ فتاتهم ومقعدها للمؤمنين بمرصد ..إلخ.

(وكان منزل أم معبد هذه بقديد). ومنهم سلمى بنت كعب بن عمرو الخزاعية أم لؤي وتيم ابني غالب بن فهر القرشيين.

وأما بنو عدي فمنهم عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي، أسلم عام الفتح وكان سيد خزاعة؛ وكان يقاتل مع عليٍّ بصفين، ولم يزل يضرب بسيفه يومئذ ويرتجز حتى انتهى إلى معاوية وأصحابه فأزالهم عن محلهم، فرشقوه بالحجارة حتى

---

(1) أخرجه مسلم. والقصب (بضم فسكون) المِعى، جمعه: أقصاب، أي يجر أمعاءه في النار.

(2) متفقٌ عليه.

قتلوه، وأرادوا أن يمثلوا به فمنعهم عبد الله بنُ عامر؛ فقال معاوية: هذا كبش القوم ورب الكعبة! والله لو استطاعت نساء خزاعة لقاتلتنا فضلاً عن رجالها، وتمثل بقول الشاعر:

أخو الحرب إن عضت به الحرب عضها | وإن شمرت عن ساقها الحرب شمرا
كليث هزبر كان يحمي ذماره | رمته المنايا قصدَهَا فَتَقَطَّرا[1]

وأخو عبد الله هذا نافع بنُ بديل من فضلاء الصحابة، قتل يوم بئر معونة. وقد تقدم ذكر عدَّة أعيان من بني كعب، وبني عدي هذين عند قول الناظم: *وهو أبو خزاعة وأكثم*..إلخ. وأما بنو سلول فمنهم عبد العزَّى بن قطن بن عمرو بن جندبٍ المصطلقي الذي شبه به النبيُّ ﷺ المسيحَ الدَّجال.

ومن خزاعة - أيضا - كرز بن علقمة بن هلال بن جرية بن عبد نهم بن حليل بن حُبْشية بن سلول بن كعب بن عمرو بن لُحي الخزاعي. وكرز هذا هو الذي قصَّ أثرَ النبي ﷺ ليلة الغار حتى وصل إلى الغار، فلما رأى عليه نسج العنكبوت قال: ههنا انقطع الأثر. وهو الذي قال حين نظر إلى قدم النبي ﷺ: هذه القدم من تلك القدم التي في المقام[2]. وقد أسلم كرز هذا يوم الفتح وعُمِّرَ عمرًا طويلا، وهو الذي نصب أَعلام الحرم[3] أيام معاوية في إمارة مروان على المدينة. وقد روي عنه أنه قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله هل للإسلام

---

(1) الليث: الأسد. والهزبر: الأسد الكاسر. والذمار: كل ما تلزم حمايته وحفظه والدفاع عنه كالأهل والعرض، يقال هو حامي الذمار: إذا حمي ما لو لم يحمه ليم وعنف، قيل سمي ذمارا لأنه يجب على أهله التذمر له: أي التغضب له. وقصدها: أي تجاهها فلم تخطئه. وتقطَّر: سقط، وقَطَّره: صرعه صرعة شديدة، وأقطره: ألقاه على أحد قطريه أي شقه وجانبه.

(2) يعني مقام إبراهيم ، وقد كان به أثر قدم إبراهيم عليه السلام ، أدركه أوائل قريش.

(3) أعلام الحرم: المراد بها الحجارة المنصوبة التي وضعت لتكون علامات وحدودا بين الحل والحرم.

منتهى؟ قال: «نعم، فمن أراد ا لله به خيرا من عرب أو عجم أدخله عليه ثم تقع فتن كالظلل يضرب بعضكم رقاب بعض، فأفضل الناس يومئذ معتزل في شعب من الشعاب يتقي ربه ويدع الناس من شره»[1]. ومن بني سلول ـ أيضا ـ لبنى بنت هاجر بن عبد مناف بن ضاطر الخزاعية أم أبي لهب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف. وا لله تعالى أعلم.

ثم قال رحمه ا لله وعفا عنه:

غَسَّانُ جِيلُ قَيْلَةَ الأَعْلَامِ هُمُ الْمُلُوكُ بُرْهَةً بِالشَّامِ

وَآلُ جَفْنَةَ هُمُ الْمُلُوكُ بِمَدْحِهِمْ مُلِئَتِ الصُّكُوكُ

آخِرُهُمْ جَبَلَةُ بْنُ الأَيْهَمِ فَرَّ إِلى الرُّومِ مِنَ اَرْضِ الْحَرَمِ

الجيل (بالكسر): الصنف من الناس. **وقيلة** (بفتح القاف): أم الأوس والخزرج، وهي بنت الأرقم بن عمرو بن جفنة الغسانية. يعني أن غسان هم أصل قيلة بنت الأرقم الغسانية وبنو عم ذريتها: الأوس والخزرج وهم الأنصار، وقد اشتهروا بالنِّسبة لأمهم فعرفوا ببني قيلة؛ ولبعض الشعراء فيهم:

بهاليل من أولاد قيلة لم يجد عليهم خليط في مخالطة عتبا[2]

---

(1) أخرجه أحمد في مسنده والحاكم، وروى البخاري بعضه. والظلل: جمع ظلة وهي ما أظلك من سحابة أو شجر وغيرهما. والشعب (بالكسر): انفراج بين الجبلين والطريق في الجبل جمعه شعاب بالكسر. ويدع الناس: يتركهم. والشر: الفساد والسوء ونقيض الخير وهو اسم جامع للرذائل والخطايا.

(2) بهاليل: جمع بُهلول (بضم الموحدة) وهو: السيد الجامع لكل خير. والخليط: المخالط لهم، أي المداخل لهم والمعاشر لهم كالجليس والمجالس. والمخالطة: المداخلة والمعاشرة. والعتب: اللوم، أي لم يجد شيئا ينكره عليهم من أفعالهم.

مساميح أبطال يراحون للندى   يـرون عليهم فعل آبائهم نحبا[1]

والأعلام: جمع علم (بالتحريك) وهو الجبل العالي الذي يهتدى به، وهــو صفـة لقيلة باعتبـار ذريتهـا الأوس والخـزرج. والضمـير في قولـه **هـم الملـوك**: عـائد علـى **غسانَ**. **وبرهة** (بوزن غرفة): المدة الطويلة من الزمـان. **والشـام**: البـلاد المشـهورَة، التي تعرف الآن بسوريا وفلسطين والأردن، وسميت بذلك لأنها عن مشأمة القبلة[2]، أو لأن أرضها شامات بيض وحمر وسود، أو لأن قوما من بني كنعان تشاءموا إليهـا (أي تياسروا). وجملة: **آل جفنة**..إلخ: مفسرة لقولـه **هـم الملـوك**. وقولـه **بمدحهـم**: متعلق **بملئت**. **والصكوك** (بضم الصاد): جمع صـك (بفتحـه) وهـو الكتـاب، وهـو نائب فاعل **ملئت**. **وجبلة** (بالتحريك): من ولد عمرو بن النعمان الجفني. **والأيهـم** (بالياء المثناة التحتية وبوزن ضيغم) هو ابن جبلة الغساني.

يعني أن غسان الذين هم أصل قيلة، قد استقر لهم ملك بالشام زمنا طويلا، وأن بيت ملكهم كـان في آل جفنـة بـن مزيقيـا، وقـد طـار ذكرهـم في الآفـاق وملئـت الصحائف بمدحهم والثناء عليهم، وأن آخر ملوكهم جبلة بن الأيهم الذي أسلم ثـم ارتد بمكة زمن عمر ولحق بقيصر ملك الروم.

وكان آل جفنة هؤلاء قد نزحوا مـن اليمـن إلى الشـام حـين جـاء سـيل العـرم، وتفرق أهل اليمن أيـدي سـبأ، فـنزل آل عمـرو بـن ربيعـة بـن حارثـة بمكـة (وهـم خزاعة) ـ كما مر ـ وذهــب عمـران بـن عـامر نفسـه وذريتـه إلى عمـان (وهـم أزد

---

(1) مساميح: أي أهل جود وسماحة، جمع سَمْح. وأبطال: أي أهل شجاعة، جمع بطل. والندى: الجود والفضل والخير. ويراحون: أي يسرعون إلى فعله فرحين. والنحب: النذر، أي يرون فعل أسلافهم نذرا عليهم يجب الوفاء به.

(2) المشأمة: ضد الميمنة.

عمان)؛ ونزل أزد السراة السراة؛ وسار آل جفنة بن مزيقيا بن ماء السماء نحو الشام (وهم الغساسنة)؛ وسار آل حارثة بن العنقاء إلى يثرب (وهم الأوس والخزرج) وسكنوها فعرفوا (ببني قيلة)، ثم طرأ لهم اسم بعد إسلامهم هو *الأنصار*، فنالوا مجداً عظيما وشرفا جسيما؛ فلذلك وصفهم **بالأعلام**.

بعض أخبار آل جفنة ملوك الشام

وأول ملوك آل جفنة بالشام: جفنة بن عمرو مزيقيا بن ماء السماء. وكان هو أولَ من تولى قيادة الغسانيين إلى أطراف الشام الجنوبية، وإليه تنسب أمراء الغساسنة، فيقال لهم "آل جفنة"، وكانت عاصمتهم *الجابية* من قرى الجولان، ثم امتد سلطانهم إلى تدمرَ وضفةِ الفرات شمالا، بعد أن حكموا عبر الأردن ووادي اليرموك جنوبا. وكان جفنة من الشجعان الأشداء، حارب الضجاعم - امراء البلقاء وحوران - وقهرهم وبنى آثارا كثيرة منها جِلق والقرية، وطالت مدته.

ومن ملوكهم عمرو بن جفنة بن عمرو، قيل إنه كان أول من لبس التاج من ملوك الغساسنة، قاتل الروم في أرض البلقاء وهزمهم، ثم التقى بهم في مرج الظباء فتكاثروا عليه فصالحهم على جزية يؤديها إليهم؛ فكانت هي الجباية بدمشق. ومنهم الحارث الأكبر بن جبلة بن الحارث الرابع بن حجر الغساني،كان من أشهر أمراء بني جفنة في بادية الشام وأعظمهم شأنا، وهو الذي حارب المنذر الأكبر ابن ماء السماء اللخمي ملك الحيرة وانتصر عليه؛ وكان الحارث هذا داهية عارفا بأسرار الحروب جوادا، واستمرَّ مِلِكا نحوا من أربعين سنة ؛ ويقال له الحارث الخامس. وهو أبو حليمة بنت الحارث المنسوب إليها "يوم حليمة"، أحد أيام العرب المشهورة، و"مرج حليمة" ببادية الشام؛ وكانت فيه الواقعة بين أبيها الحارث الأكبر الغساني وبين ملك الحيرة المنذر الأكبر اللخمي. وإنما نُسبا إليها لتحريضها رجالَ

أبيها على القتال في ذلك اليوم، أو لأنها أخرجت إليهم مِركنا فيه طيب فطيبتهم منه. وفيها المثل السائر: "ما يومُ حليمة بسرّ" يضرب في كل أمر متعارف مشهور. ومن أمثالهم "أعز من حليمة"، يعنونها. وقد قال نابغة ذبيانَ يصف سيوفا:

تُوُرِّثْنَ من أزمان يوم حليمة   إلى اليوم قد جُرِّبْنَ كلَّ التَّجاربِ

ومن ملوكهم ـ أيضا ـ عمرو بن الحارث بن عمرو بن عدي بن حجر بن الحارث الغساني، وحجر بن النعمان بن الحارث بن أبي شمر الغساني، والحارث الجفني بن أبي شمر، مدحه النابغة وحسان بن ثابت. وقد قيل إن مدةَ ملك آل جفنة بالشام ستُّمائة وست عشرة سنة، تعاقب عليها بضع وثلاثون ملكا. وكان آخر ملوكهم: جبلةُ بن الأيهم في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وكانت الملوك الغساسنة كراما ممدَّحين تفِد عليهم الشعراءُ فتمدحهم وتسترفدهم فَيَرفدونها وتجتديهم فيُجْدُونها[1]، وقد أجادت في مدحهم وأحسنوا جوائزها. وممن مدحهم النابغةُ الذبيانيُّ بمدائح كثيرة؛ منها قوله من قصيدة في مدحهم:

عليَّ لعمرو نعمةٌ بعد نعمة   لوالده ليست بذات عقارب[2]

حلفت يمينا غيرَ ذي مثنوية[3]   ولا علم إلا حسنُ ظن بصاحبي

لئن كان للقبرين: قبرٍ بجلق   وقبر بصيداء الذي عند حارب[4]

---

(1) استرفدهُ: استعانه واستعطاه. ورَفَده يَرفده رَفْدًا: أعطاه وأعانه، والرفد: المعونةُ. واجتدى فلانًا واستجداه: سأله حاجته وطلب جدواه أي عطيّته، وأجداه: أعطاه الجدوى.

(2) عقارب النعمة: تكديرها بالمن والأذى، والمعنى: علي لعمرو نعمة حديثة بعد نعمة قديمة لوالده، لم يكدرها منٌّ ولا أذىً.

(3) أي لم يستثن فيها ثقة بالممدوح وحسن ظن به.

(4) جلق: اسم لدمشق، وصيداء: من مدن الشام. وحارب: اسم رجل أو بلد. وصاحبا القبرين: أبوه يزيد وجده الحارث الأعرج.

وللحارث الجنفي سيدِ قومه[1] لَيَلتَمِسَنْ بالجيش دار المحارب
وثقت له بالنصر إذ قيل قد غزت كتائب من غسان غير أشائب[2]
بنو عمه دنيا وعمرو بن عامر أولئك قوم بأسهم غير كاذب

إلى أن يقول:

هم شيمة لم يعطها الله غيرَهم من الجود والأحلام غير عوازب[3]
محلتهم ذاتُ الإله ودينُهم قويم فما يرجون غيرَ العواقب[4]
رقاق النعال طيبٌ حجزاتهم يُحَيَّوْن بالريحان يوم السَّباسب[5]
تحييهم بيضُ الولائد بينهم وأكسيةُ الإضريج فوق المشاجب[6]
يصونون أجسادًا قديمًا نعيمُها بخالصة الأردان خضر المناكب[7]
ولا يحسبون الخيرَ لا شرَّ بعده ولا يحسبون الشرَّ ضربة لازب[8]

---

(1) هو الحارث الأكبر بن ابي شمر سيد آل جفنة. فالممدوح ـ إذن ـ هو الحارث بن يزيد بن الحارث الأعرج بن الحارث الجفني.

(2) الأشائب: الأخلاط من الناس. يريد أنه غزا بغسان و لم يحتج أن يستعين بسواهم.

(3) شيمة: طبع وخلق. والأحلام: العقول، والعوازب: جمع عازب: وهو الغائب.

(4) محلتهم بالحاء (المهملة): يعني الأرض المقدسة، وبالجيم: كتابهم الذي يحتكمون إليه.

(5) رقة النعال: كناية عن الترف لأنهم لا يمشون على أرجلهم. وطيب الحجزات: كناية عن العفة. والريحان: الزهر الطيب الرائحة. ويوم السباسب: أحد أعياد النصارى؛ وكان الممدوح يدين بالنصرانية.

(6) الولائد: الإماء البيض الحسان. والاضريج: الخز الأحمر. والمشاجب: أعواد تعلق عليها الثياب (جمع مِشجب)؛ يعني أنهم ملوك أهل نعمة: خدمهم الولائد البيض، وثيابهم ثمينة مصونة تعلق على المشاجب.

(7) قديما نعيمها: أي عريقة في التنعم. والخالصة: الشديدة البياض. والأردان: جمع ردن: مقدم كم القميص. وخضر المناكب: أي مصبوغة مناكبها بالخضرة. وهذا النوع من الثياب هو زي تلك الملوك.

(8) اللازب: الثابت اللازم، يعني أنهم عرفوا تصرف الزمان وتقلبه فلا يغترون بشيء من أحواله، فلم يثقوا بخيره و لم يضجروا من شره.

حبوت بها غسان[1] إذ كنت لاحقا ... بقـــومي وإذ أَعْيَـت علي مذاهبي

ويقول ـ أيضا ـ وهو يصف كتائبَهم، وقد أحسن وأجاد:

إذا ما غــزوا في الجيش حلَّقَ فوقهم ... عصائبُ طير تهتـــــدي بعصائب

يصاحبنَهم حتى يُغــــرن مغارَهــم ... من الضاريات بالدماء الدَّوارب[2]

تراهــنَّ خلف القوم خزرًا عيونُها ... جلوسَ الشُّيــوخ في ثياب المرانب[3]

جوانح قد أيقـــن أن قبيلَـــــــه ... إذا ما التقى الجمعان أولُ غالـــب

لَهنَّ عليهـــــم عادة قد عـرفنها ... إذا عُرِّضَ الخطِّيُّ فـــوق الكواثب[4]

على عارفات للطعـــان عوابـــس ... بهن كلـــــومٌ بين دام وجالب[5]

إذا استنزلوا عنهن للطعــــن أرقلوا ... إلى المـوت إرقالَ الجمال المصاعب[6]

فهــــم يتَساقَـــوْن المنية بينهم ... بأيديهمُ بيضٌ رقاق المضــــارب

يطير فضاضًا بينها كـــلُّ قونس ... ويتبعها منهـــم فراش الحواجب[7]

---

(1) أي بقصائدي.

(2) أي تسير جماعات الطير معهم كأنها تغير بغارتهم على الأعداء. والضاريات: المتعودات. والدوارب: المدربات.

(3) القوم: الحارث وجيشه، والخزر: جمع أخزر وهو الذي ينظر بمؤخر عينه ، والمرانب: الأكسية المصنوعة من جلد الأرنب أو هي الثياب المبطنة بفراء الأرانب.

(4) الخطي: الرمح المنسوب إلى الخط (بلد بالبحرين) تنسب إليه الرماح الجياد ، والكواثب: جمع كاثبة، وهو امام القربوس، أي اعتادت الطيرُ أن الرماح إذا عرضت على الكواثب كان ذلك لرزق يساق إليها.

(5) عارفات: صابرات لطعان الأعداء عابسات الوجوه، والكلوم: الجروح (جمع كَلم). والدامي: الذي يسيل دمًا. والجالب: الذي يَيس وَعَلَتْه جلبة وهي القشرة الجافة فوق الجرح.

(6) استنزلوا: أي ضاق الموضع على الدابة فنزلوا عن الخيل للطعان. وأرقلوا: أسرعوا. والمصاعب: جمع مصعب للفحل الذي لم يُرَضْ و لم يجعل فيه حبل فإذا ركب وأسرع إلى مقصده لم يردعه رادع.

(7) الفضاض: المتفرق. والقونس: أعلى البيضة التي توضع على الرأس. وفراش الحواجب: العظام الرقاق التي تكون أسفل الجمجمة فوق الحنك والحلق، والضمير في يتبعها: يعود على *كل قونس* لأنه في معنى الجمع.

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم ... بهن فلولٌ من قراع الكتائب[1]
تورثن من أزمان يوم حليمة ... إلى اليوم قد جُربن كلَّ التجارب
تقد السَّلوقيَّ المضاعفَ نسجُه ... وتوقد بالصُّفَّاح نارَ الحُباحب[2] ..إلخ

ويقول فيهم - أيضا - حين ارتحل عنهم:

لا يبعد الله جيراناً تركتهم ... مثلَ المصابيح[3] تجلو ليلةَ الظلم
لا يَبْرَمون إذا ما الأفقُ جلَّله ... بردُ الشتاء من الإمحال كالأدم[4]
هم الملوك وأبناء الملوك لهم ... فضل على الناس في اللأواء والنعم
أحلامُ عادٍ وأجساد مطهرة ... من المعقَّة والآفات والاثم[5]

وله - أيضا - في رثاء النعمان بن الحارث بن أبي شمر الغساني من قصيدة:

فلا يهنئ الأعداء مصرع مَلْكِهِمْ ... وما عتقت منه تميمٌ ووائل[6]
وكانت لهم ربعية يحذرونها ... إذا خضخضت ماءَ السماء القبائل[7]
يسير بها النعمان تغلي قدورُها ... تجيش بأسباب المنايا المراجل

---

(1) الفلول: جمع فَلٍّ وهو الثلمة. والقراع: المجالدة. والكتائب: الجيوش؛ وفي البيت تأكيد للمدح بما يشبه الذم.

(2) تقد: تشق. والسلوقي: الدرع المنسوبة إلى سَلُوق (من ساحل أنطاكية) بالشام. والمضاعف: الذي نسج حلقتين حلقتين. والصفَّاح: حجارة عراض؛ والمراد بها ما يجعل على الرأس من البيض. ونار الحباحب: شعاع يضيء بالليل من ذباب يسمى: الحباحب.

(3) شبههم بالمصابيح في حسن الوجوه، أو لأنهم يستضاء بآرائهم فيكشفون بها ما التبس من الأمور.

(4) أي ليسوا بأبرام إذا اشتد الشتاء، والبرم (بالتحريك): الذي لا يدخل في أقداح الشتاء بُخْلاً ولؤمًا. والإمحال: الجدب. والأدم: الجلد الأحمر؛ يريد السحاب الأحمر وهو علامة الجدب.

(5) الأحلام: العقول. وعاد: أمة قديمة كانت تسكن الأحقاف. والمعقة: العقوق. والإثم (جمع اثمة): الآثام أو إرادتها.

(6) مصرع: موت. وملكهم: هو النعمان، وما: مصدرية. وعتقت: نجت، أي لا يهنئ الأعداء موت النعمان ونجاتهم منه.

(7) ربعية: غزوة في الربيع. وخضخضت: حركت الماء باستقائها منه بالدلاء.

تحــــت الحداةُ جالزا بردائـــــه يقي حاجبيْه مـا تُثـــيرُ القَنابل[1]

يقــول رجال ينكرون خليقـتي لعـــلَّ زيادًا ـ لا أبا لك ـ غافـلُ

أبى غفلتي أني إذا ما ذكرتـــه تحـــرك داءٌ في فؤاديَ داخــل

وان تلادي ـ إن ذكرت ـ وشِكتي[2] ومُهـــري وما ضَمَّت إلي الأنامل

حِباؤُك والعيـــسُ العتاق كأنهــا هجان المها تحـدى عليها الرحائل[3]

إلى أن يقول:

سقــى الله قبرا بين بُصرى وجاسم بغيــث من الوسمي قطرٌ ووابل[4]

ولا زال ريحانٌ ومســكٌ وعنـبرٌ على منتهاه ديمـة ثم هاطـــلُ

وينبت حَــوْذاناً وعوفا منورا سأُتبعــه من خير ما قال قائل[5]

بكى حارثُ الجــولان من فقد ربه وحوران منه موحــش متضائل[6]

قعــودًا لـه غسان يرجون أوبــه وترك ورهــط الأعجمين وكابل[7]

وممن مدحهم ـ أيضا ـ علقمةُ بن عبدة التميمي بقصيدته المشهورة:

طحا بك قلب في الحسان طروب بعيد الشباب عصر حان مشيب[8]

ويقول فيها:

---

(1) الجالز: الذي تعصب بعمامته. وتُثير: تحرك. والقنابل: القطع من الناس في الخيل.

(2) التلاد: المال القديم. والشكة: السلاح.

(3) حباؤك: هبتك. والعيس: الإبل البيض. وهجان المها: بيضها. وتحدى: تساق.

(4) بصرى وجاسم: موضعان بالشام. والوسمي: أول المطر لأنه يسم الأرض بالنبات.

(5) الحوذان والعوف: نبتان طيبا الرائحة؛ وبالعوف هذا كنيت الجرادة (أم عوف) لكثرة نزولها عليه، وسأتبعه: أي سأثني عليه بخير القول.

(6) الجولان وحوران: مكانان معروفان بالشام، وموحش: أي ذو وحشة، ومتضائل: متصاغر.

(7) يقول: إن العرب والترك والعجم كانوا يؤملون حياة النعمان ويرجونه لما كانوا يدركون به من النعمة والتمكن.

(8) طحا: اتسع وذهب في كل مذهب. والطرب: خفة تصيب الرجل لشدة الفرح أو الحزن، أي ذهب بك قلبك كل مذهب في طلب الحسان بعد مضي الشباب وإقبال المشيب.

إلى الحارث الوهاب أعملت ناقتي   لكلكلهاوالقُصـــريين وجـــيبُ[1]
لتبلغني دار امرئ كان نائيـــا   فقد قـــربتني من نداك قروب[2]
إليك أبيت اللعن كان وجيفهـا   بمشتبهات هولهن مهـــــيب[3]

إلى أن يقول:

فوا لله لـولا فارس الجون منهم   لآبوا خـــزايا والإياب حبيب[4]
تقدمه حتى تغيب حجـــوله   وأنت لبيْض الدارعين ضَـــروب
مظاهر سربالَيْ حـــديد عليهما   عقيلا سيـــوف مخذم ورسوب[5]
فجالدتَّهم حتى اتقوك بكبشهم[6]   وقد حان من شمس النّهار غروب
تجود بنفس لا يُجاد بمثلهـــا   وأنت بها يـــوم اللقاء تطيب[7]

وممن مدح آل جفنة هؤلاء ـ أيضا ـ حسان بن ثـابت الأنصـاريُّ ثـم النجـاري؛ فقد كان يفد عليهم في أيام الجاهلية ويقيم عندهم طويلا ويمتُّ لهم بالرحم والقرابة، لأنهم جميعا من نسل مزيقيا بن ماء السَّماء، فيمدحهم ويستمطر معروفهم فيُجْـدون عليه ويملأون بجوائزهم يديْه؛ وقد أجاد في مدحهم، وكان أَجود شعره هـو مـا قالـه فيهم، وحَسْبُه لاميته المشهورةُ في مدحهم؛ رُوي أنه قال: قدمت يومـا علـى عمـرو

---

(1) الحارث: هو ابن جبلة، أبي شمر الغساني. وأعملت: أجهـدت. وكلكلهـا: صدرهـا. والقصريـان: ضلعان قصيرتان تليان الخاصرتين. ووجيب: خفق واضطراب من شدة السير.

(2) نداك: عطاؤك. وقروب: اسم فاعل للمبالغة، أي ناقة مسرعة السير، وقيل قروب: اسم ناقته.

(3) وجيفها: إسراعها. والمشتبهات: الطرق يشبه بعضها بعضا ويُخاف هولها.

(4) فارس الجون: هو الحارث الممدوح والجون: الحصان الأسود. وآبوا: رجعوا. وخزايـا: أي بـالخزي والمراد به الانهزام لأنه خزي وهوان. والإياب: الرجوع. والحبيب: المحبوب.

(5) مظاهر: لابس درعي حديـد. وعقيـلا: أي كريمـا سيوف. والمخـذم: القـاطع. والرسـوب: الـذي يغوص في الضريبة لمضائه.

(6) جالدتهم: ضاربتهم بالسيوف. وكبشهم: سيدهـم.

(7) يوم اللقاء: أي ملاقتك لعدوك، أي تسمح بنفسك في الحرب لشجاعتك وتطيب نفسك بذلك.

بن الحارث الغساني فاعتاص الوصول إليه، فقلت للحاجب[1] ـ بعد مدة ـ إن أَذنت لي عليه، وإلا هجوت اليمن كلها ثم انقلبت عنكم، فأذن لي فدخلت عليه فوجدت عنده النابغةَ وهو جالس عن يمينه وعلقمةَ بن عبدة وهو عن يساره، فقال لي: يا ابن الفُريعة[2] قد عرفت عِيصَك[3] ونسبك في غسان، فارجع فإني باعث إليك بصلة سنية ولا أحتاج إلى الشعر؛ فإني أخاف عليك هذين السبُعين أن يفضحاك وفضيحتك فضيحتي! وأنت لا تحسن أن تقول: *رقاق النعال طيبٌ حجزاتهم..* قال: فأبيت وقلت: لا بد منه! فقال: ذاك إلى عميك. فقلت لهما: بحق الملك إلا قدمتماني عليكما، فقالا: قد فعلنا؛ فقال عمرو بن الحارث: هات يا ابن الفريعة، فأنشأت:

أسألت رسمَ الدار أم لم تسأل　　　بين الجوابي فالبُضيع فحومل[4]

فالمرجِ مرجِ الصُّفَّرين فجاسمٍ　　　فديار سلمى دُرَّسا لم تحلل[5]

دمنٌ تعاقبها الرياح دوارسٌ　　　والمدجَناتُ من السماك الأعزل[6]

دار لقوم قد أراهم مرة　　　فوق الأعزة عزهم لم ينقل

---

(1) اعتاص الأمر اعتياصا: اشتد وامتنع. والحاجب: البوَّاب، وربما خص ببواب الملك (جمعه حجاب وحجبة).

(2) الفريعة (بصيغة التصغير) أم حسان بن ثابت.

(3) عيصك: أصلك، يقال: هو من عيص كريم: أي من أصل كريم.

(4) الجوابي: قرية في الجولان (بين دمشق والأردن). والبضيع: جبل بارض الشام. وحومل: موضع.

(5) مرج الصفرين: موضع بغوطة دمشق. وجاسم: قرية بالجولان. ودرسا: دارسة عافية. لم تحلل: أي لم ينزل بها أحد.

(6) الدمن: بقايا الدار، تعاقبها: توالى عليها، والمدجنات: السحب الممطرة، والسماك: من منازل القمر. والأعزل: صفة للسماك، والسماك الأعزل هو أحد السماكين وهما نجمان نيران أحدهما في الشمال ويقال له السماك الرامح لأن أمامه كوكبا صغيرا يقال له "راية السماك ورمحه"، والآخر في الجنوب ويقال له السماك الأعزل وسمي أعزل لأنه لا شيء بين يديه من الكواكب، كالأعزل الذي لا سلاح معه.

لله درُّ عصابةٍ نادمتهم ... دهراً بجِلّق[1] في الزمان الأول

يمشون في الحلل المضاعف نسجُها ... مشيَ الجمال إلى الجمال البزل[2]

الضاربون الكبش يبرق بيضه ... ضربا يطيح له بنان المفصل[3]

والخالطون فقيرهم بغَنِيهم ... والمنعمون على الضعيف المرمل

أولاد جفنة حول قبر أبيهم ... قبرِ ابن مارية[4] الكريم المفضل

يُغْشَوْن حتى ما تهر كلابهم ... لا يسألون عن السواد المقبل[5]

يَسقُون من ورد البريص عليهم ... بردى يصفق بالرحيق السلسل[6]

يُسقَون دِرياق الرحيق ولم تكن ... تدعى ولائدُهم لنقف الحنظل[7]

بيض الوجوه كريمةٌ أحسابهم ... شم الأنوف من الطراز الأول[8] ..إلخ.

وزار حسانُ بن ثابت يوما الحارث بن أبي شمر الغسانيَّ، وكان النعمان بن

---

(1) جلق: موضع قريب من دمشق.

(2) البزل (جمع بازل): وهو البعير الذي استكمل الثامنة وطعن في التاسعة.

(3) الكبش: سيد القوم. والبيْض: جمع بيضة وهي الخوذة. أي المغفر الذي يجعل على الرأس. والبنان: الأصابع.

(4) مارية: هي بنت أرقم بن ثعلبة الغسانية أم الحارث الأعرج الغساني الملك المشهور، يعني أنهم لعزهم لم يجلوا عن منازلهم قط ولا فارقوا قبر أبيهم.

(5) يمدحهم بالكرم: فكلابهم تأنس بالوافدين عليهم فلا تهر بوجودهم وهم في سعة لا يضيقون بمن ينزل بهم مهما كثر عددهم.

(6) البريص: موضع أو نهر بدمشق، وبردَى: نهر ترتوي منه البساتين المحدقة بدمشق، وتعرف تلك البساتين بالغوطة كانت تسكنها الغساسنة قديما. ويصفق: يخلط ويمزج. والرحيق: الخمر. والسلسل (من الخمر): اللينية (ومن الماء): العذب البارد.

(7) الدرياق: الخمر الخالصة، يعني أنهم ملوك يعيشون في سعة، ولهذا لا تحتاج ولائدهم أن تنقف الحنظل كما يحتاج إليه سائر العرب.

(8) يريد أن آل جفنة كانوا من اليمن ثم استوطنوا الشام بعد سيل العرم فلم يخالطهم السودان كما خالطوا من كان باليمن عند غلبة الحبشة على بلادهم، فهم من الطراز الأول الذي كانوا عليه في ألوانهم وأخلاقهم.

المنذر اللخمي يساميه، فقال له ـ وهو عنده ـ يا ابن الفُريعة لقد نبئت أنك تفضل علي النعمان، فقال: وكيف أفضله عليك؟ فوا لله لقفاك أحسن من وجهه، ولأُمُّك أَشرف من أبيه، ولأبوك أشرف من جميع قومه، ولشِمالك أجود من يمينه، ولحرمانك أنفع من نداه[1]، ولقليلك أكثر من كثيره، ولثمادك أشرع من غديره[2]، ولكرسيك أرفع من سريره[3]، ولجدولُك أغور من بحره[4]، وليومك أطول من شهره، ولشهرك أمد من حوله، ولحولك خير من حِقَبه، ولزَندك أوْرى من زنده[5]، ولجندك أعز من جنده ؛ وإنك من غسان وانه من لخم.. فكيف أفضله عليك وأعدله بك؟! فقال: يا ابن الفُريعة هذا لا يسمع إلا في شعر؛ فقال:

ونبئت أن أبا منذر	**يساميك للحارث الأصغر**
قفاك لأحسن من وجهه	**وأمك خير من المنذر**
ويُسرَى يديك على عُسرها	**كيُمنَى يديه على المعسر**
وشتان بينكما في الندى	**وفي البأس والخير والمنظر**[6]

ويقول فيهم ـ أيضا:

---

(1) حرمانك: أي منعك الشيء ، انفع من نداه: أي من جوده.

(2) الثمادُ (بالكسر): الماء القليل الذي ليس له مدد (جمع ثَمَد). وأشرع: أسقى. والغدير: النهر والقطعة من الماء يغادرها السيل.

(3) الكرسي: مقعد من الخشب ونحوه لجالس واحد. والسرير: المضطجع وعرش الملك.

(4) الجدول: مجرى صغير يشق في الأرض للسقيا (جمعه جداول). وأغور: أي أعمق وأبعد قعرا من بحره، والبحر: كل نهر عظيم.

(5) الزند: العود الأعلى الذي تقدح به النار، والأسفل: هو الزندة، ووري الزند وأورى: خرجت ناره.

(6) شتان (بالبناء على الفتح وقد تكسر النون): اسم فعل بمعنى بعُد، يقال: "شتان ما بينهما" أي بعُد وعظم الفرق بينهما. والندى: الجود والسخاء، والبأس: الشدة في الحرب والشجاعة والقوة. والخير: الشرف والأصل. والمنظر: ما ينظر إليه فيُعجب.

ولسنا بِشَرْب فوقهـــــم ظل بردة يُعِـدون للحانوت تيسا ومِفْصَدا[1]

ولكننا شـــرْبٌ كرام إذا انتشوا أهانوا الصريحَ والسديف المسرهدا[2]

وتحسبهــم ماتـــوا زُمين حليمة وإن تأتهـــم تحمد ندامتهم غدا[3]

وإن جئتهـــم ألفيت حو ل بيوتهم من المسك والجادِي فتيتا مبـــددا[4]

ترى فـــوق أثناء الزرابي ساقطا نعالا وقَسُّـوبًا وريطـا معضدا[5]

وذا نطف يسعـى مُلَصِّق خـــده بديباجـة تكفافـها قد تقـــددا[6]

وإلى هذا أشار الناظم بقوله: **بمدحهم ملئت الصكوك**. ثم أشار الناظم ـ رحمه الله ـ إلى قصة جبَلة بن الأيهم، وسبب ردته بقوله: فر إلى الروم ..إلخ.

جبلة بن الأيهم

وحاصل ما أشار إليه: أن جبلةَ بن الأيهم بن جبلة الغساني كان آخر ملـوك آل جفنة الغسانيين في بادية الشام، وكان جبلة هذا قد عـاش زمنـا في العصـر الجـاهلي،

---

(1) الشرب: قوم يجتمعون على الشراب. والحانوت: دكان الخمار ومحل التجارة. والتيس: الذكـر مـن المعز والظباء والوعول إذا أتى عليه حول. والمِفصد: الآلة التي يفصد بهـا، وفصـد العروق: شـقها لاستخراج دمها؛ يعني أنهم لا يفصدون التيس ويحسون دمه، وكانت العرب عنـد القحـط تفصـد الناقة فيستخرجون دمها ويشربونه؛ ومنه المثل: "لم يحرم القِـرى مـن فُصـد لـه"، يضـرب لمـن نـال بعض حاجته.

(2) انتشوا: سكروا ، والصريح: الخالص مما يشوبه ، والسديف: شحم السنام ، والمسرهد: المقطع.

(3) أي منادمتهم.

(4) الجادي: الزعفران، والفتيت: المفتوت المتكسر، والمبدد: المتفرق.

(5) الزرابي (جمع زَرْبِيَة) وهي ما بسط واتُّكئ عليه ، والقسوب: الخف، والريط: الملاءة، والمعضد من السهام: الذاهب يمينا وشمالا عند الرمي.

(6) النطف: الأقـراط (جمع نطفـة بـالتحريك وبضـم النـون أيضـا) وهـي القـرط، واللؤلـؤة: الصافيـة. والتكفاف: أطراف الديباجة، والديباجـة (بالكسـر) واحـدة الديبـاج: وهـي الثـوبُ الـذي سـداه ولحمته حرير. وتقدد: تشقق.

وقاتل المسلمين في دومةِ الجندل، وحضر وقعة اليرموك ـ وهو على مقدمة عرب الشام من لخم وجذام وغيرهما ـ في جيش الروم، فانهزم الروم وجبلة معهم. ثم أسلم في خلافة عمرَ رضي الله عنه.

وقيل إن رسول الله ﷺ بعث إليه شجاع بنَ وهب الأسديَّ (من أسد خزيمة) في السنة السابعة هو وابن عمه الحارث بن أبي شمر الغساني، وهما إذ ذاك ملكا البلقاء من عمل دمشق؛ وكان جبلة آخر ملوك غسان، فكتب إليه رسول الله ﷺ يدعوه إلى الإسلام فأسلم، وكتب إلى رسول الله ﷺ بجواب كتابه، وأعلمه بإسلامه وأرسل إليه هدية. ولم يزل ثابتا على إسلامه حتى كان زمن خلافة عمر بن الخطاب، قدم عليه المدينة في جيش عظيم من قومه في زي عجيب قد لبسوا الدِّيباج والحرير، وألبسوا خيولهم قلائد الذهب والفضة، ولبس جبلة تاجه وفيه قرطا جدته مارية ـ الآتي ذكرهما ـ فدخلوا المدينة، فلم تبق امرأة إلا خرجت تنظر إلى زي جبلة؛ وسُر عمر بقدومه ورحب به وألطفه وأدنى مجلسه. وكان عمر قد تجهز هو ومن معه من المسلين للحج، فساروا وسار جبلة معهم هو وجيشه ؛ فبينما الناس في الطواف إذ وطئ رجل من فزارة إزار جبلة فانحل، فلطمه جبلة حتى هشم أنفه وكسر ثناياه، فشكا الفزاري إلى عمر، فأرسل إلى جبلة وقال له: ما هذا؟ قال: يا أمير المؤمنين إنه تعمد حل إزاري، ولولا حرمة الكعبة لضربت بين عينيه بالسيف، فقال له عمر: قد أقررت فإما أن ترضي الرجل وإما أن أقيده منك[1]، فقال جبلة: وكيف ذلك يا أمير المؤمنين وهو سُوقَة وأنا ملك؟ قال عمر: الإسلام جمعك وإياه وسوَّى بينكما فلست تفضله إلا بالتقوى، فقال جبلة: فإن كنت أنا وهذا الرجل سواء في هذا الدين فسأتنصر. قال عمر: إذن أضرب عنقك،

(1) القود: القصاص، وأقاد القاتل بالقتيل: قتله به قوَدًا أي بدلا منه.

قال جبلة: قد ظننت يا أمير المؤمنين أني أكون في الإسلام أعز مني في الجاهلية، وكان من سبنا ضربناه ومن ضرَبنا قتلناه، قال عمر: دع عنك هذا إنما نزل القرآن بالقصاص فإنك إن لم ترض الرجل أقدته منك ـ وكان قد اجتمع بباب عمر من أنصار الفزاري وأنصار جبلة خلق كثير حتى كادت تكون بينهم فتنة ـ فلما رأى جبلة الصدق من عمر قال: أمهلني يا أمير المؤمنين الليلة حتى أنظر في أمري. فلما كان الليل ركب فيمن طاوعه من بني عمه وهرب إلى قسطنطينية ـ دار مملكة قيصر ـ فسر هرقل بذلك وظن أنه فتح من الفتوح، وأقطعه حيث شاء وأجرى عليه من النزل ما شاء وجعله من محدثيه وسماره[1].

ويروى أن جبلة ندم على فعلته هذه، وقال في ذلك:

تنصرت الأشرافُ من عار لطمة ... وما كان فيها ـ لو صبرتُ لها ـ ضرر

تكنفني فيها لجاجٌ ونخوةٌ ... وبعت بها العينَ الصحيحةَ بالعور

فيا ليت أمي لم تلدني وليتني ... رجعت إلى القول الذي قاله عُمر

ويا ليتني أرعى المخاض بقفرة ... وكنت أسيرًا في ربيعةَ أو مضر

ويا ليت لي بالشام أدنى معيشةٍ ... أُجالس قومي ذاهبَ السمع والبصر

أدين بما دانوا به من شريعة ... وقد يحبس العود الضجور على الدبر[2]

ثم اتفق أن بعث عمرُ بعدُ عبدَ الله بن مسعدة الفزاريَّ إلى قيصر برسالة، فلما بلّغه إياها قال له قيصر: لو شئت أن تدخل على ابن عمك الذي عندي؟ قال:

---

(1) النزل: المنزل وما هيئ للضيف أن ينزل فيه. ومحدثيه: أي الذين يكثرون الحديث معه. وسماره: المتحدثون معه ليلا (جمع سامر).

(2) العود: المسن من الإبل (جمعه عِوَدَة)، والضجور: الكثير الضجر (وهو القلق) من غم وضيق نفس، والدبر (بالتحريك): جمع دَبَرة: وهي قرحة تحدث من الرحل ونحوه.

فدخلت عليه فوجدته بمثل ما فيه قيصرُ أو أعظم، حوله الجواري يغنينه، فأقبل عليَّ يسألني؛ وكان مما سألني عنه حسَّان بن ثابت، ثم دعا بالشراب والطعام فجيء بهما في آنية الذهب والفضة فدعاني فامتنعتُ، فقال: ما لك؟ قلت: نهانا رسولُ الله ﷺ عن الشرب والأكل في أواني الذهب والفضة، قال: نعم صلى الله عليه وسلم، لكن نقِّ قلبك مِن الدنس، ثم أنشد: *تنصرت الأشراف من عار لطمة*..إلخ.

قال عبد الله: فلما سمعت ذلك طمعت فيه، فقلت يا جبلةُ لو شئتَ رجعتَ إلى الإسلام وعدت إلى أرضك وقومك، فقال: وهل إلى ذلك من سبيل؟ قلت: نعم، كان رجل من فَزارة ارتدَّ وضرب وجوهَ المسلمين بالسيف، ثم تاب ورجع عن ذلك فقبلت منه توبتُه وصار من المسلمين وأنت أيسرُ منه خطبًا، فقال: إن ضمنت لي على أمير المؤمنين أن يوليَني على أرض وأن يزوجني بنتَه، قال: قلت: نعم، فقال: اكتب لي بذلك إلى أمير المؤمنين فكتبتُه، وأمر لي بجائزة وبعث معي هدايا ولَطفا[1] إلى حسان بنِ ثابت، وقال لي: إن وجدته حيًّا فادفعها إليه وإلا فاشترِ بها بُدْنا وانحرها على قبره.

قال فلما قدمتُ على عمَر أخبرته بخبر جبلةَ فقال عمر: أو رأيت جبلةَ يشرب الخمر؟ قال: نعم، قال: أبعده الله تعجل فانية اشتراها بباقية فما ربحت تجارته. قال: فلم أزل أحدثه بخبر جبلةَ حتى انتهيت إلى خبر الهدايا التي بعث بها إلى حسان، فقال عمر: اسكت حتى أبعث إليه، فجيء بحسان ـ وهو أعمى ـ يقوده ابنُه عبد الرحمن، فقال: والله إني لأجد ريح آل جفنة، وجعل ينشق ويقول: والله إني لأجد ريح آل جفنة، فلما أخبره أنشأ يقول:

---

(1) اللطف (محركة): الهدية، يقال: أهدى إليه لَطَفًا، وما أكثر تحفه والطافه.

إن ابن جفنةَ من بقية معشر لم تَغْذُهـم آباؤهم باللُّوم[1]
لم يَنسَني بالشام إذ هو ربها كلاًّ ولا متنصّـرًا بالروم
وأتيته يوما فقـرب مجلسي فسقى وروَّاني من الخـرطوم[2]
يعطي الجزيل ولا يـراه عنده إلا كبعض عطية المذمـوم

فقال له عمر: أفي هذا الموضع تُنشد الشعر؟ فقال: وا لله لقد أنشدته هنا ـ يعني المسجد ـ بين يدي من هو أفضل منك ـ يعني النبي ﷺ.

وهكذا كان ملوك آل جفنة قد حفظوا الوداد لحسان، وأقاموا على برهم به حتى بعد سقوط دولتهم، بل وبعد وفاته رضي ا لله عنه ؛ قال عبد ا لله بنُ مسعدة ثم ردَّني عمر إلى جبلة بالإجابة لما اشترط عليه، فلما قدمت قسطنطينية وجدت الناس منصرفين من جنازته، فعلمت أن باب الشَّقاء غلب عليه. [نسأل ا لله حسنَ الخاتمة ونعوذُ با لله من دَرك الشقاء].

ولما غَزا المسلمون قسطنطينيةَ في خلافة معاوية رأوا قُبَّتين مضروبتين بباب المدينة، فإذا كانت الجولة على الروم ضرب في إحدى القبتين بالدفوف وإذا كانت على المسلمين ضرب في الأخرى بالدفوف، فسألوا عن ذلك، فقيل هنا بنت قيصر تضرب في دفوفها للروم، وبنت جبلة تضرب في دفوفها للعرب. وا لله تعالى أعلم.

ثم قال رحمه ا لله:

وَاعْدُدْ لِغَسَّانَ الْمُعَمَّرَ سَطِيحْ الْمُنْطَوِي لاَ عَظْمَ فِيهِ كَالسَّفِيحْ
حَتَّى إِذَا مَا أَغْضَبُوهُ انْفَتَحَا وَلاَ يُجَاوِزُ اضطجَاعًا إِنْ صَحَا

---

(1) غذاه: أي ربَّاه، وغذاه تغذية: أعطاه الغذاء وهو ما يكون به من نماء الجسم وقوامه من الطعام والشراب. واللوم (مخفف): اللؤم وهو البخل وشح النفس ودناءة الأصل.

(2) الخرطوم: الخمر السريعة الإسكار.

وَاعْدُدْ لَهَا ابْنَ أُخْتِهِ عَبْدَ الْمَسِيحْ الْكَاهِنَ الَّذِي لَهُ عُمْـــرُ فَسِيحْ

وَإِذْ أَتَى سَيْـفُ الإِلَهِ الْحِيرَهْ وَأَرْهَقَتْ جُيُوشُهُ الْجَـــزِيرَهْ

وَجَـــدَ سِمَّ سَاعَـــةٍ بِيَدِهِ فَشَرِبَ السّــــمَّ وَلَمَّا يُودِهِ

وَبِنْتُهُ كَرَامَـــةُ اسْتَوْهَبَـــهَا شَوِيلُ مِنْ طَـــهَ وَإِذْ وَهَبَهَا

بَعْدُ لَهُ خَالِدُ افْتَـــدَتْ بِمَا غَاظَ بِـــهِ لِلْقِلَّةِ الْعَرَمْـــرَمَا

مَارِيَةُ ذَاتُ غَـلاَءِ الْقُـــرْطِ وَالْجِذْعُ ذُو الْمَثَلِ حِينَ يُعْطِي

المعمر (بصيغة اسم المفعول ــ كمعظم): الذي طال عمره. **وسطيح** (بوزن أمير): بدل من **المعمر** (ووقف عليه بوقف ربيعة). **والسطيح**: المنبسط الذي لا يتحرك لضعف أو مرض، والمراد به هنا الكاهن المشهور ربيع بن ربيعة الغساني. **والسفيح** (كأمير): الكساء الغليظ. **وانفتح**: يعني به انتفخ غضبًا، على سبيل الاستعارة. **وصحا**: زال غضبه. والضمير في **لها**: عائد على غسان. والضمير في **ابن أخته** عائد على سطيح. **وعبد المسيح** (بالنصب): بدل من **ابن أخته**، وهو ابن عمرو بن قيس الغساني. **والكاهن** (بالنصب): صفة لعبد المسيح. **والفسيح**: الواسع. **وسيف الإله**: لقب لخالد بن الوليد[1]. **والحيرة**: مدينة في العراق بين النجف والكوفة ـ كما مر. **وأرهقت**: أي حملت أهلها على ما لا يطيقون. والضمير في **جيوشه**: عائد على سيف الإله. **والجزيرة**: الأرض التي يحيط بها الماء من كل جهة. وفاعل كل من **وجد وشرب**: ضمير مستتر عائد على **سيف الإله**. وسم

(1) لقبه به رسول الله صلى الله عليه وسلم، ففي البخاري والترمذي ومسند أحمد: لما قتل أمراء جيش مؤتة أمر الصحابة مكانهم خالد بن الوليد، فلما علم النبي صلى الله عليه وسلم بذلك رضي أمرهم، وصوب رأيهم، وسمى خالدا يومئذ: "سيف الله".

ساعة: أي يقتل لساعته. والضمير في **بيده**: عائد على عبد المسيح. **ويوده** (بضم الياء وسكون الواو): يهلكه، والضمير فيه عائد على سيف الإله أيضا.

يقول ومن غسان ـ أيضا ـ الكاهنان المشهوران: سطيح بن ربيعة بن عدي وابن أخته عبد المسيح بن عمرو بن قيس الغسانيان. أما **سطيح** فهو ربيع بن ربيعة بن مسعود بن عدي بن مازن بن ذئب بن عدي بن مالك بن عمرو بن مزيقيا الغساني، ويعرف بالذئبي، وهو كاهن جاهلي مشهور كان من المعمرين يعرف ـ أيضا ـ بـ"سطيح" لم يكن مثله في بني آدم. وكان العرب يحتكمون إليه ويرضون بقضائه؛ وقد تحاكم عليه عبد المطلب بن هاشم وجماعة من قيس عيلان في خلاف بينهم على ماء بالطائف؛ وكان يضرب المثل بجودة رأيه. وفي ذلك يقول ابن الرومي:

تبدي له سر العيـــــون كهانة ... يوحي بها رأي كـــــرأي سطيح

ويقول الأعشى ميمون بن قيس:

ما نظرت ذات أشفار كنظرتها ... حقا كما نطق الذئبي أو سجعا[1]

سطيح وعبد المسيح الكاهنان

وكان سطيح هذا دائما منسطحا على الأرض لا يقدر على قيام ولا قعود، لأنه لحم لا عصب ولا عظم فيه سوى رأسه وكفيه؛ وكان يطوي من رجليه إلى ترقوته كما يطوى الحصير أو الثوب، ولا يتحرك منه إلا لسانه، وكان يتكلم بكل أعجوبة، وكان إذا غضب انتفخ وجلس؛ وقد عمل له سرير من السعف والجريد والخوص، فإذا أريد نقله إلى مكان يطوى ويوضع على ذلك السرير فيذهب به إلى

---

(1) قبل هذا البيت:

قالت أرى رجلا في كفه كتف ... أو يخصـــف النعل لهفي أية صنعا

فكذبوها بما قالت فصبحهـــم ... ذو آل حسان يزجي الموت والسلعا ما نظرت ..إلخ.

حيث يشاء؛ وإذا أريد تكهنه وإخباره عن المغيبات يحرك كما يحرك وَطب المخيض فينتفخ ويمتلئ ويعلوه النفس فيخبر عن المغيبات. وهو من أهل الجابية (مدينة من مشارف الشام) مات فيها بعد مولد النبي ﷺ بقليل. وكان الناس يأتونه فيقولون: جئناك بأمر فما هو؟ فيجيبهم على ما في أنفسهم ، وقد قيل له أنى لك هذا العلم؟ فقال: لي صاحب من الجن استمع أخبار السماء من طور سيناء حين كلم الله موسى فهو يؤدي إلي من ذلك ما يرد. وقيل إن سطيحا هذا ولد في أيام سيل العرم، وخرج من مأرب مع رهط من الأزد في أيام تفرق الناس منها، وعاش إلى زمان مولد النبي ﷺ.

وأما ابن أخته **عبد المسيح** فهو الكاهن المشهور عبد المسيح بن عمرو بن قيس بن حيان بن بُقَيلة[1] الغساني من بني عمرو بن مازن بن الأزد. كان أيضًا من المعمرين وكان من الكهان المشهورين، قيل عاش أربعمائة سنة.

وقد روي أنه لما تحصن أهل الحيرة من خالد بن الوليد أتاه عبد المسيح وفي يده سم ساعة في قارورة يقلبها، فقال له خالد: ما هذا؟ فقال عبد المسيح: هذا ـ وأمانة الله ـ سم ساعة، فقال خالد: ما تصنع به؟ قال: إن وجدت عندك مَا أُحِبُّ لقومي قبلته، وإلا شربته ولم آت قومي بما يسوءهم، قال خالد: هاته، فأفرغ السم في راحته وقال: لن تموت نفس حتى تأتي على أجلها، ثم قال: بسم الله الرحمن الرحيم باسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم باسم الله خير الأسماء ورب الأرض والسماء.. فأهووا إليه ليمنعوه، فبادرهم

---

(1) بقيلة (بالتصغير): لقب الحارث الغساني جد عبد المسيح، قيل لقب به لأنه كان قد خرج على قومه في بردين أخضرين فقالوا له: يا حارث ما أنت إلا بُقيلة خضراء، فاشتهر بذلك من ثم فقيل عبد المسيح بن عمرو بن بقيلة.

وشربه فغشيه عرق ثم سري عنه. فأتى عبد المسيح قومه ـ وكانوا نصارى نسطورية إلا أنهم عرب ـ فقال لهم: جئتكم من عند رجل شرب سمَّ ساعة ولم يضره، فأعطوه ما سألكم وأخرجوه من أرضكم راضيا. فصالحوه على ثمانين ألف درهم فضة، فكانت من أول مال ورد على أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

وقد روي أنه لما ولد رسول الله ﷺ ارتجس إيوان كسرى[1] أنوشروان فسقطت منه أربع عشرة شرفة ـ وكانت له اثنتان وعشرون شرفة ـ وانشق بحيث سمع صوته وبقي كذلك آية، وخمدت نار فارس ولم تخمد قبل ذلك بألف سنة، وغاضت بحيرة ساوة[2] (وهي بين همَذَان وقم) وكانت أكثر من ستة فراسخ في الطول والعرض وكان يعبر عليها بالسفينة ؛ وبقيت كذلك ناشفة يابسة حتى بنيت موضعها مدينة ساوة، ورأى الموبذان: كأن إبلا صعابا تقودُ خيلاً عرابا[3] حتى عبرت دجلة وانتشرت في بلاد فارس. فلما أصبح كسرى تجلد وجلس على سرير ملكه ولبس تاجه وأرسل إلى موبذان وأخبره بخبر سقوط الإيوان وخمود النار، فقص عليه الموبذان خبر رؤياه أيضا، فقال كسرى للموبذان: ما ترى؟ ـ وكان الموبذان أعلمهم ـ فقال موبذان: هذا حدث يكون من جانب العرب. فكتب حينئذ: "من كسرى ملك الملوك إلى النعمان بن المنذر أن ابعث إلى رجلا من العرب يخبرني عما أسأله عنه". فبعث إليه عبد المسيح بن عمرو هذا، فقال له كسرى: يا عبد المسيح هل عندك علم بما أريد أن أسألك عنه؟ فقال: يسألني الملك، فإن كان عندي منه علم

---

(1) ارتجس البناء: تحرك واهتز فسمع له صوت، والإيوان: القصر.

(2) خمدت: أي طفئت، وغاضت: أي غار ماؤها ونضب.

(3) صعابا (جمع صعب): وهي التي تركت فلم تركب ولم ترض، والعراب (بالكسر): خلاف البراذين، وهي الكرائم السالمة من الهجنة.

أعلمته وإلا أعلمته بمن عنده علمه. فأخبره بـه، فقـال: علمـه عنـد خـالٍ لي يسـكن مشارف الشام يقال له سطيح. فقال له كسـرى: اذهـب إليـه فاسـأله وأخـبرني بمـا يخبرك به. فخرج عبد المسيح حتى قدم على سطيح - وهـو مشـرف على الموت - فأنشد عبد المسيح رجزا، فلما سمعه سطيح رفع رأسه إليه وقال: "عبد المسيح، مـن بلد نزيح[1]، على جمل مشيح، جاء إلى سطيح، وقد وافاه على ضريح، بعثـك ملـك ساسان[2]، لارتجاس الإيوان، وخمود النيران، ورؤيا الموبذان ؛ رأى إبلا صعابا، تقـود خيلا عرابا، قد قطعت دجلة وانتشرت في بلاد فارس.. يا عبد المسـيح، إذا ظهـرت التلاوة، وبعث صاحب الهراوة، وغـاضت بحيرة سـاوة، وفـاض وادي السـماوة[3]، وخمدت نيران فارس، لم يكن بَابلَ للفرس مقاما، ولا الشـام لسـطيح شـاما، يملـك منهم ملوك وملكات، على عـدد الشرفات، ثـم يكـون هنـآت، وكـل مـا هـو آت آت"..! ثم مات.

فرجع عبد المسيح إلى كسرى وأخـبره بمـا قـال سـطيح، فقـال كسـرى: إلى أن يملك منا أربعة عشر ملكا كانت أمور. فملك منهم عشـرة في أربـع سـنين، وملـك الباقون إلى زمان خلافة عثمان.

قوله : وبنته: مبتـدأ، والضمـير فيـه عـائد على عبـد المسـيح. **وكرامة** (بـوزن سحابة): بدل منه، وخبر المبتدإ جملـة **استوهبها** أي طلـب هبتهـا. **وشويل** (بـوزن أمير): فاعل استوهبها، وهـو ابـن أوس الطـائي. **وطـه:** مـن أسمائـه صلـى ا لله عليـه

---

(1) نزيح: أي بعيد.

(2) الساسانيون: سلالة فارسية ملكت أكثر من أربعمائة سنة أسسها اردشير الأول وأشـهر ملوكهـا: شابور الأول وشابور الثاني وكسرى أنو شروان.

(3) السماوة (بفتح أوله وتخفيف الميم): مفازة بين الكوفة والشام، وقيل بين الموصل والشام، وهي مـن أرض كلب، سميت بذلك لعلوها وارتفاعها.

وسلم. **وبعدُ**: ظرف مبني على الضم. **وخالد** (بالرفع): فاعل **وهبها**. والضمير في **له**: عائد على شويل. **وافتدت**: فاعله ضمير يعود على **كرامة**، أي أعطته مالا لتتخلص به منه. **وغاظه**: حمله على الغيظ وهو الغضب أو أشده. **والعرمرم**: الجيش الكثير.

أشار رحمه الله بهذين البيتين إلى ما روي أن رسول الله ﷺ مرجعه من تبوك سمعه شويل يذكر الحيرة وأنه أريها ورفعت له وأنها ستفتح على المسلمين، فسأله شويل كرامة بنت عبد المسيح، فقال: «هي لك إذا فتحت عنوة». فلما طلب أهل الحيرة الصلح من خالد قام إليه شويل فذكر له ذلك، وشهد له محمد بن مسلمة ومحمد بن بشير، فأبى خالد أن يكاتبهم إلا بشرط إسلام كرامة بنت عبد المسيح إلى شويل، فثقل ذلك عليهم؛ فقالت لهم: هونوا عليكم وأسلموني له فإني سأفتدي منه، ففعلوا وكتب خالد بينه وبينهم كتابا. ولما اشتد على قومها دفعها إلى شويل وأعظموه قالت: ما تخافون علي وقد بلغت ثمانين سنة؟ وإنما هذا رجل أحمقُ رآني في شبيبتي فظن أن الشباب يدوم! فدفعوها إلى خالد فدفعها خالد إلى شويل، فقالت له: ما أربك في عجوز كما ترى؟ فادني[1]؛ فقال: لا إلا على حكمي، قالت: فلك حكمك مرسلا، فقال: لست لأم شويل إن نقصتك عن ألف درهم، فاستكثرت ذلك لتخدعه، ثم أتته بها فرجعت إلى أهلها. فتسامع الناس بذلك فعنفوه، فقال: ما كنت أحسب عددا فوق الألف! فخاصمها إلى خالد، وقال: كانت نيتي غاية العدد وقد ذكروا أن العدد يزيد على الألف، فقال له خالد: أردت أمرا وأراد الله غيره، ونأخذ ما ظهر وندعك ونيتك كاذبا كنت أو صادقا.

وقوله: **مارية** مبتدأ خبره محذوف تقديره *من غسان*. **وذات**: صفة لمارية.

---

(1) فاداه فداء ومفاداةً: أطلقه وأخذ فديته، والفداء: ما يعطى من مال ونحوه عوض تسريح المفدى.

والقرط (بضم فسكون): ما يعلق في أسفل الأذن من ذهب أو فضة أو غيرهما[1]. **وغلاؤه:** ارتفاع سعره وقيمته. **والجذع** (بكسر الجيم وسكون الذال المعجمة): عطف على **مارية**، وهو جذع بن سنان الغساني. **وذو المثل:** أي صاحبه، والمثل الذي يعني هو "خذ من جذع ما أعطاك"، يضرب في اغتنام ما يجود به البخيل.

يقول: ومن غسان ـ أيضا ـ مارية بنت أرقم (صاحبة القرطين) وجذع بن سنان الغسانيان ؛ أما **مارية** فهي بنت أرقم بن ثعلبة بن عمرو بن جفنة بن عوف بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بن مزيقيا الغسانية جدة بعض ملوك آل جفنة، ابنها الملك المشهور الحارث الأعرج بن الحارث الأكبر بن أبي شمر الغساني؛ وهي التي يعني حسان بن ثابت الأنصاري بقوله:

أولاد جفنة حول قبر أبيهم　　قبر ابن مارية الجواد الأفضل ..إلخ.

وقيل هي مارية بنت ظالم بن وهب بن الحارث بن معاوية بن ثور الكندي، أخت هند الهنود امرأة حجر آكل المرار.

خبر قرطي مارية

وكان لمارية هذه قرطان، قيل كانت فيهما مائتا دينار، وقيل فيهما جوهر قُوّم بأربعين ألف دينار، وقيل كانت فيهما درتان كبيضتي الحمامة لم يُر مثلهما؛ فضرب بهما المثل: "خذه ولو بقرطي مارية" أي على كل حال. قيل توارثتهما الملوك الغساسنة حتى وصلا إلى آخرهم وهو جبلة بن الأيهم، وكانا في تاجه حين وفد على عمر بن الخطاب رضي الله عنه ـ كما مر. وقيل بل أهدتهما إلى الكعبة، وقيل

---

(1) قال ذو الرمة:

والقرط في حرة الذفرى معلقه　　تباعد الحبل منه فهو يضطرب

أي في أذن حرة الذفرى أي كريمته وعتيقته.

تداولتهما الملوك حتى وصلا إلى عبد الملك بن مروان فوهبهما لابنته فاطمة، فلما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة خيرها في أن تقيم معه أو تضعهما في بيت المال؛ فوضعتهما فيه.

وأما **جذع** فهو ابن سنان[1]، وقيل ابن عمرو الغساني؛ كان شاعرا جاهليا قديما. وأصل هذا المثل، الذي أشار إليه الناظم بقوله **والجذع ذو المثل**.. أن جذعا هذا كان قد خرج مع من خرج من الأزد قبل سيل العرم فجاءوا إلى الشام ــ وكان ملكها إذ ذاك لسليخ وهم من غسان أيضا وقيل من قضاعة ـ فأقاموا معهم وجعلوا يؤدون لهم خراج دينارين على كل رجل.

فجاء يوما عامل الملك إلى جذع يطلب منه ما عليه، فدفع إليه سيفه رهنا، فقال السليخي: أدخله في حر أمك!، فغضب جذع وضرب السليخي بالسيف حتى برد وقال: "خذ من جذع ما أعطاك" فذهبت مثلا؛ وامتنعت غسان من دفع ذلك الخراج بعد. ولم يزالوا ينازعون السليخيين حتى خلفوهم على الشام. وقيل في سبب هذا المثل غير ذلك، والله سبحانه وتعالى أعلم.

---

(1) قيل إن جذعا هذا وحارثة بن ثعلبة جد الأنصار ماتا من صيحة كانت بين السماء والأرض سمع فيها صهيل الخيل. [الروض الأنف].

نسب الأنصار*

ثم قال رحمه الله وعفا عنه:

أَوْسُ وَخَزْرَجُ هُـــمُ الأَنْصَارُ وَقَيْلَــــــةُ أُمُّهُمَا وَاخْتَارُوا
أَنَّ لُحَيًّا ابْنَ وَالِدِهِمَـــــــا حَارِثَةَ بْنِ مُبْتَنِي مَجْـدِهِمَا
ثَعْلَبَــــةَ الْعَنْقَاءِ عَنْ مُــزَيْقِيَا عَنْ مُنْذِرٍ مَاءِ السَّمَاءِ الاَذْكِيَا

أوس والمعطوف عليه مبتدأ وخبره جملة: **هم الأنصار**، **والأوس** في الأصل: العطية، ومنه اشتق اسم جد هذه القبيلة. **والخزرج** (كجعفر) في الأصل: الريح الباردة، وسمي به الخزرج بن حارثة بن العنقاء جد هذا الحي من الأنصار، وغلب عليهم اسم أبيهم ؛ وقد كانت العرب تسمي بكل ما يجول في أخيلتها مطلقا، فتارة تسمي بأسماء الحيوانات كأسد وفهد وكلب وعنز وبكر.. وتارة بأسماء النباتات كحنظلة وحمزة وبقيلة.. وتارة بأنواع الأرض كحزن وسهل وفهر وصخر وجبل.. وغير ذلك[1]. قوله **قيلة** (بفتح القاف): مبتدأ خبره **أمهما**، والضمير عائد على

---

* شرع رحمه الله في الكلام على الأنصار وبدأ بذكر نسبهم والخلاف المروي في سبب نزوحهم من اليمن ونزولهم على يهود يثرب ومحالفتهم لهم ، ثم استطرد الخلاف في سبب نزول اليهود لها قبل قدوم الأنصار عليهم وسبب دخول اليهودية اليمن على يد الملك تبع ، ثم ذكر أول إسلام الأنصار وسببه ومراحل قدوم وفود الأنصار على رسول الله ﷺ بمكة ومبايعتهم له على الخروج إليهم بالمدينة ، وأسماء نقبائهم ، بالإضافة إلى بعض الاستطرادات وكل ذلك في نحو خمسين بيتا.

(1) أما فهد فهو اسم سبع، جمعه: فهود وأفهد، وأما حنظلة فواحدة الحنظل وهو نبت شديد المرارة، وحمزة من أسماء الأسد ويقال أيضا لنوع من البقل، وأما بقيلة فتصغير بقلة واحدة البقل، والحزن: ما غلظ من الأرض، والسهل من الأرض: ضد الحزن، والفهر (بالكسر): الحجر قدر ما يملأ الكف

<<=

الأوس والخزرج، والضمير في **اختاروا**: لعلماء النسب، وإن لم يتقدم لهم ذكر لحضورهم في الذهن. **ولحيا** هو بصيغة التصغير واسمه ربيعة بن حارثة. **وابنَ والدهما** (بالنصب): صفة **للحيا**. والضمير في **والدهما** للأوس والخزرج. **وحارثة** (بالجر بالفتحة للمنع من الصرف): بدل من **والدهما**. **ومبتني**: اسم فاعل من ابتنى الشيء إذا بناه، وهو صفة لثعلبة. **والمجد**: العز والرفعة جمعه أمجاد. **وثعلبة** (بالجر بالفتحة أيضا): بدل من **مبتني**. **والعنقاء** (بالجر): بدل أو عطف بيان على **ثعلبة**. وقوله **عن مزيقيا**: متعلق **بمبتني مجدهما**. وقوله **عن منذر**: متعلق بمبتني أيضا. وقوله **ماء السماء** (بالجر): بدل أو عطف بيان على **منذر**، ولعل المنذر هو عامر بن حارثة الغطريف. **والأذكياء**: جمع ذكي وهو سريع الفطنة والفهم ؛ وهو صفة لحارثة وآبائه المذكورين.

والمعنى أن ثعلبة العنقاء ابتنى المجد لأحفاده، وقد ورثه عن أبيه عمرو الملقب مزيقيا، الذي ورثه عن أبيه المنذر الملقب ماء السماء ؛ ولتضمن الوراثة للأبوة استغنى عن سرد نسب ثعلبة إلى ماء السماء بوصفه لثعلبة بوراثة المجد عن أبيه عن جده ماء السماء. وهذا في معنى قول الشاعر في نسب عبد الله والد رسول الله ﷺ:

قد أورث المجدَ عبدَ الله شيبةُ عن ... عمرو بن عبد مناف عن قصيهم

وإنما وصف الناظم حارثة هذا وآباءه المذكورين بابتناء المجد للتنبيه على شرف

--->>

جمعه: فهور وأفهار. والصخر: الحجر العظيم الصلب، وهو جمع صخرة. هذا وقد ذكر أهل النسب أن وائلا كان إذا ولد له ولد خرج من خبائه فما وقعت عينه عليه سماه به، فلما ولد له بكر وقعت عينه على بكر من الإبل فسماه به، فلما ولد له تغلب رأى شخصين يتغالبان فسماه تغلب، فلما ولد له عنز رأى عنزًا (وهي الأنثى من المعز) فسماه عَنزًا، فلما ولد له الشخيص خرج فرأى شخصا على بعد صَغيرا فسماه الشخيص؛ وكل هؤلاء الأربعة صار جدا لبطن عظيم.

أجداد الأنصار وتَوارثهم المجد كابرا عن كابر.

يعني أن الأنصار لقب غلب على الحيين المشهورين: الأوس والخزرج ابني حارثة بن ثعلبة العنقاء بن مزيقيا بن ماء السماء، وكانوا ينسبون في الجاهلية إلى أمهم قيلة بنت الأرقم الغسانية فيقال لهم *بنو قيلة*، وأن بعض علماء النسب اختار في نسب لحي انه ابن حارثة هذا، فهو إذا أخو الأوس والخزرج ؛ وقد مر الكلام في نسب لحي والخلاف فيه غير بعيد عند قوله: *خزاعة كذاك لكن الخزع*.. إلخ.

تعريف الأنصار وذكر بعض مناقبهم

والأنصار في الأصل جمع ناصر (كصاحب وأصحاب) أو جمع نصير (كشريف وأشراف)، وناصر الشخص: معينه ومظاهره على نيل غرضه، وهو وصف عام لجميع من نصره صلى الله عليه وسلم وآواه وحماه. ولما كانت للأوس والخزرج في هذه الخصال اليدُ البيضاء، اختصوا في العرف الشرعي باسم الأنصار فصار علما بالغلبة عليهم لا يشاركهم أحد في لفظ الأنصار إلا من كان معهم بالحلف؛ وقد سماهم الله تعالى به في كتابه وسماهم به رسول الله ﷺ لِمَا خصهم الله تعالى به من نصرة نبيه صلى الله عليه وسلم وإيوائه ومواساته والدفاع عنه ومحاربة أعدائه[1] لما هاجر من مكة إلى المدينة، وكذلك آووا الذين هاجروا معه من أهل مكة ؛ وهم الذين تركوا ديارهم وأوطانهم وأولادهم وأهليهم وأموالهم وتغربوا معه وهم بلا شك أفضل، والأنصار يلونهم في الفضيلة.

---

(1) ولحسان بن ثابت الأنصاري من قصيدة له:

علام تدعى سليم وهي نازحة ... أمام قوم هُمُ آووا وهُمْ نصروا
سماهم الله أنصارا لنصرهم ... دين الهدى وعوان الحرب تستعر
وجاهدوا في سبيل الله واعترفوا ... للنائبات فما خاموا ولا ضجروا ..إلخ.

ومآثر الأنصار كثيرة وشهيرة، وكفاهم شرفا قول الله تعالى فيهم ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[1]، فليس بعد ثناء الله تعالى ثناء وليس فوق ذكره ذكر. وقد روي أنه صلى الله عليه وسلم صعد المنبر ــ و لم يصعده بعد ذلك اليوم ــ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «أوصيكم بالأنصار فإنهم كرشي وعيبتي[2] وقد قضوا الذي عليهــم وبقي الذي لهم فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عــن مسيئهم»[3]، وقال: «لو سلك الناس واديا وسلكت الأنصار واديا (أوشِعبا) لسلكت وادي الأنصار»، وقال: «اللهم اغفر للأنصار ولأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار»[4] ــ وفي رواية: «ولذراري الأنصار».

والأنصار هم الأوس والخزرج ابنا حارثة بن ثعلبة العنقاء (لقب به لطول عنقه) ابن عمرو، وهو مزيقيا (لقب به لأنه كان يلبس كل يوم حلة ثم يمزقها بالعشي يكره أن يعود فيها ويأنف أن يلبسها غيره) ابن عامــر، وهو ماء السماء (لقب به

---

(1) الحشر: 9.

(2) أي بطانتي وخاصتي وموضع سري وأماني، والكرش في الأصل معدة الإنسان ومستقر غذاء الحيوان الذي يكون فيه نماؤه وبقاؤه، والعيبة ما يحرز فيه الرجل نفيس ما عنده، فالأول أمر باطن، والثاني أمر ظاهر، فكأنه ضرب المثل بهما في إرادة اختصاصهم بأموره الباطنة والظاهرة، وهذا من كلامه الموجز الذي لم يسبق إليه.

(3) رواه مسلم والترمذي؛ والذي عليهم هو نصرته صلى الله عليه وسلم، والذي لهم هو الجنة.

(4) أخرجه الترمذي.

لجوده لأنه كان إذا أجدب قومه كان لهم خلفا من المطر) ابن حارثة الغطريف (لقب به لسيادته وشرفه) ابن امرئ القيس البطريق (وهو القائد) ابن ثعلبة البهلول (وهو السيد الجامع لكل خير) ابن مازن[1] الشداخ بن الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن عابر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح عليه السلام. ويقال لمزيقيا أيضا *البهلول*، وقد قال عمرو بن حرام، جد حسان بن ثابت الأنصاري:

ورثنا من البهلول عمرو بن عامر　　وحارثة الغطريف مجدا مؤثلا

ولأوس بن الصامت الأنصاري:

أنا ابن مزيقيا عمرو وجدي　　أبوه منذر ماء السماء

وفي رواية: **...　　...　　...　　عامر ماء السماء**

ومنذر وعامر مترادفان وماء السماء لقبه.

وكان الأنصار في الجاهلية يُدْعون "ببني قيلة"، نسبوا إلى أمهم قيلة بنت الأرقم بن عمرو بن جفنة الغساني الأزدي، وقيل هي بنت كاهل بن عذرة من بني إلحاف بن قضاعة، فعرفوا بها فقيل لهم أبناء قيلة. واشتهر كل من الحيين باسمه الخاص فيقال لبني الأوس "الأوس" ولبني الخزرج "الخزرج".

ولحسان بن ثابت يفتخر بنسبهم هذا ونصرهم لرسول الله ﷺ:

ألم ترنا أولاد عمرو بن عامر　　لنا شرف يعلو على كل مرتق

رسا في قرار الأرض ثم سمت له　　فروع تسامي كل نجم محلق

---

(1) مازن هو جماع غسان.

ملوك وأبناء الملـــــوك كأننا سواري نـجوم طالعات بمشرق

إذا غاب منها كوكب لاح بعده شهاب متى ما يبد للأرض تُشرِق

لكل نجيب منجب زخرَت بـه مهذبة أعـــراقها لم تـرهَّق[1]

كجفنة والقمقام عمرو بن عامر وأولاد ماء المـزن وابني محرِّق[2]

وحارثة الغطريف أو كابْن منذر ومثل أبي قابوس رب الخورنق[3]

أولئك لا الأوغاد في كل مأقـط يـردون شأو العارض المتألق[4]

بطعن كإيزاغ المَخاض رشاشـه وضرب يزيل الهام من كل مفرق[5]

أتانا رسول الله لما تجهمـت له الأرض يرميه بها كل مُوفِقِ[6]

تطرده أفناء قيس وخنـــدف كتائب ان لا تغدُ للروع تطرُق[7]

فكنا له من سائـر الناس معقلا أشم منيعا ذا شماريـخ شهق[8]

مكللـــة بالمشـــرفي وبالقنـا بها كل أظمى ذي غرارين أزرق[9]

---

(1) زخرت: كرمت، من قولهم فلان زاخر أي كريم. والمهذبة البريئة من العيب. والأعـراق الأصـول. ولم ترهق: أي لم تصب بإثم أو اتهام.

(2) جفنة هو ابن عمرو أول ملوك الغساسنة. والقمقام: السيد العظيم ذو الفضل العميم. وعمرو بدل من القمقام وهو مزيقيا بن عامر، وهو ماء السماء. والمراد بـأولاد مـاء المزن: أولاد مـاء السـماء. والمحرق: لقب الحارث بن عمرو من آل جفنة، يقال هو أول من أحرق العرب في ديارهم.

(3) حارثة الغطريف: هو والد ماء السماء، وابن منذر هو عمرو بن هند من ملوك الحيرة. وأبو قابوس: هو النعمان بن المنذر. والخورنق: قصر النعمان.

(4) الأوغاد: جمع وغد وهـو الضعيـف العقـل والأحمـق الدنـي. والمـأقط: المعـترك. والعـارض: الجيـش الضخم، والمتألق: الذي يبرق لما عليه من الحديد.

(5) الإيزاغ: قذف الناقة ببولها، والهام: الرؤوس (جمع هامة).

(6) تجهمت: تنكرت، والموفق: من أوفق السهم: وضع الفوق في الوتر ليرمي. وفوق السهم طرفه الذي يكون من ناحية الوتر.

(7) الأفناء: الأخلاط. والكتائب: جمع كتيبة: القطعة من الجيش أو الجماعة من الخيل. والروع: الحرب والفزع، وتطرُق: من الطروق وهو المجيئ ليلا (مقابل الغدو).

(8) المعقل: الملاذ. والأشم: المرتفع. والشماريخ: جمع شمراخ: وهو رأس الجبل، والشهق: العالية.

(9) القنا: الرماح، والأظمى: الرمح الأسمر. وذو غرارين: أي ذو حدين.

تذود بها عن أرضها خزرجية كأسد كَرَاءٍ أو كجنَّة غْنَق[1]

تؤازرها أوسية مالكية رقاق السيوف كالعقائق ذلق[2] ..إلخ.

ويقول أيضا:

فإن تك عنا معشر الأسد[3] سائلا فنحن بنو الغوث بن نبت بن مالك

لزيد بن كهلان الذي نال عزَّه قديما دَرَاريَّ النجوم الشوابك[4]

إذا القوم عدوا مجدهم وفعالهم وأيامهم عند التقاء المناسك

وجدت لنا فضلا يقر لنا به إذا ما فخرنا كل باق وهالك

وله رضي الله عنه في رسول الله ﷺ:

ثوى في قريش بضعَ عشرة حجة يذكر لو يلقى صديقا مواتيا[5]

ويعرض في أهل المواسم نفسه فلم ير من يؤوي ولم ير داعيا[6]

فلما أتانا واطمأنت به النوى فأصبح مسرورا بطيبة راضيا

وأصبح لا يخشى عداوة ظالم قريب ولا يخشى من الناس باغيا

بذلنا له الأموال من جل مالنا وأنفسنا عند الوغى والتآسيا[7]

نحارب من عادى من الناس كلهم جميعا وإن كان الحبيب المصافيا

ونعلم أن الله لا رب غيره وأن كتاب الله أصبح هاديا

ويقول من قصيدة:

---

(1) تذود: تدفع وتحمي. وكراء: مأسدة. وغنق: اسم موضع.

(2) تؤازرها: تقويها وتعينها. والعقائق: جمع عقيقة وهي ما يبقى في السحاب من شعاع البرق، وبه تشبه السيوف فتسمى عقائق. والذلق: الماضية.

(3) الأسد والأزد اسمان ترادفا.

(4) دراري النجوم: الثاقبة المضيئة، والشوابك: المختلطة.

(5) ثوى: أقام. وحجة: سنة. ومواتيا: موافقا وملائما.

(6) يؤوي: يرق له ويرحمه. وداعيا: ملبيا دعوته.

(7) الوغى: الحرب. والتآسي: المواساة.

فلما أتَانا رســـــول المليـ ـــك بالنــور والحـــق بعد الظلم
ركنا إليـــــه ولم نعصــــــه غـــــداة أتانا من ارض الحرم
وقلنا صدقـــت رسول المليك هلـــم إلينا وفيـــنا أقـــم
فنشهـــــــد أنك عند المليـ ـــك أرسلـــت حقا بـــدين قيم[1]
فنـاد بما كنـــــت أخفيته نـــداء جهارا ولا تكتتـــم
فإنا وأولادنا جُنـــــــة نقيـــــك وفي مالنا فاحتكم
فَنحنُ وُلاَتُكَ إذ كذبـــوك فناد نـــــداء ولا تحتشم
فطار الغـــــواة بأشياعهم إليه يظنـــــون أن يخترم[2]
فقمنا بأسيافنا دونـــــه نجالد عنـــه بغاة الامـــم
بكــــل صقيل له ميعة رَقيـــق الذباب غمـوس خذِم[3]
إذا ما يصادف صـــم العظا م لم ينب عنها ولم ينثلـــم
فـــذلك ما أورثـــنا القرو م مجـــداً تليـدا وعزا أشم
..إلخ.

ويقول من أخرى:

الله أكـــــرمنا بنصر نبيه وبنا أقام دعائـــم الإســلام
وبنا أعز نبيه وكتابــــــه وأعـــــزنا بالضرب والاقدام
في كل معـــترك تُطِيرُ سيوفنا فيه الجماجـــمَ عن فراخ الهام
ينتابنا جبريــــــل في أبياتنـا بفرائض الإســـلام والأحكام
يتلو علينا النور فيها محكـــما قِسْماً لَعمْــرُكَ ليس كالأقسام
فنكون أول مستحلٍّ حـــلاله ومحـــــرم لله كل حرام

(1) الدين القيم: أي القويم المستقيم؛ ﴿دينا قِيَمًا﴾ قرأ بها الكوفيون وابن عامر الشامي.

(2) الغواة:جمع غاو: الضال المنقاد للهوى. وأشياعهم: أتباعهم وأنصارهم. ويخترم: يقلع ويستأصل.

(3) الصقيل: السيف المصقول. والميعة: الصفاء. وذباب السيف: طرفه الذي يضرب به. والغموس: النافذ. والخذم: القاطع.

نحن الخيار من البرية كلـــها ونظامها وزمام كـــل زمـــــام
..إلخ.

ولــه:

نصـــرنا وآوينا النبي وصدقت أوائلنا بالحـــــق أول قائـــل
وكنا متى يغــــز النبي قبيلة نصل حافتيه بالقنا والقنابـــل[1]
ويوم قريـــش إذ أتونا بجمعهم وطئنا العـــــدو وطأة المَتثاقـــل
وفي أحد يوم لهـــم كان مخزيا نطاعنهم بالسمهـــــري الذوابل
ويـــــوم ثقيف إذ أتينا ديارهم كتائب نمشي حـــــولها بالمناصل
ففـــــروا وشد الله ركن نبيه بكل فتى حامي الحقيقـــة باسل
ففروا إلى حصن القصور وغلقوا وكائن ترى من مشفق غير وائل[2] ..إلخ.

وله أيضا من قصيدة:

لنا حرة مأطـــــورة بجبالها بنى المجـــــد فيها بيته فتأهلا[3]
بها النخل والآطام تجري خلالها جداول قد تعلو رقاقا وجرولا[4]
إذا جـــــدول منها تصرم ماؤه وصلنا إليه بالنواضـــح جدولا[5]

إلى أن يقول:

نصـــــرنا بها خير البرية كلها إماما ووقـرنا الكتاب المنـــــزلا
نصرنا وآوينا وقـــــوّم ضربنا له بالسيوف ميلَ من كان أميلا ..إلخ

---

(1) القنا: الرماح. والقنابل: المجموعة من الناس في الخيل.

(2) كائن: أي كثير. والمشفق: الهلع. وغير وائل: أي غير ناج من الهلاك.

(3) الحرة: أرض في المدينة ذات حجارة سوداء. ومأطورة: محاطة بأطر. وتأهل: اتخذ لنفسه أهلا.

(4) الآطام: الحصون. والجداول: جمع جـدول: مجارٍ تشـق في الأرض للمـاء للسقاية. والرقـاق (جمع رَقة): الأرض المستوية. والجرول: القسم من الجبل الأكثر حجارة.

(5) تصرم: انقطع. والنواضحُ: جمع ناضح، وهي الناقة التي تستخدم لنقل الماء.

وله أيضا:

أروني سعودا كالسعود التي سمت بمكة من أولاد عمرو بن عامر[1]

أقاموا عماد الدين حتى تمكنت قواعـــده بالمرهفات البواتر[2]

وكم عقــدوا لله ثم وفوا به بما ضاق عنه كـــل باد وحاضر

سبب نزول الأنصار المدينة

ثم أشار الناظم إلى بدء نزول الأوس والخزرج يثرب، فقال رحمه الله وعفا عنه:

وَنَزَلُــوا عَلَى يَهُــودِ يَثْرِبِ إِذْ هَرَبُوا مِنْ سَيْلِ سَدِّ مَأْرِبِ

بِأَمْــرِ عِمْرَانَ وَأَمْرِ الْكَاهِنَهْ زَوْجَتِهِ طَرِيفَــةٍ الْمَائِنَــهْ

فِي فَمِ شِــقٍّ وَسَطِيحٍ تَفَلَتْ فَخَلَفَاهَا فِي الذِي تَقَوَّلَــتْ

هَدِيُّهُــمْ تُهْدَى إِلَى الْقَيْطُونِ قَيْلِ يَهُــودَ قَبْلَ زَوْجِ الْهُونِ

وَمَالِكُ أَخُــو ابْنَةِ الْعَجْلَانِ أَنْقَذَهُــمْ مِنْ ذَلِكَ الْهَوَانِ

الضمير في **نزلوا** وفي هربوا عائد على الأوس والخزرج المتقدم ذكرهم. **ويثرب:** اسم المدينة المنورة في العصر الجاهلي، قيل سميت باسم الذي اختطها وبناها أولا،

---

(1) المراد بالسعود هنا سبعة نفرٍ من الأنصار، ثلاثة من الخزرج وأربعة من الأوس، وكل منهم اسمه سعد، وهم: سعد بن عبادة وسعد بن الربيع وسعد بن عثمان، الخزرجيون، وسعد بن معاذ وسعد بن خيثمة وسعد بن زيد وسعد بن عبيد، الأوسيون. وقد نظمهم من قال:

سعودَ الانصار انسِبن لزيد خيثمـــة عبـــادة عبيد

عثمان والربيع مع مُعــاذ هم سبعـــة جعلتهم مَعاذي

وكونهم سبعة فيه نظر لأنهم كثيرون كابن إياس وابن الحارث وابن الصمة وابن زرارة.. وغيرهم. وقوله من أولاد عمرو بن عامر يعني بعمرو: مزيقيا، وبعامر: ماء السماء جدي الأوس والخزرج.

(2) المرهفات: السيوف. والبواتر: القاطعة الماضية.

وهو يثرب بن عبيل[1] بن شداد بن عاد بن عوص بن سام ؛ وقيل هو يثرب بن قاين بن عبيل بن مهلايل بن عوص بن عملاق بن لاوذ بن إرم بن سام بْن نوح ـ كما في الروض الأنف. وقد سميت في الإسلام بالمدينة المنورة وبطيبة وبأسماء أخرى. **والسيل:** الماء الجاري على وجه الأرض. **والسد** (بضم السين ـ وتفتح ـ مشددة): الحاجز بين الشيئين. **ومأرب** (كمجلس): مدينة باليمن. **وعمران:** هو ابن ماء السماء. **وزوجته** (بالجر): بدل أو عطف بيان على **الكاهنة**، والأكثر حذف التاء منه. **وطريفة** (بوزن سفينة): بدل من **زوجته**، **والمائنة:** صفة لها، أي الكاذبة (من مان يمين مينا فهو مائن: كاذب). يعني أن الأوس والخزرج لما خرجوا من اليمن سجعت لهم طريفة الكاهنة بنزول يثرب، فنزلوا على يهودها وحالفوهم.

هذا وقد روي عن بعض أهل العلم بالنسب أن أكثر المعمور في اليمن كان لكهلان وحمير، ومنهم التبابعة؛ وكان من ملوكهم عامر ماء السماء بن حارثة الغطريف، وكان من بنيه عمران بن ماء السماء ؛ ملك بعد أبيه وكانت دار مملكته مدينة مأرب ـ كما مر ـ وبها مات وكان له من القصور والبساتين والمال ما لم يكن

---

(1) كما في البيهقي، وبنو عبيل هم الذين سكنوا الجحفة فأجحفت بهم السيول وبذلك سميت الجحفة، وقد رغب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تسميتها يثرب لما فيه من لفظ التثريب فسماها طيبة والمدينة، وإن كانت قد وردت تسميتها بيثرب في القرآن وذلك لأن الله تعالى إنما ذكرها بهذا الاسم حكاية عن المنافقين ﴿إذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم ..﴾ فنبه بما حكى عنهم أنهم قد رغبوا عن اسم سماها الله ورسوله به وأبوا إلا ما كانوا عليه في جاهليتهم، والله سبحانه قد سماها المدينة، فقال غير حاك عن أحد: ﴿ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب..﴾ ـ الآية، وفي الحديث: «من سمى المدينة يثرب فليستغفر الله، هي طابة هي طابة» رواه أحمد في مسنده ـ كما في الجامع الصغير ـ وروي عن كعب الأحبار قال: إنا نجد في التورية يقول الله للمدينة يا طابة يا طيبة يا مسكينة لا تقبلي الكنوز ارفعي أجاجيرك على أجاجير القرى. ومن أسمائها الجابرة والمحبة والمحبوبة والقاصمة والمجبورة والعذراء والمرحومة.. وغيرها.

لغيره من ملوكهم. وكان كاهنا لم يكن في زمنه أعلم منه وزوجته طريفة بنت الخير الحميرة كاهنة أيضا. وقد تكهنا بحوادث عجيبة. وقد أنبأت طريفة زوجها عمران بقرب انفجار سد مأرب، فأعلم بذلك عمرانُ خاصيته وأخبر أخاه مزيقيا بن ماء السماء بأن بلاد أهل اليمن ستخرب ويغلب عليها أهل الحبشة فكتم أخوه الأمر، ليحاول النزوح والجلاء إلى بلاد أخرى، وأقبل يعرض ما عنده من القصور والبساتين للبيع فاشتراها منه الحميريون، وتجهز للارتحال.

وسجعت طريفة الكاهنة لكل قبيلة من سبأ بالجهة التي تسير إليها؛ فسجعت لبني حارثة بن ثعلبة (وهم الأوس والخزرج) أن ينزلوا يثرب ذات النخيل. فلما جرى سيل العرم تفرق بنو مزيقيا في البلاد أيدي سبأ ونزحوا من اليمن، فنزل آل ثعلبة العنقاء بن مزيقيا بيثرب ـ وكان نزولهم لها بأمر من الكاهنة طريفة الحميرية وزوجها عمران بن مزيقيا ـ ونزل بنولخم بالعراق (وهم آل نصر) ومنهم المناذرة، ونزل بنو عمرو بن ربيعة بن مزيقيا بمكة (وهم خزاعة)، ونزل آل جَفنة بالشام ـ كما مر.

أما الأوس والخزرج (بنو قيلة) فقد نزلوا بضواحي يثرب و لم يكن لهم إذ ذاك نعم ولا شاء ولا خيل، فنزلوا على يهود يثرب ؛ وكانت بها من اليهود ثلاث قبائل بنو قينقاع وبنو النضير وبنو قريظة. وكانت اليهود إذ ذاك أهل أموال وخيل ونعم، فحالفوهم وأقاموا معهم فكانت الدار واحدة ؛ وقد وجدوهم أهل منعة وحربية يقيمون في الآطام تحسُّباً وتحصنا[1]، وكانوا أهل عدد وقوة. فعاشوا بينهم في

---

(1) المنَعَة (بالتحريك): العز والقوة جمعه: منعات، يقال لهم منعات أي معاقل حصينة لا يقدر العدو عليها. والآطام: جمع أطم وهو الحصن المبْنِي بالحجارة والقصر وكل بناء مرتفع وتحصن اتخذ لنفسه حصنا وهو المكان المحمي المنيع.

الضواحي والقرى في شظف[1] من العيش وهوان وإذلال من اليهود ومكثوا معهم ما شاء الله على تلك الحالة ثم سألوهم أن يعقدوا بينهم جوارا وحلفا يأمن به بعضهم من بعض ويمنعون به من سواهم، فتحالفوا أو تعاملوا؛ وكان اليهود يتحكمون فيهم حتى قيل إنهم ألزموهم خراجا يؤدونه إليهم. وقد بلغوا من إذلالهم ما روي من أنهم اشترطوا عليهم أن لا تهدى عروس من الحيين الأوس والخزرج إلى زوجها حتى تدخل على القيطون ملك اليهود، فيكون هو الذي يفتضها. وظلوا على ذلك فترة طويلة حتى قويت الأوس والخزرج وصار لهم مال وعدد وسودوا عليهم مالك بن العجلان، أخا بني سالم بن عوف بن الخزرج الخزرجي؛ فبينما هم على ما هم عليه مع اليهود إذ تزوجت أخت مالك بن العجلان، فخرجت إلى أخيها مالك وهو في نادي قومه فُضُلا[2]، فنظر إليها أهل المجلس فشق ذلك عليه فدخل عليها فعنفها، فقالت: ما يُصنع بي غدا أعظم: أهدى إلى غير زوجي! فقال مالك: أكفيك ذلك، فقالت: وكيف؟ قال: أتزيا بزي النساء وأدخل معك عليه بالسيف فأقتلهُ.

فلما أمسى اشتمل على السيف ودخل مع النساء متنكرا فقتل القيطون وخرج هاربا فلحق بالغسانيين بالشام واستنجدهم[3] على اليهود وشكا إليهم حالهم معهم، فسيَّروا معه جيشا عظيما فقتل عظماء اليهود؛ فتمكن الأوس والخزرج من ملك

---

(1) شظف العيش: ضيقُه وشدته، قال ابن الرقاع:

ولقد أصبت من المعيشة لذة ولقيت من شظف الأمور شدادها

(2) الفضل (بضمتين): المرأة إذا لبست ثوبا واحدا أو لبست ثياب مهنتها.

(3) استنجدهم: استعان بهم، وكان الذي استنجد من الغسانيين جبيلة بن عمرو بن جبلة بن جفنة بن عمرو بن ماء السماء الغساني فأنجده، وسار معه حتى قتل وجوه اليهود ورجع ومات من علقة شربها في ماء وهو منصرف عن يثرب. وجبيلة هذا هو جد جبلة بن الأيهم آخر ملوك بني جفنة.

يثرب وانقلبت الأوضاع رأسا على عقب، فأصبحت بنو قيلة سادة يثرب. ثم عاد الجيش إلى الشام، وسود بنو قيلة مالك بن العجلان الخزرجي، فأثخن بالقتل[1] في بقية اليهود حتى ضعفُوا وذلوا وخضعوا لبني قيلة.. حتى طلبوا الحلف منهم؛ فحالفت بنو قريظة الأوس وحالفت بنو النضير وبنو قينقاع الخزرج. وصار اليهود هم الذين في جوار الأوس والخزرج ـ عكس ما كانوا عليه قبل ـ فكان كل بطن من اليهود إذا خافوا من أحد يلجأون إلى البطن الذي حالفوه من الأوس أو الخزرج ويقولون: إنما نحن مواليكم وجيرانكم، ويتعززون بذلك البطن؛ و لم يزالوا على تلك الحال وملك يثرب للأوس والخزرج في الجاهلية.

حروب الأوس والخزرج

وظل الحيان على اتفاق ووئام فترة من الزمن، ثم لجأ اليهود إلى وسيلة جديدة هي الدس والخديعة ففرقوا بين القبيلتين وزرعوا الشر بينهما وأصبحوا يحاولون أن يؤججوا بينهم نار الفتن والقتال، فلم يزالوا كذلك حتى نشبت بين الأوس والخزرج سلسلة حروب في الجاهلية تكاد تكون متصلة الحلقات بعضها قبل الإسلام بكثير وبعضها قبله بقليل؛ ومن أشهر تلك الحروب حرب سُمير، وحرب بُعاث (وهما للأوس على الخزرج) وحرب كعب وحرب حاطب (وهما للخزرج على الأوس).

أما حرب سمير فأصلها أن الحيين أقاما على ملك يثرب ـــ بعد تغلبهم على يهود يثرب ـ في اتفاق واجتماع، و لم يزالا كذلك حتى وفد عليهم وافد من ذبيان اسمه كعب فنزل على مالك بن العجلان الخزرجي وحالفه وأقام معه فاتفق أن وقع

(1) أي بالغ فيه وأكثر، يقال: أثخن في العدو: بالغ في قتاله وأثخن في الأرض: بالغ في قتل أعدائه.

بينه وبين رجل من الأوس اسمه سمير خلاف ، فعدا سمير على الذبْياني حليف مالك فقتله، فوقع الخلاف بين الحيين (الأوس والخزرج) لذلك فكانت الخزرج تريد قتل سمير مكان حليفهم أو تدفع لهم دية كاملة، وامتنع الأوس وخاصة بنو عمرو بن عوف ـ رهط سمير ـ من ذلك وقالوا للخزرج: إن صاحبكم حليف وليس لكم فيه إلا نصف الدية! فغضب مالك بن العجلان وأبى أن يأخذ الدية إلا كاملة أو يقتل سميرا. وكانت الأوس تكره أن تنشب الحرب بينهم وبين إخوتهم، فدعوا مالكا إلى أن يُحَكِّموا بينهم وبينه عمراً بن امرئ القيس ـ جد عبد الله بن رواحة ـ أحد بني الحارث بن الخزرج. فانطلقوا إليه، فحكم على مالك أن ليس له إلا دية الحليف؛ فلم يرض مالك بذلك وآذن بني عمرو بن عوف بالحرب واستنصر بقبائل الخزرج فأجابوه إلا بني الحارث (لرفضه حكم صاحبهم). فزحف مالك بمن معه من الخزرج وزحفت الأوس بمن معها من حلفائها من قريظة وغيرهم، وتحاشد الحيان والتقوا بفضاء قريب من قباء واقتتلوا قتالا شديدا وانصرفوا وهم منتصفون جميعا، ثم التقوا مرة أخرى عند أطم بني قينقاع فاقتتلوا حتى حجز الليل بينهم، وكان الظفر للأوس على الخزرج.

ولبثت الأوس والخزرج متحاربين نحوا من عشرين سنة في أمر سمير؛ ثم تحاكم الحيان على ثابت بن المنذر بن حرام ـ والد حسان ـ فتوثق منهم خوف أن يردوا حكمه، فأعطاه الجميع مواثيقهم ؛ فحكم أن يؤدى حليف مالك دية الصريح، ثم تكون السنة بعده كما كانت عليه: الصريح على ديته والحليف على ديته.. وأن تعد القتلى التي أصيبت من الحيين في حروبهم ثم يكون بعض ببعض ثم تعطى الدية لمن كان له فضل في القتلى من الفريقين ؛ فرضي الجميع بذلك وتفرقوا على أن يكون على بني النجار نصف دية جار مالك معونة لإخوتهم، وعلى بني عمرو بن عوف نصف ؛ فرأت بنو عمرو بن عوف أنهم لم يخرجوا إلا الذي عليهم وهو دية

الحليف، ورأى مالك أنه قد أدرك ما كان يطلب وودى جاره دية الصريح.

وأما حرب كعب فسببُها أن كعب بن عمرو المازني الخزرجي كان قد تزوج امرأة من بني سالم، وكان يختلف إليها فقعد له رهط من بني جحجبى من الأوس بمرصد فضربوه حتى مات أو كاد؛ فبلغ ذلك أخاه عاصما فخرج ومعه بنو النجار وأرسل إلى بني جحجبى يؤذنهم بحرب، فتلاقوا بالرحابة (حصن بالمدينة) واقتتلوا قتالا شديدا وانهزمت بنو جحجبى، وكان معهم أحيحة بن الجلاح الأوسي فطلبه عاصم ليقتله في داره فشعر أحيحة بذلك ؛ وكان إذا أمسى جلس بحذاء حصنه وأرسل كلابا له تنبح دونه من يأتيه ممن لا يعرف حذرا من عدوه، فأقبل عاصم بن عمرو يريده في مجلسه ذلك ليقتله بأخيه، وقد أخذ معه تمرا ؛ فلما دنا منه نبحته الكلاب فألقى لها التمر فاشتغلت به، فلما رآها أحيحة قد سكنت حذر وقام فدخل حصنه، فرماه عاصم بسهم فأحرزه الباب ؛ فلما سمع أحيحة وقع السهم في الباب صرخ في قومه، فجرى عاصم فأعجزهم حتى أتى قومه. ثم إن أحيحة جمع قومه وأراد أن يغتر بني النجار ويوقع بهم، وكانت تحته سلمى بنت عمرو النجارية، وكان لها منه ابنه عمرو بن أحيحة وهو يومئذ فطيم؛ فلما رأت عزم أحيحة على غزو قومها أمهلته حتى نام فأخذت حبلا وعقدته برأس الحصن ثم تدلت معه وانطلقت إلى قومها فأنذرتهم وأخبرتهم بالذي اجتمع عليه أحيحة وقومه، فاجتمعوا وحذروا واستعدوا له. فأقبل أحيحة إلى القوم فوجدهم في حال استعداد وفطن لحذرهم ثم رجع وقد فقد زوجه سلمى فعلم أنها خدعته، (ولهذه القصة سميت سلمى بالمتدلية). وسلمى هذه هي أم عبد المطلب بن هاشم تزوجها هاشم بن عبد مناف بعد أحيحة فولدت له عبد المطلب، وكانت سلمى امرأة شريفة لا تتزوج الرجال إلا وأمرها بيدها إذا كرهت من رجل شيئا تركته.

وأما حرب حاطب فأصلها أن حاطبا بن قيس الأوسي أتاه رجل من ذبيان

ونزل عليه وضيفه ثم غدا الذبياني إلى سوق بني قينقاع، فرآه رجل من بني الحارث بن الخزرج فقال ليهودي: لك ردائي إن كسعتَ[1] هذا الذبياني، فكسعه اليهودي برجله (أي ضربه بها) ضربة سمعها من في السوق وأخذ الرداء. فنادى الذبياني: يا لحاطب كسع ضيفك! فأخبر حاطب بذلك، فجاء وسأل الذبياني فأشار إلى اليهودي، ففلق رأسه بسيفه ورجع ؛ فاسرع الخزرجي خلف حاطب ليدركه يريد قتله فوجده دخل بيوت قومه ورأى رجلا من الأوس فقتله. فثارت الحرب بين الأوس والخزرج فاحتشدوا ؛ وكان على الأوس حضير بن سماك الأشهلي، وعلى الخزرج عمرو بن النعمان البياضي. فاقتتلوا قتالا شديدا وكانت الدائرة على الأوس.[2]

وأما يوم بعاث[3] فكان أشهر تلك الحروب وأعظمها، وكان سببه هو ما تقدم بين الأوس والخزرج من الحروب ؛ فتجهزت الأوس للحرب وكان عليهم حضير بن سماك فجمعهم وأرسلوا إلى حلفائهم من العرب واليهود، وقام فيهم حضير خطيبا يحرضهم على الجد في حرب الخزرج ويذكرهم بما صنعت بهم وجعل يعدده مما أثار الحماس في نفوس الأوس، فأجابوه لما يريد من النصرة والمؤازرة والجد في الحرب حتى يظفروا بهم ويُقتّلوهم حتى لا يبقى منهم أحد.

ثم اجتمع الخزرج وجعلوا عليهم عمرو بن النعمان البياضي وولوه أمر حربهم وأرسلوا إلى حلفائهم من العرب واليهود، وحشد الحيان و لم يتخلف عنهما إلا من لا ذكر له. فالتقيا واقتتلا قتالا شديدا، فانهزمت الأوس فصاحت الخزرج بهم: أين الفرار؟ فلما سمع حضير ذلك طعن برمحه في فخذه ونزل فصاح: لا أريم حتى أقتل!

---

(1) كسع فلانا يكسعه: ضرب دبره بيده أو بصدر قدمه، ففيه رمز للاحتقار.

(2) الدائرة: الهزيمة.

(3) بعاث (بوزن غراب): اسم حصن للأوس كانت فيه حرب بين الأوس والخزرج وكان الظهور فيه للأوس على الخزرج، والمشهور أنه بالعين المهملة، وروي بالمعجمة ؛ ويصرف ويمنع من الصرف.

فإن شئتم يا معشر الأوس أن تسلموني فافعلوا ؛ فعطفت عليه الأوس وقام على رأسه غلامان من بني عبد الأشهل ذوا بطش فقاتلا حتى قتلا، ثم حملت الأوس وقاتلت قتالا شديدا حتى انهزمت الخزرج، فوضعت الأوس فيهم السلاح حتى صاح صائح: يا معشر الأوس أسجحوا (أي أحسنوا) العفو ولا تهلكوا إخوتكم، فأمر أسيد باستئصالهم، فامتنع أبو قيس بن الأسلت من ذلك وأطاعته الأوس فتناهت عنهم بعد أن أثخنت فيهم قتلا، وحملوا حضيرا وهم يرتجزون حوله، ومات من تلك الجراحات.

وقد فني في هذه الحروب المؤسفة كثير من الأبطال والشجعان من الفريقين، الأوس والخزرج. وكما خاضوها بسلاحهم فقد خاضوها بألسنتهم ؛ وكان آخر تلك الحروب يوم بعاث، بعد ظهور الدعوة الإسلامية وقبل إسلامهم وقدوم النبي ﷺ عليهم مهاجرا بنحو خمس سنوات، ولم يزل النزاع بين القبيلتين قائما حتى ذهب وفد منهم إلى مكة يبغي من قريش حلفا وتأييدا استعدادا لحرب أخرى. فعلم رسول الله ﷺ بمقدمهم فلقيهم بصورة خفية فعرض عليهم الدعوة وبشرهم ونصحهم ووعدهم خيرا فاستجابوا له خير استجابة، فانصرفوا ولم يتصلوا بقريش وتركوا فكرة قتال بعضهم لبعض.

فكان لقاؤهم لرسول الله ﷺ وإسلامهم سببا لحسم الاقتتال بينهم نهائيا ؛ وأمالوا سيوفهم للدفاع عنه صلى الله عليه وسلم والجهاد في سبيل الله ونصرة الإسلام وألف بين قلوبهم على نصرة رسول الله ﷺ، وحل الوئام والتآخي محل التفرقة والعداوة، وحلت المحبة والمودة محل الحقد والجفاء، وسجل لهم التاريخ في الإسلام مواقف عظيمة في الدفاع عن رسول الله ﷺ وعن الإسلام والمسلمين ونصرتهم ومحاربة أعداء الإسلام، وإيواء من هاجر إليهم والأثرة على أنفسهم، ورضاهم التام بتأثير المهاجرين بغنائم حنين العظيمة، وتخليهم عن الشقاق ونبذهم

الخلاف في مبايعة أبي بكر الصديق يوم السقيفة وتركهم لمبايعة أكبر زعيم لهم هو سعد بن عبادة، الشيء الذي كان أكبر نواة للوحدة الإسلامية وعقد العروة الوثقى للخلافة الإسلامية.. وغير ذلك مما لا يحصى من مناقبهم.

وقول الناظم في **فم شق**: متعلق **بتفلت**. **وشق** (بسكر الشين المعجمة): اسم كاهن جاهلي مشهور، لقب به لأنه شق إنسان. **وسطيح** كاهن أيضا ـ وقد مر الكلام عليه. **وتفلت**: بصقت. والضمير المنصوب في **خلفاها**: عائد على **طريفة**، وكذلك المستتر في **تفلت وتقولت**. وقد أشار الناظم به إلى ما رُوي من أن شقا وسطيحا ولدا في اليوم الذي ماتت فيه الكاهنة طريفة الحميرية زوج عمران بن ماء السماء وأنها دعت بهما قبل أن تموت فأُتيت بهما فتفلت في فمويهما، وأخبرت أنهما سيخلُفانها في علمها وكهانتها؛ وقيل أخبرت أن سطيحًا سيخلفها. ثم ماتت، وقبرها بالجحفة.

أما سطيح فقد مر الكلام عليه. **وأما شق** فهو الكاهن المشهور شق بن صعب بن يشكر بن رهم بن أفرك بن قسر بن عبقر بن أنمار، وأنمار هذا هو أبو بجيلة وخثعم، وقد مر ذكر نسبهما والتعريف بهما. فشق هذا أزدي أنماري بَجلي قسري؛ كاهن جاهلي كان من عجائب المخلوقات عاصر سطيحا الكاهن وكانا يستدعيان أحيانا للاستشارة أو تفسير بعض الأحلام. وعاش شق إلى ما بعد مولد النبي ﷺ ـ فيما يقال ـ وقد عُمر طويلا؛ وكان نصف إنسان له عين واحدة ويد واحدة ورجل واحدة. وروى ابن حزم أنه كان له نسل اشتهر منه في العصر المرواني خالد وأسد ابنا عبد الله بن يزيد بن أسد بن كرز بن عامر بن عبد الله بن عبد شمس بن غمغمة بن جرير بن شق بن صعب القسريان، وكان خالد منهما أمير العراقين لهشام بن عبد الملك، وأسد والي خراسان.

وقول الناظم **هديهم** الضمير فيه عائد على الأوس والخزرج، **والهدي** (كغني):

العروس؛ قال الشاعر:

ألا يا دار عبلة بالطوِيِّ كرجع الوشم في رسغ الهدي[1]

والقيطون (بفتح القاف فمثناة تحتية ساكنة فطاء مهملة فواو فنون)[2]: اسم لمن ملك اليهود (وهي لفظة عبرية). **والقيل** (بفتح القاف وسكون الياء مضاف **ليهود**): بدل أو عطف بيان على **القيطون**. **والقيل**: من دون المِلك (إلا في حمير فهو الملك نفسه، فأقيالها ملوكها). وقوله **قبل زوج الهون**: متعلق **بتهدى**، **والهون**: الذل، وصف به **هديهم** أو بعلها ؛ وفيه إقامة الظاهر مقام الضمير، أو على حَذْف مضاف أي صاحبة الهون. **ومالك**: مبتدأ خبره جملة **أنقذهم**..إلخ، والضمير فيه عائد على الأوس والخزرج أيضا. **والهوان** الذي يعني به امتهان اليهود لهم بهذه المعرة، وقد تقدمت قريبا.

ثم استطرد الناظم هنا قصة أخت الأسود بن غفار الجديسية والهوان الذي أصاب قومها جديسا على يد ملك طسم، لشبهها بقصة أخت مالك بن العجلان المذكورة وما أصاب قومها (بني قيلة) من الهوان على يد قيل يهود يثرب، فقال رحمه الله:

وَأُخْتُ الاَسْوَدِ بْنِ غِفَّارِ الشَّمُوسْ جَرَى لَهَا مِثْلُ الذِي لِذِي الْعَرُوسْ
فَشَقَّقَتْ ثِيَابَهَا وَأَنْشَدَتْ . وَهْيَ عَلَى أَقْبَحِ هَيْأَةٍ بَدَتْ .

---

(1) الطوي (كغني): موضع. والرجع: خط الواشمة، والوشم (كالوعد): غرز الإبرة في البدن وذر النِّيلج عليه (وهو الشحم الذي يعالج به الوشم حتى يخضر) جمعه: وشوم ووشام. والرسغ (بالضم وبضمتين): مفصل ما بين الساعد والكف جمعه: أرساغ و أرسُغ. [القاموس].

(2) كما في الخميس وهي الرواية المشهورة في البيت وفي السمهودي (حاشية الحسني) على عمود النسب: القطيون بتقديم الطاء على الياء.

«لاَ أَحَدُ أَذَلَّ مِنْ جَدِيسٍ أَهَكَذَا يُفْعَلُ بِالْعَرُوسِ؟!
يَرْضَى بِهَذَا يَالَقَوْمِي حُرُّ أَهْدَى وَقَدْ أَعْطَى وَسِيقَ الْمَهْرُ
لَخَوْضُهُ بَحْرَ الرَّدَى بِنَفْسِهِ خَيْرٌ مِنَ انْ يُفْعَلَ ذَا بِعِرْسِهِ»
فَمَزَّقَ الأَسْوَدُ طَسْمًا وَهَرَبْ لِتُبَّعٍ أَحَدُ طَسْمٍ وَعَطِبْ
كَلْبَتَهُ لِيَحْسَبُوهُ خَرَجَا عَنْ كَثَبٍ وَتُبَّعُ مِنْهُ نَجَا
لِطَيِّءٍ أَخُو الشَّمُوسِ الأَسْوَدُ وَالْخَطْبُ لِلزَّرْقَاءِ فِيهِ أَنْشَدُوا:
«أُقْسِمُ بِاللَّهِ لَقَدْ دَبَّ الشَّجَرْ أَوْ حِمْيَرٌ قَدْ أَخَذَتْ شَيْئًا يُجَرْ»

قوله **وأخت الاسود**: مبتدأ. **وغفار**: بوزن كتاب (وشددت الفاء هنا ضرورة). **والشموس**: بدل من **أخت**، وخبر المبتدإ جملة قوله **جرى لها**.. إلخ. **وذي العَروس**: إشارة إلى أخت مالك بن العجلان المتقدم ذكرها. وفاعل كل من **شققت وأنشدت وبدت**: ضمير مستتر عائد على **أخت الأسود**. **ومزق**: أي فرق في كل وجه. **والأسود**: فاعل **مزق**. **وطسما**: مفعول به لمزق، والمراد هنا أنه قتَّلهم. وقوله **أحد طسم** (بالرفع): فاعل **هرب**، والمراد به رزاح بن مرة الطسمي.

وعطب الفرس ونحوه (كفرح): انكسر، وهو لازم ولكنه هنا ضمنه معنى كسر *العظم* إذا هشمه وهو متعد ؛ والتضمين: إشراب لفظ معنى آخر وإعطاؤه حكمه إذا اجتمعا في معنى، وهو أمر شائع وفصيح ؛ وقد قيل بقياسه. وقد يضمن اللازم معنى المتعدي فيتعدى كما في قوله تعالى ﴿ وَلَا تَعْزِمُواْ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ ﴾[1] أي

---

(1) البقرة: 235، فأصل **عزم** اللزوم وقد تتعدى بالحرف، كعزم على الأمر: عقد ضميره على فعله. وأصل **نوى** التعدي، يقال: نوى الشيء: قصده وعزم عليه فضمن الأول معنى الثاني في الآية المذكورة.

تنـــووا. ومن هذا قول الناظم هنا: **وعطب كلبته** أي كسرها. وقد يتضمَّن المتعدي معنى اللازم فيلزم، ومنه قوله تعالى ﴿ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ﴾[1] أي بارك. وإلى هذا أشار ابن بونه في احمراره على الخلاصة بقوله:

وألْزِمَ الفعــلُ المعدّى إن وُجدْ مضَمَّــنَ اللازم والعكسُ يردْ

والضمير المستتر في **عطب** والبـارز في **كلبتـه**: عـائدان علـى **أحـد طسـم**. والضمـير المرفوع في **ليحسبوه**: عائد على **تبع** ومـن معـه. **وعـن كثـب**: أي قـرب. **وأخـو الشموس**: فاعل **نجا**. **والأسود**: بدل من **أخو الشموس**. **والخطب**: الشأن والأمر ـ صغر أو عظم ـ وغلب استعماله للأمـر العظيـم المكـروه، والمـراد بـه هنـا وقعـة تبـع بجديس. **والزرقاء**: هي زرقاء اليمامة، امرأة مشهورة بحدة النظر ؛ يروى أنها كانت تبصر من مسيرة ثلاثة أيام. وفي المثل: "أبصر من زرقـاء اليمامـة"، وهـي مـن طسـم وهم بنو طسم بن لاوذ بن سام بن نوح من قبائل العرب البائرة.

وأما الأسود بن غفار فمن جديس وهم بنو جديس بـن لاوذ أيضـا، وقيـل ابـن إرم بن سام، وقد باروا أيضا.

قصة طسم وجديس

وحاصل القصة[2] التي أشار إليها الناظم هنا، أن جديسـا وطسـما كانتـا قبيلتـين متجاورتين وكان الملك عليهما من طسم، ولم يزالا كذلك حتى انتهى ملكهمـا الي

---

(1) الأحقاف: 15.

(2) تقدم ذكر الشارح رحمه الله لقصة جديس وطسم هذه في التعريف بهما عند قول النـاظم: *العـرب من أبناء سام جرهم*..إلخ، وإنما ذكرتها هنا لأن هـذا محلهـا، لورودهـا في النص إضافـة إلى بعـض الزيادات.

ملك غشوم[1] اسمه عمليق من طسم، فتعدى في الظلم والتجبر؛ فأتته يوما امرأة من جديس قيل اسمها هزيلة بنت مازن، كان زوجها قد طلقها وأراد أخذ ولده منها فأبت عليه فترافعا إلى عمليق ليحكم بينهما فقالت: أيها الملك إني حملته تِسعا ووضعته دفعا وأرضعته شفعا حتى إذا تمت أوصاله ودنا فصاله أراد أن يأخذه مني كرها ويتركني بعده ولها[2]؛ فقال زوجها: أيها الملك إني قد أعطيتها المهر كاملا و لم أصب منها طائلا إلا وليدا خاملا[3] فافعل ما كنت فاعلا؛ فأمر الملك بالغلام أن ينزع منهما جميعا ويجعل في غلمانه، ثم قال لها: أبغيه ولدا ولا تنكحي أحدا أو اجزيه صفدا[4]، فقالت: أما النكاح فإنما يكون بالمهر وأما السفاح فإنما يكون بالقهر وما لي فيهما من أمر. فلما سمع عمليق كلامها أمر أن تباع مع زوجها ويُسترقّا، فأنشأت تقول:

أتينا أخا طسم ليحكم بيننا   فأنفذ حكما في هزيلة ظالما

لعمري لقد حكمت لا متورعا   ولا كنت فيما تبرم الحكم عالما

فلما سمع عمليق كلامها أمر أن لا تزوج بكر من جديس وتهدى إلى زوجها حتى تدخل عليه فيفترعها قبله. فلقيت جديس من ذلك جهدا وذلا، وأقاموا على ذلك زمنا طويلا، إلى أن تزوجت الشموس بنت غفار (أخت الأسود) فانطلق بها الجواري والمغنيات إلى عمليق يغنينها ويقلن:

---

(1) الغشوم بفتح الغين: الظلوم الغاصب.

(2) الولهاء: مِن ولَهت الأم إلى طفلها: حنت إليه فهي والهة وولهى؛ وأولهها: فجعها بولدها.

(3) طائلا: أي منفعة أو فائدة ، والخامل: الخفي الساقط الذي لا نباهة له.

(4) أبغيه ولدا: أي أعينيه على طلبه، يقال: أبغاه الشيء: أعانه في طلبه، وأبغني ضالتي: أعني على طلبها. والصفد: العطاء، يقال: "الصَّفَد صفَدٌ" أي العطاء قيد.

ابْدَيْ بعمليق وقومي واركبي   وبادري الصبح بأمر معجب
فسوف تلقين الذي لم تطلبي   وما لبكر عنده من مهرب[1]

فلما دخلت عليه افترعها وخلى سبيلها، فخرجت إلى قومها في حالة قبيحة مشققة ثيابها تبكي وتنشد: *لا أحد أذل من جديس*.. [إلى آخر الأبيات الثلاثة]. وطفقت تحرض قومها وتقول:

أيصلح ما يؤتى إلى فتياتكم   وأنتم رجال فيكم عدد النمل
وتصبح تمشي في الدماء شميسة   صبيحةَ زفت في النساء إلى البعل
فإن أنتم لم تغضبوا بعد هذه   فكونوا نساء لا تغب عن الكحل
ودونكم طيب العروس فإنما   خلقتم لأثواب العروس وللنسل!
فلو أننا كنا رجالا وأنتم   نساء لكنا لا نقيم على الذل
فبعداً وسحقا للذي ليس دافعا   ويختال يمشي بيننا مشية الفحل
فموتوا كراما أو أميتوا عدوكم   ودبوا لنار الحرب بالحطب الجزل

فلما رأى الأسود بن غفار حالها وسمع مقالها قال لقومه: يا معشر جديس إن هؤلاء القوم ليسوا بأعز منكم في داركم إلا بما كان من ملك صاحبهم علينا وعليهم، فأطيعوني يكن لكم عز الدهر وذهاب ذل العمر وإلا أضع سيفي في بطني وأتحامل عليه حتى ينفذ من ظهري[2]؛ وكان الأسود في قومه سيدا مطاعا. فقالوا: نطيعك ولكن القوم أكثر منا وأقوى، قال: فإني أصنع للملك وقومه طعاما ثم أدعوهم إليه فإذا جاءوا يرفلون في حللهم فخذوا سلاحكم واضربوهم به ضربة رجل واحد وأنا أنفرد بعمليق. فأجابوه لذلك؛ فعمل الأسود طعاما كثيرا وأمر

---

(1) يعنين أنها أخت سيدهم، فإن كانت هي يفعل بها ذلك فغيرها أولى!.

(2) تحامل على الشيء: أقبل إليه وتكلفه على مشقة وإعياء. ونفذ منه: خرج إلى الجهة الأخرى.

القوم فاخترطوا سيوفهم ودفنوها في التراب، ودعا الأسود الملك ومن معه، فجاءوا؛ فلما أخذوا مجالسهم ومدوا أيديهم للطعام، أخذ القوم سيوفهم من تحت أقدامهم؛ فشد الأسود على عمليق وقتله وحملوا على القوم وضربوهم ضربة رجل واحد، فلما فرغوا من قتل الأشراف شدوا على السفلة فافنوهم و لم ينفلت منهم سوى رجل واحد اسمه رزاح بن مرة ـ أخو الزرقاء امرأة الأسود بن غفار ـ هرب إلى تبع باليمن يستنجده على جديس.

زرقاء اليمامة

ويحكي أنه استتبع كلبة وحمل معه جريد نخل رطب فجعل عليه طينا، فلما دنا من الملك كَسر الكلبة وقلع الطين عن الجريد؛ فلما دخل على الملك وأخبره بما فعلت جديس بقبيلته (طسم) واستنجده، قال: إن بلادك بعيدة ولولا ذلك لأنجدناك؛ فقال رزاح: كيف وهذا الجريد الرطب أتيت به منها، ويعلم الملك ومن معه أن لا نخل دون أرضي.. وهذه الكلبة خرجت بها تتبعني كسيرة! فصدقه الملك واستنفر جيشا من جنوده وأمرهم بالرحيل، وجعل على مقدمتهم ابن مشوب الحميري. وساروا إلى جديس، فلما كانوا بالطريق قال لهم رزاح إن فيهم أختا لي تبصر من مسيرة ثلاثة أيام وأخاف أن تنذر قومها. قالوا: فما الرأي؟ قال: أن يقتلع كل واحد منكم شجرة ويحملها أمامه ؛ فاقتلع كل واحد من الجيش شجرة وجعلها أمامه يمشي خلفها.

فرأت الزرقاء ذلك فقالت: يا قوم إني أرى عجبا: رأيت الأشجار تمشي على وجه الأرض وأرى الجيش يأتيكم من وراء الشجر! فلم يصدقوها، ثم قالت: إني لأرى رجلا من وراء شجرة ينهش كتفا أو يخصف نعلا ؛ وأنشأت تقول:

أقسم بالله لقد دب الشجر   أو حمير قد أخذت شيئا يجر

ثم قالت:

إني أرى شجرا من خلفها بشر　　فكيف تجتمع الأشجار والبشر

ثوروا بأجمعكم في صدر أولهم　　فإن ذلك منكم فاعلموا ظفر

فلم يكتَرثوا بقولها. فأتاهم الجيش فاستأصلهم و لم ينفلت منهم غير الأسود بن غفار، فقد نجا منهم وهرب بإبله إلى جبلي طيئ؛ فلم يزل بهما وحده إلى أن قدمت عليه أعازيب طيئ فتوحش منهم. فلم يزالوا يدنون منه ويدنو منهم حتى آنس بهم، فأمهلوه حتى نام ذات ليلة معهم فقتلوه غدرا.

ولما فرغ جيش تبع من جديس أخذوا الزرقاء فقلعوا عينيها ووجدوا فيهما عروقا سودا، فسئلت عن ذلك فقالت: إني كنت أكتحل بحجر الاثمد ؛ فمن ثم اتخذه الناس للاكتحال[1]. وروي أن الزرقاء هذه كانت ذات يوم في قصرها فمر فوقها حمام طائر في الجو فنظرت إليه فأحصت عدده بسرعة، وكان ستا وستين حمامة، وكانت عندها حمامة؛ فتمنت أن يكون لها ومعه نصفه وتكمله حمامتها مائة، وأنشأت في الحين قائلة:

ليت الحمام ليه　　إلى حماميه

ونصفه قديه　　تم الحمام ميه

وإلى هذه القصة أشار نابغة ذبيان بقوله مخاطبا للنعمان:

احكم كحكم فتاة الحي إذ نظرت　　إلى حمام سراع وارد الثمد[2]

---

(1) الاثمد (بكسرتين بينهما سكون): ضرب من الكحل يدق ناعما ويكتحل به يقوي البصر ويجلوه، وقد كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم اثمد يكتحل به عند النوم في كل عين ثلاثا، وقال: «عليكم بالاثمد فإنه يجلو البصر وينبت الشعر» ـ كما في الجامع الصغير.

(2) يقول: أصب في أمري ولا تخطئ فيه كما أصابت الزرقاء في عدد الحمام و لم تخطئ فيه. والثمد: الماء القليل.

يحفـه جانبا نيـــق وتتبعـه مثل الزجاجة لم تكحل من الرمد[1]

قالت ألا ليتما هذا الحمام لنا إلى حمامتنا ونصفـه فقـدِ[2]

فحَسبُّوه فألفوه كما زعمت تسعا وتسعين، لم تنقص ولم تزد

فكملت مائـة فيها حمامتها وأسرعت حِسْبَةً في ذلك العدد[3]

هذا وقد انقرضت طسم وجديس، وخربت منازلهم. وفيهم يقول بعض الشعراء:

أَلَمْ تَـرَوا إرمـاً أفناهـم الليل والنهار

وقبلهـم غالت المنايا طسما فلم ينجها الحذار

وحل بالحي من جديس يـوم من الشر مستطار

وأهل جو أتت عليهـم فأفسدت عيشهم فباروا[4]

فصبحتهم من الدواهي جائحـة عقبها الدمار[5]

ومـر دهر على وبار فهلكـت جهـرة وبار

ولما ذكر الناظم القول المشهور في سبب نزول الأوس والخزرج يثرب، ذكر قولا آخر مقابلا له معبرا عنه بقيل التي تقتضي التضعيف؛ فقال رحمه الله وعفا عنه:

وَقِيلَ هُـمْ مِّنْ عُلَمَاءِ تُبَّعِ تَتَبَّطُـوا عَن تُبَّعٍ أَللَّوْذَعِي

بِطَيْبَةٍ يَنْتَظِـرُونَ أَحْمَدَا وَكُلُّهُـمْ بَنَى لَهُ وَشَيَّـدَا

---

(1) يحفه: يحيط به. وجانبا: ناحيتا. والنيق: الجبل. ومثل الزجاجة: أي عينا صافية لم يصبها رمد فتحتاج إلى كحل.

(2) فقد: أي فحسب.

(3) الحسبة: الحساب. وفي ذلك العدد: أي عدد الحمام المذكور.

(4) جو: اسم منازل جديس، ولما قتل الملك جديسا وقتل الزرقاء سمى أرضهم بـ"اليمامة"، باسم اليمامة بنت مرة الطسمية ـ وهي الزرقاء المذكورة هنا ـ فعرفت بها من يومئذ، ويقال لها: جو اليمامة وحجر اليمامة. وعيشهم: حياتهم. وباروا: هلكوا.

(5) الدواهي: جمع داهية: المصيبة والأمر العظيم. والجائحة: البلية والتهلكة والدمار: الهلاك.

دَارًا لِخَيْرِ الْخَلْــقِ آلَتْ لأَبِي   أَيُّــوبَ قَبْلَ أَنْ يَجِيئَهُ النَّبِي
وَعِنْدَهُ أَيْضًا كِتَابُ تُبَّــــعِ   أَنْ كَانَ لِلنَّبِيِّ أَيَّ تَبَــــعِ
وَبَعَثُــوا إِلَى النَّبِيِّ بِالسِّجِلْ   وَأَخْبَرَ النَّبِيُّ قَبْلَ أَنْ يَصِـلْ
إِلَيْهِ حَامِــلَ الْكِتَابِ بِالْكِتَابْ   وَقَالَ إِذْ أَخْبَـرَهُ: يَا لَلْعُجَابْ

الضمير في **هم**: عائد على الأنصار المتقدم ذكرهم. وقوله **من علماء تبع**: أي من ولد علماء تبع، **وتبع**: ملك حمير، وهو لقب أطلق على كل من ملك اليمن وحضرموت، مثل كسرى للفرس وقيصر للروم والنجاشي للحبشة. **وتشبطوا**: أي تريثوا وتعوقوا، والضمير فيه عائد على **علماء تبع**. **واللوذعي**: الذكي الحديد الفؤاد، صفة لتبع. **وطيبة**: من أسماء المدينة المنورة. والضمير في **كلهم**: عائد على علماء تبع أيضا. وفاعل كل من **بنى وشيد**: ضمير مستتر عائد على تبع. **ودارا**: مفعول به تنازعه **بنى وشيد**، والبناء **المشيد**: المرفوع. **وآلت**: رجعت وصارت **لأبي أيوب**، وهو خالد بن زيد الأنصاري النجاري. والضمير في **عنده**: عائد على أبي أيوب. **وأن** (بفتح الهمزة مخففة) وصلتها: جملة مفسرة لمضمون **كتاب تبع**. والضمير في **بعثوا**: عائد على الأنصار. **والسجل**: الكتاب. **والنبي**: فاعل **أخبر**. وفاعل **يصل**: ضمير مستتر عائد على **السجل**. **وحامل الكتاب** (بالنصب): مفعول به **لأخبر**. وقوله **بالكتاب**: متعلق **بأخبر**. وفاعل **قال**: ضمير مستتر عائد على **حامل الكتاب**. وفاعل **أخبره**: ضمير مستتر عائد على **النبي**، وضمير المفعول عائد على حامل الكتاب أيضا. **والعجاب** (بوزن غراب): ما جاوز حد العجب أو ما يدعو إلى التعجب، ومنه: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾[1]، ويقال عجب *عجاب* للمبالغــة،

---

(1) سورة ص: 4.

والتعجب هو استعظام أمر ظاهر المزية خافي السبب، أو أن ترى الشيء فيعجبك وتظن أنك لم تر مثله. **والعجب**: روعة تأخذ الإنسان عند استعظام الشيء الذي يرِد عليه.

يعني أنه قد قيل أيضا إن الأنصار كانوا من ذرية العلماء الذين تخلفوا بالمدينة عن تبع الحميري ينتظرون النبي ﷺ ، وكان عندهم علم بأنه سيهاجر إليها وإن ذلك كان هو سبب نزول أصول الأنصار المدينة.

تبع الأول وإيمانه بالنبي ﷺ

وحاصل ما أشار إليه بهذه الأبيات ـ حسبما في الحلة السيراء وغيرها ـ أن تبعا الأول[1] سار مرة في جيش عظيم ما بين فارس وراجل، ومعه بعض وزرائه، وفي جيشه أربعة آلاف ما بين عالم وحكيم ؛ فمر بأهل مكة فلم يعظموه فغضب عليهم وعزم على هدم الكعبة وقتل الرجال وسبي النساء؛ فقال له بعض وزرائه إنهم عربيون جهال لا يعرفون شيئا.. فلم يرده ذلك. ولم يزل على ذلك حتى أخذه صداع فاستمر به حتى أعيا أطباءه، ثم اشتد به حتى تأذى جلساؤه من نتن رائحته، ولم يزل أمره يشتد حتى أَسَرَّ بعضُ العلماء الذين معه إلى أحد وزرائه أنه إن صدقه عالجه، فاستبشر الوزير بذلك وأخبر به الملك؛ فأرسل إلى العالم فدخل عليه فقال له: أيها الملك هل نويت لهذا البيت سوءا؟ قال: نعم نويت تخريبه وقتل رجاله وسبي نسائه، فقال له: إن رب هذا البيت قوي يعلم الأسرار، فبادر وأخرج من قلبك ما هممت به، فقال الملك: أفعل. فبرئ بإذن الله، فآمن بالله وكسا الكعبة وعظمها؛ فكان أول من كساها. وخرج إلى وجهته حتى مر بيثرب فنزل بها هو وجنوده،

---

(1) وقيل هو تبع الأخير، وكان تبع هذا من الخمسة الذين ملكوا الدنيا كلها.

فخرج أربعمائة حبر من الأربعة الآلاف الذين معه من العلماء والحكماء وتعاهدوا على أن لا يخرجوا من تلك الدار وإن أدى ذلك إلى قتل الملك لهم، انتظارا لمبعث النبي ﷺ ؛ فلما رأى الملك ذلك سألهم عن تخلفهم بذلك المكان، فقالوا له: ننتظر نبيا يبعث في آخر الزمان اسمه محمد من صفته كذا وكذا.. رجاء أن ندركه نحن أو أولادنا، فاستحسن الملك ذلك منهم وأقام معهم مدة ـ رجاء أن يدركه ـ وبنى لهم أربعمائة دار بعددهم وأعطى لكل واحد منهم جارية ومالا كثيرا، وبنى دارا عظيمة وأوصى أن ينزلها رسول الله ﷺ إذا قدم يثرب، وكتب كتابا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ودفعه إلى كبير تلك الأحبار وأمره أن يسلم إليه تلك الدار وأن يدفع له ذلك الكتاب إن أدركه وإلا فمن أدركه من ولده أو ولد ولده.. إلى وقت خروجه؛ وكتب على الكتاب: "إلى محمد بن عبد الله نبي الله ورسوله من تبع الأول الحميري أمانة لله من يد من يقع إليه". ولم تزل تلك الدار تتداولها الأملاك إلى أن صارت لأبي أيوب الأنصاري، وهو من ولد ذلك الحبر الذي دفع إليه تبع الكتاب وأوصاه على الدار. فكان الأنصار من ولد هؤلاء العلماء والحكماء.

ويروى أنه كان بين موت تبع هذا ومبعث رسول الله ﷺ نحو ألف سنة. ولما ظهر خبر النبي صلى الله عليه وسلم بمكة قبل الهجرة أرسلت الأنصار كتاب تبع مع أبي أيوب الأنصاري إلى النبي ﷺ ، فلما قدم عليه قال له رسول الله ﷺ: «أنت أبو ليلى ومعك كتاب تبع»، فقال أبو أيوب: نعم، وتعجب وقال: من أنت كأنك ساحر؟ قال: «لا، بل أنا محمد بن عبد الله؛ هات الكتاب»[1]. وإلى ذلك أشار الناظم بقوله **وبعثوا إلى النبي بالسجل**.. إلى قوله **وقال إذ أخبره يا لَلْعجاب**. فأخرج أبو أيوب الكتاب ودفعه للنبي ﷺ، فدفعه رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(1) ذكره البدر العيني في "عمدة القاري على صحيح البخاري".

إلى علي بن أبي طالب فقرأه على النبي ﷺ. وقد روي أنه جاء في الكتاب: "أما بعد فإني آمنت بك وبكتابك الذي أنزل عليك وأنا على دينك وسنتك وآمنت بربك ورب كل شيء وآمنت بكل ما جاء من ربك من شرائع الإسلام، فإن أدركتك فبها ونعمت وإن لم أدركك فاشفع لي ولا تنسني يوم القيامة فإني من أمتك الأولين وبايعتك قبل مجيئك وأنا على ملتك وملة أبيك إبراهيم عليه السلام". ومما جاء فيه:

شهدت على أحمد أنه ... رسول من الله باري النسم[1]

له أمة كتبت في الزبور[2] ... وأمته هي خير الأمم

فلو مد عمري إلى عمره ... لكنت وزيرا له وابن عم

فلما سمع رسول الله ﷺ كلام تبع قال: «مرحبا بالأخ الصالح» ثلاث مرات[3]. ثم رجع أبو أيوب إلى المدينة. ولما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة تلقاه الأنصار، فكان كل بيت منهم يطلبون من رسول الله ﷺ النزول عندهم وهم متعلقون بناقته وهو يقول: «دعوها فإنها مأمورة»[4]، فلم يزل على ذلك حتى وصلت إلى باب دار أبي أيوب - وهي قريبة من موضع المسجد - فبركت ولم ينزل عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم ثارت من غير أن تزجر وسارت غير بعيد، ثم التفتت فعادت إلى المكان الذي بركت فيه أولا فبركت فيه ووضعت

---

(1) باري: أصله بارئ من برأه: إذا خلقه من العدم. والنسم (بالتحريك): جمع نسمة، وهي الإنسان أو كل دابة فيها روح، ويجمع أيضا بنسمات.

(2) الزبور: الكتاب، وغلب على الكتاب الذي أنزل على نبي الله داود عليه السلام.

(3) ذكره البدر العيني في عمدة القاري على صحيح البخاري.

(4) أخرجه الحاكم - كما في فتح الباري: 245/7، وذكره ابن هشام في سيرته ومختصر تاريخ دمشق والكامل في الضعفاء.

جرانها[1] على الأرض، فنزل عنها صلى الله عليه وسلم وقال: «هذا إن شاء الله المنزل»[2]؛ فاحتمل أبو أيوب رحله ووضعه في داره وأقام عنده رسول الله ﷺ سبعة أشهر أو أكثر حتى بنى حجرة عائشة وحجرة سودة، فتحول إليهما رسول الله ﷺ من منزل أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه.

ولما ذكر الناظم نزول أجداد الأنصار المدينة على يهود يثرب استطرد سبب مجيء اليهود ليثرب، فقال رحمه الله وعفا عنه:

وَجَاءَ بِالْيَهُودِ قَبْلُ أَنَّهَا ... بَعَثَهَا الْكَلِيمُ حِينَ مَنَّهَا

نَهْبُ الْعَمَالِقِ إِلَى الْعَمَالِقِ ... فَأَهْلَكُوهُمْ غَيْرَ طِفْلٍ رَائِقِ

فَغَاظَ إِبْقَاءُ الْغُلَامِ أَهْلَهُمْ ... إِذِ الْكَلِيمُ بِالْفَنَا أَرْسَلَهُمْ

فَرَجَعُوا لِطَيْبَةٍ وَخَيْبَرَا ... أَوْ بِالْيَهُودِ جَاءَ بُخْتُ نَصَّرَا

قوله **وجاء باليهود**: أي إلى يثرب. وقوله **قبل** (بالبناء على الضم): أي قبل نزول الأنصار لها. وفاعل **جاء** جملة قوله **أنها** (بفتح الهمزة) وصلتها. **والكليم** (بالرفع): فاعل **بعثها**، وهو نبي الله وكليمه موسى عليه السلام. **ومنها** (بفتح الميم وتشديد النون): أي أضعفها وذهب بمنتها (بضم الميم) أي قوتها، والضمير فيه عائد على **اليهود**. **ونهب** (بالرفع): فاعل **منّها** وهو مضاف إلى **العمالق**: أي حين

---

(1) جران البعير (بالكسر): مقدم عنقه من مذبحه إلى منحره، جمعه: جُرُن (ككتب) وأجرنة، يقال: "ألقى البعير جرانه" أي برك ويقال "ألقى فلان على هذا الأمر جرانه" أي وطن نفسه عليه، و"ضرب الإسلام بجرانه" أي ثبت واستقر، و"ضرب الليل بجرانه" أي أقبل، و"ألقى عليه جرانه" أي أثقاله.

(2) أخرجه البخاري.

انتهاب العمالق لليهود. وقوله **إلى العمالق**: متعلق **ببعثها** وضمير فاعل **أهلكوهم**: عائد على اليهود، وضمير المفعول عائد على **العمالق**. وقوله **رائق**: صفة **لطفل** أي معجب. **وغاظ**: أغضب. **وإبقاء الغلام** (بالرفع): فاعل **غاظ**، **وأهلهم** (بالنصب): مفعوله. وقوله **بالفنا**: متعلق **بأرسلهم**: أي بإهلاك العمالق عن آخرهم. **وطيبة**: من أسماء المدينة. **وخيبر**: مدينة معروفة كانت تسكنها اليهود وفتحها النبي ﷺ سنة سبع للهجرة. قوله **أو باليهود**: أي وقيل إن الذي جاء باليهود إلى يثرب الملك الجبار المشهور **بخت نصر** البابلي، فقد أتوها فرارا منه.

يعني أنه اختلف في سبب التحاق اليهود بأرض يثرب واستيطانهم لها قبل مجيء بني قيلة لها فارين من سيل العرم. وقد ذكر فيه روايتين: إحداهما أن سببه جيش اليهود الذي أرسله موسى عليه السلام لغزو العمالقة بيثرب وخيبر فأقاموا بهما حتى نزلت عليهم الأوس والخزرج. والثانية: وصول فلول اليهود إلى يثرب فرارا من الجبار المشهور بخت نصر البابلي.

قصة مجيئ اليهود المدينةَ واستيطانهم لها

وحاصل ما رواه أهل السير في القصة الأولى أن يثرب كانت تسكن بها في العصور القديمة قبائل من العمالقة[1] منهم بنو وهب وبنو سعد وبنو الأزرق وبنو مطرون، ولهم بها نخل كثير وزروع؛ ثم عتوا عتوا كبيرا وبغوا في الأرض وأكثروا

---

(1) وهم بنو عمليق أو عملاق بن لاوذ بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام ، وهم من العرب البائرة وهم أمة عظيمة يضرب بها المثل في الطول وعظم الجثمان، وتفرقت منهم أمم كثيرة في البلاد فكان منهم أهل عمان والبحرين وملوك العراق، والجزيرة وجبابرة الشام وفراعنة مصر، وانتشروا في الحجاز وسكنوا مكة ويثرب، وكانوا أهل عز ومنعة، وكان منهم ملك بالحجاز يقال له الأرقم بن أبي الأرقم ينزل ما بين تيماء إلى فدك.

فيها الفساد. فلما أظهر الله نبيه موسى عليه السلام على فرعون ودخل الشام وأهلك من به، بعث جيوشه إلى الجبابرة من أهل القرى؛ فبعث إلى العمالقة القاطنين بيثرب جيشا من بني إسرائيل وأمرهم باستئصالهم جميعا إذا أظهرهم الله عليهم وأن لا يستبقوا أحدا منهم بلغ الحلم، فقدم الجيش الحجاز وأظهره الله تعالى على العمالقة؛ فقتلوهم أجمعين وأصابوا ابن ملكهم الأرقم، وكان غلاما وضيئا جميلا[1] أحسن الناس وجها؛ فلما رأوه بهرهم جماله، فقالوا نستحييه[2] ونذهب به إلى موسى حتى يراه فيحكم فيه بما يرى. فرجعوا إلى الشام فوجدوا موسى عليه السلام قد قبض، فتلقاهم بنو إسرائيل وقالوا لهم: ما صنعتم؟ فأخبروهم بما فعلوا وأخبروهم بأمر الغلام، فقالوا لهم: هذه معصيةٌ قد أمرتم ألا تستبقوا منهم أحدا فخالفتم أمر نبيكم، والله لا تدخلوا علينا البلاد أبدا. فلما منعوهم من دخولها قالوا ما كان خيرا لنا من منازل القوم الذين قتلناهم بالحجاز نرجِع إليها فنقيم فيها. فرجعوا حتى أتوا يثرب فنزلوا بها، فكان ذلك الجيش أول سكنى اليهود ليثرب فانتشروا فيها واتخذوا فيها المزارع والأموال ولبثوا ردحا من الزمن حتى ظهرت الروم على بني إسرائيل جميعا بالشام وقتّلوهم وسبوا نساءهم، فخرج بنو النضير وبنو قريظة وبنو بهدل هاربين من الروم إلى من بيثرب من اليهود؛ فلما قدموا يثرب وجدوها وبيئة فكرهوها[3] وبعثوا رائدا يلتمس لهم سواها، فخرج حتى أتى العالية ـ وهي حرة تصب منها بطحان ومهروز، وهما واديان من حرة على تلاع عذبة تنبت حر

(1) الوضيء: النظيف الحسن، جمعه: وضاء (بكسر الواو) وأوضياء. والجميل: الحسن الخَلْق والخُلُق.

(2) نستحييه: أي نتركه حيا.

(3) وبئت الأرض توبأ ووبُوت: كثر فيها الوباء فهي وبئة ووبيئة ، والوباء: الطاعون وكل مرض فاش عام.

الشجر[1] ـ فاختارها لهم فتحولوا إليها من يثرب؛ فنزل بنو النضير ومن معهم على بطحان، ونزل بنو قريظة ومن معهم على مهروز، وانتشرت هناك قبائل أخرى من بني إسرائيل، مثل بني عكرمة وبني ثعلبة وبني محيمر وبني عذراء وبني قينقاع وبني زيد وبني عوف.. وغيرهم.

وكان ليهود يثرب الشرف والعز والثروة على سائر اليهود. وكان معهم أحياء من العرب، كبني مرثد وبني أنيف (وهما من بلي) وبني معاوية (وهم من بني سليم، ثم من بني الحارث بن بُهثة) وبني السبطة (وهم من غسان).. وغير هؤلاء. وكان يقال لبني النضير وبني قريظة الكاهنان لأنهما ابنا الكاهن بن عمران بن هارون، أخي موسى عليهما السلام. و لم تزل اليهود مقيمين بيثرب وضواحيها حتى نزلت عليهم الأوس والخزرج وحالفوهم بها ـ كما مر.

ثم أشار إلى الرواية الثانية في سبب مجيء اليهود إلى يثرب واستيطانهم بها بقوله **أو باليهود جاء بخت نصرا.** وبُخت نصر هذا ملك من ملوك فارس من أهل بابل، يروى أنه ملك الأرض سبعمائة سنة وتَجبر فيها وسلطه ا لله على بني إسرائيل لما اعتدوا وقتلوا أنبياءهم ؛ وكان في عهد أرميا ودانيال، وقيل كان في زمن يحيى بن زكرياء عليهم السلام.

وحاصل ما أشار إليه الناظم هنا في الرواية الثانية ـ حسبما ذكره أهل السير ـ أن بني إسرائيل كانوا يسكنون بالشام وبيت المقدس في أرغد عيش وأحسن حال، وكانت تقع فيهم الأحداث والذنوب فيتجاوز ا لله عنهم ويحسن إليهم، وكان إذا

---

(1) التلاع: جمع تلعة، وهي ما ارتفع من الأرض وما انهبط منها (ضد) ومسيل الماء. والعذبة: الطيبة. وحر الشجر: خياره وطيبه وأعتقهُ.

ملَك عليْهم ملك بعث ا لله لهم معه نبيا يسدده ويرشده. و لم يزل حالهم علـى ذلـك حتى كان أول ما نزل بهم ـ بسبب ذنوبهم ـ أن ملك عليهم مِلِك يُدعـى صديقـة، فبعث ا لله معه شعيا نبيـا، وكـان شـعيا هـذا هـو الـذي بشـر بعيسـى عليـه السـلام وبمحمد ﷺ. فملك صديقة هذا بني إسرائيل وبيت المقـدس زمانـا، وفي آخـر فترتـه غزاهم سنجاريب ملك بابل في جنـود عظيمـة؛ فسـار بهـا حتـى نـزل حـول بيـت المقدس فكبُر عليهم أمره، فلجأ ملكهم إلى نبيهم شـعيا فـأقبلوا علـى ا لله متضرعـين بإخلاص. فأوحى ا لله إلى شـعيا أنـه اسـتجاب لهـم وسـيهلك عدوهـم؛ فـأصبحت الجيوش موتى إلا سنجاريب في نفر قليل مـن كتابـه، منهـم بخـت نصـر؛ فـأخذوهم وأسروهم وأهانوهم ثم أطلقوهم لينذروا من وراءهـم. فخرجـوا حتـى قدمـوا علـى قومهم ببابل وأخبروهـم بما وقع لهم. ولبث سنجاريب قليلا ومات بعد أن اسـتخلف عليهم بخت نصر؛ فعمـل بعملـه ولبـث فـترة قليلـة، فقبـض ا لله مِلِـك بـني إسـرائيل صَدِيقةَ فمرج[1] أمر بني إسرائيل وتنافسوا على الملك حتى قتل بعضهم بعضا وشـعيا بينهم لا يقبلون منه نصحا، فقام فيهم ووعظهم وبين لهـم ثـواب الطاعـة وحذرهـم عقاب المعصية وبشرهم بمحمد ﷺ وبين لهم سيرته وسيرة أمته، فلما فرغ من مقالته عدوا عليه فقتلوه. فمَلَك عليهم رجل اسمه ناشية، وبُعث لهـم أرميـا نبيـا مـن سـبط هارون عليه السلام يسدده ويرشده.

ثم عظمت الأحداث في بني إسرائيل وركبـوا المعـاصي واسـتحلوا المحـارم، فقـام فيهم أرميا خطيبا ووعظهم ونصحهم فلـم يقبلـوا منـه، فـأوحى ا لله إليـه: "وعزتـي لأقضين لهم فتنة يتحير الحليم فيها ولأسلطن عليهم جبارا قاسيا ألبسـه الهيبـة وأنـزع

---

(1) المرج (محركة): الفساد والقلق والاختلاط والاضطراب، وإنما يسكن مع الهرْج.

من صدره الرحمة يتبعه عدد مثل سواد الليل المظلم". فسلط الله عليهم بخت نصر ملك بابل في جنود لا قبل لهم بها، فخرب بيت المقدس وقتّل بعضهم وسبى بعضا وجاس خلال ديارهم[1]، فتفرقوا أيدي سَبا. وكانوا يجدون نعت محمد ﷺ في كتابهم وبشروا به على لسان نبيهم وأنه سيظهر في بعض القرى العربية في قرية ذات نخل، فخرجت فلولهم من الشام وتفرقت في البلاد وجعلوا يرتادون كل قرية من القرى العربية بين الشام واليمن في ذلك الوصف الذي عندهم، حتى مرت بيثرب منهم طائفة من ذرية نبي الله هارون عليه السلام كانت ممن حمل التوراة معه فوجدوا نعتها هو الذي عندهم فاقاموا بها. فكان ذلك هو أول سكنى اليهود بيثرب، ولم يزالوا بها حتى مات أولئك الآباء وهم يصدقون بأنه ﷺ سيبعث ويؤمنون به ويحثون أبناءهم على اتباعه ومبادرة تصديقه إذا بعث ؛ وجعل أولئك الأبناء يحثون أبناءهم.. وهكذا حتى أدركه من أدركه من أبنائهم فكفروا به وهم يعرفونه، حسدا منهم للأنصار؛ حيث سبقوهم إليه. فكان هذا هو سبب وصول اليهود ليثرب واستيطانهم لها ـ كما أشار إليه الناظم.

بعض أخبار الملك بختنصر

ثم كان من أمر بخت نصر هذا أنه أقام في سلطانه ما شاء الله ثم رأى رؤيا عجيبة ورأى شيئا بعدها أنساه إياها، فدعا علماء بني إسرائيل وجماعة منهم كانت من ذراري الأنبياء فسألهم عن رؤياه، فقالوا له: ما هي؟ فقال: نسيتها ولئِن لم

---

(1) جاس: أي عاث وقتل، ومثله: حاس وهاس وداس. وخلال ديارهم: أي تخللها وطاف فيها طلبا لمن فيها كما يجوس الرجل الأخبار أي يطلبها ، أي تردد بين الدور والمساكن ذاهبا وآتيا يطلبهم ويقتلهم.

تخبروني بها وبتأويلها لأنزعن أكتافكم ولأستأصلنكم! وأجَّلهم أجلا قريبا. فخرجوا من عنده وهم في كرب، وتضرعـوا إلى ا لله تعالى فأعلمهم بها وبتأويلهـا، فجـاءوا إلى بخت نصر وقالوا له: رأيت تمثالا على صورة إنسان قدمـاه وسـاقاه مـن فخـار[1] وركبتاه وفخذاه من نحاس وبطنه من فضـة وصـدره مـن ذهـب وعنقـه ورأسـه مـن حديد.. فبينما أنت تنظر إليه وقد أعجبك أرسل ا لله عليه صخرة من السماء فدقتـه فهي التي أنستكه. قال: صدقتم، فما تأويلها؟ قالوا: إنك رأيت مُلك المُلُوك بعضهـم كان ألين ملكا وبعضهم كان أحسن ملكا وبعضهم كان أشد ملكا، الفخار أضعفـه ثم فوقه النحاس أشد منه وفوق النحاس الفضـة أحسـن منـه وفـوق الفضـة الذهـب أحسن منه وأفضل ثم الحديد وهو أشد مما كان قبله وأعز، وهو ملكـك؛ والصخـرة التي رأيت نبي يبعثه ا لله فيدق ذلك أجمع ويصير الأمـر إليـه. وقيـل إنهـم فسـروا لـه الذهب بملك العرب وأنه سينسخ ما قبله ؛ فعندَ ذلك انتدب لإبادة وإذلال العرب[2] ومكث على ذلك مدة ثم أقلع عنه أو مات.

وروي في سبب هلاكه أنه لما تجبر وطغى وملك الأرض وانقاد له من عليها قال لمن معه من بني إسرائيل: أخبروني كيف لي أن أطلع إلى السماء العليا لأقتل من فيها وأتخذها ملكا فإني قد فرغـت مـن أهـل الأرض؟ قـالوا: مـا يقـدر عليهـا أحـد مـن الخلائق، قال: لتفعلن أو لأقتلنكم عن آخركم ؛ فبَكوا وتضرعوا إلى ا لله عز وجـل. فبعث ا لله عليه بعوضة دخلت في منخره حتى وصلـت إلى أم دماغـه فعضتهـا، فمـا

---

(1) التمثال (بالكسر): ما نحت من حجر أو صنع من نحاس ونحوه على صورة شيء من خلق ا لله تعالى من ذوات الروح. والفخار: الخزف واحدته: فخارة

(2) الإبادة: الإهلاك. والإذلال: الإهانة والإخضاع.

كان يقر ولا يسكن حتى يوجأ[1] له رأسه؛ و لم يزل كذلك حتى مات ونجى ا لله تعالى من بقي من بني إسرائيل في يده وتفرقوا ورجع بعضهم إلى الشام واستوطنه وبنى فيه و كثر.

دخول اليهودية اليمن على يد تبع

ثم أشار الناظم إلى سبب انتشار اليهودية في اليمن واعتناق الحميريين باليمن لها، فقال رحمه ا لله وعفا عنه:

أَفْشَى الْيَهُودِيَّةَ فِي أَرْضِ الْيَمَنْ ... حَبْرَانِ مِنْ يَهُودَ أَوْضَحَا السَّنَنْ

لِتُبَّعَ الْمُسْلِمِ. أَوْ هُوَ نَبِي. ... إِذْ نَهَيَاهُ عَنْ مُهَاجَرِ النَّبِي

وَمَرَّ بِالْبَيْتِ وَعَنْهُ نَهَيَاهْ ... إِذْ رَجُلَانِ مِنْ هُذَيْلٍ أَغْرَيَاهْ

فَكَعَّ عَنْهُ وَكَسَاهُ وَنَحَرْ ... عَنْهُ الأُلُوفَ وَالصَّنَائِعَ نَشَرْ

وَإِذْ أَتَى بِدِينِهِ أَهْلَ الْيَمَنْ ... رَدُّوهُ مُنكِرِينَ دِينَهُ الْحَسَنْ

ثُمَّ تَحَاكَمُوا لِنَارٍ عِنْدَهُمْ ... فَسَالَمَتْهُ وَأَجَادَتْ حَرْقَهُمْ

أفشى الأمر: أظهره. **واليهودية** (بالنصب): مفعول به لأفشى، وهي الدين الذي أرسل به موسى عليه السلام فدان به بنو إسرائيل. **وحبران:** فاعل أفشى، تثنية حبر: لعالم أهل الذمة؛ ويطلق أيضا على أحد علماء المسلمين. وجملة **أوضحا السنن:** صفة لحبران، **وأوضحا:** أي أظهرا. **والسَّنَن** (بالتحريك): الطريق المستقيم. وقوله **لتبع:** متعلق بأوضحا. **والمسلم:** صفة لتبع. وجملة **إذ نهياه**.. إلخ: تفسيرية

(1) البعوضة: واحدة البعوض، وهي حشرات مضرة من ذوات الجناحين. وأم الدماغ: الجلدة التي تجمع الدماغ، ويقال لها أيضا أم الرأس. ويوجأ: يضرب.

لقوله **أوضحا السنن لتبع**. **ومهاجر النبي** (بضم الميم وفتح الجيم): مكان هجرته، وهو المدينة. وفاعل **مر** ضمير مستتر عائد على تبع. والمراد **بالبيت** هنا البيت الحرام. **وأغرياه**: أي حضاه عليه. **وكع عنه**: تأخر ورجع. **والصنائع**: المواهب الجليلة. **ونشر**: فرقها وبسطها. **ودينه**: أي الذي تعلمه من الحبرين وهو اليهودية. **وأهل اليمن** (بالنصب): مفعول به **لأتى**.

وقد أشار الناظم هنا إلى ما روي من أن تبعا مِلك حمير سار من اليمن يقصد المشرق فمر في طريقه بيثرب فلم يهيج أهلها وترك بين أظهرهم ابنا له فقتله أهل المدينة غِيلة[1]، فلما أقبل من المشرق، جعل طريقه إلى المدينة وعزم على تخريبها واستئصال أهلها وقطع نخلها. فلما سمع الأنصار ذلك من أمره اجتمعوا وخرجوا لقتاله فالتقوا واقتتلوا حتى حجز بينهم الليل، فكان الأنصار يُقاتلونه بالنهار ويقرونه بالليل! فأعجبه ذلك منهم، وقال: وا لله إن قومنا لكرامٌ. فبينما هو على ذلك من حربهم إذ جاءه حبران من أحبار بني قريظة وقالا له: قد سمعنا ما تريد أيها الملك من تخريب يثرب وإهلاك أهلها فجئنا نريد منك أن لا تفعل فإنك إن أبيت إلا ما تريد حيل بينك وبينها و لم نأمن عليك عاجل العقوبة، فقال لهما: و لم ذلك؟ قالا: لأن هذه القرية مهاجر نبي من قريش يبعث بدين إبراهيم يخرج من الحرم في آخر الزمن اسمه محمد، مولده بمكة، وهذه دار هجرته؛ فلما سمع قولهما أقلع عما كان يريد ورأى أن لهما علما وأعجبه ما سمع منهما، وكان تبع وأصحابه أصحاب أوثان يعبدونها.

ثم إن الحبرين دعواه إلى دينهما فأجابهما واتبعهما على دينهما وأكرمهما وانصرف بهما وبنفر آخر من اليهود عائدا إلى اليمن. فلما كان في الطريق أتاه نفر

---

(1) قتله غيلة: خدعه فذهب به إلى موضع فقتله .[القاموس].

من هذيل بن مدركة فقالوا له: أيها الملك ألا ندلك على بيت مال داثر أغفلته[1] الملوك قبلك فيه كنز من لؤلؤ وزبرجد وفضة؟ قال: بلى؛ أي بيت هذا؟ قالوا: بيت بمكة يعبده أهله ويصلون عنده، (وإنما أراد الهذليون هلاكه بذلك لأنهم عرفوا أنه لم يرده أحد بسوء إلا هلك). فلما أجمع لما قالوا أرسَل إلى الحبرين فسألهما عن ذلك فقالا له: لا نعلم لله بيتا في الأرض اتخذه لنفسه غير هذا البيت الذي بمكة وما أراد القوم بما أشاروا عليك به إلا هلاكك وهلاك جندك، قال فما ذا تأمراني أن أصنع إذا قدمت عليه؟ قالا: تكرمه وتصنع عنده ما يصنعه أهله: تطوف به وتعظمه وتنحر عنده وتحلق رأسك وتتذلل له حتى تخرج من عنده، فقال: وما يمنعكما أنتما من ذلك؟ قالا: أما والله إنه لبيت أبينا إبراهيم وإنه لكما أخبرناك ولكن أهله حالوا بيننا وبينه بالأوثان التي نصبوها حوله والدماء التي يُهريقونها عنده، وهم نجس أهل شرك. فعرف نصحهما له وصدق حديثهما، ثم دعا بنفر هذيل فقطع أيديهم وأرجلهم وسمل أعينهم وصلبهم. ثم مضى إلى مكة، فلما نزل بها كسا البيت بالبرود اليمنية وطاف به ونحر بالشعب وحلق رأسه وأقام به أياما كل يوم ينحر للناس وأوصى به ولاته من جرهم، وانصرف متوجها إلى اليمن بمن معه؛ فلما دنا من اليمن ليدخله حالت حمير بينه وبين ذلك وقالوا له: لا تدخل علينا وقد فارقت ديننا. فدعاهم إلى دينه وقال: إنه خير من دينكم، فقالوا: حاكمنا إلى النار؛ وهي ـ كما يزعمون ـ نار باليمن في أسفل جبل يتحاكمون إليها فيما يختلفون فيه تأكل الظالم ولا تضر المظلوم، فقال تبع: أنصفتم.

فخرج القوم بأوثانهم وما يتقربون به في دينهم، وخرج الحبران بمصاحفهما في أعناقهما يتلوان التوراة، فقعدوا للنار عند مخرجها الذي تخرج منه، فأقبلت حتى

---

(1) داثر: أي كثير أو قديم. وأغفلته: أهملته وتركته.

غشيتهم فأكلت الأوثان وما قُرِّب معها وأكلت حملة ذلك من الرجال ؛ وخرج الحبران ومصاحفهما في أعناقهما تعرق جباههما لم تضرهما النار، ورجعت إلى مخرجها الذي خرجت منه. فعند ذلك أقبلت حمير على دين الحبرين فانتشرت اليهودية من ذلك في اليمن.

وعلى هذا يكون في قول الناظم: **فسالَمَتْهُ** إسناد الفعل لتبع مجازا، وذلك لأنه هو المتبوع، فهو من باب قولهم *بنى الأمير المدينة*. وقوله **لتبع المسلم**: أشار بذلك إلى ما روي من أن تبعا هذا كان مسلما؛ فقد جاء في الخبر: «لا تسبو تبعا فإنه كان قد أسلم»[1]، وروي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: لا تسبوا تبعا فإنه كان رجلا صالحا. وذكر القرطبي أنه حُفر قبر بصنعاء (ويقال بناحية حمير) في الإسلام فوجد فيه امرأتان عند رأسيهما لوح من فضة مكتوب فيه بالذهب: "هذا قبر حُبِّيٍّ ولميس ابنتيْ تبع ماتتا وهما تشهدان أن لا إله إلا الله ولا تشركان به شيْئا وعلى ذلك مات الصالحون قبلهما". وأشار بقوله: **أو هو نبي**: إلى ما روي من أن تبعا كان نبيا؛ قال القرطبي وغيره: اختلف في تبع هذا هل كان ملكًا أو كان نبيا؟ فقال ابن عباس: كان تبع نبيا، وقال كعب: كان تبع ملكا من الملوك.

ديانات العرب قبل الإسلام

هذا وقد كانت للعرب قبل الإسلام ديانات مختلفة ومتباينة، فمنهم من أنكر الخالق والبعث وقالوا بالطبع المحيي والدهر المفني، ومنهم من اعترف بالخالق وأنكر

(1) أخرجه أحمد في مسنده عن سهل بن سعد وهو حديث حسن ـ كما في الجامع الصغير ـ وروي أنه كان يدين بالزبور. [العيني].

البعث، ومنهم من دان باليهودية، ومنهم من دان بالمسيحية، ومنهم من دان بالفارسية، ومنهم الوثنية.

أما اليهودية فهي دين جاء به موسى عليه السلام خاص ببني إسرائيل، وسمي باليهودية نسبة إلى يهوذا أحد أسباط إسرائيل، والسِّبط الأكبر الذي منه كان جلة الملوك من إسرائيل. ولليهود كتابان دينيان هما التوراة، وتتألف من خمسة أسفار، وتجمع الشريعة والتاريخ والفلسفة والقصص والأساطير الدينية والشعر. والكتاب الثاني هو التلمود، وهو مجموع السنن والنصائح والشروح التي نقلت عن موسى عليه السلام ؛ وقد دونت في زمن متأخر عنه[1]. وممن دان باليهودية من العرب: اليمنيون ـ كما مر ـ وقوم من الأوس والخزرج ومن غسان وجذام، كما تهودت حمير وبنو كنانة وبنو الحارث بن كعب وكندة.. وغيرهم. وكانت العرب إذا أشكل عليها شيء من أسرار الوجود أو تشوقت إلى معرفة شيء من ذلك يسألون أهل التوراة من اليهود، وقد أخذوا عنهم بعض الرقى والتعاويذ.

وأما المسيحية فهي الدين الذي أرسل به المسيح عيسى بن مريم عليه السلام، وسمي بالمسيحية نسبة إلى المسيح، وبالنصرانية نسبة إلى الناصرة؛ وهي أول قرية عرف بها المسيح، فقال العرب: ناصري ونصراني. وكان المسيح يدعى الناصري. وكتاب المسيحيين الديني هو العهد الجديد (أو الإنجيل) ؛ وتوجد أربعة كتب مقدسة عندهم وهي أناجيل متى ومرقس ولوقا ويوحنا. وانقسمت أتباع المسيحية إلى فرق مختلفة وكان أشهر ما اختلفوا فيه: أكان عيسى ربا أم خلقه الرب؟ وهل هو والرب سواء أو هو منفصل عن الرب؟! فتعالى الله عما يقولون علوا كبيرا،

(1) التلمود بمثابة مرجع للتصوف عند اليهود.

﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾[1].

هذا وقد دخلت النصرانية في الجزيرة العربية مع دخول النُّساك والرهبان[2] إليها للعيش فيها ورافق بعضها الأعراب وعاشوا عيشهم حتى عُرفوا بأساقفة الخيام أو أساقفة أهل الوبر[3].. وغير ذلك ؛ وانتشرت عقائد النصارى وتعاليمها على ألسنة شعرائها أمثال عدي بن زيد والأعشى.. وغيرهما، وفي آثار شعراء آخرين من غير النصارى مثل أمية بن أبي الصلت والأفوه الأودي، والنابغة الجعدي، مما يؤكد انتشار المسيحية بين القبائل.

وأما الفارسية فهي نسبة إلى الفرس، وهم قوم كانوا منذ القدم يعبدون المظاهر الطبيعية[4]، واشتهر عندهم إلهان اثنان سموهما باسمين خاصين عندهم، ورمزوا لأحدهما بالنور وللثاني بالظلمة، وهما عندهم في نزاع دائم؛ لأن كل ما في الطبيعة ـــ حسب رأيهم ـــ إنما هو نزاع بين قوتين: قـــوة الخير؛ التي رمزوا لها بالنور،

---

(1) الكهف: الآية: 5.

(2) النساك (بضم النون وتشديد المهملة): جمع ناسك وهو المتعبد المتزهد. والرهبان جمع راهب: وهو المعتزل عن الناس يتعبد في صومعة يتخلى عن أشغال الدنيا وملاذها زاهدا فيها معتزلا أهلها وأصله من الرهبة وهي الخوف.

(3) الأساقفة والأساقف: جمع أسقف (بضم الهمزة والقاف وبتخفيف الفاء وتشديدها): رئيس من رؤساء النصارى فوق القسيس ودون المطران. والخيام: جمع خيمة وهي كل بيت يقام على أعواد الشجر يلقى عليه الثمام ويستظل به في الحر، وقد يكون من صوف أو قطن ويقام على أعواد ويشد بأطناب. وأهل الوبر: أهل البادية لأنهم يتخذون بيوتهم من الوبر.

(4) المظاهر: جمع مظهر وهو الصورة التي يبدو عليها الشيء، والمظهر "في علم النبات" صفة النبات في المواسم المختلفة، فيقال: المظهر الربيعي والخريفي والصيفي. والطبيعية: المنسوبة إلى الطبيعة وهي: المخلوقات التي يتألف منها الكون، وعلم الطبيعة: علم يبحث عن طبائع الأشياء وما اختصت به من القوة، والطبائع الأربع عند الأقدمين: الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة.

وقوة الشر التي رمزوا لها بالظلام. ودعوا إلى تأييد إله الخير ضد إله الشر ؛ فأشعلوا النار الدائمة في معابدهم لأنها رمز الضوء، ومن هنا نشأت عبادة النار.

ومن معتقداتهم أن المواد الأصلية للعالم هي الماء والهواء والنار والتراب، واعتبروها عناصر طاهرة يجب أن لا تنجس؛ ولهذا دعوا إلى تقديس النار واتخاذها رمزا، ودعوا إلى حرق الموتى ليطهروا ومنعوا دفنهم في التراب حتى لا يدنسوه، وحرموا تنجيس الماء الجاري.

وأما الوثنية فهي دين منسوب إلى الوثن الذي هو الحجر الغفل[1] من الصنعة يتعبد به المشركون، وتدخل فيه عبادة الصنم الذي هو تمثال على صورة إنسان أو غيره؛ يكون تارة من ذهب وتارة من فضة أو غيرهما.

وقد كان جل العرب يدين بها، وكانت لهم في ذلك جملة مسالك (أو أديان)؛ فمنهم من آمن با لله وعبد الأصنام للقربى والزلفى إلى ا لله تعالى، ومنهم من عبد الأصنام واعتقد أنها تنفع وتضر!. وكانت عبادة الأصنام أمرا ساريا بين العرب؛ فكانت لقريش وبني كنانة "العزى"، وللأوس والخزرج "مناة"[2]، ولكلب "ود"، ولهذيل "سواع"، ولمدلج وبعض أهل اليمن "يغوث"، ولهمدان "يعوق"، ولذي كلاع "نسر"، ولثقيف "اللات". وكان "هبل" من أعظم أصنامهم عندهم؛ وكان على ظهر الكعبة، و"إساف" و"نائلة" على الصفا والمروة.

وقد ظهرت في الجاهلية طائفة لم تعبد الأوثان ولم تدن باليهودية ولا النصرانية، بل اعتقدت بوجود إله واحد عبدوه ولم يشركوا به أحدا؛ فدعوا *بالحنفاء*. ومن أشهرهم: أسد بن كرب الحميري وعامر بن الظرب العدواني وعبيد بن الأبرص

---

(1) الغفل (كقفل): ما لا علامة فيه.

(2) كانوا يسمون آلهتهم بأسماء مؤنثة لاعتقادهم الخبيث في الملائكة أنها بنات.

الأسدي وسويد بن عامر المصطلقي وقس بن ساعدة الإيادي وحنظلة بن صفوان وأمية بن أبي الصلت الثقفي وورقة بن نوفل الأسدي وعداس مولى عتبة بن ربيعة بن عبد شمس وعبيد الله بن جحش الأسدي وحرملة بن أنس الأنصاري وزيد بن عمرو بن نفيل العدوي (الذي كان يقول: يا معشر قريش أيرسل الله قطر السماء وينبت بقل الأرض ويخلق السائمة فترعى فيه وتذبحونها لغير الله؟! فأخرجته قريش من مكة مخافة أن يفسد عليهم دينهم ؛ فخرج إلى الشام، واستعدى عليه عمه الخطاب شبابا من قريش يمنعونه من دخول مكة)، وغير هؤلاء..

هذا وبعد هذا المبحث أكتب في متن هذه الورقة هذه الكلمة التي أستودعها الله عز وجل الذي لا تضيع ودائعه وأشهده عليها ـ وكفى به شهيدا ـ وأشهد عليها حملة عرشه وملائكته وأنبياءه وجميع خلقه وهي: "أني أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وآمنت بالقدر خيره وشره وأني رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد ﷺ نبيا ورسولا، وأنشد وأتمثل بقول القائل:

يا رب يا من يعلم الخفيا	**حقيقة كعلمه الجليا**
كن شاهدا أني شهدت أن لا	**إله معبود بحق إلا**
أنت فلا ند ولا شريك لك	**صدَّقتُ أحمد النبي مرسلك**
واشهد بأنها وديعة لديك	**إلى وقوفيَ غدا بين يديك**

وأقول هذا استشعارا لقول رسول الله ﷺ وإيمانا به وتصديقا له: «من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله حرم الله عليه النار» وقوله: «من شهد أن لا إله إلا الله دخل الجنة»[1].

---

(1) متفق عليهما..

بداية إسلام الأنصار

ثم أشار الناظم إلى بدء إسلام الأنصار، فقال رحمه الله:

أَوَّلُ إِسْــــلَامٍ لأَنْصَارِ النَّبِي أَنْ خَرَجَــتْ لِمَكَّةٍ مِنْ يَثْرِبِ
مِنْ خَزْرَجٍ سِتٌّ وَأَسْلَمَ النَّفَرْ وَجَاءَهُ فِي قَابِــلٍ اثْنَا عَشَرْ
خَمْسٌ مِنَ الذِينَ قَبْلُ قَدْ أَتَوْا وَسَبْعَةٌ مِنْ غَيْرِهِمْ كَذَا رَوَوْا[1]
هُمْ: قُطْبَةُ بْنُ عَامِـرٍ وَرَافِعُ وَعُقْبَــةُ بْنُ عَامِرِ السَّمَاذِعُ
وَابْنُ زُرَارَةَ النَّقِيبُ أَسْعَـــدُ وَخَامِسُ الْخَمْسَةِ عَادَ يَخِدُ
عَوْفُ، ابْنُ عَفْرَاءَ، مُعَاذَهَا احْسُبِ فِي السَّبْعِ، ذَكْوَانَ عُبَادَةَ الأَبِي
وَسِبْطَ نَضْلَـةَ، يَزِيدَ الْبَلَــوِي عُوَيْــمُ هَكَذَا ابْنُ تَيْهَانٍ رُوِي
وَجَابِرُ سِبْــطُ رِئَابِ السَّادِسُ فِي النَّفَــرِ الأَوَّلِ هُوَ الْخَانِسُ

قوله **أول إسلام:** مبتدأ خبره جملة: **أن خرجت لمكة**..إلخ. **وست** (بالرفع): فاعل **خرجت**، وحذفت منه التاء ومن قوله أيضا **خمس من الذين**.. إلخ، وإن كان المقصود بهما مذكراً، لحذف المعدود، إذ محل لزوم التاء في المذكر إذا ذكر المعدود؛ فإن قصد و لم يذكر في اللفظ يجوز الإثبات والحذف. ومن الحذف حديث «...ثم أتبعه ستا من شوال»[2]، كما نص عليه الأشموني عند قول ابن مالك:

ثلاثــة بالتاء قـــل للعشره ... إلخ.

---

(1) في نسخة: كما رووا.

(2) أخرجه مسلم ورواه في الجامع الصغير.

والنفر: الجماعة من الرجال من ثلاثة إلى عشرة وفيه إقامة الظاهر مقام المضمر. والضمير في **جاءه** عائد على النبي ﷺ. وقوله **في قابل**: أي في العام الموالي لعام مجيء هذا النفر. **واثنا عشر**: فاعل **جاءه**. **وخمس**: بدل من **اثنا عشر**. **وسبعة**: عطف على **خمس**. **والسماذع**: جمع سميذع: السيد الكريم الشريف. **وأسعد**: بدل من **ابن زرَارة**. **وخامس الخمسة**: مبتدأ خبره: **عوف بن عفراء**. **وعاد**: أي رجع. **ويخد** (بفتح فكسر) أي يسرع. وقوله **معاذها** (بالنصب): مفعول به **لاحسب** مقدم عليه، وأضافه إلى ضمير أمه **عفراء** لبنوته لها واشتهاره بالنسبة إليها. **وذكوان وعبادة وسبط نضلة** (كلها بالنصب): عطوف على **معاذها** بحذف العاطف في الأولين. **والأبي**: صفة لعبادة، وهو الذي يأبى الضيم[1]. **والسبط**: ولد الولد. **ويزيد** (بالنصب أيضا): معطوف على سبط نضلة بحذف العاطف. **والبلوي**: نسبة إلى بلي (كغني) ابن عمرو بن إلحاف بن قضاعة. **وعويم** (بوزن زبير، وبالرفع): مبتدأ خبره **هكذا**. **وابن تيهان**: عطف على عويم بحذف العاطف أيضا. **وتيهان**: بفتح التاء وسكون الياء المخففة. **وجابر**: مبتدأ خبره جملة **هو الخانس**، **والخانس** (بالنون): المتأخر. **وسبط رئاب والسادس**.. صفتان لجابر، أي وجابر بن عبد الله بن رئاب سادس النفر ـ أي الستة الأولين ـ هو المتخلف عن المجيء معهم في العام الثاني.

أشار الناظم رحمه الله بهذه الأبيات إلى ما روي في سبب إسلام الأنصار. وحاصل ـ ذلك كما في ابن هشام وغيره ـ أنه لما هلك أبو طالب، عم النبي ﷺ نالت قريش من رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأذى ما لم تكن تنال منه في

---

(1) الضيم: الظلم والإذلال ونحوهما جمعه: ضيوم، قال المثقب العبدي:

ونحمي على الثغر المخوف ونتقي بغارتنا كيد العدا وضيومها

حياة ابي طالب. فخرج صلى ا لله عليه وسلم إلى الطائف يلتمس النصرة من ثقيف والمنعة[1] بهم من قومه حتى يُبلغ ما جاء به من ا لله عز وجل ، فلم يفعلوا ؛ بل أغروا به سفهاءهم وعبيدهم ولاقى منهم أعظم جهد ومشقة. فانصرف راجعا إلى مكة حين يئس منهم حتى قدمها وقومه أشد ما كانوا عليه من خلافه وفراق دينه، إلا قليلا مستضعفين ممن آمن به.

فكان رسول ا لله ﷺ يعرض نفسه في المواسم - إذا كانت - على قبائل العرب يدعوهم إلى ا لله ويخبرهم أنه نبي مرسل ويقف على منازل كل قبيلة ويقول: يا بني فلان إني رسول ا لله إليكم يأمركم أن تعبدوا ا لله ولا تشركوا به شيئا وأن تخلعوا ما تعبدون من دونه من هذه الأنداد، ويسألهم أن يصدقوه ويمنعوه حتى يبين عن ا لله تعالى ما بعثه به[2]. وممن عرض عليه نفسه وطلب منه النصرة بنو كندة، فأبوا عليه؛ وأتى كلبا في منازلهم، وخصوصا منهم بطن بني عبد ا لله، فعرض عليهم نفسه حتى إنه كان يقول لهم: «يا بني عبد ا لله إن ا لله عز وجل قد أحسن اسم أبيكم»[3]، فلم يقبلوا منه ما عرض عليهم. وأتى بني حنيفة في منازلهم فدعاهم إلى ا لله فلم يكن أحد من العرب أقبح منهم ردا عليه؛ وأتى بني عامر بن صعصعة فدعاهم إلى ا لله وعرض عليهم نفسه، فقالوا له: أرأيت إن نحن تابعناك على أمرك ثم أظهرك ا لله على من خالفك أيكون لنا الأمر من بعدك؟ قال: «الأمر لله يضعه حيث يشاء»[4]، فأبوا عليه ؛ فلما رجعوا إلى ديارهم جاءوا إلى شيخ لهم كان قد أدركته السن لا

---

(1) المنعة بالتحريك: العز والقوة.

(2) رواه ابن هشام في سيرته: 2 / 32.

(3) أخرجه الطبري في تاريخه وابن كثير في البداية والنهاية وابن هشام في سيرته.

(4) سيرة ابن هشام.

يقدر أن يوافي معهم الموسم ــ وكانوا إذا رجعوا إليه حدثوه بما يكون في ذلك الموسم ـ فسألهم عما كان في موسمهم ذلك، فقالوا: جاءنا فتى من قريش ثم أحد بني عبد المطلب يَزعم أنه نبي يدعونا إلى أن نمنعه ونقوم معه ونخرج به إلى بلادنا؛ فوضع الشيخ يديه على رأسه وقال: يا بني عامر هل لها من تلاف؟ هل لذناباها من مطلب؟ والذي نفسي بيده ما تقولها إسماعيلي قط وإنها لحق فأين رأيكم كان عنكم؟!.

وروي أنه صلى الله عليه وسلم أتى بني عبس وبني سليم وبني محارب وفزارة ومرَّة وبني النضر وعذرة.. وغيرهم، وكان رد الجميع عليه من أقبح الرد، وقالوا له: عشيرتك وأسرتك أعلم بك حيث لم يتبعوك. فكان رسول الله ﷺ على ذلك من أمره في كل موسم، وكان لا يسمع بقادم يقدم مكة له اسم وشرف إلا تصدى له ودعاه إلى الله وعرض عليه ما عنده.

فلما أراد الله عز وجل إظهار دينه وإعزاز نبيه صلى الله عليه وسلم وإنجاز وعده له ، خرج رسول الله ﷺ في الموسم الذي لقي فيه نفر الأنصار فعرض نفسه على قبائل العرب كما كان يصنع في كل موسم؛ فبينما هو عند العقبة التي تضاف إليها الجمرة[1] إذ لقي رهطا من الخزرج أراد الله بهم خيرا، فقال لهم: «من أنتم»؟ قالوا: نفر من الخزرج، قال: «أمن موالي يهود»؟[2] قالوا: نعم، قال: «أفلا تجلسون أكلمكم»؟ قالوا: بلى؛ فجلسوا معه فدعاهم إلى الله عز وجل وعرض عليهم الإسلام وتلا عليهم القرآن[3].

---

(1) أي عند جمرة العقبة وهي على يسار القاصد منى من مكة.

(2) أخرجه البيهقي وأبو نعيم في دلائل النبوة والطبري في تاريخه وابن هشام في سيرته.

(3) سيرة ابن هشام.

وكان من صنع الله بهم أن اليهود الذين كانوا معهم في بلادهم كانوا أهل كتاب وعلم، وكان الأنصار إذ ذاك أهل شرك وأوثان؛ وكانوا قد غلبوا اليهود على بلادهم وغزوهم بها، فكانوا إذا كان بينهم شيء قالت اليهود لهم: إن نبيا مبعوث الآن قد أظل زمانه نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وإرم. فلما كلم رسول الله ﷺ أولئك النفر ودعاهم إلى الله، قال بعضهم لبعض: يا قوم تَعَلَّموا ؛ والله إنه للنبي الذي توعدكم به اليهود فلا تسبقنكم إليه. فأجابوه فيما دعاهم إليه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الإسلام وصدقوه، ثم قالوا له: إنا قد تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم وعسى أن يجمعهم الله بك، فسنقدم عليهم وندعوهم إلى أمرك ونعرض عليهم الذي أجبناك إليه من هذا الدين، فإن يجمعهم الله عليه فلا رجل أعز منك، ثم انصرفوا راجعين إلى بلادهم وقد آمنوا وصدقوا. وهؤلاء النفر حسب ترتيب الناظم لهم هم:

- قطبة بن عامر بن حَديدة بن عمرو بن غنم بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة بن سعد بن علي بن أسد بن ساردة بن تزيد بن جشم بن الخزرج، الخزرجي السلمي (يكنى أبا يزيد)، شهد العقبة الأولى والثانية وشهد بدرا وأحدا والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ، ورمى يوم بدر حجرا وقال: لا أفر حتى يفر هذا الحجر، وجرح يوم أحد تسع جراحات، وكانت معه راية بني سلمة يوم الفتح وتوفي في خلافة عثمان، وقيل في خلافة عمر.

- الثاني: رافع بن مالك بن العجلان بن عمرو بن عامر بن زريق بن عامر بن زريق بن عبد حارثة بن مالك بن غضْب بن جشم بن الخزرج، الخزرجي الزرقي (يكنى أبا مالك وقيل أبا رفاعة)، شهد العقبة الأولى والثانية وكان من النقباء،

وشهد بدرا، وروي أنه كان يقول: ما يسرني أني شهدت بدرا بالعقبة[1]؛ قيل إنه كان من أول من أسلم من الخزرج وأول من قدم المدينة بسورة يوسف، وانه لما لقي رسول الله ﷺ بالعقبة أعطاه ما نزل عليه من القرآن في العشر سنين التي خلت، فقدم به رافع المدينة ثم جمع قومه وقرأ عليهم في موضعه. وروي أن مسجد بني زريق أول مسجد قرئ فيه القرآن وأن النبي ﷺ عجب من اعتدال قبلته. وقد قتل رافع يوم أحد شهيدا.

ـ الثالث: عقبة بن عامر بن نابي بن زيد بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة بن سعد الخزرجي السلمي، شهد العقبة الأولى وشهد بدرا وسائر المشاهد، وقتل يوم اليمامة شهيدا، ورُوي عنه أنه قال: جئت رسول الله ﷺ بابني وهو غلام حدث السن فقلت: بأبي أنت وأمي علم ابني دعوات يدعو بهن وخفف عليه، فقال: «قل يا غلام: اللهم إني أسألك نجاة في إيمان وإيمانا في حسن خلق وصلاحا يتبعه نجاح»[2].

ـ الرابع: أسعد بن زرارة بن عدس بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار، واسم النجار: تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج الخزرجي النجاري، (يكنى أبا أمامة)، شهد العقبة الأولى والثانية، وزعم بنو النجار أنه أول من بايع ليلة العقبة؛ وكان من النقباء. ومات قبل بدر والمسجد يبنى ؛ قيل إنه أول من دفن

---

(1) في رواية: "ما أحب أن لي بها مشهد بدر"، لأن من شهد بدرا وإن كان فاضلا ـ بسبب أنها أول غزوة نصر فيها الإسلام ـ لكن بيعة العقبة كانت سببا في فشو الإسلام ومنها نشأ مشهد بدر. [فتح الباري].

(2) نحوه في الجامع الصغير والطبراني في الأوسط وأحمد في مسنده، وفيه: "نجاحا يتبعه فلاح ورحمة منك وعافية ومغفرة منك ورضوانا".

بالبقيع، وقيل أول دفين به عثمان بن مظعون[1].

- الخامس: عوف بن الحارث بن رفاعة بن الحارث بن سواد بن مالك بن غنم بن مالك بن النجار النجاري، وهو ابن عفراء؛ اشتهر بالنسبة إلى أمه عفراء بنت عبيد بن ثعلبة بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار النجارية. شهد عوف رضي الله عنه العقبة الأولى وشهد بدرا مع أخويه: معاذ ومعوذ ابني عفراء ؛ وقتل هو وأخوه معوذ بها شهيدين. وروي أن عوف بن عفراء هذا لما التقى الجمعان يوم بدر قال: يا رسول الله ما يضحك الرب من عبده؟[2] قال: «أن يراه قد غمس يده في القتال حاسرا»[3]، فنزع عوف درعه وتقدم فقاتل حتى قتل رضي الله عنه.

- السادس: جابر بن عبد الله بن رئاب بن النعمان بن سنان بن عبيد بن عدي بن غنم بن كعب بن سلمة الخزرجي السلمي، روي أنه هو أول من أسلم من الأنصار قبل العقبة بعام، وكان رضي الله عنه قد شهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم.

هذا ولما بايع هؤلاء النفر رسول الله ﷺ رجعوا إلى المدينة فلما قدموا على قومهم ذكروا لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ودعوهم إلى الإسلام حتى فشا فيهم؛ فلم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر من رسول الله ﷺ.

---

(1) يمكن الجمع بين القولين بأن أسعد هو أول دفين بالبقيع من الأنصار، وعثمان أول دفين به من المهاجرين (رضي الله عنهما).

(2) أي يُرضيه غاية الرضى فإذا قيل ضحك الرب لفلان: فهي كلمة وجيزة تتضمن رضا مع محبة وإظهار بشر وكرامة لا مزيد عليهما. [الروض الأنف].

(3) أخرجه ابن هشام في سيرته عن ابن إسحاق بسنده إلى قتادة، كما في الإصابة، وقوله: غمس يده في القتال: أي رمى بنفسه في وسط الحرب. والحاسر: الذي يحسر عن وجهه ورأسه في الحرب أو الذي لا درع له ولا مغفر ولا جُنة.

فلما كان العام المقبل - وهو العام الثاني عشر من النبوة - وافى الموسم من الأنصار اثنا عشر رجلا، فلقوا رسول الله ﷺ بالعقبة؛ وهي العقبة الأولى (وبعضهم يسميها بالثانية ويَعد إسلام النفر الستة المذكورين العقبة الأولى). وهؤلاء الاثنا عشر خمسة منهم من الستة السابقين وسبعة جاءوا معهم لأول مرة ليبايعوا رسول الله ﷺ. أما الخمسة فهم أسعد بن زرارة وعوف بن عفراء، النجاريان، وعقبة بن عامر بن نابي وقطبة بن عامر بن حديدة السلميان ورافع بن مالك الزرقي، وبقي سادسهم وهو جابر بن عبد الله بن رئاب لم يحضر معهم، تأخر بالمدينة؛ وإلى ذلك أشار الناظم بقوله **وجابر سبط رئاب**.. إلخ. وأما السبعة فهم:

• معاذ بن الحارث بن رفاعة، شقيق عوف بن عفراء المتقدم ؛ ويروى أن معاذا هذا كان هو أول من أسلم من الأنصار بمكة وشهد بدرا مع أخويه عوف ومعوذ ابني عفراء واشتركوا في قتل أبي جهل، وشهد أحدا والخندق وسائر المشاهد مع رسول الله ﷺ وبقي إلى زمن عثمان، وقيل توفي في أيام حرب صفين، وقيل غير ذلك.

• الثاني: ذكوان بن عبد القيس بن خلدة بن مُخلِد بن عامر بن زريق الزرقي، كان ممن شهد العقبة وبدرا وأحدا - واستشهد به - وقال فيه رسول الله ﷺ: «من أحب أن ينظر من يطأ بقدمه خضراء الجنة فلينظر إلى هذا»[1]. وروي أنه خرج هو وأسعد بن زرارة إلى مكة يتنافران إلى عتبة بن ربيعة، فسمعا بالنبي ﷺ فأتياه فعرض عليهما الإسلام فأسلما و لم يقربا ساحة عتبة ورجعا إلى المدينة فكانا أول من قدم بالإسلام إلى المدينة، ثم رحل منها ذكوان إلى مكة وسكنها مع رسول الله ﷺ ثم هاجر بعد فكان مهاجريّاً أنصاريا.

---

(1) رواه ابن المبارك في الجهاد - [كما في الإصابة].

• الثالث: عبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم بن فهر بن ثعلبة بن غنم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج الخزرجي القوقلي نسبة إلى القواقل ، وهم بنو غنم بن عوف؛ لقبوا بذلك لأنهم كانوا إذا استجار بهم الرجل دفعوا له سهما وقالوا له: قوقل به حيث شئت بيثرب (والقوقلة ضرب من المشي).

وعبادة هذا يكنى أبا الوليد، أمه قرة العين بنت عبادة بن نضلة بن العجلان الخزرَجية، أسلمت وبايعت رضي الله عنها. وكان عبادة من فضلاء الصحابة وعلمائهم وشهد العقبة الأولى والثانية وكان من النقباء، وشهد بدرا والمشاهد كلها، وشهد فتح مصر سنة عشرين. ولما غدر بنو قينقاع ونقضوا عهد النبي ﷺ وجاء ابن أبيّ يشفع لهم عند النبي ﷺ — وكان له من حلفهم مثل ما لابن أبيّ — مشى عبادة إلى النبي ﷺ فخلعهم وتبرأ إلى الله ورسوله من حلفهم، فنزلت: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[1]. قيل كان ممن جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ وتفقه في الدين وبعثه عمر إلى أهل الشام يفقههم في الدين، وولي قضاء فلسطين؛ وهو أول من ولي القضاء بها. وكان موصوفا بالورع، وكان من سادات الصحابة. ومات، قيل بالرملة[2]، وقيل بفلسطين، وقيل ببيت المقدس؛ وقد قيل إن قبره معروف ببيت المقدس، ولا يعرف قبر صحابي به غيره وغير قبر شداد بن أوس. وكانت وفاة عبادة هذا سنة أربع وثلاثين، وقيل عاش إلى سنة خمس وأربعين.

---

(1) المائدة: الآية: 51.

(2) الرملة: مدينة مشهورة في فلسطين وهي بين يافا والقدس.

• الرابع: العباس بن عبادة بن نضلة بن مالك بن العجلان بن زيد بن غنم بن سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج الخزرجي العجلاني، شهد العقبة الأولى والثانية وأقام مع رسول الله ﷺ بمكة ثم هاجر إلى المدينة، فكان يوصف بأنه مهاجري أنصاري، استشهد رضي الله عنه يوم أحد.

• الخامس: يزيد بن ثعلبة بن خَزمة بن أصرم بن عمرو بن عَمَّارة بن مالك، من بني غُضَينة من بلي، حليف للقواقل ؛ فهو بلوي بالنسب وأنصاري بالحلف. يكنى أبا عبد الرحمن، شهد العقبتين.

• السادس: عويم بن ساعدة بن عائش بن قيس بن النعمان بن زيد بن أمية بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس الأنصاري الأوسي، يكنى أبا عبد الرحمن، شهد العقبة الأولى والثانية ـــ كما للواقدي ـــ وشهد بدرا وأحدا والخندق، ومات في حياة رسول الله ﷺ ، وقيل شهد المشاهد كلها ومات في خلافة عمر بالمدينة. وروي أن عمر رضي الله عنه وقف على قبره وقال: "ما يستطيع أحد على وجه الأرض أن يقول إنه أفضل من صاحب هذا القبر، ما نصب رسول الله ﷺ راية إلا وعويم تحت ظلها"؛ وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الذين قال الله فيهم ﴿ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ ﴾[1] فقال: «نعم المرء منهم عويم بن ساعدة»[2].

• السابع: أبو الهيثم مالك بن التيهان ـــ واسم التيهان مالك أيضا ـــ وهو ابن عتيك بن عمرو بن عبد الأعلم، واختلف في نسبه ؛ فقيل أنصاري بالنسب وإن

---

(1) التوبة: الآية: 108.

(2) أخرجه ابن سعد في طبقاته وابن حجر في تهذيب التهذيب ورواه الإسماعيلي عن الزهري ـــ كما في الإصابة.

جده عبد الأعلم هذا ابن عامر بن زعوراء بن جشم بن الحارث بن الخزرج بن عمرو وهو النبيت بن مالك بن الأوس الأنصاري الأوسي، ولذا كان من النقباء وهم من الصميم الصريح و لم يكن فيهم حليف. وقيل أنصاري بالحلف وأصله من بلي بن عمرو بن إلحاف بن قضاعة، حليف لبني عبد الأشهل؛ فهو بلوي النسب أشهلي بالحلف. وقيل هو من بني أراشة من خزاعة، ولذا قال فيه ابن رواحة:

فلم أر كالإسلام عــزا لأهله ولا مثل أضياف الأراشي معشرا

شهد العقبة الأولى والثانية وكان نقيب بني عبد الأشهل هو وأسيد بن حضير، وعده بعضهم في الستة الأولين، مكان عوف بن عفراء ؛ وقد قيل إنه أول من بايع النبي ﷺ ليلة العقبة. وشهد بدرا وأحدا والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتوفي بالمدينة في خلافة عمر، وقيل قتل مع علي بصفين، وهو الأصح ـ كما في الروض الأنف والاستبصار.

وقصة أضيافه رضي الله عنه التي أشار إليها ابن رواحة هي ـ كما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه ـ قال: خرج رسول الله ﷺ في ساعة لم يخرج فيها ولا يلقاه فيها أحد، فأتاه أبو بكر فقال: «ما جَاء بك يا أبا بكر»؟ قال: للقائك يا رسول الله والسلام عليك والنظر في وجهك، فلم يلبث أن جاء عمر فقال: «ما جاء بك يا عمر»؟ قال: الجوع يا رسول الله ؛ قال صلى الله عليه وسلم: «قد وجدت بعض ذلك، فانطلقوا إلى منزل أبي الهيثم بن التيهان الأنصاري» ــ وكان رجلا كثير النخل والشاء و لم يكن له خادم ــ فلم يجدوه، فقالوا لامرأته: أين صاحبك؟ فقالت: انطلق يستعذب لنا الماء. فلم يلبثوا أن جاء بقربة يزعبها[1]

(1) استعذب: طلب أو استقى ماء عذبا، يقال: خرج يستعذب الماء أي يطلبه عذبا. والقربة (بالكسر): ظرف من جلد يستعمل لحفظ الماء واللبن ونحوهما. وزعب القربة: احتملها ممتلئة.

فوضعها ثم جاء يلتزم النبي ﷺ ويفديه بأبيه وأمه[1] ثم انطلق بهم إلى حديقة وبسط لهم بساطا، ثم انطلق إلى نخلة فجاء بعذق فوضعه، فقال رسول الله ﷺ: «أفلا تنقيت لنا من رطبه وبسره»؟[2] فقال: يا رسول الله إني أردت أن تخيروا من رطبه وبسره. وخرج فورا وبيده شفرة ليذبح لهم، فقال له رسول الله ﷺ: «نكّب عن ذوات الدر»[3]، فأخذ عناقا[4] فذبحها ثم قال لامرأته اعجني واخبزي لنا، ثم أخذ نصف العَناق فطبخه وعمد إلى نصفها الآخر فشواه، فلما نضج الطعام ووضع بين يدي النبي ﷺ أخذ قطعة من اللحم ووضعها في رغيف وأرسلها إلى فاطمة بنته صلى الله عليه وسلم. فلما أكلوا وشبعوا قال النبي ﷺ: «خبزٌ ولحم وتمرٌ ورطب وبسرٌ»[5] ودمعت عيناه ثم قال: «والذي نفسي بيده إن هذا من النعيم الذي تسألون عنه يوم القيامة ظل بارد ورُطَبٌ طيب وماء بارد...» ـ الحديث. وقد روي وقوع مثل هذه القصة لأبي أيوب الأنصاري مع النبي ﷺ وصاحبيه أبي بكر وعمر

---

(1) يلتزمه: أي يعتنقه. ويفديه: يقول له: أفديك بأبي وأمي.

(2) أخرجه الترمذي، والعذق: غصن له شعب. والرطب: ما نضج من تمر النخل. والبسر: ما لم يكتمل نضجه.

(3) أخرجه مسلم والترمذي، وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي الهيثم: «هل لك خادم»؟ قال: لا، قال: «فإذا أتانا سبي فأتنا»، فأتي النبي صلى الله عليه وسلم برأسين ليس معهما ثالث، فأتاه أبو الهيثم فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «اختر منهما» فقال: يا نبي الله اختر لي، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن المستشار مؤتمن، خذ هذا فإني رأيته يصلي واستوص به معروفا»، فانطلق به أبو الهيثم إلى امرأته وأخبرها بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت له: ما أنت ببالغ ما قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم إلا أن تعتقه، قال هو عتيق. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن الله لم يبعث نبيا ولا خليفة إلا وله بطانتان: بطانة تأمره بالمعروف وتنهاه عن المنكر، وبطانة لا تألوه خبالا؛ ومن يوق بطانة السوء فقد وُقي» ـ [الترمذي].

(4) العناق (كسحاب): الأنثى من المعز قبل استكمالها سنة.

(5) أخرجه الترمذي.

رضي الله عنهما. والله أعلم.

ولما التقى رسول الله ﷺ بهذا النفر بالعقبة بايعوه بيعة النساء[1]، وذلك قبل أن تفرض عليهم الحرب. وإلى ذلك أشار الناظم رحمه الله بقوله:

وَبَايَعُوهُ بَيْعَةَ النِّسَاءِ بِلاَ قِتَالٍ وَبِلاَ عَدَاءِ
وَسَأَلُوا مُعَلِّمًا يُرْشِدُهُمْ إِذْ يَكْرَهُونَ أَنَّهُ أَحَدُهُمْ
فَأَرْسَلَ الأَعْمَى لَهُمْ وَمُصْعَبَا مِنْ أَوَّلِ النَّاسِ إِلَيْهِ انْتَدَبَا
أُسَيْدُهُمْ وَسَعْدُ الَّذْ آلَى لِقَوْمِهِ فَدَخَلُوا أَرْسَالاَ
فِي الْحِينِ مَا عَدَا الأُصَيْرِمَ السَّرِي وَكُلُّهُمْ مِّنَ النِّفَاقِ قَدْ بَرِي

الضمير المرفوع في **بايعوه** عائد على الوفد الاثني عشر المتقدم ذكره، والمنصوب عائد على النبي ﷺ ؛ والمراد ببيعة النساء أنهم لم يبايعوه على القتال، ولذا فسرها بقوله: **بلا قتال وبلا عداء**. **والعداء** (بالفتح): الظلم. والضمير في **سألوه**: عائد على الوفد أيضا. وقوله **يرشدهم**: أي يهديهم إلى الإسلام. وقوله **إذ يكرهون**: أي الأنصار، **أنه**: أي المعلم، **أحدهم** أي منهم ؛ أي يكره كل فريق من الحيين ـ الأوس والخزرج ـ أن يؤمه أحد من الفريق الآخر، وذلك لقرب العهد بما كان بينهما من التنافس في الجاهلية. وقد كان من طباع العرب قديما النفور من أن يتقدم على القبيلة أحد من غيرها، والمعهود عندهم أن يكون إمام كل قبيلة منها. وقوله **فأرسل**: فاعله ضمير مستتر عائد على النبي ﷺ.

والمراد **بالأعمى**: عبد الله ابن أم مكتوم العامري. **ومصعب**: هو مصعب بن

---

(1) أي على وفق بيعة النساء التي نزلت بعد ذلك عند فتح مكة.

عمير العبدري. والضمير في **إليه** عائد على مصعب. **وانتدب** له: استجاب. **وأسيدهم** (بوزن زبير) هو أسيد بن حضير الأشهلي، والضمير الذي أضيف إليه عائد على الأنصار. **وسعد** هو ابن معاذ سيد الأوس. **وآلى**: حلف. **ولقومه**: أي بني عبد الأشهل. **وأرسالا**: أي جماعات (جمع رَسَلٍ ــ بالتحريك ــ كسبب وأسباب). **والأصيرم** هو عمرو بن ثابت الأنصاري ثم الأشهلي. **والسَّري**: الشريف. والضمير في **كلهم** عائد على بني عبد الأشهل. **وبَــرِي** (مخفف): برئ ، أي سَلِم من النفاق.

هذا وقد أشار الناظم رحمه الله بقوله **وبايعوه بيعة النساء**.. إلخ، إلى ما رواه ابن هشام وغيره عن عبادة بن الصامت الخزرجي القوقلي، قال: "كنت فيمن حضر العقبة الأولى وكنا اثني عشر رجلا فبايعنا رسول الله ﷺ بيعة النساء، وذلك قبل أن تفرض علينا الحرب، على أن لا نشرك بالله شيئا ولا نسرق ولا نزني ولا نقتل أولادنا ولا نأتي ببهتان نفتريه من بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيه في معروف فإن وفيتم فلكم الجنة وإن غَشِيتُم من ذلك شيئا فأمركم إلى الله عز وجل إن شَاء غفر وإن شاء عذب"[1]. فكانت بيعتهم له صلى الله عليه وسلم تشبه بيعة النساء من حيث أنها كانت على الشروط التي كان رسول الله ﷺ بعد ذلك يشترطها على النساء في مبايعتهن بعد الفتح، وهي المبينة بقوله تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا

(1) وفي رواية أنه صلى الله عليه وسلم قال: «بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصوني في معروف فمن وفى منكم فأجره على الله ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب به في الدنيا فهو له كفارة ومن أصاب من ذلك شيئا فستره الله فأمره إلى الله إن شاء عاقبه وإن شاء عفا عنه».

يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ[1] فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[2]، ولم يكن إذ ذاك قد نزل على رسول الله ﷺ من الفرائض إلا التوحيد والصلاة. ثم أشار الناظم بقوله **إذ يكرهون**..إلخ، إلى ما في **أسد الغابة**: قال: لما انصرف القوم عن رسول الله ﷺ ليلة العقبة الأولى بعث معهم مصعب بن عمير يفقههم في الدين ويقرئهم القرآن فكان يصلي بهم، وذلك لأن الأوس والخزرج كره بعضهم أن يؤمه بعض. وروى ابن إسحاق مثله أيضا كما في

سيرة ابن هشام. وقد ذكر الشيخ حماد في **روض النهاة**[3] في الكلام على مصعب هذا أنه لما كانت ليلة العقبة سأل الأنصار النبي ﷺ أن يرسل معهم من يرشدهم للدين ولا يكون منهم خوف التنافس ـــ كما مر ـــ فبعث معهم مصعبا وابن أم مكتوم، فنزلا على أسعد بن زرارة. وذكر ابن حزم في **جوامع السيرة**، وصاحب **الحلة السيراء** في نهاية كلامه على الأنصار، أنه صلى الله عليه وسلم بعث معهم مصعب بن عمير وعبد الله بن أم مكتوم، ثم نزل مصعب بن عمير على أبي أمامة أسعد بن زرارة النجاري، فكان يقرئهم القرآن ويفقههم في الدين ويصلي بهم؛ فكان يدعى في المدينة *القارئ والمقرئ*، وجمع بهم أول جمعـــــة في الإســــلام في هزم حرة

---

(1) ولا يأتين ببهتان: هو الولد تنسبه إلى بعلها وليس منه، وقيل هو الاستمتاع بالمرأة فيما دون الوطء كالقبلة والجسة ونحوها، والأول يشبه أن يبايع عليه الرجال، وقيل يفترينه بين أيديهن: يعني الكذب وعيب الناس بما ليس فيهم، وأرجلهن: يعني المشي في معصية، ولا يعصينك في معروف: أي في خير تأمرهن به والمعروف اسم جامع لمكارم الأخلاق وما عرف حسنه ولم تنكره القلوب، وهذا معنى يعم الرجال والنساء. [الروض الأنف].

(2) الممتحنة الآية: 12.

(3) حماد بن الأمين ابن أخي الناظم وصاحب شرح أول هذا النظم، وكتابه *روض النهاة* شرح نظم الغزوات لأحمد البدوي أيضا (مطبوع).

بني بياضة في نقيع يقال له *نقيع الخضمات*، وهم أربعون رجلا[1].

مصعب بن عمير

ومصعب هذا هو ابن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي بن كلاب القرشي العبدري يكنى أبا عبد الله؛ كان من جِلّة الصحابة وفضلائهم، وكان أحد السابقين إلى الإسلام. وقد كان قبل أن يسلم فتى من فتيان مكة شبابا وجمالا وتيها وكان أعطر أهل مكة وكان أبواه يحبانه؛ فكانت أمه الخناس بنت مالك بن المضرب[2] تكسوه أحسن ما يكون من الثياب وتلبسه الحضرمي من النعال[3]. وكان رسول الله ﷺ يذكره ويقول: «ما رأيت بمكة أحسن لمة ولا أرق حلة ولا أنعم نعمة من مصعب بن عمير»[4]؛ فلما بلغه أن النبي ﷺ يدعو إلى الإسلام في دار الأرقم دخل عليه فأسلم وكتم إسلامه خوفا من أمه وقومه، فوشي لهم بإسلامه، فأخذوه وأوثقوه وحبسوه. ولم يزل محبوسا إلى أن هرب مع من هاجر إلى الحبشة، ثم رجع إلى مكة ؛ وقد أصابه من الشدة ما غير لونه وأذهب لحمه وأنهك جسمه. ولما رآه النبي ﷺ بكى للذي كان فيه من النعمة ولما

---

(1) الهزم: ما اطمأن من الأرض. والحرة: أرض ذات حجارة نخِرة سود كأنها أحرقت بالنار، جمعها: حرات وحرار وإحرون. وبنو بياضة: بطن من الخزرج؛ وهم بنو بياضة بن عامر بن زريق. ونقيع الخضمات: موضع. وللدارقطني من حديث ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم كتب إلى مصعب بن عمير: «أن اجمع بهم»، فكانت الجمعة فريضة صلاها المسلمون قبل أن يصليها رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأنه إذ ذاك بمكة ولم يتمكن من صلاتها.

(2) العامرية من بني عامر بن لؤي.

(3) الحضرمي من النعال: الملَسَّنُ منها وهي التي فيها طول ولطافة كهيأة اللسان، ويقال: نعلان حَضرموتيان. [القاموس].

(4) ذكره الواقدي ـ كما في أسد الغابة.

صار إليه[1]، ثم بعثه رسول الله ﷺ مع أهل العقبة ليقرئهم القرآن ويعلمهم الإسلام ويفقههم في الدين، فسار معهم فكان يصلي بهم ويعلمهم؛ وأسلم كثير منهم على يديه. وشهد رضي الله عنه بدرا وكانت معه راية رسول الله ﷺ، ثم شهد أحدا ومعه اللواء ولم يزل يقاتل حتى استشهد. وقد روي أنه لم يترك إلا نمرة واحدة كانوا إذا غطوا بها رأسه خرجت رجلاه وإذا غطوا بها رجليه خرج رأسه؛ فقال لهم رسول الله ﷺ: «غطوا بها رأسه واجعلوا على رجليه شيئا من الإذخر»[2]. ولم يعقب إلا بنتا اسمها زينب بنت مصعب؛ تزوجها عبد الله بن عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة المخزومي فولدت له محمدا ومصعبا وغيرهما. وأم زينب هذه حمنة بنت جحش.

عبد الله بن أم مكتوم

وأما **الأعمى** فاختلف في اسمه، والمشهور أن اسمه عبد الله - وقيل عمرو - وهو ابن قيس بن زائدة بن الأصم (جندب) بن هرم بن رواحة بن حجر بن عبد بن معيص بن عامر بن لؤي بن غالب العامري المعيصي، فهو خال (أو ابن خال) أمنا خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، وأمه أم مكتوم عاتكة بنت عبد الله بن عنكثة بن عامر بن مخزوم المخزومية؛ وقد دعيت بأم مكتوم لأنها ولدته أعمى مكتوما، ولقب مكتوما لاكتتام نور بصره، وقيل إنما عمي بعد بدر بسنتين - كما في الحلة

---

(1) رواه الترمذي، والحاكم في معرفة الصحابة.

(2) أخرجه البخاري. والنمرة (بفتح النون وكسر الميم): كساء ملون مخطط أو بردة من صوف تلبسها الأعراب، جمعها: نمرات ونمور. والإذخر (بكسر الهمزة وسكون الذال وكسر الخاء المعجمتين آخره راء): الحشيش الأخضر وحشيش ينبت بمكة وأرض الحجاز طيب الرائحة ينبت في السهول والحزون وإذا جف ابيض.[القاموس] و[البدر العيني].

السيراء ــ واشتهر بالنسبة إلى أمه.

وقد جاء ذكره بهذا اللقب (الأعمى) في القرآن الكريم؛ وذلك أنه رضي الله عنه جاء يوما إلى النبي ﷺ وعنده رجل من عظماء المشركين، فجعل ابن أم مكتوم يقول: يا رسول الله أرشدني وعلمني مما علمك الله؛ ورسول الله ﷺ يعرض عنه ويقبل على الرجل الذي معه يدعوه إلى الإسلام رجاء أن يسلم ــ وكان قد طمع في إسلامه ــ فنــزل قوله تعالى ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ﴾[1] الآيات، فكان صلى الله عليه وسلم بعد ذلك إذا رأى ابن أم مكتوم يبسط له رداءه ويقول: «مرحبا بمن عاتبني فيه ربي»[2] ويكرمه ويقول له: «هل من حاجة»؟[3]؛ ونزل جبريل مرة على رسول الله ﷺ ووجد معه ابن أم مكتوم فقال جبريل: يا هذا متى فقدت بصرك؟ فقال: وأنا صغير، فقال جبريل: أبشر فإن الله تعالى يقول: «إذا أخذت كريمتي عبدي فلا أجازيه إلا بالجنة»[4]. وكان رضي الله عنه قديم الإسلام، أسلم بمكة وكان من المهاجرين الأولين؛ ففي **الاستيعاب** أنه قدم مع مصعب بن عمير المدينة. وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: أول من قدم علينا المدينة من المهاجرين: مصعب بن عمير ثم جاء بعده عمرو بن أم مكتوم. ولما جاء رسول الله ﷺ إلى المدينة جعله من مؤذنيه، واستخلفه على المدينة مرارا ؛ فقد استخلفه في غزوة الأبواء وبواط وذي العشيرة والسويق وغطفان وأحد وحمراء الأسد وذات الرقاع، واستخلفه في مسيره إلى حجة الوداع، وغير ذلك..

---

(1) سورة عبس: الآيات: 1 - 10.

(2) أخرجه البغوي.

(3) أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم ــ كما في ابن كثير.

(4) أخرجه الترمذي.

وروي عـــن زيد بن ثابت الأنصاري النجاري قال: كنت إلى جنب رسول الله ﷺ فغشيته السكينة فوقعت فخذه صلى الله عليه وسلم على فخذي، فما وجدت ثقـــل شيء أثقل من فخذه صلى الله عليه وسلم ؛ ثم سري[1] عنه فقال: «اكتب يا زيـــد»، فكتبـــت في كـــتف[2]: ﴿ لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَـٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ (..) وَٱلْمُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ..﴾ إلى آخـــر الآيـــة، فقام ابن أم مكتوم ـــ وكان رجلا أعمى ـــ (لما سمع فضيلة المجاهدين) فقال: يا رسول الله فكيف بمن لا يستطيع الجهـــاد مـــن المؤمنين؟ فلما قضى كلامه غشيت رسول الله صلى الله عليه وسلم السكينة، فوقعت فخذه على فخذي ووجدت من ثقلها في المرة الثانية كما وجدت في المرة الأولى، ثم سري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «اقرأ ما كتبته يـــا زيد» فقرأت: ﴿ لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَـٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ فقال رسول الله صلى الله علـــيه وســـلم: «اكتب ﴿ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ ﴾ »[3] ـــ الآية كلها؛ قال زيد فأنزلها الله وحدها فألحقتها، والذي نفسي بيده لكأني أنظر إلى ملحقها عند صدع في كتف[4] ـــ [كما في القرطبي وغيره].

ثم إن ابن أم مكتوم ـــ رغم هذا العذر الصريح النازل فيه ـــ أبت له نفسه أن يقعد مع القاعدين؛ وعقد العزم على الجهاد مع المجاهديـــن، فخرج مجاهدا في سبيل

---

(1) سري عنه: كشف عنه ما نزل به من شدة الوحي وثقله.

(2) الكَتفُ: عظم عريض خلف المنكب يكون للإنسان والحيوان (مؤنثة) جمعه: أكتاف؛ وفي المثل: "إنهَ ليعلم من أين تؤكل الكتف" يضرب للداهي الذي يأتي الأمور من مأتاها، وكانوا يكتبون فيها لقلة القراطيس عندهم.

(3) النساء: الآية: 95.

(4) أخرجه أبو داوود.

ا لله بنفسه حتى استشهد رضي ا لله عنه بالقادسية ومعه لواء المسلمين ـ كما مر[1]؛ قيل إنه كان يقول لهم: أقيموني بين الصفين وحملوني اللواء أحمله لكم وأحفظه، فأنا أعمى لا أستطيع الفرار، فدفعه له سعد بن أبي وقاص أمير الجيش، وكان قد لبس درعه واستكمل عدته. واحترب الفريقان حربا لم يشهد لها تاريخ الفتوح مثيلا حتى انجلى اليوم الثالث عن نصر مؤزر للمسلمين وزال عرش دولة الفرس ورفعت راية التوحيد ؛ وكانت قد سقطت مئات الشهداء وكان من بينهم ابن أم مكتوم، فقد وجد صريعا مضرجا بدمائه وهو يعانق راية المسملين. وقيل رجع من القادسية إلى المدينة ومات بها.

قوله : من أول الناس إليه انتدبا..إلخ، أشار به إلى ما رواه ابن إسحاق وغيره من أن أسعد بن زرارة خرج يوما بمصعب بن عمير يريد به دار بني عبد الأشهل ودار بني ظفر ـ وكان أسعد بن زرارة ابن خالة سعد بن معاذ ـ فدخل أسعد بمصعب في حائط من حوائط بني ظفر وجلسا فيه، فاجتمع إليهما رجال ممن أسلم، وسعد بن معاذ وأسيد بن حضير يومئذ سيدا قومهما من بني عبد الأشهل وكلاهما إذ ذاك مشرك على دين قومه، فلما سمعا به قال سعد بن معاذ لأسيد بن حضير: لا أبا لك![2] انطلق إلى هذين الرجلين اللذين قد أتيا دارينا ليسفها ضعفاءنا فازجرهما وانههما عن أن يأتيا دارينا، فإنه لو لا أن أسعد بن زرارة مني حيث قد علمت كفيتك ذلك، هو ابن خالتي ولا أجد عليه مقدما. فأخذ أسيد بن حضير حربته ثم

---

(1) راجع قول الناظم:

وإذ شكا للمصطفى أن حذفا ﴿غير أولي الضرر﴾ جاء المصطفى

(2) يقال لا أب لك ولا أبا لك ولا أباك كل ذلك دعاء في المعنى لا محالة وفي اللفظ خبر ويقال لمن له أب ولمن لا أب له.

أقبل إليهما، فلما رآه أسعد بن زرارة قال لمصعب: هذا أسيد بن حضير سيد قومه قد جاءك فاصدق الله فيه. قال مصعب: إن يجلس أكلمه، فوقف أسيد متشتما[1] فقال: ما جاء بكما إلينا تسفهان ضعفاءنا؟ اعتزلا إن كانت لكما بأنفسكما حاجة، فقال له مصعب: أو تجلس فتسمع فإن رضيت أمرا قبلته وإن كرهته كف عنك ما تكره، قال: أنصفت ؛ ثم ركز حربته وجلس إليهما فكلمه مصعب بالإسلام وقرأ عليه القرآن. فقالا ـ فيما يذكر عنهما ـ: والله لقد عرفنا في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم به في إشراق وجهه وتسهله، ثم قال: ما أحسن هذا الكلام وأجمله، كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدين؟ قالا: تغتسل فتطَهَّرُ وتطهر ثوبيك ثم تشهد شهادة الحق ثم تصلي، فقام واغتسل وطهر ثوبيه وشهد شهادة الحق ثم قام فركع ركعتين؛ ثم قال لهما: إن ورائي رجلا إن اتبعكما لم يتخلف عنه أحد من قومه وسأرسله إليكم الآن: سعد بن معاذ. ثم أخذ حربته وانصرف إلى سعد وقومه وهم جلوس في ناديهم، فلما نظر إليه سعد مقبلا قال: أحلف بالله لقد جاءكم أسيد بغير الوجه الذي سار به من عندكم؛ فلما وقف على النادي قال له سعد: ما فعلت؟ قال: كلمت الرجلين فوالله ما رأيت بهما بأسا وقد نهيتهما فقالا: نفعل ما أحببت ؛ وقد حُدثت أن بني حارثة قد خرجوا إلى أسعد بن زرارة ليقتلوه وذلك أنهم قد عرفوا أنه ابن خالتك ليخفروك![2]، فقام سعد مغضبا مبادرا ــ تخوفا للذي ذكر له من بني حارثة ـ فأخذ الحربة من يده ثم قال: والله ما أراك أغنيت شيئا. ثم خرج إليهما، فلما رآهما سعد مطمئنين عرف أن أسيدا إنما أراد منه أن يسمع منهما ؛ فوقف عليهما متشتما، وقد قال ابن زرارة لمصعب: أي مصعب جاءك

---

(1) متشتما: أي متعرضا للشتم وهو السب.

(2) ليُخفِروك: أي ينقضوا عهدك ويغدروك، وفي رواية: ليحقروك ـ [كما في الطبري].

وا لله سيد من وراءه من قومه، إن يتبعك لا يتخلف عنك منهم اثنان. فقال سعد بن معاذ لأسعد بن زرارة: يا أبا أمامة أما وا لله لولا ما بيني وبينك من القرابة ما رمت مني هذا، أتغشانا في دارينا بما نكره؟ فقال له مصعب: أو تقعد فتسمع ، فإن رضيت أمرا ورغبت فيه قبلته وإن كرهته عزلنا عنك ما تكره ؛ قال سعد: أنصفت، ثم ركز الحربة وجلس. فعرض عليه مصعب الإسلام وقرأ عليه القرآن، قالا: فعرفنا وا لله في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم لإشراقه وتسهله، ثم قال لهما: كيف تصنعون إذا أنتم أسلمتم ودخلتم في هذا الدين؟ قالا: تغتسل فتطهر وتطهر ثوبيك ثم تشهد شهادة الحق ثم تصلي ركعتين، قال: فقام واغتسل وطهر ثوبيه وتشهد شهادة الحق ثم ركع ركعتين ثم أخذ حَربته وأقبل عامدا إلى نادي قومه. فلما رآه قومه مقبلا قالوا: نحلف با لله لقد رجع إليكم سعد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم! فلما وقف عليهم قال: يا بني عبد الأشهل كيف تعلمون أمري فيكم؟ قالوا: سيدنا وأفضلنا رأيا وأيمننا نقيبة[1]، قال: فإن كلام رجالكم ونسائكم علي حرام حتى تؤمنوا با لله وبرسوله.

فما أمسى في دار بني عبد الأشهل رجل ولا امرأة إلا مسلما أو مسلمة، غير الأصيرم عمرو بن ثابت. وقد قال في الأنوار المحمدية: لم يكن في بني عبد الأشهل منافق ولا منافقة، بل كانوا كلهم حنفاء مخلصين رضي ا لله عنهم أجمعين، ونص عليه أيضا ابن حزم في جوامع السيرة النبوية. وإلى ذلك أشار الناظم بقوله: **وكلهم من النفاق قد بري..**

أما أسيد بن حضير وسعد بن معاذ فسيأتي الكلام عليهما إن شاء ا لله، وأما الأصيرم فهو عمرو بن ثابت بن وقش بن زغبة بن زعوراء بن عبد الأشهل،

---

(1) أصل النقيبة: النفس، وميمون النقيبة: أي منجح الفعال مظفر المطالب.

أمه ليلى بنت اليمان أخت حُذيفة بن اليمان، ويعرف بالأصيرم لانصرامه عن قومه بتخلفه عنهم حين أسلموا وبَقائه على شركه ؛ فكان يأبى الإسلام على قومه واستمر على ذلك حتى كان يوم أحد وخرج رسول الله ﷺ ، ألقى الله الإسلام في قلبه للذي أراد به من السعادة فجاء إلى رسول الله ﷺ وهو مقنع بالحديد، فقال: يا رسول الله أأسلم أم أقاتل؟ قال: «أسلم ثم قاتل»[1]. فأسلم ثم أخذ سيفه حتى أتى القوم فدخل في عرض[2] الناس فقاتل حتى أثبتته الجراحات؛ فبينما رجال من بني عبد الأشهل يلتمسون قتلاهم في المعركة إذا هم به فقالوا: إن هذا للأصيرم! ما جاء به؟ لقد تركناه وإنه لمنكر لهذا الأمر. فقالوا له: ما جاء بك يا عمرو ههنا، أحدبا على قومك أم رغبة في الإسلام؟ فقال: بل رغبة في الإسلام فآمنت بالله ورسوله وأسلمت وأخذت سيفي وقاتلت مع رسول الله ﷺ حتى أصابني ما أصابني.. ثم لم يلبث أن مات في أيديهم، فذكروه لرسول الله ﷺ ، فقال: «إنه لمن أهل الجنة»[3]، وروي أيضا أنه قال: «عَمِلَ قَليلاً وأُجرَ كَثيراً»[4]. فدخل الأصيرم الجنة بمجرد الإيمان والجهاد في سبيل الله، ولذا كان أبو هريرة رضي الله عنه يقول: حدثوني عن رجل دخل الجنة و لم يصل صلاة قط؟! فإذا لم يعرفه الناس قال: هو أصيرم بني عبد الأشهل عمرو بن ثابت[5].

---

(1) أخرجه أبو داوود وابن منده وابن الأثير.

(2) أي عامتهم وجماعتهم.

(3) أخرجه أبو داود، وأورده ابن منده وابن الأثير.

(4) أخرجه البخاري ومسلم.

(5) وقد كان ممن دخل الجنة و لم يصل قط أيضا مخيريق بني النضير والأسود الراعي، أما مخيريق فكان حبرا يعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفته ولكنه غلب عليه إلف دينه و لم يزل على ذلك حتى كان يوم أحد قال: والله يا معشر يهود إنكم لتعلمون أن نصر محمد عليكم لحق، قالوا:

<<=

وما وقع لسعد بن معاذ هذا مع قومه وقع مثله (أو ما يشبهه) لضمام بن ثعلبة السعدي ـ أحد بني سعد بن بكر ـ مع قومه. فقد روي عن ابن عباس وغيره قال: بعثت بنو سعد بن بكر ضمام بن ثعلبة وافدا إلى رسول الله ﷺ فقدم عليه فأناخ بعيره وعقله على باب المسجد ـ وكان رجلا جلدا ذا غديرتين[1] ـ فأقبل حتى وقف على رسول الله ﷺ وهو في المسجد جالس في أصحابه، فقال: أيكم ابن عبد المطلب؟ فأشاروا له عليه فقال: إني سائلك ومُغلظ عليك في المسألة فلا تجِدَنَّ في نفسك، فقال: «لا أجد في نفسي؛ سل عما بدا لك»، قال: أنشدك بالله إلهك وإله من كان قبلك وإله من هو كائن بعدك آلله بعثك إلينا رسولا؟ قال: «اللهم نعم»، قال: فأنشدك بالله إلهك وإله من كان قبلك وإله من هو كائن بعدك آلله أمرك أن نعبده وحده ولا نشرك به شيئا وأن نخلع هذه الأوثان التي كان آباؤنا يعبدون؟ قال: «اللهم نعم». قال: ثم جعل يذكر فرائض الإسلام فريضة فريضة: الصلاة والزكاة والصيام والحج وشرائع الإسلام ينشده عند كل فريضة كما ينشده في التي كانت قبلها حتى فرغ، فقال: إني أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله وسؤُدي هذه الفرائض وأجتنب ما نهيتني عنه لا أزيد ولا أنقص! ثم انصرف

اليوم يوم السبت، قال: لا سبت لكم؛ وأخذ سلاحه وسار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بأحد فقاتل معهم حتى قتل، فكان صلى الله عليه وسلم يقول: «مخيريق خير يهود». وأما الأسود الراعي فقد جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو محاصر لخيبر فعرض عليه الإسلام فأسلم ثم تقدم ليقاتل مع المسلمين فأصابه حجر فقتله وما صلى لله صلاة قط، فأتوا به ووضعوه خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مسجى بشملة كانت عليه فالتفت إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه نفر من أصحابه ثم أعرض عنه فقالوا: يا رسول الله أعرضت عنه؟ قال: «إن معه الآن زوجتيه من الحور العين».

(1) الغديرة: المضفور من الشعر.

راجعا، فقال رسول الله ﷺ حين ولى: «إن يصدق ذو العقيصتين يدخل الجنة»[1].

فلما أتى قومه اجتمعوا عليه، فكان أول ما تكلم به أن قال: بئست اللات والعزى! فقالوا: مه يا ضمام، اتق البرص، اتق الجذام، اتق الجنون.. فقال: ويلكم إنهما والله ما يضران وما ينفعان، وإن الله قد بعث رسولا وأنزل عليه كتابا استنقذكم به مما كنتم فيه؛ وإني أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله، وقد جئتكم من عنده بما أمركم به ونهاكم عنه. فما أمسى من ذلك اليوم في حاضرته من رجل ولا امرأة إلا مسلما. قال ابن عباس: فما سمعنا بوافد قط كان أفضل من ضمام بن ثعلبة[2].

ثم قال رحمه الله وعفا عنه:

وَجَاءَهُ فِي ثَالِثِ الأَعْوَامِ ... زُهَاءُ سَبْعِينَ وَفِي الظَّلامِ

عَلَى الْخُرُوجِ بَايَعُوهُ وَحَضَرْ ... عَمُّ النَّبِيِّ حِلْفَهُمْ حَتَّى اسْتَمَرّ

وَصَرَخَ الصَّارِخُ أَنْ مُحَمَّدَا ... مُحَرِّفًا لِحَرْبِكُمْ قَدْ مَهَّدَا

وَاخْتَارَ مِنْهُمُ النَّبِيُّ اثْنَيْ عَشَرْ ... تَفَاؤُلاً بِالنُّقَبَا الاِثْنَيْ عَشَرْ

وَهُم مِّنَ الأَوْسِ: أُسَيدُ فَاعْلَمَهْ ... رِفَاعَةُ وَسَعْدُ ابْنُ خَيْثَمَهْ

وَتِسْعُ خَزْرَجٍ بَنُو بُدُورِ ... رَوَاحَةٍ زُرَارَةٍ مَعْرُورِ

وَابْنُ عُبَادَةَ وَسَعْدُ بْنُ الرَّبِيعْ ... وَرَافِعُ بْنُ مَالِكِ الشَّهْمُ الرَّفِيعْ

---

(1) أخرجه ابن ماجه وأحمد وابن عبد البر. والمراد بالعقيصتين: الضفيرتان من الشعر.

(2) أخرجه أحمد في مسنده.

عَبْدُ الإلَهِ نَجْلُ عَمْرِو بْنِ حَرَامْ   وَمُنْذِرُ وَنَجْـلُ صَامِتِ الْهُمَامْ

الضمير في **جاءه**: عائد على النبي ﷺ المتقدم ذكره. وقوله **في ثالث الأعوام**: أي أعوام لقائهم له؛ فالعام الأول لقي فيه النفر الستة، والثاني لقي فيه الوفد الاثني عشر، والثالث لقي فيه هذه السبعين. قوله **زهاء** (بضم الزاي والرفع): فاعل **جاءه**، **وزهاء** الشيء: مقداره أو ما يقرب منه. **وفي الظلام**: متعلق ب**بايعوه** ؛ وإنما فعلوا ذلك حذرا من مشركي قومهم ومشركي قومه صلى الله عليه وسلم. وقوله: **على الخروج**: أي خروجه صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة ليمنعوه حتى يبلغ عن الله ما أرسل به. **وعم النبي**: المراد به هنا العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه. **وحلفهم** (بالكسر): عهدهم وعقدهم الواقع بينهم وبين النبي ﷺ على أن يمنعوه مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم. **واستمر**: ثبت ودام. **وصرخ**: صاح صياحا شديدا، والمراد ب**الصارخ** هنا: إبليس لعنه الله. وقوله: **محرفا** (بصيغة اسم الفاعل وبالنصب على الحال من فاعل صرخ)، **والتحريف**: تغيير اللفظ عن حاله الأصلي ؛ والمراد بتحريفه هنا أنه حرف لفظ *محمد* إلى لفظ *مذمم*، فقال: هل لكم في مذمم والصُّبَّاء معه اجتمعوا على حربكم، فجعل لفظ "مذمم" موضع الاسم الشريف "محمد". وقوله: **لحربكم** متعلق **بمهد** التي بعده، والضمير فيه لقريش. **ومهد** (بتشديد الهاء): أي أسس بسبب هذه المعاهدة. وقوله **واختار منهم**: أي السبعين. **والتفاؤل**: ضد التَّشاؤم. **والنقبا**: جمع نقيب وهو شاهد القوم وضمينهم وعريفهم، سمي بذلك لأنه ينقب عن أمورهم. **والاثني عشر** هم المشار إليهم بقوله تعالى ﴿ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا ﴾[1]، وبين النقباء بقوله: **وهم من الأوس**.. إلخ، وحذفت

---

(1) المائدة: الآية: 12.

التاء من قوله **وتسع خزرج**، لِما مر[1]. وقوله **بنو بدور** بدل من **تسع خزرج**. **والشهم**: الذكي الفؤاد والسيد النافذ الحكم. **والرفيع**: ذو الرفعة أي ارتفاع القدر والمنزلة. **والهمام**: السيد الشجاع السخي.

بيعة العقبة الثانية

أشار الناظم رحمه الله بهذه الأبيات إلى ما في ابن هشام عن كعب بن مالك الأنصاري السلمي ـ وكان رضي الله عنه ممَّن شهد العقبة الثانية وبايع رسول الله ﷺ بها ـ قال: خرجنا في حجاج قومنا من المشركين حتى قدمنا مكة فواعدنا رسول الله ﷺ العقبة من أوسط أيام التشريق، فلما فرغنا من الحج وكانت الليلة التي واعدنا رسول الله ﷺ لها، قال: وكان معنا عبد الله بن عمرو بن حرام أبو جابر، سيد من ساداتنا وشريف من أشرافنا، أخذناه معنا وكنا نكتم من معنا من قومنا من المشركين أمرنا ؛ فكلمناه وقلنا له: يا أبا جابر إنك سيد من ساداتنا وشريف من أشرافنا وإنا نرغب بك عما أنت فيه أن تكون حطبا للنار غدا، ودعوناه إلى الإسلام وأخبرناه بميعاد رسول الله ﷺ إيانا العقبة. قال: فأسلم وشهد معنا العقبة وكان نقيبا؛ قال: فنمنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لميعاد رسول الله ﷺ نتسلل تسلل القطا مستخفين[2]، حتى اجتمعنا في الشعب عند العقبة[3]، ونحن ثلاثة وسبعون رجلا ومعنا امرأتان من

---

(1) عند قوله: *من خزرج ست وأسلم النفر* ..إلخ.

(2) تسلل وانسل في الظلام أو من الزحام: انطلق في استخفاء. والقطا: جمع قطاة، وهي طائر في حجم الحمام يضرب بها المثل في الاهتداء، فيقال: "أهدى من القطا"؛ قيل سميت القطا لثقل مشيها، وقيل بصوتها.

(3) هي العقبة الأخيرة.

نسائنا: نسيبة بنت كعب بن عمرو بن عوف (إحدى نساء بني مازن بن النجار)، وأسماء بنت عمرو بن عوف بن نابي (إحدى نساء بني سلمة).

قال: فاجتمعنا في الشعب ننتظر رسول الله ﷺ حتى جاءنا ومعه العباس بن عبد المطلب وهو يومئذ على دين قومه إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه ويتوثق له، فلما جلس كان أول متكلم العباس بن عبد المطلب فقال: يا معشر الخزرج ـ قال كعب: وكانت العرب إنما يسمون هذا الحي من الأنصار الخزرج (خزرجها وأوسها) ـ إن محمدا منا حيث قد علمتم، وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا فيه؛ فهو في عز من قومه ومَنَعَة[1] في بلده، وإنه قد أبى إلا الانحياز إليكم واللحوق بكم، فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه ومانعوه ممن خالفه فأنتم وما تحملتم من ذلك؛ وإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج به إليكم فمن الآن فدعوه فإنه في عز ومنعة من قومه وبلده. قال: فقلنا له: قد سمعنا ما قلت، فتكلم يا رسول الله فخذ لنفسك ولربك ما أحببت. قال فتكلم رسول الله ﷺ فتلا القرآن ودعا إلى الله ورغب في الإسلام ثم قال: «أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم»[2]. قال: فأخذ البراء بن معرور بيده ثم قال: نعم والذي بعثك بالحق لنمنعنك مما نمنع منه أزرنا[3].. فبايعنا يا رسول الله، فنحن والله أهل الحرب وأهل الحلقة[4] ورثناها كابرا عن كابر. قال: فاعترض القول ـ والبراء يكلم رسول الله ﷺ ـ أبو الهيثم بن التيهان فقال: يا رسول الله إن بيننا وبين القوم

---

(1) منعة (محركة وتسكن): أي معه من يمنعه من عشيرته ـ [القاموس]. والمنعة: أيضا القوة التي تمنع من يريد أحدا بسوء.

(2) أخرجه أحمد وابن إسحاق في سيرته. ورواه بالمعنى ابن سعد في طبقاته وأبو نعيم وابن حجر والطبري.

(3) يعني نساءنا ، والعرب تكني عن المرأة بالإزار.

(4) الحلقة (بفتح فسكون): السلاح عاما، وقيل خاصٌّ بالدروع.

حبالا وإنا قاطعوها - يعني اليهود - فهل عسيت إن نحن بايعناك وخرجنا معك ثم نصرك الله وأظهرك أن ترجع إلى قومك وتدعنا؟ قال: فتبسم رسول الله ﷺ ثم قال: «بل الدمُ الدمُ والهدْمُ الهدمُ أنا منكم وأنتم مني أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم»[1].

وروي أن العباس بن عبادة بن نضلة قال: يا معشر الخزرج هل تدرون على مَ تبايعون هذا الرجل؟ قالوا: نعم، قال: إنكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس، فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه على نَهْكَة الأموال[2] وقتل الأشراف فخذوه فهو والله خير الدنيا والآخرة؛ قالوا: فإنا ناخذه على مصيبة الأموال وقتل الأشراف، فما لنا بذلك يا رسول الله إن نحن وفينا؟ قال: «الجنة»[3]، قالوا: ابسط يدك، فبسط يده فبايعوه. وإنما قال العباس ذلك ليشد العقد لرسول الله ﷺ في أعناقهم.

وروي عن عبادة بن الصامت - وكان من الاثني عشر الذين بايعوا في العقبة الأولى على بيعة النساء ومن هذه السبعين الذين بايعوا في العقبة الثانية على الحرب ومن النقباء - قال: بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة الحرب على السمع والطاعة في عُسرنا ويُسرِنا ومَنْشَطِنا ومكرهِنا

---

(1) أخرجه أحمد، ورواه ابن إسحاق، وقد كانت العرب تقول عند عقد الحلف والجوار: دمي دمك وهدمي هدمك أي ما هدمته من الدماء هدمته أنا. وقال ابن هشام: الهدم الهدم: أي ذمتي ذمتكم وحرمتي حرمتكم.

(2) نهكة الأموال: نقصها.

(3) أخرجه أحمد في مسنده.

وأثرة علينا[1] وأن لا ننازع الأمر أهله، وأن نقول بالحق أينما كنا لا نخاف في ا لله لومة لائم. وعن الشعبي قال: قال النبي ﷺ ليلة العقبة: «يا معشر الأنصار تكلموا وأوجزوا فإن علينا عيونا»[2]، قال: فخطب أبو أمامة أسعد بن زرارة خطبة ما خطب المرد ولا الشيب مثلها قط؛ قال: يا رسول ا لله اشترط لربك واشترط لنفسك واشترط لأصحابك، قال: «أشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا، وأشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأهليكم[3]، وأشترط لأصحابي المواساة من ذات أيديكم»[4]، قالوا: هذا لك فما لنا؟ قال: «الجنة»[5]؛ قالوا: ابسط يدك فبايعوه. واختلف في أول من بايعه، فبعضهم يقول أسعد بن زرارة، وبعضهم يقول ابن التيهان، وبعضهم يقول البراء بن معرور.

ولما بايعوا رسول ا لله ﷺ قال: «أخرجوا إلي منكم اثني عشر نقيبا ليكونوا على قومهم بما فيهم»[6]، فأخرجوا منهم اثني عشر نقيبا: ثلاثة من الأوس وتسعة من

---

(1) السمع والطاعة: أي الانقياد. والعسر: الشدة والضيق وقلة ذات اليد. واليسر: ضد العسر. والمنشط (بفتح الميم والشين): طيب النفس للعمل خلاف المكره (بفتح الميم والراء)، يقال: "افعلوا ذلك على المنشط والمكره" أي على طيب النفس للعمل وكرهها له. والأثرة (بضم الهمزة وسكون المثلثة وبالتحريك): هي الاستيثار عليهم وتفضيل غيرهم عليهم في نصيبه من الفيء. وفي رواية أنهم قالوا له: على م نبايعك؟ فقال: «على السمع والطاعة في المنشط والكسل وعلى النفقة في العسر واليسر وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر».

(2) أخرجه أحمد: 4 / 120، وأبو نعيم في الدلائل.

(3) أخرجه أحمد وابن إسحاق في سيرته، ورواه بالمعنى ابن سعد في طبقاته وأبو نعيم وابن حجر والطبري.

(4) أخرجه أحمد والبيهقي في الدلائل، وابن سعد وابن كثير في البداية والنهاية.

(5) أخرجه أحمد في مسنده.

(6) فتح الباري، وابن هشام في سيرته.

الخزرج. وذكر الناظم أسماءهم، وبدأ بنقباء الأوس الثلاثة، ثم ذكر تسعة الخزرج. وهذا بعض التعريف بهم على ترتيب الناظم لهم:

التعريف بالنقباء

أما أسيد فهو أبو يحيى أسيد بن حضير بن سماك بن عتيك بن رافع بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل بن جشم بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس الأوسي الأشهلي، نقيب بني عبد الأشهل. كان أبوه حضير فارس الأوس ورئيسهم يوم بعاث ـ كما مر ـ ويعرف بحضير الكتائب، وكان جده سماك بن عتيك فارسهم وسيدهم في الجاهلية؛ ثم كان أسيد هذا من وجوه الأنصار وسادات الصحابة وكان شريفا كاملا عاقلا من أهل الرأي وكان من السابقين إلى الإسلام، وتقدم سبب إسلامه؛ وشهد رضي الله عنه بدرا وأحدا وكان ممن ثبت فيه ثم شهد المشاهد كلها، آخى رسول الله ﷺ بينه وبين زيد بن حارثة ؛ وروي أنه صلى الله عليه وسلم قال فيه: «نعم الرجل أسيد بن حضير»[1]. وكان أبو بكر رضي الله عنه لا يقدم عليه أحدا من الأنصار؛ وكانت عائشة رضي الله عنها تقول: ثلاثة من الأنصار لم يكن أحد منهم يلحق في الفضل كلهم من بني عبد الأشهل: سعد بن معاذ وأسيد بن حضير وعباد بن بشر، وقالت فيه أيضا: كان أسيد بن حضير من أفاضل الصحابة.

وكان رضي الله عنه من أحسن الناس صوتا بالقرآن. واستعمله عمر رضي الله عنه على اليمامة. وتوفي سنة عشرين أو إحدى وعشرين وصلى عليه عمر، ودفن بالبقيع، وقيل في تاريخ وفاته غير ذلك. و لم يعقبْ.

---

(1) أخرجه أحمد وذكره البغوي.

وأما رفاعة فهو أبو لبابة رفاعة بن عبد المنذر بن زنبر بن زيد بن أمية بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس الأوسي نقيب بني عمرو بن عوف، اشتهر رضي الله عنه بكنيته، وكان معدودا في البدريين؛ خرج مع النبي ﷺ إلى بدر فرده من الروحاء إلى المدينة أميرا عليها وضرب له بسهمه وأجره وشهد أحدا والمشاهد بعدها، واستخلفه صلى الله عليه وسلم على المدينة في خروجه إلى غزوة السويق، وكانت معه راية بني عمرو بن عوف يوم الفتح. وتوفي بعد قتل عثمان بن عفان في خلافة علي رضي الله عنه. وقد عد قوم أبا الهيثم بن التيهان مكان رفاعة هذا. والله أعلم.

وأما سعد فهو أبو عبد الله سعد بن خيثمة بن الحارث بن مالك بن كعب بن النَّحَّاط بن كعب بن حارثة بن غنم بن السلم بن امرئ القيس بن مالك بن الأوس الأوسي، كان رضي الله عنه يسمى سعد الخير، وكان ممن شهد بدرا؛ روي أنه استهم يوم بدر هو وأبوه خيثمة فخرج سهم سعد فقال له أبوه يا بني آثرني اليوم، فقال: يا أبت لو كان غير الجنة فعلت؛ فخرج سعد إلى بدر فقتل بها، وقتل أبوه خيثمة يوم أحد شهيدا.

وأما ابن رواحة فهو أبو محمد عبد الله بن رواحة بن ثعلبة بن امرئ القيس بن عمرو بن مالك بن امرئ القيس الأكبر بن مالك الأغر بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج الأنصاري الخزرجي نقيب بني الحارث بن الخزرج، أمه كبشة بنت واقد بن عمرو بن الإطنابة من بني الحارث بن الخزرج أيضا، شهد رضي الله عنه بدرا وأحدا والمشاهد بعدهما إلا الفتح وما بعده، لأنه استشهد قبله يوم مؤتة سنة ثمان بأرض الشام، وهو ثالث أمراء الجيش. وقد قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نعم الرجل عبد الله بن

رواحة»[1]، وقال: «رحم الله ابن رواحة إنه يحب المجالس التي تتباهى بها الملائكة»[2]؛ وروي أنه صلى الله عليه وسلم كان مرة يخطب فدخل عبد الله بن رواحة فسمعه يقول: اجلسوا فجلس مكانه خارجا من المسجد؛ فلما فرغ قال له: «زادك الله حرصا على طواعية الله وطواعية رسوله»[3]. وروي عن أبي الدرداء قال: لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره في اليوم الحار الشديد حتى إن الرجل ليضع من شدة الحر يده على رأسه وما في القوم صائم إلا رسول الله ﷺ وعبد الله بن رواحة.

وكان رضي الله عنه أحد الشعراء المجيدين الذين كانوا ينافحون[4] عن رسول الله ﷺ ويمدحونه ويهجون الكفار، وكان من أسرع الناس بديهة في الشعر؛ روي أنه صلى الله عليه وسلم قال له يوما: «قل شعرا تقتضيه الساعة وأنا أنظر إليك»[5]، فانبعث مكانه يقول:

إني تَفرَّسْتُ[6] فيك الخير أعرفه ... والله يعلم أن ما خانني البصر

أنت النبي ومن يحرم شفاعته ... يوم الحساب فقد أزرى به القدر[7]

---

(1) فوائد ابن أبي طاهر الذهلي - [كما في الإصابة].

(2) أخرجه أحمد في مسنده ، وابن عساكر في تاريخه.

(3) أخرجه البيهقي بسند صحيح - كما في الإصابة — والطواعية: الطاعة، يقال حسن الطواعية أي حسن الطاعة.

(4) ينافحون عنه: أي يدافعون عنه.

(5) أخرجه ابن سعد - كما في الإصابة - وذكره ابن هشام في سيرته وتاريخ دمشق.

(6) تفرس فيه: نظر وثبت نظره فيه، وتفرس فيه الخير: أي رأى فيه مخايل الخير وتوسمه.

(7) أزرى به: عابه ووضع من حقه، والقدر (بالتحريك): ما يقدره الله تعالى من القضاء ويحكم به. ولبعضهم في تعريف القدر والقضاء والفرق بينهما:

<<=

فتبسم صلى الله عليه وسلم وقال له: «وأنت فثبتك الله يا ابن رواحة». وفيه وفي صاحبيه حسان بن ثابت وكعب بن مالك نزلت: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْۗ ﴾[1]. وروي أنه مشى ذات ليلة إلى أمة له فنالها، ففطنت له امرأته فلامته، فأنكر ذلك - وكانت قد رأت وقاعه لها- فقالت له إن كنت صادقا فاقرأ القرآن، فالجنب لا يقرأ القرآن؛ فقال:

شهـــدت بأن وعد ا لله حق وأن النار مثـــــوى الكافرينا

وأن العرش فوق الماء حـــق وفـــوق العرش رب العالمينا

وتحملـــه ملائكــة غــلاظ ملائكة الإله مسوميـــنا[2]

فقالت امرأته: صدق ا لله وكذبت عينايَ! وكانت لا تحفظ القــرآن. وروي أنه أتى النبي ﷺ وحدثه بالقصة فضحك حتى بدت نواجذه صلى ا لله عليــه وسـلم، وكـان رضي ا لله عنه من كتابه صلى ا لله عليه وسلم. ومناقبه لا تحصى.

وأما ابن زرارة فهو أبو أمامة أسعد بن زرارة بن عدس الخزرجي النجاري نقيب بني النجار وقد مر التعريف به في الرهط الذيــن أسـلموا بالعقبـــة رضي ا لله

--- >>

اعلـم وقاك ا لله كل كــدر أن القضاء سابــق للقـــــدر

وقوع ذي الأشياء والإمضاء في اللـــوح جملة هو القضـــاء

بروزها وفق القضاء: القــدر ذا الفرق ساقه الألى تصدروا

(1) الشعراء: الآية: 227.

(2) غلاظ: ضخام الأجسام ما بين منكبي الواحد منهم مسيرة سنة، وورد: ما بين منكبي أحدهم كمـا بين المشرق والمغرب. ومسومين: أي معلَّمين بعلامات، وقد روي أن سيما الملائكة كانت عمـائم بيضا قد أرسلوها بين أكتافهم.

عنهم، ولما مات جاءوا إلى النبي ﷺ فقالوا: يا رسول الله إن أسعد قد مات وكان نقيبنا، فلو جعلت لنا نقيبا ؛ فقال: «أنتم أخوالي وأنا نقيبكم»[1]، فكانت هذه فضيلة لبني النجار[2].

وأما ابن معرور فهو أبو بشر البراء بن معرور بن صخر بن خنساء بن سنان بن عبيد بن عدي بن غنم بن كعب بن سلمة بن سعد بن علي بن أسد بن ساردة بن تزيد بن جشم بن الخزرج الخزرجي السلمي من نقباء بني سلمة.

كان رضي الله عنه من سادات الأنصار، قيل إنه هو أول من بايع رسول الله ﷺ ليلة العقبة وهو أول من استقبل الكعبة حيا وميتا؛ فقد روي عن كعب بن مالك - وكان ممن شهد العقبة الثانية وبايع بها رسولَ الله ﷺ - أنه قال: خرجنا في حجاج قومنا من المشركين وقد صلينا وفقهنا ومعنا البراء بن معرور سيدنا وكبيرنا، فلما اتجهنا لسفرنا وخرجنا من المدينة قال البراء لنا: يا قوم إني رأيت رأيا ما أدري أتوافقونني عليه أم لا؟ فقلنا: وما ذلك؟ قال: إني رأيت أن لا أدع هذه البنية مني بظهر - يعني الكعبة - وأن أصلي إليها، فقلنا ما بلغنا أن نبينا صلى الله عليه وسلم يصلي إلا إلى الشام وما نريد أن نخالفه، فقال: إني لمصل إليها، فقلنا: لكنا لا نفعل؛ فكنا إذا حضرت الصلاة صلينا إلى الشام وصلى البراء إلى الكعبة، والنبي ﷺ إذ ذاك لم يزل يصلي إلى بيت المقدس. فلما قدموا مكة انطلق البراء إلى رسول الله ﷺ فسأله عن ذلك فقال له: «قد كنت على قبلة لو صبرت عليها»[3]، فرجع البراء إلى قبلة رسول الله ﷺ. وفي ذلك يقول عون بن أيوب الأنصاري من قصيدة له:

---

(1) رواه الحاكم في المستدرك عن الواقدي، وذكره ابن هشام في سيرته.

(2) قاله في أسد الغابة.

(3) أخرجه أحمد وأبو نعيم وابن عبد البر - كما في أسد الغابة - وذكره ابن هشام في سيرته.

ومنا المصلي أول الناس مقبلا   على كعبة الرحمن بين المشاعر

وروي أنه لما حضرته الوفاة قال لأهله: استقبلوا بي الكعبة، وكان قد توفي قبل مقدم النبي ﷺ المدينة بشهر؛ فلما قدمها رسول الله صلى الله عليه وسلم مشى إلى قبره وصلى عليه. والبراء بن معرور هذا هو أول من أوصى بثلث ماله؛ وقد أوصى به للنبي ﷺ فقبله ورده على ولده (كما يأتي إن شاء الله).

وأما ابن عبادة فهو أبو قيس سعد بن عبادة بن دليم بن حارثة بن أبي حَزِيمة بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج الخزرجي الساعدي نقيب بني ساعدة. كان رضي الله عنه سيدا في الأنصار مقدما وجيها له رئاسة وسيادة يعترف قومه له بها وكان سيد الخزرج، كما كان سعد بن معاذ سيد الأوس؛ وإياهما يعني القائل:

فإن يسلم السعدان يصبح محمد   بمكة لا يخشى خلاف المخالف

أيا سعدُ سعدَ الأوس كن أنت ناصرا   ويا سعدَ سعدَ الخزرجين الغطارف[1]

أجيبا إلى داعي الهدى وتمنيا   على الله في الفردوس مُنيَةَ عارف

فإن ثواب الله للطالب الهدى   جِنَان من الفردوس ذات رفارف[2]

وكان سعد بن عبادة هذا يلقب في الجاهلية *بالكامل* لأنه كان يحسن الكتابة بالعربية ويحسن الرمي والسباحة؛ وكانت العرب تسمي من اجتمعت فيه هذه الأشياء الثلاثة بالكامل. وكان مشهورا بالجود هو وأبوه وجده وولده ؛ ويقال إنه لم يكن في الأوس والخزرج أربعة مطعمون متتالون في بيت واحد إلا قيس بن سعد

---

(1) الغطارف: جمع غطريف: السيد السري الشريف.

(2) الرفارف: جمع رفرف: البساط الأخضر أو الثوب الأخضر وفي التنزيل ﴿متكئين على رفرف خضر﴾.

بن عبادة بن دليم، فقد كان لهم أطم[1] ينادى عليه من أحب الشحم واللحم فليأت أطم دليم بن حارثة. وروي عن نافع قال: مر ابن عمر على أطم سعد فقال لي: يا نافع هذا أطُم جده، لقد كان مناديه ينادي يوما في كل حول: من أراد الشحم واللحم فليأت دار دليم، فمات دليم فنادى منادي عبادة بمثل ذلك، ثم مات عبادة فنادى منادي سعد بمثل ذلك، ثم قد رأيت قيس بن سعد يفعل ذلك. وكانت لسعد جفنة[2] تدور مع النبي ﷺ في بيوت أزواجه. وروي عن قيس بن سعد قال: زارنا النبي ﷺ في منزلنا فقال: «السلام عليكم ورحمة الله..» - الحديث، وفيه: ثم رفع يديه وقال: «اللهم اجعل صلواتك ورحمتك على آل سعد بن عبادة»[3]، وقال صلى الله عليه وسلم: «جزى الله عنا الأنصار خيرا لا سيما عبد الله بن عمرو بن حرام وسعد بن عبادة»[4]. وروي عن ابن سيرين قال: كان أهل الصفة إذا أمسوا انطلق الرجل بالواحد والرجل بالاثنين والرجل بالجماعة أما سعد فينطلق بثمانين، وشهد سعد مع النبي ﷺ المشاهد كلها إلا بدرا فإنه تهيأ للخروج فلدغ فأقام وأهدى إلى النبي ﷺ حين سار إلى بدر سيفه الذي يسمى العَضْبَ ودرعه التي تسمى ذات الفضول[5] ؛ وكان عند المسلمين يوم بدر سبعون بعيرا لسعد منها عشرون. وقصة تخلف سعد بن عبادة عن بيعة أبي بكر الصديق رضي الله عنه مشهورة وقد خرج رضي الله عنه بعدها إلى الشام وتوفي بحوران سنة خمس عشرة وقيل ست عشرة

---

(1) الأطم (بضمتين): الحصْن المبني بالحجارة.

(2) الجفنة: القصعة الكبيرة جمعها: جفان وجفنات.

(3) أخرجه أحمد.

(4) أخرجه أبو يعلى - كما في الإصابة - ورواه في الجامع الصغير.

(5) سميت بذلك لطولها، قيل إنها هي التي رهنها صلى الله عليه وسلم عند أبي الشحم اليهودي على صاع من شعير. [الخميس] . وعن عائشة رضي الله عنها أنه صلى الله عليه وسلم توفي ودرعه مرهونة عند يهودي بثلاثين صاعا من شعير.

وقيل دفن بالمنيحة وهي قرية بدمشق بالغوطة، وقيل بل ببُصرَى، وهي أول مدينة فتحت بالشام.

وأما سعد بن الربيع فهو الصحابي الجليل سعد بن الربيع بن عمرو بن أبي زهير بن مالك بن امرئ القيس بن مالك الأغر بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج الأنصاري الخزرجي، نقيب بني الحارث بن الخزرج. شهد العقبة الأولى والثانية، وكان كاتبا في الجاهلية وكان رضي ا لله عنه من أفاضل الصحابة، آخى رسول ا لله ﷺ بينه وبين عبد الرحمن بن عوف، فقال سعد لعبد الرحمن: إني أكثر الأنصار مالا؛ هلم أقسم مالي بيني وبينك نصفين ولي أمرأتان فانظر أعجبهما لك فسمها أطلقها لك فإذا انقضت عدتها فتزوجها، قال: بارك ا لله لك في أهلك ومالك، أين سوقك؟ فدلوه على سوق بني قينقاع فما انقلب إلا ومعه فضل من أقط وسمن ثم تابع الغدو. ثم جاء يومًا وبه أثر صفرة فقال له النبي ﷺ مهيم؟ قال: تزوجت، قال: كم سقت إليها قال: نواة من ذهب، أو وزن نواة[1]. وكان سعد ممن شهد بدرا وأحدا واستشهد به.

وكان من خبره أن رسول ا لله ﷺ قال يوم أحد بعد انتهاء المعركة: «مَن رجل ينظر لي ما فعل سعد بن الربيع أفي الأحياء هو أم في الأموات»؟[2]، فقال أبيّ بن كعب: أنا يا رسول ا لله؛ فذهب يطوف بين القتلى ويناديه، فلم يجبه إلى أن قال: يا سعد بن الربيع إن النبي ﷺ بعثني أنظر له ما صنعت أفي الأحياء أنت أم في الأموات؟

---

(1) أخرجه البخاري، ومهيم (بفتح الميم وسكون الهاء وفتح الياء آخره ميم ساكنة): كلمة استفهام معناها: ما شأنك أو ما هذا، وقيل اسم فعل بمعنى أخبر؛ وهذه المرأة هي أم إياس بنت أبي الحيسر أنس بن رافع بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل الأنصارية الأوسية ثم الأشهلية.

(2) أخرجه في الموطأ ـ كما في الإصابة.

قال: فأجابني بصوت ضعيف: أنا في الأموات! فجاءه فوجده وبه رمق فقال له: بعثني رسول الله ﷺ لآتيه بخبرك، فقال له سعد: اذهب فاقرئ رسول الله ﷺ مني السلام وقل له إن سعد بن الربيع يقول لك جزاك الله عنا خير ما جزى نبيا عن أمته؛ وأبلغ قومك عني السلام وقل لهم إن سعد بن الربيع يقول لكم: اللهَ اللهَ وما عاهدتم عليه رسول الله ﷺ ليلة العقبة، فوالله ما لكم عند الله عذر إن يَخلَصْ إلى نبيكم وفيكم عين تَطرِف. قال أبيّ: فلم أبرح حتى مات، فجئت رسول الله ﷺ فأخبرته خبره فقال: «رحمه الله نصح لله ورسوله حيا وميتا»[1]؛ ودفن سعد بن الربيع هذا هو وخارجة بن زيد في قبر واحد. وخلف سعد بن الربيع بنتين أعطاهما رسول الله ﷺ الثلثين، فكان ذلك أول بيان للآية الكريمة في قوله عز وجل ﴿ فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ﴾[2]، وقيل إن صاحب ذلك هو عبد الرحمن بن ثابت أخو حسان بن ثابت (كما يأتي). وروي أن إحدى بنتي سعد بن الربيع هذا دخلت يوما على أبي بكر الصديق وهو خليفة فألقى لها ثوبه حتى جلست علي، فدخل عمر فسأله، فقال: هذه ابنة من هو خير مني ومنك، قال: ومن هو يا خليفة رسول الله ﷺ؟ قال: رجل قبض على عهد رسول الله ﷺ تبوأ مقعده من الجنة[3] وبقيت أنا وأنت!.

وأما رافع بن مالك بن العجلان الزرقي فهو نقيب بني زريق، وقد مر بعض التعريف به فيمن بايعوا بالعقبة الأولى.

وأما عبد الله بن عمرو فهو أبو جابر عبد الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة بن

---

(1) أخرجه ابن عبد البر عن أبي سعيد ،كما في الإصابة والاستيعاب وابن الأثير.

(2) النساء: الآية: 11.

(3) تبوأ المكان وبه: أقام به. والمقعد: مكان القعود جمعه: مقاعد.

حرام بن كعب بن غنم بن سلمة بن سعد بن علي بن أسد بن ساردة بن تزيد بن جشم بن الخزرج الخزرجي السلمي من نقباء بني سلمة.

كان رضي الله عنه من سادات قومه وأفاضل الصحابة. شهد بدرا وأحدا واستشهد به ومثل به المشركون؛ روي عن ابنه جابر بن عبد الله قال: جيء بأبي يوم أحد إلى النبي ﷺ وقد مثل به فوضع بين يديه فذهبت أكشف عن وجهه وجاءت عمتي تبكي وجعلت أبكي عليه وجعل القوم ينهونني ورسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينهاني، فقال صلى الله عليه وسلم: «ابكوه أو لا تبكوه فوالله ما زالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى دفنتموه»[1]. وعنه أيضا قال: لقيني النبي ﷺ فقال: «يا جابر ما لي أراك منكسرا»؟ فقلت: يا رسول الله قتل أبي وترك دينا وعيالا، فقال: «أفلا أبشرك بما لقي الله به أباك»؟ قلت: بلى يا رســـول الله، قال: «إن الله أحيا أباك وكلمه كفاحا[2]، وما كلم أحدا قط إلا من وراء حجاب، فقال له "يا عبدي سلني أعطك"، قال: يا رب تردني إلى الدنيا فأقتل فيك ثانيا، فقال الرب تعالى ذكره "إنه سبق مني أنهم إليها لا يرجعون"، قال: يا رب فأبلغ مَن ورائي[3]، فأنزل الله تعالى ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ »[4].

وأما منذر فهو المنذر بن عمرو بن خنيس بن حارثة بن لوذان بن عبد ود بن زيد بن ثعلبة بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج الخزرجي الساعدي من

---

(1) حديث ابكوه أو لا تبكوه ..إلخ أخرجه مسلم وأحمد في مسنده، وبعضه في البخاري.

(2) كفاحا: أي مواجهة.

(3) أخرجه ابن ماجه والترمذي.

(4) آل عمران: الآية: 169.

نقباء بني ساعدة. شهد بدرا وأحدا واستشهد يوم بئر معونـــة؛ وكان أميرا على تلك السرية.

وأما نجل الصامت فهو أبو الوليد عبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم الخزرجي القوقلي، وقد مر التعريف به في أهل العقبة الأولى.

فهؤلاء هم النقباء الاثنا عشر. قال في **الاستيعاب**: وإنما جعلهم عليه الصلاة والسلام اثني عشر اقتداء بموسى عليه السلام كما جاء في قوله تعالى ﴿ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا ﴾[1]. وأشار الناظـــم إلى ذلك بقولـــــه: **تفاؤلا بالنقبا الاثني عشر.**

ثم قال رسول الله ﷺ للنقباء: «أنتم على قومكم بما فيهم كفلاء ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم وأنا كفيل على قومي»[2] ــ يعني المسلمين ــ قالوا: نعم.

وتسمى هذه العقبة بالعقبة الثانية وهي التي وقعت فيها بيعة العقبة الكبرى، وبعضهم يسميها بالعقبة الثالثة والتي قبلها بالثانية (كما مر).

ولما بايع القوم رسول الله صلى الله عليه وسلم صرخ الشيطان من رأس العقبة بأنفذ صـــــوت سمع قط: يا أهل الجباجـــــــب هل لكم في مُذَمم والصُّبَّاء[3] معه قد اجتمعوا على حربكم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هذا أزب

---

(1) المائدة: الآية: 12.

(2) قاله في فتح الباري، ورواه ابن هشام في سيرته.

(3) الجباجب: (بالجيم والباء): منازل منى، وقيل هي حفر بمنى يجمع فيها دم البدن والهدايا تعظمها العرب وتفخر بها. والصباء جمع صابئ وهو الخارج من دين إلى آخر؛ وكانوا يقولون لمن أسلم إنه صبأ ويسمون المسسلمين صُبَّاءً.

العقبة»[1]، فحرف ـ لعنه الله ـ لفظة محمد إلى لفظ مذمم[2]؛ وإلى ذلك أشار الناظم بقوله: **وصرخ الصارخ** ..إلخ. ثم قال رسول الله ﷺ: «ارفضوا إلى رحالكم»[3]، فقال العباس بن عبادة بن نضلة: والله الذي بعثك بالحق إن شئت لنَمِيلنَّ على أهل منى غدا بأسيافنا، فقال صلى الله عليه وسلم: «لم نؤمر بذلك ولكن ارجعوا إلى رحالكم».

قال كعب: فرجعنا إلى مضاجعنا فنمنا عليها حتى أصبحنا؛ فلما أصبحنا غدت علينا جلة قريش في منازلنا فقالوا: يا معشر الخزرج إنه قد بلغنا أنكم قد جئتم إلى صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظهرنا وتبايعونه على حربنا، وإنه والله ما من حي من العرب أبغض إليْنا أن تنشب الحرب بيننا وبينهم منكم ، قال: فانبعث من هناك من مشركي قومنا يحلفون بالله ما كان من هذا شيء وما علمناه؛ قال: وقد صدقوا لم يعلموه، وبعضنا ينظر إلى بعض. وأتوا عبد الله بن أبيّ ابن سلول[4] فقالوا

---

(1) أخرجه أحمد بإسناد صحيح، وأخرجه الطبراني أيضا. والأزب: من أسماء الشياطين، ومنه حديث ابن الزبير فيه أنه وجد رجلا طوله شبران فأخذ السوط فأتاه فقال: من أنت؟ فقال: أزب، قال: وما أزب؟ قال: رجل من الجن ..إلخ ، والمراد به هنا شيطان اسمه أزب العقبة. [القاموس].

(2) وهذا التحريف كان يطلقه عليه بعض مردة المشركين مثل حمالة الحطب التي تقول فيه:

مذمما أبينا   ودينه قلينا   وأمره عصينا

فض فوها ولعنت بما قالت، وروي أنها كانت تطوف بالبيت فعثرت في مرطها فقالت: تعس مذمم. وروي أن قريشا كانت تسمي رسول الله صلى الله عليه وسلم مذمما وتسبه، فقال صلى الله عليه وسلم: «ألا تعجبون لما صرف الله عني من أذى قريش: يسبون ويهجون مذمما وأنا محمد». [القرطبي].

(3) أخرجه أحمد بلفظ: ارجعوا.. إلخ، وذكره ابن هشام. وارفضوا إلى رحالكم: أي تفرقوا إليها.

(4) سلول امرأة من خزاعة جدة عبد الله بن أبي، أم أبي بن مالك ـ كما في ابن هشام ـ وفي القاموس: سلول أم عبد الله بن أبي المنافق، وقد عرف عبد الله بالنسبة إليها.

له مثل ذلك، فقال لهم: إن هذا لأمر جسيم، ما كان قومي ليتفوَّتُوا[1] علي بمثل هذا وما علمته كان، فانصرف القوم.

ثم انطلق أهل العقبة راجعين إلى المدينة، فلما قدموها أظهروا الإسلام بها. فلما رأت قريش ذلك أقبلت على من أسلم منهم يعذبونه ويفتنونه عن دينه؛ فعند ذلك أمر رسول الله ﷺ من معه بمكة من المسلمين بالخُرُوج إلى المدينة والهجرة إليها واللحوق بإخوانهم من الأنصار، وقال: «إن الله عز وجل قد جعل لكم إخوانا ودارا تأمنون بها»[2]. فخرجوا أرسالا.

وأقام رسول الله ﷺ بمكة ينتظر الإذن من ربه في الخروج من مكة والهجرة منها إلى المدينة، ومكث بقية ذي الحجة والمحرم وصفرا وهاجر في شهر ربيع الأول.



تم بحمد الله تعالى وحسن عونه الجزء الأول من كتاب: **رياض السيرة والأدب في إكمال شرح عمود النسب**؛ ويليه الجزء الثاني وأوله:

لِمَالِكِ بنِ الاوْسِ عَـوْفُ عَمْرُو ...

والحمد لله حق حمده والصلاة والسلام على محمد نبيه وعبده.

---

(1) الأمر الجسيم: العظيم. وتفوت عليه بالشيء: فاته به.

(2) أخرجه ابن هشام في سيرته.

فهرس محتويات الجزء الأول
من التكملة

فهرس بأسماء الأعلام المترجمين والمعرفين في
الجزء الأول من التكملة



تأليف العلامة

أباه بن محمد عالي بن نعم العبد المجلسي الشنقيطي

طبع على نفقة

محمد عبد الرحمن بن أتاه المجلسي

أعده ونشره

محمد محفوظ بن أحمد

الجزء الثاني

رياضُ السِّيرة والأدَب

في إكمال شرح عمود النسب

الطبعة الأولى

1421 هـ/2001م

الجزء الثاني من التكملة

الكلام على بني الأوس بن حارثة*

ولما ذكر الناظم نسب الأنصار ونزولهم المدينة وبدء إسلامهم ومبايعتهم النبي ﷺ بالعقبة، أخذ يتكلم على تفرعهم من الأوس والخزرج؛ وبدأ بالأوس، فقال رحمه الله وعفا عنه:

لِمَالِكِ بْنِ الأَوْسِ: عَوْفُ عَمْرُو وَجُشَمُ وَمُرَّةُ الْغُرُّ

كَذَا امْرُؤُ الْقَيْسِ وَمِنْهُ: خَيْثَمَهْ وَالِدُ سَعْدٍ النَّقِيبِ فَاعْلَمَهْ

قوله **عوف**: مبتدأ خبره الجار والمجرور قبله. **وعمرو**: عطف على عوف بحذف العاطف. **والغر** (بضم المعجمة): جمع أغر: للكريم، صفة لعوفٍ والمعطوفين عليه. وقوله **خيثمة**: مبتدأ خبره الجار والمجرور قبله. والضمير في **منه**: عائد على امرئ القيس. **ووالد** (بالرفع): صفة لخيثمة. **والنقيب** (بالجر): صفة لسعد.

يعني أن مالك بن الأوس له من الولد خمسة أبناء هم: عوف وعمرو وجشم ومرة وامرؤ القيس، وأن من ولد امرئ القيس بن مالك: سعد بن خيثمة الأنصاري الأوسي أحد نقباء الأنصار.

أما الأوس فلم يكن له من الولد إلا مالك بن الأوس؛ وقد روي أن الأوس لما احتضر اجتمع عليه قومه وقالوا له: قد حضرك من أمر الله ما ترى وقد كنا نأمرك

---

* تناول الناظم الكلام على بني مالك بن الأوس في ثلاثة وعشرين بيتا، وذكر بطونهم الكبرى ثم ذكر من الأفخاذ المتشعبة من هذه البطون عشرا وهي بنو عبد الأشهل وبنو الحارث وبنو مجدعة وبنو ظفر وبنو ظهير وبنو زعور - وهذه الستة متفرعة من بني عمرو - وبنو عمرو بن عوف وبنو البرك وبنو جحجبى - وهذه الثلاثة من بني عوف - وبنو وائل - وهم من بني مرة - ثم ذكر من أعيانهم اثنين وأربعين رجلا: اثنان وعشرون من بني عمرو، وثلاثة عشر من بني عوف، وأربعة من بني مرة واثنان من بني امرئ القيس، وواحد من بني جشم.

في شبابك أن تتزوج فتاة وهذا أخوك الخزرج له خمسة بنين وليس لك غير مالك، فقال: إنه لن يهلك هالك ترك مثل مالك، إن الذي أخرج النار من الزند قادر أن يجعل لمالك نَسْلاً ورجالا بُسْلاً[1]؛ ثم أقبل إلى مالك فقال له: يا بُنيِّ "المنية ولا الدنية"[2] وذكر سجعًا، ثم أنشأ يقول:

فعَلَّ الذي أودى ثمود وجرهما سيعقب لي نسلاً إلى آخر الدهر

يقربهم من آل عمرو بن عامر لدى طلب الداعي إلى طلب الوتر[3]

ألم يأت قومي أن لله دعوة تفوز بها أهل السعادة بالبر

إذا بعث المبعوث من آل غالب بمكة فيما بين زمزم والحجر

هنالك فابغوا نصرة لنبيكم بني عامر إن السعادة في النصر

ثم مات الأوس وأعقب ابنَه مالكا؛ فكان من السادات المشهورين والنبهاء المذكورين، فتزوج بنتَ عمه هند بنتَ الخزرج بن حارثة؛ فولدت له خمسة أبناء — عددَ أولاد عمه الخزرج ـ فتفرعت منهم بطون الأوس الكبرى، وهي خمسة: بنو عمرو وبنو عوف وبنو جُشَم وبنو مرة وبنو امرئ القيس، ثم تفرعت من هذه البطون بطون أخرى كثيرة.

أما البطن الأول ـ حسب ترتيب الناظم لهم ـ فهو بنو امرئ القيس بن مالك بن الأوس وقد تفرعت منه أفخاذ منها بنو غنم بن السلم (وهم حلفاء بني عمرو بن عوف) ولذلك أسلموا كلهم بإسلامهم قبل الهجرة وفي أولها، وذكر من أعيانهم

---

(1) الزند: العود الذي تقدح به النار. والنسل: الولد. والبُسل (كقفل): جمع باسل وهو الشجاع.

(2) المنية: الموت. والدنية: النقيصة، أي اختر المنية على العار، ومن كلامهم: "المنايا ولا الدنايا" و"النار ولا العار".

(3) عمرو هو مزيقيا، وعامر هو ماء السماء (وهما جدا قبيلة الأنصار) أوسها وخزرجها. والوتر (بالكسر): الثأر والانتقام، أو طلب مكافأة بجناية جنيت عليك، أو عداوة أُتيت إليك.

رجلين: خيثمةَ بنَ الحارث وابنَه سعد بنَ خيثمة.

أما خيثمة فهو الصحابي الجليل خيثمة بن الحارث بن مالك بن كعب بن النَّحَّاط بن كعب بن حارثة بن غنم بن السلم بن امرئ القيس بن مالك بن الأوس الأوسي السلمي والد سعد. روي أنه لما ندب رسول الله ﷺ المسلمين إلى عير قريش قال لابنه سعد: إنه لا بد أن يقيم أحدنا في نسائنا، فاستهما فخرج سهم سعد، فقال له خيثمة: يا بني أقم أنت وآثرني بالخروج ، فقال سعد: يَا أبت لو كان غير الجنة آثرتك ولكني أرجو الشهادة من وجهي هذه؛ فخرج سعد فاستشهد ببدر. ولما كان يوم أحد خرج خيثمة مع رسول الله ﷺ فاستشهد به رضي الله عنه.

وأما سعد فهو أبو عبد الله سعد بن خيثمة بن الحارث بن مالك الأوسي السلمي أحد نقباء بني عمرو بن عوف ثم بني غنم بن السلم، وقد مر التعريف به في النقباء.

ومن بني غنم بن السلم ـ أيضا ـ قدامة وعرفجة وأبو أمية بنو الحارث بن مالك بن كعب بن النَّحَّاط بن كعب بن حارثة بن غنم. وانقرض بنو غنم بن السلم هؤلاء.

ومن امرئ القيس ـ أيضا ـ بنو سالم بن امرئ القيس بن مالك بن الأوس، ويقال لهم بنو واقف؛ وواقف لقب سالم بن امرئ القيس. وقد تأخر إسلام جمهورهم، منهم هلال بن أمية بن عامر بن قيس بن عبد الأعلم بن عامر بن كعب بن واقف الأوسي الواقفي، شهد بدرا وما بعدها إلا تبوك، وهو أحد الثلاثة الذين تخلفوا عن تبوك وتاب الله عليهم وقصتهم مشهورة؛ قيل هو الذي قذف زوجَه بشَريكٍ ابن سحماء، فنزلت في شأنه آية اللعان، فتلاعنا عند رسول الله

ﷺ[1]. والصَّحيح أن صاحب تلك القصة هو عويمر العجلاني كما يأتي.

ومن بني واقف ـ أيضا ـ أبو قدامة بن سهل بن الحارث بن ثعلبة بن سالم بن مالك بن واقف الواقفي، قتل بصفين مع علي رضي الله عنه. ومنهم ـ أيضا ـ هرمي بن عبد الله بن رفاعة بن نجدة بن مجدعة بن عدي بن نمير بن واقف الواقفي، شهد الخندق وما بعدها إلا تبوك، وهو أحد البكائين الذين تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون.

ثم ذكر الناظم البطن الثاني، وهم بنو جشم بن مالك بن الأوس. فقال رحمه الله وعفا عنه:

وَجُشَمٌ بَعْدَ اللَّتَيَّا أَسْلَمُوا   خُزَيْمَةُ بْنُ ثَابِتٍ قَرْمُهُمُ

---

(1) أخرج البخاري ومسلم عن ابن عباس أن هلال بن أمية جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إني جئت أهلي فوجدت عندهم رجلا فرأيت بعيني وسمعت بأذني، فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جاء به واشتد عليه ، فنزلت: ﴿والذين يرمون أزواجهم﴾ ـ الآية ـ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أبشر يا هلال فقد جعل الله لك فرجا ومخرجًا».. فأرسل إليها، وذكَّرهما وأخبرهما أن عذاب الآخرة أشد من عذاب الدنيا. فقال هلال: والله لقد صدقت عليها، فقالت: كذب، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لاعنوا بينهما»، فتلاعنا وفرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما وقضى أن لا بيت لها عليه ولا قوت من أجل أنهما تفرقا من غير طلاق ولا متوفى عنها، وقال صلى الله عليه وسلم: «انظروها فإن جاءت به أحمش الساقين أحيمر كأنه وحَرَة فلا أراه إلا قد كذب عليها، وإن جاءت به أكحل جعدا جماليا سابغ الأليتين خدلج الساقين فهو للذي رميت به». فأتت به على النعت المكروه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لولا الأيمان لكان لي ولها شأن» ـ والمراد بالأيمان الشهادات: وفي رواية: «انظروه (يعني ولدها) فإن جاءت به على صفة كذا فهو لشريك ابن سحماء» يعني الزاني. وقوله أحمش الساقين: أي رقيقهما. والوحَرة: وزغة كسام أبرص. والجعد من الشعر: خلاف السبط والقصير منه. والجمالي: الضخم الأعضاء التام الأوصال. وخدلج الساقين: ممتلئهما وعظيمهما. [المغني لابن قدامة].

قوله **جشم** (بوزن زفر): مبتدأ خبره جملة **أسلموا** (وصرف ضرورة)، والمراد بنو جشم بن مالك. وقوله **بعد اللتيا** (تصغير التي)[1] وهو متعلق بأسلموا، أي أسلموا بعد بطء وتأخر. وقوله **خزيمة** (بصيغة التصغير): مبتدأ خبره **قرمهم** (والقرم: السيد)، والضمير فيه عائد على بني جشم.

خزيمة بن ثابت وشهادته

يعني أن بني جشم بن مالك بن الأوس كانوا من آخر من أسلم من الأنصار، وأن من أعيانهم ذا الشهادتين خزيمة بن ثابت.

هذا وقد تفرع بطن بني جشم هذا إلى عدة أفخاذ منها: بنو خطمة[2] بن جشم الذين منهم ذو الشهادتين؛ وهو أبو عمارة خزيمة بن ثابت بن الفاكه بن ثعلبة بن ساعدة بن عامر بن غياثٍ بن عامر بن خطمة بن جشم بن مالك بن الأوس الأوسي الخطمي، أمه أم خزيمة كبشة بنت أوس الخطمية. كان رضي الله عنه من السَّابقين الأولين، شهد بدرا وما بعدها، وقيل أول مشاهده أحد؛ وكان يكسر أصنام بني خطمة، وكانت بيده رايتهم يوم الفتح ؛ وعرف بذي الشهادتين لأن النبي ﷺ جعل شهادته كشهادة رجلين. روي عن ابنه عمارة بن خزيمة قال: اشترى النبي صلى الله عليه وسلم فرسا من سواء بن قيس المحاربي، فجحده سواء، فشهد خزيمة بن ثابت للنبي ﷺ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما حملك على الشهادة و لم

---

(1) وفي المثل: "بعد اللتيا والتي": يضرب للداهية الصغيرة والكبيرة، قيل أصله أن رجلا من جديس تزوج امرأة قصيرة فقاسى منها الشدائد وكان يعبر عنها بالتصغير، ثم تزوج امرأة طويلة فقاسى منها ضعف ما قاسى من الصغيرة فطلقها وقال: "بعد اللتيا والتي لا أتزوج أبدا"- [فرائد الأدب].

(2) خطمة (بفتح الخاء المعجمة وسكون الطاء المهملة) اسمه عبد الله، ولقب بـ"خطمة" لأنه ضرب رجلا بسيْفٍ على خطمه، والخطم: الأنف، أو مقدمه.

تكن معنا حاضرا»؟ قال: صدَّقتك بما جئت به وعلمت أنك لا تقول إلا حقا، فقال النبي ﷺ: «من شهد له خزيمة أو شهد عليه فحسبه»[1]؛ وقد قيل إن الـذي اشـترى منه النبي ﷺ الجواد المذكور هو سواد بن الحارث بن ظـالم المحـاربي، ويعـرف هـذا الجواد بـ"المرتجز"[2]. ولما ابتاعه صلى الله عليه وسلم منه مضـى ليعطيـه ثمنـه، وأمـره باتباعه وأسرع صلى الله عليه وسلم المشـي وأبطـأ سـواد، فطفـق رجـال يعـترضون سوادا فيساومون منه الفرس لا يشعرون أن النبي ﷺ ابتاعه منه حتى زاده بعضهم في السوم على ثمن الفرس، فنادى سواد النـبي ﷺ فقـال: إن كنـت مبتاعـا هـذا الفـرس فابتعه وإلا بعته، فقال النبي ﷺ: «أو ليس قد ابتعته منك»؟ قال: لا والله ما بعتك، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «قد ابتعته منك»[3]، فطفق الناس يلوذون برسـول الله ﷺ وبسواد وهما يتراجعان، فقال سواد: هلم بشاهدك، فقال خزيمة: أنا أشهد.

وروي أن النـبي ﷺ رد الفـرس علـى سـواد وقـال: «لا بـارك الله لـك فيهـا» فأصبحت من الغد ميتةً، ثم قال لخزيمةَ: «مـا حملـك علـى الشـهادة ولم تكـن معنـا حاضرا»؟ فقال: بأبي أنت وأمي أصدقك على أخبار السماء وما يكون في غـد ولا أصدقك في ابتياعك هذا الفرس؟! فجعـل رسـول الله ﷺ شـهادتَه شـهادةَ رجلـين، وقال: «إنك ذو شهادتين يا خزيمة»[4]، فكان يقال له *ذو الشهادتين*.

وكان خزيمة بن ثابت هذا ممن بايع عليا كرم الله وجهه، وفي ذلك يقول:

إذا نحـــن بايعنا عليًّا فحسبنا أبو حســـن مما نخاف من الفتن

---

(1) أخرجه أبو داوود والطبراني وابن شاهين - [الإصابة].

(2) مأخوذ من الرجز (هو بحر من بحور الشعر) سمي به لحسن صهيله، وكان أبيضَ.

(3) أخرجه أبو داوود وأحمد.

(4) أخرجه البخاري بالمعنى والدارقطني.

وشهد معه يوم الجمل كافًّا سلاحَه لا يقاتل، ثم كان معه بصفين كذلك حتى قتل عمار بنُ ياسر بصفين، قال: قد بانت لي الضلالة، سمعت رسول ا لله ﷺ يقول: «تقتل عمارًا الفئةُ الباغية»[1] فسلَّ سيفه وقاتل حتى قتل سنة سبع وثلاثين.

ومن بني خطمة ـ أيضا ـ عمير بن عدي بن خرشة بن أمية بن عامر بن خطمة الجشمي الخطمي الصحابي الجليل، كان قارئ بني خطمة وإمامَهم وأولَهم إسلامًا، وكان أعمى. وقيل كان ضريرَ البصر، وكان النبي ﷺ يزوره وهو في بني واقف. وعمير هذا هو الذي قتل عصماءَ بنت مروان أختَ بني أمية بن زيد، التي كانت تعيب الإسلام وأهله وتؤذي المسلمين وتحرض عليهم ؛ ولما غزا رسول ا لله ﷺ بدرا قالت: أبياتا في ذم الإسلام وأهله فسمعها عمير بن عدي ـ وكان قد تخلف عن بدر لأنه كان ضرير البصر ـ فنذر لئِن رد ا لله عز وجل رسولَه صلى ا لله عليه وسلم من بدر سالمًا ليقتلنها.

فلما كانت ليلة قدومه المدينة من بدر دخل عليها في جوف الليل في بيتها وحولها نفر من أولادها نيام فجسَّها بيده فوجأها بسكين تحت ثديها فقتلها، وقيل سلَّ سيفه ووضع ذبابه[2] في صدرها حتى أنفذه من ظهرها؛ ثم خرج إلى رسول ا لله ﷺ فصلى معه الصبح بالمدينة فلما رآه قال: «أقتلت بنتَ مروان»؟ قال: نعم قال: «لا ينتطح فيها عنزان»[3]، وأقبل رسول ا لله ﷺ على الناس وقال: «من أحب

---

(1) أخرجه مسلم والترمذي وأحمد والطبراني.

(2) الجس: المس باليد. ووجأها بسكين: ضربها بها. وذباب السيف:حده، أو طرفه الذي يضرب به.

(3) ذكره ابن هشام في سيرته، وابن حجر في الإصابة. والمعنى: لا يعارض فيها معارض ولا يسأل عنها سائل فإنها هدر. وكانت هذه الكلمة أول ما سمعت من رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم، وهي

<<=

منكم أن ينظر إلى رجل بات في نصرة الله ورسوله فلينظر إلى عمير بن عـدي»[1].

ثم رجع عمير إلى قومه، بعد أن فرغوا من دفنها وفيهم بنوها (وهم خمسة)، فجعل يُوبخهم في شأنها ويقول: يا بني خطمة أنا قتلت بنت مروان ﴿فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون﴾. فكان ذلك اليوم أول ما عز الإسلام في دار بني خطمة، وكان من أسلم منهم قبلُ يستخفي بإسلامه عنهم؛ فأسلم يومئذ منهم رجال لما رأوا من عز الإسلام. وكان قتله لها في شهر رمضان سنة اثنتين للهجرة؛ ومات عمير هذا في حياة النبي ﷺ، وابنه عبد الله بن عمير الخطمي صحابي أيضا؛ قام مقام أبيه في إمامة مسجد قومه.

ومن بني خطمة - أيضا - بديل بن عمرو الأنصاري الخطمي له صحبة، روي عنه أنه قال: عرضت على رسول الله ﷺ رقية الحية، فأذن لي فيها ودعا فيها بالبركة - [قاله في أسد الغابة]. ومنهم - أيضًا - عباد بن نُهيك الخطمي، هو الذي أنذر بني حارثة حين وجدهم يصلون إلى بيت المقدس فأخبرهم أن القبلة قد حولت، فأتموا الركعتين الباقيتين نحو المسجد الحرام.

ومنهم ـ أيضا ـ حبيب بن خماشة الخطمي، سمع النبي ﷺ يقول بعرفة: «عرفة كلها موقف إلا بطن عُرَنَة، والمزدلفة كلها موقف إلا بطْن

---- >>

من الكلام الموجز البديع الذي لم يسبق إليه مثل «حمي الوطيس» و «مات حتف أنفه» و «لا يلدَغ المؤمن من جحر مرتين» و «الولد للفراش وللعاهر الحجر» و «كل الصيد في جوف الفرا» و«الحرب خدعة» و «إياكم وخضراء الدمن» و «الشديد من غلب نفسه» و «المجالس بالأمانة» و«اليد العليا خير من اليد السفلى» و «البلاء موكل بالمنطق» و «الناس كأسنان المشط» و«ترك الشر صدقة» و«أي داء أدوى من البخل» و«سيد القوم خادمهم» و«فضل العلم خير من فضل العبادة» و«الخيل في نواصيها الخير»، وغير ذلك .. [راجع الخميس 406/1 - 407].

(1) ذكره ابن هشام في سيرته بلفظ قريب من هذا.

محسِّر»[1]؛ وابنه يزيد وحفيده عمير بن يزيد بن حبيب كانوا قد توارثوا الصدق بعض عن بعض - [قاله في الاستبصار].

وقول الناظم: **وجشم بعد اللتيا أسلموا** أشار به إلى أن جمهور بني جشم بن مالك بن الأوس - ولا سيما بني خطمة منهم - تأخر إسلامهم، وكذلك إسلام من معهم من بني واقف بن امرئ القيس بن مالك بن الأوس، وبني أوس الله[2] من بني مرة بن مالك؛ عكس بني عمهم من بني غنم بن السلم بن امرئ القيس فقد أسلموا أول وهلة مع بني عمرو بن عوف كما مرَّ. وفي سيرة ابن حزم قال: لم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها مسلمون رجالا ونساءً حاشى بني أمية بن زيد وخطمة وواقف، وهم بطون من الأوس، وكانوا سكانًا في عوالي[3] المدينة؛ فأسلم منهم قوم كان سيدهم أبو قيس صيفي بن الأسلت الشاعر الآتي ذكره، فتأخر إسلامه وإسلام قومه إلى أن مضت بدر وأحد والخندق ثم أسلموا كلهم[4].

بنو مرة بن مالك بن الأوس

ثم ذكر الناظم البطن الثالث من بطون الأوس وهو بنو مرة بن مالك بن

---

(1) أخرجه الطبراني عن ابن عباس، وأحمد بدون ذكر الاستثناء.

(2) بنو أوس الله هؤلاء كان لهم عدد، وكان جدهم يدعى أوس اللات فحول إلى أوس الله، قال ثعلب: إنما قل عدد الأوس في بدر وأحد وكثرتهم الخزرج فيهما لتخلف أوس الله عن الإسلام.

(3) العوالي: جمع عالية، وهي مواضع وقرى بقرب مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم من جهة المشرق من ميلين إلى ثمانية أميال. وقيل أدناها من أربعة أميال - [البدر العيني].

(4) روي أن الخزرج جاءت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا له: إئذن لنا في أصحابنا هؤلاء الذين تخلفوا عن الإسلام. فقالت الأوس لأوس الله: إن الخزرج تريد أن تثأر منكم بيوم بعاث وقد استأذنوا فيكم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأسلِموا قبل أن يأذن لهم فيكم. فاسلَموا؛ وهم امية وخطمة ووائل.

الأوس، فقال رحمه الله وعفا عنه:

مِنْ مُـرَّةٍ وَائِلُ رَهْطُ الأَسْلَتِ   وَالِدِ وَحْـــوَحٍ حُصَيْنٍ عُقْبَةِ

قوله **وائل**: مبتدأ خبره الجار والمجرور قبله. **ورهط** (بالرفع): بدل من وائل. **والأسلت**: اسمه عامر بن جشم بن وائل. وقوله **والد** (بالجر): صفة للأسلت. **ووحوح** (بوزن جعفر وبمهملتين): مضاف إليه ما قبله. وقوله: **حصين عقبة** (بجرهما): معطوفان على وحوح بحذف العاطف.

يعني أن من بني مرة بن مالك بن الأوس بني وائل بن زيد رهط الأسلت بن جشم وابنه وحوح وسبطيه: الحصين بن وحوح بن الأسلت وعقبة بن أبي قيس بن الأسلت. وبنو مرة هؤلاء بطن من بطون الأوس وهم بنو مرة بن مالك بن الأوس ويعرفون بالجعادرة لقصر فيهم[1]، وقيل لأنهم كانوا إذا أجاروا أحدا أعطوه سهما وقالوا له: جَعدِر به حيث شئت، كما كانت القواقلة تفعل. وقد تفرعت من هذا البطن أفخاذ عديدة منها بنو أمية وبنو عطية وبنو وائل أبناء زيد بن قيس بن عامر بن مرة بن مالك بن الأوس. فمن بني أمية بن زيد طليب بن ربعي بن عبد الأشهل بن أمية بن زيد، وهو الذي عدل إليه حضير بن سماك بن عتيك (والد أسيد) يوم بعاث وهو جريح فمات عنده. ومن بني عطية بن زيد شأس بن قيس بن عبادة بن زهير بن عطية، كان من أشراف الأوس في الجاهلية.

أما بنو وائل بن زيد فمنهم الأربعة الذين ذكرهم الناظم؛ أما الأسلت فهو عامر بن جشم بن وائل بن زيد بن قيس بن عامر بن مرة بن مالك بن الأوس الأوسي، وأما وحوح فهو أبو الحصين وحوح بن الأسلت بن جشم بن وائل الأوسي. أسلم

---

(1) الجعدر: القصير- [القاموس].

وصحب وشهد الخندق وما بعدها، وله يقول أخوه أبو قيس بن الأسلت الشاعر:

أرى وحوحا ولّى عليَّ بأمره كاني امرؤ من حضرموت غريب
كأني امرؤ ولّى ولا ودَّ بيننا وأنت حبيب في الفؤاد قريب
وإن بني العَلاَّت[1] قوم وإنني أخوك فلا يكذبْك عنه كذوب
أخوك إذا نابتك يومًا عظيمة تحملها والنائبات تنوب

وأما الحصين فهو ابن وحوح بن الأسلت، له صحبة وهو راوي قصة طلحة بن البراء البلوي حليف بني عمرو بن عوف التي تأتي في ترجمته - إن شاء الله. ومات حصين هذا يوم العذيب[2]، وقيل في وقعة القادسية، وقتل معه أخوه محصن بن وحوح فيها.

أبو قيس صيفي بن الأسلت

وأما عقبة فهو ابن أبي قيس بن الأسلت الأوسي، قتل رضي الله عنه بالقادسية. وأبوه أبو قيس هذا هو صيفي بن الأسلت بن جشم بن وائل بن زيد بن قيس بن عامر بن مرة بن مالك بن الأوس الأوسي، كان من سادات قومه وكان قد ترهَّب في الجاهلية وفارق الأوثان وهمَّ بالنصرانية ثم أمسك عنها وقال: أنا أعبد إله إبراهيم؛ ولم يزل على ذلك حتى قدم رسول الله ﷺ المدينةَ - وأبو قيس شيخٌ - واختلف في إسلامه فقيل لم يسلم؛ وكان ممن خرج مع أبي عامر الفاسق إلى مكة ثم أقبل يريد النبي ﷺ ليسلم فقال له عبدُ الله بن أبيّ: خفت والله سيوفَ بني الخزرج، فقال: لا جرم والله لا أسلم العام؛ فمات في الحول. وقيل بل أسلم وحسُن

---

(1) بنو العلات: الذين أمهاتهم شتى وأبوهم واحد، عكس الإخوة الأخياف الذين أمهم واحدة وآباؤهم شتى.

(2) العذيب: ماء بين القادسية والمغيثة - [معجم البلدان لياقوت].

إسلامه، وكان يحب قريشا وكان لهم صهرا ـ كانت عنده أرنب بنت أسد بن عبد العزى بن قصي ـ وكان يقيم عندهم السنين بامرأته، ولما وقع بينهم الاختلاف في أمر رسول الله ﷺ قال قصيدة ينهاهم عن الحرب ويحذرهم عاقبتها، يقول منها:

أيا راكبًا إما عرضت فبلّغن ... مغلغلة عني لؤيَّ بنَ غالب[1]

رسول امرئٍ قد راعه ذات بينكم ... على النأي محزون بذلك ناصب

أعيذكم بالله من شر صنعكم ... وشر تباغيكم ودس العقارب[2]

وإظهار أخلاق ونجوى سقيمة ... كوخز الأشافي وقعها حق صائب[3]

وقل لهم والله يحكم حكمه ... ذروا الحرب تذهب عنكم في المذاهب[4]

متى تبعثوها تبعثوها ذميمة ... هي الغول[5] للأقصى معا والاقارب

تقطع أرحاما وتهلك أمة ... وتبري السديف من سنام وغارب[6]

وتستبدلوا بالأتحمية بعدها ... سمالا[7] واصباغا ثياب المحارب

---

(1) عرض: أتى العروض وهي مكة والمدينة ـ حرسهما الله ـ وما حولهما. والمغلغلة: الرسالة ترسل من بلد إلى بلد. ولؤي بن غالب: من قريش.

(2) الدس: إخفاء الشيء في التراب. والعقارب: (جمع عقرب) وهي دويبة سامة في طرف ذنبها إبرة تلسع بها لسعا مؤلما. تكنى "أم عريط" و"أم ساهرة" وكنى بها هنا عن الشدائد والنمائم، ومن كلامهم: "دبت عقاربه، ودبت منه عقارب السعاية وإنه لتدب عقاربه أي يقترض أعراض الناس" ويقال أيضا: "عيش ذو عقارب" أي فيه شر وخشونة، وعقارب الشتاء: شدة برده.

(3) الوخز: الطعن غير النافذ بإبرة أو رمح أو نحوهما. والأشافي (جمع أشفى): وهي حديدة يثقب بها ويخرز. والصائب: الذي يصيب الهدف.

(4) المذاهب: الطرق.

(5) الغول: أصله ـ في زعمهم ـ ساحرة الجن، أو ما يتلون ألوانا من السحرة، وأراد بها هنا: الداهية العظيمة (جمعها أغوال).

(6) تبري: تقطع، وتنحت. والسديف: شحم السنام أو قطعه (جمعه: سِدَاف وسدائف). والغارب: الكاهل، أو بين الظهر أو السنام، والعنق.

(7) الأتحمية: نوع من الثياب اليمنية الفاخرة . والسمال (أصله الأسمال): وهي الخلق من الثياب.

وبالمسك والكافـــور غبرا سوابغا　　كأن قتيريها عيـــون الجنادب[1]

ألم تعلموا ما كان في حرب داحس　　فتعتبروا أو كان في حرب حاطب[2]

فكم قد أصابـت من شريف مسود　　طـويل العماد ضيفه غير خائب

عظيم رماد النار يحمـــد أمره　　وذي شِيمَـةٍ محض كريم الضرائب

إلى أن يقول:

أقيمـوا لنا دينا حنيفًا فأنتـم　　لنا غاية قد يهتدى بالذوائـب[3]

وأنتم لهذا الناس نـور وعصمة　　تؤمون والأحـلام غير عوازب[4]

وأنتم إذا ما حصِّل الناس جوهـرٌ　　لكم سـرر البطحاء شم الأرانب[5]

فقوموا وصلُّوا ربكـم وتمسحوا　　بأركان هذا البيت بين الأخاشب[6]

فعندكـم منه بـلاء ومصدق　　بخزي أبي يكسوم هادي الكتائب[7]

فإن تهلِكوا نهلِك وتهلِك مواسـمٌ　　يعاش بها قـول امرئ غير كاذب

ومن ولد الأسلت ـ أيضا ـ جرول بن جرول بن النعمان بن الأسلت، قاتل يزيد بن مرداس السلمي، أخي عباس بن مرداس السلمي، بابن عمه قيس بن أبي قيس بن الأسلت.

---

(1) الغبر (بضم فسكون): جمع أغبر وغبراء وهو الذي لونه الغبرة (وهي لون الغبار) والسوابغ: الدروع الوافية. والقتير: رؤوس المسامير في الدروع. والجنادب: ذكور الجراد.

(2) حرب داحس: كانت بين عبس وفزارة من ذبيان في الجاهلية، وحرب حاطب: كانت بين الأوس والخزرج بسبب مقتل يهودي كان جارا للخزرج.

(3) الذوائب: مقدمة الناس وأشرافهم.

(4) الأحلام: العقول. وغير عوازب: أي غير بعيدة (جمع عازب وهو الغائب).

(5) السرر (جمع سرة): وهي خير الشيء وأعلاه. والأرانب: جمع أرنبة: أي شم الأنوف، يعني أعزاء.

(6) الأخاشب: يعني بها الأخشبين وما حولهما وهما جبلان بمكة.

(7) أبو يكسوم كنية أبرهة. وهادي: أي قائد. والكتائب: جمع كتيبة وهي الجيوش، يشير بذلك إلى أنه هو قائد الحبشة في اليمن وهو الذي توجه لهدم الكعبة وصحب معه الفيل وكان من أمرهما ما كان.

ومن بني مرة بن مالك ـ أيضا ـ بنو سعد بن مرة بن مالك بن الأوس، وهم أهل راتج. منهم الحباب بن زيد بن تيْم بن أمية، قتل يوم اليمامة، وبنت عمه أم علي بنت خالد بن تيم هي التي نزل الأذان في بيتها.

بنو عمرو بن مالك

ثم شرع الناظم في ذكر البطن الرابع من بطون الأوس وهم بنو عمرو بن مالك بن الأوس، فقال رحمه الله:

مِنْ عَمْرو الْكِرَامُ عَبْدُ الأَشْهَلِ[1] رَهْطُ أُسَيْدٍ وَابْنِ بِشْرٍ الْعَلِي
كِلاَهُمَا لَهُ عَصاً مُضِيئَهْ مِنْ نُورِهِ عُجِّلَتِ الْهَنِيئَهْ
وَابْنُ مُعَاذٍ خَيْرُ أَنْصَارِ النَّبِي وَخَيْرُ مَنْ دَانَ مِنَ اَهْلِ يَثْرِبِ
وَفِتْيَةُ السَّكْنِ الَّذِينَ خُبِعُوا غَدَاةَ إِذْ عَنِ النَّبِيِّ دَافَعُوا

قوله **الكرام**: مبتدأ خبره الجار والمجرور قبله. **وعمرو** هذا يلقب بالنبيت ، وهو ابن مالك بن الأوس. **وعبد الأشهل** (بالرفع): بدل من الكرام، **ورهط**: صفة لعبد الأشهل، أو عطف بيان عليه. **وابن بشْر** (بالجر): عطف على أسيد، والمراد به عباد بن بشر؛ **والعلي**: صفة له ـ ومعناه الرفيع القدر ـ والضمير في **كلاهما** عائد على أسيد وابن بشرٍ. وقوله **من نوره** أي صاحب العصا المعلوم من قوله: **كلاهما**..إلخ. **وعجلت** (بتشديد الجيم والبناء للمفعول) ونائبه **الهنيئه** وهي (بوزن سفينة): البشارة.

يعني أن من البطون المتفرعة من عمرو بن مالك بن الأوس بني عبد الأشهل بن

(1) الأشهل الذي يضاف إليه عبد الأشهل: صنم ـ قاله ابن دريد ـ [البدر العيني].

جشم رهط أسيد بن حضير وعباد بن بشر، وقد تفرعت من عمرو بن مالك هذا بطون عديدة وتشعبت من تلك البطون أفخاذ كثيرة؛ فمن تلك البطون بنو ظفر بن الخزرج بن النبيت رهط قتادة بن النعمان بن زيد وعمه رفاعة بن زيد، وبني عمهم بني الأبيرق بن عمرو الظفريين. ومنها بنو الحارث بن الخزرج بن عمرو؛ وقد تشعبوا إلى أفخاذ منها بنو عبد الأشهل بن جشم بن الحارث، وبنو زعور بن جشم بن الحارث، وبنو الحريش بن جشم بن الحارث، وبنو عمرو بن جشم بن الحارث. ومنها ـ أيضا ـ بنو جشم بن حارثة بن الحارث، وبنو مجدعة بن حارثة بن الحارث.

فمن بني عبد الأشهل أسيد بن حضير، وسعد بن معاذ، وبنو السكن بن رافع، وقد مرَّ الكلام على بني عبد الأشهل هؤلاء وسبب إسلامهم. ومن بني زعور بن جشم آل التيهان، وآل أوس بن عبيد. ومن بني الحريش عباد بن سهل وصيفي بن قيظي. ومن بني عمرو بن جشم سهل بن عدي وابناه رافع وعبد الله ابنا سهل. ومن بني جشم بن حارثة عرابة بن أوس ، وأبو عبس بن جبر، ورافع بن خديج. ومن بني مجدعة بن حارثة عازب بن الحارث وابنه البراء بن عازب، وحويصة ومحيصة ابنا مسعود.

ومن فروع بني عبد الأشهل بنو زعور[1] بن عبد الأشهل، وبنو كعب بن عبد

(1) زعور بن عبد الأشهل بن جشم هذا غير زعور بن جشم بن الحارث، فالثاني عم الأول، وكلاهما ينسب إليه فخذ مستقل. ومن الصعب السلامة من الخطأ في أنساب أعيانهما، فقد يسقط لفظ عبد الأشهل من نسب بني زعور بن عبد الأشهل بن جشم فيضاف للفخذ الثاني، وهو بنو زعور بن جشم بن الحارث ، وقد يزاد لفظ "عبد الأشهل" في نسب أحد بني زعور بن جشم بن الحارث فيضاف للفخذ الأول، وهو بنو زعور بن عبد الأشهل بن جشم، فيقع الخلط واللبس بينهما. ويقع مثل هذا أيضا بين بني جشم بن حارثة بن الحارث وبني جشم بن الحارث بن الخزرج، والثاني عم الأول وكلاهما ينسب إليه فخذ مستقل، وهذا النوع من تكرر الأسماء وتشابهها وتداخلها كثير في هذه البطون.

الأشهل؛ فمن بني زعور هذا عباد بن بشر وسلكان بن سلامة والأصيرم (عمرو) بن ثابت، ومن بني كعب سعد بن زيد بن مالك وثابت بن الصامت وغيرهم.. ويأتي تفصيل هذا.

أما أسيد فهو أبو يحيى أسيد بن حضير بن سماك بن عتيك بن رافع بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل الأوسي الأشهلي، أحد وجوه الأنصار وسادات الصحابة، كان من السابقين إلى الإسلام، حضر العقبة وشهد بدرا وجميع المشاهد بعدها وكان نقيب بني عبد الأشهل، وقد مر بعض التعريف به في النقباء.

وأما ابن بشر فهو أبو بشر عباد بن بشر بن وقش بن زغبة بن زعوراء بن عبد الأشهل الأنصاري الأشهلي، أسلم بالمدينة على يد مصعب بن عمير قبل إسلام أسيد بن حضير وسعد بن معاذ، وشهد بدرا والمشاهد بعدها، وكان من فضلاء الصحابة، وكان فيمن قتلوا كعب بن الأشرف اليهودي الذي كان يؤذي النبي ﷺ ويحرض عليه. وسمع النبيُّ ﷺ ليلة صوتَ عباد فقال: «اللهم ارحم عبادا»[1]، وقالت عائشة رضي الله عنها: ثلاثة من الأنصار لم يكن أحد منهم يلحق في الفضل كلهم من بني عبد الأشهل: سعد بن معاذ وأسيد بن حضير وعباد بن بشر؛ واستعمله النبي ﷺ على صدقات قومه، واستشهد باليمامة، وكان له فيها بلاءٌ وغناء[2]. وقوله **كلاهما له عصا**.. إلخ: عقد به رحمه الله نص كلام صاحب الحلة السيراء؛ فقد قال فيها: كان لعباد بن بشر عصا تضيء إذا خرج من عند النبي ﷺ ليلا، وكذلك أسيد بن حضير إكراما لهما، وآية له صلى الله عليه وسلم وإظهارا لسر قوله عليه الصلاة

---

(1) رواه ابن عبد البر وأبو نعيم ـ كما في أسد الغابة: 3 / 47.

(2) أبلى في الحرب بلاء حسنًا: أظهر فيها بأسه حتى بلاه الناس فامتحنوه والغناء: ما يغتنى به.

والسلام: «بشر المشائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة»[1] فعجل لهما مما أخر في الآخرة. وفي الإصابة ـ أيضا ـ من حديث أنس أن عباد بن بشر وأسيد بن حضير خرجا من عند النبي ﷺ في ليلة مظلمة فأضاءت عصا أحدهما، فلما افترقا أضاءت عصا كل واحد منهما. وذكر أيضا في الاستيعاب والاستبصار مثله. فمعنى قوله **عجلت الهنيئة** أي أن الله تبارك وتعالى عجل لهما في الدنيا مصداق تلك البشارة التي وردت في حديث: «بشر المشائين في الظلم..» ـ الحديث ـ وإن كان مدلولها في دار الآخرة. والله أعلم.

ترجمة سعد بن معاذ

قوله **وابن معاذ**.. يصح جره عطفا على أسيد، ورفعه على أنه مبتدأ حذف خبره، تقديره: ومنهم ابن معاذ ؛ أي ومن بني عبد الأشهل ـ أيضا ـ سيدنا أبو عمرو سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل بن جشم بن الحارث بن الخزرج بن النبيت (عمرو) بن مالك بن الأوس الأوسي الأشهلي الصحابي الجليل، أمه كبشة بنت رافع بن عبيد الخدرية الصحابية، عاشت بعده؛ وكان سعد هذا سيد الأنصار كما ورد في حديث: «قوموا إلى سيدكم»[2]، وكان من سادات الصحابة وشجعانهم، وكان سيد الأوس، كما كان سعد بن عبادة سيد الخزرج، وفيهما جاء الخبر المأثور: إن قريشا سمعت صائحا يصيح ليلا على أبي قبيس ويقول:

---

(1) أخرجه أبو داوود 1 / 154.

(2) أخرجه البخاري ومسلم.

فإن يسلم السعـــدان يصبح محمد	بمكـــة لا يخشى خـلاف المخالف
فيا سعدُ سعدَ الأوس كن أنت ناصرًا	ويا سعدُ سعـدَ الخزرجين الغطارف
أجيبا إلى داعي الهـــدى وتمنـيا	على ا لله في الفـردوس منيةَ عارف
فإن ثوابَ ا لله للطالب الهــــدى	جنانٌ من الفـردوس ذاتُ رفارف

وهو ـ أيضا ـ من سادات السعود الذين أشار إليهم حسان بن ثابت الأنصاري بقوله:

أروني سعـودا كالسعود التي سمت	بمكـــة من أولاد عمرو بن عامر
أقاموا عماد الدين حتى تمكنـــت	قواعدُه بالمرهفات البـــــواتر

وقد تقدم سبب وتاريخ إسلامه رضي ا لله عنه وبركته على قومه إذ جمعهم جميعا وعزم عليهم أن يسلموا، فما أمسى في دار بني عبد الأشهل رجل ولا امرأةٌ إلا وهو مسلم ـ غير الأصيرم ـ فكان إسلامُهم في يوم واحد، ولم يكن فيهم منافق.

وشهد سعد بن معاذ رضي ا لله عنه بدرا وبيده لواء الأوس يومئذ ، وبنى به عريشاً للنبي ﷺ وحرسه فيه من المشركين؛ وله في يوم بدر المقام المحمود والذكر الجميل، وكفاه قوله فيه لرسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم المشهور؛ وذلك أن رسول ا لله ﷺ لما خرج لعير أبي سفيان حتى وصل بدرا بلغه مسير قريش إليه، فاستشار الصحابةَ في طلب العير وحرب النفير، فقال أبو بكر وأحسن، وقال عُمرُ وأحسن، ثم قال صلى ا لله عليه وسلم: «أيها الناس أشيروا عليَّ»[1]، وإنما يريد الأنصار، لأنه تخوف أن لا تكون الأنصارُ ترى عليهم نصرتَه إلا ممن دهمه بالمدينة، فعند ذلك قام سعدُ بن معاذ وقال: وا لله لكأنك تريدنا يا رسول ا لله؟ قال: «أجل»، فقال سعد: يا رسول ا لله قد آمنا بك وصدَّقناك وشهدنا أن ما جئت به

---

(1) أخرجه مسلم والحاكم في معرفة الصحابة، وابن هشام.

هو الحق وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة؛ فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره أن تلقى بنا عدوَّنا غدا، إنَّا لَصُبُرٌ في الحرب صُدُقٌ عند اللقاء[1] ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر (بنا) على بركة الله. وفي رواية أنه مما قال له: لعلك يا رسول الله خرجت لأمر فأحدث الله غيره، فامض لما شئت وصل حبال من شئت واقطع حبال من شئت وسالم من شئت وعادِ من شئت وخذ من أموالنا ما شئت وأعطنا ما شئت؛ وما أخذت منا كان أحب إلينا مما تركت وما أمرت به من أمرٍ فَأمرنا تبع لأمرك. فسرَّ رسول الله ﷺ بقوله وقال: «سيروا على بركة الله فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين والله لكأني أنظر إلى مصارع القوم»[2].

وشهد سعد رضي الله عنه أُحدا؛ وكان ممن ثبت فيه مع رسول الله ﷺ، وشهد الخندق، وأرسل إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم هو وسعد بن عبادة دون سائر الأنصار ـ لسيادتهما عليهم ـ يشاورهما فيما أراد أن يعطيه يومئذ لغطفان من ثمر نخل المدينة لينصرفوا عنه ويخذل بهم الأحزاب، فقالا له: يا رسول الله إن كنت أُمرتَ بشيء فافعله وامض له وإن كان غير ذلك فوالله لا نعطيهم إلا السيف، فقال: «لم أومر بشيء ولو أمرت به ما شاورتكما وإنما هو رأي أعرضه عليكما»[3] فقالا: والله يا رسول الله ما طمعوا بذلك منا قط في الجاهلية، فكيف اليوم وقد هدانا الله بك وأكرمنا وأيدنا.. والله لا نعطيهم إلا السيف! فسُرَّ رسول

---

(1) استعرضت: أي خضت. وصبر: جمع صبور. وصدق: جمع صدوق وهو الثابت عند اللقاء.

(2) ابن هشام في سيرته.

(3) رواه ابن عبد البر وأبو نعيم ـ [كما في أسد الغابة].

ا الله ﷺ بقولهما.

ورُمي سعد بن معاذ رضي ا الله عنه بسهم يوم الخندق كان سببا في استشهاده بعدُ. وقد روي في ذلك عن عائشة أم المؤمنين رضي ا الله عنها قالت: كنت في حصن بني حارثة يوم الخندق ــ وكان من أحرز حصون المدينة (وذلك قبل أن يضرب عليها الحجاب)، وكانت معها في الحصن أم سعد بْن معاذ ـ قالت: مر بنا سعد بن معاذ وعليه درع مقلصة (أي قصيرة قد ارتفعت عن مكانها الذي ينبغي أن تصله) قد خرجت منها ذراعه كلها، وفي يده حربة يسرع بها وهو يقول:

لبِّث قليلاً يشهد الهيجا حمل[1]   لا بأس بالموت إذا حان الأجل

فقالت له أمه: الحق يا بني فقد وا الله تأخرت، قالت عائشة: وا الله لقد وددت أن درعَ سعد أسبغ[2] مما هي، وخفت عليه حيث أصاب السهم منه. ثم رماه حبان بن العرقة فقطع أَكحله وقال: خذها وأنا ابن العرقة، فقال له سعد: عرَّق ا الله وجهك في النار[3]. وقيل الذي قال له ذلك رسول ا الله ﷺ. ثم قال سعد: اللهم إن كنت قد أبقيت الحرب بيننا وبين قريش فأبقني لها فإني أحب حرب قوم كذبوا نبيك وأخرجوه، وإن كنت قد وضعت الحربَ بيننا وبينهم فاجعلها لي شهادة، ولا تُمتني حتى تَقَرَّ عيني في بني قريظة؛ وكان جرحه يسيل دمًا، فرقأ حتى فات أَمْرُ بني

---

(1) لبِّث قليلا: أي توقف يسيرا. ويشهد: أي يحضر. والهيجاء: الحرب. وحمل: اسم رجل.

(2) أسبغ: أطول ، والدرع السابغة: الواسعة (جمعها: سوابغ).

(3) الأكحل (بفتح الهمزة والحاء المهملة بينهما كاف ساكنة): عرق في وسط الذراع، قال الخليل: هو عرق الحياة ، يقال: إن في كل عضو منه شعبة ، فهو في اليد: الأكحل، وفي الظهر: الأبهر، وفي الفخذ: النسا، وإذا قطع لم يرقأ الدم. وابن العرقة: نسبة إلى أمه، واسمها: قِلابة بنت سعيد بن سعد بن سهم، ولقبت بالعرقة (بكسر الراء؛ وتفتح): لطيب ريحها. وعرق ا الله وجهك في النار: أي صيره يعرق فيها (وحبان هذا هو حبان بن قيس، ويقال ابن أبي قيس بن علقمة القرشي).

قريظة؛ وكان النبي ﷺ أمر بضرب فسطاط[1] لسعد في المسجد، فكان يعوده فيه كلَّ يوم. وقيل إنه قال لهم: «اجعلوه في خيمة رفيدة حتى أعودَه من قريب»[2]؛ وهي امرأة من أسلم كانت تداوي الجرحى وتحتسب بنفسها على خدمتهم، وكانت خيمتُها إلى جانب المسجد.

ولما حاصر صلى الله عليه وسلم بني قريظة حتى نزلوا على حكمه كلمه الأوس فيهم، فقال: «ألاَ ترضون يا معشر الأوس أن يحكم فيهم رجلٌ منكم»؟ قالوا: بلى، قال: «ذلك إلى سعد بن معاذ»[3]. فأقبل عليه الأوسُ يقولون له: يا أبا عمرو أحسن في مواليك، فلما أكثروا عليه قال: لقد آن لسعد أن لا تأخذه في الله لومة لائم؛ فلما توثق سعد من الجميع وأعطوه العهد والميثاق على إنجاز ما حكم به فيهم قال: إني أحكم فيهم أن تقتل الرجال وتقسم الأموال وتسبى الذراري والنساء وتكون ديارهم للمهاجرين دون الأنصار، فقال صلى الله عليه وسلم: «لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة ارقعة»، وفي رواية: «من فوق سبع سماوات»[4].

ولما تم أمر بني قريظة ورجع صلى الله عليه وسلم هو ومن معه من الصحابة إلى المدينة وقَرت عينُ سعد في بني قريظة، انبعث جرحه يسيل دمًا و لم يرقأ حتى مات رضي الله عنه؛ فأتى جبريلُ النبيَّ ﷺ متعمما بعمامة من إستبرق[5]، فقال: «يا محمدُ

---

(1) الفسطاط (بالضم): السرادق من الأبنية، وبيت من شعر.

(2) ابن سعد في طبقاته، وابن إسحاق ـ [كما في فتح الباري].

(3) أخرجه البخاري، وابن إسحاق ـ [كما في فتح الباري].

(4) أخرجه ابن إسحاق كما في فتح البار ي وابن سعد، وأخرج البخاري ومسلم وأحمد نحوه بألفاظ متقاربة. وأرقعة (بالقاف): جمع رقيع وهو من أسماء السماء، قيل سميت بذلك لأنها رقعت بالنجوم.

(5) الإستبرق: الديباج الغليظ، أو ديباج يعمل من الذهب أو ثياب حرير صفاق نحو الديباج ـ [القاموس].

من هذا العبد الصالح الذي فتحت له أَبوابُ السماء واهتز لـه العـرش»؟ فقـامَ صلـى الله عليه وسلم سريعًا يجر ثوبَه إلى سعد فوجده قد قبض.

وفي ذلك يقول أحد شعراء الأنصار:

وما اهتزَّ عرش الله من أجـل هالك　　　سمعنا بـــه إلا لسعــــدٍ أبي عمرو

وكان اهتزاز العرش لموته ارتياحا بروحه واستبشارا لكرامته على ربه[1].

فلما توفي وحملوه على نعشه وجدوا له خِفَّةً ــ وكـان رجـلاً جسيما عظيمـا ــ فقال رجالٌ من المنافقين: والله إن كان لبادنًا وما حملنا من جنازة أخفَّ منـه، فقـال صلى الله عليه وسلم: «إن له حملةً غيرَكم ولقــد نـزل سبعون ألـف ملـك شـهدوا سعدًا ما وطئوا الأرض إلا يومَهم هذا»[2].

وروي عن أبي سعيد الخدري قال: كنت فيمن حفر لسعد ـ رضـي الله عنـه ــ قبره فكان يفوح علينا المسك من تراب قبره كلما حفرنا. ودفن بالبقيع وعمره سـبعٌ وثلاثون سنةً، وكان ذلك سنة خمس، وحزن عليه النبيُّ ﷺ. وروي أن رسـول الله ﷺ رأى يوما حلةً سِيرَاء فقال: «لَمِنديلٌ من مناديل سعد بنِ معـاذ في الجنـة خـيرٌ منهـا»[3].

ولما مات ندبته أُمه كبشة بنت رافع بقولها:

وَيْلُمِّ[4] سعــــد سعدا　　صرامــــــة وحــــدًّا
وســــــؤددا ومجدًا　　وفارســـــا مُعــــــدًّا

---

(1) القاموس المحيط، في مادة "هزَّه".

(2) أخرجهما الترمذي.

(3) أخرجه البخاري ومسلم. والحلة (بضم المهملة وتشديد اللام): كل ثوب جديد ساتر لجميع البـدن (جمعه: حلل). والسيراء (بكسر السين وفتح الياء مخففة): نـوع مـن الـبرود فيـه خطـوط صفـر أو يخالطه حرير.

(4) ويلُمِّ: أصلها: ويل أمه.

سد بـــه مســـــدا يقُـــــــد هاماً قـــدا

فلما سمعها (رسول الله) صلى الله عليه وسلم قال: «كل نادبة تكذب إلا نادبةَ سعد» (أو كما قال). وفي رواية أنه قال لها: «لا تزيدي على هذا كان والله ما علمت حازما وفي أمر الله قويا»[1]. وعن عائشة قالت: كان في بني عبد الأشهل ثلاثة لم يكن بعد رسول الله ﷺ من المسلمين أحدٌ أفضلَ منهم: سعد بن معاذ وأسيد بن حضير وعباد بن بشر.

وروي أن سعد بنَ معاذ قال: ثلاث أنا فيهن رجل[2]: ما سمعت من رسول الله ﷺ حديثا قط إلا علمت أنه حق من الله، ولا كنت في صلاة قط فشغلت نفسي بغيرها حتى أَقضيَها، ولا كنت في جنازة قط فحدثت نفسي بغير ما تقول ويقال لها حتى أَنصرف عنها. قال سعيد بن المسيب: ما كنت أحسب هذه الخصال إلا في نبي. ومناقب سعد رضي الله عنه لا تحصى، فحياته كلها ـ على قصرها ـ حياة خالدة وجهادٌ صادق.

ولحسان بنِ ثابت الأنصاري فيه:

لقد سجمـــت من دمع عيني عبرة ... وحـــق لعيني أن تفيض على سعد
قتيل ثوى في معرك فجعـــت بـه ... عيـون ذواري الدمع دائمة الوجد
على ملـة الرحمــن وارث جنة ... مع الشهـــداء وفدها أكرم الوفد
فإن تـــك قد ودعتنا وتـــركتنا ... وأمسيت في غبراء مظلمةِ اللحـد
فأنت ألذي ـ يا سعـدُ ـ أبتَ بمشهد ... كريـــم وأثوابِ المكارم والحمد
بحكمـــك في حَيَّيْ قريظـــة بالذي ... قضى الله فيهم ما قضيت على عمد
فوافق حكـــمَ الله حكمُك فيهمُ ... ولم تعف إذ ذُكِّرت ما كان من عهد

---

(1) أخرجهما الطبراني وابن سعد في طبقاته، وابن الأثير.

(2) يعني: كما ينبغي، وما سوى ذلك فهو فيه كرجل من سائر الناس.

فإن كان ريب الدهر أمضاك في الألى شَـــــرَوْا هذه الدنيا بجنّاتها الخلد
فنعـــــم مصير الصادقين إذا دُعوا إلى ا لله يومًا للوجاهــــــة والقصد

ومن ولد سعد بن معاذ: عمرو، وبه يكنى. وشهد عَمـرٌو هـذا بيعـةَ الرضـوان؛ ومن ولده: محمد بنُ الحصين بنِ عبد الرحمن بنِ عمرو بنِ سعد بنِ معـاذ، كـان مـن علماء الأنصار.

قوله : وفتية (بالجر): عطفٌ على **أسيد** السابق، أو (بالرفع): عطف على **ابنِ معاذ**، على قطعه عن التبعية. **والفتيـة:** جمع فتى وهـو الشّـاب الكريـم. **والسكن** (بفتح الكاف وقد تسكن) ـ كما هنا ـ هـو ابـن رافـع بـن امرئ القيـس. **وخبعوا** (بالبناء للمفعـول): أي مـاتوا (وأصـل خبـع: غيـب وسـتر، واستعير لمعنـى مـات). **ودافعوا** عنه: أي ردُّوا عنه العَدُوَّ وانتصروا له.

يعني أن من بني عبد الأشهل ـ أيضا ـ الفتية المنسوبين إلى السـكن بـن رافـع بـن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل الذين قاتلوا عن النبي ﷺ يوم أحد ودافعوا عنه حتى ماتوا عن آخرهم؛ وكانوا خمسة هم: زياد ويزيد ابنا السكن، وابناهما: عمارةُ بن زياد بن السكن، وعامر بن يزيد بن السكن، والخامس حليف لهـم اسمه مرشـدةُ بنُ عقبة بن قرة.

وحاصل قصتهم أنه لما اشتدَّ القتال يوم أُحد وغشـي العـدوُّ رسـولَ ا لله صلـى ا لله عليه سلم وخلصوا إليه، وذبَّ عنه مصعبُ بـن عمير حتـى قتـل، وأبـو دجانـة حتى كثرت فيه الجراحةُ، وأصيبَ وجهُه ـ صلى ا لله عليه وسلم ـ الشريفُ وثلمـت رباعيته وكلمت شفته (وكان قد ظاهر يومئذ بين درعين)[1].. عند ذلك قال صلـى

---

(1) ثلمت: كسر طرفها. والرباعية: إحدى الأسنان التي تلي الثنايا. وكلمـت: جرحـت. وظـاهر: أي جعل الواحدة فوق الأخرى شدة للوقاية.

الله عليه وسلم: «من رجل يبيع لنا نفسه»؟[1] فوثبت إليه فتية من الأنصار ثم من بني السكن ــ وهم الخمسة المذكورون ــ فقاتلوا دونه صلى الله عليه وسلم حتى قتلوا رجلا رجلا، وكان آخرهم موتاً زياد بن السكن أو ابنه عمارة بن زياد؛ وكان قد قاتل حتى أثبتته الجراحة وسكنت يده، فثاب عليه ناس من المسلمين فقاتلوا عنه حتى أجهضوا[2] عنه العدوَّ، فقال صلى الله عليه وسلم: «ادنوه مني»[3] فأدنوه منه فوسده قدمه الشريفة، و لم يزل خده عليها حتى مات؛ ووجدوا به أربعة عشر جرحا. وكان بنو السكن هؤلاء بدريين كلهم، وأكرمهم الله بالشهادة يوم أُحد بعد أن باعوا أنفسهم مرة أخرى بيعة رابحة بالجنة رضي الله عنهم.

ومن بني عبد الأشهل: هند بنت أسيد بن حضير الأوسية الأشهلية ؛ روي عنها أن النبي ﷺ كان يخطب بالقرآن، قالت: وما تعلمت ﴿ق﴾ إلا من كثرة ما كان يخطب بها[4] ــ تقصد سورة ﴿قٓ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ﴾[5].

ذكر بعض ما للنساء من الأجر

ومن بني عبد الأشهل أيضا أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية الأشهلية بنت عمة معاذ بن جبل كانت من ذوات العقـــل والدين، روي عنها أنها أتت النبي ــ وهو بين أصحابه ــ فقالت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله أنا وافدة النساء إليك، يقلن قولي وعلى مثل رأيـــي؛ إن الله عز وجل بعثك إلى الرجال والنساء كافــــة

---

(1) أخرجه مسلم وأبو نعيم وابن عبد البر ــ [كما في أسد الغابة].

(2) اثبتته الجراحة: أي صار لا يتحرك منها. وأجهضوا عنه: أزالوا ومنعوا عنه.

(3) أخرجه ابن إسحاق في المغازي ــ كما في الإصابة ــ. وأدنوه: أي قربوه مني، يعني زياد بن السكن.

(4) أخرجه الثلاثة.

(5) ق: 1.

فآمنا بك وبإلهك، وإنا معشر النساء محصورات مقصورات قواعد بيوتكم ومقضى شهواتكم وحاملات أولادكم؛ وإنكم معشر الرجال فضلتم علينا بالجُمَع والجماعات وعيادة المرضى وشهود الجنائز والحج بعد الحج؛ وأفضل من ذلك الجهاد في سبيل الله عز وجل؛ وإن الرجل إذا خرج حاجًّا أو معتمرا أو مجاهدا حفظنا لكم أموالكم وغزلنا أثوابكم وربينا لكم أولادكم.. أفما نشارككم في هذا الأجر والخير؟! فالتفت صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه بوجهه كله ثم قال: «هل سمعتم مقالة امرأة قط أحسن من مساءلتها في أمر دينها من هذه»؟[1] فقالوا: يا رسول الله ما ظننا أن امرأة تهتدي إلى مثل هذا. فالتفت النبي ﷺ إليها وقال: «افهمي أيتها المرأة وأعلمي من خلفك من النساء أن حسن تبعل المرأة لزوجها[2] وطلبها مرضاته واتباعها موافقته يعدل ذلك كله». فانصرفت أسماء وهي تهلل وتكبر استبشارا بما قال لها رسول الله ﷺ[3].

ومن هذا المعنى ما روي عن أنس بن مالك عن سلامة حاضنة إبراهيم بن النبي ﷺ أنها قالت: يا رسول الله إنك تبشر الرجال بكل خير ولا تبشر النساء؛ قال: «أصويحباتك دسَسْنَك لهذا»؟ قالت: أجل هن أمرنني، قال: «ألا ترضى إحداكن أنها إذا كانت حاملا من زوجها وهو عنها راض أن لها مثل أجر الصائم القائم في سبيل الله عز وجل وإذا أصابها الطلق لم يعلم أهل السماء والأرض ما أُخفي لها من قرة أعين» وذكر الحديث في فضل الولادة والرضاع والسهر على

---

(1) أخرجه ابن عبد البر وأبو نعيم وابن منده وابن الأثير.

(2) أي حسن مصاحبتها له.

(3) رواه ابن الأثير: 6 / 19. تهلل وتكبر: أي تقول: لا إله إلا الله والله أكبر. والاستبشار: السرور والفرح.

الولد[1]. [أخرجه أبو نعيم وأبو موسى - كما في أسد الغابة].

ومنه أيضا ما روي عن ابن عباس قال: وفدت إلى النبي ﷺ امرأة يقال لها أمُّ رَعْلة القشيرية - وكانت امرأة ذات لسان وفصاحة - فقالت: السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته؛ إنا ذوات الخدور ومحل أزر البعول ومربيات الأولاد وممهدات المهاد، ولا حظ لنا في الجيش الأعظم.. فعلمنا شيئا يقربنا إلى الله عز وجل؛ فقال لها النبي ﷺ: «عليكن بذكر الله عز وجل آناء الليل وأطراف النهار وغض البصر وخفض الصوت..» - الحديث - [أخرجه أبو موسى][2].

ومن بطن بني كعب بن عبد الأشهل بن جشم: ثابت بن الصامت بن عدي بن كعب بن عبد الأشهل الأشهلي، روى عن النبي ﷺ أنه صلى في كساء ملتفا به يضع عليه يديه يقيه برد الحصى، وروى عنه ابنه عبد الرحمن بن ثابت، وقيل إن ثابتا توفي في الجاهلية وإنما الصحبة لابنه عبد الرحمن.

ومنهم - أيضا - سعد بن زيد بن مالك بن عبيد بن كعب، شهد بدرا والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وبعث معه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض سبايا قريظة إلى نجد فابتاع له بها خيلا وسلاحا، وهو الذي هدم المنار الذي بالمشلشل[3] للأوس والخزرج، وهو الذي ضرب مربع بن قيظي بالقوس فشجه بها حين قال لرسول الله ﷺ ما قال يوم أحد؛ وكانت ضربته له قبل نهي رسول الله ﷺ عنه.

---

(1) حديث سلامة حاضنة إبراهيم أخرجه ابن الأثير: 6 / 144. ورواه الطبراني في الأوسط. وابن عساكر - [كما في الجامع الصغير].

(2) والمستغفري كلاهما عن ابن عباس - [كما في الإصابة].

(3) المشلشل: المكان الذي كانت فيه آلهة الأوس والخزرج في الجاهلية، وهي مناة في مكة - [ابن سعد: 2 / 147].

والله سبحانه وتعالى أعلم.

ثم قال رحمه الله وعفا عنه:

وَالْحَارِثُ بْنُ الْخَزْرَجِ بْنِ عَمْرِو جَدُّ بَنِي مَجْدَعَةٍ الْغُرِّ
وَعَازِبٌ أَبُو الْبَرَا عَرَابَهْ حُوَيْصَةٌ مُحَيْصَةٌ أَتْرَابَهْ

قوله **والحارث** مبتدأ خبره **جد بني مجدعة**، وبنو مجدعة: بطن من بني الحارث الأوسيين. **والغر**: صفة لبني مجدعة: جمع أغر للكريم. **وعازب** (بالرفع): مبتدأ خبره محذوف، تقديره ومنهم عازب. **وأبو البراء**: صفة لعازب. **وعرابة** (بوزن سحابة) **وحويصة ومحيصة** (بصيغة التصغير فيهما[1] وبالرفع): معطوفون على عازب بحذف العاطف. وقوله **أترابه** (بالنصب *بأعني* مقدرة): أي معاصريه، وهو جمع ترب (بكسر التاء وسكون الراء) لمن ماثلك في السن، أي متعاصرين في سن واحدة.

هذا وقد ذكر الناظم هنا بعض بطون بني الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس، وقد مر قريبا أن من بطونهم بني مجدعة بن حارثة بن الحارث ـ بطن عازب بن الحارث بن عدي وابنه البراء بن عازب ـ وحويصة ومحيصة ابني مسعود المجدعيين، وأن من بطونهم ـ أيضا ـ بني جشم بن حارثة بن الحارث؛ رهط عرابة بن أوس، وغيرهم..

أما عازب فهو ابن الحارث بن عدي بن جشم بن مجدعة بن حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس الأوسي المجدعي، أسلم رضي الله عنه وله صحبة، ولم يسمع له ذكر في المغازي ـ كما في *الإصابة* ـ روي أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه اشترى منه رحلا وقال له: مر ابنك فليحمله معي، فقال له

---

(1) وبفتح الصاد المهملة مشدَّدة [كما في القاموس] وخُففا في النظم ضرورة.

عازب: لا حتى تحدثنا كيف هاجرت أنت ورسول ا لله ﷺ[1].

وأما ابنه البراء بن عازب فهو الصحابي الجليل؛ يكنى أبا عمارة، وقيل أبـا عمرو، واستصغره رسول ا لله ﷺ هو وابن عُمر يوم أحد، وأول مشـاهده الخنـدق؛ وافتتح الريَّ سنة أربع وعشرين، وشهد مع علي الجمـلَ، وصفـين وقتـال الخـوارج، ونزل الكوفة وبنى بها دارًا، ومات بها في أيام مصعب بن الزبير. ومناقبه رضـي ا لله عنه لا تحصى.

---

(1) فقال له أبو بكر: خرجنا فأدلجنا فأحيينا يومنـا وليلتنـا حتـى أظهرنـا وقـام قـائم الظهـيرة فضربـت ببصري هل نرى ظلا نأوي إليه، فإذا أنا بصخرة فأهويت إليها فإذا بقية ظلها فسويته لرسـول ا لله صلى ا لله عليه وسلم وفرشت له فروة، وقلت: اضطجع يا رسـول ا لله؛ فـاضطجع، ثـم خرجـت أنظر هل أرى أحدا من الطلب فإذا أنا براعي غنم، فقلـت: لمـن أنـت؟ فقـال: لرجـل مـن قريـش فسماه فعرفته، فقلت: هل في غنمك من لبن؟ فقال: نعم، فقلت: هل أنت حالب لي؟ قـال: نعـم، فأمرته فاعتقل شاة منها ثم أمرته فنفض ضرعها ثم أمرته فنفض كفيه من الغبار ومعـي اداوة علـى فمها خرقة فحلب لي كثبة من اللبن (أي قليلا) فصببت علـى القـدح حتـى بـرد أسـفله ثـم أتيـت رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم فوافيته وقد استيقظ، فقلت: اشرب يا رسول ا لله؛ فشرب حتـى رضيت، ثم قلت: هل آن الرحيل؟. قال: فارتحلنا والقوم يطلبوننا فلم يدركنا أحد منهم إلا سراقة بن مالك بن جعشم على فرس له، فقلت: يا رسول ا لله هذا الطلب قد لحقنا، قال: ﴿لا تحـزن إن ا لله معنا﴾ حتى إذا دنا منا فكان بيننا وبينه قدر رمح أو رمحين، قـال قلـت: يـا رسـول ا لله هـذا الطلب قد لحقنا وبكيت ، قال: «لم تبكي»؟ قال قلت: وا لله ما على نفسـي أبكـي ولكـن أبكـي عليك، قال: فدعا رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم، فقال: «اللهـم اكفنـاه بمـا شـئت»، فسـاخت فرسه إلى بطنها في أرض صلد ووثب عنها وقال: يا محمد قد علمت أن هذا عملـك فـادع ا لله أن ينجيني مما أنا فيه فوا لله لأعمين على من ورائي من الطلب. فدعـا لـه رسـول ا لله صلـى ا لله عليـه وسلم فأطلق ورجع إلى أصحابه. ومضى رسول ا لله صلى ا لله عليه وسـلم وأنـا معـه حتـى قدمنـا المدينة فتلقاه الناس في الطريق وعلى الأجاجير واشتد الخدم والصبيان في الطريق يقولون: ا لله أكـبر جاء رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم، جاء محمـد؛ وتنـازع القـوم أيهـم ينـزل عليـه. قـال: فقـال رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم: «أنزل الليلـة علـى بـني النجـار أخـوال عبـد المطلـب لأكرمهـم بذلك»، فلما أصبح غدًا حيث أمر.

وأما حويصة فهو أبو سعد حويصة بن مسعود بن كعب بن عامر بن عدي بن مجدعة الحارثي المجدعي، أسلم رضي الله عنه على يد أخيه محيصة ـ كما يأتي قريبا ـ وشهد أُحدا وما بعدها من مشاهد رسول الله ﷺ.

وأما محيصة بن مسعود أخوه فأسلم قبله، وكان أصغر منه وله صحبة، بعثه رسول الله ﷺ إلى أهل فدك[1] يدعوهم إلى الإسلام. وكان سبب إسلام أخيه حويصة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ـ بعد قتل كعب بن الأشرف اليهودي ـ «من ظفرتم به من رجال يهود فاقتلوه»[2] فوثب محيصة على تاجر من اليهود كان يلابسهم ويبايعهم فقتله، فجعل حويصةُ يضربه ويقول له: أتقتله؟ أما والله لرُبَّ شحم في بطنك من ماله. فقال له محيصة: أمرني بقتله من لو أمرني بقتلك لفعلت. فقال حويصة: آللهِ لو أمرك بقتلي لقتلتني؟ فقال: نعم، فقال حويصةُ: والله إن دينًا بلغ بك هذا لعجبٌ! فأسلم على يده؛ فكان ذلك أولَ إسلام حويصةَ، وكان أكبر من محيصة. وفي ذلك يقول محيصة رضي الله عنه:

يلوم ابن أمي لو أمرت بقتله — لطبقت ذفراه بأبيض قاضب[3]
حسام كلون الملح أخلص صقله — متى ما أُصوبه فليس بكاذب
وما سرني أني قتلتك طائعا — وأن لنا ما بين بصرى ومأرب[4]

وأما عرابة فهو ابن أوس بن قيظي بن عمرو بن زيد بن جشم بن حارثة بن

---

(1) فدك: من نواحي خيبر، استولى عليها المسلمون صلحا، وكانت للنبي صلى الله عليه وسلم خالصة لأنه لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب ، وقد نشأ بسببها خلاف بين أبي بكر الصديق وفاطمة الزهراء رضي الله عنهما بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم.

(2) رواه ابن سعد في طبقاته ، وابن هشام في سيرته.

(3) الذفرى: عظم ناتئ خلف الأذن. والأبيض: السيف. والقاضب: القاطع.

(4) بصرى: من مدن الشام في جنوبي حوران. ومأرب: مدينة مشهورة باليمن.

الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس الأوسي الحارثي؛ استصغره النبي ﷺ يوم أحد فرده في تسعة نفر منهم البراء بن عازب وابن عمر وزيد بن ثابت وأبو سعيد . وكان عَرابة مشهورا بالكرم والجود. وقد قيل إن سبب ارتفاع ذكره أنه لقي الشماخ بن ضرار يريد المدينة فسأله ما أقدمك؟ قال: أمتار لأهلي، وكان معه بعيران فأوقرهما له بُرًّا[1] وتمراً وكساه وأكرمه؛ فانصرف الشماخ من المدينة ومدحه بقصيدة يقول منها:

رأيت عرابةَ الأوسي يسمو إلى الخيرات منقطع القرين

إذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين

إذا بلغتني وحملت رحلي عرابة فاشرقي بدم الوتين[2] ..إلخ.

وله أخبار حسنة في الجود وغيره من المكارم. وكان عرابة سيدا من سادات قومه، روي أن معاوية لقيه فقال له: بِمَ سدت قومك؟ قال: لست سيدهم ولكني رجل منهم. فعزم عليه فقال: أعطي في نائبتهم وأحلم عن سفيههم وشددت يدي على حليمهم، فمن فعل منهم مثل فعلي فهو مثلي ومن قصر عنه فأنا أفضل منه ومن تجاوزني فهو أفضل مني.

وكان أوس بن قيظي ـ والدُ عرابة هذا ـ قد أسلم هو وأبناؤه، وشهد أحدًا هو وابناه عبدُ الله وكباثة، رضي الله عنهم.

تنبيهٌ: ظاهر سياق النظم أن عرابة بن أوس هذا من بني مجدعة، لذكر الناظم له بين نفر منهم، مع أنه ليس منهم بل هو من بني عمومتهم؛ لأنه من بني جشم بن

---

(1) امتار لعياله أو لنفسه: جمع لهم الطعام والمؤنة. وأوقر الدابة: حمَّلها ثقيلا. والبر: القمح.

(2) اشرقي: أي غصي، من شرق بريقه (كفرح) شرَقًا: غص. والوتين: عرق في القلب إذا انقطع مات صاحبه لأنه يجري منه الدم إلى سائر العروق.

حارثة بن الحارث، والبراء وحويصة ومحيصة من بني مجدعة بن حارثة، وجشم ومجدعة ابنا حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس. فذِكر الناظِم هنا لعرابة في بني مجدعة فيه تجوز، لكنه تسوغه عدة وجوه، منها أن المذكورين جميعا حارثيون، فهم من بطْن واحد؛ ولذا قال: **والحارث بن الخزرج بن عمرو**.. إلخ. ومنها أن عرابة بن أوس هذا والبراء وحويصة ومحيصة المذكورين معه متقاربون في السن والنسب معا، فكان ذكرهم في نسق سَائغًا مجازا، سيما في النظم ـ لضيقه ـ ولذا قال: **أترابه**. ومنها أنه جرت عادة أهل السير أن ينسبوا الرجل إلى عمه أو أخيه إذا كان مشهورا، فنسب عرابة إلى عمه مجدعة بن حارثة لشهرته، وقد استعمل ـ رحمه الله ـ ذلك مرارا في هذا النظم؛ فعلى سبيل المثال ذكر في بني العجلان البلويين ـ حلفاء الأنصار ـ هانئ بن نيار البلويَّ بين عاصم بن عدي بن الجد بن العجلان وثابت بن أقرم بن ثعلبة بن عدي بن العجلان البلويين، ثم العجلانيين؛ ولم يكن هانئ بن نيار عجلانيا وإنما كان من بني عمهم من بلي، فلما ذكر بني بلي ـ ولم يتعرض لغير بني العجلان من فصائلهم ـ وذكر بعض أفرادهم، أدمج فيهم ابنَ عمهم هانئ بن نيار. وقد مر بعض الإشارة إلى هذا النوع عند قول الناظم **والإخوة السبعة تحت الشجرة**..إلخ، وذكر له من الأمثال ما فيه كفاية. والله تعالى أعلم.

ومن بني جشم بن حارثة بن الحارث، رهط عرابة هذا، أبو عبس بن جبر بن عمرو بن زيد بن جشم، كان اسمه في الجاهلية عبد العزى فسمي عبد الرحمن، وشهد بدرا وما بعدها (وهو أحد الخمسة الذين قتلوا كعب بن الأشرف الآتي ذكرهم). ومنهم ـ أيضا ـ عبد الله وعبد الرحمن ومرارة بنو مربع بن قيظي بن عمرو بن زيد بن جشم بن حارثة؛ شهد عبد الله وعبد الرحمن منهم أحدا وما بعدها، واستشهد عبد الله يوم الجسر. وهو الذي بعثه رسول الله ﷺ يوم عرفة إلى

قوم بالموقف يقول لهم: «كونوا على مشاعركم هذه فإنكم على إرث أبيكم إبراهيم»[1]، وكان أبوهم مربع وأخوه أوس منافقيْن، وكان مربع أعمى؛ وهو الذي سلك رسول الله ﷺ حائطه في خروجه إلى أحد، فجعل يحثو التراب في وجوه المسلمين ويقول: إن كنت نبيا فلا تدخل حائطي. وأخوه أوس هو الذي قال: ﴿إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾[2].

ومنهم — أيضا — رافع بن خديج بن رافع الأنصاري الأوسي الحارثي كان عريف قومه بالمدينة، شهد أحدا والخندق؛ وتوفي سنة أربع وسبعين بالمدينة من جراحات به. ومن عقبه أبو القاسم عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم الرافعي القزويني الشافعي، صاحب التصانيف المشهورة في اللغة وغيرها — والرافعي نسبة إلى رافع هذا — ولد بقزوين وكان له بها مجلس يحاضر به في علم التفسير والحديث، وكان من علماء عصره، توفي بِقزوين سنة ثلاث وعشرين وستمائة.

ومن بني مجدعة بن حارثة بن الحارث عبد الله بن سهل بن كعب بن عامر بن عدي بن مجدعة، كانت له صحبة، وقد وجد مقتولا بخيبر غيلة، فكانت فيه قضية القسامة، فألزم النبي صلى الله عليه وسلم أهل خيبر ديته، فأخذها ابنا عمه حويصة ومحيصة، وقيل إن النبي صلى الله عليه وسلم عقله من

---

(1) أخرجه أحمد. والمشاعر: هي المناسك، كالمشعر الحرام، وعرفات ونحوهما.

(2) الأحزاب: 13، وعورة: أي سائبة ضائعة ليست بحصينة ، وهي مما يلي العدو، وقيل هي الممكنة للسراق بخلوها من الرجال، يقال: دار معورة وذات عورة: إذا كان يسهل دخولها، وكل مكان ليس بممنوع ولا مستور فهو عورة ، وتقول العرب: دار فلان عورة إذا لم تكن حصينة. ثم قال الله تعالى — تكذيبا لهم وردا عليهم فيما قالوا — ﴿وما هي بعورة إن يريدون إلا فرارا﴾ — الآية — أي ما يريدون إلا الهرب من القتل أو من الدين. [القرطبي].

عند نفسه[1]؛ وروي أن اليهود دلوه في المنهل. وكان محيصة بن مسعود رفيقا له، فاستخرجه من المنهل وكفنه ودفنه، وأتى رسول الله ﷺ ومعه أخو المقتول وهو عبد الرحمن بن سهل؛ فبدر عبد الرحمن بالكلام في أمر أخيه فقال له رسول الله ﷺ: «كبِّر كبِّر»[2]، وكان عبد الرحمن أصغر من محيصة ومن أخيه عبد الله المذكور، وكان له فهم وعلم. روي عن القاسم بن محمد أنه قال: جاءت إلى أبي بكر جدتان فأعطى السدس أم الأم دون أم الأب، فقال له عبد الرحمن بن سهل هذا: يا خليفة رسول الله ﷺ أعطيت التي لو ماتت لم يرثها وتركت التي لو ماتت ورثها، فجعله أبو بكر بينهما. وروى عنه محمد بن كعب القرظي أنه غزا فمرت به

---

(1) وقد روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فتح خيبر عنوة دعا يهودها فقال: «إن شئتم دفعت إليكم هذه الأموال على أن تعملوها وتكون ثمارها بيننا وبينكم وأقركم ما أقركم الله» فقبلوا فكانوا على ذلك يعملونها وأقاموا على ذلك لا يرى بهم المسلمون بأسا في معاملتهم حتى عدوا على عبد الله بن سهل هذا. وكان عبد الله بن سهل قد خرج في أصحاب له إلى خيبر يمتارون منها تمرا ففقده أصحابه ، ثم وجدوه في عين قد كسرت عنقه ثم طرح فيها، فاتهموا به اليهود ، فكلمت الأنصار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتقدم إليه أخوه عبد الرحمن بن سهل وابنا عمه: حويصة ومحيصة ابنا مسعود ـ وكان عبد الرحمن أحدثهم سنا ـ وكان هو صاحب الدم، فأراد أن يتكلم قبلهما فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كبر كبر» فسكت فتكلم حويصة ومحيصة ثم تكلم هو بعد، فذكروا لرسول الله صلى الله عليه وسلم قتل اليهود لصاحبهم، فقال صلى الله عليه وسلم: «أتسمون قاتلكم ثم تحلفون عليه خمسين يمينا فنسلمه إليكم»، فقالوا: ما كنا لنحلف على ما لا نعلم، قال: «أفيحلفون بالله خمسين يمينا ما قتلوه ولا يعلمون له قاتلا ثم يبرأون من دمه» قالوا: يا رسول الله ما كنا لنقبل أيمان يهود ما فيهم من الكفر أعظم من أن يحلفوا على إثم. فكتب النبي صلى الله عليه وسلم إلى يهود خيبر: «إنه قد وجد قتيل بين أبياتكم فدوه أو آذنوا بحرب من الله»، فكتبوا إليه يحلفون بالله ما قتلوه ولا يعلمون له قاتلا، فوداه صلى الله عليه وسلم من عنده مائة ناقة، قال سهل: فوالله ما أنسى بكرة منها حمراء ضربتني وأنا أحوزها. وحديث «أتسمون قاتلكم ثم تحلفون..» إلخ متفق عليه.

(2) حديث:«كبر كبر» متفق عليه. ومعناه: أعط مجالا للأكبر سنا.

روايا تحمل خمرا فشقها برمحه وقال: إن رسول الله ﷺ نهانا أن يدخل الخمرُ بيوتنا وأسقيتنا[1].

ومن بني مجدعة ـ أيضا ـ أبو عبد الله محمد بن مسلمة بن خالد بن عدي بن مجدعة، كان معدودا فيمن سموا محمدا في الجاهلية، ولد قبل البعثة باثنتين وعشرين سنة، وكان حليفا لبني عبد الأشهل، وعداده فيهم؛ ثم أسلم على يد مصعب بن عمير وصحب وكان من أفاضل الصحابة وشجعانهم، واستخلفه النبي ﷺ في بعض غزواته، وشهد بدرا وما بعدها إلا تبوك بإذن من رسول الله ﷺ في تخلفه عنها بالمدينة، وكان من قتلة كعب بن الأشرف اليهودي؛ واعتزل الفتنة فلم يشهد الجمل ولا صفين وقال فيه حذيفة: إني لأعلم رجلا لا تضره الفتنة فذكره؛ وصرح بسماع ذلك من النبي ﷺ[2].

وروي عن محمد بن مسلمة نفسه قال: أعطاني النبي ﷺ سيفًا وقال: «قاتل به من المشركين ما قاتلوا فإذا رأيت أمتي يضرب بعضها بعضا فأت به أحدا واضرب به حتى يتكسر ثم اجلس في بيتك حتى تأتيك يد خاطئة أو منية قاضية»[3]؛ ففعل.

---

(1) جمع سقاء: وهو وعاء من جلد. وعبد الرحمن بن سهل هذا هو المنهوس بجحر الأفاعي فأمر النبي صلى الله عليه وسلم عمارة بن حزم النجاري أن يرقيه ؛ فرقاه، وهي رقية آل حزم كانوا يتوارثونها . روي عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رخص لآل حزم في رقية الحية ـ [رواه مسلم]، وقالت فيهم عائشة: رخص رسول الله صلى الله عليه وسلم لأهل بيت من الأنصار في الرقية من كل ذي حمة (وهم من بني ساعدة) ـ [الاستبصار]، وروي عن بديل بن عمرو الأنصاري الخطمي أنه قال: عرضت على رسول الله صلى الله عليه وسلم رقية الحية فأذن لي فيها، ودعا فيها بالبركة ـ [أسد الغابة].

(2) أخرجه الحاكم في المستدرك. وابن سعد في طبقاته. وابن عساكر في مختصر تاريخ دمشق.

(3) أخرجه أحمد في مسنده وابن عساكر في تاريخه وابن شاهين [كما في الإصابة].

وروي أنه دخل عليه رجل من أهل الشام في داره فقتله. وله من الأبناء جعفر وعبد الله وسعد وعبد الرحمن وعمرو، وصحبوا معه كلهم؛ وقيل كان له غير هؤلاء من الأبناء - كما في الإصابة والحلة السيرى - قيل كان له من الولد عشرة ذكورا وست بنات، ولم يستوطن غير المدينة حتى مات بها سنة ثلاث وأربعين.

ومن بني مجدعة بن حارثة أيضا أبو حثمة عامر بن ساعدة بن عامر بن عدي بن جشم بن مجدعة الأوسي المجدعي، كان دليل رسول الله ﷺ إلى أحد، وبعثه رسول الله ﷺ خارصا[1] إلى خيبر، وضرب له بها سهمه وسهم فرسه، وتوفي في خلافة معاوية رضي الله عنه. وابنه سهل بن أبي حثمة حفظ عن رسول الله ﷺ فأتقن، وتوفي بالمدينة. ومنهم أبو أمامة إياس بن ثعلبة بن حارثة، وهو ابن أخت أبي بردة بن نيار؛ روي أنه لما أراد رسول الله ﷺ الخروج إلى بدر أجمع أبو أمامة على الخروج معه، فقال له خاله أبو بردة: أقم على أمك - وكانت مريضة - فقال له أبو أمامة: بل أنت فأقم على أختك. فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فأمر أبا أمامة بالإقامة على أمه وخرج أبو بردة، فرجع رسول الله ﷺ وقد توفيت فصلى عليها.

ومن أفخاذ بني الحارث بن الخزرج بن عمرو - أيضا - بنو الحريش بن جشم بن الحارث وبنو عمرو بن جشم بن الحارث، وكلاهما في عداد إخوتهم بني عبد الأشهل. فمن بني الحريش عباد بن سهل بن مخرمة بن قلع بن الحريش بن جشم بن الحارث بن الخزرج بن النبيت الأوسي الحارثي، استشهد بأحد. ومنهم صيفي وخباب ابنا قيظي بن عمرو بن سهل بن مخرمة بن قلع بن الحريش، استشهدا يوم أحد.

---

(1) الخارص: الحازرُ والمقدر، يقال: "خرص النخلة" إذا قدر ما عليها.

ومن بني عمرو بن جشم بن الحارث: سهل بن عدي بن زيد بن عامر بن عمرو بن جشم بن الحارث بن الخزرج بن النبيت، قتل يوم أحد شهيدا وابناه: رافع وعبد الله ابنا سهل خرجا مع رسول الله ﷺ ـ وهما جريحان يوم أحد ـ إلى حمراء الأسد ـ ولم يكن لهما ظهر ـ وشهدا الخندق؛ فقتل عبد الله يومئذ.

ومنهم أيضا ـ ولكن بالحلف ـ حسيل بن جابر بن عمرو بن ربيعة بن اليمان العبسي، واسم اليمان: جروة بن الحارث، وسمي باليمان لأنه أصاب دما في قومه بني عبس فهرب إلى المدينة فحالف بني عبد الأشهل، فسماه قومه اليمان لمحالفته اليمانية، وشهد حسيل هذا هو وابناه حذيفة وصفوان أحدا فقتله المسلمون في المعركة يظنونه مشركًا، وكان حذيفة يقول أبي أبي.. ولم يسمع، فأراد رسول الله ﷺ أن يديه، فتصدق حذيفة بديته على من أصابه، فدعا له النبي صلى الله عليه وسلم. ثم قال رحمه الله:

مِنْ عَمْرٍو اَيْضًا ظَفَرُ رَهْطُ الأَبِي قَتَادَةٍ ذِي الْعَيْنِ رَدَّهَا النَّبِي
وَالدِّرْعِ سَلَّهَا بَنُو الأُبَيْرِقِ أَوْ لِرِفَاعَةَ بْنِ زَيْدٍ التَّقِي

قوله **ظفر**:مبتدأ خبره الجار والمجرور قبله (وهو بظاء معجمة ففاء مروسة آخره راء مهملة محركا)، واسم ظفر كعب، وهو أبو بطن من الأوس (هم بنو ظفر[1] بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس). **ورهط** (بالرفع): بدل من ظفر أو عطف بيان عليه. **والأبي**: الذي يأبى الضيم[2]، **وقتادة** (بفتح القاف والجر): بدل من الأبي.

---

(1) أولاد ظفر هذا أربعة: سواد وهُتَيم ومرة وعبد رزاح بنو ظفر بن الخزرج، وكلهم أبو بطن.

(2) الضيم: الظلم أو الإذلال، جمعه: ضيوم.

وقوله **ذي العين**: صفة لقتادة. وجملة **ردها**: حال من العين. **والدرع**[1] (بالجر): عطف على العين. وجملة **سلها**: حال من الدرع، وسلها: أي سرقها ، والسلة والإسلال السرقة والخلسة، وفي المثل: *الخلة تدعو إلى السلة* أي الحاجة تدعو إلى السرقة. **وبنو الأبيرق**: فاعل سلها، والابيرق (بصيغة التصغير): لقب الحارث بن عمرو بن حارثة بن الهُتَيْم بن ظفر. وقوله **أو لرفاعة** عطف على قتادة. **والتقي**: صفة لرفاعة أي ذي التقوى، وهو الخوف من الله تعالى والعمل بطاعته؛ ولعل الناظم احترز به من رفاعة بن زيد بن التابوت، كهف المنافقين الذي هبت لموته ريح أفزعت الصحابة رضي الله عنهم.

يعني أن من البطون المتفرعة من عمرو بن مالك بن الأوس بني ظفر بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس، وقد تفرعت من هذا البطن أربعة أفخاذ هم بنو سواد بن ظفر رهط قتادة بن النعمان وعمه رفاعة بن زيد، وبنو الهتيم بن ظفر رهط بني الابيرق أصحاب الدرع، وبنو عبد رزاح بن ظفر رهط لبيد[2] بن سهل الذي رماه بنو الابيرق بالدرع فبرأه الله تعالى منها، وبنو مرة بن ظفر.

قتادة بن النعمان

أما قتادة فهو أبو عمرو قتادة بن النعمان بن زيد بن عامر بن سواد بن ظفر ــ وهو كعب ــ بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس الأوسي الظفري، كان رضي الله عنه من فضلاء الأنصار، وكان في أول من قدم المدينة بالقرآن. روي أنه قدم بــ﴿ كٓهيعٓصٓ ﴾[3] بعد قدوم رافع بن مالك بسورة **يوسف**، فكان يكثر

---

(1) الدرع: جُـنَّة من حديد تصنع حلقاً حلقاً وتلبس للحرب.

(2) يقال فيه ابو لبيد بن سهل، من سعد العشيرة (بن الكلبي) ــ [كما في الإصابة].

(3) سورة مريم: 1.

من قراءتها في داره فكانوا يستهزئون به، وإذا رأوه طالعا قالوا: هذا زكرياء قد جاءكم، لكثرة ما فيها من زكرياء. وحضر العقبة وشهد بدرا والمشاهد بعدَها، وكانت معه راية بني ظفر يومي الفتح وحنين، وأصيبت عينه يوم أحد فسالت حدقته على وجهه وبقيت معلقة بعرق ؛ فأرادوا قطعه، فقالوا: لا حتى نستأمر رسولَ الله صلى الله عليه وسلم[1]، فاستأمروه فقال: «لا»، ثم دعا به فدفع حدقته بيده حتى وضعها موضعها، ثم غمزها براحته وقال: «اللهم اكسها جمالا»[2]، فمات وإنها لأحسنُ عينيه وأحدُّهما نظرا، وما مرضت بعدُ.

وروي أنه صلى الله عليه وسلم قال له: «إن شئت صبرت ولك الجنة وإن شئت رددتها ودعوت الله لك فلم تفقد منها شيئا» فقال: يا رسول الله إن الجنة لجزاء جميل وعطاء جليل ولكني رجل مبتلًى بحب النساء وأخاف أن يقلن أعور فلا يُردنني، ولكن تردها وتسأل الله لي الجنة، فقال: «أفعل يا قتادة». وروي أن رجلا من ولده قدم على عمر بن عبد العزيز بالمدينة، فقال له عمر: ممن الرجل؟ فقال:

أنا ابن الذي سالت على الخد عينه ... فرُدت بكف المصطفى أحسن الرد
فعادت كما كانت لأول أمرها ... فيا حسن ما عين ويا حسن ما رد

فقال عمر:

تلك المكارم لا قعبان من لبن ... شيبا بماءٍ فعادا بعدُ أبوالا

وفي رواية أنه قال له: بمثل هذا فليتوسل المتوسلون. فوصله وأحسن جائزته.

---

(1) سالت: تدلّت. وحدقته: عينه، والحدقة (محركة): سواد العين الأعظم. والاستئمار والإئتمار: المشاورة.

(2) أخرجه البيهقي في دَلائل النبوة، والدارقطني.

وروي عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ خرج ذات ليلة لصلاة العشاء ـ وقد هاجت السماء واشتدت الظلمة ــ فبرقت برقة فرأى رسول الله ﷺ قتادة فقال له: «قتادة»؟ فقال: نعم يا رسول الله، قال: «ما السُّرَى يا قتادة»؟ فقال: يا رسول الله علمت أن شاهد الصلاة الليلة قليل فأحببت أن أشهدها، فقال له: «إذا انصرفت فأتني»؛ فلما انصرف أعطاه عرجونا وقال له: «خذها فستضيء أمامك عشرا وخلفك عشرا»[1].

وتوفي قتادة رضي الله عنه سنة ثلاث وعشرين ـ وقيل أربع وعشرين ـ وهو ابن خمس وستين سنة، وصلى عليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه ونزل في قبره أبو سعيد الخدري، وهو أخوه لأمه (أمهما أنيسة بنت قيس النجارية).

وأما رفاعة فهو ابنُ زيد بن عامر بن سواد بن كعب ــ وهو ظفر ــ بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس؛ الأوسي الظفري، عم قتادة بن النعمان بن زيد المذكور.

ومن بني ظفر ـ أيضًا ـ ثم من بني سواد منهم: قيس بن الخطيم بن عدي بن عمرو بن سواد بن ظفر الظفري، الشاعر المشهور في حَرب الأوس والخزرج، قدم مكة مرة فعرض عليه النبي ﷺ الإسلام فاستنظره حتى يقدم المدينة، فوقعت حرب بعاث التي اندلعت قبيل إسلام الأنصار فمات فيها، وأخته ليلى بنت الخطيم يقال

---

(1) أخرجه أحمد بسند صحيح، والطبراني ـ كما في الإصابة ــ وقوله: هاجت السماء: أي تغيمت وكثر ريحها. وبرقت برقة: أي ظهرت ولمعت. وقوله: «قتادة» أي هل أنت قتادة؟ بتقدير همزة الاستفهام، فقال قتادة: نعم إني أنا قتادة. والسرى (بضم السين): سير الليل، وفي المثل: "عند الصباح يحمد القوم السرى" يضرب في احتمال المشقة والحث على الصبر حتى تحمد العاقبة. وشاهد الصلاة: أي حاضرها. والعرجون: العذق المعوج. وقوله: عشرا: أي من الأذرع.

إنها وهبت نفسها للنبي ﷺ. ومن أبناء قَيس بن الخطيم هذا: ثابت بن قيس له صحبة، شهد مع علي حروبه كلها، ومات في خلافة معاوية. وأبناؤه: محمد وعمرو ويزيد، قتلوا جميعًا يوم الحرة.

ومن بني قيس ـ أيضًا ـ يزيد بن قَيس بن الخطيم، شهد أحدا وجرح فيه جراحات كثيرة، وسماه النبي ﷺ يومئذ حاسرا، فكان يقول: «يا حاسر أقبل، يا حاسر أدبر»[1]، وقتل يوم الجسر. ومنهم عبيد بن أوس بن مالك بن سواد بن ظفر، شهد بدرا وقرن يومئذ أربعة أسارى في حبل واحد، منهم عقيل بن أبي طالب ونوفل والسائب، وأتى بهم رسولَ الله ﷺ ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «لقد أعانك عليهم ملك كريم»[2]، وسماه النبي ﷺ *مقرنا*.

بنو الأبيرق وقصة سرقتهم

ومن بني الهتيم بن ظفر: بشر ومبشر وبشير وطعيمة بنو أبيرق (الحارث) بن عمرو بن حارثة بن الهتيم الظفريون؛ كانت لبشر ومبشر منهم صحبة، وشهدا أحدا مع النبي ﷺ ، وكانا فاضلين. وأما بُشَيْرٌ وطعيمة فكانا أهل حاجة وفاقة[3] في الجاهلية والإسلام وهما اللذان سرقا درع قتادة بن النعمان ـ كما يأتي قريبا. وكان بشير منافقا يقول الشعر ويهجو به أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ينحله لبعض العرب[4]، ويقول: قال فلان كذا وكذا، وقال فلان كذا وكذا.. فإذا

---

(1) الحاسر: من لا درع له ولا مغفر، وللعباس بن مرداس:

كانت إجابتنا لداعي ربنا ... بالحق منا حاسر ومقنع

في كل سابغة تخير سردها ... داوود إذ نسج الحديد وتبع ..إلخ.

(2) نحوه في مسند أحمد.

(3) الفاقة: الفقر.

(4) ينحله: ينسبه إلى غيره، والشعر المنحول: المعزو لغير قائله.

سمع أصحاب رسول الله ﷺ ذلك الشعر قالوا والله ما هو إلا شعر الخبيث بشير. وهو القائل في ذلك:

أوَ كلما قال الرجال قصيدة ضيموا وقالوا ابن الابيرق قالها[1]

قيل إنه ارتد سنة أربع للهجرة.

ومن بني الهتيم ـ أيضا ـ أنس ومؤنس ابنا فضالة بن عدي بن حرام بن الهتيم بن ظفر، بعثهما النبي ﷺ حين بلغه دنو قريش يريدون أحدًا، فاعترضاهم بالعقيق فصارا معهم، ثم أتيا رسول الله ﷺ فأخبراهُ خبرهم وعددهم ونزولهم حيث نزلوا، وشهدا معه أحدا. ومنهم اسيرة بن عروة بن سواد بن الهتيم بن ظفر، كان رجلا منطيقا ظريفا[2] بليغا حلوا، هو الذي جادل عن بني الأبيرق.

وحاصل قصة سرقة الدرع التي أشار إليها الناظم أنه كانت لقتادة بن النعمان بن زيد المذكور درع وطعام في مشربة[3] له، فعدا عليها من تحت الليل بنو الأبيرق وهم بشر ومبشر وبشير وطعيمة فسرقوهما، فشكاهم إلى رسول الله ﷺ. والصحيح أن سارق الدرع إما بشير وإما طعيمة وكانا أهل حاجة وفاقة ـ كما مر. وقيل إن الذي سرقها هو طعيمة وإنه لما ظهرت عليه السرقة خاف القطع والفضيحة فهرب إلى مكة وارتد، فنزل على الحجاج بن علاط السلمي، فنقب بيته، فأخذوه ليقتلوه فقال لهم الحجاج: دعوه فإنه قد لجأ إليكم، فتركوه فسار إلى الشام مع تجار من قضاعة فسرق بعض متاعهم فأخذوه فرموه بالحجارة حتى قتلوه، وقيل إنه

---

(1) ضيموا: أي اغضبوا.

(2) المنطيق: الفصيح الحسن البيان يبلغ بعبارته كنه ضميره. والظريف: الكيِّس الحاذق.

(3) المشربة (بفتح الراء، وتضم): الغرفة.

ركب سفينة إلى جدة فسرق فيها كيسًا[1] فيه دنانير، فأخذوه وألقوه في البحر. وقيل إنه نزل في حرة بني سليم فكان يعبد صنما لهم إلى أن مات، فنـــزل فيه ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾[2].

وقيل إن الدرع المسروقة والطعام الذي معها كانا لرفاعة[3] بن زيد المذكور، عم قتادة بن النعمان بن زيد، وكان الذي سرقهما من بني أبيرق رمى بهما لبيد بن سهل بن الحارث بن عروة بن عبد رزاح بن ظفر الظفري الصحابي الجليل البدري ــ وهو بريء منهما ــ فجاء رفاعة إلى رسول الله ﷺ يشكوهم ومعه قتادة، فقال قتادة: يا رسول الله إن أهل بيت منا، أهل جفاء، عمدوا إلى عمي رفاعة بن زيد فنقبوا مشربة له وعدوا على درع وطعام كانا فيها وسرقوهما وعمدوا إلى أهل بيت أهل صلاح ودين فنبزوهم بالسرقة[4] ورموهم من غير بينة.

فسمع بذلك اسيرة بن عروة بن سواد بن الهتيم المتقدم ذكره، فجمع جماعة من قومه وأتى بهم رسول الله ﷺ وقال له: يا رسول الله إن قتادة عمد إلى أهل بيت منا أهل حسب ونسب يأبنهم[5] بالقبح، ويقول لهم ما لا ينبغي بغير ثبت ولا بينة

---

(1) الكيس (بالكسر): وعاء معروف يكون للدراهم والدنانير والدر والياقوت.

(2) النساء: 116/48.

(3) كان طعام الناس بالمدينة: التمر والشعير، وكان الرجل إذا كان له يسار فقدمت من الشام عيرٌ تحمل الزيت والدرمك (وهو الدقيق الحواري، أي الذي نخل مرة بعد أخرى) يبتاع منه لنفسه، فقدمت مرة فابتاع رفاعة بن زيد حملا من الدرمك فجعله في مشربة له، ومعه في المشربة سلاح، فَعُديَ عليه من تحت الليل فنقبت المشربة وأخذ الطعام والسلاح، فتحسس رفاعة وقومه فوجدوا بني أبيرق قد نقبوا البيت وأخذوا الطعام والسلاح.

(4) نبزوهم: أي عابوهم بها.

(5) يأبنهم: أي يتهمهم.

ويغتابهم. وجعل يجادل عنهم حتى غضب رسول الله ﷺ على قتادة ولامَه على ما قال في بني الأبيرق. فقام قتادة وهو يقول لوددت أني خرجت من أهلي ومالي و لم أكلم رسول الله ﷺ في شيء من أمرهم! فأنزل الله عز وجل ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا ﴾ـ الآيات[1].

ومن بني عبد رزاح بن ظفر لبيد بن سهل المذكور. ومنهم أيضا: الحباب بن جزي بن عمرو بن عامر بن عبد رزاح بن ظفر الظفري ، شهد أحدا.

ومن بني مرة بن ظفر معاذ بن زرارة بن عمرو بن عدي بن الحارث بن مرة بن ظفر الظفري ابناه: أبو نملة وأبو درة، شهدوا أُحدا كلهم (واختلف في شهود أبي نملة بدرا) وقتل في خلافة عبد الملك بن مروان، وقتل له ابنان يوم الحرة؛ وشهد أبو درة فتح مصر.

ثم ذكر الناظم بطنَين آخرين من بني جشم بن الحارث، وهما بنو ظهير وبنو زعور ابني جشم بن الحارث، فقال رحمه الله:

بَنُو ظُهَيْرٍ زَعْـوَرٍ رَهْطِ الْبُهَمْ أَوْسٍ وَتَيْهَانٍ عَتِيـكٍ الْخِضَمّْ

قوله **بنو ظهير** (بوزن زبير): مبتدأ حذف خبره، أي ومن بني الحارث بن الخزرج بن عمرو- أيضا- بنو ظهير. قوله **زعور** (بوزن جعفر، وبالجر) ويقال فيه زعوراء (بالمد): عطف على ظهير بحذف العاطف. **ورهط** (بالجر): بدل من زعور،

(1) النساء: 105 - 112.

أو عطف بيان عليه، **والبهم** (بضم ففتح): جمع بهمة (بضم فسكون): للشجاع الذي لا يدري من أين يؤتى. وقوله **أوس** (بالجر): بدل من البهم. **وتيهان** (بفتح التاء وسكون الياء) **وعتيك** (بوزن أمير): معطوفان على أوس بحذف العاطف. **والخضم** (بكسر ففتح): صفة لعتيك وهو السيد الجواد.

يقول: ومن بني عمرو بن مالك بن الأوس أيضا بنو ظهير بن رافع وبنو زعور بن جشم رهط أوس بن عبيد وآل التيهان. أما ظهير فهو ابن رافع بن عدي بن زيد بن عمرو بن زيد بن عمرو بن زيد بن جشم بن حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس الأوسي الحارثي، الصحابي الجليل؛ حضر العقبة الثانية وشهد بدرا وأحدا وما بعدهما. وروي أنه جاء في خلافة عمر بأعلاج من الشام ليعملوا له في أرضه، فحرضتهم اليهود على قتله فدسوا له سكينين ثم وثبوا عليه وبعجوا[1] بهما بطنه فقتلوه، فأجلى عمر اليهود عن خيبر لذلك. ومن بنيه رضي الله عنه أنس بن ظهير أسلم وصحب وشهد أحدا، وأخوه أسيد بن ظهير استصغره النبي ﷺ يوم أحد، وأول مشاهده الخندق، ومات في خلافة عبد الملك بن مروان، ومن حديثه «من أتى مسجد قباء فصلى فيه ركعتين كان كعمرة»[2].

وأما زعور فهو ابن جشم بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس جد بطن من بطون الأوس، وهم بنو زعور بن جشم، إخوة بني عبد الأشهل بن جشم وحلفاؤهم وهم سكان راتج[3] يعرفون بأهل راتج، منهم أوس بن عبيد بن عبد الأعلم والتيهان بن عمرو بن عبد الأعلم وعتيك بن التيهان، كما قال: **زعور**

---

(1) بعجوا بطنه: أي شقوه، يقال: بعج فلان بطن فلان إذا شقه.

(2) أخرجه الترمذي والنسائي وابن ماجه والحاكم في صحيحه والبيهقي وابن حبان.

(3) راتج: أطم من آطام اليهود بالمدينة.

رهط البهم: أوس وتيهان عتيك..

أما أوس بن عتيك بن عمرو بن عبد الأعلم (ويقال فيه عبد الأعلى) بن عامر بن زعور بن جشم، فهو والد الإخوة السبعة الشهداء المشهورين؛ وهم إياس وأنس ومالك وعمير والحارث وعمرو وعامر، شهدوا أُحدًا وما بعدها وكلهم قتل شهيدا؛ فقتل إياس يومَ أحد، وأنس يوم الخندق، ومالك وعمير يوم اليمامة، والحارث يوم أجنادين، وعمرو يوم جسر أبي عبيد الثقفي، وعامر يوم الحرة.

وأما التيهان فهو مالك بن عتيك بن عمرو بن عبد الأعلم بن عامر بن زعور بن جشم الأوسي الحارثي، ويقال فيه التيهان (بالتخفيف والتشديد، مثل ميْت وميِّت)، وأبناؤه أبو الهيثم وعبيد وعتيك بنو التيهان صحابة كلهم؛ واسم أبي الهيثم مالك أيضا واشتهر بكنيته وكان أحد النقباء ليلة العقبة ثم شهد بدرا، وقد مر التعريف به والخلاف في نسبه في أهل العقبة الأولى.

وأما عتيك فهو ابن التيهان بن عتيك بن عمرو بن عبد الأعلم بن عامر بن زعور بن جشم الأوسي الحارثي، شهد رضي الله عنه العقبة الثانية وبدرا وأحدا واستشهد به، وابناه عبيد الله بن عتيك قتل يوم اليمامة، وعباد بن عتيك شهد بدرا. [قاله في الاستبصار]. ومنهم - أيضا - عتيك بن عمرو بن عبد الأعلم والد التيهان.

ومراد الناظم بذكر أوس وتيهان ذكر أولادهم من الصحابة الأجلاء المذكورين. والله أعلم.

ومن بني عمْرو بن مالك بن الأوس - أيضا - بنو عامر بن عمرو بن مالك كانوا يسكنون في عمان، ولم يكن منهم في المدينة أحد، فليسوا من الأنصار.

ولما تكلم على أولاد عمرو بن مالك بن الأوس أخذ يتكلم على أبناء أخيه عوف بن مالك[1] بن الأوس وهم "أهل قباء"[2]، فقال رحمه الله وعفا عنه:

عَوْفُ بْنُ مَالِكٍ بَنُو عَمْرِو بْنِ عَوْفْ   تَشَعَّبُـوا مِنْهُ وَبُرْكُهُ الأُنُوفْ

عَبْـدُ الإِلَهِ بْنُ جُبَيْرِ القَيِّـمُ   بِأُحُـدٍ عَلَى الرُّمَاةِ مِنْهُـمُ

وَصِنْوُهُ الشَّاغِـلُ بِالنِّحْيَـيْنِ   خَـوَّاتُ مِنْ ضَرَاغِمِ الْحَيَّيْنِ

قوله **عوف بن مالك** مبتدأ، وبنو عمرو بن عوف مبتدأ ـ أيضا ـ خبره جملة **تشعبوا منه**، ومجموع الجملة خبر عن المبتدإ الأول، وهو **عوف بن مالك**. والضمير في **تشعبوا** عائد على **بنو عمرو بن عوف**. والضمير في **منه** عائد على **عوف بن مالك**. **وتشعبوا**: أي تفرعُوا منه. وقوله **بركه** (بالرفع): مبتدأ (وهو بوزن فلس وقفل، وقيل بوزن زفر وسكنت راؤه ضرورة). **والبرك**: لقب امرئ القيس بن ثعلبة بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس؛ والضمير المضاف إليه عائد على عوف بن مالك. **والأنوف** (بضم الهمزة والنون): جمع أنف، صفة لبركه؛ وإنما جمع صفته لاعتبار أن البرك جمع معنى لأن المراد به بنوه، **وأنف** كل شيء: أوله، وهو هنا

---

(1) تطلق بنو عوف على كثير من البطون المختلفة مثل بنو عوف بن مالك الأوسيون هؤلاء، وبنو عوف بن عمرو بن عوف الأوسيون ـ أيضا ـ وبنو عوف بن الخزرج بن حارثة الخزرجيون، وبنو عوف بن عمرو بن عدي الغسانيون (من بني مازن بن الأزد) وبنو عوف بن عامر المنتفق العدنانيون (من بني عامر بن صعصعة)، وبنو عوف بن النخع النخعيون، وبنو عوف بن كعب التميميون، وبنو عوف بن ثقيف الثقفيون، وبنو عوف بن عمرو الخزاعيون، وبنو عوف بن سعد الذبيانيون، وبنو عوف بن منبه من سعد العشيرة، وبنو عوف بن مالك الدوسيون، وبنو عوف بن وائل العكليون، وبنو عوف بن عذرة الكلبيون، وبنو عوف بن بكر العذريون، وغيرهم..

(2) لم يكونوا بقباء كلهم، وإنما كان به جلهم.

استعارة عن رفعة بني البرك، أي سيادتهم في قومهم. وقوله **عبد الإله**: مبتدأ خبره قوله **منهم** (في آخر البيت)، والجملة خبر عن قوله **بركه**، والضمير في **منهم** عائد على **بركه** باعتبار أنه جمع معنى ـ كما مر ـ. وقوله **القيم** (بوزن كيس): صفة لعبد الإله، وهو القائم على الأمر المتوليه، والمراد به هنا المؤمر على الرماة يوم أحد. **والرماة**: جمع رام، وهو مَن يرمي بالنبل. **وصنوه**: أي شقيقه، وهو مبتدأ. **والنحيين**: تَثنية نحي (بكسر فسكون) وعاء السمن. **وخوات** (بوزن كتان): بدل من صنوه. وقوله **من ضراغم**: خبر صنوه (وهو جمع ضرغم بفتح الضاد): الأسد؛ والضرغام (بكسر الضاد): الأسد والشجاع، والمراد بالحيين: الأوس والخزرج.

يعني أن من بني عوف بن مالك بن الأوس عمرو بن عوف الذي تفرعت منه بطونهم التي منها بنو البرك بن ثعلبة بن عمرو بن عوف، رهط عبد الله بن جبير أمير الرماة بأحد وأخيه خوات بن جبير فارس الأنصار.

هذا وقد تفرعت من عوف بن مالك بن الأوس هذا بطون عديدة وتشعبت من تلك البطون أفخاذ كثيرة، فمن تلك البطون بنو الحارث بن عوف وبنو عمرو بن عوف. أما بنو الحارث فدخلوا في بني أمية بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس. وأما بنو عمرو بن عوف فمنهم بنو ثعلبة بن عمرو، وبنو عوف بن عمرو بن عوف، وبنو حبيب بن عمرو، وبنو وائل بن عمرو، وبنو لوذان بن عمرو، وغيرهم. وقد تفرعت هذه البطون إلى أفخاذ عديدة؛ فمن بني ثعلبة بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس البرك وهو امرؤ القيس بن ثعلبة؛ من ولده عبد الله وخوات ابنا جبير.

أما عبد الله فهو ابن جبير بن النعمان بن أمية بن البرك بن ثعلبة بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس الأوسي البُركي، الصحابي الجليل. حضر العقبة، وشهد

بدرا وأحدا واستشهد به وكان رضي الله عنه أميرا على الرماة بأُحد، وكانوا خمسين رجلاً؛ أمرهم النبي ﷺ أن يثبتوا في مركزهم على جبل "عِيْنَيْن"[1] وأمَّر عليهم عبدَ الله هذا وقال لهم: «إن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم هذا حتى أرسل إليكم»[2]، فلما رأوا انهزام المشركين قالوا: إنها الغنيمة، وأرادوا الالتحاق بالمسلمين؛ فذكَّرهم عبد الله بأمره ﷺ بالصبر والثبات وحَضَّهم على ذلك، فقالوا له: قد انهزم المشركون فما بقاؤنا هنا؟ فلم يرد رسول الله ﷺ هذا. وانطلقوا يتبعون العسكر وينهبون معهم، وبقي عبد الله في أقل من عشرة؛ فكرَّ عليهم العدو فقتلوهم، وقتل أميرهم عبد الله بن جبير. وكانت لأبيه جبير بن النعمان صحبة رضي الله عنهم.

خوات بن جبير وقصته مع ذات النحيين

وأما خوات فهو أبو عبد الله خوات بن جبير بن النعمان بن أمية بن البرك، كان من شجعان الأنصار وفرسان الصحابة ـ كما أشار إليه الناظم ـ وكان رضي الله عنه معدودا في أهل بدر، وكان قد سار إليه مع النبي ﷺ حتى بلغ الصفراء فأصابه حجر في ساقه؛ فرده النبي ﷺ إلى المدينة وضرب له بسهمه وأجره، وشهد أحدا والمشاهد بعدها، وكان من فضلاء الصحابة، وكان شاعرا؛ فقد روي عنه أنه قال: خرجنا حجاجا مع عمر فسرنا في ركب فيهم أبو عبيدة بن الجراح وعبد الرحمن بن عوف، فقال القوم: غننا من شعر ضرار، فقال عمر: دعوا أبا عبد الله فليغن من بنيات فؤاده (يعني من شعره). قال: فما زلت أغنيهم حتى كان السحر،

---

(1) عينين (بفتح العين وكسرها مثنى): جبل بأحد قام عليه إبليس عليه لعنة الله تعالى فنادى إن محمدا صلى الله عليه وسلم قد قتل ـ [القاموس].

(2) أخرج البخاري نحوه. وتخطفه واختطفه: استلبه واجتذبه.

فقال عمر: ارفع عنا لسانك يا خوات فقد أسحرنا ـ [قاله في الاستبصار].

ومات رضي ا لله عنه بالمدينة سنة أربعين ـ وقيل اثنتين وأربعين ـ وهو ابن أربع وسبعين سنة.

وحاصل قصته المشهورة في الجاهلية مع ذات النحيين (التي محاها الإسلام والتي أشار إليها الناظم ـ رحمه ا لله) أن امرأة من بني تيم ا لله بن ثعلبة تسمى خولة بنت عدي كانت تبيع السمن في الجاهلية، فبينما هي ذات يوم بسوق عكاظ دخل عليها خوات بن جُبير هذا فوجدها خالية فراودها فأبت، فخرج فتنكّر ورجع فقال لها: هل عندك من سمن طيب؟ قالت: نعم فحلت زقا[1] فذاقه فقال: أريد أطيب منه، فأمسكته وحلت آخر فقال: امسكيه فقد انفلت بعيري، قالت: اصبر حتى أوثق الأول، قال: لا وإلا تركته من يدي يهراق فإني أخاف أن لا أجد بعيري، فأمسكته بيدها الأخرى، فانقض عليها؛ فلما قضى حاجته قالت: لا هنَاكَ[2]. وفي ذلك يقول:

وذات عيال واثقين بعقلها — خلجت لها جار استها خلجات

وشدت يديها إذ أردت خلاطها — بنحيين من سمن ذوي عجزات

فكان لها الويلات من ترك سمنها — ورجعتها صفرا بغير بتات

فشدت على النحيين[3] كفا شحيحة — فأعجلتها والفتك من فعلاتي

---

(1) الزق (بكسر الزاي وتشديد القاف): جلد يجزُّ ولا ينتف ويستعمل للشراب وغيره، جمعه: زقاق وأزقاق.

(2) لا هناك: أصله هنأك (بالهمزة) أي لا ساغ ولا لذ، ومنه قول الفرزدق:

ولت بمسلمة الركاب مودعا — فارعي فزارة لا هناك المرتع

(3) النحي (بتثليث النون): زق خاص بالسمن يصنع من جلد.

وروي أن رسول ا لله ﷺ سأله عن هذه الأبيات وتبسم فقال: يا رسول ا لله قد رزق ا لله خيرا وأعوذ با لله من الحور بعد الكور[1]. وضربت العرب المثل بهذه المرأة فقالت: "أشغل من ذات النحيين". وهجا رجل رهطها فقال:

أناس ربة النحيين منهم فعدوها إذا عد الصميم

وروي أن خوات بن جبير هذا مر في الجاهلية بنسوة فأعجبه حسنهن، فجلس إليهن وسألهن أن يفتلن له قيدا لبعير له زعم أنه شارد، فجلس إليهن فمر به رسول ا لله ﷺ وهو يتحدث إليهن، فأعرض عنه. فلما أسلم سأله عن ذلك البعير الشارد وهو يتبسَّم فقال خوات: قيده الإسلام يا رسول ا لله. وفي رواية أنه قال له: «ما فعل بعيرك الشارد»؟ وقال له: «يرحمك ا لله» ثلاثا.

ومن بني البرك ـ أيضا ـ الحارث بن النعمان بن أمية بن البرك الصحابي الجليل، عم عبد ا لله وخوات المذكورين، شهد بدرًا وأحدًا، وشهد صفين مع علي كرم ا لله وجهه. وابنا أخيه أبو حبَّة وأبو ضياح ابنا ثابت بن النعمان بن أمية بن البرك شهدا بدرا وأحدًا واستشهد به أبو حبة؛ وشهد أبو ضياح أيضا الخندق والحديبية واستشهد بخيبر. وا لله تعالى أعلم.

ثم قال رحمه ا لله:

وَمِن بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفِ الْهِدْمُ وَالِدُ كُلْثُومٍ كَذَا عُوَيْمُ
خُبَيْبُ الْبَلِيعُ وَالْغَسِيلُ وَعَاصِمُ بْنُ ثَابِتِ الْجَلِيلُ
أُحَيْحَةُ نَجْلُ الْجُلَاحِ الْجَحْجَبِي حَلِيلُ أُمِّ شَيْبَةٍ جَدِّ النَّبِي

(1) الحور: النقصان، والكور: الزيادة. يستعيذ با لله من الرجوع إلى الباطل بعد الإسلام، أو من الرجوع من الإيمان إلى الكفر، أو من الطاعة إلى المعصية.

لأَهْلِـهَا تَدلَّتِ اِذْ بَيَّتَهُـــمْ فَهَشَّ عَظْمَهَا وَرَدَّهَا لَهُـــمْ
وَابْنَا سُوَيْدٍ: الْجُــلاَسُ آلَــى بِاللهِ مَا قَالَ وَكُفْــــراً قَالاَ
وَالْحَارِثُ اللَّذْ بِسُوَيْدٍ عَفَّــرَا مُجَذَّرًا وَجَبْرَئِيـــلُ أَخْبَرَا
أَبُو لُبَابَـــةَ الرَّبِيطُ وَأَبُـــو يُوسُــفٍ الْقَاضِي إِلَيْهِمْ يُنْسَبُ

الهدم (بكسر الهاء وسكون الدال المهملة): مبتدأ خبره المجرور قبله. **ووالد** (بالرفع): صفة للهدم. **وعويم** (بالرفع): مبتدأ خبره المجرور قبله. **وخبيب والغسيل وعاصم وأحيحة** (كلها بالرفع): معطوفات على عويم بحذف العاطف من خبيب وأحيحة. **وكلثوم**: (هو بوزن عصفور)، **وعويم وخبيب** (كلاهما بوزن زبير). **والبليع** (بالعين المهملة بوزن أمير): فعيل بمعنى مفعول، صفة لخبيب، وصف بها لأنه لما قتلته قريش وصلبته أرسل إليه رسول الله ﷺ بعض الصحابة فأنزله عن الخشبة التي كان مصلوبا عليها فابتلعته الأرض صونا لجثته الشريفة عن أن يعبث بها المشركون ويمثلوا بها. **والغسيل** لقب اشتهر به حنظلة بن أبي عامر (الفاسقِ) بعد موته. **والجليل**: صفة لعاصم، وهو العظيم المنزلة. **وأحيحة**: هو بمهملتين (بوزن جهينة). **والجلاح**: بوزن غراب. **والجحجبي** (بجيمين مفتوحتين بينهما حاء مهملة ساكنة آخره باء موحدة): نسبة إلى جحجبا بن عوف بن كلفة، وهو صفة لأحيحة. **وأم شيبة**: هي سلمى[1] بنت عمرو النجارية. **وشيبة**: هو عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي. **وجد النبي** (بالجر): صفة لشيبة. والضمير في **لأهلها**

---

(1) هي سلمى بنت عمرو بن زيد بن لبيد بن حرام بن خداش بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار، وأمها عَميرة بنت صخر بن الحارث بن ثعلبة بن مازن بن النجار؛ وام عَميرَة: سلمى بنت عبد الأشهل النجارية.

عائد على أم شيبة، وهم بنو النجار. **وتدلى**: تعلق بالشيء واسترسل معه إلى أسفل. وكانت سلمى هذه قد تدلت من حائط زوجها أحيحة فلقبَت لذلك بالمتدلية. وضمير الرفع المستتر في **بَيَّتهم** عائد على أحيحة، والضمير البارز عائد على أهلها وهم بنو النجار. **وهش عظمها**: أي كسره.

يقول: ومن بني عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس: كلثوم بن الهدم بن امرئ القيس وعويم بن ساعدة وخبيب بن عدي وحنظلة الغسيل وعاصم بن ثابت بن أبي الأقلح وأحيحة بن الجلاح الجحجبي، زوج سلمى بنت عمرو النجارية أم عبد المطلب بن هاشم جد النبي ﷺ.

قوله **وابنا سويد** (بالتثنية): مبتدأ خبره محذوف أي ومن بني عمرو بن عوف ــ أيضا ــ ابنا سويد، وسويد (بصيغة التصغير) هو ابن الصامت. **والجلاس** (بوزن غراب): بدل من **ابنا سويد**. وآلى: حلف. **وكفراً** (بالنصب): متعلق بــ**قالا** بعده. وألف **قالا**: للإطلاق، أي ولقد قال كفرا، أي قولا يتضمن الكفر؛ لأن مضمون مقالته السب للنبي ﷺ والطعن في الإسلام، ولأن الكفر يطلق على كل ما يناقض التصديق. وفي قول الناظم هنا اقتباس من لفظ الآية التي نزلت في الجلاس هذا، وهي قوله تعالى ﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّواْ بِمَا لَمْ يَنَالُواْ ﴾ [1] ــ الآية.

قوله **والحارث** (بالرفع): عطف على **الجلاس**. **واللذ** (بسكون الذال المعجمة): لغة في الذي. وقوله **بسويد**: متعلق بعفّرا، **وعفّره** (بالتشديد والتخفيف) ضرب به العفراء وهي الأرض. **ومجذرا** (كمعظم): مفعول به لعفرا، وهو المجــــذر بن ذياد

---

(1) التوبة: 74 .

البلوي. وفاعل **أخبرا** ضمير مستتر عائد على **جبرئيل**، وحذف مفعولي أخبر لدلالة ما قبله عليهما، أي أخبر جبريل النبي ﷺ بقتل الحارث للمجذر بن ذياد.

يعني أن من بني عمرو بن عوف ـ أيضا ـ الجلاس بن سويد الذي حلف ما قال المقالة التي نسبت إليه، وهو كاذب في يمينه. ومنهم ـ أيضا ـ أخوه الحارث بن سويد الذي قتل المجذر بن ذياد خفية، فأخبر جبريل النبي ﷺ بقتله له.

وقوله **أبو لبابة**: مبتدأ. **والربيط** (بالرفع): صفة له. **وأبو يوسف** عطف عليه. **والقاضي**: صفة لأبي يوسف. **وإليهم**: متعلق **بينسب** المبني للمفعول، والجملة خبر **أبو لبابة**. والضمير في **إليهم** عائد على بني عمرو بن عوف، أي ومن بني عمرو بن عوف ـ أيضا ـ أبو لبابة بن عبد المنذر والقاضي أبو يوسف الأنصاري.

لما ذكر الناظم ـ رحمه الله ـ بعض بطون بني ثعلبة بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس، شرع يتكلم على بعض بطون أخويه عوف وحبيب ابني عمرو بن عوف، وعلى بعض أعيان تلك البطون؛ وأكثر بطون الأوس متفرعة من عوف بن عمرو بن عوف بن مالك هذا. فمن البطون المتفرعة منه بنو عبيد وبنو أمية وبنو ضبيعة بني زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس.

ومنهم أيضا بنو جحجبى بن عوف بن كلفة بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس. فمن بني عبيد بن زيد: كلثوم بن الهدم بن امرئ القيس. ومن بني أمية بن زيد: عويم بن ساعدة وأبو لبابة بن عبد المنذر والقاضي أبو يوسف. ومن بني ضبيعة بن زيد: حنظلة الغسيل بن أبي عامر وعاصم بن ثابت بن أبي الأقلح. ومن بني جحجبى بن عوف: خبيب بن عدي وأُحيحة بن الجلاح.

التعريف ببعض أعلام بني عمرو بن عوف

هذا عن عوف بن عمرو، أما أخوه حبيب بن عمرو بن عوف فمن البطون المتفرعة منه بنو عطية بن حوط بن حبيب بن عمرو، رهط الجلاس والحارث ابني

سويد بن الصامت. وعلى هؤلاء المذكورين اقتصر الناظم.

وهذا بعض التعريف بهؤلاء الأعيان مع زيادة بعض مشاهير هذه البطون؛ وذكر بعض بطونهم الأخرى:

أما كلثوم فهو ابن الهدم بن امرئ القيس بن الحارث بن زيد بن عبيد بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس الأوسي الصحابي الجليل، أسلم قبل وصول النبي ﷺ المدينة من الهجرة، وكان شيخا كبيرا؛ وكان شيخ بني عمرو بن عوف بقباء.

ولما قدم رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة نزل أولا على بني عمرو بن عوف بقباء، وكان نزوله فيهم على كلثوم بن الهدم هذا؛ فكان يعرف بصاحب رحل رسول الله ﷺ. وروي أنه عندما نزل عنده نادى كلثوم غلاما له يقال له نجيح، فالتفت صلى الله عليه وسلم إلى أبي بكر وقال له: "أُنجِحَتْ يا أبا بكر"[1]. وأقام صلى الله عليه وسلم في بني عمرو بن عوف أربعة أيام ـ يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس ـ كان فيها عند كلثوم هذا، وقيل أقام فيهم أربع عشرة ليلة؛ وكان يتلقى الناس ويتحدث معهم في بيت سعد بن خيثمة[2]؛ وكان بيته يعرف بـ"منزل العزاب" لأن سعدا كان عَزبا ونزل عليه العزاب من المهاجرين القادمين من مكة. وأسس رسول الله ﷺ في تلك الفترة مسجد قباء، وخرج من عندهم يوم

---

(1) رواه ابن الأثير: 4 / 195.

(2) كانت دار كلثوم بن الهدم التي نزل بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وبيت سعد بن خيثمة الذي كان يلقى فيه الناس في الدور التي قبلي مسجد قباء، وهي التي تلي المسجد في قبلته يدخلها الناس إذا زاروا مسجد قباء ويصلون فيها، وفي تلك العرصة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم نازلا قبل خروجه إلى المدينة. [الخميس].

الجمعة فأدركته الصلاة في بني سالم بن عوف فصلى الجمعة في بطن الوادي، فكانت أول جمعة صلاها رسول الله ﷺ، ثم سار حتى نزل على أبي أيوب الأنصاري، وأقام عنده حتى بنى المسجد وبعض مساكنه، ثم انتقل إليها صلى الله عليه وسلم. وتوفي كلثوم بن الهدم قبل بدر، ولم يدرك شيئا من مشاهده صلى الله عليه وسلم، وكان أول من مات من الصحابة بعد قدوم النبي ﷺ المدينة، ثم مات بعدهُ بقليل أسعد بن زرارة رضي الله عنهما.

ومن بني عبيد بن زيد ـ أيضا ـ أنيس بن قتادة بن ربيعة بن خالد بن الحارث بن عبيد بن زيد، شهد بدرا، وقتل يوم أحد شهيدا.

وأما عويم فهو أبو عبد الرحمن عويم بن ساعدة بن عائش بن قيس بن النعمان بن زيد بن أمية بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف، وقد قيل في نسبه غير هذا، وقد مر بعض التعريف به في أهل العقبة الأولى.

أبو لبابة وقصة التوبة عليه

وأما أبو لبابة فهو رفاعة بن عبد المنذر بن زنبر بن زيد بن أمية بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف الأوسي، الصحابي النقيب؛ وقد مر بعض التعريف به في النقباء. وأشار الناظم بقوله **الربيط** إلى قصته المشهورة؛ وهي أن النبي ﷺ لما حاصر بني قريظة، أرسلوا إليه أن ابعث إلينا أبا لبابة بن عبد المنذر نستشيره في أمرنا ـ وكانوا حلفاء الأوس ـ فأرسله إليهم، فلما رأوه مقبلا قام إليه الرجال وأسرع إليه النساء والصبيان يبكون في وجهه، فرقَّ لهم ورحمهم، فقالوا له: يا أبا لبابة أترى أن ننزل على حكم محمد؟ فقال نعم، وأشار بيده إلى حلقه أنه الذبح، قال أبو لبابة فوالله ما زالت قدماي من مكانهما حتى عرفت أني قد خنت الله ورسوله. فندم أبو لبابة واسترجع؛ ثم انطلق على وجهه ولم يأت النبي ﷺ حتى ارتبط في سارية من سواري المسجد، وقال: لا أبرح مكاني هذا حتى أموت أو يتوب الله علي مما

صنعت، وعاهد الله أن لا يطأ أرض بني قريظة أبدًا، فلما بلغ رسولَ الله ﷺ خبرُه ــ وكان قد استبطأه ــ قال: «أما لو جاءني لاستغفرت له فأما إذ فعل ما فعل فما أنا بالذي يطلقه حتى يتوب الله عليه»[1]، فمكث سبعة أيام؛ وقيل بضع عشرة ليلة تأتيه امرأته ــ وقيل بنته ــ فتحله للصلاة وقضاء حاجته ثم يعود فتربطه في الجذع، وكان لا يذوق طعاما ولا شرابا حتى خر مغشيا عليه. ثم تاب الله عليه، فترل على رسول الله ﷺ من السحر ــ وهو في بيت أم سلمة ــ قولــه تعالى ﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[2]، فضحك صلى الله عليه وسلم فقالت أم سلمة: مم تضحك أضحك الله سنك؟ قال: «تيب على أبي لبابة، قالت: أفلا أبشره يا رسول الله؟ قال: «بلى إن شئت»[3]، فقامت على باب حجرتها وقالت: يا أبا لبابة أبشر فقد تاب الله عليك؛ فثار الناس إليه ليطلقوه، فقال: لا والله حتى يكون رسول الله ﷺ هو الذي يحلني. فلما خرج رسول الله ﷺ إلى صلاة الصبح مر به فأطلقه رضي الله عنه، فمن هذا لقب *بالربيط*، واشتهر به.

وروي أن الاسطوانة التي ربط فيها نفسه هي الاسطوانة التي ربط فيها ثمامة بن أثال الحنفي وأنها تعرف بــ"اسطوانة التوبة". وعن محمد بن كعب أن النبي ﷺ كان يصلي نوافله إلى اسطوانة التوبة؛ ولابن ماجه عن ابن عمر أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا اعتكف طُرِحَ لَهُ فراشه ووضع له سريره وراء اسطوانة التوبة مما يلي القبلة يستند إليها. ونقل عياض عن ابن المنذر أن مالكا بن أنس كان له موضع في

---

(1) رواه ابن هشام في سيرته.

(2) التوبة: 102.

(3) رواه ابن هشام في سيرته.

المسجد، قال: وهو مكان عمر بن الخطاب، وهو الذي كان يوضع فيه فراش النبي ﷺ إذا اعتكفَ.

أبو يوسف فقيه العراق

وأما أبو يوسف فهو القاضي فقيه العراق يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن خنيس بن سعد بن عبيد بن النعمان بن قيس بن عمرو بن زيد بن أمية بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس الأنصاري الأوسي، وقيل إن جده سعدا هذا ابن بَحيرٍ[1] بن معاوية بن سلمى مِن بجيلة حليف بني عمرو بن عوف، ويعرف بسعد ابن حبتة[2] أمه، وهي بنت مالك من بني عمرو بن عوف.

وأبو يوسف هذا بغدادي كوفي، ولد بالكوفة ونشأ في طلب العلم ولزم أبا حنيفة وتفقه في الحديث والرواية، فكان فقيها علامة من حفاظ الحديث، وكان واسع العلم بالتفسير والمغازي وأيام العرب، وغلب عليه الرأي. وكان من أبرز تلامذة أبي حنيفة وهو أول من نشر مذهبه؛ وولي القضاء ببغداد أيام المهدي والهادي والرشيد، ومات في خلافته ببغداد وهو على القضاء. وقيل إنه هو أول من دُعي *قاضي القضاة* وأول من وضع الكتب في أصول الفقه على مذهب أبي حنيفة. وله تآليف كثيرة[3]، وكان وردُه في اليوم مائتي ركعة، وتوفي رحمه الله في ربيع

---

(1) بحير (بفتح الموحدة وكسر الحاء المهملة وقيل هو بضم الباء وبالجيم المفتوحة). [ابن خلكان].

(2) سعد ابن حبتة هذا كان من المستصغرين يوم أحد، رده النبي صلى الله عليه وسلم لصغر سنه، فلما كان يوم الخندق رآه يقاتل قتالا شديدا فدعاه وقال له: «من أنت»؟ فقال له: سعد ابن حبتة، فقال: «أسعد الله جدك» ومسح على رأسه ودعا له بالبركة في ولده ونسله، فكان عما لأربعين وخالا لأربعين وأبا لعشرين - [الروض الأنف وابن خلكان].

(3) ومن كلام أبي يوسف: صحبة من لا يخشى العار عار يوم القيامة، وكان يقول: رؤوس النعم ثلاثة أولها: نعمة الإسلام التي لا تتم نعمة إلا بها، والثانية: نعمة العافية التي لا تطيب الحياة إلا بها،

=>>

الآخر سنة اثنتين وثمانين ومائة عن تسع وستين سنة، وروى عنه خلق كثير منهم أحمد بن حنبل وابن معين.

وجدّه سعد بن عبيد بن النعمان كان أحد الأربعة الذين جمعوا القرآن على عهد رسول الله ﷺ ، وكان يؤم أهل مسجد قباء في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، وفي زمن أبي بكر وعمر، وكان يعرف بسعد القارئ، وشهد رضي الله عنه بدرا، وتوفي في خلافة عمر شهيدا بالقادسية، وابنه عمير بن سعد كان من أفاضل الصحابة ولقبه عمر بـ"نَسِيجُ وَحْدِهِ"[1] واشتهر بها، وهو ربيب الجلاس بن سويد، وهو الذي رفع مقالته إلى النبي ﷺ في قصة الجلاس الآتية.

وكان أبو يوسف يكنى بابنه يوسف بن يعقوب؛ ويوسف هذا كان ممن فقُه وسمع الحديث من يونس بن أَبي إسحاق السبيعي والسري بن يحيى وغيرهما؛ وولي القضاء بالجانب الغربي من بغداد في حياة أبيه، وصلى بالناس الجمعة في مدينة المنصور وبأمر من هارون الرشيد، ولم يزل على القضاء إلى أن مات سنة اثنتين وتسعين ومائة ببغداد ـ [قاله ابن خلكان].

حنظلة بن أبي عامر الغسيل

وأما الغسيل فهو حنظلة بن أبي عامر (الفاسقِ) بن صيفي بن النعمان بن مالك

--- >>

والثالثة: نعمة الغنى التي لا يتم العيش إلا بها. وروي أنه كان يجلس إليه رَجلٌ فيطيل الصمت فقال له أبو يوسف يوما: ألا تتكلم؟ فقال: بلى متى يفطر الصائم؟ فقال: إذا غابت الشمس، فقال: فإن لم تغب إلى نصف الليل؟!، فضحك أبو يوسف وقال: أصبت في صمتك وأخطأت أنا في استدعاء نطقك! ثم تمثل:

عجبت لإزراء الغبي بنفسه — وصمت الذي قد كان بالقول أعلما

وفي الصمت ستر للغبي وإنما — صحيفة لب المرء أن يتكلما

(1) يقال: "هو نسيج وحده" أي منفرد بخصال محمودة لا نظير له فيها.

بن أمية بن ضبيعة بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس الأوسي الضبعي، كان من خيار المسلمين وساداتهم ، ومن فضلاء الصحابة، واشتهر بلقبه "الغسيل" أو "غسيل الملائكة". وسبب تلقيبه به أنه رضي الله عنه تزوج جميلة بنت عبد الله بن أبيّ ابن سلول في الليلة التي في صبيحتها كانت وقعة أحد، فاستأذن رسول الله ﷺ في المبيت عندها في تلك الليلة فأذن له؛ فرأت جميلة تلك الليلة (ليلة أحد) في النوم كأنَّ بَابًا من السماء قد فتح فدخله وأغلق دونه، فعلمت أنها الشهادة؛ فدعت رجالا من قومها حين أصبحت فأشهدتهم على الدخول بها خشية أن يكون في ذلك نزاع.

ولما صلى حَنظلة الصبح وأراد الخروج إلى المعركة مال إلى زوجه جميلةَ فأجنب منها، وخرج يريد أن يغتسل فأعجلته الهيعة[1] عن الغسل وخرج إلى المعركة وهو جنب، فلحق بالقوم والنبي ﷺ يسوي الصفوف، ودَخل فيهم وقاتل معهم؛ فلما انكشف المسلمون اعترض حنظلة أبا سفيان بن حرب فضرب عرقوب فرسه، فوقع أبو سفيان عنه فاستعلى عليه حنظلة وكاد يذبحه بالسيف، فأتاه شداد بن الأسود بن شعوب الليثي ـ حليف العباس بن عبد المطلب ـ فقتله، فقام أبو سفيان وقال: حنظلة بحنظلة. ثم قال رسول الله ﷺ: «إن صاحبكم لتغسله الملائكة»، وفي رواية: «رأيت الملائكة تغسله في صحاف الفضة بماء المزن بين السماء والأرض»[2]. فالتمسوه في القتلى فوجدوا رأسه يقطر ماء وليس بقربه ماء، تصديقا لقوله عليه الصلاة والسلام. فسئلت زوجه جميلة فقالت: خرج وهو جنبٌ حين سمع الهاتفة،

(1) الهيعة والهائعة: الصوت المفزع.

(2) ذكره في الإصابة نقلا عن ابن إسحاق.

فقال صلى ا لله عليه وسلم: «لذلك غسلته الملائكة»[1]، وبذلك تمسك من قال من العلماء إن الشهيد يغسل إذا كان جنبًا[2].

ثم إن جميلة بنت عبد ا لله بن أبي حملت من حنظلة هذا بعبد ا لله بن حنظلة الغسيل - وولدته على عهد رسول ا لله ﷺ - فكان عند وفاة رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم ابن سبع سنين، وقد رآه وكان خَيِّراً فاضلا مقدمًا في الأنصار، وكان إمام أهل المدينة لما خلعوا يزيد فكانت عليهم وقعة الحرة سنة ثلاث وستين، واستشهد بها رضي ا لله عنه هو وثمانية من ولده.

عاصم بن ثابت حمي الدَّبْر

وأما عاصم بن ثابت فهو أبو سليمان عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح، واسم أبي الأقلح قيس بن عصمة بن النعمان بن مالك بن أمية بن ضبيعة بن زيد بن مالك بن

---

(1) ذكره ابن هشام في سيرته.

(2) اختلف الأئمة والعلماء في غسل الشهيد، فالجمهور على ترك غسله، ولو كان جُنبا أو حائضا، وهو الأصح، لما روي أن رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم أمر بشهداء أحد فدفنوا بثيابهم، وقال: «لا تغسلوهم فإن كل جرح - أو كل دم - يفوح مسكا يوم القيامة»، وقيل يغسل لأن كل ميت يجنب فيجب غسله، وبه قال الحسن البصري وسعيد بن المسيب وغيرهما. ولعلهم كانوا يرون أن ما فعل بقتلى أحد كان لموضع الضرورة لمشقة غسلهم، وقيل يغسل الجنب للجنابة لا بنية غسل الميت، لما في قصة حنظلة بن الراهب، وأجيب بأنه لو كان واجبًا ما اكتفى فيه بغسل الملائكة، وهذا بالنسبة لشهيد المعركة بين المسلمين والمشركين. واختلف أيضا في غسل سائر الشهداء الذين نص عليهم رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم. فعن أحمد والأوزاعي وجماعة: حكمهم حكم من قتله أهل الشرك، وعن مالك والشافعي: يغسلون. وسبب اختلافهم هو هل الموجب لرفع حكم الغسل هو الشهادة مطلقا، أو خصوص الشهادة على أيدي الكفار. فعلى الأول لا يغسل كل من نص صلى ا لله عليه وسلم أنه شهيد. وعلى الثاني يقصر على من مات في قتال المشركين. وا لله أعلم. [بداية المجتهد، وفتح الباري].

عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس. كان رضي ا لله عنه من السابقين إلى الإسلام، وشهد بدرا وأُحدا، وأمره رسول ا لله ﷺ على بعث الرجيع ـ كما مر في قصة خبيب البليع ـ وكان يقاتل يومئذ ويرتجز ويقول:

أبـــو سليمان ومثـــلي رامى وكان قـــــومي معشــرا كراما

ويقول أيضًا:

ما علــــــتي وأنا جلد بازل والقـــــوس فيها وتر عنابل[1]
تزل عن صفحتـــها المعابل[2] الموت حق والحياة باطــــــل
وكل ما حـــــم الإله[3] نازل بالمرء والمـــــــــرء إليه آئل
إن لم أقاتلكـــم فأمي هابل[4]

وكان قد قَتل يوم أحد بعض أبناء طلحة بن أبي طلحة العبدري[5]، وكانت أمهم سلافة بنت سعد بن شُهَيْدٍ الأنصارية الأوسية اخت بني عمرو بن عوف، في النسوة اللواتي حضرن أحدًا وعاينت موت بنيها وأبيهم يومئذ، فنذرت إن قدرت على رأس عاصم بن ثابت لتشربن فيه الخمر؛ وجعلت لمن يأتيها به مائة ناقة، فلما قتل يوم الرجيع أرادت هذيل أن يحتزوا رأسه ليبيعوه من سلافة، فأرسل ا لله عليهم مثل الظلّة من الدبر (وهو ذكور النحل) فحمته منهم، وحالت بينهم وبينه، فلم

---

(1) الجلد (بفتح فسكون): الشديد القوي. والبازل: الرجل الكامل في تجربته. والقوس: آلة على شكل نصف دائرة ترمي بها السهام، جمعها: قسي وأقواس. والوتر (محركة): شرعة القوس ومعلقها، جمعه: أوتار؛ ووتّر القوس: شد وترها. والعنابل (بوزن علابط): الشديد الغليظ.

(2) تزل: أي تزلق. وصفحتها: عرضها وجانبها. والمعابل: السهام، واحدها معبلة وهي نصل عريض طويل.

(3) حم الإله: قدره وهيأ أسبابه.

(4) هابل: فاقد ثكلى.

(5) منهم: الجلاس ومسافع ابنا طلحة بن أبي طلحة ، قتلهما عاصم.

يقدروا منه على شيء، فلما أعجزهم قالوا دعوه حتى يمسي فإن الدبر سيذهب إذا جاء الليل؛ فما جاء الليل حتى بعث الله عز وجل مطرا جاء بسيل فحمله، فلم يجدوا له بعدُ خبرا؛ فمن ذلك لقب بـ"حَمِيِّ الدَّبْرِ". وكان رضي الله عنه ممن حرم الخمر على نفسه في الجاهلية والإسلام وأعطى الله عهدا أن لا يمس مشركًا ولا يمسه مشرك (فلما بلغ عمرَ بنَ الخطاب أن الدبر منعه قال: يحفظ الله عبده المؤمن). كان عاصم نذر أن لا يمسه مشرك ولا يمس مشركا أبدًا في حياته، فمنعه الله بعد وفاته كما امتنع منه في حياته.

وعاصم هذا هو جد ـ أو خال ـ عاصم بن عمر بن الخطاب، ولذا سمي باسمه، وكانت وفاته رضي الله عنه سنة ثلاث أو أربع، وأخوه عامر بن ثابت بن أبي الأقلح هو الذي ضرب عنق عقبة بن أبي معيط. ومن ذريَّة عاصم بن ثابت: الأحوص، واسمه عبد الله بن محمد بن عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح الشاعر المشهور، مهاجي الفضل بن عتبة بن أبي لهب المتقدم ذكره عند قول الناظم: *وسبط عتبة مهاجي الأحوص*.. إلخ.

وكان الأحوص هذا شاعرا مفلقا مجيدا، ولشعره رونق وديباجة صافية وحلاوة وعذوبة ألفاظ، ولكنه كان هجَّاءً كثير التشبب[1] بالنساء ذوات الأخطار[2] من أهل المدينة؛ وتغنى بشعره فيهنَّ معبدٌ[3] ومالكٌ[4] المغنيان، فشاع ذلك في الناس، فنهي ولم ينته؛ فرفع أمره إلى سليمان بن عبد الملك، فكتب إلى عامله بالمدينة أن يضربه

(1) التشبب: شعر يتضمن لهواً وغزلا مخلا بالحياء أو معاقرة خمرٍ أو خلاعة.

(2) الخطر (جمعه أخطار): الشرف وارتفاع القدر.

(3) معبد: مغن مشهور عاش في الدولة الاموية، نشأ بالمدينة المنورة ثم رحل إلى الشام وتوفي سنة 52 هـ.

(4) هو مالك بن أبي السمح الطائي، مغن مشهور عاش في آخر الدولة الأموية وأول العباسية؛ أخذ الغناء عن معبد وجميلة، توفي بالمدينة المنورة سنة 63 هـ.

مائة سوط ويغربه ففعل؛ وسيره إلى جزيرة بين اليمن والحبشة، فمكث بها مدة خلافة سليمان وعمر بن عبد العزيز. وكان قد كتب إلى عمر بنِ عبد العزيز حين ولي الخلافة يمدحه ويستعطفه في أن يرده، فامتنع من ذلك. ومما كتب به إليه:

أيا راكبا إما عرضت فبلغن هديت أمير المؤمنين رسائلي

وقل لأبي حفص إذا ما لقيته لقد كنت نفاعًا قليل الغوائل

فكيف ترى للعيش طيبا ولذة وخالك أمسى موثقا في الحبائل

وتوجه إليه الناس في أن يرده فقال لهم: أليس هو القائل كذا وكذا؟!.. قالوا: نعم، فقال: والله لا أرده ما دام لي سلطان. فبقي هنالك إلى أن ولي الخلافة يزيد بن عبد الملك فرده وأعظم العطية له وأكرمه فمدحه الأحوص بأمداح كثيرة حسنة.

ومن بني ضبيعة بن زيد ـ أيضا ـ أبو سفيان بن الحارث بن قيس بن زيد بن ضبيعة بن زيد، استشهد بأحدٍ. ومنهم ـ أيضا ـ بنو العطاف بن ضبيعة الذِين منهم مجمع بن جارية بن زيد بن العطاف، قيل إنه جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ إلا سورة أو سورتين، وجعله عمر إمام مسجد قباء بعد سعد بن عبيد، ومات رضي الله عنه في آخر زمن معاوية، وكان أبوه جارية بن زيد على رأس الذين اتخذوا مسجد الضرار.

وأما خبيب البليغُ فهو خبيب بن عدي بن مالك بن عامر بن مجدعة بن جحجبى بن عوف بن كلفة بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس الأوسي الجحجبي ، وقد مر بعض التعريف به وقصة قتله وصلبه، وما أشار إليه الناظم من ابتلاع الأرض له عند قول الناظم:

للحارث بن عامر بن نوفل عقبة قاتل خبيب العلي

أحيحة بن الجلاح

وأما أحيحة فهو أبو عمرو أحيحة بن الجلاح بن الحريش بن جحجبى بن عوف بن كلفة بن عوف بن عمرو بن عوف الأوسي الجحجبي، كان شاعرا جاهليا من دهاة العرب وشجعانهم، وكان من سادات أهل يثرب وإليه ترجع سيادة الأوس منهم في الجاهلية، وكان كثير المال كثير الحصون والبساتين والمزارع بالمدينة وكان مرابيا وكان من الأجواد؛ روي أنه ضمن لكل وافد عليه من العرب إذا عقر ناقته على باب أطمه خلفها وقضاء حاجته، وكان ذلك دأبه. وفيه يقول الشاعر:

إذا ما رأيت العز في آل يثرب — فناد بصوت: يا أحيحة تمنع

رأيت أبا عمرو أحيحة جاره — يبيت قرير العين غير مروع

ومن يأته من خائف ينس خوفه — ومن يأته من جائع ثم يشبع

فضائل كانت للجلاح قديمة — وأكرم بفخر من خصالك الاربع

وكانت تحته سلمى بنت عمرو بن زيد بن لبيد بن حرام بن خداش بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار النجارية؛ فاتفق أن وقعت إحدى الحروب التي كانت بين الأوس والخزرج - وهي "حرب كعب" التي مر بعض الكلام عليها عند قوله: *ونزلوا على يهود يثرب..إلخ* - فأراد أحيحة أن يبيِّت قومها بني النجار، ففطنت لذلك وخدعته حتى نام، فتدلت من حائط زوجها ليلا وذهبت إلى أهلها بني النجار فأنذرتهم أحيحةَ وقومَه (فسميت لذلك بـ"المتدلية")؛ فلما أنذرتهم تأهبوا له، فلما أتاهم وجدهم في حالة استعداد له؛ فرجع ولم يقع كبير شيء. وكان أحيحة قد افتقدها، فلما رأى استعدادهم قال: هذا من فعل سلمى خدعتني حتى بلّغت قومها ما أردتُ بهم ، فضربها حتى كسر ذراعها وطلقها وأرسلها لأهلها، فما ضَل سعيُها ولا فال رأيُها؛ تزوجها بعد ذلك لباب صفوة العرب: هاشم بن عبد مناف، فولدت له شيبة الحمد (عبد المطلب) بن هاشم جد النبي ﷺ ، فكانت من جدّاته

صلى الله عليه وسلم. وإلى ذلك أشار الناظم بقوله: **لأهلها تدلت اذ بيتهم**... إلخ. وتوفي أحيحة في الجاهلية.

ومن ولده محمد بن عقبة بن أحيحة جاهلي أيضًا، كانَ فارسًا شريفا. وهو الذي نافر الزبرقان بن بدر إلى النابغة الذبياني بعكاظ؛ فلما تنافرا عليه قال محمد: أنا ابن أحيحة بن الجلاح، فقال الزبرقان: أنا ابن بدر بن عامر؛ فقال النابغة: أما عامر فصاحب ضأن وإبل وانتجاع ورحل وسهل وجبل؛ وأما الجلاح فصاحب حكم وشأن وفصاحة ولسان وكفاحة وطِعان وخيل ورهان وخمر وقيان.. فالجُلاحُ أفضل من عامر؛ وأما بدر فصاحب صيْد وسيف ورحلة في شتاء وصيف، وأما أحيحة فرأس معبود وخلق محسود قاد الجنود وعلم الجود وواهب ذات الحواشي لقيس بن زهير، ثمنها ثمانمائة ناقة، وضمن لكل من أتاه إذا عقر ناقته على باب داره خلفها واحتفظ على عياله.. فأحيحة أفضل من بدر؛ وأما الزبرقان فصاحب نساء وغزل وفتك وشجاعة وجهل؛ وأما محمد فصاحب بذل ونائل ومرتع للسائل وغياث للأرامل، أعان أخاه[1] عبد المطلب على حفر زمزم ونحر يوم كشف زمزم مائة بدنة وأطعمها أهل مكة.. فمحمد أفضل من الزبرقان؛ فنفَّر النابغة محمدا.

ومن ذرية أحيحة ـ أيضا ـ محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى بن بلال بن أحيحة، وعبد الرحمن بن عبد الله بن عيسى بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، وابنه بكر بن عبد الرحمن كلهم ولي قضاء الكوفة.

الجلاس بن سويد وعمير بن سعد

وأما الجلاس فهو ابن سويد بن الصامت بن خالد بن عطية بن حوط بن حبيب

---

(1) قوله: أخاه عبد المطلب، بل هو عمه لأنه أخو أبيه عقبة بن أحيحة لأمه، أمهما سلمى بنت عمرو.

بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس الأنصاري الأوسي، أسلم وصحب وحضر مع النبي ﷺ بعض المغازي، ولكن كانت له نزعة، فقد عد من المنافقين وممن تخلف عن غزوة تبوك، وكان يثبط الناس عن الخروج؛ وكانت تحته أم عمير بن سعد بن عبيد بن النعمان أخي بني عمرو بن عوف.

وكان عمير بن سعد هذا يتيما في حجره، وكان الجلاس له بمنـــزلة الأب يكفله وينفق عليه ويحسن إليه، فلما قدم صلى الله عليه وسلم من تبوك مكث مدة ينـــزل عليه القرآن ويعيب المنافقين المتخلفين، فعند ذلك قال الجلاس مقالته المشهورة وهي: والله إن كان ما يقوله محمد في إخواننا الذين تخلفوا بالمدينة حقا مع أنهم أشرافنا لنحن شر من الحمر!. فسمعه ربيبه عمير بن سعد المذكور فقال له: يا جلاس والله لقد كنت أحب الناس إلي وأحسنهم عندي يدا وأعزهم عليَّ أن يدخل عليه شيء يكرهه ولقد قلت مقالة لئن ذكرتها لأفضحنك ولئن كتمتها لأهلكن ولإحداهما أهون من الأخرى. قال الجلاس: اكتمها عليَّ يا بنيّ، فقال: لا والله؛ ثم سار إلى رسول الله ﷺ وذكر له مقالة الجلاس، فبعث النبي صلى الله عليه وسلم إلى الجلاس فسأله عما قال عميرٌ، فأنكر ذلك وحلف بالله ما تكلم به قط وإن عميرا لكاذب ـــ وكان عمير حاضرا ـــ فقام وقال: اللهم أنزل على رسولك بيان ما تكلمت به، فأنزل الله على رسوله ﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ ﴾[1] ـــ الآية، فاعترف الجلاس بذنبه، وقال: والله لقد قلته وصدق عمير فتاب وحسنت توبته ولم ينـــزع عن خير كان يصنعه إلى عمير، فكان ذلك مما عرفت به توبته، ولم يسمع عمير من الجلاس شيئا يكرهه بعدها؛ وحمد أمر الجلاس

---

(1) التوبة: 75.

إلى أن مات. و لم يزل عمير بن سعد منها بعد ذلك في علياء، فسماه عمر بـ"نَسِيجُ وَحْدِهِ" لإعجابه بـه، واشتهر بهـذا اللقـب؛ وكـان عمـر يقـول فيـه: وددت أن لي رجالا مثل عمير بن سعد أستعين بهم على أعمال المسلمين. وشهد رضـي ا لله عنـه فتوح الشام وكان من الزهاد، واستعمله عمر على حمص. واختلف في تاريخ وفاته، فقيل مات في خلافة عمر وقيل في خلافة عثمان وقيل في عهد معاوية.

الحارث بن سويد وقتله في أول قصاص

وأما الحارث بن سويد بن الصامت فقيل كان منافقا، ولكنه تبرَّأَ من النفاق عند قتله؛ وكان من أمره أنه شهد أحدًا مع المسلمين فلما كانوا في أثناء القتال رأى غرة من المجذر بن ذياد البلوي فاغتاله غدرا، و لم يعلم بذلك أحد ، فـنزل جـبريل بذلـك على النبي ﷺ، وأمره أن يقتل الحارث به، فنهض رسول ا لله صلى ا لله عليـه وسـلم إلى قباء في وقت لم يكن يأتيهم فيه فاجتمع إليه بنو عمرو بن عـوف، فأتى الحارث في جملتهم وعليه حلة له مورسة[1] فأمر صلى ا لله عليـه وسـلم بعـض الأنصـار (وفي رواية أنه أمر عويم بن ساعدة بضرب عنقه)، فقال الحارث: وفيـم يـا رسـول ا لله؟ فقال: «لقتلك المجذر بن ذياد يوم أحد غيلـة»[2]، فمـا زاد علـى أن قـام ومـد عنقـه واعترف بذلك وقال: يا رسول ا لله وا لله ما قتلت المجـذر شـاكا في ديـني ولا نفاقـا ولكني لما رأيت قاتل أبي لم أتمالك أن قتلته ـ وكان المجذر هــذا قـد قتـل سـويد بـن الصـامت قبيـل حـرب بعـاث ـ فقتـل صلـى ا لله عليـه وسـلم الحـارثَ هـذا قـودا،

---

(1) الحلة (بالضم): الثوب الجيد الجديد غليظا كان أم رقيقا، والمورسة: المصبوغة بالورس، وهو صبغ أصفر أو أحمر.

(2) أخرجه ابن الأثير [كما في الإصابة] والغيلة: الاغتيال.

وانصرف ولم يجلس؛ فكان الحارث هذا أول من أقيد[1] في الإسلام ــ [كما في الاستبصار].

ويروى ــ أيضا ــ أن الحارث بن سويد هذا رجع عن الإسلام في عشرة نفر، فهربوا ولحقوا بمكة، ثم ندم الحارث ورجع حتى إذا كان قريبا من المدينة أرسل إلى أخيه الجلاس بن سويد إني قد ندمت على ما صنعت فسل لي رسول الله ﷺ هل لي من توبة إن رجعت؟ فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله؛ فأخبر الجلاس النبي ﷺ بخبر الحارث وندامته وشهادته، فأنزل الله تعالى ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[2]. فلما علم الحارث أقبل على رسول الله ﷺ واعتذر له وتاب إلى الله، فقبل منه صلى الله عليه وسلم.

وفي قصة قتل الحارث للمجذر يقول حسان بن ثابت رضي الله عنه:

يا حار في سِنة[3] من نوم أولكم ... أم كنت ويحك مغترا بجبريل

أم كنت بابن ذياد حين تقتلــه ... بغرة في فضاء الأرض مجهول

وكان سويد بن الصامت (والد الجلاس والحارث هذين) من سادات قومه، وكانوا يدعونه بالكامل لشرفه ونسبه[4] وكان قدم مكة مرة فلقيه رسول الله ﷺ وعرض عليه الإسلام فأعجبه وقارب الإسلام ولم يسلم، فرجع إلى المدينة فوقعت بعاث فقتله المجذر فيها. وسويد هذا ابن خالة عبد المطلب، أمه ليلى بنت عمرو النجارية أخت سلمى بنت عمرو أم عبد المطلب بن هاشم، وكان شاعرا ؛ ومن شعره:

---

(1) أقيد (بالبناء للمفعول): قتل قصاصا بمن قتله، والقود: القصاص وقتل القاتل بدل القتيل.

(2) آل عمران: 89.

(3) حار: ترخيم الحارث. والسنة (بالكسر): النعسة.

(4) كانوا يسمون الرجل بالكامل إذا كان فارسا شاعرا شريفا كاتبا راميا سابحا جلدا جوادا.

ألا رب من تدعــو صديقا ولو ترى	مقالته بالغيـــب ساءك ما يفري[1]
مقالته كالشهد ما دام شاهــــــدا	وبالغيب مأثور على ثغرة النحــر[2]
يسرك باديــه وتحــت أديمــه	نميمة غـــش تبتري عقب الظهر[3]
تُبين لك العينان ما هــــو كاتم	من الغل والبغضاء بالنظــر الشزر
فرشـــــني بخير طالما قد بريتني	وخير المــوالي من يريش ولا يبري[4]

والمجذر هو ابن ذياد بن عمرو بن أخرم البلوي الخزرجي حليف بـني عـوف بـن الخزرج، كان شاعرا فارسا، أسلم مع بـني الخـزرج وصحـب، وشـهد بـدرا وأحـدا واستشهد به على يد الحارث بن سويد ـ كما مرَّ.

ومن بطون بني عمرو بن عوف بن مالك ـ ممن لم يذكر النـاظم ـ بنـو لـوذان، وبنو وائل ابني عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس. فمن بني لوذان بـن عمـرو بنـو مالك بن لوذان الذين كانوا يعرفون في الجاهلية ببني الصماء نسـبة إلى أمهـم، وهـي امرأة من مزينة، وقيل هي امرأة كانت قد أرضعت أبـاهم فنسبوا إليهـا ، فسـماهم رسول ا لله ﷺ بني السَّمِيعَة، منهم صيفي بن ساعدة بن عبد الأشهل بـن مـالك بـن لوذان بن عمرو بن عوف، خرج مـع النبي ﷺ في بعـض المغـازي فتـوفي بـالكديد، فكفنه صلى ا لله عليه وسلم بقميصه ودفنه هناك. ومنهم عبد الرحمـن بـن شـبل بـن عمرو بن زيد بن نجدة بن مالك بن لوذان الأنصاري الأوسي، له صحبة ورواية.

---

(1) يفري: يأتي بالكذب ويختلقه.

(2) المأثور: من الأثر وهو فرند السيف، أي كأنه سيف على ثغرة النحر، ومعناه: أنه يقـول في غيـابك ما لا يقول في حضورك.

(3) باديه: ظاهره. وأديمه: جلده (يعني داخله). وتبتري: تقطع.

(4) فرشني: أي أعني وقوني. وبراه: نحته وأضعفه. ويريـش: يعـين وينفـع. ولا يـبري: لا يضـر، يقـال: "فلان لا يريش ولا يبري" أي لا يضر ولا ينفع.

ومن بطون بني عمرو بن عوف أيضا بنو حنش بن عوف بن عمرو، وقد دخلوا في بني ضبيعة بن زيد. ومن بني حنش (بن عوف بن عمرو) هؤلاء سهل وعثمان ابنا حنيف بن واهب بن العُكَيم بن ثعلبة بن مجدعة بن الحارث بن عمرو بن حنش بن عوف، لهما صحبة. شهد سهل منهما بدرا وما بعدها، وكان ممن ثبت يوم أحد، وبايع فيه على الموت، وشهد صفين مع علي وولاه فارس، ومات بالكوفة سنة ثمان وثلاثين. وأما عثمان بن حنيف فولاه عليٌّ على البصرة، وكان واليَها في وقعة الجمل. ومنهم أسعد بن سهل بن حنيف، محدث.

ومن بطون بني عمرو بن عوف أيضا: بنو معاوية بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف، منهم حاطب بن الحارثِ بن قيس بن هيشة بن الحارث بن أمية بن معاوية بن مالك (بن عوف بن عمرو بن عوف) فيه كانت حرب حاطب بين الأوس والخزرج. ومنهم جبر بن عتيك بن الحارث بن قيس بن هيشة بن الحارث بن أمية، شهد بدرا وسائر المشاهد، وكانت معه راية بني معاوية يوم الفتح. روي عن عبد الله بن عبد الله بن جبر بن عتيك عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ عاده في مرضه، فقال قائل من أهله: إن كنا لنرجو أن تكون وفاته شهادة في سبيل الله[1] فقال رسول الله ﷺ: «إن شهداء أمتي ـ إذن ـ لقليل، القتيل في سبيل الله شهيد والمبطون شهيد والمطعون شهيد والمرأة تموت بجُمْع شهيدة والحرق شهيد والغرق شهيد والمجنوب شهيد»[2].

ومنهم سعد بن النعمان بن زيد بن أكّال بن لوذان بن الحارث بن أمية بن

---

(1) يعني أنهم لا يريدون موتًا على الفراش، بل قتلاً في سبيل الله.

(2) أخرجه أحمد والنسائي وأبو داوود وابن ماجه ـ كما في الجامع الصغير ـ والمبطون: الذي يموت من داء البطن. والمطعون: الذي يموت بالطاعون. وجُمْع (بضم الجيم وسكون الميم): أن تموت المرأة وفي بطنها ولد. والمجنوب: من مات بذات الجنب.

معاوية، خرج معتمرا بعد وقعة بدر فأسره أبو سفيان بن حرب بن أمية، وكان ابنه عمرو بن أبي سفيان أسر يوم بدر؛ فأرسل أبو سفيان إلى قوم سعد هذا:

أَرَهطَ ابنِ أكّال أجيبوا دعاءه تفاقدتم لا تسلموا السيد الكهلا

فإن بني عمرو لئام أذلة لئن لم يفكوا عن أسيرهم الكبلا

فمشى بنو مُعاوية إلى رسول الله ﷺ فأخبروه الخبر، وسألوه أن يعطيهم عمرو بن أبي سفيان فيفكوا به صاحبهم، فوهبه لهم فبعثوا به إلى أبي سفيان فخلّى سبيل سعد.

فائدة: جبرئيل (ويقال جبريل، وفيه لغاتٌ أُخر[1]): اسم سرياني، ومعناه عبد الرحمن أو عبد العزيز، هكذا جاء عن ابن عبَّاس موقوفًا ومرفوعا أيضًا، والوقف أصح؛ وأكثر الناس على أن آخر الإسم منه هو اسم الله وهو "إيل"، وذهبت طائفة من أهل العلم إلى أنَّ الإضافة في هذه الأسماء مقلوبة ـ وكذلك الإضافة في كلام العجم، يقولون في *غلام زيد*: *زيد غلام*، فعلى هذا يكون "إيل" عبارة عن العبد، ويكون أول الإسم عبارة عن اسم من أسماء الله تعالى، فيكون جبريل، وميكائيل[2] مثل عبد الله وعبد الرحمن، فقد تَكرر لفظ العبد فيهما بلفظ واحد، واختلفت ألفاظ الأسماء. وروي عن أشهب قال سئل مالك عن التسمي بجبريل أو من يسمي به ولده، فكره ذلك ولم يعجبه. [قاله في الروض الأنف].

ولما أنهى الناظم الكلام على الأوس، شرع في الكلام على إخوتهم الخزرج، فقال رحمه الله وعفا عنه:

---

(1) قرأ نافع وأبو عمرو البصري وابن عامر الشامي وحفص عن عاصم "جبريل" (بكسر الجيم وبلا همز)، وعبد الله بن كثير المكي "جَبريل" (بفتح الجيم بلا همز)، وحمزة والكسائي "جبرئيل" (بفتح الجيم والراء وهمز ممدود بالكسر)، وشعبة عن عاصم "جبرئل" (بفتح الجيم والراء وقصر الهمزة).

(2) قرأ نافع "ميكائل" (بقصر الهمز)، والبصري وحفص عن عاصم "ميكال" (بحذف الهمز)، والباقون "ميكائيل" (بمد الهمز).

الكلام على بني الخزرج بن حارثة*

لِلْخَزْرَجِ الْحَارِثُ عَوْفُ جُشَمُ   كَعْبُ وَعَمْرُو الْعَزِيزُ مِنْهُمُ
مِنْ عَمْرٍو[1] النَّاجِرُ بِالْقَدُومِ   أَبُو عَدِيٍّ كَعْبَةِ الْقُرُومِ
وَمَالِكٍ وَمَازِنٍ ..   ..

قوله **الحارث**: مبتدأ خبره الجار والمجرور قبله. و**الخزرج** (بوزن جعفر): هو ابن حارثة بن العنقاء بن مزيقيا، أخو الأوس الذي مر الكلام على بنيه؛ والخزرج هو أبو الحي الثاني من قبيلة الأنصار وبه كان يعرف حيا الأنصار من الأوس والخزرج قبل. وقوله **عوف، جشم، كعب** (بالرفع كلهم): معطوفون على الحارث بحذف العاطف. وقوله **عمرو**: مبتدأ و**العزيز** صفته. وقوله **منهم**: خبر عمرو، والضمير فيه عائد على الحارث والمعطوفين عليه. و**العزيز**: الشريف القوي.

يعني أن أبناء الخزرج بن حارثة خمسة وهم: الحارث وعوف وجشم وكعب وعمرو، وكلهم أبو بطن؛ ومنهم تفرعت بطون الخزرج وانتشرت.

قوله **الناجر** مبتدأ خبره المجرور قبله، والناجر: الناحت للخشب ونحوه، المزيل للنجارة (بضم النون) وهي ما يسقط من الخشب عند ما ينجر، والنجار (ككتان):

---

* تكلم الناظم على بني الخزرج بن حارثة في مائة وسبعة أبيات، وذكر بطونهم الكبرى وهي خمسة: بنو عمرو بن الخزرج وبنو جشم بن الخزرج وبنو عوف بن الخزرج وبنو الحارث بن الخزرج وبنو كعب بن الخزرج، ثم ذكر سبعة عشر بطنا متشعبة من هذه البطون، وذكر اثنين وستين رجلا من أعيانهم، وسيأتي تفصيل ذلك عند كل بطن.

(1) تناول الناظم الكلام على بني عمرو بن الخزرج في نحو خمسين بيتا، وذكر منهم بطنين هما بنو غنم، وبنو مبذول، ثم ذكر من أعيانهم خمسة وعشرين رجلا وثلاث نسوة.

الذي حرفته نجر الخشب، والمراد بالناجر هنا النجار بن ثعلبة بن عمرو بن الخــزرج، ولقب بالنجار لأنه ضرب وجه رجل اسمه العِتْر بقدوم فنجره، وقيل لأنه اختتن بهـا وقيل كان نجارا. واسم النجار ـ في الأصل ـ تيم اللات فسماه النبي ﷺ: تيم ا لله[1].

وقوله **بالقدوم**: متعلق بالناجر، والقدوم (كصبور): آلة النحت والنجـر. وقولـه **أبـو عدي**: صفة للناجر. **وكعبة** (بالجر): صفة لعدي، والكعبة في الأصل البيـت المرتفـع ولذا سمي البيت الحرام كعبة لارتفاعه ، والكعب: الشرف والمجـد ، يقـال أعلـى ا لله كعبهم أي رفع شأنهم. **والقروم**: جمع قرم للسيد. وقوله **ومـالك ومـازن** (بـالجر): معطوفان على عدي.

يعني أن من ولد عمرو بن الخزرج النجار بن ثعلبة بن عمـرو بـن الخزرج والـد عدي ومالك ومازن بني النجار بن ثعلبة بن عمرو، وكلهم أبو بطن؛ ومنهم تفرعت قبائل بني النجار؛ وهي بنو عدي بن النجار وبنو مالك بـن النجـار وبنـو مـازن بـن النجار؛ وبقي عليه منهم بطن رابع وهو بنو دينار بن النجار.

هذا وقد وصف الناظم رحمه ا لله عمرو بن الخزرج بالعز الـذي هـو الشـرف ـ دون إخوته ـ لأن منه بني النجار أخوال النبي ﷺ ، فكان له الفضل والشرف بذلـك على سائر إخوته، وأخره عنهم في الذكر في البيت ليبدأ بالكلام عليه، كمـا وصـف ابنه عديا بن النجار بكونه كعبة إخوته وعشيرته لأن بيته أرفع من بيوتهم وأشـرف، ثم وصف بني النجار عموما بالسيادة على بني عمومتهم ووصـف منهـم بـني عـدي خاصة بالعلو والرفعة على إخوتهم، وكل ذلك لخؤولتهم للنبي ﷺ.

ثم أخذ يتكلم على بني النجار، وبدأ ببني عدي منهم، فقال رحمه ا لله:

---

(1) بسبب انتساب الأنصار إليه فكره أن يكون في أنسابهم ذكر الـلات، وتيـم الـلات: عبدهـا، وتيـم ا لله: عبده، والمتيم: المعبّد المذلل.

بنو عدي بن النجار*

... فَمِنْ عَدِي	أَنَسُ عَمُّ أَنَسٍ ذِي الْعَدَدِ
وَصِنْوِهِ الْبَرَاءِ وَهْوَ الْقَاتِلُ	لَدَى الْبِرَازِ مِائَةً ، أَلدَّاخِلُ
عَلَى أَبِي ثُمَامَةٍ وَشَبْرَقُوهْ	وَخَيَّمَتْ شَهْرًا تُدَاوِيهِ الْوُجُوهْ
يَعْتَادُهُ الأَفْكَلُ عِنْدَ الْمُصْطَدَمْ	يُضَبَّطُ مِنْهُ وَيَبُولُ مِنْهُ دَمْ
ثُمَّ يَكُونُ أَشْجَعَ النَّاسِ فَمَا	لَهُ يَقُومُ عَسْكَرٌ إِذَا انْتَمَى
آلَى عَلَى اللهِ بِالْفَتْحِ وَالْمَوْتِ الذِي مِنْهُ ابْتَغَاهْ	فَبَرَّهُ الإِلَهْ

قوله **أنس**: مبتدأ خبره الجار والمجرور قبله. **وعم أنس** (بالرفع): صفة لأنس. وقوله **ذي العدد** (بالجر): صفة لأنس الأخير، أي صاحب العدد؛ والمراد بالعدد هنا الكثرة في الولد والمال والعمر. وقوله **وصنوه** (بالجر): عطف على أنس الأخير، والصنو: الأخ الشقيق. **والبراء** (بالجر): بدل من صنوه، وجملة **وهو القاتل** ..إلخ: صفة للبراء. **والبراز** (بالكسر): المبارزة. **ومائة** (بالنصب): مفعول به للقاتل. **والداخل**: عطف على القاتل بحذف العاطف. **وأبو ثمامة** هو مسيلمة الكذاب. **وشبرقوه**: أي مزقوه، وفاعله ضمير عائد على قوم أبي ثمامة؛ واستغني عن ذكرهم بذكر بعضهم وهو أبو ثمامة، قال ابن بونه في الجامع بين التسهيل والخلاصة:

* أولاد النجار أربعة: عدي ومالك ومازن ودينار، وكلهم أبو بطن. وبدأ الناظم بعدي ومنه تفرعت عدة بطون أخرى، فمن تلك البطون بنو عامر بن غنم بن عدي وتفرعوا إلى عدة أفخاذ منهم بنو حرام بن جندب بن عامر بن غنم وبنو مالك بن عدي بن عامر بن غنم، وقد تناول الناظم الكلام عليهم في ثلاثة عشر بيتا، وذكر من أعيانهم سبعة رجال: أربعة من صميمهم واثنين منهم بالحلف وأدرج فيهم واحدا، والمشهور أنه ليس منهم. والله أعلم.

واستغن عن مفسر الضمير   بالكل والجزء وبالنظيرِ

والضمير المنصوب في **شبرقوه** عائد على البراء. **وخيمت**: أقامت بالمكان أو بنت خياما وأقامت بها. والضمير في **تداويه** عائد على البراء. **والوجوه** فاعله، وهم العظماء، والمراد بهم هنا خالد بن الوليد وجيشه. **ويعتاده**: ينتابه. **والأفكل**: الرعدة. **والمصطدم** (بصيغة اسم المفعول): مكان اصطدام الأبطال، والمراد به محل القتال. **ويضبط** (بالبناء للمفعول): أي يمسك. والضمير في **منه** عائد على الأفكل ؛ ووقف على **دم** بوقف ربيعة الذين يقفون على المنون المنصوب بالسكون[1]، والضمير المستتر في **يكون** عائد على البراء. **وانتمى**: انتسب أي إذا قال: أنا البراء بن مالك انهزم عدوه. وقوله **آلى**: أي حلف. وقوله **بالفتح**: أي غلبتهم للعدو وانهزامه أمامهم. **والموت** (بالجر): عطف على الفتح، والمراد به الشهادة في سبيل الله. **وابتغاه**: طلبه.

يقول ومن بني عدي بن النجار أنس بن النضر بن ضمضم وابنا أخيه أنس خادم رسول الله ﷺ والبراء أحد أبطال الإسلام الذين أبلوا فيه بلاء حسنا.

هذا وقد بدأ الناظم في الكلام على الخزرج ببني النجار لأنهم أخواله صلى الله عليه وسلم، ثم بدأ ببني عدي من بني النجار لأنهم أقرب بني النجار إليه صلى الله عليه وسلم، واقتصر على بني عامر بن غنم بن عدي من بني عدي بن النجار لأنهم فصيلة أم جده عبد المطلب بن هاشم وهي سلمى بنت عمرو (المتدلية)، وقد مر بعض خبرها في الكلام على زوجها أحيحة بن الجلاح الأوسي. ومن فروع هذا

---

(1) قال شاعرهم:

ألا حبذا غنم وحسن حديثها   لقد تركت قلبي بها هائما دنفْ

البطن بنو حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي، وبنو مالك بن عدي بن عامر بن غنم، فمن بني حرام أنس بن النضر وابنا أخيه: أنس خادم رسول الله ﷺ والبراء ابنا مالك بن النضر الذينَ ذكرهم الناظم.

أما أنس عم أنس فهو أنس بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار الخزرجي النجاري، عم أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ. كان رضي الله عنه من أفاضل الصحابة وأجلائهم. شهد أُحُداً وأبلى فيه بلاء حسنا واستشهد به. روي عن أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ قال: غاب عمي أنس بن النضر عن يوم بدر، فقال: يا رسول الله غبت عن أول قتال قاتلت فيه المشركين والله لئن أشهدني الله قتال المشركين ليرين الله ما أصنع. فلما كان يوم أحد وانكشف المسلمون قال: اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء — يعني أصحابه — وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء — يعني المشركين — وكان رضي الله عنه قد مر بعمر وطلحة في رجال من المهاجرين والأنصار قد ألقوا ما بأيديهم فقال: ما يجلسكم؟ قالوا: قتل رسول الله ﷺ ، قال: فما تصنعون بالحياة بعده قوموا فموتوا على ما مات عليه نبيكم، ثم استقبل العدو وتقدم فاستقبله سعد بن معاذ فقال: يا سعد واها لريح الجنة.. ورب النضر إني لأجد ريحها دون أحد، قال سعد: فما استطعت يا رسول الله أن أصنع ما صنع. فقاتل حتى قتل؛ قال أنس بن مالك: فوجدنا به بضعا وثمانين ما بين ضربة بسيف وطعنة برمح ورمية بسهم، ووجدناه قد مثل به فما عرفه إلا أخته الرُّبَيِّعُ[1] عرفته ببنانه، فنـزل فيه قـوله تعالى ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَـٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْـهِ فَـمِنْهُم مَّن قَـضَىٰ نَـحْبَـهُۥ

(1) هي بضم الراء وفتح الموحدة وكسر وتشديد الياء التحتية.

وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا ﴾[1].

وروي أن أخته الربيع بنت النضر هذه كانت قد كسرت سنَّ جارية، فأتى أهل الجارية رسول الله ﷺ فأمر بالقصاص فعرض بنو النضر عليهم الأرش[2] فامتنعوا فسألوهم العفو فأبوا، فقام أنس بن النضر وقال: أتكسر سن الربيع يا رسول الله؟! والذي بعثك بالحق لا تكسر ثنيتها[3]. فقال رسول الله ﷺ: «يا أنس كتاب الله القصاص»، فعفا القوم؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره»[4].

وأما أنس ذو العدد فالمراد به أبو حمزة أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم، خادم رسول الله ﷺ سَمِيُّ عمِّه أنس بن النضر المتقدم، أمه رضي الله عنه أم سليم بنت ملحان الأنصارية الصحابية، أتت به وهو ابن عشر سنين إلى النبي ﷺ قدومه المدينة وقالت: يا رسول الله هذا أنس غلام يخدمك، فقبله صلى الله عليه وسلم، وكانت الأنصار تتقرب إلى رسول الله ﷺ بالهدايا رجالا ونساء ولم تجد أم سليم ما تهديه إليه، فأهدت إليه ابنها أنساً بن مالك؛ وخرج به رسول الله ﷺ إلى بدر يخدمه، ولم يذكر في البدريين لأنه لم يكن في سن من يقاتل؛ ولم يزل معه حتى توفي صلى الله عليه وسلم وهو ابن عشرين سنة. وروي أن أم سليم هذه قالت يوما لرسول الله ﷺ: يا رسول الله ادع الله لخادمك أنس، فقال: «اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيه»[5] فكان رضي الله عنه من أكثر الأنصار مالا وولدا، فكان له

---

(1) الأحزاب: الآية: 23.

(2) الأرش: دية الجراحات.

(3) الثنية: واحدة الثنايا، وهي أسنان مقدم الفم في الفكين (ثنتان من فوق وثنتان من أسفل).

(4) أخرجه البخاري ومسلم وأحمد.

(5) وفي رواية: «وبارك له فيما أعطيته» رواه مسلم.

بستان يحمل الفاكهة في السنة مرتين وكان فيه ريحان يجيء منه ريح المسك، وكان له من الولد ثمانون؛ منهم ثمانية وسبعون ذكرا وابنتان هما حفصة وأم عمرو، وقيل لم يمت حتى مشى أمامه من ذكور ولده وولد ولده خاصة مائة رجل يرجعون بنسبهم إليه. وروي أنه قال: دعا لي رسول الله ﷺ وقال: «اللهم أكثر ماله وولده وأدخله الجنة»[1]، قال: وقد رأيت اثنتين وأنا أرجو الثالثة.

وكان أحد المكثرين من الرواية عن رسول الله ﷺ - كما مر - وشهد الفتوح وأقام بالمدينة بعده صلى الله عليه وسلم مدة ثم انتقل منها إلى البصرة وقطن بها إلى أن توفي في قصره بالطف على فرسخين من البصرة، ودفن هناك سنة إحدى وتسعين - وقيل اثنتين وتسعين - عن مائة إلا سنة، وقيل مائة وثلاث سنين، وقيل في سِنه وتاريخ وفاته غير ذلك. وكان آخر الصحابة موتا بالبصرة، وقيل بل كان من آخرهم موتا مطلقا. وكان من ولده وعقبهم محدثون كثيرون وقضاة. روي عنه أنه قال: خدمت النبي ﷺ تسع سنين فما قال لي لشيء قط صنعته أسأت أو بيس ما صنعت. وكان رضي الله عنه أحد الرماة المصيبين، وكان يأمر ولده أن يرموا بين يديه وربما رمى معهم فيغلبهم بكثرة إصابته، وكان يشد أسنانه بالذهب ويلبس الخز ويتعمم به، ومناقبه رضي الله عنه لا تحصى.

البراء بن مالك وبعض صفاته

وأما أخوه البراء بن مالك بن النضر الخزرجي النجاري فقيل كان شقيقه أسن منه (وقيل بل أخوه لأبيه)، وأما أمه فهي سحماء أم شريك، فهو أخو أنس بن مالك لأبيه وأخو شريك بن سحماء لأمه. وكان البراء من فضلاء الصحابة، شهد

(1) ذكره في الإصابة ، وروى مسلم نحوه.

أحدا وما بعدها من المشاهد مع رسول الله ﷺ ، وكان حسن الصوت يرجز لرسول الله صلى الله عليه وسلم في بَعض أسفاره ويحدو به. وكان له بلاء حسن وأخبار عجيبة في كل من يوم اليمامة (في خلافة أبي بكر الصديق) ويوم تستر (في خلافة عمر الفاروق)، رضي الله عنهم. واستشهد يوم حصن تستر. وقد أشار الناظم إلى ذلك مع ضميمة ذكر بعض صفاته رضي الله عنه.

وحاصل ما أشار إليه من خبر البراء بن مالك هذا أنه كان من الأبطال الأشداء؛ روي أنه كان إذا لقِيَ العدو تأخذه رعدة شديدة حتى يضبطه الرجال مليا ثم يفيق فيبول بولا أحمر كأنه نقاعة الحناء[1]، فإذا انتشى من ذلك لا يقوم شيء أمامه مهما بلغ من الشجاعة ويصير مثل الأسد. روي أنه لما كان يوم اليمامة التقى الجيشان، جيش خالد بن الوليد وجيش مسيلمة، فكانت الجولة الأولى لجيش مسيلمة؛ فعند ذلك أعاد خالد تنظيم جيشه، وحرضهم على الجهاد، ودارت بين الفريقين رحى معركة ضروس[2] لم تعرف حروب المسلمين لها نظيرا من قبل، وثبت قوم مسيلمة في ساحة الوغى[3] ثبات الجبال الراسيات ولم يلتفتوا لكثرة ما أصابهم من القتل، ولكن المسلمين أبدوا من خوارق البطولات أروع وأعظم مما أبداه العدو؛ وأبلى فيها كثير من أبطال المسلمين بلاء حسنا، مثل ثابت بن قيس الأنصاري وزيد بن الخطاب، أخي عمر وسالم مولى أبي حذيفة، ولكن البراء بن مالك كان فوق ذلك كله. فقد روي أنه لما حمي الوطيس واشتد الأمر التفت إلى قومه وقال: يا معشر

---

(1) الرعدة: الاضطراب يكون من الفزع وغيره. وضبطه أمسكه وقهره. ومليا: أي وقتا. والنقاعة (بالضم): اسم ما نقع فيه الشيء من ماء ونحوه. والحناء (بالكسر) نبات يتخذونه للخضاب الأحمر.

(2) ضروس: أي شديدة مهلكة.

(3) الوغى: الحرب.

الأنصار لا يفكرن أحد منكم بالرجوع إلى المدينة فلا مدينة لكم بعد اليوم وإنما هو الله وحده ثم الجنة، وحمل على المرتدِّين وحملوا معه وانبرى يشق الصفوف ويعمل السيف في رقاب أعداء الله حتى تزلزلت أقدام مسيلمة وأصحابه؛ فلجأوا إلى حديقة مسيلمة التي باليمامة فدخلوا فيها وتحصنوا بها وجعلوا يمطرون المسلمين بنبالهم من داخلها فتتساقط عليهم كتساقط المطر، واستحر القتل في المسلمين

فعند ذلك أخذ البراء ما كان يأخذه فانتفض فضبطه أصحابه وجعل يقول: مدوني إلى الأرض، فلما أفاق سري عنه[1] وهو مثل الأسد فقال: يا معشر المسلمين ألقوني عليهم فأشغلهم عنكم حتى تدخلوا فاحتمل حتى أشرف على الجدار فاقتحم منه ونزل عليهم نزول الصاعقة؛ فقاتلهم على الحديقة حتى فتح الباب فتدفق عليهم المسلمون داخل الحديقة وأعملوا السيوف في رقاب العدو حتى قتلوا منهم حوالي عشرين ألفا عند ذلك وصلوا إلى مسيلمة فأردوه قتيلا وفتح الله على المسلمين، وأصيب البراء ببضع وثمانين جراحة ما بين ضربة بسيف وطعنة برمح ورمية بسهم. فحمل إلى رحله وأقام عليه خالد شهرا يداويه حتى برئ. وإلى ذلك أشار الناظم بقوله: **وشبرقوه**.. إلخ.

وروي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يكتب إلى جيوشه لا تستعملوا البراء بن مالك على جيش من جيوش المسلمين فإنه مهلكة من المهالك يقدم بهم.

وروي أنه صلى الله عليه وسلم قال: «كم من ضعيف مستضعف ذي طمرين لا يُؤبَه له لو أقسم على الله لأبره منهم البراء بن مالك»، وفي رواية: «رب أشعث

---

(1) سري (بالبناء للمفعول): أي زال عنه ما كان يجد من الرعدة والهم.

أغبر لا يؤبه له لو أقسم..»[1]. ولما كان يوم تستر[2] لقي المسلمون من زحوف المشركين جهدا عظيما، فقال المسلمون: يا براء إن رسول الله ﷺ قال إنك لو أقسمت على الله لأبرك فأقسم على ربك، فقال: أقسمت عليك يا رب لما منحتنا أكتافهم وألحقتني بنبيك صلى الله عليه وسلم، فحمل وحمل الناس معه وقتلوا بعض عظماء الفرس وسلبوهم فانهزم الفرس ومنح الله المسلمين أكتافهم واستشهد البراء بعد أن انتصر المسلمون، قتله الهرمزان وقتل معه مجزأة بن ثور السدوسي بعد أن قتل كل منهما يومئذ مائة رجل من المشركين مبارزة سوى من شارك في قتله، وقيل كانت تلك المائة التي قتلها البراء مبارزة قبل يوم "تستر" الذي استشهد به رضي الله عنه.

ومن بني حرام بن جندب بن عامر بن غنم أيضا أم سليم وأم حرام بنتا ملحان بن خالد بن زيد بن حرام بن جندب الآتي ذكرهما. ومنهم أيضا أبو زيد قيس بن السكن بن قيس بن زعوراء بن حرام بن جندب، غلبت عليه الكنية ؛ قيل إنه أحد الأربعة الذين جمعوا القرآن على عهد رسول الله ﷺ - وسيأتي ذكرهم - شهد أبو زيد هذا بدرا والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتل يوم جسر أبي عبيد عن غير عقب.

---

(1) أخرجه الترمذي في المناقب، وروى مسلم نحوه. والضعيف: ذو الضعف (ضد القوة)، والمستضعف: الذي يعد ضعيفا. وذي طمرين: تثنية طمر (بالكسر): وهو الثوب الخلق أو الكساء البالي من غير الصوف جمعه: أطمار. ولا يؤبه له: أي لا يهتم به. وأقسم عليه: حلف عليه. وأبره: أمضى يمينه على الصدق. والأشعث: المتلبد الشعر. والأغبر: أغبر الجسم المتغير من الغبار.

(2) تستر: مدينة في خوزستان من بلاد فارس. وفي *نهاية الأرب* أن "تستر" هي أكبر مدينة بعربستان كانت بها وقعة للمسلمين على الفرس عام سبعة عشر – [الطبري: ج2/ص500]. وكل هذه المناطق تقع في إيران اليوم.

ولما ذكر الناظم رحمه الله أنساً بن مالك ذكر بذكره مولاه سيرين بن عمرو والد محمد بن سيرين المشهور وألحقه به، فقال:

سِيرِينُ مَوْلَى أَنَسِ بْنِ مَالِكِ مِنْ سَبْيِ عَيْنِ التَّمْرِ جِيلُ النَّاسِكِ

وَبِالْمُعَبِّرِ ابْنِ سِيرِينَ الْعَلَمْ جَاءَتْ لِذِي الْخِلَالِ مَوْلَاةٌ وَكَمْ

دَعَا لَهَا عِنْدَ الزَّوَاجِ مِن مَّكِينْ وَزَفَّفَتْهَا أُمَّهَاتُ الْمُؤْمِنِينْ

سيرين (بكسر السين المهملة وبالرفع): عطف - بحذف العاطف - على أنس الذي مر ذكره، ويحتمل أن يكون مبتدأ حذف خبره تقديره: ومن بني عدي بن النجار أيضا سيرين. **ومولى أنس** ..إلخ: صفة له أو عطف بيان عليه. **والسبي**: أسر العدو، والغالب تخصيص الأسر بالرجال والسبي بالنساء[1]. **وعين التمر**: موضع قرب الأنبار غربي الكوفة، فتحه خالد بن الوليد في خلافة أبي بكر رضي الله عنهما. **وجيل الناسك** (بالرفع): مبتدأ خبره المجرور قبله. **والجيل** (بكسر الجيم): الصنف من الناس[2] والمراد به هنا قومه. **والناسك**: العابد، والمراد به سيرين. يقول: ومن بني عدي بن النجار - بالولاء - سيرين بن عمرو مولى أنس بن مالك، رضي الله عنهما.

وقوله **وبالمعبِّر** (بوزن محدث): متعلق بـ**جاءت**، والمراد به محمد بن سيرين. **والعلَم** (بالتحريك): الجبل العالي الذي يهتدى به، وهو صفة لمحمد بن سيرين وصفه به لأنه كان من أعلام المسلمين الذين يهتدى بهَديهم ويقتدى بسيرتهم. **وذو**

---

(1) كانوا يقولون للأخيذ: "أسيراً" والأصل في ذلك أنهم كانوا إذا أخذوا أسيرا شدوه بالقد فلزم هذا الاسم كل مأخوذ شد به أو لم يشد.

(2) فالترك جيل، والروم جيل، والصين جيل.. وكل قوم يختصون بلغة جيل ؛ جمعه: أجيال.

الخلال: أبو بكر الصديق رضي الله عنه. **ومولاة**: فاعل جاءت، واسم هذه المولاة صفية. **والمكين** (كأمير): ذو المكانة أي المنزلة. والضمير في **دعا لها** وفي **زففتها** عائد على مولاة، وزففتها: أهدتها إلى زوجها.

يعني أن سيرين هذا تزوج مولاة لأبي بكر الصديق، فدعا لهما أجلاء الصحابة عند زواجه بها، فولدت له محمدا بن سيرين العالم الجليل المشهور بتعبير الرؤيا.

أما سيرين فهو التابعي الجليل سيرين بن عمرو النجاري مولى أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ، وكان قد صار إليه من غنائم عين التمر التي جاء بها خالد بن الوليد؛ وكان خالد قد توجه إلى عين التمر في خلافة أبي بكر الصديق بعد فراغه من قتال أهل الردة، وكان بها يومئذ بهرام بن سوس في جمع عظيم من العجم، وعقة بن أبي عقة في جمع عظيم من العرب؛ من النمر بن قاسط وتغلب وإياد وغيرهم.. فهزمهم خالد وأكثر فيهم الأسر وهدم حصونهم ووجد في بيعتهم أربعين غلاما يتعلمون الإنجيل، فقال لهم: من أنتم؟ فقالوا: رهن، فقسمهم. ومن أولئك الغلمان سيرين[1] بن عمرو هذا؛ ثم صار بعد مولى لأنس بن مالك فأعتقه، وقد قال فيه حين سأله عنه أبو بكر الصديق: ما عرفته إلا صحيح الدين رضي الخلق موفور المروءة[2]. ولما أعتقه أنس اشتغل بالتكسب فكان نحاسا ماهرا يتقن صناعة القدور، ثم خطب سيرين عند أبي بكر مولاته صفية، وكانت جارية وضيئة الوجه ذكية الفؤاد كريمة الشمائل محببة إلى كل من عرفها من نساء المدينة، وكان أشد الناس حبا لها أمهات المؤمنين ولاسيما عائشة رضي الله عنها. ولما أراد أبو بكر أن

---

(1) ومنهم أيضا: أبو زياد مولى ثقيف، وحمران مولى عثمان بن عفان، ومنهم نصير والد موسى بن نصير الفاتح المشهور.

(2) موفور المروءة: تام النخوة كامل الرجولة.

يزوجها من سيرين جمع لذلك جمعا كبيرا من الصحابة وتولى عقدها أبيّ بن كعب ودعا لهما وأمن على دعائه الخلفاء وأكابر الصحابة، وقد روي أنه حضر زواجه بها ثمانية عشر بدريا، فكان ذلك من أسباب نجابة بنيها، وطيبتها وزينتها ثلاث من أمهات المؤمنين حين زفت إلى زوجها. فولدت لسيرين أبناء وبنات منهم محمد وأنس ويحيى ومعبد وخالد وعمرة وأم سليم وسودة وغيرهم.

محمد بن سيرين المعبر للرُّؤيا

وأما محمد بن سيرين فقد ولد لسنتين بقيتا من خلافة عثمان بن عفان وتربى ونشأ في بيت التقى والورع وتردد في أخذ العلم على كثير ممن أدرك من الصحابة، وكبار التابعين فكان من فقهاء وفضلاء التابعين، رأى ثلاثين من الصحابة وروى عن مولاه أنس بن مالك وزيد بن ثابت وابن عباس وابن الزبير وأبي هريرة وأبي سعيد الخدري وأبي قتادة وعمران بن حصين وعائشة وغيرهم.. فامتلأ علما وحكمة وتفقه في الكتاب والسنة واشتهر بالعلم والصلاح والورع والعبادة، وكان ثقة مأمونا مفتيا. ثم انتقلت أسرته إلى البصرة، التي كانت آنذاك من مراكز العلم والتعليم، فتعلم بها وتكسب فكان يغدو على مسجد البصرة فيتعلم فيه ويعلم حتى إذا ارتفع النهار خرج إلى السوق فيبيع ويشتري ويذكر الناس بالآخرة ويبصرهم بالدنيا ويفصل فيما شجر بينهم ويرشدهم إلى ما يقربهم من الله حتى إذا أقبل الليل رجع إلى بيته وأقبل على عبادة ربه والبكاء من خشيته، وقد منحه الله تعالى قبولا وتأثيرا، وكانت سيرته العملية خير مرشد للناس؛ وقد أعطي سمتا وهديا[1] فكان إذا

---

(1) السمت: الزي في الملابس وغيرها ويستعمل لهيئة أهل الخير، يقال: "ما أحسن سمت فلان": أي هيئته. والهدي: الطريقة والسيرة، يقال: ما أحسن هديه: أي سيرته.

رآه الناس وهم غافلون انتبهوا فذكروا الله وكبروا وهللوا، وكان إذا سئل عن الحلال والحرام تغير لونه وتبدل حتى كأنه ليس بالذي كان، وكان يدخل السوق نصف النهار ويكبر ويسبح ويذكر الله، فقيل له في ذلك فقال: إنها ساعة غفلة؛ وكان يصوم يوما ويفطر يوما، وكان مجلسه مجلس خير وبر وموعظة، وكان إذا ذكر عنده رجل بسبة[1] ذكره هو بأحسن ما يعلم فيه. وقد روي أنه سمع يوما رجلا يسب الحجاج بعد موته فأقبل عليه وقال: صه[2] يا ابن أخي فإن الحجاج مضى إلى ربه وإنك حين تقدم على الله عز وجل ستجد أن أحقر ذنب ارتكبته في الدنيا أشد على نفسك من أعظم ذنب اجترحه[3] الحجاج فلكل منكما يومئذ شأن يغنيه، واعلم يا ابن أخي أن الله عز وجل سوف يقتص من الحجاج لمن ظلمهم كما سيقتص للحجاج ممن يظلمونه فلا تشغلن نفسك بعد اليوم بسب أحد.

هذا وقد كانت لمحمد بن سيرين هذا اليد الطولى في تعبير الرؤيا وكان مشهورا بذلك وله في تأويلها غرائب عجيبة. روي أن امرأة جاءته يوما وهو يتغدى فقالت: رأيت القمر دخل في الثريا ونادى مناد من خلفي إيتي ابن سيرين فقصي عليه؛ فتغير لونه وقام وهو آخذ على بطنه فقالت له أخته: ما بالك؟ قال: زعمت هذه أني ميت بعد سبعة أيام! فمات بعد سبعة أيام. وكانت وفاته في شوال سنة مائة وعشرين ـ وقيل مائة وعشر ـ وله سبع وسبعون سنة، ومناقبه رضي الله عنه لا تحصى.

---

(1) السبة (بضم السين وتشديد الباء الموحدة): العار والعيب.

(2) صه (بفتح الصاد المهملة وبسكون الهاء وكسرها مُنونّةً): كلمة زجر للمتكلم أي: اسكت.

(3) اجترحه: أي اكتسبه وارتكبه.

ومن حلفاء بني عدي بن النجار ـ أيضا ـ سوّاد[1] بن غزية بن وهب البلوي، شهد بدرا والمشاهد بعدها، وهو الذي غمزه النبي ﷺ في خاصرته بقدح كان بيده[2] يعدل به القوم ويسوي به الصفوف وقال له: «استو يا سواد» فقال سواد: يا رسول الله أوجعتني وقد بعثك الله بالحق والعدل فأقدني، فكشف له رسول الله ﷺ عن بطنه الشريف وقال له: «استقد»، فاعتنقه وقبل بطنه، فقال صلى الله عليه وسلم: «ما حملك على هذا يا سواد»؟[3] قال: يا رسول الله حضر ما ترى فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدي جلدَك، فدعا له رسول الله ﷺ بخير. وسواد هذا هو الذي أسر خالدا بن هشام المخزومي يوم بدر، وكان عامل رسول الله ﷺ على خيبر.

ثم ذكر الناظم بعض أعيان بني مالك بن عدي بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار، فقال رحمه الله:

حَارِثَةُ الْبَرُّ رَأَى جِبْرِيلاَ   مَعَ النَّبِيِّ وَوَعَى تَرْتِيلاَ

فِي جَنَّةِ الْخُلْدِ لَهُ النَّبِيُّ   وَهَكَذَا سَمِيُّهُ الأَبِيُّ

حَارِثَةُ الْقَتِيلُ بَعْدَ مِهْجَعِ   وَأُمُّهُ عَلَيْهِ ذَاتُ جَزَعِ

وَسَكَّنَ النَّبِيُّ إِذْ أَخْبَرَهَا   بِنَيْلِ نَجْلِهَا الْجِنَانَ حَرَّهَا

---

(1) قال ابن هشام: يقال سوَّاد بن غزية (مثقلة)، وسواد في الأنصار غير هذا (مخفف). قال ابو ذر: وبالتخفيف قيده الدارقطني وعبد الغني ـ [سيرة ابن هشام: ج2/ص266].

(2) غمزه: أي جسه. والخاصرة: الجنب مما فوق رأس الورك. والقدح (بالكسر): السهم قبل أن ينصل ويراش، جمعه قداح وأقداح.

(3) رواه ابن إسحاق عن ابن حبان وابن عبد البر في الاستيعاب ـ [كما في الإصابة].

حارثة: مبتدأ خبره محذوف، أي ومن بني النجار أيضا حارثة. **والبر** (بفتح الموحدة): المتقي ربه المطيع لوالديه، ووصفه بالبر لقول رسول الله ﷺ فيه: «كذلك البر كذلك البر»[1]. وجملة **رأى جبريل**.. إلخ: صفة لحارثة. وقوله **ووعى**: أي حفظ. **والترتيل**: تجويد القرآن في مهل. والضمير في **له** عائد على حارثة، **والنبي** فاعل وعى. وقوله **سميه**: مبتدأ خبره **هكذا** مقدم عليه، **وسميه**: أي موافقه في الاسم. **والأبي**: الذي يأبى الضيم. **وحارثة** (بالرفع): بدل من سميه. **والقتيل**: فعيل بمعنى مفعول أي المقتول وهو صفة لحارثة. **ومهجع** (بوزن منبر): هو ابن صالح مولى عمر بن الخطاب أول قتيل من المسلمين ببدر. والضمير في **أمه** وفي **عليه** عائد على حارثة. **والجزع**: الحزن. **وسكن** (بتشديد الكاف) فاعله **النبي** ومفعوله **حرها** آخر البيت، والمراد به حرارة حزنها أي شدته. وجملة **إذ أخبرها** اعتراضية. وقوله **بنيل نجلها**: مفعول ثان لأخبرها وهو مصدر مضاف إلى فاعله. **والجنان** (بكسر الجيم وبالنصب): مفعوله.

حارثة بن النعمان

يقول ومن بني النجار ثم من بني عدي منهم: حارثة بن النعمان وسميه حارثة بن سراقة النجاريان. أما حارثة البر فهو أبو عبد الله حارثة بن النعمان بن نفيع ــ أو رافع ـ بن زيد بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار الخزرجي النجاري، أمه جعدة بنت عبيد بن ثعلبة بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار. شهد حارثة هذا بدرا وما بعدها من المشاهد مع رسول الله ﷺ، وكان من فضلاء الصحابة، روي عنه أنه قال: رأيت جبريل مرتين: يوم خروج النبي ﷺ إلى بني

(1) أخرجه النسائي وأحمد والطبراني ـ [كما في الإصابة].

قريظة حين مر بنا في صورة دحية بن خليفة الكلبي فأمرنا بلبس السلاح، ويوم رجوعنا من حنين مررت به وهو يكلم النبي ﷺ ؛ ولم أسلم مخافة أن أقطع حديثهما فقال جبريل: «من هذا يا محمد»؟ قال: «حارثة بن النعمان» قال: «أما إنه من المائة الصابرة يوم حنين الذين تكفل الله بأرزاقهم في الجنة ولو سلم لرددنا عليه السلام». وفي رواية قال: مررت على رسول الله ﷺ ومعه جبريل قاعدا فسلمت عليه وجزت، فلما رجعت وانصرف النبي ﷺ قال لي: «هل رأيت الذي كان معي»؟ قلت: نعم، قال: «فإنه جبريل وقد رد عليك السلام»[1].

وروي عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «نمت فرأيتني في الجنة فسمعت صوت قارئ فقلت من هذا؟ فقيل: حارثة بن النعمان»؛ فقال النبي ﷺ: «كذلك البر كذلك البر»[2]. وكان رضي الله عنه أبر الناس بأمه. وكانت لحارثة بن النعمان منازل قرب منزل النبي ﷺ بالمدينة فكان كلما أحدث رسول الله ﷺ أهلا تحول له حارثة عن منزل بعد منزل حتى قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لقد استحييت من حارثة بن النعمان مما يتحول لنا عن منازله»[3]. وكان رضي الله عنه قد ذهب بصره فاتخذ خيطا أو حائطا من مصلاه إلى باب حجرته ووضع عنده مكتلا[4] فيه تمر، فكان إذا جاء المسكين سَائلا أخذ من مكتله شيئا ثم أخذ بطرف الخيط أو الحائط حتى يناوله، فكان أهله يقولون له: نحن نكفيك، فيقول: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «مناولة المسكين تقي

(1) أخرجه أحمد وابن سعد والهيثمي.

(2) أخرجه النسائي وأحمد والطبراني - [كما في الإصابة].

(3) أخرجه ابن سعد في طبقاته.

(4) المكتل والمكتلة (بكسر الميم فيهما): زنبيل من خوص يحمل فيه التمر وغيره، جمعه: مكاتل.

ميتة السوء»[1]. وتوفي رضي الله عنه في خلافة معاوية.

هذا وما يقتضيه سياق النظم من أن حارثة ين النعمان هذا من بني عدي بن النجار لم أقف عليه في غيره، والمعروف أنه من بني مالك بن النجار ـ بني عمومتهم ـ فلعل الناظم رحمه الله وقف على ما نص عليه في غير ما وقفت عليه من الكتب؛ ومن المعلوم أن الأنساب معرضة لاختلاف الرأي فيها والرواية، وقد جرت عادة أصحاب السير أن يذكروا الرجل في بطن غير بطنه ويُدرجوه فيه لعدة أسباب: مثلما إذا كان في عدادهم أو يسكن فيهم أو مولى لهم أو حليفا فيهم، ولو كان من بني عمومتهم. قال ابن هشام: ربما كانت دعوة الرجل في القوم أو يكون فيهم فينسب إليهم وليس منهم في الأصل فقد نسبوا معاذاً بن جبل إلى بني سلمة وليس منهم وإنما هو من بني أدي بني عمومتهم، ونسبوا عتبة بن غزوان إلى بني سليم بن منصور وليس منهم وإنما هو من بني مازن بن منصور بني عمومتهم ، ونسبوا الحكم بن عمرو إلى بني غفار بن مليل وليس منهم وإنما هو من بني نعيلة ابن مليل بني عمومتهم.. ومثل هذا لا ينحصر، والله أعلم.

وأما حارثة القتيل بعد مهجع فهو حارثة بن سراقة بن الحارث بن عدي بن مالك بن عدي بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار الخزرجي النجاري، أمه الربيع بنت النضر عمة أنس بن مالك التي مر بعض خبرها؛ وكان حارثة هذا عظيم البر بأمه. شهد بدرا وهو غلام وكان من أول من انتدب إليه واستشهد به رضي الله عنه، قيل كان أول قتيل به، وقيل ثاني قتيل؛ فقد قتل قبله مهجع مولى عمر بن الخطاب الذي كان أول قتيل من المسلمين يومئذ. روي أن حارثة هذا رماه حبان

---

(1) أخرجه الطبراني وابن عبد البر ـ [كما في الإصابة].

بن العرقة بسهم فأصاب حنجرته ــ وقيل وقع في ثغرة نحره ــ وهو يشرب من الحوض (وكان قد خرج نظارا) فمات. ولما استشهد جاءت أمه الربيع إلى النبي ﷺ وقالت: يا رسول الله قد علمت مكان حارثة مني فإن يكن في الجنة أصبر وأحتسب وإن كان غير ذلك فسترى ما أصنع، وفي رواية اجتهدتُ في البكاء؛ وفي رواية أخرى: وإن يكن في النار بكيت ما عِشت في دار الدنيا.. فقال رسول الله ﷺ: «يا أم حارثة أوَجنَّة واحدة هي؟ إنما هي جناتٌ وإن ابنك لفي الفردوس الأعلى»، فرجعت تضحك وتقول: بخ بخ لك يا حارثة[1].

ومهجع المذكور هو سيد الشهداء مهجع بن صالح، أصله من اليمن وقيل من عك بن عدنان، كان قد أصابه سِباء[2] فوصل إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأعتقه. وكان من السابقين إلى الإسلام وهو أول من خرج للقتال من المسلمين يوم بدر فكان أيضا أول قتيل به من المسلمين رضي الله عنه، أصيب يومئذ بسهم لا يدرى راميه، وقيل رماه به عامر بن الحضرمي. وعن ابن عباس أنه كان ممن نزل فيهم قوله تعالى ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[3].

---

(1) أخرجهُ البخاري وأحمد وابن عبد البر وأبو نعيم، كما في الحلية. وبخ بخ: تقال بسكون الأول وتنوين الثاني وبتنوينهما مخففتين ومشددتين وبتسكينهما، وهي كلمة تقال عند الرضا والإعجاب بالشيء. [القاموس].

(2) أي أخذ في سبي، والسباء: أسر العدو؛ والغالب تخصيص الأسر بالرجال والسبي بالنساء.

(3) الأنعام: الآية: 52.

ومن بني مالك بن عدي بن عامر بن غنم أيضا عمرو بن ثعلبة بن وهب بن عدي بن مالك بن عدي بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار، أمه أم حكيم بنت النضر بن ضمضم عمة أنس بن مالك، فهو ابن خالة حارثة بن سراقة المتقدم، وكان ممن شهد بدرا. ومنهم محرز بن عامر بن مالك بن عدي بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار، أمه سعدى بنت خيثمة بن الحارث (خالُه سعد بن خيثمة)، شهد بدرا وتوفي يوم خروج النبي ﷺ إلى أحد؛ وإثر صلاته عليه خرج صلى الله عليه وسلم إلى أحد.

ومنهم سليط بن قيس بن عمرو بن عبيد بن مالك بن عدي بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار، أمه زغبة بنت زرارة بن عدس (خالُه أسعد بن زرارة)، وكان رضي الله عنه من كاسري أصنام بني عدي بن النجار، وشهد بدرا وما بعدها واستشهد يوم جسر أبي عبيد سنة أربع عشرة. ومنهم صرمة بن قيس بن صرمة بن مالك بن عدي بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار، أسلم وهو شيخ كبير وكان قد رفض الأوثان في الجاهلية.

ولما أنهى الناظم الكلام على بني عدي بن النجار أخذ يتكلم على بني عمهم مالك بن النجار، فقال رحمه الله وعفا عنه:

بنو مالك بن النجار*

مِن مَّالِكٍ غَنْمٌ[1] قَبِيـــلُ أَسْعَدِ هُمْ نَقَّبُوا مِنْ بَعْدِهِ بِأَحْمَـدِ
وَطَلْحَةُ دَعَا لَهُ أَن يَّضْحَـكَا إِلَيْهِ رَبُّ الْعَـــرْشِ حِينَ هَلَكَا
نَبِيُّنَا وَمَـنْ أَضَافَ الْمُجْتَبَى بِطَيْبَـــةٍ بَعْدَ ارْتِحَالٍ مِّنْ قُبَا
حَتَّى بَنَى مَسَاكِـــنَ الأَزْوَاجِ وَهْوَ بِخَيْرِ الْخَلْــقِ ذُو ابْتِهَاجِ

قوله **غنم** (بفتح فسكون): مبتدأ خبره المجرور قبله، والمراد بنو غنم. **وقبيل** (بالرفع): بدل من غنم أو عطف بيان عليه وهو بوزن (أمير) أي رهط أو بطن أسعد. **وأسعد** (بوزن أحمد) هو أبو أمامة أسعد بن زرارة. **وهم**: ضمير عائد على غنم. **ونقبوا**.. إلخ: أي اتخذوا أحمد ﷺ نقيبا عليهم بعد موت نقيبهم أسعد بن زرارة المذكور. والضمير في **من بعده**: عائد على أسعد. **وأحمد** من أسمائه صلى الله

---

* أولاد مالك بن النجار هذا ثلاثة: غنم، وفيه العدد والكثرة، وعمرو ومبذول، واسمه عامر. ويعتبر بطن بني مالك بن النجار هذا من أهم بطون الخزرج، وقد تفرع إلى بطون عديدة وتشعبت من تلك البطون أفخاذ كثيرة، فمن تلك البطون: بنو ثعلبة بن غنم وبنو عبد عوف بن غنم وبنو سواد بن غنم بن مالك. ومنها بنو معاوية بن عمرو، ويقال لهم بنو حُديلة (بالحاء المهملة وبصيغة التصغير)، نسبوا إلى أمهم حديلة بنت مالك بن زيد الله الخزرجية الجشمية أم معاوية. ومنها بنو عدي بن عمرو عرفوا بأمهم مغالة بنت فهيدة بن عامر بن بياضة البياضية أم عدي بن عمرو، ومن بطونهم أيضا: بنو مبذول عامر بن مالك بن النجار، وقد تناول الناظم الكلام على بني مالك هؤلاء في اثنين وثلاثين بيتا، وذكر بطونهم هذه، إما بتصريح وإما بتلويح بذكر بعض أفرادها؛ وذكر من أعيانهم ستة عشر رجلا، وأشار إلى تسعة آخرين.

(1) أولاد غنم بن مالك بن النجار هذا ثلاثة: ثعلبة وعبد عوف وسواد بنو غنم وتفرع من كل واحد منهم فخذ.

عليه وسلم، قال تعالى ﴿ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾[1].

يقول ومن بني مالك بن النجار بنو غنم بن مالك، بطن أسعد بن زرارة نقيب بني النجار. وأسعد هذا هو أبو أمامة أسعد بن زرارة بن عدس بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار الخزرجي النجاري ، كان أحد الستة الذين لقيهم النبي ﷺ بالعقبة فآمنوا به فكانوا أول من أسلم من الأنصار، وقدموا بالإسلام على المدينة وحضر العقبتين الأولى والثانية، وكان أحد النقباء. وهو أول من مات من الأنصار بعد قدوم النبي ﷺ المدينة؛ وقيل إنه أول دفين بالبقيع. ولما مات جاءت بنو النجار إلى النبي ﷺ فقالوا: يا رسول الله مات نقيبنا فنقب علينا، فقال: «أنتم أخوالي وأنا نقيبكم»[2] فكانت لهم مفخرا يفخرون به على قومهم أن كان رسول الله ﷺ نقيبهم، وكان صلى الله عليه وسلم قد كره أن يخص بها بعضهم دون بعض، وإلى ذلك أشار بقوله: **هم نقبوا**.. إلخ، وقد مر بعض التعريف بأسعد هذا في الستة المذكورين.

قوله **وطلحة** (بالرفع): عطف على **غنم**، وجملة **دعا له**.. إلخ: صفة له. **ورب العرش**: فاعل **يضحك**. **وحين**: متعلق بيضحك. وفاعل **هلك**: ضمير مستتر عائد على طلحة. وقوله **نبينا** (بالرفع): فاعل **دعا له**.

يقول ومن بني مالك بن النجار أيضا طلحة بن البراء الذي دعا له النبي ﷺ بعد موته. وطلحة هذا هو ابن البراء بن عمير بن وبرة بن ثعلبة بن غنم بن سُرَيٍّ (بوزن قصي) بن سلمة بن أنيف البلوي الأنصاري، حليف بني عمرو بن عوف الأوسيين ثم من بني جحجبى بن عوف بن كلفة منهم. وكان طلحة هذا قد لقي النبي ﷺ

---

(1) الصف: الآية: 6.

(2) أخرجه الحاكم في المستدرك ــ كما في الإصابة.

وهو غلام حدث فجعل يدنو منه ويلصق به ويقبل قدميه ويديه ويقـول: يـا رسـول الله مرني بما أحببت فلا أعصي لك أمرا، فضحك صلى الله عليه وسـلم وقـال لـه: «اذهب فاقتل أباك»، فانقلب موليا ليفعل فدعاه النبي ﷺ وقال له: «إنـي لم أبعـث بقطيعة رحم ولكن أحببت أن لا يكون في دينك ريبة»[1]. وكان رضي الله عنه من أبر الناس بأمه؛ وفي رواية أنه لقي النبي ﷺ وقال له: ابسط يـدك أبـايعك، فقـال لـه صلى الله عليه وسلم: «على ماذا»؟ فقال على الإسلام، فسر رسول الله ﷺ بذلك وأعجب به، ثم مرض طلحة بعـد ذلـك فأتـاه رسـول الله ﷺ يعوده فقـال: «إنـي لأرى طلحة قد حدث فيه الموت فآذنوني به وعجلوا فإنه لا ينبغي لجيفـة مسـلم أن تحبس بـين ظهرانَـيْ أهلـه»[2] فحضـره المـوت ليـلا فقـال لأهلـه إذا مـت فـادفنوني وألحقوني بربي ولا توذنوا بي رسول الله ﷺ فإني أخاف عليه اليهـود وأن يصـاب في سببي ولكن إذا أصبحتم فاقرئوه مني السلام وقولوا له فليسـتغفر لي. فلمـا أصبـح رسول الله ﷺ أخبر به فجاء حتى وقف على قبره وصف الناس معه وصلى عليه ثم رفع يديه وقال: «اللهم الْقَ طلحة وأنت تضحك إليه وهو يضحك إليـك»[3]. وإلى ذلك أشار بقوله **وطلحة دعا له**.. إلخ؛ وقد روى حديثـه هـذا حصـين بـن وحـوح الذي مر ذكره.

---

(1) أخرجه الطبراني في الأوسط، والبغوي - [كما في الإصابة].

(2) يقال آذن يؤذن إذا أعلم، قـال تعـالى ﴿قـالوا ءاذنـاك﴾ أي أسمعنـاك وأعلمنـاك. وظهرانـي (بفتـح النون): أي وسط أهله. والحديث أخرجه أبو داوود في سـننه: 2 / 178، ولا بـأس أن ينتظـر بهـا مقدار ما يجتمع لها جماعة، لما يؤمل من الدعاء له إذا صلـي عليـه مـا لم يخـف عليـه أو يشـق علـى الناس - [نص عليه أحمد/ المغني لابن قدامة].

(3) حديث: «اللهم الق طلحة..» أخرجه أبو نعيم كما في الإصابة، ومعناه القه لقاء متحابين مظهريـن لما في أنفسهما من رضى ومحبة - [الروض الأنف].

هذا وقد تبع الناظم هنا ـ في عده طلحة بن البراء هذا في بني مالك بن النجار ـ صاحب الحلة السيراء الذي عده في مشاهير بني ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار وأدرجه فيهم؛ والمشهور أنه بلوي النسب أنصاري بالحلف، فهو حليف لبني عمرو بن عوف، كما في الإصابة والاستيعاب وغيرهما.. أو لعله إنما عُـدَّ فيهم لأنه كان في عدادهم، وا لله أعلم.

وقوله **ومن أضاف**.. إلخ: عطف أيضا على غنم من قوله **من مالك غنم**، والمراد به أبو أيوب الأنصاري، **وأضاف** فلانا: أنزله ضيفا عنده، والضيف: النازل عند غيره ، والضيافة: القِرى. **والمجتبى**: المختار، وهما من أسماء رسول ا لله ﷺ. وقوله **بعد ارتحال من قبا**: أي بعد ارتحاله صلى ا لله عليه وسلم عن أهل قباء إلى المدينة. وقوله **حتى بنى**: متعلق بأضاف، وفاعل **بنى**: ضمير مستتر عائد على المصطفى ﷺ. والمراد **بمساكن الأزواج**: حجرات أمهات المؤمنين. وضمير **وهو** عائد على **من أضاف**. **والابتهاج**: الفرح.

يقول: ومن بني مالك بن النجار ـ أيضا ـ أبو أيوب الأنصاري الذي أضاف النبي ﷺ بطيبة إلى أن بنى الحجرات وانتقل إليها.

أبو أيوب وخبر نزول النبي ﷺ عليه

وأبو أيوب هذا هو الصحابي الجليل خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة بن عبد عوف بن غنم بن مالك بن النجار؛ الخزرجي النجاري[1]، كان من السابقين إلى الإسلام، حضر العقبة الثانية وشهد بدرا وجميع المشاهد بعدها مع رسول ا لله ﷺ، وكان ملازما للجهاد معه صلى ا لله عليه وسلم حياته وبعده حتى توفي في خلافة

---

(1) من بني عبد عوف بن غنم بن مالك بن النجار.

معاوية. شهد الفتوح حتى قيل إنه لم يتخلف عن غزاة إلا وهو في أخرى، وكان مع علي في حروبه كلها وفي قتاله للخوارج. ولم يزل رضي الله عنه يواصل الجهاد إلى أن توفي بالقسطنطينية من بلاد الروم على ظهور الجياد الصافنات[1] غازيا تحت إمرة يزيد بن معاوية سنة إحدى وخمسين - وقيل اثنتين وخمسين - وسنه تقارب الثمانين. وكان قبره على باب القسطنطينية قرب سورها معروف معظم عند أهلها يستسقون به فيسقون ويستشفون به فيصحون. وروي أنه رضي الله عنه أخذ شعرات من شعر لحية رسول الله ﷺ فقال له صلى الله عليه وسلم: «لا يُصيبك السوء يا أبا أيوب».

وحاصل ما أشار إليه الناظم من قصة ارتحال النبي ﷺ من قباء ونزوله بطيبة على أبي أيوب الأنصاري وفرحه بنزوله صلى الله عليه وسلم عليه بل وفرح أهل المدينة جميعا ؛ أنه صلى الله عليه وسلم أقام في بني عمرو بن عوف أربع عشرة ليلة عند كلثوم بن الهدم وأسس مسجد قباء، وهو المسجد الذي ﴿أسس على التقوى من أول يوم﴾، ولما أراد المسير من قباء إلى المدينة اجتمعت بنو عمرو بن عوف وقالوا: أخرجت ملالا منا أم تريد دارا خيرا من دارنا؟ قال: «إني أمرت بقرية تأكل القرى[2] فخلوها - يعني ناقته - فإنها مأمورة»[3]. وكان بنو النجار أخوال

---

(1) الجياد: جمع جواد للفرس السريع الجري. والصافنات: جمع صافن وهو الواقف، قال النابغة:

لنا قبة مضـــروبة بفنائها   عتاق المهارى والجياد الصوافن

وقيل الصافن: الواقف على ثلاث قوائم وطرف حافر الرابعة كما قال الشاعر:

ألف الصفونَ فما يزال كأنه   مما يقـوم على الثلاث كسيرا

(2) أخرجه البخاري عن أبي هريرة. وذلك لما يفتح الله على أيدي أهلها من المدن ويصيبون من الغنائم.

(3) أخرجه الحاكم وغيره - [كما في فتح الباري].

جده عبد المطلب قد جاءوا متقلدين السيوف وأحاطوا به صلى ا لله عليه وسلم وبأبي بكر وقالوا: اركبا آمنين مطاعين، فركب صلى ا لله عليه وسلم ناقته القصوى[1]، وكان ذلك يوم الجمعة، وسار يريد المدينة فأدركته الجمعة في بني سالم بن عوف بوادي رانوناء فصلاها بمن معه من المسلمين فكانت أول جمعة صلاها في الإسلام حين قدم المدينة، ثم ركب راحلته وسار والمسلمون عن يمينه وشماله وخلفه منهم الماشي والراكب محتشدين في السلاح فما يمر بدار من دور الأنصار إلا قالوا له: هلم يا رسول ا لله إلى العز والمَنَعَةِ والثروة، هلم إلى العدة والعدد والحلقة[2]، فيتبسم صلى ا لله عليه وسلم فيقول لهم خيرا ويدعو ويقول: «خلوا سبيلها فإنها مأمورة»؛ وكان قد أرخى لها زمامها. فلم يزل على ذلك حتى وصلت إلى باب أبي أيوب وهو قريب من موضع مسجده اليوم[3] وكان إذ ذاك مربدا للتمر، فبركت

---

(1) القصوى: مقطوعة الأذن؛ واسمها أيضا العضباء (وهي مشقوقة الأذن) كانت صهباء اللون من نعم بني الحريش - وقيل من نعم بني قشير - اشتراها منهم أبو بكر الصديق بثمانمائة درهم، واشتراها منه رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم وهاجر عليها، وكانت حين قدومه المدينة رباعية وكان لا يحمله إن نزل عليه الوحي غيرها، وربما بركت من ثقل الوحي، وهي التي كانت لا تسبق، فجاء أعرابي على قعود له فسبقها فشق ذلك على المسلمين، فقال عليه الصلاة والسلام: «إن حقا على ا لله أن لا يرفع شيئا من الدنيا إلا وضعه»، وروي أنها لم تأكل ولم تشرب بعد وفاة النبي صلى ا لله عليه وسلم حتى ماتت، وقيل عاشت حتى ماتت في خلافة أبي بكر وكانت مرسلة ترعى بالبقيع. [الخميس وغيره باختصار].

(2) المنعة: القوة التي تمنع من يريده بسوء. والثروة: كثرة المال. والعدة (بالضم) الاستعداد وما أعد لحوادث الدهر من مال وسلاح. والعدد: الكثرة في الشيء. والحلقة (بفتح الحاء المهملة وسكون اللام): السلاح عامة والدروع خاصة.

(3) وقد مرت ناقته صلى ا لله عليه وسلم المأمورة بستة أفخاذ متتالية المنازل، وبركت بالحي السابع؛ وهم على التوالي: أهل قباء وكانوا يبعدون من المدينة ميلين في الجنوب الشرقي وأهله بنو عمرو بن عوف. ثم مرت ببني سالم بن عمرو بن عوف ثم ببني بياضة ثم ببني ساعدة ثم ببني الحارث بن

=>>

عنده و لم ينزل عنها صلى الله عليه وسلم، ثم وثبت من غير أن تزجر وسارت غير بعيد ثم التفتت فعادت إلى المكان الذي بركت فيه أولا فبركت فيه ثم تحلحلت ورزمت ووضعت جرانها على الأرض[1]، فنزل عنها صلى الله عليه وسلم وقال: «هذا المنزل إن شاء الله»[2]؛ فبادر أبو أيوب إلى رسول الله ﷺ يرحب به وحمل متاعه ورحله بين يديه ووضعه في بيته. فدعته الأنصار إلى النزول عليهم، فقال صلى

--- >>

الخزرج ثم ببني عدي بن النجار ثم ببني مالك بن النجار؛ فنزل عندهم على أبي أيوب. وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خير دور الأنصار بنو النجار ثم بنو عبد الأشهل ثم بنو الحارث بن الخزرج ثم بنو ساعدة وفي كل دور الأنصار خير» ــ [رواه مسلم وأحمد]. ولما سمع سعد بن عبادة الحديث وهو زعيم بني ساعدة قال: ما أرى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وقد فضل علينا. فقيل له: قد فضلكم على كثير. هذا وقد كانت دار ابي أيوب التي نزل بها رسول الله صلى الله عليه وسلم شرقي المسجد، وكانت قد ابتاعها المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام من أفلح مولى أبي أيوب الأنصاري بألف دينار فتصدق بها على أهل بيت فقراء بالمدينة ثم اشتراها الملك المظفر شهاب الدين غازي بن الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب بن شادي وبنى في عرصتها مدرسة للمذاهب الأربعة، فكانت تعرف بالمدرسة الشهابية،وفي إيوان قاعتها الصغرى الغربي خزانة صغيرة جدا مما يلي القبلة فيها محراب يقال إنها مبرك ناقته صلى الله عليه وسلم ـ [الخميس والبدر العيني].

(1) تحلحلت: تحركت وتزحزحت. ورزمت الناقة: أخرجت الصوت من حلقها و لم تفتح به فاها. وجرانها: مقدم عنقها، يقال: ألقى البعير جرانه أي برك.

(2) أخرجه البخاري. وفي البدر العيني: أنه صلى الله عليه وسلم لما أراد المسير من أهل قباء أرسل إلى بني النجار ـ أخواله ــ فجاؤوا متقلدين السيوف، فخرج صلى الله عليه وسلم على راحلته القصوى وأبو بكر ردفه وملأ بني النجار حوله (وكانت لأبي بكر راحلة فلعله تركها في بني عمرو بن عوف لشيء بها أو ردها إلى أهله بمكة أو استصحبها معه ولكنه لم يركبها لشرف الارتداف خلفه صلى الله عليه وسلم لأنه تابعه والخليفة بعده). وساروا حتى وصلوا دار أبي أيوب الأنصاري فبركت بهم القصوى فجعل جبار بن صخر بن أمية بن خنساء السلمي ينخسها برجله، فقال أبو أيوب: يا جبار أعن منزلي تنخسها! أما والذي بعثه بالحق لولا الإسلام لضربتك بالسيف.

ا لله عليه وسلم: «المرء مع رحله»[1].

وفرح أهل المدينة بمقدم رسول ا لله ﷺ وأشرقت أنواره صلى ا لله عليه وسلم في جميع أرجائها[2]، وغمر أبا أيوب الفرح بنزوله صلى ا لله عليه وسلم عليه، وخرجت نسوة من بني النجار يضربن الدفوف ويقلن:

نحن جــوار مـن بني النجار يا حبـــذا محمــــد من جار

فقال صلى ا لله عليه وسلم: «أتحببنني»؟ قلن: نعـم، فقـال صلـى ا لله عليـه وسـلم: «ا لله يعلم أن قلبي يحبكم» يعني معشر الأنصار[3]؛ وتفـرَّق الناس في الطـرق ينـادون فرحا: جاء محمد، جاء رسول ا لله ﷺ.. وإلى ذلك أشار بقوله: **وهو بخير الخلق ذو ابتهاج.**

وكان في منزل أبي أيوب علو وسفل، وكان أبو أيوب في علـوه؛ فلمـا نـزل عليهـم رسول ا لله ﷺ نزل في البيت الأسفل، فقال أبو أيوب: بأبي أنت وأمـي إنـي أكـره وأعظم أن أكون فوقك وتكون تحتي فكن أنــت في العلـو ونكـون نحـن في السـفل، فقال صلى ا لله عليه وسلم: «يا أبا أيوب إن الأرفق بنـا وبمـن يغشـانا أن نكـون في سفل البيت»[4]، فامتثل أبو أيوب وأنزله حيث أحـب. ولمـا أقبـل الليـل وصعـد أبـو أيوب وأهله إلى العلو لم يغلقا بابهما حتى فكر أبو أيوب فقال لأهله: أيكون رسول ا لله ﷺ أسفل ونحن أعلى منه أنمشي فوق رسول ا لله صلى ا لله عليـه وسـلم إنـا إذاً لهالكون؟! و لم تسكن نفساهما بعض السكون إلا حين انحازا إلى جانب العلية الذي

---

(1) أخرجه ابن سعد في طبقاته ـ [كما في فتح الباري].

(2) أشرقت أضاءت. والأرجاء: النواحي، والضمير فيه عائد على المدينة.

(3) أخرجه ابن ماجه بلفظ قريب منه.

(4) أخرجه مسلم.

لا يقع فوق رسول الله ﷺ والتزماه؛ فلما أصبحا غدا أبو أيوب إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقص عليه ما باتا فيه من الحزن، فقال رسول الله ﷺ: «هون عليك يا أبا أيوب إنه أرفق بنا أن نكون في السفل لكثرة من يغشانا من الناس»[1]. قال أبو أيوب فامتثلت أمره صلى الله عليه وسلم حتى كانت ذات ليلة انكسرت لنا جرة فاهريق ماؤها في العُلّية[2] فقمت أنا وأم أيوب بقطيفة نتتبع الماء خوف أن يخلص إلى رسول الله ﷺ فنزلت إليه وأنا مشفق فقلت: يا رسول الله إنه ليس ينبغي أن نكون فوقك؛ وقصصت عليه خبر الجرة، فاستجاب لي وصعد إلى العلية وأمر بنقل متاعه إليها، وكان يومئذ قليلا، ونزلت أنا وأم أيوب إلى السفل.

قال أبو أيوب فكنا نصنع له الطعام ثم نبعث به إليه فإذا رد علينا فضلة تيممت أنا وأم أيوب موضع يده فأكلنا منه؛ فجعلنا له ليلة فيه بصلا وثوما فرده علينا ولم أر ليده فيه أثرا فجئته فزعا فقلت: يا رسول الله لم أر موضع يدك وكنت أنا وأم أيوب نقصد موضعها من الطعام نبتغي بذلك البركة، قال: «أجل إن فيه بصلا فكرهت أن آكل من أجل الملَك وأما أنتم فكلوا»[3]؛ قال فأكلنا ولم نصنع له من تلك الشجرة بعد.

---

(1) أخرجه ابن هشام في سيرته.

(2) الجرة (بفتح الجيم وتشديد الراء): إناء من خزف له بطن كبير وعروتان وفم واسع، جمعه جِرار. وهراق الماء يهريقه هراقة: صبه، وأصله أراقهُ يريقه إراقة أبدلت الهمزة هاء، وقد يجمع بين الهاء والهمزة فيقال: اهراقه يهريقه إهراقة (بإسكان الهاء) كاسطاع يسطيع. وأصل هراقه "هرْيقهُ" على وزن "دحرجه"، ولهذا يفتح الهاء في المضارع فيقال يُهَريقه كما تفتح الدال من يُـدَحرجه والأمر: هَرِق؛ والأصل هَرِيق بوزن دحرج، نقلت كسرة الياء للثقَل ثم حذفت الياء لالتقاء الساكنين. والعلية (بكسر العين وضمها وتشديد اللام والياء): بيت منفصل عن الأرض ببيت ونحوه.

(3) أخرجه مسلم وأحمد وأبو بكر بن أبي شيبة.

وأقام رسول الله ﷺ عند أبي أيوب سبعة أشهر أو أكثر حتى بني مسجده وحجرتي عائشة وسودة فانتقل إليهما من دار أبي أيوب، فقول الناظم: **حتى بنى مساكن الأزواج** من إطلاق الكل على البعض، والله أعلم.

ولما ذكر الناظم نزول رسول الله ﷺ على أبي أيوب وأنه لم يزل مقيما عنده إلى أن بنى مساكن أزواجه صلى الله عليه وسلم، استطرد كيفية بنائها ومم بنيت؛ فقال رحمه الله:

مِنَ الْجَرِيدِ سَقْفُهَا وَمِنْ شَعَرْ حُجَرُهَا وَهَدَّهَا رَشْحُ الْحَجَرْ

فَضَجَّ أَهْلُ طَيْبَةٍ وَزَادَا بِهَا مُصَلَّى الْمُصْطَفَى وَشَادَا

وَمِنْ لَفِيفِ اللِّيفِ وَالْخُشُبِ قَدْ كَانَ السَّرِيرُ وَلأُخْرَاهُ اسْتَعَدّ

قوله **سقفها** (بالرفع): مبتدأ خبره الجار والمجرور قبله. **وحجرها** (بضم الحاء المهملة وفتح الجيم): مبتدأ خبره المجرور قبله أيضا. والضمائر في **سقفها وحجرها وهدها وبها**: عائدة على مساكن الأزواج المتقدم ذكرها. **والجريد**: قضبان النخل المجردة من خوصها، واحدتها جريدة وهي السعفة الطويلة رطبة كانت أو يابسة. **والسقف**: أعلى البيت. **والحجر**: جمع حجرة: كغرف وغرفة (وزنا ومعنى)، وتجمع أيضا بحجرات. **وهد البناء**: هدمه وكسره بشدة. **ورشح الحجر**: فاعل **هدها**، وهو لقب لعبد الملك بن مروان الأموي، لقب به لبخله. **وضجَّ**: صاح وجزع. وفاعل **زاد وشاد** ضمير مستتر عائد على رشح الحجر؛ والألف فيهما للإطلاق. **والمصلّى**: مكان الصلاة، ويغلب استخدامه لما لم يكن فيه بناء، فإن كان فيه بناء سمي مسجدا؛ وقد استخدمه الناظم هنا بمعناه اللغوي (مكان الصلاة). **والليف** (بكسر اللام): قشر النخل وما شاكله أو هو الذي يخرج في أصول سعف النخل لأول خروجها تحشى به الوسائد والفرش وتفتل منه الحبال، واحدته ليفة. **ولفيف الليف**: المختلط

بعضه ببعض. **والسرير** (كأمير): المضطجَع، جمعه أسرة وسررٌ، والمراد به هنا سريره صلى الله عليه وسلم الذي كان يضطجع عليه. والضمير في **أخراه** عائد على المصطفى ﷺ. **واستعد**: تهيأ.

يعني أن الحجرات الشريفة التي كان يسكن فيها رسول الله ﷺ وأزواجه الطاهرات كانت مبنية باللبِن وجذوع النخل مستورة من خارج بمسوح الشعر الأسود مسقفة بجريد النخل المطين[1]، وأن سريره الذي كان يضطجع عليه في تلك الحجرات من الأدم المحشو بالليف وسعف النخل؛ وكان صلى الله عليه وسلم بعيدا عن زهرة الدنيا وزخرفها[2] زهداً منه صلى الله عليه وسلم في الدنيا ورغبة في الأخرى. وقد عقد الناظم رحمه الله بهذه الأبيات نص كلام السهيلي في الروض الأنف حيث قال: "أما بيوته صلى الله عليه وسلم فكانت تسعة بعضها من جريد مطين بالطين وسقفها جريد وبعضها من حجارة مرضومة بعضها فوق بعض مسقفة بالجريد أيضا، وكانت حجره عليه الصلاة والسلام أكسية من شعر مربوطة في خشب عرعر[3]. ولما توفي أزواجه عليه السلام خلطت البيوت والحجر بالمسجد، وذلك في زمن عبد الملك؛ فلما ورد كتابه بذلك ضج أهل المدينة بالبكاء كيوم

---

(1) اللبن (بوزن كتف وإبل وعجل): المضروب من الطين مربعا للبناء ؛ واحدته: لبنة. ومسوح الشعر: أكسيته (جمع مسح بكسر فسكون). والمطين: المطلي بالطين وهو تراب أو رمل يصب عليه ماء ويدعك ثم يطلى به.

(2) زهرة الدنيا: بهجتها. وزخرفها: زينتها وكمال حسنها.

(3) مرضومة: مجعول بعضها على بعض، والرضم (بسكون الضاد وبالتحريك) والرضام (بالكسر): الصخور العظيمة يرضم بعضها فوق بعض في الأبنية. والأكسية: جمع كساء وهو الثوب. والخشب ما غلظ من العيدان. والعرعر: جنس من الشجر يقال هو شجر السّرو (فارسية).

وفاته عليه السلام، وكان سريره خشبات مشدودة بالليف" [انتهى المراد منه[1]]؛ والمشهور أن الذي أمر بهدم الحجرات وجعلها من المسجد هو ابنه الوليد بن عبد الملك كما يأتي.

ذكر أول بناء المسجد النبوي والحجرات

وحاصل ما أشار إليه الناظم أن رسول الله ﷺ لما نزل على أبي أيوب الأنصاري سأل عن مربد كان بإزاء داره فقيل ليتيمين هما سهل وسهيل ابنا رافع بن عمرو النجاريان، وكانا في حجر معاذ ابن عفراء، فقال صلى الله عليه وسلم: «يا بني النجار ثامنوني بحائطكم»[2] قالوا: والله لا نطلب ثمنه إلا من الله، فأبى رسول الله ﷺ أن يقبله هبة واشتراه منهم بعشرة دنانير ودفعها أبو بكر الصديق رضي الله عنه. وكان في الموضع المذكور نخل وقبور للمشركين وخرب، فأمر بالنخل فقطعت وبالقبور فنبشت وبالخرب فسويت[3]، وأمر صلى الله عليه وسلم

---

(1) راجع الروض الأنف: ج: 2 ص: 13.

(2) أخرجه البخاري. وثامنوني (بالثاء المثلثة): أصله من ثامنت الرجل في البيع أثامنه: إذا قاولته في ثمنه وساومته على بيعه وشرائه ، ومعناه هنا: عينوا لي ثمنه أو بيعونيه بالثمن أو اذكروا لي ثمنه لأشتريه منكم. والحائط هنا: البستان بدليل قوله: "وفيه نخل". وروي أنه صلى الله عليه وسلم دعا اليتيمين فساومهما المربد ليتخذه مسجدًا، فقالا: بل نهبه لك يا رسول الله، فأبى حتى ابتاعه منهما بعشرة دنانير، وأمر أبا بكر أن يعطيهما ذلك، وقيل اشتراه أبو أيوب منهما وأعطاه الثمن، فبناه مسجدا، وقيل ان معاذا ابن عفراء قال له: يا رسول الله أنا أرضيهما، فاتخذه مسجدا ـ [البدر العيني].

(3) وروي أنه كان في موضع المسجد غرقد فأمر أن يقطع وكانت فيه قبور جاهلية فأمر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فنبشت وأمر بالعظام أن تغيب. والمراد بالخرب: ما يخرب من البناء فقطع النخل والغرقد ونبشت القبور ورفعت رسوم الخرب وسوي الموضع حتى صارت الأرض مستوية مبسوطة للمصلين. [البدر العيني].

بناء المسجد فيه. فتسابق الصحابة رضي ا لله عنهم في تنفيذ أمره صلى ا لله عليه وسلم وأرادوا أن يجعلوه حسن الصورة والبناء قوي الجدر والأساس، فقال لهم رسول ا لله ﷺ: «ابنوا لي عريشا كعريش موسى ثمامات وخشبات وظلة كظلة موسى والأمر أعجل من ذلك»[1] فقالوا له: وما ظلة موسى؟ فقال صلى ا لله عليه وسلم: «كان إذا قام فيها أصاب رأسه السقف»، فبادر الصحابة الكرام وشمروا عن ساعد الجد وعملوا بنشاط وهمة في بناء المسجد حِسبة لله تعالى[2]، وطفق الرسول ﷺ يَنقل معهم اللبِن ترغيبا لهم وعونا في عملهم ويقول: «اللهم إن الأجر أجر الآخرة، فارحم الأنصار والمهاجرة»[3]، ولما رأوا منه ذلك زاد حرصهم على العمل وتنافسهم فيه حتى قال قائلهم:

لئن قعدنا والنبي يعمل ذاك إذا للعمل المضلل

---

(1) أخرجه ابن سعد في طبقاته، ورواه أبو داوود، والعريش: الخيمة والبيت الذي يستظل به. والثمام نبت ضعيف لا يطول. والخشب: ما غلظ من العيدان. والظلة (بضم الظاء وتشديد اللام): شيء يستتر به من الحر والبرد، جمعه ظلل وظلال، والمظلة (بالكسر والفتح): الكبير من الأخبية.

وكان موسى عليه السلام يستظل في عريش ويأكل ويشرب في نقير من حجر تواضعا لله حين أكرمه ا لله بما أكرمه به من كلامه، وكان عليه السلام زاهدا في الدنيا راغبا فيما عند ا لله، ولم يزل في عريشه ذلك حتى خرج يوما لبعض حاجته لا يعلم به أحد من خلْق ا لله فمر برهط من الملائكة يحفرون قبرا فعرفهم وأقبل إليهم حتى وقف عليهم وهم يحفرون قبرا لم ير أحسن منه خضرة ونضرة وبهجة، فقال لهم: لم تحفرون هذا القبر؟ قالوا: لعبد كريم على ربه، قال: إن هذا العبد من ا لله لبمنزل، فقالوا: أتحب أن يكون لك؟ قال: وددت، قالوا: فانزل واضطجع فيه وتوجه إلى ربك ثم تنفس أسهل تنفس تنفسته قط؛ ففعل، فقبض ا لله روحه فسوت عليه الملائكة ـ [تاريخ الطبري].

(2) الحسبة (بالكسر): اسم من الاحتساب، واحتسب بكذا أجرا عند ا لله اعتده ينوي به وجه ا لله.

(3) أخرجه البخاري.

ويقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

لا يستوي من يعمر المساجدا يدأب فيها قائما وقاعدا

ومن يرى عن الغبار حائدا

وتوالى العمل بجد وهمة حتى اكتمل بناء المسجد، وكانت مساحته سبعين ذراعا في ستين ذراعا، وجعلت سواريه من جذوع النخل وقبلته من اللبن، وجعلت في وسطه رحبة، وكان مربعا وكان طول جداره نحو قامة، ولما اشتد الحر ظللوه بالجريد ثم بالخصف، فلما وكف عليهم طينوه بالطين[1].

ولما تم بناء المسجد النبوي الشريف قام صلى الله عليه وسلم ببناء حجرتين لزوجتيه عائشة بنت أبي بكر الصديق وسودة بنت زمعة رضي الله عنهما، ولم يكن له إذ ذاك غيرهما، وكان قد تزوج بسودة بعد خديجة وانفردت به نحوا من ثلاث سنين أو أكثر حتى دخل بعائشة؛ وكان بناء حجرتيهما على غرار بناء المسجد وعلى نعته من اللِّبن وجريد النخل مستورتين بمسوح الشعر[2]، وكان لبيت عائشة رضي الله عنها مصراع واحد من عرعر أو ساج[3]وهما نوعان من الخشب ثم صار له بابان (فقد روي أنه لما توفي رسول الله ﷺ دخلوا من باب أرسالا أرسالا فصلوا عليه وخرجوا من الباب الآخر)، وكان خلف حجرة عائشة كنيف يقضي به النبي ﷺ حاجته؛ فقد روي عن عائشة أنها قالت: يا رسول الله ندخل كنيفك فلا نرى

---

(1) الجريد: قضبان النخل المجردة من خوصها، والخصف بالخاء المعجمة محركة: جمع خصفة محركة أيضا: قفة كبيرة تعمل من الخوص للتمر ونحوه. ووكف البيت بالمطر: تقاطر سقفه. وطينوه: طلوه بالطين.

(2) مسوح الشعر: أكسيته (جمع مِسْح).

(3) المصراع من الباب: أحد غَلَقَيْه، والمصراعان من الأبواب: بابان منصوبان ينضمان جميعا مدخلهما في الوسط منهما. والساج: ضرب من الشجر يعظم جدا ويذهب طولا وعرضا.

شيئا من الأذى؟ فقال: «الأرض تبتلع ما يخرج من الأنبياء من الأذى فلا يرى منه شيء». ثم كان رسول الله ﷺ بعد ذلك كلما أحدث زوجة بنى لها حجرة وأسكنها فيها حتى صارت له تسع زوجات وتسع حجرات، تمتد هذه الحجرات ما بين بيت عائشة رضي الله عنها وإلى جهة اليسار، وقيل كانت لحارثة بن النعمان منازل حول المسجد قريبة منه فكان كلما أحدث رسول الله ﷺ أهلا تحول له حارثة عن منزل حتى صارت منازله كلها لرسول الله صلى الله عليه وسلم ـ [كما في الخميس].

موقعُ حجرات أمهات المؤمنين من المسجد وصفة بنائها

وقد ضرب رسول الله ﷺ الحجرات ما بين بيت عائشة وبين القبلة والشرق إلى الشام ولم يضرب غربيه، وكانت خارجة من المسجد مديرة به إلا من الغرب، وكانت أبوابها شارعة في المسجد. روي عن محمد بن هلال قال أدركت بيوت أزواج النبي ﷺ ، وكانت من جريدٍ مستورة بمسوحِ الشعر مستطيرة إلى القبلة، إلى الشرق وإلى الشام ليس في غربي المسجد منها شيء. وذكر ابن الجوزي أن منازل أزواج النبي ﷺ كانت كلها في الشق الأيسر إلى وجه الإمام في وجه المنبر أي إلى جهة الشام ـ [كما في الخميس]. وعن ابن النجار أن الحجرات كانت فيما بين عائشة رضي الله عنها إلى الباب الذي يلي باب النبي ﷺ ؛ قال السمهودي: والباب الذي يلي باب النبي صلى الله عليه وسلم هو الباب الذي في الجهة المقابلة من المغرب وهو المعروف الآن بباب الرحمة. وكانت حجرة عائشة ملاصقة للمسجد وفيها خوخة[1] كانت عائشة تنظر منها إلى المسجد؛ والحجرات متلاصقة قريبة

---

(1) الخوخة (بفتح المعجمتين): كوة في البيت تؤدي إليه الضوء وباب صغير وسط باب كبير.

وكان بين حجرتي عائشة وحفصة طريق ؛ وكانتا تتهاديان الكلام وهما في منــزليهما من قرب ما بينهما. وقد روي عن عمران بن أبي أنس رضي الله عنه في وصف هذه الحجرات الشريفة قال: كان منها أربعة أبيات بلَبن لها حجر من جريد وكانت خمسة أبيات من جريد مطينة لا حجر لها، على أبوابها مسوح الشعر؛ وذرعت الستر فوجدته ثلاثة أذرع في ذراع. ويصفها الحسن البصري — وهو الذي تربى في حجر أم سلمة زوج النبي ﷺ — فيَقول: كنت أدخل بيوت رسول الله ﷺ وأنا غلام مراهق وأنال السقف بيدي وكان لكل بيت حجرة، وكانت حُجَرُه من أكسية من خشب عرعر. وأخرج البخاري في **الأدب المفرد** عن داوود بن قيس قال: رأيت الحجرات من جريد النخل مغشى من خارج بمسوح الشعر، وأظن عرض البيت من باب الحجرة إلى باب البيت نحوا من ستة أو سبعة أذرع وأحرز البيت الداخل عشرة أذرع وأظن سمكه بين الثمان والسبع.

ولهذه الحجرات الشريفة مكانة عظيمة، فكانت لها حرمة زائدة على ما سواها من البيوت فشأنها أعظم وأمرها أفخم.. ويكفي دلالة على ذلك أنها محل سكناه صلى الله عليه وسلم هو وأزواجه الطاهرات؛ وكان القرآن الكريم ينزل فيها وفيه سورة تسمى سورة الحجرات. وورد ذكر هذه الحجرات في القرآن الكريم في عدة آيات وقد ورد ذكرها مضافة إلى النبي ﷺ، مثل قوله تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَـٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَـٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُواْ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ ﴾[1]، كما ورد ذكرها مضافة إلى أزواجه صلى الله

---

(1) الأحزاب: الآية: 53.

عليه وسلم، مثل قوله جل ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾[1]، وقوله ﴿ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ﴾[2]؛ وقد قيل إن إضافتها إليه صلى الله عليه وسلم إضافة ملك بدليل أنه جعل فيها الاذن له صلى الله عليه وسلم، والاذن إنما يكون للمالك، ولأنه هو الذي بناها ويجب عليه إسكانهن، فإضافتها إليه حقيقية وإضافتها إلى الأزواج إضافة محل، باعتبار أنهن ساكنات فيها قائمات بمصالحها قيمات عليها، ولأن لهن بعده حق السكنى ما بقين لحبسهن لحقه صلى الله عليه وسلم. وقيل إضافتها إليهن باعتبار أنها ملك لهن، فقد نقل الطبري وغيره أنه صلى الله عليه وسلم ملك كلا من أزواجه البيت الذي هي فيه؛ ودفن النبي ﷺ في حجرة عائشة فكانت أشرف البقاع لضمها لرسول الله ﷺ، ثم دفن معه أبو بكر فألصق لحده بلحده صلى الله عليه وسلم، ثم دفن عمر معهما، فضربت عائشة جدارا بينها وبين القبور وقسم بيتها قسمين قسم كان فيه القبر الشريف وقبرا أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وقسم سكنت فيه عائشة رضي الله عنها.

وفي الخميس قال ابن سعد: أوصت سودة ببيتها لعائشة واشترى معاوية منزلها من عائشة بمائة ألف وثمانين ألفا، وقيل بثمانية آلاف، وشرطت سكناها حياتها وحمل إليها المال فما قامت من مجلسها حتى فرقته؛ وقيل اشتراه ابن الزبير من عائشة وبعث إليها خمسة أجمال تحمل المال وشرط لها سكناها حياتها، ففرقت المال. وتركت حفصة بيتها فورثه ابن عمر فلم يأخذ ثمنا فأدخل في المسجد، وباع أولياء صفية بنت حيي بيتها من معاوية بمائة ألف وثمانين ألف درهم.

---

(1) الأحزاب: الآية: 33.

(2) الأحزاب: الآية: 34.

بعض تاريخ عمارة المسجد النبوي

هذا وكانت قد جرت توسعة للمسجد النبوي الشريف في زمن رسول الله ﷺ حين كثر المسلمون وضاق عليهم المسجد، فأمر صلى الله عليه وسلم بتوسعته فزيد فيه؛ وبقي على تلك الحالة التي تركه عليها رسول الله ﷺ في عهد أبي بكر الصديق فلم يزد فيه شيئا، حتى كانت خلافة عمر ضاق عنهم فوسعه وزاد فيه بنفس الآلة التي كان مبنيا بها من جريد وخشب ولبن. ولما وليَ عثمان الخلافة وسعه وزاد فيه زيَادات كثيرة وبنى جداره بالحجارة المنقوشة والجص وجعل عمده من حجارة منقوشة أيضا وجعل سقفه من خشب الساج وقبلته من الحجارة. ولم يزل على ذلك حتى جاء زمن الوليد بن عبد الملك فاشترى الحجرات وكتب إلى عامله على المدينة ـ وكان إذ ذاك عمر بن عبد العزيز ـ أن يهدمها ويوسع بها المسجد[1] وكانت متصلة به، وكان ذلك سنة إحدى وتسعين. فأثار ذلك ضجة عظيمة في أهل المدينة؛ قال عطاء الخراساني: أدركت حجرات أزواج النبي ﷺ من جريد النخل على أبوابها المسوح من شعر أسود، فحضرت كتاب الوليد بن عبد الملك يقرأ يامُرُنا بهدم حجر أزواج النبي ﷺ فما رأيت يوماً أكثر باكيا من ذلك اليوم. وقال عمران بن أبي أنس ـ لما سمع كلام عطاء: فلقد رأيتني في المسجد وفيه نفر من أبناء أصحاب النبي ﷺ: أبو سلمة بن عبد الرحمن وأبو أمامة بن سهل وخارجة بن زيد وإنهم ليبكون حتى اخضل لحاهم[2] الدمع، وقال يومئذ أبو أمامة:

---

(1) في الخميس وغيره: كان عمر بن عبد العزيز عاملا على المدينة من طرف الوليد بن عبد الملك وهو الذي أمره بهدم الحجرات وإدخالها في المسجد. وقد مشى الناظم رحمه الله على ما ذكره صاحب الروض الأنف من أن هدمها والأمر بتوسعة المسجد بها كان في زمن عبد الملك بن مروان وبأمر منه. والله أعلم.

(2) أي بلها الدمع.

ليتها تركت حتى يَنقص الناس من البنيان ويروا ما رضي ا الله لنبيه صلى ا الله عليه وسلم ومفاتيح خزائن الدنيا بيده. وقال سعيد بن المسيب: وا الله لوددت أنهم تركوها على حالها ينشأ ناشئ من المدينة ويقدم قادم من الآفاق فيرى ما اكتفى به رسول ا الله ﷺ في حياته ويكون ذلك مما يزهد الناس في التكاثر والتفاخر بها.

ثم فعل عمر بن عبد العزيز ما أمره به الوليد، فأمر بهدمها فهدمت وأدخلت في المسجد وبني بالحجارة المنقوشة وشيد تشييدا حسنا؛ ومكث الوليد في بنائه ثلاث سنين، ثم جعل على حجرة النبي ﷺ حاجزا من سقف المسجد إلى الأرض وصارت الحجرة في وسطه وهو على دورانها.

ولما ولي المتوكل الخلافة سنة 232هـ أزر الحجرة بالرخام[1] من حولها، و لم يزل الرخام باقيا عليها إلى سنة 548هـ في خلافة المقتفي فجدد تأزيرها وجعل الرخام حولها قامة وبسطه وجعل لها شباكا من خشب الصندل والانبوش[2] وأداره حولها مما يلي السقف، وفي سنة 654هـ في عهد الخليفة المستعصم با الله وقعت حادثة حريق في المسجد النبوي الشريف أدى إلى وقوع السقف الذي كان على أعلى الحجرة في البيت الشريف، فأمر الخليفة بإصلاحه فسقفوا الحجرة الشريفة وما حولها إلى الحائط القبلي وإلى الحائط الشرقي إلى باب جبريل.

وفي سنة ثمان وسبعين وستمائة (في أيام الملك المنصور قلاوون الصالحي) عملت

---

(1) الأزر والتأزير: التقوية. والحجرة بالضم: الغرفة لأنها تحجر من فيها. والرخام: ضرب من الحجر يمكن صقل سطحه بسهولة.

(2) الصندل: جنس من الشجر هندي أبيض الزهر يحمل ثمرا فيه عناقيد وله حب أخضر خشبةُ طيب الرائحة يظهر طيبها بالدلك أو بالإحراق مرغوب فيه جدا ولخشبه ألوان مختلفة: أحمر وأصفر وأبيض، أحره الأحمر ثم الأصفر وأبرده الأبيض. والانبوش (بالضم) ــ أو الأبنوس ــ: نوع من الشجر.

قبة على ما يحاذي سقف الحجرة الشريفة وهي مربعة من أسفلها مثمنة من أعلاها؛ وجددت هذه القبة في عهد عبد الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون، وأحكمت في عهد عبد الملك الأشرف سنة خمس وستين وسبعمائة. وفي سنة ثمان وسبعين وثمانمائة أقر السلطان الأشرف احتياج المسجد للعمارة، فهدموا المقصورة[1] حول الحجرة فظهر فيها الهدم الذي حصل من الحريق فنظفوه وابتدأوا بإعادة بناء الحجرة. وفي سنة ست وثمانين حدث حريق آخر في المسجد النبوي فاشتعلت النار في السقف المحاذي للحجرة الشريفة فذاب الرصاص[2] من القبة التي بسقف المسجد الأعلى واحترقت أخشابها وسلمت الحجرة الشريفة؛ ثم شرع في تجديد البناء وجعلوا على ما يحاذي الحجرة وما حوله قبة عظيمة على دعائم بأرض المسجد وعقودا من الآجر[3] بدلا من القبة الزرقاء التي كانت قبل الحريق وأحدثوا اسطوانا في جانب مثلث الحجرة ليشتد به العقد الذي عليه القبة من تلك الناحية وأعادوا ترخيم الحجرة وما حولها ووضعوا شبابيك من النحاس. وفي سنة ثلاث وثلاثين ومائتين وألف (في زمن السلطان العثماني محمد بن عبد الحميد) جدد بناء القبة حيث حصل فيها شقوق في أعلاها، فهدموها من أعلى وأعادوا بناءها، وهي الآن على ما بنيت عليه في العهد العثماني. وفي سنة ثلاث وخمسين ومائتين وألف في عهد السلطان عبد الحميد العثماني صبغت القبة باللون الأخضر وصارت تعرف بالقبة الخضراء.

وفي عهد الملك عبد العزيز آل سعود جرى بعض الترميمات والإصلاحات في

---

(1) المقصورة: الدار الواسعة المحصنة، ومقصورة الدار: حجرة من حجرها.

(2) الرصاص (بالفتح): معدن معروف سمي بذلك لتداخل أجزائه.

(3) الآجر: ما يبنى به من الطين المشوي.

الاسطوانات التي في داخل الحجرة الشريفة. والحجرات حاليا ضمن حاجز نحاسي ملون باللون الأخضر مكتوب في أعلاه قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾[1] وفيها ثلاث طاقات الأولى موازية لقبر الرسول ﷺ ، والثانية لقبر أبي بكر الصديق، والثالثة لقبر عمر بن الخطاب رضي الله عنهما. وجرى في العهد الحالي تجديد كسوة اسطوانات الروضة بالرخام المزخرف الجميل وعلى الاسطوانة التي على يمين المسلّم على النبي ﷺ مكتوب:

يا خير من دفنت بالقاع أعظُمُه فطاب من طيبهن القاع والأكم[2]

وقول **الناظم** رحمه الله **ومن لفيف الليف**..إلخ، أشار به إلى أنه صلى الله عليه وسلم — رغم أنه كان على أعلى درجة من العظمة وأنه وصفه ربه جل وعلا بقوله ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[3] — كان مثالا للزهد في الدنيا والرغبة في العقبى، يرضى بما أعطاه الله لا يتطلع إلى ما عند الناس ولا يمد عينه إلى ما متعهم الله به من زهرة الحياة الدنيا ليَفتنهم فيه، ولا يهتم بمأكله ومشربه وملبسه ومسكنه لأن ذلك ليس هدفا له وإنما يأخذ منه ما تيسر دون مبالغة أو مفاخرة، فقد كان فراشه صلى الله عليه وسلم في تلك الحجرات بعيدا عن زهرة الحياة الدنيا وزخرفها. فقد روى جعفر الصادق عن أبيه محمد الباقر قال: سألت عائشة ما كان فراش رسول الله ﷺ في بيتك؟ قالت: من أدم حشوه من ليف، وسألت حفصة ما كان فراش رسول الله

---

(1) الحجرات: الآية: 3.

(2) القاع: الأرض السهلة المطمئنة التي انفرجت عنها الجبال. والآكام والأكم: جمع أكمة وهي التل أو الموضع الذي يكون أكثر ارتفاعا مما حوله.

(3) القلم: الآية: 4.

صلى الله عليه وسلم في بيتك؟ قالت: مسحا[1] نثنيه ثنيتين فينام عليه. وعن عائشة قالت: كانت لنا حصيرة نبْسطها بالنهار ونتحجرها بالليل. وعن ابن مسعود: نام رسول الله ﷺ على حصير فقام وقد أثر في جنبه فبكيت، فقال: «ما يبكيك»؟[2] قلت: كسرى وقيصر على الحرير والديباج[3] وأنت نائم على هذا الحصير يا رسول الله بأبي أنت وأمي لو كنت آذنتنا ففرشنا لك شيئا يقيك منه، فقال: «ما لي وللدنيا ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها»[4].

وروى الحاكم عن عمر قال: دخلت على رسول الله ﷺ في مشربة وإنه لمضطجع على خصفة وإن بعضه لعلى التراب وتحت رأسه وسادة محشوة ليفا وإن فوق رأسه لإهابا عطينا وفي ناحية المشربة قرظ[5]، فسلمت عليه وجلست فقلت: أنت نبي الله وصفوته وكسرى وقيصر على سرُر الذهب وفرش الديباج والحرير؛ فقال: "أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا وهي وشيكة الانقطاع وإنا قوم ادخرت لنا طيباتنا في آخرتنا"[6]. وإلى هذا أشار الناظم بقوله **ولأخراه استعد**. والله أعلم.

ثم رجع إلى سرد بعض أعيان بني غنم بن مالك بن النجار، فقال رحمه الله وعفا عنه:

---

(1) مسحا: بكسر الميم وسكون السين: ثوب خشن من صوف أو كساء من شعر يلبسه الزهاد والرهبان.

(2) أخرجه مسلم.

(3) الديباج: الثوب الذي سداه ولحمته من حرير.

(4) أخرجه الترمذي وابن ماجه وأحمد في مسنده.

(5) المشربة: غرفة يرقى عليها، والخصفة (بالتحريك): وعاء من خوص. والعطين: المتغير المنتن. والقرظ (محركة): ورق السلم الذي يدبغ به. وقد روي أنه صلى الله عليه وسلم لم يعب مضطجعا قط إن أفرش له اضطجع وإلا اضطجع على الأرض - [نزهة الأفكار].

(6) أخرج نحوه مسلم وأحمد. ووشيكة الانقطاع: أي سريعته.

زَيْدُ بْنُ ثَابِـــتٍ يَتِيمَا الْمِرْبَدِ   آضَ لِخَيْرِ الْخَلْقِ خَيْرَ مَسْجِدِ
عَوْفُ مُعَـــوِّذُ مُعَاذُ اشْتَهَرُوا   بِأُمِّهِـــمْ عَفْـرَا وَعَمْرًا عَفَّرُوا
وَمُضْحِـــكُ النَّبِيِّ وَالصَّحَابَـهْ   حَـــوْلاً نُعَيْمَانُ أَخُو الدُّعَابَهْ

قوله **زيد بن ثابت**: مبتدأ حذف خبره، تقديره ومن بني مالك بن النجار زيد بن ثابت. وقوله **يتيما** (بالرفع بالألف): تثنية يتيم، عطف على زيد بن ثابت بحذف العاطف وحذفت نونه لإضافته للمربد؛ واليتيم من الناس الذي فقد أباه وهو صغير لم يبلغ مبلغ الرجال. **والمربد** (بوزن منبر): موضع تجفيف التمر، ويرادفه الجرين (كأمير) والبيدر والاندر. وقوله **آض** (بالضاد المعجمة): بمعنى صار. **وخير مسجد** (بالنصب): خبر **آض**.

وقوله **عوف**: مبتدأ خبره مقدر أيضا أي ومن بني مالك بن النجار عوف. وقوله **معوذ معاذ**: معطوفان على عوف بحذف العاطف. وقوله **اشتهروا بأمهم**: أي بالنسبة إليها، إذ عرفوا ببني عفراء؛ وعفراء بالمد ـ وقصره ضرورة ـ بدل من أمهم. **وعمرا** (بالنصب): مفعول به مقدم لعفروا، والمراد **بعمرو** هنا أبو جهل عمرو بن هشام. وقوله **عفروا** (بتشديد الفاء): أي ضربوا به العفراء وهي الأرض؛ والمراد أنهم قتلوه يوم بدر. وقوله **ومضحك** (بالرفع): عطف على عوف، وهو اسم فاعل من أضحكه إذا حمله على الضحك. **ونعيمان** (بصيغة التصغير): بدل من مضحك. **وحولا**: أي سنة. **وذو الدعابه**: صفة نعيمان، والدعابة (بضم الدال المهملة): المداعبة وهي اللعب والمزح.

يقول ومن بني مالك بن النجار ثم من بني غنم منهم: زيد بن ثابت وسهل وسهيل، أبناء رافع، وعوف ومعوذ ومعاذ بنو عفراء، ونعيمان بن عمرو بن رفاعة النجاريون.

زيد بن ثابت

أما **زيد** فهو أبو خارجة زيد بن ثابت بن الضحاك بن زيد بن لوذان بن عمرو بن عبد عَوف بن غنم بن مالك بن النجار الخزرجي النجاري الصحابي الجليل، أمه النوار بنت مالك بن صِرمة من بني عدي بن النجار، مات عنه أبوه ثابت يوم بعاث وهو ابن ست سنين، وقدم رسول الله ﷺ المدينة وهو ابن إحدى عشرة سنة؛ واستصغره صلى الله عليه وسلم يوم أحد؛ وأول مشاهده الخندق. وكان حين قدوم النبي ﷺ قد قرأ سبع عشرة سورة فقرأ عليه فأعجبه ذلك. وكان أحد الذين جمعوا القرآن في عهد رسول الله ﷺ ، وكان من كتاب الوحي لرسول الله ﷺ، وكتب أيضا لأبي بكر وعمر؛ وتولى قسم المغانم يوم اليرموك واستخلفه عمر على المدينة ثلاث مرات في حجتين وفي خروجه إلى الشام، وكان عثمان يستخلفه أيضا على المدينة إذا حج وولاه بيت المال وكان يحبه؛ وكان زيد عثمانيا و لم يكن فيمن شهد شيئا من مشاهد علي مع الأنصار، وكان مع ذلك يفضل عليا ويظهر حبه. وكانت بيده راية بني مالك بن النجار في تبوك؛ وكانت أولا مع عمارة بن حزم بن زيد بن لوذان فأخذها منه النبي ﷺ ودَفعها لزيد بن ثابت، فقال له عمارة: يا رسول الله أبلغك عني شيء؟! قال: «لا ولكنه أكثر منك أخذا للقرآن والقرآن مقدم»[1].

وروي أن رسول الله ﷺ قال لزيد: «إني أكتب إلى قوم فأخاف أن يزيدوا عليَّ أو ينقصوا فتعلم السريانية»، قال زيد: فتعلمتها في سبعة عشر يوما[2]. وروي أيضا أنه قال له: «تعلم كتاب اليهود فما أنا آمنهم على كتابي»، قال ففعلت فما

---

(1) ذكر بعضه في الإصابة.

(2) رواه ابن حميد في مسنده ـ [كما في الإصابة].

مضى لي نصف شهر حتى حذقته فكنت أكتب له إليهم وإذا كتبوا إليه قرأت له[1].

وكان ترجمان رسول الله ﷺ بالفارسية والرومية والحبشية، وقد تعلم جميعها بالمدينة؛ وتعلم رضي الله عنه العلم وتفقه في الدين فكان من جلة علماء الصحابة وكان رأسا بالمدينة في القضاء والفتوى والقرآن والفرائض، وكان من الراسخين في العلم. روي أن ابن عباس ـ على جلالة قدره وسعة علمه ـ كان يأتيه في بيته للأخذ عنه ويقول: العلم يؤتى ولا يأتي؛ وأخذ مرة بركاب زيد فنهاه زيد فقال ابن عباس: هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا؛ فأخذ زيد بكف ابن عباس وقبلها وقال: هكذا أمرنا أن نفعل بآل بيت نبينا.

وكان أحد الذين جمعوا القرآن في الصحف في عهد أبي بكر لما استحر القتل في القراء يوم اليمامة، وقال له أبو بكر: إنك شاب عاقل لا نتهمك. قال: فجعلت أجمع القرآن من العسب والرقاع[2] وصدور الرجال حتى وجدت آخر آية من التوبة مع رجل يقال له: خزيمة أو أبو خزيمة.

ولما اختلف الناس في القراءة زمن عثمان واتفق رأيه ورأي الصحابة أن يردوا القرآن إلى حرف واحد، وقع اختياره على حَرف زيد فأمره أن يملي المصحف على قوم من قريش جمعهم إليه، فكتبوه على ما هو عليه اليوم بأيدي الناس، وكانوا يقولون: غلب زيد بن ثابت الناس على اثنتين القراءة والفرائض. وروى عن رسول الله ﷺ نحوا من اثنين وتسعين حديثا وروت عنه جماعة من الصحابة والتابعين. وروي أن مالكا بن أنس قال: كان زيد بن ثابت إمام الناس عندنا بعد عمر بن

---

(1) أخرجه البخاري تعليقا، والبغوي وأبو يعلى ـ [كما في الإصابة].

(2) العسب (بضمتين وتسكن السين): جمع عسيب جريدة النخل كشط خوصها. والرقاع: جمع رقعة: القطعة من الورق يكتب فيها.

الخطاب ـ يعني بالمدينة ـ وكان إمام الناس بعده عندنا عبد الله بن عمر. ومناقب زيد بن ثابت لا تحصى. واختلف في وقت وفاته؛ قيل مات سنة خمس وأربعين وصلى عليه مروان؛ ويوم مات قال فيه أبو هريرة: اليوم مات حبر هذه الأمة وعسى الله أن يجعل في ابن عباس منه خلفا. ورثاه حسان بن ثابت، فقال:

فمن للقوافي بعد حسان وابنه ومن للمثاني بعد زيد بن ثابت

ومن ولد زيد: خارجة؛ أحد فقهاء المدينة السبعة المشهورين، وسليمان ويحيى وعبد الله وعبد الرحمن وسليط وسعد وزيد، قتلوا كلهم يوم الحرة. ومن ولد ولده: عبد الله بن خارجة بن زيد، كان من علماء المدينة، وسعيد بن سليمان بن زيد بن ثابت ولي قضاء المدينة أيام يزيد بن عبد الملك.

وأما يتيما المربد فهما سهل وسهيل ابنا رافع بن أبي عمرو[1] بن عائذ بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار النجاريان، كانا يتيمين في حجر أسعد بن زرارة النجاري، وقيل في حجر معاذ ابن عفراء ـ كما تقدم ـ وقيل بل في حجرهما معا، ولذا قال لهم رسول الله ﷺ: «يا بني النجار ثامنوني حائطكم» ـ كما مر.

أما سهل فشهد أحدا وهو صاحب الصاع خرج بزكاته صاع تمر[2] وأتى بابنته عميرة إلى النبي ﷺ فقال: ادع الله لي ولها بالبركة فما لي غيرها، ففعل صلى الله عليه وسلم. ومات في خلافة عمر رضي الله عنهما. وأما سهيل فشهد بدرا

---

(1) كما في الإصابة والاستيعاب وغيرهما، وفي رواية ابن إسحاق أنهما ابنا عمرو.

(2) روي أن النبي صلى الله عليه وسلم رغب مرة في الصدقة وحض عليها، فتصدق بعض الصحابة بأربعة آلاف درهم وتصدق آخر بمائة وسق من تمر ، فلمزهما المنافقون وقالوا: ما هذا إلا رياء، ثم جاء صحابي آخر بصاع من تمر فأفرغه في الصدقة فتضاحكوا به وقالوا: إن الله ورسوله لغنيان عن هذا الصاع، وفي رواية: إن الله لغني عن صدَقة هذا، فأنزل الله تعالى: ﴿الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات..﴾ الآية.

وما بعدها من المشاهد مع رسول ا لله ﷺ، وقتل بصفين مع علي بن أبي طالب رضي ا لله عنهما. وأما عوف ومعوذ ومعاذ بنو عفراء، فهم بنو الحارث بن رفاعة بن الحارث بن سواد بن مالك بن غنم بن مالك بن النجار النجاريون.

أما عوف فقد مر التعريف به في الستة الذين أسلموا بالعقبة فكانوا أول الأنصار إسلاما. وأما أخوه معوذ فشهد بدرا واستشهد بها قتله أبو مسافع و لم يعقب رضي ا لله عنه. وأما أخوهما معاذ فشهد بدرا والمشاهد بعدها؛ وروي أنه أعتق ألف نسمة وعاش إلى زمان عثمان رضي ا لله عنه، وقيل مات في خلافة علي بن أبي طالب (وقد مر بعض التعريف به في أهل العقبة الأولى)، واشترك مع أخيه معوذ في قتل أبي جهل يوم بدر فضرباه حتى برد[1]. روي عن عبد الرحمن بن عوف قال: بينما أنا واقف في الصف يوم بدر فإذا أنا بين غلامين من الأنصار حديثة أسنانهما فتمنيت أن أكون بين أضلع منهما[2]، فغمزني أحدهما فقال: يا عم أتعرف أبا جهل؟ قلت: نعم وما حاجتك إليه يا ابن أخي؟ فقال: أنبئت أنه يسب رسول ا لله ﷺ.. والذي نفسي بيده لو رأيته لا يفارق سوادي سواده حتى يموت الأعجل منا؛ قال عبد الرحمن: فعجبت، ثم غمزني الآخر فقال مثلها؛ فلم ألبث أن نظرت إلى أبي جهل يجول في الناس فقلت: ألا تريان.. هذا صاحبكما الذي تسألان عنه؛ فابتدراه بأسيافهما فضرباه حتى أردياه قتيلا.

وظاهر كلام الناظم رحمه ا لله أن بني عفراء هؤلاء الثلاثة اشتركوا في قتل أبي جهل والمشهور أن الذي اشترك في قتله معوذ ومعاذ، فلعل عبارته من باب إطلاق

---

(1) برد: أي مات.

(2) رجل أضلع: شديد غليظ عظيم الخلق، والمعنى: تمنيت أن أكون بين رجلين أقوى من اللذين كنت بينهما.

اللفظ العام وإرادة الخاص وهو سائغ وشائع.

وأما أُمهم عفراء التي اشتهروا بالنسبة إليها، فهي بنت عبيد بن ثعلبة بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار النجارية ـ كما مر ـ فهي أيضا من بني مالك بن النجار أسلمت وبايعت فكانت صحابية جليلة، ولها خصوصية لم تكن لغيرها وهي أنها تزوجت بعد الحارث بن رفاعة هذا البكير بنَ عبد ياليل الليثي فولدت له أربعة: إياسا وعاقلا وخالدا وعامرا؛ أسلموا وصحبوا وشهدوا بدرا كلهم، وكذلك إخوتهم لأمهم: عوف ومعوذ ومعاذ بنو الحارث بن رفاعة المذكورون فتحصل من هذا أنها صحابية لها سبعة أولاد شهدوا كلهم بدرا مع النبي ﷺ، وهذه مزية لهم انفردوا بها.

نعيمان بن عمرو وبعض دعابته

وأما مضحك النبي ﷺ فهو **نعيمان** بالتصغير، وقيل نعمان بالتكبير، بن عمرو بن رفاعة بن الحارث بن سواد بن مالك بن غنم بن مالك بن النجار الخزرجي النجاري؛ كان من قدماء الصحابة، حضر العقبة الثانية وشهد بدرا والمشاهد بعدها مع رسول الله ﷺ. وكان رضي الله عنه مِضحاكا مزَّاحا[1] وكانت له في ذلك أخبار ظريفة ودعابات طريفة؛ من ذلك ما روي من أنه كانت لا تدخل المدينة طرفة إلا اشترى منها ثم جاء بها إلى النبي ﷺ وقال: هذه هدية لك، فإذا جاء صاحبها يطلب ثمنها منه أحضره إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال له: أعط هذا ثمن متاعه، فيقول له صلى الله عليه وسلم: «أو لم تهده لنا»[2]؟ فيقول: نعم ولكن

---

(1) المضحاك (بالكسر): الكثير الضحك. والمزاح (بتشديد الزاي): الكثير المزاح وهو المداعبة.

(2) ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب، وابن حجر في الإصابة.

لم يكن عندي ثمنــــه وأحببت أن تأكله، فيضحك رســول ا لله ﷺ ويأمر لصاحبه بثمنه.

وروي أيضا أنه اشترى مرة ناقة كوماء من أعرابي بنسيئة[1] فنحرها وبعث منها هدايا إلى أزواج النبي ﷺ ، فلما حل دين الأعرابي جاء إلى نعيمان فطالبه بثمن ناقته، فقال: ليس عندي شيء، فقال: بيني وبينك النبي ﷺ ؛ فلما أتياه أقر نعيمان، فقال له رسول ا لله ﷺ: «قم فاقضه حقه»[2] فقال نعيمان: تأكلون أنتم مطايبها وأعطيه أنا الثمن! فضحك صلى ا لله عليه وسلم وضمن للأعرابي ثمن ناقته. وقد روي أيضا أن أبا بكر الصديق رضي ا لله عنه خرج مرة في تجارة إلى بصرى ومعه قوم منهم نعيمان هذا وسويبط بن سعد بن حرملة بن مالك بن عميلة بن السباق بن عبد الدار بن قصي القرشي العبدري، فجعل أبو بكر سويبطا على الزاد، فجاءه نعيمان يوما يشتكي الجوع ـ وأبو بكر غائب ـ فقال لسويبط: أطعمني ، فقال: لا حتى يرجع أبو بكر، فألح عليه فامتنع ؛ فذهب نعيمان إلى أعراب بجوارهم وقال لهم: هل تشترون غلاما عربيا فارها[3]؟ قالوا: نعم، قال: إنه ذو لِسان وسوف يقول أنا حر وكذا وكذا.. فإن كنتم تاركيه لذلك فمن الآن لا تفسدوا عليَّ عبدي، فقالوا: بل نبتاعه؛ فاشتروه منه بعشر قلائص فذهبوا معه، وأقبل نعيمان يسوق القلائص حتى وصلوا إليه، قال: دونكم هو هذا ــ وكان سويبط أسود أو قريبا من السواد ـ فقالوا له: هلم، فقال: ما هذا؟ فقالوا: اشتريناك من هذا الرجل، فقال سويبط: هذا كاذب ويستهزئ بكم أنا حر ولست بعبد، قالوا: قد أخبرنا

(1) كوماء: أي ضخمة السنام. وبنسيئة: أي تأخير دفع الثمن.

(2) أخرجه أحمد في مسنده.

(3) فارها: ماهرا حاذقا ونشيطا خفيفا.

خبرك! وجعلوا حبلا في عنقه، فلم يقاومهم لما رأى منهم من الإصرار والتصميم. فلما جاء أبو بكر سأل عن سويبط، فقال له نعيمان: بعته بهذه القلائص، فضحك أبو بكر وساق القلائص هو وأصحابه إلى أهلها واستخلصوا منهم سويبطا. ولما قدموا على رسول الله ﷺ بالمدينة وذكروا له القصة أضحكتهم سنة. وإلى ذلك أشار بقوله **ومضحك النبي والصحابة حولا**.. الخ.

ومن دعابته أيضا ما روي من أن مخرمة بن نوفل قام يوما في المسجد يريد أن يبول، وكان قد بلغ مائة وخمس عشرة سنة، فصاح به الناس المسجدَ المسجدَ، فأخذه نعيمان بن عمرو وتنحى به ثم أجلسه في ناحية أخرى من المسجد وقال له: بل ههنا، قال فصاح به الناس، فقال: ويحكم فمن أتى بي إلى هذا الموضع؟ فقالوا: نعيمان، قال: أما إن لله علي إن ظفرت به أن أضربه بعصاي هذه ضربة تبلغ منه ما بلغت؛ فبلغ ذلك نعيمان، فمكث ما شاء الله ثم أتاه يوما ـ وعثمان قائم يصلي في ناحية المسجد ـ فقال لمخرمة: هل لك في نعيمان؟ قال: نعم، فأخذ بيده حتى أوقفه على عثمان ـ وكان إذا صلى لا يلتفت ـ فقال: دونك هذا نعيمان، فجمع يده بعصاه فضرب عثمان فشجه فصاحوا به: ضربت أمير المؤمنين!!.. إلى غير ذلك. وفي بعض الروايات المشهورة في النظم:

ومضحك النبي والصحابه   في لحده نعمان ذو الدعابه

ولعلها تشير إلى ما روي من أن نعيمان هذا مات في حياة النبي ﷺ وأنه حضر جنازته، فلما انصرفوا منها ضحك النبي ﷺ فسأله الصحابة: ما يضحكك؟ فقال: «إن نعيمان عندما جاءه الملكان قال: لم تنتظروا ذهاب قومي عني»، فضحكوا فقال: «رحم الله نعيمان يضحكنا حيا وميتا». والمشهور أن نعيمان هذا بقي حتى توفي في خلافة معاوية رضي الله عنه؛ ومما يدل على ذلك المسألة الأخيرة التي ذكرنا من دعابته لأنها كانت في خلافة عثمان. والله أعلم.

ولما أنهى الكلام على بني غنم بن مالك بن النجار أخذ يتكلم على بني أخيه عمرو بن مالك بن النجار، فقال رحمه الله:

مِن مَّالِكٍ أَيْضًا أُبَيٌّ الْقَارِئُ ... أَوْسُ وَحَسَّانُ أَخُوهُ الدَّارِئُ
عَنِ النَّبِيِّ بِلِسَانٍ لَقْلَقِ ... بِمَدْحِ أَفْضَلِ الأَنَامِ مُفْلِقِ
وَهْوَ إِلَى أَرْنَبَةٍ يَمُدُّهُ ... وَجَبْرَئِيلُ تَارَةً يُمِدُّهُ
وَعَن بَنَاتِ عَابِدِ الرَّحْمَنِ ... أَخِيهِ حَازَ الإِرْثَ عَنْ هَوَانِ
لَهُنَّ فَاشْتَكَتْهُ لِلْعَدْنَانِي ... أُمُّ بَنَاتِهِ ، وَبِالْقُرْآنِ
وَرَّثَهُنَّ الْهَاشِمِيُّ وَالإِنَاثْ ... لَيْسَ لَهُنَّ قَبْلُ حَظٌّ فِي التُّرَاثْ

قوله **أبيّ** (بوزن قصي): مبتدأ خبره المجرور قبله. والقارئ: الحافظ للقرآن المتقن للقراءة وهي صفة لأبيّ؛ وإنما وصفه بها لأنه كان أقرأ الصحابة لكتاب الله تعالى. **وأوس** (بالرفع): عطف على أبيّ بحذف العاطف. **وحسان**: عطف عليه أيضا. **وأخوه**: صفة لحسان، والضمير فيه عائد على أوس. **والدارئ**: صفة لحسان أيضا، اسم فاعل من درأ عن فلان إذا دفع عنه ومنعه. **ولسان لقلق** (بوزن جعفر): فصيح أو حديد طويل. وقوله **مفلق** (بصيغة اسم الفاعل): أي آت بالعجب وهو صفة للسان أيضا. وقوله **بمدح أفضل**.. إلخ: متعلق بمفلق. وقوله **وهو**: أي حسان. **والأرنبة**: طرف الأنف. **ويمده** الأولى (بفتح الياء وضم الميم): مضارع مده إذا بسطه. **وتارة**: أي وقتا. **ويمده** الأخيرة (بضم الياء وكسر الميم): مضارع أمده إذا أعانه.

أبيّ بن كعب

يعني أن من بني مالك بن النجار أيضا القارئ المشهور أبيّاً بنَ كعب وأوسا وحسانا ابني ثابت بن المنذر النجاريين.

أما أبيّ فهو أبو المنذر أبيّ بن كعب[1] بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار الخزرجي النجاري الصحابي الجليل، شهد العقبة الثانية وبايع بها النبي ﷺ ، ثم شهد بدرا والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ. وكان أقرأ الصحابة لكتاب الله تعالى؛ وفي الحديث: «أقرأ أمتي أبي»[2]. وروي عنه أنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «أمرت أن أقرأ عليك القرآن»، وفي رواية «أعرض عليك القرآن»، فقال أبيّ: آلله سماني لك؟ فقال: «نعم»؛ فجعل أبيّ يبكي، وقرأ عليه رسول الله ﷺ ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾[3]، وقيل قرأ عليه ﴿ لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴾[4] إلى آخر السورة.

وروي أنه صلى الله عليه وسلم سأله: «أي آية معك في كتاب الله تعالى أعظم»؟ فقال أبي: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾[5] فضرب صلى الله عليه وسلم في صدره وقال: «ليهنئك العلم أبا المنذر»[6]. وكان أبي قبل الإسلام من الأحبار مطلعا على الكتب القديمة يكتب ويقرأ، على قلة العارفين بالكتابة في عصره؛ ولما أسلم كان من كتاب الوحي لرسول الله ﷺ، وكان من أول من كتب له مقدمه إلى

---

(1) من بني جديلة (بوزن جهينة وبالحاء المهملة) وهي بنت مالك بن زيد الله بن حبيب بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جشم بن الخزرج، وهي أم معاوية بن مالك بن النجار؛ فبنو معاوية ينسبون إليها ــ [سيرة ابن هشام].

(2) أخرجه الترمذي وابن ماجه.

(3) يونس: الآية: 58، والحديث رواه البخاري ومسلم.

(4) البينة الآية: 1.

(5) البقرة: الآية: 255.

(6) أخرجه مسلم وأحمد.

المدينة، وكان يكتب له إلى الناس هو وزيد بن ثابت ـ كما مر ـ وكان أحد فقهاء الصحابة وأحد أصحاب الفتيا منهم؛ بل كان يفتي على عهد رسول الله ﷺ، وكان عمر يسأله عن النوازل ويسميه *سيد المسلمين*، وهو الذي كتب له كتاب الصلح بينه وبين أهل بيت المقدس، وكان يتحاكم إليه في المعضلات. وروى عنه جماعة من الصحابة منهم عمر وابن عباس وأبو هريرة وأنس وأبو أيوب وعبادة بن الصامت وغيرهم.. وأخرج الأئمة أحاديثه في صحاحهم. وكان رضي الله عنه ربعة أبيض الرأس واللحية لا يغير شيبه؛ واختلف في وقت وفاته، فقيل مات بالمدينة في خلافة عمر حوالي سنة عشرين، وقيل في صدر خلافة عثمان وإنه كان ممن أمرهم عثمان بجمع القرآن. ومناقبه رضي الله عنه لا تحصى.

وابن عم أبيّ هذا عمرو بن طلحة بن الحارث بن كعب بن معاوية سيد بني مالك بن النجار في الجاهلية، أسلم وهو شيخ كبير وتوفي يوم مقدم النبي ﷺ من بدر.

وأما أوس فهو ابن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عدي بن عمرو بن مالك بن النجار الخزرجي النجاري، أمه بنت حارثة بن لوذان بنت عم الفريعة، والدة أخيه حسان. شهد أوس بن ثابت العقبة الثانية وبدرا وأحدا واستشهد به على الأثبت، وفيه يقول أخوه حسان بن ثابت من قصيدة له:

ومنا قتيل الشعب أوس بن ثابت   شهيدا وأسنى الذكر منه المشاهد

ومن أوس بن ثابت هذا ابنه شداد بن أوس، الذي قال فيه أبو الدرداء وعبادة بن الصامت إنه ممن جمع الله له العلم والحلم؛ وسكن شداد هذا بالشام بناحية فلسطين وبها توفي سنة ثمان وخمسين، وروى عنه أهل الشام وهو راوي حديث سيد الاستغفار وهو: "اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت؛ من قالها من النهار موقنا بها

فمات قبل أن يمسي دخل الجنة ومن قالها من الليل موقنا بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة"[1].

حسان بن ثابت شاعر النبي ﷺ

وأما **حسان** فهو أبو عبد الرحمن حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام الخزرجي النجاري، أمه الفريعة (بصيغة التصغير) بنت خالد بن خنيس بن لوذان بن عبد ود بن زيد بن ثعلبة بن الخزرج بن كعب بن ساعدة الأنصارية الخزرجية، أسلمت وبايعت، وكان يعرف بها فيقال له: ابن الفريعة. وكان رضي الله عنه من المخضرمين عاش ستين سنة في الجاهلية وستين في الإسلام[2] وكان أبوه ثابت وجده المنذر وجد أبيه حرام كلهم كذلك: عاش مائة وعشرين سنة. وكان جده المنذر بن حرام ممن تحاكمت عليه الأوس والخزرج في بعض حروبهم.

---

(1) أخرجه البخاري، والترمذي والنسائيُّ، وسيد الاستغفار أي أفضله وأعظمه نفعا وتسميته بذلك من التعبديات، وفيه ذكر الله تعالى بأكمل الأوصاف وذكر العبد بأنقص الحالات وهو أقصى غاية التضرع ونهاية الاستكانة لمن لا يستحقها إلا هو، وقوله: على عهدك إلخ: قيل المراد بالعهد: العهد الذي أخذه الله على عباده في قوله جل ﴿**وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم..**﴾ الآية، وبالوعد ما قال على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم: إن من مات لا يشرك بالله شيئا وأدى ما افترض عليه أن يدخله الجنة. وقوله: أبوء أي أقر وأعترف. وقوله: موقنا بها: أي مخلصا من قلبه مصدقا بثوابها. [البدر العيني].

(2) وللشيخ حمادن بن الأمين:

لقد عاش م الأصحاب ستين ستة	**ضلالا وعاشوها على خير مذهب**
سعيد بن يربوع حكيم حويطب	**ومخرمة الزهري وحسان يعرب**
وفي العد خلف في لبيد وحمنن	**بهم أتقي الأسوا وأغنم مطلبي**

ونشأ حسان في الجاهلية ونبه شأنه فيها إذ أدرك فحولها فكان معدودا منهم، بل فاق الكثير منهم؛ وممن أدرك النابغة الذبياني والأعشى وأنشدهم من شعره وكلاهما قال له: إنك شاعر؛ وكان يمدح الملوك وخاصة المناذرة والغساسنة في الجاهلية ويرحل إليهم فينال العطايا الجزيلة منهم، وأكثر من ينتجع منهم ويمدحه آل جفنة الغسانيين لما بينه وبينهم من صلة النسب وقرب الجوار، فكان له من جوائزهم مدد لا ينقطع حتى ناله منهم بعد أن أسلم وهم إذ ذاك مازالوا نصارى ـ كما مر في قصة جبلة بن الأيهم ـ ولما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة وأسلم الأنصار أسلم معهم وأخذت شعراء من قريش وغيرهم يهجون رسول الله ﷺ ويعيبون الإسلام ، عند ذلك قال رسول الله ﷺ: «ما يمنع القوم الذين نصروا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بسلاحهم أن ينصروه بألسنتهم»، فانتدب حسان لذلك وقال: أنا لها؛ وأخذ بطرف لسانه وقال: والله ما يسرني به مقول بين بصرى وصنعاء ــ وكان طويل اللسان يضرب به طرف أنفه ـ فقال له رسول الله ﷺ: «كيف تهجوهم وأنا منهم»؟ فقال: والله لأسلنك منهم كما تسل الشعرة من العجين[1]، فقال له صلى الله عليه وسلم: «إئت أبا بكر فإنه أعلم بأنساب القوم منك»[2]؛ فكان يأتي أبا بكر فيوقفه على أنسابهم ويقول له: كف عن فلانة وفلانة واذكر فلانة وفلانة.. وجعل حسان يهجوهم، فلما سمعت قريش شعره قالوا: إن هذا لَشِعرٌ

---

(1) أخرجه مسلم بلفظ مقارب. والعجين: الدقيق المعجون بالماء، ومعنى لأسلنك منهم إلخ أي لأخلصن نسبك من هجوهم بحيث لا يبقى شيء من نسبك في نسبهم الذي ناله الهجو كما أن الشعرة إذا سلت من العجين لا يبقى منها شيء فيه بخلاف ما لو سلت من شيء صلب فإنها ربما انقطعت فبقيت منها فيه بقية.

(2) أخرجه مسلم.

لم يغب عنه ابن أبي قحافة!.

فكان حسان يمدح رسول الله ﷺ ويذب عنه ويجيب كل من هجاه، وكان يهجو قريشا وشعراءهم وساداتهم ذودا عن رسول الله ﷺ. وكان ممن انتدب معه من شعراء الأنصار لهجو المشركين عبد الله بن رواحة وكعب بن مالك، فكان حسان وكعب يعارضانهم بمثل قولهم في الوقائع والأيام والمآثر ويذكران مثالبهم؛ وكان عبد الله بن رواحة يعيرهم بالكفر وعبادة ما لا يسمع ولا ينفع، فكان قوله يومئذ أهون القول عليهم، وكان قول حسان وكعب أشد القول عليهم. فلما أسلموا وفقهوا كان أشد القول عليهم قول عبد الله بن رواحة، وكان صلى الله عليه وسلم يقول: «إن قول حسان فيهم أشد عليهم من وقع النبل»[1].

وكان لسانه كالسيف القاطع يقطع ألسنة الأعداء، بل كان لسانه يبلغ في أعدائه ما لا يبلغ السيف لشدة تأثير شعره فيهم، وكان شعره كالبحر الصافي بعيد الغور غزير الماء لا تكدره الدلاء فهو كما قال عن نفسه:

لساني صارم لا عيب فيه ... وبحري لا تكدره الدلاء

وقال:

لساني وسيفي صارمان كلاهما ... ويبلغ ما لا يبلغ السيف مذودي

وقال:

نسبي أصيل في الكرام ومذودي ... تكوي مواسمه جنوب المصطلي[2]

والمذود اللسان لأنه يذاد به عن العرض.

---

(1) أخرجه مسلم.

(2) المواسم والمياسم: جمع ميسم وهي الآلة التي يوسم بها كالمكواة، وجنوب بضم الجيم: جمع جنب للناحية والشق، والمصطلي: المستدفئ بالنار.

ودافع حسان بن ثابت عن النبي ﷺ بلسانه كما دافع عنه قومه بسيوفهم، فكان لقوله من النكاية في قريش وأعداء الإسلام أحسن بلاء وأحمد أثر، فعرف بشاعر رسول الله واشتهر بذلك؛ وقد وصفته بذلك أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فقالت: كان والله رسول الله ﷺ كما قال فيه شاعره حسان بن ثابت:

نور أضاء على البريـــة كلها   من يهد للنــــور المبارك يهتد

وكما قال:

متى يبد في الداجي البهيم جبينه[1]   يلح مثـل مصباح الدجى المتوقد

فمن كان أو من قد يكون كأحمد   نظـــام لحق أو نكال لملحـــد

وقال فيه أبو عبيدة: فضُل حسان الشعراء بثلاث: كان شاعر الأنصار في الجاهلية وشاعر النبي ﷺ في النبوة وشاعر اليمن كلها في الإسلام، قال: وأجمعت العرب على أن أشعر أهل المدر أهل يثرب ثم عبد القيس ثم ثقيف وعلى أن أشعر أهل يثرب حسان بن ثابت. ومما قال في المنافحة[2] عن رسول الله ﷺ والذب عنه قصيدته المشهورة التي مطلعها:

عفت ذات الأصابــع فالجواء   إلى عـذراء منزلها خــــلاء

إلى أن يقول:

لنا في كـــل يــوم من معد   ســباب أو قتال أو هجـــاء[3]

فنُحْكِمُ بالقــــوافي من هجانا   ونضــــرب حين تختلط الدماء[4]

---

(1) الداجي: الليل الذي عمت ظلمته وألبس كل شيء. والبهيم: الذي لا ضوء فيه إلى الصباح. والجبين: الجبهة.

(2) المنافحة: المدافعة والمناضلة.

(3) لنا: يعني معشر الأنصار. ومن معد: يريد قريشا لأنهم عدنانيون.

(4) نحكم: أي نمنع، قال جرير: **ابني حنيفة أحكموا سفهاءكم   إني أخاف عليكم أن أغضبا**

وحين تختلط الدماء: أي حين تلتحم الحرب.

فمن يهجو رسول ا لله منكم ويمدحه وينصره سواء
فإن أبي ووالده وعرضي لعرض محمد منكم وقاء

ومن مدحه له صلى ا لله عليه وسلم قوله:

وأحسن منك لم تر قط عيني وأجمل منك لم تلد النساء
خلقت مبرأ من كل عيب كأنك قد خلقت كما تشاء

ومنه قوله:

آليت ما في جميع الناس مجتهدا مني ألية بر غير افناد[1]
تا لله ما حملت أنثى ولا وضعت مثل الرسول نبي الأمة الهادي
ولا برا ا لله خلقا من بريته أوفى بذمة جار أو بميعاد
من الذي كان فينا يستضاء به مبارك الأمر ذا عدل وإرشاد
مصدقا للنبيين الألى سلفوا وأبذل الناس للمعروف للجادي[2] ..إلخ.

وكان رضي ا لله عنه يمدح من يرتضيه من الصحابة مثل أبي بكر وعمر وابن عباس والزبير بن العوام رضي ا لله عنهم؛ وله في أم المؤمنين عائشة رضي ا لله عنها:

حَصَانٌ رَزَان ما تُزَنُّ بِريبَةٍ وَتُصْبِحُ غَرْثَى مِن لُحُومِ الغَوَافل[3]
حَليلَـةُ خيرِ النَّاس دِينًا ومنصبًا نَبيِّ الْهُدَى والْمَكرُمَاتِ الفَواضِلِ
عَقِيلَةُ حَيٍّ من لُؤيِّ بن غَالِبٍ كِرَام الْمَسَاعي مَجدُها غيرُ زَائل
مُهَذَّبَةٌ قد طَيَّبَ ا للهُ خِيمَهَا[4] وطهَّرهَا من كل سُوء وبَاطِلِ

---

(1) الافناد: الكذب والباطل.

(2) الجادي: سائل الجدوى وهي العطية.

(3) حَصان (بفتح الحاء) يكثر في أوصاف المؤنث من التحصن وهو الامتناع على الرجال من نظرهم إليها ومعناه العفيفة. والرزان: القليلة الحركة والكاملة العقل. وتزن: تتهم. والغرثى: خميصة البطن. والغوافل: العفائف الغافلة قلوبهن عن الشر أي خالية البطن من اغتياب الناس.

(4) المهذبة: المُطهَّرة الأخلاق النقية من العيوب. والخيم (بالكسر): الطبيعة والسجية.

فَإنْ كنتُ قد قُلْتُ الذِي قد زَعمتُمُ   فَلا رَفَعَتْ سَـوْطِي إلَيَّ أَنَامِلِي
وَإنَّ الذِي قَد قِيلَ لَيْسَ بلائِطٍ   بهَا الدَّهْرَ بَلْ قَوْلُ امْرِئٍ بي مَاحِلِ[1]
فَكَيفَ وَوِدِّي مَا حَيِيتُ ونُصْرَتِي   لآلِ رسول ا للهِ زَيْنِ المَحَافِـل
لَهُ رُتَبٌ عَالٍ عَلَى النَّاسِ كُلِّهِمْ   تَقَاصَرُ عنْها سَـوْرَةُ المُتَطَاولِ[2]
رَأَيْتُكِ ولْيَغفِـرْ لَكِ ا للهُ حُرَّةً   مِن المُحصَنَاتِ غَيْرِ ذَاتِ غَوَائِلِ[3]

وأكثر شعره في المدح والهجاء والفخر، ويغلب على الفخر في شعره فخره بنفسه وقومه وعشيرته، وقد مر بعض ذلك. وكان ابنه عبد الرحمن بن حسان شاعرا، أمه سيرين بنت شمعون القبطية أخت مارية أم إبراهيم بن رسول ا لله ﷺ، وكان لعبد الرحمن هذا ابن اسمه سعيد بن عبد الرحمن شاعرا وكان يقال أعرق قوم في الشعر - أو أهل بيت في الشعر - آل حسان فهم ستة في نسق كلهم شاعر، وهم: سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام، ثم كانت العراقة في الشعر بعدهم لآل أبي حفصة مولى عثمان بن عفان فكانوا عشرة شعراء على نسق، وهم: متوج بن محمود بن مروان بن يحيى بن مروان بن الحبوب بن مروان بن سليمان بن يحيى بن أبي حفصة المذكور.

ومن شعر حسان قوله:

وإن امرأ يمسي ويصبح سالما   من الناس إلا ما جنى لسعيد

ولابنه عبد الرحمن بن حسان:

---

(1) لائط: أي لاصق. ومحل به (بتثليث الحاء): سعى به إلى الأمير وكاده أو بهته وقال انه قال شيئا لم يقله.

(2) السورة: رتبة رفيعة من الشرف.

(3) المحصنات: جمع محصنة وهي العفيفة، ويطلق الإحصان على العفة كما في قوله تعالى ﴿محصنات غير مسافحات﴾ وعلى الحرية كما في قوله ﴿ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات﴾ وعلى الإسلام كما في قوله: ﴿فإذا أحصن﴾ وعلى التزويج كما في قوله ﴿والمحصنات من النساء﴾. والغوائل: جمع غائلة وهي الشر والفساد والمهلكة.

وإن امرأ نال الغنى ثم لم ينل   صديقا ولا ذا حاجـــة لزهيد

ولابنه سعيد بن عبد الرحمن:

وإن امرأ لاحى الرجال على الغنى   ولم يسأل الله الغنى لحسود

ومن جيد شعر حسان ما ارتجله بين يدي النبي ﷺ حين قدوم وفد بني تميم، وقام شاعرهم الزبرقان بن بدر وقال:

نحن الملوك فلا شيء يقاربنا   فينا العلاء وفينا تنصب البيع[1]

ونحن نطعمهم في القحط ما أكلوا   من العبيط إذا لم يونس القزع[2]

وننحر الكوم عَبْطا في أُرُومَتنا[3]   للنازلين إذا ما أنزلوا شبعوا

تلك المكارم حزناها مقارعة   إذا الكرام على أمثالها اقترعوا

فقام حسان وأنشد ارتجالا:

إن الذوائب من فهر[4] وإخوتهم   قد بيَّنوا سُنناً للناس تتبع

يرضى بها كل من كانت سريرته   تقوى الإله وبالأمر الذي شرعوا

قوم إذا حاربوا ضروا عدوهم   أو حاولوا النفع في أشياعهم[5] نفعوا

سجية تلك منهم غير محدثة   إن الخلائق ـ فاعلم ـ شرها البدع[6]

لو كان في الناس سباقون بعدهم   فكل سبق لأدنى سبقهم تبع

---

(1) جمع بيعة: متعبد اليهود.

(2) العبيط (كأمير): الذبيحة تنحر وهي سمينة فتية من غير علة. والقزع: الغيم أي إذا لم ير المطر وذلك آية القحط.

(3) الكوم جمع كوماء: وهي عظيمة السنام. وعبطا: أي من غير علة بها ولا كسر. والأرومة: الأصل.

(4) الذوائب: الأعالي والمراد بها هنا السادة. وفهر هو ابن مالك بن النضر جد قريش يرجع إليه نسبهم جميعا.

(5) الأشياع: جمع شيعة الأنصار والأتباع.

(6) السجية: الغريزة وما جبل عليه الإنسان. والخلائق: جمع خليقة وهي الطبيعة. والبدع: المستحدث من الأخلاق (عكس الغرائز).

لا يـــرقع الناس ما أوهـــت أكفهـم	عند الدفاع ولا يوهـــون ما رقعوا
ولا يضنـــون عن جار بفضلهـــــم	ولا يمسهـــم في مطمـــع طبع[1]
أعفة ذكـــرت في الناس عفتهـــم	لا يبخلون ولا يرديهـــم طمــــع
خذ منهم ما أتوا عفوا إذا عطفـــوا	ولا يكن همك الأمـــر الذي منعوا
فإن في حربهـــم ـ فاترك عداوتهم ـ	شرا يخاض إليه الصاب والسلـــع[2]
أكـــــرم بقوم رسول ا لله شيعتهـم	إذا تفرقـــت الأهـــــواء والشيع
أهدى لهـــم مدحتي قلب يـؤازره	فيما يحب لسان حائك صنـــــع[3]

وعاش حسان بن ثـابت رضـي ا لله عنـه بعـد رسـول ا لله ﷺ محببـا إلى خلفائـه مرضيا عندهم يفرض له العطاء الكافي من بيت المال ممتعا بحواسه وعقله، وقد كـف بصره في آخر عمره، ومات في خلافة علي رضي ا لله عنـه قبـل الأربعين، وقيـل في خلافة معاوية رضي ا لله عنه سنة أربع وخمسين عن مائة وعشرين سنة.

وقول الناظم: **وجبرئيل تارة يمده:** أشار به إلى ما روي من أنـه صلـى ا لله عليـه وسلم قـال لحسـان: «اهجهـم وهـاجهم فـإن جـبريل معـك»[4]، وقـال: «إن روح القدس مع حسان ما دام ينافح عن رسول ا لله»ﷺ[5]، وقال: «يا حسان أجب عـن ا لله ورسوله اللهم أيده بروح القدس». وروح القدس هو جبريل عليه السلام لقولـه

---

(1) يضنون: يبخلون، والطبع: الدنس والعيب، وفي الخبر: "نعوذ با لله من طمع يهدي إلى طبع".

(2) الصاب والسلع: ضربان من الشجر مران.

(3) يؤازره: يعينه ويقويه. وحـاك الثوب: نسـجه وحـاك الشـاعر القصيـدة: نظمهـا. ولسـان صنـع (بالتحريك): حاذق ماهـر، يقال للشاعر وكلِّ بليغ: "هـو صنـع اللسـان، ولـه لسـان صنـع" أي حاذق ماهر.

(4) أخرجه البخاري ومسلم.

(5) أخرجه مسلم وأبو داوود، وينافح: يدافع ويناضل.

تعالى في صفة عيسى ﴿ وَأَيَّدْنَـٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ﴾[1] وفي الحديث «إن روح القدس نفث في روعي»[2]، ويقول حسان من قصيدة له:

وجبريـــل رســـــول الله فينا ۞ وروح القـــدس ليس له كفاء[3]

وكان حسان رضي الله عنه يرى أنه كأنما يوحى إليه بالشعر، وقد قال:

وقافيةٍ عَجَّت بليل رزينـــــةٍ ۞ تلقيتُ من جو السَّماء نزولَها[4]

يراها الذي لا يَنطقُ الشعرَ عنده ۞ ويعجـــز عن أمثالها أن يقولَها[5]

ويقال إن جبريل أعانه بسبعين بيتا ــ [كما في الخميس].

وقوله: وعن بنات..إلخ متعلق بـــ**حاز**. **وأخيه**: صفة لعابد الرحمن، والضمير فيه عائد على حسان، وفاعل **حاز** ضمير مستتر عائد على حسان المتقدم ذكره. **والهوان**: الذل والاحتقار. والضمير في **اشتكته** عائد على حسان أيضا. والمراد بـــ**العدناني والهاشمي**: رسول الله ﷺ . وقوله **أم بناته**: فاعل **اشتكته**، والضمير فيه عائد على **عابد الرحمن**. وقوله **بالقرآن**: متعلق **بورثهن**. وقوله **ليس لهن قبلُ** (بالبناء على الضم): أي قبل نزول القرآن. **والحظ**: النصيب. **والتراث**: الميراث.

يعني أن حسان بن ثابت لما توفي أخوه عبد الرحمن بن ثابت عن بناته أخذ ميراثه وحرم بناته منه كما كان يفعل في عهد الجاهلية، فجاءت أمهن للنبي ﷺ تشكو له ذلك، فنزلت آية المواريث من سورة النساء، فورثهن ﷺ بموجبها.

---

(1) البقرة: الآية: 87.

(2) أخرجه الحاكم بإسناد صحيح، والهيثمي وأبو يعلى والبزار ــ [كما في زاد المعاد]. والروع (بالضم): القلب.

(3) أي ليس له مثل ولا نظير، يريد أنه لا يقوم له أحد.

(4) عجت: أي رفع قائلها بها صوته ليلا. ورزينة: أي رصينة محكمة. وتلقيت.. أي أوحي إلي بها.

(5) الذي لا ينطق الشعر: أي لا يجيد حوكه.

وقد أشار الناظم بهذه الأبيات إلى ما جاء في **الإصابة** من أن عبد الرحمن بن ثابت أخا حسان الشاعر مات وترك امرأة يقال لها أم كُجة (بضم الكاف وتشديد الجيم) وترك خمس جوار وعصبة، فجاء العصبة وأخذوا ماله و لم يعطوا شيئا لامرأته ولا بناته، فشكت ذلك لرسول الله ﷺ ؛ وفي رواية أنها قالت: وأخذ عمُّهما مالهما كله فلم يدع لهما شيئا، فأنزل الله تعالى آية الميراث ﴿ فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ﴾[1] الآية، فدعاه وقال له: «أعطهن الثلثين وأعط أمهن الثمن والباقي لك»[2] ؛ وقيل الآية نزلت في بنات سعد بن الربيع ــ كما مر ــ وقيل غير ذلك. وكان أهل الجاهلية لا يورثون النساء ولا الصغار ولا الضعفاء من الذكور لأنهم لا يركبون فرسا ولا يحملون كَلا ولا ينكؤون عدوا، وإنما يورثون الرجال الذين يقاتلون فيحوزون الغنيمة ويحمون الحوزة[3].

وقد نسب في **الإصابة** بعض خبر عبد الرحمن بن ثابت هذا للسدي ثم قال: و لم أره لغيره، و لم يذكر أهل النسب لحسان أخا اسمه عبد الرحمن. والله أعلم.

وَمُدْمِــــنُ الصِّيَامِ بَعْدَ الْهَادِي   وَصَوْتُهُ كَالْجَيْشِ وَهْوَ الشَّادِي:

«أَنَا أَبُو طَلْحَةَ وَاسْمِي زَيْدُ   وَفِي سِلَاحِي كُلَّ يَوْمٍ صَيْدُ»

وَهْوَ الذِي جَــوَّبَ يَوْمَ أُحُدِ   بِنَفْسِهِ وَتُــرْسِهِ عَــنْ أَحْمَدِ

وَانْكَسَـرَتْ فِي يَدِهِ قِسِــيُّ   يَوْمَئِـــذٍ إِذْ نَزْعُهُ قَــوِيُّ

بِيَدِهِ يَـــوْمَ حُنَيْنٍ قَصَمَا   عِشْرِينَ وَالْبَــزَّ النَّفِيسَ غَنِمَا

---

(1) النساء: الآية: 11.

(2) أخرجه أبو داوود.

(3) الكَل: العيال والثقل. ونكأ العدو: جرحه وقتله. والحوزة: الناحية، وحوزة الرجل: ما في ملكه.

ببيرِ حَاءٍ اتَّقَى حَـــرَّ لَظَى   إِذْ ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ﴾ مِنْهُ اتَّعَظَا

قوله **ومدمن** (بصيغة اسم الفاعل): عطف على **أبي القارئ** في البيت السابق، أو مبتدأ حذف خبره؛ تقديره ومن بني مالك بن النجار أيضا مدمن الصيام، أي المداوم على الصيام. **والهادي**: من أسمائه صلى الله عليه وسلم. والضمير في **صوته** عائد على مدمن الصيام. **والشادي**: المنشد للشعر الرافع به صوته كالغناء. **والصيد**: ما يصاد ويوخذ بحيلة. **وجوب** (بفتح الجيم وتشديد الواو) عن فلان بنفسه أو بترسه: وقاه بها. **والترس**: صفحة يحملها المقاتل معه للوقاية من السيف ونحوه. **والقسي** (بكسر القاف وضمها وكسر السين): جمع قوس وهي آلة من آلات الحرب على شكل نصف دائرة ترمى بها السهام. **ويومئذ**: أي يوم أحد. **والنزع**: الرمي عن القوس[1]، ونزع في القوس: مدها أي جذب وترها، وبالسهم رمى به. **وقصم** (كضرب): أهلك. **وعشرين**: مفعول به لقصم، والمراد به عشرين فارسا. **والبز** (بفتح الموحدة وتشديد الزاي، وبالنصب): مفعول مقدم لغنم وهو السلاح وثياب الكتان أو القطن. **والنفيس**: الذي يرغب فيه ويتنافس عليه والمال الكثير. **وغنم** (كفرح): فاز بالغنيمة. وقوله **ببيرحاء** (بالحاء المهملة): متعلق باتقى، **وبيرحاء**: بير بالمدينة[2]. **واتقى**: جعلها وقاية أي حاجزا بينه وبين حر لظى وهي جهنم ـ أعاذنا

---

(1) يقال رمى عن القوس ورمى عليها، ولا يقال رمى بها؛ وإنما جاز رمى عليها لأنه إذا رمى عنها جعل السهم عليها.

(2) بير حاء (بضم الراء وبالمد، وروي فيها فتح الراء على كل حال): اسم لحديقة نخل كانت لأبي طلحة وكانت مستقبلة المسجد وبها بير سميت بزجر الإبل عنها، وذلك لأن الإبل يقال لها إذا زجرت عن الماء وقد رويت "حاحا" فسميت لذلك بـ"بير حاء". [الروض الأنف وصحيح الترغيب والترهيب].

ا لله منها. **واتعظ**: دخلته الموعظة[1].

أبو طلحة بن سهل

يقول: ومن بني مالك بن النجار ثم من بني عدي منهم أبو طلحة بن سهل الشجاع المشهور المدافع عن النبي ﷺ وهو ابن عم أوس وحسان ابني ثابت المذكورين. وأبو طلحة هذا هو زيد بن سهل بن الأسود بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عدي بن عمرو بن مالك بن النجار الخزرجي النجاري، أمه عبادة بنت مالك بن عدي بن زيد مناة النجارية.

اشتهر أبو طلحة بكنيته، وكان رضي ا لله عنه من أفاضل الصحابة وكان ممن حضر العقبة الثانية وشهد بدرا وجميع المشاهد مع رسول ا لله ﷺ ، وكان من الرماة المذكورين حتى ضرب المثل بشجاعته، وكان له يوم أحد مقام مشهود، وذلك أنه لما انهزم الناس يومئذ قام بين يدي رسول ا لله ﷺ وترس بنفسه عنه ونثر سهامه كلها على الأرض وجعل يرمي بين يديه صلى ا لله عليه وسلم؛ فكان النبي ﷺ يشرف من خلفه لينظر إلى مواقع نبله فيرفع أبو طلحة صدره ليقي به رسول ا لله ﷺ ويقول له: بأبي أنت وأمي يا رسول ا لله لا تشرف فيصبْك سهم من سهام القوم، نحري دون نحرك وصدري دون صدرك؛ وكان راميا شديد الرمي والنزع وانكسرت في يده يَومئذ ثلاث أقواس، وقتل ما شاء ا لله أن يقتل من جنود المشركين، وكان كلما رمى بسهم يصيح ويقول: يا رسول ا لله نفسي لنفسك الفداء ووجهي لوجهك الوقاء، ورسول ا لله ﷺ واقف خلفه يقول: «لصوت أبي طلحة في الجيش خير من فئة»[2]؛ وفي رواية: «خير من مائة رجل» ـ [كما في

---

(1) الموعظة: اسم من الوعظ وكلام الواعظ جمعها: مواعيظ.

(2) أخرجه أحمد في مسنده، والحاكم في معرفة الصحابة.

أسد الغابة والاستبصار]. وكان رضي الله عنه صيتا وكان يرتجز ويقول:

أنا أبو طلحة واسمي زيد ... إلخ.

وشهد حنينا وأبلى فيه بلاء حسنا. وكان النبي ﷺ قد قال: «من قتل قتيلا فله سلبه»[1] فقتل أبو طلحة وحده يومئذ عشرين فارسا وأخذ أسلابها ــ [كما في **الخميس والاستبصار** وغيرهما]. وإلى ذلك أشار الناظم بقوله **بيده يوم حنين**.. إلخ.

وكان أبو طلحة هذا من أكثر الأنصار مالا، وكان له نخل كثير، وقد روي في الصحيحين عن أنس رضي الله عنه قال: لما نزلت ﴿ لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾[2]، قال أبو طلحة لرسول الله ﷺ: إن أحب أموالي إليَّ بيرحاء[3] وإنها صدقة أرجو برها وذخرها عند الله.. فضعها يا رسول الله حيث أراك الله، فقال النبي ﷺ: «بخ بخ ذاك مال رابح»[4]، وأمره أن يجعلها في الأقربين؛ فتصدق بها أبو طلحة على ذوي قرابته، وكان منهم حسان بن ثابت وأبيّ[5]؛ وروي أن حسان باع حصته منها لمعاوية.

---

(1) أخرجه البخاري ومسلم، وفي رواية: «من قتل كافرا فله سلبه». والسلب هو: ما يأخذه أحد القرنين في الحرب من قرنه مما يكون عليه ومعه من سلاح وثياب ودابة وغيرها.

(2) آل عمران ، الآية: 92.

(3) يعني حديقة كانت عنده فيها بئر طيبة الماء، وقد روي أن رسول الله ﷺ شرب منها.

(4) حديث: «بخ بخ..» رواه البخاري ومسلم وأحمد. وبخ بخ: كلمة تقال عند الرضا والإعجاب بالشيء وقد مر ضبطها.

(5) وفي الصحيح أن أبا طلحة دفع بير حاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعلها صدقة ، فأمره النبي صلى الله عليه وسلم أن يجعلها في الأقربين، فقسمها بين أبي وحسان، أما حسان فهو ابن عمه يجتمعان في حرام بن عمرو جدهما الثاني؛ وأما أبي فيجتمع معه في الأب السادس لأبيّ وهو عمرو بن مالك، إلا أنه كان ابن عمته وهي صهيلة بنت الأسود بن حرام، فمن أجل ذلك خصه بها ــ [الروض الأنف].

وكان أبو طلحة رضي الله عنه كثير الصيام؛ فعن أبي زرعة قال: عاش أبو طلحة بالشام بعد وفاة النبي ﷺ أربعين سنة يسرد الصوم[1]، وعن أنس أن أبا طلحة سرد الصوم بعد النبي ﷺ أربعين سنة، وعنه أيضا قال: كان أبو طلحة لا يكاد يصوم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم من أجل الغزو، فلما توفي رسول الله ﷺ ما رأيته مفطرا إلا يوم فطر أو أضحى. وإلى ذلك أشار بقوله: **ومدمن الصيام بعد الهادي** [صلى الله عليه وسلم].

وكان أيضا كثير الجهاد، شهد المغازي مع رسول الله ﷺ والفتوح مع الخلفاء رضي الله عنهم. روي أنه قرأ يوما سورة ﴿ بَرَآءَةٌ ﴾ فأتى على قوله تعالى﴿ ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[2]، فقال: لا أرى ربنا إلا يستنفرنا شبابا وشيوخا، ثم قال: يا بني جهزوني جهزوني، فقالوا له: يرحمك الله قد غزوت مع رسول الله ﷺ حتى مات ومع أبي بكر حتى مات ومع عمر حتى مات فدعنا نغز عنك، قال: لا جهزوني، فغزا في البحر فمات فيه، فلم يجدوا له جزيرة يدفنونه فيها إلا بعد سبعة أيام فدفنوه بها وهو لم يتغير، وكانت وفاته سنة إحدى وثلاثين، وقيل اثنتين وثلاثين، وقيل أربع وثلاثين، وقيل توفي بعد الخمسين؛ وروت عنه جماعة من الصحابة منهم ابن عباس وأنس بن مالك وزيد بن خالد وغيرهم..

ثم أشار الناظم إلى زواج أبي طلحة هذا من أم سليم بنت ملحان ورضاها في المهر منه بإسلامه، وبعض خصائصها وخصائص أختها أم حرام، فقال رحمه الله:

---

(1) يسرد يتابع بانتظام.

(2) التوبة ، الآية: 41.

أُمُّ سُلَيْمٍ بِنْتُ مِلْحَانَ نَحَلْ | مِن مَّهْرِهَا أَنْ كَانَ أَسْلَمَ الْبَطَلْ
وَوَلَدَتْ تِّسْعَةَ أَحْبَارٍ لِمَا | إِذْ أُهْدِيَتْ دَعَا النَّبِيُّ لَهُمَا
وَهْيَ الَّتِي أَخْدَمَتِ ابْنَهَا أَنَسْ | نَبِيَّنَا وَفَضْلَهُ مِنْهَا اقْتَبَسْ
بَعَثَهَا نَبِيُّنَا لِتَنْظُرَا | مَخْطُوبَةً لَهُ وَأَنْ تَخْتَبِرَا
نَكْهَتَهَا بِشَمِّهَا الْعَوَارِضْ | وَأَنْ تَرَى الْعُرْقُوبَ إِذْ تُعَارِضْ
وَأُخْتُهَا أُمُّ حَرَامٍ كَانَتِ | تَحْتَ عُبَادَةَ سَلِيلِ الصَّامِتِ
تَفْلِي وَتُطْعِمُ النَّبِيَّ وَغَزَتْ | وَسَقَطَتْ عَنْ بَغْلَةٍ وَهَلَكَتْ

أم سليم: مبتدأ، وبنت **ملحان** (بالرفع): صفته، وملحان (بكسر الميم) اسمه مالك بن خالد. **ونحل** (بالحاء المهملة كسأل): أعطى ومفعوله الأول ضمير مقدر عائد على أم سليم ، والمصدر المنسبك من **أن** (بفتح الهمزة) وصلتها في قوله **أن كان أسلم**: مفعول ثان لنحل. **ومن مهرها**: حال من المصدر المذكور. **والبطل**: فاعل نحل، وهو الرجل الشجاع سمي بذلك لأنه تبطل عنده الدماء وتهدر فلا ينال منه ثأر ؛ والمراد بالبطل هنا أبو طلحة المتقدم ذكره، وفيه إقامة الظاهر مقام المضمر والصفة مقام الموصوف. وجملة **نحل**.. إلخ: خبر عن قوله **أم سليم**، والمعنى أن أم سليم بنت ملحان نحلها أي جعل لها أبو طلحة إسلامه مهرا. قوله **وولدت** فاعله ضمير مستتر عائد على أم سليم. **والأحبار**: العلماء، جمع حبر (بفتح المهملة وكسرها). وقوله **لما** (بكسر اللام وتخفيف الميم): أي لأجل دعاء النبي ﷺ لها ولزوجها أبي طلحة بالبركة. وقوله **وهي**: أي أم سليم التي **أخدمت ابنها** أي وهبته خادما، أي عاملا. **وأنس**: بدل من ابنها، ووقف عليه بوقف ربيعة. **ونبينا** (بالنصب): مفعول ثان لأخدمت. وقوله **وفضله** (بالنصب): مفعول به مقدم لاقتبس، والضمير فيه عائد على أنس. وقوله **منها** متعلق باقتبس أيضا، والضمير فيه

عائد على الخدمة اللازمة من **أخدمت**، على حد قول الشاعر:

لكالرجل الحادي وقد تلع الضحى وطير المنايا فوقهن أواقع[1]

واقتبس الشيء: ناله.

يعني أن أم سليم بنت ملحان هذه هي زوج أبي طلحة بن سهل المذكور التي رضيت بإسلامه صداقا لها وهي أيضا أم أنس بن مالك خادم النبي ﷺ.

أم سليم بنت ملحان وزواجها بأبي طلحة

أشار رحمه الله بهذه الأبيات إلى بعض خبر أم سليم بنت ملحان مع زوجها أبي طلحة وابنها أنس بن مالك، وأم سليم هي بنت ملحان بن خالد بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار النجارية الصحابية الجليلة، اشتهرت بكنيتها واختلف في اسمها فقيل الرميصاء، وقيل الغميصاء، وقيل سهلة، وقيل رميلة، وقيل مليكة، وقيل غير ذلك..

وكانت أم سليم هذه عاقلة فاضلة، وكانت قد تزوجت مالكا بن النضر في الجاهلية فولدت له أنسا ثم قتل عنها في الجاهلية، وقيل لم يزل معها حتى جاء الإسلام فأسلمت مع قومها وعرضت الإسلام على زوجها مالك فغضب وقال: إن هذا الرجل - يعني النبي ﷺ - يحرم الخمر، فخرج إلى الشام فهلك به. ثم كانت أم سليم بعد ذلك إذا خطبها أحد تقول: لا أتزوج حتى يبلغ أنس ويجلس في المجالس، فكان أنس يقول: جزى الله أمي خيرا لقد أحسنت ولايتي.

---

(1) الضمير في فوقهن: عائد على المحدوات اللازمة من الحادي، والحادي الذي يسوق الإبل ويتغنى لها. وتلع النهار: طلع. والضحى: انبسط. قال ابن بونه في احمراره على الخلاصة:

واستغن عن مفسر الضمير بالكل والجزء وبالنظير

وما له صاحب مثل ما لزم منه وبالحضور كالذي علم

ولما شب أنس خطبها أبو طلحة فقالت: يا أبا طلحة ما مثلك يرد ولكنك امرؤ كافر تعبد خشبة من نبات الأرض نحتها حبشي بني فلان وأنا مسلمة لا تحل لي، فقال: ما ذاك الذي تريدين! قالت: وما أريد؟ قال: الصفراء والبيضاء - يعني الذهب والفضة - قالت: لا أريد صفراء ولا بيضاء.. فإن تسلم فذاك مهري لا أريد منك صداقا غيره، فقال: حتى أنظر في أمري؛ فذهب ثم عاد فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ﷺ ، فأمرت ابنها أنسا أن يزوجها منه، فكان إسلامه مهرها، فقالوا ما سمعنا بمهر أكرم من مهر أم سليم، فكان أنس ربيب أبي طلحة وروى عنه.

ثم ولدت أم سليم لأبي طلحة ابنه أبا عمير بن أبي طلحة، وكان أبو طلحة يحبه حبا شديدا، ثم مرض أبو عمير هذا فكان أبو طلحة يدخل على أم سليم ويسألها عن حاله ويشق عليه مرضه، ثم مات فنحته أم سليم في جانب البيت وقالت: لا يَذكرُ ذلك لأبي طلحة أحد قبلي، فجاء أبو طلحة فقال: كيف الغلام؟ فقالت: هو أسكن ما كان هدأت نفسه وأرجو أنه استراح، فظن أبو طلحة أنه عوفي. فقربت له العشاء فتعشى ثم تزينت له وتطيبت فنام معها وأصاب منها، فلما أراد أن يخرج قالت: يا أبا طلحة أرأيت أن قوما أعاروا أهل بيت عارية فطلبوا عاريتهم لهم أن يمنعوهم؟ قال: ليس لهم ذلك إن العارية مردودة إلى أهلها؟ فقالت: إن الله أعارنا غلاما ثم أخذه منا فاحتسبه عند الله؛ فاسترجع ثم خرج فصلى مع النبي ﷺ وأخبره بما كان، فقال له رسول الله ﷺ: «بارك الله لكما في ليلتكما هذه»[1]. ثم ولدت غلاما فأرسلته إلى رسول الله ﷺ مع أخيه أنس وأرسلت معه تمرات، فمضغها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذ من فيه وجعله في في الصبي وحنكه ودعا له

---

(1) رواه مسلم.

وسماه عبد الله، فبورك فيه بسبب دعاء النبي ﷺ لأبويه[1]؛ قال أنس: فما كان في الأنصار ناشئ أفضل منه. وقد قال بعض الأنصار رأيت لعبد الله بن أبي طلحة تسعة أولاد كلهم قرأوا القرآن، وهم إسماعيل وإسحاق ويعقوب ومحمد وعمرو وعمير والقاسم وزيد وعبد الله، وقد روى أكثرهم العلم وأشهرهم به أبو يحيى إسحاق بن عبد الله شيخ الإمام مالك بن أنس، كان ثقة وحجة، وكان مالك لا يقدم عليه أحدا لنبله عنده، ومات سنة اثنتين وثلاثين ومائة؛ وقد روى عن أبيه عبد الله عن جده أبي طلحة، وروى عنه ابناه عبد الحق وعبد الله ابنا إسحاق. وإلى ذلك أشار الناظم بقوله **وولدت تسعة أحبار**..إلخ.

وظاهر كلامه رحمه الله أن أم سليم لما تزوجت بأبي طلحة دعا لهما النبي ﷺ بالبركة فولدت له تسعة أولاد صاروا بعد علماء، و لم أقف على هذا؛ والمعروف ـ فيما وقفت عليه ـ ما تقدم من أن أم سليم هذه تزوجت بأبي طلحة فولدت له أبا عمير بن أبي طلحة ومات فدعا لهما النبي ﷺ بالبركة، فولد لهما بعده عبد الله فظهرت فيه بركة دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فوُلد له تسعة أولاد كلهم قرأوا القرآن وحمل عنه العلم. فعلى هذا يكون في قول الناظم تجوز، لأن الدعوة المذكورة كانت بعد الزواج لا عنده ـ كما هو ظاهر كلامه ـ والأولاد المذكورون أحفاد لأم سليم وليسوا أبناءها مباشرة ـ كما هو ظاهر كلامه أيضا ـ ولكن الخطب سهل إذ غاية ما فيه كون الدعوة متأخرة عن وقت الزواج وكون الأولاد أبناء ابنها وهو مجاز ممكن، اللهم إلا أن يكون الناظم وقف على ما يوافق ظاهر كلامه في غير

---

(1) وفي رواية عن أنس قال: فناولته تمرات فلاكهن ثم فغر فاه ثم مجه فيه فجعل يتلمظ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «حبُّ الأنصار التمر» وسماه عبد الله. والحديث أخرجه البخاري ومسلم.

ما طالعته من الكتب. وا لله أعلم. وقد قيل إن عبد ا لله بن أبي طلحة هذا ولد له سوى البنين التسعة الآنفي الذكر إبراهيم وعمارة وأربع بنات. وشهد عبد ا لله بن أبي طلحة هذا صفين مع علي رضي ا لله عنه وقتل بفارس شهيدا، وقيل مات بالمدينة في خلافة الوليد بن عبد الملك بن مروان.

وأما ما أشار إليه الناظم من أن أم سليم أهدت ابنها لرسول ا لله ﷺ يخدمه فقد مر الكلام فيه في ترجمة أنس رضي ا لله عنه.

وقوله : بعثها: الضمير فيه عائد على أم سليم. **والمخطوبة**: المدعوة للزواج. **واختبار** الشيء: تجربته والاطلاع على حقيقته. **ونكهتها** (بفتح النون): رائحة فمها. **والعوارض**: جمع عارض، وقيل جمع عارضة: للسن التي في عُرْض الفم أو ما يبدو من الفم عند الضحك. **والعرقوب** (بوزن عصفور): عصب غليظ فوق العقب، جمعه عراقيب. **وإذ**: بمعنى حين. **وتعارض**: أي تسير حيالها.

أشار الناظم رحمه ا لله بهذين البيتين إلى بعض خصوصيات أم سليم مع النبي ﷺ، وثقته بها؛ فقد روي أنه صلى ا لله عليه وسلم بعث أم سليم بنت ملحان إلى امرأة فقال: «انظري إلى عرقوبيها وشمي معاطفها» وفي رواية: «شمي عوارضها»[1] والمراد اختبار رائحة الفم، والنظر إلى العرقوب يعرف به لون سائر الجسد. وفي كشف الغمة عن أنس قال: أراد رسول ا لله ﷺ مرة أن يتزوج امرأة فبعث إليها امرأة لتنظر إليها وقال: «شمي عوارضها وانظري إلى عرقوبيها»، قال أنس فجاءت المرأة إلى أهل المخطوبة فقالوا لها: ألا نغديك يا أم فلان؟ فقالت: لا آكل إلا من

---

(1) حديث: "انظري إلى عرقوبيها.."إلخ: رواه أحمد والحاكم والطبراني والبيهقي – [كما في فقه السنة]. والمعاطف: ناحيتا العنق. والعوارض: الأسنان.

طعام جاءت به فلانة، قالت: فصعدَتْ في رَف[1] لهم فنظرتُ إلى عرقوبيها؛ ثم قلت: افليني يا بنية، ففلتني فجعلت أشم عارضيها، قال أنس: فلما جاءت وأخبرت النبي ﷺ تبسم.

قوله **وأختها** مبتدأ، والضمير المضاف إليه عائد على **أم سليم**. وقوله **أم حرام** (بالرفع): خبر المبتدإ. وقوله **كانت تحت عبادة**: أي كانت زوجا له. وقوله **تفلي** (بفتح التاء): من فلاه يفليه فليا إذا نقى رأسه أوثوبه من القمل ونحوه.

وأم حرام هي بنت مِلْحَان بن خالد خالة أنس بن مالك وقد مر نسبها آنفا عند التعريف بأختها أم سليم. واختلف في اسم أم حرام أيضا فقيل الغميصاء، وقيل الرميصاء؛ قال في أسد الغابة: لم يصح فيه شيء. وقد روي أن رسول الله ﷺ كان يكرمها ويزورها في بيتها ويقيل عندها ودعا لها بالشهادة، وكانت هي تكرمه صلى الله عليه وسلم وتطعمه وتفلي رأسه، فجاءها يوما ونام في بيتها فاستيقظ وهو يَضحك فقالت: يا رسول الله ما يضحكك فقال: «عُرِض علي ناس من أمتي غزاة في سبيل الله يركبون ثبج هذا البحر»، وفي رواية: «ظهر البحر الأخضر كالملوك على الأسرة»، فقالت: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم فقال: «إنَّكِ مِنْهُمْ»[2]، ثم نام فاستيقظ وهو يضحك فقالت له: يا رسول الله ما يضحكك؟ فأعاد الرؤيا السابقة فقالت: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم، قال: "أنتِ مِنَ الأولين"[3]. ثم لما ولي عثمان الخلافة وجاءت سنة سبع وعشرين، بعث جيشا تحت

---

(1) الرف (بتشديد الفاء): خشبة أو نحوها تُشد إلى الحائط فتوضع عليها طرائف البيت.

(2) أخرجه أبو داوود وابن ماجه وأحمد، وثبج البحر (بالثاء المثلثة): معظمه ووسطه. والأسرة: جمع سرير؛ وهو عرش الملك أو مضطجعه.

(3) أخرجه أبو داوود وابن ماجة وأحمد.

إمرة معاوية بن أبي سفيان لغزو افريقية ـ وكانت فيه أم حرام هذه وزوجها عبادة بن الصامت وفيه أبو الدرداء وأبو ذر وغيرهم من الصحابة ـــ فركبوا البحر، فلما جاوزوه ووصلوا جزيرة قبرص، خرجوا من البحر فقربت إليها دابة فركبتها فصرعتها فماتت ودفنت مكانها.

وإنما كانت أم حرام هذه تفلي النبي ﷺ للتشريع ولإزالة الغبار عنه لأن القمل لا يؤذيه ولا يكون فيه. وإنما كان صلى الله عليه وسلم يدخل عليها ويمكنها من فليه لأنها ذات محرم له، قيل كانت خالة أبيه أو جده، وقيل إحدى خالاته من الرضاعة. وجزم النووي بأن ابنتي ملحان كانتا محرمين له صلى الله عليه وسلم، وحكى الاتفاقَ على ذلك. وفي الاستبصار لابن قدامة المقدسي قالَ: ذكر أبو عمرو أن أم حرام كانت خالة رسول الله ﷺ من الرضاعة، أرْضعتهُ أخت لهما ثالثة، قال: ولم أر ذلك عن غيره. والله أعلم.

هذا وكانت أم حرام هذه ـ قبل عبادة بن الصامت ـ عند عمرو بن قيس بن زنبر بن سواد بن مالك بن غنم بن مالك بن النجار، فولدت له عبد الله بن عمرو المعروف بابن أم حرام، ثم خلف عليها عبادة بن الصامت فماتت عنده.

تنبيهٌ: أبو عمير بن أبي طلحة المذكور الذي توفي صغيرا كان فطيما وهو صاحب الحديث المشهور الذي كان رسول الله ﷺ يمازحه به ويقول: «يا أبا عمير ما فعل النغير»[1]. وقد أخذ العلماء من هذا الحديث ما لا يحصى كثرة من

---

(1) حديث: «يا أبا عمير..» متفق عليه. والنغير (تصغير نُغَر بوزن صرد): وهو طائر أحمر المنقار يشبه العصفور، جمعه نغران (بوزن صردان) كان أبو عمير هذا يلعب به، فمات وحزن عليه فكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا دخل بيت آل أبي طلحة يداعب صبيهم، ويقول: «يا أبا عمير ما فعل النغير»؟.

الفقه وفنون الأدب ونوادر الفوائد، منها:

- جواز تكنية الطفل وتكنية من لم يولد له وأنه ليس من الكذب.
- وجواز السؤال عن المعلوم لأنه صلى الله عليه وسلم كان عالما بموت ذلك النغير.
- وجواز ممازحة الصبي الذي لم يميز، وملاطفة الصبيان وتأنيسهم.
- وجواز المزاح والمداعبة بما لا إثم فيه، ومعاشرة الناس على قدر عقولهم.
- وجواز لعب الصبي وتلهيته بالعصفور وتمكين وليه له من ذلك بلا تعذيب وعبث.
- وجواز السجع بالكلام الحسن بلا كلفة.
- وجواز دعاء الشخص بتصغير اسمه عند عدم الإيذاء وتصغير الاسم ولو كان لحيوان.
- وبيان ما كان عليه رسول الله ﷺ من حسن الخلق وكرم الشمائل مع الصغير والكبير، والتواضع والانبساط مع الناس، إلى غير ذلك..

ولما تكلم على بني غنم وبني عمرو ابني مالك بن النجار؛ أخذ في الكلام على بني أخيهما مبذول بن مالك بن النجار، فقال رحمه الله:

مَبْذُولُ رَهْطُ الْحَارِثِ بْنِ الصِّمَّهْ ... وَهْوَ الَّذِي يَحْدُو بِهَادِي الأُمَّهْ

صَاحِبِ عَمْرِو بْنِ أُمَيَّةَ لَدَى ... بِئْرِ مَعُونَةَ وَغَالَتْهُ الْعِدَا

قَاتِلِ عُثْمَانَ بْنِ عَبْدِ اللهِ ... ابْنِ الْمُغِيرَةَ وَلِلأَوَّاهِ

صُهَيْبٍ الرُّومِيِّ ذُو إِخَاءِ ... وَذُو مَوَدَّةٍ وَذُو صَفَاءِ

مبذول (بالذال المعجمة وبوزن منصور): مبتدأ، واسم مبذول عامر، ويقال له أيضا: سَدَن بن مالك بن النجار. **ورهط الحارث**: خبر المبتدأ. **وابن الصمة** (بكسر الصاد المهملة وفتح الميم مشددتين وبالجر): صفة للحارث. وجملة **وهو الذي يحدو**..إلخ: صفة للحارث أيضا. **ويحدو به**: يسوق الإبل ويغني لها، لأنها

تستحث بالحُداء[1]. **وهادي الأمة**: أي مرشدُها وهو رسول الله ﷺ. **وصاحب وقاتل** (بالجر فيهما): صفتان للحارث أيضا. **وغالته العدا**: أهلكته. وقوله **وللأواه**: خبر مقدم لقوله **ذو إخاء**، والأواه: الكثير التأوه وهو الشكوى والتوجع، والمراد به الخوف من الله والبكاء من خشيته. **وصهيب** (بوزن زبير وبالجر): بدل من الأواه، **والرومي**: صفته. **وذو إخاء**: مبتدأ وما بعده معطوف عليه. **والإخاء**: المؤاخاة والمصادقة بحيث يصير كل منهما للآخر كالأخ. **والمودة**: المحبة. **والصفاء**: الإخلاص في الود.

الحارث بن الصمة

يقول: ومن بني مالك بن النجار ـ أيضًا ـ بنو مبذول وهم بطن الحارث بن الصمة الذي كان يحدو بالنبي ﷺ. والحارث هذا هو أبو سعيد الحارث بن الصمة بن عمرو بن عتيك بن عمرو بن مبذول بن مالك بن النجار، النجاري المبذولي، آخى النبي ﷺ بينه وبين صهيب بن سنان، وكان الحارث بن الصمة هذا قد خرج مع النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين إلى بدر، فلما كانوا بالروحاء أصاب رجله كسر فردَّه النبي ﷺ وضرب له بسهمه وأجره، وفيه يقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

يا رب إن الحارث بن الصمَّه ... أهل وفاء صادق وذمه
أقبل في مهامه ملمه ... في ليلة ظلماء مدلهمه[2]
يسوق بالنبي هادي الأمه ... يلتمس الجنة فيها ثمه

وإلى ذلك أشار الناظم بقوله **وهو الذي يحدو بهادي الأمه**.

---

(1) الحداء (بكسر الحاء وضمها): رفع الصوت بالغناء للإبل، يقال: "ما أملح حُداءه".

(2) مهامه: جمع مهمه، وهي المفازة. والملمة: الشديدة. ومدلهمه: شديدة السواد.

وشهد الحارث مع النبي ﷺ أحدا وثبت معه حين انكشف الناس وبايعه على الموت، وقتل عثمان بن عبد الله بن المغيرة بن عمرو بن مخزوم القرشي المخزومي يومئذ وأخذ سلبه؛ فسَلَّبه رسول الله ﷺ و لم يُسَلِّبْ يومئذ غيره، كما في الاستيعاب والاستبصار. وإلى ذلك أشار الناظم بقوله **قاتل عثمان**..إلخ. وروي أنه قال: سألني النبي ﷺ يوم أحد ـ وهو في الشعب ـ عن عبد الرحمن بن عوف، فقلت: رأيته إلى جنب الجبل، فقال: «إن الملائكة تقاتل معه..» ـ الحديث[1].

وكان الحارث بن الصمة هذا من البعث الذين أرسلهم النبي ﷺ مع أبي براء بن مالك بن جعفر إلى أهل نجد يدعونهم إلى الإسلام، وكانوا أربعين ـ أو سبعين ـ رجلاً من خيار المسلمين، وأمر عليهم المنذر بن عمرو أخا بني ساعدة. فساروا حتى نزلوا بئر معونة (وهو موضع ببلاد هذيل بين مكة وعسفان) بعثوا حرام بن ملحان بكتاب رسول الله ﷺ إلى عدو الله عامر بن الطفيل العامري (ابن أخي أبي براء). فلما أتاه لم ينظر في الكتاب حتى عدا على الرجل فقتله، فاستصرخ عليهم بني عامر فلم يجيبوه إلى ما دعاهم إليه، وقالوا لن نخفر أبا براء؛ وقد عقد لهم عقدا وجوارا. فاستصرخ عليهم قبائل من بني سليم: عصية ورعلا وذكوان، فأجابوه إلى ذلك فخرجوا حتى غشوا القوم فأحاطوا بهم في رحالهم، فلما رأوهم أخذوا سيوفهم فقاتلوهم حتى قتلوا عن آخرهم إلا كعب بنَ زيد أخا بني دينار بن النجار فإنهم تركوه وبه رمق (أي بقية حياة) فعاش حتى استشهد يوم الخندق؛ وكان في سرح القوم الحارث بن الصمة هذا وعمرو بن أمية الضمري، فلم ينبئهما بمصاب أصحابهما إلا الطيرُ تحوم على العسكر، فقالا والله إن لهذي الطير لشأنا؛ فأقبلا لينظرا فإذا القوم صرعى في دمائهم وإذا الخيل التي أصابتهم واقفة، فقال الحارث

---

(1) أخرجه الطبراني ـ كما في الإصابة ـ ورواه ابن عبد البر، وأبو نعيم ـ [كما في أسد الغابة].

لعمرو: ما ترى؟ قال: أرى أن نلحق برسول الله ﷺ فنخبره الخبر، فقال الحارث: ما كنت لأرغب بنفسي عن موطن قتل فيه المنذر بن عمرو؛ فأقبل على القوم فقاتلهم حتى قتل، وما قتلوه حتى أشرعوا فيه الرماح فنظموه بها، وأسروا عمرا؛ فلما أخبرهم أنه مضري أطلقه عامر بن الطفيل وجز ناصيته وأعتقه عن رقبة زعم أنها كانت على أمه![1]، وإلى ذلك أشار الناظم بقوله **صاحب عمرو بن أمية**..إلخ.

صهيب الرومي

وصهيب الرومي هو أبو يحيى صهيب بن سنان بن خالد بن عمرو بن عقيل بن عامر بن جندلة النمري، من بني النمر بن قاسط، وأمه سلمى بنت قعيد بن مهيص من بني مالك بن عمرو بن تميم. وعرف بالرومي لأنه تربى في الروم وأخذ لسانهم فكانت في لسانه عجمة شديدة، وذلك لأن أباه أو عمه كان عاملا لكسرى على الأبلة؛ وكانت منازل أهله على دجلة من جهة الموصل، وقيل على الفرات، فأغارت الروم على تلك الناحية فسبت صهيبا ـ وهو غلام صغير ـ فنشأ معهم، فصار ألكن، فابتاعه منهم رجل من كلب وقدم به مكة فاشتراه منه عبد الله بن جدعان التيمي فأعتقه، فأقام معه بمكة حتى هلك ابن جدعان؛ ويقال بل هرب من الروم فقدم مكة فحالف ابن جدعان، وكان اسمه ـ فيما قيل ـ عميرة، وقيل عبد الملك، فسماه الروم صهيبا، وكان أحمر شديد الصهوبة تشوبها حمرة كثير شعر الرأس يخضبه بالحناء، ولم يزل بمكة حتى بعث النبي ﷺ. وقد روي عنه أنه قال: صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث؛ وأسلم هو وعمار بن ياسر في يوم واحد ورسول الله ﷺ في دار الأرقم، وكان أحد سبعة هم أول من أظهر إسلامه؛ وكان

(1) يقال: إن أبا براء مات أسفا على ما صنع ابن أخيه عامر بن الطفيل.

من المستضعفين ممن يعذب في الله، وهاجر رضي الله عنه إلى المدينة مع علي بن أبي طالب بعيد هجرة النبي ﷺ وأدركا رسول الله صلى الله عليه وسلم في بني عمرو بن عـــوف بقباء.

وروي أنه لما هاجر تبعه نفر من المشركين فقال لهم: يا معشر قريش قد تعلمون أني من أرماكم ولا تصلون إلي حتى أرميكم بكل سهم معي ثم أضربكم بسيفي ما بقي منه في يدي شيء، فقالوا له: لا تفجعنا بنفسك ومالك، فرد إليهم ماله فرجعوا عنه؛ فلما قدم على رسول الله ﷺ قال له: «ربح البيع أبا يحيى»[1]، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾[2].

وشهد صهيب رضي الله عنه بدرا والمشاهد بعدها؛ وروى الطبراني من حديثه أنه قال: لم يشهد رسول الله ﷺ مشهدا قط إلا كنت حاضره، ولم يبايع بيعة قط إلا كنت حاضره، ولم يُسَرِّ سرية[3] قط إلا كنت حاضرها، ولا غزا غزاة إلا كنت فيها عن يمينه أو شماله، وما خافوا أمامهم قط إلا كنت أمامهم، ولا ما وراءهم إلا كنت وراءهم، وما جعلت رسول الله ﷺ بيني وبين العدو قط حتى توفي. وكان رضي الله عنه ــ مع فضله ودينه وورعه ــ حسن الخلق فيه دعابة وفكاهة؛ روي أنه قال: جئت النبي ﷺ وهو نازل بقباء وبين أيديهم رطب وتمر وأنا أرمد إحدى

---

(1) رواه ابن عبد البر وابن سعد وابن أبي خيثمة ــ كما في الإصابة.

(2) البقرة: 207.

(3) سرَّى السرية: جردها إلى العدو ليلا. والسرية قطعة من الجيش (فعيلة بمعنى فاعلة) لأنها تسرى في خفية ليلاً لئلا ينذر بهم العدو فيحذروا، وقيل سميت سرية لأنها تكون خلاصة العسكر وخياره (من الشيء السري وهو النفيس).

العينين فأكلت، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أتأكل التمر على عينك»؟ وفي رواية: «وبك رمد»؟[1] فقلت: يا رسول الله آكل من ناحية عيني الصحيحة، فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه. ولما طعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أوصى أن يصلي عليه صهيب وأن يصلي بالناس إلى أن يجتمع المسلمون على إمام. ومات صهيب بالمدينة سنة ثمان وثلاثين، وقيل تسع وثلاثين عن سبعين - وقيل ثلاث وسبعين سنة - ودفن بالبقيع؛ ومنا قبه رضي الله عنه لا تحصى.

ومن بني مبذول بن مالك بن النجار - أيضا - ثعلبة وبشير وأبو عبيدة وحبيب؛ بنو عمرو بن محصن بن عمرو بن عتيك بن عمرو بن مبذول بن مالك بن النجار النجاريون. شهد ثعلبة منهم بدرا وما بعدها من المشاهد مع النبي ﷺ ، وتوفي في خلافة عثمان بالمدينة، وقيل بل قتل يوم جسر أبي عبيد. وقتل بشير مع علي بصفين؛ واستشهد أبو عبيدة ببئر معونة؛ وحبيب باليمامة.

ولما أنهى الكلام على بني مالك بن النجار أخذ في الكلام على بني عمومتهم بني مازن بن النجار، فقال رحمه الله وعفا عنه:

---

(1) أخرجه ابن ماجه.

بنو مازن بن النجار*

مِن مَازِنٍ مُنْقِـذُ الْغَبِيـنُ ... وَ«لاَ خِلاَبَـةَ» بِهَا الأَمِـينُ
أَتْحَفَـهُ حَبِيبُ اللَّذْ أَرْسَلَـهْ ... إِلَى أَبِي ثُمَامَـةٍ فَقَتَلَـهْ
مِنْهُمْ نَسِيبَةُ لَهَـا الْعَتِيـقُ ... أَذِنَ فِي الْجِهَادِ إِذْ تَلِيـقُ
شَهِـدَتِ الرِّضْـوَانَ وَالْيَمَامَهْ ... وَشَاهَـدَتْ قَتْلَ أَبِي ثُمَامَـهْ
وَجُرِحَـتْ فِيهِ وَشُلَّتْ يَدُهَا ... وَلِلتَّبَـرُّكِ الْوَرَى يَقْصِدُهَا
هُنَا انْتَهَى نَجْـرُ بَنِي النَّجَّارِ ... عَمْرُو .. ..

قوله **منقذ** (بالذال المعجمة، بوزن محسن): مبتدأ خبره الجار والمجرور قبله. **والغبين** (كأمير): المغبون في البيع وهو صفة لـ**منقذ**، **وغبنه** في البيع أو الشراء (كنصر): خدعه وغلبه. **والخلابة** (بكسر الخاء المعجمة وفتح الباء الموحدة): الخديعة بلطيف الكلام. **والأمين**: من أسمائه صلى الله عليه وسلم. **وأتحفه**: أعطاه. **وحبيب** (بالحاء المهملة ـ بوزن أمير ـ وبالرفع): عطف على منقذ بحذف العاطف. **واللذ** (بسكون الذال): لغة في الذي. وفاعل **أرسله**: ضمير مستتر عائد على **الأمين**. **وأبو ثمامة**: كنية مسيلمة الكذاب الحنفي.

يعني أن من بني مازن بن النجار ثم من بني مبذول منهم منقذا بن عمرو، وحبيبا بن زيد بن عاصم النجاريين المازنيين.

---

* أولاد مازن بن النجار ثلاثة: غنم وثعلبة وعامر، ولبطن بني مازن هذا عدة أفخاذ؛ منهم بنو مبذول بن عمرو بن غنم بن مازن؛ ولهم عدد، وآخرون. وقد تناول الناظم الكلام على بني مازن هؤلاء في خمسة أبيات، وذكر من أعيانهم رجلين وامرأة واقتصر على بني مبذول منهم.

أما **منقذ** فهو ابن عمرو بن عطية بن خنساء بن مبذول بن عمرو بن غنم بن مازن بن النجار النجاري المازني الصحابي؛ أصيب رضي الله عنه بضربة في رأسه عقلت لسانه وأصابت عقله؛ وكان لا يدع التجارة ولكنه كان لا يزال يغبن فيها، فشكا ذلك إلى رسول الله ﷺ فقال له: «إذا أنت بعت فقل: لا خلابة ثم أنت في كل سلعة تبيعها بالخيار ثلاث ليال»[1]. وإلى ذلك أشار الناظم بقوله **ولا خلابة بها الأمين أتحفه**.. وعاش رضي الله عنه مائة وثلاثين سنة، فكان في زمن عثمان ـ حين كثر الناس ـ يبتاع في السوق فيغبن فيرجع إلى أهله فيلومونه؛ فيرده ويقول: إن رسول الله ﷺ جعل لي الخيار ثلاثا، فيمر الرجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول: صدق. وتوفي منقذ هذا في خلافة عثمان، وله ابن اسمه حبَّان (بفتح الحاء وتشديد الموحدة) شهد أحدا وما بعدها ؛ وهو زوج أروى الصغرى بنت ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب؛ ولدت له يحيى وواسعا، وولد يحيى ـ منهما ـ محمدا بن يحيى بن حبان، شيخ الإمام مالك بن أنس رحمه الله. وقد قيل إن حبان بن منقذ هذا هو الذي أصابته الضربة في رأسه؛ فقال له النبي ﷺ: «بع وقل لا خلابة»[2]، والأول أشهر.

حبيب بن زيد وخبره مع مسيلمة

وأما حبيب فهو ابن زيد بن عاصم بن كعب بن عمرو بن عوف بن مبذول بن عمرو بن غنم بن مازن بن النجار النجاري المازني، أمه نسيبة بنت كعب الآتي ذكرها. كان رضي الله عنه ممن حضر العقبة الثانية ومعه أبواه زيد بن عاصم

(1) أخرجه البخاري ومسلم وأحمد في مسنده، وفي رواية: "فإن رضيتَ فأمسك وإن سخطت فارددها على صاحبها ـ رواه ابن ماجه والبيهقي في سننهما، وضعف.

(2) أخرجه مسلم وأحمد.

ونسيبة وأخوه عبد الله بن زيد؛ وشهد أحدا والخندق والمشاهد بعد، وقيل أول مشاهده الخندق.

وحاصل ما أشار إليه الناظم من إرسال النبي ﷺ لحبيب هذا وقتل مسيلمة له، أن مسيلمة الكذاب لما تنبأ واشتد أمره وكثرت أتباعه، كتب إلى رسول الله ﷺ كتابا جاء فيه: من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله، سلام عليك أما بعد فإني قد أشركت في الأمر معك وإن لنا نصف الأرض ولقريش نصفها ولكن قريشا قوم يعتدون. وبعثه مع رجلين؛ فلما قرئ الكتاب على رسول الله ﷺ قال للرَّجلين: «وما تقولان أنتما»؟ فأجابا: نقول كما قال، فقال لهما: «أما والله لولا أن الرسل لا تقتل لضربت عنقيكما»؛ ثم كتب إلى مسيلمة: «بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب السلام على من اتبع الهدى أما بعد فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين»، وبعثه مع الرجلين؛ فلما قرأه مسيلمة ازداد شره واستشرى[1] فساده. فعند ذلك كتب إليه رسول الله ﷺ كتابا يزجره فيه عن غيه، وبعثه مع حبيب بن زيد هذا ـ وكان يومئذ شابا ناضر الشباب مكتمل الفتاء ـ فمضى به غير وانٍ ولا متريث ترفعه النجاد وتحطه الوهاد[2] حتى بلغ ديار بني حنيفة في أعالي نجد، فدفع الكتاب إلى مسيلمة، فلما قرأه انتفخ صدره ضغينة وحقدا وبدا الشر والغدر على وجهه، وأمر بحبيب أن يقيد ويؤتى به ضحى الغد، فلما كان الغد جلس في مجلسه وجعل كبار أتباعه عن يمينه وعن شماله، وأذن للعامة في الدخول عليه، ثم أمر بحبيب فجيء به إليه يرسف في

---

(1) استشرى فساده: أي انتشر وازداد.

(2) غير وان: أي غير فاتر ولا ضعيف. والمتريث: المتمهل. والنجاد (بالكسر): جمع نجد وهو المكان المرتفع. والوهاد: جمع وهد وهو المكان المنخفض.

قيوده[1] حتى وقف بين يديه مرفوع الهامة شامخ الأنف، فالتفت إليه مسيلمة وقال: أتشهد أن محمدا رسول الله؟ فقال: نعم أشهد أن محمدا رسول الله، فتميز مسيلمة غيظا وقال: أتشهد أني رسول الله؟ فقال حبيب ـ في سخرية ـ إن في أذني صمما عن سماع ما تقول، فتغير وجه مسيلمة وارتجف حنقا وقال لجلاده: اقطع قطعة من جسده، فأهوى الجلاد عليه بسيفه وقطع بعض أعضائه، ثم أعاد عليه مسيلمة السؤال نفسه، فأجابه حبيب بنفس الجواب الأول؛ فأمر الجلاد أن يقطع منه عضوا آخر ففعل، والناس شاخصون بأبصارهم إليه مندهشون من تصميمه وعناده. ومضى مسيلمة يسأل والجلاد يقطع؛ وحبيب يقول: أشهد أن محمدا رسول الله حتى فاضت روحه رضي الله عنه.

ولما سمعت نسيبة بموته قالت: من أجل مثل هذا الموقف أعددته وعند الله أحتسبُه، لقد بايع رسول الله ﷺ ليلة العقبة صغيرا ووفى له اليوم كبيرا، ولئن أمكنني الله من مسيلمة لأتركن بناته يلطمن الخدود عليه. وعلى هذا درج الناظم، وذكره الشيخ حمادٍ أيضا عند قول الناظم:

ومن بني بكر بنو حنيفة   بن لجيم فئة سخيفة

وفي الخميس أن سبب قتل مسيلمة له أنه كان مع عمرو بن العاص بعُمان وكان عمرو عاملا عليها لرسول الله ﷺ، فلم يزالا بها حتى بلغتهم وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فجمع عمرو أصحابه وحواشيه وخرج من عُمان إلى المدينة بخفراء من الأزد وعبد القيس يأمن بهم، وكان حبيب بن زيد وعبد الله بن وهب الأسلمي في الساقة؛ فساروا حتى قدموا أرض بني حنيفة، فأخذ منهم عمرو خفراء، فسمع بهم مسيلمة فاعترضهم؛ فسبقه عمرو وأصاب حبيبا وعبد الله بن

---

(1) يرسف في قيوده: أي يمشي بها ببطء لثقلها.

وهب فأخذهما ثم قال لهما: أتشهدان أني رسول الله؟ فقال الأسلمي: نعم؛ فحبسه عنده في الحديد، وقال له حبيب: لا أسمع ، فقال: أتشهد أن محمدا رسول الله؟ قال: نعم، فأمر به فقطع؛ وكلما قال له: أتشهد أني رسول الله؟ قال: لا أسمع، وإذا قال له: أتشهد أن محمدا رسول الله؟ قال: نعم، فقطعه عضواً عضواً وقطع يديه من المنكبين ورجليه من الوركين، ثم أحرقه بالنار وهو في كل ذلك لا ينزع عن قوله ولا يرجع عما بدأ به حتى مات. وأما عمرو بن العاص فسار على وجهه إلى المدينة حتى مر بأرض بني عامر فأخذ منهم خفراء وسار وهو يلقى الناس مرتدين، حتى أتى ذا القصة فلقي عيينة بن حصن خارجا من المدينة؛ وكان قد قدم على أبي بكر يطلب منه أن يجعل له جعلا ليكفيه من وراءه، فأبى أبو بكر؛ فقال له عمرو: ما وراءك يا عيينة؟ ومن ولّى الناسُ أمورهم؟ قال: أبا بكر، فقال عمرو: الله أكبر؛ قال عيينة: يا عمرو استوينا نحن وأنتم، فقال عمرو: كذبت يا ابن الأخابيث من مضر - [قاله في الخميس].

وأخو حبيب بن زيد هذا عبد الله بن زيد بن عاصم صاحب الوضوء وراوي حديثه، وقد شارك وحشيا في قتل مسيلمة، وقتل رضي الله عنه يوم الحرة.

قوله : **نسيبة** (بوزن عظيمة): مبتدأ خبره الجار والمجرور قبله. والضمير في: **منهم** عائد على بني مازن بن النجار. **والعتيق**: لقب أبي بكر الصديق رضي الله عنه. وقوله **أذن في الجهاد** (كفرح): أي أباحه لها. وقوله **إذ تليق**: أي تناسبه وتقدر عليه لكثرة غنائها فيه. وقوله **شهدت الرضوان واليمامه**: أي حضرت بيعة الرضوان وغزوة اليمامة. **وشاهدت** أي عاينت. **وأبو ثمامة**: هو مسيلمة الكذاب. قوله **وجرحت فيه**: أي في يوم اليمامة. **وشلت** (بالبناء للمفعول): يبست، والشلل: فساد في اليد. **والتبرك**: محاولة الفوز بالبركة والحصول عليها. **والنجر** (بفتح فسكون): الأصل. **وعمرو** (بالرفع): بدل من قوله **نجر**.

نسيبة بنت كعب وذكر بعض جهادها

يعني أن من بني مازن ثم من بني مبذول منهم أيضا نسيبة بنت كعب النجارية وهي أم عمارة نسيبة بنت كعب بن عمرو بن عوف بن عمرو بن مبذول بن عمرو بن غنم بن مازن بن النجار النجارية الصحابية الجليلة؛ شهدت العقبة الثانية مع السبعين وبايعت بها رسول الله ﷺ - كما مر - وشهدت هي وزوجها أيضا أحدا؛ ولما انهزم الناس انحازت إلى النبي ﷺ فكانت تذب عنه وتباشر القتال بالسيف، وترمي عن القوس حتى خلصت إليها الجراحات؛ وكان ابن قمئة يومئذ قد أصابها بجروح بالغة، ثم شهدت بيعة الرضوان. ولما بلغها قتل مسيلمة لابنها حبيب بن زيد - المتقدم ذكره - عاهدت الله أن تموت دون مسيلمة أو يقتل.

ثم لما تهيأ خالد بن الوليد لغزو مسيلمة باليمامة جاءت إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه فاستأذنته في الخروج فقال لها: ما مثلك يحال بينه وبين الخروج وقد عرفنا بجزاك في الحرب فاخرجي على اسم الله؛ فخرجت معهم ومعها ابنها عبد الله فكانا ممن شارك في قتل مسيلمة؛ وشلت يدها يومئذ (وقيل قطعت) وجرحت اثني عشر جرحًا؛ روي أنها قالت: قطعت يدي يومئذ فما لويت[1] عليها. فلما انقطعت الحرب ورجعتُ إلى منزلي جاءني خالد بن الوليد بطبيب من العرب فداواني بالزيت المغلي، وكان والله أشدَّ علي من القطع؛ قالت: وكان خالد كثير التعاهد لي حسن الصحبة لنا، يعرف لنا حقنا ويحفظ فينا وصية نبينا.

وكان أبو بكر يأتيها ويسأل عنها وهو يومئذ خليفة. وعاشت بعد ذلك دهرا، فكان الناس يأتونها من بعيدٍ بمرضاهم لتستشفي لهم، فقلما مسحت بيدها الشلاء

---

(1) أي لم تعرج عليها و لم تعطف.

مريضا أو ذا عاهة إلا برئ ــ [قاله في **الروض الأنف**]. وإلى هذا أشار الناظم بقوله **وجرحت فيه وشلت يدها**.. إلخ.

وكانت لها رواية، فقد روي عنها قالت: أتيت رسول الله ﷺ فقلت: ما أرى كل شيء إلا للرجال وما أرى النساء يذكرن، فنــزل قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَـٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ وَٱلْقَـٰنِتِينَ وَٱلْقَـٰنِتَـٰتِ وَٱلصَّـٰدِقِينَ وَٱلصَّـٰدِقَـٰتِ وَٱلصَّـٰبِرِينَ والصَّـٰبِرَٰتِ وَٱلْخَـٰشِعِينَ وَٱلْخَـٰشِعَـٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَـٰتِ وَٱلصَّـٰٓئِمِينَ وَٱلصَّـٰٓئِمَـٰتِ وَٱلْحَـٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَـٰفِظَـٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾[1].

إذنه صلى الله عليه وسلم لنسوةٍ في الخروج معه للغزو

هذا ولئن كان أبو بكر رضي الله عنه قد أذن لها في الخروج يوم اليمامة فقد أذن لها قبله رسول الله ﷺ يوم أحد فكانت تقاتل دونه وكانت معها يومئذ نسوة يداوين الجرحى، ويحملن القرب لسقي المسلمين. وقد أذن صلى الله عليه وسلم لنسوة أخَـــرَ في الخروج معه في بعض مغازيه؛ فقد روي عن امرأة من غفار قالت: أتيت النبي ﷺ في نسوة من غفار وهو يسير إلى خيبر فقلنا: يا رسول الله قد أردنا الخروج معك إلى وجهك هذا فنداوي الجرحى ونعين المسلمين ما استطعنا، فقال: «على بركة الله»[2]، قالت: فخرجنا فلما افتتح خيبر رضخ لنا[3] من الفيء ؛ قالت:

---

(1) الأحزاب: 35.

(2) أخرجه أحمد.

(3) رضخ لنا: أي أعطانا، وأصل الرضخ: أن تكسر من الشيء الرطب كسرة فتعطيها.

وأعطاني هذه القلادة التي في عنقي ووا لله لا تفارقني أبدًا، وروي أنها أوصت أن تدفن معها. وقد روي أنه شهد خيبر مع رسول ا لله ﷺ نساء من النساء المسلمات فرضخ لهن عليه الصلاة والسلام من الفيء و لم يضرب لهن بسهم، وقيل ضرَب لهن بسهم كَامل - [كذا في الخميس] - وفيه حجة للأوزاعي لقوله: إن النساء يقسم لهن مع الرجال في المغازي، وأكثر الفقهاء لا يرون للنساء مع الرجال قسمًا، ولكن يرضخ لهن من المغنم، أخذا بحديث أم عطية؛ قالت: كنا نغزوا مع النبي ﷺ فنداوي الجرحى ونمرض المرضى ويرضخ لنا من المغنم.[قاله في الروض الأنف].

ومن بني مازن بن النجار ثم من بني مبذول - أيضا - غزية بن عمرو بن عطية بن خنساء بن مبذول بن عمرو بن غنم بن مازن بن النجار؛ النجاري المازني، شهد العقبة وأحدا، وخلف على نسيبة بنت كعب المَذكورة بعد زيد بن عاصم؛ فولدت له تميما وخولة (فهما أخوا حبيب بن زيد لأمه) ولهما صحبة.

ومنهم - أيضا - البراء بن أوس بن خالد بن الجعد بن عوف بن مبذول المازني، شهد أحدا وما بعدها واستشهد يوم مؤتة، وهو والد إبراهيم بن رسول ا لله ﷺ من الرضاع لأنه زوج أم بردة خولة بنت المنذر مرضعة إبراهيم عليه السلام.

ومنهم عمير بن عامر بن مالك بن خنساء بن مبذول المازني، شهد بدرا وأحدا وما بعدهما، وقال: حملت على رجل يوم بدر لأضربه بالسيف فوقع رأسه قبل أن يصل إليه سيفي، فعرفت أن غيري قتله. ومنهم قيس بن أبي صعصعة بن زيد بن عوف بن مبذول المازني، حضر العقبة وشهد بدرا وأحدًا وجعله النبي ﷺ يوم بدر على السَّاقة. ومنهم عبد ا لله بن كعب بن عمرو بن عوف بن مبذول، شهد بدرًا وكان عامل النبي ﷺ يومئذ على الغنائم، وشهد أحدا والخندق والمشاهد كلها، وتوفي في خلافة عثمان رضي ا لله عنه.

ومن أفخاذ بني مازن بن النجار - أيضا - بنو ثعلبة بن مازن بن النجار؛ منهم

قيس بن مخلد بن ثعلبة بن صخر بن خبيب بن الحارث بن ثعلبة بن مازن بن النجار النجاري المازني، شهد بدرا واستشهد يوم أحد. ومنهم تميم بن عبد عمرو بن قيس بن محرث بن الحارث بن ثعلبة بن مازن النجاري المازني، له صحبة ورواية؛ روى عن النبي ﷺ أنه قال: «الرجل أحق بمجلسه إذا قام عنه ثم انصرف إليه»[1].

تنبيه: ذكر الناظم ثلاثة من أولاد النجار كلهم أبو بطن وهم: عدي ومالك ومازن، وبذكرهم أنهى الكلام على بني النجار، وبقي رابع ولد النجار وهو دينار بن النجار، وهو ـ أيضا ـ أبو بطن يقال لهم بَنو دينار بن النجار، منهم بنو عبد الأشهل بن حارثة بن دينار بن النجار؛ الذين منهم النعمان بن عبد عمرو بن مسعود بن كعب بن عبد الأشهل بن حارثة بن دينار بن النجار النجاري الديناري، شهد بدرًا وأحدا واستشهد به، وأخوه الضحاك بن عبد عمرو شهد بدرا وأحدا واستشهد ببئر معونة، وأخوهما قطبة بن عبد عمرو واستشهد ببئرمعونة أيضا؛ أمهم السميراء بنت قيس بن مالك بن كعب بن عبد الأشهل، وليس لهم عقب، وأخوهم لأمهم سليم بن الحارث بن ثعلبة بن كعب بن عبد الأشهل بن حارثة بن دينار بن النجار النجاري الديناري، شهد بدرا وأحدا واستشهد به.

ومنهم ـ أيضا ـ كعب بن زيد بن قيس بن مالك بن كعب بن عبد الأشهل بن حارثة بن دينار بن النجار النجاري الديناري، شهد بدرا وأحدا وبئر معونة وارتُث يومئذ ثم استشهد بالخندق، أصابه سهم لا يدرى راميه، وقيل قتله ضرار بن الخطاب. ومنهم ـ أيضا ـ سعيد بن سهيل بن مالك بن كعب بن عبد

(1) رواه مسلم وأحمد، وورد في الجامع الصغير باختلاف يسير في اللفظ مع اتفاق المعنى.

الأشهل بن حارثة بن دينار النجاري الديناري، شهد بدرا وأحدا وتوفي وليس له عقب. ولعل الناظم إنَّما ترك ذكرهم لانقراض عقبهم إلا بقية قليلة منهم. والله أعلم.

تنبيه آخرُ: لما كانت الإشارة إلى بيعة الرضوان وإلى غزوة اليمامة قد تعددت في هذا النظم كثيرا، إما بتصريح وإما بتلويح، كان من تمام الفائدة أن أذكر ملخصا مختصرا عن بعض ما وقع فيهما، فأقول:

ذكر بيعة الرضوان وسببها

أما بيعة الرضوان فهي التي ورد ذكرها في القرآن الكريم في قوله عز وجل ﴿ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَـٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾[1]، والتي أعرب النبي ﷺ عن فضلها بقوله: «لا يدخل النار من شهد بدرا والحديبية»[2]، وقال مخاطبا لأهلها: «أنتم خير أهل الأرض»[3].

وسبب هذه البيعة أن النبي ﷺ لما بلغ الحديبية قادمًا من المدينة بعث عثمان بن عفان إلى أهل مكة بكتاب ليبلغهم أنه لم يأت يريد حربا وإنما جاء زائرا للبيت معتمرا معظما لحرماته ؛ فأتى عثمان عظماء قريش وبلغهم رسالة النبي ﷺ وقرأ عليهم كتابه واحدا واحدا، فقالوا له: أما أنت إن شئت أن تطوف بالبيت فطف، فقال لهم: ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله ﷺ. فحبسوه عندهم أياما ،

(1) الفتح: 18.

(2) أخرجه أبو داود بدون ذكر بدر.

(3) أخرجه البخاري.

وأشاع الناس أنهم قتلوه. فبلغ رسولَ الله ﷺ والمسلمين أن عثمان قتل، فقال رسول الله ﷺ: «لا نبرح حتى نناجز القوم»؛ ودعا الناس إلى البيعة فبايعوه على الموت وعلى أن لا يفروا، وبايع رسول الله ﷺ لعثمان فضرب بإحدى يديه على الأخرى وقال: «اللهم هذه يدي عن عثمان فإنه في حاجتك وحاجة رسولك»[1]؛ ووقعت تلك البيعة تحت الشجرة التي كان رسول الله ﷺ يستظل بها[2]. ولما سمع المشركون بهذه البيعة المباركة ألقي الرعب في قلوبهم وخافوا، فبعثوا عثمان وجماعة من المسلمين كانوا قد دخلوا مكة. وبعثت قريش سفراءها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يفاوضونه ويحاولون ردَّه عن دخول مكة، و لم يزالوا به حتى وقعوا معه صلح الحديبية المشهور، وكان ذلك في السنة السادسة.

غزوة اليمامة وقتل مسيلمة الكذاب

وأما غزوة اليمامة[3] فحاصل ما وقع فيها أنه لما توفي رسول الله ﷺ طفقت قبائل العرب تخرج من دين الله أفواجًا كما دخلت فيه من قبل أفواجا، وكان أقوى

---

(1) أخرجه البخاري وأحمد، ومعنى لا نبرح: لا نزايل المكان ولا نفارقه. ونناجز القوم: أي نبارزهم ونقاتلهم؛ ومنه المثل: "المحاجزة قبل المناجزة" أي المسالمة قبل المعالجة في القتال، يضرب لمن يطلب الصلح بعد القتال.

(2) هي شجرة من أشجار السمر، وهي شجرة الطلح. وقد بلغ عمر رضي الله عنه في خلافته أن ناسا يصلون عندها ويطوفون بها فخاف من اتساع الأمر وظهور البدعة وأن تعبد كالأصنام؛ فأمر بقطعها.

(3) اليمامة: بلاد جوّ وهي معدودة في نجد، بينها وبين البحرين عشرة أيّام يقال لها: "جو اليمامة" وحجر اليمامة، سميت باسم جارية زرقاء مشهورة بحدة النظر، يروى أنها كانت تبصر الراكب من مسيرة ثلاثة أيام، وفي المثل: "أبصر من زرقاء اليمامة"، وباليمامة هذه تنبأ مسيلمة الكذاب وقتل بها، وقد عفت رسومها؛ وتقوم الآن قريبا منها مدينة الرياض عاصمة المملكة السعودية.

المرتدين بأسا وأكثرهم عددا بنو حنيفة أصحاب مسيلمة الكذاب، فقد اجتمع له من قومه ومن حلفائهم أربعون ألفا من أشد المحاربين، وكان أكثر هؤلاء قد اتبعوه عصبية له لا إيمانا، فقد كان بعضهم يقول: أشهد أن مسيلمة كذاب، وأن محمدا صادق ولكن كذاب ربيعة أحب إلينا من صادق مضر؛ ومن بأسهم وقوتهم أن هزموا أول جيش خرج إليهم من جيوش المسلمين بقيادة عكرمة بن أبي جهل، فأرسل إليهم أبو بكر جيشا ثانيا بقيادة خالد بن الوليد، وأوعب معه الناس[1] ومعهم البراء بن مالك، وجعل على الأنصار ثابت بن قيس، والبراء بن عازب، وعلى المهاجرين أبا حذيفة وزيد بن الخطاب، وعلى كل قبيلة رجلا.

وخرج خالد في جنده حتى أتى اليمامة حيث كان بنو حنيفة مستعدين هناك في جمعهم الكثيف، ولما بلغ مسيلمةَ الكذابَ دنوُّ خالد ضرب عسكره بعقرباء[2] واستنفر الناس، فجعلوا يخرجون إليه وتقدم المسلمون حتى نزل بهم خالد على كثيب مشرف على اليمامة، فضرب عسكره. وراية المهاجرين مع سالم مولى أبي حذيفة، وراية الأنصار مع ثابت بن قيس، والعرب على راياتها. والتقى الناس واقتتلوا قتالا شديدا، وانهزم المسلمون - أولا - ثم عادوا وتذامرو[3] وأخذوا يجالدون بسيوفهم ويتواصون بينهم ويقولون: يا أصحاب سورة البقرة بطل السحر اليوم، وأبو حذيفة يقول: يا أهل القرآن زينو القرآن بالفعال، وزيد بن الخطاب يقول: يا أيها الناس عضوا أضراسكم واضربوا عدوكم وامضوا قدما.

وظلت الحرب سجالا مرة على المسلمين ومرة على المشركين ، واستحر القتل

---

(1) أي جمعهم، وأوعب القوم: خرجوا كلهم إلى الغزو و لم يبق منهم أحد.

(2) عقرباء: منزل من منازل اليمامة.

(3) تذامروا: حض بعضهم بعضا على الجد في القتال.

في المسلمين، وثبت لهم مسيلمة؛ فلما رأى ذلك خالد عرف أنها لا تركد[1] إلا بقتل مسيلمة، فبرز حتى كان أمام الصف ودعا إلى البراز وانتمى: أنا خالد بن الوليد؛ فجعل لا يبرز إليه أحد إلا قتله، وأقبل المحيطون بمسيلمة يخرجون إلى لقاء خالد فيلقاهم الموت من سيفه قبل أن يبلغوه[2]، وكثر فيهم القتل، وشعر مسيلمة بالخزي يركبه فساورته نفسه[3] أن يخرج كما خرجوا لكنه أيقن أنه مقتول إن خرج، فاضطرب وتردد؛ فبينما هو في تردده إذ شد خالد برجاله عليه وعلى من حوله يُعملون فيهم السلاح، فرأى محكم بن الطفيل ـ وهو أحد أبطال بني حنيفة ـ فرار القوم وتعقب المسلمين لهم فصاح بهم: يا بني حنيفة الحديقة[4] ـ وكانت على مقربة منهم ـ ففروا إليها وتحصنوا بها من هزيمتهم بعد أن خر الألوف منهم صرعى. ووقف المحكم برجاله يحمي ظهورهم أثناء فرارهم إليها، فأبصره عبد الرحمن بن أبي بكر فرماه بسهم وقع في نحره فقتله؛ وأحاط المسلمون بالحديقة ليجدوا فيها ثغرة، فصرخ البراء بن مالك: يا معشر المسلمين احملوني على الجدار حتى تطرحوني عليه ففعلوا؛ فاقتحم عليهم فقاتلهم على الباب حتى فتحه للمسملين، فدخلوا منه زمرا تلمع في أيديهم السيوف، وأغلق الباب عليهم ورمى المفتاح من وراء الجدار، فاقتتلوا قتالا شديدا وأُبيد من في الحديقة منهم، فذهب فريق إلى مسيلمة يقولون:

---

(1) أي تهدأ وتسكن.

(2) يروى أن خالدا بن الوليد لما حضرته الوفاة قال: لقد شهدت مائة زحف، أو زهاءها وما في بدني موضع شبر إلا وفيه ضربة أو طعنة أو رمية ، وها أنا أموت على فراشي كما يموت العير فلا نامت أعين الجبناء، وما من عمل أرجى من "لا إله إلا الله" وأنا متترس بها ـ [أسد الغابة].

(3) الخزي: الذل والهوان، وساورته: أي صارعته.

(4) حديقة كانت لمسيلمة وكانت تدعى عندهم: بحديقة الرحمن، وكانت فسيحة الأرجاء منيعة الجدران كأنها الحصن.

أين ما كنت تعدنا؟ قال: قاتلوا عن أحسابكم. و لم يلبث أن خلص المسلمون إلى مسيلمة، فإذا هو واقف في ثلمة جدارٍ كأنه جمل أورق، وهو لا يعقل من الغيظ[1]، فتقدم إليه وحشي بن حرب وسارع إليه أبو دجانة، وقيل عبد الله بن زيد بن عاصم وضربه بالسيف فسقط فنادت امرأة في القصر: قتله العبد الأسود، وصرخ الصارخ إن مسيلمة قد قتل. وفي حديث وحشي أنه قال: فرميته ـ يعني مسيلمة ـ بالحربة وضربه رجل من الأنصار بالسيف فربك يعلم أينا قتله.

وفي قتله يقول عبد الله بن زيد بن عاصم:

ألم تر أني ووحشيهم قتلنا مسيلمة المفتتن
ويسألني الناس عن قتله فقلت ضربت وهذا طعن

ولما انتهت المعركة خرج خالد بمجاعة بن مرارة أحد فرسان بني حنيفة، وكان أسره أول المعركة، فخرج به يرسف في الحديد[2] ليريه مسيلمة وأعلام جنده، فجعل يكشف له القتلى ويعرفه بأعلامهم حتى مر بمحكم بن الطفيل ـ وكان رجلا جسيما وسيما ـ فلما رآه خالد قال: هذا صاحبكم؟ قال: لا هذا والله خير منه وأكرم؛ هذا محكم اليمامة، ثم مضى خالد يكشف له القتلى حتى دخل الحديقة فقلب له القتلى، فإذا رويجل أصيفر أخينس[3] فقال مجاعة: هذا صاحبكم قد فرغتم منه، فقال خالد لمجاعة: هذا صاحبكم الذي فعل بكم ما فعل؟ فقال مجاعة: قد كان

---

(1) الثلمة بضم فسكون: الخلل في الحائط أو الشقة في الجدار، والأورق: الذي لونه لون الرماد، والغيظ: الغضب أو أشده، وتغير يلحق الإنسان من مكروه يصيبه.

(2) أي يمشي مشية المقيد.

(3) الأخنس: الذي انخفضت قصبة أنفه مع ارتفاع قليل في طرف الأنف، أي في الأرنبة؛ والتصغير في هذه الألفاظ للتحقير.

ذلك يا خالد. فحشر خالد بني حنيفة للبيعة والبراءة مما كانوا عليه؛ فبايعوا وأعلنوا رجوعهم إلى الإسلام وبراءتهم من الردة، وبعث خالد وفدًا منهم إلى أبي بكر فقدموا عليه، فقال لهم أبو بكر: ويحكم ما هذا الذي كان منكم؟ قالوا: يا خليفة رسول الله قد كان الذي بلغك مما أصابنا وقد كان امرأً لم يبارك الله له ولا لعشيرته فيه.

ولما أنهى الكلام على عمرو بن الخزرج ـ كما قال: **هنا انتهى نجر بني النجار عمرو..** ـ أخذ يتكلم على بني أخيه جشم بن الخزرج، فقال رحمه الله وعفا عنه:

بنو جشم بن الخزرج*

... ... وَأَمَّا جُشَمُ الضَّوَارِي

فَمِنْهُمُ الْبَرَاءُ وَاجَهَ الْحَرَمْ حَيًّا وَمَيْتًا أَوَّلاً قَبْلَ الأُمَمْ

أَوَّلُ مَنْ بِثُلُثٍ أَوْصَى الأَبِي صَلَّى عَلَيْهِ بَعْدَ شَهْرٍ النَّبِي

وَبِشْرُهُ سُمَّ مَعَ النَّبِيِّ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ لِهَذَا الْحَيِّ

أما (بفتح الهمزة): حرف تفصيل، وهي قائمة مقام أداة الشرط وفعله، والمذكور بعدها جواب الشرط، فلذلك لزمته الفاء ولكنها أخرت إلى الخبر. وإلى

---

* بنو جشم هؤلاء بطن عظيم من بطون الخزرج، وإياهم يعني الأغلب العجلي بقوله: "إن سرك العز فجخجخ بجشم" أي افتخر بهم، وفي رواية: "فبخبخ" أي قل: بخ بخ، وهي كلمة تقال عند الإعجاب من الشيء والرضا به. وكان جشم هذا وأخوه عوف ابنا الخزرج يلقبان في الجاهلية: "الخرطومان"، ويتفرع هذا البطن إلى عدة بطون وتنحدر من تلك البطون أفخاذ كثيرة، ومن تلك الأفخاذ فصائل متشعبة؛ فمن تلك البطون: بنو تزيد وبنو غضب وبنو ادي بني جشم وبنو الحارث وبنو مالك ابني زيد مناة وغيرهم؛ ومن أفخاذ بني تزيد: بنو سلمة ـ وفيهم العدد ـ وبنو كعب وبنو غنم. ومن أفخاذ بني غضب: بنو زريق ـ وفيهم العدد ـ وبنو بياضة وبنو العجلان. ومن بني سلمة: بنو سنان بن عبيد وبنو سواد بن غنم وبنو حرام، وغيرهم. ومن بني زريق: بنو خلدة وبنو مخلد ابني عامر. وقد تناول الناظم الكلام على بني جشم هؤلاء في واحد وعشرين بيتا، وذكر من أعيانهم أحد عشر رجلا، ومن بطونهم وأفخاذهم ستة ما بين تصريح وتلويح.

وتطلق بنو جشم على بطون كثيرة مختلفة، منها: بنو جشم بن الخزرج هؤلاء، وبنو جشم بن الحارث الأوسيون ـ وهذان من الأنصار ـ وبنو جشم بن ثقيف الثقفيون، وبنو جشم بن قيس البكريون (من بكر بن وائل)، وبنو جشم بن بكر التغلبيون، وبنو جشم بن معاوية من هوازن ـ وهذه الأربعة من العدنانية ـ وبنو جشم بن خيوان الهمدانيون، وبنو جشم الجرميون ـ وهذان من القحطانية ـ وغير هؤلاء كثيرون..

ذلك أشار ابن مالك بقوله:

أما كمهما يك من شيء وفا لتلو تِلوِها وجوبا ألفا

وقوله **جشم** (بوزن صرد): هو أحد أولاد الخزرج بن حارثة، وهو أبو بطن من بطون الخزرج - كما مر - والمراد به هنا بنو جشم، ولذا وصفه بالضواري، بصيغة الجمع؛ وأعاد عليه ضمير الجمع باعتبار أفراده. **والضواري**: الشجعان، وهو في الأصل وصف للأسد (جمع ضار)[1]، ووصف به بني جشم على سبيل الاستعارة. **والبراء** (كسحاب): هو ابن معرور النقيب المشهور. وقوله **واجه**: أي استقبل. **والحرم**: الكعبة المشرفة. وقوله **أولا**: أي قبل تحويل القبلة إلى الكعبة وصلاة الرسول ﷺ والمسلمين إليها. **وأول** (بالرفع): صفة للبراء. **والأبي**: الذي يأبى الضيم، وفيه الإظهار في محل الإضمار، والمراد به البراء. وقوله **صلى عليه** أي على قبره. **والنبي**: فاعل **صلى**، والمراد أنه صلى الله عليه وسلم صلى على قبر البراء بن معرور هذا عند قدومه المدينة وبعد موت البراء بشهر.

قوله **وبشره** (بكسر الباء الموحدة وسكون المعجمة وبالرفع): عطف على البراء، والضمير المضاف إليه عائد على البراء، أي ومنهم بشر بن البراء بن معرور. وقوله **سم** (بالبناء للمجهول): أي جعل له السم في طعامه، فقد أطعمته هو ورسول الله ﷺ يهودية بخيبر لحما مسموما.

البراء بن معرور وابنه بشر

يعني أن من بني جشم بن الخزرج - ثم من بني سلمة منهم — البراءَ بنَ معرور وابنه بشرا. أما البراء فهو أبو بشر البراء بن معرور بن صخر بن خنساء بن سنان بن

---

(1) الضاري من السباع: المولع بأكل اللحم المتعود للصيد.

عبيد بن عدي بن غنم بن كعب بن سلمة بن سعد بن علي بن أسد بن ساردة بن تزيد بن جشم بن الخزرج الخزرجي الجشمي السلمي، أمه الرباب بنت النعمان بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل الأوسية. كان من سادات الأنصار وكبرائهم، قيل كان أول من بايع رسول الله ﷺ ليلة العقبة، وشرط واشترط عليه. وأشار الناظم بمواجهته للحرم حيا إلى ما روي من أنه لما سار مع حجاج قومه من المسلمين يريدون العقبة الثانية ومعهم حجاجهم من المشركين قال لمسلمي قومه: إني رأيت رأيا ما أدري أتوافقونني عليه أم لا؟ رأيت أن لا أدع هذه البنية مني بظهر - يعني الكعبة - وأن أصلي إليها وإني لمصل إليها، فكان إذا حضرت الصلاة صلى إلى الكعبة وصلى قومه إلى الشام - والنبي ﷺ إذ ذاك لم يزل يصلي إلى بيت المقدس - وقد أشار إلى ذلك أحد شعراء الأنصار بقوله:

ومنا المصلي أول الناس مقبلا إلى كعبة الرحمن بين المشاعر

كما أشار بقوله: **وميتا** إلى ما روي أنه لما حضره الموت قال لأهله: استقبلوا بي الكعبة، فدفن إليها؛ وأوصى بثلث ماله للنبي ﷺ فقبله ورده على ولده؛ فكان أول من أوصى بثلث ماله. وتوفي رضي الله عنه في صفر قبل مقدم النبي ﷺ المدينة بشهر، فلما قدمها مشى إلى قبره وصلى عليه في أصحابه، وكبر أربعا - [وقد مر هذا في ترجمته رضي الله عنه في التعريف بالنقباء].

وقد جاء تحويل القبلة عن بيت المقدس إلى الكعبة المعظمة بعد ذلك في رجب على رأس سبعة عشر شهرا من مقدمه صلى الله عليه وسلم المدينة، وقيل في شعبان على رأس ثمانية عشر - وقيل ستة عشر - شهرا. وجاء الأمر بتحويلها والنبي ﷺ والصحابة في أثناء الصلاة فحولوا وجوههم أثناءها إلى الكعبة. وقد روي أن أول من صلى نحو الكعبة أبو سعيد بن المعلى الأنصاري، سمع رسول الله ﷺ يأمر بتحويل القبلة فصلى ركعتين إلى الكعبة.

وأما بشر فهو ابن البراء بن معرور، الصحابي الجليل سيد بني سلمة، شهد رضي الله عنه العقبة مع أبيه البراء بن معرور وشهد بدرا وأحدا والخندق، ومات بخيبر حين فتحت سنة سبع للهجرة، وكان من الرماة المذكورين من الصحابة.

وقد روي أنه صلى الله عليه وسلم سأل بني سلِمة: «من سيدكم»[1]؟ فقالوا: الجد بن قيس على بخل فيه، فقال: «وأي داء أدوى من البخل؟ بل سيدكم الجعد الأبيض بشر بن البراء»[2]، وفي رواية أنه قال: «بل سيدكم عمرو بن الجموح»[3] ـ كما سيأتي إن شاء الله. وكان بشر بن البراء هذا قد استشهد بخيبر بسبب أكله من الشاة المسمومة التي أهديت لرسول الله ﷺ، وقيل بل مرض منها واستمر به وجعه ذلك حتى مات منه بعد سنة.

خبر الشاة المسمومة

وحاصل تلك القصة التي أشار إليها الناظم ـ رحمه الله ـ أن رسول الله ﷺ لما فتح خيبر واطمأن بها، أهدت له زينب بنت الحارث، أخت مرحب اليهودي ـ زوج سلام بن مشكم ـ شاة مصلية[4]، وقد سألت أي عضو من الشاة أحب إلى رسول الله ﷺ ؟ فقيل لها: الذراع[5]؛ فأكثرت فيها من السم، ثم سمت سائر الشاة؛ وفي رواية أنها عمدت إلى عَنز لها فذبحتها وصلَتها وجعلت فيها سم ساعة وأكثرت

---

(1) رواه الحاكم وعبد الرزاق وابن أبي عاصم في مسانيدهما ـ [كما في الإصابة].

(2) أخرجه الحَاكم وابن عبد البر، وأبو نعيم ـ كما في أسد الغابة ـ والجعد: الرجل الكريم والأبيض: النقي العرض.

(3) أخرجه البخاري في الأدب المفرد [كما في الإصابة].

(4) مصلية: أي مشوية.

(5) وإنما كان صلى الله عليه وسلم يحب الذراع لأنها هادي الشاة وأبعدها من الأذى ـ [الروض الأنف].

منه في الذراعين والكتف، ثم جاءت بها؛ فلما وضعتها بين يدي رسول الله ﷺ، تناول الذراع فلاك منها مضغة فلم يسغها[1]، وكان معه بشر بن البراء فأخذ منها كما أخذ رسول الله ﷺ ولكنه ابتلعها، وأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فلفظها ثم قال: «ارفعوا أيديكم إن هذا العظم ليخبرني أنه مسموم»[2]، وروي أن بشرا قال له: والذي بعثك بالحق لقد وجدت ذلك في أكلتي وما منعني من أن ألفظها إلا أني أعظمت أن أبغضك في طعامك، ولم أكن لأرغب بنفسي عن نفسك. وأمر رسول الله ﷺ بلحم الشاة فأحرق؛ ثم دعيت المرأة فاعترفت، فقال لها رسول الله ﷺ: «ما حملك على ذلك»؟ فقالت: بلغت من قومي ما لم يخف عليك فقلت إن كان ملكا استرحنا منه وإن كان نبيا فسيخبر، فتجاوز عنها رسول الله ﷺ ؛ وقيل قتلت؛ وقيل دفعها صلى الله عليه وسلم إلى أولياء بشر فقتلوها؛ وقيل أسلمت. ومات بشر من تلك الأكلة التي أكل من ساعته؛ وقيل لم يقم من مكانه حتى عاد لونه مثل الطيلسان، وماطله وجعه حتى كان لا يتحول إلا ما حول، ومات بعد سنة.

وروي أنه صلى الله عليه وسلم احتجم على كاهله من أجل تلك الأكلة، حجمه أبو طيبة الأنصاري مولى بني بياضة بالقرن والشفرة[3]، وبقي رسول الله ﷺ بعده ثلاث سنين حتى كان وجعه الذي توفي منه، فدخلت عليه أم بشر بنت البراء تعوده، فقال لها: «يا أم بشر إن هذا الأوان وجدت انقطاع أبهري من الأكلة التي

---

(1) لاك اللقمة لوكا: مضغها أهون المضغ وأدارها في فيه. والمضغة: القطعة التي تمضغ من لحم وغيره. وأساغ الطعام أو الشراب: سهل مدخله في الحلق وساغ له دخوله فيه.

(2) أخرجه أبو داوود. ولفظها: أي رمى بها من فيه وطرحها.

(3) الحجامة: المداواة والمعالجة بالمحجم. والكاهل: أعلى الظهر مما يلي العنق جمعه كواهل. والقرن: آلة يحتجم بها كالكأس توضع على الجلد ويجذب بها الدم بقوة. والشفرة (بالفتح): السكين العريضة.

أكلت مع أخيك بخيبر»[1]؛ وروي عنه أنه قال: «ما زالت أكلة خيبر تعاودني فهذا أوان قُطعت أبهري»[2]. فإن كان المسلمون ليرون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات شهيدا مع ما أكرمه الله به من النبوة.

قوله: **كعب بن مالك:** مبتدأ خبره الجار والمجرور بعده، والمراد **بالحي** هنا: بنو جشم، ثم بنو سلِمة منهم.

كعب بن مالك

يقول: ومن جشم ــ أيضا ــ كعب بن مالك، وكعب هذا هو أبو عبد الله كعب بن مالك بن عمرو بن القين بن كعب بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة؛ الخزرجي الجشمي السلمي الصحابي الجليل، شاعر رسول الله ﷺ المشهور.

شهد رضي الله عنه العقبة الثانية وأحدا وما بعدها من المشاهد إلا تبوك، وهو أحد الثلاثة الذين تخلفوا عنها فتاب الله عليهم وغفر لهم، فنزل فيهم قوله تعالى ﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَـٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[3]، وهم كعب هذا وهلال بن أمية الواقفي ومرارة بن الربيع الأوسي. وكان كعب هذا يوم أحدٍ قد لبس

---

(1) أخرجه أبو داوود. والأبهر: عرق في الظهر، وهما أبهران، وقيل هما الأكحلان اللذان في الذراعين، وقيل هو عرق مستبطن القلب فإذا انقطع لم تبق بعده حياة، وقيل هو عرق منشؤه في الرأس ويمتد إلى القدم، وله شرايين تتصل بأكثر أطراف البدن ويمتد إلى الحلق ويسمى فيه: الوريد، وإلى الصدر ويسمى فيه: الأبهر، وإلى الظهر ويسمى فيه: الوتين، وإلى الفخذ ويسمى فيه النسا.. وغير ذلك. ولابن مقبل: **وللفؤاد وجيب تحت أبهره لدم الوليد وراء الغيب بالحجر**

(2) أخرجه البخاري تعليقا، وأبو داود وأبو نعيم.

(3) التوبة: 118.

لأمة رسول الله ﷺ - وكانت صفراء - ولبس رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمة كعب؛ فجرح كعب أحد عشر جرحا. وهو أول من عرف رسول الله ﷺ يومئذ بعد التحدث بقتله؛ فقد روي عنه أنه قال: لما كان يوم أحد وصرنا إلى الشعب كنت أول من عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: يا معشر المسلمين هذا رسول الله ﷺ، فأشار إلي بيده أن اسكت، ثم ألبسني لأمته ولبس لأمتي، فقد ضربت حتى جرحت بضعا وعشرين جراحة كل من يضربني يحسبني رسول الله ﷺ.

وكان كعب من شعراء رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين كانوا يجيبون عنه ويردون على هجاء المشركين. وقد روي عنه أنه قال: يا رسول الله ما ذا ترى في الشعر؟ فقال صلى الله عليه وسلم: «المؤمن من يجاهد بسيفه ولسانه»[1]؛ وكان رضي الله عنه مجوادا مطبوعا[2] قد غلب عليه في الجاهلية أمر الشِّعْر. وله في المغازي أشعار كثيرة، وكان الشعر شائعا في أهل بيته، فأبوه مالك شاعر وعمه قيس شاعر، وكان خمسة من أبنائه وأحفاده شعراء مجيدين؛ وكان رضي الله عنه عثمانيا، جرح في قتله، وعتب على أهل المدينة في عدم نصرته والدفاع عنه، وروي أنه كان يقول: يوم الدار: يا معشر الأنصار انصروا الله مرتين، ورثاه. وتوفي كعب بالشام في خلافة معاوية، قيل سنة خمسين، وقيل ثلاث وخمسين عن سبع وسبعين سنة، وروى عن النبي ﷺ ؛ وروت عنه أولاده وجماعة من الصحابة والتابعين.

---

(1) أخرجه أحمد.

(2) المجواد (بكسر الميم): الكثير الإتيان بالجيد من الشعر أو سواه كالجيد، والمطبوع من الشعراء: الذي يأتي بالشعر من دون تكلف.

ومن بني سلمة ـ ثم من بني سواد بن غنم منهم ـ قطبة بن عامر بن حَديدة بن عمرو بن سواد بن غنم (ابن عم كعب)، شهد العقبة الأولى والثانية وشهد بدرا وأحدا وسائرَ المشاهد؛ ورمى يوم بدر بحجر بين الصفين وقال: لا أفر حتى يفر هذا الحجر، وقد مر التعريف به في الستة الذين لقيهم رسول الله ﷺ بالعقبة.

ومن بني سواد ـ أيضا ـ أبو اليسر، كعب بن عمرو بن عياد بن عمرو بن غزية بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة السلمي، شهد العقبة وبدرا وهو الذي انتزع راية المشركين يوم بدر، وكانت مع أبي عزيز بن عمير، أخي مصعب بن عمير العبدري. وهو الذي أسر العباس بن عبد المطلب، وكان أبو اليسر قصيرا والعباس طويلا ضخماً، فقال له رسول الله ﷺ: «لقد أعانك عليه ملك كريم»[1]، وروي عن ابن عباس قال: كنت جالسا مع أبي، فقلت: يا أبه كيف أسرك هذا مع قصره؟ قال: يا بني إنه وقع على مثل الجبل، وفي رواية: كان في عيني كالخندمة[2]، فأخذ بمنكبي الأيمن فعصرها ولواها ثم أخذ بمنكبي الأيسر وعصرها ثم لواها فشدهما ثم ذهب بي إلى رسول الله ﷺ. قيل إن أبا اليسر آخر من مات بالمدينة ممن شهد بدرا سنة خمس وخمسين، وكان يوم بدر ابن عشرين سنة.

ومن بني سواد ـ أيضا ـ ثعلبة بن عنمة بن عدي بن نابئ بن عمرو بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة السلمي، حضر العقبة وشهد بدرا وأحدا واستشهد يوم الخندق ـ وقيل يوم خيبر ـ وكان أحد الثلاثة الذين كسروا أصنام بني سلمة.

ثم قال رحمه الله وعفا عنه:

---

(1) رواه أحمد في مسنده.

(2) الخندمة: جبل من جبال مكة، وفي رواية: قيل للعباس: كيف أسرك أبو اليسر ولو أخذته بكفك لوسعته؟! فقال: ما هو إلا أن لقيته فظهر في عيني كالخندمة.

أَبُو قَتَادَةَ بْنُ رِبْعِيٍّ الْمُطَـــاعْ   فِي قَوْمِهِ فَارِسُ أَحْمَدَ الشُّجَاعْ
خَامِسُ مَنْ بِابْنِ أَبِي الْحُقَيْــقِ   فَتَـــكَ مِنْ سَلِمَــــةَ الْعَرِيقِ
كَفَتْكِ مِثْلِهِمْ مِنَ الأَوْسِ النُّخَبْ   بِمِثْلِهِ كَعْبِ بْنِ الاَشْرَفِ الْخِـدَبْ

أبو قتادة (بفتح القاف): مبتدأ. **وابن ربعي** (بكسر الراء): صفة له. **والمطاع وفارس أحمد والشجاع وخامس** (كلها بالرفع): صفات **لأبو قتادة**. **وابن أبي الحقيق** (كزبير): هو أبو رافع اليهودي محزب الأحزاب يوم الخندق. **وفتك** به: أي بطش به أو قتله وقوله **من سلمة**: (بكسر اللام): خبر عن أبو قتادة أي من بني سلمة، وهم بطن من بطون بني جشم المذكورين؛ وهم بنو سلمة بن سعد بن علي بن أسد بن ساردة بن تزيد بن جشم بن الخزرج بن حارثة. وليس في العرب سلمة (بكسر اللام) سوى سلمة هذا [قاله الجوهري] والنسبة إليهم سلمي (بفتح اللام)[1]. **والعريق** (كأمير): الأصيل. وقوله **كفتك مثلهم**: أي عددهم، وهو خمسة من الأوس. **والنخب** (كغرف): جمع نخبة للمختار. وقوله **بمثله**: أي مثل ابن أبي الحقيق في العداوة لرسول الله ﷺ. **وكعب** (بالجر): بدل من **مثله**، وهو كعب بن الأشرف النبهاني اليهودي. **والخدب** (كمجن): العظيم الضخم، صفة لكعب.

أبو قتادة بن ربعي

يقول: ومن بني جشم بن الخزرج ثم من بني سلمة منهم: أبو قتادة بن ربعي الجشمي السلمي فارس النبي ﷺ، وهو أبو قتادة الحارث بن ربعي بن بلدمة بن

---

(1) أما بنو سلمة (بفتح اللام) فتطلق على عدة بطون مختلفة، منها: بنو سلمة بن عمرو الجعفيون، وبنو سلمة بن نصر الجهنيون، وبنو سلمة بن معاوية الكهلانيون (من عاملة)، وبنو سلمة بن شكامة الكنديون ، وبنو سلمة بن قشير العدنانيون، وغيرهم..

خناس (كغراب) بن سنان بن عبيد بن عدي بن غنم بن كعب بن سلمة؛ الخزرجي الجشمي السلمي، أمه كبشة بنت مظهر بن حرام السلمية.

واختلف في اسم أبي قتادة هذا، فقيل الحارث ـ وهو الأصح ـ وقيل النعمان، وقيل عمرو. وكان رضي الله عنه من شجعان الصحابة وسادات فرسانهم، وكان من سادات قومه مطاعا فيهم، وعرف بفارس رسول الله ﷺ، كما عرف حسان بشاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم. وشهد أبو قتادة أحدا والمشاهد بعدها. وروي عنه أنه قال: كنت مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره إذ مال عن راحلته، قال: فدعمته فاستيقظ فقال: «حفظك الله كما حفظت نبيه»[1]؛ ولما أغار الفزاريون على لقاح النبي ﷺ التي كانت بالغابة وقتلوا راعيها واستاقوها ـ وكانوا أربعين فارسا ـ خرج رسول الله ﷺ في اثرهم في خمسمائة من أصحابه، فيهم أبو قتادة هذا وسلمة بن الأكوع، فأدركهم سلمة ـ وكان عدَّاءً ـ فجعل يرميهم بنبله ويرتجز، وأدركهم ـ أيضا ـ أبو قتادة وقتل رئيسهم يومئذ ـ وهو مسعدة بن حكمة الفزاري ـ وسجَّاه ببرده[2]، فلما رآه الصحابة استرجعوا وقالوا: قتل أبو قتادة؛ فقال النبي ﷺ: «ليس بأبي قتادة ولكنه قتيله وضع عليه برده لتعرفوه»؛ فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسه وسلاحه، وقال صلى الله عليه وسلم يومئذ: «خير فرساننا اليوم أبو قتادة وخير رجالنا اليوم سلمة بن الأكوع»، وفي رواية: «رجَّالتنا»[3].

وروي عن أبي قتادة قال: لما رآني رسول الله ﷺ يوم ذي قَرَد قال: «أفلح

---

(1) أخرجه مسلم.

(2) سجى الميت: مد عليه ثوبا، والبرد: نوع من الثياب.

(3) أخرجه مسلم وأبو داوود وأحمد.

وجهك» فقلت: ووجهك يا رسول الله؛ فقال لي: «قتلت مسعدة»؟ فقلت: نعم، قال: «فما هذا الذي بوجهك»؟ فقلت: سهم رميت به يا رسول الله، قال: «ادن مني»، فدنوت منه فبصق عليه فما ضرب علي قط ولا قاح[1]. وبعثه رسول الله ﷺ على سرية إلى خضرة (وهي أرض محارب) إلى غطفان فقتل من أشرافهم، وسبى سبيا كثيرا واستاق النعم: مائتي بعير وألفي شاة؛ وكانوا خمسة عشر رجلا وكانت غيبتهم خمس عشرة ليلة، وكان ذلك في شعبان سنة ثمان للهجرة.

وبعثه رسول الله ﷺ ــ أيضا ــ في رمضان من نفس السنة في ثمانية نفر سرية إلى بطن إضَم على ثلاثة برد من المدينة، لما هم أن يغزوَ أهلَ مكة ليظن ظان أن رسول الله ﷺ توجه إلى تلك الناحية، ولأن تذهب بذلك الأخبار، و لم يلقوا عدوا؛ فرجعوا إلى المدينة، فلما كانوا في طريق العودة سمعوا بخروج النبي ﷺ من المدينة نحو مكة، فساروا في اثره حتى لحقوا به بين المدينة ووادي الصفراء، وكان قد لقيهم في الطريق عامر بن الأضبط فَحياهم بتحية الإسلام، فقتله محلم بن جثامة، فنــزل قوله تعالى ﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ ﴾[2]-الآية- فجاء محلم حتى جلس بين يدي رسول الله ﷺ ليستغفر له، فقال صلى الله عليه وسلم: «لا غفر الله لك»[3] وكررها، فقام محلم وهو يتلقى دموعه بردائه؛ فما مضت له سابعة حتى مات، ودفنوه فلفظته الأرض ثم دفنوه فلفظته مرات، فرضموه بالحجارة[4] حتى

---

(1) رواه الواقدي، وضرب الجرح: اشتد وجعه. وقاح الجرح (بالقاف): تورم وسال منه القيح.

(2) النساء: 94.

(3) وفي رواية: «اللهم لا تغفر لمحلم» (ثلاثا) رواهما أبو داود وأحمد.

(4) لفظته: أي رمت به من داخل إلى خارج. ورضموه بالحجارة: أي جعلوها عليه بعضها على بعض.

واروه، وذكروا ذلك لرسول ا لله ﷺ؛ فقال: «إن الأرض لتطابق على من هو شر من صاحبكم ولكن ا لله أراد أن يعظكم»[1].

وروي أنه كانت لأبي قتادة هذا لمة فقال له رسول ا لله ﷺ: «من كان له شعر فليكرمه»[2] وقال: «أكرم جمتك وأحسن إليها»[3]، فكان أبو قتادة يرجلها غبا، وروي أنه صلى ا لله عليه وسلم قال له: «اللهم بارك في شعره وبشره»[4]. وتوفي أبو قتادة بالكوفة في خلافة علي بن أبي طالب رضي ا لله عنه وصلى عليه، وقيل توفي بالمدينة سنة أربع وخمسين.

وقوله **خامس من بابن أبي الحقيق**.. إلخ ؛ أشار به إلى قتل الخزرج لأبي رافع بن أبي الحقيق اليهودي، وقتل الأوس لكعب بن الأشرف الطائي اليهودي.

وقد كان مما أراد ا لله تعالى لرسوله ﷺ وأتم به نعمته عليه أن هذين الحيين من الأنصار الأوس والخزرج كانا يتصاولان مع رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم تصاول الفحلين، لا تصنع الأوس شيئا فيه غَناء[5] عن رسول ا لله ﷺ إلا قالت الخزرج وا لله لا يذهبون بهذه فضلا علينا عند رسول ا لله ﷺ في الإسلام، فلا ينتهون حتى يوقعوا مثلها، وإذا فعلت الخزرج شيئا قالت الأوس مثل ذلك. فلما

---

(1) أخرجه ابن ماجه والطبراني.

(2) أخرجه أبو داوود.

(3) نفس التخريج السابق.

(4) رواه الواقدي - [كما في الإصابة].

(5) صاوله مصاولة وصيالا وصيالة (بكسرهما): واثبه، وتصاولا: تواثبا. والفحلين: تثنية فحل، وهو الذكر من كل حيوان، جمعه: فحول وأفحل. وغناء (بوزن سحاب): أي نفع، وبوزن (كساء): ما طرب به من الصوت، وبوزن (إلى): ضد الفقر، قال الراجز:

وضد فقر: "كإلى" و"كسحاب": النفع، والمطرب أيضا كـ"كتاب"

أصابت الأوس كعب بن الأشرف وقتلته جرَّاء عداوته لرسول الله ﷺ قالت الخزرج: والله لا يذهبون بها فضلا علينا أبدًا. فتذاكروا فيمن كان مثل ابن الأشرف في العداوة لرسول الله ﷺ، فذكروا أبا رافع سلام بنَ أبي الحقيق اليهودي.

كعب بن الأشرف وقصة قتله

وحاصل قصة قتل الرجلين، أن كعب بن الأشرف هذا كان من أكبر الأعداء لرسول الله ﷺ وأصحابه ـ رضي الله عنهم ـ وأصله من طيئ ثم من بني نبهان، كان أبوه قد أصاب دما في قومه فأتى المدينة وحالف بني النضير فشرف فيهم وتزوج عقلية بنت أبي الحقيق اليهوديةَ من بني النضير، فولدت له كعبًا ونشأ فيهم، فكان سيدا في أخواله معدودا فيهم يدين باليهودية. وكان يقيم في حصن له قريب من المدينة يبيع فيه التمر والطعام ـ وكان شاعرا يهجو رسول الله ﷺ ويخذل عنه ويحرض على محاربته، ويخرج في الناس وفي قبائل العرب من غطفان في ذلك، ويشبب بنساء المسلمين. وكان قد خرج إلى مكة بعد وقعة بدر فندب قتلى قريش فيها، وأنشدهم الأشعار وبكى على أصحاب القليب[1] من قريش وحض على الأخذ بثأرهم. وعاد إلى المدينة؛ فقال رسول الله ﷺ: «من لي بكعب بن الأشرف فقد آذى الله ورسوله»؟[2]، فانتدب لقتله خمسة من الأوس هم محمد بن مسلمة وأبو نائلة (سلكان) بن سلامة وعباد بن بشر والحارث بن أوس وأبو عبس عبد الرحمن بن جبر الأوسيون. وروي أن محمد بن مسلمة قال: يا رسول الله إنه لا بد

(1) ندب الميت: بكاه وعدد محاسنه، والاسم: الندبة (بالضم). والقليب: البئر، سميت قليبا لأن ترابها قلبت، جمعها قلب؛ والمراد بها هنا بدر.

(2) أخرجه البخاري ومسلم.

لنا من أن نقول فيك، فقال صلى ا لله عليه وسلم: «قولوا ما بدا لكم فأنتم في حل من ذلك»[1]. فاجتمعوا ثم قدموا سلكان بن سلامة ـ وكان أخا لكعب من الرضاعة و كان يقول الشعر ـ فجاء إلى كعب وتحدث معه ساعة وتناشدا الشعر، ثم قال له: ويحك يا ابن الأشرف إني قد جئتك لحاجة أريد ذكرها لك فاكتم علي، فقال: أفعل، فقال سلكان: كان قدوم هذا الرجل علينا بلاء من البلاء، عادتنا به العرب ورمتنا عن قوس واحدة وقطعت عنا السبل حتى ضاع العيال وجهدت الأنفس، فقال كعب: أنا كعب! أما وا لله لقد كنت أخبرك يا ابن سلامة أن الأمر سيصير إلى هذا، فقال له سلكان: إن معي أصحابا لي على مثل رأيي، وقد أردنا أن تبيعنا طعاما، ونرهن لك ونوثق لك وتحسن في ذلك، فقال: أترهنوني أبناءكم؟ قال: لقد أردت أن تفضحَنا إنا نستحيي أن يسب ابن أحدنا ويعير فيقال: هذا رهن وسق شعير أو رهن وسقين! ولكنا نرهنك من الحلقة ـ يعني السلاح ـ ما فيه وفاء وقد علمت حاجتنا إلى السلاح (وأراد سلكان أن لا ينكر كعب السلاح إذا رآه وجاءوا به) فقال كعب: إن في الحلقة لوفاءً، فواعده أن يأتيه. ورجع سلكان إلى قومه فأخبرهم الخبر، وأخذوا سلاحهم وانطلقوا ومروا برسول ا لله ﷺ فمشى معهم إلى أن وصل بقيع الغرقد في ليلة مقمرة؛ ثم وجههم وقال: «انطلقوا على اسم ا لله اللهمَّ أعنهم»[2].

فانطلقوا حتى انتهوا إلى حصن كعب ليلا، فهتف به أبو نائلة ـ وكان كعب حديث عهد بعرس ـ فوثب في ملحفته فأخذت امرأته بناحيتها وقالت: إنك امرؤ محارب، وإن أصحاب الحرب لا ينزلون في مثل هذه الساعة، فقال: إنه أبو نائلة

---

(1) رواه ابن هشام في سيرته.

(2) رواه ابن هشام في سيرته.

رضيعي ولو وجدني نائما ما أيقظني، قالت: وا لله إني لأعرف في صوته الشر، فقال لها: لو دعي الفتى لطعنة لأجاب! فنزل إليهم ينفح منه ريح الطيب[1]؛ فتحدث معهم ساعة ثم قالوا: هل لك يا ابن الأشرف أن نتمشى إلى شعب العجوز فنتحدث به بقية ليلتنا هذه؟ قال: نعم إن شئتم؛ فمشوا ساعة، ثم أدخل أبو نائلة يده في فود رأس كعب فشمها وقال: ما رأيت كالليلة طيبا أعطر قط، قال كعب: إنه طيب أم فلان ـ يعني امرأته ـ ثم مشى ساعة ثم عاد سلكان لمثلها حتى اطمأن عدو ا لله، ثم عاد لمثلها فأمسك بفوده وقال: اضربوا عدو ا لله ورسوله.. فضربوه فاختلفت عليه أسيافهم فلم تغن شيئا، فتذكر محمد بن مسلمة مغولا في سيفه فأخذه ووضعه في ثنته[2] ـ وفي رواية في سرته ـ ثُم تحامل عليه حتى بلغ عانته فسقط عدو ا لله، وقد صاح صيحة شديدة انذعر بها أهل الحصون حواليه، ولم يبق حصن إلا وأوقدت عليه نار. فقطعوا رأسه وحملوه في مخلاة، وعادوا إلى المدينة، وقد جرح الحارث بن أوس؛ أصابه بعض أسياف قومه فأبطأ عنهم لجرحه ونزفه الدم، فوقفوا له ساعة حتى أتاهم فاحتملوه، وقد خرج أهل الحصن في آثارهم، فسلكوا طريقًا آخر ففاتوهم، فلما بلغوا بقيع الغرقد كبروا فسمع رسول ا لله ﷺ صوت تكبيرهم ـ وهو قائم يصلي ـ فعلم أنهم قتلوه، فلما انتهوا إليه آخر الليل وسلموا خرج إليهم وقال: «أفلحت الوجوه»[3] قالوا: ووجهك يا رسول ا لله، فبشروه بقتل كعب ورموا برأسه بين يديه صلى ا لله عليه وسلم، فحمد ا لله تعالى وأثنى عليه، فكان

---

(1) نفَح الطيب: انتشرت رائحته.

(2) المغول (بكسر الميم وسكون الغين المعجمة): سكين في سوط يهلك به المضروب، والثنة (بوزن سرة) في الإنسان: ما تحت السرة في أسفل البطن.

(3) رواه ابن سعد، كما في فتح الباري.

أول رأس حمل في الإسلام، وتفل صلى الله عليه وسلم على جرح الحارث فبرئ لحينه، ولم يؤذه بعد؛ ورجع القوم إلى منازلهم.

وخافت اليهود لهذه الوقعة، فلم يبق منهم إلا من هو خائف على نفسه. وقد روي أن رهط كعب جاءوا إلى النبي ﷺ فقالوا: قتل سيدنا غيلة من غير جناية ولا سبب، فقال لهم: «إنه كان يهجونا ويؤذي المسلمين ويحرض المشركين علينا»[1]، فخافوا وسكتوا ورجعوا. وفي هذه الوقعة يقول عباد بن بشر أحد القوم:

صرخت به فلم يعرض لصوتي	**ووافى طالعا من رأس جدر**
فعدت له فقال: من المنادي؟	**فقلت: أخوك عباد بن بشر**
وهذي درعنا ـ رهنا ـ فخذها	**لشهر ـ إن وفى ـ أو نصف شهر**
فقال: معاشر سغبوا وجاعوا	**وما عدموا الغني من غير فقر**
فأقبل نحونا يهوي سريعا	**وقال لنا: لقد جئتم لأمر**
وفي أيماننا بيض حداد	**مدربة بها الكفار نفري**
فعانقه ابن مسلمة المردى	**بها الكفار كالليث الهزبر**
وشد بسيفه صلتا عليه	**فقطَّرَه[2] أبو عبس بن جبر**
فكان الله سادسنا فأبنا	**بأنعم نعمة وأعز نصر**
وجاء برأسه نفرٌ كرام	**همُ ناهيك من صدق وبر**

وكانت هذه الوقعة في ربيع الأول على رأس خمسة وعشرين شهرا من الهجرة. والقوم الذين قتلوه ـ كما مر ـ هم: محمد بن مسلمة؛ وقد مر التعريف به عند قول الناظم **والحارث بن الخزرج بن عمرو**..إلخ، وعباد بن بشر؛ وقد مر أيضا التعريف

---

(1) روى نحوه البخاري والحاكم في الإكليل، كما في فتح الباري.

(2) الصلت: الصقيل الماضي، وقطَّره (بتشديد الطاء): ألقاه على أحد قطريه، أي أحد جانبيه، قال الشاعر: **قد علمت سلمى وجاراتها ما قطَّرَ الفارس إلا أنا**

به، وأبو نائلة واسمه سلكان ـ وقيل سعد ـ بن سلامة بن وقش بن زغبة بن زعوراء بن عبد الأشهل الأوسي الأشهلي، اشتهر بكنيته. شهد أحدا وغيرها، وكان من الرماة المذكورين في الصحابة، وكان شاعرا.

والرابع الحارث بن أوس بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل الأوسي، وكان قد أصيب في هذه الوقعة بذُباب سيف فجرح ـ كما مر.

والخامس أبو عبس عبد الرحمن بن جبر بن عمرو بن زيد بن جشم بن حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس الأوسي الحارثي، كان ممن كسر أصنام بني حارثة حين أسلم. روي أنه ضعف بصره فأعطاه النبي ﷺ عصًا وقال له: «تنور بهذه»، فكانت تضيء له ما بين كذا وكذا، ومات سنة أربع وثلاثين عن سبعين سنة وصلى عليه عثمان رضي الله عنه، ودفن بالبقيع، ونزل في قبره أبو بردة بن نيار وأبو قتادة بن رِبْعِيٍّ.

سلام بن أبي الحقيق وخبر قتله

ولما جاءت سنة ست للهجرة اجتمع نفرٌ من الخزرج فتذاكروا قتلَ الأوس لابن الأَشرف، فقالوا: والله لا تذهب الأوس بها فضلاً علينا أبدا. فتذاكروا أهل العداوة لرسول الله ﷺ، فَذَكروا ابنَ أَبي الحُقيق وهو أبو رافع سلام بن أبي الحقيق اليهوديُّ الذي كان على رأس محزبي الأحزاب يومَ الخندق، فانتدب منهم خمسة لقتله، هم عبدُ الله بن عتيكٍ وعبد الله بن أنيس ومسعود بن سنان والأسود بن خُزَاعِيٍّ وأبو قتادة بنُ ربعي الخزرجيون. فاجتمعوا ومروا برسول الله ﷺ وأخبروهُ خبرهم، فودَّعهم ونهاهم عن قتل النِّساء والصبيان، فساروا إلى خيبر، فكمنوا حتى هدأت المارَّةُ آخر الليل فجاءُوا إلى منزل ابن أبي الحقيق، فصعدوا دَرَجه حتَّى وقفوا ببابه، فقدموا عبد الله بنَ عتيك لأنَّه كان يرطن باليهودية، فقال: جئت أَبا رافع بهدية، ففتحت له امرأُته؛ فلما رأت السلاح أرادت أن تَصيح فأشار إليها بالسيف

فسكتت، فدخلوا عليه فما عرفوه إلا ببياضه في ظلمة البيت، فعلَوه بأسيافهم فقتلوه، ولما فرغوا من قتله انطلقوا راجعين. وكان في بصر عبدِ الله بن عتيك ضَعفٌ؛ فلما نزل عن درج غرف أبي رافع تردَّى في هبوطه من بعض الدرج فانكسرت رجلُه، فعصبها واحتمله أصحابه حينا وانطلقوا به إلى النبي ﷺ، فلما رآهم مقبلين قال: «أَفلحت الوجوه»[1] وحدثوه بأمرهم، فمسح على رجْل عبد الله بن عتيك فبرئت من حينها. واختلفوا فيمن قتله منهم، فقال صلى الله عليه وسلم: «هاتوا أسيافَكم» فجاءوا بها؛ فنظر صلى الله عليه وسلم إليها فقال: «لسيف عبد الله بن أُنَيْس هذا قتله أرى فيه أثر الطَّعام»[2].

وفي هذه الوقعة والتي قبلها يقول حسان بن ثابت الأنصاري:

لله در عصابة لاقيتَهم	**يا ابنَ الحقيق وأنت يا ابنَ الأشرف**
يسرون بالبيض الخفاف إليكمُ	**مرحا كأسد في عرين مغرف[3]**
حتى أَتوكم في محل بلادكم	**فسقوكمُ حتفا ببيض ذفَّف[4]**
مستنصرين لنصر دين نبيهم	**مستصغرين لكل أمر مجحف**

وكانت هذه الوقعة في شهر رمضان سنة ست للهجرة ـ كما مر ـ وتعرف بسرية عبد الله بن عتيك. وأهلها خمسة ـ كما تقدم ـ وهم: أبو قتادة بن ربعي السلمي الذي مر التعريف به قريبا، وعبدُ الله بن عتيك بن قيس بن الأسود بن

(1) رواه ابن سعد ـ كما في فتح الباري.

(2) رواه ابن كثير في البداية والنهاية: 4 / 139.

(3) العرين (كأمير): أجمة الأسد. والمغرف: الكثير، أي مكثر من الأسد، أو هو توكيد معنى، كما يقال: خبيث مخبث.

(4) ذفف: جمع ذفيف وهو الخفيف السريع، وهو في معنى القاطع والصارم.

مري بن كعب بن غنم بن سلمة بن سعد بن علي بن أسد بن ساردة بن تزيد بن جشم بن الخزرج الخزرجي الجشمي السلمي، شَهد بدرا وأحدا، واستشهد باليمامة، وقيل شهد صفين مع علي رضي الله عنهما.

والثالث عبدُ الله بن أنيس بن أسعد بن حرام بن حبيب بن مالك بن غنم بن كعب بن تيم بن نفاثة بن إياس بن يربوع بن البرك بن وبرة، أخي كلب بن وبرة، فهو من قضاعة وحالف بني سلمة من الأنصار؛ وبني نابئ من بني سلمة خاصة، وقد دخل بنُو جَده البرك بن وبرة في جهينة فقيل له الجهني، والقضاعي، والأنصاري السلمي. كان رضي الله عنه مهاجريًّا أنصاريا، شهد العقبة وأحدا وما بعدها، وهو الذي سأل رسول الله ﷺ عن ليلة القدر فقال: يا رسول الله إني شاسع الدار فمرني بليلة أنزل لها، فقال: «انزل ليلة ثلاث وعشرين»[1]، فكانت تلك الليلة تعرف عند أهل المدينة بليلة الجهني، وهو من كاسري أصنام بني سلمة، وتوفي بالشام سنة أربع وخمسين.

والرابع مسعود بن سنان بن الأسود الخزرجي السلمي حليف بني غنم بن سلمة ، شهد رضي الله عنه أحدا واستُشهد باليمامة.

والخامس الأسود بن خزاعي - وقيل خزاعي بن الأسود - بن أسد الأسلمي الأنصاري السلمي، أصله من أسلم وحالف بني سلمة من الأنصار، شهد رضي الله عنه أحدا، وذكر الواقدي أنه ممن سار مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى اليمن حين بعثه إليه رسول الله ﷺ.

هذا وقد كان آل أبي الحقيق اليهودي مقيمين بخيبر، وهم من بني النضير. وذلك أنه لما أجلى رسول الله ﷺ بني النضير عن المدينة تجهزوا وتحملوا على ستمائة

(1) أخرجه مالك في الموطإ، وأبو داوود في سننه. وشاسع الدار: أي بعيدها.

بعير، وحملوا النساء والأبناء والأموال، فخرجوا ومعهم الدفوف والمزامير والقيان يعزفن خلفهم، ويظهرون الجلادة[1]، فعبروا من سوق المدينة وتفرقوا في البلاد، فذهب بعضهم إلى الشام وإلى أذرعات وأريحاء، ولحق أهل بيتين منهم بخيبر وهم آل أبي الحقيق وآل حيي بن أخطب، وأقاموا بها.

ومن بني سلمة - أيضا - ثم من بني سنان منهم جابر بن عبد الله بن رئاب بن النعمان بن سنان بن عبيد بن عدي بن غنم بن كعب بن سلمة السلمي، ابن عم البراء وأبي قتادة المذكورين، قيل إنه أول من أسلم من الأنصار قبل العقبة الأولى بعام. وشهد مع رسول الله ﷺ جميع المشاهد، وهو أحد الستة الذين لقيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعقبة فآمنوا به، وقد مر التعريف بهم.

ثم أشار الناظم إلى بني حرام من بطون بني سلمة بذكر بعض أعيانهم، فقال رحمه الله وعفا عنه:

وَمِنْهُم أَيْضًا الْحُبَابُ السَّامِي	**سِبْطُ الْجَمُوحِ مِن بَنِي حَرَامِ**
وَجَابِرٌ أَحيَا النَّبِيُّ وَلَدَيْه	**وَسَارَ شَهْرًا لِحَدِيثٍ كَيْ يَعِيه**
مِنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ الْجُهَنِي	**خَادِمِ خَيْرِ الْعَالَمِينَ الْمُعْتَنِي**
وَقِيلَ فِي الرَّاوِي وَفِي الْمَرْوِيِّ	**عَنْهُ سِوَى مَا جَاءَ فِي مَحْكِيِّ**
وَالِدُهُ سَأَلَهُ الإِلَهُ	**. مِن بَعْدِمَا بِأُحُدٍ أَحْيَاهُ .**
أَنْ يَتَمَنَّى فَتَمَنَّى الْمَحْيَا	**لِكَيْ يُجَاهِدَ وَلَيْسَ يَحْيَا**

(1) الدفوف: جمع دف (بضم الدال فيهما) وهو الطبل. والمزامير: قصب يتغنى فيها. والقيان (بكسر القاف): المغنيات. ويعزفن: يلعبن بالمعازف (وهي الملاهي) كالعود والطنبور. والجلادة: الشدة والقوة.

فَقَدْ قَضَى أَنْ لاَ رُجُوعَ الْمَالِكُ وَلَمْ تَــزَلْ تُظِلُّهُ الْمَلاَئِكُ

الحباب (بوزن غراب): مبتدأ خبره الجار والمجرور قبله. والضمير في **منهم** عائد على بني سلمة الجشميين المتقدم ذكرهم. **والسامي**: الرفيع. **والسبط** (بالكسر): ولد الولد. **والجموح**: بوزن صبور. **وحرام**: بوزن سحاب[1]. يعني أن من بني سلمة ثم من بني حرام منهم الحباب بن المنذر بن الجموح.

وقوله **وجابرٌ**: عطف على **الحباب**، وجملة **أحيا النبي**..إلخ: صفة لجابر. وفاعل **سار شهرا** ضمير مستتر عائد على **جابر**. **ويعيه** (بفتح المثناة التحتية أوله): أي يحفظه. **والجهني** (بضم ففتح): صفة لعقبة، وهي نسبة إلى جهينة بن زيد بن سُودِ بن أسلم بن عمرو بن الحاف بن قضاعة، واحترز به من عقبة بن عامر الأنصاري ومن عقبة بن عامر السلمي، وغيرهما ممن شاركه في الاسم واسم الأب. وقوله **خادم** (بالجر): صفة **لعقبة**، لأنه كان من الصحابة الذين لزموا رسول الله ﷺ وخدموه حتى عرفوا بخدمته، **والمعتني**: صفة له ـ أيضا ـ أي المعتني بالعلم وتحصيله. قوله **وقيل في الراوي**: أي للحديث، **وفي المروي عنه** الحديث **سوى**، أي غير، **ما جاء في محكيِّي**: أي منظومتي. يعني أنه قيل إن راوي الحديث غير جابر، وإن المروي عنه غير عقبة بن عامر. وقوله **والده**: أي جابر، وهو عبد الله بن عمرو. والضمائر في **سأله وأحياه ويتمنى وفتمنى ويجاهد ويحيا وتظله** عائدة كلها على **والده**. **وقضى**: حكم. **أن لا رجوع**: أي إلى الدنيا بعد الموت. **والمالك**: فاعل **قضى**، وهو المولى عز وجل.

---

(1) كل حرام في نسب الأنصار فهو بالراء المهملة وبوزن (سحاب)، وإن كان في نسب قريش فهو بالزاي المعجمة وبوزن (كتاب).

يقول: ومن بني سلمة - أيضا - ثم من بني حرام منهم: جابر بن عبد ا الله الذي أحيا ا الله تعالى له ولَديه على يدِ رسول ا الله ﷺ إكراما ومعجزة له، والذي سافر مسيرة شهر لأخذ حديث عن عقبة بن عامر الجهني.

أما الحباب فهو أبو عمرو الحباب بن المنذر بن الجموح بن زيد بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة الجشمي السلمي، شهد بدرا وأحدا وما بعدهما من المشاهد مع رسول ا الله ﷺ - وكان يوم بدر ابن ثلاث وثلاثين سنة - وهو الذي أشار على النبي صلى ا الله عليه وسلم يومئذ أن ينزل على أدنى ماء من مياه بدر من جهة العدو للقاء العدو، ويغور[1] غيرها ليبقى المشركون على غير ماء فيضعفهم ذلك، فقال رسول ا الله ﷺ: «لقد أشرت بالرأي»[2]، وفي رواية: أن جبريل نزل على النبي صلى ا الله عليه وسلم وقال: «الرأي ما أشار به الحباب»، ففعل صلى ا الله عليه وسلم. وكان في رأي الحباب الخير، ثم كان بعد ذلك يدعى: "ذا الرأي"، وهو القائل يوم السقيفة: أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب[3].. منا أمير ومنكم أمير. وكان الحباب يقول الشعر، ومن شعره:

ألم تعلما - لله در أبيكما ، وما الناس إلاّ أكمه وبصير[4] -
بأنا وأعداء النبي محمد أسود لها في العالمين زئير

(1) غار الماءُ: ذهب في الأرض، وسَفَل فيها، وماء غور: غائر، ويُغوِّر البئرَ: أي يُذهب ماءَها.

(2) رواه ابن عبد البر في الاستيعاب، وأبو نعيم - [كما في أسد الغابة].

(3) جذيلها: تصغير جذل وهو العود الذي ينصب للإبل الجربى لتحتك به، أي أنا ممن يستشفى برأيه كما تستشفى الإبل الجربى بالاحتكاك. وعذيقها: تصغير عذق (بالفتح) وهو النخلة. والمرجب (من الرجبة): وهي أن تدعم النخلة الكريمة ببناء من حجارة أو خشب إذا خيف عليها لطولها وكثرة حملها أن تقع، يقال رجبتها فهي مرجبة، ويراد بهذا المثل مدح صاحبه.

(4) الأكمه: الذي ولد أعمى، أو هو عام. والبصير: المبصر.

نصـــــرنا وآوينا النبي وماله سوانا من اهـــــل الملتين نصير

ومات رضي الله عنه في خلافة عمر وقد زاد على الخمسين.

جابر بن عبد الله وخبر إحياء ولديه

وأما جابر فهو أبو عبد الله جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة الجشمي السلمي، الصحابي ابن الصحابي، أمه نسيبة بنت عقبة بن عدي من بني حرام أيضا. شهد جابر العقبة الثانية مع أبيه وهو صغير؛ وروي عنه أنه قال: لم أشهد بدرا ولا أحدا، منعني أبي فلما قتل لم أتخلف، وشهد صفين مع علي. وكان رضي الله عنه من علماء الصحابة، فقد كانت له حلقة في المسجد النبوي لأخذ العلم عنه، وكان أحد المكثرين من الحديث عن النبي ﷺ ـ كما مر ـ وأخذ عنه كثير من أجلاء الصحابة والتابعين، وكف بصره في آخر عمره، ومات بالمدينة سنة أربع وسبعين ـ وقيل سبع وسبعين وقيل ثمان وسبعين ـ عن أربع وتسعين سنة، وصلى عليه أبان بن عثمان ـ وكان أمير المدينة إذ ذاك ـ وكان جابر أوصى أن لا يصلي عليه الحجاج، وقد قيل إنه كان آخر الصحابة موتا بالمدينة رضي الله عنه.

وقوله: **أحيا النبي ولديه** أشار به إلى ما في شواهد النبوة من أن جابرًا دعا رسول الله ﷺ ـ ذات يوم ـ إلى القرى فأجابه النّبي صلى الله عليه وسلم ففرح جابر، فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس، وكان لجابر داجن[1] فذبحه ليشويه؛ وكان له ابنان فقال كبيرهما للصّغير: هلم أُرك كيف ذبح أبي الحمل[2]،

(1) الداجن: الشاة تألف البيوت.

(2) الحمل (بالتحريك): الخروف، أو هو الجذع من الضأن فما دونه.

فاضطجع الصغير وربط يديه ورجليه، فذبحه وحز رأسه وجاء به إلى أمه، فلما رأته أمه دهشت وبكت، فخاف الصبي وهرب على السطح فتبعته أمه، فزاد خوفه فرمى نفسه من السطح فهلك، فسكتت المرأة وأدخلت ابنيها البيت وغطتهما بمسح في ناحية من البيت، واشتغلت بطبخ الحمل ـ وكانت تخفي الحزن وتظهر السرور ــ ولم يعلم جابر ما وقع. فلما تم الطبخ وقرب إلى رسول الله ﷺ أتى جبريل وقال: «يا محمد إن الله يأمرك أن تأكل مع أولاد جابر» فقال رسول الله ﷺ: ذلك لجابر، فطلب جابر ابنيه فقالت امرأته إنهما ليسا بحاضرين، فأخبر جابر بذلك رسول الله ﷺ، فقال: «إن الله يأمرك بإحضارهما»، فرجع جابر إلى امرأته وأخبرها بذلك، فعند ذلك بكت المرأة وكشفت الغطاء عنهما، فلما رآهما جابر تحير وبكى وأخبر بذلك رسول الله ﷺ، فنزل جبريل وقال: «يا محمد إن الله يأمرك أن تدعو لهما ويقول: منك الدعاء ومنا الإجابة والإحياء»، فدعا رسول الله ﷺ فحييا بإذن الله تعالى. [انتهى من الخميس بحروفه]، قال: ولكنها لم تشتهر اشتهارا، وكانت هذه القصة في عام الخندق وقيل في غيره.

ومما يتناسب في المعنى مع ما ذكر من إحياء ولدي جابر ما ذكره الزرقاني على المواهب[1] قال: أخرج أبو نعيم أن جابرا بن عبد الله ذبح شاة وطبخها وثرد (أي فت الخبز في جفنة مع لحم الشاة)، وأتى بذلك رسول الله ﷺ فأكل القوم الذين معه، وكان صلى الله عليه وسلم يقول لهم: «كلوا ولا تكسروا عظما»؛ ثم انه عليه الصلاة والسلام جمع العظام ووضع يده عليها ثم تكلم بكلام ـ قال جابر: لم أسمعه ـ فإذا الشاة قد قامت تنفض أذنيها، فقال لي: «خذ شاتك يا جابر بارك الله

(1) راجع: 5 / 184.

لك فيها»، فأخذتها ومضيت وإنها لتنازعني أذنها حتى أتيت بها المنزل، قالت المرأة: ما هذا يا جابر؟ قلت: وا لله هذه شاتنا التي ذبحناها لرسول ا لله ﷺ دعا ا لله فأحياها، فقالت: أشهد أنه رسول ا لله.

وقوله: **وسار شهرا**..إلخ: أشار به ــ رحمه ا لله ــ إلى ما ذكره صاحب الحلة السيراء في ترجمة جابر قال: وهو الذي رحل إلى مصر مسيرة شهر ليأخذ حديث القصاص عن عقبة بن عامر الجهني، فلما قدم عليه بمصر قال: جئتك لحديث القصاص، لم يبق أحد يحدث به غيرك أردت أن أسمعه منك قبل أن تموت أو أموت، قال: نعم سمعت رسول ا لله ﷺ يقول: «إذا كان يوم القيامة حشر ا لله الناس حفاة عراة غرلا بُهْماً (أي لا شيء لهم) ثم جلس على كرسيه تبارك وتعالى ثم ينادي بصوت يسمعه من بعُد كما يسمعه من قَرُب يقول: أنا الملك الديان لا ظلم اليوم لا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة ولأحد من أهل النار عنده مظلمة ولا لأحد من أهل النار أن يدخل النار ولأحد من أهل الجنة عنده مَظْلِمَة حتى لطمة بيد»، قيل يا رسول ا لله فكيف نأتي وإنما نأتي ا لله يوم القيامة حفاة عراة غرلا بهما؟ قال: «بهما من الحسنات والسيئات»[1].

وفي عمدة القارئ للبدر العيني: ذكر أبو سعيد بن يونس بسنده عن جابر قال: بلغني حديث في القصاص عن عقبة بن عامر الجهني ـ وهو بمصر ــ فاشتريت بعيرا

---

(1) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، وأحمد في مسنده. والحفاة (بضم المهملة): جمع حاف وهو الذي يمشي بلا نعل ولا خف. وعراة (جمع عار): وهو المتجرد من ثيابه. وغرلا (بضم فسكون جمع أغرل): وهو الأقلف الذي لم يختتن. وبهما (بضم فسكون أيضا): أي ليس معهم شيء، وقيل أصحاء ليس فيهم شيء من العاهات التي تكون في الدنيا كالعمى والعور وغير ذلك، بل أجسامهم صحيحة للخلود للخير أو الشر. والديان: من أسمائه تعالى ومعناه: المحاسب والمجازي.

فشددت عليه رحلاً وسرت إليه شهرا حتى أتيت مصر[1]؛ وذكر الحديث.

وقيل إن صاحب الحديث المروي عنه هو عبد ا لله بن أنيس الجهني، وليس عقبة بن عامر ـ كما ذكر؛ ففي صحيح البخاري في كتاب العلم: رحل جابر بن عبد ا لله مسيرة شهر إلى عبد ا لله بن أنيس في حديث واحد. وروي عن جابر بن محمد بن عقيل انه سمع جابرا بن عبد ا لله يقول: بلغني عن رجل حديث سمعه عن رسول ا لله ﷺ فاشتريت بعيرا ثم شددت رحلي فسرت إليه شهرا حتى قدمت الشام فإذا عبد ا لله بن أنيس، فقلت للبواب: قل له جابر بن عبد ا لله على الباب، فقال: ابن عبد ا لله؟ قلت: نعم؛ فخرج فاعتنقني فقلت: حديث بلغني عنك أنك سمعته من رسول ا لله ﷺ فخشيت أن أموت قبل أن أسمعه منك، فقال: سمعت رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم يقول: «يحشر الناس يوم القيامة عراة غرلا بهما..» ــ الحديث ــ قال البدر: قلت: يحتمل أن يكونا واقعتين إحداهما لعبد ا لله بن أنيس والأخرى لعقبة بن عامر رضي ا لله عنهما. وقيل راوي الحديث الذي سار في طلبه هو أبو أيوب الأنصاري، فقد روي عن عطاء بن أبي رباح وغيره أن أبا أيوب خالد بن زيد الأنصاري رحل إلى عقبة بن عامر الجهني في حديث الستر على المؤمن، فلما وصل إليه بمصر خرج إليه فعانقه، ثم قال: ما جاء بك يا أبا أيوب؟ قال: حديث سمعته من رسول ا لله ﷺ لم يبق أحد سمعه من رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم غيري وغيرك في الستر على المؤمن، قال عقبة: نعم سمعت رسول ا لله ﷺ يقول: «من ستر مؤمنا

---

(1) كان البر متصلا بين الجزيرة العربية ومصر عن طريق الشام وسيناء، قبل أن ينقطع باتصال الماء بين البحر الأحمر والبحر الأبيض المتوسط عبر مجرى "قناة السويس" المصطنعة في أواخر القرن الميلادي التاسع عشر (1870م).

في الدنيا على عورة ستره الله يوم القيامة»[1]، فقال أبو أيوب: صدقت، ثم انصرف إلى راحلته فركبها راجعًا إلى المدينة، وفي رواية أنه قال له: هل تذكر مجلسا كنت أنا وأنت فيه مع النبي ﷺ ليس أحد معنا؟ قال: نعم، قال: كيف سمعته يقول؟ قال: سمعته يقول: «من اطلع من أخيه على عورة ثم سترها جعلها الله له يوم القيامة حجابا من النار» قال: كنت أعرف ذلك ولكن وهمت الحديث فكرهت أن أحدث به على غير ما كان، ثم ركب راحلته ورجع.

وروى أبو داوود من طريق عبد الله بن بريدة أن رجلا من الصحابة رحل إلى فضالة بن عبيد ـ وهو بمصر ـ في حديث. وروى الخطيب عن عبيد الله بن عدي قال: بلغني حديث عند علي، فخفت إن مات أن لا أجده عند غيره، فرحلت حتى قدمت عليه العراق. وإلى هذا أشار الناظم بقوله: **وقيل في الراوى وفي المروي**.. إلخ.

وفي هذه الرحلة دليل على ما كان عليه الصحابة من الحرص على تحصيل السنن النبوية، وفيه فضل الازدياد من العلم ولو مع المشقة والنصب بالسفر وخضوع الكبير لمن يتعلم منه، وفيه دليل على طلب علو الإسناد لأنه بلغه الحديث عن عبد الله بن أنيس فلم يقنعه حتى رحل ، فأخذه عنه بلا واسطة.

وأما والد جابر فهو أبو جابر عبد الله بن عمرو بن حرام، كان من سادات الصحابة وفضلائهم، حضر العقبة وكان نقيبا، وشهد بدرا وأحدا واستشهد به، وهو أول قتيل به من المسلمين قبل الهزيمة؛ وروى عن ابنه جابر قال: لقيني رسول الله ﷺ ـ أي بعد أحد ـ فقال: «يا جابر ما لي أراك منكسرا»؟ فقلت: يا رسول الله قتل أبي وترك دينا وعيالا، فقال: «أفلا أبشرك بما لقي الله به أباك»؟ قلت:

---

(1) أخرجه البخاري ومسلم.

بلى يا رسول الله، قال: «إن الله أحيا أباك وكلمه كفاحا وما كلم أحدا قط إلا من وراء حجاب فقال له: يا عبدي تمنَّ أُعطك قال: يا رب تردني إلى الدنيا فأقتل فيك ثانيا، فقال الربُّ تعالى: إنه سبق مني أنهم إليها لا يرجعون، قال: يا رب فأبلغ من ورائي، فأنزل الله تعالى ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾[1].

وروي عن جابر أيضا قال: جيء بأبي يوم أحد إلى النبي ﷺ ـــ وقد مثل به ـــ فوضع بين يديه فذهبت أكشف عن وجهه وجاءت عمتي تبكي، وجعلت أبكي عليه وجعل القوم ينهونني ورسول الله ﷺ لا ينهاني، فقال صلى الله عليه وسلم: «ابكوه أو لا تبكوه فوالله ما زالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى دفنتموه»[2]. وإلى هذا أشار الناظم بقوله **والده سأله الإله**..إلخ، وقد تقدم التعريف بعبد الله هذا في ذكر النقباء.

وأما عقبة بن عامر المذكور في النظم فهو أبو حمادٍ عقبة بن عامر بن عبس بن عمرو بن عدي بن عمرو بن رفاعة بن مودعة بن عدي بن غنم بن الرَّبْعة بن رَشْدَانَ بن قيس بن جهينة؛ الجهني الصحابي المشهور، روى عن النبي ﷺ كثيرا، وروى عنه جماعة من الصحابة والتابعين، منهم: ابن عباس وجابر وأبو أمامة وجبير بن نفير وأبو إدريس الخولاني.. وخلق من أهل مصر. وقد روي عنه أنه قال: قدم رسول الله ﷺ المدينة وأنا في غُنَيْمَة لي أرعاها، فما إن تناهى إلي خبر قـــدومه حتى

---

(1) آل عمران: 169. والحديث أخرجه الترمذي وابن ماجه في سننيهما. والمنكسر: الحزين. وكفاحا: أي مواجهة دون ستر أو حجاب.

(2) حديث «ابكوه أو لا تبكوه..» الخ أخرجه البخاري في كتاب الجنائز ومسلم في كتاب فضائل الصحابة والإمام أحمد في مسنده ـــ (ج:3).

تركتها ومضيت إليه لا ألوي على شيء، فلما لقيته قلت: تبايعني يا رسول ا لله؟ قال: «فمن أنت»؟ قلت: عقبة بن عامر الجهني، قال: «أَيُّمَا أَحَبُّ إليك تبايِعُني بيعةً أعرابية أو بيعة هجرة»؟ قلت: بل بيعة هجرة، فبايعني رسول ا لله ﷺ على ما بايع عليه المهاجرين، وأقمت معه ليلة ثم مضيت إلى غنيمي[1]. ثم إنه رضي ا لله عنه عاد إلى المدينة وأقام في المسجد بجوار رسول ا لله ﷺ يسمع ما ينزل عليه من الوحي ويتفقه في دينه، ولازم رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم لزوم الظل لصاحبه، فكان يأخذ له بزمام بغلته أينما سار ويمضي بين يديه أنى اتجه، وكثيرا ما أردفه صلى ا لله عليه وسلم وراءه حتى دعي "برديف رسول ا لله ﷺ" فكان من خدمه، وعرف بأنه صاحب بغلته صلى ا لله عليه وسلم؛ ففي الخميس: كان عقبة بن عامر الجهني من خدامه صلى ا لله عليه وسلم، وكان صاحب بغلته يقود به في الأسفار، وروي عنه أنه قال: بينما أنا أقود برسول ا لله ﷺ في نقب من تلك النقاب، إذ قال لي رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم: «اركب يا عقبة» فأجللت رسول ا لله ﷺ أن أركب مركبه، ثم أشفقت أن يكون معصية فركبت هنيهة ثم نزلت[2] ثم ركب النبي ﷺ ، وكان عقبة يقود به البغلة في صعودها وهبوطها وخروجها عن الطريق رفقا به صلى ا لله عليه وسلم، وقد جعل رضي ا لله عنه همه في أمرين: العلم والجهاد، و لم تمض عليه فترة وجيزة حتى صار من أكابر علماء الصحابة بالكتاب والسنة، ومن شيوخ القراء والمحدثين؛ وكان ممن جمع القرآن، وكان فقيها عالما بالفرائض كاتبا شاعرا فصيح اللسان. وإلى ذلك أشار بقوله **خادم خير العالمين المعتني**..

---

(1) رواه ابن الأثير: 3 / 550.

(2) أخرجه أحمد بلفظ قريب منه. والنقب: الطريق في الجبل جمعه: نقاب وأنقاب. وأجللت: أعظمت. وأشفقت: أي خفت وحذرت. وهنيهة: ساعة يسيرة.

وقد شهد مع رسول الله ﷺ أحدا وما بعدها من المغازي ، وأبلى بلاءً حسنًا في الفتوح ـ وخاصة يوم فتح دمشق ـ وكان هو البريد إلى عمر[1] بفتحها واتخذ بها دارا لنفسه، وكان أحد قادة جيوش المسلمين التي فتحت مصر، وشهد صفين مع معاوية وولاه بعد ذلك مصر وابتنى بها دارا، ثم عزله عنها سنة سبع وأربعين، وتوفي بها في خلافة معاوية ـ على الصحيح ـ قيل: سنة ثمان وخمسين، ودفن في سفح المقطم (وهو جبل مطل على القاهرة من جهة الجنوب). والله سبحانه وتعالى أعلم.

عمرو بن الجموح

ومن بني سلمة ـ أيضا ـ ثم من بني حرام منهم: عمرو بن الجموح (بفتح الجيم وتخفيف الميم) بن زيد بن حرام بن كعب بن غنم بن سلمة الجشمي السلمي، كان سيدا من سادات الأنصار وشريفا من أشراف بني سلمة، وأحد أجواد المدينة وذوي المروآت فيها. روي أنه كان على أصنام بني سلمة قبل أن يسلم، وكان قد اتخذ في دَاره صنما من خشب يعظمه، فلما أسلم فتيان بني سلمة ـ ومنهم ابنه معاذ بن عمرو وتربه معاذ بن جبل ـ كانوا يدخلون على صنم عمرو فيطرحونه في بعض حفر بني سلمة التي ترمى فيها الأقذار، فيغدو عمرو في طلبه فيجده منكبا لوجهه في العذرة فيأخذه ويغسله ويطيبه، ويقول: لو أعلم من صنع هذا بك لأخزيته[2]. ففعلوا ذلك مرارا، ثم جاء بسيفه فعلقه عليه وقال: إن كان فيك خير فامتنع، فلما أمسى أخذوا كلبا ميتا فربطوه في عنقه، فلما أصبح طلبه فوجده كذلك؛ فأبصر رشده وأسلم. وقال يخاطب صنمه ذلك ويشكر الله الذي أنقذه مما كان فيه من العمى

---

(1) البريد: الرسول، ويقال للمسافة التي يقطعها الرسول نحو اثني عشر ميلا تقريبا.

(2) أخزاه: أوقعه في الخزي، وهو الهوان والذل.

والضلالة:

تا لله لو كنـــــت إلها لم تكن أنت وكلب وسط بئر في قرن[1]

أف لملقـــاك إلها مستــــــدن الآن فتشناك عن ســـوء الغبن[2]

الحمد لله العلي ذي المنــــــن الواهـــب الرزاق ديَّانِ الدِّيَن[3]

هو الذي أنقـــذني من قبل أن أكـــون في ظلمـــة قبر مرتهن

بأحمد المهـــدي النبي المؤتمن

ثم قال:

أتـــوب إلى ا لله سبْحانـــه وأستغفـــــر ا لله مـــــن ناره

وأثـــــــني عليه بآلائـــه بإعــــلان قلبي وإســـــراره

وكان رضي ا لله عنه قد جاوز الستين من عمره. ثم شهد العقبة الثانية وبدرا وأحدا واستشهد به، وكان شديد العرج[4] وكان له أربعة بنين مثل الأسود، وكانوا يقاتلون مع رسول ا لله ﷺ. ولما أراد الخروج إلى أحد منعه بنوه وقالوا له: وا لله ما عليك من حرج؛ فقد عذر ا لله الأعرج، وأرادوا حبسه؛ ولكن قوة إيمانه وعظيم

---

(1) القرن (بالتحريك): حبل يقرن به البعيران.

(2) أف (بضم الهمزة وتشديد الفاء): اسم فعل بمعنى: أتضجر وأتكره، يقال: أفا له وعليه أي قذرا له. ومستدن: من السدانة (وهي خدمة البيت وتعظيمه. وسوء الغبن: أي سوء الرأي، يقال: غبن رأيه، كما يقال: سفه نفسه.

(3) الدِّين: جمع دينة وهي العادة ويقال لها: دين أيضا، قال يزيد بن الطثرية:

أرى سبعة يسعـــون للوصل كلهـــم له عنـــد ليلى دينة يستدينـــها

فأدغمت سهمي وسطهم حين أوخشوا فما صـــار لي في القسم إلا ثمينها

(4) العرج (بالتحريك): مشية الأعرج، وهو الذي أصابه شيء في رجله فمشى مشية غير مستوية.

إيقانه حملاه على الخروج، فأتى رسول الله ﷺ وقال له: إن بني أرادوا أن يحبسوني عن الخروج معك وإني لأرجو أن أطأ الجنة بعَرْجَتي هذه، فقال صلى الله عليه وسلم: «أما أنت فقد عذرك الله فلا جهاد عليك» وقال لبنيه: «لا عليكم ألا تمنعوه لعل الله يرزقه الشهادة»[1]، فقال: يا رسول الله أرأيت إن قاتلت في سبيل الله حتى أقتل أمشي برجلي هذه في الجنة؟ قال: «نعم»[2]، فأخذ سلاحه وولّى وقال: والله إني لأرجو أن أطأ بعرجتي هذه في الجنة، فلما ولّى أقبل على القبلة وقال: اللهم ارزقني الشهادة ولا تردني إلى أهلي خائبا. وخرج إلى أحد فقاتل حتى قتل، روي أنه لما انكشف المسلمون حمل هو وابنه خلاد بن عمرو على المشركين فقاتلا حتى استشهدا معا؛ فلما مر به رسول الله ﷺ قال: «إني أراك تمشي برجلك هذه صحيحة في الجنة»، وفي رواية: «رأيته يطأ في الجنة بعرجته». ودفن رضي الله عنه مع ابن عمه عبد الله بن عمرو بن حرام في قبر واحد، وكانا متصافيين[3] في الحياة وصهرين لأنه كانت تحته هند بنت عمرو بن حرام اخت عبد الله، ثم قال صلى الله عليه وسلم: «والذي نفسي بيده إن منكم من لو أقسم على الله لأبره[4] منهم عمرو بن الجموح». وكان رضي الله عنه يولم على رسول الله ﷺ إذا تزوج.

وابنه معاذ بن عمرو بن الجموح شهد العقبة وبدرا واشترك هو وبنو عفراء في قتل أبي جهل يوم بدر، وضربه عكرمة بن أبي جهل على عاتقه فقطعه، فأتى معاذ

---

(1) رواه ابن الأثير: 3 / 705.

(2) أخرجه أحمد بلفظ قريب منه، ورواه ابن هشام وابن أبي شيبة.

(3) تصافى القوم: أخلص بعضهم الود لبعض، والصفي: الصديق المخلص.

(4) رواه الشيخان وأبو داوود وابن ماجه وأحمد، وغيرهم بروايات متقاربة.

بعاتقه إلى رسول الله ﷺ فألصقه في محله فالتصق، ومات معاذ هذا في خلافة عثمان.

ومن بني حرام أيضا ابن أخي عمرو بن الجموح هذا وهو عمير بن الحمام بن الجموح، شهد بدرا واستُشهد به، قتله خالد بن الأعلم العقيلي. وكان عمير هذا قد مر به رسول الله ﷺ وهو يحرض الناس على القتال ويقول: «والذي نفسي بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر إلا أدخله الله الجنة»، فقال عمير: بخ بخ[1] فما بيني وبين الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء ــ وكانت بيده تمرات يأكلهن فقذفها من يده ـ وقاتل حتى قتل وهو يرتجز، وقد قيل إنه أول قتيل من الأنصار في الإسلام [قاله في الاستبصار]، وقيل أول قتيل منهم في الإسلام نفيع بن المعلى بن لوذان بن حارثة بن زيد بن ثعلبة بن عدي بن مالك بن زيد مناة بن حبيب بن مالك بن غضب بن جشم بن الخزرج الخزرجي الجشمي، وكان قد أسلم قبل قدوم النبي ﷺ المدينة، فضربه رجل من مزينة حليف للأوس فقتله وهو ببطحان[2] من أحد، فيما كان بين الأوس والخزرج [حكاه ابن الكلبي]. ولا عقب له [كما في أسد الغابة]. ثم قال رحمه الله:

هُمُ الأُلَى سَأَلَ مَنْ سَيِّدُهُمْ　　نَبِيُّنَا وَقَدْ تَوَارَى جَدُّهُمْ

غَيْرُ الْمُسَوَّدِ بِجَنْبِ نَاقَتِهْ　　عَنْ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ مِنْ سَخَافَتِهْ

---

(1) رواه ابن عبد البر وأبو نعيم [كما في أسد الغابة] ورواه ابن هشام. وصابرا: حابسا نفسه عن الجزع. ومحتسبا: أي ينوي به وجه الله تعالى ويطلب الأجر منه. وبخ بخ: كلمة مزدوجة تقال (بتنوين الخاء وتسكينها، مخففة ومشددة) عند الإعجاب من الشيء والرضا به ــ [لسان العرب وغيره].

(2) بطحان (بضم فسكون): واد بالمدينة.

فِي الْجَدِّ ذَا، إِذْ هُـوَ غَيْرُ مُغْنِ، أُنْـزِلَ: ﴿إيذَن لِّي وَلاَ تَفْتِنِّي﴾

قوله **هم**: ضمير عائد علـى بـني سـلمة المتقـدم ذكرهـم. **والألى**: بمعنـى الذيـن. **وتوارى**: أي اختفى. **وجدهم**: فاعل توارى، وهو اسم رجـل؛ أي جـد بـني سـلمة وهو الجد بن قيس بن صخر السلمي. وجملة **قد توارى**..إلخ: حالية. **وغير** (بـالرفع): صفة لجدهم. **والمسود** (كمعظم): المجعول سيدا على قومه مؤمرا عليهم.

وقوله **بجنب ناقته**: متعلق **بتوارى**، والضمير فيه عائد علـى **جدهـم**. وقولـه **عـن بيعة الرضوان**: متعلق بتوارى أيضا. وقوله **من سخافته**: مفعول لأجلـه، **والسـخافة** (كسحابة): ضعف العقل ونقصانه. وقوله **في الجـد ذا**: متعلـق **بـأنزل**. **وذا**: إشـارة لجدهم. **وإذ**: تعليلية. وقوله **غير مغن**: من الغناء (بالفتح والمد): وهو النفع. **وأنزل**: بالبناء للمفعول. وجملة قوله **إيذن لي**.. إلخ: نائب فاعل أنزل.

الجد بن قيس

يعني أن بني سلمة الجشميين هؤلاء هم الذين سألهم رسول الله ﷺ من سيدهم؟ فقالوا له: الجد بن قيس على بخل فيه، فنزع رسـول الله ﷺ منـه سـيادة بـني سـلمة وأعطاها لعمرو بن الجموح. والجد هذا هو أبو عبد الله الجد بن قيس بن صخر بـن خنساء بن سنان بن عبيد بن عدي بن غنم بن كعب بـن سـلمة الجشـمي السـلمي، كان قد ساد في الجاهلية جميع بني سلمة الخزرجيـين الجشـميين، ولكـن رسـول الله ﷺ سود عليهم مكانه عمرو بن الجموح، لأن الجد بن قيس هذا كان من المنافقين.

وحاصل ما أشار إليه الناظم من خبره أنه لما غزا رسول الله ﷺ غـزوة الحديبيـة كان الجد بن قيس هذا ممن سار معه في رجال بني سلمة؛ فلما بلغ رسول الله صلـى الله عليه وسلم الحديبية بعث عثمان بن عفان إلى قريش ليخبرهم أنه إنما جاء معتمرا وزائرا للبيت؛ فحبسوه عندهم. فبلغ رسـولَ الله ﷺ أنهـم قتلـوه فقـال: «لا نـبرح

حتى نناجز القوم»، ودعا الناس للبيعة فأقبل النـاس يزدحمـون عليهـا، فبـايعوه علـى الموت وعلى أن لا يفروا، فكانت بيعة الرضوان التي مرَّ ذكرها، وكان من جملة مـن بايعه - يومئذ - رجال بني سلمة لم يتخلف منهم عن مبايعته إلا الجد بـن قيس هـذا فاختبأ عن الناس تحت إبْـطِ ناقته. روي عن جابر بن عبد الله قـال: بايعنـا رسـولَ الله ﷺ يوم الحديبية على أن لا نفر، ولم يتخلف منا - بني سلمة - عن بيعة الرضوان إلا الجد بن قيس، والله لكأني أنظر إليه لاصقًا بإبط ناقته يستتر بها عن الناس!. ثـم جاء رجال بني سلمة إلى رسول الله ﷺ فقال: «يا بني سلمة من سـيدكم»؟ فقـالوا له: الجد بن قيس على بخل فيه، فقال صلـى الله عليـه وسـلم: «وأي داء أدوى مـن البخل؟ بل سيدكم عمرو بن الجموح»، وفي روايـة: «بـل سـيدكم الجعـد الأبيـض عمرو بن الجموح»، وفي رواية أخرى: «بشر بن الـبراء» ـ كمـا مـر. وإلى الأولى أشار أحد شعرائهم بقوله:

وقال رســول الله والحق قوله ... لمن قال منا من تعـــدون سيدا؟
فقلنا له الجد بن قيس على التي ... نُبَخِّلـــه فيها وإن كان أسودا[1]
فسود عمرو بن الجموح لجوده ... وحــق لعمرو بالندى أن يسودا
فتى ما تَخَطَّى خطـــوة لدنية ... ولا مــد في يوم إلى سوءة يدا[2]
إذا جاءه الركبان أنفـــق ماله ... وقال: خـــذوه إنه عائد غدا
فلو كنت يا جدُّ بنَ قيس على التي ... على مثلها عمرو لكنت المسَوَّدا

ولما أراد رسـول الله ﷺ غـزو الـروم ومـن معهـم بتبـوك في رجـب سـنة تسـع للهجرة - وهي آخر مغازيه صلى الله عليه وسلم - خرج في حر شديد وجدب كثير

---

(1) نبخله: أي ننسبه إلى البخل. والأسود: من القوم أجلهم، يقال: "هو أسود من فلان" أي أجل منه.

(2) الدنية: المذمة والعار. والسوءة: الخلة القبيحة والفاحشة.

واستقبل سفرا بعيدا وغزا عدوا كثيرا، وكان ذلك حين طابت الثمار وأورفت الظلال. فاستنفر رسول الله ﷺ المسلمين للغزو وحث الأغنياء على الإنفاق في سبيل الله وعلى إعانة المعسرين، فطفق المسلمون يتجهزون والأغنياء ينفقون، وعند ذلك جاء رجال من خيار المسلمين يستحملون رسول الله ﷺ، وهم ذوو حاجة، ويكرهون التخلف عن مشهد خرج له رسول الله ﷺ ، فقال عليه الصلاة والسلام: «لا أجد ما أحملكم عليه» فتولوا وهم يبكون، فنزل قوله تعالى ﴿ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ ﴾[1]. ثم طفق المنافقون يستأذنون رسول الله ﷺ في التخلف عن الغزو، ويتعللون بالجهد[2] وكثرة العيال.. وغير ذلك من الأعذار الكاذبة، فنزل القرآن بتكذيبهم وذمهم والوعيد لهم؛ وكانوا أكثر من ثمانين رجلا، وكان بعضهم يثبط المسلمين ويقول: أتحسبون جلاد بني الأصفر كقتال العرب بعضهم بعضا؟ والله لكأنا بكم غدا مقرنين في الحبال، إرجافا وترهيبا للمؤمنين[3].

وكان الجد بن قيس السلمي المذكور ممن يغمص بالنفاق[4]، فجاء إلى رسول الله ﷺ يستأذنه في القعود، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هل لك في الخروج معنا هذا العام لعل الله ينفلك من بنات بني الأصفر»، وفي رواية أنه قال له:

---

(1) التوبة: 92، والحديث: أخرجه البخاري ومسلم.

(2) طفق المنافقون: أي أخذوا وشرعوا. يتعللون: أي يبدون حجتهم ويتمسكون بها. والجهد (بفتح الجيم وضمها): الطاقة والمشقة.

(3) الإرجاف في الشيء وبه: الخوض فيه، وهو خاص بالأخبار السيئة والفتن قصدَ أن يهيج الناس. والأراجيف: الأخبار المختلفة الكاذبة، يقال: "إذا وقعت المخاويف كثرت الأراجيف" أي عند الخوف تكثر الأخبار الكاذبة السيئة. والترهيب: التخويف.

(4) يغمص بالنفاق: يعاب به.

«يا جَدُّ هل لك في جلاد بني الأصفر تتخذ منهم سراري ووصفاء»[1] [أو كما قال صلى الله عليه وسلم] فقال الجد: قد عرف قومي ـــ يعني الأنصار ـــ أني مغرم بالنساء وإني أخشى أن رأيت نساء بني الأصفر أن لا أصبر عنهن فلا تفتني وأذن لي في القعود وأعينك بمالي. فأعرض عنه رسول الله ﷺ وقال: «قد أذنت لك»، فجاء ابنه عبد الله ابن الجد ـــ وكان بدريا أحديا ـــ وقال: يا أبت لم ترد على رسول الله ﷺ مقالته والله إنك لأغنى من بين لابتيها وما بك عجز عن الخروج، فقال: يا بني ما لي وغزو بني الأصفر؟ والله إني لأخافهم وأنا بمنـــزلي، فكيف أغزوهم في عقر دارهم[2]؟ فقال: يا أبت ولكنه النِّفاق والله لا آمن أن ينـــزل فيك قرآن يتلى، فلطم الجد ابنه على وجهه وقال: أنت أشد عليَّ من محمد. فأنـــزل الله تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓ ۚ أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[3].

وروي – أيضا– أن الجد بن قيس هذا كان ممن يثبط الناس عن الخـــروج مع رسول الله ﷺ لتبوك ويقـــول: يا بني سلمة لا تنفروا في الحــــر، فنـــزل قوله تعـــالى ﴿ وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ ﴾[4] ـــ الآيــة. وعن قتــادة في قـــوله تعـــــــالى: ﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا

---

(1) أخرجه الطبراني في معاجمه الثلاثة، والطبري في تفسيره. وينفلك: أي يعطيك النفل (وهو الغنيمة). والوصفاء (جمع وصيف) وهو الغلام دون المراهق الذي بلغ أوان الخدمة.

(2) عقر الدار: وسطها.

(3) التوبة: 49.

(4) التوبة: 81.

﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾[1] نزلت في نفر ممن تخلف عن تبوك، منهم الجد بن قيس؛ وقد قيل إنه تاب وحسنت توبته، ومات في خلافة عثمان. والله أعلم.

ثم أشار الناظم رحمه الله إلى بطن بني أدي بن سعد الجشميين بذكر بعض أعيانهم، فقال:

مِنْ جُشَمٍ أَيْضًا مُعَاذُ بْنُ جَبَلْ   أَمْضَى اجْتِهَادَهُ النَّبِيُّ إِذْ عَدَلْ

معاذ (بضم الميم): مبتدأ خبره الجار والمجرور قبله. **وابن جبل** (بالتحريك): صفته. وجملة قوله **أمضى اجتهاده** ..إلخ: صفة لمعاذ أيضا.

ترجمة معاذ بن جبل

يعني أن من بني جشم بن الخزرج ثم من بني ادي بن سعد منهم: سيدَنا معاذَ بن جبل الجشمي، وهو أبو عبد الرحمن معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عائذ بن عدي بن كعب بن عمرو بن أدي بن سعد بن علي بن أسد بن ساردة بن تزيد بن جشم بن الخزرج الخزرجي الجشمي، أسلم رضي الله عنه على يد مصعب بن عمير، وشهد العقبة الثانية وبايع بها النبي ﷺ ، وشهد بدرا وأحدا وسائر المشاهد؛ وكان على رأس نفر من شباب المدينة تجمعوا لكسر الأوثان وانتزاعها من بيوت المشركين في المدينة سرا وعلانية، مما كان سبباً في إسلام كثير من مشايخ ورجالات المدينة، مثل عمرو بن الجموح شيخ بني سلمة ـ كما مر.

ولما قدم النبي ﷺ المدينة لزمه معاذ وأخذ عنه القرآن العظيم ، وتلقى عليه شرائع

---

(1) التوبة: 102.

الإسلام حتى غدا من أقرإ الصحابة لكتاب الله وأعلمهم بشرعه، فكان من العلماء الأجلاء إماما مقدما في علم الحلال والحرام في الصحابة. ففي أسد الغابة بسنده إلى أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أرحم أمتي بأمتي أبو بكر» ـــ وذكر الحديث وفيه: «وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل»[1]. وكان ابن مسعود يقول: إن معاذا ﴿كان أمَّة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين﴾ وروي أنه كان في بدء الإسلام من فاته شيء من الصلاة سأل كم فاته؟ فيشار إليه بذلك فيصليه ثم يدخل مع النبي ﷺ فيما بقي؛ فجاء معاذ وقد فاته شيء فقال لا أجد النبي صلى الله عليه وسلم في شيء إلا دخلت معه فيه، فأحرم مع النبي ﷺ، فلما سلم النبي صلى الله عليه وسلم قام فقضى ما سبق به، فقال النبي صلى الله عليه سلم: «قد سن لكم معاذ فهكذا اصنعوا»[2]؛ فصار الأمر على ذلك.

وكان معاذ ممن جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ ، وقد مر أنه كان من الأربعة الذين أمر النبي صلى الله عليه وسلم بأخذ القرآن منهم، وروى كثيرا عن النبي ﷺ، وروت عنه جماعة من الصحابة منهم ابن عباس وعبد الله بن عمرو بن العاص وأنس بن مالك وأبو أمامة الباهلي وابو قتادة الأنصاري وجابر بن سمرة،

---

(1) أخرجه أحمد في مسنده، وابن حبان في صحيحه، وأبو يعلى. وفي ابن ماجه عن ابن عمر، والاستيعاب عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أرحم أمتي بأمتي أبو بكر وأقواهم في دين الله عمر وأصدقهم حياء عثمان وأقضاهم علي بن أبي طالب وأفرضُهم زيد بن ثابت وأقرؤهم لكتاب الله أبيّ بن كعب وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل ألا وإن لكل أمة أمينا وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح وأبو هريرة وعاء العلم وعند سلمان علم لا يدرك وما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء أصدق لهجة من أبي ذر». ومعنى أفرضهم: أي أكثرهم علما بالفرائض. والخضراء: السماء. وأقلت: حملت. والغبراء: الأرض.

(2) أخرجه أحمد في مسنده.

وغيرهم.. وكان ابن عمر يقول: حدثونا عن العالمَيْن العاملَيْن معاذ بن جبل وأبي الدرداء. وكان رضي الله عنه يمتاز على أترابه بحدة الذكاء وقوة العارضة، وعلو الهمة[1]. وبعثه رسول الله ﷺ إلى اليمن - عام فتح مكة - قاضيا وداعيا إلى الإسلام وقال له حين وجهه إليه: «بم تقضي يا معاذ»؟ قال: بكتاب الله، قال: «فإن لم تجد»؟ قال: بسنة رسول الله، قال: «فإن لم تجد»؟ قال: أجتهد رأيي، فقال رسول الله ﷺ: «الحمد لله الذي وفق رسولَ رسولِ الله (صلى الله عليه وسلم) لما يحب رسول الله»[2]. وإلى ذلك أشار الناظم بقوله: **أمضى اجتهاده النبي إذ عدل.**

وروي في خبر إرساله صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل إلى اليمن؛ أنه صلى الله عليه وسلم صلى صلاة الغداة وأقبل على الناس بوجهه فقال: «يا معشر المهاجرين والأنصار أيكم ينتدب إلى اليمن»؟ فقال أبو بكر الصديق: أنا يا رسول الله، فسكت عنه فلم يجبه؛ ثم قال: «يا معشر المهاجرين والأنصار أيكم ينتدب إلى اليمن»؟ فقال عمر بن الخطاب: أنا يا رسول الله، فسكت عنه فلم يجبه؛ ثم قال: «يا معشر المهاجرين والأنصار أيكم ينتدب إلى اليمن»؟ فقال معاذ: أنا يا رسول الله، فقال له: «أنت يا معاذ وهي لك» ثم قال: «يا بلال ائتني بعمامتي»، فعمم بها رأسه وشد له على راحلته وشيعه ومن كان معه من المهاجرين والأنصار؛ ومعاذ راكب ورسول الله ﷺ يمشي إلى جنبه يوصيه، فقال معاذ: يا رسول الله أنا راكب وأنت تمشي! فقال: «يا معاذ إنما أحتسب خطاي هذه في سبيل الله». وأوصاهُ بوصايا وقال له: «يا معاذ إنك تأتي قوما أهل كتاب فادعهم إلى شهادة أن

---

(1) الذكاء: سرعة الفطنة وحدة الفؤاد. والعارضة: الرأي الجيد وتنقيح الكلام. يقال: فلان ذو عارضة: أي ذو بيان ولسن وبديهة. وعلو الهمة: هو طلب معالي الأمور.

(2) أخرجه الترمذي وأبو داوود وأحمد في مسنده.

لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فإن هم أطاعوا لك بذلك فأعلمهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات باليوم والليلة فإن هم أطاعوا لك بذلك فأعلمهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب»[1]، وقال: «يا معاذ إنهم سائلوك عن مفاتيح الجنة فأخبرهم أن مفاتيح الجنة لا إله إلا الله وأنها تخرق كل شيء حتى تنتهي إلى الله عز وجل ولا تحجب دونه من جاء بها يوم القيامة مخلصا رجحت بكل ذنب» - [رواه البخاري]. وروي أنه صلى الله عليه وسلم بعث مع معاذ رجالا من الصحابة، منهم عبد الله بن زيد ومالك بن عبادة وعقبة بن نمر ومالك بن مرة، وأميرهم معاذ؛ وكتب إلى أهل اليمن: «إذا أتاكم رسلي فأوصيكم بهم خيرا وإني قد أرسلت إليكم من صالحي أهلي وخيرتهم وأولي علمهم آمركم بهم خيرا فإنه منظور إليهم؛ والسلام»[2]. وروي أنه صلى الله عليه وسلم قال لما ودعه: «حفظك الله من بين يديك ومن خلفك وعن يمينك وعن شمالك ومن فوقك ومن تحتك ودرأ عنك شرور الإنس والجن»، ثم قال: «يا معاذ لو أنا نلتقي بعد يومنا هذا لقصرت إليك في الوصية ولكنا لا نلتقي إلى يوم القيامة»، وفي رواية: «لا تلقاني بعد عامي هذا ولعلك تمر بمسجدي وقبري»، فبكى معاذ جزعا لفراق رسول الله ﷺ ؛ ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول: «إن أولى الناس بي المتقون من كانوا وحيث كانوا» - [رواه أحمد].

ومضى معاذ حتى أتى صنعاء اليمن فصعد منبرها فحمد الله وأثنى عليه وصلى

---

(1) أخرجه البخاري ومسلم.

(2) روى ابن سعد نحوه - [كما في الإصابة].

على النبي ﷺ ثم قرأ عليهم عهد رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم ونزل فأتاه صناديد صنعاء فقالوا له: يا معاذ هذا منزل فرَّغناه لك ونزل[1] هيأناه لك، فقال معاذ: ما بهذا أوصاني حبيبي رسول ا لله ﷺ. فكان رضي ا لله عنه يعلم الناس القرآن وشرائع الإسلام ويقضي بينهم، وجعل إليه رسول ا لله ﷺ قبض الصدقات من العمال الذين باليمن. وكان رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم قد قسم اليمن على خمسة رجال: خالد بن سعيد على صنعاء، والمهاجر بن أبي أمية على كندة، وزياد بن لبيد على حضرموت، ومعاذ بن جبل على الجند[2] باليمن، وأبي موسى الأشعري على زبيد وزمعة وعدنٍ والساحل. ومكث معاذ بن جبل معهم أربعة عشر شهرا، وأسلم جيمع ملوكهم: كذي الكلاع وذي ظليم وذي زرود وذي مران، وغيرهم. فلما توفي رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم قدم من اليمن في خلافة أبي بكر الصديق رضي ا لله عنه، ثم استعمله عمر على الشام؛ وبه توفي في طاعون عمواس بناحية الأردن سنة ثمان عشرة للهجرة عن ثمان وثلاثين ـ وقيل ثلاث وثلاثين، وقيل ثمان وعشرين ـ سنة.

وكان شابا جميلا طُوالاً حسن الشعر عظيم العينين أبيض وضيء الوجه براق الثنايا، وابنه عبد الرحمن بن معاذ مات أيضا في الطاعون بالشام. وأخو معاذ ربيعة بن جبل انقرض عقبه، وانقرض بنو أدي بن سعد إخوة بني سلمة.

ثم أشار الناظم إلى بطن بني غضب بن جشم بن الخزرج، فقال رحمه ا لله:

ذَكْوَانُ الْمُهَاجِرِيُّ الْعَقَبِي   بَنُو زُرَيْقٍ وَبَيَاضَةُ الأَبِي

---

(1) صناديد: جمع صنديد للسيد الشجاع. والنزل (بضمتين وبضم فسكون): ما هيئ للضيف.

(2) الجند (بالتحريك): ولاية باليمن.

أَخُـــو زُرَيْقٍ وَزُرَيْقُ انْتَســـبْ   إِلَيْهِ عَجْلَانُ قَبِيلُ الْمُنْتَخَـــبْ
رَافِعٍ النَّقِيـــبِ بِالإِسْـــلَامِ   أَوَّلِ قَادِمٍ عَلَى الأَعْـــــلَامِ
هُنَا انْتَهَى جُشَـــمُ .. ..

قوله **ذكوان** (بالرفع): مبتدأ حذف خبره، أي ومن جشم ـ أيضا ـ ذكوان، والمهاجري والعقبي صفتان لذكوان. وقوله **بنو زريق** (بتقديم المعجمة على المهملة، بوزن زبير): عطف على ذكوان بحذف العاطف؛ وهو من عطف العام على الخاص لأن ذكوان أحد بني زريق. وقوله **وبياضة** (بوزن سحابة): مبتدأ. **والأبي**: صفته. **وأخو زريق**: خبره، وبنو زريق وبنو بياضة قبيلتان من بني جشم بن الخزرج، كما مر. يعني أن من بني جشم بن الخزرج ـ أيضا ـ بني زريق وبني بياضة ابنيْ عامر بن زريق بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جشم بن الخزرج.

قوله **وزريق**: مبتدأ خبره جملة قوله **انتسب إليه**.. إلخ. **وعجلان** (بفتح العين المهملة وسكون الجيم): فاعل انتسب، وعجلان هذا هو عجلان بن عمرو بن عامر بن زريق، والمراد به بنو العجلان، ولذا وصفه بـ**قبيل** باعتبار معناه، **والقبيل** (بوزن أمير): الجماعة. **والمنتخب** (بصيغة اسم المفعول): المختار. **ورافع** (بالجر): بدل من المنتخب. **والنقيب وأول قادم** (بالجر فيهما): صفتان لرافع. وقوله **بالإسلام**: متعلق بقادم. **والأعلام**: جمع علم (بالتحريك): وهو في الأصل الجبل العالي الذي يهتدى به، والمراد بالأعلام هنا أهل المدينة الأولون وهم الأنصار.

يقول ومن بني زريق بنو العجلان، فصيلة رافع بن مالك العجلاني. أما ذكوان فهو ابن عبد القيس بن خلدة بن مخلد بن عامر بن زريق بن عامر بن زريق بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جشم بن الخزرج الخزرجي الزرقي، شهد العقبة الأولى والثانية، وإلى ذلك أشار الناظم بقوله: **العقبي**؛ وشهد أيضا بدرا وأحدا

واستشهد به. كان هو وأسعد بن زرارة أول من قدم بالإسلام إلى المدينة، ثم رحل منها ذكوان إلى مكة وسكنها مع رسول الله ﷺ حتى هاجر، ثم هاجـــــر بعد، فكان مهاجريا أنصاريا؛ وإلى ذلك أشار بقوله: **المهاجري**. وقد مر التعريف بذكوان هذا في أهل العقبة الأولى.

وأما بنو زريق فهم بطن من بطون بني جشم، وهم بنو زريق بن عامر بن زريق بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جشم بن الخزرج، وتفرعوا إلى عدة أفخاذ، منهم بنو مخلد بن عامر بن زريق، وبنو خلدة بن عامر بن زريق. فمن بني مخلد ذكوان بن عبد القيس ـــ المذكور ـــ ومنهم قيس بن محصن بن خلدة بن مخلد بن عامر بن زريق الجشمي الزرقي، شهد بدرا وأحدا.

ومنهم الحارث بن قيس بن خلدة بن مخلد بن عامر بن زريق، حضر العقبة وشهد بدرا وسائر المشاهد ثم شهد اليمامة، فجرح يومئذ جرحا اندمل حتى انتقض[1] في خلافة عمر فمات منه، فهو معدود من شهداء اليمامة. ومنهم ـــ أيضا ـــ سعد وعقبة ابنا عثمان بن خلدة بن مخلد، شهدا بدرا وأحدا؛ وفرا يومئذ حتى بلغا الجبل مما يلي الأعوص وأقاما به ثلاثا، ولما رجعا قال لهما النبي ﷺ: «لقد ذهبتم بها عريضة»[2]، وأنزل الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾[3].

(1) اندمل الجرح: تماثل وتراجع إلى البرء. وانتقض الجرح بعد برئه: نكس.

(2) رواه ابن عبد البر في الاستيعاب، وابن كثير في البداية والنهاية، وابن هشام في سيرته، ونقله في الاستبصار. وقوله: "عريضة" يعرض بهزيمتهم.

(3) آل عمران: 155.

ومن بني خلدة بن عامر بن زريق: معاذ بن ماعص بن قيس بن خلدة بن عامر بن زريق الجشمي الزرقي، شهد بدرا وأحدا واستشهد يوم بئر معونة، وكان فارسا أعطاه النبي ﷺ فرس أبي عياش الزرقي حين سقط عنها أبو عياش يوم ذي قرد.
ومنهم أبو عياش عبيد بن معاوية بن الصامت بن زيد بن خلدة بن عامر بن زريق الزرقي. ذكر أهل المغازي أنه مر بالنبي ﷺ يوم ذي قرد على فرس فقال له النبي ﷺ: «يا أبا عياش لو أعطيت هذا الفرس من هو أفرس منك فيلحق بالخيول وتلحق أنت بالناس»[1] فقال: يا رسول الله أنا أفرس الناس، ثم ركضه فما جرى خمسين ذراعًا حتى طرحه، فلما سقط أبو عياش عنه أعطاهُ لمعاذ بن ماعص ابن عمه. ومات أبو عياش هذا في عهد معاوية.

وأما بنو بياضة فهم بطن - أيضا - من بطون بني جشم بن الخزرج، وهم إخوة بني زريق كما قال: **وبياضة الأبي أخو زريق..** وبياضةُ هذا قيل اسمه عبد الله؛ فهم بنو بياضة بن عامر بن زريق بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جشم بن الخزرج، منهم زياد بن لبيد بن ثعلبة بن سنان بن عامر بن عدي بن أمية بن بياضة، شهد العقبة، وخرج إلى رسول الله ﷺ بمكة وأقام معه حتى هاجر فرجع إلى المدينة، فكان مهاجريا أنصاريا، وشهد بدرا والمشاهد بعدها، وولاه رسول الله ﷺ حضرموت؛ فلما توفي رسول الله ﷺ منع بعضهم زكاة ماله، فنابذهم وحاصرهم[2] في بعض حصونهم، ولم يزل كذلك حتى أمده أبو بكر بالمهاجر بن أبي أمية[3] فألحا

---

(1) أخرجه ابن هشام.

(2) نابذه منابذة: خالفه وفارقه عن عداوة. ونابذه الحرب: جاهره بها. وحاصرهم: أي أحاط بهم ومنع عنهم الأمداد.

(3) اسم المهاجر هذا: الوليد بن أبي أمية المخزومي، وهو أخو أم سلمة رضي الله عنها، ولما هاجر سماه النبي صلى الله عليه وسلم "المهاجر" فصار يعرف بهذا الاسم ويدعى به.

على قتالهم حتى فتحوا الحصن وبعثوا الأشعث بن قيس أسيرا إلى أبي بكر. ومات زياد في خلافة معاوية.

ومنهم - أيضا - زيد بن الدثنة بن معاوية بن عبيد بن عامر بن بياضة، شهد بدرا وأحدا، وأسره المشركون يوم بعث الرجيع وبيع بمكة من صفوان بن أمية فقتله سنة ثلاث. ومنهم - أيضا - عمرو بن النعمان بن خلدة بن عمرو بن أمية بن عامر بن بياضة رأس الخزرج يوم بعاث (وكانت بعاث آخر وقعة بين الأوس والخزرج قبل قدوم النبي ﷺ بست سنين - كما مر) وابنه النعمان بن عمرو كانت بيده راية المسلمين يوم أحد، [كما في الاستبصار].

وأما بنو العجلان فهم بطن من بني غضب بن جشم - أيضا - ثم من بني زريق منهم، وهم بنو العجلان بن عمرو بن عامر بن زريق بن عامر بن زريق بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جشم بن الخزرج. منهم رافع بن مالك نقيب بني العجلان، وهو أبو مالك رافع بن مالك بن العجلان بن عمرو بن عامر بن زريق بن عامر بن زريق بن عبد حارثة بن غضب الجشمي الزرقي، كان من الستة الأولى الذين لقُوا رسولَ الله ﷺ بالعقبة فآمنوا به وأحدَ الإثني عشر وأحدَ السبعين وأولَ من أسلم من الخزرج وأولَ من حمل القرآن إلى المدينة. وإلى ذلك أشار الناظم بقوله: **بالإسلام أول قادم على الأعلام**، وقد مر التعريف به في الستة المذكورين.

ومن بني العجلان - أيضا - النعمان بن العجلان بن النعمان بن عامر بن العجلان الجشمي الزرقي، كان سيدا من سادات الأنصار وشاعرا من شعرائهم، وهو القائل:

فقل لقريش نحن أصحاب مكة ... ويوم حنين والفوارس من بدر

وأصحاب أحد والنضير وخيبر ... ونحن رجعنا من قريظة بالذكر

ويوم بأرض الشام إذ قيل جعفر وزيد وعبد ا لله في علق يجري[1]
وفي كل يوم ينكر الكلب أهله نطاعن فيه بالمثقفة السمر[2]
ونضرب في يوم العجاجة أرؤسا ببيض كأمثال البروق على الكفر
نصرنا وآوينا النبي ولم نخف صروف الليالي والعظيم من الأمر
وقلنا لقوم هاجروا مرحبا بكم وأهلا وسهلا قد أمنتم من الفقر
نقاسمكم أموالنا وديارنا كقسمة ايسار الجزور على الشطر ..إلخ.

قيل إنه هو الذي خلف على خولة بنت قيس بن قهدٍ الأنصارية بعد قتل حمزة بن عبد المطلب عنها يوم أحدٍ، وروي أن النبي ﷺ دخل عليه يوما وهو يوعك فقال: «كيف تجدك يا نعمان»؟ فقال: أجدني أوعك، فقال: «اللهم شفاء عاجلا»[3]، واستعمله علي بن أبي طالب على البحرين، فجعل يعطي كل من جاءه من بني زريق، فقال أبو الأسود الدؤلي:

أرى فتنة قد ألهت الناس عنكم فندلا زريق المال ندل الثعالب[4]
فإن ابن عجلان الذي قد علمتم يبدد مال ا لله فعل المناهب[5]

ومن بني جشم ـ أيضا ـ بنو الحارث بن زيد مناة بن حبيب بن مالك بن غضب

(1) يعني بيوم الشام: يوم مؤتة. وجعفر: هو جعفر بن أبي طالب. وزيد: هو ابن حارثة. وعبد ا لله: هو ابن رواحة (وهم أمراء جيش مؤتة، وكانت غزوة مؤتة سنة 8 هـ). والعلق: الدم. ويجري: يسيل.

(2) المثقفة: الرماح المقومة بالثقاف، وهي أداة من خشب أو حديد تقوم بها الرماح لتستوي وتعتدل. والسمر: جمع أسمر وهو ذو السمرة وهي لون بين السواد والبياض.

(3) رواه ابن عبد البر وأبو نعيم وابن السكن وابن منده ـ [كما في الإصابة].

(4) ندل الشيء: جذبه وخطفه بسرعة. والثعالب: جمع ثعلب للذكر والأنثى (وهو حيوان مشهور بالتحيل والروغان).

(5) يبدد: أي يفرق. والمناهب: المغالب على أخذ المال بالقهر.

بن جشم، وهم حلفاء بني بياضة، منهم سلمة بن صخر بن سلمان بن الصمة بن حارثة بن الحارث البياضي الذي ظاهر من زوجته وأمره النبي ﷺ بالكفارة، وكان أحد البكائين حزنا ألا يجدوا ما ينفقون؛ وكان أبوه صخر شاعرا.

ومن جشم - أيضا - بنو مالك بن زيد مناة - وهم حلفاء بني زريق - منهم نفيع بن المعلى الذي هو أول قتيل من الأنصار في الإسلام - كما مر. ومنهم عبيد بن صخر بن لوذان بن حارثة بن زيد بن ثعلبة بن عدي بن مالك بن زيد مناة بن حبيب بن مالك بن غضب بن جشم، بعثه رسول الله ﷺ عاملا على اليمن، روي عنه أنه قال: عهد النبي ﷺ إلى عماله على اليمن في البقر في كل ثلاثين: تبيع، وفي كل أربعين: مسنة، وليس في الأوقاص بينهما شيء[1]. ومنهم أبو زغنة بن عبد الله بن عمرو بن عتبة أخو بني جشم بن الخزرج، شهد أحدا؛ وجعل يرتجز ويقول:

أنا أبو زغنة يعدو بي الهزم لم تمنع المجزاة إلا بالألم
يحمي الذمار خزرجي من جشم[2]

ومن بني عبد حارثة بن مالك بن غضب أبو جبيلة بن عبد الله بن حبيب بن عبد حارثة، الملك الغساني الذي جلبه مالك بن العجلان لقتل اليهود بالمدينة. والله أعلم.

ولما أنهى الناظم الكلام على بني جشم كما قال: **هنا انتهى جشم**.. شرع في الكلام على بني عوف بن الخزرج، فقال رحمه الله:

---

(1) قاله في الاستبصار والاستيعاب. والتبيع: ولد البقر في الأولى. والأوقاص: جمع وقص وهو ما بين الفريضتين في الصدقة. [القاموس].

(2) يعدو: أي يسرع. والهزم: اسم فرس. والمجزاة (بضم الميم وفتحها): الغَناء. والذمار (بالكسر): ما تجب حمايته وحفظه والدفاع عنه والأهل، يقال "هو حامي الذمار" إذا حمى ما لو لم يحمه ليم وعنّف، قيل: سمي ذمارا لأنه يجب على أهله التذمر له: أي التغضب له.

بنو عوف بن الخزرج*

... ... أَمَّا عَوْفُهُمْ فَالْحُبْلَــوِيُّ ابْنُ أُبَيٍّ كَبْشُهُمْ
قَبْلُ فَنَجْلُهُ السَّمِــيُّ الْمُهْتَدِي أَوْسَ بْنَ خَوْلَى وَرِفَاعَـةَ اعْدُدِ

أما (بفتح الهمزة): مر الكلام على معناها. **وعوفهم**: مبتدأ والضمير المضاف إليه عائد على الخزرج. وقوله **فالحبلوي** (بضم الحاء المهملة وسكون الموحدة): مبتدأ أيضا، نسبة إلى سالم الحبلى بن غنم بن عوف بن الخزرج؛ ويقال في النسبة إليه أيضا حُبُلي (بضمتين) على غير قياس النسب [قاله سيبويه]. **وابن أبيّ** (بوزن قصي): بدل من **الحبلوي**، والمراد به عبد الله بن أبيّ ابن سلول رأس المنافقين. **وكبشهم**: خبر الحبلوي، والجملة خبر عن **عوفهم**، وكبش القوم سيدهم، والضمير المضاف إليه عائد على عوفهم؛ وجمع الضمير باعتبار بنيه أي سيد بني عوف بن الخزرج. وقوله **قبل** (بالبناء على الضم) أي في الجاهلية قبل قدوم النبي ﷺ. وقوله **فنجله** (بالرفع): عطف على ابن أبي، والضمير المضاف إليه عائد على ابن أبي. **والسمي** (كغني): صفة لنجله أي المسمى باسم أبيه، وهو عبد الله بن عبد الله بن أبيّ ابن سلول،

* يعتبر بطن بني عوف هذا من أهم بطون الخزرج، وقد تفرعت منه بطون كثيرة منها: بنو سالم الحبلى بن غنم بن عوف، والقواقلة وهم بنو غنم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج، ومنها بنو سالم بن عوف بن الخزرج، وغيرهم.. وقد تشعبت من هذه البطون أفخاذ كثيرة أيضا، فمن بني سالم الحبلى: بنو عبيد وبنو جشم وبنو عدي بني مالك بن سالم الحبلى، ومن القواقلة: بنو ثعلبة وبنو مرضخة ابني قوقل، ومن بني سالم بن عوف: بنو العجلان بن زيد وبنو جشم بن مالك بن سالم بن عوف. وقد تناول الناظم الكلام على بني عوف بن الخزرج هؤلاء في نحو سبعة أبيات، وذكر هذه البطون الثلاثة، كما ذكر بعض الأفخاذ المتفرعة منها، بعضه تصريحا وبعضه ضمنا بذكر بعض أعيانه، ثم ذكر من أعيان البطن العام أحد عشر رجلا من غير مراعاة لترتيب أو استيعاب هذه الأفخاذ.

وكان من فضلاء الصحابة ولذا وصفه **بالمهتدي**، وهو ذو الهداية أي الرشاد. وقوله **أوس بن خولى** (بالنصب): مفعول به **لاعدد** مقدم عليه (وخولى هو بفتح الخاء المعجمة وسكون الواو). **ورفاعة**: عطف على أوس بن خولى. **واعدد** (بضم الدال الأولى): أمر من عدَّ بمعنى حسب وأحصى.

يقول: أما عوف بن الخزرج فمنه عبد الله بن أبيّ، وابنه عبد الله (بن عبد الله) وأوس بن خولى ورفاعة بن عمرو الحبلويون.

هذا وقد تفرعت من عوف الأكبر بن الخزرج بطون ذكر الناظم منها ثلاثة:

الأول: بنو الحبلى، ويقال لهم أيضا بنو سالم الحبلى، وهو سالم بن غنم بن عوف بن الخزرج، ولقب بالحبلى لعظم بطنه؛ ويقال لولده بنو الحبلى ولهم شرف في الأنصار[1].

والثاني: القواقلة وهم بنو غنم بن عوف الأصغر بن عمرو بن عوف الأكبر.

والثالث: بنو سالم بن عوف بن عمرو بن عوف.

أما بنو الحبلى فتفرعوا إلى عدة أفخاذ منهم بنو عبيد وبنو جشم وبنو عدي، ثم ذكر من أعيان بطن بني الحبلى خمسة نفر هم عبد الله بن أبيّ وابنه ـ سميه ـ عبد الله بن عبد الله بن أبيّ، وأوس بن خولي بن عبد الله؛ وهؤلاء الثلاثة من بني عبيد، ورفاعة بن عمرو بن زيد وأيمن بن عبيد؛ وهذان من بني جشم.

عبد الله بن أبيٍّ رأس المنافقين

أما عبد الله بن أبيّ فهو أبو الحباب عبد الله بن أبي بن مالك بن الحارث بن عبيد بن مالك بن سالم (الملقب الحبلى) بن غنم بن عوف بن الخزرج الخزرجي

---

(1) وكانت دارهم بين داريْ بني النجار وبني ساعدة.

الحبلوي، اشتهر بابن أبيّ ابن سلول، وسلول امرأة من خزاعة جدته لأبيه (أم أبيّ بن مالك[1] بن الحارث) ونسب إليها؛ وكان ابن أبيّ هذا من أشراف الخزرج وساداهم في آخر جاهليتهم. وكانت الخزرج قد أجمعت على أن تسند أمرها إليه قبل قدوم النبي ﷺ وأن تتوجه بتاج الملك عليهم[2]، فلما جاءه النبي صلى الله عليه وسلم أخذته العزة[3] وصار يعتبر أن رسول الله ﷺ سلبه ملكه، وافتتن وحسد رسول الله ﷺ، ثم أظهر الإسلام بعد وقعة بدر تقية[4] وأضمر النفاق حسدا وبغيا فاتضع شرفه، وكان ابن خالة أبي عامر الفاسق.

ولما هيأ رسول الله ﷺ لغزوة أحد انخزل عنه ابن أبيّ بثلاثمائة رجل كانت معه وعاد بهم إلى المدينة، وفعل مثـــل ذلك حين هيأ صلى الله عليه وسلم لغزوة تبوك. وكان كلما حلت بالمسلمين نازلة شمت بهم، وكلما سمع بسيئة نشرها. وله في ذلك أخبار سخيفة وحكايات دنيئة؛ فهو صاحب المقالـــة التي نزل فيها قوله تعالى ﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[5]، وكان على

---

(1) كما في سيرة ابن هشام وغيرها، وفي القاموس المحيط: "سلول أم عبد الله بن أبي المنافق".

(2) تتوجه: تلبسه التاج، وهو شبه عصابة تزين بالجوهر تضعها الملوك على رؤوسها، وورد أنهم كانوا قد نظموا له الخرز ليتوجوه به وذلك أن الأنصار يمن، وقد كان أهل اليمن من آل قحطان يتوجون ملوكهم، وكان أول من تتوج منهم سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان.

(3) العزة: الحمية، ومنه قول الشاعر:

أخذته عزة من جهلـــــــه فتولى مغضبا فعل الضجر

وهذه صفة الكافر والمنافق الذاهب بنفسه زهوا يعتز في نفسه فتوقعه تلك العزة في الإثم حين تأخذه وتلزمه إياه.

(4) التقية: الخشية والخوف، والمراد بها هنا: إخفاء الحق ومصانعة الناس تحرزا من التلف.

(5) المنافقون: 8.

رأس العصبة الذين جاءوا بالإفك[1] في عائشة رضي الله عنها، فبذلك أصبح رأس المنافقين بالمدينة. ومات مرجع النبي ﷺ من تبوك سنة تسع للهجرة؛ ولما مات جاء ابنه عبد الله إلى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله أن يعطيه قميصه ليكفنه فيه لعله يخفف عنه وأن يصلي عليه ويستغفر له فأعطاه النبي ﷺ قميصه وقال: «إذا فرغتم فآذنوني»[2]، فلما أراد أن يصلي عليه أخذ عمر بثوب رسول الله ﷺ وقال: يا رسول الله أتصلي على عدو الله القائل يوم كذا: كذا وكذا..؟! فتبسم صلى الله عليه وسلم وقال: «أخر عني يا عمر»[3]، فلما أكثر عليه قال: «أنا بين خيرتين: ﴿ ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴾[4] فاخترت ولو أعلم أني إن زدت على السبعين يغفر له لزدت عليها»[5]، فصلى عليه ثم انصرف، فلم يمكث إلا يسيرا حتى نزل قوله تعالى ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ﴾[6] ــ الآية ــ فترك الصلاة عليهم. وقيل إنه لما تقدم ليصلي عليه نزل قوله تعالى ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا ﴾ ــ الآية ــ فانصرف و لم يصل عليه؛ قال عمر فعجبت من جراءتي على رسول الله ﷺ.

---

(1) فهو الذي ابتدأ به وهو الذي كان يجمعه ويستوشيه ويذيعه ويشيعه حتى دخل في أذهان بعض المسلمين فتكلموا بـــه ومكث على ذلك نحوا من شهر حتى نزل القـــرآن ببراءة عائشة رضي الله عنها.

(2) نحوه في البخاري.

(3) أخرجه البخاري وأحمد والترمذي.

(4) التوبة: 80.

(5) ذكره ابن هشام في سيرته، وأخرج البخاري بعضه.

(6) التوبة: الآية: 84.

وروي أن عبد ا لله بن عبد ا لله بن أبيّ قال: يا رسول ا لله ألبسه قميصك الـذي يلي جسدك، ففعل؛ وقيل إنه إنمـا أعطى قميصـه لابـن أبـيّ ليكافئـه في يـد كـانت للمنافق عليه؛ وذلك أن العباس بن عبد المطلب لما أسر يوم بدر وأُتي بالأسرى وقـد سلبوا ثيابهم نظر النبي ﷺ إلى العباس وهو كذلك فأشفق عليـه، فطلـب لـه قميصـا فما وجد له قميص يقادره إلا قميص عبـد ا لله بـن أبـي لتقاربهمـا في طـول القامـة فأعطاه ابن أبي له، فكساه النبي ﷺ إياه، فكأنه صلى ا لله عليه وسلم كـره أن يلقـاه في الآخرة وله عليه يد يكافئه بها فأراد بإعطاء القميص أن يرفع اليد عنـه في الدنيـا، وقيل إنما أعطاه القميص إكراما لابنه وإسعافا له في طلبه وتطييبا لقلبه، والأول أصح [كما في القرطبي]، وقيل إن ابـن أبـيّ نفسـه هـو الـذي طلـب مـن رسـول ا لله ﷺ قميصه، ففعل فقيل له في ذلك فقال: إن قميصـي لا يغـني عنـه مـن ا لله شـيئا وإنـي لأرجو أن يسلم بفعلي هذا رجال من قومه؛ فأسلم وتاب لذلك رجال من قومه من الخزرج لما رأوه يستشفي عند وفاته بثوب رسول ا لله ﷺ. وا لله أعلم.

وأما نجله فهو عبد الله بـن عبـد ا لله بـن أبـيّ بـن سـلول، كـان اسمـه في الجاهلية الحباب وبه كني أبوه، فسماه النبي ﷺ عبد ا لله؛ وكان من فضلاء الصحابـة وخيارهم، وكان سيد قومه في الإسلام كما كـان أبـوه سـيدهم في الجاهليـة. شـهد رضي ا لله عنه بدرا وجميع المشاهد بعدها مـع رسـول ا لله ﷺ ، وكـان رسـول ا لله صلى ا لله عليه وسلم يثني عليه، وكان رضي ا لله عنه يغمـه حـال أبيـه وتثقـل عليـه صحبة المنافقين. ولما قال أبوه مقالته السابقة جاء عبد ا لله هذا إلى النبي ﷺ وقال له: وا لله يا رسول ا لله لأنت العزيز وهو الذليل وإن أذنت لي في قتله قتلته ولقد علمـت الخزرج أنه ما كان فيهم أحد أبر بوالده مني وإني أخشى أن تأمر بـه رجـلا مسـلما فيقتله فلا تدعني نفسي أنظر إلى قاتل أبي يمشي على الأرض حيا حتـى أقتلـه فـأقتل مؤمنا بكافر فأدخل النار، فقال صلى ا لله عليه وسلم: «بل نحسن إليه ونترفق به مـا

صحبنا ولا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه ولكن بر أباك وأحسن صحبتـه»، وشهد صلى ا لله عليـه وسـلم دفـن أبيـه ووقـف علـى قـبره وعـزاه فيـه عنـد القـبر. واستشهد عبد ا لله هذا باليمامة سنة اثنتي عشرة للهجرة، وروت عنه عائشـة رضـي ا لله عنها؛ ومما روت عنه أنه قال: «ندرت[1] ثنيتي فـأمرني رسـول ا لله ﷺ أن أتخـذ ثنية من ذهب» ـ [كما في أسد الغابة].

وأما أوس فهو أبو ليلى أوس بن خَوْلَى بن عبد ا لله بن الحارث بن عبيـد بـن مالك بن سالم الحبلى بن غنم بن عوف بن الخزرج الخزرجي الحبلوي. شهد رضـي ا لله عنه بدرا وأحدا وسائر المشاهد مع رسول ا لله ﷺ ، ولما قبض رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم وأراد أهل بيته غسله وتجهيزه حضرت الأنصار فنادت علـى البـاب: ا لله ا لله نناشدكم حقنا من رسول ا لله ﷺ ، فإنا أخواله فليحضره بعضنا، فقيل لهـم اجتمعوا على رجل منكم؛ فاختاروا أوسا هذا، وكان رضي ا لله عنه مـن الكملـة[2] قويا، فدخل وحضر غسل النبي ﷺ ودفنه مـع الذيـن تولـوا تجهـيزه صلـى ا لله عليـه وسلم من أهل البيت، ولم يشهده غـيره مـن الأنصـار. وتـوفي أوس بـن خـولى هـذا بالمدينة في خلافة عثمان قبل حصاره.

وأما رفاعة فهو أبو الوليد رفاعة بن عمرو بن زيـد بـن عمـرو بـن ثعلبـة بـن جشم بن مالك بن سالم الحبلى بن غنم بن عوف بن الخزرج الخزرجي الحبلوي ثـم الجشمي. شهد رضي ا لله عنه بيعة العقبة وشهد بدرا وأحدا واستشهد به.

---

(1) ندرت: أي سقطت وكان ذلك يوم أحد، وقيل أصيب أنفه فأمره صلى ا لله عليه وسـلم أن يتخـذ أنفا من ذهب، والأول هو المشهور.

(2) الكملة في الجاهلية: الربيع بن زياد العبسـي وإخوتـه، وفي الإسـلام مـن الأنصـار: أوس بـن خـولى وأسيد بن حضير وسويد بن الصامت.

ومن بني جشم بن مالك بن سالم الحبلى أيضا أيمن بن عبيد ومالك بن عبد الله بن جشم الآتي ذكرهما.

وأما بنو عدي بن سالم الحبلى فمنهم زيد بن وديعة بن عمرو بن قيس بن جزء بن عدي بن مالك بن سالم الحبلى، حضر العقبة وشهد بدرا وأحدا.

ومن حلفاء بني سالم الحبلى: عقبة بن وهب بن كلدة بن الجعد بن هلال الغطفاني الحبلوي، حضر العقبتين وشهد بدرا وكان من أول من أسلم من الأنصار، وأتى النبي ﷺ وأقام معه بمكة حتى هاجر، فكان مهاجريا أنصاريا. والله أعلم.

ثم أخذ في الكلام على البطنين الآخرين، وهما القواقلة وبنو سالم بن عوف، فقال رحمه الله:

عَوْفُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ عَوْفِ الأَكْبَرِ	**مِنْهُ الْقَوَاقِلَةُ حَيُّ الأَشْهَرِ**
أَوْسِ بْنِ صَامِتٍ أَخِي عُبَادَهْ	**وَحَيُّ سَالِمٍ لِذِي الْقِلَادَهْ**
وَمَالِكُ بْنُ الدُّخْشُمِ اللَّذْ أَسَّرَا	**سُهَيْلَهُمْ وَلِلنَّبِيِّ سَعَّرَا**
نَارًا بِمَسْجِدِ الضِّرَارِ مِنْهُمُ	**وَشِيدَ لِلرَّاهِبِ مَسْجِدُهُمُ**
مِنْهُمْ بَنُو الْعَجْلَانِ رَهْطُ نَضْلَةِ	**أَيْمَنَ مَالِكٍ أَبِي خَيْثَمَةِ**
هُنَا انْتَهَى عُوفُ ...	**... ... ...**

قوله **عوف بن عمرو**: مبتدأ. وابن **عوف** (بالجر): صفة لعمرو. **والأكبر**: صفة لعوف الأخير، وصفه بها لأنه جد البطن وللاحتراز به من سبطه عوف بن عمرو. **والقواقلة** (بقافين وبوزن سواسية): مبتدأ خبره المجرور قبله، والجملة خبر عن عوف ــ أول البيت. والضمير في **منه** عائد على **عوف بن عمرو** وهو رابط

الجملـــة الخبرية بالمبتدأ. **وحي الأشهر** (بالرفع): بدل أو عطف بيان على القواقلة. **والأشهر**: أي ذو الشهرة المعروف بين الناس. **وأوس بن صامت** (بالجر): بدل من الأشهر. **وأخي عبادة**: صفة لأوس. **وحي سالم**: مبتدأ خبره قوله **لذي القلادة**، أي ينســـب لهـــا؛ والقلادة (بكسر القاف) ما يجعل في العنق من الحلي جمعها قلائد، واســـتعارها هـــنا لمجموع أفخاذ بني عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج. وقوله **مـــالك بن الدخشم**: مبتدأ، والدخشم (بوزن قنفذ) بن مرضخة (بوزن مصدغة). **واللذ** (بسكون الذال المعجمة): لغة في الذي، صفة لمالك. **وسهيلهم**: (بالنصب): مفعـــول بـــه **لأســـر**، والمراد به سهيل بن عمرو أخو بني عامر بن لؤي؛ كان من سادات قريش وأعيانهم وقد أسلم يوم الفتح وحسن إسلامه، والضمير المضاف إليه عـــائد على بني عوف بن عمرو بن عوف، وأضافه إليهم لأنه أسير عندهم. **وسعر** النار (بالتضعيف): أوقدها. **ومسجد الضرار**: هو المسجـــد المذكور في قوله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ﴾ [1]ـــ الآية.

قوله **منهم**: خبر عن قوله ومالك بن الدخشم، والضمير فيه عائد على القواقلة. وقوله **وشيد** (بالبناء للمفعول): أي بني. والمراد **بالراهب** أبو عامر الفاسق والد حنظلة الغسيل. وقوله **مسجدهم**: نائب فاعل **شيد**، والضمير المضاف إليه عائد على القواقلة أيضا. وقوله **بنو العجلان**: مبتدأ خبره المجرور قبله، والضمير في **منهم** عائد على حي سالم. **ورهط** (بالرفع): بدل من بنو العجلان، وهو مضاف لـــ**نضلة** (بفتح النون وسكون المعجمة). **وأيمن** (بالجر بالفتحة): عطف على نضلة بحـــــذف

(1) التوبة: 107.

العاطف. **ومالك** (بالجر) **وأبي خيثمة** معطوفان على نضلة أيضا بحذف العاطف.

أشار الناظم رحمه الله إلى بعض فروع وأعيان بطن بني عوف بن عمرو بن عوف هذا؛ وقد تفرع هذا البطن إلى عدة أفخاذ ذكر الناظم منها ثلاثة: القواقلة وبنو سالم وبنو العجلان، ثم ذكر من أعيان البطن العام سبعة نفر هم: أوس وعبادة ابنا الصامت ومالك بن الدخشم القوقليون، ونضلة بن مالك وأبو خيثمة بن قيس العجلانيان، وأيمن بن عبيد ومالك بن عبد الله بن جشم الحبلويان.

أما القواقلة فهم بنو قوقل بن عوف، واختلف في قوقل فقيل هو لقب عنز بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج بن حارثة؛ فيكون غنم وسالم أخويه، وقيل قوقل لقب غنم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج؛ ولقبوا بالقواقلة لأنهم كانوا إذا استجار بهم أحد دفعوا له سهما وقالوا له: قوقل به حيث شئت بيثرب (**والقوقلة:** ضرب من المشي)؛ وقيل كانوا يقولون له: قوقل في هذا الجبل، أي ارتق فقد أمنت؛ وقيل قوقل لقب ثعلبة بن دعد بن فهر بن ثعلبة بن غنم بن عوف بن الخزرج؛ وإنما قيل له ذلك لأنه كان له عز وشرف وكانوا يقولون للخائف إذا جاء: قوقل حيث شئت فأنت آمن، فقيل لبني غنم وبني سالم ابني عوف لذلك "القواقلة". وأما حي سالم فهم بنو سالم[1] بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج بن حارثة، وبنو سالم هذا هم: غنم ومالك ولوذان وزيد وحذيم. وكانت دار بني سالم بين قباء والمدينة بالوادي الذي يعرف بوادي رانوناء؛ وقد صلى رسول الله ﷺ الجمعة عندهم حين رحل عن قباء إلى دار بني النجار وهي أول جمعة صلاها رسول الله ﷺ. وأما بنو العجلان فهم بطن من بني عوف بن عمرو بن عوف، من ولد

---

(1) سالم بن عوف هذا غير سالم الحبلى بن غنم بن عوف، فهما ابنا عم، وكلهما جد بطن من بطون بني عوف بن الخزرج.

العجلان بن زيد بن غنم بن سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج (من بني عمومة القواقلة).

أوس بن الصامت أول من ظاهر في الإسلام

أما أوس فهو ابن الصامت بن قيس بن أصرم بن فهر بن ثعلبة بن غنم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج الخزرجي القوقلي، وقيل إن جده غنما هو ابن سالم بن عوف بن الخزرج. شهد رضي الله عنه بدرا والمشاهد بعدها مع رسول الله ﷺ وبقي إلى زمن عثمان بن عفان رضي الله عنه، وقيل توفي بالرملة سنة أربع وثلاثين وهو ابن اثنتين وسبعين ــ أو خمس وثمانين ــ سنة، وهو الذي ظاهر من امرأته فأمره صلى الله عليه وسلم أن يكفر بخمسة عشر صاعا من شعير على ستين مسكينا. وقد قيل إنه كان أول من ظاهر في الإسلام؛ فقد كانت تحته خولة بنت ثعلبة الخزرجية فوقع بينهما شيء فظاهر منها وخرج إلى نادي قومه (وكان الظهار والإيلاء من الطلاق في الجاهلية) ثم ندم على ما قال فأتت خولة إلى رسول الله ﷺ ــ وعائشة تغسل رأسه ــ فقالت: يا رسول الله إن زوجي أوس بن الصامت تزوجني وأنا ذات مال وأهل فلما أكل مالي وذهب شبابي ونفضت بطني وتفرق أهلي ظاهر مني، فقال رسول الله ﷺ لها: «ما أراك إلا حرمت عليه»، فشكت له ذلك فقال: «ما أراك إلا حرمت عليه»[1]، فقالت: إلى الله أشكو فاقتي ووحدتي ووحشتي وفراق زوجي وابن عمي وصبية صغارا إن ضممتهم إليه ضاعوا وإن ضممتهم إلي جاعوا..

فما زالت تراجع رسول الله ﷺ ويراجعها وتشتكي إلى الله حتى نزل قوله تعالى ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ

(1) مختصر ابن كثير في التفسير، وعون المعبود شرح سنن أبي داود.

﴿يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾[1]-الآيات- فدعا رسول الله ﷺ أوس بن الصامت وتلاها عليه وأمره أن يعتق، فقال أوس ما لي بذلك يدان[2]، قال: «فصم شهرين متتابعين» قال: أما إني إذا أخطأني أن آكل في يوم ثلاث مرات يكل بصري، قال: «فأطعم ستين مسكينا»[3]، قال: ما أجد إلا أن تعينني منك بعون وصلة، فدفع له رسول الله ﷺ خمسة عشر صاعا. قالت عائشة: تبارك الله الذي وسع سمعه كل شيء إني كنت أسمع كلام خولة ويخفى عليَّ بعضه وهي تحاور رسول الله ﷺ، فما برحت حتى نزل جبريل بهذه الآيات. قيل كان ذلك في السنة السادسة.

وقد روي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مر يوما ــ وهو خليفة ــ بخولة هذه وهو على حمار والناس معه فاستوقفته طويلا ووعظته وقالت له: يا عمر قد كنت تدعى عميرا ثم قيل لك عمر ثم قيل لك أمير المؤمنين فاتق الله يا عمر فإنه من أيقن بالموت خاف الفوت، ومن أيقن بالحساب خاف العذاب؛ وهو واقف يسمع كلامها، فقيل له: يا أمير المؤمنين أتقف لهذه العجوز هذا الوقوف؟ فقال: والله لو حبستني من أول النهار إلى آخره لا زلت إلا للصلاة المكتوبة.. أتدرون من هذه العجوز؟ هي خولة بنت ثعلبة سمع الله تعالى قولها من فوق سبع سماوات، أيسمع رب العالمين قولها ولا يسمعه عمر!.

وأما عبادة أخو أوس فهو أبو الوليد عبادة بن الصامت بن قيس ــ وقد مر نسبه قريبا عند ذكر أخيه ــ وقد حضر عبادة رضي الله عنه العقبة وكان من النقباء الاثني عشر، وقد مر بعض التعريف به في الستة الذين لقيهم رسول ﷺ بالعقبة

---

(1) المجادلة: الآية: 1.

(2) أي ما لي به قوة ولا قدرة، يقال: "ما لي بهذا الأمر يدان ولا يدين لك بهذا" أي لا قوة ولا طاقة.

(3) أخرجه أبو داوود، وكل البصر: لم يحقق المنظور فهو كليل.

فآمنوا به. ومن ولد عبادة هذا النعمان بن داوود بن محمد بن عبادة بن الصامت، محدث روى عنه أبو نعيم. ومنهم أيضا عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت محدث أيضا. وكان من ولد عبادة بن الصامت هذا قوم يسكنون بباب العطارين بقرطبة يعرفون ببني هارون.

وأما ابن الدخشم فهو مالك بن الدخشم[1] بن مالك بن الدخشم بن مرضخة بن غنم - أو عنز - بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج الخزرجي القوقلي، كان رضي الله عنه ممن شهد بدرا وما بعدها من المشاهد وأسَّر سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي بن غالب العامري خطيب قريش، أسره يوم بدر، وفي ذلك يقول:

أسرت سهيلا فلا أبتغي أسيرا به من جميع الأمم
وخندف تعلم أن الفتى سهيلا فتاها إذا تصطلم ..إلخ.

وقد ظهر من حسن إسلام مالك بن الدخشم هذا ما يمنع ما كان يتهم به من النفاق، وسب يوما بين يدي النبي ﷺ فقال: «لا تسبوا أصحابي»، وهو الذي حرق مسجد الضرار.

خبر مسجد الضرار

وحاصل ما أشار إليه الناظم من خبر ذلك المسجد أنه لما اتخذ بنو عمرو بن عوف مسجد قباء وبعثوا إلى النبي ﷺ أن يأتيهم، وأتاهم فصلى فيه حسدتهم إخوتهم بنو غنم بن عوف بن غنم ـ وكانوا من منافقي الأنصار ـ فقالوا: نبني

(1) الدخشم: بضم المهملة والمعجمة بينهما خاء معجمة، ويقال بالنون بدل الميم، ويقال كذلك بالتصغير- [الإصابة].

مسجدا ونرسل إلى رسول الله ﷺ فيصلي فيه كما صلى في مسجد إخواننا وليصلي فيه أبو عامر الراهب إذا قدم من الشام؛ فبنوا مسجدا إلى جنب مسجد قباء، وكان الذين بنوه اثني عشر رجلا؛ وهم: خذام بن خالد من بني عبيد بن زيد أحد بني عمرو بن عوف (وهو الذي من داره أخرج مسجد الشقاق) وثعلبة بن حاطب ووديعة بن ثابت ــ وهذان من بني أمية بن زيد ــ ومعتب بن قشير[1] وأبو حبيبة بن الأزعر وجارية بن عامر وابناه مجمع وزيد ونبتل بن الحارث وبحزج وبجاد ابنا عثمان (وكل هؤلاء من بني ضبيعة بن زيد) وعباد بن حنيف، أخو سهل بن حنيف (من بني عمرو بن عوف). وكان يصلي بهم في هذا المسجد مجمع بن جارية. فلما فرغوا منه أتوا رسول الله ﷺ وهو يتجهــز إلى تبوك، فقالوا: يا رسول الله إنا بنينا مسجدا لذي العلة والحاجة والليلة الشاتية وإنا نحب أن تأتينا فتصلي لنا فيه وتدعو لنا بالبركة، فقال رسول الله ﷺ: «إني على جناح سفر وحال شغل ولو قدمنا إن شاء الله أتيناكم فصلينا لكم فيه»[2].

فلما أقبل رسول الله ﷺ راجعا من تبوك ونزل بذي أوان[3] أتاه المنافقون الذين بنوا مسجد الضرار فسألوه إتيان مسجدهم، فدعا بقميصه ليلبسه ويأتيهم، فجاءه الخبر من السماء ونزل عليه القرآن بخبر مسجد الضرار وما همَّ به أهله في قوله تعالى﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ

---

(1) ثعلبة بن حاطب ومعتب بن قشير هذان هما اللذان عاهدا الله ﴿لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين﴾، إلى أخر القصة التي تشير لها الآية، ومعتب منهما هو الذي قال يوم أحد: ﴿ لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا﴾ فترل فيه ما نزل.

(2) رواه ابن هشام في سيرته.

(3) اسم موضع بينه وبين المدينة ساعة.

ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴾[1]، فدعا رسول الله ﷺ مالك بن الدخشم ومعن بن عدي وعامر بن السكن في نفر وقال لهم: «انطلقوا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدموه وأحرقوه»[2]، فخرجوا سراعا حتى أتوا بني سالم بن عوف فقال لهم مالك: أنظروني حتى أخرج إليكم بنار من أهلي، فأخذ سعفا من النخل وأشعل فيه نارا ثم خرجوا يشتدون حتى دخلوا المسجد فحرقوه وهدموه فتفرق عنه أهله، وأمر النبي ﷺ أن يتخذ ذلك الموضع كناسة تلقى فيه الجيف والنتن والقمامة[3]، وكان صلى الله عليه وسلم لا يمر بتلك الطريق التي هو فيها. وسأل عمر بن الخطاب يوما رجلا من القوم الذين بنَوه: ما ذا أعنت في هذا المسجد؟ فقال: أعنت فيه بسارية، فقال عمر: أبشر بها في عنقك في نار جهنم.

وروي أن بني عمرو بن عوف الذين بنوا مسجد قباء سألوا عمر بن الخطاب في خلافته أن يأذن لمجمع بن جارية فيؤمهم في مسجدهم، فقال: أليس بإمام مسجد الضرار؟ فقال له مجمع: يا أمير المؤمنين لا تعجل علي فوالله لقد صليت فيه وإني لا أعلم ما أضمروا عليه فلو علمت ما صليت فيه معهم وكنت غلاما قارئا للقرآن وكانوا شيوخا قد غشوا نفاقهم[4] وكانوا لا يقرؤون من القرآن شيئا، فصليت ولا أحببت مما صنعوا شيئا إلا أنهم يتقربون إلى الله ، ولا أعلم ما في أنفسهم. فصدقــه

(1) التوبة: الآية: 107.

(2) أخرجه ابن سعد في طبقاته.

(3) الكناسة بالضم: موضع إلقاء القمامة التي تجمع من البيوت والطرق. والنتن والنتين: خبيث الرائحة. والجيف: جمع جيفة وهي جثة الميت إذا أنتنت.

(4) أي أضمروه وأظهروا خلافه.

عُمر وعذره وأذن له في الصلاة بمسجد قباء.

والمراد بالراهب أبو عامر بن صيفي بن مالك بن النعمان والد حنظلة الغسيل، كان يلقب بالراهب لأنه ترهب في الجاهلية وتنصر ولبس المسوح، فلما قدم النبي ﷺ المدينة دخل عليه وقال له: يا محمد ما هذا الذي جئت به؟ قال: «جئت بالحنفية دين إبراهيم»، قال: فإني عليه، فقال النبي ﷺ: «لست عليه لأنك أدخلت فيه ما ليس منه»، فقال أبو عامر: ولكنك أدخلت في الحنيفية ما ليس منها، فقال النبي ﷺ: «ما فعلت ولكني جئت بها بيضاء نقية»، فقال له أبو عامر: أمات الله الكاذب منا وحيدا طريدا غريبا - كأنه يعرض بالنبي ﷺ حيث خرج من مكة - فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «نعم أمات الله الكاذب منا كذلك»[1]، ثم قال أبو عامر لرسول الله ﷺ: لا أجد قوما يقاتلونك إلا قاتلتك معهم، ولقبه النبي صلى الله عليه وسلم بالفاسق. ثم خرج أبو عامر في نفر من أتباعه إلى مكة وأقام بها حتى كان يوم أحد جاء مع قريش في خمسين رجلا من قومه، فنادى: يا للأوس أنا أبو عامر، فقالوا: لا مرحبا ولا أهلا بك يا فاسق، فقال: لقد أصاب قومي بعدي شر، فتراموا بالحجارة ساعة حتى ولى وبدأت نار الحرب تشتعل - وكان أبو عامر الفاسق هو أول من شبها - ثم رجع مع قريش إلى مكة، فلما كان يوم الفتح لحق بهوازن وقاتل معهم بحنين، فلما انهزموا فر إلى الشام يستنصر قيصر وأرسل إلى المنافقين أن يستعدوا بما استطاعوا من قوة وسلاح وأن يبنوا مسجدا وأنه سيأتيهم من عند قيصر بجند من الروم لإخراج محمد وأصحابه من المدينة؛ فبنوا مسجد الضرار يرصدون مجيئه. ومات أبو عامر بقنسرين من الشام وحيدا طريدا غريبا،

(1) أخرجه ابن هشام في سيرته، والواقدي في مغازيه.

لدعوة النبي صلى الله عليه وسلم.

وأما نضلة فهو ابن مالك بن العجلان بن زيد بن غنم[1] بن سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج الخزرجي السالمي العجلاني، من ولده العباس بن عبادة بن نضلة الذي شهد العقبتين وهاجر من المدينة إلى مكة وأقام بها مع النبي ﷺ ثم هاجر إلى المدينة فصار مهاجريا أنصاريا، وقد مر بعض التعريف به في أهل العقبة.

وأما أيمن فهو ابن عبيد بن عمرو بن هلال بن أبي الجرباء بن قيس بن مالك بن ثعلبة بن جشم بن مالك بن سالم الحبلى الحبلوي، وقيل هو أيمن بن عبيد بن زيد بن عمرو بن بلال بن أبي الجرباء بن قيس بن مالك بن سالم بن غنم بن عوف بن الخزرج الخزرجي السالمي. وأيمن هذا أخو أسامة بن زيد الكلبي لأمه، أمهما أم أيمن مولاة النبي ﷺ ، وبه كنيت وعرف بالنسبة إليها؛ فقيل له أيمن ابن أم أيمن. وكانت أمه أم أيمن قد تزوجت في الجاهلية بمكة عبيد بن عمرو الأنصاري وكان قد قدم مكة وأقام بها ثم نقل أم أيمن إلى يثرب فولدت له أيمن ثم مات عنها فرجعت إلى مكة فتزوجها زيد بن حارثة فولدت له أسامة بن زيد، وكان أيمن هذا على مطهرة رسول الله ﷺ ويعاطيه حاجته، وله ابن يقال له الحجاج بن أيمن ـ [قاله في أسد الغابة].

وقيل إن أيمن ابن أم أيمن هو أيمن بن عبيد الحبشي أخو أسامة لأمه وهو الذي ثبت مع النبي ﷺ يوم حنين واستشهد به وهو الذي عنى العباس بن عبد المطلب يومئذ بقوله:

---

(1) غنم بن سالم هذا جد بني سالم بن عوف غير غنم بن عوف الذي هو جد القواقلة، لكنهما من بطن واحد هو بنو عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج، فالأول عم الثاني.

وثامننا لاقى الحمـــــام بنفسه بما مســـــه في ا لله لا يتوجـــع ..إلخ.

وقال في \الإصابة: "قد فرق ابن أبي خيثمة بين أيمن الحبشي وأيمـن ابـن أم أيمـن وهو الصواب"؛ وقال ابن إسحاق: "أيمن بن عبيد هذا ليس هو أيمن ابن أم أيمن ذلك أيمن بن عبيد كان أبوه مـن الحبشة ووافـق اسْمُـه واسـمُ أبيـه اسـمَ هـذا الحبلـي مـن الأنصار واسمَ أبيه".

وظاهر النظم أن أيمن هذا من بني العجلان لذكره وسط نفر بـني العجـلان وهـو حبلوي، ولكن الأمر سهل لأن الناظم هنا قد أخذ في سرد بعض أعيان البطن العام: بطن بني عوف بن الخزرج من غير تعرض لترتيب أفخاذهم، بالإضافة إلى ما مر مـن أن النسبة إلى العم المشهور أمر معهود ومطرد في اصطلاح أهل السير وقـد استعمله الناظم في هذا النظم كثيرا. وا لله أعلم.

وأما مالك فهو مالك بن عبد ا لله بن جشم بن مالك بن سالم الحبلى بن غنـم بن عوف، شهد بدرا [ذكره في الاستبصار]، ويحتمل أن يكـون مـراده بمـالك هـذا والد نضلة المذكور وهو مالك بن العجلان بن زيد، رئيس الخزرج في حـرب بعـاث في الجاهلية؛ الشاعر الذي يقول:

أنا ابن مزيقيا عمرو وجـــدي أبـــوه عامـــــر ماء السماء

وأما أبو خيثمة فـاختلف في اسمـه فقيـل سـعد وقيـل عبـد ا لله وقيـل مـالك، والمشهور أن اسمه سعد بن قيس بن ثعلبة بن العجلان بن زيد بن غنم بـن سـالم بـن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج الخزرجي العجلاني، كان رضي ا لله عنه ممـن شهد أحدا.

وكان من خبره ما ذكره ابن إسحاق وغيره: أنه دخل يوما على أهله في يـوم حـار بعـد أن سـار رسـول ا لله ﷺ أيامـا إلى تبـوك فوجـد امرأتـين لـه في

عريشين[1] في حائطه قد رشت كل واحدة منهما عريشها وبردت له فيه ماء وهيأت له طعاما، فلما دخل قام على باب العريشين فنظر إلى امرأتيه وما صنعتا له فقال: ما هذا بالنَّصَفِ: رسول الله ﷺ في الضح[2] والريح والحر وأبو خيثمة في ظل بارد وطعام مهيأ وامرأة حسناء مقيم في ماله وأهله! ثم قال: والله لا أدخل عريش واحدة منكما حتى ألحق برسول الله ﷺ.. فهيئا لي زادا، ففعلتا. ثم قدم ناضحه[3] فارتحله ثم خرج في أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أدركه حين نزل تبوك.

وكان عمير بن وهب الجمحي قد أدرك أبا خيثمة في الطريق فترافقا حتى إذا دنوا من تبوك قال أبو خيثمة لعمير: إن لي ذنبا فلا عليك أن تتخلف عني حتى آتي رسول الله ﷺ ، ففعل؛ حتى إذا دنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نازل بتبوك قال الناس: هذا راكب على الطريق مقبل، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كن أبا خيثمة»[4]، فقالوا: هو والله أبو خيثمة. فلما أناخ أقبل فسلم على رسول الله ﷺ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أولى لك يا أبا خيثمة»[5]، فأخبره أبو خيثمة بخبره فدعا له بخير. وقال أبو خيثمة في ذلك:

ولما رأيت الناس في الدين نافقوا أتيت التي كانت أعف وأكرما
وبايعت باليمنى يدي لمحمد فلم أكتسب إثما ولم أغش محرما

---

(1) العريش: بيت شبه الخيمة يظلل فيكون أبرد الأخبية والبيوت.
(2) الضح: الشمس او ضوؤها.
(3) الناضح: البعير يستقى عليه ويستعمل للركوب.
(4) أخرجه أحمد في مسنده، ورواه ابن هشام في سيرته.
(5) أخرجه مسلم.

تركت خضيبا في العريش وصرمة صفايا كراما بسرها قد تحمما[1]

وكنت إذا شك المنافق أسمحت إلى الدين نفسي شطره حيث يمما

وبقي أبو خيثمة هذا إلى أيام يزيد بن معاوية.

تنبيه:من بطون بني عوف بن الخزرج بنو السائب وبنو قَطَن ابنا عوف بن الخزرج و لم يتعرض لهما الناظم لأن عقبهما بعُمان و لم يكن منهم أحد بالمدينة فليسوا من الأنصار.

ولما أنهى الكلام على بني عوف بن الخزرج كما قال: **هنا انتهى عوف**.. شرع يتكلم على بني عمومتهم بني الحارث بن الخزرج، فقال رحمه ا لله وعفا عنه:

بنو الحارث بن الخزرج*

... ... وَأَمَّا الْحَارِثُ فَمِنْـهُ مَالِكُ الأَغَـرُّ الْغَالِثُ

قَبِيلُ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ أَرْقَمُ خَارِجَةُ صِهْـرُ الْعَتِيقِ مِنْهُمُ

---

(1) الخضيب: المخضوبة أراد امرأة قد خضبت يديها بالحناء. والصرمة (بالكسر): جماعة النخل. وصفايا: أي كثيرة الحمل. والبسر: التمر قبل أن يطيب. وتحمم: أخذ في الإرطاب فاسود.

* أبناء الحارث بن الخزرج أربعة ويقال لهم "بلحارث" وهم الخزرج وجشم وزيد مناة وعوف بنو الحارث بن الخزرج، وتفرع من كل واحد منهم بطن وهؤلاء البطون هم: بنو الخزرج بن الحارث، وفيهم العدد والكثرة وتفرعوا إلى عدة أفخاذ منهم بنو مالك الأغر بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث، وبنو عدي بن كعب بن الخزرج بن الحارث، وبنو عامر بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث، والثاني بنو جشم بن الحارث بن الخزرج، والثالث: بنو زيد مناة بن الحارث ويقال لبني جشم وبني زيد مناة هذين "التوأمان"، والرابع: بنو عوف بن الحارث بن الخزرج وتفرعوا إلى عدة أفخاذ أيضا، منهم بنو خدرة الأبجر وبنو خدارة ابني عوف بن الحارث؛ وقد تناول الناظم الكلام على بني الحارث بن الخزرج هؤلاء في ثلاثة عشر بيتا وذكر من أفخاذهم ثلاثة: بني مالك الأغر وبني خدرة وبني خدارة، وذكر ثمانية رجال من أعيان بني الحارث هؤلاء.

وَبِخُبَيبٍ بَعْدَ ذِي الْخِـــلاَلِ   تَزَوَّجَــــتْ حَبِيبَةُ الأَزْوَالِ
وَابْنُ رَوَاحَـــةَ قَرِيعُ فِئَتِهْ   مَادِحُ أَحْمَـــدَ مُجِيدُ صِفَتِهْ

قوله **الحارث**: مبتدأ خبره الجملة بعده. **والأغر**: الكريم الأفعال والسيد الشريف. **والغالث**: الشديد القتال، وهما صفتان **لمالك**. وقوله **قبيل سعد**: بدل من مالك الأغر باعتبار بنيه. وقوله **أرقم** (بالرفع): مبتدأ. **وخارجة** عطف عليه بحذف العاطف. **وصهر العتيق**: صفة لخارجة. وقوله **منهم**: خبر عن أرقم والمعطوفِ عليه. والضمير في **منهم** عائد على مالك الأغر باعتبار بنيه أيضا.

يقول: ومن بني الحارث بن الخزرج بنو مالك الأغر بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج، وهم رهط سعد بن الربيع وأرقم بن زيد بن قيس وخارجة بن زيد بن أبي زهير (صهر أبي بكر الصديق) الخزرجيين. وقوله **وبخبيب** (بوزن زبير): متعلق بتزوجت. **وذو الخلال**: لقب أبي بكر الصديق ـ كما مر. **وحبيبة** (بوزن كريمة): هي بنت خارجة بن زيد. **والأزوال**: جمع زول (بوزن قول): وهو الشجاع الجواد، وأراد بالأزوال هنا أبا بكر وخبيبا بن إساف الخزرجي وجمعهما تعظيما وأضاف إليهما حبيبة بنت خارجة هذه لزواجها منهما. وقوله **وابن رواحة** (بالرفع): عطف على **أرقم** أيضا. **والقريع**: السيد. **والفئة**: الجماعة. **ومجيد** (بضم الميم): المتقن. والضمير في **صفته** لأحمد ﷺ **وقريع ومادح ومجيد** كلها صفات **لابن رواحة**.

شرع الناظم هنا في ذكر بعض بطون بني الحارث بن الخزرج وبعض مشاهيرهم. وبطون بني الحارث أربعة: بنو الخزرج بن الحارث بن الخزرج وبنو جشم وبنو زيد مناة ابني الحارث بن الخزرج وبنو عوف بن الحارث بن

الخزرج[1]. أما بنو الخزرج بن الحارث فقد تفرعوا إلى عدة أفخاذ منها بنو مالك الأغر وبنو عدي بن كعب وبنو عامر بن ثعلبة، واقتصر الناظم على بني مالك الأغر وذكر منهم سبعة نفر.

أما سعد بن الربيع فهو الصحابي الجليل سعد بن الربيع بن عمرو بن أبي زهير بن مالك بن امرئ القيس بن مالك الأغر بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج الخزرجي الحارثي نقيب بني الحارث بن الخزرج، وقد مر التعريف به في جملة النقباء.

وأما أرقم فهو أرقم بن زيد بن قيس بن النعمان بن مالك الأغر الخزرجي الحارثي، والد الصحابي الجليل زيد بن أرقم ذي الأذن الواعية الذي غزا مع رسول الله ﷺ سبع عشرة غزوة وأول مشاهده الخندق وقيل غزوة المريسيع واستصغره صلى الله عليه وسلم يوم أحد. وهو الذي نقل للنبي ﷺ في غزوة المريسيع هذه مقالة ابن أبيّ ابن سلول؛ فكذبه ابن أبي ومن معه من المنافقين فنزل القرآن بتصديقه: ﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[2].

وكان زيد بن أرقم هذا يتيما في حجر عبد الله بن رواحة وخرج معه إلى مؤتة وفيه يقول ابن رواحة مخاطبا له:

يا زيـــد زيد اليعملات الذبل[3]   تطــاول الليـــــل عليك فانــزل

..إلخ.

---

(1) كانت مساكن بني الحارث هؤلاء بالسنح على ميل من مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيهم كان يسكن أبو بكر الصديق رضي الله عنه.

(2) المنافقون: الآية: 8.

(3) اليعملات: جمع يعملة وهي الناقة المطبوعة على العمل. والذبل: جمع ذابلة وهي الضامرة المهزولة.

وقيل يعني بها زيد بن حارثة أمير الجيش. وشهد زيد بن أرقم هذا صفين مع علي وكان من خاصة أصحابه ومات بالكوفة سنة ست وستين وقيل ثمان وستين.

وأما خارجة فهو ابن زيد بن أبي زهير بن مالك بن امرئ القيس بن مالك الأغر الأنصاري الخزرجي، حضر العقبة الثانية وآخى النبي ﷺ بينه وبين أبي بكر الصديق ـ حين آخى بين المهاجرين والأنصار ـ وكان من كبار الصحابة وشهد بدرا وأحدا واستشهد به ودفن هو وسعد بن الربيع في قبر واحد. وبنته حبيبة بنت خارجة كانت تحت أبي بكر الصديق وتوفي عنها وهي حامل ولما حضرته الوفاة أوصى عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها على عياله وقال لها: إنما هم أخواك وأختاك، فقالت: إنما هذه أسماء فمَن الأخرى؟ قال: ذو بطن بنت خارجة أراه أنثى، وفي رواية: ألقي في خلدي أنها أنثى؛ فولدت بعد وفاته جارية فسمتها عائشة أم كلثوم. وإلى علاقة خارجة بأبي بكر هذه أشار الناظم بقوله: **صهر العتيق**؛ ولما توفي أبو بكر رضي الله عنه عن حبيبة بنت خارجة هذه خلف عليها بعده خبيب بن إساف الخزرجي الآتي ذكره ـ إن شاء الله ـ وذلك قوله: **وبخبيب**.. إلخ.

وخطب عمر بن الخطاب رضي الله عنه أم كلثوم بنت أبي بكر هذه إلى عائشة فقالت له: أين المذهب بها عنك؟. فلما خرج من عندها قالت أم كلثوم لعائشة: أتزوجينَني عمر وقد عرفت غيرته وخشونة عيشه؟ والله لئن فعلت لأخرجن إلى رسول الله ﷺ ولأصيحن به: إنما أريد فتى من قريش يصب على الدنيا صبا، فأرسلت عائشة إلى عمرو بن العاص فأخبرته الخبر، فقال: أنا أكفيك. فقال: يا أمير المؤمنين لو جمعت إليك امرأة؟ فقال: عسى أن يكون ذلك في أيامك هذه، فقال: ومن يا أمير المؤمنين؟ فقال: أم كلثوم بنت أبي بكر، قال: مالك ولجارية تنعى إليك أباها بكرة وعشيا؟! قال عمر: أعائشة أمرتك بذلك؟ قال: نعم. فتركها عمر فتزوجها طلحة بن عبيد الله، قال علي: لقد تزوجها أفتى أصحاب محمد ﷺ

وولدت لطلحة زكرياء وعائشة.

وأما ابن رواحة فهو أبو محمد عبد الله بن رواحة بن ثعلبة بن امرئ القيس بن عمرو بن مالك بن امرئ القيس بن مالك الأغر الخزرجي الحارثي شاعر النبي ﷺ، شهد العقبة وبدرا والمشاهد بعدها إلا الفتح وما بعده لأنه استشهد بمؤتة، وكان أحد أمراء جيشها المشهورين وأحد النقباء المذكورين، وقد مر التعريف به فيهم؛ ومما قال في مدح رسول الله ﷺ ووصفه أبياته السابقة:

إني تفرست فيك الخير أجمعه — والله يعلم أن ما خانني البصر

أنت النبي ومن يحرم شفاعته — يوم الحساب فقد أزرى به القدر

فثبت الله ما آتاك من حسن — تثبيت موسى ونصراً كالذي نصروا

وقوله:

نفسي الفداء لمن أخلاقه شهدت — بأنه خير مخلوق من البشر

عمت فضائله كل الأنام كما — عم البرية ضوء الشمس والقمر

لو لم تكن فيه آيات مبينة — لكان منظره يغني عن الخبر

وجدُّ عبد الله بن رواحة هذا عمرو بن مالك تحاكمت عليه الأوس والخزرج في حرب سمير المتقدم ذكرها.

ثم ذكر بقية نفر بني مالك الأغر الذين تقدمت الإشارة إليهم فقال رحمه الله:

وَثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ الْخَطِيبُ — إِخْبَارُهُ فِي لَحْدِهِ عَجِيبُ

بِدِرْعِهِ أَنْ سُرِقَتْ وَأَمْضَى — إِيصَاءَهُ فِيهَا الْعَتِيقُ أَيْضَا

بِمَهْرِهَا خَالَعَ بِنْتَ ابْنِ أُبَيّ — جَمِيلَةً بِأَمْرِ أَشْرَفِ لُؤَيّ

بِرِجْلِهِ أَقْصَدَ مَنْ أَمَاتَهْ — وَهَكَذَا فَلْتَكُنِ الإِمَاتَهْ!

جَرَتْ بِصِفِّينَ لِمَنْ تَوَسَّدَهْ — أَيْضًا وَمَاتَ فَوْقَهُ لِيُجْهِدَهْ

قوله **وثابت بن قيس** (بالرفع): عطف على **أرقم** في البيت السابق. **والخطيب**: حسن الخطبة الفصيح، جمعه خطباء. **وإخباره** (بكسر الهمزة): مبتدأ. **واللحد**: الشق الذي يكون في جانب القبر. **وعجيب**: خبر عن المبتدأ قبله، والعجيب ما يتعجب منه. وقوله **بدرعه**: متعلق بإخباره. وجملة **أن سرقت**: بدل من قوله **بدرعه**، **وأن**: (بفتح الهمزة). **وسرقت**: بالبناء للمفعول. **والعتيق**: فاعل **أمضى**، وهو لقب أبي بكر الصديق رضي الله عنه. والضمائر في كل من **إخباره ولحدِه ودرعه وإيصاءَه** عائدة على ثابت بن قيس. يعني أن ثابت بن قيس هذا كان له شأن عجيب وهو إخباره بعد موته بسرقة درعه وإيصاؤه بقضاء دينه وعتق عبده.

وقوله **بمهرها**: متعلق **بخالع**. **وجميلة** (بالنصب): بدل من **بنت ابن أبي**. وقوله **بأمر أشرف لؤي**: متعلق بخالع أيضا، والمراد بأشرف لؤي رسول الله ﷺ لأنه هو أشرف ولد لؤي بن غالب فأحرى غيرهم. وقوله **برجله**: متعلق بأقصد. **ومن**: مفعول به **لأقصد**. **وأقصده**: طعنه فلم يخطئه، والمراد هنا ضربه برجله فقتله. **وأماته** (بفتح الهمزة): قتله. وقوله **وهكذا فلتكن الإماته**: معناه التعجب والتفخيم لشأن هذه الموتة. قوله **جرت**: أي وقعت. **وصفين** (بوزن عشرين): موضع قرب الرقة[1] بشاطئ الفرات كانت به الملحمة العظمى بين علي ومعاوية رضي الله عنهما غرة صفر سنة سبع وثلاثين[2]. وقوله **لمن توسده**: متعلق **بجرت**. **وتوسده**: جعله

---

(1) من سورية الآن.

(2) وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه في مائة ألف أو يزيدون، ومعاوية في مائة ألف وثلاثين ألفا ، وكان كل من الفريقين أحد عشر صفا وقد تواقفوا على تلك الصفة أول يوم من صفر (يوم الأربعاء) وظلوا يتقاتلون من الصباح إلى الليل ثم رجعوا من الغد وفعلوا مثل ذلك، وأقاموا على ذلك مائة يوم وعشرة أيام وكان كل من الطرفين يتعاور الإمارة على جيشه كل يوم يؤمر عليه غير الذي كان عليه بالأمس، وقتل من الفريقين سبعون ألفا: خمسة وأربعون ألفا من أهل الشام،

=>>

تحت رأسه وذراعه. وقوله: **ليجهده:** أي ليحمِّله فوق ما يطيق ليموت.

يقول ومن بني مالك الأغر ثابت بن قيس خطيب رسول الله ﷺ الذي أخبر بعد موته بسرقة درعه وخالع زوجته وقتل قاتله.. إلى آخر ما أشار إليه مما يتضح من خلال ترجمته.

ثابت بن قيس خطيب النبي ﷺ

وثابت هذا هو أبو محمد ثابت بن قيس بن شماس بن أبي زهير بن مالك بن امرئ القيس بن مالك الأغر الخزرجي الحارثي، أمه امرأة من طيئ. كان من سادات الأنصار وكان خطيبهم، خطب لهم مقدم النبي ﷺ المدينة ومما قال في خطبته: ..نمنعك مما نمنع منه أنفسنا وأولادنا فما لنا؟ فقال صلى الله عليه وسلم: «الجنة»[1] قالوا: رضينا، ثم كان بعد ذلك خطيبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم حتى عرف بخطيب رسول الله كما عرف حسان بن ثابت بشاعر رسول الله ﷺ.

ومن خطب ثابت بن قيس ـ هذا ـ خطبته المشهورة التي رد بها على وفد تميم الذي قدم المدينة بعد فتح مكة وقالوا: يا محمد جئناك لنفاخرك فأذن لخطيبنا وشاعرنا، فقال صلى الله عليه وسلم: «قد أذنت لخطيبكم فليقل»، فقام عطارد بن حاجب التميمي فقال: الحمد لله الذي له علينا الفضل وهو أهله الذي جعلنا ملوكا ووهب لنا أموالا عظاما نفعل فيها المعروف وجعلنا أعز أهل المشرق وأكثره عددا وأشده عدة، فمن مثلنا في الناس ألسنا برؤوس الناس؟ وأولي فضلهم فمن

وخمسة وعشرون ألفا من أهل العراق، وقتل كثير من الأعيان وغيرهم من الفريقين، وقيل إن الذين قتلوا في ذلك الموطن من الفريقين لا يعلم عددهم إلا الله، فإنا لله وإنا إليه راجعون ورضي الله عن الجميع وأرضاهم.

(1) رواه ابن السكن كما في الإصابة.

فاخرنا فليعدد مثل ما عددنا ولو شئنا لأكثرنا الكلام ولكن نستحيي من الإكثار لما أعطانا وأقول هذا لأن تأتوا بمثل قولنا أو أمر أفضل من أمرنا؛ ثم جلس. فقال رسول الله ﷺ لثابت بن قيس: «قم فأجب الرجل في خطبته»[1]، فقام ثابت فقال: الحمد لله الذي السماوات والأرض خلقه قضى فيهن أمره ووسع كرسيَّه علمُه و لم يكن شيء قط إلا من فعله ثم كان من قدرته أن جعلنا ملوكا واصطفى من خير خلقه رسولا أكرمه نسبا وأصدقه حديثا وأفضله حسبا فأنزل عليه كتابه وائتمنه على خلقه فكان خيرة الله من العالمين ثم دعا الناس إلى الإيمان بالله فآمن به المهاجرون من قومه وذوي رحمه أكرم الناس أحسابا وأحسنهم وجوها وخيرهم فَعَالا ثم كان أول الخلق إجابة واستجابة لله حين دعاه رسول الله ﷺ نحن، فنحن أنصار الله ووزراء رسول الله ﷺ نقاتل الناس حتى يؤمنوا بالله، فمن آمن بالله ورسوله منع منا ماله ودمه ومن كفر جاهدناه في الله أبدا وكان قتله علينا يسيرا، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي وللمؤمنين والمؤمنات والسلام عليكم.

فقام شاعرهم الزبرقان بن بدر التميمي فقال:

نحن الكرام فلا حي يعادلنا … منا الملوك وفينا يقسم الربع[2]

وكم قسرنا من الأحياء كلهم … عند النهاب وفضل العز يتبع ..إلخ.

فلما فرغ الزبرقان من قوله قال رسول الله ﷺ لحسان بن ثابت: «قم يا حسان[3] فأجب الرجل فيما قال»، فقال حسان:

---

(1) أخرجه البخاري في الأدب المفرد والترمذي وابن ماجه وابن هشام في سيرته وابن كثير في البداية والنهاية.

(2) كان من عادة الجاهلية إذا غنموا أن يعطوا الرئيس ربع الغنيمة ويسمى المرباع والربع أيضا وهذا كناية عن أنهم الرؤساء والسادة.

(3) أخرجه مسلم ورواه ابن هشام في سيرته.

إن الذوائب من فهر وإخوتهم قد بينوا سنة للناس تتبع
يرضى بها كل من كانت سريرته تقوى الإله وبالأمر الذي شرعوا

إلخ.. (وقد تقدمت في ترجمته).

فلما فرغ حسان من قوله قال الأقرع بن حابس: وأبي إن هذا الرجل لَمُؤَتًّى له[1]: لخطيبه أخطب من خطيبنا ولشاعره أشعر من شاعرنا ولأصواتهم أعلى من أصواتنا وما انتصفنا ولا قاربنا[2]، ثم أسلموا فأجازهم رسول الله ﷺ وأحسن جوائزهم.

وكان ثابت بن قيس هذا جهير الصوت[3]، فقد روي أنه لما نزلت آية: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَـٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾[4] دخل بيته وأغلق عليه بابه فلما فقده النبي ﷺ أرسل إليه وسأله عن خبره فقال: إني رجل شديد الصوت أخاف أن يكون قد حبط عملي، فقال صلى الله عليه وسلم: «لست منهم بل تعيش بخير وتموت بخير»[5]، ولما نزل قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾[6] ــ الآية ــ أغلق عليه بابه أيضا وطفق يبكي، ففقده رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعث إليه فقال: يا رسول الله إني أحب الجمال وأحب أن أسود قومي، فقال صلى الله عليه وسلم :

---

(1) لمؤتى له (بضم الميم وفتح الهمزة وتشديد التاء): يريد أنه موفق.

(2) أي ما بلغنا لهم النصف ولا قاربنا ذلك.

(3) جهير الصوت: أي مرتفعه ، يقال: "كلام جهير" أي عال كالجهْوَري، يقال: "صوت جهْوري" أي عال ويوصف به أيضا صاحب الصوت فيقال "رجل جهوري" أي عالي الصوت.

(4) الحجرات: الآية: 2.

(5) أخرجه البخاري ومسلم والحاكم في المستدرك والطبراني في الكبير والبيهقي.

(6) النساء: الآية: 36.

«لست منهم بل تعيش حميدا وتقتل شهيدا وتدخل الجنة».

هذا وقد شهد ثابت بن قيس رضي ا لله عنه أحدا والمشاهد بعدها مع رسول ا لله ﷺ وشهد اليمامة مع خالد بن الوليد في خلافة أبي بكر رضي ا لله عنه فكان له فيها بلاء حسن وذكر جميل. روي أنه لما انكشف المسلمون يومئذ قال: ما هكذا كنا نقاتل مع رسول ا لله ﷺ بئس ما عودتم أقرانكم وبيس ما عودتم أنفسكم اللهم إني أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء؛ ثم تحنط وحفر حفرة ثبت فيها، ولم يزل يقاتل حتى استشهد رضي ا لله عنه. وكانت عليه درع نفيسة فمر به رجل من المسلمين فأخذها فبينما بلال بن حمامة رضي ا لله عنه نائم في تلك الليلة إذ أتاه ثابت في منامه فقال له: إني أوصيك بوصية فإياك أن تقول هذا حلم فتضيعه إني لما قتلت أمس مر بي فلان ـ رجل من المسلمين ـ فأخذ درعي، ومنزله في أقصى الناس وعند خبائه فرس يستن في طِوَله وقد كفأ على الدرع بُرمة[1] وفوق البرمة رحل فأت خالد بن الوليد فأخبره فليبعث إلى درعي وليأخذها وإذا قدمت المدينة على خليفة رسول ا لله ﷺ فقل له إن علي من الدين كذا وكذا وفلان وفلان من رقيقي حران. فاستيقظ بلال فأتى خالدا فأخبره، فبعث إلى الدرع فوجدت على ما وصف وأتوه بها واعترف الرجل بذلك. فلما قدم بلال المدينة أخبر أبا بكر برؤياه فأجاز وصيته؛ ولا تُعلم وصية أجيزت بعد الموت غير وصية ثابت بن قيس هذا[2]. وكانت تحت ثابت بن قيس هذا جميلة بنت عبد ا لله بن أبيّ ابن سلول

---

(1) استن الفرس: عدا لمرحه ونشاطه شوطا أو شوطين ولا راكب عليه، والطول (بكسر الطاء وفتح الواو): الحبل الطويل يشد أحد طرفيه في وتد أو غيره والطرف الآخر في يد الفرس ليدور فيه ويرعى ولا يذهب لوجهه. والبرمة: القدر. وكفأ: غطى.

(2) وفي الاستيعاب أنه أوصاه في النوم أن تؤخذ درعه من ذلك الرجل وتباع ويفرق ثمنها في المساكين فأنفذ أبو بكر وصيته بعد موته.

الخزرجية الحبلوية[1] فأتت النبي ﷺ وقالت: يا رسول الله لا أنا ولا ثابت بن قيس، فقال صلى الله عليه وسلم: «وما ذاك»؟ فقالت: ما أعيب عليه في دين ولا خلق ولكني أكره الكفر بعد الإسلام وإني لا أطيقه بغضا[2]، فقال صلى الله عليه وسلم: «ما أصدقك»؟ قالت: حديقة، قال: «أو تردين عليه حديقته»؟[3] قالت: نعم وإن شاء زدته؛ فأمر رسول الله ﷺ ثابتا أن يأخذ الحديقة منها وفرق بينهما؛ فكان ذلك أول خلع في الإسلام[4]. وجميلة هذه هي التي كانت تحت حنظلة الغسيل فقتل عنها يوم أحد وولدت له عبد الله بن حنظلة ثم تزوجها ثابت بن قيس هذا وولدت له محمدا ثم اختلعت منه ـ وقتل ولداها عبد الله بن حنظلة ومحمد بن ثابت يوم الحرة ـ ثم تزوجها مالك بن الدخشم، ثم تزوجها بعده خبيب بن إساف الخزرجي.

وقيل إن امرأة ثابت المختلعة منه حبيبة بنت سهل بن ثعلبة بن الحارث بن زيد بن ثعلبة الخزرجية النجارية فخلف عليها بعده أبيّ بن كعب النجاري، والقول الأول هو المشهور وهو رواية البخاري وبعض أصحاب السنن وغيرهم عن ابن عباس، وهو الذي ذكره البصريون، والقول الثاني هو الذي أخرجه مالك في الموطأ ورواه أيضا بعض أصحاب السنن وغيرهم وهو قول المدنيين؛ وجمع بعضهم بين

---

(1) وقيل هي جميلة بنت أبي ابن سلول أخت عبد الله بن أبي.

(2) وكان ثابت قصير القامة.

(3) أخرجه البخاري وابن ماجه والنسائي، والحديقة كل أرض ذات شجر مثمر ونخل أحاط به حاجز جمعها: حدائق.

(4) وقد روي أن أول خلع وقع على الإطلاق هو خلع بنت عامر بن الظرب، فقد زوجها أبوها عامر بن الظرب من ابن أخيه عامر بن الحارث بن الظرب، فلما دخلت عليه نفرت منه فشكا ذلك إلى أبيها فقال: لا أجمع عليك فراق أهلك ومالك وقد خلعتها منك بما أعطيتها، فقال العلماء إن هذا كان أول خلع في العرب. [الزرقاني على الموطأ].

الروايتين بالحمل على التعدد لتعدد المرأتين وشهرة الخبرين وصحة الطريقين.

وشهد ثابت بن قيس ـ هذا ـ اليمامة وأبلى فيها بلاء حسنا ـ كما مر ـ وقطعت رجله يومئذ فزحف إلى الذي قطعها و لم يزل يضربه بها حتى قتله ، وإلى ذلك أشار الناظم بقوله: **برجله أقصد من أماته.**

ولما ذكر رحمه الله هذه القصة لثابت بن قيس استطرد قصة تشبهها جرت لهاشم بن عتبة بن أبي وقاص القرشي الزهري في يوم من أيام صفين؛ وقد تقدم للناظم أن أشار إليها أيضا في الكلام على عتبة بن أبي وقاص بقوله: *وفي صفين برجله ذب عن المكين*. وذكر الشيخ حمادٍ منها شيئا هناك؛ وحاصلها أن هاشماً بن عتبة[1] بن أبي وقاص كان من الأبطال المشهورين والشجعان المذكورين، شهد اليرموك والقادسية وجلولاء وغيرها.. وشهد الجمل وصفين مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأبلى في الجميع بلاء حسنا، وفقئت عينه يوم اليرموك وقطعت رجله يوم صفين فجعل يقاتل من دنا منه وهو بارك ويقول: الفحل يحمي شوله معقولا! وقاتل برجله ورمى بها رجلا فصرعه، ولما وقع على الأرض وهو يجود بنفسه رفع رأسه فإذا بعبيد الله بن عمر بن الخطاب مطروحا إلى قربه جريحا ـ وكان من جيش معاوية بن أبي سفيان ـ فحبا حتى دنا منه فعلاه والتزمه و لم يزل به حتى قتله ثم

---

(1) هو ابْن أخي سعد بن أبي وقاص ويلقب بالمرقال لأنه كان يرقل في الحرب كما يرقل الفحل في قيده، ويوم قتل كان علي بن أبي طالب يسير وراءه ويقول له: "يا أعور لا تكن جبانا تقدم" والمرقال يقول:

قد أكثر القوم وما أقلا   أعور يبغي أهله محلا

قد عالج الحياة حتى ملا   لابد أن يَفُل أو يُفَلا

أشلهم بذي الكعوب شلا

مات فوقه[1]. وقطعت أيضا بصفين قدم قيس بن مكشوح وقتل الذي قطعها؛ فقد ذكر الطبري في تاريخه أن قيس بن مكشوح هذا حمل يوما راية بجيلة بصفين وزحف بهم حتى انتهى بهم إلى جماعة عظيمة من أصحاب معاوية رضي الله عنه، فاقتتلوا قتالا شديدا فشد رومي لمعاوية على قيس فضرب قدمه فضرب قيس الرومي حتى قتله؛ فأشرعوا الأسنة إلى قيس حتى قتلوه.

وممن قطعت رجله أيضا وقتل قاتله حكيم[2] بن جبلة بن حصين بن أسود بن كعب، لكن كان ذلك قبل يوم الجمل؛ فقد بعثه عثمان بن حنيف ـ أمير البصرة من طرف علي بن أبي طالب ـ في سبعمائة من عبد القيس وبكر بن وائل فلقي الزبير وطلحة بالزابوقة[3] فقاتلهم قتالا شديدا حتى قطعت رجله فأخذها وضرب بها الذي قطعها فقتله، و لم يزل يقاتل ورجله مقطوعة وهو يقول:

يا نفس لن تراعي رعاك خير راع
إن قطعت كراعي إن معي ذراعي .. الخ.

حتى نزفه الدم فاتكأ على الرجل الذي قطع رجله وهو قتيل، فقال له قائل: من فعل بك هذا؟ قال: وسادتي، ثم قتله سحيم الحدائي.

وقد فعل معاذ بن عمرو بن الجموح يوم بدر لما قطعت يده من العاتق قريبا من هذا. والله أعلم.

ثم قال رحمه الله وعفا عنه:

---

(1) راجع شرح الشيخ حماد للأنساب، ومروج الذهب للمسعودي، والاستيعاب لابن عبد البر.

(2) حكيم بن جبلة هذا هو الذي بعثه عثمان بن عفان إلى السند فنزلها ثم قدم على عثمان فسأله عنها فقال: ماؤها وشل (أي قليل)، ولصها بطل وسهلها جبل، إن كثر الجند بها جاعوا وإن قلوا ضاعوا؛ فلم يوجه عثمان رضي الله عنه إليها أحدا حتى قتل.

(3) الزابوقة: موضع قريب من البصرة كانت فيه وقعة الجمل أول النهار.

وَابْنُ بَشِيرٍ أَوَّلُ الأَنْصَارِ وُلِدَ بَعْدَ مَقْدَمِ الْمُخْتَارِ
بِرَأْسِهِ مِنْ حِمْصَ أُوتِيَ الْوَزَغْ كَذَاكَ خَلَّادُ مِنَ الْحَيِّ بَزَغْ

قوله **وابن بشير** (بالرفع): عطف أيضا على قوله **أرقم** في البيت السابق، والمراد بابن بشير هنا النعمان بن بشير. **وأول الأنصار**: خبر مبتدأ محذوف أي هو أول الأنصار ولد.. إلخ، والجملة صفة لابن بشير. **ومقدم** (بفتح الميم والدال المهملة مخففة): أي قدوم المختار ﷺ المدينة مهاجرا. وقوله **برأسه**: متعلق **بأوت**، والضمير عائد على ابن بشير. **وحمص** (بكسر الحاء): كورة بالشام أهلها يمانيون. **والوزغ**: نائب فاعل **أوتي**، والمراد به مروان بن الحكم. **وخلاد** (بوزن كتان): مبتدأ والمجرور بعده متعلق ببزغ، والجملة خبر عن **خلاد**. **وبزغ** (بالباء الموحدة والزاي والغين المعجمة): أي طلع وظهر. والمراد **بالحي** بنو مالك الأغر، فـ **ال** فيه عهدية. يعني أن من بني الحارث بن الخزرج ثم من بني مالك الأغر منهم النعمان بن بشير وخلاد بن سويد رضي الله عنهما.

ترجمة النعمان بن بشير

أما ابن بشير فهو أبو عبد الله النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة بن الخلاس ـ بوزن غراب ـ بن زيد بن مالك الأغر بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج الخزرجي الحارثي، ولد رضي الله عنه على رأس أربعة عشر شهرا من مقدم النبي ﷺ المدينة مهاجرا وهو أول مولود ولد للأنصار بعد الهجرة. وأول مولود ولد للمهاجرين بالمدينة بعد قدومه صلى الله عليه وسلم عبد الله بن الزبير بن العوام ولد بعد النعمان بستة أشهر، وكان المسلمون قد تحدثوا فيما بينهم بأن اليهود قد سحرتهم؛ وقيل إن اليهود أنفسهم قالوا إنا سحرناهم فلا يولد لهم مولود فكذبهم الله ففرح المسلمون بولادتهما. وأم النعمان بن بشير عمرة بنت رواحة (أخت عبد

ا لله بن رواحة)، روي أنه لما ولد أتت به رسول ا لله ﷺ فحنكه بتمرة فجعل يتلمظ فيها فقال صلى ا لله عليه وسلم: «انظروا إلى حب الأنصار التمر»[1] وتوفي رسول ا لله ﷺ وهو ابن ثمان سنين، روي عنه أنه قال: أهدي إلى رسول ا لله ﷺ عنب من الطائف فدفع لي منه عنقودا وقال: «أبلغه أمك» قال فأكلته قبل أن أبلغه إياها، فلما كان بعد ليال قال لي: «ما فعل العنقود هل بلغته»؟ قلت: لا، قال: فأخذ بأذني وقال لي: «يا غُدَرُ»![2].

وكان رضي ا لله عنه من أفاضل الصحابة، وكان خطيبا كريما جوادا، روي أن أعشى همدان تعرض ليزيد بن معاوية فحرمه، فمر بالنعمان بن بشير - هذا ــ وهو يومئذ على حمص فقال له النعمان: ما أقدمك؟ قال: جئت لتصلني وتحفظ قرابتي وتقضي ديني، فقال النعمان: ما عندي ما أعطيك ولكن معي عشرون ألفا من أهل اليمن إن شئت سألتهم لك فقال: قد شئت، فصعد النعمان المنبر فاجتمع إليه أصحابه فحمد ا لله وأثنى عليه ثم ذكر أعشى همدان وقال: إن ابن عمكم أعشى همدان قد أصابته حاجة ونزلت به جائحة وقد عمد إليكم فما ترون؟ قالوا: ديناراً ديناراً[3]، قال: لا ولكن بين اثنين دينار فقالوا: قد رضينا فقال: إن شئتم عجلتها له من بيت المال من عطائكم وقاصصتكم إذا خرجت عطاياكم، قالوا: نعم، فأعطاه النعمان عشرة آلاف دينار، فقبضها الأعشى وأنشأ يقول:

فلم أر للحاجات عند التماسها كنُعْمانَ نُعْمَانِ النَّدى ابن بشيرِ

---

(1) أخرجه مسلم، ورواه في الجامع الصغير. ويتلمظ: أي يحرك لسانه على شفتيه.

(2) قاله في الاستيعاب، والعنب: ثمر الكرم. والعنقود من العنب: ما تعقد وتراكم من ثمره في أصل واحد. والغدر: الكثير الغدر، يقال في سب الرجل وشتمه يا غدر أي يا غادر.

(3) أصابته حاجة أي فاقة وفقر، والجائحة: المصيبة تحل بالرجل في ماله فتجتاحه كلا. وقوله: دينارا ديناراً أي نرى أن يعطيه كل واحد منا دينارا.

إذا قال أوفى بالمقال ولم يكـــن   كَمُـــدْلٍ إلى الأقوام حبلَ غرور
فلولا أخو الأنصار كنت كنازل   ثوى بفلي لم ينقلـــــــب بنقير
متى أكفر النعمان لم أك شاكـرا   ولا خـير في من لم يكن بشكـور

وكان النعمان شاعرا وكـان مـن المعروفـين بالشعر سلفا وخلفـا؛ أبـوه وجـده شاعران، وعمه وأخوه شاعران، وأولاده شعراء. ومن شعر النعمان قوله:

وإني لأعطي المال من ليس سائلا   وأدرك للمولى المعانـــد بالظلم
وإني متى ما يلقني صـارماً لــــه   فما بيننا عند الشـدائد من صرم
فلا تعدد المولى شريكك في الغنى   ولكنما المولى شريكك في العـدم
إذا مَتَّ[1] ذو قربى إليك برحـمـه   وغشك واستغنى فليس بذي رحم
ولكن ذا القربى الذي يستخفــه   أذاك ومن يرمي العدو الذي ترمي

ومن شعره أيضا:

أهيـــج دمعـك رسم الطلل   عـفا غير مطـــــرد كالخلل[2]
نعم فاستهـــل لعرفانـــه   يســح ويهمي كفيض السبل[3]
ديار الأُلـــــوف وأترابها   وأنت من الحـــب كالمختبل[4]

---

(1) مت (بفتح الميم والتاء مشددة): أي توسل قال:

يمت بقربى الزينبين كليهما   إليك وقــربى خالـد وسعيد

(2) الرسم: الأثر الباقي من الدار بعد أن عفت. والطلل: ما بقي شاخصا من آثارها، قال الشاعر:

رســـم دار وقفت في طلله   كـدت أقضي الحياة من جلله

وعفا: درس. والمطرد: المتتابع. والخلل (بالتحريك): الشيء المضطرب غير المنتظم أي خلا إلا آثارا وبقايا قليلة غير منتظمة.

(3) يسح: يصب ماءه بكثرة وتتابعٍ. ويهمي: يسيل. وفيض: كثرة وغزارة. والسبل (بالتحريك): المطر الهاطل.

(4) المختبل: الفاسد العقل الذاهب الفؤاد.

ليالي تسبي قلــــوب الرجال تحيت الخـــدور بحسن الغزل[1]

من الناهضـــات بأعجازهنْــــ ـــنَ حين يقـــوم جزيل الكفل

كأن الرضـاب وصوب السحا ب بات يشاب بـذوب العسل[2]

من الليـــل خالـــط أنيابهـا بعيـد الكرى واختلاف السلل[3]

ومن شعر أبيه بشير بن سعد قوله:

لعمرة بالبطحـــاء بيت معرف وبين البطاح مسكن ومحاضـــر

لعمــــري لحي بين دار مزاحم وبين الحمى لا يجشم السير حاضر

وحي حلال لا يكمش سيرهم لهم من وراء القاضيات زوافـــر

أحق بها من فتية وركائـــــب يقطع عنها الليل عـــوج ضوامر

تقول وتذري الدمع عن حر وجهها لمالك نفسي قبل نفسي باكـــر

أباح لها بطريـــق فارس غائطا له من ذرى الجولان بقل زواهر[4]

فقربتها للرحــــل وهي كأنها ظليم نعام بالسمـــــاوة نافـــر

وأوردتـــها ماء وما شربت به ســـوى أنه قد بُل منها المشافر

فباتت ســراها ليلة ثم عرست بيثرب والأعــراب باد وحاضر

ومن شعر جده سعد بن ثعلبة:

يا أخـــت آل فراس إنني رجل من معشــــــر لهم في العز بنيان

إن كنت سائلـــة والحق معتبة فالأزد نسبتنا والمــــاء غسان

شم الأنـــوف لهم عز ومكرمة كانت لنا من جبال الطور أركان

---

(1) تحيت: تصغير تحت. والخدور: جمع خدر وهو ستر يمد للمرأة في ناحية البيت، ويقال أيضا لكل ما يواري من بيت ونحوه. والغزل (بالتحريك): الشغف بمحادثة النساء والتودد لهن وذكر محاسنهن.

(2) الرضاب (بالضم): الريق أو الريق المرشوف. وذوب العسل: الخالص منه.

(3) الكرى: النعاس والنوم. واختلاف: تغير. والسلل: الريق.

(4) البطريق: القائد مـن قـواد الـروم جمعـه: بطـارق وبطارقـة، والبطريـك (بالكـاف): رئيـس رؤسـاء الأساقفة على أقطار معينة أو في طائفة من الطوائف المسيحية جمعه: بطاريك وبطاركة.

وقيل الأبيات لحسان كما مر.

ومن شعر عمه الحصين بن سعد:

إذا لم أزر إلا لآكُلَ أُكلَةً فلا رفعت كفي إلي طعامي
فما أكلة إن نلتها بغنيمة ولا جوعة إن جعتها بغرام

ومن شعر أخيه إبراهيم بن بشير:

أشاقتك أظعان الحمول البواكر كنخل الجوابي الشامخات المواقر
نعم فاستدرت عبرة العين لوعة وما أنت عن ذكرى سليمى بصابر
ولم أر سلمى بعد إذ نحن جيرة من الدهر إلا وقفة بالمشاعر[1]
ألا رب ليل قد سريت سواده إلى رجَّح الأكفال غر المحاجر
ليالي يدعوني الصبا فأجيبه أجر إزاري عاصيا أمر زاجري

وأولاد النعمان بن بشير محمد وأبان وشبيب وبشير وإبراهيم وزيد وعبد الله ــ وكان شاعرا ـ ومن بناته حميدة شاعرة ذات لسان سليط، وكانت تهجو أزواجها وكانت تحت الحارث بن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم المخزومي فقالت فيه:

كهول دمشق وشبانها أحب إلينا من الجاليه
صنانهم كصنان التيو س أعيا على المسك والغاليه![2]

فأجابها بقوله:

---

(1) المشاعر: مشاعر الحج أي مناسكه والأعمال التي تتممه، والمراد بها هنا الأماكن التي تؤدى بها تلك المناسك.

(2) الصنان (بضم المهملة): النتن والريح الكريهة. والتيوس: جمع تيس وهو الذكر من المعز والظباء والوعول. والغالية: أخلاط من الطيب.

ساكنات العقيق أشهى إلى نفـــ ـــسيَ مـــن ساكنات دور دمشق
يتضوعن إن تطين بالمســـ ـــك نسيما كأنـــه ريح مرق![1]

فطلقها فتزوجها روح بن زنباع الجذامي فقالت فيه:

بكى الخز من روح وأنكر جلدَه وضج ضجيجا من جذامَ المطارف[2]
وقال العباءُ نحن كنا لباسَهـــم وأكسيـــةٌ كرديـــةٌ وقطائف[3]

فطلقها وقال لها: سلط الله عليك بعلا يشرب الخمر ويقيء في حجـرك، وتزوجت بعده الفيض بن عقيل الثقفي فقالت فيه:

سميت فيضا وما شيء تفيض بـه إلا بسلحك[4] بين الباب والدار
فتلك دعـوة روح الخير أعرفها سقى ثراه حيٌّ الأوطف الساري[5]

ومن بنات النعمان بن بشير هند بنت النعمان، يحكى أن الحجاج بن يوسف تزوجها على الرغم منها، فنظرت يوما في المرآة فأعجبتها نفسها وتأسفت على ما بها فقالت:

وما هند إلا مهرة عربيـــــة سليلـــة أفـــراس تحللها بغْل
فإن ولـــدت مُهراً فلله درُّهـا وإن ولدت بغلاً فجاء به الفحـلُ

فاتفق أن الحجاج كان يستمع إليها، فرجع قبل أن يريها نفســه وأرسـل إليهـا صرة

---

(1) يتضوعن: تنتشر رائحتهن. والمرق بالتحريك: الجلد المنتن.

(2) الخز: الحرير أو نوع منه. وضج: صاح ورفع صوته. وجذام: قبيلة روح. والمطارف: جمع مطرف (بكسر الميم) وضمها وهي أثواب أو أردية من خز مربعة لها أعلام، والتعبير ببكى وأنكر وضج: كلها على الاستعارة.

(3) العباء: كساء مشقوق واسع بلا كمين يلبس فوق الثياب جمعه: أعبية. والأكسية: جمع كساء وهو اللباس. والقطائف: جمع قطيفة كساء له أهداب أو دِثار أو فراش ذو أهداب كأهداب الطنافس.

(4) سلح سلحا: راث والسُّلاح (بالضم): كل ما يخرج من البطن من الفضلات.

(5) الثرى: التراب الندي اللين. والحبي: السحاب الكثيـف الداني مـن الأرض. والأوطـف: السحاب المنهمر. والساري: الذي يأتي ليلا.

فيها عشرة آلاف درهم متعة وطلقها، فقال لها الرسول: يقول لك الحجاج كنت فبنت، فقالت: كُنَّا فما حَمِدنا وبِنّا فما ندمنا! والفلوس لك ببشارتك؛ فذُكِر ذلك لعبد الملك بن مروان فأرسل إليها يخطبها فردت إليه: أما بعد فإن الكلب ولغ في الإناء، فرد عليها قائلا: «إذا ولغ الكلب في إناء أحدكم فليغسله سبعا»[1] فأجابت واشترطت أن يكون الحجاج جمالها[2] إلى دمشق، فكتب إليه عبد الملك فامتثل، فلما وصلوا وخرج عبد الملك مستقبلا لها، رمت دينارا من يدها وقالت: يا جمال.. سقط منا درهم، فقال: ما رأيت إلا دينارا، فقالت: هاته.. فالحمد لله سقط منا درهم فأبدلنا ا لله منه دينارا!.

هذا وكان النعمان بن بشير مع معاوية بن أبي سفيان وشهد معه صفين وولاه اليمن ثم أمره على الكوفة سبعة أشهر ثم ولاه حمص، ثم كان أميرا عليها من طرف يزيد بن معاوية، ثم لمعاوية بن يزيد؛ فلما مات معاوية بن يزيد مال إلى ابن الزبير، فتمالأ مع الضحاك بن قيس فخطب بحمص ودعا الناس إلى بيعة عبد ا لله بن الزبير فخالفه أهل حمص فما لبث أن بلغته وقعة مرج راهط[3] وهزيمة الزبيرية وقتل الضحاك فخرج من حمص هاربا فسار ليلة متحيرا لا يدري أين يأخذ، فاتبعه خالد بن عدي الكلابي فيمن خف معه من أهل حمص فأدركوه بقرية من قراها يقال لها

---

(1) حديث أخرجه مسلم وأبو داوود والنسائي.

(2) الجمال: صاحب الجمال أو قائدها، جمعه: جمالة.

(3) مرج راهط: موضع في الغوطة من دمشق في شرقيها بعد مرج عذراء، وفيه كانت الوقعة الحاسمة بين أنصار ابن الزبير والأمويين فقتل فيها الضحاك وفرَّ زفر بن الحارث الكلابي أحد زعماء الزبيريين وقال قصيدته المشهورة التي منها:

لعمري لقد أبقت وقيعة راهط ... لمروان صدعا بيننا متنائيا

[خزانة الأدب للبغدادي: 3 / 153].

"بيران" فقتلوه واحتزوا رأسه وبعثوا به إلى مروان بن الحكم وكان ذلك سنة خمس وستين. وإلى ذلك أشار الناظم بقوله: **برأسه من حمص أوتي الوزغ.**

وكان والدهُ بشير بن سعد من كبار الصحابة وفضلائهم شهد العقبة وبدرا والمشاهد بعدها وهو أول من بايع أبا بكر الصديق من الأنصار يوم السقيفة واستشهد رضي الله عنه في جيش خالد بن الوليد بعين التمر[1] في خلافة أبي بكر. وللنعمان بن بشير هذا عقب بالأندلس يعرفون ببني عبد السلام.

وأما خلاد فهو ابن سويد بن ثعلبة بن عمرو بن حارثة بن امرئ القيس بن مالك الأغر الخزرجي الحارثي، شهد العقبة الثانية وبدرا وأحدا والخندق وقتل يوم بني قريظة شهيدا، روي أنه ألقت عليه نباتة القرظية (زوجة الحكم القرظي) رحى من أطم من آطام قريظة فشدخته[2] فقال صلى الله عليه وسلم: «إن له أجر شهيدين»[3] فأمر النبي ﷺ بقتلها مع من قتل من بني قريظة؛ و لم يقتل غيرها من النساء.

ومن بني مالك الأغر ـ أيضا ـ عمرو بن عامر بن زيد مناة بن مالك الأغر بن ثعلبة وهو الشاعر المعروف بابن الإطنابة، وهي أمه. حكي أن معاوية رضي الله عنه قال لابنه يزيد: تعلم الشعر فلقد هممت بالفرار بصفين فتذكرت قول ابن الإطنابة:

أبت لي همتي وأبى إبائي ... وأخذي الحمد بالثمن الربيح
وإقدامي على المكروه نفسي ... وضربي هامة البطل المشيح[4]

---

(1) عين التمر: بلدة قريبة من الأنبار وكربلاء غربي الكوفة كانت بها وقعة لخالد بن الوليد على مهرام بن بهرام وعقة بن أبي عقة عام 12 هـ ـ [نهاية الأرب],

(2) آطام قريظة: حصونها واحدها أطم. وشدخته: كسرت رأسه. والرحى: الطاحون.

(3) ذكره في الإصابة.

(4) الهامة: الرأس. والمشيح: الغيور الحازم والحذر في أموره.

وقولي كلما جشأت وجاشت مكانك تحمدي أو تستريحي[1]

لأدفع عن مآثر صالحات وأحمي بعد عن عرض صحيح

ومن بطون بني الخزرج بن الحارث بن الخزرج بنو عدي بن كعب وبنو عامر بن ثعلبة الذين تقدمت الإشارة إليهم. فمن بني عدي بن كعب أبو الدرداء عويمر بن يزيد بن قيس بن عبسة بن أمية بن مالك بن عامر بن عدي بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج، اختلف في شهوده أحدا، وشهد ما بعده. وكان حليما عاقلا وفقيها عالما عاملا، روي عن أبي ذر قال: ما أقلت الغبراء ولا أظلت الخضراء أعلم من أبي الدرداء[2]، وقال معاذ بن جبل: التمسوا العلم عند أبي الدرداء فإنه من الذين أوتوا العلم، وكان ابن عمر يقول: حدثونا عن العاملين العاملين: معاذ وأبي الدرداء، قيل ولاه عمر القضاء بدمشق، وتوفي في خلافة عثمان، في نيف وثلاثين؛ وقبره بدمشق في مقبرة الشهداء يزار. [قاله في الاستبصار].

ومنهم أيضا محمود بن الربيع بن سراقة بن عمرو بن زيد بن عبدة بن عامر بن عدي بن كعب، معدود في أهل المدينة توفي سنة تسع وتسعين؛ عقل عن النبي ﷺ مجّة مجّها في بئرهم وحفظ ذلك عنه وهو ابن أربع أو خمس سنين[3].

ومنهم أيضا عتبة بن عمرو بن جروة بن عدي بن عامر بن عدي بن كعب، شهد أحدا ومات عن غير عقب.

---

(1) جشأت نفسه (كمنع): جاشت من حزن أو فزع وثارت للقيء. ومكانك بالنصب بتقدير الزمي.

(2) أقلت: أي حملت. والغبراء: الأرض لغبرة لونها. والخضراء: السماء للونها الأخضر، يقال: "ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء مثل فلان" أي ما أظلت السماء ولا حملت الأرض مثله.

(3) روي عنه أنه قال: ما أنسى مجّة مجّها رسول الله صلى الله عليه وسلم من بئر في دارنا في وجهي وأنا ابن خمس سنين. وفي رواية: مجة مجها في وجهي من دلو معلق في بئرنا - أو من دلو من بئرنا - [الاستيعاب والإصابة].

هذا وقد كان بنو عدي بن كعب وبنو عامر بن ثعلبة بن كعب هؤلاء جميعا مع غسان بالشام إلا رجلين من بني عدي بن كعب كانا بالمدينة وهما: أبو الدرداء وابنه بلال بن أبي الدرداء رضي الله عنهما.

ثم أشار الناظم رحمه الله إلى بطنين من بطون بني الحارث وهما بنو جشم وبنو عوف ابني الحارث بن الخزرج ، فقال رحمه الله وعفا عنه:

وَلِبَنِي الْحَارِثِ أَيْضًا يُنْسَبُ خُبَيْبُ الْمُوَشَّحُ الْمُهَذَّبُ

نَجْلُ إِسَافٍ وَبَنُو خُدَارَهْ وَخُدْرَةَ الأَبْجَرِ أَهْلُ الشَّارَهْ

هُنَا انْتَهَى الْحَارِثُ .. ..

قوله **خبيب** (بوزن زبير): نائب فاعل ينسب. **والموشح** (بالحاء المهملة كمعظم): الذي ألبس الوشاح، والوشاح (بضم الواو وبكسرها): شبه قلادة من نسيج عريض يرصع بالجوهر تشده المرأة بين عاتقها وكشحيها؛ والمراد به هنا أثر السيف الذي كان بخبيب من ضربة أصيب بها يوم بدر فبقي به أثرها بعد. **والمهذب** (بوزن معظم أيضا): المطهر الأخلاق النقي من العيوب. **والموشح والمهذب** صفتان لخبيب. **ونجل إساف** (بكسر الهمزة وتبدل ياء): صفة له أيضا. قوله **وبنو خدارة** (بضم الخاء المعجمة بوزن ثمامة): عطف على خبيب. **وخدرة** (كعمرة): عطف على خدارة. **والأبجر** (بالجر): بدل من **خدرة**. **وأهل الشارة** (بالرفع): صفة لبنو **خدارة وخدرة**. **والشارة**: الحسن والجمال والزينة في الهيئة واللباس، وإنما وصفهم بذلك لشرفهم وكثرة من فيهم من أعيان الصحابة.

يعني أن من بني الحارث بن الخزرج أيضا بني جشم بن الحارث الذين منهم خبيب بن إساف، وبني عوف بن الحارث الذين منهم بنو خدرة الأبجر وبنو خدارة ابني عوف بن الحارث بن الخزرج.

أما بنو جشم فهم بنو جشم بن الحارث بن الخزرج، وذكر من أعيانهم خبيبا بن إساف (قاتل أمية بن خلف يوم بدر) وهو خبيب بن إساف بن عتبة بن عمرو بن خديج بن عامر بن جشم بن الحارث بن الخزرج الأنصاري الخزرجي، شهد بدرا والمشاهد بعدها مع رسول الله ﷺ، وكان قد تأخر إسلامه حتى خرج النبي صلى الله عليه وسلم إلى بدر فلحق به في الطريق وأسلم وشهد معه بدرا، روي أنه ضربه أمية بن خلف الجمحي يومئذ على عاتقه فمال شقه ثم ضرب هو أمية حتى مات، وجاء خبيب إلى رسول الله ﷺ فتفل له على عاتقه فبرئ. فاتفق أن تزوج بعد ذلك ببنت أمية بن خلف هذا فكانت إذا رأت أثر الضربة به قالت مازحة: لا عدمت رجلا وشحك هذا الوشاح، فيَقول لها: لا عدمت رجلا عجل أباك على النار. وتزوج خبيب هذا أيضا بحبيبة بنت خارجة بن زيد بن أبي زهير بعد أن توفي عنها أبو بكر الصديق رضي الله عنه - كما مر - ومات خبيب بن إساف هذا في خلافة عمر، وقيل في خلافة عثمان رضي الله عنهم.

ومن بني جشم أيضا أخواه: خالد وكليب ابنا إساف بن عتبة، شهد خالد منهما أحدا وما بعدها واستشهد بالقادسية، وقيل بالجسر، وشهد كليب أحدا. ومنهم أبو زغبة عامر بن كعب بن عامر بن خديج بن عامر بن جشم بن الحارث الشاعر، شهد أحدا.

ومن بطون بني الحارث أيضا بنو زيد مناة بن الحارث بن الخزرج إخوة بني جشم المذكورين ويقال لهما "التوأمان"؛ منهم عبد الله بن زيد بن عبد الله بن ثعلبة بن زيد مناة بن الحارث الخزرجي الحارثي صاحب الأذان الذي أريه في المنام. شهد رضي الله عنه العقبة وبدرا والمشاهد بعدها وكان بيده راية بني الحارث يوم الفتح وتوفي سنة اثنتين وثلاثين بالمدينة، وصلى عليه عثمان. وأخوه حريث بن زيد شهد بدرا وأحدا. ومنهم أيضا سهل بن رافع بن بشير بن عمرو بن الحارث بن كعب بن

زيد مناة بن الحارث، زوج الفارعة[1] بنت مالك بن سنان أخت أبي سعيد الخدري، قتل عنها في طلب أعبد له أبِقُوا منه فقتلوه.

أما البطن الرابع من بني الحارث بن الخزرج فهو بنو عوف بن الحارث؛ ومنهم بنو خدرة الأبجر وبنو خدارة ابنا عوف بن الحارث بن الخزرج، وذكرهم الناظم و لم يذكر أحدا من أعيانهم.

أما بنو خُدارَة فمنهم أبو مسعود عقبة بن عمرو بن ثعلبة بن أَسِيرة بن عطية بن خدارة بن عوف البدري شهد العقبة وبدرا والمشاهد بعدها، وقيل لم يشهد بدرا وإنما نزله وسكن به فعرف بالبدري لذلك. وهو الذي قال له رسول الله ﷺ وهو يضرب غلامه: «اعف أبا مسعود»[2]. ولاه علي بن أبي طالب على الكوفة حين سار إلى صفين وكان يستخلفه على ضعفة الناس فيصلي بهم العيد في المجلس. ومنهم أيضا تميم بن يُعار بن قيس بن عدي بن أمية بن خدارة، شهد بدرا وأحدا.

وأما بنو خدرة الأبجر فمنهم أبو سعيد الخدري سعد بن مالك بن سنان بن عبيد بن ثعلبة بن عبيد بن الأبجر (وهو خدرة) بن عوف بن الحارث، أمه أنيسة بنت أبي خارجة النجارية (أخو قتادة بن النعمان الظفري لأمه). كان رضي الله عنه من الحفاظ المكثرين من الحديث حتى عُد سابعا للستة المشهورين - الذين تقدم ذكرهم في ترجمة ابن عباس - وحفظ عن رسول الله ﷺ علما جما وكان من نجباء الأنصار وفقهاء الصحابة ومن أهل بيعة الرضوان، وغزا مع النبي ﷺ اثنتي عشرة غزوة أولها الخندق؛ واختلف في تاريخ وفاته فقيل توفي سنة أربع وسبعين وقيل ثلاث وستين، وقيل غير ذلك واستشهد أبوه مالك بن سنان يوم أحد رضي الله عنهما. وأخته

---

(1) ويقال لها أيضا الفُريعة (بصيغة التصغير).

(2) أخرجه مسلم والترمذي وأبو داوود وأحمد.

الفارعة ـ أو الفريعة ـ بنت مالك بن سنان شهدت بيعة الرضوان وروت عن النبي ﷺ في سكنى المتوفى عنها زوجها فأخذ به العلماء[1].

ومن بني خُدرة أيضا سعد بن سويد بن عبيد بن ثعلبة بن عبيد بن خدرة، شهد بدرا وأحدا واستشهد به. ومنهم أيضا عتبة بن الربيع بن رافع بن معاوية بن عبيد بن ثعلبة بن عبيد بن خدرة، استشهد بأحد أيضا. ومنهم كبشة بنت رافع بن معاوية بن عبيد، أم سعد بن معاذ الأنصاري الأشهلي.

ولما أنهى الكلام على بني الحارث كما قال: **هنا انتهى الحارث**.. شرع في الكلام على أخيه كعب بن الخزرج واقتصر من بطونه على بني ساعدة بن كعب؛ فقال رحمه الله:

(1) المتوفى عنها زوجها تبقى في بيتها حتى يبلغ الكتاب أجله أي حتى تحل. [النسائي].

بنو كعب بن الخزرج*

... . أَمَّا كَعْبُ فَمِنْهُ عَالِي الْكَعْبِ نِعْمَ الْكَعْبُ

سَاعِدَةُ بْنُ كَعْبٍ بْنِ الْخَـزْرَجِ أَهْـلُ السَّقِيفَةِ قَبِيلُ الأَبْلَجِ

قَيْسِ بْنِ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ السَّرِي ذِي الطَّوْلِ وَالطُّولِ وَطِيبِ الْعُنْصُرِ

يَخُـصُّ سَعْدُ كُلَّ يَوْمٍ أَحْمَدَا بِجَفْنَـةٍ تَـرَدَّدَهَا وَجَـوَّدَا

قوله **كعب** مبتدأ. **وعالي الكعب**: مبتدأ خبره الجار والمجرور قبله، والجملة خبر كعب. **والعالي**: المرتفع. **والكعب**: الشرف والمجد ، يقال "أعلى الله كعبهم" أي رفع شأنهم، ورجل عالي الكعب موصوف بالشرف والظفر. وقوله **نعم الكعب**: **نعم**: فعل غير متصرف لإنشاء المدح ، **والكعب**: فاعله؛ والجملة للمبالغة في المدح. وقوله **ساعدة بن كعب** (بالرفع): بدل من عالي الكعب، والمراد بساعدة هنا بنوه[1] ولذا وصفهم **بأهل** **وقبيل** وهما جمعٌ معنىً. **والسقيفة** (كسفينة): دار لبني ساعدة في المدينة بمنزلة دار الندوة لقريش في مكة وتعرف بسقيفة بني ساعدة، وهي التي اجتمعت فيها الأنصار بعد وفاة رسول الله ﷺ ليبايعوا سعد بن عبادة. **والأبلج** (بالباء الموحدة): الأبيض الحسن الواسع الوجه. وقوله **قيس بن سعد** (بالجر): بدل

---

* من أهم بطون بني كعب بن الخزرج هذا بطن بني ساعدة بن كعب وقد تفرعت منه عدة أفخاذ منها: بنو طريف وبنو عمرو وبنو ثعلبة بني الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج، واقتصر الناظم على هذا البطن دون غيره وتناول الكلام عليه في نحو سبعة أبيات وأشار إلى أفخاذه الثلاثة المذكورة بذكر بعض أفرادها وذكر من أعيانهم أربعة رجال.

(1) ساعدة اسم من أسماء الأسد. [قاله البدر العيني].

من الأبلج. **والسري**: السيد الشريف السخي. **والطول** (بفتح الطاء المهملة): الفضل والغنى واليسر. وقوله **والطول** (بضم الطاء): ضد القصر. وقوله **وطيب العنصر**: أي كرمه وجودته، والعنصر (كقنفذ): الأصل؛ وكلها بالجر صفات لقيس بن سعد.

يقول ومن كعب بن الخزرج بنو ساعدة بن كعب أهل السقيفة، بطن قيس بن سعد بن عبادة المعروف بكرم الأصل وبالجود والجمال.

قيس بن سعد بن عبادة وذكر بعض جوده

هذا وقد اقتصر الناظم هنا على أهم بطون بني كعب بن الخزرج وهو بطن بني ساعدة بن كعب، وقد تفرع بطن بني ساعدة هذا إلى عدة أفخاذ منهم: بنو طريف وبنو عمرو وبنو ثعلبة بني الخزرج بن ساعدة؛ فمن بني طريف سعد بن عبادة وابنه قيس المذكوران. أما قيس فهو أبو الفضل قيس بن سعد بن عبادة بن دليم بن حارثة بن أبي خزيمة بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج الخزرجي الساعدي، أمه فكيهة بنت عبيد بن دليم. كان من سادات قومه ومن بيت سيادتهم بل كان شريفهم غير مدافع وكذلك كان أبوه سعد وجده عبادة، بل وجد أبيه دليم. يقال إنه لم يكن في الأوس والخزرج أربعة مطعمون متتالون في بيت واحد إلا قيس بن سعد بن عبادة بن دليم؛ ولا كان مثل ذلك في سائر العرب أيضا إلا هؤلاء وآل صفوان بن أمية.

فكان لدليم أطم[1] ينادي عليه مناديه يوما كل عام: من أراد الشحم واللحم

---

(1) الأطم: الحصن وهو اسم مأخوذ من ائتطم إذا ارتفع وعلا، وأطم المدينة سطوح بها، ولآطام المدينة أسماء منها: الزوراء أطم بني الجلاح ومعرض أطم بني ساعدة وفيه يقول الشاعر:

ونحن دفعنا عن بُضاعَةَ كلها   ونحن بنينا معرضا فهو مشرف

<<=

فليأت دار دليم، فمات دليم فنادى منادي عبادة بمثل ذلك، ثم مات عبادة فنادى منادي سعد بمثل ذلك، فلما مات سعد نادى منادي قيس بمثل ذلك. وكان دليم يهدي إلى مناة كل عام عشر بدنات، ثم كان عبادة يفعل ذلك، ثم كان سعد يهديها كذلك إلى أن أسلم، ثم أهداها قيس إلى الكعبة.

وأما آل صفوان بن أمية فقد كانوا خمسة مطعمين متتابعين وهم: عمرو بن عبد الله بن صفوان بن أمية بن خلف القرشيون الجمحيون. أطعم خلف ثم أمية ثم صفوان ثم عبد الله[1] ثم عمرو، فقيل لم يجتمع لقوم أن يكون منهم مطعمون خمسة إلا لعمرو بن عبد الله بن صفوان بن أمية بن خلف، وتوفي صفوان في خلافة معاوية، فقال معاوية: من يطعم بمكة؟ فقالوا: عبد الله بن صفوان، فقال: بخ بخ تلك نار لا تطفأ.

هذا وقد شهد قيس بن سعد بن عبادة جميع المشاهد مع النبي ﷺ وكان منه مكان صاحب الشرطة من الأمير، وكان من الدهاة وأهل الرأي والمكيدة في الحرب

فأصبح معمورا طويلا قذاله وتخـــرب آطام بها وتقصف

وبضاعة: أرض بني ساعدة وإليها تنسب بير بضاعة. ومن آطام المدينة راتج والأبيض وعاصم والرعل وكان لحضير بن سماك، ومنها: فارع وهو لبني حديلة والأحبش وكان بقباء والحميم والنواحان وهما لبني أنيف.. وغيرها.

(1) قتل عبد الله بن صفوان هذا بمكة مع عبد الله بن الزبير، ومات صفوان بن أمية بمكة أيضا سنة اثنتين وأربعين - أول خلافة معاوية - وقيل توفي مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه، وقتل أمية بن خلف يوم بدر كافرا، وكان صفوان بن أمية أحد أشراف قريش في الجاهلية وكان يقال له: "سداد البطحاء" أعطاه النبي صلى الله عليه وسلم الأمان يوم الفتح وسار معه إلى حنين واستعار منه رسول الله صلى الله عليه وسلم سلاحا وشهد حنينا كافرا، وأعطاه النبي صلى الله عليه وسلم من غنائم حنين عطايا كثيرة، فقال صفوان: والله ما طابت بهذا إلا نفس نبي؛ فأسلم وحسن إسلامهُ، وكان أحد المطعمين بمكة.

مع النجدة والبسالة، وأعطاه النبي ﷺ الراية يوم الفتح حين نزعها من أبيه سعد لشكوى قريش منه يومئذ. وخدم النبي صلى الله عليه وسلم عشر سنين وكان من جلة الصحابة وفضلائهم، واشتهر بالكرم والسخاء حتى ضرب المثل بجوده، وله في الكرم حكايات مشهورة منها أنه كان مرة في سرية[1] فجاع أهلها فاشترى لهم جزرا ونحرها لهم، فلما قدموا ذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «إن الجود من شيمة أهل ذلك البيت»[2]، وجاءه يوما عمر وأبو عبيدة وقالا له: عزمنا عليك أن لا تنحر، فلم يلتفت إلى ذلك ونحر لهما فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: «إنه من بيت جود»[3] وجاءته يوما امرأة تشكو إليه الفاقة فقالت: إن جرذان[4] بيتي مشت على

---

(1) هي سرية الخبط، والخبط ورق الشجر. كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعث أبا عبيدة بن الجراح في ثلاثمائة راكب من المهاجرين والأنصار فيهم عمر بن الخطاب وقيس بن سعد بن عبادة يطلبون عيرا لقريش في أرض جهينة في رجب سنة ثمان بعد نقض قريش للعهد وقبل الفتح وزودهم صلى الله عليه وسلم جرابا من التمر، فلما أشرف على النفاد جعل الرجل منهم يأكل تمرة تمرة، ولما نفد أكلوا الخبط (أي ورق الشجر) حتى تقرحت أشداقهم، فابتاع قيس بن سعد بن عبادة خمس جُزُرٍ فنحرها لهم. ثم رفع لهم على ساحل البحر مثل الكثيب الضخم فأتوه فإذا دابة من دواب البحر تدعى العنبر فأكلوا منها وأقاموا عليها نحو نصف شهر حتى صحت أجسامهم وسمنوا، روي أنهم اغترفوا قلال الدهن من وقب عيْنها وأخذوا ضلعا من أضلاعها وأقاموها وأخذوا أعظم بعير معهم وأطول رجل منهم فركب وجاز من تحتها لم ينحن وأقعدوا ثلاثة عشر رجلا في وقب عينها، ثم تزودوا من لحمها حتى قدموا المدينة فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «هو رزق أخرجه الله لكم فهل معكم منه شيء فتطعمونا»؟ فأرسلوا إليه منه فأكله، ورجعوا من هذه السرية و لم يلقوا كيدا.

(2) قاله في الاستيعاب.

(3) رواه في الاستيعاب وذكره الواقدي في مغازيه ومختصر تاريخ دمشق.

(4) الفاقة: الحاجة والفقر. الجرذان (بكسر فسكون): جمع جرذ (بضم ففتح): نوع من الفأر يقال: "تفرقت جرذان بيته" أي قل الطعام عنده وافتقر.

العِصِيّ، فقال: لأدعهن تثب وثوب الأسد، فملأ بيتها طعاما وودكا. وشكت له أخرى قلة الجرذان فقال: ما أحسن هذه الكناية املؤوا بيتها خبزا ولحما وتمرا وسمنا. واستقرضه رجل ثلاثين ألف درهم فأقرضه إياها، فلما ردها الرجل إليه أبى أن يقبلها وقال: إنا لا نعود في شيء أعطيناه. وكانت له صحفة[1] يدار بها حيث دار وينادي مناديه هلموا إلى اللحم والثريد. ويحكى أن أباه سعد بن عبادة لما أراد الخروج من المدينة قسم ماله بين أولاده، وتوفي عن حمل لم يعلم به، فلما ولد كلم عمر وبعض الصحابة قيسا في نقض ما صنع أبوه من القسمة، فقال قيس: نصيبي للمولود ولا أغير ما صنع أبي ولا أنقضه!. ومما يحكى من جوده أنه كانت له ديون كثيرة على الناس فلما مرض استبطأ عواده فقيل له إنهم يستحيون من أجل دينك فأمر مناديا ينادي: من كان لقيس بن سعد عليه دين فهو له، فأقبل عليه الناس حتى تهدمت درجة كانوا يصعدون عليها إليه. وكان رضي الله عنه صخما جميلا إلا أنه لم يكن في وجهه ولا لحيته شعرة، وقد روي أن الأنصار كانت تقول: وددنا أن نشتري لقيس بن سعد لحية بأموالنا، (وكذلك كان ابن الزبير وشريح القاضي).

وكان قيس طويلا مديد القامة يضرب به المثل في الطول. وقد قيل أدرك الإسلام عشرة رجال كلهم عشرة أشبار: قيس بن سعد هذا، وعبادة بن الصامت وجرير بن عبد الله البجلي وسعد بن معاذ وعدي بن حاتم وعمرو بن معدي كرب والأشعث بن قيس ولبيد بن ربيعة وأبو زيد الطائي وعامر بن الطفيل. وإلى طول قيس وكرمه وجوده أشار الناظم بقوله: **ذي الطول والطول وطيب العنصر**.

وكان قيْس بن سعد هذا غاية في العبادة والزهد وكان مع علي بن أبي طالب ــ

---

(1) الصحفة (بتقديم الحاء المهملة على الفاء): إناء من آنية الطعام جمعه صحاف. [المعجم الوسيط].

هو وقومه ـ شهد معه الجمل وصفين والنهروان، وروي أنه قال: لولا الإسلام لمكرت مكراً لا تطيقه العرب، وهو القائل:

هذا اللواء الذي كنا نحف بـه ... مـع النبي، وجبريل لنا مـددُ
ما ضر من كانت الأنصار عيبته ... أن لا يكون له مـن غيرها أحد
قوم إذا حاربوا طالت أكفهـم ... بالمشرفية حتى يفتـح البلد

وولاه عليٌّ على مصر فضاق به معاوية ذرعا وأعجزته فيه الحيلة فكايد فيه عليا ففطن بمكيدته فلم ينخدع به، فاحتال على أصحاب علي من أهل الكوفة فلم يزالوا بعلي حتى عزله وولى مكانه محمد بن أبي بكر ففسدت عليه مصر فارتحل قيس إلى علي و لم يفارقه حتى قتل، فكان بعده مع الحسن حتى أجمع على التخلي عن الخلافة لمعاوية؛ عند ذلك أخذ قيس لقومه الأمان من معاوية على حكمهم، والتزم له معاوية الوفاء بما اشترط عليه، وعاد قيس إلى المدينة واشتغل بالعبادة حتى توفي سنة ستين وقيل تسع وخمسين في آخر خلافة معاوية رضي الله عنهما.

قوله : يخص سعد: هو سعد بن عبادة، والد قيس المذكور. **والجفنة**: القصعة الكبيرة، جمعها جفان وجفنات. **وثردها**: جعل فيها الثريد. **وجَوَّدا**: أي أتقن صنعتها وجعلها جيدة.

أما سعد هذا فهو أبو قيس سعد بن عبادة بن دليم نقيب بني ساعدة وسيد الخزرج الجواد المشهور، وقد مر بعض التعريف به في النقباء؛ ومن جوده أنه كانت له جفنة عظيمة يبعث بها كل يوم إلى رسول الله ﷺ منذ قدم المدينة وكانت قصعة كبيرة مملوءة ثريدا ولحما ـ كما في أسد الغابة ـ وكانت تدور معه صلى الله عليه وسلم في بيوت أزواجه، قال في الخميس: كانت لرسول الله ﷺ من سعد بن عبادة جفنة من ثريد في كل يوم تدور معه أينما دار من نسائه. ولعل الناظم رحمه الله عقد نص كلامه. وكان صلى الله عليه وسلم إذا خطب امرأة قال: «اذكروا لها

جفنة سعد بن عبادة»»، وخطب امرأة فقال لها: «لك كذا وكذا وجفنة سعد بن عبادة تدور معي إليك كلما درت». [قاله في كشف الغمة].

وكان سعد بن عبادة يقول: اللهم هب لي حمدا وهب لي مجدا فإنه لا مجد إلا بالفعال ولا فعال إلا بالمال اللهم إنه لا يصلحني القليل ولا أصلح عليه. وأم سعد بن عبادة هذا عمرة بنت مسعود، من المبايعات، توفيت في السنة الخامسة من الهجرة ورسول الله ﷺ إذ ذاك في غزوة دومة الجندل؛ فلما قدم صلى على قبرها فجاء سعد إلى رسول الله ﷺ وقال: يا رسول الله إن أمي افتلتت ـ يعني أنها ماتت فجأة ـ وأظنها لو تكلمت لتصدقت أفأتصدق عنها؟ قال: «نعم»، قال: أي الصدقة أفضل؟ قال: «الماء». فحفر سعد بئرا وقال هذه لأمي. ومناقب سعد وابنه قيس وشمائلهما الكريمة لا تحصى.

ثم أخذ في ذكر بعض أعيان الفخذين الآخرين: بني عمرو وبني ثعلبة ابني الخزرج بن ساعدة، فقال رحمه الله:

سَهْلُ بْنُ سَعْدٍ الْمُبِيرُ امْتَهَنَهْ ... بِالْوَسْمِ بِالنَّارِ وَعَنْهُ نَهْنَهَهْ

عَبْدُ الْمَلِيكِ وَكَذَاكَ فَعَلاَ ... بِأَنَسٍ وَجَابِرٍ خَيْرِ الْمَلاَ

أَبُو دُجَانَةَ الشُّجَاعُ الْمُنْتَخَبْ ... مِنْ قَيْلَةٍ أَحَدُ فُرْسَانِ الْعَرَبْ

قوله **سهل بن سعد**: مبتدأ خبره محذوف أي ومن بني ساعدة بن كعب أيضا سهل بن سعد. والمراد **بالمبير** الحجاج بن يوسف الثقفي. **وامتهنه**: احتقره وابتذله، والضمير البارز عائد على **سهل** والمستتر عائد على **المبير**. **والوسم**: أثر الكي بالنار. **ونهنهه**: كفه ونهاه، وفاعله **عبد المليك**، وهو عبد الملك بن مروان. **وفعلا**: ألفه للإطلاق وفاعله ضمير مستتر عائد على المبير. **وخير الملا**: صفة **لجابر**. **والملأ**: الجماعة.

يعني أن من بني ساعدة بن كعب بن الخزرج ثم من بني عمرو بن الخزرج بن ساعدة منهم: سهل بن سعد بن مالك الذي امتهنه الحجاج بن يوسف بالوسم بالنار في عنقه كما فعل بأنس بن مالك، خادم رسول الله ﷺ، وجابر بن عبد الله (الصحابة الأجلاء رضي الله عنهم)!.

أما سهل فهو أبو العباس سهل بن سعد بن مالك بن خالد بن ثعلبة بن حارثة بن عمرو بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج الخزرجي الساعدي. كان رضي الله عنه من مشاهير الصحابة، توفي رسول الله ﷺ وهو ابن خمس عشرة سنة؛ يقال كان اسمه حزنا فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم سهلا، وكان آخر من بقي من الصحابة بالمدينة وكان يقول: لو مت لم تسمعوا أحدا يقول: قال رسول الله ﷺ، واختلف في سنة وفاته فقيل ثمان وثمانين ـ وقيل إحدى وتسعين ـ وهو ابن ست وتسعين سنة، وقيل ابن مائة سنة. روي أن الحجاج بن يوسف الثقفي أرسل إليه سنة أربع وسبعين فقال له: ما منعك من نصرة أمير المؤمنين عثمان؟ قال: قد فعلت، قال: كذبت، ثم أمر به فختم في عنقه بالنار، وختم أيضا في عنق أنس بن مالك وختم في يد جابر بن عبد الله؛ يريد بذلك إذلالهم وأن يجتنبهم الناس فلا يسمعوا منهم. فكتب إليه **عبد الملك** بن مروان أن يتجنبهم وهدده. وكان سعد بن مالك ـ والد سهل هذا ـ قد تجهز للخروج إلى بدر فمات فضرب له النبي ﷺ بسهمه وأجره ـ [كما في الاستبصار والحلة السيراء].

ومن بني عمرو بن الخزرج بن ساعدة أيضا أبو أسيد الساعدي وهو مالك بن ربيعة بن البدن بن عامر بن عوف بن حارثة بن عمرو بن الخزرج بن ساعدة الخزرجي الساعدي، كان آخر من مات من البدريين، توفي بالمدينة سنة ستين ـ وقيل اثنتين وستين وقيل ثلاث وستين ـ وهو ابن خمس وتسعين ـ وقيل ثمان وتسعين ـ سنة، وكف بصره في آخر عمره وروي عن سهل بن سعد قال: قال لي أبو أسيد

الساعدي بعد ما كف بصره: يا ابن أخي لو كنـــت الآن ببدر وأطلق لي بصري لأريتك الشعب الذي خرجت علينا منه الملائكة بلا شك ولا تمار، وشهد أبو أسيد هذا المشاهد كلها مع النبي ﷺ. وأما أنس بن مالك وجابر بن عبد الله فقد مر التعريف بهما.

التعريف بأبي دجانة

قوله: **أبو دجانة** (كثمامة): مبتدأ خبره محذوف أي ومن بني ساعدة بن كعب أيضا أبو دجانة **الشجاع** أي البطل، **والمنتخب من قيلة**: أي المختار منهم، **وقيلة**: اسم الأنصار في الجاهلية ــ كما مر.

يقول ومن بني ساعدة ثم من بني ثعلبة بن الخزرج بن ساعدة منهم: أبو دجانة، أحد فضلاء الأنصار وأبطال العرب؛ واسم أبي دجانة سماك بن أوس بن خرشة بن لوذان بن عبد ود بن زيد بن ثعلبة بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج الخزرجي الساعدي، اشتهر بكنيته؛ كان من كبار الأنصار وشجعائهم وفرسان العرب المشهورين له مقامات محمودة في مغازي رسول الله ﷺ، شهد بدرا وسائر المشاهد مع النبي ﷺ وكانت عليه يوم بدر عصابة حمراء كان معروفا بها يعلم بها نفسه يوم الزحف، وكان إذا أخرجها تقول الأنصار: أخرج أبو دجانة عصابة الموت؛ قيل كان مكتوبا في أحد طرفيها ﴿ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ﴾[1] وفي طرفها الآخر "الجبانـــة في الحرب عار ومن فر لم ينج من النار"، وكان في إحدى صفحتي سيفه:

في الجبن عار وفي الإقدام مكرمة   والمـــــرء بالجبن لا ينجو من القدر

(1) الصف: الآية: 13.

روي أن أمية بن خلف الجمحي لما استأسر لعبد الرحمن بن عوف وأحس بالأمن جعل يسأله عن بعض أبطال المسلمين ثم قال له: من علج[1] منكم معلم بعصابة حمراء في رأسه؟ قال: ذاك رجل من أنصار الله يقال له سماك بن خرشة، فقال أمية: بذاك يا عبد الرحمن صرنا لكم اليوم جَزَرًا[2]. وشهد أبو دجانة أحدا وثبت مع رسول الله ﷺ وبايعه على الموت وترس بنفسه دونه صلى الله عليه وسلم فكان يقع النبل في ظهره وهو منحن عليه وكان رسول الله ﷺ قد أخذ يومئذ سيفا وقال: «من يأخذ هذا السيف»، فتبادروا كلهم يقول: أنا أنا، فقال: «من يأخذه بحقه»[3] فأحجم الناس، فقال أبو دجانة: وما حقه يا رسول الله؟ فقال: «أن تضرب به في وجوه العدو حتى ينحني»، فقال: أنا آخذه بحقه يا رسول الله، فدفعه له. وروي عن الزبير ـ وكان ممن منعه النبي ﷺ ذلك السيف ـ قال: وجدت في نفسي وقلت أنا ابن عمته صفية ومن قريش وسألته إياه فمنعنيه وأعطاه أبا دجانة وتركني والله لأنظرن ما يصنع؛ فخرج وهو يقول:

أنا الذي عاهدني خليلي[4] ونحن بالسفح لدى النخيل

---

(1) العلج (بكسر فسكون): كل جاف شديد من الرجال، وبكسر اللام: الشديد من الرجال الكثير الصرع لأقرانه.

(2) جزرا: جمع جزور للناقة المجزورة أي المنحورة، وتجزَّروهم واجتزروهم في القتال: تركوهم جزَرًا للسباع، أي قتلوهم في الفلا.

(3) أخرجه مسلم وأحمد وابن سعد في طبقاته.

(4) خليلي: يعني به رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أبو هريرة يقول: حدثني خليلي، وأنكر هذا بعضهم لقوله عليه الصلاة والسلام: «لو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليل»، ولكن لأخوة الإسلام وليس في هذا الحديث ما يدفع أن يقول الصحابي حدثني خليلي لأنهم يريدون به معنى الحبيب وإنما فيه أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن يقولها لأحد من أصحابه ولا خص بها أحدا دون أن يمنع غيره من أصحابه أن يقولها له ـ [الروض الأنف].

أن لا أقوم الدهر في الكيول[1]   أضرب بسيف الله والرسـول

فجعل لا يلقى أحدا إلا قتله وكان في المشركين رجل لا يدع لنا جريحا إلا ذفف[2] عليه، فجعل كل واحد منهما يدنو من صاحبه فدعوت الله أن يجمع بينهما فالتقيا فاختلفا ضربتين فضرب المشرك أبا دجانة فاتقاه بدَرَقته[3] فعضت بسيفه فضربه أبو دجانة فقتله، قال الزبير: فقلت الله ورسوله أعلم، ولم يزل أبو دجانة يفلق به هام المشركين حتى انحنى وتكسر في يده رضي الله عنه.

ثم خرج في جيش خالد بن الوليد لقتال مسيلمة ورمى بنفسه في الحديقة يومئذ فانكسرت رجله فقاتل حتى قتل يومئذ، وروي أنه شارك عبد الله بن زيد ووحشيا في قتل مسيلمة الكذاب ـ كما مر ـ وقيل إن أبا دجانة عاش إلى أن شهد صفين مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

ومن بني ثعلبة بن الخزرج بن ساعدة أيضا المعنق ليموت وهو المنذر بن عمرو بن خنيس بن حارثة بن لوذان بن عبد ود بن زيد بن ثعلبة بن الخزرج بن ساعدة بن كعب الخزرجي الساعدي، شهد العقبة وبدرا وأحدا. وكان يكتب العربية في الجاهلية، بعثه النبي ﷺ أميرا على بعث بير معونة إلى أهل نجد فقتلهم عامر بن الطفيل ـ كما مر. ومنهم أيضا مسلمة بن مخلد بن الصامت بن نيار بن لوذان بن عبد ود بن زيد بن ثعلبة، أمه مندوس بنت عمرو (أخت المعنق المذكور)، قتل أبوه مخلد يوم بعاث ومات النبي ﷺ وهو ابن أربع عشرة سنة وقيل ابن عشرة؛ وكان من الأبطال شهد فتح مصر وأبلى فيه بلاء حسنا وسكنها ثم تحول إلى المدينة ثم

---

(1) الكيول (بوزن عيوق): مؤخر الصفوف.

(2) ذفف: أسرع قتله بعد أن أصيب إصابة اثبتته..

(3) الدرقة محركة: الترس وهي صفحة تحمل للوقاية من السيف ونحوه.

ولاه معاوية مصر وافريقية سنة خمسين، وهو أول من جمع له مصر والمغرب و لم يزل على ذلك حتى توفي معاوية؛ وكانت ولايته عليها بضع عشرة سنة، ومات بالاسكندرية في ذي القعدة سنة ثلاث وخمسين. وا لله أعلم.

ثم قال رحمه ا لله:

فَاخَرَتِ الْخَـــزْرَجُ أَوْسًا بِنَفَرْ مَعَ النَّبِيِّ حَفِظُـوا كُلَّ السُّوَرْ

زَيْدُ بْـــنُ ثَابِتٍ مُعَاذُ بْنُ جَبَلْ ثُمَّ أَبَيٌّ وَأَبُـــو زَيْدِ الْبَطَـــــلْ

وَالأَوْسُ خَزْرَجًا بِذِي الشَّهَادَهْ كَانَــــتْ شَهَادَتَيْنِ فِي الإِفَادَهْ

وَبِحَمِـــيِّ الدَّبْـــرِ والْقَتِيـلِ هُزَّ لَهُ[1] الْعَـــرْشُ وَبِالْغَسِيلِ

خُزَيْمَـــةٍ وَعَاصِـــمٍ وَسَعْدِ حَنْظَلَـــةُ رَابِعُهُـــمْ فِي الْعَدِّ

أُصِيبَتِ الأَنْصَارُ يَـــومَ أُحُدِ، بِيرِ مَعُونَـــةَ ، الْيَمَامَةَ اعْدُدِ،

جِسْـــرَ أَبِي عُبَيْـدٍ الشَّهِيدِ سَبْعِينَ سَبْعِينَ بِلاَ مَـــزِيدِ

فاخره مفاخرة: غالبه في الفخر، والتفاخر: التباهي والتمدح بالخصال والمناقب والمكارم سواء كانت في المفتخِر أو في أهله. **والنفر**: الجماعة من الرجال من ثلاثة إلى عشرة. **والسور**: أي سور القرآن العظيم. وقوله **والأوس** (بالرفع): فاعل فعل محذوف أي وفاخرت الأوس خزرجا. وقوله **بذي الشهادة** ..إلخ: أي بصاحب الشهادة التي كانت تعدل شهادة رجلين. وقوله **في الإفادة**: أي المجزإ، والمراد أنها تعدلهما. **وحمي الدبر**: أي الذي حماه، **والدَّبْر**: ذكور النحل.

---

(1) في نسخة: هش له العرش.

ذكر بعض تنافس الأوس والخزرج في الخير

أشار الناظم رحمه الله بهذه الأبيات إلى ما في الاستيعاب في ترجمة حنظلة الغسيل وفي أسد الغابة في ترجمة أبي زيد، بسندهما إلى أنس بن مالك قال: افتخرت الأوس والخزرج فقالت الخزرج: منا أربعة حفظوا القرآن على عهد رسول الله ﷺ لم يقرأه غيرهم: زيد بن ثابت وأبو زيد ومعاذ بن جبل وأبيّ بن كعب (قال أبو عمر: أي لم يقرأه كله أحد منكم يا معشر الأوس لكنه قد قرأه جماعة من غير الأنصار منهم ابن مسعود وسالم مولى أبي حذيفة وعبد الله بن عمرو بن العاص وغيرهم..)؛ فقالت الأوس: منا غسيل الملائكة حنظلة بن أبي عامر الراهب، ومنا من حمته الدبر عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح، ومنا من أجيزت شهادته بشهادة رجلين: خزيمة بن ثابت، ومنا من اهتز لموته عرش الرحمن: سعد بن معاذ.

أما زيد فهو أبو خارجة زيد بن ثابت بن الضحاك بن زيد بن لوذان الخزرجي النجاري. وأما معاذ فهو أبو عبد الرحمن معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عائذ الخزرجي الجشمي. وأما أبي فهو أبو المنذر أبي بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية الخزرجي النجاري. وأما ذو الشهادة فهو أبو عمارة خزيمة بن ثابت بن الفاكه بن ثعلبة الأوسي الخطمي. وأما حمي الدبر فهو أبو سليمان عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح الأوسي الضبعي. وأما الذي اهتز له العرش فهو أبو عمرو سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس الأوسي الأشهلي[1]. وأما الغسيل فهو

---

(1) واهتزاز العرش لموت سعد يحتمل أن يكون حقيقيا، والله على كل شيء قدير، ولا ينكر هذا من جهة العقل لأن العرش جسم والأجسام تقبل الحركة والسكون ويكون اهتزازه فرحا بقدوم سعد وجعل الله في العرش تمييزا كما قال تعالى: ﴿وإن منها لما يهبط من خشية الله﴾. ويحتمل أن يكون المراد بالاهتزاز الاستبشار والسرور بقدومه، ومنه قول العرب: "فلان يهتز للمكارم" لا

<<=

غسيل الملائكة حنظلة بن أبي عامر الفاسق بن صيفي بن النعمان الأوسي الضبعي. وقد مر التعريف بهؤلاء النفر السبعة.

وأما أبو زيد فاختلف في اسمه، فقيل قيس وقيل أوس وقيل ثابت وقيل غير ذلك؛ والراجح أن اسمه قيس بن السكن بن قيس بن زعوراء بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار الخزرجي النجاري، غلبت عليه كنيته، شهد بدرا واستشهد يوم جسر أبي عبيد. وقد قيل لأنس بن مالك: من أبو زيد؟ قال: أحد عمومتي ، وقد قيل إن أبا زيد الذي فاخرت به الخزرج الأوس هو سعد بن زيد بن النعمان بن قيس ويعرف بسعد القارئ.

وقد كان بين هذين الحيين ـ الأوس والخزرج ـ التنافس في الجاهلية ثم انتقل في الإسلام إلى التنافس على القرب من رسول الله ﷺ وفي الجهاد في سبيل الله والمآثر الكريمة والخصال الحميدة، فكانا يتسابقان في ذلك لا تصنع الخزرج شيئا فيه غناء عن رسول الله ﷺ إلا قالت الأوس والله لا يذهبون بهذه فضلا علينا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في الإسلام، فلا ينتهون حتى يوقعوا مثلها. وإذا فعلت الأوس شيئا قالت الخزرج مثل ذلك؛ فمن ذلك تنافسهم في قتل كعب بن الأشرف وابن أبي الحقيق المتقدم ذكره.

قوله **أصيبت الأنصار يوم أحد**.. إلخ: عقد بهذين البيتين نص ما أخرجه البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك الأنصاري النجاري قال: أصيب منا معشر

يريدون اضطراب جسمه وحركته وإنما يريدون ارتياحه إليها وإقباله عليها. وقيل هو كناية عن تعظيم شأن وفاته، والعرب تنسب الشيء المعظم إلى أعظم الأشياء فيقولون: "أظلمت لموت فلان الأرض وقامت له القيامة". [البدر العيني].

الأنصار سبعون بأحد وسبعون يوم بئر معونة وسبعون يوم اليمامة وسبعون يوم جسر أبي عبيد، ونحوه في الخميس أيضا. وقد قيل في عدد من استشهد منهم يوم أحد أكثر من سبعين كما قيل أيضا ان أهل بئر معونة كانوا أربعين، والصحيح الأول كما في الروض الأنف.

وأحد جبل شمال المدينة قريب منها سمي بذلك لتوحده وانقطاعه عن جبال أخر هنالك وفي الحديث: «أحد جبل يحبنا ونحبه»[1] واستشهد فيه من أصحاب رسول الله ﷺ نحو مائة ـ على خلاف في بعضهم ـ وكانت وقعة أحد في السنة الثالثة من الهجرة.

وبئر معونة: موضع بين مكة وعسفان[2]، استأصل فيه عدو الله عامر بن الطفيل سرية المنذر بن عمرو الخزرجي الساعدي التي بعثها رسول الله ﷺ إلى أهل نجد يدعونهم إلى الإسلام ويفقهونهم في الدين، وكان عددهم أربعين رجلا؛ وقيل سبعين، وكانوا من الأنصار إلا عمرو بن أمية الضمري. وكانت هذه الوقعة في السنة الرابعة من الهجرة.

---

(1) أخرجه البخاري، وقد سماه الله تعالى بهذا الاسم وهو اسم حسن لإشعاره من حيث المعنى بالأحدية التي هي من صفات الله تعالى وحركات حروفه بالرفع وذلك يشعر بارتفاع دين الأحد وعلوه فتعلق الحب من النبي صلى الله عليه وسلم به اسما ومسمى، وقد جاء في الحديث من طريق أبي عبس بن جبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أحد يحبنا ونحبه وهو على باب الجنة وعير يبغضنا ونبغضه وهو على باب من أبواب النار» [كما في المسند]، فخص أحدا من بين الجبال بأن يكون معه في الجنة إذا ﴿بست الجبال بسا فكانت هباء منبثا﴾، وفي أحد قبر هارون أخي موسى عليهما السلام كان قد مر هو وأخوه موسى بأحد حاجين أو معتمرين فقبض هارون ثم فواراه موسى عليه السلام. [الروض الأنف].

(2) عسفان (بوزن عثمان): موضع على مرحلتين من مكة لمن قصد المدينة. قال ابن الأثير: هي قرية جامعة بين مكة والمدينة، وقيل منهلة من مناهل الطريق بين الجحفة ومكة [تاج العروس]، وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم تفل في احدى آبارها.

ومعركة **اليمامة** كانت لخالد بن الوليد على بني حنيفة، قوم مسيلمة الكذاب وكانت سنة اثنتي عشرة في خلافة أبي بكر الصديق؛ وقد مر الكلام عليها عند قول الناظم: *منهم نسيبة لها العتيق أذن في الجهاد*..إلخ.

وأما **جسر أبي عبيد** فالمراد به يوم "قس الناطف" وهو للفُرس على العرب؛ وقس الناطف موضع قريب من الكوفة على شاطئ الفرات الشرقي كان قد نزل به بَهْمَن جاذويه قائد الفرس يومئذ، ويسمى أيضا بيوم المروحة وهو موضع بشاطئ الفرات الغربي نزل به أبو عبيد بن مسعود بن عمرو الثقفي قائد المسلمين يومئذ وعسكر به وجعل الفرات بينه وبين العدو؛ فبعث إليه قائد الفرس: إما أن تعبروا إلينا وندعكم والعبور وإما أن تدعونا نعبر إليكم، فقال أبو عبيد: لا يكونون أجرأ على الموت منا بل نعبر إليهم، وأمر جنوده فعبروا من المروحة إلى قس الناطف حيث كان الفرس. وكان جند المسلمين دون عشرة آلاف ومع ذلك ضاق بهم المكان الذي تركه لهم الفرس وراء الجسر فلم يكن لهم فيه مرجع من فرة إلى كرة و لم يمهلهم بهمن حتى تم عبورهم فأمر جنوده فحملوا عليهم وفي مقدمتهم الفيلة عليها الجلاجل[1] ونظرت خيول المسلمين إلى هذه الفيلة وسمعت رنين جلاجلها فأنكرت ما رأت وما سمعت وفرت فلم يثبت منها إلا القليل على كره ورشق الفرس المسلمين بالنبل فقتلوا منهم خلقا كثيرا، قيل ألف وثمانمائة وقيل أربعة آلاف بين قتيل وغريق، من بينهم قائد المسلمين أبو عبيد، وقد أشار الناظم إلى ذلك بقوله: **أبي عبيد الشهيد**..

وتتابع على اللواء بعده سبعة من ثقيف كلهم يأخذه ويقاتل حتى يموت ثم أخذه المثنى وقد هرب الناس وحاز المشركون المسلمين إلى الجسر فتواثب بعضهم

---

(1) الجلاجل: أجراس صغيرة مجوفة من حديد أو نحاس إذا تحركت يسمع لها صوت شديد فيه رنين.

إلى الفرات فغرق من لم يصبر ووقف المثنى واللواء بيده ينادي: أيها الناس أنا دونكم فاعبروا على مهل ولا تدهشوا فإنا لن نزايل حتى نراكم من ذلك الجانب ولا تغرقوا أنفسكم فعبروا الجسر، فسمي ذلك اليوم بيوم الجسر وبيوم جسر أبي عبيد؛ وكان ذلك سنة ثلاث عشرة للهجرة.

والجسر (بفتح الجيم وكسرها): ما يعبر عليه النهر، جمعه جسور وأجسر. **وأبو عبيد** هو ابن مسعود بن عمرو بن عمير بن عوف بن عبدة بن غيرة بن عوف بن ثقيف الثقفي والد المختار بن أبي عبيد الذي غلب على الكوفة في خلافة عبد الله بن الزبير رضي الله عنه.

ولما أنهى الكلام على الأزد أخذ يتكلم على حمير(*) بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، فقال رحمه الله وعفا عنه:

---

* انتشرت من عقب حمير هذا بطون وأفخاذ كثيرة، ذكر الناظم منها عشرة وذكر من أعيانهم أربعة وعشرين رجلا وامرأتين من بينهم: إمام الأئمة مالك بن أنس ، وثلاثة عشر صحابيا مع الإشارة إلى الملوك التبابعة الحميريين.

الكلام على حمير

وَانْسُبْ لِحِمْيَرَ بَنِي الْجُمْهُورِ   شَعْبَ إِمَامِ طَيْبَـــةَ الْمَشْهُورِ
وَكَعْـــبِ الاَحْبَارِ بِمَوْتِ عُمَرَا   أَخْبَـرَ وَهْوَ تَابِعِـــيٌّ وَدَرَى
مَا مِنْهُ أَصْحَابُ النَّبِيِّ نَاهِلَـــهْ   لاَ سِيَمَا أَقْـــرَانُه الْعَبَادِلَـهْ

قوله **بني الجمهور** (بضم الجيم): مفعول به **لانسب**، وبنو الجمهور: بطن من حمير، واسم الجمهور زيد؛ ويقال زيد الجمهور، بن سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن قطن بن عريب بن زهير بن أيمن بن الهميسع بن حمير بن سبأ.

وقوله **شعب** (بالنصب): بدل من بني الجمهور، **والشعب**: القبيلة ويطلق على الجيل من الناس، ويقال للطبقة العليا من طبقات أنساب العرب؛ وطبقاتهم هي: الشعب والقبيلة والعمارة والبطن والفخذ والفصيلة. فالشعب يجمع القبائل، والقبيلة تجمع العمائر، والعمارة تجمع البطون، والبطن يجمع الأفخاذ، والفخذ يجمع الفصائل. وسميت الطبقة الأولى شعبا لتشعب القبائل منها، والمراد بالشعب هنا القبيلة العظيمة وإنما أطلق عليها الشعب لكثرة البطون المتفرعة عنها. **وإمام طيبة** هو الإمام مالك بن أنس. **وطيبة**: من أسماء المدينة المنورة دار هجرة النبي ﷺ. **والمشهور**: صفة لإمام طيبة. وقوله **وكعب** (بالجر): عطف على إمام طيبة وهو مضاف إلى الأحبار (جمع حبر ـ بكسر الحاء المهملة وفتحها ـ وهو العالم) ويقال أيضا: كعب الحبر (بالإفراد)، وفي القاموس: كعب الحبر ولا يقال كعب الأحبار؛ قال مُحَشِّيه: إنما لا يقال كعب الأحبار إن نوِّن وأما إذا أضيف فلا امتناع فيه. ولقب كعب الحبر لسعة علمه، **والحبر** (بالكسر أيضا): النقس، قيل سمي به لكثرة كتابته به، ولعله لقب بكعب الأحبار أيضا لأنه كان من سادات العلماء فأضيف

إليهم بقصد أنه سيدُهم، ويلمح لذلك أن الكعب يقال في اللغة للشرف والمجد؛ وقد روي أن كعب الأحبار ـ لما أسلم ـ دعا من بناحيته من الأحبار إلى الإسلام وأخرج لهم سفرا كان أبوه قد تركه عنده وأمره أن لا يفتحه حتى يسمع بنبي يخرج بيثرب.

وقوله **ودرى**: أي علم. **وما**: موصول بمعنى الذي، أي علم علماً نهلت منه أصحاب النبي ﷺ. **والنهل**: الشرب الأول، والمراد أنهم رووا عنه؛ وكانت روايتهم عنه من باب رواية الأكابر عن الأصاغر. **والعبادلة** هم المشار إليهم بقول القائل:

أبنـــاء عباس وعمرو وعمر ... كذا زبير العبادل الغـــرر[1]

يقول ومن حمير بن سبأ بنو الجمهور قبيلة الإمام مالك بن أنس وكعب الأحبار. وقد مر الكلام على حمير وذريته وبعض بطونهم وبلادهم.

الإمام مالك بن أنس

أما مالك فهو إمام دار هجرة النبي ﷺ أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر (نافع) بن عمرو بن الحارث بن غَيْمانَ بن خثيل بن عمرو بن ذو أصبح (واسمه الحارث) بن مالك بن زيد بن الغوث بن سعد بن عوف بن عدي بن مالك بن زيد الجمهور الحميري ثم الأصبحي نسباً التيمي بالحلف، فقد كان سلفه حلفاء بني تيم بن مرة بن كعب؛ أمه العالية بنت شريك بن عبد الرحمن الأزدية، وكان جده مالكٌ من كبار التابعين؛ روى عن عمر وطلحة وعائشة وأبي هريرة وحسان

---

(1) في التبصرة والتذكرة على الفية العراقي: قيل لأحمد بن حنبل: من العبادلة؟ فقال: عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عمرو، وقيل له: فأين ابن مسعود؟ قال: لا ليس من العبادلة. قال البيهقي: وهذا لأنه تقدم موته، وهؤلاء عاشوا حتى احتيج إلى علمهم، فإذا احتمعوا على شيء قيل هذا قول العبادلة، وكون هؤلاء الأربعة هم العبادلة هو المشهور بين أهل الحديث وغيرهم. [انتهى منها].

بن ثابت، وهو أحد الأربعة الذين حملوا عثمان ليلا ودفنوه في البقيع. وكان جد أبيه أبو عامر من كبار الصحابة، شهد المغازي كلها مع رسول ا لله ﷺ إلا بدرًا، وقيل مخضرم من كبار التابعين. ولد مالك سنة تسعين وقيل سبع وتسعين وقيل غير ذلك؛ وكان مولده بالمدينة ونشأ بها وأقبل على طلب العلم وواظب عليه[1]، ولزم ابن هرمز سبع سنين أو أكثر لم يخلطه بغيره، وروي أنه كان إذا خرج إليه يحمل في كمِّه تمرا ويناوله صبيانه ويقول لهم: إن سألكم أحد عن الشيخ فقولوا له: مشغول، وذلك ليصرف عنه الناس حتى يتفرغ له؛ وقيل كان يأتيه بكرة فما يخرج عنه حتى الليل.

وكان مالك غاية في جودة الحفظ؛ روي عنه أنه قال: ما استودعت قلبي شيئا قط فنسيته، وكان يأتي ابن شهاب وابن المسيب وعروة والقاسم وأبا أسامة وحميدا وسالما وغيرهم.. فيدور عليهم ويسمع من كل واحد منهم الأربعين والخمسين إلى المائة حديثًا ثم ينصرف وقد حفظها كلَّها من غير أن يخلط حديثا منها بحديث، وقد قيل إنه أخذ عن تسعمائة شيخ ممن ارتضاهم لدينه، ثلاثمائة منهم من التابعين والبقية من تابعي التابعين. وكان ثقة مأمونا ثبتا ورعا صلبا في دينه بعيدا عن الأمراء والملوك، وكان عالما حجة من أعلام الإسلام وأحد الأئمة الأربعة وإليه تنسب المالكية، وقد روي عن ابن عيينة وعبد الرزاق وغيرهم من العلماء في حديث أبي هريرة: «يوشك أن يضرب الناس أكباد الإبل يطلبون العلم فلا يجدون أحدا أعلم

(1) وروي أنه كان مع أخ له أسن منه فألقى عليهما أبوهما مسألة فأصاب فيها أخوه وأخطأ هو فقال له أبوه: ألهتك الحمام عن طلب العلم، فانقطع للعلم، وروي أن أمه ألبسته ثيابا وقالت له: اخرج إلى ربيعة الرأي فتعلم من أدبه قبل علمه.

من عالم المدينة»[1] أنه مالك بن أنس.

صنف رضي الله عنه الموطأ، وقد قال فيه الشافعي: ما بعد كتاب الله كتاب هو أكثر صوابا من موطأ مالك، وقال: إذا وجدتَ لمالك حديثا فشُدَّ يدك به فإنه حجة، وقال: إذا ذكر العلماء فمالك النجم؛ وكان رحمه الله يعظم الحديث الشريف غاية التعظيم فكان إذا أتى الناس إلى بابه يبعث إليهم: أتريدون الحديثَ أو المسائل؟ فإن قالوا المسائل أذن لهم وأفتاهم، وإن قالوا: الحديث لم يأذن لهم حتى يغتسل ويتطيب ويلبس من جميل الثياب، وتوضع له المنصة فيخرج عليهم في خشوع، قال ابن المبارك: كنت عند الإمام مالك ـ وهو يحدثنا حديث رسول الله ﷺ فلدغته عقرب ست عشرة مرة ولونه يتغير ويصفر ولا يقطع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم تأدبا معه. وكان موصوفا بالديانة والاتباع والعقل والفضل وكمال الإدراك والفهم والاتقان والحفظ والتثبت، وكان اعتماده رضي الله عنه على الكتاب والسنة، وعمل أهل المدينة الذين هم أعلم الناس بالناسخ والمنسوخ، وكان يتحرى في الفتوى غاية التحري. وكان ـ رحمه الله ـ أكرم الناس وأعظمهم مروءة وأحسنهم سمتا، كثير الصمت قليل الكلام لا يتكلم إلا فيما يعنيه قليل الضحك متحفظا في قوله.

ولم يزل رضي الله عنه بالمدينة حتى توفي في صفر ـ وقيل في شهر ربيع الأول ـ سنة تسع وسبعين ومائة للهجرة ودفن بالبقيع مع نافع القارئ. ومناقبه رحمه الله لا تحصى. وله من الولد يحيى ومحمد وحماد وأم البنين وقد رووا عنه وكذلك حفيده أحمد بن محمد بن مالك.

---

(1) أخرجه مسلم والترمذي وأحمد.

كعب الأحبار

وأما كعب الأحبار فهو أبو إسحاق كعب الأحبار بن ماتع[1] بن هلسوع بن ذي هجران بن ميثم بن سعد بن عوف بن عدي بن مالك بن زيد الجمهور الحميري الميثمي من آل ذي رعين؛ كان مخضرما أدرك الجاهلية والإسلام. وكان في الجاهلية من كبار علماء اليهود، وكان يسكن اليمن؛ وقد روي عنه أنه قال: لما قدم علي بنُ أبي طالب اليمن لقيته فقلت له: أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ فجعل يخبرني عنها وجعلت أتبسم فقال لي: ممَّ تتبسم؟ قال: قلت: مما يوافق ما عندنا في صفته وقلت: ما يُحل وما يُحرِّم؟ فأخبرني فقلت: هو عندنا كما وصفتَ. وصدَّقتُ برسول الله ﷺ وآمنتُ به ودعوتُ مَن قِبَلَنا من الأحبار وأخرجتُ إليهم سفرا قلت: هذا كان أبي يختمه علي ويقول: لا تفتحه حتى تسمع بنبي يخرج بيثرب. قال كعب: فأقمت على إسلامي باليمن حتى توفي رسول الله ﷺ وتوفي أبو بكر فقدمت في خلافة عمر.. وليت أني كنت تقدمت في الهجرة. فكان رضي الله عنه تابعيا؛ وإلى ذلك أشار الناظم بقوله: **وهو تابعي**. وقيل إنه لم يسلم إلا في خلافة عمر، لما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قلت لكعب: ما منعك أن تسلم على عهد النبي ﷺ وأبي بكر؟ قال: إن أبي كتب لي كتابا من التوراة ودفعه إلي وقال لي: اعمل بهذا وختم على سائر كتبه وأخذ علي ميثاقا وقال لي بحق الوالد على ولده أن لا أفض الخاتم، فلما كان الآن ورأيت الإسلام يظهر ولم أر بأسا قالت لي نفسي لعل أباك غيب عنك علما وكتمه عنك، ففضضته فوجدت فيه صفة النبي ﷺ وأمته فجئت الآن مسلما.

ثم أخذ كعب الأحبار رضي الله عنه من الكتاب والسنة عن الصحابة وتبحر

(1) ماتع بتاء مثناة فوق بوزن ضارب.

في العلم حتى اشتهر بكعب الأحْبار، وكان رحمه الله قد أوتي علما كثيرا نهل منه كثير من الصحابة والتابعين ولا سيما معاصروه، وروى عنه الجم الغفير؛ فممن روى عنه من الصحابة أبو هريرة ومعاوية بن أبي سفيان وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو بن العاص وعبد الله بن الزبير وغيرهم.. وإلى ذلك أشار الناظم بقوله: **ودرى ما منه أصحاب النبي**..إلخ.

وممن روى عنه من التابعين ابن المسيب وكثيرون. وقد أجمع على علمه وتوثيقه؛ فقد قال ابن أبي الدرداء: إن عند ابن الحميرية لعلما كثيرا، وقال معاوية: ألا إن ابن أبي الدرداء أحد الحكماء ألا إن كعب الأحبار أحد العلماء، إن كان عنده لَعِلمٌ كالبحار وإن كنا فيه لمفرطين.

وكان كعب ـ أولا ـ قصاصا فبلغه حديث: «لا يقص على الناس إلا أمير أو مأمور»[1] ـ الحديث ـ فأمسك عن القص حتى أمره به معاوية؛ ولعل ذلك حين كان معاوية أميرا على الشام، لأن كعبًا مات قبل خلافة معاوية. وسكن كعب الأحبار الشام ومات بحمص سنة اثنتين وثلاثين ـ وقيل أربع وثلاثين ـ للهجرة، وقد بلغ مائة وأربع سنين.

وحاصل ما أشار إليه الناظم من إخبار كعب بموت عمر ما رواه المسور بن مخرمة وغيره، قال: خرج عمر بن الخطاب يطوف يوما في السوق فلقيه أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة ــ وكان نصرانيا ــ فقال: يا أمير المؤمنين إن المغيرة قد جعل علي خراجا كثيرا، قال عمر: وكم خراجك؟ قال: درهمان كل يوم، قال: وأي شيء تعمل؟ قال: نجار حداد

---

(1) أخرجه أحمد.

نقاش[1] قال عمر: فما أرى خراجك كثيرا على ما تصنع من الأعمال، ثم قال: قد بلغني أنك تقول: لو أردت أن أصنع رحى تطحن بالريح لفعلت، قال: نعم، قال: فاعمل لي رحى، قال: لئن سلمت لأعمَلَنَّ لك رحى تتحدث بها أهل المشرق والمغرب؛ ثم انصرف إلى منزله. فلما كان الغد دخل كعب الأحبار على عمر فقال: يا أمير المؤمنين اعهد فإنك ميت بعد ثلاث ليال، قال: وما يدريك؟! قال: أجده في كتاب التوراة، قال عمر: آللهِ إنك لتجد عمر في التوراة، قال: اللهم لا ولكن أجد حليتك وصفتك[2] وإنك قد دنا أجلك ـــ وعمر إذ ذاك لا يجد وجعا ـــ فقال عمر: رضينا بقضاء الله وقدره. فلما كان الغد جاء كعب ثانية فقال: يا أمير المؤمنين ذهب يوم وبقي يومان، ثم جاء ثالثة فقال: ذهب يومان وبقي يوم وليلة وهي لك إلى صبيحتها.

فلما أصبح خرج عمر إلى الصلاة فكان يوكل بالصفوف فإذا استوت كبَّر، ودخل أبو لؤلؤة في الناس وبيده خنجر له رأسان ـــ قد ستره بكمه ـــ فضرب به عمر ست ضر بات إحداهن تحت سرته وهي التي قتلته رضي الله عنه. فلما أصيب عمر تذكر قول كعب فقال: ﴿ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾[3] ثم أذن عمر للناس المهاجرين والأنصار فجعلوا يدخلون عليه يسلمون؛ وكان فيمن دخل عليه كعب الأحبار، فنظر إليه عمر وأنشأ يقول:

---

(1) النجار: من يحترف نجر الخشب وصنعه. والنقاش: صانع النقش وهو الصور والأثر وتزيين الشيء بالألوان التي تنقش عليه. والحداد: معالج الحديد يحميه ويطرقه لتشكيله بحسب الشكل المطلوب.

(2) حلية الإنسان (بالكسر): خلقته وصورته. وصفة الشيء: نعته بما فيه والأمارة التي يعرف بها الموصوف.

(3) الأحزاب: 38.

وواعدني كعب ثلاثا أعدهـــا ولا شك أن القول ما قاله كعبُ

وما بي حذار الموت ـ إني لميت ـ ولكن حذار الذنب يتبعه الذنب

ومما روي عن كعب الأحبار من الإخبار بالأمور المغيبة: قتل الحجاج بن يوسف الثقفي لعبد الله بن الزبير رضي الله عنه؛ فقد روي أن ابن الزبير لما أتي برأس المختار بن أبي عبيد الثقفي قال: ما وقع في سلطاني شيء إلا أخبرني به كعب إلا أنه ذكر لي أنه يقتلني رجل من ثقيف وهذه رأسه بين يديَّ. وما درى ابن الزبير أن الحجاج بن يوسف الثقفي خبئ له. والله أعلم.

ثم قال رحمه الله:

حَوْشَبُ ذُو الْكُلَاعِ صَاحِبُ الْحَلِيم وَابْنُ الْمُفَرِّغِ طَلِيقُهُ الْمُلِيـــمْ

حوشب (بوزن كوكب وبالحاء المهملة): مبتدأ خبره محذوف، أي ومن بني الجمهور أيضا حوشب. وقوله **ذو الكلاع** (بوزن غراب وسحاب): عطف على **حوشب** بحذف العاطف. **والكلاع** (من التكلع): وهو التحالف والتجمع، وبه سمي ذو الكلاع الأكبر وذو الكلاع الأصْغر لتكلع حمير على يديهما أي تجمعهما؛ وحوشب وذو الكلاع كلاهما من أذواء اليمن. **وصاحب** (بالرفع): صفة **لذو الكلاع**. **والحليم**: لقب أطلقه الناظم على معاوية، واستعمله في هذا النظم في عدة مواضع منه؛ ولقب به لحلمه ولدعاء رسول الله ﷺ له بالحلم ـ كما مر ـ ووصف ذا الكلاع بصحبة معاوية لأنه كان قائما بأمره بصفين، وقتل معه بها. وفي بعض النسخ ***صاحبا*** (بالتثنية) فتكون صفة لحوشب وذي الكلاع معا، وذلك لأن حوشبا هو الآخر كان قد صحب معاوية وقتل معه بصفين. وقوله **وابن المفرغ** (بالرفع): عطف على حوشب أيضًا، **والمفرغ** (بوزن محدث بصيغة اسم الفاعل): لقب لوالد ربيعة الحميري، لقب به لأنه راهن على شرب عُس أو سقاء من لبن فشربه كله حتى فَرَّغَه فلقب مفرغا؛ واسم ابن المفرغ يزيد بن ربيعة. **وطليقه**: فعيل بمعنى

مفعول (كجريح وقتيل بمعنى مجروح ومقتول) وهي صفة لابن المفرغ، والضمير المضاف إليه عائد على **الحليم** الذي هو معاوية، لأنه هو الذي أطلقه من سجن عباد بن زِيادٍ ابن أبيه ـ كما يأتي ـ والمليم اسم فاعل من ألام الرجل إذا أتى بما يلام عليه أو يستحق به الملامة.

يقول ومن بني الجمهور أيضا حوشب بن طخية وذو الكلاع بن ناكور ويزيد بن ربيعة بن المفرغ الحميريون.

أما حوشب فهو ذو ظُليم (بوزن رعين) حوشب بن طَخْيَةَ ـ أوْ طَخْمَةَ (بالميم) بن عمرو بن شرحبيل بن عبيد بن عمرو بن حوشب بن الأظلوم بن ألهان بن شداد بن زرعة بن قيس بن صنعاء بن سبأ الأصغر بن كعب بن زيد الجمهور الحميري الالهاني أحد أذواء حمير. أسلم على عهد النبي ﷺ وهاجر إلى المدينة، وشهد رضي الله عنه اليرموك ثم نزل الشام وشهد صفين مع معاوية واستشهد بها؛ قتله سليمان بن صرد الخزاعي، وروي أنه نادى عليا يوم صفين وقال: انصرف عنا يا ابن أبي طالب فإنا ننشدك الله في دمائنا ودمك ونخلي بينك وبين عراقك وتخلي بيننا وبين شامنا ونحقن دماء المسلمين، فقال علي رضي الله عنه: هيهات يا ابن أم ظليم والله لو علمت أن المداهنة تسعني في دين الله لفعلت ولكان أهون علي في المؤنة ولكن الله لم يرض من أهل القرآن بالسكوت إذا كان يعصى وهم يطيقون الدفاع والجهاد حتى يظهر أمرُ الله.

ومن ولد حوشب هذا قاضي قرطبة يحيى بن معمر بن عمران الداخل بن منير بن حوشب، ومن عقبه بإشبيلية عبد الله بن محمد بن زكرياء بن القاضي يحيى بن معمر.

وأما ذو الكلاع فهو أبو شرحبيل ذو الكلاع الأصغر (سُمَيفع) بن ناكور بن عمرو بن يعفر بن ذي الكلاع الأكبر بن يزيد بن النعمان بن أحاطة بن سعد بن

عوف بن عدي بن مالك بن زيد الجمهور الحميري، أحد أذواء اليمن. كان رئيسا مطاعا في قومه متبوعا فيهم، وروي أنه كان قد استعلى أمره حتى ادعى الربوبية فأطيع، فبعث إليه رسول ا لله ﷺ جريرا بن عبد ا لله البجلي يدعوه إلى الإسلام فأسلم وأسلمت امرأته بنت أبرهة بن الصباح، ثم كتب إليه رسول ا لله ﷺ مع جرير بن عبد ا لله البجلي في التعاون على الأسود العنسي ومسيلمة الكذاب وطليحة بن خويلد الأسدي، ثم هاجر بقومه إلى المدينة في أيام أبي بكر الصديق رضي ا لله عنه، و لم ير النبي ﷺ بعد إسلامه، فبعثه أبو بكر إلى أهل اليمن يستنفرهم إلى الجهاد فرحل ذو الكلاع بمن أطاعه من حمير.

وروي أنه قدم المدينة ومعه أربعة آلاف عبد فسأله عمر في بيعهم فأصبح وقد أعتقهم، فسأله عمر عن ذلك فقال: أنا أذنبت ذنبا عظيما فعسى أن يكون ذلك كفارة وذلك أني تواريت مرةً ثم أشرفت فسجد لي مائة ألف إنسان، فقال عمر: التوبة بإخلاص والإنابة بإقلاع يرجى بهما مع رأفة ا لله عز وجل الغفران. ثم انتقل هو وقومه إلى الشام وسكنوا بحمص، ثم كان مع معاوية في حرب صفين وكان هو القائم بأموره فيها، وكان بالميمنة على أهل حمص بصفين. وقتل قبل انقضاء الحرب ففرح معاوية بموته لأنه بلغه أنه ثبت عنده أن عليا رضي ا لله عنه بريء من دم عثمان وأن معاوية لبَّس عليهم ذلك فأراد التشتيت على معاوية فعاجلته المنية بصفين سنة سبع وثلاثين؛ وقيل إنه لما بلغه أن النبي ﷺ قد قال لعمار بن ياسر: «تقتله الفئة الباغية»[1] قال لمعاوية وعمرو: ما هذا؟ وكيف نقاتل عليا وعمارا؟ فقالا له: إنه يعود إلينا ويقتل معنا؛ فلما قتل ذو الكلاع وقتل عمار قال معاوية: لو كان ذو الكلاع حيا لمال بنصف الناس إلى علي. وحكي أن بعضهم رأى في المنام عمارا بن

(1) أخرجه مسلم وأحمد.

ياسر وذا الكلاع في ثياب بيض في أفنية الجنة، فقال: ألم يقتل بعضكم بعضا؟ قالا: بلى ولكن وجدنا الله عز وجل واسعَ المغفرة.

ابن المفرغ وذكر هجوه آل زياد

وأما ابن المفرغ فهو أبو عثمان يزيد بن ربيعة بن مفرغ بن ذي العشيرة بن الحارث، ينتهي نسبه إلى زيد بن يحصب الحميري. وقد قيل انه حليف آل خالد بن أسيد بن أبي العيص الأمويين وقيل انه كان عبدا للضحاك بن عوف الهلالي، وأنعم عليه. وكان شاعرا من شعراء الدولة الأموية؛ ومن محاسن شعره قوله من قصيدة يمدح بها مروان بن الحكم الأمويَّ، وكانَ مروان قد أحسن إليه:

وأقمتمُ سوق الثناء ولم تكن سوق الثناء تقام في الأسواق

فكأنما جعل الإله إليكم قبض النفوس وقسمة الأرزاق

وكان يزيد بن مفرغ هذا قد صحب عبادا بن زيادٍ ابن أبيه ثم ساء ما بينهما؛ فبينما يزيد يوما مع عباد دخلت الريح في لحية عباد ــ وكانت عظيمة ــ فنفشتها فضحك ابن مفرغ والتفت إلى رجل من لخم كان إلى جانبه وقال:

ألا ليت اللحى كانت حشيشا فترعاها خيولُ المسلمينا[1]

فسعى بها اللخمي إلى عباد فأضمرها له عباد ـ وكان قد بلغه أنه يسبه وينال من عرضه ويذكر أباه وأخاه عبيد الله بمثل ذلك ــ ثم أجرى عباد الخيل يوما فجاء

---

(1) ومما قيل في لحية عباد:

ولحية يحملها مائق مثل الشراعين إذا أشرعا

لو غاص في اليم بها مرة صاد بها حيتانه أجمعا

والمائق: الأحمق (جمعه موقى) يقال هو أحمق مائق، أي شديد الحماقة. والشراعين: تثنية شراع: شبه الملاءة الواسعة يشرع وينصب على السفينة فتهب فيه الريح فتمضي بالسفينة. وأشرع: أي رفع جدا.

سابقا فقال ابن مفرغ:

سبق عباد وصلت لحيته ... وكان خرازا تجود قربته[1]

فلما بلغ عبادا قوله ذلك دعا به ـ والمجلس حافل ـ فقال له: أنشدني هجو أبيك الذي هجي به فقال: أيها الأمير ما كلف أحد قط مثل ما كلفتني به، فأمر عباد غلاما عجميا أن يضرب رأس ابن مفرغ بالسوط إن لم ينشد، فأنشد أبياتا هجي بها أبوه أولها:

قبح الإله ولا يقبح غيره ... وجه الحمار ربيعة بن مفرغ

وجعل عباد يتضاحك، فخرج ابن مفرغ وهو يقول: "وا لله لا يذهب شيخي باطلا"[2]، فطلب عباد عليه العلل ودس إلى قوم[3] كان لهم عليه ديون أن يقتضوا ما لهم عليه ففعلوا؛ فحبسه وضربه واضطره إلى بيع جارية له وغلام كان عنده شديد الكلف به وأمر ببيع سلاحه وخيله وأثاثه وقسم أثمان ذلك بين غرمائه. فجعل ابن مفرغ يهجو آل زياد ولا يزيده ما يفعل به إلا شرا وصار إذا سأله الناس عن حبسه يقول: أنا رجل أدبه أميره ليقيم من أوده[4]. فبلغ ذلك عبادا فرقَّ له وأطلقه فهرب إلى البصرة ثم الشام وجعل يتَنقَّلُ في البلاد ويهجو بني زياد ويتأسف لما فاته من صحبة سعيد بن عثمان بن عفان، وكان قد صحبه قبل عباد فآثر عليه عبادا؛ فقال:

---

(1) صلت: تفرقت وانتشرت. والخراز: الذي يتعاطى الخرز وهو ثقب الجلد بالمخرز وخياطته.

(2) هو من شعر امرئ القيس بن حجر الكندي، قاله حين بلغه أن بني أسد قتلت أباه؛ والمعنى وا لله لا يهدر دم أبي.

(3) العلل: الشؤون المختلفة والأحداث التي تشغل صاحبها عن وجهه. ودس: من الدسيسة وهي ما اكمن من المكروه والعداوة.

(4) أدبه: عاقبه على إساءة. والأود: الاعوجاج، يقال: قوم أوده إذا أزال اعوجاجه وعدله.

إن تركي ندى سعيد بن عثمـا ... ن فتى الجود ناصري وعديدي[1]
واتباعي أخا الضراعة[2] واللـؤ ... م لنقص وفـــــوت شأو بعيد
قلت والليـــــل مطبق بعراه ... ليتني مت قبل تــــــرك سعيد

وقال أيضا من قصيدة:

لهفي على الأمر الـذي ... كانـــــت عواقبه ندامه
تركي سعيدا ذا النـدى ... والبيت ترفعـــه الدعامه
ليثا إذا شهد الوغـــى ... ترك الهوى ومضى أمامه
فتحت سمرقند لــــه ... وبنى بعرصتــــها خيامه
وتبعت عبد بني عـــلا ... ج[3] تلك أشراط القيامه
جاءت به حبشيـــــة ... سكاء تحسبـــها نعامه[4]
من نسوة سود الوجـو ... ه ترى عليهـــن الدمامه

إلى أن يقول:

فالهول يركبه الفتـــى ... حـــذر المخازي والسآمه
والعبد يقرع بالعصـــا ... والحـــر تكفيه الملامـــه

وملأ ابن مفرغ البلاد بهجو آل زياد ونفيهم عن أبي سفيان بن حرب، وخاصة عبادا وعبيد الله ابني زياد، وتغنى به أهل البصرة وكتبه على الحيطان، ومما قال فيهم:

أعباد ما للـــــؤم عنك محول ... وما لك أم في قريـــش ولا أب

---

(1) الندى: الجود والفضل. وناصري: معيني على رد العدو ودفع الضر. والعديد: القرن والنظير.
(2) الضراعة: الضعف والخضوع والتذلل والاستكانة.
(3) بنو علاج: بطن من ثقيف منهم الحارث بن كلدة. وعلاج: جد الحارث، فهو بن كلدة بن عمرو بن علاج بن أبي سلمة بن عبد العزى الثقفي.
(4) سكاء: صغيرة الأذن أو التي لا أذن لها، والعرب تقول: كل سكاء تبيض وكل شرقاء تلد. والشرقاء: التي لها أذن طويلة.

وقل لعبيد الله مالك والـــد بحق ولا يدري امرؤ كيف تنسبُ

وقال في عبيد الله:

فكر ففي ذاك إن فكرت معتـبر هل نلت مكرمـــة إلا بتأمير
عاشت سمية ما عاشت وما علمت أن ابنها من قريش في الجماهير[1]

وقال:

ألا أبلـــغ معاوية بن صخـــر لقد ضاقــــت بما تأتي اليدان
أتغضـــب أن يقال أبوك عف وترضى أن يقال أبـــوك زان؟
فأشهـــد أن رحمـك من زياد كرحـــم الفيل من ولد الأتان[2]
وأشهـــد أنها حملـــت زيادا وصخـــر من سميـــة غير دان

وقيل الأبيات لعبد الرحمن بن الحكم الأموي - كما مر - ومما قيل فيهم:

زياد لســـت أدري من أبوه ولكـــن الحمار أبـــو زياد

ثم إن بني زياد ما زالوا بابن مفرغ حتى ظفروا به فأودعوه السجن، وكان معاوية قد أذن لهم في جميع ما يفعلون به من تنكيل وتعذيب وحذرهم من قتله، فبالغوا في فعل كل سوء ومكروه به وألزموه محو ما كتب من هجوهم على الحيطان بأظفاره حتى تقرحت واشتد ألمها ففسدت أنامله وأطالوا سجنه وعبثوا به وعذبوه، فلما طال عليه ذلك استأجر رسولا إلى دمشق وقال له: إذا كان يوم الجمعة قف

---

(1) روي أن عبيد الله بن زياد قال: ما هجيت بشيء أشد علي من قول ابن مفرغ: "فكر ففي ذاك إن فكرت معتبر .."إلخ البيتين.

(2) فأشهد أن رحمك..إلخ: أخذه من قول أبي الوليد، أو حسان بن ثابت الأنصاري:

لعمرك إن إلّك من قريش كإل السقب من رال النعام

والإل (بكسر الهمزة وتشديد اللام) هو الرحم ، والسقب: ولد الناقة، والرأل (بفتح الراء بعدها همزة) هو ولد النعام - [ابن خلكان].

على درج جامع دمشق وأنشد بأعلى صوتك هذه الأبيات:

أبلغ لديك بني قحطان قاطبة | عضت بأير أبيها سادة اليمن
أضحى دعيُّ زياد فقعُ قرقرة[1] | - يا للعجائب - يلهو بابن ذي يزن
والحميري طريح فوق مزبلة | هذا لعمركم غبن من الغبن
قوموا فقولوا: أمير المؤمنين لنا | حق عليك ومَنٌّ ليس كالمنن
فاكفف دعي زياد عن أكارمنا | ما ذا تريد على الاحقادوالإحن؟

ففعل الرسول ما أمره به فغضب اليمانيون واجتمعت منهم جماعة فدخلوا على معاوية فكلموه في أمره فلم يشفعهم فقاموا عنه فعرف الشر في وجوههم، فردهم واسترضاهم وأرسل إلى ابن مفرغ رجلا من بني راسب يسمى حمحاما فأخرجه من السجن وقرب إليه بغلة من بغال البريد، فلما استوى عليها قال:

عَدَسْ[2] ما لعباد عليك إمارة | أمنت وهذا تحملين طليق
قضى لك حمحام قضاءك فالحقي | بأهلك لا سدت عليك طريق
لعمري لقد نجاك من هوة الردى | إمام وحبل للأنام وثيق

ولعل الناظم أشار بقوله **طليقه**...إلخ، إلى قول ابن المفرغ هذا: *أمنت وهذا تحملين طليق*. وا لله أعلم.

ثم قال رحمه ا لله:

---

(1) الدعي: الذي يدعي غير أبيه أو غير قومه. والفقع: أردأ الكمأة. والقرقرة: الأرض المنخفضة اللينة يقال للذليل: "هو أذل من فقع بقرقرة" لأنه لا يمتنع على من اجتناه، أو لأنه يوطأ بالأرجل.

(2) عدس (بفتح العين والدال وسكون السين): اسم صوت يُزجرُ به البغل، أو هو اسم للبغل [المنجد].

القول في ملوك اليمن وألقابهم

وَانْسِبْ لِحِمْيَرَ التَّبَابِعَ الْمُلُوكْ ... ...

قوله **التبابع** (بالنصب): مفعول به لانسب، وأصله *التبابعة* فرخّمه ضرورة من غير نداء، ومثل ذلك جائز ومستعمل[1]. **والملوك**: صفة للتبابع. **والتبابعة**: مُلوك اليمن الحميريون ، وهو جمع تبع (كسُكَّر): لقب أطلق على كل من ملك اليمن والشحر وحضرموت ، فكان أهل اليمن يلقبون ملوكهم بالتبابعة كالخليفة للمسلمين ، وكسرى للفرس وقيصر للروم، والنجاشي للحبشة؛ وقد قيل لقب تبع تبعا لأنه يتبع صاحبه الذي قبله، ولقب أولهم تبعا لأنه اتبع قرن الشمس، وسافر في الشرق بجنوده؛ ومعنى تبع ـ في لغة اليمن ـ الملك المتبوع.

والتبابعة من ولد صيفي بن سبأ الأصغر بن كعب بن زيد الجمهور، منهم تبع (وهو أسعد) بن تبع (وهو أبو كرب) بن تبع (وهو زيد) بن تبع (وهو عمرو ذو الإذعار) بن تبع (وهو ابرهة ذو المنار)، ومنهم تبع (وهو حسان ذو معاهر)، ومنهم تبع (وهو ذو نواس) الذي تهود وهود أهل اليمن وقتل نصارى نجران وتسمى بيوسف، ومنهم تبع (وهو شمر يرعش بن ناشر النعم)، وتبع (وهو افريقش بن قيس بن صيفي) الذي ساق البربر إلى افريقية من أرض كنعان وبه سميت افريقية.. وغير هؤلاء من التبابعة كثيرون.

---

(1) مثل قول الشاعر: **ألا أضحت حبالكم رِماما وأضحت منك شاسعة أماما**

(أي امامة)، وقوله: **إن ابن حارث إن اشتقْ لرؤيته أو أمتدحْه فإن الناس قد علموا**

(أي ابن حارثة)، وقول امرئ القيس الكندي (يعني طريفا بن مالك):

لنعم الفتى تعشو إلى ضوء ناره طريف بن مالٍ ليلة الجوع والخصر

(أي ابن مالك).

وقد كانت لحمير باليمن دولة عظيمة مكثت قرونا عديدة، وتعاقبت عليها ملوك كثيرة من ضمنها التبابعة والأذواء والأقيال، وإن كانت قد تخللتها ملوك من غيرهم في قليل من الزمن. ورغم أنه من الصعب تحرير التاريخ الصحيح لهذه الدولة ومراحلها فقد قيل إنها مكثت ألفي سنة وإحدى وثمانين سنة وإنها كانت قبل الميلاد بأكثر من مائة سنة.

أما **الملوك** فهم أصحاب الأمر والسلطة على الأمة والقطر. وأما **التبابعة** فهم ملوك اليمن خاصة؛ وقيل لا يسمى بها إلا من ملك حمير وحضرموت، وأما الأذواء فهم ملوك اليمن الذين تبدأ ألقابهم بلفظة "ذو" مثل ذو المنار، وذو الاذعار، وذو معاهر، وذو رعين الأكبر، وذو رعين الأصغر، وذو شناتر، وذو القرنين، وذو غيمان، وذو أصبح، وذو سحر، وذو يزن، وذو ترخم، وذو الكلاع الأكبر، وذو الكلاع الأصغر، وذو ظليم حوشب (وهذان الأخيران أدركا الإسلام وأسلما كما مر قريبا). وبعض الأذواء ملوك وبعضهم أقيال؛ والأقيال جمع قيل[1] والقيل ملك من ملوك حمير دون الملك الأعظم، وقيل هم نواب الملوك الذين يخلفونهم في مجالسهم ويستشيرهم الملك فيما نزل به، ولهم دورٌ كبير في تعيين الملك وعزله، ولكل واحد منهم أتباع كثيرون؛ وقد قيل إنَّه سمي قيلا لأنه يقول ما شاء فينفذ. ومن أشهر الأقيال "المثامنة" وهم ثمانية رجال من حمير كانوا ملوكا على قومهم تحت أيدي ملوك حمير وكان أمرهم نافذا سواء في تمليك ملك أو عزله وهم: يزن وسحر وثعلبان الأكبر ومرة ذو عُنكلان ومقارن بن مالك وذو حزفر بن أسلم وعلقمة ذو جدن وذو صرواح.

---

(1) القيل: بفتح فسكون (مخفف) وقيل بفتح القاف وتشديد الياء، مثل سيد وميت وهين ولين، وأصله فيعل من القول فأصله قيول ثم قلبت الواو ياء وادغمت الياء في الياء ثم خفف بإحدى الياءين.

فمن ملوك حمير الملك الأول: قحطان بن عابر اليمني، والد بطون حمير وكهلان وهو الجد الأعلى لقحطان كلها ـ كما مر ـ يقال إنه أول من لبس التاج من ملوك اليمن وجزيرة العرب. كان من سكان حضرموت فانتقل إلى أرض صنعاء فابتنى فيها وتبعه الناس في ذلك فعمرت في أيامه، وتفرقت سلالته في المشرق والمغرب.

ومنهم يعرب بن قحطان، ولي إمارة صنعاء بعد موت أبيه قحطان وحارب العمالقة أصحاب الحجاز فغلبهم، وحارب أمراء العراق وبابل فظفر بغنائم كثيرة، وعاد إلى اليمن فصفا له ملكه. وكان من شجعان العرب وخطبائها وحكمائها؛ يقال إنه هو وأبوه أول من دعا العرب إلى الاحتفاظ بأساليب لغتهم بعد أن دخلتها لغات أمم أخرى، ويقال إنه هو أول من قال الشعر، ومات بصنعاء، وقد مر بعض خبره وخبر أبيه قحطان.

ومنهم سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، قيل اسمه عبد شمس وقيل عامر، ملك صنعاء وما جاورها وكان من كبار ملوك اليمن موصوفا بالشجاعة وعلو الهمة وقد طمح إلى إخضاع القبائل النائية فحاربها وأولع بالعمران فابتنى مدينة سبأ وسد مأرب، ويقال إنه هو أول من خطب في الجاهلية و لم تكن الخطبة ـ على ملإ من الناس ـ معروفة قبله، ويقال إنه هو أول من فتح البلاد وأخذ الإتاوات، وأعقب نسلا كثيرا تفرعت منه شعوب وبطون كثيرة منها حمير وكهلان.. وقد مر بعض الكلام عليه.

ومنهم حمير بن سبأ بن يشجب، وهو الذي يقول في أبيه سبأ:

عجبت ليومك ما ذا فعل — وسلطان عزك كيف انتقل
فأسلمت ملكك لي طائعا — وسلمت للأمر لما نزل

وكان حمير قد ولي ملك اليمن بعد أبيه سبأ وكانت عاصمة ملكه صنعاء، وهو أول

ملوك حمير وإليه نسبة الحميريين ملوك اليمن وتبابعته وأذوائه وأقياله، وإليه نسبة الخط الحميري وهو أول من تتوج بالذهب من ملوك اليمن. وكان شجاعًا مظفرا وغزا وافتتح حتى بلغ في بعض غزواته الصين، وهو الذي أخرج قبائل ثمود من اليمن إلى الحجاز؛ ولقب حمير لكثرة لبسه الثياب الحمر. ولما حان موته قال لبنيه: إني لأجد ثقل الثرى وغم الضريح فاجعلوا لي نفقا في هذا الجبل (جبل عيفر) وأجلسوني فيه، ففعلوا به ذلك وجعلوا معه في تلك المغارة أدراعه، أنفة من أن يلبسها بعده غيره!.

ومنهم وائل بْن حمير، صار إليه الملك بعد أبيه بصنعاء ونزل قصر غمدان ونقش فيه شعرا بالخط الحميري وكانت أيامه قلقة، فقد نافسه أخوه مالك بن حمير (أبو قضاعة) فكانت بينهما حروب، وتغلب على أطراف بلاده في اليمن عدة ملوك.

ومن ملوك حمير ـ أيضا ـ النعمان بن يعفر المعروف بالمعافر ، لقب به لقوله:

إذا أنت عافرت الأمور بهمة بلغت مقام الأكرمين المقاول[1]
فإما حمام الموت تلقاه عاجلا وإما تراث الأرض عن ملك وائل

[من أبيات]

وعمر النعمان هذا دهرا طويلا، ولما حضرته الوفاة قال لقومه: لا تدفنوني مضطجعا فيضطجع ملككم، فنحتوا له اسطوانة وأدرجوه فيها قائما.

ومنهم شداد بن عاد الحميري اتفقت عليه كلمة أولي الرأي من حمير، وقحطان فولوه الملك في صنعاء، فكان حازما مغوارا، غزا البلاد إلى أن بلغ أرمينية، وعاد إلى الشام فزحف إلى المغرب يبني المدن ويتخذ المصانع، ثم رجع إلى اليمن

(1) عافر الشيء: عالجه ليصل منه إلى ما يريد. والمقاول: جمع مقول: للقيل (بلغة أهل اليمن).

وبنى بمأرب قصرا بجانب السد لم يكن في الدنيا مثله، ودفن في مغارة جبل ومعه جميع أمواله.

ومنهم السمح بن المعافر الذي اضطرب في عهده ملك حمير حتى صار ملكُهم طَوائف و لم يزل كذلك حتى كان عهد تبع الأكبر الحارث الرائش، ويقال بل ملك في هذه الفترة شداد بن عادٍ السكسكي؛ من بني السكسك بن وائل بن حمير الحميري الذي اجتمع له الملك وغزا البلاد إلى أن بلغ أقصى المغرب وبنى المدائن والمصانع وترك الآثار العظيمة، وكان قد أعطي قوة وبسطة في الجسم، يلوي الحديد بيده ويصيح بالأسد فيخر ميتا. وزعم أهل السير أنه بنى مدينة سماها: إرم ذات العماد ضاهى بها الجنة، وبناها بلبن الذهب والفضة وأجرى إليها الأنهار، إلى غير ذلك.. وقد أعطي فسحة في العمر وتمكنا في الأرض أكثر ممن تقدمه من ملوك قومه، فحصلت له الشهرة بذلك فنسب الناس إليه كل غريب.

ومنهم الحارث الرائش بن ذي سُدَد ـ وقيل ابن قيس ـ بن صيفي بن سبأ الأصغر وإنما قيل له الرائش لأنه راش الناس بما أوسعهم من الغنائم والعطاء وهو أول التبابعة.

ومنهم الصعب بن الحارث الرائش (وهو ذو القرنين) السيار المذكور في القرآن وهو أبو الملوك التبابعة والأذواء والأقيال؛ وهو الذي يشير إليه الأعشى بقوله:

والصعب ذو القرنين أصبح ثاويا   بالحنو في جدث اشم مقيما

ومنهم أبرهة تبع بن الرائش وهو ذو المنار، لقب به لأنه أول من ضرب المنار على طريقه في مغازيه ليهتدي بها إذا رجع[1]. ومنهم ذو رعين (بوزن زبير) واسمه

---

(1) القاموس المحيط.

يريم بن زيد الجمهور الحميري وهو من ولد الحارث بن عمرو بن حمير، ورعين حصن له أو جبل فيه حصن أضيف إليه، وهو الذي يعنيه معدي كرب بقوله:

أتوعــــدني كأنـك ذو رعين	بأنعم عيشة أو ذو نـــــواس
وكائن كان قبلك من نعيــم	وملك ثابــــت في الناس راس
قديـــــم عهده من عهد عاد	عظيـــــم قاهر الجبروت قاس
أزال الدهر ملكهـــم فأضحى	ينقّـــل مـــــن أناس في أناس

ومنهم ذو أصبح الحارث بن مالك بن زيد بن غوث بن سعد بن عوف بن عدي بن مالك بن زيد الجمهور الحميري، ومن ولده الإمامُ مالك بن أنس إِمــامُ دارِ الهجرة. ومنهم ابين بن زهير بن الغوث بن أيمن بن الهميسع بن حمـير، وإليـه تنسب عدن أبين. ومنهم افريقش بن ابرهة، وقيل ابن قيس بن صيفي أخـو الرائش، يقـال إنه هو الذي ساق البربر من أرض كنعان إلى افريقية بعـد مـا أوقـع بهـم يوشع بـن نون، صاحب موسى عليهما السلام، وإن افريقش هذا لما سمع كلامهـم ورطـانتهم قال: ما أكثر بربرتكم فسموا *بالبربر* لذلك، وبافريقش هذا سميت افريقية.

الملكة بلقيس والقول في أمها الجنية

ومنهم عمرو بن ابرهة وهو ذو الاذعار، لقـب بذلـك لأنـه سبى قومـا وَحِشَـة الاشكال: وجوههم في صدورهم، فذعر الناس منهم؛ وقيل غير ذلك. ويقـال إن ذا الإذعار هذا هو الذي قتل شرحبيل بن عمرو (من ولـد يعفـر بـن السكسـك الـذي ملكته حمير زمنه) وقتل أيضا ابنه الهدهاد بن شرحبيل. والهدهاد هذا هو والد بلقيس بنت الهدهاد بن شرحبيل صاحبة سـليمان بـن داوود عليهمـا السـلام؛ وكـانت قـد ملكت بعد أبيها الهدهاد بعهد منه، فصالحت ذا الإذعار على أن يتزوج بها ثم قتلتـه غيلة واحتوت على ملكه، ثم غلب عليها سليمان فضم ملك اليمن إلى ملكـه إلى أن توفي. وقيل إن بلقيس بنت شرحبيل بن مالك بن الريان من ذرية يعرب بن قحطان؛

وكان أبوها شرحبيل عظيم الشأن ملك أرض اليمن كلها، وكان يقول للملوك الأطراف: ليس أحد منكم كفؤا لي وأبى أن يتزوج فيهم فخطب إلى الجن فزوجوه امرأة منهم يقال لها ريحانة بنت السكن. واختلف في سبب وصوله إلى الجن حتى خطب إليهم وتزوج فيهم؛ قيل كان كثير الصيد فربما اصطاد الجن وهم على صورة الظباء فيخلي عنهم، فظهر له ملك الجن وشكر له ذلك واتخذه صديقا فخطب ابنته فزوجه إياها؛ وقيل إنه خرج متصيدا يوما فرأى حيتين تقتتلان بيضاء وسوداء وقد ظهرت السوداء على البيضاء فقتل السوداء وصب ماء على البيضاء حى أفاقت وتركها، فلما رجع إلى داره وجلس وحده إذا معه شاب جميل فخاف منه فقال له:لا تخف أنا الحية البيضاء التي أحييتني والأسود الذي قتلته هو عبد لنا تمرد علينا وقتل عدة منا؛ وعرض عليه المال فقال: لا حاجة لي فيه ولكن إن كانت لك بنت فزوجنيها، فزوجه ابنته فولدت له بلقيس.

وجاء في الحديث أن أحد أبوي بلقيس كان جنيا[1]، وفي رواية أنه خرج إلى القنص يوما فرأى شابا جميلا واقفا في طريقه فقال للملك: هل تعرفني؟ قال: لا، قال: أنا الحية البيضاء الذي أنجيتني وأريد أن أكافئك بما فعلت، فعرض عليه أن يعلمه الطب فأبى فقال: أدلك على الدفائن والكنوز؟ فلم يقبل، فقال: إن أبيت هذين فلي بنت جميلة لم يكن في بني آدم مثلها في الجمال فإن شئت أزوجكها، لكن بشرط أن لا تسألها عما تفعل هي، فإنك إن سألتها عما فعلت ثلاث مرات غابت

---

(1) ذكره القرطبي في تفسيره (182/13)، وابن كثير (148/3)، وأورده ابن عساكر في مختصر تاريخ دمشق لابن منظور (282/5)، وابن جرير الطبري في جامع البيان (169/19) كما في البداية والنهاية لابن كثير؛ وقد أورده ابن كثير فيها وقال: هذا حديث غريب وفي سنده ضعف.

عنك و لم ترها بعد ذلك! فقبل الملك فتزوجها ورجع بها إلى منزله فحملت منه بنت؛ ولما ولدتها ظهرت نار فقذفتها فيها فقال لها: لم فعلتِ؟ فقالت: أما شرطت أن لا تسألني عما أفعل، فهذه واحدة من الثلاث فاحفظها. ثم ولدت ابنا فجاء كلب فوضعته في فيه فذهب به، فصاح الملك وقال: لم فعلت؟ فقالت: هاتان اثنتان. ثم دعاه يوما ملك كانت بينه وبينه عداوة يريد منه الصلح فسم له طعاما؛ فلما قدم عليه هو والجنيَّة ومن معهم علمت أن الطعام مسموم فلما قدم إليهم جعلت فيه روثا، فقال لها: لم فعلت هذا؟ فقالت: هذه ثالثة؛ ثم قالت له: أما النار والكلب اللذان رأيتهما فهما ظئران سلمت لهما الولدين لئلا يكون لي تعب في تربيتهما وأما الطعام فقد كان مسموما، ثم دعت بالبنت فأحضرت فدفعتها إليه؛ وكان الابن قد مات عند ظئره ثم غابت الجنية. فسمى الملك بنته *بلقيس*. وكانت ذات جمال فائق ورأي وتدبير واستخلفها على ملكه بعد موته؛ فجلست مكان أبيها على سرير الملك فأطاعها الملوك؛ فكانت تجلس من كل أسبوع يوما للحكومة وتحتجب عن الناس ترخي ستورا رقيقة دون الناس بحيث تراهم ولا يرونها، والناس وقوف في حضرتها مطرقين رؤوسهم من هيبتها، فإذا كانت لأحدهم حاجة عندها يسجد لها أولا ثم يعرض حاجته في حضرتها فتحكم فيها. وكانت تحرسها ألوف الحرس، وكانت هي وقومها مجوسيين يعبدون الشمس ويسجدون لها من دون الله؛ وكان لها عرش عظيم.

و لم تزل بلقيس ملكة سبأ حتى اطلع عليها هدهد سليمان بن داوود ـ عليهما السلام ـ فكان من أمرها ما كان مما ورد في القرآن العظيم وقصه؛ وأسلمت بلقيس فتزوجها سليمان وأقرها على ملكها وردها إليه، وأمر الجن فبنوا له بأرض اليمن

ثلاثة حصون لم ير مثلها ارتفاعا وحسنا وهي غمدان وسلحين وبينون[1].

ثم كان سليمان يزورها مرة كل شهر ويقيم عندها ثلاثة أيام يبكر من الشام إلى اليمن ومن اليمن إلى الشام وقد قيل إنها ولدت له. ولما مات سليمان عليه السلام انقضى ملكه وملك بلقيس ورفعت الجن أيديها وتفرقت. ثم اجتمعت حمير بعدُ على مالك بن عمرو ذي الاذعار، وقيل من ولد يعفر ويقال له مالك ناشر النعم لإنعامه على الناس.

ومنهم شمر يرعش بن ناشر النعم وقيل هو شمر بن افريقش[2]. ومنهم زيد بن شمر وهو تبع الأقرن (لقب بذلك لشامة في قرنه). ومنهم أسعد الكامل، قيل هو تبع الآخر وإنه هو المراد بقوله تعالى: ﴿ أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ ﴾[3] لأنه آمن بالنبي ﷺ قبل ظهوره، وهو القائل:

شهـــدت على أحمـــد أنـــه رســـول من الله باري النسم[4] ..إلخ

وهو أشهر التبابعة وقد مر بعض خبره. ومنهم حسان بن أبي كرب، وهو الذي انتقم من جديس لطسم باليمامة حتى أفناهم وقتل زرقاء اليمامة وقتله أخوه عمرو فملكته حمير مكانه فابتلي بالسهر و لم ينتفع بملكه حتى مات ـــ كما مر.

---

(1) و لم تزل هذه الحصون قائمة حتى هدمها أرياط الحبشي، وفي ذلك يقول ذو جدن الحميري:

هونك ليس يـــرد الدمع ما فاتا لا تهلكـــي أسفا في اثر من ماتا
أبعد بينون لا عين ولا أثـــر وبعـــد سلحين يبني الناس أبياتا

(2) يقال انه توجه نحو العراق ثم إلى الصين فدخل مدينة الصغد ووراء النهر ثم هدمها فقالت العجم: "شمر كند" أي شمر خربها، ثم أعيدت فبقي ذلك الاسم عليها ثم عربتها العرب فقالوا: "سمرقند".

(3) الدخان: 37.

(4) روي أنه صلى الله عليه وسلم قال: ((لا تسبوا تبعا فإنه كان مؤمنا))، وروي: ((لا تسبوا أسعد الحميري فإنه أول من كسا الكعبة)).

ومرج أمر حمير وتفرقت طوائف وتداولتها ملوك ثوار من غير بيوت الملك إلى أن اجتمع أمرهم على ذي نواس زرعة بن تبان الحميري، الذي قتل أهل نجران على النصرانية ـ كما مر ـ وقد قيل انه هو صاحب الأخدود المذكور في القرآن؛ وكان متديناً باليهودية. واستصرخ أحدُ أهل اليمن عليه قيصَر فكتب له إلى النجاشي فبعث معه جيشا من الحبشة فاستولوا على اليمن وهلك ذو نواس غريقا، واستقر ملك الحبشة لليمن زمنا وغزا فيه ابرهة الحبشي الكعبة بالفيل على عهد عبد المطلب. ولما طال البلاء على أهل اليمن من ملك الحبشة خرج سيف بن ذي يزن الحميري إلى كسرى أنوشروان (ملك الفرس) فبعث معه جيشا من أهل فارس فقتلوا الحبشة وأجلوهم في كل وجه وولي سيف بن ذي يزن على اليمن حتى اغْتاله جماعة من أبناء الحبشة كان قد اتخذهم خدما ـ كما مر ـ وبموته انقرضت دولة حمير والتبابعة وبقيت اليمن في أيدي الفرس حتى صبحهم الإسلام. وإلى الله عاقبة الأمور، والعاقبة للمتقين.

وفي أنساب التبابعة اختلاف وتخليط وتقديم وتأخير وزيادة ونقصان.. ولا يصح من كتب أخبار التبابعة وأنسابهم الا طَرفٌ يسير لاضطراب رواتهم وبعد العهد، كما نص عليه ابن حزم في جمهرته. والله تعالى أعلم.

نسب قضاعة*

... .	وَانْسُبْ قُضَاعَةَ يَتِيمَةَ السُّلُوكْ
عَمْرُو وَعِمْـرَانُ وَأَسْلُمُ بَنُو	إِلْحَافِـهِ وَهَكَـذَا تَفَنَّنُوا
عَمْرُو أَبُو حَيْدَانَ مَـعْ بَلِيِّ	بَهْـرَاءَ مَـوْلَى بَرْمَكِ الْعَلِيِّ
حَيْدَانُ مَهْـرَةُ ابْنُهُ الْمَهَارَى	إِلَيْهِ تُنْسَبُ وَلاَ تُجَـارَى

قضاعة (بالنصب): مفعول به لانسب. **ويتيمة**: صفة له. **واليتيمة**: الدرة التي لا نظير لها، وتطلق على كل شيء يعز نظيره. **والسلوك**: جمع سلك (بالكسر): وهو الخيط ينظم فيه الخرز ونحوه، وسلك النسب: عموده. يعني أن قبيلة قضاعة في غيرها من القبائل الحميرية كالدرة اليتيمة في العقد.

وقوله **عمرو**: مبتدأ؛ **وعمران وأسلم** (بضم اللام): معطوفان عليه. وقوله **بنو إلحافه**: خبر عن **عمرو**، والضمير المضاف إليه عائد على قضاعة. **وإلحاف** (بكسر الهمزة): يقال بإثبات الياء في آخره وبحذفها،كما يقال العاص والعاصي. **وتفننوا** أي تفرعوا.

يقول: وانسب إلى حمير بن سبأ أيضا قضاعة وبطونه المتفرعة من عمرو وعمران وأسلُم بني الحاف بن قضاعة؛ وجميع من تفرع من قضاعة بواسطة ابنه الحاف. وقوله **عمرو**: مبتدأ، **وأبو حيدان** (بالحاء المهملة بوزن سكران): خبره. **وبلي**: بوزن غني. **وبهراء** (بوزن حمراء): عطف على بلي بحذف العاطف. **ومولى**: صفة

* تفرعت من قضاعة بن مالك هذا بطون عديدة وأفخاذ كثيرة، ذكر الناظم منها تسعة ما بين بطن وفخذ وذكر من أعيانهم اثنين وعشرين رجلا وامرأتين.

لبهراء. **وبرمك:** كجعفر. **والعلي**: الرفيع صفة لبرمك. وقوله **حيدان:** مبتدأ خبره الجملة بعده. **ومهرة**: بوزن حمزة. **والمهارى** (بفتح الميم والراء): جمع مهرية (بفتح فسكون) وهي الإبل المنسوبة إلى مهرة بن حيدان وتجمع أيضا بمهار (بوزن جَوارٍ). والضمير في **إليه**: عائد على مهرة، يقال إن هذا النوع من الإبل كان لا يعدل به شيء في سرعة جريه ولذا قال الناظم: **ولا تجارى**. وكلٌّ من **تنسب وتجارى** مبني للمفعول.

يقول: أما عمرو بن الحاف فله من الولد حيدان وبلي وبهراء بنو عمرو، وأما حيدان فابنه مهرة بن حيدان وهو الذي تنسب إليه الإبل المهرية.

هذا وقد درج الناظم هنا على المشهور والأرجح في نسب قضاعة وهو أنه حميري، وإن كان قد سبقت الإشارة إلى أنه من القبائل المتذبذبة بين القحطانية والعدنانية.

والحاصل أنه اختلف في نسبه فقيل هو قضاعة بن مالك بن حمير؛ وقيل قضاعة بن مالك بن عمرو بن مرة بن زيد بن مالك بن حمير، وعليهما فهو من القحطانية ثم من حمير منها. وقد روى عقبة بن عامر الجهني قال قلت: يا رسول الله ممن نحن؟ قال: «من قضاعة بن مالك بن حمير». وفي ذلك يقول الشاعر القضاعي عمرو بن مرة الجهني الصحابي يفتخر بذلك:

يا أيها الداعي ادعنا وأبشر   **وكن قضاعيا ولا تنزّر**

نحن بنو الشيخ الهمام الأزهر[1]   **قضاعة بن مالك بن حمير**

النسب المعروف غير المنكر   **في الحجر المنقوش تحت المنبر**

وقيل قضاعة هو ابن معد بن عدنان؛ وعليه يكون من العدنانية، ويحتج لهذا القول

---

(1) في رواية: الهجان الأزهر. والهجان: الرجل الحسيب. والهمام: الذي إذا اهتم بشيء فعله. والأزهر: المشرق الوجه.

بقول زهير المزني:

قضاعية أو أختها مضرية　　يحرق في حافاتها الحطب الجزل

فجعل قضاعة ومضر أخوين، وقول الكميت يعاتبهم في انتسابهم إلى اليمن:

علام نزلتمُ من غير فقر　　ولا ضراء منزلة الحميل

والحميل: المسبي لأنه يحمل من بلد إلى بلد.

ومما عوتبت به قضاعة في انتسابها إلى اليمن قول أعشى بني تغلب:

أزنّيتم عجوزكم وكانت　　قديما لا يشم لها خمار

عجوز لو دنا منها يمانٍ　　للاقى مثل ما لاقى يسار

يريد يسار الكواعب[1] الذي هم بهن فخصينه.

وجمع بعضهم بين القولين بما ذكره الزبير بن بكار وغيره من أن أُمَّ قُضاعة امرأة من جرهم تزوجها مالك بن حمير فولدت له قضاعة ثم خلف عليها معد بن عدنان وابنها صغير فنسب إلى زوج أمه[2]. واسم قضاعة عمرو ولقب قضاعة لانقضاعه من قومه أي بعده عنهم، أو بالقضاعة وهو الفِهْد. ولم يُعقب له من الولد غير إلحاف بن قضاعة. ولإلحاف من الولد ثلاثة: عمرو وعمران وأسلُم، أمهم بنت

---

(1) يسار الكواعب: كان عبدا لامرأة من غُدَانة (وهم بطن من تميم) يقال لها: منشم ، فراودها عن نفسها فقالت له: أمهل حتى أشمك طيب الحرائر، فلما أمكنها من أنفه أنحت عليه بالموسى حتى أوعبته جدعا، فقيل المثل: "لاقى الذي لاقى يسار الكواعب"، ومنشم هذه ـ أيضا ـ هي صاحبة المثل: "بينهم عطر منشم" وهو كناية عن شدة الحرب، وأصله أن قوما تحالفوا على الموت فغمسوا أيديهم في طيب أعدته لهم منشم هذه تأكيدا للحلف. وقيل منشم امرأة من خزاعة كانت تبيع العطر والطيب فيشترى منها للموتى فتشاءموا بها لذلك. [الروض الأنف].

(2) قيل ان اسم تلك الجرهمية قضاعة، فلما جاءت بولدها سمته باسمها، وقيل بل كان اسمه عمرا فلما تقضع عن قومه (أي بَعُد) سمي قضاعة.

غافق بن الشاهد بن عك. ومنهم تشعبت بطون قضاعة، وإلى ذلك أشار الناظم بقوله **عمرو وعمران**..إلخ.

والمشهور منهم ثمان قبائل هي: بنو حيدان وبنو بلي وبنو بهراء؛ وهؤلاء من ولد عمرو بن إلحاف بن قضاعة (وإلى ذلك أشار بقوله **عمرو أبو حيدان**..إلخ) وبنو نهدٍ بن زيد وبنو عذرة بن سعد وبنو جهينة بن زيد، وهؤلاء من ولد أسلم بن إلحاف (وإلى ذلك أشار بقوله الآتي: **من أسلم نهد الشتيت**..إلخ) وبنو كلب بن وبرة وبنو جرم بن زبان، وهما من ولد عمران بن إلحاف (وإلى ذلك أشار بقوله الآتي أيضا: **أخوهما عمران كالطيس** ..إلخ).

أما حيدان بن عمرو بن إلحاف فمنه بنو مَهْرة بن حيدان، وإليهم تنسب الإبل المهرية[1] وهي أكرم الإبل. ومنه أيضا بنُو العيدي بن مَهرة وإليهم تنسب الإبل العيدية[2]، ومنهم زهير بن قِرضِم بن العجيل العيدي، وفد على النبي صلى الله عليه وسلم. ومن حيدان ـ أيضا ـ بنو تزيد بن حيدان وإليهم تنسب الثياب التزيدية[3]؛ وبلادُ بني مهرة بن حيدان في ناحية الشحر من اليمن ببلاد العنبر على ساحل البحر.

---

(1) ومنه قول ذي الرمة غيلان بن عقبة العدوي:

زار الخيال لميٍّ هاجعا لعبت ... به التنائف والمهرية النجب

وأما المهر (بضم الميم وسكون الهاء) فهو ولد الفرس، أو أول ما ينتتج من الخيل والحمر الأهلية وجمعه: أمهار ومهار ومهارة (بكسر الميم فيهما) ومؤنثه مهرة (بضم فسكون) جمعها: مهر (بضم ففتح) ومهرات (بضم الميم وفتح أو سكون الهاء).

(2) ومنه قول الشاعر: **يا من يعز علينا أن نفارقهم ... وجداننا كل شيء بعدكم عدم**

إن تمس قد قطعت فيح الفلا بكم ... عنا وعنكم بنا العيدية الرسم

(3) كما قال علقمة بن عبدة التميمي:

رد الإماء جمال الحي فاحتملوا ... فكلها بالتزيديات معكوم

عقلا ورقما تظل الطير تتبعه ... كأنه من دم الأجواف مدموم

وأما بهراء بن عمرو بن إلحاف فله من الولد اهود وقاسط ومبشر وعدي، (بطون كلهم)، أمهم بنت مُرٍّ بن أد (أخت تميم بن مر). ومن بطون بهراء بنو هنب بن القين بن اهود بن بهراء وبنو قاس وبنو شبيب ابني دريم بن القين بن اهود بن بهراء، وهم الذين يعنيهم الشاعر الجاهلي علقمة بن عَبدَة التميمي بقوله:

وجالد من غسان أهل حفاظها وهنب وقاس جالدت وشبيبُ

ومن بني هنب بن القين معلن بن صفار، عقد له هشام بن عبد الملك على ارمينية وأذربيجان، ويقال انه هو أول من وسم الخيل. وكانت منازل بني بهراء شمالي منازل بلي من الينبع إلى عقبة أيلة ثم جاوز بحر القلزم منهم خلق كثير وانتشروا ما بين صعيد مصر وبلاد الحبشة وكثروا هناك وغلبوا على بلاد النوبة وحاربوهم.

ومن بهراء أيضا جماعة كثيرة من أعيان الصحابة وغيرهم من أعيان الإسلام، منهم المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة البهرائي الصحابي الجليل، ويعرف بالمقداد بن الأسود لأنه كان حليفا للأسود بن عبد يغوث بن وهب ابن خال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان قد تبناه فنسب إليه حتى نزل قوله تعالى: ﴿ ٱدۡعُوهُمۡ لِأَبَآئِهِمۡ ﴾[1] فقيل له *المقداد بن عمرو*؛ أسلم قديما وهاجر إلى المدينة وكان فارس المسلمين يوم بدر وهو القائل ذلك اليوم: "يا رسول الله إنا والله لا نقول لك كما قال أصحاب موسى لموسى: ﴿ فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴾[2] ولكننا نقاتل من بين يديك ومن خلفك وعن يمينك وعن شمالك"، وشهد رضي الله

---

(1) الأحزاب: 5.

(2) المائدة: 24.

عنه المشاهد كلها وشهد فتح مصر وكان من الفضلاء النجباء الكبار الخيار، ومات بالجرف[1] سنة ثلاث وثلاثين وحمل إلى المدينة وصلى عليه عثمان ودُفن في البقيع ولم يعقب.

وقد قدم وفد من بهراء من اليمن على النبي ﷺ بالمدينة وأقبلوا يقودون رواحلهم حتى انتهوا إلى باب المقداد هذا، فخرج عليهم ورحب بهم وقدم لهم جفنة من الحيس (وهو التمر والسمن والأقط) فأكلوا منه حتى نهلوا، فكان المقداد يردده عليهم مدة إقامتهم معه وما يغيض؛ فجعلوا يقولون له: إنك لتنهلنا من أحب الطعام إلينا وما كنا نقدر على مثل هذا إلا في الحين وقد ذكر لنا أن بلادكم قليلة الطعام، فأخبرهم أن هذا من بركة رسول الله ﷺ لأنه كان قد أكل من هذه المائدة؛ فجعل القوم يقولون: نشهد أنه رسول الله وازدادوا يقينا، وذلك الذي أراد صلى الله عليه وسلم؛ فأتوه وأسلموا وتعلموا الفرائض وأقاموا أياما ثم ودعوه صلى الله عليه وسلم وأمر لهم بجوائز وانصرفوا إلى أهلهم باليمن.

نسب البرامكة وذكر بعض مدحهم

ومن بهراء أيضا بالحلف خالد بن برمك بن جاماس بن يشتاسف البرمكي (كما أشار إليه الناظم ووصف برمكا بالعلي لشهرة بنيه البرامكة بالجود وعلو القدر والمنزلة). وكان برمك هذا من مجوس مدينة بلخ؛ وكان يقوم بشؤون متعبد المجوس بها وكان عظيم المقدار، ثم ساد ابنه خالد بن برمك فاستوزره أبو العباس عبد الله السفاح العباسي ولم يزل وزيرا له حتى مات فاستوزره بعدهُ أخوه أبو جعفر المنصور إلى أن مات سنة ثلاث وستين ومائة، وكان غاية في الجود والسخاء وحسن

---

(1) الجرف (بضم فسكون): موضع على ثلاثة أميال من المدينة نحو الشام، به كانت أموال لأهل المدينة وبه بئر جشم، قيل سمي الجرف لأن تبعا مر به فقال: هذا جرف الأرض.

الرأي والسياسة، وقد بلغ في ذلك مبلغا لم يبلغه أحد بعده؛ وله من الولد يحيى، واشتهر بجودة الرأي ووفور العقل وكان يقول: "إذا أقبلت الدنيا فأنفق فإنها لا تفنى وإذا أدبرت فأنفق فإنها لا تبقى"، ويقول: "ذكر النعمة من المنعم تكدير ونسيان المنعم عليه كفر وتقصير". وكان ليحيى بن خالد هذا من الولد جعفر والفضل[1] ومحمد وموسى؛ اشتهر جعفر منهم بالكتابة وفصاحة اللسان. والفضل بالجود والنبل. ومحمد بالشرف وبعد الهمة. وموسى بالشجاعة والرئاسة.

وقد اشتهرت البرامكة بالجود والكرم والسخاء حتى ضرب بهم المثل في ذلك، وملئت الصحائف بمدحهم والثناء عليهم. وكان المامون يقول: لم يكن كيحيى وبنيه أحد في الكفاية والبلاغة والجود والشجاعة ولقد صدق القائل:

أولاد يحيى أربع — كأربع الطبائع
فهم إذا اختبرتهم — طبائع الصنائع

وفي يحيى بن خالد يقول الشاعر:

سألت الندى هل أنت حر فقال لا — ولكنني عبد ليحيى بن خالد
فقلت: شراء؟قال: لا، بل وراثة — توارثني عن والد بعد والد

وفي جعفر يقول:

ولما رأيت السيف جدل[2] جعفرا — ونادى مناد للخليفة: يا يحيى
بكيت على الدنيا وزاد تلهفي[3] — عليها وقلت: الآن لا تنفع الدنيا

---

(1) وكان الفضل ترب الرشيد وأخاه من الرضاعة، أرضعتهما الخيزران أم الرشيد وزبيدة بنت بريه أم الفضل، وفي ذلك يقول مروان بن أبي حفصة يمدح الفضل:

كفى لك فضلا أن أفضل حرة — غذتك بثدي - والخليفةَ - واحدِ
لقد زِنتَ يحيى في المشاهد كلها — كما زان يحيى خالداً في المشاهدِ

(2) جدله: صرعه على الجدالة وهي الأرض.

(3) تلهفي: حزني وحسرتي.

وفي الفضل يقول الشاعر:

ما لقينا من جود فضل بن يحيى　　　تـرك الناس كلّهـــــم شعـراءَ
علّم المفحمين أن ينظموا الأشـ　　　ـعار منا والباخلـــين السخـــاءَ!

وقال آخـر:

حكى الفضل عن يحيى سماحة خالد　　　وقام به التقـــوى وقام به الفضل
وقام به المعروف شرقا ومغـربا　　　ولم يـــك للمعروف بعد ولا قبل
ولو قيل للمعروف: ناد أخا العلى　　　لنادى بأعلى الصوت: يا فضل يا فضل
فلو أن أما مسها جـــوع طفلها　　　وغذته باسم الفضل لاغْتُذِيَ الطفل

ومما مدحوا به قول الشاعر:

إذا نــزلوا بطحاء مكة أشرقت　　　بيحيى وبالفضل بن يحيى وجعفر
فما خلقـــت إلا لجود أكفهم　　　وأرجلهـــــم إلا لأعـــواد منبر

وفي محمد بن يحيى يقول الشاعر:

سألت الندى والجود مالي أراكمـا　　　تبدلتـما ذلاًّ بعـــــزٍّ مؤبـدِ؟
وما بال ركن المجد أمسى مهدما؟　　　فقالا: أصبـــنا بابن يحيى محمـد
فقلت: فهــــلا متما قبـل موته　　　وقد كنتما عبديه في كل مشهد؟
فقالا: أقمنا كــــي نعزى لفقده　　　مسافـــــة يوم ثم نتلوه في غد!

ووقعة الرشيد بالبرامكة مشهورة[1]. ولبعض الشعراء في رثائهم:

---

(1) وإذا أراد الله هلاك قوم وزوال نعمتهم جعل لذلك أسبابا. وقد اختلف في سبب حادثة البرامكة وتغير الرشيد عليهم واستئصاله لهم. ومما روي في ذلك أنهم كانوا يقصرون في شأن الفضل بن الربيع بن يونس بن محمد بن عبد الله بن كيسان مولى عثمان بن عفان ويحتقرونه، وقد كان يروم التشبه بهم ومعارضتهم إلا أنه لم يكن له من القدر ما يدرك به اللحاق بهم؛ فكانت في نفسه منهم إحن وشحناء. فلم يزل يسعى بهم إلى الرشيد حتى أوغر صدره عليهم فنُكبوا على يده وتولى بعدهم وزارة الرشيد؛ وفي ذلك يقول أبو نواس أو غيره:

<<=

على المعـــروف والدنيا جميعا ... لدولـــة آلِ بَرْمَكٍ الســـلام
فلم أر قبل قتلك يا ابن يحيى ... حساما فلَّـــه السيف الحسام
أما وا لله لولا خـــوف واشٍ ... وعـــينٌ للخليفـة لا تنام
لطفنا حـول جذعك واستلمنا ... كما للناس بالحجـــر استـلام!

وقال:

ألا إن سيـفاً برمكيا مهنّـدا ... أصيـــب بسيف هاشمي مهند
فقـل للعطايا بعد فضل تعطلي ... وقل للرّزايا كـــل يوم تجلدي

ومن قضاعة أيضا ثم من بني القين منهم ماوية بنت كعب بن القين بن جسر القضاعية أم كعب بن لؤي القرشي وإخوته.

ثم قال رحمه ا لله:

وَكَثُــرَتْ فِي بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ ... بَنُو بَلِيٍّ وَبَنُــو الْعَجْـــلاَنِ
خَيْرُ بَلِيٍّ حَالَفُــوا الأَنْصَارَا ... وَنَصَرُوا بِطَيْبَــــةَ الْمُخْتَارَا
مِنْهُـمْ عُوَيْمِـــرُ وَزَوْجُهُ الَّتِي ... لاَعَنَهَا بِأَمْرِ هَادِي الْمِلَّـــةِ
وَمِنْهُـمُ الَّذِي بِـــهِ قَذَفَهَـا ... وَهْوَ شَرِيكُ ابْنُ سَحْمَا إِلْفُــهَا

--->>

ما رعى الدهر آلَ بَرمَكَ لما ... أن رمى ملكهم بأمر فظيع
إن دهرا لم يرع عهدا ليحيى ... غير راع ذمام آل الربيـع

وصدق الشاعر فلم يرع الدهر ذمام آل الربيع. فلم يزل الفضل بن الربيع وزيرا للرشيد حتى مات وصرف الخلافة لابنه محمد الأمين فصحبه الفضل و لم يعرج على المأمون و لم يلتفـت إليـه، حتى قيل انه زين للأمين أن يخلع المأمون من ولاية العهـد ويجعلها لابنـه موسـى بـن الأمـين. ولمـا قتـل المامـون الأمين وانتهت إليه الخلافة اختفى الفضل بن الربيع و لم يكن له في دولة المـأمون حـظ و لم يُرعَ له عهد.

وَعَاصِمُ الَّذِي النَّبِيُّ اسْتَخْلَفَهْ عَلَى عَوَالِي طَيْبَةٍ فَشَرَّفَهْ

بيعة الرضوان: هي المذكورة في القرآن الكريم بقوله جل ﴿ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾[1]، واختلف في عدد أهلها فقيل ألف وأربعمائة وقيل ألف وخمسمائة وقيل ألف وثمانمائة[2]. وقد بايع فيها من بني بلي مائة وسبعون رجلا.

وقوله **بنو بلي:** فاعل **كثرت**. وقوله **بنو العجلان:** مبتدأ خبره: **خير بلي**..إلخ. **وطيبة:** من أسماء المدينة. والضمير في **منهم:** عائد على **بنو العجلان**. وقوله **بأمر هادي الملة:** أي بأمر رسول الله ﷺ. وقوله **منهم:** أي بنو العجلان أيضا. **وقذفها:** أي رماها بالفاحشة. **وشريك** هو بوزن أمير. وقوله: **ابن سحماء:** بفتح السين وسكون الحاء المهملتين بعدهما ميم ممدود، وقصره هنا ضرورة[3]. **وإلفها** (بالنصب): مفعول به لأعني مقدرة، أي صاحبها الذي رماها به زوجها. وقوله **عاصم** (بالرفع): عطف على عويمر. **وعوالي طيبة:** جمع عالية[4] وهي ما كان من قرى المدينة وعمائرها إلى جهة نجد ـــ من المدينة ـــ وأدناها السنح (بوزن عنق وقفل) قرية على ميل من المسجد النبوي الشريـــف، وأقصاها من ثلاثة أميال إلى أربعة أو

---

(1) سورة الفتح: 18 وكانت الشجرة التي بايعوا تحتها سمرة.

(2) بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ على أن لا يفروا فكانوا خير أهل الأرض.

(3) سحماء (بسين ثم حاء مهملتين بعدهما ميم ممدودا) كما في القاموس المحيط وفتح الباري على صحيح البخاري، ومثلها في الإصابة والاستيعاب وأسد الغابة وغيرها.. وفي الخميس وعمدة القارئ للعيني هو (بسين ثم ميم ثم حاء ممدودا).

(4) مواضع أو قرى بظاهر المدينة من جهة المشرق من ميلين إلى ثمانية أميال، وقيل أدناها من أربعة أميال، وكل ما كان في جهة نجد يسمى العالية وما كان في جهة تهامة يسمى السافلة؛ ومن عوالي المدينة قباء، وأخذ من نزول النبي صلى الله عليه وسلم في علوِ المدينة التفاؤل له ولدينه بالعلوّ.

ستة أو ثمانية فتنتهي.

يقول ومن بطون بني بلي بن عمرو بنو العجلان بن حارثة، حلفاء الأنصار الذين؛ منهم عويمر بن الحارث وزوجه خولة بنت قيس وشريك بن سحماء وعاصم بن عدي العجلانيون.

أما بنو بلي فهم بطن من قضاعة؛ وهم بنو بلي بن عمرو بن إلحاف، وفيهم جماعة من مشاهير الصحابة. وقد بايعت منهم تحت الشجرة مائة وسبعون ـ كما مر. وأما بنو العجلان فهم بطن من بلي جدهم العجلان بن حارثة بن ضبيعة بن حرام بن جُعَلٍ بن عمرو بن جشم بن وَدْم بن ذبيان بن هميم بن كاهل بن ذهل بن هني بن بلي بن عمرو بن إلحاف بن قضاعة، حالف جدهم العجلان بن حارثة بني عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس الأنصاريين في الجاهلية وسكن معهم المدينة؛ فدخل بنوه في الأنصار وأقاموا معهم فكانوا في عدادهم، واستقبلوا معهم رسول الله ﷺ قدومه من مكة مهاجرا وآووه وعزروه ونصروه فكانوا بذلك أفضل بطون بني بلي كما قال الناظم: **وبنو العجلان خير بلي**..إلخ.

وأما عويمر فهو ابن الحارث بن زيد بن حارثة بن الجد بن العجلان بن حارثة البلوي الأنصاري العجلاني، ويعرف بعويمر بن أبيض، وأبيض لقب لأحد آبائه. وأما زوجه فهي خولة بنت عاصم بن عدي بن الجد بن العجلان العجلانية، وقيل بنت أخي عاصم.

وأما شريك فهو ابن عَبَدَة بن مغيث بن الجد بن العجلان بن حارثة بن ضبيعة البلوي العجلاني، أمه سحماء؛ قيل حبشية وقيل يمانية وقيل أمة سوداء، وقد اشتهر بالنسبة إليها فعرف بشريك ابن سحماء، وكان أخا البراء بن مالك لأمه، وكان أبوه عبدة بن مغيث قد أسلم وصحب وشهد بدرا وأحدا.

وشهد شريك أحدا مع أبيه عبدة هذا، ويروى أنه بعثه أبو بكر رضي الله عنه إلى خالد بن الوليد باليمامة أن يسير إلى العراق، وأنه كان أحد الأمراء بالشام في خلافة أبي بكر الصديق وبعثه عمر رسولا إلى عمرو بن العاص حين أذن له أن يتوجه إلى فتح مصر.

وأما عاصم فهو أبو عمرو عاصم بن عدي بن الجد بن العجلان بن حارثة البلوي العجلاني، كان سيد بني العجلان وكان قد خرج مع النبي ﷺ إلى بدر فرده من الروحاء ليخلفه على أهل قباء والعالية[1] من المدينة لشيء بلغه عنهم، وضرب له بسهمه وأجره، وشهد أحدا وما بعدها. وتوفي سنة خمس وأربعين وهو ابن مائة وخمس عشرة سنة، وقيل عشرين سنة؛ فلما حضرته الوفاة بكى عليه أهله فقال: لا تبكوا علي إنما فنيت فناء، وكان قد تصدق بمائة وسق[2] من تمر حين حث النبي ﷺ على الصدقة فلمزه المنافقون، قالوا: ما أراد بهذا إلا الرياء، فأنزل الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَـٰتِ ﴾[3]. وابنه أبو البداح حبة بن عاصم بن عدي قيل أسلم يوم الفتح، وقيل لا صحبة له وإنما الصحبة لأبيه، كان شاعرا ومات بمكة، وكانت تحته سبيعة الأسلمية فوضعت بعد موته بليال فقال لها أبو السنابل بن بعكك ــ وكان قد خطبها ــ إن أجلك أربعة أشهر وعشر ، فأتت

---

(1) قباء والعالية: محلتان في نواحي المدينة ما زالتا معروفتين بهذين الاسمين وجمع العالية: العوالي، وهي في جنوب شرقي المدينة.

(2) الوسق: ستون صاعا بصاع النبي صلى الله عليه وسلم. والصاع: أربعة أمداد؛ والمد ملء اليدين المتوسطتين لا مقبوضتين ولا مبسوطتين.

(3) التوبة: 79.

النبي ﷺ وأخبرته بذلك فقال لها: «قد حللت فانكحي من شئت»[1].

أول لعان في الإسلام

وحاصل قصة لعان عويمر لزوجه ـ التي أشار إليها الناظم ـ أنه لما قدم رسول الله ﷺ من تبوك في السنة التاسعة جاء عويمر بن الحارث هذا إلى عاصم بن عدي فقال له: يا عاصم أرأيت رجلا وجد مع امرأته رجلا أيقتله فتقتلونه أم كيف يفعل؟ سل لي يا عاصم عن ذلك؛ فسأل عاصم رسول الله ﷺ عن ذلك، فكره رسول الله ﷺ المسائل وعابها حتى كبر على عاصم ما سمع من رسول الله ﷺ. فلما رجع عاصم إلى أهله جاءه عويمر فقال: يا عاصم ما ذا قال لك رسول الله ﷺ؟ فقال عاصم لعويمر: لم تأتني بخير، قد كره رسول الله ﷺ المسألة التي سألته عنها؛ فقال عويمر: والله لا أنتهي حتى أسأله عنها. فأقبل عويمر حتى جاء إلى رسول الله ﷺ وسط الناس فقال: يا رسول الله أرأيت رجلا وجد مع امرأته رجلا أيقتله فتقتلونه أم كيف يفعل؟ ثم قال: رأيت شريك بن السحماء على بطن امرأتي خولة بنت قيس، فقال رسول الله ﷺ: «قد أنزل الله فيك وفي صاحبتك فاذهب فأت بها». وجيء بشريك[2] فقال رسول الله ﷺ لعويمر: «اتق الله في زوجك وابنة عمك فلا تقذفها بالبهتان»[3]، فقال: يا رسول الله أقسم بالله إني رأيت شريكا على بطنها وإني ما قربتها منذ أربعة أشهر وإنها حبلى من غيري؛ فقال رسول الله ﷺ للمرأة: «اتقي الله ولا تخبريني إلا بما صنعت»، فقالت: يا رسول الله إن عويمرا رجل غيور وإنه

---

(1) أخرجه البخاري وأحمد.

(2) أخرجه البخاري ومسلم.

(3) أخرجه البخاري.

رآني وشريكا نطيل السهر ونتحدث فحملته الغيرة على ما قال، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لشريك: «ما تقول»[1]؟ فقال مثل ما قالت المرأة، فأنزل الله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ ـــ الآيات[2]ـــ فقام رسول الله ﷺ حين نودي: *الصلاة جامعة،* فصلى العصر وأمرهما فتلاعنا في المسجد، ففرق صلى الله عليه وسلم بينهما. فلما فرغا من تلاعنهما قال عويمر: كذبتُ عليها يا رسول الله إن أمسكتها؛ فطلقها ثلاثا قبل أن يأمره رسول الله ﷺ، فكانت سنةَ المتلاعنَيْن. ثم أتت بولد[3] فكان ينسب إلى أمه وعاش ذلك المولودُ سنتين ثم مات، وعاشت أمُّه بعده يسيرا.

وإنما خص عويمر عاصما بالسؤال لأنه كان كبير قومه وصهره على ابنته أو ابنة أخيه، ثم كان لعانهما أول لعان وقع في الإسلام. وقيل إن الذي رمى شريكا ابن سحماء بزوجه هو هلال بن أمية بن سعد بن أمية الأنصاري الواقفي وإن شريكا كان يأوي إلى منزله ـ كما مر ـــ والمشهور أنه عويمر. والله أعلم.

تنبيه: اللعان هو أن يقسم الزوج أربع مرات على صدقه في قذف زوجته بالزنى أو نفي حملها عنه والخامسة باستحقاقه لعنة الله إن كان كاذبا، ثم تقسم الزوجة أربع مرات على كذبه والخامسة باستحقاقها غضب الله إن كان صادقًا ،

(1) سبق تخرجه.

(2) سورة النور: 6 - 9.

(3) وفي البخاري والترمذي وأبي داوود أنه صلى الله عليه وسلم قال: «لولا ما مضى من كتاب الله لكان لي ولها شأن». وقوله: «لولا ما مضى من كتاب الله» أي قوله تعالى: ﴿ويدرأ عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله.. ﴾ ـــ الآية ـــ وقوله: «لكان لي ولها شأن» هو إقامة الحد عليها لمشابهة ولدها الرجل الذي رميت به. والله أعلم.

وبهذا يبرأ الزوج من حد القذف وتبرأ الزوجة من حد الزنى، وهو مشتق من اللعن وهو الطرد والإبعاد لبعدهما من الرحمة أو لبعد كل منهما من الآخر ولا يجتمعان أبدا؛ وقيل سمي به للعن الرجل نفسه في الخامسة من أيمان اللعان فيكون من تسمية الكل باسم البعض، واختير لفظ اللعن في التسمية دون الغضب لأنه قول الرجل وهو الذي بدئ به في الآية، وبه يبدأ أيضا وله أن يرجع عنه فيسقط عن المرأة من غير عكس، وخص الرجل باللعن لأنه إذا كان كاذبا لم يصل ذنبه إلى أكثر من القذف بخلاف المرأة فقد خصت بالغضب لعظم الذنب بالنّسبة إليها لما فيه من تلويث الفراش والتعرض لالحاق من ليس من الزوج به فتنتشر المحرمية وتثبت الولاية والميراث لمن لا يستحقهما، وقد أجمعوا على مشروعية اللعان لحفظ الأنساب ودفع المعرة عن الأزواج وعلى أنه لا يجوز مع عدم التحقق، واختلف في وجوبه على الزوج، لكن لو تحقق أن الولد ليس منه قوي الوجوب. والله أعلم.

ومن بني العجلان ــ أيضا ــ معن بن عدي بن الجد بن العجلان البلوي العجلاني أخو عاصم بن عدي، حضر العقبة وشهد بدرًا وأحدا وسائر المشاهد وحضر بيعة السقيفة، ولما بكى الناس على رسول الله ﷺ وقالوا وددنا أن لو متنا قبله فإنا نخشى أن نفتن بعده، قال معن بن عدي: لكني والله لا أحب أن أموت قبله لأصدقه ميتا كما صدقته حيا. واستشهد رضي الله عنه يوم اليمامة بعد أن أبلى فيه بلاء حسنًا.

هذا وقد قدم وفد بلي على رسول الله ﷺ سنة تسع ، فنزلوا على رويفع بن ثابت البلوي فجاء بهم إلى رسول الله ﷺ فقال له: هؤلاء قومي، فقال: «مرحبًا

بك وبقومك»[1] فأسلموا فقال صلى الله عليه وسلم: «الحمد لله الذي هداكم للإسلام فكل من مات على غير الإسلام فهو في النار»، فرجعوا مع رويفع إلى منزله، فأتاه رسول الله ﷺ في منزله بتمر وقال له: «استعن بهذا[2]»، فكانوا يأكلون منه؛ فأقاموا ثلاثا ثم ودعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأجازهم وانصرفوا إلى بلادهم، وكان رئيسهم أبو الضُّبيب البلوي؛ فقال: يا رسول الله إن لي رغبة في الضيافة فهل لي في ذلك من أجر؟ قال: «نعم وكل معروف صنعته إلى غني أو فقير فهو صدقة[3]»، قال: يا رسول الله ما وقت الضيافة؟ قال: «ثلاثة أيام فما بعد ذلك صدقة ولا يحل للضيف أن يقيم عندك فيحْرجك»[4]، ثم قال: يا رسول الله أرأيت الضالة من الغنم أجدها في الفلاة من الأرض؟ قال: «لك أو لأخيك أو للذئب»[5] قال: فالبعير؟ قال: «ما لك وله دعه حتى يجده صاحبه»[6].
والله أعلم.

وَابْنُ نِيَارٍ هَانِئُ وَهْوَ أَبُو ... بُرْدَةٍ الْفَارِسُ فِيهِمْ يُحْسَبُ

وَثَابِتُ بْنُ أَقْرَمَ الذِي دَفَعْ ... لِخَالِدٍ رَايَةَ مُؤْتَةَ وَكَعّ

بِقَتْلِهِ طُلَيْحَةُ افْتَخَرَا ... إِذِ ادَّعَى نُبُوَّةً وَكَفَرَا

---

(1) رواه ابن سعد في طبقاته.

(2) رواه ابن سعد في طبقاته.

(3) أخرجه ابن سعد في طبقاته.

(4) أخرجه أحمد في مسنده، ورواه ابن سعد في طبقاته وفيه: «الضيافة ثلاثة أيام وجائزته يوم وليلة ولا يحل للرجل أن يقيم عنده حتى يؤثمه».

(5) أخرجه البخاري ومسلم.

(6) ابن سعد في طبقاته.

قوله **وابن نيار** (بوزن كتاب): مبتدأ. **وهانئ** (بالهمزة والرفع): بدل من ابن نيار، **والفارس**: صفته. **وفيهم**: متعلق **بيحسب** وهو مبني للمفعول أي يعد، والجملة خبر المبتدإ. والضمير في **فيهم** عائد على **بنو بلي** المتقدم ذكرهم. **وثابت** (بالرفع): عطف على ابن نيار. **وأقرم** (بقاف ثم راء مهملة بعدها ميم: بوزن أحمد. والمراد **بخالد**: خالد بن الوليد. **وكع**: تأخر. **وبقتله**: متعلق **بافتخر**. والضمير في **بقتله** عائد على **ثابت**. وفاعل كل من **افتخر وادعى وكفر** ضمير مستتر عائد على طليحة؛ والألِف في **افتخر وكفر** للاطلاق.

يقول ومن بني بلي بن عمرو بن إلحاف أبو بردة هانئ بن نيار وثابت بن أقرم بن ثعلبة البلويان.

أما ابن نيار فهو أبو بردة هانئ بن نيار بن عمرو بن عبيد بن عمرو بن كلاب بن دهمان بن غنم بن ذبيان بن هميم بن كاهل بن ذهل بن بلي بن عمرو بن إلحاف البلوي الأنصاري بالحلف، اشتهر بكنيته وكان خال البراء بن عازب. شهد رضي الله عنه العقبة الثانية وبدرا وأحدا وسائر المشاهد، وكانت معه راية بني حارثة يوم الفتح وهو حليفهم، وشهد مع علي بن أبي طالب حروبه كلها وتوفي سنة خمس وأربعين - وقيل اثنتين أو إحدى وأربعين - وليس له عقب؛ روى عن النبي ﷺ ، وروى عنه جماعة من الصحابة والتابعين منهم البراء بن عازب وجابر بن عبد الله وعبد الرحمن بن جابر وغيرهم؛ وهو الذي سأل النبي ﷺ يوم العيد فقال: يا رسول الله إني ذبحت قبل الصلاة وعندي عناق جذعة هي خير من شاتي لحم، فقال: «تجزئك ولا تجزئ عن أحد بعدك»[1]. وأشار الناظم بقوله: **وهو أبو**

---

(1) أخرجه مسلم وأحمد في مسنده. والعناق: الأنثى من أولاد المعز قبل استكمالها السنة. والجذعة: حديثة السن. [لسان العرب].

بردة الفارس إلى أنه كانت عنده فرس يوم أحد، وعند رسول الله ﷺ فرس أخرى؛ ولم يكن في المسلمين يومئذ غيرهما من الخيل. وقد أشار إلى ذلك في نظمه للمغازي بقوله:

وقيل فيهم فرس تحت أبي   بردة الندب وأخرى للنبي

وأما ثابت فهو ابْن أقرم بن ثعلبة بن عدي بن العجلان بن حارثة بن ضبيعة بن حرام بن جعل بن عمرو بن وَدْم بن ذبيان بن هميم بن كاهل بن ذهل بن بلي البلوي العجلاني الأنصاري بالحلف. شهد رضي الله عنه بدرا وسائر المشاهد مع رسول الله ﷺ وكان في جيش الأمراء الذي بعثه صلى الله عليه وسلم إلى مؤتة، ولما قتل عبد الله بن رواحة ـ وكان آخر الأمراء الذين عينهم عليه رسول الله ﷺ ـ أخذ ثابت الراية ودفعها لخالد بن الوليد وقال له: أنت أعلم مني بالقتال؛ وإلى ذلك أشار الناظم بقوله: **الذي دفع لخالد راية مؤتة وكع**. واستشهد ثابت في خلافة أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنهما ـ في قتال أهل الردة، وكان الذي قتله طليحة بن خويلد[1].

طليحة بن خويلد وذكر ردته وإسلامه

وحاصل ما أشار إليه الناظم من ارتداد طليحة هذا وادعائه النبوة وافتخاره بقتل ثابت بن أقرم، أن طليحة بن خويلد كان قد قدم مرة مع وفد بني أسد على رسول الله ﷺ فأسلموا، ثم ارتد وادعى النبوة واجتمع عليه قومه فأرسل رسول الله صلى

(1) طليحة هذا هو ابن خويلد بن نوفل بن نضلة بن الأشتر بن جحوان بن فقعس الأسدي الفقعسي، كان من الفرسان المشهورين وأحد الأبطال المذكورين وكان ممن يوزن في القتال بألف فارس لشدته وبأسه، فقد كتب عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقاص بالقادسية إني أمددتك بألفي رجل: عمرو بن معدي كرب وطليحة بن خويلد.

ا لله عليه وسلم ضِراراً بن الأزور إلى قتاله ، فتوفي رسول ا لله ﷺ فظهر أمر طليحة وقويت شوكته بعد وفاة النبي صلى ا لله عليه وسلم وارتد عيينة بن حصن الفزاري مع قومه ومنعوا الزكاة واتبعوا طليحة هذا ولحقوا به؛ وكان طليحة يزعم أن الملك يأتيه بالوحي.

ولما بويع أبو بكر الصديق رضي ا لله عنه بعث أول جيش لقتال أهل الردة بقيادة خالد بن الوليد، فسار إلى اليمامة وبعث أمامه عيونا يختبرون له كل من مروا به، فلما بلغوا بزاخة[1] لقيهم جيش طليحة الأسدي وقد ضربت لطليحة قبة من أدم وأصحابه حوله معسكرون، فضرب خالد عسكره على ميل من عسكر طليحة وعبأوا جيوشهم فالتقوا واقتتلوا قتالا شديدا وصبروا واشتد القتال حتى استحر وقع السيف في المرتدين وصبروا لهم، وكان فيمن أسر المسلمون من المشركين رجل يقال له حبال بن أبي حِبال[2] بن خويلد (ابن أخي طليحة) فأرادوا أن يبعثوا به إلى أبي بكر فقال لهم: اضربوا عنقي ولا تروني محمديكم هذا، فضربوا عنقه. وقتل من المسلمين كثير وكان فيمن قتل منهم ثابت بن أقرم البلوي هذا وعكاشة بن محصن الغنمي؛ قتلهما طليحة، فقال في ذلك:

عشية غادرت ابن أقرم ثاويا — وعكاشة الغنمي عند مجال
أقمت لهم صدر الحمالة إنها — معودة قيل الكماة نزال[3]

---

(1) عيونا: جمع عين، وهو طليعة الجيش. وبزاخة: ماء بأرض نجد فيه وقعة المسلمين مع طليحة الأسدي سنة: 11هـ (أول خلافة أبي بكر الصديق رضي ا لله عنه).

(2) اسم أبي حبال مسلمة بن خويلد.

(3) الحمالة: اسم فرس. والكماة: جمع كمي وهو الشجاع الجريء المقدام. ونزال (كقطام): اسم فعل بمعنى انزل للواحد والجمع والمؤنث - [القاموس].

فيوما تراها في الجلال مصونة ويوما تراها غير ذات جلال[1]
فإن تك أذواد أصبن ونسوة فلن تذهبوا فرغا[2] بقتل حبال

وإلى ذلك أشار الناظم بقوله: **بقتله طليحة افتخروا** ..

ولما استحر القتل في المشركين وصبروا ورأى طليحة ذلك تزمل بكساء له خلف جيشه ينتظر - بزعمه - أن ينزل عليه وحي فلما طال ذلك على أصحابه وهدتهم الحرب جعل عيينة بن حصن يقاتل ويذمر الناس؛ وجاء إلى طليحة وهو ملتئم بكسائه فقال: لا أبا لك هل أتاك جبريل بعد؟! فقال طليحة: لا والله ما جاء بعد، فقال عيينة: تبا لك سائر اليوم! ثم رجع وجعل يحض أصحابه وقد ضجوا من وضع السيف حتى طال ذلك عليه؛ ثم رجع إلى طليحة وهو مستلق في كسائه فجبذه جبذة جلس منها وقال له: قبح الله هذه من نبوة ما قيل لك بعد شيء؟! فقال طليحة قد قيل لي: "إن لك رحى كرحاه وأمرا لن تنساه"! فقال عيينة: قد علم الله أن سيكون لك أمر لن تنساه، ونادى قومه فزارة وقال: هذا والله كذابٌ ما بورك له ولا لنا فيما يطالب. فانصرف وانصرفت فزارة وانهزم المرتدون، وأقبل المسلمون يأسرون؛ فلما رأى طليحة ذلك قال لهم: أما الدين فلا دين وأما أنتم فقاتلوا عن أحساب قومكم. وقيل ركب فرسه وخرج منهزما وأسلمه الشيطان، وقال: من استطاع منكم أن يفعل كما فعلت فليفعل ولينج بأهله؛ ثم هرب حتى قدم الشام وأقام عند بني جفنة الغسانيين إلى أن عاد القبائل إلى الإسلام، ثم أسلم إسلاما صحيحا وحسن إسلامه رضي الله عنه وقدم مع الحجاج المدينة فلم يعرض له أبو بكر، ثم قدم زمن عمر بن الخطاب، فقال له عمر: كيف أحبك وأنت قاتل الرجلين

---

(1) الجلال (بكسر الجيم) جمع جَل (بفتحها): وهو ما تغطى به الدابة لتصان.

(2) فرغا (بكسر الفاء وتفتح): أي هدرا، يقال: "ذهب دمه فرغا": هدرا.

الصالحين؟ ـــ يعني ثابتا وعكاشة ـــ فقال طليحة: أكرمهما الله بيدي و لم يهني بأيديهما وإن الناس قد يتصالحون على الشنآن، ثم كانت له بعد مواقف عظيمة وآثار جميلة في الفتوح وقتال الفرس، وشهد القادسية وأبلى فيها بلاء حسنا وقاد إليها أسدا؛ واستشهد بها منهم ألف ـــ كما مر ـــ وشهد نهاوند واستشهد بها سنة إحدى وعشرين.

ومن بطون بني بلي بن عمرو بن إلحاف أيضا بنو أنيف بن جشم بن تميم بن عوذ مناة وهم من حلفاء الأنصار أيضا، منهم عبد الرحمن بن عبد الله بن ثعلبة بن بيحان البلوي الأنيفي وهو في عداد بني جحجبى من الأنصار (شهد بدرا) وابن عمه عبد الله بن أسلم بن زيد بن بيحان ممن بايع تحت الشجرة، ومنهم سهل بن رافع بن خديج بن مالك بن غنم بن سري بن سلمة بن أنيف الذي تصدق بالصاع فتكلم فيه المنافقون فأنزل الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ فَيَسۡخَرُونَ مِنۡهُمۡ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنۡهُمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[1]، وابن عمه طلحة بن البراء بن عمير بن وبرة بن ثعلبة بن غنم بن سري، كانت له صحبة محمودة ونية في الإسلام صادقة وكان من حلفاء بني عمرو بن عوف، مات وهو غلام.

ومن بلي أيضا كعب بن عجرة بن عدي البلوي، شهد بيعة الرضوان ومات بالمدينة سنة ثلاث وخمسين عن خمس وسبعين سنة (وقيل في تاريخ وفاته غير ذلك). ومنهم المجذر وأخوه عبد الله ابنا ذياد بن عمرو بن زمزمة بن عمرو بن عمارة البلويان البدريان. ومنهم النعمان بن عمرو بن عبيد بن وائلة بن حارثة

---

(1) التوبة: الآية: 79.

البلوي العقبي البدري.

ثم أشار الناظم إلى القبائل الثلاث المتفرعة من أسلم بن إلحاف، فقال رحمه الله:

مِنْ أَسْلُمٍ نَهْدُ الشَّتِيتُ عُذْرَهْ   جُهَيْنَةُ فَعُذْرَةُ ذُو النُّصْرَهْ
نُصْرَةِ خَيْبَرَ فَأَدَّتْ مَغرَمَا   وَنَصْرِهِم مُّجَمِّعًا فَانْتَقَمَا
وَبِرزَاحِهِمْ عِداهُ خَزَّعَا   وَهُدْبَةُ بَعْدَ التَّوَى تَشَجَّعَا
مِنْهُمْ وَعُرْوَةُ الْعَمِيدُ بْنُ حِزَامْ   ذَاقَ وَذَاقَتْ مِنْهُ عَفْرَاءُ الْحِمَامْ

نهد (بفتح النون وسكون الهاء): مبتدأ خبره المجرور قبله. **وأسلم**: بضم اللام [كما في الحلة السيراء وغيرها]. **والشتيت**: صفة **نهد**، وهو المتفرق في البلاد. **وعذرة** (بوزن غرفة) **وجهينة** (بصيغة التصغير) معطوفان على نهد بحذف العاطف.

يقول ومن أسلم بن إلحاف بن قضاعة نهد وجهينة ابنا زيد بن ليث بن سود بن أسلم وابن أخيهما عذرة بن سعد بن زيد بن ليث.

قوله **فعذرة**: مبتدأ، **وذو النصره**: خبره؛ والنصرة (كغرفة): النصر وحسن المعونة على دفع ضر أو رد عدو. وقوله **نصرة خيبر** (بالجر): بدل من **النصره** قبله. **وخيبر** (بوزن جعفر): مدينة كبيرة واقعة بالشمال الشرقي من المدينة على طريق قوافل الشام كانت بها سبعة حصون مشهورة عند العرب وبها مزارع كثيرة وقد سميت باسم رجل من العماليق هو أول من نزل بها اسمه خيبر بن قانية، ثم سكنها اليهود حتى فتحها رسول الله ﷺ سنة سبع للهجرة. وقوله **فأدت**: أي أعطت وسلّمت، وفاعله ضمير مستتر عائد على **خيبر**، والمراد أهلها. **والمغرم** (بفتح الميم والراء): ما يلزم أداؤه من المال أو ما يعطى من المال على كره، جمعه مغارم. **ونصرهم** (بالجر): عطف على **نصرة خيبر**، والضمير فيه عائد على **عذرة**. **ومجمعا**

(كمحدث): مفعول به **لنصرهم**، وهو لقب لقصي بن كلاب، لقب به لأنه جمع قبائل قريش على مكة ـ كما قال الشاعر:

أبوكم قصي كان يدعى مجمِّعا   به جمع الله القبائل من فهر

والانتقام: المكافأة بالعقوبة. وقوله **وبرزاحهم** (بوزن كتاب): متعلق **بخزَّع**، والضمير المضاف إليه عائد على **عذرة**. **وعداه**: جمع عدو، مفعول به لخزع أيضا؛ **وخزع** الشيء (بالتضعيف): قطعه، وفاعله ضمير مستتر عائد على **مجمعا**.

يقول ومن بني أسلم بن إلحاف بن قضاعة بنو نهد وبنو جهينة وبنو عذرة أهل النصرة، وإنما وصفهم بذلك لنصرهم ليهود خيبر من سائر قبائل العرب ونصرهم لقصي بن كلاب حين استعان بهم وبأخيه لأمه رزاح بن ربيعة العذري على محاربة أعدائه من خزاعة حتى انتصر عليهم وانتقم منهم بالقتل ونحاهم عن الحكم بمكة. أما نهد فهو ابن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن إلحاف بن قضاعة، ولم يذكر الناظم منه أحدا ووصفه بالشتيت لأن بنيه تفرقوا في البلاد؛ فمنهم نهد اليمن ونهد الشام ونهد بني تغلب ونهد كلب وغيرهم.. ومن أبناء نهد بن زيد: مالك وصباح وحَزِيمة وزيد ومعاوية وكعب وأبو سودة، وهؤلاء نهد اليمن يسكنون بقرب نجران وكلهم بطون وقد كتب لهم النبي ﷺ كتابا. ومنهم حنظلة حكيم العرب والطول ومرة؛ وهؤلاء هم نهد الشام. ومنهم أبان بن نهد؛ ودخلوا في بني تغلب. ومنهم عامر بن نهد، ودخلوا في بني عليم من كلب. ومنهم عمرو بن نهد، ودخلوا في بني عدي بن جناب من كلب أيضا. وشبابة وعابرة، ودخلوا في تنوخ.

والشرف في بني نهد في رفاعة وزوي ابني مالك بن نهد بن زيد منهم. ومن نهد بن زيد: الشاعر دويد بن نهد كان أحد المعمرين قيل عاش أربعمائة سنة، وقيل أربعمائة وخمسين، وكانت له في العرب آثار ووقائع وغارات؛ قيل أدرك الإسلام وهو لا يعقل وارتجز عند موته فقال:

اليـــــوم يبنى لدويد بيتــه لـــــو كان للدهر بلى أبليتـــه
أو كان قــــرني واحداً كفيته يا رب نهـــب صالح حويتـــه
ومغنـــــم يوم الوغى حميته ومعصـــــم موشـــم لويته[1]

ومن بني نهد أيضا عبد الله بن عجلان النهدي شاعر جاهلي كان أحد المتيمين من الشعراء، خرج في الجاهلية هائما على وجهه لا يدري أين يذهب فقتله العشق؛ ومنهم أيضا جفينة النهدي كتب إليه رسول الله ﷺ كتابا فرقع به دلوه، فقالت له بنته: عمدت إلى كتاب سيد العرب فرقعت به دلوك! فهرب ثم جاء بعد مسلما. ومنهم المحدث أبو عثمان عبد الرحمن بن مُلٍّ بن عمرو بن عدي النهدي. ومنهم قسورة بن معلل بن الحجاج النهدي ولي سجستان أيام بني أمية. وقد بعث رسول الله ﷺ عدة كتب إلى عدة أحياء من بني نهد هؤلاء.

وأما عذرة فهو ابن سعد بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن إلحاف بن قضاعة، ويعرف سعد أبو عذرة هذا بسعد هذيم وسعد بن هذيم؛ وهذيم (بالتصغير) عبد حبشي حضن سعدا فنسب إليه وعرف به، وأم عذرة عاتكة بنت

(1) المغنم: ما يؤخذ من المحاربين في الحرب قهرا وعنوة. والوغى: الحرب لما فيها من الجلبة والصوت. وحميته: أي منعته. والمعصم: موضع السوار من الساعد ويطلق على اليد. والوشم: غرز الإبرة في البدن وذر النيلج عليه حتى يزرق أثره أو يخضر. ومن المعمرين من العرب سوى دويد هذا ـ ممن زاد على المائتين والثلاثمائة ـ زهير بن جناب الكلبي الآتي ذكره وعبيد بن شربة ودغفل بن حنظلة النسابة والربيع بن ضبع الفزاري وذو الأصبع العدواني ونصر بن دهمان بن أشجع بن ريث بن غطفان ـ وكان قد اسود رأسه بعد ابيضاضه وتقوم ظهره بعد انحنائه ـ وفيه يقول سلمة بن الخرشب:

فنصر بن دهمان الهنيدة عاشها وتسعين حولا ثم قوم فانْصاتا
وعاد سواد الرأس بعد ابيضاضه ولكنــه من بعد ذلك قد ماتا

وأمره عند العرب من أعجب العجب ـ [الروض الأنف]. والهنيدة: مائة.

مر بن أد بن طابخة (أخت تميم بن مر). وبنو عذرة هؤلاء مشهورون بشدة العشق، وإليهم ينسب العشق والتتيم فيقال "الهوى العذري". ومما يحكى أنه قيل لأعرابي منهم: ما بال العشق يقتلكم يا بني عذرة؟ قال: لرقة في القلوب وعفة في الأبدان، وقيل لآخر منهم: ما بال الرجل منكم يموت في هوى امرأة إنما ذلك ضعف فيكم يا بني عذرة؟ فقال: أما والله لو رأيتم النواظر الدعج تحتها المباسم الفُلج وفوقها الحواجب الزج[1] لاتخذتموها اللات والعزى!. وكان العشق والجمال معروفين في بني عذرة.

وقد تفرعت من عذرة وإخوته بني سعد هذيم بطون كثيرة؛ فمن بني عذرة بنو عامر وبنو كبير وبنو رفاعة وبنو حُن بن ربيعة وغيرهم.. فمن بني كبير بن عذرة رزاح بن ربيعة بن حرام (أخو قصي لأمه). ومن بني حُن بن ربيعة عروة بن حزام وابنة عمه عفراء بنت مهاصر، ومنهم جميل بن عبد الله بن مَعْمَرٍ وابنة عمه بثينة بنت يزيد بن الحليس، وقيل بنت حبار بن ثعلبة؛ قيل كانت لأبيها صحبة، وزوجها نبيه بن الأسود بن الحليس العذري. وكان جميل قد عشقها وهو غلام فلما كبر خطبها فرد عنها[2]، فقال فيها الشعر وكان يأتيها وتأتيه وكان غَزِلاً، وهو أحد

---

(1) النواظر: جمع ناظرة: للعين. والدعج (بضم فسكون): جمع دعجاء وهي شديدة السواد والبياض مع سعتها. والمباسم: جمع مبسم (بفتح الميم وكسر السين) وهو الثغر. والفلج (بضم فسكون):جمع أفلج وهو المنفرج الأسنان المتباعدها خلقة. والحواجب: جمع حاجب وهو العظم الذي فوق العين بلحمه وشعره لأنه يحجب عن العين شعاع الشمس. والزج (بضم الزاي وتشديد الجيم): جمع أزج وهو الذي دق في طول وتقويس.

(2) قيل كان أول ما علق جميلٌ بثينةَ أنه أقبل يوما بإبله حتى أوردها واديا يقال له "بغيض" فاضطجع وأرسل إبله مصعدة، وأهل بثينة بذَنَب الوادي؛ فأقبلت بثينة ـ وهي إذ ذاك جويرية صغيرة ـ ومعها جارة لها واردتين الماء فمرتا على فِصَالٍ لجميل بُرُوكٍ فنفرتهن بثينة فسبها جميل فافترت عليه فملح

<<=

عشاق العرب؛ وكان ذا عفة على عشقه وتغزله، وكان في عهد الأمويين.

ومن بطون بني سعد: هذيم الذين دخلوا في إخوتهم بني عذرة فصاروا منهم بالأخوة والحلف: بنو الحارث وبنو سلامان وبنو معاوية وبنو وائل؛ فمن بني الحارث هدبة بن الخشرم وزيادة بن زيد بن مالك بن ثعلبة الذي قتله هدبة، ومنهم المسور بن زيادة الذي قتل هدبة بأبيه، ومنهم النخار بن أوس كان أنسب العرب.

وقد وصف الناظم بني عذرة هؤلاء بالنصرة ثم بين ذلك بنصرهم ليهود خيبر ونصرهم لقصي بن كلاب القرشي؛ أما نصرهم ليهود خيبر فاشار به إلى أن يهود وادي القرى ـ وهو واد بين المدينة وخيبر كانت به قرية من قرى اليهود ـ كانوا قد أنزلوا به معهم بني عذرة بن سعد على أن يمنعوهم من العرب ومن قبائل بلي، وعلى اليهود بذلك لهم طعمة أو خراج كل عام، واستمروا على ذلك حتى جاء الإسلام. وإلى ذلك أشار بقوله: **نصرة خيبر فأدت مغرما.**

نصر بني عذرة لقصي على خزاعة

وأما نصرهم لقصي فأشار به إلى نصرهم له في حربه مع خزاعة على ولاية البيت الحرام. وحاصلها أن خزاعة لم تزل بعد جرهم أهل مكة وسدنة البيت يفتحونه متى شاءوا ولمن شاءوا حتى كان زمن قصي بن كلاب ولوا عليه أبا غبشان الخزاعي فكان رئيسا عليهم ويلي سدانة الكعبة، فاجتمع يوما مع قصي في

--->>

إليه سبابها ثم قال:

وأول ما قاد المـــودة بيننا — بوادي بغيض يا بثين سِبَابُ

وقلنا لها قولا فجاءت بمثلـه — لكلّ كلام يا بثينُ جـــواب

ثم قال حين زوجها أهلها من نبيه بن الأسود:

لقد أنكحـــوا جهلاً نُبيهًا ظعينـــة — لطيفة طي الكشح ذاتَ شوًى خدْلِ

شرب بالطائف فشرب أبو غبشان حتى سكر فاشترى منه قصي مفاتيح البيت بزق خمر وأشهد على ذلك، فلما أفاق أبو غبشان ندم؛ فضربت العرب به المثل في خسارة الصفقة فقالوا: "أخسر صفقة من أبي غبشان".

ولبعض الشعراء في ذلك:

باعت خزاعة بيت ا لله إذ سكرت   بزق خمر وبيست صفقة البادي

باعت سدانتها بالنزر وانصرفت   عن الحطيم[1] وظل البيت والنادي

ثم أرادت خزاعة انتزاع المفاتيح من قصي؛ فجمع بني عمومته من قريش وكنانة وقال: يا بني إسماعيل هذه مفاتيح بنية أبيكم إسماعيل قد ردها ا لله عليكم، واستنصر بني عذرة ـ وخاصة منهم أخاه لأمه رزاحا بن ربيعة بن حرام ـ فنصروه فتقاتلت قريش وخزاعة، فانتصر قصي على خزاعة وقتل منهم عددا كثيرا ثم تداعوا إلى الصلح فتحاكموا إلى حاكم كنانة يعمر بن عوف بن كعب بن عامر بن ليث بن بكر الليثي، فقضى لقصي بالمفاتيح وتولية الكعبة وأمر مكة والدية في قتلى قريش وكنانة وقضاعة وأهدر دماء خزاعة، فسمي لذلك ب "الشدّاخ"[2]. وإلى هذا أشار بقوله: **ونصرهم مجمعا فانتقما**..إلخ.

وفي صفقة قصي وأبي غبشان يقول الشاعر:

أبو غبشان أظلم من قصي   وأظلم من بني فهر[3] خزاعه

---

(1) سدانتها: خدمتها للكعبة. والنزر: القليل. والحطيم: جدار حجر الكعبة، وقيل ما بين الركن وزمزم والمقام، أو بناء قبالة الميزاب من خارج الكعبة، أو من المقام إلى الباب، أو ما بين الركن الأسود إلى الباب إلى المقام حيث يتحطم الناس للدعاء؛ وكانت الجاهلية تتحالف هناك.

(2) أصل الشدخ: الكسر يريد أنه شدخ دماءهم أي أهدرها وأبطلها و لم يجعل فيها دية.

(3) يعني ببني فهر قريشا.

فلا تلحوا قصيا في شـــــراه   ولوموا شيخكـــم أن كان باعه

وأم قصي بن كلاب فاطمة بنت سعد الخثعمية، تزوجها ربيعة بن حرام العذري بعد موت كلاب عنها أو طلاقه لها فولدت له رزاحا ، فكان أخا قصي لأمه؛ وقد سار بها ربيعة بن حرام إلى أهله، فمن ثم سمي ابنها قصيا لأنها أقصته عن عشيرته - أي أبعدته عنها - وتربى قصي في حجر ربيعة حتى شب وهو لا يعلم أنه من قريش ولا يرى إلا أنه من بني عذرة، فكانوا أصدقاءه ونصروه في حربه مع خزاعة هذه. ورزاح هذا هو ابن ربيعة بن حرام بن ضنة بن عبد كبير بن عذرة العذري، وهو الذي أجلى بني نهد وبني جرم من بلاد قضاعة وأخرج بني عمه رفاعة بن عذرة من جملة بلاد بني عذرة. والشرف في بني عذرة في بيت ضنة بن عبد كبير، وقد قدم وفد عذرة على النبي ﷺ سنة تسع فقال: «ممن القوم»؟[1] فقال متكلمهم: من لا تنكر.. نحن بنو عذرة إخوة قصي لأمه الذين عضدوه وأزاحوا خزاعة وبني بكر من بطن مكة ولنا قرابات وأرحام، فقال صلى الله عليه وسلم: «مرحبا بكم وأهلا»[2]. فأسلموا ونهاهم صلى الله عليه وسلم عن سؤال الكهنة وعن الذبائح التي كانوا يذبحونها وأخبرهم أن ليس عليهم إلا الأضحية فأقاموا أياما ثم انصرفوا وقد أجيزوا.

قوله : **وهدبة** (بدال مهملة فموحدة بوزن غرفة): مبتدأ. **والتوى** (بمثناة): الهلاك. **وتشجع**: تكلف الشجاعة وهي الجرأة والإقدام وشدة القلب عند البأس. وقوله **منهم**: خبر عن هدبة، والضمير فيه عائد على **عذرة**. **وعروة** (بالرفع): عطف

---

(1) رواه ابن سعد في طبقاته.

(2) رواه ابن سعد في طبقاته.

على هدبة. **والعميد** وابن **حزام**: صفتـان لعـروة؛ **والعميـد** (بـوزن أمـير): الشـديد الحزن الذي هده العشق؛ **وحزام**: بالحاء المهملة والزاي (بـوزن كتـاب)، وقيـل هـو حذام بالذال المعجمة مكان الزاي. والضمـير في **منـه**: عـائد علـى **عـروة**. **وعفـراء**: فاعل ذاقت. **والحمام** (بكسر الحاء المهملة): الموت، وتنازعه بالمفعولية كل من **ذاق وذاقت**، وفاعل **ذاق** ضمير مستتر عائد على عروة.

يعني أن من بني عذرة ثم من بني الحارث بن سعد هذيم منهم: هدبة بن الخشـرم الذي أظهر الشجاعة بعد القتل، ومن بني عذرة أيضا ثم من بني حن بن ربيعة منهم: عروة بن حزام بن مالك وابنة عمه عفراء اللذان قتلهما العشق.

أما هدبة فهو ابن الخشرم بن كرز بن أبي حية بن سلمة الكاهن بن أسـحم بـن عامر بن ثعلبة الكاهن بن عبد الله بن ذبيان بـن الحـارث بـن سـعد هذيـم العـذري الحارثي، وقد مر أن بني الحـارث إخـوة عـذرة ودخلوا فيهـم، فهـم ـ مـع كونهـم إخوتهم ـ حلفاؤهم؛ فلذلك عده الناظم في بني عذرة ونسبه إليهم (وتقـدم أن ذلـك سائغ ومستعمل بكثرة). وكان هدبة شاعرا وله إخوة شعراء وأمه شاعرة[1].

قصة هدبة بن الخشرم وقتله بدم زيادة بن زيد

وحاصل قصته التي أشار إليها الناظم أنه أقبل مرة من الشام في ركب مـن قومـه حجاج وفيهم ابن عمه زيادة بن زيد بن مالك بن عامر بن قرة بن حنش بن عمـرو

---

(1) أما إخوته فهم حَوْط وسَيْحان والواسع، وأما أمهـم فهـي حية بنت أبي بكـر بـن أبـي حيَّـة مـن رهطهم الأدنين، وقد روي أنه مرت كاهنة بأم هدبة هذه وهو وإخوته نيام بين يديها فقـالت: يـا هذه إن الذي معي ـ تقصد الذي معها من علم التنجيم أو الجن الذي تزعم مواخاته ـ يخبرني عـن بنيكِ هؤلاء بأمر، قالت وما هو؟ قالت: أمـا هدبـة وحـوط فيقتـلان صبرا وأمـا سيحان وواسـع فيموتان كمدًا، فكان كذلك. [كتاب الأغاني].

بن ثعلبة الكاهن، وكانا يتعاقبان سوق الإبل؛ وكانت مع هدبة أخت له اسمها فاطمة، فنزل زيادة مرة فجعل يرتجز ويقول:

عوجي علينا واربعي يا فاطما ... ما بين أن يرى البعير قائما[1]
أما ترين الدمع مني ساجما ... حذار دار منك لن تُلائما[2]
فعرَّجَتْ مُطَّرِداً عُراهِما ... فَعماً يَبُذُّ القُطُفَ الرواسما[3]
كأن في المثناة منه عائما ... إنَّكَ وا لله لأن تُباغِما[4]
خَوداً كأن البوص والمآكما ... منها نقاً مخالطٌ صَرائما[5]
خيرٌ من استقبالِكَ السمائِما ... ومن مُنادٍ يبتغي مُعاكِما[6]

فلما سمعه هدبة يتغزل بأخته غضب ونزل عن بعيره وجعل يرتجز ويتغزل بأخت زيادة؛ وكانت تدعى أم قاسم أو أم حازم فقال:

لقد أراني والغلام الحازما ... نزجي المطي ضمرا سواهما
متى تقول القلص الرواسما ... يحملن أم قاسم وقاسما[7]

---

(1) أي ما بين مناخ البعير وقيامه.

(2) سجم الدمع سجوما: سال قليلا أو كثيرا وانصب فهو ساجم. وقوله حذار دار..الخ: يريد حذار أن تنزلي دارا بعيدة غير ملائمة، ويعني بعدم ملاءمة الدار أن تصد عنه.

(3) المطرد: المتتابع السير والعراهم: الشديد من الإبل. والفعم: الضخم. والقطف: جمع قطوف: بطيئة السير. والرواسم: الإبل التي تسير سير الرسيم وهو سير فوق العنق.

(4) المثناة: الزمام. والعائم: السابح. وتباغم: تُكَلِّم.

(5) البوص: العجز. والمآكم: رؤوس الافخاذ. والنقا: ما عظم من الرمل. والصرائم: جمع صريمة وهي القطعة من معظم الرمل كالصريم.

(6) خير (بالرفع): خبر المصدر المؤول (أن تباغم) في البيت السابق. والسمائم: جمع سموم: الحر الشديد. والمُعاكم (بضم الميم وكسر الكاف): المعين على شدِّ العِكْم وهو العِدْل ما دام فيه المتاع؛ يقول: إن مناجاتك للحسناء الثقيلة الردفين خير من الشدِّ والترحال في الهواجر ومن مناد يستعينك على شدِّ رحاله.

(7) تقول: بمعنى تظن، وفي رواية: متى تظن القلص..إلخ، والقلص: جمع قلوص الفتية من الإبل، وجملة: يحملن أم قاسم.. مفعول "تقول" الثاني.

إذا هبطــن مستحـــيرا قاتما ورفـــع الحادي لها الهماهما[1]
أما تـــــرين[2] الحزن مني دائما حذار دار منك لن تـــــلائما
وا لله لا يشفي الفـؤاد الهائما تَمساحُــــكَ اللباتِ والمآكما[3]
ولا اللّمامَ دون أن تُـــلازما ولا اللثام قبـــل أن تفاقما[4] ..إلخ.

فلما سمعه زيادة غضب وشتمه، فشتم هدبة زيادة.. وتسابّا طويلا؛ فصاح بهما القوم: إنا لقوم حجاج، اركبا لا حملكما الله! وخافوا أن يقع بينهما شر فوعظوهما حتى أمسك كل واحد منهما عن الآخر على ما في نفسه؛ وهدبة أشدهما حنقا لأنه رأى أن زيادة قد ضامه حين تغزل بأخته وهي تسمع قوله، وكانت أخت زيادة غائبة. فمضيا و لم يتحاورا حتى قضيا حجهما ورجعا إلى عشيرتهما ثم كانا بعد ذلك يتهاديان الأشعار؛ و لم يزل هدبة يطلب غرة من زيادة حتى أصابها فقتله وهرب؛ وكان والي المدينة إذ ذاك سعيد بن العاص من طرف معاوية، فرفع إليه خبر هدبة؛ فأرسل إلى عمه وأهله فحبسهم بالمدينة. فلما بلغ ذلك هدبة أقبل حتى أمكن

---

(1) هبطن: نزلن وانحدرن من موضع إلى آخر والضمير فيه للقلص. والمستحير: الطريق في المفازة لا يعرف أين ينتهي. والقاتم: الأسود الخفي البعيد النواحي. والحادي: الذي يسوق الإبل ويحثها على السير ويتغنى لها. والهماهم: جمع همهمة وهي الصوت تنوِّم به المرأة طفلها، واستعاره هنا لحداء الإبل..

(2) في رواية: "الا ترين.."، والخطاب فيهما لأم قاسم.

(3) اللبات: جمع لبة وهي موضع القلادة من الصدر، مأخوذ من لب الشيء أي خالصه وخياره. والمآكم: جمع مأكمة وهي الكفل.

(4) اللمام: الزيارة. وتلازم: من الملازمة وهي المعانقة. واللثام: اللثم وهو القبلة. والفقام: المباضعة؛ يريد أنه لا يشفي صدره أن يمسح باللبات والمآكم أو أن تلم به دون أن تلازمه وليس يشفيه التقبيل دون المواقعة..إلخ، ويريد بذلك إغاظة خصمه..

من نفسه وتخلص عمه وأهله، فلم يزل محبوسا حتى جاء عبد الرحمن (أخو زيادة) من عند معاوية بكتاب إلى سعيد أن يقِيده منه إذا قامت عليه البينة، فكره سعيد الحكم بينهما فأرسلهما إلى معاوية، فلما مثلا بين يديه قال معاوية: يا هدبة قل، فأنشأ هدبة ارتجالا:

ألا يا لقومي للنوائب والدهر — وللمرء يردي نفسه وهو لا يدري
وللأرض كم من صالح قد تأكمت — عليه[1] فوارته بلماعة قفر
فلا تتقي ذا هيبة لجلاله — ولا ذا ضياع هن يتركن للفقر

إلى أن قال:

رُمِينا فَرامَيْنا فصادف رمينا — منايا رجال في كتاب وفي قدر
وأنت أمير المؤمنين فما لنا — وراءك من مَّعدىً ولا عنك من قصر
فإن تك في أموالنا لم نضق بها — ذراعا وإن صبر فنصبر للصبر

فقال له معاوية: أراك يا هدبة قد أقررت بقتل صاحبهم[2]؛ ثم قال لعبد الرحمن: هل لزيادة ولد؟ قال: نعم: المسور، وهو غلام لم يبلغ وأنا عمه وولي دم أبيه. فأمر برد هدبة إلى المدينة وحبسه حتى يبلغ المسور؛ ولما بلغ ذهب به عبد الرحمن إلى والي المدينة وهو سعيد بن العاص ـ وقيل مروان بن الحكم ـ فعرضت على آل زيادة الدية وكان ممن عرضها عليهم الحسين بن علي وعبد الله بن جعفر رضي الله عنهم فأبوا إلا القود فسأل سعيد بن العاص أخا زيادة أن يقبل منه الدية وقال: أعطيك ما لم يعط أحد من العرب مائة ناقة حمراء ليس فيها ذات داء، فقال: والله لو نقبت لي قبتك هذه ثم ملأتها ذهبا ما رضيت بها. ولم يزل سعيد يسأله حتى عرض عليه

---

(1) أي صارت أكمة فوقه.

(2) الاقرار يتضمنه قوله: رُمينا فرَامَيْنا.. الخ البيت.

ست ديات فابى، فدفعه إليهم فلما أخرج هدبة من السجن للقتل التفت فرأى أبويه وهما يتوقعان الثكل بأسوإ حال، فأقبل عليهما وقال:

أبلياني اليـــوم صبرا منكما ... إن حـــزنا إن بدا بادئ شر

لا أُرانـــي اليوم إلا ميتـا ... إن بعد المـــوت دار المستقر

اصبرا اليـــوم فإني صابـر ... كل حي لقضـــاء وقـــدر

ثم التفت فرأى امرأته ـ وكانت من أجمل النساء ـ فقال:

أقلِّي علَيَّ اللوم يا أم بوزعـــا ... ولا تجزعـــي مما أصاب فأوجعا

ولا تنكحي إن فرق الدهر بيننا ... أغم القفا والوجـه ليس بأنزعا[1]

ضروبا بلحييه على عظـم زوره ... إذا القـــوم هشوا للمعالي تقنعا

وحُلي بذي أكرومة وحميـــة ... وصبراً إذا ما الدهر عض فأسـرعا

فقالت لهم: أمهلوه قليلا فمالت إلى جزار وأخذت شـفرته فجدعـت بهـا أنفهـا فجاءت تدمي فقالت: أتخاف أن يكون بعد هذا نكاح؟ فطابت نفسه؛ فضـرب بهـا المثل في الوفاء[2]. فسلم لآل زيادة ليقتلوه وهو مقيد بالحديد فقال:

---

(1) وفي بعض الروايات:

سأوصيك إن فارقـتني أم مالك ... وبعـض الوصايا في اماكن تنفعا

فلا تنكحي إن فرق الدهر بيننا ... أغـمَّ القفا والوجه ليس بأنزعا

ولا قُرْزُلاً وسط الرجَال جُنَادِفًا ... إذا ما مـشى أو قال قولا تبلتعا

ضـروباً بلحييه..إلخ.

والقُرْزُلُ (بالضم): اللئيم. والجُنادفُ (كعلابط): الجافي الجسيم من الناس والغليظ القصير.

(2) وفي كتاب "الأغاني" أن رجلا من عذرة قال: بينما أنا يوما أسير في بعض مياه بلادنا إذا بامرأة تمشي أمامي لها خَلق عجيب من عجُز وهيئة وتمام جسْم وكمال قامة وإذا صَبيان قد اكتنفاها يمشيانِ قد ترعرعا، فتقدمتها والتفت إليها فإذا هي أقبح منظرٍ بجدوعة الأنف مقطوعة الشفتين، فسألتُ عنها فقيل لي هذه امرأة هدبة تزوجت بعده رجلا فأولدها هذين الصبيين [انتهى].

<<=

فإن تقتلــوني في الحديد فإنني قتلت أخاكـــــم مطلقا لم يقيد

فقالوا: وا لله لا نقتلك إلا مطلقا من وثاقك، فأطلق؛ فدفع عبد الرحمن السيف إلى ابن أخيه المسور بن زيادة وقال له: قم فاقتل قاتل أبيك. فلما قام إليه استأذنه في أن يصلي ركعتين فأذن له فصلاهما وقال لمن حضره: لولا أن يظن بي الجزع لأطلتهما؛ ثم قال لهم: بلغني أن القتيل يعقل ساعة بعد سقوط رأسه فإن عقلت فإني قابض رجلي وباسطها ثلاثا ، وفي رواية أنه قال لهم: علامة عدم جزعي من الموت أن أركض برجلي اليسرى ثلاثا بعد قتلي. فضربه المسور ضربتين قتله فيهما ففعل هدبة برجله ما قال. وإلى ذلك أشار الناظم بقوله **بعد التوى تشجعا**. ومن شعر هدبة بن الخشرم وهو في السجن:

فلما دخلت السجن يا أم مالك ذكرتك والأطراف في حلق سمر

وعند سعيد غير أن لم أبح بـــه ذكرتك إن الأمر يعــرض للأمر

ومن شعره فيه أيضا:

طربـــت وأنت أحيانا طروب وكيـــــف وقد تَعَلاَّكَ المشيب؟

يُجدُّ النأيُ ذكـــرك في فؤادي إذا ذَهَلَت على النأي القلـــوب

يؤرقـــــني اكتئاب أبي نمير[1] فقلبي من كآبتـــــــه كئيب

فقلت له هـــــداك ا لله مهلا وخير القول ذو اللب المصيب[2]

ولقد صدق الشعراء حين قالوا:

وإن حلفت لا تنقض الدهر عهدها فليس لمخضــوب البنان يمــين!

إن امرءًا غرَّه منكنَّ واحـــــدة بعدي وبعدك في الدنيا لمغرور

إن مــن غرَّه النساء بشيء بعد هندٍ لجاهــل مغرور

كل أنثى وإن بدا لك منها آية الحبِّ حبها خيتعور

(1) هو ابن عم له قيل كان مسجونا معه وقيل بل زاره في السجن فأحزنه.

(2) أي قول ذي اللب.

عسى الكرب الذي أمسيت فيه يكـــــون وراءه فرج قريب
فيأمـــــن خائف ويُفَكُّ عان ويأتي أهلَه الرَّجُـــلُ الغريب
ألا ليت الرياح مسخـــرات بما نهـــوى تباكر أو تؤوب
فتخـــبرنا الشمال إذا أتتنا وتخبر أهلنا عنا الجنــــوب
فإنا قـــد حللنا دار بلوى فتخطـــئنا المنايا أو تصيـب
فإن يك صـدر هذا اليوم ولى فإن غدا لناظـــــره قريب
وقد علمت سليمى أن عودي على الحـــدثان ذو أيد صليب
وأن خليقـــــتي كرم وأنـي إذا أبدت نواجذها الحـــروب
أعين على مكارمـــها وأغشى مكارهها إذا كـــع الهيوب
وقد أبقى الحوادث منـك ركنا صليبا ما تؤيســــه الخطوب
على أن المنيـــــة قد توافي لوقت، والنوائب قد تنـــوب
وأني في العظائـــم ذو غناء وأدعى للفَعال[1] فأستجيــــب
وأني لا يخاف الغـــدر جاري ولا يخشى غوائــــلي القريب
وكم من صاحب قد بان عني رميـــــت بفقده وهو الحبيب
فلم أبد الذي تحنو ضلــوعي عليه وإنــــــني لأنا الكئيب
مخافة أن يـــــراني مستكينا عدو أو يساء بي القـــــريب
ويشمـــــت كاشح ويظن أني جـــــزوع عند نائبة تنوب
فبعدك سَدت الأعــداء طرقا إلى ورابـني دهـرٌ يـــــريب
وأنكـــرت الزمان وكل أهلي وهرتـــني لغيبتك الكليـــــب[2]
وكنت تقطـــع الأبصار دوني وإن وغـــرت من الغيظ القلوب

---

(1) الفعال (بالفتح): الكرم والمجد.

(2) الكليب: جمع كلب، كعبد وعبيد؛ قال علقمة بن عبدة:

تعفق بالأرطى لها وأرادها رجال فبذت نبلَهم وكليب

عروة بن حزام وموته بعشق عفراء

وأما **عروة** فهو ابن حزام بن مالك الشاعر العذري أحد عشاق العرب المشهورين بذلك؛ كان إسلاميا تابعيا في زمن معاوية بن أبي سفيان، وابنة عمه عفراء بنت مهاصر بن مالك العذرية وقد نشأ عروة في بيت أبيها مهاصر بن مالك، لأنه كان عمه وتربى في حجره حتى بلغ فعلقها علاقة الصبي، فكان عروة يسأل عمه أن يزوجه منها ويعده بذلك، حتى خرجت عير لأهله تريد الشام فخرج عروة فيها. فوفد على مهاصر بن مالك - والد عفراء - ابن عم له من البلقاء يريد الحج فخطبها عنده فزوجه إياها فخرج بها إلى أهله. فأقبل عروة في عيره حتى كان بتبوك نظر إلى رفقة مقبلة من نحو المدينة فيها امرأة على جمل أحمر فقال لأصحابه: وا لله لكأنها شمائل عفراء، فقالوا: ويحك ما تترك ذكر عفراء لشيء! فلما دنا القوم منه وتبين الأمر يبس قائما لا يتحرك ولا يجد كلاما ولا يرجع جوابا، حتى بعد القوم فأنشأ يقول:

وإني لتعروني لذكراك روعة ... لها بين جلدي والعظام دبيب
فما هو إلا أن أراها فجاءة ... فأبهت حتى ما أكاد أجيب
وأصرف عن رأيي الذي كنت أرتئي ... وأنسى الذي أحببت حين تغيب
ويضمر قلبي عذرها ويعينها ... عليه فما لي في الفؤاد نصيب
وقد علمت نفسي مكان شفائها ... قريبا وهل ما لا ينال قريب؟
حلفت برب الراكعين لربهم ... خشوعا وفوق الراكعين رقيب
لئن كان برد الماء حران صاديا ... إليَّ حبيبا إنها لحبيب
فقلت لعراف اليمامة داوني ... فإنك إن أبرأتني لطبيب
فما بي من حمى ولا مس جنة ... ولكن عمي الحميري كذوب
عشية لا عفراء دان مزارها ... فترجى ولا عفراء منك قريب
فلست برائي الشمس إلا ذكرتها ... ولا البدر إلا قلت سوف تؤوب

ثم انصرف عروة إلى أهله وأخذه البكاء والهيام حتى نحل ولم يبق منه شيء فقال قوم هو مسحور وقال آخرون به جنة؛ وإن باليمامة طبيبا له تابع من الجن وهو أطب الناس فلو أتيتموه لعل أن يشفيه الله على يديه، فساروا إليه من أرض بني عذرة فجعل يسقيه ويرقيه وهو يزداد سقما وجعل عروة يقول:

جعلت لعراف اليمامة حلة ... وعراف نجد إن هما شفياني

فقالا نعم نشفي من الداء كله ... وقاما مع العواد يبتدران

فما تركا من رقية يعلمانها ... ولا شربة إلا بها سقياني

وقالا: شفاك الله، والله ما لنا ... بما حملت منك الضلوع يدان

وقد تعددت الحكايات في صفة موته؛ فعن النعمان بن بشير قال: مررت يوما ببيت منحاز عن حي من عذرة فإذا فيه عجوز بإزائها رجل مستلق، فلما رآني ترنم وقال: *جعلت لعراف اليمامة حلة*..إلخ ثم شهق فمات؛ قال فسألت العجوز فقالت: هذا عروة بن حزام صاحب عفراء؛ لم يتكلم منذ سنة وقد سمعته اليوم يقول:

من كان يا صاح أمسى باكيا أبدا ... إني أراني بهذا اليوم مقبوضا

من قصيدة طويلة. قال فجهزناه؛ ثم مر بعد ذلك ركب على منزل عفراء فقال أحدهم:

ألا أيها القصر المغفل أهله ... بحق نعينا عروة بن حزام

فسمعته عفراء فقالت:

ألا أيها الركب المجدون ويحكم ... بحق نعيتم عروة بن حزام؟

فقال أحدهم:

نعم قد تركناه بأرض بعيدة ... مقيما بها في سبسب وإكام

فقالت:

فإن كان حقا ما تقولون فاعلموا ... بأن قد نعيتم بدر كل ظلام

فــــلا لقي الفتيان بعدك لذة ... ولا رجعـــــوا من غيبة بسلام

ولا وضعت أنثى شريفا كمثله ... ولا فرحت من بعده بغــــــلام

ألا لا بلغتم حيــث وجهتم له ... ونغصــــــــتم لذات كل طعام

ثم سألتهم: أين دفنتموه؟ فأخبروها؛ فسارت إلى قبره فلمـا قربـت منه قـالت: إنـي أريد قضاء حاجة، فأنزلوها فانسلت إلى قبْره فبكـت عليـه فمـا راعهـم إلا صوتهـا، فلما سمعوها بادروا إليها فإذا هي ممدودة على القبر قد خرجت روحها.

وفي رواية أخرى أنه لما قدم مع العير وهـو في غايـة الحزن والبكـاء جعلـت أمـه وأخواته يعالجنه، فقال لهن يوما: ليس دائي ولا دوائي إلا شخص مقيم بالبلقـاء هـو عفراء فلو نظرت إليها لذهب وجعي، فذهبوا به حتى نزلوا بالبلقاء مستخفين فكان لا يزال يلم بعفراء ينظر إليها، وكانت عند رجل كريم سيد كثير المال؛ فبينما عروة على حاله إذ مات، ولما بلغ عفراء موته قالت لزوجها: قد كان من أمر هـذا الرجـل ما بلغك وإنه بلغني أنه قد مات بأرض غربة فإن رأيت أن تأذن لي فأخرج في نسـوة من قومي فيندبنه ويبكين عليه، فأذن لها فخرجت إليه فلم تـزل تبكيـه حتـى مـاتت ودفنت بجانبه. وإلى هذا أشار بقوله: **ذاق وذاقت منه عفراء الحمام**.

ولما أنهى الكــــلام على بني بلي شرع في ذكر بني جهينة بن زيد بـن ليـث بـن سود بن أسلم، فقال رحمه الله:

وَمِن جُهَيْنَـــةَ الذِي أَلْقَى السَّلَمْ ... إِلَى أُسَامَــــةَ وَإِيَّاهُ اتَّهَــــمْ

وَرَهْطُــهُ بَنُو الضِّرَامِ الْحُرُقَهْ ... شِهَابُ جَمْـــرَةَ لَظَـاهُ حَرَقَهْ

عَوْسَجَــــةُ لَهُ عَلَى أَلْفٍ عَقَدْ ... خَيْرُ نَبِـــيٍّ مِنْ جُهَيْنَةَ يُعَدّ

وَمَعْبَدُ وَسُـــــــرَّقُ الذِي أَمَرْ ... بِبَيْعِهِ فِي دَيْنِـــهِ خَيْرُ مُضَرْ

عُمَيْرُ النَّاهِـضُ مِنْ كَفَنِــــــهِ ... وَقُصَــلُ الْمَدْفُونُ فِي مَدْفِنِهِ

هُنَا انْتَهَى عَمْرُو وَأَسْلُمُ أَخُوهْ ... ...

قوله **الذي ألقى السلم**: مبتدأ خبره المجرور قبله، والمراد به مرداس بن نهيك الجهني؛ ومعنى ألقى السلم أي استسلم وانقاد. **وأسامة** هو الحب بن الحب أسامة بن زيد بن حارثة. **وإياه**: مفعول به مقدم **لاتهم** وهو عائد على **الذي ألقى السلم** الذي هو مرداس، وفاعل **اتهم** ضمير مستتر عائد على أسامة. **ورهطه**: مبتدأ، والضمير فيه عائد ـ أيضا ـ على مرداس الذي ألقى السلم، **وبنو الضرام** (ككتاب): خبره. **والحرقة** (بضم الحاء المهملة): بدل من **بنو الضرام**؛ وهو في الأصل بوزن غرفة وحرك هنا مخافة السِّناد[1]. **وشهاب جمرة**: مبتدأ خبره جملة **لظاه حرقه**. **واللظى**: لهب النار الخالص لا دخان فيه، **ولظى** من أسماء جهنم [أعاذنا الله منها].

يعني أن مرداس بن نهيك وشهاب بن جمرة من جهينة ثم من بني الضرام بن مالك منهم.

أما جهينة فهم قبيلة عظيمة كانوا من أكثر عرب الصعيد في الديار المصرية وهم أصحاب المثل المشهور "وعند جهينة الخبر اليقين" وهو مثل يضرب في معرفة حقيقة الأمر[2]؛ وأصله أن الحصين الغطفاني خرج ومعه رجل من جهينة يقال له الأخنس بن كعب، وكان كل منهما فتاكا غادرا فوجدا رجلا من بني لخم عنده طعام وشراب فدعاهما فنزلا وأكلا وشربا معه ثم ذهب الأخنس لبعض شأنه ورجع فإذا اللخمي يتشحط في دمه فقال للحصين: ويحك كيف فتكت بالرجل بعد

---

(1) السناد (بكسر السين المهملة): هو في القافية اختلاف ما يراعى قبل الروي من الحركات وحروف المد وهو من عيوب الشعر.

(2) يقال: "فلان جهينة الأخبار" أي يعرف يقينها.

أن تحرمنا بطعامه وشرابه؟ فأجابه: اقعد.. فقد خرجنا لمثل هذا!. ثم شربا وتحدثا؛ وكان الحصين يشاغله ليفتك به، ففطن الجهني لمراده. وبعد ساعة قال له الحصين: يا أخا جهينة هل أنت زاجر للطير؟ قال: وما ذاك؟ قال: ما تقول هذه العقاب؟ فأجابه: وأين تراها؟ قال: هي هذه، ورفع رأسه إلى السماء فوضع الجهني بادرة سيفه في نحره وقال: أنا الزاجر والناحر! واحتوى على أسلابه وأسلاب اللخمي وانصرف؛ فمر بقوم من قيس وإذا امرأة تنشد الحصين فقال لها من أنت؟ قالت: أنا صخرة امرأة الحصين الغطفاني، فمضى وهو يقول:

تسائل عن حصين كل ركب وعند جهينة الخبر اليقين

وقال الأصمعي هو جفينة (بالفاء) وهو رجل كان يعلم خبر قتيل كان قومه يبحثون عنه وابنة له تنشده، وفيه قال الشاعر:

تسائل عن أبيها كل ركب وعند جفينة الخبر اليقين

وأما بنو الضرام فهم بطن من جهنية، وهم بنو ضرام بن مالك بن كعب بن مالك بن ثعلبة بن الحرقة ـ واسم الحرقة هذا الخميس ـ بن عامر بن ثعلبة بن مودعة بن جهينة بن زيد، وسمي بنوه بالحرقة لأنهم حرقوا بني مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان بالنبل أي قتلوهم.

وذكر الناظم من بني جهينة ستة رجال مع الإشارة إلى السابع وهم: مرداس وعوسجة ومعبد وسرق وعمير وقصل وشهاب بن جمرة الجهنيون. أما مرداس فهو ابن نهيك الأسلمي الجهني بالأصل الضمري بالحلف ـ وقيل الغطفاني ثم الفزاري من بني مرة من أهل فدك ـ والأول أرجح وعليه درج الناظم.

مرداس بن نهيك وقتل أسامة بن زيد له

وحاصل قصة إلقائه السلم لأسامة التي أشار إليها الناظم أنه صلى ا لله عليه وسلم بعث سرية كان أسامة أميرا عليها سنة ثمان؛ قال أسامة: بعثنا رسول ا لله ﷺ إلى الحرقة - وفي رواية إلى الحرقات - من جهينة فصبحنا القوم فهزمناهم ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلا منهم - يعني مرداس بن نهيك - فلما غشيناه قال: لا إله إلا ا لله فكف الأنصاري عنه وطعنته برمحي حتى قتلته، فلما قدمنا بلغ ذلك رسول ا لله ﷺ فقال: «يا أسامة أقتلته بعد ما قال لا إله ألا ا لله»؟[1] قلت: كان متعوذا، فقال رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم: "أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أصادق هو أم كاذب"؟[2]، فقال أسامة: استغفر لي يا رسول ا لله فقال: «كيف بلا إله الا ا لله»؟ قال أسامة: فما زال يكررها ويعيدها حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم، ثم قال: «وا لله لا أقاتل أحدا يشهد أن لا إله إلا ا لله». وروي أنه استغفر له وقال: «أعتق رقبة»، وقيل إن رسول ا لله ﷺ بعث سرية فيها أسامة بن زيد بن حارثة إلى ناس من ضمرة فيهم مرداس بن نهيك فاقتتلوا قتالا شديدا فأوجع مرداس في المسلمين ثم انهزم هو وقومه ومنح ا لله المسلمين أكتافهم فلحق به أسامة ورجل من الأنصار، فلما شهرا عليه السلاح[3] قال: لا إله إلا ا لله فصرف عنه الأنصاري ونظمه أسامة بالرمح فقتله فلما بلغ ذلك رسول ا لله ﷺ قال: «يا أسامة أقتلته بعد أن قال لا إله إلا ا لله»؟[4] فقال أسامة: يا رسول ا لله إنما قالها خوفا - وفي رواية إنما

---

(1) أخرجه مسلم وأحمد.

(2) أخرجه مسلم وأبو داوود وابن ماجه وأحمد.

(3) شهر السيف بتشديد الهاء: سله من غمده ورفعه.

(4) أخرجه مسلم وأحمد.

كان متعوذا ــ فقال رسول الله ﷺ: «هلا شققت عن قلبه»؟ ثم قال له: «كيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءك يوم القيامة»؟ فنــزل قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا تَبۡتَغُونَ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٞۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبۡلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَتَبَيَّنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ﴾[1]، وعاتبه رسول الله ﷺ على ذلك فقال أسامة: يا رسول الله استغفر لي، فجعل لا يزيد على ذلك، ولكنه عذره فعند ذلك حلف أسامة أن لا يقاتل بعد رجلا يقول لا إله إلا الله أبدا؛ ومن ثم تخلف عن القتال الذي وقع بين علي ومعاوية رضي الله عنهما وقال: إني عاهدت الله أن لا أسل سيفا على من قال لا إله إلا الله بعد مرداس، فقد عاتبني رسول الله ﷺ حتى تمنيت أنني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم؛ أي ليأمن من إثم تلك الفعلة لأن الإسلام يجب ما قبله. وقد روي أن سعد بن أبي وقاص تخلف أيضا عن تلك الحروب وقال: لا أقاتل مسلما حتى يقاتله أسامة.

وفي رواية أن مرداسا هذا كان يرعى غنما له فهجمت عليه تلك السرية فقال لهم: السلام عليكم.. أنا مومن، فظن أسامة أنه إنما ألقى السلام متعوذا فقتله، وقد أشار الناظم بقوله: **الذي ألقى السلم** إلى الآية الكريمة: ﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ ﴾، وبقوله: **وإياه اهم** إلى قول أسامة: إنما قالها خوفا. وقد مر أن الآية نزلت في قتل محلم بن جثامة الليثي لعامر بن الأضبط عند قول الناظم: *وعامر بن الاضبط الذي السلم*..إلخ.

---

(1) النساء: الآية: 94.

تنبيه: ذكر القرطبي في تفسيره أن المسلم إذا لقي الكافر ولا عهد له جاز له قتله فإن قال لا إله إلا الله لم يجز قتله، لأنه قد اعتصم بعصام الإسلام المانع من دمه وماله وأهله؛ فإن قتله بعد ذلك قتل به وإنما سقط القتل عن هؤلاء لأجل أنهم كانوا في صدر الإسلام وتأولوا أنه قالها متعوذا وخوفا من السلاح وأن العاصم قولها مطمئنا؛ فأخبر النبي ﷺ أنه عاصم كيفما قالها ولذلك قال لأسامة: «أفلا شققت عن قلبه»، وفي الحديث: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله»[1].

التفاؤل والتشاؤم بالأسماء

ومن جهينة أيضا ثم من بني الضرام بن الحرقة منهم: شهاب بن جمرة الجهني؛ روي أنه قدم يوما على عمر بن الخطاب فسأله عن اسمه فقال: شهاب، فقال: ابن من؟ قال: ابن جمرة، فقال من أي قبيلة؟ قال: بنو الضرام من الحرقة، فقال: أين منزلكم؟ قال: ذات لظى من حرة النار، فقال عمر: أدرك أهلك فقد احترقوا، وفي رواية: ما أظن أهلك إلا قد احترقوا، فرجع إلى أهله فوجدهم قد احترقوا. وإلى ذلك أشار الناظم بقوله **شهاب جمرة لظاه حرقه**.

وقد كان رسول الله ﷺ يحب الفال الحسن والأسماء الحسنة وكان يغير بعض أسماء أصحابه وقبائلهم، وأماكنهم إلى أحسن منها؛ فقد مر صلى الله عليه وسلم هو وأبو بكر رضي الله عنه في طريقهما للهجرة على إبل بالجحفة فقالوا: لمن هذه الإبل؟ فقيل: لرجل من أسلم، فالتفت صلى الله عليه وسلم إلى أبي بكر وقال:

(1) أخرجه مسلم.

«سلمنا إن شاء ا لله»[1] فقال لراعيها: «ما اسمك»؟ قال: مسعود، فالتفت إلى أبي بكر وقال: «سعدت إن شاء ا لله»، ولما قدموا قباء نزلوا على كلثوم بن الهدم فنادى غلاما له يقال له نجيح فالتفت صلى ا لله عليه وسلم إلى أبي بكر وقال: «أنجحت يا أبا بكر»، وقال صلى ا لله عليه وسلم يوما في لقحة عنده: «من يحلب هذه»؟ فقام رجل فقال: أنا، فقال: «ما اسمك»؟ قال: مرة فقال: «اجلس»، ثم قال: «من يحلب هذه»؟ فقام رجل فقال: أنا، فقال: «ما اسمك»؟ قال: جمرة، قال: «اجلس»، ثم قال: «من يحلب هذه»؟ فقام رجل فقال: أنا، فقال: «ما اسمك»؟ قال: يعيش، فقال له رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم: «احلُب»[2]. وسأل بعض أصحابه عن اسمه فقال: شهاب بن خرفة، فقال: «أنت مسلم بن عبد ا لله». وكان يقال لمطيع بن الأسود العاصي فسماه رسول ا لله ﷺ مطيعا. وكان يقال لأم عاصم أخت عمر عاصية فسماها النبي صلى ا لله عليه وسلم جميلة، وكان يقال لهشام بن عامر النجاري شهاب فسماه هشاما. وجاء عبد ا لله بن قرط فأسلم فقال له: «ما اسمك»؟ قال: شيطان، قال: «أنت عبد ا لله بن قرط». وقدم عليه وفد من كندة فقال لهم: «من أنتم»؟ فقالوا: نحن بنو الشيطان، فقال: «بل أنتم بنو عبد ا لله». وقدم عليه وفد من جهينة فقال: «من أنتم»؟ قالوا: بنو غيان ـ وكان بلدهم يسمى غواء ـ فقال: «أنتم بنو رشدان» وسمى بلدهم رشادا. ومر يوما ببئر فسأل عنها فقالوا: اسمها بيسان وهو مالح، فقال:

---

(1) أورده الذهبي في سيرته، وفيه: "برُد أمرنا وصلح.."إلخ.

(2) أخرجه في الموطأ، وروي أن عمر بن الخطاب رضي ا لله عنه قام عند ذلك فقال: يا رسول ا لله لا أدري أقول أم أسكت ، فقال له رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم: «قل» فقال له: قد كنت نهيتنا عن التطير، فقال عليه الصلاة والسلام: «ما تطيرت ولكني آثرت الاسم الحسن» أو كما قال عليه الصلاة والسلام. [الروض الأنف].

«نعمان وهو طيب» فكانت كذلك. ومر صلى الله عليه وسلم في طريقه إلى بدر بجبلين حول الصفراء فسأل عنهما فقيل: اسم أحدهما مسلح واسم الآخر مخرئ وعن أهلهما فقيل: بنو النار وبنو حراق[1]، فكرههما وعدل عن المرور بينهما..

وحكي أن بعض العرب مر على قوم فقال لأحدهم: ما اسمك؟ فقال: منيع، وسأل آخر فقال: شديد، وسأل آخر فقال: وثيق وسأل آخر فقال: ثابت فقال لهم: ما أظن الأقفال وضعت إلا من أسمائكم!. وسأل بعضهم رجلا فقال: ما اسمك؟ فقال: بحر فقال: ما كنيتك؟ قال: أبو الندى فقال: ابن من؟ قال: ابن فياض، فقال: لا ينبغي لأحد أن يلقاك إلا في فلك!. ومثل هذا لا ينحصر.

قوله : عوسجة (بوزن صومعة): مبتدأ. **ومن جهينة**: متعلق **بيعد** ـ المبني للمفعول ـ والجملة خبر عوسجة. وجملة **له على ألف عقد**: صفة لعوسجة.

يعني أن عوسجة بن حرملة معدود في بني جهينة ومنسوب إليهم وهو عوسجة بن حرملة بن سبرة بن خديج بن مالك بن عمرو بن ذهل بن عمرو بن ثعلبة بن رفاعة بن نصر بن مالك بن غطفان بن قيس بن جهينة الجهني ـ وقيل حليف لجهينة ـ وأصله من حمير من غير جهينة، وقد عقد له رسول الله ﷺ لواء على ألف من جهينة يوم الفتح وأقطعه ذا أمَّر من أرض نجد.

وقوله **ومعبد** (بوزن مدخل)، **وسُرَّق** (بوزن سُكَّر): معطوفان على **عوسجة**، وجملة قوله **الذي أمر ببيعه**.. إلخ: صفة لسرق، وفي أسد الغابة: أصحاب الحديث

---

(1) بنو النار وبنو حراق بطنان من بني غفار؛ وروي في سبب تسمية هذين الجبلين أن عبدا لبني غفار كان يرعى بهما غنماً لسيده فرجع ذات يوم عن المرعى فقال له سيده لم رجعت؟ فقال: إن هذا الجبل مسلح للغنم وهذا الآخر مخرئ لها فسميا بذلك، وليست كراهيته صلى الله عليه وسلم المرور بهما من باب الطيرة المنهي عنها ولكن من باب كراهية الاسم القبيح.

يقولون سرَّق بتشديد الراء والصواب تخفيفها بوزن غدر وفُسق.

أما معبد فهو أبو زرعة معبد بن خالد الجهني، أسلم قديما وكان أحد الأربعة الذين حملوا ألوية جهينة يوم الفتح وكان من أشد جهينة لزوما للبادية، توفي سنة اثنتين وسبعين وهو ابن بضع وثمانين سنة.

وأما سرق فهو ابن أسد الجهني وقيل دؤلي وقيل أنصاري، كان اسمه الحباب فلقبه النبي ﷺ بسرق لأنه ابتاع يوما من أعرابي من أهل البادية راحلتين كان قد قدم بهما المدينة وأخذهما منه وجاء به إلى دار لها بابان فأجلسه على أحدهما ودخل ليأتيه بالثمن فخرج من الباب الآخر وتغيب عنه فجاء الأعرابي إلى رسول الله ﷺ وأخبره بذلك، فأمر صلى الله عليه وسلم بالتماسه، فلما أتوا به إلى رسول الله ﷺ قال له: «أنت سرق ما حملك على ما صنعت»؟ قال: قضيت بثمنهما حاجتي، قال: «فاقضه» فقال: ليس عندي شيء، فقال للأعرابي: «اذهب به فبعه حتى تستوفي حقك منه»، فجعل الناس يسومونه ليفتدوه منه فقال الأعرابي: والله ما منكم من أحد أحوج إلى الله مني اذهب فقد أعتقتك. وإلى هذا أشار الناظم بقوله: **وسرق الذي أمر** ..إلخ؛ وقد قيل يوما لسرق: لا ينبغي لك أن تتسمى بهذا الاسم وأنت رجل من أصحاب رسول الله ﷺ ، فقال: هو اسم سماني به رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا أحب أن أدعى بغيره. وشهد سرق رضي الله عنه فتح مصر وسكن بها حتى مات في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه.

قوله **عمير** (بوزن زبير): عطف على عوسجة أيضا بحذف العاطف. **والناهض**: القائم. **والكفن** (بالتحريك): ما يُلبسه الميت، جمعه أكفان. **وقصل** (كزفر): عطف على عمير. **والمدفون**: المستور، وهو صفة لقصل؛ والمدفن (كمجلس): موضع الدفن. والضمير في **كفنه** و**مدفنه** عائد على عمير.

يعني أن من بني جهينة عمير بن جندب والقصل (وهو ابن عم عمير). وأشار

الناظم بهذا البيت إلى ما ورد في القاموس و الحلة السيراء وغيرهما، من أن عُميراً بن جندب هذا مات قبيل الإسلام فجهزوه بجهازه، فبينما هم يحفرون قبره إذا به كشف القناع عن رأسه وقال: أين القصل؟ قالوا: سبحان الله مر آنفا فما حاجتك إليه؟! قال: أُتِيتُ فقيل لي: لأُمِّكَ الْهَبَلْ ، ألا تُرى إلى حفرتك تُنْثَلْ، وقد كادت أمك تَثْكَل، أرأيت إن حولناك إلى مُحَوَّل ثم غُيِّبَ في حفرتك القُصَلْ الذي مشى فاحْزَأَلّ ثم ملأناها من الْجَنْدَل أتعبد ربك وتُصَلّ وتَتْرُكُ سبيلَ من أشرك وأضَلّ؟.. فقلت: نعم، قال: فأفاق عمير وعاش حتى نكح ووُلد له أولاد؛ ولبث القصل ثلاثا ثم مات ودُفن في قبر عمير!.

ومما هو في معنى هذا من الغرائب ما ذكره في سموط الذهب في شرح عمود النسب قال أبو بكر الخطيب: بلغني أن المعروف بـ"حامل كفنه" توفي وغسل وكفن وصلي عليه ودفن، فلما جاء الليل جاءه نباش فنبش قبره فلما حل أكفانه ليأخذها استوى قائما فهرب النباش فقام وحل أكفانه وجاء إلى منزله وأهله بكفنه فطرق الباب فقالوا: من أنت؟ فقال: أنا فلان، فقالوا: لا يحل لك أن تزيد على ما بنا، فقال: يا قوم افتحوا فأنا وا لله فلان فعرفوا صوته ففتحوا فعاد حزنهم فرحا وسمي حامل كفنه!. وروي أيضا أن سعيدا بن الحسين الكوفي لما أدلي في قبره اضطرب فحلت عنه الأكفان ورجع إلى منزله وولد بعد ذلك ابنه مالكا[1].

---

(1) ومن هذا النوع من الغرائب أيضا قصة ربيعة بن خراش (أخي ربعي بن خراش)، قال ربعي: مات أخي فسجيناه وجلسنا عنده فبينما نحن كذلك إذ كشف الثوب عن وجهه ثم قال: السلام عليكم، قلت: سبحان الله أبعد الموت؟! قال: إني لقيت ربي فتلقاني بروح وريحان ورب غير غضبان وكساني ثيابا خضرا من سندس واستبرق: اسرعوا بي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه قد أقسم أن لا يبرح حتى آتيه وأدركه وأن الأمر أهون ما تذهبون إليه فلا تغتروا، ثم وا لله كأنما كانت نفسه حصاة فألقيت في طست.

<<=

ومن بني جهينة أيضا عقبة بن عامر الجهني الصحابي المشهور المتقدم ذكره.

ومنهم أيضا عدي بن أبي الزغباء واسمه سنان بن سبيع بن ثعلبة بن ربيعة الجهني الصحابي، حليف بني مالك بن النجار؛ شهد بدرا وما بعدها مع رسول الله ﷺ وهو الذي أرسله النبي صلى الله عليه وسلم مع بسبسة بن عمرو يتجسسان خبر عير أبي سفيان بن حرب يوم بدر فسارا حتى أتيا قريبا من ساحل البحر. وتوفي عدي هذا في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنهما. ومنهم أيضا عقربة بن بشير الجهني، استشهد يوم أحد فمر رسول الله ﷺ بابنه بشر وهو يبكي فقال له: «أما ترضى أن تكون عائشة أمك وأنا أباك». ومنهم رافع بن مكيث بن عمرو الجهني، شهد بيعة الرضوان وكان أحد الأربعة الذين حملوا ألوية جهينة يوم فتح مكة، واستعمله النبي ﷺ على صدقات من أسلم من قومه، من حديثه: «حسن الخلق نماء وسوء الخلق شؤم»[1]. ومنهم زيد بن خالد الجهني الصحابي، شهد الحديبية وكان معه لواء جهينة يوم الفتح؛ روى عن رسول الله ﷺ وعن عثمان وأبي طلحة وعائشة رضي الله عنهم، وروى عنه جماعة كثيرة.

>> ومن غريب الحكايات في هذا المجال، الحكاية التالية المتصلة السند عن العدول، فقد حدثني غيرما مرة محمذ (بالذال المعجمة) بن محمد مختار ـ وهو ثقة مأمون ـ أنه سمع من العلامة محمد النابغة بن الشيخ محمدُ بن حبيب الرحمن التندغي ما لا يحصيه كثرة قال: حدثني رجل من قبيلة مدلش يقال له محمد محمود بن اكرام أنه ذهب إلى الحج؛ فبينما هو ذات يوم في قوم يدفنون جنازة في مقبرة تسمى بالمعلاة والجنازة موضوعة بينهم والقوم يحفرون لها إذ استوت تلك الجنازة جالسة فقالت: بعثت لأخبركم أن أنفع ما عندنا محبة الصالحين وموالاتهم، ثم رجعت لحالها فدفنوها وذهبوا هـ. ومحمد محمود بن اكرام هذا عالم جليل وقاض كبير إمام مسجد العلامة الكبير بابَ بن الشيخ سيديَ ومعلم بنيه، وكان قد حج ومكث في حجته تلك سنة. والله سبحانه وتعالى أعلم.

(1) أخرجه أحمد وفيه: "..والبر زيادة في العمر والصدقة تمنع ميتة السوء".

ومنهم أيضا عبد ا لله بن أنيس الجهني الصحابي كان أحد كاسري أصنام بني سلمة الأنصاريين وكان حليفا لهم وشهد العقبة وما بعدها وكان ممن صلى إلى القبلتين ودخل مصر وخرج إلى إفريقية ؛ روى عن النبي ﷺ ، وروى عنه أولاده وغيرهم.. قيل وهو الذي رحل إليه جابر بن عبد ا لله مسيرة شهر ليروي عنه حديث القصاص المتقدم. ومنهم أيضا سويد بن صخر الجهني، شهد الحديبية وكان أحد الأربعة الذين حملوا ألوية جهينة يوم الفتح. ومنهم أيضا أسيفع جهينة المشهور، كان يشتري الرواحل فيغالي بها ثم يسرع السير فيسبق الحاج فأفلس، فرُفع أمره إلى عمر بن الخطاب فأخذه وقال: أيها الناس إن الأسيفع أسيفع جهينة رضي من دين ا لله وأمانته بأن يقال سابق الحاج فادَّان مُعرضا واليوم قد رين به[1] فمن كان له عليه دين فليغد عليَّ بالغداة فلنقسم ماله بينهم بالحصص.

ومن جهينة أيضا عبد العزيز بن بدر بن زيد بن معاوية بن خِشَّانَ بن أسعد بن وديعة بن مبذول بن عثم بن الرَّبْعَة بن رَشدان بن قيس بن جهينة الجهني الربعي، وفد على النبي ﷺ فقال: «ما اسمك»؟ قال: عبد العزى، فسماه عبد العزيز.

ولما أنهى الكلام على عمرو وأسلم ابني إلحاف بن قضاعة،كما قال **هنا انتهى عمرو وأسلم أخوه**، شرع يتكلم على أخيهما عمران بن إلحاف، فقال رحمه ا لله:

... ... أَخُوهُمَا عِمْرَانُ كَالطَّيْسِ بَنُوهْ

وَمِنْهُ وَبْــرَةُ أَبُــو السِّبَاعِ أَلْمَالِئِينَ أَوْجُهَ الْبِقَاعِ

مِن كَلْبِهِ زَيْدُ الذِي قَضَى وَطَرْ مِن زَيْنَبٍ.. ... ...

(1) ادّان: أي اجتهد في حمل الدين. ومعرضا: أي عن قضائه. ورين به: يقال رين بالرجل إذا وقع فيما لا يستطيع الخروج منه ولا قبل له به - [مختار الصحاح].

قوله **أخوهما**: مبتدأ والضمير المضاف إليه عائد على عمرو وأسلم ابني إلحاف المتقدم ذكرهما. **وعمران** (بالرفع): بدل من **أخوهما**. وقوله **بنوه**: مبتدأ خبره الجار والمجرور قبله، والضمير فيه عائد على **عمران**؛ والجملة خبر عن أخوهما. **والطيس**: العدد الكثير أو دقاق التراب أو خلق كثير النسل كالنمل والذباب، قال الشاعر:

عددت قـومي كعديد الطيس ... إلخ

وقوله **وبرة** (بالموحدة وبوزن حمزة): مبتدأ خبره الجار والمجرور قبله. والضمير في **منه** عائد على عمران أيضا. **وأبو السباع**: صفة **لوبرة**، وعرف أولاده بالسباع لموافقة أسمائهم أسماء السباع (وبهم سمي وادي السباع) كما مر عند قوله: *ومر وائل بن قاسط على وادي السباع*..إلخ. **والمالئين**: صفة للسباع. **وأوجه** (بالنصب): مفعول به للمالئين. **والبقاع**: جمع بقعة، أي المالئين وجه الأرض لكثرتهم. وقوله **زيد**: مبتدأ خبره الجار والمجرور قبله. والضمير في **من كلبه**: عائد على وبرة. والمراد **بزيد**: زيد بن حارثة الكلبي. وجملة **الذي قضى**.. إلخ: صفة لزيد. **والوطر**: الحاجة والبغية، يقال قضى منه وطره أي نال منه بغيته، جمعه أوطار؛ ووقف عليه بوفق ربيعة. والمراد **بزينب**: أم المؤمنين زينب بنت جحش الأسدية[1].

يعني أن عمران بن إلحاف تفرعت من أبنائه بطونٌ لا تحصى كثرة مَلأَت السهل والجبل وأن من ولده وبرةَ بن ثعلبة بن حلوان بن عمران والد كلب بن وبرة الذي منه الصحابي الجليل مولى رسول الله ﷺ زيد بن حارثة الكلبي.

هذا وقد عبر الناظم عن كثرة ولد عمران بن إلحاف بتشبيههم بالطيس وجميع ذرية عمران من ولده حلوان؛ وحلوان هذا أمه ضرية بنت ربيعة بن نزار بن معد،

---

(1) أسد خزيمة.

وإليها ينسب "حمى ضرية" المذكور في الأشعار[1]. وأولاد حلوان هم ثعلبة وسليح (واسمه عمرو) وزبان وتزيد، وكلهم أبو بطن ذي بطون كثيرة؛ أما تزيدُ فقيل إن بنيه هم الذين تنسب إليهم الثياب التزيدية ودخلوا في تنوخ، وأما زبان فقيل بفتح الزاي المعجمة وتشديد الباء الموحدة، وقيل بالراء المهملة، وهو علاف وإليه تنسب الرحال العلافية[2]، ومن بطونه بنو جرم؛ منهم بنو شمج بن قدامة بن جرم (بطن) وبنو راسب (بطن) أيضا؛ ومن جرم هوذة بن عمرو بن رياح بن عوف الجرمي له صحبة. ومنهم أسماء بن رئاب بن معاوية بن مالك الجرمي، له صحبة أيضا؛ وهو الذي خاصم بني عقيل إلى النبي ﷺ في العقيق، وهو القائل في ذلك:

وإني أخو جرم كما قد علمتم ... إذا جمعت عند النبي المجامع

فإن أنتم لم تقنعوا بقضائه ... فإني بما قال النبي لقانع

---

(1) يعني أن ضرية بنت ربيعة هذه هي التي سمي باسمها موضع "ضرية" الذي يضاف إليه "حمى ضرية" وهو ببلاد نجد، قال نُصيب الشاعر:

ألا يا عقاب الوكر وكر ضرية ... سُقِيتِ الغوادي من عقاب ومن وكر

أبيني لنا لا زال ريشك ناعما ... ولا زلت من ريب الحوادث في ستر

أبيني لنا قد طال ما قد تركتنا ... بعمياء لا ندري أنصبح أم نسري؟

وقال أحد شعراء طيئ:

وما زال من قتلي رزاحٍ بعالج ... دم ناقع أو جاسِدٌ غير ماصح

دعا الطير حتى أقبلت من ضرية ... دواعي دم مهراقة غير بارح

وكانت بضرية هذا منازل بني آكل المرار الكنديين وإليه ينسب "حمى ضرية" الذي كان مرعىً لإبل الملوك. وفي حديث عثمان: كان الحمى حمى ضرية على عهده ستة أميال. وضرية أيضا اسم قرية لبني كلاب على طريق البصرة إلى مكة وهي إلى مكة أقرب. [لسان العرب وتاج العروس].

(2) ومنه قول النابغة الذبياني:

شعب العلافيات بين فروجهم ... والمحصنات عوازب الأطهار

ومنهم عمرو بن عبد الجن بن عائذ بن سالم الجرمي الذي كان مع عمرو بن عدي وقصير (صاحب المثل) بالحيرة ـ كما مر.

وأما سليح فمنه بطن يعرفون بالضجاعمة كان لهم ملك وذكر بالشام قبل غسان ومنه بنو العبيد وهم من أشراف العرب. وأما ثعلبة بن حلوان فمنه وبرة بن ثعلبة بن حلوان ومن أولاده كلب وأسد ونمر والبرك وفهد وضبع ودب وذئب وسيد وثعلب وسرحان، أمهم أسماء بنت دريم؛ تفرعت منهم قبائل ضخمة وتفرعت عن تلك القبائل بطون كثيرة. وإلى هذا أشار بقوله: **المالئين أوجه البقاع.**

ومن ولد حلوان خندف بنت حلوان بن عمران بن إلحاف بن قضاعة القضاعية أم مدركة وإخوته بني إلياس بن مضر.

ومن قضاعة ـ أيضا ـ مارية بنت كعب القضاعية أم كعب بن لؤي القرشي. ومنهم أم خزيمة بن مدركة أيضا. أما بنو تغلب بن ثعلبة بن حلوان فدخلوا في كلب، وأما بنو البرك فدخلوا في جهينة، وأما نمر فهم بطون كثيرة دخل بعضهم في بني تغلب وبعضهم في بني سليح وبعضهم في كلب وبعضهم في خزاعة وبعضهم في جشم بن بكر بن هوازن وبعضهم بقي مستقلا.

وأما بنو أسد فمنهم بنو فهم بن تيم الله بن أسد وهم من تنوخ ـ كما مر ـ ومنهم بنو قشم (وهم حلفاء لبني تغلب) ومنهم بنو شيع الله الذين منهم بنو القين بن جسر بن شيع الله؛ وبنو القين هؤلاء كانوا يناهضون بني كلب بن وبرة، وكانت لهم كثرة بأطراف الشام وبالأندلس ثم ضعفوا بعد. ومن بني القين أبو الطحماء حنظلة بن الشرقي القيني الشاعر، كان فارسًا صعلوكا مخضرما أدرك الجاهلية والإسلام؛ يقال إنه كان تربا للزبير بن عبد المطلب في الجاهلية ونديمه، ومن شعره:

وإني من القوم الذين هم هم   إذا مات منهم سيد قام صاحبه

أضاءت له أحسابهم ووجوههم دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه

ومنه:

ألا عللاني قبل نوح النوائـــح وقبل ارتقاء النفس فوق الجوانح
وقبل غد يا لهف نفسي على غد إذا راح أصحابي ولست برائح
إذا راح أصحابي تفيض دموعهم وغودرت في لحدٍ علي صفائحـي
يقولون هل أصلحتمُ لأخيكـم؟ وما اللحد في الأرض الفضاء بصالح

وكان من المعمرين، يقال إنه عاش مائتي سنة، وهو القائل:

حنتني حادثات الدهر حـــتى كأني خاتـــل يدنـــو لصيد
قريب الخطو يحسب من رآنـــي ـ ولســـت مقيدا ـ أني بقيـــد

وأما بنو كلب بن وبرة فتفرعوا إلى بطون ضخمة، وكان لهم ملـك يتداولونـه مع السكون (من كندة) وكان لهم ملك دومة الجندل، وجـاء الإسـلام والمِلـك بهـا عليهم أكيدر بن عبد الملك؛ وكتب إليه النبي ﷺ ـ كما يـأتي ـ ومـن بطونهـم بنـو ثور بن كلب وفيهم بنو رفيدة وبنو عرينة وبنو صحب وبنو كنانة وبنو عدي وبنـو زهير وبنو عليم، وكلهم بطون كبيرة.

ومن كلب أيضا بنو عبيدة بن هبل (بطن) قيل منهم امرؤ القيس بن حذام الذي يقال إنه هو أول من بكى الديار، وهو شاعر قديم دثر شعره. ومنهم بنو الحصن بن ضمضم بن عدي بن جناب؛ منهم نائلة بنت الفرافصة بن الأحوص امرأة عثمان بن عفان رضي ا لله عنه. ومن بني رفيدة بن ثور بن كلب النسابة المشـهور ابـن الكلبي وهو من بني كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن رفيدة. ومن كلـب أيضا بحدل بن أنيف بن دلجة الكلبي، جد يزيـد بـن معاويـة بـن أبـي سـفيان لأمـه. ومنهم محمد بن السائب الكلبي صاحب التفسير المشهور. ومن بطون كلب ـ أيضا ـ بنو عامر بن عـوف، بطـن عظيـم كـانوا في الجاهليـة يـنزلون دومـة الجنـدل وتبـوك وأطراف الشام؛ ومن بني عامر هؤلاء زيد بن حارثة ودحية بن خليفة الكلبيان.

ترجمة زيد بن حارثة

أما زيد فهو أبو أسامة زيد بن حارثة بن شراحيل بن كعب بن عبد العزى بن زيد بن امرئ القيس بن عامر بن النعمان بن عامر بن عبد ود بن عوف بن كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة بن ثعلبة بن حلوان بن عمران بن إلحاف بن قضاعة القضاعي الكلبي الصحابي الجليل مولى رسول الله ﷺ وحِبه، أمه سعدى بنت ثعلبة بن عبد عامر من بني معن بن طيئ الطائية. روي أنها أتت به قومها تزورهم فأغارت خيل من تهامة لبني القين بن جسْر على بني معن بالشام ـ وكان ذلك في الجاهلية ـ فاختطفوا زيدا وهو غلام يفعة[1] فأتوا به سوق عكاظ فعرضوه للبيع فاشتراه حكيم بن حزام[2] لعمته خديجة بنت خويلد بأربعمائة درهم. فلمَّا تزوجها رسول الله ﷺ وهبته له وهو ابن ثمان سنين، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أكبر منه بعشرين سنة.

ولما فقده أبوه حارثة بن شراحيل حزن عليه حزنا شديدا وبكى عليه وطلبه في الشام وأطرافه فلم يجده، فقال:

بكيت على زيد ولم أدر ما فعل ... أحي فيرجى أم أتى دونه الأجل

فوا لله ما أدري وإني لسائل ... أغالك بعدي السهل أم غالك الجبل

فيا ليت شعري هل لك الدهر أوبة ... فحسبي من الدنيا رجوعك لي بجل[3]

تذكرنيه الشمس عند طلوعها ... وتعرض ذكراه إذا قارب الطفل[4]

وإن هبت الأرواح هيجن ذكره ... فيا طول ما حزني عليه ويا وجل

---

(1) يفعة: أي شاب يقال: غلام يفعة وفتاة يفعة أيضا.

(2) وقيل اشتراه من سوق حباشة وهو سوق بناحية مكة كان مجمعا للعرب يتسوقون به في كل سنة.

(3) بجل: اسم فعل بمعنى حسب.

(4) الطفل (بالتحريك): دنو الشمس للغروب.

سأعمل نص العيس[1] في الأرض جاهدا ولا أسأم التطـــواف أو تسأمَ الإبل
حياتيَ أو تأتــــي علي منيــــــتي وكل امرئ فان وإن غره الأمـــــل
سأوصـــــي به قيسا وعمرا كليهمـا وأوصي يزيدا ثم أوصـي به جبل[2]

ثم اتفق أن حج ناس من كلب فرأوا زيدا فعرفهم وعرفوه ، فقال: أبلغـوا أهلـي هذه الأبيات:

أحـــــن إلى أهلي وإن كنت نائيــا فإني قعيد البيــــت عند المشاعر[3]
فكفوا عن الوجد الذي قد شجاكم ولا تعملــوا في الأرض نص الأباعر
فإني ـ بحمد الله ـ في خير أســـرة كـــرام معد كابـــرا بعد كابر

فانطلقوا وأعلموا أباه ووصفوا له موضعه وعند من هو؛ فلما أخبروه قـال: ابـني ورب الكعبة. فخرج أبوه حارثة وعمه كعب ابنا شراحيل لفدائه حتى قدما مكـة ـ وكان ذلك قبل البعثة ـ فسألا عن رسول الله ﷺ فقيل لهما هو في المســجد فدخـلا عليه، فقالا له: يا ابن عبد المطلب يا ابـن سيد قومـه أنتـم أهـل حـرم الله وجيرانـه تفكون العاني[4] وتطعمون الجائع؛ جئناك في ولد لنا عندك فامنن علينا وأحسن إلينـا في فدائه فإنا سنرفع لك، فقال: «من هو»؟ قالوا: زيد بن حارثة، فقال: «فهلا غـير ذلك» قالوا: وما هو؟ قال: «أدعوه وأُخيِّرُه فإن اختاركم فهو لكـم بغـير فـداء وإن اختارني فوالله ما أنا بالذي أختار على من اختـارني فـداء»، قـالا: قـد زدتنـا علـى النِّصَف وأحسنت؛ فدعاه رسول الله ﷺ فقال له: «هل تعرف هؤلاء»؟ قال: نعم

---

(1) النص: استخراج أقصى ما لدى الناقة من السير. والعيس: الإبل.

(2) يعني بقيس وعمرو: أخويه. وبيزيد: أخا لزيد من أمه. وبجبل: جبلة بن حارثة أكبر ولده.

(3) القعيد: المجالس. والمشاعر: جمع مَشعر (موضع مناسك الحج).

(4) العاني: الأسير. وفك الأسير: حرره وأطلقه، وفي الحديث: «عودوا المرضى وفكـوا العـاني» وفيـه: «اتقوا الله في النساء فإنهن عندكم عوانٍ» أي: أسرى أو كالأسرى.

هذا أبي وهذا عمي، قال: «فأنا من قد عرفت ورأيت صحبتي لك فاخترني أو اخترهما»، فقال زيد: ما أنا بالذي أختار عليك أحدا أنت مني بمكان الأب والعم، فقالا: ويحك يا زيد أتختار العبودية على الحرية وعلى أبيك وعمك وأهل بيتك؟! قال: نعم لقد رأيت من هذا الرجل شيئا ما أنا بالذي أختار عليه أحدا أبدًا، فلما رأى رسول الله ﷺ ذلك أخذ بيد زيد وخرج به إلى الحجر فقال وهو في نادي قريش وغيرها: «اشهدوا أن زيدا ابني يرثني وأرثه»[1]، فلما رأى ذلك أبوه وعمه طابت نفوسهما وانصرفا راجعين، وأصبح يدعى زيد بن محمد، ولم يزل كذلك حتى جاء الله بالإسلام ونزل قوله تعالى ﴿ ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ ﴾[2] عند ذلك قال: أنا زيد بن حارثة، وصار ينسب إلى أبيه. وتأنيسا له وعوضا من الفخر بأبوة محمد ﷺ ورد اسمه في القرآن الكريم: ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيۡدٌ مِّنۡهَا وَطَرًا ﴾[3] فصار اسمه قرآنا خالدا لا يبيد يتلوه أهل الدنيا إذا قرأوا على مر العصور ويتلوه أهل الجنة كذلك أبدا لا يزال على ألسنة المؤمنين كما لم يزل مذكورا ــ على الخصوص ــ عند رب العالمين فهو في الصحف المكرمة المرفوعة المطهرة، تذكره في التلاوة السفرة الكرام البررة، وهي منقبة عظيمة لا يشاركه فيها أحد من المؤمنين إلا الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم.

ولما بعث رسول الله ﷺ بادر زيد إلى تصديقه فكان أول من أسلم، وقيل أسلمت قبله خديجة بنت خويلد ثم أسلم هو بعدها. وقد زوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم من مولاته وحاضنته أم أيمن بركة بنت ثعلبة بن حصن الحبشية التي

---

(1) أخرجه الحافظ ابن حجر في الإصابة، وابن سعد في طبقاته، والبيهقي.

(2) الأحزاب: 5.

(3) الأحزاب: 37.

ورثها من أبيه عبد الله بن عبد المطلب، فولدت له أسامة. ثم زوجه صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش الأسدية من بني أسد بن خزيمة وهي بنت عمته أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم فمكثت عنده حينا ثم جاء زيد إلى رسول الله ﷺ يشكو إليه خلقها معه، فقال: إن زينب تؤذيني بلسانها وتتعظم علي بالشرف وتعصي أمري وإني أريد أن أطلقها فأذن لي يا رسول الله في طلاقها، فقال رسول الله ﷺ لزيد: «أمسك عليك زوجك واتق الله فيما تقول عنها»[1]. وكان أمره صلى الله عليه وسلم له بذلك على جهة الأدب والوصية لا على سبيل الإيجاب لأن الله تعالى كان قد أوحى إليه أن زيدا سيطلقها، وأنها ستكون زوجة له، ومع ذلك لم يرد أن يأمره بالطلاق أو يأذن له فيه لأنه كان يخشى إرجاف المنافقين بأنه نهى عن تزويج نساء الأبناء، فتزوج زوج ابنه وأخفى ذلك في نفسه ولكن زيدا استمر على ما عزم عليه من طلاقها لما قضى منها الوطر ولم يبق له فيها أرب، فطلقها؛ فنزل قوله تعالى ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴾[2].

---

(1) أخرجه أحمد.

(2) الأحزاب: 37. قوله: ﴿أنعم الله عليه﴾: أي بالإسلام، ﴿وأنعمت عليه﴾: أي بالعتق ﴿أمسك عليك زوجك﴾ أي تأمره بذلك مع علمك بأنه سيطلقها ﴿وتخفي في نفسك ما الله مبديه﴾ مما أوحى إليك من أن زيدا سيطلقها وأنها ستكون من أزواجك ﴿وتخشى الناس﴾ في شيء قد أباحه الله لك من تزويج زينب بعد طلاق زيد لها استحياء من أن يقولوا: تزوج امرأة ابنه، وإنما فعل صلى الله عليه وسلم ذلك خشية أن يفتتن الناس ﴿والله أحق أن تخشاه﴾: أي أحق بالخشية.

ولما انقضت عدة زينب قال صلى الله عليه وسلم لزيد بن حارثة: ((ما أجد في نفسي أوثق منك فاخطب زينب علي))، قال زيد: فذهبت إليها ووليتها ظهري توقيرا للنبي ﷺ وخطبتها عليه ففرحت وقالت: ما أنا بصانعة شيئا حتى أوامر[1] ربي، فقامت إلى مسجدها؛ ونزل القرآن بأن الله تعالى زوج رسوله ﷺ منها، فجاء رسول الله ﷺ فدخل عليها بغير إذن ولا تجديد عقدٍ ولا تقرير مهر. وهذا من خصوصياته صلى الله عليه وسلم التي لا يشاركه فيها أحد بإجماع المسلمين؛ ولهذا كانت زينب بنت جحش تفاخر نساء النبي ﷺ وتقول: زوجكن آباؤكن وزوجني الله تعالى من فوق سبع سماوات، وكانت تقول لرسول الله ﷺ: إني لأُدلُّ عليك بثلاث ما من نسائك امرأة تدل بهن: إن جدي وجدك واحد وإن الله أنكحك إياي من السماء وإن السفير في ذلك جبريل. وكان زواجه صلى الله عليه وسلم بها سنة خمس للهجرة وقيل سنة ثلاث، وهي أول من مات بعده من أزواجه؛ ماتت بعده بعشر سنين عن ثلاث وخمسين سنة.

ولما تزوجها رسول الله ﷺ بادر المنافقون فقالوا: تزوج محمد امرأة ابنه، فنزل قوله تعالى ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾[2]، فأذهب الله تعالى بها ما وقع في نفوس المنافقين وغيرهم من ذلك. وقد روي عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما أنزل الله على رسوله آية أشد عليه من هذه الآية، ولو كان كاتما شيئا من الوحي لكتمها[3].

---

(1) آمره في أمره ووامره واستامره: شاوره.

(2) الأحزاب: 40.

(3) تعني قوله تعالى ﴿وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه.. ﴾ إلى آخر الآية المتقدمة.

ولما طلق زيد بن حارثة زينب بنت جحش زوجه رسول الله ﷺ أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط (أمها أروى بنت كريز وأم أروى هذه البيضاء بنت عبد المطلب عمته صلى الله عليه وسلم) فولدت له زيد بن زيد ورقية، ومات زيد هذا صغيرا؛ وأما رقية فروي أن رسول الله ﷺ أتاهم حين أصيب زيد بن حارثة فلما رأته بكت فبكى صلى الله عليه وسلم لها.

ثم طلق زيد أم كلثوم هذه وتزوج درة بنت أبي لهب بن عبد المطلب، ثم طلقها وتزوج هند بنت العوام (أخت الزبير بن العوام).

وكان زيد بن حارثة قد شهد بدرا وما بعدها واستشهد بمؤتة من أرض الشام وهو أمير على جيشها، وكان ذلك في جمادى الأولى سنة ثمان للهجرة وهو ابن خمس وخمسين سنة، ومناقبه رضي الله عنه لا تحصى.

وأخو زيد بن حارثة هذا جبلة بن حارثة بن شراحيل الكلبي، قدم على النبي ﷺ مع أبيه حارثة ـ وهو إذ ذاك بمكة ـ فأقام حارثة عند ابنه زيد ورجع جبلة ثم عاد إلى النبي ﷺ فأسلم. وروي عن جبلة، قال: أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: أرسل معي أخي، فقال: «ها هو ذا بين يديك إن ذهب فلست أمنعه»[1]، فقال زيد: لا أختار عليك يا رسول الله أحدا، قال جبلة: فوجدت قول أخي خيرا من قولي. وكان جبلة أسن من زيد، روي أنه سئل فقيل له: من أكبر أنت أم زيد؟ فقال: زيد أكبر مني وأنا ولدت قبله (يريد أنه أفضل منه بسبقه للإسلام). وابن عمهم زهير بن جناب بن هبل بن عبد الله بن كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد اللات الكلبي كان من المعمرين وهو الذي يقول:

---

(1) أخرجه الترمذي والحاكم في مسنده، وضعفه الذهبي.

أبَـنِيَّ إن أهلك فإنـــــــني قد بنـيت لكم بنيه

وتركتكـــــم أولاد سا دات زنادهــــــم وريه

من كل ما نال الفــتى قد نلته إلا التحيـــــه[1]

وأعقب هو وإخوته قبائل في كلب، وهـم زهـير وعـدي وحارثـة ومـالك؛ ويعـرف مالك هذا بالأصم لقوله:

أصم عن الخنا إن قيـــل يوما وفي غير الخنا ألفـــــى سميعا

ومن كلب بن وبرة: مزينة بنت كلب بن وبـرة الكلبيـة وأختهـا الحـوأب بنـت كلب التي يعرف بها "ماء الحـوأب" المذكـور في حديـث عائشـة: «أيتكـن صاحبـة الجمل الأدبب تنبحها كلاب الحوأب»؟[2]. وا لله أعلم.

ثم قال رحمه ا لله وعفا عنه:

... ... وَدِحْيَـــةُ أَبْهَى الْبَشَـــرْ

أَرْسَلَـــهُ إِلَى هِرَقْلَ الْمُصْطَفَى وَكَادَ يُؤْمِــــنُ بِهِ لَوْ أُسْعِفَا

وَغَلَبَ الْفُـــــرْسَ وَكَانَ الْغَالِبُ مِنْهُمْ مُمَــــزِّقُ الْكِتَابِ الْكَاتِبُ

لِلْقَيْلِ "بَاذَانَ" بِإِهْــــلاَكِ النَّبِي فَسَلَّـــــطَ اللهُ ابْنَهُ عَلَى الْغَبِي

وَالاِبْنُ شِـــــيرَوَيْهِ وَهْوَ أَبْرَوِيزْ سِبْطُ أَنُوشَرْوَانَ عَدْلُهَا الْعَزِيزْ

كَذَا امْرُؤُ الْقَيْسِ الَّذِي صَاهَرَهُ حَيْــــدَرَةٌ وَابْنَاهُ إِذْ أَمَّـــرَهُ

إِسْلاَمُهُ أَعْظَـــمْ بِهِ مِنْ فَائِدَهْ أَسْلَمَ صَاهَـــــرَ وَسَادَ الْوَافِدَهْ

---

(1) يعني بالتحية: البقاء، وقيل الملك.

(2) أخرجه أحمد بلفظ قريب منه، وابن عبد البر في الاستيعاب، وضعفه السيوطي في "اللآلئ" والعجلوني "كشف الخفاء".

ودحية (بكسر الدال وقد تفتح[1] وبالرفع): عطف على زيد الذي قضى وطرا - المتقدم. وقوله **أبهى البشر**: أي أحسنهم وأجملهم. والضمير في **أرسله**: عائد على دحية. **والمصطفى** فاعل أرسله. **وهرقل** (بوزن قِمَطْر): اسم ملك الروم؛ وهم جيل من ولد روم بن عيصو بن إسحاق عليه السلام وهم أهل كتاب، ويلقب ملكهم بقيصر[2]. وقيل هرقل لقب لمن ملك نصارى الشام، وقيصر لمن ملك الروم، وكسرى لمن ملك الفرس، وخاقان لمن ملك الترك، والنجاشي لمن ملك الحبشة، وتبع لمن ملك اليمن، وفرعون لمن ملك القبط. قوله **وكاد يؤمن**..إلخ: اسم **كاد** وفاعل **يؤمن** ونائب **أسعف** كلها ضمائر مستترة عائدة على **هرقل**. والضمير في **به** عائد على **المصطفى**. **وأسعفه**: أعانه وساعده. يقول: ومن كلب بن وبرة أيضا دحية بن خليفة الذي أرسله النبي ﷺ إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام فقاربه وهم به لولا أنه خاف قومه على نفسه وملكه فلم يُسلم.

ودحية هذا هو ابن خليفة بن فروة بن فضالة بن زيد بن امرئ القيس بن الخزرج (وهو زيد مناة) بن عامر بن بكر بن عامر الأكبر بن عوف بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة الكلبي، كان من كبار الصحابة شهد أحدا وما بعدها من المشاهد، وقيل أول مشاهده الخندق. وكان رضي الله عنه من أجمل الناس صورة حتى ضرب به المثل في الجمال، وكان النبي ﷺ يشبهه بجبريل لجماله، وقد نزل جبريل في صورته عدة مرات؛ فقد روي أنه صلى الله عليه وسلم لما رجع من الخندق دخل بيت عائشة فقامت تغسل له رأسه

(1) دحية: معناه بلغة اليمن: الرئيس.

(2) قيصر معناه بلسان الروم: البقير الذي بقر بطن أمه عنه وكان أول من تسمى به بقيرا، فلما ملك وعرف به تسمى به كل من ملك بعده. قاله المسعودي - [الروض الأنف].

قالت: فلما غسلتُ شقه سمعت صوت رجل يسلم علينا من خارج البيت فقام صلى الله عليه وسلم مستعجلا وخرج من البيت فتبعته إلى الباب فرأيت دحية الكلبي على بغلة بيضاء على وجهه الغبار، فلما عاد رسول الله ﷺ قال: «هذا جبريل أمرني بالمسير إلى بني قريظة»؛ فأمر مناديا ينادي: "يا خيل الله اركبي[1] ومن كان سامعا مطيعا فلا يصلين العصر إلا في بني قريظة"[2]. ولما بلغ رسول الله ﷺ هو ومن معه بني النجار في الطريق وجدوهم قد تسلحوا وصفوا على الطريق فقال: «من أمركم بلبس السلاح»؟ فقالوا: دحية الكلبي، قال: «ذاك جبريل عليه السلام ذهب ليزلزل حصونهم»، وفي رواية أنه صلى الله عليه وسلم قال: «هل مر بكم أحد»؟ قالوا: مر بنا دحية بن خليفة الكلبي على بغلة بيضاء، فقال صلى الله عليه وسلم: «ذاك جبريل بعث إلى بني قريظة يزلزل حصونهم ويقذف الرعب في قلوبهم»[3] وقد قيل في دحية هذا: أجمل الناس من كان جبريل ينزل في صورته. وكان دحية إذا قدم المدينة من الشام لم تبق معصر[4] إلا خرجت تنظر إليه. وإلى هذا أشار بقوله: **ودِحية أبهى البشر**. وشهد دحية اليرموك وكان يومئذ على كردوس ثم نزل دمشق وسكن المزة وعاش إلى خلافة معاوية.

قوله **وغلب الفرس** فاعل **غلب** ضمير مستتر عائد على هرقل، **والفُرس** مفعوله؛ وهم جيل من ولد أميم بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام، وهم مجوس

---

(1) هو على حذف مضاف، أراد: يا فرسان خيل الله اركبوا؛ وهو من أحسن المجازات وألطفها. [عون المعبود شرح سنن أبي داوود].

(2) أخرجه البخاري ومسلم.

(3) أخرجه أحمد في مسنده بلفظ "من مر بكم"، ورواه ابن هشام وابن كثير في سيرتيهما، والبيهقي.

(4) المعصر: المراهقة للحيض، قال الراجز:

جارية بِسَفَـوَانَ دارُها قد أعصرت أو قد دنا إعصارها ..إلخ

لا كتاب لهم ومن ملك منهم يلقب بكسرى كما مر آنفا.

قوله **وكان الغالب**: أي قبل غلبة هرقل لهم. والضمير في **منهم** عائد على الفرس. **ومزق الكتاب** هو كسرى أبرويز بن هرمز بن أنوشروان، والمراد بالكتاب كتاب رسول الله ﷺ الذي بعثه إليه يدعوه فيه إلى الإسلام فمزقه. وقوله **الكاتب**: صفة لمزق الكتاب الذي هو أبرويز بن هرمز. **والقَيل** (بالفتح): مَن دون الملك ـ كما مرَّ ـ **وباذان** (كساباط): بدل من القيل. **والغبي**: القليل الفطنة الجاهل (جمعه أغبياء). **والابن**: مبتدأ، **وشيرويه** (بوزن سيبويه): خبره. وقوله **وهو**: ضمير عائد على **الغبي**، أي والابن المسلط اسمه شيرويه والأب الغبي المسلط عليه اسمه **أبرويز** (بفتح الهمزة وسكون الموحدة وفتح الراء وكسر الواو الممدودة وسكون الزاي) ومعناه المظفَّر. **وسبط** (بالرفع): صفة لأبرويز. **وأنوشروان** (بفتح الهمزة وضم النون ممدودة وفتح الشين وسكون الراء وفتح الواو ممدودا بعده نون): هو ملك الفرس العادل، وأبرويز سبطه لأنه ابن هرمز بن أنوشروان. **وعدلها** (بالجر): صفة لأنوشروان، والضمير فيه عائد على **الفرس**. **والعزيز**: صفة لأنوشروان أيضا.

يعني أن الروم بقيادة هرقل هذا غلبت فارس بقيادة كسرى أبرويز بن هرْمز بن أنوشروان وأن الغلبة قبل ذلك كانت للفرس على الروم.

غلبة الروم للفرس وكتاب النبي ﷺ إلى هرقل مع دحية

وحاصل ما أشار إليه الناظم من إرسال دحية إلى هرقل وغلبة الروم لفارس.. أن الفرس كانت لهم الغلبة على الروم دائما لأنهم أكثر عددا وأشد قوة وبأسا وأعظم خديعة ومكرا؛ وكانت الحرب تقع بينهم مرة مرة، فالتقوا مرة واقتتلوا قتالا شديدا ـ وكان ذلك بعد البعثة وقبل الهجرة ـ فغلبت الفُرسُ الرومَ وظهرت عليها وكان ذلك من آخر حروب كسرى أبرويز فغلب على القسطنطينية وبنى فيها بيت النار، فسر المشركون وكفار مكة بذلك لأنهم وإياهم كانوا أهل أوثانٍ وكفر بالبعث،

وساء ذلك الظفر المسلمين لأن الروم كانوا أهل كتاب وتصديقٍ بالبعث وأقرب مودة للذين آمنوا؛ فبشر الله المؤمنين بأن الروم ستنتصر على فارس وتظهر وتكون الدولة لهم في الحرب، ونزل قوله تعالى: ﴿ الٓمٓ ۞ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۞ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۞ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾[1]. ثم أعادت الروم والفرس الكرة مرة أخرى ـ وكان ذلك بعد الهجرة ـ فاقتتلوا قتالا شديدا فانتصرت الرومُ بقيادة هرقل على الفرس بقيادة أبرويز وغلبوهم حتى ربطوا خيلهم بالمدائن وبنوا رومية[2]، فجاء الخبر إلى رسول الله ﷺ وإلى المسلمين يوم بدر، وقيل يوم الحديبية ففرحوا به وكان فيه دليل على نبوته صلى الله عليه وسلم وتصديق لما أخبر به من علم الغيب، ولذلك آمن به عند ذلك خلق كثير، ولما فيه من غلبة العدد القليل لعدوه الكثير وقطع أطماع قريش في أن يجدوا ملكا يستأصل لهم المسلمين ويريحهم من رسول الله ﷺ.

وروي أن هرقل كان قد نذر لئن أظهر الله الروم على فارس ليمشين حافيا من قسطنطينية إلى إيلياء ليصلي في بيت المقدس شكرا لله تعالى، فلما انتصر عليهم وأراد الوفاء بنذره فرشوا له بسطا ونثروا عليها الرياحين ومشى عليها حتى بلغ إيلياء ووفى بنذره. وعند ذلك أرسل رسول الله ﷺ دحية بن خليفة الكلبي ـ في هدنة الحديبية ـ إلى هرقل بكتاب يدعوه فيه إلى الإسلام مكتوب عليه: «من محمد رسول الله إلى قيصر صاحب الروم»، فلقيه دحية بحمص وسلمه الكتاب، فلما رآه أخ لِقيصر استشاط غضبًا[3] وقال لقيصر: أتنظر في كتاب رجل بدأ بنفسه قبلك

(1) الروم:1-4. والأرض هنا الشام. وأدناها: أقربها وهو أذرعات وقيل: بصرى وفلسطين.

(2) رومية (بتخفيف الياء المثناة التحتية): مدينة بنيت بالمدائن وسميت باسم ملك.

(3) استشاط غضبا: أي اشتد غضبه والتهب غيظه.

وسماك صاحب الروم ولم يذكر ملكك؟ وهم بتمزيق الكتاب؛ فقال قيصر: ما علمت أحمق منك! أتريد أن تخرق كتاب رجل قبل أن أنظر فيه؟! فلعمري إن كان رسول الله ـــ كما قال ـــ فهو أحق بالتقديم مني وإن كان سماني صاحب الروم لقد صدق. ثم فتح الكتاب فإذا فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين و﴿ قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾"[1]، ودعاه فيه إلى الله ورغبه فيما عند الله في الآخرة من الأجر وحذره بطش الله به وزهده في ملكه.

أسئلة هرقل لأبي سفيان

ولما قرأ هرقل الكتاب قال لشرطته: قلبوا الشام ظَهرا لبطن حتى تأتوني برجل أو رجال من قوم هذا الرجل ـــ يعني النبي ﷺ.

وكان أبو سفيان بن حرب حينئذ بالشام بمدينة غزة في رجال من قريش قدموا تجارًا في هدنة الحديبية، فأوتي بهم إلى مجلسه (وهو إذ ذاك ببيت المقدس) وحوله

---

(1) آل عمران 64، والحديث أخرجه البخاري ومسلم وأحمد. ودعاية الإسلام (بكسر الدال): الكلمة الداعية إليه ويفسرها قوله: «أسلم تسلم». وإيتاء الأجر مرتين: لإيمانه بنبيه ثم بالنبي صلى الله عليه وسلـــم. والأريسيون (جمع أريسي) وهـــو الأكّار أي الفلاح، والمراد هنا الخدم والخول؛ وإنما كان عليه إثمهم لصدّه لهم عن الدين ولدخولهم تحت طاعته، فلو دعاهم لأجابوه. وقـــوله ﴿سواء بيننا وبينكم﴾: أي لا يختلف فيها التوراة والقرآن والإنجيـــل، ويفسرها قوله تعالى ﴿ألا نعبد إلا الله..﴾ .

عظماء الروم، فدعا بترجمانه فسألهم عن أقربهم نسبا من هذا الرجل الذي يزعم أنـه نبي فأشاروا له إلى أبي سـفيان فقـال: أدنـوه مـني وقربـوا أصحابـه واجعلوهـم عنـد ظهره، وأمرهم أن يخبروه إن هو كذب عليه فيما يسأله عنه. قال أبو سفيان: فـوا لله لولا الحياء من أن يأثروا علي كذبا[1] لكذبت عنه، قال: ثم كان أول ما سـألني عنه أن قال: كيف نسبه فيكـم؟ قلت: هو فينـا ذو نسـب، قـال: فهـل قـال هــذا القول منكم أحد قبله قط؟ قلت: لا، قال: فهل كان من آبائـه مـن ملـك[2]؟ قلـت: لا، قال: فأشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم؟ قلت: بل ضعفاؤهم قال: أيزيـدون أم ينقصون؟ قلت: بل يزيدون، قال: فهـل يرتـد منهـم أحـد سَـخْطَة لدينـه[3] بعـد أن يدخل فيه؟ قلت: لا، قال: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبْل أن يقول ما قال؟ قلت: لا، قال: فهل يغدر؟ قلت: لا، ونحن منه في مدة لا ندري ما هو فـاعل فيهـا ـ قـال أبو سفيان: و لم تُمْكِنِّي كلمة أدخل فيها شيئا غير هذه الكلمة ـ قال: فهل قاتلتموه؟ قلت: نعم، قال: كيف كان قتالكم إياه؟ قلت: الحرب بيننا وبينه سجال[4] ينال منـا وننـال منـه، قـال: بماذا يـأمركم؟ قلـت: يقـول اعبـدوا ا لله وحـده ولا تشـركوا بـه شـيئا واتركـوا مـا يقـول آبـاؤكم ويأمرنـا بـالصلاة والصدقـة والصـدق

(1) أي لولا أني أخاف أن رفقتي ينقلون عني الكذب إلى قومي ويتحدثون به في بلادي لكذبـت عليه لبغضي إياه ومحبتي نقصه.

(2) يروى: مَن مَلَكَ، ومِن مَلِكٍ.

(3) أي كراهية له وعدم رضى عنه.

(4) السَّجْل: النصيب من الشيء جمعه: سجال، ومنه: "الحرب بينهم سجال" نصرتهـا بينهـم متداولـة، سجل منها على هؤلاء وآخر على هؤلاء، وأصله أن المستقين بالسجل (وهي الدلو الملأى) يكـون لكل واحد منهم سجل.

والعفاف والصلة والطهارة[1]..

فقال للترجمان: قل له سألتك عن نسبه فذكـرت أنـه فيكـم ذو نسـب وكذلـك الرسل تبعث في نسب قومها، وسألتك هل قال أحدٌ منكم هذا القـول فذكـرت أن لا؛ فقلت لو قال أحد هذا القول قبله لقلت رجل يأتسي بقول قيـل قبلـه، وسـألتك هل كان من آبائه من ملك فذكرت أن لا؛ قلت فلو كان من آبائه من ملـك لقلـت رجل يطلب ملك أبيه، وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبـل أن يقـول مـا قـال فذكرت أن لا؛ فقد علمت أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب علـى ا لله، وسألتك أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم فذكرت أن ضعفاءهم اتبعوه وهم أتبـا ع الرسل، وسألتك أيزيدون أم ينقصون فذكرت أنهم يزيـدون؛ وكذلـك أمـر الإيمـان حتى يتم، وسألتك أيرتـد أحـد سـخطة لدينـه بعـد أن يدخـل فيـه فذكـرت أن لا؛ وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلـوب، وسـألتك هـل يغـدر فذكـرت أن لا؛ وكذلك الرسل لا تغدر، وسألتك بم يأمركم فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا ا لله ولا تشركوا به شيئا وينهاكم عن عبادة الأوثان ويأمركم بـالصلاة والصدقـة والعفـاف، فإن كان ما تقول حقا فسيملك موضعَ قدمي هاتين؛ وقد كنـت أعلـم أنـه خـارج، و لم أكن أظن أنه منكم فلو أني أعلم أني أخلص إليه لتجشمت لقـاءه[2] ولـو كنـت عنده لغسلت عن قدمه. ثم دعا بكتاب رسول ا لله ﷺ الذي أتاه به دحية فقرأه.

قال أبو سفيان: فلما قال هرقل مـا قـال وفـرغ مـن قـراءة الكتـاب كـثر عنـدَهُ

---

(1) في رواية مسلم: "الزكاة" بدل الصدقة. والعفاف: الكف عن المحارم وخوارم المروءة. والصلة: صلة الأرحام، وكل ما أمر ا لله به أن يوصل وذلك بالبر والإكرام وحسن المراعاة.

(2) تجشم الأمر: تكلفه على مشقة.

الصَّخب وارتفعت أصوات الذين حوله وكثر لغطهم[1] فلا أدري ما قالوا، وأمر بنا فأخرجنا من عنده فقلت لأصحابي ـ حين خرجنا ـ لقد عظم أمر ابن أبي كبشة إنه يخافه ملك بني الأصفر! فما زلت موقنا أنه سيظهر حتى أدخل ا لله علي الإسلام.

وروي أن هرقل قال للروم: يا معشر الروم هل لكم في الفلاح والرشد وأن يثبت ملككم فتابعوا هذا النبي؟ فحاصوا حيصة حمر الوحش[2] وهموا به؛ فلما رأى ذلك أيس من إيمانهم وقال لهم: إني قلت مقالتي أختبر بها شدتكم في دينكم وقد رأيت، فرضوا عنه وسجدوا له. وروي أنه لما قرأ الكتاب بجله وقبله ووضعه على عينيه ورأسه وخلا بدحية وقال: وا لله إني لأعلم أنه نبي مرسل وهو الذي كنا ننتظره وقرأنا نعته في الكتب السماوية وإني أخاف الروم أن يقصدوا هلاكي وإلا تابعته. وإلى هذا أشار الناظم بقوله: **وكاد يؤمن به لو أسعفا**.

ولما أخبر دحية رسول ا لله ﷺ بذلك قال: «ثبت ا لله ملكه»،[3] فملك إحدى وثلاثين سنة، وفي عهده توفي رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم.

كتاب النبي ﷺ إلى كسرى وانهيار حكم الفرس

ثم أرسل رسول ا لله ﷺ كتابا آخر مع عبد ا لله بن حذافة السهمي إلى كسرى أبرويز بن هرمز بن أنوشروان ملك الفرس، منصرفَه من الحديبية يدعوه فيه إلى الإسلام وفيه: «بسم ا لله الرحمن الرحيم من محمد رسول ا لله إلى كسرى عظيم

(1) الصخب: ارتفاع الأصوات واختلاطها. واللغط: الصوت والجلبة والأصوات المختلطة المبهمة لا تفهم.

(2) أي جالوا جولة يطلبون الفرار والمهرب.

(3) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى و في دلائل النبوة، والبغوي في شرح السنة ـ [كما في سير أعلام النبلاء].

فارس، سلام على من اتبع الهدى وآمن با لله ورسوله وشهد أن لا إله إلا ا لله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله وأدعوك بدعاية ا لله عز وجل فإني أنا رسول ا لله عز وجل إلى الناس كافة لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين، أسلم تسلم؛ فإن أبيت فعليك إثم المجوس»[1]. فلما قرأ أبرويز الكتاب استشاط غضبا وقال: أكون عبدا لعبدي؟ أو ليس بعبدي؟! ومزق الكتاب وقال لعبد ا لله: لولا أن الرسل لا تقتل لقتلتك، فانصرف عبد ا لله عنه إلى رسول ا لله ﷺ. وكتب كسرى أبرويز إلى باذان وزيره باليمن: إنه بلغني أن رجلا من العرب يزعم أنه نبي فابعث إليه أن يرجع وإلا فأتني برأسه. فلما قرأ باذان الكتاب بعث بهِ إلى رسول ا لله ﷺ مع رجلين من الفرس عظيمي الجسم قويين قد حلقا لحاهما وأعفيا شواربهما حتى وارت شفاههما، يهيل منظرهما! فلما رآهما رسول ا لله ﷺ كره النظر إليهما وقال: «ويلكما من أمركما بهذا»؟ فقالا: ربنا ـ يقصدان كسرى ـ فقال رسول ا لله ﷺ: «لكن ربي أمرني بإعفاء لحيتي وقص شاربي»، وفي رواية: «أما نحن فنعفي اللحى ونحفي الشوارب»[2]. وحبسهما رسول ا لله ﷺ عنده يومين ثم سيرهما بكتاب إلى باذان فيه: «أما بعد فإن كسرى قتله ابنه في الليلة الفلانية من شهر كذا»، فلما قرأ باذان الكتاب قال: إن كان نبيا فسيكون ما قال، فلم يلبث أن أتاه رسول شيرويه بقتل أبيه أبرويز وأنه إنما قتله لاصلاح أمر الفرس لأنه أفسد أمرهم وفعل بهم وفيهم، وكتب إليه إذا جاءك كتابي هذا فخذ لي الطاعة ممن قِبَلك وأنظر الرجل الذي كان كسرى قد كتب لك فيه فلا تَهجه[3] حتى يأتيك

---

(1) رواه ابن إسحاق ـ [كما في عمدة القارئ للبدر العيني].

(2) رواه ابن كثير في سيرته.

(3) هاجه: أثاره وحركه.

أمري فيه. ثم أرخ باذان لليلة التي قتل فيها كسرى فإذا هي كما أخبره رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم[1] فقال: إن هذا الرجل لرسول ا لله حقا، فأسلم وأسلمت الأبناء من فارس[2] (من كان منهم باليمن)؛ فبعث باذان إلى رسول ا لله ﷺ بإسلامه وإسلام من كان معه.

وفي قصة قتل شيرويه لأبيه أبرويز هذه يقول خالد بن حق:

وكسرى إذ تقسمه بنوه   بأسياف كما اقتسم اللحام
تمخضت المنون له بيوم   أنى[3] ولكل حاملة تمام

ثم مكث شيرويه بعد ذلك ستة أشهر ومات، ثم تسافل أمر الفرس بعدُ ثم كان القضاء عليهم على يد سعد بن أبي وقاص أيام القادسية في خلافة عمر بن الخطاب[4]، وقد قال الزبير بن عبد ا لله الكلابي[5]: رأيت غلبة فارس للروم ثم رأيت

---

(1) كانت ليلة الثلاثاء لعشر مضين من جمادى الأولى سنة تسع للهجرة.

(2) الأبناء: هم أولاد الفرس الذين سيرهم كسرى مع سيف بن ذي يزن إلى اليمن لقتال الحبشة، فأقاموا به وسكنوا فيه.

(3) أي ادرك وبلغ.

(4) كان لأبرويز ولد اسمه سابور بن أبرويز ملك بعده أيضا نحوا من شهرين، وسابور من أسماء ملوك الفرس، قيل هو الذي تنسب إليه الثياب السابرية، قال امرؤ القيس الكندي:

تجافى عن المأثور بيني وبينها   وتدني علي السابريَّ المضلعا

وبعد ولدي أبرويز هذين ملكت أختهما "بوران" فبلغ ذلك رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم فقال: «لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة» فملكت سنة وهلكت وتشتت أمرهم كل التشتت ثم اجتمعوا على يزدجرد بن شهريار بن أبرويز آخر ملوك الفرس؛ وكان المسلمون قد غلبوا على أطراف أرضهم، ثم كانت حروب القادسية معهم على يد سعد ـ في عهد عمر رضي ا لله عنهما ـ فسلب يزدجرد هذا ملكه وهدم سلطانه في خلافة عمر، ثم قتل في أول خلافة عثمان رضي ا لله عنه. [الروض الأنف].

(5) من بني كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة.

غلبة الروم لفارس ثم رأيت غلبة المسلمين لفارس كل ذلك في خمس عشرة سنة، وكان الزبير هذا قد أدرك الجاهلية وعاش إلى خلافة عثمان رضي الله عنه.

وأنوشروان المذكور هو ابن قباذ بن فيروز وهو أشهر ملوك الفرس وأحسنهم سيرة وأخبارا وكان معظما عندهم محببا إلى رعيته، فتح الأمصار العظيمة في الشرق وبنى المباني المشهورة التي منها الإيوان الذي يضاف إليه ـ وكان من عجائب الدنيا[1] ـ ولم يكن في الفرس ملك أعدل منه ولا أعزَّ، ومن عزه أنه لما بنى إيوانه أهدت إليه ملوك الأرض هيبة له وأطاعته، وهو الذي ولد رسول الله ﷺ في عهده؛ روي أن رسول الله ﷺ قال: «ولدت في زمن الملك العادل» يعني أنوشروان، (وإلى ذلك أشار الناظم بقوله: **عدلها العزيز**). وكان مولده صلى الله عليه وسلم لاثنتين وأربعين سنة مضت من ملكه؛ وقد ولد أبوه عبد الله بن عبد المطلب ـ أيضا ـ لأربع وعشرين سنة مضت من ملكه؛ فبين رسول الله ﷺ وأبيه عبد الله نحوٌ من ثمانَ عشرةَ سنةً.

وكان إيوان كسرى هذا قد تداعى ليلة مولده صلى الله عليه وسلم حتى سقطت منه أربع عشرة شرفة ـ كما تقدم. ثم تولى بعده ابنه هرمز بن أنوشروان فكانت ولايته إحدى عشرة سنة، ثم تولى بعده ابنه كسرى أبرويز بن هرمز، فبلغ في الملك والتجبر والتنعم وكثرة المال والأزواج والخدم مبلغا لم يبلغه غيره من الملوك ومكث ثمانًا وعشرين ـ وقيل ثمانًا وثلاثين ـ سنة، ثم وقع في ملكه تزلزل وفتنة حتى خرج عليه ابنه شيرويه وقتله وحل محلّه في الملك، ومكث ستة أشهر ـ كما مر ـ

---

(1) ومن أحسن آثار الملوك، وكان بالمدائن من بغداد على مرحلة، بناه كسرى أنوشروان في نيف وعشرين سنة وضربت العرب به المثل للبنيان الرفيع العجيب الصنعة المتناهي الحصانة والوثاقة.

فلم تطل مدته بعد أبيه كما هي عادة من عدا علـى أبيـه، لا يبلغـه ذلـك سؤلا ولا يمتعه بدنياه إلا قليلا.

وأما باذان فهو ابن ساسان بن بلاش بن فيروز بن يزدجرد بن بهـرام الفارسي، من الأبناء وهم أولاد الفرس الذين سيرهم كسرى مع سيف بن ذي يـزن إلى اليمن لقتال الحبشة فأقاموا باليمن. وكان باذان بصنعـاء فأسـلم وآمـن برسـول الله ﷺ ـ كما مرَّ ـ وأمره على اليمن وهو أول أمير عليه في الإسلام وأول من أسلم من ملـوك العجم واستمر علـى اليمـن لرسـول الله ﷺ حتـى تـوفي في السـنة العاشـرة، ففـرق رسول الله ﷺ عمل اليمن بين شهر بن باذان وعامر بن شهر الهمداني وأبي موسى الأشعري وخالد بن العاص ويعلى بن أمية وعمرو بن حزم، وجعـل زيـادا بـن لبيـد الأنصاري البياضي على حضرموت وعكّاشـةَ بنَ ثور على السَّكاسك والسَّكون، (والسكاسك حي باليمن جدهم الفيل بن سكسك بن الأشـرس، والسكـون ـ بفتح السين ـ حي باليمن أيضا).

تنبيه: أعرق الأكاسرة في الملك شيرويه بن أبرويز بن أردشير بـن بـابك، فهـو ملك ابن ملك ابن ملك ابن ملك، وأعرق الخلفاء في الخلافة المنتصر بن المتوكـل بن المعتصم بن الرشيد بـن المهـدي بـن المنصـور، فهـم ستة تتـابعوا في الخلافـة، وأعرق الناس في الملك والخلافة معا ـ باعتبار الأصـول والحواشي، مـن الذكـور والإناث ـ يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مـروان، أمـا مـن جهـة الخلافـة فهـو خليفة وأبوه خليفة وجده خليفة وجد أبيه خليفة وعمومته خلفاء، وأما من جهة الملك فأمه شاهرت بنت فيروز بن يزدجرد بن شهريار، وأمها: من بنات شيرويه بن أبرويز، وأم شيرويه مريم بنت قيصـر، وأم فـيروز بنـت خاقـان ملـك الـترك. ويزيد بن الوليد هذا هو الذي يقول:

أنا ابنُ كسرى وَأبِيَ مَـرْوَانْ ... وقيصرٌ جَـدي وجَدِّي خَاقَان

قوله: كذا امرؤ القيس: أي ومن بني كلب بن وبرة أيضا امرؤ القيس بن عدي. والضمير في **صاهره وأمره**: عائد على امرئ القيس. **وحيدرة**: فاعل صاهره، وهو لقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه. **وابناه**: يعني بهما السبطين الحسن والحسين رضي الله عنهما. **وأمره**: أي صيره أميرا. **وإسلامه** (بالرفع): فاعل أمره. والضمير في **به** عائد على إسلامه. وفاعل كل من **أسلم وصاهر وساد**: ضمير مستتر عائد على امرئ القيس أيضا. **والوافدة**: الجماعة التي وفدت مع امرئ القيس على عمر بن الخطاب، فكان لوفادته وإسلامه أعظم الفوائد عليه الدنيوية والأخروية بالإسلام وسيادته وإمرته على قومه ومصاهرة علي بن أبي طالب وسبطي رسول الله ﷺ له على بناته.

وامرؤ القيس هذا هو امرؤ القيس بن عدي بن أوس بن جابر بن كعب بن عليم بن جناب بن هبل بن عبد الله بن كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة الكلبي ثم العليمي، قدم على عمر في خلافته في نفر من قومه؛ فلما كان بين يديه حياه بتحية الخلافة فقال له عمر: من أنت؟ قال: امرؤ القيس بن عدي الكلبي، فلم يعرفه عمر فقال له رجل: هذا صاحب بكر بن وائل الذي أغار عليهم في الجاهلية، قال عمر: فما تريد؟ قال: أريد الإسلام، فعرضه عمر عليه فقبله وأسلم ثم دعا له برمح وعقد له على من أسلم من قضاعة بالشام فأدبر ـ وهو شيخ ـ واللواء يهتز على رأسه، فقال عوف بن خارجة ـ راوي القصة وكان حاضرا ـ: ما رأيت رجلا لم يصل صلاة أمر على جماعة من المسلمين قبله، فنهض علي بن أبي طالب وابناه الحسن والحسين رضي الله عنهم حتى أدركوه فقال له علي: أنا علي بن أبي طالب ابن عم رسول الله ﷺ وهذان ابناي من بنته وقد رغبنا في صهرك فأنكحنا، قال: قد أنكحتك يا علي الحياة، وأنكحتك يا حسن سلمى، وأنكحتك يا حسين الرباب. (وإلى هذا أشار الناظم بقوله **إسلامه أعظم به**

من فائدة.. إلخ). ثم ولدت الحياة بنت امرئ القيس لعلي جارية كانت تخرج معه إلى المسجد وهي صغيرة فيقال لها من أخوالك؟ فتقول: "وه وه!" تعني بني كلب[1]، وولدت الرباب للحسين سكينة بنت الحسين؛ وفيهما يقول الحسين رضي الله عنه:

لعمـــرك إنني لأحب دارا　　تحـــل بها سكينـــة والرباب

ويقول أيضا:

كأن الليـــل موصـــول بليل　　إذا زارت سكينـــة والرباب[2] ..إلخ.

والرباب بنت امرئ القيس هذه هي التي ترثي زوجها الحسينَ بقولها:

إن الذي كان نورا يستضاء به　　بكربـــلاء قتيل غير مدفون

سبـطَ النبي جزاك الله صالحة　　عني وجُنِّبتَ خســـران الموازين

إلى أن تقول:

والله لا أبتغي صهرا بصهركم　　حتى أغيب بين الرمـــل والطين

ثم رجع الناظم إلى الكلام على زيد بن حارثـــة وأهـل بيتـه، فقـال رحمه الله وعفا عنه:

أُسَامَـــةُ بْنُ زَيْدٍ بْنِ حَارِثَـــهْ　　وَابْنُ لَـــهُ صَحَابَـــةُ دَهَامِثَهْ

وَالْحِبُّ زَيْـدُ اكْتَرَى مِنْ رَجُلِ　　رَاحِلَـــةً وَنَـــزَلاَ بِمَنْـــزِلِ

لَيْسَ بِهِ غَيْرُ عِظَامٍ قَتَـــلاَ　　رِجَالَهَا الرَّجُـــلُ ذَا وَحَمَلاَ

عَلَيْهِ فَاسْتَغَاثَ زَيْـدُ بِالرَّحِيمْ　　وَعَنْهُ فَرَّجَ بِإِهْـــلاَكِ الرَّجِيمْ

---

(1) راجع البداية والنهاية لابن كثير.

(2) أي زارت قومها بني عليم الكلبيين هؤلاء.

وَطَالَـــمَا أَمَّـــرَهُ النَّبِـــيُّ عَلَى الْجُيُـــوشِ فَشَفَى الأَبِيُّ

أسامة: مبتدأ، و**ابن له** (بالرفع): عطف عليه. والضمير في **له:** عائد على أسامة. **وصحابة:** خبر عن قوله **أسامة**. **ودهامثة:** صفة لأسامة والمذكورين بعده؛ وهو جمع دهمث ودهموث (بوزن عصفور): للكريم. يعني أن بيت آل حارثة توارث فيه أربعة مترتبون صحبة النبي ﷺ وهم: محمد بن أسامة بن زيد بن حارثة الكلبيون، ولا تعرف هذه المنقبة إلا لآل حارثة هؤلاء، وآل أبي قحافة وهم: محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق بن أبي قحافة التيميون، وآل الطفيل وهم: عبد ا لله بن عمرو بن الطفيل بن عمرو الدوسيون؛ وروي أن مثلهم في ذلك آل السائب (جد الشافعي) وهم: شافع بن السائب بن عبد ا لله بن عبد يزيد المطلبيون (أربعة صحابة) رضي ا لله عنهم.

أما محمد بن أسامة فقد ولد على عهد رسول ا لله ﷺ وبه كني أبوه. وأما أسامة فهو أبو محمد أسامة بن زيد بن حارثة مولى رسول ا لله ﷺ وابن مولاه وابن مولاته أم أيمن بركة بنت ثعلبة بن حصن الحبشية مولاة النبي ﷺ وحاضنته وأمه بعد أمه؛ ورثها من أبيه عبد ا لله، وقيل من أمه آمنة.

وكان أسامة قد ولد بعد البعثة بثلاث سنين ـ وقيل بخمس سنين ـ وتوفي رسول ا لله ﷺ عنه وهو ابن عشرين سنة وقيل ابن تسعَ عشْرةَ، وكان عمر يجله ويكرمه وفضله في العطاء على ابنه عبد ا لله؛ ففرض لأسامة خمسة آلاف وفرض لابن عمر ألفين، فقال: فضلت علي أسامة وقد شهدت ما لم يشهد، فقال عمر: إن أسامة كان أحب إلى رسول ا لله ﷺ منك وأباه أحب إليه من أبيك. واعتزل أسامة الفتن بعد قتل عثمان و لم يبايع عليا ولا شهد معه شيئا من حروبه، وقد قال له: لو

أدخلت يدك في فم تنين[1] لأدخلت يدي معها ولكنك قد سمعت ما قال لي رسول الله ﷺ حين قتلت ذلك الرجل الذي شهد أن لا إله إلا الله. يشير أسامة بذلك إلى قصة قتله لمرداس بن نهيك الجهني وقد تقدمت عند قول الناظم: *ومن جهينة الذي ألقى السلم.. إلخ.*

وسكن أسامة رضي الله عنه دمشق ثم سكن وادي القرى ثم عاد إلى المدينة ولم يزل بها إلى أن توفي سنة أربع وخمسين في أواخر خلافة معاوية. وقد روي عن وكيع قال: سلم من الفتنة أربعة من أصحاب رسول الله ﷺ: أسامة بن زيد وسعد بن مالك وابن عمر ومحمد بن مسلمة، ومن التابعين أربعة أيضا: الربيع بن خيثم ومسروق بن الأجدع والأسود بن يزيد وأبو عبد الرحمن السلمي. ومناقب أسامة لا تحصى.

وأما زيد بن حارثة فقد تقدمت ترجمته. وأما حارثة بن شراحيل فتقدم نسبه في ترجمة ابنه زيد، وقد روي أنه دعاه رسول الله ﷺ إلى الإسلام فأسلم وصحب. وفي أسد الغابة : روى أسامة بن زيد عن أبيه زيد بن حارثة أن النبي ﷺ دعا أباه حارثة إلى الإسلام فشهد أن لا إله ألا الله وأن محمدا رسول الله، وفيه أيضا: أنه قدم هو وابنه جبلة بن حارثة على النبي ﷺ وهو إذ ذاك بمكة فأقام حارثة عند ابنه زيد ورجع جبلة ـ كما مر ـ في ترجمة زيد.

قوله : والحب (بكسر الحاء المهملة): الحبيب، **وزيد** (بالرفع): بدل منه، ولقب زيد بن حارثة هذا بالحب ـ كما لقب به ابنه أسامة ـ لمحبة رسول الله ﷺ لهما، فيقال: "الحِب ابْن الحِب أسامة بن زيد" وفي زيد قال رسول الله صلى الله عليه

(1) التنين (بالكسر): الحية العظيمة.

وسلم: "أنت مولاي ومني وأحب الناس إلي"[1]، وروي عن عائشة قالت قدم زيد بن حارثة المدينة على رسول الله ﷺ وهو في بيتي فأتاه فقرع عليه الباب فقام إليه حتى اعتنقه وقبله، ولما توفي زيد بكى عليه صلى الله عليه وسلم حتى انتحب[2]، فقال له سعد بن عبادة: ما هذا يا رسول الله؟ قال: «هذا شوق الحبيب إلى حبيبه»[3]، وفي أسامة قال: «أسامة أحب الناس إلي» ما حاشى فاطمة ولا غيرها[4]، وقد وصفهما الناظم بذلك معا حيث قال: **والحب زيد**..إلخ، وقال: *أسامة الحب ابنه* ..إلخ ـ كما سيأتي قريبا.

وجملة قوله **اكترى من رجل**..إلخ: خبر عن الحب. **والراحلة** (من الإبل): ما كان منها صالحا لأن يرحل عليه وقوي على الاحمال والأسفار، يطلق على الذكر والأنثى وتاؤه للمبالغة؛ والمراد بالراحلة هنا: البغل. وألف **قتلا** و**حملا** للإطلاق. وحمل عليه: كر وعطف ليقتله. **واستغاث بالرحيم**: ناداه مستعينا به. والرحيم (بالحاء المهملة): من أسمائه تعالى، ومعناه ذو الرحمة الخاصة بالمؤمنين في الآخرة. **وفرج** (بالتضعيف): أي كشف وأذهب. **والرجيم** (بالجيم): فعيل بمعنى مفعول: المطرود المبعد من الرحمة.

أشار الناظم بهذه الأبيات إلى ما ذكره السهيلي في الروض الأنف: روى الليث بن سعد قال: بلغني أن زيدا بن حارثة اكترى من رجل بغلاً من الطّائف واشترط عليه صاحب البغل أن ينزله حيث شاء فمال به إلى خربة فقال له: انزل فنزل فإذا في

---

(1) أخرجه البخاري وأحمد بلفظ: «أنت مولاي أنت مني وأنا منك».

(2) انتحب الباكي: أعلن بالبكاء.

(3) أخرجه ابن سعد في طبقاته، وابن عساكر في تاريخه.

(4) أخرجه أحمد وأبو يعلى في مسنديهما، والطبراني في الكبير والجامع الصغير.

الخربة قتلى كثيرة، فتبين أن صاحب البغل لص اعتاد هذا النوع من الأعمال، فلما أراد أن يقتل زيدا قال له: علام تريد قتلي؟ فإن كان لما عندي فهو لك وخل سبيلي قال: لا سبيل إلى نجاتك، فقال زيد: دعني أصل ركعتين، فقال: صل فقد صلى قبلك هؤلاء فلم تنفعهم صلاتهم شيئا؛ قال زيد: فلما صليت أتاني ليقتلني فقلت: يا أرحم الراحمين، قال فسمع صوتا يقول: لا تقتله؛ فهاب ذلك وخرج يطلبُ صاحبَ الصوت فلم يجد شيئا فرجع إليَّ، فناديت: يا أرحم الراحمين؛ حتى فعلت ذلك ثلاث مرات قال: فإذا بفارس على فرس في يده حربة حديد في رأسها شعلة نار فطعنه بها فأنفذها من ظهره فوقع ميتا، ثم قال لي: لما دعوت المرة الأولى: يا أرحم الراحمين كنت في السماء السابعة، فلما دعوت الثانية كنت في السماء الدنيا، فلما دعوت الثالثة أتيتك.

وقد وقع مثل هذه القصة لأبي مِعْلَق الأنصاري؛ فعن أنس بن مالك أن رجلا كان يكنى أبا معلق الأنصاري خرج في سفر من أسفاره ومعه مال كثير يضرب به في الآفاق، وكان تاجرا ناسكا ورعاً فلقي لصا مقنعا في السلاح فقال له: ضع ما معك فإني قاتلك قال: ما تريد إلى دمي؟ فشأنك بالمال قال: أما المال فلي ولا أريد إلا قتلك، قال: أما إذا أبيت فذرني أصل أربع ركعات، قال: صل ما بدا لك. فصلى أربع ركعات، فكان من دعائه في آخر سجدة أن قال: يا ودود يا ذا العرش المجيد يا فعالا لما يريد أسألك بعزك الذي لا يرام وملكك الذي لا يضام وبنورك الذي ملأ أركان عرشك أن تكفيني شر هذا اللص يا مغيث اغثني يا مغيث أغثني (دعا بها ثلاث مرات)، فإذا بفارس قد أقبل وبيده حربة فطعن اللص فقتله. [قاله في أسد الغابة]. وفي الاستبصار أنه قال له: من أنت؟ قال: أنا ملك من أهل السماء الرابعة دعوت بدعائك الأول فسمعت لأبواب السماء قعقعة ثم دعوت الثانية فسمعت

لأهل السماء ضجة ثم دعوت الثالثة فقيل لي: دعاء مكروب فسألت ا الله أن يوليني قتله.

قوله : وطالما أمره النبي: أي صيره أميرا وأسند إليه قيادة الجيوش فقام بما أسند إليه حسبما يرضي رسول ا الله ﷺ. **والأبي**: الذي يأبى الضيم (وهو الظلم والذل والهوان).

مكانة زيد بن حارثة وذكر بعض سراياه

أشار رحمه ا لله بهذا البيت إلى ما روي عن أم المؤمنين عائشة رضي ا الله عنها قالت: ما بعث رسول ا الله ﷺ زيد بن حارثة في سرية إلا أمَّره عليها ولو بقي لاستخلفه. وعن سلمة بن الأكوع قال: غزوت مع النبي ﷺ سبعَ غَزوات ومع زيد بن حارثة سبع غزوات يؤمره علينا رسول ا الله صلى ا الله عليه وسلم، وقد قال فيه صلى ا الله عليه وسلم: «وأيم ا الله إن كان لخليقا بالإمارة وإن كان لمن أحب الناس إلي»[1]. وقد استخلفه صلى ا الله عليه وسلم على المدينة حين خرج إلى غزوة المريسيع، وكثيرا ما كان صلى ا الله عليه وسلم يبعثه في شؤونه ويؤمره على السرايا التي يبعثها إلى المشركين؛ ففي السنة الأولى من الهجرة بعثه صلى ا الله عليه وسلم إلى مكة وبعث معه أبا رافع مولاه وأعطاهما خمسمائة درهم وبعيرين، فقدما عليه بابنتيه: فاطمة وأم كلثوم وبزوجه سودة وبمولاته أم أيمن (زوج زيد) صحبة ابنها

(1) أخرجه البخاري ومسلم والترمذي وأحمد. وأيم ا الله: اسم وضع للقسم وهمزته همزة وصل والتقدير: أيم ا الله قسمي وهو بفتح الهمزة وكسرها، وفيه لغات منها: أيمن ا الله (بفتحتين)، وأيمن (بفتحة فكسرة)، وإيمن (بكسرة ففتحة) وإيمن (بكسرة فضمة)، وأمُ ا الله (بتثليث الميم)، ومُنُ ا الله (بتثليث الميم والنون)، وم ا الله (بتثليث الميم) ، وهيم ا الله.. وغيرها. والخليق بالشيء: الجدير به كأنما خلق له وطبع عليه.

أسامة بن زيد وجاء معهما عبد الله بن أبي بكر بعيال أبي بكر (أم رومان وابنتيه[1]: عائشة أم المؤمنين وأسماء، زوج الزبير بن العوام) ووجدوا طلحة بن عبيد الله على حال خروج فخرج معهم حتى قدموا المدينة، فنزلوا في بيت حارثة بن النعمان، ووجدوا رسول الله ﷺ يبني مسجده وأبياتا حوله فأنزل فيها أهله.

ثم بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة على رأس سرية القردة وهي أول سرية أمره عليها، وكانت على رأس ثمانية وعشرين شهرا من الهجرة، والقردة (بوزن شجرة): ماء بنجد. وسبب هذه السرية أن قريشا بعد وقعة بدر خافوا سلوك طريقهم التي كانوا يسلكونها إلى الشام قبل - وهي طريق الحجاز - فعدلوا عنها وسلكوا طريق العراق فخرجت منهم عير فيها أبو سفيان بن حرب وصفوان بن أمية في نفر من قريش - وكان معظم تجارتهم الفضة - فسار زيد وجيشه حتى أدركوهم بالقردة فهرب رؤساء القوم وأسروا بعض رجالها وساقوا العير والأموال إلى المدينة، فبلغ الخمس من تلك الغنيمة عشرين ألفا، وفيها قال رسول الله ﷺ: «خير أمراء السرايا زيد بن حارثة أعدلهم بالرعية وأقسمهم بالسوية»[2]. وفي عدولهم عن طريقهم المعهودة إلى الشام وسلوكهم طريق العراق يقول حسان بن ثابت:

---

(1) آل أبي بكر: عبد الله وأسماء أمهما: قتيلة بنت عبد العزى بن عبد أسعد بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي، وعبد الرحمن وعائشة أمهما أم رومان بنت عامر بن عويمر بن عبد شمس بن عتاب بن أذينة بن سبيع بن دهمان بن الحارث بن غنم بن مالك بن كنانة بن خزيمة بن مدركة، ومحمد أمه أسماء بنت عميس الخثعمية، وأم كلثوم أمها حَبيبة بنت خارجة بن زيد بن أبي زهير الأنصارية (من بني الحارث بن الخزرج).

(2) أخرجه الحاكم في المستدرك، ورواه في الجامع الصغير.

دَعُوا فلجات الشام قد حال دونها ... جلاد كأفواه المخاض الأوارك[1]
بأيدي رجال هاجروا نحو ربهم ... وأنصاره حقا وأيدي الملائك
إذا سلكت للغَوْرِ من رَمْلِ عالج ... فقولا لها ليس الطريق هنالك[2]

وفي ربيع الأخير من سنة ست بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة ـ أيضا ـ على سرية إلى بني سليم بالجموم من أرض بني سليم، فأصابوا نعما وشاء وأسرى.

وفي جمادى الأولى من سنة ست بعثه على سرية إلى العيص (موضع على أربعة أميال من المدينة) فأخذوا عيرا لقريش قد أقبلت من الشام، وفيها فضة كثيرة لصفوان بن أمية وأسروا أناسًا منهم أبو العاص بن الربيع زوج زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنادت في الناس حين صلى رسول الله ﷺ بهم الفجر: "إني قد أجرت أبا العاص"، فقال صلى الله عليه وسلم: «أجرنا من أجرتِ»[3]؛ فرد عليه ما أخذ منه. وفي جمادى هذه أيضا بعثه صلى الله عليه وسلم على سرية إلى الطرق (وهو ماء على ستة وثلاثين ميلا من المدينة) إلى بني ثعلبة فأصابوا نعمًا وشاء وهربت الأعراب، وصبح زيد بن حارثة النعم بالمدينة وهي عشرون بعيرا ولم يلق كيدا، وغاب أربع ليال. وفي نفس الشهر المذكور أيضا بعثه صلى الله عليه وسلم على سرية إلى ناس من جذام بأرض حسمى (وهو واد وراء ذات القرى)

(1) الفلجات: الأودية، وتقال أيضا للأنهار الصغار، جمع فلج: وهي العين الجارية، يقال: ماء فلج وعين فلج، وسمي فلجا لأنه قد خد في الأرض وفرق بين جانبيه؛ مأخوذ من فلج الأسنان أو من الفلج وهو القسم.والجلاد: المجالدة في الحرب. والمخاض: الإبل الحوامل. والأوارك: التي أكلت الأراك فدميت أفواهها ـ [الروض الأنف وغيره].

(2) الغور (بالفتح): المنخفض من الأرض. وعالج اسم مكان فيه رمل كثير. وفي رواية: إذا هبطت حوران من رمل عالج..الخ.

(3) رواه ابن هشام وابن سعد والحاكم بلفظ: "يجير على المسلمين أدناهم".

فغنموا ألف بعير وخمسمائة ألف من الشاء، وسبَوا من النساء والصبيان.

وفي رجب هذه السنة بعثه صلى الله عليه وسلم على سرية إلى وادي القرى فقتل من المسلمين قتلى، وحمل زيد من المعركة جريحا. وفي رمضان من نفس السنة بعثه على سرية إلى ناس من فزارة بناحية وادي القرى فصبحهم زيد وأصحابه وظفروا بهم وقتلوا أم قرفة الفزارية وكانت فيهم ملكة ورئيسة (وفي المثل "أمنع وأعز من أم قرفة" لأنه كان يعلق في بيتها خمسون سيفًا لخمسين رجلا كلهم محرم لها!)؛ فلما قدم زيد من هذه السرية وقرع باب النبي ﷺ قام إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم يجر ثوبه حتى اعتنقه وقبله وسأله فأخبره بما ظفروا به. ثم بعثه صلى الله عليه وسلم على سرية إلى مدين (وهو موضع بالشام) تلقاء غزة، فأصابوا سبايا من أهل مينا (وهي سواحل). ثم بعثه صلى الله عليه وسلم ــ أخيرا ــ على رأس جيش مؤتة إلى الشام، فاستشهد رضي الله عنه بها. وإلى ما ذكرناه آنفًا أشار الناظم بقوله: **وطالما أمره النبي**..إلخ.

ثم قال رحمه الله:

أُسَامَةُ الْحِبُّ ابْنُهُ مَصَّ النَّبِي ... مِنْهُ دَمًا وَهْوَ الشَّبِيهُ بِالأَبِ

عَلَى اسْوِدَادٍ وابْيِضَاضِ وَالِدِ ... وَهْوَ الْمُقَدَّمُ عَلَى الأَمَاجِدِ

عَلَى وَلاَءٍ وَحَدَاثَةٍ فَمَا ... رَضِيَ إِلاَّ الْقَانِتُ التَّقَدُّمَا

قوله **أسامة**: مبتدأ. **والحب** (بكسر الحاء المهملة): بدل منه أو عطف بيان عليه. **وابنه** (بالرفع): صفة لأسامة، والضمير فيه عائد على الحب (فهو ضمير استخدام: فذكر لفظ الحب الذي هو لقب مشترك بين أسامة وزيد، وقصد بالحِب المذكور لقب أسامة ثم أعاد عليه ضميرا يقصد به الحِبَّ الآخر الذي هو

لقب زيد[1]). وجملة **مص النبي**..إلخ: خبر أسامة. **والنبي**: فاعل مص. **ومنه**: متعلق بمص، والضمير فيه عائد على أسامة. **ودما**: مفعول به **لِمص**.

ترجمة أسامة بن زيد وذكر بعض مناقبه

يعني أن أسامة هو الحب بن الحب الذي مص النبي صلى الله عليه وسلم منه دما. وقد أشار الناظم بهذا إلى ما في أسد الغابة عن عائشة رضي الله عنها قالت: عثر أسامة بأسكفة الباب (أي عتبته) فشج في وجهه فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أميطي عنه» (أي أزيلي ما على وجهه)، قالت: فكأني تقذرته؛ فجعل رسول الله ﷺ يمص عنه الدم ثم يمجه[2]، وقال: «لو كان أسامة جارية لكسوته وحليته حتى أُنَفِّقَه»[3].

قوله **وهو الشبيه**..إلخ: **وهو**: ضمير عائد على أسامة. وقوله **بالأب**: أي بأبيه زيد بن حارثة. وقوله **على اسوداد** (بالتنوين): أي اسوداد أسامة. **وابيضاض** (بغير تنوين للإضافة إلى والد): أي ابيضاض والده زيد. يعني أن أسامة كان شبيها بأبيه زيد بن حارثة رغم سواد أسامة وبياض زيد، وكان زيد بن حارثة أبيض اللون

---

(1) الاستخدام إطلاق لفظ مشترك بين معنيين مرادا به أحدهما ثم يعاد عليه ضمير مراد به المعنى الآخر أو يعاد عليه ضميران مراد بكل واحد منهما؛ فمثال الأول قول الشاعر:

إذا نزل السَّماءُ بأرض قوم   رعيناه وإن كانوا غضابا

فالسماء يراد به المطر وهو المراد أولا، والنبات وهو المراد بضميره. ومنه أيضا قول الآخر:

وللغزالة شيء من تلفته   ونورها من ضيا خديه مكتسب

ومثال الثاني:

فسقى الغضى والساكنيه وإن همُ   شبُّوهُ بين جوانحي وضلوعي

فالضمير من ساكنيه راجع إلى الغضى باعتبار المكان، ومن شبُّوه باعتبار الشجر.

(2) وفي رواية: «أميطي عنه الأذى» والمراد بالأذى الدم. وتقذرته: أي كرهته. ويمجه: أي يرميه من الفم.

(3) أخرجه الترمذي وابن ماجه وأحمد، وأنفقه: من نفق (بالتشديد): إذا روج.

صافي البياض، وكان أسامة أسود الجلد نزع في اللون إلى أمه بركة وهي أم أيمن.

أشار الناظم بهذا إلى قصة مجزز المدلجي[1] معهما؛ فقد روي أن مجززا بن الأعور بن جعدة الصحابي الكناني المدلجي (من بني مدلج المعروفين في العرب بعلم القيافة) مر يوما بزيد بن حارثة وابنه أسامة ولم ير منهما إلا أقدامهما فقال: لمن هذه الأقدام التي بعضها من بعض؟ قالت عائشة: فلما سمع رسول الله ﷺ ذلك دخل علي مسرورا تبرق أسارير وجهه[2] فقال: «ألم تري أن مجززا المدلجي نظر آنفا إلى زيد بن حارثة وأسامة بن زيد فقال: إن بعض هذه الأقدام من بعض»، وفي رواية: «مر على زيد وأسامة وقد غطيا رؤوسهما وبدت أقدامهما»[3]، وإنما سُرَّ رسول الله ﷺ بذلك لما فيه من تكذيب المنافقين الأفّاكين.

قوله **وهو المقدم** ..إلخ: الضمير عائد على أسامة الحب. **والأماجد**: جمع أمجد (اسم تفضيل): أي الفائق في المجد، وهو العز والرفعة. قوله **على ولاء**: أي مع كونه من الموالي. **وحداثة**: أي صغر سنه.

يعني أن رسول الله ﷺ كان يؤمر أسامة بن زيد على بعض الجيوش التي يكون فيها أجلاء الصحابة من المهاجرين والأنصار، مع أنه مولى ورغم حداثة سنه؛ وذلك لفضله وأهليته للإمارة. وقد أمره رسول الله ﷺ على آخر جيش يجهزه قبيل مرضه الذي توفي منه وهو إذ ذاك ابن ثمانَ عَشْرَةَ سنة ـ وقيل تسع عشرة، وقيل عشرين سنة ـ فمرض رسول الله ﷺ قبل أن يتوجه الجيش، فتثبط وتأخر عن الخروج حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم. فلما بويع أبو بكر الصديق رضي الله عنه كان أول ما فعل تنفيذ ذلك الجيش، رغم ما لقي من دواعي التثبيط.

---

(1) لقب مجززا لأنه كان كلما أسر أسيرا جز ناصيته.

(2) تبرق: تضيء. والأسارير: الخطوط التي تجتمع في الجبهة وتتكسر.

(3) رواه البخاري ومسلم وأحمد والترمذي.

إمضاء جيش أسامة

وحاصل قصة جيش أسامة ذلك؛ أنه لما كان يوم الاثنين لأربع ليال بقين من صفر سنة إحدى عشرة بعث رسول الله ﷺ أسامة بن زيد بن حارثة إلى أهل أُبْنَى[1] (وهو موضع بناحية البلقاء) على رأس جيش يبلغ عدده ثلاثة آلاف من المهاجرين والأنصار ـ وقيل في عدده غير ذلك ـ فلما كان من الغد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم أسامة وقال له: «سر إلى موضع مقتل أبيك فأوطئهم الخيل فقد وليتك فأغِرْ صباحا على أهل ابنى وحرق عليهم فإن أظفرك الله فأقلل اللبث فيهم وخذ معك الأدلاء وقدم العيون والطلائع أمامك»[2]. فلما كان يوم الأربعاء بَدَأ مرض رسول الله ﷺ فحم وصدع، فلما أصبح يوم الخميس عقد لأسامة لواء بيده ثم قال: «اغز باسم الله في سبيل الله فقاتل من كفر بالله»، فخرج وعسكر بالجرف على فرسخ من المدينة[3]، فلم يبْق أحد من وجوه المهاجرين والأنصار إلا انتدب في تلك الغزوة، فيهم أبو بكر وعمر وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد وأبو عبيدة بن الجراح وقتادة بن النعمان، فتكلم قَوْمٌ وقالوا يستعمل هذا الغلام على المهاجرين الأولين والأنصار؛ فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فغضب وخرج على الناس وقد عصب على رأسه بعصابة فصعد المنبر وحمد

---

(1) ابنى (بضم الهمزة وسكون الباء الموحدة وفتح النون بوزن فعلى): قرية عند مؤتة من أرض "الكرك" في أطراف الشام في الناحية التي قتل فيها أبوه زيد بن حارثة.

(2) رواه ابن هشام والواقدي وابن سعد [كما في ابن حجر]، رأخرج أحمد بعضه. واللبث: المكث والإقامة. والأدلاء: جمع دليل وهو المرشد. والعيون: جمع عين وهو طليعة الجيش والجاسوس. والطلائع: جمع طليعة وهي مقدمة الجيش ومن يبعث قدامه ليطلع طِلع العدو.

(3) الجرف (بضم فسكون) موضع على ثلاثة أميال من المدينة نحو الشام، قيل سمي الجرف لأن تبعا مر به فقال: هذا جرف الأرض، وكان يسمى العرض وفيه بئر جشم وكانت فيه أموال لأهل المدينة.

ا لله وأثنى عليه ثم قال: «أما بعد أيها الناس فما مقالة بلغتني عـن بعضكـم في تأمـير أسامة ولئن طعنتم في إمارته لقـد طعنتـم في إمـارة أبيـه مـن قبـل وأيـم ا لله إن كـان للإمـارة لخليقـا وإن ابنـه مـن بعـده لخليـق للإمـارة وإن كـان لمـن أحـب النـاس إلي فاستوصوا به خيرا فإنه من خياركم»[1] ثم نزل ودخل بيتـه وذلـك في يـوم السـبت لعشر خلون مـن ربيـع الأول وجـاء المسلمون الذيـن يريـدون الخـروج مـع أسـامة يودعون رسول ا لله ﷺ ويرجعون إلى العسكر بالجرف، وثقل رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم. فلما كان يوم الأحد اشـتد برسـول ا لله ﷺوجعـه فدخـل عليـه أسـامة يودعه والنبي صلى ا لله عليه وسلم قد أصمت لا يتكلم فطأطأ رأسه فقبلـه ورسـول ا لله ﷺ لا يتكلم فجعل يرفع يديه إلى السماء ثم يضعهما على أسامة قـال: فعرفـت أنـه يدعـو لي، ورجـع أسـامة إلى عسـكره فـأمر النـاس بـالرحيل؛ فبينمـا هـو يريـد الركوب إذا رسول أمه أم أيمن قـد جـاءه يقـول: إن رسـول ا لله ﷺ يمـوت فـأقبل؛ وأقبل معه عمر وأبو عبيدة حتى انتهوا إلى رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم وهو في السياق، فتوفي رسول ا لله ﷺ حين زاغـت الشـمس[2] يـوم الاثنـين، فدخـل المدينـة المسلمون الذين عسكـــروا بـالجرف؛ وكـان لـواء أسـامة مـع بريـدة بـن الحصيـب الأسلمي فدخل به حتى غرزه عند باب النبي ﷺ.

فلما بويع أبو بكر رَضيَ ا لله عنه كان أول ما بدأ به تنفيذ جيـش أسـامة، فـأمر باللواء إلى أسامة ليمضي لوجهه الذي كان قد أمره بـه النبي ﷺ. فلمـا جـاء خبر ارتداد بعض العرب ومنع بعضهم الزكـاة طلـب بعـض الصحابـة مـن أبـي بكـر رد جيش أسامة وقالوا له: احبس جيـش أسـامة فيكـون عمـارة وأمانـا بالمدينـة وارفـق

---

(1) أخرجه مسلم وأحمد وأخرج البخاري بعضه.

(2) السياق: النزع، يقال: هو في السياق أي الاحتضار. وزاغت الشمس: أي مالت إلى الغروب.

بالعرب حتى ينفرج هذا الأمر فإن هذا الأمر شديد غوره ومهلكة[1] من غير وجه فلو أن طائفة من العرب ارتدت قلنا قاتل بمن معك ممن ثبت مَن ارتد وقد أصفقت العرب على الارتداد[2] فهم بين مرتد ومانع صدقة فهو مثل المرتد وبين واقف ينظر ما تصنع أنت وعدوك قد قدَّم رجلا وأخر أخرى. فامتنع أبو بكر وأصر على تنفيذ الجيش، فجادلوه؛ وكان من أشدهم عليه عمر وأبو عبيدة بن الجراح وسالم مولى أبي حذيفة، وقال له عمر: يا خليفة رسول الله تألف الناس وارفق بهم، وقال: إنما شحت العربُ على أموالها وأنت لا تصنع بتفريق العرب عنك شيئًا فلو تركت للناس صدقة هذه السنة، فقال له أبو بكر: أجبار في الجاهلية وخوار في الإسلام؟! قد انقطع الوحي وتم الدين أينقُص وأنا حي؟. فامتنع أبو بكر وقال: والله لا أرد جيشا بعثه رسول الله ﷺ ولا أحل عقدة عقدها، ثم راودوه في تأمير أحد مكان أسامة فأبى وامتنع. وروي أنهم قالوا له: إنا نخاف على نساء المدينة وذراريها، فقال: والله لو لعبت الكلاب بخلاخل نساء المدينة ما رددت جيشا أنفذه رسول الله ﷺ، ثم كلموه أن يدع للعرب زكاة ذلك العام تألفا لهم حتى يتمكن له الأمر، فقد كان رسول الله ﷺ يتألَّفهم، فقال: والله لأَن أخر من السماء إلى الأرض فتخطفني الطير أحب إلي من أن أمالئكم على هذا الرأي، وقال: والله لئن أفردت من جميعكم لقاتلتهم وحدي حتى تنفرد سالفتي[3] ولو منعوني عقالا لجالدتهم. ثم

---

(1) الغور من كل شيء: قعره، يقال: "فلان بعيد الغور" أي متعمق النظر، وعرفت غور المسألة: أي حقيقتها، ويقال أيضا: "سبر غوره" تبين حقيقته وسره. والمهلكة: موضع الهلاك جمعه: مهالك.

(2) أصفقت: أي أطبقت عليه واجتمعت.

(3) السالفة: صفحة العنق، وهما سالفتان من جانبيه وكنّى بانفرادها عن الموت لأنها لا تنفرد عما يليها إلا بالموت. وقيل أراد حتى يفرق بين رأسي وجسدي. وفي حديث الحديبية: «لأقاتلنهم على أمري حتى تنفرد سالفتي».

أمر مناديا ينادي في الناس: لا يتخلف عن أسامة أحد ممن كان انتدب معه في حياة رسول ا لله ﷺ ، وقال: إني لن أوتى بأحد أبطأ عن الخروج معه إلا ألحقته به ماشيا، فلم يتخلف عنه أحد، ومشى أبو بكر إلى بيت أسامة فكلمه أن يأذن لعمر في التخلف، ففعل. وخرج أسامة هلالَ ربيع الثاني سنة إحدى عشرة في جيشه وفيهم ألف فارس، وخرج أبو بكر يشيعه فركبوا من الجرف وسار أبو بكر إلى جنب أسامة ساعة ماشيا وأسامة راكبا، لأنه أقسم عليه أن لا ينزل؛ فجعل يودعه ويوصيه بامتثال ما أوصاه عليه النبي ﷺ.

فسار أسامة وجيشه مسرعين إلى أهل أُبنى فصادف منهم غرة فقتل منهم من أشرف له وحرق منازلهم ونخلهم وسبى من قدر عليه، ثم رجع إلى المدينة و لم يصب أحد من المسلمين، فخرج أبو بكر في أهل المدينة يتلقونه سرورا بمقدمهم، وكانت مدة غيبته في ذلك السفر أربعين يومًا.

قوله : فما رضي.. إلخ: القانت: المطيع لربه المتواضع له وهو فاعل **رضي** والتقرير: فما رضي القانت إلا التقدم، فالقانت: صفة لأسامة قامت مقام الموصوف، وفيه إقامة الظاهر مقام المضمر؛ والمعنى أن أسامة بن زيد لجدارته بالإمارة لتأمير النبي ﷺ له على ذلك الجيش الذي فيه أجلاء المهاجرين والأنصار وشهادته صلى ا لله عليه وسلم له بكونه خليقا للإمارة وابن خليق لها وإمضاء أبي بكر لتأميره وامتناعه لأجلاء الصحابة من تأمير غيره ممن هو أسن منه، كل ذلك أبى لأسامة إلا أن يتقدم على غيره ويختص بالإمارة دون غيره، رغم حداثة سنه وكونه مولى وطَعْنِ البعض فيه بذلك. فقوله **فما رضي**..إلخ: مفرع على قوله: **وهو المقدم على الأماجد**. وا لله أعلم.

ولما أنهى الكلام على قضاعة أخذ يتكلم على بني مذحج بن أدد، فقال رحمه ا لله وعفا عنه:

نسب مذحج*

مِن مَّذْحِجٍ عَنْسٌ قَبِيلُ الأَسْوَدِ ... الْمُدَّعِـــي نُبُـــوَّةَ الْمُلْحِدِ

قَيْسُ بْنُ مَكْشُوحِ الْمُرَادِيُّ الْهُمَامْ ... شَبِيـــهُ خَالِدٍ أَذَاقَـــهُ الْحِمَامْ

شَارَكَ فِيهِ الدَّيْلَمِيُّ الْخَذِمَـــا ... فَيْـــرُوزَ لاَ شُلَّتْ يَدَا كلَيْهِمَا

عنس (بفتح العين المهملة وسكون النون): مبتدأ خبره الجار والمجرور قبله. **وقبيل** (كأمير): صفة عنس. **والأسود**: هو عبهلة بن كعب. **والمدعي والملحد**: صفتان **للأسود**؛ **والملحد**: الكافر والطاعن في آيات الله. **وقيس** (بالرفع): مبتدأ، **وابن مشكوح**: صفة له، واختلف في اسم المكشوح فقيل هبيرة وقيل عبد يغوث، ولقب بالمكشوح لأثر ضربة في كشحه وقيل كيٌّ فيه. **والمرادي والهمام وشبيه خالد**: كلها صفات لقيس أيضا، **والمرادي**: نسبة إلى بني مراد بن مذحج بن أدد، واسم مراد يحابر، ولقب مرادا لتمرده فهو أول من مرد من اليمن. **والهمام**: السيد الشجاع السخي. **وشبيه خالد**: أي من أضرابه في الشجاعة، والمراد بخالد خالد بن الوليد سيف الله وسيف رسوله ﷺ. وجملة **أذاقه الحمام**: خبر عن قيس بن مكشوح. والضمير البارز في **أذاقه**: للأسود. **والحمام** (بكسر الحاء المهملة): الموت. وفاعل **شارك**: ضمير مستتر عائد على قيس. والضمير في **فيه** عائد على

---

* تقدم أن مذحجا لقب مالك بن أدد أخي طيئ، وقد عرف بنوه بعده بلقبه وقد تفرعت منه بطون عديدة وأفخاذ كثيرة منها: بنو مالك وبنو يام ابني عنس، وبنو مراد وبنو قرن وسعد العشيرة، الذين منهم بنو زبيد وبنو جعفي. ومن مذحج أيضا: بنو النخع الذين منهم بنو سعد وغيرهم، وقد ذكر الناظم هؤلاء جميعا إما تصريحا وإما ضمنا بذكر بعض أعيانهم، وذكر من أعيانهم عشرة رجال.

الأسود أيضا. **والديلمي** (بوزن صيرفي): مفعول به **لشارك**، وهي نسبة إلى الديلم (جيل من العجم كانوا في الأصل من الأكراد من ولد يافث بن نوح عليه السلام وقيل من ولد سام). **والخذم** (بوزن كتف وبالخاء والذال المعجمتين): صفة للديلمي، والخذم من الرجال السمح عند العطاء والطيب النفس، والخذم أيضا السيف القاطع. **وفيروز** (بالنصب): بدَل من الديلمي. **وشلت** (بالبناء للمفعول): تقبضت، **ويدا**: نائب فاعله. والضمير في **كليهما** عائد على قيس وفيروز معا، وهي جملة دعائية أتى بها الناظم إعجابا واستحسانا منه لهذه الفعلة الجليلة والخصلة النبيلة وهي قتل هذا الملحد المتنبئ الذي كان رسول الله ﷺ قد أمر بقتله وحث عليه.

يقول: ومن مذحج بنو عنس، بطن الأسود العنسي الذي قتله فيروز الديلمي وقيس بن مكشوح المرادي. أما مذحج فهو لقب مالك بن أدد أخي طيئ، وقد مر بعض التعريف به وسبب تسميته مذحجا وذكر بعض البطون المتفرعة منه. وأما عنس فهو لقب لزيد بن مالك بن أدد وهو أبو بطن من مذحج تفرعت منه أفخاذ كثيرة، منها: بنو مالك بن عنس الذين منهم الأسود العنسي المتنبئ؛ وهم أول فرقة ارتدت في حياة رسول الله ﷺ، ومنها بنو يام بن عنس بن مذحج الذين منهم آل ياسر.

ومن بطون مذحج أيضا بنو مراد بن مذحج وقد تفرعوا ـ أيضا ـ إلى عدة أفخاذ منها: بنو زاهر الذين منهم قيس بن مكشوح المرادي، ومنها بنو قرن الذين منهم أويس القرني وغيرهم ـ كما تقدم.

أما الأسود العنسي فهو عبهلة بن كعب بن غوث بن صعب بن مالك بن عنس العنسي، كان من رؤساء بني مذحج ثم بني عنس بن مذحج. وذكر القلقشندي في نهاية الأرب أنه من بني صعب بن عجل (وهم بطن من بكر بن وائل) وهم بنو صعب بن عجل بن لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل وأن صعبا هذا وقع

بالشام فتبناه سعد بن عنس فبنوه فيهم.

وكان الأسود العنسي هذا كاهنا مشعبذا[1] يري الناس الأعاجيب ويسبي منطقه قلب من سمعه، ثم ادعى النبوة باليمن في عهد النبي ﷺ فاتبعه قومه ومن انضم إليهم وكان يزعم أن ملكين يكلمانه اسم أحدهما شهيق والآخر شريق، وقيل كان له شيطانان يخبرانه بالأمور الحادثة بين الناس، فلما مات باذان الفارسي عامل رسول الله ﷺ بصنعاء اليمن أخبراه بموته فسار إليها واستولى عليها وظهر فيها ثم كان أمره بعد ذلك يطير استطارة الحريق، وكان يلقب "ذو الخمار" (بالخاء المعجمة) لأنه كان يغطي وجهه بخمار، أو لأنه زعم أن اسم شيطانه الذي يأتيه ذو خمار؛ وقيل بل لقبه "ذو الحمار" (بالحاء المهملة) لقب به لأنه اسم شيطانه، فكان يقول: يا تيني ذو حمار، وقيل لأنه كان له حمار يقول له: قف فيقف وابرك فيبرك، وكلما أمره بشيء فعله ويدعي أن ذلك معجزة له. وإلى ذلك أشار الناظم بقوله: **المدعي نبوة الملحد.**

وأما قيس فهو أبو شداد قيس بن مكشوح - واسم مكشوح هبيرة - بن عبد يغوث بن الغُزَيل (بصيغة التصغير) بن بداء بن عامر بن عوثبان بن زاهر بن مراد بن مذحج المذحجي المرادي، وقيل اسم المكشوح عبد يغوث بن هبيرة بن هلال بن الحارث بن عمرو بن عامر بن علي بن أسلم بن أحمس بن الغوث بن أنمار البجلي ثم الأحمسي نسبا، المرادي بالحلف؛ وكان عداده في مراد. وقد أسلم قيس بن مكشوح في عهد النبي ﷺ ولم تكن له صحبة، وقيل كانت له صحبة باللقاء والرؤية، وكانت له نجدة وبسالة فكان فارس مذحج غير مدافع وكان من الشجعان

---

(1) الكاهن: من يدعي معرفة الأسرار أو أحوال الغيب ويخبر بالأمور المغيبة. والمشعبذ: الماهر في الاحتيال والذي يُري الشيء على غير حقيقته معتمدا على خداع الحواس.

البارزين والأبطال المشهورين وذوي الغَناء في الفتوحات زمن عمر وعثمان رضي الله عنهما، فكانت له آثار عظيمة في قتال الفرس وخاصة يوم القادسية مع سعد بن أبي وقاص، وقد أشار الناظم رحمه الله بقوله: **شبيه خالد** إلى ما ذكره صاحب الروض الأنف حيث قال في التعريف بقيس هذا: "وله في حروب الشام مع الروم وقائع ومواقف لم يسمع بمثلها عن أحد بعد خالد بن الوليد.."إلخ. وشهد قيس هذا - رحمه الله - نهاوند مع النعمان بن مقرن وأبلى فيها بلاءً حسنا، وكان شاعرا، وهو ابن أخت عمرو بن معدي كرب؛ وكان يناقضه في الجاهلية[1] وكانا في الإسلام متباغضين ومتباعدين. ومن شعر قيس يخاطب عمرا هذا، [من أبيات]:

فلو لاقيتني لاقيت قرنا ... وودعت الحبائب بالسلام

لعلك موعدي ببني زبيد ... وما قامعت من تلك اللئام

ومثلك قد قرنت له يديه ... إلى اللحيين يمشي في الخطام ..إلخ.

ولعمرو بن معدي كرب في قيس هذا:

تمنى أن يلاقيني قييس ... وددت وأينما مني ودادي

فمن ذا عاذري من ذي سفاه ... يرود بنفسه شر الْمَرَاد[2]

أريد حياته ويُريد قتلي!! ... عذيرك من خليلك من مُرَاد

[من أبيات]

---

(1) ناقضه في قوله مناقضة: تكلم بما يخالف معناه، وناقض الشاعر الشاعر: قال أحدهما قصيدة فنقضها صاحبه عليه ردا على ما فيها معارضا له. والجاهلية: ما كان عليه العرب قبل الإسلام من الجهالة والضلالة، وزمان الفترة بين رسولين.

(2) رادَ روَدانا وريادا: دار وذهب وجاء في طلب الشيء. والمراد (بفتح الميم) والمستراد: المجال أي مكان الرجل الذي يجول فيه.

وقتل قيس بن مكشوح بصفين مع علي رضي الله عنه وبيده راية بجيلة يومئذ. وكان من خبره في صفين أن بجيلة قالت له: يا أبا شداد خذ رايتنا اليوم، فقال: غيري خير لكم، قالوا: ما نريد غيرك، قال: فوالله لئن أعطيتمونيها لا أنتهي بكم دون صاحب الترس المذهب (يعني به رجلا كان قائما على رأس معاوية بترس مذهب يستره به من الشمس) فقالوا له: اصنع ما شئت؛ فأخذ الرايةَ ثم زحف فجعل يطاعنهم حتى انتهى إلى صاحب الترس ـ وكان في خيل عظيمة ـ فاقتتلوا قتالا شديدا، وكان على خيل معاوية عبد الرحمن بن خالد بن الوليد؛ فشد قيس بسيفه نحو صاحب الترس فعارضه دونه رومي لمعاوية فضرب قدم قيس فقطعها فضربه قيس فقتله فأشرعت الرماح إلى قيس حتى قتل.

وأما فيروز فهو أبو عبد الله ـ أو أبو عبد الرحمن ـ فيروز الديلمي ـ أو ابن الديلمي ـ يماني كناني من أبناء الأساورة من فارس الذين كان كسرى قد بعثهم إلى قتال الحبشة، وقيل هو ابن أخت النجاشي ويقال له: فيروز الحميري لنزوله بحمير ومحالفته إياهم. وفد على النبي ﷺ في السنة العاشرة للهجرة فأسلم وصحب، وقال له: يا رسول الله إنا من قد علمت وجئنا من بين ظهري من قد علمت فمن ولينا؟ قال: «الله ورسوله» قال: حسبنا[1]، ثم عاد فيروز إلى اليمن. وكان من الشجعان ولذا وصفه الناظم **بالخذم** تشبيها له بالسيف القاطع، وكان على رأس قتلة الأسود العنسي. ووفد على عمر في خلافته، ثم سكن مصر ومات ببيْت المقدس في خلافة عثمان، وقيل مات باليمن في عهد معاوية سنة ثلاث وخمسين.

---

(1) أخرجه الإمام أحمد في المسند: (4/ 232)، والدارمي.

الأسود العنسي الكذاب وخبر قتله

وحاصل ما أشار إليه الناظم من قتل فيروز وقيس بن مكشوح للأسود العنسي؛ أنه لما قدم رسول الله ﷺ من حجة الوداع جاء الخبر بظهور الأسود العنسي ومسيلمة الكذاب وكانا يستغويان أهل بلادهما[1] قبل، إلا أنه لم يظهر أمرهما إلا في زمان مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم. وكان صلى الله عليه وسلم قد لحقه مرض بعيد عودته من الحج ثم عوفي، ثم عاد فمرض مرض الموت؛ ثم طارت الأخبار بأنه صلى الله عليه وسلم قد اشتكى، فوثب الأسود العنسي باليمن ومسيلمة الكذاب باليمامة وتبعهما قومهما ومن انضاف إليهم وكثرت أتباعهما واستفحل أمرهما، فجاء الخبر إلى رسول الله ﷺ في مرضه. ثم خرج صلى الله عليه وسلم عاصبا رأسه من الصداع، وقال: «إني رأيت البارحة فيما يرى النائم أن في عضدي سوارين من ذهب فكرهتهما فنفختهما فطارا فوقع أحدهما باليمامة والآخر باليمن» قيل: وما أولتهما يا رسول الله؟ قال: «فأولتهما هذين الكذابين صاحب اليمامة وصاحب اليمن يخرجان من بعدي»[2]، ثم كتب رسول الله ﷺ إلى معاذ بن جبل ومن معه من المسلمين أن يحثوا الناس على التمسك بدينهم وعلى النهوض إلى حرب الأسود وأن يحاولوا قتله إما مصادمة وإما غيلة[3].

---

(1) استغواه بالأماني الكاذبة: طلب غيه وأضله.

(2) أخرجه البخاري.

(3) صادمه مصادمة: ضربه، وتصادم الفارسان:ضرب أحدهما الآخر بنفسه وتزاحما، والمصادمة: المدافعة. والغيلة (بالكسر): الاغتيال، يقال: "قتله غيلة" أي على غفلة منه.

وكان الأسود العنسي حين غلب على صنعاء تزوج المرزبانة امرأة باذان الفارسي وكانت من عظماء فارس وقسرها على ذلك[1] فأبغضته أشد البغض؛ وكانت بنت عم فيروز الديلمي، فتحرك في قتل العنسي نَفَرٌ منهم: فيروز الديلمي وقيس بن المكشوح ودادويه فدخلوا على المرزبانة وقالوا لها: إن الأسود قتل أباك وزوجك فما عندك؟ قالت: هو أبغض الناس إلي، فوعدتهم موعدا أتوا عنده؛ وقد سقته الخمر حتى سكر فسقط نائما كالميت، فقالت لهم: هو مجرد والحرس محيطون بقصره إلا هذا البيت فانقبوا عليه. فنقبوا عليه البيت[2] فدخل فيروز الديلمي ونفر معه فوجدوه على فراش عظيم من ريش قد غاب فيه، فأشفق فيروز أن يتعادى عليه السيف إن ضربه فوضع ركبته على صدر الكذاب وفَتَل عنقه حتى تحول وجهه من قبل ظهره فخار كأشد خوار الثور[3]، فابتدر الحرس إلى الباب فقالوا: ما هذا الصوت؟ قالت المرأة: ذلك النبي يوحى إليه فإليكم عنه! ثم احتز قيس بن المكشوح رأسه ورمى به إلى الناس ففض الله الذين اتبعوه وألقى عليهم الخزي والذلة، وكانت مدته من أول خروجه إلى أن قتل أربعة أشهر، فكتبوا إلى رسول الله ﷺ بالخبر فسبق خبر السماء؛ روي عن ابن عمر قال: أتى الخبر النبي ﷺ من السماء الليلة التي قتل فيها الأسود، فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك الناس، فقال: «قتل الأسود البارحة قتله رجل مبارك من أهل بيت مباركين»، قيل: من هو يا رسول الله؟ قال: «فيروز الديلمي»[4].

---

(1) قسرها: قهرها وأكرهها على ذلك الأمر.

(2) نقب البيت: خرقه، والنقب: الخرق في الجدار.

(3) خار الثور خوارا: صاح.

(4) قاله في الاستيعاب.

وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغد، فأتى خبر مقتل العنسي المدينة بعد وفاة رسول الله ﷺ في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فكان ذلك أول فتح جاء أبا بكر الصديق.

ومن مراد ـ أيضا ـ صفوان بن عسَّال من بني الربَض بن زاهر بن عامر بن عوثبان بن زاهر بن مراد المرادي، غزا مع النبي ﷺ اثنتي عشرة غزوة؛ وسكن الكوفة. روي عنه أنه قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو متكئ في المسجد على بُردٍ له أحمر فقلت: يا رسول الله إني جئت أطلب العلم، قال: «مرحبا بطالب العلم إن طالب العلم لتحفه الملائكة بأجنحتها».

ثم قال رحمه الله:

وَمِنْهُمُ ابْنُ يَاسِرٍ إبْنُ أَمَهْ	**لابْنِ الْمُغِيرَةِ وَأَهْلَكَ الأَمَهْ**
. وَهْيَ سُمَيَّةُ . الْخَبِيثُ عَمْرُو	**أَوَّلَ وَهْلَةٍ وَكَانَتْ فِهْرُ**
تُهِينُ آلَ يَاسِرٍ وَالْمُصْطَفَى	**يَعِدُهُمْ إذَا عَلَيْهِمْ وَقَفَا**
بِأَنَّ مَوْعِدَهُمُ الْجِنَانُ	**إنْ يَصْبِرُوا فَيَعْذُبَ الْهَوَانُ**
وَفِي أَبِي الْيَقْظَانِ عَمَّارٍ نَزَلْ	**﴿إلاَّ مَنْ اكْرِهَ﴾ وَإذْعَنْهُ انْخَزَلْ**
مَنْ غَالَهُ بَغْيًا عَلَيْهِ وَقَفَا	**حَيْدَرَةُ وَسَرَّهُ أَنْ عَرَفَا**
أَنْ لَيْسَ بَاغِيًا وَكَانَ حَرَّرَهْ	**أَبُو حُذَيْفَةَ وَطَهَ صَدَّرَهْ**

قوله **ابن ياسر**: مبتدأ خبره الجار والمجرور قبله. والضمير في **منهم** عائد على مذحج ، والمراد بابن ياسر عمار بن ياسر. وقوله **ابن أمة** (بالرفع): صفة لابن ياسر. **وابن المغيرة**: هو أبو حذيفة بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم القرشي المخزومي. وضمير **وهي** عائد على **الأمَه**. **وسمية** (بالتصغير): هي بنت خياط مولاة

لأبي حذيفة بن المغيرة المذكور. **والخبيث** (بالرفع): فاعل **أهلك**، وهو الردي الكثير الخبث، **وعمرو**: بدل منه، والمراد به عدو الله أبو جهل عمرو بن هشام. **وأول وهلة**: أي أول مرة. والمراد **بفهر**: قريش ثم بنو المغيرة بن مخزوم منهم. قوله **تهين** (بضم التاء): أي تستخف بهم وتعذبهم. **وآل ياسر** هم ياسر نفسه وابناه عمار وعبد الله وأمهما سمية فكانوا جميعا من أول من أسلم وعذبوا في سبيل الله. والضمائر البارزة في **يعدهم وعليهم وموعدهم ويصبروا** كلها عائدة على آل ياسر. وقوله **يعْذب**: أي يحلو. **والهوان**: الذل. وقوله **وفي أبي اليقظان**: متعلق **بنزل**. **وعمار** (بالجر بوزن كتان): بدل من أبي اليقظان. والضمير في **عنه**: عائد على عمار. **وانخزل**: انفرد عنه وانفصل. **وغاله**: أهلكه وقتله على غرة. **وبغيا**: أي ظلما. **وعليه**: متعلق **بوقفا**، وألفه للاطلاق. **وحيدرة**: لقب سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه. والضمير في **سره** عائد على حيدرة. واسم **ليس** ضمير مستتر عائد على حيدرة أيضا، **وباغيا** خبرها. والضمير في **حرره** وفي **صدره** عائد على عمار؛ **وصدره** (بالتضعيف): قدمه، والصدارة التقدم.

آل ياسر أول شهداء الإسلام

يعني أن من مذحج أيضا ثم من عنس منهم: آل ياسر وهم ياسر بن عامر وابناه عمار وعبد الله وأمهما سمية بنت خياط العنسيون بالأصل المخزوميون بالحلف. وسيتضح ما أشار إليه الناظم هنا من خلال التعريف بآل ياسر المذحجيين.

أما ياسر فهو أبو عمار ياسر بن عامر بن مالك بن كنانة بن قيس بن الحصين بن الوذيم بن ثعلبة بن عوف بن حارثة بن عامر الأكبر بن يام بن عنس بن مذحج (مالك) بن أدد بن زيد المذحجي العنسي نسبا المخزومي بالحلف، كان قد قدم من اليمن إلى مكة فأقام بها وحالف بني مخزوم وتزوج بأمة لهم ولم يزل مقيما بمكة حتى بُعث رسول الله ﷺ فكان من أول من أسلم؛ وقد أسلم ورسول الله صلى

الله عليه وسلم إذ ذاك في دار الأرقم بن أبي الأرقم، و لم يزل يعذب في الله حتى استشهد رضي الله عنه فكان أول شهيد.

وكان سبب وصول آل ياسر اليمنيين إلى مكة ومحالفتهم لبني مخزوم أن خرج ياسر بن عامر هذا وأخواه الحارث ومالك من اليمن إلى مكة، التي هي ملتقى العرب جميعا للبحث عن أخ لهم مفقود خرج من قبيلته في اليمن ثم انقطعت عنهم أخباره وكانوا يأملون أنهم سيجدونه في مكة، فبحثوا عنه كثيرا وتنقلوا بين أحياء مكة وأسواقها وبواديها، فلما يئسوا منه وهاجهم الحنين إلى بلدهم الخصب رجع إليه الحارث ومالك، أما ياسر فاستهوته حياة مكة فعزم على الاستقرار بها فودع أخويه مصرا على الحياة في مكة في جوار بيت الله الحرام؛ ولما رأى أنه لم تكن له بمكة قبيلة تدافع عنه وتؤويه لجأ إلى سراة بني مخزوم فحالف أبا حذيفة مهشم بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم المخزومي ليدفع عنه ظلم بطون قريش الأخرى وغيرها، ثم زوج أبو حذيفة حليفه ياسِراً من أمة له اسمها سمية بنت خياط فولدت له عمارا على الرق فأعتقه أبو حذيفة. (وإلى ذلك أشار الناظم بقوله: **وكان حرره أبو حذيفة..**)، ثم ولدت له أيضا عبد الله. فسارت بهم الحياة في كنف بني مخزوم حتى طعن ياسر في السن واكتملت رجولية عمار، و لم يزل آل ياسر مع أبي حذيفة إلى أن مات وجاء الله تعالى بالإسلام فأسلموا جميعا فكانوا من السابقين الأولين إلى الإسلام، ومات ياسر وهو يعذب في الله ليفتنوه عن دينه فكان أول شهيد رضي الله عنه كما مر.

وأما سمية فكانت من السابقات إلى الإسلام والمبايعات الخيرات الفاضلات ولقيت أشد الأذى والتعذيب من آل المغيرة، فصبرت على ذلك و لم تزل كذلك حتى مر بها أبو جهل ذات يوم وبنو المغيرة يحاولون صدها عن الإسلام ويعذبونها وهي صابرة على ما أصابها ممتنعة من الرجوع عن الإسلام، فجعل أبو جهل

يشتمها ويسبها ويفحش عليها؛ فلما رأى أنها لا ترجع طعنها بحربة بيده في قُبُلها فقتلها، وقيل طعنها في فخذها فسرى الرمح إلى فرجها فسقطت شهيدة؛ فكانت أول شهيدة في الإسلام، وكان ذلك قبل الهجرة. ولما قتل أبو جهل يوم بدر قال النبي ﷺ لعمار بن ياسر: «قتل الله قاتل أمك»[1].

عمار بن ياسر وبعض مناقبه

وأما عمار فهو أبو اليقظان عمار بن ياسر بن عامر المذحجي ثم العنسي ــ وقد مر ذكر نسبه في ذكر نسب أبيه ياسر آنفا ـ ولد رضي الله عنه بمكة وكان ترب رسول الله صلى الله عليه وسلم، روي عنه أنه قال: لم يكن أحد أقرب إليه سنا مني. ولما اكتملت رجولية عمار فكر فيما يدعو إليه رسول الله ﷺ وفيما ينذر به قومه فأسرع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو إذ ذاك في دار الأرقم بن أبي الأرقم وجعل يلتفت يمنة ويسرة وهو يشعر بما لقريش من رقباء حول هذه الدار ينقلون إليهم كلما يدور فيها ويرى أن ليس له من قوم ولا منعة تمنعه من قريش، فسار حتى دخل الدار فسمع من رسول الله ﷺ وعرض عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم الإسلام فأسلم ومكث معه يومه حتى أمسى فخرج مستخفيا. فعرض الإسلام على أبويه فأسلما، فعلمت بنو مخزوم بذلك فلم ينكر عمار ولا أهله بل أعلنوا ذلك في قوة لم يـر بنو مخزوم فيها إلا عنادا وتحديا فأقبلوا على آل ياسر يذيقونهم أشد العذاب ليردوهم عن دينهم؛ فكانوا يخرجون بهم إذا حميت الظهيرة يعذبونهم برمضاء مكة ويضجعونهم في بطحائها حيث ترسل الشمس شواظا من

---

(1) رواه ابن سعد في طبقاته.

لهب، فيمر بهم رسول الله ﷺ وهم يُعذبون وياسر يئن في قيوده، فيناديهم: «صبراً آل ياسر صبرا آل ياسر فإن موعدكم الجنة»[1]. ويقول: «اللهم اغفر لآل ياسر وقد فعلتَ، اللهم لا تعذب أحدا من آل ياسر بالنار» [2] فعندما يسمعون ذلك تهدأ نفوسهم وتسكن، فلم يزالوا على تلك الحال حتى قضى ياسر وسمية فكانا أول شهيدين ـــ كما مر ـــ ورمي عبد الله فسقط، وبقي عمار يقاسي العذاب وتعرض لأقساه؛ وقد كانوا مرة يغطونه في الماء، حتى بلغ به الجهد مبلغه[3] و لم يتركوه حتى نال من رسول الله ﷺ وذكر آلهتهم بخير؛ فأتى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فقال: «ما وراءك»؟ قال: شر يا رسول الله! والله ما تركوني حتى نلت منك وذكرت آلهتهم بخير، فقال رسول الله ﷺ: «كيف تجد قلبك»؟ فقال: مطمئن بالإيمان، فقال صلى الله عليه وسلـــم: «فإن عادوا فعد»[4]؛ فنـــزل فيه قوله تعالى ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾[5].

ثم هاجر عمار رضي الله عنه الهجرة الأولى إلى أرض الحبشة ثم هاجر إلى المدينة وبقـــي بها إلى أن هاجر رسول الله ﷺ فانضم له ولازمه و لم يفارقه قط، فكان من السابقين إلى الإسلام وممن هاجر الهجرتين وصلى إلى القبلتين، وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرا وما بعدها من المشاهد وأبلى فيها بلاء حسنا وعرف له الـــنبي ﷺ قـــدره وأحـــبه؛ وكـــثيرا مـــا قـــال لأصحابه: «إني لست أدري ما

---

(1) أخرجه أحمد في مسنده والطبراني في الكبير والهيثمي في مجمع الزوائد والحاكم في معرفة الصحابة.

(2) أخرجه أحمد في مسنده والطبراني في الكبير والهيثمي في مجمع الزوائد والحاكم في معرفة الصحابة.

(3) غطه في الماء: غمسه وغوصه فيه. والجهد: المشقة.

(4) أخرجه الحاكم في التفسير وابن سعد في الطبقات الكبرى: 3 / 249، وأبو نعيم.

(5) النحل الآية: 106.

قدر بقائي فيكم فاقتدوا بالذين من بعدي ـ يشير إلى أبي بكر وعمر رضي ا الله عنهما ـ واهتدوا بهدي عمار وعهد ابن أم عبد»[1]. ولعل الناظم أشار إلى ذلك وإلى ما يأتي من فضله بقوله: **طه صدره..**؛ فقد روي عن علي بن أبي طالب رضي ا الله عنه قال: جاء عمار يستأذن على النبي ﷺ يوما فعرف صوته فقال: «مرحبا بالطيب المطيب ائذنوا له»[2]، وعن عائشة رضي ا الله عنها قالت: ما من أحد من أصحاب رسول ا الله ﷺ أشاء أن أقول فيه إلا قلت إلا عمار بن ياسر فإني سمعت رسول ا الله صلى ا الله عليه وسلم يقول: «ملئ عمار إيمانا إلى أخمص قدميه»، وفي رواية: «إن عمارا بن ياسر حشي ما بين أخمص قدميه إلى شحمة أذنيه إيمانا»[3]، وروي أن حذيفة حين احتضر ذكر الفتنة فقيل له: إذا اختلف الناس بمن تأمرنا؟ قال: عليكم بابن سمية فإنه لن يفارق الحق حتى يموت، أو قال: فإنه يدور مع الحق حيث دار.

ومن حديث أنس بن مالك أن رسول ا الله ﷺ قال: «اشتاقت الجنة إلى علي وعمار وسلمان وبلال»[4]، وعن خالد بن الوليد قال: كان بيني وبين عمار كلام فأغلظت له فشكاني إلى النبي ﷺ، فجاء خالد فرفع رسول ا الله صلى ا الله عليه وسلم رأسه فقال: «من عادى عمارا عاداه ا الله ومن أبغض عمارا أبغضه ا الله»[5]

---

(1) أخرجه الترمذي وأحمد والطبراني في الأوسط، والمراد بابن أم عبد: عبد ا الله بن مسعود، وقد قال عمر بن الخطاب في عمار وابن مسعود هذين: إنهما من النجباء، وأرسل إلى أهل الكوفة أن يطيعوهما ويقتدوا بهما.

(2) أخرجه الترمذي وابن ماجه وأحمد في مسنده.

(3) أخرج ابن ماجه والنسائي نحوه.

(4) أخرجه الترمذي وابن عساكر وابن عبد البر في الاستيعاب.

(5) أخرجه أحمد في مسنده والطبراني في الكبير والحاكم.

قال خالد: فما زلت أحبه من يومئذ، وأرسل عمر بن الخطاب إلى أهل الكوفة: أما بعد فإني بعثت إليكم عمارا أميرا وعبد الله بن مسعود معلما ووزيرا وهما من النجباء من أصحاب رسول الله ﷺ فأطيعوهما واقتدوا بهما.. إلخ.

هذا وكانت لعمار آثار عظيمة وذكر حسن في حروب أهل الردة والفتوحات في عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم فكان في مقدمة جيوش المؤمنين التي بعثها خليفة رسول الله ﷺ أبو بكر الصديق لقتال أهل الردة باليمامة وأبلى فيها بلاء حسنا وجعل ينادي بأعلى صوته: يا معشر المسلمين أمن الجنة تفرون؟ أنا عمار بن ياسر هلموا إلي.. وكانت أذنه قد قطعت وهي تذبذب[1] وهو يقاتل أشد القتال حتى انتصر المسلمون. وشهد القادسية وغيرها وكان من الولاة الشجعان ذوي الرأي، وشهد رضي الله عنه مع علي بن أبي طالب صفين، قال أبو عبد الرحمن السلمي: شهدنا مع علي (بن أبي طالب) رضي الله عنه صفين فرأيت عمارا بن ياسر لا يأخذ في ناحية ولا واد من أودية صفين إلا رأيت أصحاب محمد ﷺ يتبعونه كأنه علم لهم وسمعت عمارا يقول يومئذ لهاشم بن عتبة: يا هاشم تقدم الجنة تحت الابارقة[2] ويقول: والله لو هزمونا حتى بلغوا بنا سعفات هجر[3] لعلمنا أنا على الحق وأنهم على الباطل ويقول:

نحن ضربناكم على تنزيله فاليوم نضربكم على تأويله

ضربا يزيل الهام عن مقيله ويذهل الخليل عن خليله

أو يرجع الحق إلى سبيله

---

(1) أي تتحرك وتضطرب.

(2) أي تحت السيوف.

(3) السعفات: جمع سعفة بالتحريك: وهي أغصان النخل وإنما خص هجر للمبالغة في المسافة ولأنها موصوفة بكثرة النخيل.

قال أبو عبد الرحمن: فلم أر أصحاب محمد قتلوا في موطن ما قتلوا يومئذ، ثم استسقى عمار فأتي بإناء فيه لبن فشرب وقال: الحمد لله اليوم ألقى الأحبة محمدا وحزبه فقد عهد إلي رسول الله ﷺ أن آخر شربة أشربها من الدنيا شربة لبن، فحمل رضي الله عنه عليهم وقاتل حتى قتل؛ حمل عليه أبو الغادية الفزاري - وقيل الجهني - وابن جزء السكسكي فطعنه أبو الغادية واحتز ابن جزء رأسه، فقتل شهيدا كما قتل أبواه ياسر وسمية شهيدين من قبل.

ولما مر به علي بن أبي طالب مقتولا سره ذلك لأنه تأكد من أنه على الحق هو وقومه وأن عدوهم على الباطل لحديث: «تقتل عماراً الفئة الباغية»[1]. وإلى ذلك أشار الناظم بقوله: **وإذ عنه انخزل من غاله**..إلخ، ولما علم عمرو بن العاص بموته دخل على معاوية فزعا فقال: قتل عمار، فقال له معاوية: فما ذا كان؟ فقال عمرو: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تقتل عمارا الفئة الباغية»، فقال معاوية: دحضت في بولك[2] أنحن قتلناه.. إنما قتله من أخرجه. ثم دفنه علي في ثيابه ولم يغسله، وله ثلاث وتسعون سنة (وكانت وقعة صفين في ربيع الآخر سنة سبع وثلاثين) رضي الله عن الجميع.

ومن ذرية عمار أبو عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر كان من العلماء بالنسب. والله أعلم.

ثم قال رحمه الله:

مِن مَّذْحِجٍ مَّن فِي الرَّعِيلِ يَرْكَبُ   مِن نَّسْلِهِ وَالْعَيْنَ فِيهِمْ يَرْهَبُ

---

(1) أخرجه مسلم وأحمد.

(2) أي زلقت فيه.

يَقُولُ مِنْ عَشِيرَتِي حِفْظًا لَّهُمْ لِسَائِلٍ عَنْ أَحَـــدٍ مِّنْهُمْ وَهُمْ
سَعْدُ الْعَشِيرَةِ أُسُودُ الْيَمَـــنِ وَقَـــرَنُ أَهْـــلُ أُوَيْسٍ الْقَرَنِي
أَبْلَى بَلاَءً حَسَنًا مَـعَ عَلِـي فِي مِائَـــةٍ كَمَّلَهَا لَـــهُ الْوَلِي
عَلَى الْمَمَاتِ بَايَعَـتْ وَأَمَـرَا نَبِيُّنَا عُمَـــرَ أَن يَسْتَغْفِـــرَا
لَـــهُ إِذَا وَجَـــدَهُ وَأَخْبَـــرَهْ بِوَضَحٍ فِيهِ وَفِيهِ أَبْصَـــرَهْ
وَبِـــرُّهُ لأُمِّـهِ مَنَعَـــــهُ مِن صُحْبَـــةٍ إِذْ لاَ تَزَالُ مَعَهْ

قوله **من في الرعيل**: **مَن** فيه موصول اسمي مبتدأ خبره الجار والمجرور قبلهُ، والمراد به سعد بن مذحج. **وفي الرعيل**: متعلق **بيركب**، والجملة صلة الموصول. **والرعيل** (كأمير): القطعة المتقدمة من الخيل والرجال، والمراد بها هنا الجيش. **ومن نسله**: بيان للرعيل، والضمير فيه عائد على الموصول الذي هو **مَن** الواقعة على سعد. **والنسل**: الولد والذرية[1]. **والعين** (بالنصب): مفعول به **ليرهب** مقدم عليه. **ويرهب**: أي يخاف. والضمائر في **فيهم ولهم ومنهم وهم** كلها عائدة على **نسله** في قوله **من نسله** باعتبار معناه؛ وفاعل **يرهب ويقول** ضمير مستتر فيهما عائد على الموصول المتقدم. **والعشيرة**: القبيلة، وعشيرة الرجل بنو أبيه الأدنون. **وحفظا لهم**: مفعول لأجله. وقوله **لسائل** إلخ: متعلق **بيقول**. **وسعد العشيرة** (بالرفع): خبر عن قوله **وهم**. **وأسود اليمن** (بالرفع): صفة لسعد العشيرة باعتبار أفرادهم، ووصفهم بالأسود لشجاعتهم وأضافهم لليمن لأنهم من أهله.

---

(1) جمعه أنسال، ونَسَل الرجل كثر ولده، ولقد أحسن من قال:

يقولون نسل المرء أبقى لذكره وليس له ذكر إذا لم يكن نسلُ
فقلت لهم نسلي بدائع حكمةٍ فمن سرَّه نسْلٌ فإنا به نسْلو

يقول: ومن مذحج أيضا سعد بن مذحج الذي يعرف بسعد العشيرة وهو أبو الحكم سعد بن مذحج بن أدد بن زيد المذحجي، كان له شرف وعز وشجاعة وذكر طائر وكثرة في القبائل اليمنية ولقب سعد العشيرة لأنه بلغ ولدُه وولدُ ولده مائة رجل وقيل ثلاثمائة يركبون معه، فكان إذا سئل عنهم يقول: هؤلاء عشيرتي، وقاية لهم من العين. ومن أولاده الحكم (بطن) وبه يكنى والصعب (بطن) ونمرة (بطن) لأمهات شتى، وجعفي (بطن) وعائذ ا لله (بطن) وأوس ا لله (وهذان باليمن) وزيد ا لله (بطن) وأنس ا لله والحر، ودخلوا في أخيهم جعفي؛ أمهم كلهم أسماء بنت أبي بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة. وتشعبت هذه البطون إلى بطون أخرى كثيرة؛ فمن بني الحكم بن سعد العشيرة: بنو جشم وبنو سلهم وبنو بندقة وبنو أسلم؛ منهم الجراح بن عبد ا لله بن جعادة المذحجي الحكمي وَلِيَ خراسان وكان أبو نواس الشاعر حليفا له، وقيل كان من بني الحكم بالنسب. ومنهم أيضا عبد ا لله بن سعد بن جابر المذحجي الحكمي كانت تحته آمنة بنت عفان (أخت عثمان بن عفان) فولدت له محمدا بن عبد ا لله.

ومن بني الصعب بن سعد العشيرة بنو زبيد وبنو أود ابني الصعب؛ أما بنو زبيد فسيأتي الكلام عليهم قريبا ـ إن شاء ا لله ـ وأما بنو أود بن الصعب فمنهم الفقيه المحدث الكوفي عبد ا لله بن إدريس بن يزيد بن عبد الرحمن، وعمه داوود بن يزيد محدث أيضا. ومنهم عبد ا لله بن النعمان بن يزيد لم يكن بالكوفة مذحجي له بواب غيره، ومنهم الشاعر الأفوه صلاءة بن عمرو بن عوف المذحجي الذي يقول:

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ولا سراة إذا جهالهم سادوا

ومن أود أيضا القاضي عافية بن يزيد بن قيس بن عافية بن شداد المذحجي صاحب أبي حنيفة، وقتل جده عافية بن شداد مع علي يوم صفين.

ومن بني نمرة بن سعد العشيرة الحِدَأ ـ بوزن عنب ـ وسليم (بطنان)؛ أما سليم فدخلوا في مراد، وأما الحدأ فهم ـ وبنو عمهم بنو بندقة بن الحكم ـ أصحاب المثل:

"الحِدأ وراءَكِ بُنْدُقَة"؛ وأصله أن بني الحدإ بن نمرة كانوا ينزلون بالكوفة، وكان بنو بندقة بن الحكم ينزلون باليمن فأغار مرة بنو الحدإ على بني بندقة فنالوا منهم ثم كر بنو بندقة على الحدإ فأوقعوا بهم وأهلكوهم فضرب بهم المثل المذكور ومعناه يا حدأ وراءك بندقة فاحذري أن تصطادك كما تصطاد الحدأة (التي هي الطائر المعروف) بالبندقة التي يرمى بها الرامي فيصطاد بها.

ومن عائذ الله بن سعد العشيرة مالك بن مشوف بن أسد بن عبد مناة بن عائذ الله كانت له رئاسة وقد وَلَدَ النبيَّ ﷺ من قِبَل النساء [كما في الجمهرة]. ومنهم عبيد بن هجان المذحجي، له صحبة؛ وهو الذي رد سعيد بن العاص من طريق الكوفة ومنعه دخولها.

ومن أوس الله بن سعد العشيرة بنو أسلم وكانوا باليمن. ومن زيد الله بنو عامر وهم مستقلون، وأشرس وعوف والدئل، ودخلوا في تغلب. ومن أنس الله بن سعد العشيرة بطون كان لهم عدد بالريِّ. ومن الحر بن سعد العشيرة العدل بن الحر، كان على شرطة تبع فضرب به المثل؛ فيقال للهالك: "وضع على يديْ عدل".

قوله : وقرن (بالتحريك والرفع): عطف على قوله **مَنْ في الرعيل يركب**؛ **وقرن**: اسم بطن من بطون مذحج هم بنو قرن بن ردمان بن ناجية بن مراد بن مذحج المذحجيون. وقوله **أهل** (بالرفع): صفة لقرن. **وأويس** (كزبير) هو ابن عامر، **والقرني**: صفة له نسبة إلى بني قرَن هؤلاء. **وأبلى** الرجل في الحرب **بلاء حسنا**: أظهر فيها بأسه حتى بلاه الناس فامتحنوه. وقوله **مع علي**: أي في وقعة صفين. وقوله **في مائة**: أي مائة رجل بايعته على الموت. والضمير في **كملها** عائد على المائة ؛ والضمير في **له** عائد علَى علِيٍّ. **والولي**: فاعل كملها، والولي هو المؤمن المتقي والمراد به **أويس**، وفيه وضع الظاهر موضع الضمير. وقوله **أن يستغفرا**: فاعله ضمير مستتر عائد على أويس. والضمير في **له** عائد على **عمر**.

وقوله **وجده**: فاعله ضمير مستتر عائد على **عُمر**، والضمير البارز عائد على **أويس**؛ أي أمر رسول الله ﷺ عمر أن يطلب من أويس القرني إذا وجده أن يدعو له بالمغفرة. وقوله **وأخبره**: فاعله ضمير مستتر عائد على **نبينا**، والضمير البارز عائد على عمر. **والوضح**: البرص. والضمير في **فيه** ـ المكررة ـ عائد على أويس. وقوله **أبصره**: فاعله ضمير مستتر عائد على عمر أيضا؛ وضمير المفعول عائد على **الوضح**، أي وأخبر النبي ﷺ عمر بأن في أويس القرني برصا، فرآه عمر فيه. والضمائر في قوله: **وبره ولأمه ومنعه** كلها لأويس. وقوله **من صحبة**: أي من صحبة رسول الله ﷺ ، أي شغله رضي الله عنه المقام مع أمه والاشتغال بشؤونها عن الذهاب إلى رسول الله ﷺ والاجتماع به حتى يكون من الصحابة. وقوله **إذ** أي لأنها لا تزال ـ أي أمه ـ **معه**.

يعني أن من قبائل مذحج ثم من بني مراد بني قرن بطن أويس القرني؛ وسيتضح ما أشار إليه الناظم في هذه الأبيات من خلال التعريف بأويس القرني.

أويس القرني

وأويس هذا هو التابعي الزاهد الصالح المشهور أويس بن عامر بن جزء بن مالك بن عمرو بن مسعدة بن عمرو بن سعد بن عصوان بن قرن بن ردمان بن ناجية بن مراد بن مذحج المذحجي المرادي القرني. أسلم على عهد النبي ﷺ ولم يره، وقد منعه من القدوم عليه بره بأمه وكان معدودا في الطبقة الأولى من التابعين من أهل الكوفة، قيل انه كان أفضل التابعين، وكان ثقة؛ روى عن عمر وعلي. وكان من خيار المسلمين وقد أخبر به رسول الله ﷺ ؛ فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «يأتي عليك أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن من مراد ثم من قرن وكان به برص فبرئ منه إلا موضع درهم له والدة هو بها بر لو أقسم على الله لأبره فإن استطعت أن يستغفر لك

فافعل»[1]، وفي رواية: «ان رجلا يأتيكم من اليمن يقال له أويس لا يدع باليمن غير أم له وقد كان به بياض فدعا الله فأذهبه عنه إلا مثل الدينار أو الدرهم فمن لقيه منكم فمروه فليستغفر لكم»[2]. فكان عمر رضي الله عنه إذا أتاه أمداد أهل اليمن سألهم: أفيكم أويس بن عامر؟ حتى أتى على أويس فقال: أنت أويس بن عامر؟ فقال: نعم، قال: من مراد ثم من قرن؟ قال: نعم، قال: فكان بك برص فبرئت منه إلا موضع الدرهم؟ قال: نعم، قال: ألك والدة؟ قال: نعم، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يأتي إليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن..» ـ الحديث ـ فطلب منه عمر أن يستغفر له فاستغفر له، ثم قال له: أين تريد؟ قال: الكوفة، قال عمر: أفلا أكتب لك إلى عاملها؟ قال: أكون في غبراء الناس أحب إلي[3].

وروي أنه لما كان العام القابل حج رجل من أشرافهم فوافى عمر رضي الله عنه فسأله عن أويس فقال: تركته رث البيت[4] قليل المتاع، فقال عمر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يأتي عليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن من مراد ثم من قرن وكان به برص..» ـ الحديث ـ فلما عاد الرجل إلى الكوفة دخل على أويس ـ وكان يسخر به[5]ـ فقال له أويس: ما هذه عادتك؟ فقال: سمعت عمر يقول كذا وكذا فاستغفر الله لي فقال له أويس: لا أفعل حتى تجعل لي عليك أن لا تسخر بي

---

(1) أخرجه مسلم والحاكم وابن سعد. والأمداد: الجماعة الغزاة الذين يمدون جيوش المسلمين في الغزو واحدهم مدد.

(2) أخرجه مسلم وأحمد بلفظ قريب منه.

(3) رواه مسلم في صحيحه. وغبراء الناس: أي ضعافهم وصعاليكهم وأخلاطهم الذين لا يؤبه بهم.

(4) رث البيت: هو بمعنى قليل المتاع، والرثاثة والبذاذة بمعنى واحد وهو حقارة المتاع وضيق العيش.

(5) يسخر به: أي يحتقره ويستهزئ به.

ولا تذكر قول عمر لأحد، فاستغفر له. وفي رواية: أنه قال له: أنت أحدث عهدا بسفر صالح ثم قال له: أَلَقِيتَ عمر؟ قال: نعم، فاستغفر له ففطن له الناس فانطلق على وجهه[1]. وروي عن الاصبغ بن نباتة قال: شهدت عليا يوم صفين يقول: من يبايعني على الموت؟ فبايعته تسعة وتسعون رجلا فقال: أين التمام فجاءه رجل عليه أطمار صوف محلوق الرأس فبايعه على القتل فقيل هذا أويس القرني، فما زال يحارب حتى قتل رحمه الله. وإلى ذلك أشار الناظم بقوله: **أبلى بلاء حسنا مع علي**..إلخ.

ثم قال رحمه الله:

مِن سَعْدٍ النَّخْعِيُّ الاَشْتَرُ الأَبِي … بَنُو زُبَيْدَ رَهْطُ مَعْدِي كَرِبِ

وَالْحَسَنُ بْنُ هَانِئٍ وَهْوَ أَبُو … نُوَاسٍ الْمُنِيبُ بَعْدُ يُحْسَبُ

مِن مَّذْحِجٍ.. … … … …

قوله **النخعي**: مبتدأ خبره الجار والمجرور قبله، والمراد بسعد هذا سعد بن مالك بن النخع، والنخعي: نسبة إلى النخع واسمه جسر بن عمرو بن عُلة بن جلد بن مذحج ولقب بالنخع لأنه انتخع عن قومه أي بعُد منهم. **والأشتر**: بدل من النخعي واسمه مالك بن الحارث، ولقب بالأشتر لأنه ضربه رجل يوم اليرموك على رأسه فسالت الجراحة قيحا إلى عينه فشترت؛ والشتر: انقلاب الجفن من أعلى وأسفل أو شقه أو استرخاء أسفله. **والأبي**: صفة للأشتر أي الشجاع.

يقول: ومن قبائل مذحج بنو النخع الذين منهم بنو سعد، رهط الأشتر النخعي الفارس المذكور والشجاع المشهور، وبنو النخع حي من مذحج غلب عليهم اسم

---

(1) رواه مسلم في صحيحه.

أبيهم فقيل لهم النخع. وللنخع من الولد مالك وعوف (بطنان)؛ فمن مالك منهما: سعد بن مالك بن النخع؛ له من الولد جذيمة ووهيل وحارثة وقيس وصهبان وعامر وكلهم بطون.

فمن بني جذيمة بن سعد بن مالك بن النخع الأشتر النخعي، وهو مالك بن الحارث بن عبد يغوث بن سلمة بن ربيعة بن الحارث بن جذيمة بن سعد بن مالك بن النخع بن عمرو بن عُلة بن جلد بن مذحج المذحجي النخعي، كان من ثقات التابعين وكان رئيس قومه، وشهد اليرموك وأبلى فيه بلاء حسنا وأصيبت فيه عينه، وكان عمر إذا رآه صرف عنه وجهه وقال: كفى الله أمة محمد شره، وكان من أعيان أصحاب علي رضي الله عنه وشهد معه الجمل وصفين وأبدى فيهما شجاعة مفرطة، ويقال إنه كان لعلي في حروبه مثل ما كان علي لرسول الله ﷺ في غزواته، وكان شاعرا؛ ومن شعره:

بقّيْت وفري وانحرفت عن العدا	**ولقيت أضيافي بوجه عبوس**[1]
إن لم أشن على ابن هند غارة[2]	**لم تخل يوما من ذهاب نفوس**
خيلا كأمثال السعالي شزبا	**تعدو ببيض في الكريهة شوس**[3]
حمي الحديد عليهم فكأنه	**لمعان برق أو شعاع شموس**

ولاه علي بن أبي طالب على مصر بعد أن عزل عنها قيس بن سعد بن عبادة، فلما

---

(1) بقيت الشيء بالتضعيف: تركته يبقى بعدي. والوفر من المال أو المتاع: الكثير الواسع. وانحرف عن الشيء: مال عنه وعدل. والعبوس: الكثير العبوس المقطب الكالح.

(2) ابن هند: معاوية رضي الله عنه. والغارة: الخيل المسرعة المغيرة، يقال: شن الغارة عليهم: أي فرق الخيل وصبها عليهم من كل جهة.

(3) السعالي: جمع سِعلي وهي الغول أو أنثاه. والشزب: جمع شازب وهو الضامر. والكريهة: الشدة في الحرب. والشوس: جمع أشوس وهو الشديد الجريء في القتال والذي ينظر بمؤخر عينه تكبرا أو تغيظا.

وصل إلى القلزوم شرب شربة عسل فمات منها - قيل انها كانت مسمومة ـ فلما بلغ ذلك عليا قال: "لليدين وللفم"[1]، ولما بلغت وفاته معاوية قال: إن لله جنودا منها العسل، وقيل إن قائلها عمرو بن العاص وإن الذي احتال إلى سمه معاوية وقيل عبد لعثمان بن عفان. ومن بني وُهَيْلٍ بن سعد القاضي حفص بن غياث بن طلق النخعي وابنه عمرو بن حفص أيضا، ثقتان ومحدثان. ومنهم أيضا سنان بن عمرو النخعي قاتل الحسين بن علي رضي الله عنهما، [والعياذ بالله تعالى].

ومن بني حارثة بن سعد أرطاة بن كعب بن شرحبيل النخعي، وفد هو وأخوه قيس بن كعب على النبي ﷺ وكانا من أجمل أهل زمانهما وأنطقهم، فدعاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام فأسلما وأعجب بما رأى منهما فقال: «هل خلفتما مِن ورائِكما مثلكما»؟ قالا: يا رسول الله قد خلفنا من قومنا سبعين ما يشركوننا في الأمر إذا كان. فدعا لهما بخير وكتب لأرطاة كتابا وعقد له لواء شهد به القادسية فقتل، فأخذ اللواء أخوه زيد بن كعب فقتل، ثم أخذه أخوهما قيس بن كعب، وقال رسول الله ﷺ: «اللهم بارك في النخع».

ومن بني قيس بن سعد بنو عداء بن قيس، أخوال الأشعث بن قيس الكندي؛ وإياهم يعني بقوله:

أبي ذو التاج قيسٌ فاعلمنه وأخوالي الملوك بنو عداء

ومن بني قيس هؤلاء زرارة بن عمرو النخعي، قدم من اليمن على النبي ﷺ للنصف من المحرم سنة إحدى عشرة في وفد النخع، وكان آخر من قدم من الوفود على

---

(1) هذا مثل يقال عند الشماتة بسقوط إنسان أي أسقطه الله عليهما، وقد روي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أتي بسكران في شهر رمضان فتعثر بذيْله فقال عمر: "لليدين وللفم" أوِلدانُنا صيام وأنت مفطر ثم أمر به فحد. [مجمع الأمثال للميداني].

رسول الله ﷺ وهم مائتا رجل ـ وكانوا بايعوا معاذ بن جبل باليمن ـ فقال زرارة: يا رسول الله رأيت في طريقي رؤيا هالتني؛ رأيت أتانا خلفتها في أهلي ولدت جديا أسفع أحوى[1] ورأيت نارا خرجت من الأرض حالت بيني وبين ابن لي اسمه عمرو وهي تقول: لظى لظى تطير.. ورأيت النعمان بن المنذر وعليه قرطان ودملجان ومسكتان ورأيت عجوزا شمطاء[2] خرجت من الأرض!. فقال رسول الله ﷺ: «هل خلفت امرأة مسرة حملا»؟ قال: نعم، قال: «قد ولدت غلاما وهو ابنك»، قال: فما باله أسفع أحوى؟ قال: ادن مني فدنا منه فقال: «أبك برص تكتمه»؟ قال: نعم والذي بعثك بالحق ما علمه أحد من الخلق قبلك، قال: «فهو ذاك وأما النار فإنها فتنة تكون بعدي»، قال: وما الفتن؟ قال: «يقتل الناس إمامهم ويشتجرون اشتجار أطباق الرأس[3] ـ وخالف بين أصابعه ـ حتى يصير دم المؤمن عند المؤمن أحلى من شرب الماء يحسب المسيء أنه محسن فإن مت أدركت ابنك وإن أنت بقيت أدركتك»[4] قال: فادع الله أن لا تدركني، فدعا له؛ فمات زرارة

---

(1) هالتني: أي أفزعتني. والأتان: الحمارة جمعها أتن (بضمتين وبضمة فسكون). والجدي: الذكر من أولاد المعز. والأسفع: الأسود اللون المشرب بالحمرة. والأحوى: الذي لونه الحوة (وهي حمرة تضرب إلى السواد مثل صدإ الحديد).

(2) قرطان: تثنية قرط وهو ما يعلق في شحمة الأذن من در أو ذهب أو فضة ونحوها، جمعه: أقراط. ودملجان: تثنية دملج (بضم فسكون) وهو سوار يحيط بالعضد جمعه: دمالج ودماليج. ومسكتان: تثنية مسكة وهي قطعة من المسك ـ ضرب من الطيب ـ يتخذ من ضرب من الغزلان جمعه: مِسَك (بكسر ففتح). والعجوز: الكبيرة المسنة. والشمطاء: المختلط سواد شعرها ببياض الشيب.

(3) اشتجر الشيء: تداخل بعضه في بعض يقال: "اشتجرت الأصابع والرماح": اشتبك بعضها مع بعض. وأطباق الرأس: عظامه سميت بذلك لتطابقها واشتباكها فهي متطابقة مشتبكة كما تشتبك الأصابع، أراد التحام الحرب والاختلاط في الفتنة.

(4) ذكره ابن سعد في طبقاته [كما في زاد المعاد] ورواه ابن شاهين [كما في الإصابة].

هذا في خلافة عثمان (وأدركت الحرب ابنه عَمْرا فكان أول خلق ا لله خَلَع عثمان وبايع عليا). وأما النعمان وما عليه فذلك ملك العرب يصير إلى أفضل بهجة وزينة والعجوز الشمطاء: بقية الدنيا.

قوله: بنو زبيد (كزبير): مبتدأ خبره **من مذحج** - الآتي - **ورهط**: بدل منه. **ومعدي كرب** هو والد الفارس المشهور والبطل المذكور عمرو بن معدي كرب. قوله **والحسن** (بالرفع): عطف على **بنو زبيد، وابن هانئ** (بالرفع): صفة له. وجملة **وهو أبو نواس**: صفة للحسن أيضا، **ونواس** هو بوزن غراب. **والمنيب**: التائب، صفة لأبي نواس. **وبعد**: ظرف مبني على الضم لقطعه عن الإضافة. **ويحسب**: أي يعد من مذحج أيضا.

يقول: ومن مذحج ثم من بني سعد العشيرة منهم بنو زبيد بن ربيعة وأبو نواس الحسن بن هانئ المذحجيون. أما بنو زبيد فهم بطن من سعد العشيرة، وهم بنو منبه وهو زبيد الأصغر بن ربيعة بن سلمة بن مازن بن ربيعة بن شيبة (وهو زبيد الأكبر) بن الصعب بن سعد العشيرة بن مذحج المذحجيون؛ منهم معدي كرب والد أبي ثور عمرو بن معدي كرب بن عبد ا لله بن عمرو بن عاصم بن زبيد الأصغر بن ربيعة الزبيدي، فارس اليمن المشهور صاحب الغارات المذكورة في الجاهلية[1]، وفد

---

(1) روي أن عمر بن الخطاب رضي ا لله عنه قال يوما من أجود العرب؟ فقيل له: حاتم، قال: فمن فارسها: فقيل له: عمرو بن معدي كرب، قال: فمن شاعرها؟ قيل امرؤ القيس، قال: فأي سيوفها أمضى؟ قيل: صمصامة عمرو بن معدي كرب؛ قيل كان من حديدة وجدت عند الكعبة من دفن جرهم، وصنع أيضا من تلك الحديدة ذو الفقار سيف رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم؛ وكان قَبلُ لنبيه بن الحجاج فسلب منه يوم بدر فصار لرسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم، وقيل إنهما كانا من أسياف أهدتهما بلقيس لسليمان عليه السلام. وكان صمصامة عمرو أشهر سيوف العرب وبه يضرب المثل في كرم الجوهر وحسن المنظر والمخبر والمضاء والتصميم. وكان عمرو بن معدي

<<=

على النبي ﷺ سنة تسع في وفد بني زبيد فأسلم وأسلموا ورجع إلى قومه وأقام فيهم مسلما، ولما توفي رسول الله ﷺ ارتد، ثم أسلم وشهد اليرموك وذهبت فيه إحدى عينيه وشهد القادسية وفتوح الشام وفتوح العراق وأبلى فيها بلاء حسنا. وأخبار شجاعته في الجاهلية والإسلام كثيرة؛ واستشهد ـ رحمه الله ـ بنهاوند بعد أن أظهر فيها شجاعة مفرطة وبعد أن انتصر المسلمون، وكانت وفاته بقرية روذة[1] سنة إحدى وعشرين؛ وفي ذلك يقول دعبل الخزاعي:

لقد غادر الركبان حين تحملوا ... بروذة شخصا لا جبانا ولا غمرا[2]

فقل لزبيد بل لمذحج كلها ... رزئتم أبا ثور قريع الوغى عمرا[3]

فإن تجزعوا لا يغن ذلك عنكم ... ولكن سلوا الرحمن يعقبكم أجرا

ومن معدي كرب أيضا ريحانة بنت معدي كرب أم دريد وعبد الله ابني الصمة وكان الصمة قد سباها، وفي ذلك يقول أخوها عمرو المذكور:

كرب حسن الاستعمال له كثير الغناء به، وفيه يقول:

سناني أزرق لا عيب فيه ... وصمصامي يصمم في العظام

ثم أعطاه عمرو لخالد بن سعيد بن العاص مكافأة له على يد صنعها له وقال:

فقلت لباغي الخير إن تأت خالدا ... تسر وترجع ناعم البال حامدا

وقال في الصمصامة:

خليل لم أخنه ولم يخني ... إذا ما صاب أوساط العظام

حبوت به كريما من قريش ... فسُر به وصين عن اللئام

وودعت الصفي صفي نفسي ... على الصمصام أضعاف السلام

ثم تداولته الملوك بعد بالشراء.

(1) روذة (بضم فسكون وبذال معجمة): محلة بالري.

(2) الغمر (بضم الغين المعجمة وفتحها وسكون الميم): الذي لم يجرب الأمور.

(3) الرزْء: المصيبة العظيمة. والقريع: المقارع أي المضارب. والوغى: الحرب. وعمرا: بدل من أبا ثور.

أمن ريحانــــة الداعي السميع يؤرقـــــني وأصحابي هجوع
أشاب الرأس أيام طـــــوال وهم ما تضمنه الضلـــــوع
وســـوق كتيبة دلفت لأخرى كأن نهـارها رأس صليـــع[1]
إذا لم تستطـــع شيئا فدعه وجاوزه إلى ما تستطيـــع

ومن بني زبيد أيضا عمرو بن الحجاج بن عبد الله بن عبد العزى الزبيـدي كـان من أشراف الكوفة، وكان له مقام محمود في تثبيت بني زبيد عـن الـردة وشـهد قتـل الحسين. ومنهم محمية بن جزء بن عبد يغوث الزبيدي نسبا السهمي بالحلف، هاجر إلى الحبشة وشهد بدرا وولاه النبي ﷺ يومئذ على الأخماس والغنائم وشهد المريسيع، وزوج النبي صلى الله عليه وسلم ابنته من الفضل بن العبـاس فولـدت لـه أم كلثـوم بنت الفضل؛ تزوجها أبو موسى الأشعري.

أبو نواس وبعض ما قيل عن شعره

أما أبو نواس فهو الحسن بن هانئ بن عبد الأول بن الصباح المذحجـي مـن بـني سعد العشيرة أيضا، وقيل كان فارسي الأصل مذحجيا بالحلف، حالف الجـراح بـن الحصين الجعفي ولقب بأبي نواس لنواستين له تنوسان[2] علـى عاتقـه، وكـان جميـل الصورة فكه المحضر كثير الدعابة[3]، وكـان شـاعرا مشـهورا مـن الطبقـة الأولى مـن الشعراء المولدين، قيل انه كان أقدر الناس على الشعر وأطبعهم فيه. وقد دون شـعره

(1) الكتيبة: الفرقة العظيمة من الجيش تشتمل على عدد مـن السـرايا، جمعهـا: كتـائب؛ سميـت بذلـك لاجتماعها. ودلف (كضرب): مشى رويدا كالمقيَّد لتقارب خطوه. والصليع: الذي انحسر الشـعر عن مقدم رأسه أو وسطه.

(2) النواسة (بضم النون): الذؤابة. وتنوس: أي تتحرك وتتذبذب متدلية.

(3) الفكه: الطيب النفس المزاح الضحوك المِضحاك. والدعابة: اللعب والممازحة بما يستملح.

وكان متينا في اللغة والأدب حاضر البديهة[1] متعصبا لليمانية على المضرية، وللفرس على العـــرب.

وقد أطبق أكثر الشعراء وعلماء الشعر ونقدته على أنه كان أشعر المحدثين بعد بشار، وأكثرهم تفننا وأرصنهم قولا وأبدعهم خيالا مع دقة لفظ وبديع معنى[2]؛ وبرز في كل فن من فنون الشعر وامتاز بقصائده الخمريات ومقطعاته المجونيات وأراجيزه الطرديات (أي في مطاردة الصيد). وقد أخِذ عليه في شعره حتى كفره بعضهم وفسقه آخرون؛ وكان شعره لقاح الفساد والقدوة السيئة لنقله الغزل من أوصاف المؤنث إلى المذكر والخروج بذلك من مألوف العرب وآدابهم إذ لم يكن ذلك معروفا قبله وزاد على ذلك انفراده بالإبداع في وصف الخمر؛ فكان نموذج سوء لمن تأخر عنه، وقد رمي بشربها. ومن شعره في ذلك:

ألا فاسقـــني خمرا وقل لي هي الخمر ... ولا تسقني سرا إذا أمكـــن الجهر

وصرح بمن تهوى ودعني من الكنى ... فلا خير في اللذات من دونها ســتر

وقال:

طاب شــرب الراح مصطبحا ... لا تـــدع من كفـــك القدحا

إنما عمــر الفـــــتى فـرح ... فاغتنم من عمــــرك الفرحا

وقد أكثر من وصف الخمر وله في الصلاة والصوم هجاء. ومن شعره في

---

(1) يقال فلان حاضر البديهة: أي سريع الخاطر، وأجاب على البديهة: أي من غير تفكير، وذو بديهة: أي يفهم ما طرح له من أول وهلة. والبديهة: معرفة يجدها الإنسان في نفسه من غير إعمال للفكر ولا علم بسببها، ويقال أيضا: فلان حاضر الجواب: أي سريع الإتيان به.

(2) التفنن: المهارة. وأرصنهم: أكملهم وأحكمهم قولا، وكلام رصين ورأي رصين أي ثابت ومستحكم. وأبدع الشيء: اخترعه وصنعه على غير مثال سابق فهو بديع. والخيال: إحدى قوى العقل التي يتخيل بها الأشياء. ودقة اللفظ: ضبطه وإحكامه.

التشبيب والمدح:

تقـــول غداة البين إحدى نسائهم	لي الكبد الحرا فسر ولك الصـــبر
وقد خضبتـــــها عبرة فللدمعهــــا	على خدها خد وفي نحـــــرها نحر
وقالت إلى العباس قلـــت فمن إذًا	وما لي إلى العباس معـدى ولا قصر
فهـــل يُكفَلَنْ إلا براحته النــدى	وهل يَزْهُوَنْ إلا بأوصافـــه الشكر؟

وله في الافتخار:

ومستعبد إخـــوانه بثـــرائه	لبســـت له كبرا أبر على الكبر
إذا ضمني يوما وإياه محفـــل	رأى جانبي وَعرا يزيد على الوعر
أخالفــــه في شكله وأجـــره	على المنطق المنزور والنظر الشزر
لقد زادني تيها على الناس أنني	أراني أغناهم وإن كنـت ذا فقر
فوا الله لا يبدي لساني حاجـــة	إلى أحد حتى أغيـــب في القبر
فـــلا يطمعن في ذاك مني سوقة	ولا ملك الدنيا المحجب في القصر
فلو لم أرث فخرا لكانت صيانتي	فمي عن سؤال الناس حسبي من الفخر

ومن أبياته السائرة:

إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت	له عن عدو في ثياب صـــديق

ومنها:

ليـــس على ا لله بمستنكـــر	أن يجمــــع العالم في واحـــد

ثم إنه مع هذا كله كان محبـا للصحابـة والخلفـاء، وقـد رُئـي في النـوم في حالـة حسنة فسئل عن ذلك فقال: نلـت هـذا بأبيـات مدحـت بهـا الخلفـاء الأربعـة بنيـة خالصة وهي مكتوبة على حائط بيتي، فلما نظروا حائطه وجدوا مكتوبا عليه:

إني رضيـــت عليا قدوة حسنا	كما رضيت عتيقا صاحب الغار
وقد رضيت أبا حفص وسيرته	وما رضيت بقتل الشيخ في الدار
إن كنـــت تعلم أني ما أحبهم	إلا بحبك فاعتقـــــني من النار

ورئي أيضا في النوم بعد موته فقال: غفر لي ربي بأبيات في طـي الفـراش، فلما أصبح الرائي وجدها فيه كما قال وهي:

يا رب إن عظمت ذنوبي كثرة — فلقد علمـت بأن عفوك أعظم
أدعوك رب كما أمرت تضرعا — فإذا رددت يدي فمن ذا يرحم
إن كان لا يرجـوك إلا محسن — فمن الذي يدعـو ويرجو المجرم
ما لي إليك وسيلـة إلا الرجا — وجميل عفْـوِكَ ثم إني مسلم

ولعل الناظم يشير إلى هذا بقوله: **المنيب بعد**[1]. ومن جيد شعره في وصف النرجس[2] قوله:

تأمل في رياض الأرض[3] وانظر — إلى آثـار ما صنـع المليك
عيون من لجين جاريـات — على أطرافها الذهب السبيك[4]
على قضب الزبرجد[5] شاهدات — بأن الله ليـس له شـريك

ومات أبو نواس ببغداد سنة مائة وتسع وتسعين. والله أعلم.

ثم قال رحمه الله:

---

(1) وقد أحسن الناظم رحمه الله في ذكره حيث أتى باسمه وكنيته ونسبه ونسبته إلى قبيلته ولوح لما كان عليه من المعاصي أول أمره وما صار إليه من التوبة في آخر عمره.

(2) النرجس (بكسر النون والجيم): نبت من الرياحين ومنه أنواع تزرع لجمال زهرها وطيب رائحتها، وزهرهُ مستدير أبيض أو أصفر تشبه به الأعين واحدته نرجسة.

(3) الرياض: جمع روضة وهي أرض مخضرة بأنواع النبات والبستان الحسن.

(4) اللجين (بالتصغير): الفضة ولا مكبر له. والسبيك: المذاب من الذهب أو الفضة والمخلص من الخبث المفرغ في قالب. والسبيكة: القطعة من الذهب أو الفضة مصبوبة على صورة معلومة كالقضبان ونحوها، وكل قطعة مستطيلة من معدن ، جمعها: سبائك.

(5) القضب: القطع. والزبرجد: حجر كريم يشبه الزُّمُرُّذَ وهو ذو ألوان كثيرة أشهرها الأخضر المصري والأصفر القبرصي.

... .. وَهَكَـذَا الْبُخَارِي مِنْ جُعْفِهَا السَّمَـاذِعِ الْخِيَارِ
كَذَا ابْنُ غَفَلَـةَ سُوَيْدُ الأَبَـرّ مُرْدِي الْغَضَنْفَرِ وَكَاسِرُ حَجَرْ
بِضَرْبَةٍ وَفَـضَّ مَخْتُومًا عَلَى قَافٍ وَكَافٍ مِّنْ سِنِيهِ قَدْ خَلاَ

قوله **البخاري** (بياء النسب الخفيفة): مبتدأ خبره **هكذا** قبله، وهي نسبة إلى مدينة مشهورة تعرف ببخارى[1] (بوزن سكارى). وقوله **من جعفها** (بضم الجيم): خبر ثان، والضمير فيه عائد على مذحج. **والسماذع**: جمع سميذع: للسيد الكريم الشريف. **والخيار** (بكسر الخاء المعجمة): جمع خير وهو المختار، وهما صفتان لجعفي بن سعد العشيرة، وجمع الوصف باعتبار أفراد القبيلة. وقوله **ابن غفلة** (بالغين المعجمة وبوزن حمزة): مبتدأ خبره الجار والمجرور قبله. **وسويد** (بالتصغير): بدل من **ابن**. **والأبر ومردي وكاسر** (كلها بالرفع) صفات لابن **غفلة**. **والأبر**: المطيع والمتقي. **ومردي**: أي مهلك وهو مضاف لمفعوله. **والغضنفر** (كجحنفل[2]): الأسد. وفاعل **مردي**: ضمير مستتر عائد على سويد. وقوله **بضربة** متعلق **بكاسر**. **وفض مختوما**: أي أزال ختمه، والمراد بالمختوم: الذي لم يصب قبله. وقوله **على قاف وكاف**..إلخ: أي بعد أن مضت من عمره مائة وعشرون سنة (فالقاف في حساب الجمل عبارة عن مائة والكاف عن عشرين)[3]. وقوله **من سنيه** (بكسر السين): جمع سنة، وحذفت نونه للإضافة. والضمير في **سنيه** عائد على سويد. **وخلا**: أي مضى. يعني أن سويد بن غفلة هذا تزوج بكرا بعد أن مضت من عمره

---

(1) تقع في الجنوب الغربي مما كان يعرف بالاتحاد السوفياتي.
(2) الجَحَنْفَل: الغليظ الشفة.
(3) كثيرا ما يستعمل الناظم في نظمه هذا وفي سائر أنظامه العدد بأرقام الحروف وهو مصطلح سائد في قطرنا الشنقيطي وفي سائر أقطار المغرب كلها.

مائة وعشرون سنة. يقول: ومن مذحج ثم من بني جعفى منهم: الشجاع المشهور سويد بن غفلة والحجة الحافظ محمد بن إسماعيل البخاري الجعفيان.

أما بنو جعفي (بوزن كُرسي[1]) فهم بطن من مذحج وهم بنو جعفى بن سعد العشيرة بن مذحج، والنسبة إليهم: جعفي (بلفظ جدهم من غير زيادة ولا نقص)، وقد تفرعت من جعفي قبائل عديدة يقول فيها لبيد:

قبائل جعفي بن سعد كأنما سقى جمعهم ماء الزعاق منيم[2]

ترجمة الإمام البخاري

وأما البخاري فهو إمام الحديث في زمانه أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه[3] الفارسي الأصل الجعفي بالحلف والولاء[4]. ولد البخاري يوم الجمعة بعد الصلاة لثلاث عشرة ليلة خلت من شوال سنة أربع وتسعين ومائة ببخارى، ومات عنه أبوه إسماعيل وهو صغير فنشأ بها يتيما في حجر أمه، وقد ترك له أبوه مالا كثيرا لم يكن فيه درهم حراما ولا من شبهة ـ كما قال إسماعيل عند وفاته ـ فحفظ البخاري القرآن وألم بالعربية وهو صغير وحبب إليه سماع الحديث فكان أول سماعه من علماء بخارى، وقد ألهم حفظ الحديث وهو في

---

(1) كما في القاموس المحيط وغيره.

(2) منيم (بضم الميم): أي مهلك كأنه جعل الموت نوما.

(3) بردزبه: بفتح الباء الموحدة وسكون الراء وكسر الدال المهملة وسكون الزاي وفتح الباء الموحدة بعدها هاء، ومعناه بالفارسية الزَّرَّاع.

(4) كان جده بردزبه فارسيا على دين قومه ثم أسلم ولده المغيرة بن بردزبه على يد اليمان الجعفي فنسب إليه نسبة ولاء فقيل له: الجعفي لذلك وأتى بخارى وكان إسماعيل بن إبراهيم (والد البخاري) من أهل العلم والورع، سمع من مالك وحماد بن زيد.

الكُتَّاب وعمره إذ ذاك عشر سنين ـ أو أقل ـ فلما كان ابن ست عشرة سنة حفظ كتب ابن المبارك ووكيع وعرف كلام أصحاب الرأي ثم خرج مع أمه وأخيه أحمد إلى الحج ـ وكان أحمد أسن منه ـ فأقام هو بمكة مجاورا يطلب العلم ورجع أخوه إلى بخارى ومات بها.

ولم يناهز البخاري البلوغ حتى حفظ عشرات الألوف من الأحاديث وكان أهل الرغبة في الحديث يتعادون خلفه ويجلسون في بعض الطرق ويكتبون عنه وهو بعد شاب لم يطر شاربه[1]، فلما بلغ ثمان عشرة صنف كتاب قضايا الصحابة والتابعين ثم صنف التاريخ، ثم تجول في طلب العلم ودخل كثيرا من البلدان كخراسان والشام والعراق ومصر ودخل الجزيرة مرتين والبصرة أربع مرات، وأقام بالحجاز ستة أعوام ودخل الكوفة وبغداد ما لا يحصى كثرة مع المحدثين؛ وأخذ عنه كثير من علماء هذه البلدان وأئمتها وكان يحفظ كل ما سمع من المشايخ أثناء تنقله ومقامه عن ظهر قلب؛ وكانت مشايخه لا تحصى كثرة وكان جلهم يحدث عن أتباع التابعين وبعضهم عن التابعين وفيهم المتأخر عن ذلك، وتفقه على مذهب الشافعي ثم صار له مذهب خاص. ولما نضج علمه واجتمع له يقينه شرع في تمييز الأحاديث الصحيحة من غيرها بعد أن عرف عللها ووجوهها معرفة لم تتم لأحد قبله، فصنف كتاب الجامع المسند الصحيح الذي يعرف بصحيح البخاري؛ فكان أول كتاب صنف في الحديث الصحيح المجرد، فصنفه في ستّ عشرة سنة. وروي عنه أنه قال: ما أدخلت فيه حديثا إلا بعد ما استخرت الله تعالى وصليت ركعتين وتيقنت صحته. وقد اتفق علماء الشرق والغرب على أنه ليس بعد كتاب الله تعالى

---

(1) لم يطر: أي لم ينبت، قال الشاعر:

منا الذي هو ما إن طر شاربه والعانسون ومنا المرد والشيب

أصح من صحيحي البخاري ومسلم، والجمهور على ترجيح البخاري على مسلم لأنه أكثر فوائد منه، وقال النسائي: ما في هذه الكتب أجود منه. ومما يرجح به أنه لا بد عنده من ثبوت اللقاء، وأما مسلم فاكتفى بإمكانه ورجح البعض صحيح مسلم؛ ولبعضهم:

تخالف قوم في البخاري ومسلم لديَّ وقالوا أي ذين تقدم
فقلت لهم فاق البخاري صحة كما فاق في حسن الصناعة مسلم

وكان من أسباب جمعه له ما روي عنه قال: كنا عند إسحاق بن راهويه فقال: لو جمعتم كتابا مختصرا لصحيح سنة رسول الله ﷺ ، قال: فوقع ذلك في قلبي فأخذت في جمع الجامع الصحيح، وروي عنه أيضا قال: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم وكأنني واقف بين يديه وبيدي مروحة أذب بها عنه، فسألت بعض المعبرين فقال لي: أنت تذب عنه الكذب؛ فهو الذي حملني على إخراج الجامع الصحيح.

وروي عن محمد بن أبي حاتم البخاري قال: رأيت محمد بن إسماعيل البخاري في المنام يمشي خلف النبي ﷺ فكلما رفع النبي صلى الله عليه وسلم قدمه وضع البخاري قدمه في ذلك الموضع. وكان رحمه الله غاية في الورع لم يغتب أحدا منذ علم أن الغيبة حرام، وكان جوادا كثير الإحسان على الطلبة كثير العبادة والتلاوة، ومن شعره قوله:

اغتنم في الفراغ فضل ركوع فعسى أن يكون موتك بغته
كم صحيح رأيت من غير سقم ذهبت نفسه الصحيحة فلته

ومنه:

إن عشت تفجع بالأحبة كلهم وبقاء نفسك لا أبا لك أفجع

وقد شهد للبخاري كثير من أجلاء عصره، ومَن بعدهم، بالعلم والفقه والدراية بالحديث؛ فقد قال فيه يعقوب بن إبراهيم ونعيم بن حماد الخزاعي: محمد بن إسماعيل

البخاري فقيه هذه الأمة، وقال فيه محمد بن بشار: هو أفقه خلق الله في زماننا، وقال فيه أيضا ـ وكان البخاري إذ ذاك قادما على البصرة ـ: قدم اليوم سيد الفقهاء، وقال فيه إسحاق بن راهويه: يا معشر أصحاب الحديث انظروا إلى هذا الشاب واكْتُبُوا عنه فإنه لو كان في زمن الحسن بن أبي الحسن البصري لاحتاج إليه لمعرفته بالحديث وفقهه. وقال فيه رجاء بن رجاء الحافظ: هو آية من آيات الله تمشي على ظهر الأرض. وقال فيه الحسين بن حريث: لا أعلم أني رأيت مثل محمد بن إسماعيل كأنه لم يخلق إلا للحديث. وقال أحمد بن إسحاق: من أراد أن ينظر إلى فقيه بحقه وصدقه فلينظر إلى محمد بن إسماعيل. وقال يحيى بن جعفر البيكندي: لو قدرت أن أزيد من عمري في عمر محمد بن إسماعيل لفعلت فإن موتي يكون موت رجل واحد وموت محمد بن إسماعيل فيه ذهاب العلم. وكتب إليه أهل بغداد كتابا فيه:

المسلمون بخير ما بقيت لهم وليس بعدك خير حين تفتقد

وبقي البخاري طول حياته يتردد بين الأمصار حتى اشتاق إلى بلاده فرجع إليها فابتلي فيها بفتنة الجبر على القول بخلق القرآن فأثار عليه والي بخارى العامة حتى أخرجوه منها، فخرج إلى خَرَتْنك[1] (قرية من قرى سمرقند على فرسخين منها) وكان له بها أقرباء فنزل عندهم وأقام أياما فمرض فأوصاهم أن يكفنوه في ثلاثة أثواب ليس فيها قميص ولا عمامة ثم دعا بدعوات ثم اضطجع فقبض ففعلوا، فلما وضعوه في قبره فاحت من تراب قبره رائحة طيبة كالمسك ودامت أياما فجعل الناس يختلفون إلى القبر يأخذون من ترابه حتى جعل عليه خشب مشبك. وكانت وفاته ليلة السبت ـ ليلة عيد الفطر ـ سنة ست وخمسين ومائتين(256)هـ عن اثنتين

(1) خرتنك: مدينة سوفياتية في وسط آسيا.

وستين سنة إلا ثلاثة عشر يوما. وقد أحسن الكمال بن أبي شريف في تاريخه له بقوله: "ولد في صدق ومات في نور" تغمده الله برحمته، ومناقبه رحمه الله لا تحصى، ومما مدح به قول بعض الشعراء:

علا عن المدح حتى ما يزان به	كأنما المدح من مقداره يضع
له الكتاب الذي يتلو الكتاب هدى	هادي السيادة طود ليس ينصدع
الجامع المانع الدين القويم وسنْ	نَة الشريعة أن تغتالها البدع
قاصي المراتب داني الفضل تحسبه	كالشمس يبدو سناها حين ترتفع
ذلت رقاب جماهير الأنام له	فكلهم وهو عالي سنهم خضعوا
لا تسمعن حديث الحاسدين له	فإن ذلك موضوع ومنقطع ..إلخ.

وأما ابن غفلة فهو أبو بهثة سويد بن غفلة بن عوسجة بن عامر بن وادع بن معاوية بن الحارث بن مالك بن سعد بن عوف بن حَريم بن جعفي بن سعد العشيرة الجعفي، ولد عام الفيل فكان لدة لرسول الله ﷺ، أدرك الجاهلية ولم ير النبي صلى الله عليه وسلم وكان شريكا لعمر في الجاهلية وكان زاهدا متواضعا؛ وقد أدى الصدقة إلى مصدق النبي ﷺ، ثم قدم المدينة يوم دفن النبي صلى الله عليه وسلم وشهد اليرموك ثم شهد القادسية فصاح الناس: الأسد الأسد.. فخرج هو إليه فضربه على رأسه بالسيف فمر في فَقار ظهره حتى خرج من عكوة ذنبه[1] وأصاب حجرا ففلقه. وإلى ذلك أشار الناظم بقوله: **مردي الغضنفر وكاسر حجر بضربة..**

---

(1) الفقار: جمع فقارة (بفتح الفاء فيهما) وهي الخرزة من خرزات الظهر أي واحدة من عظام السلسلة العظمية الظهرية الممتدة من الرأس إلى العُصعُص وعدتها في الإنسان ثلاث وثلاثون فقارة، سبع في العنق واثنتا عشرة في الظهر بين الأضلاع وخمس في البطن وخمس في العجز وأربع في العُصعص، وهو أصل الذنب في أسفل العمود الفقاري من الإنسان، كالفقرة (بالتحريك) وجمعها: فقرات. والعكوة (بسكون الكاف وفتح وضم العين المهملة): أصل الذنب.

ثم شهد رضي الله عنه صفين مع علي كرم الله وجهه. وتزوج سويد هذا جارية بكرا وهو ابن مائة وست عشرة ـ أو عشرين ـ سنة فافتضها؛ قال حنش بن الحارث: كان سويد بن غفلة يمر بنا وله امرأة في النخع فكان يختلف إليها وقد أتت عليه سبع وعشرون ومائة سنة. وإلى ذلك أشار بقوله: **وفض مختوما**..إلخ. وسكن سويد بن غفلة الكوفة حتى مات بها في زمن الحجاج سنة إحدى وثمانين وهو ابن مائة وخمس وعشرين، وقيل سبع وعشرين ومائة سنة.

ومن جعفي أيضا سلمة بن يزيد بن مشجعة الجعفي الصحابي ويعرف بسلمة بن مليكة، وهي أمه. ومنهم أيضا أخوه لأمه قيس بن سلمة بن شراحيل بن الشيطان بن الحارث بن الأصهب الجعفي، وفد على النبي ﷺ ، وكان جده شراحيل بن الشيطان كثير الغارات قتلته بنو جعدة بن كعب من بني عامر بن صعصعة، وابنه إياس عقد له عمر على مذحج وهمدان.

ولقيس بن سلمة هذا يرثي أخاه سلمة بن مليكة:

أقول لنفسي في الخلاء ألومها	**لك الويل ما هذا التجلد والصبر**
ألم تعلمي أن لستُ ما عشتُ لاقيا	**أخي إذ أتى من دُون أوصاله القبر**
وكنت أرى كالموت من بين ليلة	**فكيف ببين كان ميعاده الحشر**
وهوَّن وجدي أنني سوف أغتدي	**على إثره يوما وإن نفس العمر**
فتى كان يعطي السيف في الروع حقه	**إذا ثوب الداعي وتشقى به الجزر**
فتى كان يدينه الغنى من صديقه	**إذا ما هو استغنى ويبعده الفقر**

وكان لسلمة: كريب وقيس، وكان كريب شريفا في قومه ولأخيه قيس صحبة.

ومن بني جعفي أيضا الجراح بن الحصين بن الحارث الجعفي، استعمله ابن الزبير على وادي القرى ثم قال له: "أكلتَ تمري وعصيتَ أمري". ومنهم أبو سبرة يزيد

بن مالك بن عبد الله بن الذؤيب الجعفي وفد على النبي ﷺ هو وابناه سبرة وعبد الرحمن، فأقطعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وادي جعفي باليمن وكان اسمه وادي جردان. وولّى الحجاج ابنَه عبد الرحمن بن أبي سبرة على أصبهان. وابنُه خيثمة بن عبد الرحمن بن أبي سبرة الفقيه.

ومن بني جعفي أيضا خولي وهلال وعبد الله بنو أبي خولي بن عمرو بن زهير الجعفيون، شهدوا بدرا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ولما أنهى الكلام على مذحج أخذ يتكلم على إخوتهم طيئ، فقال رحمه الله وعفا عنه:

بنو طيئ بن أدد*

وَوَلَدَتْ مَذْحِـــجُ زَوْجُ أُدَدِ   طَــيًّا وَمَالِكًا أَبَا ذَا الْعَــدَدِ
وَطَيِّئُ مِنْ غَوْثِـــهِ نَبْهَانُ   ثُعَلُ جَيَّانُ كَـــذَا بَـــوْلَانُ

قوله **مذحج**: فاعل ولدت. **وزوج** - بدون تاء (وهو الأفصح) -: صفة مذحج. **وأدد** (كصرد) هو ابن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان. **وطيا**: مفعول به لولدت. **وطي** (بتشديد الياء وبدون همزة): لغة في طيئ، ومنه قول الشاعر:

وحاتم طي إن طــوى الموت جسمه   فنشر اسمه في الجـــود صار مخلدا

وقول الآخر:

وحـــولك طـــيٌّ وأنعامـــها   ...

قوله **ومالكا**: عطف على **طيا**. وقولـه **أبا**: صفة لـ**مالكا**، وهو مضاف لـ**ذا العدد**. **وأل في العدد** عهدية، أي العدد الذي مر الكلام عليه؛ وهو بنو عنس وسعد العشيرة وقرن والنخع وزبيد وجعفي وغيرهم..

يعني أن مالكا وطيئا ابني أدد بن زيد بن يشجب أمهما مذحج بنت ذي منشجان بن حمير واسمها مدلة، وقد مر غير بعيد القول بأن مذحجا لقب امرأة لقبت باسم أكمة ولدت عندها فنسبت إليها ذرية ابنيها طيئ ومالك، كما مر أيضا القول بأنه لقب لمالك بن أدد، أخي طيئ؛ لقب به لأنه ولد بالأكمة المذكورة فأطلق اسمه على ذريته.

---

* تناول الناظم الكلام على طيئ في نحو ستة عشر بيتا وذكر من بطونهم خمسة وذكر من أعيانهم نحو خمسة عشر رجلا وامرأة.

وقد أشار الناظم رحمه الله بهذا البيت إلى ما ذكره صاحب الحلة السيراء وغيره؛ قال في الحلة: ومذحج في الأصل أم مالك وطيئ ابني أدد واسمها دلة بنت ذي منشجان بن حمير. وفي نهاية الأرب للقلقشندي قال: وكان لأدد من الولد مرة ونبت ـ وهو الأشقر ـ وطيئ ومالك، فأما مرة ونبت فأمهما مُدلة بنت ذي منشجان بن حمير، وأما طيئ ومالك فأمهما مذحج، واسمها دلة بنت ذي منشجان. ومقتضى ما ذكره أن مذحجا يطلق على طيئ ومالك وذريتهما، والتحقيق ـ كما فرع عليه النسابون ـ أن مذحجا لا يطلق على طيئ، وإنما يطلق على ذرية أخيه مالك، سواء على القول بأن مذحجا لقب لأمهما دلة بنت ذي منشجان أو بأنه لقب لمالك بن أدد بن زيد بن يشجب؛ فقد خصته غلبة الاستعمال بمالك دون طيئ. أما مالك بن أدد فقد مر الكلام على ذريته كما أشار إليه الناظم هنا، وأما طيئ فأخذ يتكلم عليهم حيث قال: **وطيئ من غوثه**..إلخ، فقوله **طيئ** (بوزن طيب): مبتدأ. و**نبهان** (كسكران): مبتدأ أيضا خبره الجار والمجرور قبله، والجملة خبر **طيئ**. والضمير في **غوثه** عائد على **طيئ**. يعني أن من الغوث بن طيئ: **نبهان**..إلخ. وقوله **ثعل**[1] (كصرد)، و**جيان** (كشداد): معطوفان على **نبهان** بحذف العاطف، وقوله **كذا بولان**: عطف عليه أيضا؛ و**بولان** (بوزن سكران) واسمه غصين بن عمرو.

يقول: ومن بطون الغوث بن طيئ بنو نبهان وبنو ثعل وبنو جيان وبنو بولان الطائيون. فأما نبهان وثعل وبولان فبنو عمرو بن الغوث بن طيئ، وأما جيان فهو

---

(1) الثعل في الأصل: يقال لخلف صغير زائد في أخلاف الناقة وفي ضرع الشاة وسمي به ثعل بن عمرو بن الغوث هذا وهو جد بطن من طيئ.

ابن جرم بن عمرو بن الغوث بن طيئ. أما طيئ فهو جُلْهُمَة بن أُدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ، ولقب طيئا لأنه أول من طوى بئرا ويقال أول من طوى المناهل[1] ولطيئ من الولد فُطرة والغوث والحارث، أمهم عدية بنت الآمري من بني مهرة بن حيدان. وكانت منازلهم باليمن فخرجوا منه على اثر خروج الأزد منه ونزلوا سُميرا وقَبَل[2] في جوار بني أسد ثم غلبوهم على أجأ وسلمى ـ وهما جبلان في بلادهم[3]ـ فعرفا بعد ذلك بجبلي طيئ واستمروا بهما حتى جاء الإسلام فافترقوا في أول الفتوحات الإسلامية.

وكانت طيئ من أعظم بطون كهلان وقد تفرعت منها بطون كثيرة ومتشعبة وقد ذكر الناظم بعضها مقتصرا عليه ولذا أتى **بمن** التبعيضية. ومن بطون طيئ بنو فطرة وبنو الغوث ابني طيئ وتفرعت من بطن فُطرة بطون أخرى منهم: بنو خارجة بن سعد بن فطرة ويقال لهم بنو جديلة (نسبوا إلى أمهم)، منهم الثعالب الآتي ذكرهم، ومنهم أيضا بنو أحمد بن الحارث بن ثمامة بن مالك بن جدعاء بن ذهل بن رومان، كانوا بالموصل وجدهم أحمد هذا هو أول من سمي أحمد في الجاهلية. ومنهم أيضا طريف بن مالك بن عميرة بن تيم بن عوف بن مالك الطائي، نزل عليه امرؤ القيس الكندي؛ وفيه يقول:

لنعم الفتى تعشو إلى ضوء ناره ۞ طريف بن مال ليلة الجوع والخصر[4]

---

(1) قال شاعرهم:

فإن الماء ماء أبي وجدي ۞ وبئري ذو حفرت وذو طويت

(2) سمير (كزبير): جبل في ديار طيئ. وقبل (بالموحدة محركا): اسم جبل قرب دومة الجندل.

(3) عرف أجأ: بأجأ بن عبد الحي كان قد صلب في ذلك الجبل، وعرف سلمى بسلمى بنت حام كانت قد صلبت عليه.

(4) تعشو: تنظر. وابن مال: أصله ابن مالك فرخمه في غير النداء ضرورة. والخصر: البرد الشديد.

إذا البازل الكوماء راحت عشيـــة تـلاوذ من صوت المبسين بالشجر[1]

وأما الغوث بن طيئ فقد تفرعت منه بطون كثيرة منهم بنو نبهان بن عمرو بـن الغوث بن طيئ. ومن بني نبهان بنو سـعد وبنـو نـائل ابـني نبهـان، وذكرهمـا امـرؤ القيس الكندي في قوله:

بنو ثعـــل جيرانها وحماتــها وتمنــــع من رماة سعد ونائل

فمن بني نائل بن نبهان زيد الخيل بن مهلهل، ومن بني سـعد بـن نبهـان قحطبـة بن شبيب بن خالد بن معدان وعبد الحميد بـن ربعـي بـن خـالد بـن معـدان، ومـن الغوث بن طيئ أيضا بنو جيان بن جرم، واسمه ثعلبة بن عمرو بن الغوث بـن طيـئ؛ وإليهم ينسب الإمام أبو عبد الله **محمد بن مالك** الطائي الجياني النحوي صاحب التصانيف المشهورة كالتسهيل والكافية الشافية والخلاصة؛ ولد بالاندلس ونشـأ بهـا ثم سافر إلى الشام فنزل بدمشق ومات بها. وقيل جـرم لقـب ثعلبـة بـن عمـرو بـن الغوث وجرم اسم أمه الـتي حضنتـه فعـرف بهـا، وبنـو جـرم هـم شمجـان وقمـران وجيان، وقيل جرم لقب جيان بن عمرو، وبلاد جرم غزة والداروم مما يلي السـاحل إلى الجبل وبلد الخليل عليه السلام. ومن بطن جرم سنان بن الفحل الطائي مـن بـني كهف الظلم؛ وكانوا قد اختصموا هم وبنو هرم بن العشراء مـن بـني فـزارة في مـاء وهم متجاورون مختلفون، فقال في ذلك سنان:

وقالوا قد جننـــت فقلت كلا وربي ما جننت وما انتشـــيت

---

(1) البازل: الناقة المسنة التي بلغت التاسعة وهو وصف يستوي فيه المذكر والمؤنث. والكوماء: العظيمـة السنام لسمنها. وتلاوذ: تلوذ بالشجر وتروغ والمبسون: الذين يدعونها للحلـب، يقـال: أبسسـت للناقة إذا قلت لها: "بس بس" لتدر. وبالشجر: أي بحظائره، ويروى: بالسحر لأن من النـوق نوقـا لا تحلب إلا إذا طلعت الشمس عليها ودفئت.

ولكني ظلمت فكـــدت أبكي   من الظلـــم المبين أو بكيـــت
فإن الماء ماء أبي وجـــــدي   وبئري ذو حفـرت وذو طويت[1]
وقبلك رب خصـــم قد تمالوا   علي فما هلعـــت ولا دعوت[2]
ولكــــــني نصبت لهم جبيني   وألة فارس حتى قريـــــــت[3]

ومن جرم أيضا عامر بن جوين الطائي الجرمي شاعر جاهلي كان سـيدا شـريفا فارسا، ولكنه كان خليعا تبرأ منه قومه لجرائره وفتكه[4] ثـم أسـره بشـر بـن حارثـة وهبيرة بن صخر الكلبي في نفر من قومهم وهو شيخ قـد عـاش مـائتي سنة فجعلـوا يتدافعونه لكبره، فقال: لا يكن لعامر بن جوين الهوان، فقالوا له: إنك لهـو؟ فذبحـوه ومضوا؛ فأقبل ابنه الأسود بن عامر فلما رأى أباه قتيلا تتبعهم فأخذ منهم ثمانية نفـر ـ وكانوا قتلوا عامرا وقد هبت الصبا ـ فجعل كلما هبت الصبـا ذبـح واحـدا منهـم حتى أتى عليهم. ومن ولد الأسود هذا قبيصة بن الأسود بـن عـامر بـن جويـن، لـه صحبة؛ وفد على رسول الله ﷺ هو وزيد الخيل وزر بن سُـدوس النبهـاني ومـالك بن حَسَرِيّ المعني وقيس بن كســفة وقيـس بـن حليـف الطريفيـان وعـدة مـن طيـئ فأناخـوا ركابهم بباب المسجد.

ومن الغوث أيضا بنو بولان بن عمرو بن الغوث، منهم الثلاثة الذين يقال إنهم هم الذين وضعوا الخط العربي. ومن بطـون الغـوث أيضـا بنـو ثعـل بـن عمـرو بـن

---

(1) **ذو** فيهما بمعنى التي.

(2) تمالأ القوم على كذا: اجتمعوا وتعاونوا عليه. وهلع: جزع جزعا شديدا.

(3) الألة: الحربة العريضة النصل أو اللامعة أو كل أداة للحرب.

(4) الخليع: الذي تبرأ منه أهله فلا يطالَبون بجنايته. والجرائر: جمـع جريـرة وهـي الجنايـة والذنـب، وفي المثل: "في الجريرة تشترك العشيرة" يضرب في الحث على المواساة والتعاون. وفتـك فتكـا: كـان جريئا شجاعا يركب ما هم من الأمور ودعت إليه النفس.

الغوث بن طيئ وفيهم البيت والعدد، وهم المعروفون بالإجادة في الرمي؛ منهم عمرو بن المسبِّح بن كعب بن طريف الطائي الثعلي، وإياه يعني امرؤ القيس بقوله:

رب رام من بني ثعل متْلج كفيه في قتره[1]

عارض زوراء من نشم غير باناة على وتره[2]

قد أتته الوحش واردة فتنحى النزع في يسره[3]

إلى أن يقول:

فهو لا تنمي رميته ماله لا عد من نفره[4]

وقد عاش عمرو هذا مائة وخمسين سنة وأدرك النبي ﷺ ووفد عليه وأسلم. وقد تفرعت من بني ثعل بن عمرو هؤلاء بطون عديدة منهم بنو بُحتُر وبنو معن ابني عتود بن عُنين بن سلامان بن ثعل، وهما بطنان ضخمان.

فمن بني بحتر الشاعر المجيد أبو عبادة الوليد بن عبيد بن يحيى الطائي الشهير بالبحتري، من مشاهير شعراء الإسلام ويقال لشعره سلاسل الذهب؛ له ديوان شعر وكتاب الحماسة (على غرار حماسة أبي تمام)، توفي سنة أربع وثمانين ومائتين.

---

(1) متلج: أي مدخل وهو من أتلج أصله أولج. والقتر: جمع قترة وهي حفرة يستدفئ فيها الصائد ويكمن فيها عن الوحش لئلا يفطن له فينفر منه.

(2) العارض: الذي يرمي عن القوس بالعرض كما يفعل العرب. والزوراء: التي فيها اعوجاج. والنشم: شجر تتخذ منه القسي. وغير باناة: أي غير منحن على الوتر عند الرمي. ورجل باناة: هو الذي يحني صلبه إذا رمى فيذهب سهمه على وجه الأرض وذلك عيب.

(3) تنحى: تحرف أي تمدد. واليسر: الرمي قبالة الوجه.

(4) يقال أنمى رميته: إذا رماها فجرت بالسهم وغابت عنه، وأصماها إذا أصابها فماتت مكانها، وفي الحديث: «كل ما أصميت ودع ما أنميت». وقوله: ماله لا عد من نفره: دعاء له يوهم الدعاء عليه.

ومن بني معن بن عتود مجير الجراد مدلج بن سويد بن مرثد بن خيبري، وابن عمه الطرماح الأكبر بن عدي بن عبد الله، كان خارجيا؛ ومن ولده أبان بن الصمصامة بن الطرماح، كان راوية للأشعار واللغة سكن بالقيروان وإفريقية.

ومنهم أيضا عدي بن عمرو بن سويد بن زبان بن عمرو بن سلسلة بن غنم بن ثوب بن معن بن عتود الطائي المعني الشاعر، جاهلي أدرك الإسلام وأسلم؛ ومن شعره في إسلامه:

تركت الشعر واستبدلت منه ... إذا داعي صلاة الصبح قاما

كتاب الله ليس لهُ شريك ... وودعت المدامة والندامى

وودعت القِداح وقد أراني ... بها سدكا[1] وإن كانت حراما

ومن بني ثعل أيضا بنو أخزم والنجد ابني أبي أخزم بن ربيعة بن جرول بن ثعل (بطنان ضخمان) منهم بنو عدي بن أخزم رهط حاتم الطائي الجواد المشهور، ومنهم بنو مر وبنو الحر ابني أخزم بن أبي أخزم.

ومن بني ثعل بنو سنبس بن معاوية بن ثعل، منهم دليل خالد بن الوليد إلى الشام رافع بن عميرة الطائي السنبسي، ومنهم معن بن قيس بن عائذ بن قيس الطائي السنبسي، خاصم عدي بن حاتم يوم صفين في الراية، وابن عمه زيد بن حصن بن وبرة بن جرير السنبسي كان رأس الخوارج يوم النهروان. ومنهم أيضا السليل بن زيد بن مالك بن المعلى الذي غرق يوم جاز المسلمون دجلة إلى المدائن ولم يغرق منهم يومئذ غيره.

ومن بني الغوث بن طيئ أيضا بنو هني بن عمرو بن الغوث منهم إياس بن قبيصة بن أبي عفر بن النعمان بن حية بن سُعنة بن الحارث بن الحويرث الطائي،

---

(1) سدكا (بفتح فكسر): أي مولعا بها.

ولاه كسرى أبرويز على الحيرة بعد آل المنذر؛ وكان أحد رجالات العرب وكان رئيسا عليهم في وقعة ذي قار. ومنهم أبو زبيد حرملة بن المنذر بن معدي كرب بن حنظلة بن النعمان بن حية بن سعد بن الغوث بن الحارث بن ربيعة بن مالك بن هني الطائي، الشاعر المشهور؛ كان من المعمرين، قيل عاش مائة وخمسين سنة ومات على نصرانيته [والعياذ بالله] وقد أدرك الإسلام ولم يُسلم، قيل كان من وزراء ملوك العجم، وإن عمر بن الخطاب استعمله على صدقات قومه؛ ولم يستعمل نصرانيا غيره، وكان عثمان يقربه ويدني مجلسه وأدرك زمن معاوية، وكان مقيما في الجاهلية في أخواله بني تغلب بالجزيرة، وفي الإسلام كان منقطعا إلى الوليد بن عقبة بن أبي معيط في ولاية الجزيرة وولاية الكوفة، قيل لم يزل به الوليد إلى أن أسلم ومات الوليد قبله فمر أبو زبيد بقبره فوقف وقال:

يا هاجري إذ جئت زائره   ما كان من عاداتك الهجر

يا صاحب القبر السلام على   من حال دون لقائه القبر

قيل إنه لما مات دفن بجانب الوليد فمر بهما أشجع السلمي فقال:

مررت على عظام أبي زبيد   وقد لاحت ببلقعة صَلود[1]

وكان له الوليد نديم صدق   فنادم قبره قبر الوليد

ومن طيئ أيضا ثم من بني الغوث الشاعر الأديب البليغ أبو تمام حبيب بن أوس بن الحارث بن قيس بن الأشج بن يحيى، له كتاب الحماسة الذي دل على غزارة علمه وكمال فضله وإتقان معرفته بحسن اختياره، وله مختار أشعار القبائل

---

(1) البلقع والبلقعة: الأرض القفر والمكان الخالي من كل شيء جمعه: بلاقع، ويقال: "دار بلقع" أي مقفرة، وفي الحديث: «اليمين الكاذبة تدع الديار بلاقع». والصلود: وصف للمبالغة أي الصلبة التي لا تنبت شيئا.

وهو دون الحماسة وله ديوان شعر. مات سنة اثنتين وثلاثين ومائتين، وقد قيل في صحة انتسابه إلى طيئ. ومن ولد عمرو بن الغوث أيضا غيث وبُدَين وحسن وحسين، وهم الأحلاف دخلوا في بني أخيهم هني بن عمرو. ومن ولده أيضا علي وأنعم وظبيان وتَدول ورُضي بنو عمرو دخلوا في بولان بن عمرو بن الغوث. ومن ولده أيضا مر وعدي وخالد بنو عمرو، أمهم كلهم المسك بنت ذي رعين.

ومن بني طيئ نفسه الحارث بن طيئ دخل في مهرة بن حيدان وكانوا أخواله ـ كما مر. ومن طيئ أيضا قسامة بن رواحة بن حُلٍّ ـ شاعر جاهلي ـ وهو القائل:

لبيس نصيب القوم من أخويهم طراد الحواشي واستراق النواضح
وما زال من قتلى رزاح بعالج دم ناقع أو جاسد غير ماصح[1]
دعا الطير حتى أقبلت من ضرية دواعي دم مُهراقُه غير بارح[2]
عسى طيئ من طيئ بعد هذه ستطفئ نارا في الحشى والجوانح

ومنهم أيضا حسان بن حنظلة بن أبي رهم بن حسان بن حية بن شعبة الطائي القائل:

تلك ابنة العدوي قالت باطلا أزرى بقومك قلة الأموال
إنا لعمر أبيك يحمد ضيفنا ويسود مقترنا على الإقلال
غضبت علي أن اتصلت بطيئ وأنا امرؤ من طيئ الأجبال
وأنا امرؤ من آل حية منصبي وبنو جوين ـ فاسألي ـ أخوالي
وإذا دعوت بني جديلة جاءني مرد على جرد المتون طوال
أحلامنا تزن الجبال رزانة ويزيد جاهلنا على الجهال

---

(1) جسِد الدم: يبس وبه لصق فهو جاسد وجسيد. ومصح الشيء: زال أو كاد، والشيْءُ في الأرض: ذهب فيها ورسخ.

(2) المهراق: السائل والجاري. وبرح مكانه: زال عنه وغادره فهو بارح.

ومنهم أيضا واقد بن الغطريف بن طريف بن مالك الطائي وهو القائل وكان مريضا فحموه الماء واللبن:

يقولـون لا تشرب نسيئا فإنه وإن كنت حـــرًّانا عليك وخيم

لئن لبن المعزى بماء مويســـل بغَانِــيَ داءً إنني لسقيـــــم[1]

ومنهم أيضا حابس بن سعد بن المنذر بن ربيعة الطائي، له صحبة شهد صفين مع معاوية وقتل بها. ويحكى أن عمر بن الخطاب أراد أن يوليه قضاء حمص، فأخبره أنه رأى الشمس أقبلت من المشرق ومعها جمع عظيم والقمر أقبل من المغرب ومعه كذلك فاقتتل الفريقان؛ فقال له عمر: مع أيهما كنت؟ قال: مع القمر، قال: كنت مع الآية الممحوة، لا وليت لي عملا أبدا!.

ثم شرع يتكلم على بني ثعل[2] بن عمرو بن الغوث؛ وبدأ بهم لأن فيهم البيت والعدد، فقال رحمه الله:

مِن ثُعَلٍ حَاتِـــمُ سِبْطُ أَخْزَمِ يُحَـــفُّ بِالْمَلَكِ فِي جَهَنَّمِ

مِن جُـــودِهِ أَنَّ ضَرِيحَهُ نَحَرْ لِضَيْفِـهِ نَاضِحَـــهُ ثُـــمَّ أَمَرْ

عَدِيًّا ابْنَـــهُ بِإِعْطَاءِ جَمَـــلْ وَنَاقَـةٍ لَـــهُ فَبَرَّ وَامْتَثَـــلْ

حاتم مبتدأ خبره الجار والمجرور قبله. **وسبط** (بالرفع): صفته وهو مضاف لأخزم. **وأخزم**: بالخاء والزاي المعجمتين. وجملة **يحف**..إلخ: صفة لحاتم أيضا. ونائب فاعل **يُحفُّ** ضمير مستتر عائد على **حاتم**. **والمَلَك** (بفتح اللام): واحد

---

(1) النسيء: اللبن المخلوط بالماء. والحران: الشديد العطش. والوخيم: الثقيل. ومويسل (بالسين المهملة): تصغير مأسل اسم ماء لطيئ. وبغاني: أكسبني.

(2) ذكر من أعيان بني ثعل أربعة رجال وامرأة.

الملائكة. والضمائر البارزة في **من جوده وضريحه ولضيفه وابنه** كلها عائدة على حاتم. **والضريح**: القبر أو الشق في وسطه جمعه ضرائح. **والناضح**: الراحلة والبعير يستقى عليه (جمعه نواضح)، والضمير المضاف إليه والضمير في **له** كل منهما عائد على **ضيفه**. وفاعل **أمر**: ضمير مستتر عائد على حاتم. وقوله **فبر**: أي أطاع؛ وقوله **وامتثل**: عطف تفسير عليه، وفاعلهما: ضمير مستتر عائد على **عدي**.

يقول: ومن بني ثعل بن عمروبن الغوث المتقدم ذكرهم الجواد المشهور حاتم طيئ.

حاتم طيئ ونماذج من جوده

وهو أبو عدي حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج بن امرئ القيس بن عدي بن أخزم بن أبي أخزم[1] بن ربيعة بن جرول بن ثعل بن عمرو بن الغوث بن طيئ الطائي، أمه غنية بنت عفيف بن عمرو بن امرئ القيس بن عدي بن أخزم الطائية، قيل إنها كانت لا تبقي شيئا سخاء وجودا.

وكان حاتم هذا أحد أجواد العرب وفرسانهم وشعرائهم، وقد ضاع معظم شعره وبقي منه ديوان، وكان مظفرا مجدودا[2]؛ فكان إذا قاتل غلب وإذا غنم أنهب

---

(1) أبو أخزم هذا اسمه هَزُومة وهو صاحب المثل: "شنشنة أعرفها من أخزم"، وأصلهُ أنه كان له ابن يقال له: أخزم ـ وكان عاقا ـ فمات وترك بنين فوثبوا يوما على جدهم أبي أخزم بن ربيعة فأدموه فقال:

إن بني ضرّجوني بالدم   من يلق آساد الرجال يكلم

ومن يكن درء به يقوم   شنشنة أعرفها من أخزم

يعني أنهم أشبهوا أباهم في العقوق. والدرء: الميل والعوج. والشنشنة: العادة والطبيعة.

(2) المظفر (بوزن معظم): الذي لا يحاول أمرا إلا ظفر به. والمجدود: العظيم الحظ.

وإذا سئل وهب وإذا ضرب بالقداح فاز وإذا سابق سبق وإذا أسر أطلق، وكان يقسم با لله لا يقتل واحدَ أُمِّه. وكان أشهر جواد في العرب معروفا بذلك عند الخاصة والعامة حتى ضرب به المثل في الجود فقيل "أكرم من حاتم"؛ فكان له في الكرم والسخاء خلق غريب وسجية باينت سجايا غيره من الأجواد، فكان لا يشقّ له غبار في ذلك[1]؛ وكان حيثما نزل عرف منزله. يروى أنه لما شب وترعرع جعل يخرج طعامه فإن وجد من يأكل معه أكل وإن لم يجد طرحه، فلما رأى أبوه ذلك منه قال له: الحق بالإبل ووهب له غلاما وجارية وفرسًا وفلوها[2]، فلما أتى الإبل طفق يبغي الناس ويتعرض لهم في الطريق، فبينما هو كذلك إذ نزل به ركب فقالوا له: يا فتى هل من قرى؟ فقال: تسألوني القرى وقد ترون الإبل! (قيل كان ذلك الركب عبيد بن الأبرص وبشر بن أبي حازم الأسديين والنابغة الذبياني وهم يقصدون النعمان بن المنذر)، فنحر لهم ثلاثا من الإبل، فقال عبيد: إنما أردنا بالقرى اللبن وكانت تكفينا بكرة إذا كنت لابد متكلفا شيئا، فقال حاتم: قد عرفت ولكني رأيت وجوها مختلفة وألوانًا متفرقة فظننت أن البلدان مختلفة فاردت أن يذكر كل واحد منكم ما رأى إذا أتى قومه، فامتدحوه بأشعار وذكروا فضله، فقال حاتم: أردت أن أحسن إليكم فكان لكم علي الفضل، وانا أعاهد ا لله أن أضرب عراقيب إبلي عن آخرها أو تتقدموا إليها فتقتسموها! ففعلوا ومضوا على سفرهم؛ فسمع والد حاتم بما فعل ابنه فأتاه وقال له: أين الإبل؟ فقال: يا أبت طوقتك بها مجد[3]

---

(1) السجية: الطبيعة والخلق جمعها: سجيات وسجايا، ويقال: "طلب فلانا فما شق غباره" و"جاراه فما خط غباره": أي لم يدركه.

(2) الفلو (بكسر فسكون وكعَدُوٍّ وسُمُوٍّ): المهر الفطيم أو الذي بلغ سنة.

(3) طوقه: ألبسه الطوق وهو حلي للعنق يحيط به. والمجد: العز والرفعة.

الدهر طوق الحمامة، لا يزال الرجل يحمل بيت شعر اثني به علينا عوضا من إبلك، فقال له: أبإبلي فعلت هذا؟ قال: نعم، قال: وا لله لا أساكنك بعد أبدا، فخرج أبوه بأهله وبقي حاتم وجاريته وغلامه وفرسه وفلوها، فما لبث أن قدم عليه ركب من أسد وقيس يريدون النعمان وقالوا له: إنا تركنا قومنا يثنون عليك خيرا وأرسلوا معنا رسالة، فقال: ما هي؟ فأنشده الأسديون شعرا لعبيد ولبشر يمدحانه به وأنشده القيسيون شعرا للنابغة، فلما أنشدوه قالوا: إنا نستحيي أن نسألك شيئا إلا أن لنا صاحبا قد رجل[1] فقال: خذوا فرسي هذه واحملوه عليها، فأخذوها، وأخذت الجارية فلوها فربطته بثوبها فأفلت منها فتبعته الجارية فقال لهم: خذوا ما تبعكم فهو لكم، فذهبوا بالجميع. وكان حاتم من أهل نجد فرحل إلى الشام وتزوج ماوية بنت حجر الغسانية.

ومما يروى من جوده أنه كان إذا اشتد الجوع وبرد الشتاء يأمر غلاما له أن يوقد النار في يفاع الأرض لينظر إليها مَن ضلَّ الطريق[2] بالليل فيقصدها، فيصيب من قراه، وفي ذلك يقول مخاطبا غلامه:

أوقد فإن الليل ليل قر	**والريح يا واقد ريح صر[3]**
عل يرى نارك من يمر	**إن جلبت ضيفًا فأنت حر**

ومن شعره في الجود والعفاف:

فأقسمت لا أمشي إلى ستر جارتي	**مدى الدهر ما دام الحمام يغرد**
ولا أشتري مالا بغدر علمته	**ألا كل مال خالط الغدر أنكد**

---

(1) رَجَلَ رَجَلاً: سار على رجليه لا راكبا.

(2) ضل الطريق، أو عنه: لم يهتد إليه.

(3) ليل قر (بالفتح): أي بارد. وريح صِر (بالكسر): شديدة البرد أو شديدة الصوت.

إذا كان بعض المال ربا لأهلـه فإني بحمـد ا لله مالي مُعبَّـد
يُفَك به العاني ويُوكـل طيبا ويُعطى إذا من البخيل المصرد[1]
إذا ما البخيـل الخب أخمد ناره أقول لمن يصـلي بناري أوقدوا

وله أيضا:

أماوي إن المـال غاد ورائـحٌ ويبقـى من المال الأحاديث والذكر
أماوي ما يغـني الثراء عن الفـتى إذا حشرجت[2] يوما وضاق بها الصدر
أماوي إن يصبـح صداي بقفرة من الأرض لا مال لـدي ولا ذخر[3]
إذا أنا أدلاني الذين أحبهـم بملحودة زلج جوانبهـا غبر[4]
وراحـوا سراعاً ينفضون أكفهم يقولـون قد أدمى أناملنا الحفر!
تري أن ما أنفقـت لم يك ضـرني وأن يدي مما بخلـت به صفـر[5]
وقد علم الأقـوام لو أن حاتـما أراد ثـراء المال كان له وفـرُ

وله أيضا:

وعاذلتين هبتا بعـد هجعـة تلومان متـلافا مفيدا ملوما
لحى ا لله صعلوكا يساور همـه ويمضي على الأحداث والهـول مقدما

---

(1) المصرد: الذي سقي دون الري أي إطفاء الغليل.

(2) فاعل حشرجت: ضمير مستتر عائد على النفس محذوفة لدلالة الفتى عليها فهي جزء منه، والحشرجة: الغرغرة عند الموت وتردد النفس.

(3) الصدى: جسد الإنسان بعد موته، يقال: "هم اليوم أعداء وهم غدا أصداء" أي موتى. والقفرة: الأرض لا ماء فيها ولا كلأ ولا ناس. والذخر (بضم فسكون): اسم لما يخبأ لوقت الحاجة، ويقال: ذخر لنفسه حديثا حسنًا: أي أبقاه لها.

(4) ملحودة: أي ذات لحد وهو الشق يكون في جانب القبر. وزلج المكان (كفرح) فهو زلج (بسكون اللام وكسرها وزليج): أي زلق واملاسَّ، والغبر (جمع أغبر وغبراء) التي لونها الغبرة.

(5) صفر (بكسر فسكون): أي خالية.

إذا ما رأى يوما مكارم أعرضت تيمـــم كبراهن ثمتَ صمما

وله أيضا:

أعاذل إن المال غــير مخلد وإن الغنى عاريــة فتزود
وكم من جواد يفسد اليوم جوده وساوس قد ذكرنه الفقر في غد
وكم ليم آبائي فما كف جودهم مــلام ومن أيديهم خلقت يدي

وله في وصف طارق:

عرا آيسا شبه الجنون وما بــه جنــون ولكن كيد أمر يحاوله
فأثقبت ناري ثم أبرزت ضوءها وأخرجت كلبي وهو في البيت داخله
وقلت له أهلا وسهلا ومرحبا رشــدت ولم أقعد إليه أسائله
وقمت إلى بزلٍ هجانٍ أعدهـا لوجبــة حــق نازل أنا فاعله

وأشعاره في هذا المعنى كثيرة، وقد مدحه كثير من الشعراء ولهجوا بذكره وأصبح اسمه مقرونا بذكر الجود والكرم، ومما قيل فيه:

وحاتم طي إن طوى الموت جسمه فنشــر اسمه في الجود عاش مخلدا

ولأبي تمام الطائي يفتخر بكرم طيئ ويذكر جماعة من مشاهير أجوادهم:

أنا ابن الذين استرضع الجود فيهم وسُمِّي فيهــم وهو كهل ويافع
سما بي أوس في السماح وحاتم وزيد القنا والاثرمان ونافــع
وكان إياس ما إياس وعــارفٌ وحارثة أوفى الورى والأصامع
نجــومٌ طواليعٌ جبالٌ فوارعٌ غُيوثٌ هواميعٌ سُيــول دوافعُ
مضوا وكأن المكرمات لديهــم لكثــرة ما أوصوا بهن شرائع

ويحكى أن بعض أصحاب رسول الله ﷺ سأل زوجة حاتم بعد ما أسلمت فقال لها: حدثيني ببعض غرائب حاتم في الكرم؛ فقالت: أصابت طيئا مجاعة أفنت

الخف والظلف[1]، وقد أفنى حاتم ماله في تلك المجاعة بذلا وعقرا وبيعا في الزرع والتمر ليطعم الجائع والطارق، حتى أنه لم يبق في ملكه غير فرسه، وبتنا طاوِيَين وسفَّانة وعدي صبيان وقد أجهدهما الجوع، فجعل يعلل عديا لينام وجعلت أعلل سفانة. فلما ناما أقبل علي يحدثني ليشغلني بذلك عن ألم الجوع لعلي أنام، فنومت نفسي شفقة عليه، فقال لي: أنمت؟ فلم أجبه فظن أني قد نمت فجلس؛ فبينما هو كذلك إذا بسواد قد أقبل فقال: من هذا؟ فقالت: جارتك فلانة وقد تركت صبياني يتضورون[2] جوعا، فقال لها: والله لأشبعنهم وإياك فارجعي إلى بنيك وائتيني بهم! فرفعت رأسي وقلت له: وبم تشبعهم؟ وما نومنا صبياننا إلا بالتعليل فأخذ سيفه فعقر فرسه ثم ذبحه وأجج نارا ثم أمر المرأة أن تأكل وتشبع صبيانها، وأيقظ سفانة وعديا وناولني المُدية فقال: كلي وأطعمي صبيانك وعبيدك ثم نهض فقال: والله إنه للؤم أن نشبع وأهل الحي جياع، فذهب إلى الحي يوقظ أهل كل بيت فيقول لهم هلموا إلى النار فإن آل حاتم قد نحروا، فاجتمع أهل الحي على النار حتى لم يتركوا من ذلك الفرس إلا عظامه وحوافره وحاتم متقنع بردائه فوالله ما طعم منه مضغة وقد كان أحوجَنا إليه وأشدنا جوعا؛ قالت امرأته نوار: فعذلته على ذلك فأنشأ يقول:

مهــلا نوار أقلي اللوم والعــذلا ... ولا تقولي لشيء فات ما فعــلا

ولا تقولي لشيء كنت مهلكــه ... مهلا وإن كنت معطي العنس والجملا

يرى البخيــل سبيل المال واحـدة ... إن الجــواد يرى في ماله سبلا

---

(1) المجاعة: عام الجدب ويقال: "عام مجاعة أو مَجْوَعة" أي فيه جوع. والخف (بالضم): للبعير والنعام كالحافر لذوات الحافر. والظلف (بالكسر): الظفر المشقوق للبقرة والشاة والظبي ونحوها، يقال: "فلان له الخف والظلف": أي الأنعام؛ والمراد: أن تلك المجاعة أهلكت جميع الأنعام.

(2) تضور: تلوى من شدة الجوع.

وتوفي حاتم في السنة الثامنة من مولد النبي ﷺ سنة وفاة عبد المطلب، أي قبل الهجرة بست وأربعين سنة ودفن فوق عُوَارِض (وهو جبل في بلاد طيئ)[1].

وقول الناظم: **يُحف بالملك في جَهنم**.. لم أقف بعد على ما يشير إليه؛ وقد سمعت من بعض المشايخ في تقرير هذا البيت أن حاتما يحفُّه الملَك بأجنحته في النار ليخف عنه حرها بسبب سخائه وكرمه. ويشهد لذلك ما ورد في فتح الودود شرح المقصور والممدود قال: "يروى أن الله يجعل له في النار بيتا من برد فلا يجد ألم النار لجوده وكرمه ولا يدخل الجنة لأن الله حرمها على المشركين". وفي زهر الأفنان أن النبي ﷺ قال لعدي بن حاتم: «إن الله قد رفع عن أبيك العذاب الأليم بسبب سخائه»[2].

وقد روي عن عدي بن حاتم قال: قلت للنبي ﷺ إن أبي كان يطعم المساكين ويعتق الرقاب ويصل الرحم فهل له في ذلك أجْرٌ؟ قال: «إن أباك رام أمرًا فأدركه»[3]، يعني الذكر.

ثم استطرد الناظم في مجال ذكر جود حاتم قصة مشهورة، ذكرها كثيرون منهم ابن قتيبة في الشعر والشعراء[4] وابن كثير في تاريخه[5] والمسعودي[6] وغيرهم..

---

(1) عوارض (بالضم): جبل فيه قبر حاتم ببلاد طيئ [القاموس المحيط]، ويقع الآن في السعودية.

(2) وفي الحديث: «السخاء شجرة من أشجار الجنة أغصانها متدليات في الدنيا فمن أخذ بغصن منها قاده ذلك الغصن إلى الجنة..» الحديث، وفيه أيضا: «السخي قريب من الله قريب من الجنة قريب من الناس بعيد من النار» ـ رواه الترمذي والدارقطني والبيهقي في الشعب، والطبراني في الأوسط، وابن عدي في الكامل، والخطيب في التاريخ، والديلمي في مسند الفردوس.

(3) أخرجه الأمام أحمد في مسنده وابن كثير في السيرة النبوية.

(4) ص: 106.

(5) ج: 2 ص: 212.

(6) ج: 2 ص: 141.

وحاصلها أن رجلا يقال له: أبو الخيبري مر في نفر من قومه من بني عبد القيس بقبر حاتم وحوله أنصاب متقابلة من حجارة كأنها نسوة نوائح، فنزلوا حوله فجاءه أبو الخيبري حتى وقف عند القبر وجعل يركضه برجله ويقول: يا أبا عدي اقْرِ أضيافك! فقال له أصحابه: ويلك أتكلم رمة بالية؟! فقال: إن طيئا تزعم أنه ما نزل به أحد إلا قراه، ثم عاد إلى قومه فناموا، فلما كان آخر الليل وثب أبو الخيبري فزعا وجعل يصيح: واراحلتاه.. فاستيقظ أصحابه فقالوا له: ويلك مالك؟ فقال: قام حاتم والله بالسيف من قبره ـ وأنا أنظر إليه ـ حتى عقر ناقتي! قالوا: كذبت، قال: بلى والله، فطلبوا راحلته فإذا هي منخزلة لا تنبعث[1] فنحروها وقالوا له: قد والله قراك حاتم. فظلوا يأكلون من لحمها ثم أردفوا صاحبهم وانطلقوا، فبينما هم كذلك إذا هم براكب فنظروا فإذا هو عدي بن حاتم راكبا يقودُ جملا فقال لهم: أيكم أبو الخيبري؟ فقالوا: هو هذا، فقال: جاءني أبي في النوم فذكر لي شتمك إيَّاه وأنه قراك أنت وأصحابك براحلتك وقد قال لي في ذلك أبياتًا رددها علي حتى حفظتها وهي:

أبا خيبريٍّ لأنت امرؤ	**ظلوم العشيرة شتّامها**
فما ذا أردت إلى رمة	**بداوية صَخِبٍ هامُها[2]**
تبغّي أذاها وإعسارها	**وحولك طي وأنعامها**
وإنا لنطعم أضيافنا	**من الكوم والسيف يعتامها[3]**

---

(1) أي متثاقلة لا تقوم.

(2) الرمة: العظام البالية. ورم الميت: تقطع وبلي. وأرض دوية (كغنية) وداوية: خالية غير موافقة للإقامة فيها؛ قال ذو الرمة: **ودوية جرداء جداء جنتمت بها هبوات الصيف من كل جانب**

وقال الشماخ بن ضرار: **وداوية قفر تمشى نعاجها كمشي النصارى في خفاف اليرندج**

(3) الكوم (جمع كوماء): للناقة الضخمة السنام. ويعتامها: يختارها ويصطفيها.

ثم قال: وقد أمرني أن أحملك على جمل فدونكه، فأخذه وركبه وذهبوا. وفي رواية أنه أعطاه ناقة وجملا وقال له: هذه الناقة قضاء ناقتك وهذا الجمل يتفضل عليك به، فامتطى أبو خيبري الناقة وتخفف هو وأصحابه من أزوادهم على البكر ومضوا بأتم قرى. وأشار الناظم إلى ذلك بقوله: **ثم أمر عديا ابنه بإعطاء جمل وناقة**..إلخ.

وفي ذلك يقول سالم بن دارة الغطفاني يمدح عدي بن حاتم ويخاطبه:

أبوك أبو سفانـــة الخير لم يــزل ... لدن شب حتى مات في الخير راغبا
به تضرب الأمثال في الجـــود ميتا ... وكان له إذ كان حيا مصاحـــبا
قرى قـــبره الأضياف إذ نزلوا بـه ... ولم يقـــر قبر قبله الدهر راكبا

وروي أن عدي بن حاتم كان يحدث أصحابه بهذه القصة بعد إسلامه [كما في شرح مقامات الحريري للشريشي][1] - والله أعلم.

ثم قال الناظم رحمه الله وعفا عنه:

فَرَّ إِلَى الشَّامِ عَـدِيٌّ مِنْ عَلِي ... إِذْ هَـدَّ فِلْسَهُـــمْ عَلِيُّ الْعَلِي
وَجَاءَ بِالسَّـــبْيِ وَبِنْتِ حَاتِمِ ... وَالْمَالِ وَالثَّلاَثَةِ الصَّـــوَارِمِ
الْمِخْذَمِ الرَّسُـــوبِ وَالْيَمَانِ ... سُيُـــوفِ أَشْرَفِ بَنِي عَدْنَانِ
وَأَنَّبَـــتْ سَفَّانَةُ أَخَاهَـا ... إِذْ قَدِمَتْ عَلَيْـــهِ فَاسْتَفْتَاهَا
وَأَرْشَدَتْهُ لِلْهُـــدَى وَرَغَّبَـــهْ ... فِيهِ النَّبِيُّ بِزَوَالِ الْمَسْغَبَـــهْ
وَرَغَدِ الْعَيْشِ بِكُلِّ الأَرَضِـــينْ ... وَالأَمْنِ فِي كُلِّ الْبِلاَدِ بَعْدَ حِينْ

قوله **من علي**: المراد به علي بن أبي طالب رضي الله عنه. **وهد**: أي هدم

---

(1) راجع الجزء الثاني، الصفحة: 245.

وكسر **فلسهم** أي صنمهم، والضمير عائد على طيئ المتقدم ذكرهم. **والفلس** (بكسر الفاء): صنم لطيئ كانت تعبده وكان بنجد قريبا من فيد سدنته بنو بولان، وفيه يقول الشاعر:

فأقسم بالعتائر حيث فلس ومن نسك الأقيصرِ مِ العباد ..إلخ.

وعلي فاعل **هدَّ**، وفيه الإظهار في محل الإضمار. **والعلي**: الرفيع القدر، صفة لعلي. **والسبي**: ما يسبى ويؤسر من العدو، والغالب تخصيص السبي بالنساء والأسر بالرجال. قوله: **وبنت حاتم والمال والثلاثة** (كلها بالجر): معطوفات على **السبي** وهو من عطف الخاص على العام المشعر بتفضيل الخاص، أي جاء بسبايا طيئ وفيها سفانة بنت حاتم. **والصوارم**: بدل من **الثلاثة**، وهي السيوف القواطع. **والمخذم** (كمنبر وبالخاء والذال المعجمتين): السيف القاطع ـ أيضا. **والرسوب** (كصبور وبراء وسين مهملتين): السيف الذي يغيب في الضريبة. **واليمان**: كسحاب. وهذه الثلاثة: بدل من قوله **الثلاثة الصوارم**. **وسيوف** (بالجر): عطف بيان على قوله: **الثلاثة. والمخذم والرسوب واليمان**: أسماء لسيوف خاصة وجدت مع ثلاثة أدراع في خزانة صنم طيئ الذي يعرف بالفلس، ثم صارت بعد لرسول الله[1] ﷺ. قوله

---

(1) اصطفاها له علي بن أبي طالب من صفي المغنم ، وكانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم من السيوف تسعة أو عشرة: مأثور (وهو أول سيف ملكه) يقال إنه هو الذي دخل به المدينة في الهجرة ، والعضب (أهداه له سعد بن عبادة مع ذات الفضول)، وذو الفقار (غنمه يوم بدر) وكان للعاص بن منبه السهمي وكان لا يفارقه في أي حرب وهو الذي رأى فيه الرؤيَا ليلة أحد (رأى في ذبابه ثلمة) فأولها بأن أحدا من أهله يقتل، فاستشهد عمه حمزة سيد الشهداء رضي الله عنه، ثم صار هذا السيف بعده لعلي بن أبي طالب، وكانت له ثلاثة أسياف أصابها من سلاح بني قينقاع، والقلعي وهو الذي أصابه من قلع (موضع بالبادية)، والبتار والحتف والقضيب ـ [الخميس باختصار] وذات الفضول سميت بذلك لطولها، كما سمي ذو الفقار بذلك لأنه كانت فيه حفر صغار حسان.

وأنّبت: أي عنفت ولامت. **وسفانة** (بفتح السين المهملة وتشديد الفاء) هي بنت حاتم، وقد أسلمت بعدُ وحسن إسلامها وكني بها حاتم كما كني بأخيها عدي أيضا. **وأخاها**: مفعول به **لأنبت**، وهو عدي. وقوله **إذ قدمت عليه**: أي من رجوعها من سبي طيئ. **واستفتاها**: أي سألها عن النبي ﷺ وعن الرأي فيما يفعل معه ـ وكانت سفانة امرأة جزلة حازمة[1] ـ **فأرشدتهُ للهدى**: أي للإسلام. والضمير في **رغبه**: عائد على عدي، وفي قوله **فيه**: عائد إلى **الهدى**. **والنبي**: فاعل **رغبه**. **والمسغبة**: المجاعة. **ورغد العيش**: اتساعه ولينه. وقوله **بعد حين**: أي بعد مدة.

عدي بن حاتم وبعض خبره

يعني أن من بني ثعل بن عمرو بن الغوث أيضا عدي بن حاتم الطائي الذي فر بأهله من جيش رسول الله ﷺ وتوجه إلى الشام. وعدي هذا هو أبو طريف عدي بن حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج الطائي، تقدم نسبه في ترجمة أبيه، كان من الأجواد العقلاء وكان رئيس طيئ في الجاهلية والإسلام، شريفا فيهم وكان خطيبا حاضر الجواب. أسلم سنة تسع وقيل عشر فكان صحابيا جليلا فاضلا كريما، روي أنه قال: ما أقيمت الصلاة منذ أسلمت إلا وأنا على وضوء وما دخل علي وقت صلاة إلا وأنا أشتاق إليها وقال: ما دخلت على النبي ﷺ إلا وسع لي أو تحرك لي؛ ودخلت عليه يوما في بيته وقد امتلأ من أصحابه فوسع لي حتى جلست إلى جنبه.

ولما توفي رسول الله ﷺ وارتدت العرب ومنعت الزكاة كان عدي بن حاتم إذ ذاك في قومه وكان قد أخذ صدقاتهم حتى اجتمعت عنده إبل عظيمة من الصدقة

---

(1) الجزلة: أصيلة الرأي جيدته. والحازمة: الضابطة لأمرها المحكمة له.

فاجتمعت إليه طيئ وقالوا له: إن هذا الرجل قد مات وقد انتقض الناس بعده وقبض كل قوم ما كان فيهم من صدقاتهم فنحن أحق بأموالنا من شذاذ الناس، فقال عدي: ألم تعطوا من أنفسكم العهد والميثاق على الوفاء طائعين غير مكرهين؟ قالوا: بلى ولكن قد حدث ما ترى وقد ترى ما صنع الناس، قال: والذي نفس عدي بيده لا أحبس بها أبدا ولو كنت جعلتها لرجل من المدلج لوفيت له بها فإن أبيتم لأقاتلنكم على ما في يدي وما في أيديكم، فيكون أول قتيل يقتل على وفاء ذمته عدي بن حاتم أو يسلمها، فلا تطمعوا أن يسب حاتما في قبره ابنه عدي من بعده؛ فلا يدعونكم غدر غادر إلى أن تغدروا فإن للشيطان قادة عند موت كل نبي يستخف بها أهل الجهل حتى يحملهم على قلائص الفتنة وإنما هي عجاجة لا ثبات لها ولا ثبات فيها، إن لرسول الله ﷺ خليفة يلي هذا الأمر وإن لدين الله أقواما سينهضون ويقومون به بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قاموا بعهده ولئن فعلتم لينازعنكم على أموالكم ونسائكم بعد قتل عدي وغدركم، فأي قوم أنتم عند ذلك؟ فلما رأوا منه الجد كفوا عنه وسلموا له.

وروي أنهم قالوا له: أمسك ما في يديك فإنك إن فعلت تسد الحليفين - يعنون طيئا وأسدا - فقال: ما كنت لأفعل حتى أدفعها إلى أبي بكر، فخرج بها هو وابنه يحثانها إلى المدينة، فلما كان ببطن قناة لقيته خيل لأبي بكر، ثم سار حتى قدم بها على أبي بكر في المدينة ودفعها إليه وكانت ثلاثمائة بعير. فكانت أول صدقة قدمت على خليفة رسول الله ﷺ ؛ فلم يزل بعد ذلك لعدي بن حاتم شرف وفضل على غيره.

ولما بعث أبو بكر رضي الله عنه أول جيش لقتال أهل الردة بقيادة خالد بن الوليد انضم إليه عدي بن حاتم في ألف رجل من طيئ وكانت جديلة - وهي بطن من طيئ - معرضة عن الإسلام وقد همت أن ترتد، فجاءها مكيث بن زيد الخيل

الطائي فقال: أتريدون أن تكونوا سبة على قومكم؟ لم يرجع رجل واحد من طيئ وهذا أبو طريف عدي بن حاتم معه ألف رجل من طيئ. و لم يزل بهم حتى ثبتهم، فلما نزل خالد بن الوليد بزاخة قال لعدي: يا أبا طريف ألا نسير إلى جديلة فنقاتلها؟ فقال عدي: يا أبا سليمان لا تفعل أقاتل معك بيدين أحب إليك أم بيد واحدة؟ فقال خالد: بل بيدين قال عدي: فإن جديلة إحدى يدي فكف خالد عنهم؛ فجاءهم عدي فدعاهم إلى الإسلام والجهاد فأجابوه لذلك فحمد الله وسار بهم إلى خالد ففرح بهم خالد ورحب بهم، واعتذروا له من اعتزالهم وقالوا له: نحن لك حيث أحببت، فلم يرتد من طيئ رجل واحد.

وقدم عدي بن حاتم يوما على عمر بن الخطاب مع وفد من قومه، فجعل عمر يفرض للرجل ويعرض عن عدي فقال له عدي: ما أظنك تعرفني؟ فقال عمر: وكيف لا أعرفك وأول صدقة بيضت وجوه أصحاب رسول الله ﷺ صدقة طيئ؟ بلى والله أعرفك ويعرفك من في السماء؛ آمنت إذ كفروا وعرفت إذ أنكروا وأقبلت إذا أدبروا ووفيت إذ غدروا. فقال عدي: حسبي يا أمير المؤمنين حسبي.. لا أبالي إذًا. وقد أشار عمر بن الخطاب رضي الله عنه بذلك إلى ما قام به عدي من منع قومه ومن معهم من الردة وقدومه على أبي بكر بإبل الصدقة، وفي ذلك يقول الحارث بن مالك الطائي:

وفينا وفاء لم ير الناس مثله — وسربلنا مجدا عدي بن حاتم

وقد قال ابن الأثير عن عدي بن حاتم: انه خير مولود في أرض طيئ وأعظمه بركة عليهم. وشهد عدي فتح العراق ثم كان مع علي بن أبي طالب في جميع مشاهده وفقئت عينه يوم الجمل وكان بنو عمه: ملحان وحلبس ولام - بنو غطيف بن حارثة بن سعد بن الحشرج - مع معاوية في صفين، وهم إخوة عدي بن حاتم لأمه.

وروي أن عديا بن حاتم دخل يوما على معاوية فقال له معاوية: ما فعلت الطَّرَفَاتُ[1]؟ ـ يعني أولاده ـ فقال: قتلوا مع علي، قال: ما أنصفك علي قتل أولادك وأبقى أولاده، فقال عدي: ما أنصفت عليا إذ قتل وبقيت بعده، فقال معاوية: أما إنه بقيت قطرة من دم عثمان ما يمحوها إلا دم شريف من أشراف اليمن، فقال عدي: إن القلوب التي أبغضناك بها لفي صدورنا وإن أسيافنا التي قاتلناك بها لعلى عواتقنا، ولئن أدْنيت إلينا من الغدر فترا لندنين إليك من الشر شبرا[2]، وإن حز الحلقوم وحشرجة الحيزوم[3] لأهون علينا من أن نسمع المساءة في علي، فسلم السيف يا معاوية لباعث السيف، فقال معاوية: هذه كلمات حكم فاكتبوها، وأقبل على عدي محادثا له كأنه لم يكلمه بشيء!.

ومات عدي بالكوفة سنة سبع وستين ـ وقيل ثمان وستين ـ عن مائة وعشرين سنة، وقتل ابنه طريف بن عدي مع الخوارج. وانقطع عقب عدي بن حاتم رضي الله عنه.

وحاصل ما أشار إليه الناظم بهذه الأبيات أن عديا ابن حاتم قال لراع له: أعِدَّ لي جمالا سمانا ذللا[4] فاحبسها قريبا مني فإذا سمعت بجيش محمد قد وطئ هذه البلاد فآذِنّي، ففعل؛ ثم أتاه غدوة وقال: يا عدي ما كنت صانعا إذا غشيتك خيل محمد فاصنعه الآن فإني قد رأيت رايات فسألت عنها فقالوا: هذه جيوش محمد (وكان

---

(1) الطرفات (محركة): هم طريف وطرفة ومُطَرِّف بنو عدي بن حاتم قتلوا بصفين.

(2) الفتر (بكسر فسكون): ما بين طرف الإبهام وطرف السبابة إذا فتحها، والشبر (بالكسر): ما بين طرف الإبهام وطرف الخنصر ممتدين.

(3) الحز: القطع. والحلقوم: الحلق. والحيزوم: وسط الصدر. وحشرجته: تردد النفس فيه.

(4) ذللا (جمع ذلول): وهو الجمل السهل الذي قد ارتاض.

رسول ا لله ﷺ قد بعث عليًّا بن أبي طالب إلى الفلس - وهو صنم طيئ - يهدمه وبعث معه مائة وخمسين رجلا من الأنصار على مائة بعير وخمسين فرسا وكان ذلك في ربيع الآخر من سنة تسع). فلما أعلم الراعي عديا بخيل المسلمين احتمل بأهله وولده وعجل عن اخته سفانة بنت حاتم وتوجه إلى الشام، فأغارت خيل علي بن أبي طالب على طيئ فكسر صنمهم "فلسا" وحرقه وسبى نساءهم وأموالهم؛ وكانت في السبي سفَّانةُ بنت حاتم. فجاء بسباياهم إلى رسول ا لله ﷺ في المدينة فجعلت في حظيرة عند باب المسجد تجعل بها السبايا، فمر بها رسول ا لله ﷺ، قال علي: فقامت جارية عيطاء لعساء[1] فلما رأيتها أعجبت بها وقلت لأطلبنها من رسول ا لله ﷺ؛ فلما تكلمت أنسيت جمالها بفصاحتها فقالت: يا محمد إن رأيت أن تخلي ولا تشمت بي أحياء العرب فإني ابنة سيد قومي وإن أبي كان يفك العاني ويشبع الجائع ويكسو العاري ولم يردَّ طالب حاجة قط.. أنا ابنة حاتم الطائي، فقال صلى ا لله عليه وسلم: «يا جارية هذه صفة المؤمن ولو كان أبوك مسلما لترحمنا عليه، خلوا عنها فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق»[2] وفي رواية أنها قالت له: يا رسول ا لله هلك الوالد وغاب الوافد فامنن عليَّ منَّ ا لله عليك، فقال لها: «من وافدك»؟ قالت: عدي بن حاتم، قال: «الفار من ا لله ورسوله»[3]. وروي أنه صلى ا لله عليه وسلم قال لها: «قد فعلت فلا تعجلي حتى تجدي ثقة يبلغك بلادك ثم آذنيني»[4]، ثم قدم ركب من بلي فآذنته فحملها صلى ا لله عليه وسلم وكساها

(1) العيطاء: طويلة العنق. واللعساء: التي في شفتها لعس أي سواد مستحسن.

(2) رواه ابن كثير في السيرة النبوية: 4 / 132.

(3) أخرجه أحمد وذكره ابن هشام في سيرته.

(4) رواه ابن إسحاق في المغازي والطبري وأبو نعيم [كما في الإصابة] وأخرج أحمد بعضه.

وأعطاها نفقة، فخرجت معهم حتى قدمت على أخيها عدي بالشام فلامته وقالت له: احتملت بأهلك وولدك وتركت بقية والدك، فقال لها: يا أخية لا تقولي إلا خيرا فوا لله ما لي عذر، ثم سألها وقال: ما ترين في أمر هذا الرجل؟ فقالت: أرى أن تلحق به سريعا فإن يكن نبيا فللسابق إليه فضل وإن يكن ملكا فلن تذل في عز اليمن وأنت أنت، فقال: وا لله إن هذا للرأي؛ فخرج إلى المدينة حتى قدم على رسول ا لله ﷺ فقال له رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم: «يا عدي أسلم تسلم»، فقال عدي: إن لي دينا، فقال له صلى ا لله عليه وسلم: «أنا أعلم بدينك منك»، فقال عدي: أنت أعلم بديني مني؟! فقال رسول ا لله ﷺ: «نعم ألست ترأس قومك»؟ فقال عدي: بلى، قال: «ألست تأكل المرباع»؟ قال: بلى، قال: «ألست ركوسيا»؟ قال: بلى، قال: «فإن ذلك لا يحل لك في دينك»[1]، ثم قال له: «لعلك إنما يمنعك من الدخول في هذا الدين ما ترى من حاجة أهله، أما وا لله ليوشكن المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه، ولعلك إنما يمنعك من الدخول فيه ما ترى من كثرة عدوهم وقلة عددهم، فوا لله ليوشكن أن ترى المرأة تخرج من القادسية على بعير حتى تزور هذا البيت لا تخاف أحدا إلا ا لله»، ثم قال له: «هل أتيت الحيرة»؟ فقال عدي: لم آتها وقد أنبئت عنها، قال: «فإن طالت بك الحياة فلترين الظعينة ترتحل من الحيرة بغير جِوَارٍ[2] حتى تطوف بالبيت»، قال عدي: فقلت في

---

(1) أخرجه أحمد في مسنده، والمرباع: ربع الغنيمة (وكان رئيس القوم المطاع فيهم يأخذه دون أصحابه في الجاهلية). والركوسية: دين بين دين النصارى والصابئين.

(2) الظعينة المرأة ما دامت في الهودج أو عموما، يقال: هؤلاء ظعائنه: أي نساؤه، والجوار (بالكسر): الأمان والعهد واعطاء الرجل ذمة فيكون بها جاره فيجيره، يقال: هو في جواري أي في عهدي وأماني، وفي رواية: «يوشك أن تخرج الظعينة من الحيرة تؤم البيت لا جوار معها لا تخاف إلا ا لله» أخرجه البخاري والترمذي وأحمد.

نفسي: أين دُعَّار طيئ[1] الذين سدوا البلاد؟ ثم قال صلى الله عليه وسلم: «ولتفتحن علينا كنوز كسرى ابن هرمز»، قال عدي: كسرى ابن هرمز؟! فقال صلى الله عليه وسلم: «نعم كسرى ابن هرمز، وليفيضن المال حتى يُهِمَّ[2] الرجل من يقبل صدقته»[3]. قال عدي فرأيت اثنتين: الظعينة ترتحل بغير جوار حتى تطوف بالبيت وكنت في أول خيل أغارت على كنوز كسرى بن هرمز وأحلف بالله لتجيئن الثالثة[4].

وقال معاوية يوما لجلسائه: وددت أن عندنا من يحدثنا عما مضى من الزمن هل يشبه ما نحن فيه اليوم؟ فقيل له إن بحضرموت رجلاً قد أتت عليه ثلاثمائة سنة، فأرسل إليه معاوية فأتي به، فلما أدخل عليه أجلَّه ثم قال له: ما اسمك؟ قال: أَمَدُ بنُ أَبَد، فقال له: كم أتى عليك من السنين؟ قال: ثلاثمائة سنة، فقال له معاوية: كذبت! ثم أقبل على جلسائه فحدثهم ساعة ثم أقبل عليه فقال: حدثنا أيها الشيخ فقال له: ما تصنع بحديث الكذاب؟ فقال: إني والله ما كذبتك وأنا أعرفك بالكذب ولكني أردت أن أختبر عقلك فأراك عاقلا؛ حدثنا عما مضى من الزمن هل يشبه ما نحن فيه؟ فقال: نعم كأنه ما ترى: ليل يجيء من ههنا ويذهب من ههنا، قال: أخبرني عن أعجب ما رأيت، قال: رأيت الظعينة تخرج من الشام حتى تأتي مكة لا تحتاج إلى طعام ولا شراب تأكل من الثمار وتشرب من العيون ثم هي الآن

---

(1) دعار (بضم الدال وتشديد العين): جمع داعر وهو الخبيث المفسد، ودَعِرَ الرجل دَعارة: فجر والدعارة (بفتح الدال وكسرها): الخبث والفسق والفساد.

(2) يُهم الرجل: أي يحزنه.

(3) أخرجه الإمام أحمد في مسنده.

(4) نحوه في ابن هشام.

كما ترى، قال: وما آية ذلك؟ قال: دول الله في البقاع كما ترى.
وروي - أيضًا - عن عدي بن حاتم قال: لما بُعث رسول الله ﷺ كرهته كراهية شديدة فانطلقت حتى كنت في أقصى الأرض مما يلي الروم فكرهت مكاني أشد من كراهته فقلت لو أتيته فإن كان كاذبا لم يخف علي وإن كان صادقًا اتبعته؛ فأقبلت حتى قدمت المدينة فاستشرفني الناس فقالوا: هذا عدي بن حاتم، قال: فأتيت النبي ﷺ في المسجد - وجئت بغير أمان ولا كتاب وقد كان قال قبل ذلك: «إني لأرجو الله أن يجعل يده في يدي» - فقام فأخذ بيدي فلقيته امرأة وصبي معها فقالا: إن لنا إليك لحاجة، فقام معهما حتى قضاها لهما، ثم أخذ بيدي حتى أتى إلى داره فألقت إليه الوليدة وسادة فجلس عليها فجلست بين يديه فقال: «هل تعلم من إله سوى الله»؟ قلت: لا، ثم قال: «هل تعلم شيئا أكبر من الله»؟ قلت: لا قال: «فإن اليهود مغضوب عليهم وإن النصارى ضالون» - وكان عدي نصرانيا - ثم قال: «أسلم تسلم»[1]، فأسلم عدي وحسن إسلامه رضي الله عنه.

ومن طيئ هَلِب بن عدي بن قنافة الطائي، أخو عدي بن حاتم لأمه ويجتمع معه في عدي بن أخزم؛ واختلف في اسمه فقيل يزيد وقيل سلامة (وإنما قيل له الهلب لأنه كان أقرع فمسح النبي ﷺ رأسَهُ فنبت له شعر كثير فسمي الهلب). والله أعلم.

ثم قال رحمه الله وعفا عنه:

مُكَلِّمُ الذِّئْبِ دَلِيلُ خَالِدِ ... لِلشَّامِ رَافِعُ مِنَ الأَمَاجِدِ
وَمِنْهُمُ الْمُجِيرُ لِلْجَرَادِ ... إِذْ حَيُّهُ كَرِجْلِهِ الْغَوَادِي

---

(1) أخرجه الترمذي وأحمد وأخرج البخاري بعضًا منه.

قوله **مكلم** (بوزن معظم): مبتدأ، والمراد به رافع بن عميرة (بوزن سفينة) الطائي[1]، و**دليل خالد** (بالرفع): صفته، والمراد **بخالد**: خالد بن الوليد المخزومي سيف الله وسيف رسوله، و**دليله**: مرشده وهاديه إلى طريق الشام. **ورافع**: بدل من **مكلم الذئب**. وقوله **من الأماجد**: خبر **مكلم الذئب**، وهو جمع أمجد وهو الفائق في المجد أي العز والرفعة، و**أل**: فيه عهدية للإشارة إلى بني ثعلٍ المذكورين.

رافع بن عميرة ودوره في غزوة اليرموك

يعني أن من بني ثعل بن عمرو بن الغوث بن طيئ ثم من بني سنبس منهم: رافع بن عميرة دليل خالد إلى الشام وهو الذي كلمه الذئب. ورافع هذا هو أبو الحسن رافع بن عميرة بن جابر بن حارثة بن عمرو (وهو جِذْرَجَان) بن مخصف بن حرمز بن لبيد بن سنبس بن معاوية بن جرول بن ثعل بن عمرو بن الغوث بن طيئ الطائي السنبسي، ويقال فيه رافع بن عمرو ورافع بن أبي رافع.

كان رافع هذا لصا في الجاهلية يعمد إلى بيض النعام فيجعل فيه الماء فَيَخبؤه في المفاوز، روي عنه أنه قال وهو يحدث عن نفسه: كنت امرأً نصرانيا وكنت أدلَّ الناس وأهداهم، بهذا الرمل أدفن الماء في بيض النعام بنواحي الرمل في الجاهلية ثم أغير على إبل الناس فإذا أدخلتها الرمل غلبت عليها فلم يستطع أحد أن يطلبني فيه حتى أمر بذلك الماء الذي خبأت في بيض النعام فاستخرجه فأشرب منه ـ [قاله في الروض الأنف]. وزعمت طيئ أنه كان في ضأن له يرعاها فجاءه ذئبٌ وكلمه ودعاه إلى رسول الله ﷺ وإلى اللحاق به، وأنشدوا له في ذلك:

---

(1) وقد يلتبس على البعض برافع بن خديج الأنصاري الأوسي الحارثي الصحابي المشهور الذي كان عريف قومه بالمدينة، شهد أحدا والخندق وتوفي سنة أربع وسبعين بالمدينة متأثرا من جراحة.

رعيـــت الضأن أحميها بكلبي من الضبع[1] الخفـي وكل ذيب

فلما أن سمعـت الذئب نادى يبشــرني بأحمد من قــــريب

سعيــت إليه قد شمرت ثوبي على الساقين قاصـدة الركيب

فألفيـت النبي يقــول قولا صدوقا ليـس بالقول الكذوب

فبشــرني بدين الحــق حتى تبينـــت الشريعـة للمنيب

وأبصرت الضياء يضيء حولي أمامـي إن سعيت ومن جُنوبي ..الخ.

فلحق رافع برسول الله ﷺ فأسلم وصحب. وروي أنه سار في جيش غزوة ذات السلاسل[2] بقيادة عمرو بن العاص؛ وكان في ذلك الجيش جلة الصحابة مثل أبي بكر وعمر وأبي عبيدة بن الجراح، قال رافع: قلت لأختارن لنفسي رفيقا

---

(1) في نسخة: "من اللَّصت الخفي"، واللصت (بفتح اللام): اللص في لغة طيئ وجمعه: لصوت قال الشاعر:

فأفسد بطن مكة بعد أنس قـراضبة كأنهـم اللصوت

وقبلـه:

ولكنا خلقـنا إذ خلقنا لنا الحبرات والمسك الفتيت

وصبر في مواطن كل حرب إذا خفت من الفزع البيوت

فأفسد..إلخ.

(2) ذات السلاسل: اسم مكان أو ماء وراء وادي القرى على عشرة أيام من المدينة تجمع به جمع من قضاعة، وقيل من لخم وجذام للإغارة على أطراف المدينة فعلم بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعث إليهم سرية أمر عليها عمرو بن العاص وكانت في جمادي الأخيرة سنة ثمان ـ عقب إسلامه بنحو أربعة أشهر ـ وعقد له لواء أبيض وجعل معه راية سوداء في ثلاثمائة من سراة المهاجرين والأنصار، فساروا الليل وكمنوا النهار حتى قربوا من العدو فبلغهم كثرتهم فأرسلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستمدونه فبعث إليهم أبا عبيدة بن الجراح في مائتين من المهاجرين والأنصار فيهم أبو بكر وعمر، فكان عمرو بن العاص على الجميع يصلي بهم، وساروا حتى وصلوا إلى العدو وحملوا عليهم فهربوا وتفرقوا في البلاد. وقيل سميت ذات السلاسل لأن المشركين ارتبط فيها بعضهم إلى بعض مخافة أن يَفِروا.

صالحا، قال: فوفق لي أبو بكر فكان ينيمني على فراشه ويلبسني كساءً له من أكسية فدك[1]، قال: فقلت له علمني شيئا ينفعني فقال: اعبد الله ولا تشرك به شيئا وأقم الصلاة وتصدق ـ إن كان لك مال ـ وهاجر دار الكفر ولا تتأمَّر على رجلين من المسلمين أبدا[2]. وكان رافع بن عميرة هذا هاديا خريتا[3] وهو دليل خالد بن الوليد من العراق إلى الشام على طريق السماوة؛ فسلك به البر وقطع ما بين الكوفة ودمشق في خمس ليال، لمعرفته بالمفاوز؛ وكان ذلك في غزوة اليرموك (وهي للمسلمين على الروم).

وحاصل ما أشار إليه الناظم من ذلك؛ أنه لما كانت سنة ثلاث عشرة قال أبو بكر رضي الله عنه لأنسين الروم وساوس الشيطان بخالد بن الوليد، فكتب إليه ـ وهو إذ ذاك بالحيرة ـ كتابا يأمره فيه بالسير إلى جموع المسلمين باليرموك والالتحاق

---

(1) فدك: اسم موضع تنسب إليه الثياب الفدكية.

(2) روي أنه أمره أيضا بالغسل من الجنابة وبالصوم والحج، فقال له رافع: يا أبا بكر أما أنا والله أرجو أن لا أشرك بالله أبدا، وأما الصلاة والزكاة والصوم فلن أتركها أبدا إن شاء الله، وأما الحج فسأحج إن شاء الله إن استطعت إليه سبيلا، وأما الجنابة فسأغتسل منها، وأما الإمارة فإني رأيت الناس يا أبا بكر لا يشرفون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وعند الناس إلا بها فلم تنهاني عنها؟ فقال له أبو بكر: إن الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بهذا الدين فجاهد عليه حتى دخل الناس فيه طوعا وكرهًا فلما دخلوا فيه كانوا عواذ الله وجيرانه وفي ذمته، فإياك أن تخفر الله في جيرانه فيتبعك الله في خفرته فإن أحدكم يخفر في جاره فيظل ناتئا عضله غضبا لجاره إن أصيبت له شاة أو بعير، فالله أشد غضبا لجاره. قال رافع: ففارقته على ذلك، فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وبويع أبو بكر بعده قدمت عليه فقلت له: يا أبا بكر ألم تنهني عن الإمارة. قال: بلى وأنا الآن أنهاك عنها، فقلت له: فما حملك على أن تلي أمر الناس؟ قال: لا أجد من ذلك بدا خشيت على أمة محمد صلى الله عليه وسلم الفرقة ـ [الروض الأنف].

(3) الخريت: الماهر بالطريق الذي يهتدي بمثل خرت الإبرة، ويقال له: الخوتع أيضا، قال الراجز:

كأنما الأعلام فيها سير   يضل فيها الخوتع المشهر

بهم وينصحه فيه؛ فامتثل خالد أمره وأخذ يطعن بجيشه في البرية حتى انتهى إلى قراقر وأراد السير منها مُفَوِّزاً إلى سوى[1]، ثم قال: كيف لي بطريق أخرج فيه من وراء جموع الروم؟ فإني إن استقبلتها حبستني عن غياث المسلمين؟ فكلهم قال: لا نعرف إلا طريقا لا يحمل الجيوش وإنما يأخذه الراكب الفذ فإياك أن تغرر بالمسلمين.

فالتمس خالد دليلا فدل على رافع بن عميرة الطائي هذا، فقال له خالد: انطلق بالناس، فقال له رافع: إنك لن تطيق ذلك بالخيل والأثقال وا لله إن الراكب المفرد ليخافها على نفسه وما يسلكها إلا مغررا إنها لخمس ليال لا يصاب فيها ماء مع مضلتها، فقال له خالد: ويحك إنه وا لله لا بد من ذلك، ثم وقف في المسلمين وقال: لا يختلفن هديكم ولا يضعفن يقينكم واعلموا أن المعونة تأتي على قدر النية والأجرَ على قدر الحسبة وأن المسلم لا ينبغي له أن يكترث بشيء يقع فيه مع معونة ا لله له. فتحمس أصحابه وقالوا: أنت رجل قد جمع ا لله لك الخير فشأنك، ثم قال لرافع: إنه قد أتتني من الأمير عزمة بذلك فمر بأمرك، فقال رافع: استكثروا من الماء من استطاع منكم أن يصر أُذن ناقته على ماء فليفعل فإنها المهالك إلا ما دفع ا لله، ثم قال لخالد: التمس لي عشرين جزورا عظاما سمانا فأتاه خالد بهن فعمد إليها فظمأها حتى إذا أجهدها عطشا أوردها الماء عللا بعد نهل[2]، فشربت حتى إذا تملأت عمد إليها فقطع مشافرها (لئلا تجتر)، وقال لخالد: سر؛ فسار خالد مغذا بالخيول

---

(1) اليرموك: واد بناحية الشام ينتهي إلى نهر الأردن. وقراقر: اسم ماء لكلب. والمفوز: من يسلك المفاوز وهي الفلاة لا ماء بها. وسوى (بضم السين): اسم ماء لبهراء على بعد خمس ليال من قراقر.

(2) النهل: الشربة الأولى. والعلل: الشربة الثانية.

والأثقال، فكلما نزل منزلا شق بطن عدد من الإبل فأخذ ما في أكراشها فسقاه الخيل ثم شرب الناس مما حملوا معهم من الماء، ففعلوا ذلك أربعة أيام.

ولما خشي خالد على أصحابه في آخر يوم من المفازة قال لرافع: ويحك يا رافع ما عندك؟ قال: أدركت الري إن شاء الله وشجعهم، ثم قال: أيها الناس انظروا علمين كأنهما ثديان، فلما أتوهما وقف عليهما وقال: اضربوا يمنة ويسرة لعوسجة[1] كقعدة الرجل، قالوا: ما نراها، قال: إنا لله وإنا إليه راجعون هلكتم والله إذن وهلكتُ لا أبا لكم، انظروا. فطلبوا فوجدوا جذمها[2] فقالوا: جذم ولا نرى شجرة، فقال: احتفروا حيث شئتم، فحفروا فنبع الماء؛ فلما رأى ذلك المسلمون كبروا، فقال رافع: أيها الأمير والله ما وردت هذا الماء منذ ثلاثين سنة وما وردته إلا مرة واحدة وأنا غلام مع أبي[3]، فقال أحد شعراء المسلمين:

لله در رافع أنى اهتدى	فوز من قراقر إلى سُوى
خمسا[4] إذا ما سارها الجيش بكى	ما سارها من قبله إنس يرى
لكن بأسباب متينات الهدى	نكبها الله ثنيات الردى[5]

وسار خالد حتى انتهى إلى سُوى - وأهله بهراء - فأغار عليهم قبيل الصبح فدهمهم وسبى منهم ثم سار في طريقه إلى المسلمين ليواجه الروم حتى قدم اليرموك

---

(1) العوسجة: شجرة كثيرة الشوك.

(2) الجذم (بكسر الجيم): الأصل.

(3) في رواية: وأنا غلام مع أبي على رأسي ذؤابة.

(4) في نسخة: أرضًا.

(5) روي أن خالد بن الوليد حين أراد الخروج من الشام قال له محرز بن حريش - وكان يتجر بالحيرة ويسافر إلى الشام - اجعل كوكب الصبح على حاجبك الأيمن ثم أمه حتى تصبح فإنك لا تجور، فجرب ذلك فوجده كذلك.

فانضم إلى جيوش المسلمين واتحدوا، والتقى الطرفان في تعبئة لم ير الراؤون مثلها قط، فنشب القتال بينهم وتضاربوا من لدن ارتفاع النهار إلى جنوح الشمس للغروب فانهزمت الروم وذهبت بهم خيلهم تشتد في الصحراء وتفرقوا في كل مذهب لا يلوون على شيء، وحمل خالد والمسلمون على الرجالين (غير الراكبين) ففضوهم فكأنما هدم بهم حائط، وقتل الله صناديدهم وفرسانهم، وقتل أخو هرقل وانتهت الهزيمة إلى هرقل وهو دون حمص فجعلها بينه وبينهم؛ وفي نفس اليوم جاء إلى خالد والمسلمين نعي أبي بكر الصديق ومبايعة عمر الفاروق رضي الله عنهما.

وتوفي رافع بن عميرة سنة ثلاث وعشرين قبل قتل عمر بن الخطاب.

فائدة: ذكر في الخميس وفي الحلة السيراء؛ أن الذئب كلم ثلاثة من الصحابة هم رافع بن عميرة الطائي هذا وسلمة بن عمرو بن الأكوع وأهبان بن أوس الأسلميان. وفي أسد الغابة: روى أنيس بن عمرو عن أهبان بن أوس أنه قال: كنت في غنم لي فشد الذئب على شاة منها فصحت عليه فأقعى على ذنبه[1] وخاطبني وقال: من لها يوم تشتغل عنها؟ أتنزع مني رزقا رزقنيه الله؟ قال: فصفقت بيدي وقلت ما رأيت أعجب من هذا! فقال: تعجب ورسول الله ﷺ في هذه النخلات ـ وأومأ بيده إلى المدينة ـ يحدث الناس بأنباء ما سبق وأنباء ما يكون وهو يدعو إلى الله وإلى عبادته. فأتى أهبان إلى رسول الله ﷺ فأخبره بأمره وأسلم وصار يعرف بـ"مكلم الذئب".

وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: جاء ذئب إلى غنم فأخذ منها شاةً فطلبها الراعي حتى انتزعها منه، فصعد الذئب على تل فاقعى واستنفر وقال:

---

(1) صاح عليه: زجره ونهره بصوت شديد. وأقعى: جلس على استه وبسط ذراعيه مفترشا رجليه وناصبًا يديه.

عمدت إلى رزق رزقنيه الله انتزعته مني، فقال الرجل: بالله إن رأيت كاليوم! ذئبٌ يتكلم؟! قال الذئب: أعجب من هذا رجل في النخلات بين الحرتين يخبركم بما مضى وما هو كائن عندكم - وكان الراعي يهوديا - فجاء إلى النبي ﷺ فأخبره خبره وصدقه النبي صلى الله عليه وسلم. وروي عن أبي أسيد ربيعة بن مالك الأنصاري الساعدي قال: خرج رسول الله ﷺ ذات يوم إلى بقيع الغرقد[1] فإذا الذئب مفترش ذراعيه، فقال رسول الله ﷺ: «هذا أويس يستطعم» قالوا: رأيك يا رسول الله، قال: «من كل سائمة عشرة» قالوا: كثير يا رسول الله، وفي رواية: أنه صلى الله عليه وسلم قال:«هذا أويس يسألكم من أموالكم»، فقالوا له: لا تطيب له أنفسنا بشيء، فقال له رسول الله ﷺ وأشار بيده أن خالسهم، وإلى ذلك أشار بعض الأدباء إشارة لطيفة حيث يقول:

نحن الذئاب حبانا المصطفى رخصا   أنا لنا ما اختلسنا والذي ضاعا

قوله : **المجير للجراد**: مبتدأ خبره المجرور قبله، والضمير في **منهم** عائد على بني ثعل، والمراد بمجير الجراد: مدلج بن سويد الطائي. وقوله **إذ**: تعليلية. والضمير في **حيه** عائد على مجير الجراد، وفي **رجله** عائد على الجراد؛ ورجل الجراد (بكسر الراء المهملة): القطعة العظيمة منه، **والغوادي**: جمع غاد وغادية: صفة للجراد أي المبكر.

يعني أن من بني ثعل بن عمرو بن الغوث بن طيئ ثم من بني معن بن عتود منهم؛ مدلج بن سويد الطائي مجير الجراد، وشبه عشيرة مدلج بالجراد المنتشر في الكثرة وهو تشبيه شائع، ومنه قول الشاعر:

---

(1) هو مقبرة أهل المدينة.

إذ هن أقساط كرجـــل الدبا أو كقطا كاظمـــة ناهـــل[1]

وأراد به أنه قادر على حماية جاره لكثرة قومه. ومجير الجرادِ هذا هو مدلج بن سـويد بن مرثد بن جبير بن أفلت بن سلسلة بن عمرو بن غنم بن ثوب بن معن بـن عتـود بن عبيد بن سلامان بن ثعل بن عمرو بن الغوث بن طيئ الطائي. ولقب مجير الجراد لأن جرادا بات بفنائه مرة فرأى قوما من طيـئ بـأوعيتهم يريـدون أن يـأخذوا منـه، فركب فرسه وتسلح وقال: وا لله لا يتعرض أحد لهذا الجراد الذي بجواري إلا قتلته، فحرسه حتى طلعت الشمس عليه وطار (الجراد) فقال: شأنكم بـه الآن وقـد تحـول عن جواري! فضرب به المثل فقيل: "أحمى من مجير الجراد".

ومن بني ثعل بن عمرو بن الغوث بن طيئ ـ أيضا ـ ثـم مـن بـني جـرول منهـم: الطرماح الشاعر المشهور، واسمه الحكم بن حكيم ولقب الطرماح لطوله، وهو أحـد فحول الشعراء الإسلاميين وفصحائهم؛ كان صديقا للكميت وقد أنشده يوما:

إذا قبضت نفس الطرماح أخلقت عرى المجد واسترخى عنان القصائد

فقال الكميت: إي وا لله وعنان الخطابة والرواية والفصاحة والشجاعة.

ومن شعر الطرماح:

لقد زادني حبا لنفســـي أنني بغيــض إلى كل امرئ غير طائل
وإني شقي باللئام ولا تـــرى شقيا بهم إلا كـــريم الشمائل
إذا ما رآني قطــع الطرف بينه وبيني فعل العارف المتجاهـــل

---

(1) هن ضمير عائد على الخيل المفهومة مـن مقـام الحـرب. وأقسـاط (جمـع قسـط): أي فـرق وقطـع. والرجل (بكسر الراء): القطعة من الجراد المجتمعـة. والدبـا (بفتـح الـدال مشـددة وبالبـاء الموحـدة مقصورًا): صغار الجراد.

ملأت عليه الأرض حتى كأنها   من الضيق في عينيه كفة حابل[1]
أكل امــرئ ألفى أباه مقصرا   معاد لأهل المكـــرمات الأوائل
إذا ذكرت مسعاة والده اضطنى[2]   ولا يضطني من شتم أهل الفضائل
وما منعـــت دار ولا عز أهلها   من الناس إلا بالقنا والقنابـــل[3]

ولما أنهى الكلام على بني ثعل بن عمرو بن الغوث، شرع يتكلم على إخوتهم بني نبهان بن الغوث[4]، فقال رحمه الله:

وَمِن بَــنِي نَبْهَانَ زَيْدُ الْخَيلِ   بَنُو حُمَيْدٍ جُودُهُـــمْ كَالسَّيْلِ

قوله **زيد الخيل**: مبتدأ خبره المجرور قبله. وبنو **حميد**: (بصيغة التصغير) عطف على زيد الخيل بحذف العاطف. وجملة **جودهم كالسيل**: صفة لبني حميد، أي سخاؤهم كالسيل الجاري كثرة.

زيد الخيل بن مهلهل

يقول: ومن بني نبهان بن الغوث بن طيئ: زيد الخيل بن مهلهل الطائي النبهاني. وبنو حميد بن قحطفة بن شبيب المشهورون بالجود والكرم والشجاعة. أما زيد الخيل فهو أبو مكنف زيد الخيل بن مهلهل بن زيد بن منهب بن عبد رُضَا بن

---

(1) كفة الصائد (بكسر الكاف): حبالته. والحابل: الصائد لنصبه الحبالة للصيد. ويقال: "اختلط الحابل بالنابل" والحابل: الذي ينصب الحبالة. والنابل: الرامي عن قوسه بالنبل. وهو مثل يضرب في ارتباك الأمر، ويقال: "ثار حابلهم على نابلهم" أي أوقدوا الشر بينهم؛ وهو مثل (يضرب) في الشدة تصيب الناس، ويقال أيضا: "دار حابله على نابله" أي أوله على آخره و"حول حابله على نابله" أي جعل أعلاه أسفله.

(2) المسعاة: المكرمة في أنواع المجد والكرم (جمعها مساع). واضطنى: استحيا وفجر وأخفى في نفسه ما يستحي أن يبديه.

(3) القنا: جمع قناة وهي الرمح. والقنابل: جمع قنبلة وهي القطعة من الخيل.

(4) ذكر من أعيان بني نبهان نحو أربعة رجال.

المختلس بن ثوب بن كنانة بن غوث بن نائل بن نبهان بن عمرو بن الغوث بن طيئ الطائي النبهاني، أمه قوشة بنت الأثرم الكلبية. ولقب زيد الخيل لكثرة خيله، أو لكثرة طراده بها. كان من أبطال الجاهلية، وكان طويلا جسيما يركب الفرس فتخط رجلاه في الأرض (يعد من مقبلي الظعن)، وكان خطيبا مفوها وشاعرا مجيدا موصوفا بالكرم بعيد الصيت.

ومما ترويه كتب الأدب من خصاله في الجاهلية، ما حكاه الشيباني عن شيخ من بني عامر قال: أصابتنا سنة مجدبة، هلك فيها الزرع والضرع، فخرج رجل منا بعياله إلى الحيرة وتركهم فيها؛ وقال لهم: انتظروني حتى أعود إليكم، ثم أقسم أن لا يرجع إليهم إلا إذا كسب لهم مالا أو يموت؛ ثم تزود زادا ومشى يومه كله حتى إذا أقبل الليل وجد أمامه خباء، وبالقرب من الخباء مهر مقيد، فقال هذا أول الغنيمة، فقصد المهر وجعل يحل قيده فما إن هم بركو به حتى سمع صوتا يناديه: "خل عنه واغنم نفسك" فتركه ومضى. ثم مشى سبعة أيام حتى بلغ مكانا فيه مراح إبل، وبجانبه خباء عظيم، فيه قبة من أدم؛ فقال في نفسه لا بد لهذا المراح من إبل ولهذا الخباء من أهل.. ثم نظر إلى الخباء فوجد شيخا فانيا في وسطه، فجلس خلفه وهو لا يشعر به، وكانت الشمس تدنو من المغيب؛ فلما غابت أقبل فارس عظيم قد امتطى صهوة جواد عال يسير عن يمينه وشماله عبدان ومعه نحو مائة من الإبل أمامها فحل كبير، فبرك الفحل وبركت النوق حوله. فأمر الفارس أحد عبديه أن يحلب ناقة ويسقي الشيخ، فحلب منها حتى ملأ الإناء ووضعه بين يدي الشيخ وتنحى، فجرع الشيخ منه جرعة أو جرعتين وتركه. قال الرجل فدببت نحوه متخفيا وأخذت الإناء، وشربت كل ما فيه ؛ فرجع العبد وأخذ الإناء، وقال: يا مولاي لقد شربه كله، ففرح الفارس وقال: احلب له أخرى وضعها بين يديه، ففعل العبد ما أمر به؛ فجرع منه الشيخ جرعة واحدة، وتركه. قال الرجل: فأخذته وشربت

نصفه، وكرهت أن آتي عليه كله خوفا من إثارة الشك في نفس الفارس. ثم أمر الفارس عبده الثاني بأن يذبح شاة، ثم قام إليها الفارس وشوى للشيخ منها وأطعمه بيده حتى إذا شبع جعل يأكل هو وعبداه. قال الرجل: ثم ناموا نوما عميقا له غطيط، فتوجهت إلى الفحل فحللت عقاله فركبته، فاندفع وتبعته الإبل؛ فمشيت ليلتي.

فلما أسفر النهار نظرت في كل جهة فلم أر أحداً يتبعني، فاندفعت في السير حتى ارتفع النهار، ثم التفت التفاتة فإذا أنا بشيْءٍ كأنه نسر أو طائر كبير، فما زال يدنو مني حتى تبينته فإذا هو فارس على فرس ثم ما زال يقبل علي حتى عرفت أنه صاحبي جاء ينشد إبله. عند ذلك عقلت الفحل وأخرجت سهما من كنانتي ووضعته في قوسي وجعلت الإبل خلفي، فوقف الفارس بعيدا وقال لي: احلل عقال الفحل ؛ فقلت: كلا، لقد تركت ورائي نسوة جائعات بالحيرة وأقسمت أن لا أرجع إليهن إلا ومعي مال أو أموت؛ قال: إنك ميت! احلل عقال الفحل لا أبا لك. فقلت: لن أحله. فقال: ويحك إنك لمغرور. ثم قال: دل زمام الفحل – وكانت فيه ثلاث عقد – وقال لي: في أي عقدة منها تريد أن أضع لك السهم؟ قال: فأشرت إلى الوسطى فرمى السهم فأدخله فيها حتى لكأنما وضعه بيده ثم أصاب الثانية، والثالثة. قال: فعند ذلك أعدت سهمي إلى الكنانة: ووقفت مستسلما، فدنا مني وأخذ سيفي وقوسي وقال اركب خلفي، فركبت خلفه. فقال: كيف تظن أني فاعل بك؟ فقلت: أسوأ الظن. قال ولم؟ قلت: لما فعلته بك وما أنزلت بك من عناء وقد أظفرك ا لله بي. فقال: أو تظن أني أفعل بك سوءاً، وقد شاركت مهلهلا (يعني أباه) في هذه الليلة شرابه وطعامه ونادمته فيها!. قال فلما سمعت اسم مهلهل قلت: أزيد الخيل أنت؟ قال: نعم. فقلت: كن خير آسر فقال: لا بأس عليك. ومضى بي إلى موضعه وقال: وا لله لو كانت هذه الإبل لي لسلمتها

إليك. ولكنها لأخت من أخواتي فأقم عندنا أياما فإني على وشك غارة قد أغنم منها. قال: فلم يمكث إلا ثلاثة أيام حتى أغار على بني نمير، فغنم قريبا من مائة ناقة فأعطاني إياها كلها وبعث معي رجالا يحمونني حتى وصلت الحيرة.

هذا وقد أدرك زيد الخيل الإسلام، ووفد على النبي ﷺ سنة تسع في وفد طيئ فأسلم، وسر به النبي ﷺ ، وسماه زيد الخير، وقال له: «يا زيد ما وصف لي أحد في الجاهلية فرأيته في الإسلام إلا رأيته دون ما وصف لي غيرك»[1] وأقطعه أرضا بنجد. فمكث في المدينة سبعة أيام، وأصابته حمى شديدة فخرج عائداً إلى نجد، فنزل على ماء يقال له: "فردة" بنجد فمات هنالك في العام نفسه (أي سنة تسع). وروى الأعمش عن أبي وائل عن عبد الله قال: كنا عند رسول الله ﷺ فأقبل راكب حتى أناخ فقال: يا رسول الله إني أتيتك من مسيرة تسع انصبت راحلتي، وأسهرت ليلي وأظمأت نهاري أسألك عن خصلتين فقال له النبي ﷺ: «ما اسمك؟» قال: زيد الخيل. قال: «بل أنت زيد الخير فسل»، قال: أسألك عن علامة الله فيمن يريد وعلامته فيمن لا يريد؟ فقال له رسول الله ﷺ: «كيف أصبحت»؟ فقال: أصبحت أحب الخير وأهله ومن يعمل به، فإن عملت به أثبت بثوابه وإن فاتني منه شيء حزنت عليه. فقال له النبي ﷺ: «هذه علامة الله فيمن يريد؛ وعلامته فيمن لا يريد ولو أرادك بالأخرى لهيأك لها ثم لا يبالي الله في أي واد هلكت»[1].

ومن ولد زيد الخيل: مكنف ـ وبه يكنى ـ وحريث؛ وقد أسلما وصحبا وشهدا قتال أهل الردة مع خالد بن الوليد. ومنهم عروة بن زيد الخير شهد مع أبيه بعض

---

(1) ذكره ابن هشام في سيرته وابن كثير في البداية والنهاية، وابن سعد في طبقاته، والبيهقي في دلائل النبوة.

(1) رواه ابن عدي، وابن شاهين ـ كما في الإصابة.

حروبه في الجاهلية، وله صحبة وشهد القادسية، وعاش إلى خلافة علي وشهد معه صفين.

وأما بنو حميد فمن أشهرهم أبو نصر ومحمد وقحطفة، بنو حميد بن قحطفة بن شبيب بن خالد بن معدان بن شمس بن قيس بن أكلب بن سعد بن عمرو بن الصامت بن غنم بن مالك بن سعد بن نبهان بن عمرو بن الغوث بن طيئ الطائيون النبهانيون، عرفوا بالكرم والجود والشجاعة، ومدحوا بذلك؛ وممن مدحهم أبو تمام حبيب بن أوس الطائي؛ ورثاهم بقصائد مشهورة منها قوله:

ذكـــرت أبا نصر بفقد محمـــــد ... وقحطفـــة ذكرى طويل البلابل[1]
وكان الأســى قد آل فيه إلى الحشى ... فلما استخفاه جـــرى في المفاصل
كماء الغـــدير امتد بعد وقوفـــه ... بما هاج من فيض التلاع القوابـل[2]
ثووا في الثرى من بعد أن سُربلوا العلى ... ومن بعد ان سمـــوا نـجوم المحافل
مصـــارع لم تـــورث شنارا وإنها ... ليرتـــع فيها شامت عند جاهل[3]
لعمرك ماكانوا ثلاثـــة إخـــوة ... ولكنهـــم كانوا ثـــلاث قبائـــل

وله أيضا:

محمد بن حميدٍ أخلقـــت رممه ... أريـــق ماء المعالي إذ أُريق دمه
تنبهت لبني نبهـــان يـوم ثوى ... يد الزمان فعاثـــت فيهم وفمه
رأيته بنجـاد السيـــف محتبيا ... كالبدر حين جلت عن وجهه ظلمه

---

(1) البلابل: الاختلاط. ووساوس الصدر.
(2) التلاع: مسايل الماء من الجبال والنجاف.
(3) الشنار: العار. والشامت: الفرح ببلية من يشمت به.

في روضة قد علا حافاتها زهـر علمـت بعد انتباهي أنها نعمه
فقلت والدمع من حزن ومن فرح يجري وقد خدد الخدين منسجمـه
ألم تمت يا شقيق الجود مذ زمن؟ فقال لي: لم يمت من لم يمت كرمه

وقال:

اليـوم أدرج زيد الخيل في كفن والحـل معقود دمع الأعين الهتن[1]
بني حميد لوَ انَّ الدهـر مترع[2] لصد من ذكركم عن جانب خشن
إن ينتحل حدثان الموت أنفسكـم ويسلم الناس بين الحوض والعطن[3]
فالماء ليـس عجيبا أن أعذبـه يفنى ويمتد عمر الآجـن الأسن[4]
رزء على طيئ ألقـى كـلاكله لا بل على أدد لا بل على اليمن..
لم يشكلوا ليث حـرب مثل قحطفة من قبل قحطفـة في سالف الزمن
إن لا تكـن صدرت عن منظر حسن منه فقد صدرت عن مسمع حسن .. الخ

وله أيضا:

أي القلوب عليكم ليس ينصدع وأي نـوم عليكم ليس يمتنع
بني حميد بنفسي أعظـم لكم مهجـورة ودماء منكم دفع[5]
ما غاب عنكم من الإقدام أكرمه في الروع إذ غابت الأنصار والشيع

إلى أن يقول:

---

(1) أدرج: أدخل ولف. والهتن: الكثير الانصباب.

(2) مترع: (بضم الميم وتشديد التاء) ممتلىء.

(3) ينتحل: يدعي لنفسه. والعطن: مبرك الإبل حول الحوض.

(4) الآجن: (من الماء) المتغير الطعم واللون. والأسن: المتغير الريح.

(5) دفع: (بضم ففتح) جمع دفعة (بضم فسكون)، وهي الدفقة من المطر ونحوه وما انصب من سقاء أو إناءٍ مـرَّة.

يود أعداؤهم لو أنهـــم قتلوا وأنهم صنعوا بعض الذي صنعوا
عهدي بهم تستنير الأرض إن نزلوا بها وتجتمـــع الدنيا إذا اجتمعوا
ويضحك الدهر منهم عن غطارفة كأن أيامهـم من حسنها جمـــع[1]

[من قصيدة]

وله في أبي نصر:

أصم بك الناعي وإن كان أسمعا وأصـــبح مغنى الجود بعدك بلقعا
للحدابي نصر تحيـــــة مـزنة إذا هي حيت ممعراً عاد ممـرعا[2]
فلم أر يوما كان أشبـــه ساعة بيوم من اليـــوم الذي فيه ودعا
مصيف أفاض الحزن فيه جداولا من الدمع حتى خلته صار مربع[3]
ووا لله لا تقضي العيون الذي له عليها ولو صارت مع الدمع أدمعا
فتى كان شـــرباً للعفاة ومُرتَعىً فأصبح للهنديـة البيض مرتعا[4]
فتى كلما ارتاد الشجاع من الردى مفرا غـداة المأزق ارتاد مصرعا[5]

إلى أن يقول:

فما كنت إلا السيف لاقى ضريبة فقطعـــــها ثـــم انثنى فتقطعا

وله فيه – أيضاً – من قصيدة:

---

(1) الغطارفة: (جمع غطريف) وهو السيد الشريف.

(2) الممعر: (بتقديم العين على الراء) الارض التي لا نبات فيها. والممرع: (بتقديم الراء) المخصب منها.

(3) المصيف: موضع الإقامة في الصيف. والجداول: (جمع جدول) وهو النهر الصغير. والمربـع: الموضـع الذي ينبت ما ترتبع فيه الإبل، أو محل الإقامة في الربيع.

(4) المرتعي: موضع الرعي. ويراد به هنا الرعي خاصة. والهنديـة: السـيوف المنسـوبة إلى الهنـد، ويقـال سيف هندي وهندواني ومهند. ورمح مهند أيضا. والبيض: القاطعة. والمرتع: موضع الرتع للأكـل والشرب، وهذا من الاستعارة.

(5) ارتاد: طلب. والردى: الهلاك. والمفر: المهرب. والمأزق: المضيق.

أنسى أبا نصر نسيت إذن يدي ... في حيث ينتصـــر الفتى وينيل[1]
هيهات لا يأتي الزمان بمثلـــه ... إن الزمان بمثلـــه لبخيـــــل
ما أنت بالمقتـــول صبراً إنما ... أملي الغـــداة نَعِيُّكَ المقتـــول
للسيف بعدك حرقة وعـــويل ... وعليك للمجـــد التليد غليل
إن طال يومك في الوغى فلقد ترى ... فيه ويـــوم الهام منك طويـل
فستذكر الخيل انصلاتك في الوغى ... والفقر معروف الردى مجهـول[2]

إلى أن يقول:

أضحـت عراض محمد ومحمد ... وأخيهما وكأنهـــن طـلـول[3]
أبني حميد ليـــس أول ما عفا ... بعد الأسود من الأسود الغيل[4]
ما زال ذاك الصبر وهو عليكم ... بالموت في ظل السيـــوف كفيل
مستبسلون كأنما مهجاتهـــم ... ليســـت لهم إلا غداة تسيل[5]
أَلِفُوا المنايا فالقتيـــــل لديهمُ ... من لم يَخلِّ الحـــرب وهو قتيل
إن كان ريب الدهـر أثكلنيكمُ ... فالموت أيضا ميت مثكـــول[6]

وله في محمد:

كذا فليجل الخطب وليفـدح الأمر ... فليس لعين لم يفض ماؤها عذر[7]
توفيـت الآمال بعد محمــــد ... وأصبح في شغل عن السفر السَّفر

---

(1) ينيل: أي يبلغ المقصود.
(2) الانصلات: الجد في السير. والوغى: الحرب والصوت والجلبة.
(3) العراض: ساحات الدار الواسعة.
(4) الغيل: موضع الأسد والأجمة.
(5) المستبسل: أي الذي يطرح نفسه في الحرب إما يقتُل أو يُقتَل. والمهجة: الدم، أو دم القلب خاصة.
(6) ريب الدهر: تقلبه وصرفه. والثكل: فقدان الحبيب أو الولد.
(7) يجل: يعظم. والخطب (بالفتح) الأمـر: صغـر أو عظـم، وغلـب استعماله للأمـر العظيـم المكـروه. ويفدح: يثقل ويصعب.

وما كان إلا مال من قـل ماله ... وذخراً لمن أمسى وليس له ذخر
وما كان يـدري مجتدي جود كفه ... إذا ما استهلت أنه خلق العسر[1]
ألا في سبيـل ا لله من عطلت له ... فجاج سبيل ا لله وانثغر الثغر[2]
فتى كلما فاضت عيـون قبيلة ... دما ضحكـت عنه الأحاديث والذكر
فتى دهره شطران فيما ينوبـه ... ففي بأسه شطر وفي جوده شطر

إلى أن يقول:

غدا غـدوة والحمد نسج ردائه ... فلـم ينصرف إلا وأكفانه الأجر
تردى ثياب الموت حمرا فما دجا ... لها الليل إلا وهي من سندس خضر
كان بني نبهان يـوم وفاته ... نجـوم سماء خرّ من بينها البدر
يعزون عـن ثاو تعزى به العلى ... ويبكي عليه الباس والجود والشعر
أمن بعـد طي الحادثات محمدا ... يكون لأثـواب الندى أبدا نشـر
إذا شجرات العرف جذت أصولها ... ففي أي فـرع يوجد الورق النضر
لئن أبغض الدهر الخؤون لفقده ... لعهـدي به ممن يحب له الدهر
لئن غـدرت في الروع أيامه به ... فما زالت الأيام شيمتها الغدر[3]
لئن ألبسـت فيه المصيبة طيئٌ ... فما عـريت منها تميم ولا بكر
سقى الغيث غيثا وارت الأرض شخصه ... وإن لم يكن فيه سحاب ولا قطر
وكيف احتمالي للغيوث صنيعة ... بإسقائهـا قبرا وفي لحده بحر
مضى طاهر الأثواب لم تبق روضة ... غـداة ثوى إلا اشتهت أنها قبر
ثوى في الثرى من كان يحيا به الثرى ... ويغمر صرف الدهر نائلـه الغمر .. الخ

---

(1) مجتد: طالب الجدوى (أي العطية).

(2) الفجاج: (جمع فج) وهو الطريق الواسع. والثغر: موضع المخافة من فروج البلد والمكان الذي يخاف منه هجوم العدو.

(3) الشيمة: العادة والطبيعة.

ومن بني نبهان - أيضاً - بنو سدوس (بضم السين) منهم جعفر بن عطية السُّدوسي الذي يقول فيه الشاعر:

مدحت نسيبي جعفرا إن جعفرا تحلب كفاه الندى وأنامله .. الخ

ثم أخذ الناظم يتكلم على إخوة بني نبهان وهم بنو بولان[1] بن الغوث، فقال رحمه الله:

بَوْلَانُ جَدُّ وَاضِعِي خَطِّ الْعَرَب أَسْلَمُ عَامِرٌ مُرَامِرُ النُّخَبْ

قوله **بولان**: مبتدأ، **وجد**: (بفتح الجيم وبالرفع) خبره، وهو مضاف **لواضعي** (بصيغة الجمع)؛ وأصله واضعين وحذفت نونه للإضافة إلى مفعوله الذي هو **خط**. **وواضعي**: جمع واضع، يعني به أول من وضع الكتابة العربية. ثم بين الواضعين للخط بقوله **أسلم**.. الخ. فأسلم (بفتح اللام وبالرفع): خبر مبتدإ محذوف. **وعامر ومرامر**: معطوفان عليه بحذف العاطف، أي وهم أسلم وعامر ومرامر. **والنخب** (كصرد): جمع نخبة (بضم ففتح): المختارون من الناس.

أول من وضع الخط العربي

يقول: أما بولان بن عمرو بن الغوث، أخو ثعل ونبهان ـ المتقدم ذكرهما ـ فمنه الثلاثة الذين وضعوا الخط العربي، وهم: أَسْلَمُ بن سِدْرَةَ وعامر بن جُذُرَةَ ومُرَامِرُ بن مُرَّةَ بن ذِرْوَةَ الطائيون البولانيون. يقال إن هؤلاء النفر هم أول من وضع الخط العربي؛ فمرامر وضع الصور وأسلم فصل ووصل وعامر أعجم وأشكل. وفي نهاية الأرب: بنو بولان ـ واسمه عصين بن عمرو بن الغوث بن طيئ: منهم

---

(1) ذكر من أعيان بني بولان ثلاثة رجال

الثلاثة الذين يقال إنهم هم الذين وضعوا الخط العربي؛ ومثله في الجمهرة. وحكي أنه كان لمرامر بن مرة ثمانية أبناء سمى كل واحد منهم بكلمة من كلمات (أبي جاد) وهي: أبجد، هوز، حطي، كلمن، صعفض، قرست، ثخذ، ظغش[1].

وإلى ذلك أشار بعضهم بقوله:

تعلمت باجاد وآل مرامر وسودت أثوابي ولست بكاتب

وفي المزهر في علوم اللغة وأنواعها للسيوطي، والأنساب للسمعاني - وغيرهما -: أن أول من كتب بخطنا هذا (وهو الخط الذي يسميه أهل الأنبار بالجزم) مرامر بن مرة وأسلم بن سدرة وعامر بن جذرة الطائيون البولانيون. فتعلمه منهم أهل الأنبار؛ ثم تعلمه من أهل الأنبار بشر بن عبد الملك أخو أكيدر بن عبد الملك صاحب دومة الجندل، ثم أتى بشر أهل الطائف فتعلمه منه غيلان بن سلمة الثقفي،

---

(1) أبجد: بوزن (أحمر)، وقيل محركة ساكنة الآخر وقيل أبو جاد (بصيغة الكنية). وقرشت: محركة ساكنة الآخر. وكلمن: محركة، وقيل بالضم. ويقال بسكون الميم مع التحريك. وأبجد هذه: هي أول الكلمات الثمانية التي جمعت فيها حروف الهجاء في اللغة العربية، وهي: أبجد، هوَّز، حُطِّي، كَلَمن، صعفض، قرست، ثخذ، ظغش. وهي بهذا الترتيب عند المغاربة. وتعرف بالحروف الأبجدية، سميت باسم أول لفظة فيها وهي "أبجد"، وتستعمل في حساب الجمل على الوضع التالي: (كل حرف منها يقابله الرقم الذي يدل عليه):

أ: 1، ب: 2، ج: 3، د: 4، هـ: 5، و: 6، ز: 7، ح: 8، ط: 9، ي: 10، ك: 20، ل: 30، م: 40، ن: 50، ص: 60، ع: 70، ف: 80، ض: 90، ق: 100، ر: 200، س: 300، ت: 400، ث: 500، خ: 600، ذ: 700، ظ: 800، غ: 900، ش: 1000. والمشارقة يخالفون في ترتيب الكلمات التي بعد "كلمن" فيجعلونها سعفص، قرشت، ضظغ، فيختلفون مع المغاربة في ستة أحرف، فالسين عندهم تدل على ستين(60)، والصاد: تسعين (90)، والشين: ثلاثمائة (300)، والضاد: ثمانمائة (800)، والظاء: تسعمائة (900) والغين: ألف (1000). وقد مر مدلول هذه الأحرف عند المغاربة، ويسمون حروف: ثخذ، وضظغ، بالروادف.

ثم أتي بادية مضر فتعلمه منه عمرو بن زرارة الذي سمي الكاتب بعدُ، ثم خرج إلى مكة فتزوج الصهباء بنت حرب بن أمية بن عبد شمس فتعلمه منه جماعة من أهل مكة؛ منهم حرب بن أمية وقيس بن عبد مناف بن زهرة ــ الذي سمي الكاتب بعدُ ــ أيضاً. وقد قال رجل من أهل دومة الجندل يمن على قريش بذلك:

فلا تجحدوا نعمـــاء بشر عليكم	فقد كان ميمون النقيبة أزهرا[1]
أتاكم بخط الجزم حتى حفظتم	من المال ما قد كان شتى مبعثرا[2]
وأتقنتم ما كان بالمال مهمـــلا	وطامنتم ما كان منه منفـــرا[3]
فأجريتـــم الأقلام عوداً وَبَدأَةً	وضاهيتم كتاب كسرى وقيصرا
وأغنيتم عن مسند الحي حمـــير	وما زبرت في الصحف أقيال حميرا[4]

وفي **الحلة السيراء**: أن الخط العربي اخترع قريبا من نزول القرآن. وإلى هذا أشار الناظم فقال ..**جد واضعي خط العرب**.. الخ

والذي يظهر لمن تتبع كتب الأدب أن خط العرب أقدم من ذلك. وقد اختلف في أول من تكلم بالعربية، وفي أول من كتب بها. فقد جاء في تفسير قوله تعالى ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴾[5] أنه آدم عليه السلام. علمه الله تعالى اللغات كلها. وفي **الخميس**: لما خرج الناس من السفينة نزلوا أطراف بابل وأقاموا بها حتى

---

(1) ميمون النقيبة: أي محمود المختبر. والنقيبة: المشورة ونفاذ الرأي. والأزهر: المشرق الوجه النير الصافي اللون.

(2) الخط: (بالفتح) الكتابة. جمعه خطوط. والجزم: (من الأقلام): المستوي الخـــط الذي لا حرف له. وشتى: جمع شتيت وهو المتفرق. والمبعثر: المتبدد.

(3) طامنه: سكنه. ويقال: طامنه فتطامن. أي سكنه فسكن.

(4) المسند: خط كانت تستعمله حمير. وزبرت: أي كتبت.

(5) الرحمن: 3، 4.

كثروا، فتفرقت ألسنتهم على اثنين وسبعين لساناً. ففهم الله العربية منهم عمليقاً، وطسما ابني لاوذ بن سام، وعادا وعبيلا ابني عوص بن إرم بن سام، وثمودَ وجديسا ابني جاثر بن إرم بن سام. وجاء - أيضاً - في تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴾[1] أن يوسف عليه السلام لما دخل على الملك سلم عليه بالعربية فقال له الملك: ما هذا اللسان؟ فقال: هذا لسان عمي إسماعيل. ثم دعا له بالعبرانية، فقال: ما هذا اللسان؟ فقال: هذا لسان آبائي إبراهيم وإسحق ويعقوب، وأن يوسف كان عليما بالألسن.

أما أول من كتب بها فقد قال في **المزهر**: أول من كتب الكتاب العربي والسرياني والكتب كلها آدم عليه السلام كتبها في طين وطبخه فلما أصاب الأرض الغرق وجد كل قوم كتابا فكتبوه، فأصاب إسماعيل الكتاب العربي. وقيل أول من خط بالقلم إدريس عليه السلام، وأول من كتب بالعربية إسماعيل عليه السلام ، ووضعه على لفظه ومنطقه؛ وقيل أول من كتب بالعربية هود عليه السلام.

وفي **الخميس** قال هشام: أول من كتب الخط العربي حمير بن سبأ، عُلِّمَه مناماً. وعن عبد الله بن عمرو بن العاص وعروة بن الزبير أنهما قالا: أول من وضع الكتاب العربي قوم من الأوائل نزلوا في عدنان بن أدد، واستعربوا؛ وأسماؤهم: أبجد وهوَّز، وحطي وكلمن وسعفص وقرشت؛ فوضعوا الكتاب العربي على أسمائهم. وفي **المزهر**: كانوا ملوكاً فسمي الهجاء بأسمائهم. وفي **القاموس المحيط**: وأَبْجَدْ إلى قَرَشَتْ وكَلَمُنْ رئيسهم ملوك مدين، ووضعوا الكتابة العربية على عدد حروف أسمائهم، هلكوا يوم الظلة؛ فقالت ابنة كَلَمُنْ:

---

(1) سورة يوسف الآية 54.

كَلَمُنْ هَدَّم رُكني هُلْكُهُ وَسْطَ المَحَلَّهْ
سيدُ القوم أتاه الـ ـحتفُ ناراً وسط ظُله
جُعِلَت ناراً عليهم دارُهم كالمُضمَحِلَّه

ثم وجدوا بعدهم ثخذ وضظغ. فسموها الروادف. وفي المزهر ـ أيضاً ـ قال المسعودي في تاريخه: قد كانت عدة أمم تفرقوا في ممالك متصلة، منهم المسمى بأبي جاد وهوَّز وحطي وكلمن وسعفص وقرشيات، وهم بنو الأفحص بن جندل بن يصعب بن مدين بن إبراهيم الخليل عليه السلام ؛ فكان أبجد: ملك مكة وما يليها من الحجاز، وكان هوز وحطي ملكين بأرض الطائف وما اتصل بها من أرض نجد، وكلمن وسعفص وقرشيات ملوكا بمدين، وقيل ببلاد مضر. وكان كلمن على أرض مدين ـ وهو ممن أصابه عذاب يوم الظلة مع قوم شعيب ـ فرثته بنته فقالت: كلمن هدم ركني ..[الخ الأبيات].

وقال رجل من أهل مدين يرثيهم:

ألا يا شعيب قد نطقت مقالة سبقت بها عمرا وحي بني عمرو
ملوك بني حطي وسعفص في الندى وهوَّز أرباب الثنية والحجر
هم ملكوا أرض الحجاز بأوجه كمثل شعاع الشمس في صورة البدر
وهم قطنوا البيت الحرام وزينوا قصورا وفازوا بالمكارم والفخر

وقد اختلف في كون هذه الألفاظ أعجميات أو عربيات؛ فقيل أعجميات، إذ عليها يقع تعليم الخط بالسرياني؛ وقيل عربيات لأنهن مفهومات المعاني في كلام العرب؛ وقيل بعضها عربي وبعضها أعجمي. وروي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لقي أعرابيا فقال له: هل تحسن أن تقرأ القرآن؟ قال: نعم. قال: فاقرأ أم القرآن. فقال: والله ما أحسن البنات فكيف الأمّ؟! فضربه ثم أسلمه إلى الكتاب، فمكث فيه؛ ثم هرب وأنشأ يقول:

أتيت مهاجرين فعلموني ثلاثة أسطر متتابعات

كتاب الله في رق صحيح   وآيات القران مفصلات

فخطوا لي أبا جاد وقالوا   تعلـم سعصفا وقُرَيِّشات

وما أنا والكتابة والتهجي   وما حظ البنين من البنات

وسئل ابن عباس، فقيل له من أين أخذتم هذا الكتاب العربي قبل أن يبعث محمد ﷺ، تجمعون منه ما اجتمع وتفرقون منه ما افترق، مثل الألف واللام؟ قال: أخذناه من حرب بن أمية. فقيل له: ممن أخذه حرب؟ قال: من عبد الله بن جدعان، فقيل له: ممن أخذه ابن جدعان؟ قال: من أهل الأنبار. فقيل له: ممن أخذه أهل الأنبار؟ قال: من أهل الحيرة، فقيل له: ممن أخذه أهل الحيرة؟ قال: من طاريء طرأ عليهم من اليمن من كندة؛ فقيل له: ممن أخذه ذلك الطارئ؟ قال: من الخفلجان بن الوهم (كاتب الوحي لهود) عليه السلام ـــ [قاله في المزهر].

فضل الكتابة وأهميتها

هذا وقد كان للكتابة فضل عظيم وخطر جسيم، وأعظم شاهد على فضلها وأقوى دليل على رفعة شأنها أن الله تعالى نسب تعليمها إلى نفسه. فقال جل من قائل ﴿ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾[1] مع أن هذه الآية والتي قبلها هما مفتتح الوحي وأول القرآن نزولا. وقد وصف الله سبحانه وتعالى الحفظة الكرام من ملائكته حيث قال ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴾[2] وأقسم جل جلاله بالقلم الذي هو آلة الكتابة، وما يسطر به؛ تنبيها لخلقه على ما أنعم به عليهم من تعليم الكتابة التي بها تنال العلوم. فقال سبحانه ﴿ نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ

---

(1) العلق: 3 - 5.

(2) الانفطار: 10-11.

﴿رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ﴾[1]. وعن ابن عباس وأبي هريرة وعبادة بن الصامت: أن أول ما خلق الله تعالى القلم، وأمره أن يكتب ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة.

والقلم نعمة من الله تعالى عظيمة، لولاها لم يقم دين ولم يصلح عيش. وبهذه النعمة علم الله تعالى عباده ما لم يعلموا ونقلهم من ظلمة الجهل إلى نور العلم. وما دونت العلوم، ولا قيدت الحكم ولا ضبطت أخبار الأولين ولا مقالاتهم ولا الكتب المنزلة إلا بالكتابة، ولولا هي ما استقامت أمور الدين والدنيا. وفي قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ﴾ دلالة على كمال كرمه سبحانه وتنبيه على هذه النعمة العظيمة. وقد قال العلماء: الأقلام ثلاثة: القلم الأول الذي خلقه الله بيده وأمره أن يكتب، والقلم الثاني: أقلام الملائكة، جعلها الله بأيديهم يكتبون بها المقادير والكوائن والأعمال، والقلم الثالث: أقلام الناس، جعلها الله بأيديهم يكتبون بها كلامهم ويصلون بها إلى مآربهم؛ والكتابة من البيان، والبيان مما اختص به الإنسان. وفي الكتابة فضائل لا تحصى، وقد ندب الشارع إلى مقصدها وحث على مطلبها؛ فقال صلى الله عليه وسلم: «قيدوا العلم بالكتابة»[2].

وقد أطنب السلف في مدح الكتابة والحث عليها؛ فقد قال سعيد بن العاص الأموي ــ وكان أحد الذين كتبوا المصحف لعثمان ــ من لم يكتب فيمينه يسرى. وقال معن بن زائدة الشيباني: إذا لم تكتب اليد فهي رجل. وبالغ مكحول ــ وهو أحد فقهاء التابعين ــ حيث قال: لا دية ليد لا تكتب!. وقد قيل الكتابة قطب الأدب وملاك الحكمة ولسان ناطق بالفصل وميزان يدل على رجاحة

---

(1) القلم: 1 - 2.

(2) رواه الطبراني وأبو نعيم، وهو عند العسكري من كلام ابن عباس..

العقـــل[1]. وقـــيل الكتابة نور العلم، ومصفاة العقول، وميدان الفضل والعدل[2]. وكفى بالكتابة شرفاً ـــ بالإضافة إلى ما مر ـــ أن صاحب السيف يزاحم الكاتب في قـــلمه ولا يـــزاحمه الكاتب في سيفه. وقد قيل: الملوك أحوج إلى الكُتَّاب من الكُتَّاب إلى الملوك. وقيل: الكتَّاب ملوك وسائر الناس سوقة[3].

وبالجملة ففضل الكتابة أكثر من أن يحصى وأجل من أن يستقصى. وإنما حرمت الكتابة على النبي ﷺ ردا على الملحدين حيث نسبوه إلى الاقتباس من كتب المتقدمين كما أخبر تعالى بقوله: ﴿ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ﴾[4]. وأكد ذلك بقوله: ﴿ وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ مِن كِتَٰبٖ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ ﴾[1].

فالأمية في رسول الله ﷺ: فضيلة وفي غيره نقيصة؛ لأن الله تعالى لم يعلمه الكتابة لتمكن الإنسان بها من الحيلة في تأليف الكلام، واستنباط المعاني، فيتوسل الكفار بها إلى أن يقولوا: اقتدر بها على ما جاء به. فكان عدم علمه بها من أقـــوى

---

(1) القطب: المركز، وأصله حديدة في الطبق الأسفل من الرحى يدور عليها الطبق الأعلى. ويقال: "هو قطب ذلك الأمر" أي مداره و"قطب رحى الحرب" أي مدارها. والأدب يطلق على العلوم والمعارف عموما. أو على المستظرف منها فقط. وملاك الأمر: قوامه الذي يملك به. والحكمة: العلم والفقه. ورجاحة العقل: اكتماله. والفصل: (من القول) ما كان حقا قاطعا. وفصل الخطاب: ما كان الحكم فيه قاطعا لا راد له.

(2) المصفاة: ما يصفى به، جمعه: مصاف. والميدان: فسحة متسعة معدة لسباق الخيل ولعبها.

(3) السوقة: الرعية (للواحد والجمع والمذكر والمؤنث) لأن الملك يسوقهم ، ويصرفهم إلى ما شاء من أمره.

(4) الفرقان: 5.

(1) العنكبوت: 48.

الحجج على تكذيب معانديه، وحسم أسباب الشَّك فيه. وقد حكي أن المأمون قال لأبي العلاء المنقري: بلغني أنك أمي وأنك لا تقيم الشعر وأنك تلحــن في كلامـك. فقال: يا أمير المؤمنين؛ أما اللحن فربما سبقني لساني بالشيء منه، وأما الأمية وكسر الشعر فقد كان رسول ا لله ﷺ أميا وكان لا ينشد الشعر، فقال له المأمون: سألتك عن ثلاثة عيوب فيك فزدتني رابعا وهو الجهل! يا جاهــل ذلـك في النبي فضيلـة، وفيك وفي أمثالك نقيصة.

ولم يزل الشعراء يلهجون بمدح القلم، وشرف الكتــاب؛ فمـن ذلك قـول أبـي الفتح البستي:

إذا افتخر الأبطال يوما بسيفهم ... وعـدوه مما يكسب المجد والكرم
كفى قلــم الكتاب عزا ورفعة ... مدى الدهر أنَّ ا لله أقسم بالقلم

وقال آخر:

إن يخدم القلم السيف الذي خضعت ... له الرقاب ودانــت خوفه الأمم
فالموت ـ والموت لا شيء يغالبه ـ ... ما زال يتبــع ما يجري به القلم
كذا قضى ا لله للأقــلام مذ بريت ... أن السيوف لها مذ أرهفت خدم[1]

ومنه في مدح الكاتب:

إذا أخذ القــرطاس خلت يمينه ... تفتح نورا أو تنظـــم جوهرا

وقال آخر:

يؤلف اللؤلؤ المنثـــور منطقه ... وينظم الدر بالأقــلام في الكتب

وقال آخر:

---

(1) بريت القلم: أي نحته. وأرهفت السيف: رققت حده.

ان هزَّ أقلامـــه يوما ليعملها أنساك كـل كمي هزَّ عامِلَـه[1]
وإن أقـــرَّ على رَقٍّ أناملَـه أقَـرَّ بالـرِّقِّ كُتاب الأنام لَـه[2]

وقال:

وكاتب يرقـــم في طرســـه روضا به ترتـــع ألحاظـه[3]
فالدر ما تنظـــــم أقلامه والسحـــر ما تنثر ألفاظـــه

وقد قال الكلبي: كتابة الأمم نوعان: أحدهما يبتدئ باليمين وهي العربية والعبرانية؛ والثاني من اليسار وهو اليونانية والرومية، وكل كتابة من اليسار فهي مفصولة، وكتابة الصين نقوش تصور. وقد حكي أن أحد ملوك الروم قال: ما حسدت العرب على شيء كحسدي لهم على أشكال خطوطهم[4].

ومن بولان بن عمرو بن الغوث أيضا: عاصية البولانية القائلة:

أعاصي جودي بالدموع السواكب وبكي لك الويلات قتلى محارب
فلو أن قومي قتلتهـــم عمارة من السروات والرؤوس الذوائب
صبرنا لما يأتي به الدهـر عامدا ولكنـــما أثارنا في محـــارب
قبيل لئام إن ظهـــرنا عَليهِـمُ وإن يغلبـــونا يوجَدوا شر غالب

ولما أنهى الكلام على بني نبهان وبني بولان ابني الغوث بن طيئ، أخذ يتكلم

---

(1) الكمي: الشجاع. وهز: أي حرك. وعامل الرمح: صدره (وهو ما يلي سنانه).
(2) أقر: (الأولى) وضع وأثبت. والرق: (بالفتح) الصحيفة البيضاء. وأقر: (الثانية) اعترف. والرق: (بالكسر) العبودية.
(3) الطرس: (بالكسر) الصحيفة، والكتاب الذي محي ثم كتب. والروض (جمع روضة) وهي الأرض ذات الخضرة. والبستان الحسن. والألحاظ: (جمع لحظ) وهو النظر إلى الشيء بمؤخر العين.
(4) وفي القرن العشرين الميلادي قال مفكر ألماني: إن اللغة العربية أعظم ما توصل إليه العقل البشري، وإن الخط العربي ينفرد عن سائر الخطوط بجماله في ذاته وقابليته للزخرفة،

شهدت لها ضَرَّاتُها بعفافة والحق ما شهدت به الأعداء

على بني عمهم: بني جديلة[1] بن سعد بن فطرة بن طيئ، فقال رحمه ا لله وعفا عنه:

جَدِيلَةٌ مِنْ طَيئٍ السَّامِي أَوسُ بنُ حَارِثَةٍ ابنِ لاَمِ
مِنْهُمْ وَمِنهُم الثَّعالِبُ الأُلى هُمْ كَالرَّبَائِعِ الكِرَامِ النُّبَلاَ

جديلة (كسفنية) مبتدأ خبره المجرور بعده. **والسامي**: الرفيع، صفة لطيئ. **وأوس**: مبتدأ، وقوله **منهم**: خبره؛ والضمير عائد على **جديلة**. **والثعالب**: مبتدأ خبره المجرور قبله؛ والجملة معطوفة على الجملة قبلها. وقوله **الثعالب** أصله الثعالبة بالتاء، وهو جمع ثعلبة؛ وهم ثلاثة بطون من جديلة كل واحد منهم عم الثاني. **والألى**: بمعنى الذين. وضمير **هم** عائد على الثعالب. **والربائع** هنا: جمع ربيعة، وهم ثلاثةٌ اسم كل واحد منهم ربيعة؛ الأول منهم عم الثاني والثاني عم الثالث، وهم من بني تميم، وشبه بهم الثعالب من حيث ترادف الأسماء والقرابة العمومية. **والكرام**: (جمع كريم) للسخي المعطاء. **والنبلاء**: جمع نبيل (ككريم وكرماء) وهو ذو النبل (كقفل): أي الذكاء والنجابة والفضل؛ وهما صفتان **للربائع**.

يقول: ومن قبائل طيئ، ثم من بني فطرة منهم: بنو جديلة الذين منهم أوس ابن حارثة بن لام، الجواد المشهور، ومنهم ـ أيضا ـ الثعالب الطائيون.

أما بنو جديلة فهم بنو خارجة بن سعد بن فطرة بن طيئ، نسبوا إلى أمهم جديلة بنت سبيع بن عمرو بن حمير، وعرفوا بها، وتفرعوا إلى بطون عديدة، منها بنو ثعلبة بن رومان وبنو ثعلبة بن ذهل وبنو ثعلبة بن جدعاء، وهؤلاء هم الثعالب المذكورون هنا. ومن بطون جديلة ـ أيضاً ـ بنو جدعاء بن ذهل الذين منهم أوس بن حارثة الطائي.

---

(1) ذكر من أعيان جديلة أربعة رجال. وبنو جديلة هم بنو خارجة بن سعد.

أوس بن حارثة وقصته مع بشر الأسدي

وأما أوس فهو الجواد المشهور أوس بن حارثة بن لام بن عمرو بن طريف بن عمرو بن ثمامة بن مالك بن جدعاء بن ذهل بن رومان بن جندب بن خارجة بن سعد بن فطرة بن طيئ الطائي، أمه سعدى ـ وعرف بالنسبة إليها ـ وهو المراد في قول جرير في عمر بن عبد العزيز:

فما كعب ابن مامة وابن سعدى بأجود منك يا عمر الجوادا

وكان أوس هذا - بالإضافة إلى جوده وكرمه - سيدا من سادات عصره. يحكي انه وفد هو وحاتم على عمرو بن هند فدعا أوساً وقال له: أخيرٌ أنت أم حاتم؟ فقال: أبيت اللعن؛ لو ملكني حاتم أنا وولدي ولُحْمَتِي لوهبنا في غداة واحدة، ثم دعا حاتماً فقال له: أنت أفضل أم أوس؟ فقال: أبيت اللعن؛ إنما ذكرت بأوس.. ولأصغر ولده أفضل مني، فقال عمرو: وا لله ما أدري أيكما أفضل وما منكما إلا سيد كريم.

ومما يؤثر من شرف همة أوس ما روي أن النعمان بن المنذر وفدت عليه أشراف العرب فجلس إليهم وعليه حلة مذهبة مطوقة بالدر لم ير أحسن منها ثم أذن لهم فدخلوا عليه فلما أخذوا بمجالسهم جعلوا يتعجبون من حسن الحلة وأوس مطرق غير آخذ في ذلك، فقال له النعمان: ما أرى فيمن دخل علي إلا من يستحسن هذه الحلة ـ على نقصان قدرها عندي ـ غيرك يا أوس؟ قال: أسعد ا لله الملك إنما تستحسن هذه إذا كانت في يد تاجر، فأما إذا لبسها الملك وتهلل فيها وجهه المشرق فالأبصار مقصورة عليه دونها. فاستحسن النعمان عقله وجوابه، فلما كان وقت انصرافهم قال لهم النعمان: احضروا غدا كلكم، فإني ملبس هذه الحلة سيد العرب؛ فانصرفوا وكلهم طامع مهموم. وتأخر أوس عن الحضور، فلامه أصحابه على تأخره فقال: سبحان ا لله.. إن كنت المراد فسيرسل إلي ـ وذلك أرفع لشأني ـ وإن كان المراد

غيري لم تلحقني غضاضة في أخذ غيري لها وأنا غـائب. فلمـا دخلـوا علـى النعمـان نظر فلم ير أوساً فيهم، فاستدعى بعض بطانته وانفـذه ليعـرف خـبره مـع أصحابـه، فجاءه بما وقع له مع أصحابه؛ فقال له: امض إليه وقل له: إن الملك استبطأك، فجـاء في الثوب الذي كان عليه بالأمس ـ وقد كانت وجوه العرب سرت بغيبته خشية أن تدفع إليه الحلة ـ فلما حضر رفع النعمان مجلسه وقربه ومد يده إليـه، وقـال: أراك لم تغير لباسك في هذا اليوم، فخذ هـذه الحلـة وتجمـل بهـا بـين مـن تجمـل مـن وجـوه أصحابك؛ فلبسها وجلس في أقـرب مكان من النعمان، فحسده من حضر وقـالوا: ليس يخفضه إلا الهجاء. ثم كلموا الحطيئة في ذلك وقالوا لـه: نسـاهمك في أموالنـا، فقال: كيف أهجو رجـلا حسيبا لا ينكر بيتـه، كريمـا لا يغـب عطـاؤه، فـاضلا لا يوضعن على رأيه، شجـاعا لا يصطلي بناره..؟! ومع هذا فلا أرى في بيتي شيئا إلا من افضاله، ثم قال:

كيف الهجاء وما تنفـك صالحة   من آل لام بظهر الغيب تأتيني؟!

فسمع بذلك بشر بن أبي حازم الأسدي (أحد بني أسـد خزيمـة) فأتـاهم، وقـال لهم: أنا أهجوه لكم. فبذلوا له ثلاثمائة ناقة؛ فهجاه وأفحش في هجائه وذكر أمه ثم أخذ الإبل. فعلم بذلك أوس فأغار على الإبل واكتسـحها، وفـرَّ بشـر؛ ثـم لجـأ إلى قومه بني أسد ـ وكانوا حلفاء طيئ ـ وأبوا أن يسلموه لأوس، ورأوا في تسليمه إليـه سبة وعارا. فجمع أوس جديلة؛ فالتقوا بظهر الدهناء واقتتلوا قتالا شديدا فـانهزمت بنو أسد وهرب بشر؛ فجعل يتتبع أحياء العرب يستجير بهم، وكلما مر بحـي يقـول له: نجيرك إلا من أوس!. وفي ذلك يقول شاعر طيئ رويشد بن كثير:

يا أيها الراكـب المزجي مطيته   سائل بني أسد ما هـذه الصوت
وقل لهم بادروا بالعذر والتمسوا   قولا يبرئكم إني أنا المـوت
ان تذنبـوا ثم تأتيني بقيتكم   فما علـي بذنب عندكم فوت

وأراد بالصوت جلبتهم وصياحهم تهكما، أو ما يبلغه عنهم من الكلام. وفي ذلك يقول ـ أيضاً ـ أنيف بن زبان الطائي النبهاني:

جمعنا لكم من حي عوف ومالك   كتائب يردي المقرفين نكالها
لهم عجز بالرمل فالحزن فاللوى   وقد جاوزت حيي جديس رعالها
وتحت نحور الخيل حرشف رجلة   تتاح لغرات القلوب نبالها[1]
أبى لهم أن يعرفوا الضيم أنهم   بنو ناتقٍ كانت كثيرا عيالها[2]
فلما أتينا السفح من بطن حائل   بحيث تلاقي طلحها وسيالها
دَعَوا لنزار وانتمينا لطيئ   كأسد الشرى إقدامها ونزالها
فلما التقينا بيَّن السيف بيننا   لسائلة عنا خفي سؤالها
ولما تدانوا بالرماح تضلعت   صدور القنا منهم وعلت نهالها
ولما عصينا بالسيوف تقطعت   وسائل كانت قبل سلما حبالها
فولوا وأطراف الرماح عليهم   قوادر مربوعاتها وطوالها

و لم يزل أوس يطلب بشرا حتى ظفر به ثم قال له: ما تقول إني فاعل بك؟ فقال بشر:

فإني لأرجو منك يا أوس نعمة   وإني لأخرى منك يا أوس راهب
وإني لأمحو بالذي أنا صادق   به كل ما قد قلت إذ أنا كاذب
فهل نافعي في اليوم عندك أنني   سأشكر إن أنعمت والشكر واجب
فدى لابن سعدى اليوم كل عشيرتي   بني أسد أقصاهم والأقارب
تداركني أوس ابن سعدى بنعمة   وقد أمكنته من يدي العواقب

---

(1) الحرشف: الجراد المنتشر الشديد الأكل. تشبه به العرب كثرة الجيش. والرجلة: الرجالة الذين يمشون على أرجلهم أمام الفوارس. وهذا من قلب الإضافة، أي رجلة حرشف. وتتاح: تقدر. وغرات: جمع غرة (وهي من القلب حبته).

(2) الناتق: الولود، ومنه:«أنتق أرحاما».

فأمر أوس بحل كتافه، وحمله على فرس جواد ورد عليه ما أخذ منه وزاده من ماله، فرفع بشر يديه وقال: اللهم أنت الشاهد على أن لا أعود إلى شعر إلا أن يكون مدحا لأوس بن حارثة، وفي رواية أنه قال: وا لله لا مدحت غيرك حتى أموت، وفيه يقول:

إلى أوس بن حارثـــة بن لام   ليقضي حاجــــتي فيمن قضاها

فما وطِئَ الثرى مثل ابن سعدى   ولا لبـــس النعال ولا احتـــذاها

وفي رواية أن أوسا لما أتي به دخل على أمه فقال: قد أتينا ببشر الذي هجانا، قالت: أوتطيعني فيه؟ قال: نعم، قالت: أرى أن ترد عليه ماله وتعفو عنه وتحبوه فإنه لا يغسل هجاءه إلا مدحه، ففعل.

ولأوس بن حارثة هذا ابن اسمه جرير بن أوس له صحبة، ولابن ابنه عروة بن مضرس بن أوس صحبة أيضاً.

وقد سار المثل بجود طيئ لكون حاتم بن عبد ا لله وأوس بن حارثة بن لام منهم. وقد قال أبو تمام:

لكـــل من بني حـــواء عذر   ولا عــــذر لطائـــــي لئيـم

أحــــق الناس بالكرم امرؤ لم   يزل يأوي إلى أصـــــل كريم

وأما الثعالب فهم: ثعلبة بن رومان بن جندب بن خارجة بن سعد بن فطرة بن طيئ وابن أخيه ثعلبة بن ذهل بن رومان وابن أخي هذا ثعلبة بن جدعاء بن ذهل بن رومان، فالأول عم الثاني، والثاني عم الثالث؛ وكل هؤلاء أبو بطن، وهم الثعالب في طيئ نظراء الربائع في بني تميم؛ وهم: ربيعة الأكبر (وهو ربيعة الجوع) ابن مالك بن سعد بن زيد مناة وربيعة الأوسط (وهو ربيعة بن حنظلة بن مالك بن سعد) وربيعة الأصغر (وهو ربيعة بن مالك بن حنظلة بن مالك بن سعد)، ويقال لهم آل حنظلة الأكرمون وهم أكرم قبيلة في تميم. فالثعالب المذكورون في طيئ مثل

الربائع هؤلاء في تميم من حيث ترادف الأسماء والقرابة العمومية، ولذا قال: **الثعالب الألى هم كالربائعِ.**

وقيل الثعالب أربعة: الثلاثة المذكورون والرابع ثعلبة بن ذهل بن جدعاء بن ذهل بن رومان، قال في السبائك: ويقال لهم - ما عدا ثعلبة بن ذهل بن جدعاء - الثعالب. وعلى هؤلاء الثلاثة اقتصر صاحب الحلة السيراء وغيره، وعليه درج الناظم. ومن بني ثعلبة بن رومان الأسد الربيض - واسمه عمرو - بن عميرة بن ثعلبة بن غياث قاتل عنترة بن شداد العبسي.

ومن بني جدعاء بن ذهل بن رومان باعث بن حويص بن زيد بن عمرو بن ثمامة بن مالك بن جدعاء الذي أغار على إبل امرئ القيس الكندي في قوم من بني جديلة فذهبوا بها، فقال امرؤ القيس في ذلك وهو يخاطب خالدا بن سدوس بن اصمع النبهاني - وكان قد نزل عليه مستجيرا به - قال:

دع عنـــك نهبا صيح في حجراته ... ولكـــن حديثا ما حديث الرواحل[1]

كأن دثارا حلقـــــت بلبونـــــه ... عقاب تنوفـــى لا عقاب القواعل[2]

تلعب باعـــــث بذمة خالـــــد ... وأودى عصام في الخطوب الأوائل[3] .. الخ

ومن بني جدعاء - أيضاً - الكـروَّس الطائي الـذي جاء بنعي أهل الحرَّة إلى الكوفة فقال فيه ابن الزَّبِير الأسدي (أسد خزيمة):

---

(1) النهب: الغنيمة. والحجرات: النواحي، أي دع عنك ذكر إبل أغير عليها وصيح في نواحيها؛ ولكن هات حديثا عجبا وهو حديث الرواحل التي ذهبت ولم ترجع بها.

(2) دثار: هو دثار بن فقعس بن طريف الأسدي. كان راعي إبل امرئ القيس. وحلقت: علت في الجو. واللبون: الإبل ذوات اللبن. وتنوفى: جبل عال في بلاد طيئ. والقواعل: أجبل من سلمي في بلاد طيئ.

(3) بذمة خالد: أي بجاره. وأودى: هلك. وعصام: اسم رجل (وفي رواية "دثار"). والخطوب الأوائل: أي الأمور العظام القديمة.

لعمري لقد جاء الكروَّس كاظما   علـــى خبر للمسلمـــين فظيع

[.. الأبيات].

ومنهم ـ أيضاً ـ جبلة بن رافع الذي يقول فيه الحطيئة:

لعمري لقد أنعمت نعمة ماجد   علي قديـــما يا جبيل بن رافع

ومن بني ثعلبة بن جدعاء بن ذهل بن رومان تيم بن ثعلبة، يقال لبنيه: "مصابيح الظلام" لحسنهم وشهرة فضلهم ولكشفهم الأمور المهمة، وعليهم نزل امرؤ القيس بن حجر الكندي، ثم نزل على المعلى بن تيم بن ثعلبة وفي ذلك يقول:

كأني إذ نزلـــت على المعلى   نزلت على البـواذخ من شمام[1]

فما ملك العـــراق على المعلى   بمقتـــدر ولا الملك الشآمي[2]

إلى أن يقول:

أقرَّ حشا امرئ القيس بن حجر   بنو تيـــم مصابيح الظلام[3]

ولما فرغ من الكلام على مذحج وطيئ ابني أدد بن زيد. أخذ يتكلم على بني كندة فقال رحمه الله:

---

(1) البواذخ: الشوامخ. يريد به القمم الشامخة. وشمام: (بالفتح) جبل لباهلة.

(2) الشآمي: أي الشامي. أي لا يقدر على المعلى ملك العراق ولا ملك الشام لأنه في عز ومنعة من قومه.

(3) أقر: أبرد وهدأ. والحشا: ما دون الحجاب مما في البطن من كبد وطحال وكرش. يعني أنه أمن واطمأنت نفسه حين نزل على بني تيم، أهل الحسب الكريم والرأي السديد بعد ما كان خائفا من المنذر الذي يطلبه.

بعض بطون ومشاهير كندة*

مِن كِنْـــدَةٍ أَكَلَـــةُ الْمُـرَارِ   رَهْـطُ امْرِئِ الْقَيْسِ وَكُلِّ ضَارِ
وَالأَشْعَثِ بن قَيْسٍ الشَّهْمِ الْعَرِيقْ   حَلِيلِ أُمِّ فَرْوَةٍ أُخْـتِ الْعَتِيقْ

أكلة المرار: مبتدأ خبره الجار والمجرور قبله، **وأكلة** (بالتحريك) جمع آكل. **والمرار** (كغراب): شجر مر من أفضل العشب وأضخمه؛ إذا أكلت منه الإبل تقلصت مشافرها فبدت أسنانها لشدة مرارته، ولقب به جد امرئ القيس لأنه كان قد أكل هو وأصحابه من ذلك الشجر في بعض غزواتهم، وقيل لكشر كان به، وقيل لأن امرأته(1) كانت تكرهه فرأته يوما فقالت كأنه جمل آكل من المرار فغلب عليه ذلك اللقب.

واختلف في آكل المرار فقيل هو حجر الأكبر بن عمرو بن معاوية، وقيل هو الحارث بن عمرو بن حجر الكندي. وقوله **رهط** (بالرفع): صفة لأكلة المرار الذين هم بنو حجر آكل المرار. **وامرؤ القيس**: هو الشاعر المشهور ابن حجر الأصغر أحد الشعراء الستة الجاهليين. وقوله **وكل ضار** (بالجر): عطف على امرئ القيس؛ والضاري من السباع: المولع بأكل اللحم والمتطعم بالدم، والمراد به هنا الشجاع الباسل. وقوله **والاشعث** (بالجر): عطف على امرئ القيس أيضا. **والشهم**: الذكي

---

* تناول الناظم الكلام على كندة في نحو ثلاثة عشر بيتا وذكر من بطونهم بني آكل المرار وبني معاوية الأكرمين وبني السكون، ومن أفخاذهم بني الشيطان وبني الرائش وبني تجيب وبني الصمادح وبعض هؤلاء ذكره تصريحا وبعضهم تلويحا وذكر من أعيانهم خمسة عشر رجلا فيهم أربعة صحابة وأربعة ملوك.

(1) قيل هي أم أناس بنت عوف بن محلم الشيبانية. ابن هشام.

الفؤاد والسيد النافذ الحكم. **والعريق** والمعرق: الذي له عـرق أي أصـل في الشرف والكـــرم، **وحليل**: أي زوج ـ وكلها بالجر ـ صفات للأشعث. **وفروة**: بفتح الفاء. **وأخت** (بالجر): صفة لأم فروة. **والعتيق** هو أبو بكر الصديق رضي ا لله عنه.

يقول ومن كندة بنو حجر آكل المرار بطن الشـاعر المشـهور امرئ القيـس بـن حجر والأشعث بن قيس بن معدي كرب الكنديين.

أما كندة فهو أبو الحي العظيم القحطاني ثـم الكهلانـي، واسـم كنـدة ثـور بـن عفير بن عدي بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بـن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، ولقب ثور هذا بكنـدة لأنـه كنـد أباه أي كفر نعمته ولحق بأخواله، وقد مر بعض الكلام على كندة.

ومن ولد كندة هذا معاوية بن كندة، أمه رملة بنت أسد بـن ربيعـة بـن نـزار ـ كما تقدم ـ ومن معاوية بن كندة هذا بنو آكل المرار بن عمـرو بـن معاويـة. وكـان آكل المرار هذا سيد كندة في عصره، وكان في عهد تبابعة اليمـن في الجاهليـة وولاه أخوه لأمه حسان بن أسعد الحميري على قبائل معد بن عدنان في الحجاز فدانت لـه واستمر فيهم إلى أن مات وهو أول من يذكـره المؤرخـون مـن ملـوك كنـدة وكـان يقال لملوكهم آل آكل المرار ولقب بنوه بأكلة المرار، ولبعض الأعراب:

توسمته لما رأيـــت مهابـــة ... عليه فقلت المرء من آل هاشـم

وإلا فمن ءال المـــرار فإنهم ... ملوك كـــرام من ملوك أعاظم

فقمت إلى عنز بقيـــة أعنز ... لأذبحها فعـــل امرئ غير نادم

فعوضـــني عنها غناي ولم تكن ... تساويُ عنـدي غير خمس دراهم!

وأراد بآل المرار آل آكل المرار.

ومن أكلة المرار بنو الجون بن آكل المرار منهم حسان بن عمرو بن الجون كـان على تميم يوم جبلة وكان ابن عمه معاوية بن شراحيل بن أخضر بن الجـون مـع بني

عامر يوم جبلة أيضاً. ومنهم النعمان بن أبي الجون واسمه الأسود بن شراحيل بن حجر بن معاوية الكندي، وفد على رسول الله ﷺ مسلما وقال له: أزوجك أجمل أيم في العرب - يريد أخته أسماء بنت ابي الجون الكندية - فزوجه منها وبعث معه إليها أبا أسيد الساعدي فأتاه بها، وهي المستعيذة منه صلى الله عليه وسلم فطلقها. وسبب ذلك أنها كانت من أجمل النساء، فلما رءاها نساؤه صلى الله عليه وسلم خفن أن تغلبهن عليه فقلن لها إنه يحب إذا دنا منك أن تقولي أعوذ بالله منك، وفي رواية: إذا أردت أن تحظي عنده تعوذي بالله منه؛ فلما دنا منها قالت: أعوذ بالله منك فصرف رسول الله ﷺ وجهه عنها وقال لها: قد عذت بمعاذ، وفي رواية: قد أعاذك الله مني[1]؛ وطلقها ثم سرحها إلى أهلها فكانت تسمي نفسها الشقية؛ قيل تزوجها المهاجر بن أبي أمية المخزومي، فأراد عمر أن يحدها فقالت: لم يدخل بي رسول الله ﷺ وأقامت له البينة على ذلك. ثم خلف عليها قيس بن مكشوح المرادي [كما في الخميس].

وكان لكندة ملك بالحجاز واليمن وأول من ملك منهم آكل المُرار وانتزع من اللخميين ما كان بأيديهم من أرض بكر بن وائل، وآخر ملوكهم امرؤ القيس بن حجر الشاعر. وكانت لهم ملوك منهم على مخالفيهم؛ منهم أولاد الحارث بن آكل المرار ملّكتهم قبائل عدنان ثم رفضوهم؛ منهم حجر بن الحارث الملك (والد امرئ القيس الشاعر) كان ملكا على بني كنانة وبني أسد ابني خزيمة، وإخوته شرحبيل بن الحارث ملك على بني تميم والرباب، وسلمة بن الحارث ملك على بكر وتغلب ابني وائل، ومعدي كرب ملك على قيس عيلان، وقيس بن الحارث كان سيارا فأي قوم

---

(1) أخرجه البخاري وابن ماجة والنسائي وأحمد والحاكم.

نزل بهم فهو ملكهم، وحسان بن الجون بن حجر آكل المرار كان على تميم يوم جبلة كما كان ابن عمه معاوية بن شراحيل على بني عامر يومئذ كما مر.

ترجمة امرئ القيس بن حجر

وأما امرؤ القيس فهو أبو الحارث امرؤ القيس بن حجر بن الحارث (الملك) بن عمرو (المقصور) ابن حجر الأكبر (آكل المرار) بن عمرو بن معاوية بن الحارث بن معاوية بن ثور بن مرتع (عمرو) بن معاوية بن ثور الأكبر وهو كندة بن عفير، الكندي. واسم امرئ القيس هذا جُنْدَحٌ ولقب بامرئ القيس لجماله وذلك لأن الناس قيسوا عليه في زمانه فكان أحسنهم، ويقال له الملك الضليل وأمه فاطمة بنت ربيعة بن الحارث أخت كليب ومهلهل ابني ربيعة التغلبيّين، وكليب هو الذي تقول فيه العرب "أعز من كليب وائل" وبمقتله هاجت حرب بكر وتغلب.

اشتغل امرؤ القيس بالشعر والتشبب بالنساء وشرب الخمر، وكان يُعدُّ من عشاق العرب والزناة وكان شديد الغيرة مئناثا لم يكن له ولد؛ وكان إذا ولدت له بنت وأدها. وشبب بنساء منهن فاطمة بنت العبيد بن ثعلبة بن عامر العذرية، وأم الحويرث الكلبية وابنة عمه عنيزة (صاحبة دارة جلجل) وطلبهن كثيراً فلم يصل إلى ما يريد منهن حتى كان *يوم الغدير* بدارة جلجل فكان ما كان، فقال قصيدته المشهورة:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل
فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها لما نسجتها من جنوب وشمأل

إلى أن يقول:

كدأبك من أم الحويرث قبلها وجارتها أم الرباب بمأسل
ففاضت دموع العين مني صبابة على النحر حتى بل دمعي محملي

ويقول في يوم دارة جلجل:

ويوم عقرت للعـــذارى مطيتي   فيا عجبا من رحلها المتحمـــــل
فظل العـــذارى يرتمين بلحمها   وشحـــم كهداب الدِّمقس المفتل
ويوم دخلت الخدر خدر عنيزة   فقالت لك الويلات إنك مرجلي
تقول وقد مال الغبـــيط بنا معا   عقرت بعيري يا امرأ القيس فانزل
فقلت لها سيري وارخي زمامه   ولا تبعدينا مـــــن جناك المعلل

ويقول في فاطمة العامرية:

أفاطم مهـــلا بعض هذا التدلُّل   وإن كنت قد أزمعت صرمي فأجملي
وإن تك قد ساءتك مني خليقة   فسلي ثيابي من ثيابـــك تنســـل
أغرك مني أن حبـــــك قاتلي   وأنك مهما تأمري القلـــب يفعل
وما ذرفـــت عيناك إلا لتقدحي   بسهميـــك في أعشار قلب مقتل

ويقول لها أيضاً:

لا وأبيك ابنـــــة العامـــريْـ   ـي لا يدعي القـــوم أني أفـــــر
تميم بن مـــــر وأشياعــــــها   وكنــــــدة حـــــولي جميعا صبر
إذا ركبـــــوا الخيل واستلأموا   تحرقت الأرض واليـــــــوم قر

وكان أبوه حجر قد نهاه عن الشعر فلم يطعه فطرده. وكان حجر بن الحارث هذا ملكا على بني كنانة وبني أسد ابني خزيمة ـ كما مر آنفا ـ وكان يأخذ على بني أسد شيئا معلوما فامتنعوا منه، فسار إليهم وأخذ سرواتهم فقتلهم بالعصي؛ فسموا عبيد العصا وأسر منهم طائفة فيهم عبيد بن الأبرص فقام بين يدي الملك وأنشده أبياتا منها:

يا عين ما فابكـــــي بني   أســــــد هم أهل الندامه
أهل القباب الحمر والنـ   ـنعم المؤبـــل والمدامه[1]

---

(1) القباب جمع قبة وهي خيمة صغيرة أعلاها مستدير والحمر جمع أحمر وحمراء وهو ما لونه الحمرة والنعم المال السائم وأكثر ما يقع هذا الاسم على الإبل ويطلق ايضا على البقر والغنم سمي بذلك لما فيه من الخير والنعمة. وأبلت الإبل استغنت بالنبات الرطب عن الماء، والمدامة الخمر.

مهـــلا أبيت اللعن مهـ ـلا إن فيما قلت ءامه[2]

إلى أن يقول:

أنت المليك عليهـــــم وهـــم العبيد إلى القيامه

فرحمهم حجر وأطلقهم وعفا عنهم وردهم إلى بلادهم، حتى إذا كانوا على مسيرة يوم من تهامة تكهن كاهنهم عوف بن ربيعة الأسدي وسجع لهم على قتل حجر وحرضهم عليه فركب بنو أسد كل صعب وذلول.. فما أشرق الضحى حتى انتهوا إلى حجر فوجدوه نائما فذبحوه؛ وكان الذي قتله علباء بن الحارث الأسدي وشدوا على هجائن حجر واستاقوها.

فجاء نعي حجر إلى ابنه امرئ القيس وهو بَدمُّون فقال:

تطاول الليل علينا دمَّون دمـون إنا معشر يمانون

وإننا لأهلـنا محبـــون

ثم قال ضيعني صغيرا وحملني دمه كبيرا، لا صحو اليوم ولا سكر غـدا.. اليـوم خمر وغدا أمر! ثم قال:

خليلي ما في اليوم مصحى لشارب ولا في غد إذ كان ما كان مشرب

ثم ءالى لا يأكل لحما ولا يشرب خمرا ولا يغسل رأسه حتى يدرك ثأره ببني أسد، فلما كان الليل لاح له برق فقال:

أرقـــــت لبرق بليل أهل يضـــــيء سناه بأعلى الجبل

بقتل بني أســـد ربهـــم ألا كل شيء ســـواه جلل[1]

---

(2) مهلا: مصدر نائب مناب فعله يستوي فيه المذكر والمؤنث مفردا ومثنىً وجمعا ومعناه الرفق والتؤدة، وأبيت اللعن تحية الملوك في الجاهلية أي لا فعلت ما تستوجب به اللعن أيها الملك.

(1) الجلل: الحقير والجليل أيضا (ضد).

وقال:

تا لله لا يذهب شيخي باطلا حتى أبير مالكا وكاهلا
القاتلين الملك الحلاحلا خير معد حسبا ونائلا

فأتى ذا جدن الحميري فاستمده، فأمده؛ وبلغ الخبر بني أسد فانتقلوا عن منازلهم فنزلوا على قوم من بني كنانة بن خزيمة، والكنانيون لا يعلمون بمسير امرىء القيس إليهم؛ فطرقهم في جند عظيم فأغار على الكنانيين وهو يظن أنهم بنو أسد فقتل منهم، ثم تبين أنهم ليسوا إياهم فقال:

الا يا لهف هند إثر قوم هُمُ كانوا الشفاء فلم يصابوا
وقاهم جدهم ببني أبيهم وبالأشقين ما كان العقاب
وأفلتهن علباء جريضا ولو أدركنه صفر الوِطاب

ثم اتبع بني أسد فأدركهم وقتل فيهم قتلا ذريعا فقال في ذلك:

قولا لدودان عبيد العصا ما غركم بالأسد الباسل
قد قرت العينان من مالك ومن بني عمرو ومن كاهل
ومن بني غنم بن دودان إذ نقذف أعلاهم على السافل
نطعنهم سلكى ومخلوجة لفتك لا مين على نابل[1]
حتى تركناهم لدى معرك أرجلهم كالخشب الشائل

---

(1) في رواية: كرك لامين على نابل ، وفي رواية أخرى: ردك لا مين.. الخ قال في الروض الأنف: "سئل رؤبة عن معنى هذا البيت فقال حدثني أبي عن ابيه قال حدثتني عمتي - وكانت في بني دارم - قالت سألت امرأ القيس وهو يشرب طلاء له مع علقمة بن عبدة ما معنى قولك كرك لا مين على نابل؟ فقال مررت بنابل وصاحبه يناوله الريش لؤاما وظهارا فما رأيت شيئا أسرع منه ولا أحسن فشبهت به". ثم قال صاحب الروض: "وريش السهم المحمود فيه اللؤام وهو أن تكون الريشة بطنها إلى ظهر الأخرى واللغاب بعكس ذلك أن يكون ظهر واحدة إلى ظهر الأخرى وهو الظهار أيضاً".

حلت لي الخمر وكنت امرأ عن شربها في شغل شاغل
فاليوم أشرب غير مستحقب إثما من ا لله ولا واغل

ثم إن المنذر بن ماء السماء غزا كندة فأصاب منهم وأسر اثني عشر فتى من ملوكهم فأمر بهم فقتلوا، وكان امرؤ القيس يومئذ معهم فهرب حتى لجأ إلى سعد بن الضباب الإيادي (سيد إياد) فأجاره، ثم تحول إلى جبلي طيئ فنزل على قوم؛ منهم عامر بن جوين الطائي، ثم خرج امرؤ القيس من عنده و لم يزل ينتقل من قوم إلى قوم بجبلي طيئ. ثم سمت به نفسه إلى ملك الروم فأتى السموأل بن عاديا اليهودي (ملك تيماء) فاستودعه مائة درع وسلاحا كثيرا، ثم سار ومعه عمرو بن قميئة أحد بني قيس بن ثعلبة ـ وكان من خدم أبيه ـ فبكى ابن قميئة، وقال له غررت بنا، فأنشأ امرؤ القيس يقول:

بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه وأيقن أنا لا حقان بقيصرا
فقلت له لا تبك عيناك إنما نحاول ملكا أو نموت فنعذرا

وبلغ الحارث بن أبي شمر الغساني ما خلف امرؤ القيس عند السموأل فبعث إليه رجلا من أهل بيته اسمه الحارث بن مالك وأمره أن يأخذ منه سلاح امرئ القيس وودائعه، فلما انتهى إلى حصن السموأل أغلقه دونه؛ وكان للسموأل ابنٌ خارج الحصن يتصيد فأخذه الحارث وقال للسموأل: إن أنت دفعت إلي السلاح وإلا قتلته؛ فأبى أن يدفع إليه ذلك وقال له: اقتل أسيرك فإني لا أدفع لك شيئا! فقتله؛ فضربت العرب المثل بالسموأل في الوفاء، كما ضربت المثل بعرقوب في الخلف[1].

---

(1) ولقد أحسن بعض الأدباء الموريتانيين حيث يقول:

فإن خنتني أي ليلُ ما خنتُ عهدكم ولو كنتِ عرقوباً لكنتُ السَّموألا

ثم صار امرؤ القيس إلى ملك الروم فأكرمه ونادمه واستمده فوعده ذلك، وفي ذلك يقول:

ونادمت قيصر في ملكه	**فأوجهني وركبت البريدا**[1]
إذا ما ازدحمنا على سكة	**سبقت الفرانق سبقا بعيدا**[2]

ثم بعث معه جيشا فيهم ابناء ملوك الروم، فلما فصل قيل لقيصر: إنك أمددت بأبناء ملوك أرضك رجلا من العرب وهم أهل غدر فإذا استمكن مما أراد وقهر بهم عدوه غزاك (وقيل وشى إليه الطماح بن قيس الأسدي بامرئ القيس)، فبعث قيصر إليه حلة منسوجة بالذهب مسمومة مع الطماح هذا وكتب إليه: إني قد بعثت إليك بحُلّتي التي كنت ألبسها يوم الزينة ليعرف فضل منزلتك عندي فإذا وصلت إليك فالبسها على اليمن والبركة واكتب لي في كل منزل بخبرك. فأدركه الرسول دون أنقرة[3] بيوم ودفع له الحلة فاشتد سروره بها ولبسها في يوم صائف، فتناثر لحمه وتفطر جسده فكان يحمله جابر بن حني التغلبي، فقال في ذلك:

فلو أنها نفس تموت جميعة	**ولكنها نفس تساقط أنفسا**	
وبدلت قرحا داميا بعد صحة	**لعل منايانا تحولن أبؤسا**	
لقد طمح الطماح من بُعد أرضه	**ليلبسني من دائه ما تلبسا**	.. الخ

وقال:

فإما تريني في رحالة جابر	**على حرج كالقر تخفق أكفاني**	
فيا رب مكروب كررت وراءه	**وعان فككت الغل عنه ففداني**	.. إلخ

---

(1) البريد في الأصل الدابة التي تحمل الرسائل.

(2) السكة (بالكسر): الطريق المستوي ومنها سكة الحديد. والفرانق (كعلابط) الأسد وحيوان يصيح بين يدي الأسد كأنه ينذر الناس به ويقال أيضا للذي يدل صاحب البريد على الطريق.

(3) أنقرة مدينة ببلاد الروم وهي عاصمة تركيا منذ 1923م تقع في وسط الأناضول.

فلما وصل إلى أنقرة اشتد مرضه فأقام بها، وحكي أنه رأى بها قبراً فسأل عنه فقيل: لأمرأة من بنات ملوك الروم؛ فقال:

أجارتناإن الخطوب تنوب وإني مقيم ما أقام عسيب[1]

أجارتنا إنا غريبان هـهنا وكل غريب للغريب نسيب

فمات ودفن بأنقرة[2]. ولما بلغ السموأل موت امرئ القيس دفع ما خلف عنده من سلاح وغيره إلى عصبته.

وأما الأشعث فهو أبو محمد الأشعث بن قيس بن معدي كرب بن معاوية بن جبلة بن عدي بن ربيعة بن معاوية الأكرمين بن الحارث الأصغر بن معاوية بن الحارث الأكبر بن معاوية بن ثور بن مرتع الكندي، قيل لقب الأشعث لأنه كان دائما أشعث الرأس. وكان من كبار أمراء العرب ورؤساء كندة وسادات قومه وكان أحد الأجواد، أسره بنو مرة بن الحارث بن كعب في الجاهلية فافتدى منهم

---

(1) عسيب اسم جبل هناك، وحكي أن قوما من أهل اليمن أقبلوا يريدون النبي صلى الله عليه وسلم فضلوا الطريق ومكثوا ثلاثا لا يقدرون على ماء إذ أقبل راكب على بعير وأنشد بعض القوم:

ولما رأت أن الشريعة همها وأن البياض من فرائصها دام

تيممت العين التي عند ضارج يفيء عليها الظل عرمضها طام

فقال الراكب من يقول هذا؟ قالوا: امرؤ القيس فقال والله ما كذب هذا ضارج عندكم، وأشار إليه؛ فمشوا على الركَب فإذا ماء غدق وإذا عليه العرمض والظل يفيء عليه فشربوا وحملوا وسلموا بعد أن أشرفوا على الهلاك. وقوله ولما رأت فاعله ضمير عائد على ناقته. وضارج: مكان في الطريق من اليمن إلى المدينة. والعرمض الطحلب الذي يعلو الماء. وطام: عال.

(2) روي أنه لما حضرته الوفاة قال:

وطعنة مسحنفره وجفنة مثعنجره قد غودرت بأنقره

فكان ذلك آخر ما تكلم به ـ والله أعلم.

بثلاثة ءالاف بعير وروي أنه غدر بهم في الجاهلية فأسروه ففدى نفسه بمائتي قلوص أعطاهم مائة منها وجاء الإسلام على الأخرى فهدم ما كان في الجاهلية؛ ثم وفد على النبي ﷺ سنة عشر في ستين راكبا من كندة هو رئيسهم فأسلموا فقال الأشعث للنبي ﷺ: أنت منا فنحن وأنتم بنو آكل المرار (وذلك لأن أم كلاب بن مرة كندية) فقال صلى الله عليه وسلم: «نحن بني النضر بن كنانة لا نقفو أمنا ولا ننتفي من أبينا»[1]، ثم رجع الوفد إلى أهلهم، وهم إذ ذاك بحضرموت من اليمن.

ولما توفي رسول الله ﷺ ارتد الأشعث، فبعث أبو بكر الجنود إلى اليمن فأخذوا الأشعث أسيرا وأتوا به إلى خليفة رسول الله ﷺ أبي بكر الصديق رضي الله عنه فأسلم وقال لأبي بكر: استبقني لحروبك وزوجني بأختك، فمنَّ عليه أبو بكر وأطلقه وزوجه أخته أم فروة بنت أبي قحافة؛ ففرح الأشعث وقام واخترط سيفه ودخل سوق الإبل وجعل لا يمر بجمل ولا ناقة إلا عرقبه، فصاح الناس: كفر الأشعث! فلما فرغ طرح سيفه وقال: إني والله ما كفرت ولكن خليفة رسول الله ﷺ زوجني أخته وهذه وليمتي ولو كنا ببلادنا لكانت لنا وليمة أضعاف هذه، ثم قال: يا أهل المدينة انحروا وكلوا ويا أصحاب الإبل تعالوا فخذوا أثمانها! ثم وزن للناس أثمان إبلهم، فلم تر وليمة مثلها.

---

(1) أخرجه أحمد في مسنده وابن ماجة. قوله لا نقفو أمنا أي لا نتبعها في نسبها لأن نسب الرجل إلى أبيه لا إلى أمه. ولقد أحسن بشامة بن حزن ـ أو جزء النهشلي ـ حين قال:

إنا بني نهشل لا ندعي لأب عنه ولا هو بالأبناء يشرينا

قال أحمد في مسنده فكان الأشعث يقول: لا أوتى برجل نفى قريشا من النضر بن كنانة إلا جلدته الحد، وفي رواية أن الأشعث لما قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم نحن وأنت بنو آكل المرار تبسم وقال له «ناسبوا بهذا النسب العباس بن عبد المطلب وربيعة بن الحارث»، وذلك لأنهما كانا تاجرين وكانا إذا بعُدا ودخلا في بعض العرب فسئلا ممن هما قالا نحن بنو آكل المرار يتعززان بذلك؛ وذلك لأن كندة كانوا ملوكا.

ثم شهد الأشعث اليرموك وذهبت فيه عينه، ثم سار إلى العراق فشهد القادسية والمدائن وجلولاء ونهاوند ثم استعمله عثمان على أذربيجان ثم سكن الكوفة وابتني بها دارا وشهد صفين مع علي وجعله على ميمنته؛ وكان ممن ألزم عليا بالتحكيم، وتوفي بعد علي بقليل سنة أربعين وصلى عليه الحسن بن علي؛ وكان الحسن قد تزوج بنته جعدة بنت الأشعث، وقد قيل إنها هي التي سقت الحسن السم فمات منه رضي الله عنه، كما مر في ترجمة الحسن بن علي رضي الله عنهما.

وقد ولد للأشعث من أم فروة هذه ابنه محمد؛ ومن عقبه عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث القائم على عبد الملك والحجاج. وأخو الأشعث هذا سيف بن قيس، كان في الوفد الذي قدم معه على رسول الله ﷺ وجعله النبي صلى الله عليه وسلم مؤذن قومه ولم يزل كذلك إلى أن مات. وابن عمه عفيف الكندي روى عنه ابنه إياس بن عفيف أنه قال: كنت امرأ تاجرا فقدمت الحج فأتيت العباس بن عبد المطلب لأبتاع منه بعض التجارة، وكان امرأ تاجرا فوالله إني لعنده بمنى إذ خرج رجل من خباء قريب منه فنظر إلى الشمس فلما رءاها مالت قام يصلي ثم خرجت امرأة من ذلك الخباء الذي خرج منه ذلك الرجل فقامت خلفه تصلي ثم خرج غلام حين راهق الحلم من ذلك الخباء فقام يصلي معه قال عفيف الكندي فقلت للعباس من هذا يا عباس؟ قال هذا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ابن أخي، قال فقلت من هذه المرأة؟ قال: هذه امرأته خديجة ابنة خويلد، قال قلت: من هذا الفتى؟ قال هذا علي بن أبي طالب ابن عمه؛ قال فقلت: ما هذا الذي يصنع؟ قال يصلي وهو يزعم أنه نبي ولم يتبعه على أمره إلا امرأته وابن عمه هذا الفتى، وهو يزعم أنه سيفتح عليه كنوز كسرى وقيصر قال فكان عفيف يقول ـ بعد أن أسلم وحسن إسلامه ـ: لو كان الله رزقني الإسلام يومئذ فأكون

ثالثا مع علي بن أبي طالب رضي ا لله عنه[1].

فائدة: روي أنه لم يعش لأبي قحافة ولد ذكر إلا أبو بكر ولا تعرف له بنت إلا أم فروة هذه، وكانت قبل الأشعث بن قيس هذا تحت تميم الداري، وقيل كانت لأبي قحافة بنت أخرى تسمى قريبة، تزوجها قيس بن سعد بن عبادة؛ وروي أن أبا قحافة لما أشرف رسول ا لله ﷺ على مكة يوم الفتح قال لإحدى ابنتيه هاتين: أي بنية اظهري بي على أبي قبيس ـ وكان قد كف بصره ـ قالت فأشرفت به عليه فقال أي بنية ماذا ترين؟ قالت أرى سوادا مجتمعا قال: تلك الخيل، قالت وأرى رجلا يسعى بين يدي ذلك السواد مقبلا ومدبرا. قال أي بنية ذلك الوازع ــ يعني الذي يأمر الخيل ويتقدم إليها ـ ثم قالت: قد وا لله انتشر السواد، قال قد وا لله إذاً دفعت الخيل فأسرعي بي إلى بيتي، فانحطت به وتلقاه الخيل قبل أن يصل إلى بيته وا لله تعالى أعلم.

ثم قال رحمه ا لله وعفا عنه:

وَحُجْرُ الادْبَرِ نَهَتْ مُعَاوِيَهْ عَائِشَةُ عَنْهُ فَعَقَّ النَّاهِيَهْ
مُقَطِّعُ النُّجُدِ وَالأَوَّاهُ قَاتِلُ عَمِّهِ وَقَالَ: اللهُ
رَبِّي وَأَنْتَ الْعَمُّ ، وَالشَّيْطَانُ مِنْهُمْ وَفِيهِمْ كَاسْمِهِمْ خُسْرَانُ

حجر (بضم فسكون): مبتدأ خبره قوله **منهم** الآتي، وهو مضاف **للأدبر** (بوزن الأحمر) أي حجر بن الأدبر. **والأدبر**: لقب جده معاوية بن جبلة، لقب به لأنه ضرب بسيف على أليته وهو مدبر فسمي الأدبر لذلك؛ وإنما أضافه الناظم إليه

---

(1) أخرجه أحمد في مسنده.

لشهرته بالانتساب إليه فيقال حجر بن الأدبر وهو حجر بن عدي بن معاوية الأدبر بن جبلة ـ وقيل الأدبر لقب أبيه عدي بن معاوية ـ ويعرف أيضا بحجر الخير. وقوله **عائشة**: فاعل **نهت**، والمراد بها أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما. **ومعاوية**: مفعول به **لنهت**. والضمير في **عنه** عائد على حجر. وقوله **فعق**: أي خالف، وفاعله ضمير عائد على **معاوية**؛ والمراد **بالناهية** عائشة، وفيه إقامة الظاهر مقام الضمير، وفي تعبيره بـ **عق** استعارة بليغة لكونها أم المؤمنين. وقوله **مقطع النجد** (بوزن محدِّث): عطف على **حجر** بحذف العاطف. **والنجد** (بضمتين): جمع نجاد (ككتاب) وهي حمائل السيف، لأنها تعلو العاتق، يقال هو طويل النجاد كناية عن طول القامة؛ والمراد بمقطع النجد معاوية بن الحارث بن عمرو الكندي، لقب بذلك لأنه كان لا يركب معه أحد يتقلد سيفا إلا قطع نجاده. **والأواه** (بالرفع): عطف على **حجر الأدبر** أيضا، **والأواه**: الكثير التأوه وهو الشكوى والتوجع، والمراد به امرؤ القيس بن عابس. **وقاتل عمه** (بالرفع): صفة للأواه الذي هو امرؤ القيس. وفاعل **قال** ضمير مستتر عائد على الأواه. وجُمْلَةُ **الله ربي وأنت العم**: محكي **قال**. **والشيطان**: عطف على **حجر الأدبر** أيضا. وقوله **منهم** خبر عن حجر الأدبر السابق، والمعطوفات عليه، والضمير فيه عائد على **كندة** المتقدم ذكرهم. **والشيطان** أبو بطن من كندة يعرفون ببني الشيطان وهم المراد هنا، ولذا قال: **وفيهم كاسمهم** بصيغة الجمع فيهما. **وخسران**: مبتدأ خبره **فيهم** التي قبله، **والخسران**: الضلال والنقصان. ولعل الناظم أراد بقوله **وفيهم كاسمهم خسران** الاقتباس من قول الشاعر[1]:.. *والسفاهة كاسمها*..

---

(1) هو النابغة الذبياني يقول:

نبئت زرعة والسفاهة كاسمها   يهدي إلي غرائب الأشعار ..إلخ.

يقول ومن كندة أيضا حجر بن الأدبر ومعاوية بن الحارث، الملقب بمقطع النجد والصحابي الصالح امرؤ القيس بن عابس وبنو الشيطان الكنديون.

حجر بن عدي وسبب قتله

أما **حجر الأدبر** فهو أبو عبد الرحمن حجر بن عدي بن معاوية الأدبر بن جبلة بن عدي بن ربيعة بن معاوية الأكرمين بن الحارث بن معاوية بن الحارث بن معاوية بن ثور بن مرتِع بن معاوية بن كندة الكندي، وفد هو وأخوه هانئ ابنا عدي على النبي ﷺ وكان من فضلاء الصحابة، مجاب الدعوة وشهد القادسية ثم كان مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالجمل ومن أمرائه به؛ وشهد معه صفين وكان بها على ميمنة كندة، ويوم النهروان وكان به على الميسرة.

ولما ولّى معاوية زيادا على العراق وما وراءه وأظهر من الغلظة وسوء السيرة ما أظهر خلعه حجر ولم يخلع معاوية، وتابعه جماعة من أصحاب علي رضي الله عنه؛ فكتب فيه زياد إلى معاوية وكثر عليه وعظم أمره وخطره وأنه كان من أكبر أتباع علي رضي الله عنه ويتأثر به كثيرون. فلما وصل كتابه إلى معاوية كتب إليه أن سرِّح به إلي؛ فقبض عليه زياد وبعث به إلى معاوية مع وائل بن حجر الحضرمي في اثني عشر رجلا، في الحديد.

فلما دخل حجر على معاوية قال: السلام عليك يا أمير المؤمنين، فقال: أو أمير المؤمنين أنا؟ قال: نعم. فأمر بقتله؛ فلما قدم للقتل قال لمن حضر: لا تطلقوا عني حديدا ولا تغسلوا عني دما فإني مُلاق معاوية على الجادة[1] وإني مخاصم إلا أني على بيعتي لا أقيلها ولا أستقيلها، وصلى ركعتين خفيفتين وقال: لولا أن تظنوا بي

---

(1) الجادة (بتشديد الدال المهملة): وسط الطريق أو الطريق الأعظم الذي يجمع الطرق.

غير الذي بي لأطلتهما وا لله لئن كانت صلاتي لم تنفعني فيما مضى ما هما بنافعتي، فقتله معاوية صبرا هو وخمسة من أصحابه واستحيا ستة[1]. وكان سبب تعجل معاوية بقتله أنه يرى أنه يقطع بذلك دابر فتنة يوشك أن تنفجر ويستغلها الأعداء والحاقدون وأن الأولى وأدها في مهدها[2].

فلما سمعت عائشة بما صنع زياد بحجر وأصحابه بعثت عبد الرحمن بن الحارث بن هشام إلى معاوية وكتبت إليه: "ا للهَ ا للهَ في حجر وأصحابه"، فوجده قد قتلهم فقال له: أين عزب عنك حِلم أبي سفيان في حجر وأصحابه، ألا حبستهم في السجون وعرضتهم للطاعون؟ فقال له معاوية: حين غاب عني مثلك من قومي، قال: وا لله لا تعدلك العرب بعدها حلما أبدا ولا رأيا، قتلت قوما بعث إليك بهم أسرى من المسلمين، قال: فما أصنع؟ كتب إليَّ فيهم زياد يشدد أمرهم ويذكر أنهم سيفتِقون عليَّ فتقا لا يُرْقَعُ[3].

ثم حج معاوية بعد فجاء إلى المدينة زائرا فاستأذن على عائشة رضي ا لله عنها فأذِنَت له فلما قعد قالت له: يا معاوية أأمنت أن أخبأ لك من يقتلك بأخي محمد بن أبي بكر؟ فقال: بيتَ الأمان دخلت، قالت: يا معاوية أما خشيت ا لله في قتل حجر وأصحابه؟ قال: إنما قتلهم من شهِد عليهم؛ وجرى بينهما في ذلك كلام طويل فقال لها: دعيني وحجرا حتى نلتقي عند ربنا. وروي أن ابن عمر كان يتخبر عن حجر

---

(1) المقتول صبرا: من ضربت عنقه أو حبس على القتل حتى يُقتل. واستحياه: أي تركه حيا فلم يقتله.

(2) الوأد: دفن الوليدة في التراب وهي حية، ويستعار للقضاء على الأمر قبل أن يشتد. والمهد: الموضع يهيأ ويوطأ للصبي.

(3) فتق الشيء فتقا: شقه، وفتق بين القوم: شق عصاهم فرجعت الحرب بينهم. ورقع الثوب: ألحم خرقه وأصلحه بالرقاع، ومنه: "رقع دنياه بآخرته" أي أصلحها.

حين انطلق به إلى معاوية فجاءه نعيه وهو في السوق فأطلق حبوته وقام وقد غلبه النحيب، وكان الربيع بن زياد الحارثي عاملا لمعاوية على خراسان فلما بلغه قتل حجر قال: اللهم إن كان للربيع عندك خير فاقبضه إليك، فلم يبرح من مجلسه حتى مات. وكان محمد بن سيرين إذا سئل عن الركعتين عند القتل قال: صلاهما خبيب وحجر وهما فاضلان.

وكان قتل حجر بالشام بقرية تسمى عَذرَاء[1] سنة إحدى وخمسين، وقيل ثلاث وخمسين. وابناه عبد الله وعبد الرحمن قتلهما المصعب بن الزبير، وكانوا يتشيعون. **وابن عمه** حجر بن يزيد بن سلمة بن مرة بن حجر بن عدي بن ربيعة بن معاوية الأكرمين الكندي كان يعرف بحجر الشر، فرقاً بينه وبين حجر الخير (وهو حجر الأدبر المذكور)، وقيل لقب به لأنه كان شريرا (قبل إسلامه)، وقد وفد على النبي ﷺ فأسلم وصحب؛ وكان شريفا في قومه. وكان من أمراء علي بالجمل وحَضر معه صفين، وكان أحد شهود الحكمين[2] ثم اتصل بمعاوية واستعمله على أرمينية.

ومنهم عبيد الله بن العباس بن يزيد بن الأسود بن سلمة بن حجر، ولي فارس لخالد القسري والكوفة ليوسف بن عمر والشرطة لعبد الله بن عمر بن عبد العزيز وقنسرين للسفاح وأرمينية للمنصور، وبها مات.

---

(1) عذراء: قرية بدمشق وهي التي ذكرها حسان بن ثابت في قوله:

عفت ذات الأصابع فالجواء ... إلى عذراء منزلها خلاء

ديار من بني الحسحاس قفر ... تعفيها الروامس والسماء ..إلخ.

(وذات الأصابع والجواء: موضعان بالشام، وبالجواء كان منزل الحارث بن أبي شمر الغساني. وبنو الحسحاس: حي من بني أسد. والروامس: الرياح. والسماء: المطر).

(2) في التحكيم بين علي ومعاوية.

تنبيه: قوله **فعق الناهية** ظاهره أن كتاب عائشة وصل معاوية قبل قتله حجرا وأصحابه فلم يأتمر به بل خالفها وقتلهم. وقد ذكر صاحب الحلة السيراء ما يحتمل ذلك، فيكون الناظم درج عليه؛ إن لم يكن وقف على ما ينص على ذلك صريحا في غير ما وقفت عليه من المراجع، والمشهور أن معاوية لم يصله كتاب عائشة إلا بعد قتلهم كما في طبقاتِ ابن سعد وغيرها.. وا لله أعلم.

وأما **مقطع النجد** فهو أبو بطن من كندة يقال لهم بنو مقطع النجد، واسم مقطع النجد معاوية بن الحارث بن عمرو بن معاوية بن الحارث الأكبر بن معاوية بن ثور بن مرتِع بن معاوية بن كندة الكندي، ولقب مقطع النجد لأنه كان لا يركب معه أحد يتقلد سيفا إلا قطع نجاده ـ كما مر.

وأما **الأواه** فهو امرؤ القيس بن عابس بن المنذر بن امرئ القيس بن السِّمط بن عمرو بن معاوية بن الحارث الأكبر بن معاوية بن ثور بن مرتع بن معاوية بن ثور الأكبر (وهو كندة) الكندي الشاعر، له صحبة وشهد فتح النُّجيْر باليمن وكان رضي ا لله عنه قد حضر الكنديين حين ارتدوا وثبت على الإسلام وكان شديدا على من ارتد، ولما خرجوا ليقتتلوا وثب على عمه ليقتله؛ فلما رأى السيف قال له: ويحك يا امرأ القيس أتقتل عمك؟ فقال: أنت عمي وا لله عز وجل ربي، وقتله.

وامرؤ القيس بن عابس هذا هو الذي خاصم إلى رسول ا لله ﷺ ربيعة بن عِبدان الحضرمي في أرض فقال الحضرمي: يا رسول ا لله إن هذا أتى على أرض لي كانت لأبي في الجاهلية[1]، فقال امرؤ القيس: هي أرضي وفي يدي أزرعها ليس له فيها حق، فقال رسول ا لله ﷺ للحضرمي: «ألك بينة»؟ قال: لا، قال: «فلك

---

(1) وكانت تلك الأرض باليمن ـ رواه أبو داوود في سننه.

يمينه»، فقال الحضرمي: يا رسول الله إنه لا يبالي على ما حلف عليه وليس يتورع من شيء، فقال صلى الله عليه وسلم: «ليس لك منه إلا ذلك»، قال: إن حلف ذهب بأرضي، فقال النبي ﷺ: «من حلف على يمين كاذبة لِيَقتطِع بها مال امرئ مسلم لقي الله وهو عليه غضبان»، فقال امرؤ القيس: ما لمن تركها وهو يعلم أنها حق؟ قال: «الجنة»، قال: فأشهدك أني تركتها[1].

وأما الشيطان فهو أبو بطن من بطون كندة ثم من بني معاوية وهم بنو الشيطان بن الحارث الولادة بن عمرو بن معاوية بن الحارث الأكبر بن معاوية بن ثور بن مرتع الكنديون، لقب جدهم بالشيطان لجماله[2] وكانوا يعرفون ببني الشيطان حتى قدم وفدهم على رسول الله ﷺ فقال لهم: «من أنتم»؟ فقالوا: نحن بنو الشيطان، فقال: «بل أنتم بنو عبد الله». ومنهم السائب بن يزيد بن سعيد بن ثمامة بن الأسود بن عبد الله بن الحارث الولادة، حليف بني عبد شمس ويعرفه المحدثون بالسائب بن أخت نمر، ومنهم المقداد بن الأسود الكندي القائل:

---

(1) حديث: «ألك بينة.. ومن حلف على يمين ..»إلخ: أخرجه مسلم وأبو داوود وابن ماجه وأحمد.

(2) راجع أسد الغابة ج:1 ص: 410، وكانت العرب تسمي الرجل الجميل بالشيطان؛ ففي كتاب البرصان والعميان للجاحظ؛ أن البرشاء أم قيس بن ثعلبة لقبت "بالبرشاء" مخافة العين عليها، كما يسمون الرجل الجميل: الشيطان والغراب النافذ البصر: الأعور، والأرض السباريت (الأرض القفر لا نبات فيها): المفازة، والنهيش: السليم والفرس العتيق إذا كان أنثى: شوهاء..إلخ. ومن أشراف العرب المذكورين وفرسانهم المشهورين شيطان بن عوف بن مزيد، لم يوجد فارس مثله يوم مبايض وأبلى فيه بلاء حسنا؛ ومبايض ـ بضم الميم وقيل بفتحها ـ موضع كان فيه يوم للعرب قتل فيه طريف بن تميم (فارس تميم)، وكان شيطان بن عوف يومئذ على فرس كثير الأوضاح وكان هو أبرص، فلما رجعت بنو تميم من تلك الوقعة لامهم وقال: خرجتم بثلاثة رؤساء إلى حي حريد (أي مُتَنح) ثم جئتم منهزمين وقد قتل منكم رئيسان، قالوا: والله ما لقينا إلا شياطين برصا على خيل بلق.

أطعنا رسـول ا لله إذ كان صادقا فيا عجبا ما بال دين أبي بكـــر

أيورثها بكـــــرا إذا قام بعـده فتلك وأيم ا لله قاصمـــة الظهر!

ولعل هذا من الخسران الذي أشار الناظم إلى وجوده في بعضهم. وا لله أعلم.

ومن بني معاوية أيضا شرحبيل بن السمط بن الأسود بن جبلـة بـن عـدي بـن ربيعة بن معاوية بن الحارث بن معاوية بن ثور بن مرتع الكندي له صحبة، وقد ولي حمص. ومنهم أيضا بنو الأرقم بن النعمان بن عمـرو كـانوا عثمـانيين، رحلـوا عـن الكوفة إلى معاوية وقالوا: لا نقيم ببلد يسب فيه عثمان فأنزلهم معاوية الرُّهاء.

ومن بني كندة أيضا بنو معاوية الأكرمين، منهم بنو شجرة ويقال لهم الشجرات وإليهم ينسب مسجد الشجرات بالكوفة، منهم سعيد بن الأسود الذي بايع معاويـة على شرط كتاب ا لله وسنة نبيه، فقال له معاوية: لا شرط لك، فقال سعيد: وأنت لا بيعة لك!. ومنهم أيضا عبد ا لله بن الحارث بن مسعود بن خالد بن أصرم الـذي تنسب إليه الحارثية من الروافض وكان غاليا كافرا أوجب على أصحابه سبع عشرة صلاة كل يوم وليلة في كل صلاة خمس عشرة ركعة ثم تـاب باختيـاره، ولمـا تـاب تبرأ منه أصحابه وبقوا على كفرهم.

ثم قال رحمه ا لله وعفا عنه:

مِنْ كِنْدَةٍ شُرَيْحُ وَالْمُقَنَّـــعُ أُكَيْـدِرُ الْمَلِكُ وَالسَّمَيْـــذَعُ

بِشْرٌ أَخُوهُ صَاحِــبُ الصَّهْبَاءِ أُخْـتِ أَبِي سُفْيَانَ ذِي الْعَلاَءِ

شريح (بالحاء المهملة وبوزن زبير): مبتـدأ خـبره الجـار والمجـرور قبلـه. **والمقنع** (كمعظـم): عطـف عليـه. **وأكيـدر** (بالتصغـير): عطـف علـى شـريح أيضـا. **والملـك**: صفـة لأكيـدر، ووصفـه بذلـك لأنـه كـان ملكـا علـى دومـة

الجندل[1]. **والسميذع**: عطف على أكيدر وهو السيد الكريم. **وبشر** (بكسر الموحدة وبالرفع): بدل من السميذع. **وأخوه**: صفة لبشر، والضمير المضاف إليه عائد على أكيدر. **وصاحب**: صفة لبشر أيضا: أي زوج الصهباء بنت حرب بن أمية بن عبد شمس. **وأخت** (بالجر): صفة للصهباء، والمراد **بأبي سفيان**: صخر بن حرب. **وذي العلاء** (بالفتح والمد): صفة لأبي سفيان، **والعلاء**: الرفعة. يقول: ومن كندة شريح بن الحارث والمقنع بن ظفر وأكيدر وبشر ابنا عبد الملك الكنديون.

شريح بن الحارث وبراعته في القضاء

أما شريح فهو القاضي أبو أمية شريح بن الحارث بن قيس بن الجهم بن معاوية بن عامر بن الرائش بن الحارث بن معاوية بن ثور بن عمرو بن معاوية الكندي، وقيل إنه إنما كان كنديا بالحلف وإن أصله من أبناء الفرس الذين كانوا باليمن، وقد أدرك الجاهلية وكان من أوائل من أسلموا باليمن على أيدي أصحاب رسول الله ﷺ الذين أرسلهم إلى اليمن ولكنه لم ير النبي صلى الله عليه وسلم ولم يسمع منه، وكان من كبار التابعين وكان ذا معرفة واسعة وفطنة حادة وذكاء فذ وخلق رفيع وتجربة طويلة، وقد ولاه عمر بن الخطاب رضي الله عنه القضاء وهو ابن أربعين سنة، ولم يزل قاضيا إلى زمن عبد الملك بن مروان، كلما بويع خليفة أقره وقد مكث فيه ستين سنة وقيل خمسا وسبعين وقيل انه ولي قضاء الكوفة ثلاثا وخمسين سنة والبصرة سبع سنين، وروي عنه أنه قال: وليت القضاء لعمر وعثمان وعلي فمن بعدهم إلى أن استعفيت من الحجاج، وكان له يوم استعفى مائة وعشرون

---

(1) دومة الجندل بضم الدال: مدينة عرفت بدومى بن إسماعيل فيما ذكروا (تقع حاليا ضمن منطقة الجوف السعودية).

سنة، وقيل مائة وسبع سنين؛ وعاش بعد ذلك. وقد تعلم القضاء من معاذ بن جبل حين كان قاضيا باليمن؛ وروي أن عليا قال له: أنت أقضى العرب. وكان له في تاريخ القضاء الإسلامي مواقف بديعة وأحكام رائعة، وقد أذعنت لأحكامه عامة المسلمين وخاصتهم وامتلأت بطون الكتب بطرائف أخباره النادرة وأقواله السائرة.

فمن أحكامه الغريبة حكمه على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي كان سببا في توليته للقضاء؛ فقد روي أن عمر بن الخطاب ابتاع مرة فرسا من أعرابي ونقده ثمنه وركب عليه ومضى به فما سار عليه طويلا حتى ظهر به عطب، فرجع إلى الأعرابي وقال له: خذ فرسك فإنه معطوب، فقال الأعرابي: لا آخذه يا أمير المؤمنين وقد بعته منك سليما صحيحا، فقال له عمر: اجعل بيني وبينك حكما، فقال الأعرابي: يحكم بيننا شريح بن الحارث الكندي، فقال عمر: رضيت به؛ فاحتكما إليه. فلما سمع شريح مقالة الأعرابي التفت إلى عمر وقال له: هل أخذت الفرس سليما يا أمير المؤمنين؟ فقال عمر: نعم، فقال شريح: احتفظ بما اشتريت يا أمير المؤمنين أو رد كما أخذت، فنظر عمر إلى شريح معجبا وقال: هل القضاء إلا هكذا: قول فصل[1] وحكم عدل، سر إلى الكوفة فقد وليتك قضاءها. ومنها حكمه على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه؛ فقد روي أن عليا بن أبي طالب افتقد درعا له عزيزة عليه ثم ما لبث أن وجدها في يد ذمي يبيعها في سوق الكوفة فعرفها فقال: هذه درعي سقطت عليَّ في ليلة كذا، فقال الذمي: بل هي درعي وفي يدي يا أمير المؤمنين، فقال علي: إنما هي درعي لم أبعها من أحد ولم أهبها لأحد حتى تصير إليك، فقال الذمي: بيني وبينك قاضي المسلمين، فقال علي: أنصفت فهلم إليه. فدخلا على شريح في مجلس القضاء، فقال

(1) قول فصل: أي حق لا باطل فيه.

شريح: ما تقول يا أمير المؤمنين؟ فقال: لقد وجدت درعي هذه مع هذا الرجل وقد سقطت مني ليلة كذا في مكان كذا، وهي لم تصل إليه لا ببيع ولا هبة، فقال شريح للذمي: وما تقول أنت أيها الرجل؟ فقال: الدرع درعي وهي في يدي ولا أتهم أمير المؤمنين بالكذب، فالتفت شريح إلى علي وقال: لا ريب عندي في أنك صادق فيما تقوله وأن الدرع درعك ولكن لا بد لك من شاهدين يشهدان على صحة ما ادعيت، فقال علي: نعم هذا مولاي قنبر وولدي الحسن يشهدان لي، فقال شريح: إن شهادة الابن لأبيه لا تجوز يا أمير المؤمنين، فقال علي: يا سبحان الله! رجل من أهل الجنة لا تجوز شهادته أما سمعت قول رسول الله ﷺ: «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة»؟[1] فقال شريح: بلى يا أمير المؤمنين، غير أني لا أجيز شهادة الولد لوالده، فالتفت علي على الذمي وقال له: خذها فليس عندي شاهد غيرهما، فقال الذمي: ولكني أشهد بأن الدرع لك يا أمير المؤمنين، ثم قال: يا لله! أمير المؤمنين يقاضيني أمام قاضيه وقاضيه يقضي لي عليه! أشهد أن الدين الذي يأمر بهذا لَحَق وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله؛ ثم قال: اعلم أيها القاضي أن الدرع درع أمير المؤمنين وأنني اتبعت الجيش وهو منطلق إلى صفين فسقطت الدرع عن جمله الأورق[2] فأخذتها، فقال علي: أما إنك إذ أسلمت فإني وهبتها لك ووهبت لك معها هذا الفرس. فلم يمض إلا قليل حتى رىء هذا الرجل يقاتل الخوارج تحت راية علي في يوم النهروان وهو يمعن القتال حتى استشهد.

ومن روائع شريح أيضا ؛ أن ابنا له قال له يوما: يا أبت إن بيني وبين قوم خصومة فانظر فيها فإن كان الحق لي

---

(1) رواه الطبراني في الكبير كما في سير أعلام النبلاء.

(2) الأورق: الذي لونه لون الرماد.

قاضيتهم[1] وإن كان لهم صالحتهم، ثم قص عليه قصته فقال له: انطلق فقاضهم. فانطلق إليهم ودعاهم فاستجابوا له، ولما مثلوا بين يدي شريح قضى لهم على ابنه. فلما رجع شريح إلى بيته دخل عليه ولده فقال له: فضحتني وا لله لو لم أستشرك من قبل لما لمتك ، فقال شريح: يا بني وا لله لأنت أحب إلي من ملء الأرض من أمثالهم ولكن ا لله أعز علي منك؛ لقد خشيت أن أخبرك بأن الحق لهم فتصالحهم صلحا يفوت عليهم بعض حقهم فقلت لك ما قلت. وكفل ولد له رجلا فقبل شريح كفالته فهرب الرجل من يد القضاء فسجن شريح ولده بالرجل الفار فكان شريح نفسه ينقل له الطعام في السجن.

وكان شريح يقول للشهود قبل أن يدلوا بشهادتهم بين يديه: اسمعوا مني هداكم ا لله إنما يقضي على هذا الرجل أنتم وإني لأتقي النار بكم وأنتم باتقائها أولى، وإن في وسعكم الآن أن تدعوا الشهادة وتمضوا، فإذا أصروا على الشهادة التفت إلى الذي يشهدون له وقال له: اعلم يا هذا أنني أقضي لك بشهادتهم وأن قضائي لا يحل لك شيئا حرمه ا لله عليك. وكان يردد في مجالس قضائه قوله: غدا سيعلم الظالم مَن الخاسر إن الظالم ينتظر العقاب وإن المظلوم ينتظر النصفة.. إلى غير ذلك من أحكامه وأخباره العجيبة..

وكان شريح أيضا شاعرا فائقا ويقال انه كان كوسجا (أي لا شعر في وجهه) وقد عمر مائة وعشرين سنة. وابن أخيه أبو المنازل عثمان بن عبيد ا لله بن الحارث ولي قضاء خراسان.

وأما المقنع فهو محمد بن ظفر بن عمير، وقيل اسمه ثور بن عميرة الكندي، لقب بالمقنع لأنه كان أجمل الناس وجها فكان إذا حسر اللثام عن وجهه أصابته

---

(1) أي رفعت أمرهم إلى القضاء.

عين فتقنع دَهره خوفا من ذلك؛ فكان لا يمشي إلا مقنعا وكان شاعرا من شعراء الإسلام في عهد بني أمية إلا أنه كان مقلا، وكان له شرف ومروءة ومحل في عشيرته وكان متخرقا في عطاياه سمح اليدين بماله لا يرد سائلا عن شيء سأله إياه.

روي أن عبد الملك بن مروان ـــ وكان يلقب رشح الحجر لبخله ـــ قال ذات يوم أي الشعراء أفضل؟ فقال كثير بن هراسة (يعرض ببخل عبد الملك): أفضلهم المقنع الكندي الذي يقول:

إني أحـــرض أهل البخل كلهم ... لو كان ينفع أهل البخل تحريضي

ما قل مالي إلا زادني كـــــرما ... حتى يكـــون برزق الله تعويضي

والمال ينفــــع من لولا دراهمه ... أمسى يقلب فينا طرف مخفوض

لن تخرج البيض عفوا من أكفهم ... إلا على وجـــــع منهم وتمريض

كأنها من جلـــــود الباخلين بها ... عند النوائب تحذى بالمقاريض[1]

فعرف عبد الملك ما أراد وقال: الله أصدق من المقنع وقد قال ـــ جل من قائل ـــ ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾[2].

ومن شعر المقنع أيضا:

يعاتبني في الدين قومي وإنـــما ... ديوني في أشياء تكسبهـــم حمدا

أسُد به ما قد أخلوا وضيعـــوا ... ثغـــورَ حقوق ما أطاقوا لها سدا

وفي جفنة ما يغلق الباب دونها ... مكللة لحما مدفقـــــــة ثردا[3]

---

(1) تحذى: أي تقطع، والمقاريض: جمع مقراض وهو المقص الذي يقرض به الثوب أو غيره؛ وهما مقراضان

(2) الفرقان الآية: 67.

(3) المكللة بالشيء: المحفوفة به، يقال: "جفنة مكللة بالسديف" أي عليها قطع الشحم. والمدفقة: الممتلئة الجوانب حتى تفيض. وثرد ثرْدا: أعد الثريد، والخبز: فته ثم بله بالمرق، والثريد والثريدة: طعام من خبز تفته وتبله بالمرق.

ومن فرس نهد عتيق جعلتـــه حجابا لبيتي ثم أخدمتـــه عبدا
وإن الذي بيني وبين بني أبـــي وبين بني عمي لمختلـــف جدا
فإن أكلوا لحمي وفرت لحومهم[1] وإن هدموا مجدي بنيت لهم مجدا
وإن ضيعوا غيبي حفظت غيوبهم وإن همْ هووا غيي هويت لهم رشدا
وإن زجروا طيرا بنحس تمر بي زجرت لهم طيرا تمر بهم سعدا[2]
ولا أحمل الحقد القديم عليهـم وليس رئيس القوم من يحمل الحقدا[3]
لهم جـــل مالي إن تتابع لي غنى وإن قل مالي لم أكلفْهـم رفدا[4]
وإني لعبد الضيف ما دام نازلا وما شيمـة لي غيرها تشبه العبدا

ومن شعره أيضا:

نزل المشيبُ فأيـن تذهب بعده وقد ارعويـت وحان منك رحيل
كَانَ الشبابُ خفيفــــةً أيامُه والشيـــب محمله علي ثقيـــل
ليس العطاء من الفضول سماحة[5] حتى تجـــود وما لديـــك قليل

وأما أكيدر فهو ابن عبد الملك بن عبد الجن بن أعيا بن الحارث بن معاوية بـن حلاوة بن أيامة بن شكامة بن شبيب بـن السكون بـن أشـرس بـن كنـدة الكنـدي السكوني، ملك دومة الجندل. وكان أولا يسكن هو وإخوته بدومـة الحـيرة وكـان يزور أخواله من كلب، فخرج معهم يوما للصيد فرفعت له مدينة متهدمة لم يبق إلا حيطانها مبنية بالجندل فأعاد هو وإخوته بناءها وغرسوا فيها الزيتون وغيره وسموهـا

---

(1) وفر عرض فلان (بالتخفيف والتشديد): صانه ووقاه ولم يشتمه.
(2) النحس (بفتح فسكون): نقيض السعد، يقـال: "أمـر نحـس" أي مظلـم و"يـوم نحـس" لم يصادَف فيه خير، ويقال: "سعد يومك" أي يمن.
(3) الحقد: الغضب الثابت في القلـــب، وحقـد عليـه حقـدا أمسـك عداوتـه في قلبـه يـتربص فرصــة الإيقاع به.
(4) الرفد (بكسر فسكون): المعونة والعطية.
(5) الفضول: فضلات المال الزائدة عن الحاجة. والسماحة: الجود والكرم.

بدومة الجندل فرقاً بينها وبين دومة الحيرة، ثم سكنوها أخيرا. ودومة الجندل طرف من الشام قرب جبل طيئ بينها وبين دمشق خمس ليال وبينها وبين المدينة خمس ـ أو ستَّ ـ عشرة ليلة، عليها حصن حصين يقال له مازن وهو حصن أكيدر؛ وكان أكيدر بن عبد الملك هذا ملكا عليها و لم يزل كذلك إلى أن مات بها في أول خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه. وكان النبي ﷺ قد كتب إليه كتابا يدعوه فيه إلى الإسلام فلم يسلم ثم بعث إليه سرية بقيادة خالد بن الوليد وكان ذلك في عودته صلى الله عليه وسلم من تبوك في السنة التاسعة وبعثه من أثناء الطريق؛ فقال خالد: يا رسول الله كيف لي به وهو وسط بلاد كلب وأنا في أناس يسير؟ فقال ﷺ: «إنك ستجده يصيد البقر ـ وفي رواية: الوحش ـ فتأخذه»[1].

فسار خالد إلى أكيدر حتى بلغ قريبا من حصنه بمنظر العين نزل؛ فبينما أكيدر مع زوجه الرباب الكندية في ليلة صائفة على سطح دارهم إذ أتتهم بقر الوحش من كل جانب تنطح حصنهم بقرونها وتحتك عليه ـ وكانت تلك الليلة مقمرة ـ فأشرف أكيدر على ذلك البقر وقال: ما رأيت أكثر منها الليلة وقد كنت أكمن لها اليومين والثلاثة ولا أجدها، فنشط أكيدر لصيدها وأراد أن يخرج لذلك فثبطه بعض أهله فلم يكتَرث بذلك، ودعا أخاه حسان في نفر من قومه وقال له: لا صبر عن هذا وأمر بخيلهم فأسرجت وركبوها ـ وكان على أكيدر قباء من الديباج المخوص بالذهب ـ فلم يزالوا يطاردونها حتى دفعتهم في جيش خالد بن الوليد ليلا فأخذهم خالد وقتل حسانا وأسر أكيدرا واستلب قباءه وبعث به إلى رسول الله ﷺ قبل قدومه عليه، فلما رآه الصحابة جعلوا يلمسونه ويتعجبون من لينه وحسنه فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لمناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن

---

(1) رواه ابن هشام في سيرته وابن كثير في البداية والنهاية ـ كما في زاد المعاد.

من هذا»[1]. ثم قدم خالد بأكيدر على النبي صلى ا لله عليه وسلم فخيره بين الإسلام وضرب الجزية عليه فاختار الجزية فضربها عليه؛ وعاد إلى حصنه، وقيل إنه أجاره على أن يفتح له دومة الجندل ففعل، وصالحه على ألف بعير وثمانمائة درع وأربعمائة رمح، كما في الحلة السيراء وغيرها. ولما توفي النبي ﷺ واستخلف أبو بكر الصديق رضي ا لله عنه نقض أكيدر العهد ومنع ما قِبَلَهُ فسار إليه خالد بن الوليد فحاصر دومة الجندل وقتل أكيدر على نصرانيته [والعياذ با لله تعالى].

وإلى هذه الوحش وقصتها أشار بُجير بن بُجرةَ الطائي - وكان في جيش خالد إلى أكيدر - بقوله:

تبارك سائق البقرات إني رأيت ا لله يهدي كل هاد
فمن يك حائدا عن ذي تبوك فإنا قد أمرنا بالجهاد

وقد أنشد هذه الأبيات بين يديه صلى ا لله عليه وسلم فقال: «لا يفضض ا لله فاك»، فأتت عليه تسعون سنة وما تحركت له سن ولا ضرس.

وأما بشر فهو ابن عبد الملك بن عبد الجن الكندي السكوني أخو أكيدر الذي مر نسبه قريبا، كان وزيرا لأخيه أكيدر بن عبد الملك، وكان قد تعلم الخط بالحيرة ثم أتى الطائف فتعلمه منه نفر، ثم أتى مكة فتعلمته منه جماعة منهم، وتزوج الصهباء بنت حرب بن أمية (أخت أبي سفيان بن حرب) فولدت له جارية هي جدة عمرو بن هبيرة لأبيه، كما في الحلة السيراء وغيرها.. وإلى ذلك أشار الناظم بقوله: **صاحب الصهباء**.. إلخ، ووصفه **بالسميذع** لما اتصف به من صفات الكمال في الجاهلية كالسيادة والملك والكتابة وغيرها.

وأكيدر وبشر هذان من بني السكون ثم من بني شكامة منهم. وبنو السكون

(1) أخرجه البخاري في المناقب ومسلم والإمام أحمد.

(بفتح السين المهملة) بطن من كندة، وهم بنو السكون بن أشرس بن كندة منهم بنو شكامة بن شبيب بن السكون، أمهم: غاضرة بنت مالك بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة، ودخل لذلك بعضهم في بني أسد. ومن بني السكون أيضا عدي بن يزيد بن حمار السكوني: شاعر جاهلي كان نازلا في بني شيبان وهو القائل يوم ذي قار[1]:

إني حمدت بني شيبان إذ خمدت	**نيران قوم وفيهم شبت النار[2]**
ومِن تَكَرُّمِهم في المحل أنهمُ	**لا يعلم الجار فيهم أنه الجار**
حتى يكون عزيزا من نفوسهم	**أو أن يبين جميعا وهو مختار**
كأنه صدع في رأس شاهقة	**من دونه لعتاق الطير أوكار[3]**

ومنهم أيضا مالك بن هبيرة بن خالد بن مسلم بن الحارث الكندي السكوني الصحابي، روي عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من مسلم يموت فيصلي عليه ثلاثة صفوف من المسلمين إلا وجبت له الجنة»[4]، وكان مالك إذا استقبل الجنازة جزأهم ثلاثة صفوف [رواه الترمذي وحسنه وصححه الحاكم]. وأمره معاوية على بعض غزو الروم وولي حمص ومات في زمن مروان بن الحكم. ومنهم أيضا مالك بن يسار الكندي السكوني، صحب وروى عن النبي ﷺ: «إذا سألتم الله فاسألوه ببطون أكفكم ولا تسألوه بظهورها»[5].

---

(1) يوم ذي قار لبني شيبان وإخوتهم على كسرى أبرويز، وهو أول يوم للعرب على العجم.

(2) شبت النار: أي اتقدت. وشبها: أوقدها.

(3) الصدع (محركة): القوي من الأوعال الفتي الشاب. والشاهق: المرتفع من الجبال والأبنية وغيرها. وعتاق الطير: أفراخها حين يسقط ريشها الأول وينبت لها ريش قوي. والأوكار: جمع وكر وهو عش الطائر.

(4) أخرجه أبو داوود والترمذي وابن ماجه.

(5) رواه في الجامع الصغير.

ومن بني السكون أيضا بنو عدي وبنو سعد ابني أشرس بن شبيب بن السكون بن أشرس بن كندة، أمهما تجيب بنت دهم بن ثوبان بن سليم بن رهاء المذحجية نسبوا إليها وعرفوا بها فقيل لهم بنو تجيب، وقيل تجيب اسم جدهم. وقد قدم وفد من تجيب هؤلاء على النبي ﷺ وكانوا قد ساقوا معهم صدقات أموالهم التي فرض الله عليهم فسر بهم النبي صلى الله عليه وسلم وأكرم منزلهم وأمر بلالا أن يحسن ضيافتهم، فأقاموا أياما وارتحلوا وأجازهم بأرفع مما كان يجيز به الوفود وأمرهم النبي ﷺ أن يردوا ما جاءوا به ليقسموه على فقرائهم، فقالوا: ما قدمنا عليك إلا بما فضل عن فقرائنا، فقال أبو بكر: يا رسول الله ما قدم علينا وفد من العرب مثل ما وفد به هذاالحي من تجيب، فقال صلى الله عليه وسلم: «إن الهدى بيد الله فمن أراد به خيرا شرح صدره للإيمان». وقد توطن بعض تجيب هؤلاء مصر في زمن الفتوحات. وقد ذكر الناظم بعض أفرادهم، فقال رحمه الله:

كِنَانَةُ بْنُ بِشْرٍ التُّجِيبِي قَاتِلُ عُثْمَانَ وَمِنْ تُجِيبِ

أَيْضًا مُعَاوِيَةُ الذِي قَتَلْ مُحَمَّدًا نَجْلَ أَبِي بَكْرٍ وَمَلّ

أَمَّا التُّجُوبِيُّ مُبِيدُ حَيْدَرَهْ فَمِن مُّرَادِ مَذْحِجٍ الشَّرَرَهْ

وَأَيْنَ هُم مِّنَ التُّجِيبِيِّ الْحُطَمْ زُهَاءَ تِسْعَةٍ وَتِسْعِينَ اصْطَلَمْ

مَعَ النَّبِيِّ وَلأَشْرَسَ انْتَسَبْ وَهْوَ ابْنُ أَرْطَاةَ لَقِيطُ الْمُنْتَخَبْ

وَمِنْ تُجِيبَ أَيْضًا الصَّمَادِحُ مُلُوكُ أُنْدُلُسٍ الْجَحَاجِحُ

كنانة: مبتدأ حذف خبره لدلالة السياق عليه، أي ومن كندة أيضا كنانة بن بشر. **والتُّجيبي** (بضم التاء وكسر الجيم وفي آخره ياء النسب المخففة): صفة **لكنانة** نسبة إلى تجيب، وهم بطن من كندة ـ كما مر قريبا. وقوله **قاتل عثمان** (بالرفع): صفة لكنانة أيضا، والمراد به عثمان بن عفان ثالث الخلفاء الراشدين رضي

الله عنهم. وقوله **معاوية:** مبتدأ خبره **من تجيب** قبله. وجملة **الذي قتل**..إلخ: صفة لمعاوية. قوله **ومَلَّ:** فعل ماض مضعف وفاعله ضمير مستتر عائد على **معاوية**، ومفعوله ضمير مقدر عائد على **محمدًا**؛ والجملة عطف على جملة **قتل**، أي قتله. **وملّه:** أي أحرقه بالْمَلَة (بفتح الميم) وهي الرماد الحار.

يقول: ومن كندة ثم من بني تجيب منهم: كنانة بن بشر قاتل عثمان بن عفان، ومنهم معاوية بن حديج قاتل محمد بن أبي بكر الصديق. أما كنانة فهو ابن بشر بن عتاب بن عوف بن حارثة بن قتيرة بن حارثة بن عبد شمس بن معاوية بن جعفر بن أسامة بن سعد ابن تجيب ــ وتجيب أمه ــ وهو سعد بن أشرس بن شبيب بن السكون بن أشرس بن ثور وهو كندة، فسعد بن أشرس هذا وأخوه عدي بن أشرس أمهما تجيب ـ كما مرَّ ـ وبها يعرف أولادهما، فكل تُجِيبي سكوني وكل سكوني كندي؛ فكنانة كندي سكوني تجيبي. شهد فتح مصر وكان من القوم الذين اقتحموا على عثمان في داره هو ورومان بن سرحان المرادي فقتلوه ــ كما مر[1]ـ وكنانة هذا هو الذي يعني الوليد بن عقبة بالتجيبي في قوله:

ألا إن خير الناس بعد ثلاثة … قتيل التجيبي الذي جاء من مصر
ومالي لا أبكي وتبكي قرابتي … وقد حجبت عنا فضول أبي عمرو

وتقدم أن قائل البيتين نائلة بنت الفرافصة الكلبية زوج عثمان وتعني بالثلاثة: رسول الله ﷺ وأبا بكر وعمر رضي الله عنهما. وقتل كنانة بن بشر هذا بفلسطين سنة ست وثلاثين.

وأما معاوية فهو أبو نعيم معاوية بن حديج (كزبير وبالحاء المهملة) بن جفنة بن

---

(1) عند قول الناظم: **عثمان لو لم يطلبوا بدمه** ..إلخ.

قتيرة بن حارثة بن عبد شمس بن معاوية بن جعفر بن أسامة بن سعد ابن تجيب الكندي التجيبيُّ، كانت له صحبة وشهد فتح مصر ثم كان الوافد على عمر بفتح الاسكندرية وغزا إفريقية ثلاث مرات، وقيل غزا الحبشة فأصيبت عينه وكان محله بمصر عظيما وتوفي قبل ابن عمر بيسير.

وحاصل قصة قتله لمحمد بن أبي بكر؛ أن محمدا هذا ولاه علي بن أبي طالب مصر فدخلها سنة سبع وثلاثين، ولم يزل عليها حتى بعث معاوية بن أبي سفيان عمرو بن العاص في جيوش أهل الشام إلى مصر وفيهم معاوية بن حديج؛ فالتقوا واقتتلوا قتالا شديدا فانهزم محمد بن أبي بكر واختبأ في بيت فطلبوه وبحثوا عنه حتى وجده قوم معاوية بن حديج فدخلوا عليه وربطوه بالحبال وجروه على الأرض حتى أتوا به معاوية بن حديج، فقال له محمد: احفظني لأبي بكر، فقال له معاوية: أأتركك وقد قتلت من قومي في قضية عثمان ثمانين رجلا وأنت صاحبه؟ لا والله، وأمر به معاوية أن يجر في الطريق ثم أمر به أن يحرق بالنار في جيفة حمار، ففعلوا؛ فمات رضي الله عنه ودفن في الموضع الذي قتل فيه وكان ذلك سنة ثمان وثلاثين.

ولما قتل وصل خبره إلى أهل المدينة مع مولاه سالم ومعه قميصه ودخل به داره فأرسلت عائشة أخاها عبد الرحمن إلى عمرو بن العاص في شأن قتل محمد فاعتذر لها بأن الأمر لمعاوية بن حديج وأنه كان يكره قتله لمحمد؛ ولما سمعت أمه أسماء بنت عميس بقتله كظمت الغيظ حتى شخب ثدياها دما. ووجد عليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه وجدا عظيما وقال: كان لي ربيبا وكنت أعده ولدا ولبني أخا (وذلك لأن عليا كان قد تزوج أمه أسماء بنت عميس بعد وفاة الصديق رضي الله عنه ورباه). وقد قيل إن سبب إحراقه دعوة أخته عائشة عليه لما أدخل يده في هودجها يوم وقعة الجمل وهي لا تعرفه فظنته أجنبيا فقالت: من هذا الذي يتعرض لحرم رسول الله أحرقه الله بالنار؟ فقال: يا أختاه قولي بنار الدنيا، فقالت: بنار الدنيا.

قوله: أما التجوبي..إلخ: أما (بفتح الهمزة): حرف تفصيل كما مر. **والتجوبي**: مبتدأ وهو (بفتح التاء وضم الجيم ممدودة وكسر الموحدة): نسبة إلى تجوب وهم من مراد بن مذحج، وقيل نسبة إلى رجل من كندة يقال له تجوب؛ كان قد أصاب دما في قومه فهرب ثم لجأ إلى مراد فقال: جئت إليكم أجوب البلاد فلقب تجوب (بفتح التاء وضم الجيم ممدودة) فحالفهم وصار بنوه في عدادهم؛ فعلى الأول يكون ابن ملجم مرادي بالأصل وعلى الثاني فهو كندي الأصل مرادي بالحلف. وقوله **مبيد** (بضم الميم): أي مهلك، وهو صفة للتجوبي الذي هو عبد الرحمن بن ملجم. **وحيدرة**: لقب علي كرم الله وجهه رابع الخلفاء الراشدين. وقوله **فمن مراد مذحج**: خبر عن **التجوبي** وقرن بالفاء لأنه جواب **أما** (لقيامها مقام أداة الشرط وفعله ـ كما مر). **والشررة** (بالتحريك): صفة لمراد أي أصحاب الشر وهو السوء والفساد.

ابن ملجم وما كان من جريمته

يقول أما عبد الرحمن بن ملجم، قاتل علي بن أبي طالب فهو من تجوب بن مراد بن مذحج، ووصفهم بالشررة لشقاوة صاحبهم ابن ملجم [وصدق القائل: "وشر العشيرة من *عابها*"]؛ ولقد كانت فعلته هذه من أقبح العيب وأعظم الشر، فقد روي عن علي رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا علي أتدري من أشقى الأولين»؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «عاقر الناقة»، قال: «أتدري من أشقى الآخرين»؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «قاتلك ـ وفي رواية ـ: الذي يضربك على هذه ـ وأشار إلى يافوخه ـ فيبل منها هذه ـ

وأخذ بلحيته»[1].

وحاصل قصة قتل ابن ملجم المرادي لعلي رضي الله عنه؛ أن ثلاثة نفر من الخوارج هم عبد الرحمن بن ملجم المرادي والبرك بن عبد الله وعمرو بن بكر التميميان، اجتمعوا بمكة وتعاهدوا وتعاقدوا على قتل علي ومعاوية وعمرو بن العاص؛ وقالوا: لنريح العباد منهم، فقال ابن ملجم: أنا لكم بعلي، وقال البرك: أنا لكم بمعاوية، وقال ابن بكر: أنا أكفيكم عمرو بن العاص. وتواثقوا أن لا ينكص أحد منهم عن صاحبه الذي سمى حتى يقتله أو يموت دونه واتعدوا بينهم ليلة سبع عشرة من رمضان (سنة أربعين)، ثم توجه كل واحد منهم إلى المصر الذي فيه صاحبه؛ فخرج البرك حتى قدم دمشق وضرب معاوية فجرحه في أليته وسلم منها؛ فلما أخذ قال: الأمان والبشارة؛ فقد قتل علي هذه الليلة، فاستبقاه معاوية حتى أتى الخبر بقتل علي فقطع معاوية يده ورجله وأطلقه فرحل إلى البصرة وأقام بها ثم قتله زياد بن أبيه بعد. وسار عمرو بن بكر إلى مصر، وكان يومئذ بعمرو بن العاص وجع؛ فبعث مكانه خارجة[2] بن حذافة العدوي ليصلي بالناس، فقتله عمرو بن بكر يحسبه عمرو بن العاص؛ فسمع الناس يقولون: قتل خارجة فقال: "أردت

---

(1) أخرجه أحمد في المناقب وابن الضحاك [كما في الخميس]، وروي أيضا أنه صلى الله عليه وسلم قال لعلي ومن معه وهم في غزوة العشيرة: «ألا أحدثكما بأشقى الناس رجلين»؟ قلنا: بلى يا رسول الله، قال: «أحيمر ثمود الذي عقر الناقة، والذي يضربك يا علي على هذه ـــ ووضع يده على قرنه ـ حتى يبل منها هذه ـ وأخذ بلحيته». واسم أحيمر ثمود قدار بن سالف وهو من تسعة رهط المذكورين في سورة النمل ـ [الروض الأنف].

(2) هو خارجة بن حذافة بن غانم بن عامر بن عبد الله بن عبيد بن عويج بن عدي بن كعب بن لؤي القرشي العدوي، كان أحد فرسان قريش وكان ممن يعدل بألف فارس وشهد فتح مصر ولم يزل بها حتى قتله الخارجي عمرو يظنه عمرو بن العاص، وقبره معروف بمصر عند أهلها. وتقدم ذكره في شرح الشيخ حماد عند قول الناظم: ***خارجة القائل من أصماه "أردت عمرا واراد الله"***

عمرًا وأراد الله خارجة"!.

وقدم عبد الرحمن بن ملجم الكوفة، وكان قد اشترى سيفا وسمه واتصل بقوم من أصحابه وكاتمهم ما يريد. وكان علي يخرج إلى المسجد منفردا دون حارس، فخرج ابن ملجم حتى جلس قبالة السدة التي يخرج منها عليٌّ إلى المسجد وكمن له فخرج المؤذن فقال: الصلاةَ فقام علي يمشي والحسن يمشي خلفه، فلما خرج من الباب نادى: أيها الناس الصلاة الصلاة ـ وكذلك كان يصنع كل يوم ليوقظ الناس ـ فاعترضه ابن ملجم فضربه بالسيف فأصاب قرنه إلى جبهته ووصل دماغه فقال علي: فزت ورب الكعبة، ثم قال: لا يفوتنكم الرجل، فشد الناس عليه من كل جانب فحمل عليهم بسيفه ففرجوا له فتلقاه المغيرة بن نوفل بقطيفة فرماها عليه واحتمله وضرب به الأرض وقعد على صدره وانتزع منه السيف ـ وكان المغيرة أيِّدًا قويا ـ ثم أخذوه وأدخلوه علَى علِيٍّ فقال: احبسوه وأطيبوا طعامه وألينوا فراشه، فإن أعش فأنا ولي دمي عفواً أو قصاصا؛ وإن أمت فألحقوه بي أخاصمه عند رب العالمين. ثم أوصى الحسن والحسين وصية طويلة في آخرها: يا بني عبد المطلب لا تخوضوا دماء المسلمين خوضا تقولون قتل أمير المؤمنين، ألا لا تقتلوا بي إلا قاتلي انظروا إذا أنا مت من ضربته هذه فاضربوه ضربة بضربة ولا تمثلوا به.. فلما فرغ من وصيته قال: أقرأ عليكم السلام ورحمة الله وبركاته ثم لم يتكلم إلا بلا إله إلا الله حتى قبضه الله. وكانت ضربة ابن ملجم له فجر يوم الجمعة السابع عشر من رمضان فمكث يوم الجمعة ويوم السبت وتوفي ليلة الأحد التاسع عشر من رمضان سنة أربعين. فلما مات قام الحسين ومحمد بن الحنفية فقطعا عبد الرحمن بن ملجم إربا إربا وحرقاه؛ وكان الحسن قد نهاهم عن ذلك. وقد مر بعض التعريف بعلي وكيفية تجهيزه وموضع دفنه في أول هذه التكملة المباركة إن شاء الله.

وإذا كانت الأعمال تضاعف بحسب الزمان والمكان فقد أخذت فعلة ابن ملجم

القبيحة هذه قسطها من ذلك، فقد تعاقد مع قومه الشررة في أشرف مكان؛ وهو مكة المكرمة، وكان تنفيذ هذه الخطة الدنيئة في أشرف زمان؛ وهو يوم الجمعة من رمضان الموافق يوم نصر بدر.. في سفك دماء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم [والعياذ بالله].

قوله : وأين هم: أي ما أبعدهم؛ يقال أين فلان من فلان! إذا كان على عكسه وكان أبعد منه في الفضل. والضمير في **أين هم** عائد على **كنانة بن بشر** ومعاوية بن حديج وعبد الرحمن بن ملجم، أي ما أشد تباعد هؤلاء الثلاثة في العمل والسعي، مع لقيط بن أرطاة التجيبي. **والحطم** (كصرد): الراعي الغشوم بالماشية يحطم بعضها ببعض. **وزهاء** (بضم الزاي) : أي قدر، وهو منصوب **باصطلم** مقدم عليه. **واصطلم** الشيء: استأصله. وقوله **ولأشرس** (بوزن أحمد): متعلق **بانتسب**. وفاعل كل من **اصطلم وانتسب**: ضمير مستتر عائد على **التجيبي**. **ولقيط** (كأمير): بدل من **ابن أرطاة**. **والمنتخب** (بصيغة اسم المفعول): أي المختار، صفة للقيط. وجملة **هو ابن أرطاة**..إلخ: مفسرة **للتجيبي الحطم**.

يعني أن من تجيب لقيط بن أرطاة الذي قتل تسعة وتسعين مشركا مع رسول الله ﷺ، ولذا وصفه الناظم **بالحطم** على سبيل الاستعارة؛ وهو لقيط بن أرطاة، من ولد أشرس بن شبيب بن السكون بن أشرس بن كندة الكندي السكوني ثم التجيبي، كان قد بعث به معاذ بن جبل وافدا إلى النبي ﷺ. روي عنه أنه قال: قتلت تسعة وتسعين من المشركين مع النبي صلى الله عليه وسلم، وقال: أتيت النبي ﷺ ورجلاي معوجتان لا تمسان الأرض فدعا لي النبي صلى الله عليه وسلم فمشيت على الأرض.

قوله **الصمادح** (بفتح الصاد المهملة)[1]: مبتدأ خبره المجرور قبله، **وملوك**: صفته وهو مضاف **لأندلس** (وهو بضم الهمزة والدال وفتحهما واللام مضموم على كل)، وهو اقليم عظيم بالمغرب[2] سمي بالأندلس بن يافث بن نوح عليه السلام لأنه نزله. **والجحاجح**: صفة للصمادح أيضا وهو جمع جحجاح للسيد الأديب، وهو وصف خاصٌّ بالرجال ولا فعل له.

يقول ومن تجيب أيضا بنو الصمادح ملوك الأندلس بالمرية أيام ملوك الطوائف، والملوك الصمادحيون ينتمون إلى صمادح بن عبد الرحمن بن عبد الله بن المهاجر بن عميرة وهو جدهم الداخل إلى الأندلس، وفي عبد الرحمن بن عبد الله يجتمعون مع بني هاشم التجيبيين أصحاب سرقسطة، فهم مثلهم ينتمون إلى تجيب.

ملوك الصمادح بالأندلس

وملوك الصمادح هم بنو معن بن محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن صمادح، وبصمادح هذا عرف بيتهم، وأول من ملك منهم معن بن صمادح التجيبى هذا سنة أربع وأربعين وأربعمائة، وبقيت بأيدهيم إلى أن غلبهم عليها يوسف بن تاشفين اللمتوني سنة أربع وثمانين وأربعمائة؛ وتعاقب عليها منهم ثلاثة: معن والمعتصم با لله ومعز الدولة الصمادحيون. وقد كان من خبرهم أن والدهم أبا يحيى محمداً بن أحمد بن عبد الرحمن الصمادحي كان حاكم مدينة

(1) في ابن خلكان: صمادح (بضم الصاد المهملة وفتح الميم وبعد الألف دال مكسورة ثم حاء مهملة): هو الشديد.

(2) يضاف للمغرب لقربه منه ولأنه كان تابعا له ـ كليا أو جزئيا ـ في فترات من تاريخه الإسلامي الحافل، أما موقعه فهو في الجزء الغربي الجنوبي من قارة أوروبا يفصله عن قارة إفريقيا مصب البحر الأبيض المتوسط في المحيط الأطلسي، ومعظمه الآن تحتله دولة إسبانيا.

وَشْقَه[1] وأعمالها منذ أواخر أيام هشام بن الحكم المؤيد با لله الأموي؛ ولما تولى سليمان الظافر الخلافة سنة ثلاث وأربعمائة أقره على ولايته، فلما انتهت أيام سليمان واغتصب بنو حمود الخلافة في قرطبة سنة سبع وأربعمائة، واضطربت الأمور فر أبو يحيى بأهله وولده إلى عبد العزيز بن أبي عامر صاحب بلنسية فأكرمه وتوثقت علائقهما بالمصاهرة حيث تزوج ولداه معن وصمادح بأختي عبد العزيز ثم أراد أبو يحيى اللحاق بالمشرق فمات في البحر غرقا وبقي ابنه معن في كنف صهره عبد العزيز فولاه وزارته. فلما قتل زهير العامري صاحب المرية[2] واستولى عبد العزيز على المرية استخلف عليها صهره ووزيره معن بن أبي يحيى هذا ورجع إلى بلنسية، فما كاد عبد العزيز يغادر المرية حتى أخذ معن الصمادحي يوطد الأمر للاستيلاء عليها حتى جاهر بخلع الطاعة ودعا لنفسه، فاستولى عليها سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة، وكان من مؤيديه ومعضديه باديس صاحب غرناطة وزعيم

---

(1) وشقة (بفتح الواو وسكون الشين المعجمة وفتح القاف وبعدها هاء): بلدة بالأندلس - [ابن خلكان].

(2) كان زهير العامري هذا قد لعب دورا بارزا في حوادث الفتنة بقرطبة وكان شهما داهية بعيد النظر، فتولى حكم المرية واقتفى أثر سلفه وأحكم النظام وبنى جامع المرية وكان يكرم الفقهاء ويشاورهم في الأمر وامتدت مملكة المرية في عهده حتى شاطبة شرقا وجيان وبياسة شمالا وحتى أعمال طليطلة، ولم يزل عليها حتى نشبت حرب ضروس بينه وبين باديس في ظاهر مرية في شوال سنة تسع وعشرين وأربعمائة فانتهت بهزيمة زهير العامري وقتله وتمزيق جيشه، فكانت هذه النكبة ضربة أليمة لمملكة المرية فاستولى باديس على الجزء الشمالي الغربي من أراضي المرية، فلما رأى أهل المرية ذلك أسندوا رئاستهم إلى شيخ الجماعة أبي بكر الرميمي وكتبوا إلى عبد العزيز بن أبي عامر صاحب بلنسية يستدعونه لحكم مدينتهم، فقدم عليهم فبايعوه فلم يكد يفرغ من شؤونهم حتى جاءته الأنباء بأن أحد خصومه ومنافسيه وهو مجاهد بن عبد الله العامري صاحب دانية تحرك لغزو أراضيه فرجع إلى بلاده وترك عليهم واليا من قبله هو وزيره معن بن صمادح التجيبيّ ليرعى له شؤون المرية.

البربر، ونشأت بينهما علائق مودة وصداقة.

واستمر معن الصمادحي في حكم المرية وأعمالها زهاء عشرة أعوام وتوفي سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة بعد أن وطد رئاسته ومهد الملك لعقبه؛ فخلفه ولده أبو يحيى محمد بن معن الصمادحي بعهد منه فتلقب بالمعتصم با لله فحكم المرية. وكان أديبا شاعرا رحب الفناء جزل العطاء حليما عن الدماء طافت به الآمال واتسع في مدحه المقال وأعملت إلى حضرته الرحال ولزمته جماعة من فحول شعراء وقته، فكان بلاطه منتدى لطائفة من أكابر الشعراء ومدحوه بأمداح كثيرة، منها قول أبي القاسم خلف بن فرج من قصيدة طويلة:

لعلك بالوادي المقدس شاطئ ... فكالعنبر الهندي ما أنا واطئُ

وإنيَ من رياك واجد ريحهم ... فروح الهوى بين الجوانح ناشئ

ولي في السرى من نارهم ومنارهم ... هداة حداة والنجوم طوافئ

لذلك ما حنت ركابي وحمحمت ... عرابي وأوحى سيرها المتباطئ

فهل هاجها ما هاجني ولعلها ... إلى الوجد من نيران قلبي لواجِئُ ..إلخ.

ومن الشعراء الذين مدحوه أبو القاسم بن أسعد بن بليطة، فقد مدحه بقصيدة طويلة منها:

كأن أبا يحيى بن معن أجادها ... فعلمها من كفه الوكف والبسطا

تألف من در وشزر بحاره ... فجاءت به العليا على جيدها سمطا

إذا سار سار المجد تحت لوائه ... فليس يحط المجد إلا إذا حطا

رفيع عماد النار في الليل للسرى ... فما يخبط العشواء طارقه خبطا

أقول لركب يمموا مسقط الندى ... وقد جاوز الركبان من دونك السقطا

أفي المجد تبغي لابن معن مناقضا ... ومن يوقد المصباح في الشمس قد أخطا ..إلخ.

وبنى المعتصمُ هذا قصرا يشرف على البحر يسمى بالصمادحية، ثم وقعت بينهُ وبين ابن شبيب صاحب لورقة وباديس وحفيده عبد الله بن بلقين بن باديس

حروب شديدة، ثم تطورت الحوادث وأدت الفتن والحروب بين ملوك الطوائف إلى عاقبتها المحتومة واستأسد عليهم ملك قشتالة وأخذ يضرب بعضهم ببعض حتى ظفر بالاستيلاء على طليطلة سنة ثمان وسبعين وأربعمائة.

فاتجه ملوك الطوائف وفي مقدمتهم المعتمد بن عباد إلى الانتصار بأمير المسلمين يوسف بن تاشفين المرابطي - كما مر - فعبر يوسف الأندلس لقتال الروم فسانده ملوك الطوائف، وخصوصا المعتمد بن عباد اللخمي والمعتصم بن معن الصمادحي وأعجب بهما يوسف، حتى كان يقول عنهما لأصحابه إنهما رجلا الجزيرة.

واستمر المعتصم بعد ذلك في الحكم بضعة أعوام وتوفي في ربيع سنة أربع وثمانين وأربعمائة بعد أن حكم إحدى وأربعين سنة، فتولى حكم المرية بعده ابنه معز الدولة بن المعتصم الصمادحي، فلما مكث فيها بضعة أشهر عبر يوسف بن تاشفين البحر للمرة الثالثة لا لينجد أمراء الأندلس في هذه المرة ولكن ليقضي عليهم وعلى دولهم المتفككة، فبدأ بغرناطة واستولى عليها ثم بعث جيوشه إلى اشبيلية لتقضي على دولة بني عباد فاستولوا عليها وأسروا أميرها المعتمد، فعند ذلك بادر معز الدولة الصمادحي باتخاذ أهبة الفرار فركب البحر بأهله وأمواله في ثلاث سفن أعدها لذلك وأحرق السفن الباقية خشية المطاردة فغادر المرية قبل أن يستولي عليها المرابطون وسار حتى نزل على آل حماد أمراء القلعة بشرقي العدوة على مقربة من بجاية فأكرموا وفادته وعاش معهم حتى توفي، فكان آخر ملوك الصمادح[1]. والله سبحانه وتعالى أعلم.

ولما أنهى الكلام على نسب العرب ذكر لمحة موجزة عن نسب السودان وسبب اسوداد جلودهم، فقال رحمه الله وعفا عنه:

---

(1) ملخصا من كتاب دول الطوائف.

نسب السودان والقول في سبب لونهم

أَمَّا السَّوَادِينُ فَمِنْ كُوشِ بْنِ حَامْ   سَوَّدَهُمْ أَنْ طَافَ بِالْبَيْتِ الْحَرَامْ
نُوحُ عَلَى الْفُلْكِ وَحَذَّرَ الرِّجَالْ   مِنَ النِّسَاءِ فَأَبَــى حَامُ وَصَالْ

أما بفتح الهمزة حرف تفصيل ـ كما مر. **والسوادين**: مبتدأ وهو جمع سودان وهم جيل من الناس سود البشرة. وقوله **فمن كوش بن حام**: خبر عن السوادين. **وكوش** (بضم الكاف ممدودا بعدها شين معجمة): من أولاد حام (بالحاء المهملة) من أبناء نوح عليه السلام. **وسودهم**: أي صيرهم سود البشرة، والضمير فيه عائد على السوادين. وفاعل **سودهم** جملة **أن طاف بالبيت** إلخ. **وطاف** به: دار حوله. **ونوح** فاعل طاف. **والفلك** (كقفل): السفينة، يذكر ويؤنث للواحد والجمع؛ والمراد به هنا سفينة نوح. وفاعل **حذر**: ضمير مستتر عائد على نوح. **وحام**: فاعل **أبى** أي امتنع. **وصال**: أي وثب وخالف أمر نوح.

يقول: أما السوادين فكلهم من ذرية كوش بن حام بن نوح عليه السلام وإن سبب اسوداد جلودهم دعوة نوح على ابنه حام حين نهاه فخالفه.

وقد عقد الناظم بهذين البيتين نص كلام صاحب الروض الأنف، قال: روي أن نوحا قال لأهل السفينة وهي تطوف بالبيت: إنكم في حرم الله وحول بيته فأحرموا لله ولا يمس أحد (منكم) امرأة؛ وجعل بينهم وبين النساء حاجزا، فتعدى حام ؛ فدعا عليه نوح أن يسود الله لون بَنيه فاسود كوش بن حام ونسله إلى يوم القيامة[1]. وفي الشريشي: حام وسام ويافث أولاد نوح وفيهم ذريته الباقية، وهم

---

(1) راجع الروض الأنف: ج:1/ ص: 128.

لأم واحدة، وأصاب حام امرأته في السفينة فدعا نوح أن يغير الله نطفته فجاءت بالسودان. ومثله في البداية والنهاية لابن كثير. وفي الخميس عن ابن عباس: كان في سفينة نوح ثمانون رجلا وحمل نوح معه جسد آدم وجعله معترضا بين الرجال والنساء، وأمر نوح أن لا يعلو ذكر على أنثى ما داموا في السفينة، فأصاب حام امرأته في السفينة فدعا عليه نوح فغير الله نطفته فجاءت منه السودان.

وفي القرطبي وغيره ما حاصله أنه كان من خبر فلك نوح عليه السلام وطوافه بالبيت الحرام عليه واسوداد ذرية ابنه حام: أن الله سبحانه وتعالى أرسل نبيه نوحا إلى أهل الأرض وكانت داره دمشق، وقد كثرت فيها المعاصي والجبابرة وعتوا عتوا كبيرا فكان نوح يدعوهم ليلا ونهارا سرا وعلانية وكان صبورا حليما و لم يلق أحد من الأنبياء أشد مما لقي هو من قومه وكان كلما آذوه يقول: رب اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون ؛ و لم يزل على ذلك حتى يئس من إيمانهم وأوحي إليه ﴿أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾[1] وأمره الله أن يصنع الفلك؛ فعند ذلك طفق يصنعه وصار قومه يسخرون منه ويقولون: هذا الذي يزعم أنه نبي صار نجارا يعمل سفينة في البر فكيف تجري؟! فيقول لهم: سوف تعلمون. ولما أتمها وفار التنور[2] جعل فيها من كل زوجين اثنين وحمل فيها من آمن به وكانوا ثمانين إنسانا بين الرجال والنساء وفيهم أبناؤه الثلاثة: سام وحام ويافث وأمهم ـــ وكانت مؤمنة ـــ وثلاث كنائن[3] له؛ وبقي رابع بنيه واسمه كنعان، وقيل يام وبقيت أمه ـــ واسمها واغلة ـــ وكانا كافرين فكانا من المغرقين. ثم قال: وقد روي أن ركوب نوح ومن

(1) سورة هود: 36.
(2) التنور: هو الكانون الذي يخبز فيه، وقيل وجه الأرض وقيل غير ذلك..
(3) الكنائن: جمع كنة، والكنة (بالفتح): امرأة الابن أو الأخ.

معه في السفينة كان لعشر خلون من رجب فجرت بهم على سطح الماء في موج كالجبال، وطبق الماء جميع وجه الأرض وارتفع على رؤوس الجبال وحفظ الله السفينة من الغرق ثم وجَّهها إلى مكة فطاف نوح ومن معه بالبيت سبعا؛ وكان قد حذر الرجال من النساء فأصاب حام امرأته في السفينة، فدعا نوح الله أن يغير نطفة حام فجاء بالسودان ودعا عليه أن لا يعدُو شعر أولاده آذانهم وأنهم حيثما كان ولده يكونون عبيدا لولد سام ويافث.

ثم مضت السفينة إلى اليمن ثم رجعت إلى الجودي، وهو جبل بقرب الموصل فاستوت عليه وكان ذلك لعشر خلون من المحرم يوم عاشوراء، فصامه نوح وأمر من معه بصيامه شكرا لله تعالى. وروي أن أعواد هذه السفينة بقيت على الجودي عبرة وآية حتى أدرك بعض أوائل هذه الأمة منها بقايا، ويقال أكرم الله ثلاثة أجبال بثلاثة نفر: الجودي بنوح وطور سيناء بموسى وحراء بمحمد ﷺ . هذا وقد هلك كل من لم يكن في السفينة من الناس والدواب والوحوش والسباع والطير فلم يبق منهم ديار[1]. ولما خرج نوح ومن معه من السفينة بنوا قرية بناحية الموصل أصبحت بعد تعرف بقرية الثمانين.

وقد نقل بعض أهل الأخبار في سبب اسوداد ذرية حام أن نوحا عليه السلام لما هبط من السفينة نام فبدت عورته فنظر إليها حام فضحك فلم يغير عليه يافث فلما رأى سام ذلك زجره وغطى عورة نوح، فلما استيقظ نوح أخبر فقال لابنه: حام غير الله ماء صلبك فلا تلد إلا السودان، وقال ليافث كثر الله ذريتك، وقال لسام جعل الله منك الأنبياء والصالحين والملوك ودعا له بالبركة؛ فكان القيم بعد أبيه في

---

(1) ديار: أي أحد.

الأرض، ونزل وسطها فنزل الحرم إلى اليمن إلى الشام؛ وكان من ولده الأنبياء كلهم عربيهم وعجميهم، ومن ولده العرب جميعا. وفي الخميس عن ابن مسعود عن النبي ﷺ أنه قال: خلق الله آدم يوم الجمعة من كل تربة من البلاد[1] رأسه من بيت المقدس وصدره من العراق ومقعده من بابل ويده اليمنى من البيت العتيق ويده اليسرى من فارس ورجلاه وقدماه من أرض الهند وأرض ياجوج وماجوج، فلذلك اختلفت ألوان بني آدم.

أولاد نوح آباء الأمم

وأولاد نوح عليه السلام ثلاثة وهم سام[2] وحام[3] ويافث[4] ومنهم تفرعت بنو آدم فلم يحد عنهم أحد منهم.

أما سام فمنه العرب[5] والروم والفرس، وأما حام فمنه السودان والبربر والقبط، وأما يافث فمنه الصقالبة ويأجوج ومأجوج والترك. وإلى هذا أشار بعضهم بقوله:

عَرَفَ سام ثم حام سبقا ويافث صيت فكن محققا

فرمز لولد سام بـ"عرف" ولولد حام بـ"سبق" ولولد يافث بـ"صيت"، فكل حرف من الأحرف الثلاثة يشير إلى أول حرف من أسماء الشعوب المتفرعة عنه. وفي البداية

---

(1) روى الطبري في تاريخه صدر هذا الحديث.

(2) وأولاد سام ثلاثة: إرم ولاوذ وارفخشد، فمن إرم: عاد وثمود ـ قيل وعبيل وجديس ـ ومن لاوذ: طسم وجديس وعمليق وأميم وعبيل ـ قيل وجرهم واليونان ـ ومن ارفخشد: قحطان.

(3) ومن أولاد حام: كوش وكنعان، فمن كوش: الحبشة والسند والهند، ومن كنعان: الكنعانيون والزنج والنوبة.

(4) ومن أولاد يافث أندلس ومنه اليونان.

(5) في الحديث: «سام أبو العرب وحام أبو الحبش» ـ أخرجه الإمام أحمد في المسند.

والنهاية لابن كثير عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ولد لنوح سام وحام ويافث فولد لسام العرب وفارس والروم ـ والخير فيهم ـ وولد ليافث ياجوج وماجوج والترك والسقالبة ـ ولا خير فيهم ـ وولد لحام القبط والبربر والسودان»[1].

هذا وقد خرج عن هذه الإشارات بنو إسرائيل واليونان؛ أما بنو إسرائيل فبالإجماع أنهم من ولد سام، لأنهم من ولد يعقوب عليه السلام؛ وأما اليونان فقيل انهم بنو اندلس بن يَافث بن نوح، وقيل من بني لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام. وتفرعت من سام بن نوح أيضا أمم كثيرة مثل الجرامقة؛ وهم أهل الموصل في الزمن القديم، والسريان والفرس، قيل والديلم. ومنه أيضا الكرد؛ وهم الذين كان منهم بنو أيوب ملوك مصر بعد الفاطميين، والنبط[2]، وهم أهل بابل من العراق في القديم وإليهم تنسب الفِلاحة النبطيةُ. وتفرعت من يافث بن نوح أيضا شعوب كثيرة مثل التتار والصغد والروس والخزر (وهم التركمان) والديلم والصين والفرنج والقوط (وهم أهل الأندلس) في القديم واللمان، قيل والفرس واليونان؛ وهم الأمة التي كانت منها الحكماء شرقي الخليج القسطنطيني؛ وهم ثلاثة أصناف: اللطينيون والإغريقيون واللكيم، قيل ومنه أيضا الروم والاشبان؛ وقيل بل هما من ولد عيصو بن إسحاق.

وتفرعت من حام بن نوح أمم مثل القبط ـ كما مر ـ وهم الذين كان منهم أهل مصر في القديم، قيل والقوط؛ وتفرعت من ابنه كنعان بن حام شعوب كثيرة مثل الكنعانيين؛ وهم الذين كان منهم جبابرة الشام، ومنه النوبة والزنج والزُّغَاوة.

---

(1) ذكره القرطبي.

(2) النبط: قوم من العجم كانوا يسكنون سواد العراق.

وتفرعت كذلك شعوب كثيرة من كوش بن حام مثل السند والهند والحبشة[1] وزويلة وهم أهل برقة في القديم، ومنهم الطائفة المنسوب إليهم باب زويلة بالقاهرة. أما الأرمن (وهم أهل أرمينية) فمن ولد ناحور بن تارَح وهو آزر والد إبراهيم عليه السلام. وفي صبح الأعشى ونهاية الأرب للقلقشندي أن العجم: ما عدا العرب، وأن المشهور من أممهم ست وعشرون أمة، وأن جميع أحياء السودان من ولد حام بن نوح. وا لله تعالى أعلم.

ذكر بعض الصحابة والصالحين من العجم

هذا وينحدر من جُل هذه الشعوب المذكورة والطبقات المختلفة كثير من الصحابة الفضلاء والتابعين الأجلاء من الرجال والنساء وخاصة من الحبشة والنوبة والقبط والفرس وغير ذلك..

فمن ذلك على سبيل المثال؛ كان من السودان ثم من الحبشة منهم: مؤذن رسول ا لله ﷺ بلال بن رباح الحبشي وقيل نوبي، أمه حمامة ـ وربما نسب إليها ــ ولد بمكة ونشأ بها وكان عبداً لأمية بن خلف الجمحي وكان من السابقين إلى الإسلام وكان صادق الإسلام طاهر القلب وعذب في ا لله فصبر، وكان أمية يعذبه وكان أبو جهل يبطحه على وجهه في الشمس ويضع عليه الرحى حتى تصهره الشمس[2] ويقول له: اكفر برب محمد، فيقول: أحد أحد.. ولم يزل كذلك حتى اشتراه أبو بكر فأعتقه لله عز وجل، فكان بعد مؤذنا لرسول ا لله ﷺ في الحضر والسفر وهو أول من أذن في الإسلام، وشهد مع رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم بدرا والمشاهد كلها وكان خازنا له؛ ولما توفي رسول ا لله ﷺ خرج إلى الشام

---

(1) سميت الحبشة بجدها حبش بن كوش بن حام بن نوح. الروض الأنف.

(2) صهر الشيء بالنار ونحوها صهرا: أذابه وصهره الحر حمي عليه واشتد.

مجاهدا ومرابطا في سبيل الله، و لم يزل به إلى أن توفي سنة عشرين بدمشق ودفن بباب الصغير - وقيل بحلب - ودفن على باب الأربعين وهو ابن بضع وستين سنة و لم يعقب، رَوَى عنه جم غفير من الصحابة والتابعين، له أخ اسمه خالد وأخت اسمها غفيرة ابنا رباح[1].

ومن الحبشة أيضا شقران واسمه صالح بن عدي الحبشي وقيل فارسي وغلب عليه لقبه شقران وهو مولى لرسول الله ﷺ أهداه له عبد الرحمن بن عوف، وقيل اشتراه منه فأعتقه وكان من الذين غسلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وجهزوه وفرش لرسول الله ﷺ في قبره قطيفة حمراء نجرانية، ومات رضي الله عنه في خلافة عثمان.

ومنهم أيضا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنسةُ الحبشي من مولدي السراة شهد بدرا والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ومات في خلافة أبي بكر رضي الله عنه. ومن الحبشة أيضا أم أيمن بركة بنت عبيد الحبشية مولاته صلى الله عليه وسلم وحاضنته وقد مر التعريف بها.

ومنهم أيضا النجاشي ملك الحبشة واسمه أصحمة بن الأبجر الحبشي وهو الذي هاجر إليه المسلمون من مكة الهجرة الأولى فأكرمهم وأحسن إليهم وحماهم من عدوهم، وأرسل إليه النبي ﷺ عمرو بن أمية بن خويلد الضمري بكتاب يدعوه فيه إلى الإسلام، فأسلم على يد نقيب المهاجرين بالحبشة جعفر بن أبي طالب سنة ست، ولما جاءه كتاب رسول الله ﷺ تلقاه بالبشر والترحيب وعظمه فنزل عن سريره وجلس على الأرض وقرأه ووضعه على عينيه وقال: أشهد أنه النبي الأمي الذي ينتظر أهل الكتاب وأن بشارة موسى براكب الحمار كبشارة عيسى براكب

(1) غفيرة: بصيغة التصغير. ورباح: بفتح الراء والباء الموحدة - [الاستيعاب والأصابة].

الجمل وأن العيان ليس بأشفى من الخبر عنه ثم دعا بحُق من عاج[1] وجعل فيه الكتاب وقال: لن تزال الحبشة بخير ما كان هذا الكتاب بين أظهرهم. ثم أرسل إليه النبي ﷺ أن يرسل إليه أصحابه الذين هاجروا إليه فجهزهم وأرسلهم في سفينتين ثم بعث إليه بعدهم ابنه في ستين نفرا من الحبشة في سفينة فغرقت، وتوفي النجاشي في رجب سنة تسع ـ وقيل ثمان ـ للهجرة فنعاه رسول الله ﷺ لأصحابه يوم موته، وصلى عليه هو والصحابة بالمدينة.

ومن الحبشة أيضا ذو مخمر الحبشي، ابن أخي النجاشي ـ وقيل ابن أخته ـ بعثه النجاشي إلى النبي ﷺ ليخدمه نيابة عنه فكان من خدمه صلى الله عليه وسلم، ثم نزل الشام. ومنهم أيضا أنجشة الحبشي مولى رسول الله ﷺ ، كان أحد الحدائين لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان حسن الصوت بالحُداء ينشد فيه القريض والرجز، وكانت الإبل إذا سمعت الحداء طربت وأسرعت؛ وكان يحدو له صلى الله عليه وسلم بالنساء، فرآه يوما في حجة الوداع يحدو بهن قد أسرعت بهن الإبل فقال له: "رُوَيْدَكَ يَا أَنْجَشَةُ رِفْقًا بِالْقَوَارِيرِ"[2]، يعني النساء.

---

(1) راكب الحمار: عيسى عليه السلام، وراكب الجمل: محمد صلى الله عليه وسلم. والعيان: المشاهدة، والحق (بضم الحاء المهملة): وعاء صغير ذو غطاء يتخذ من عاج أو زجاج أو غيرهما. والعاج: ناب الفيل أو عظمه.

(2) أخرجه البخاري ومسلم، ورويدك بمعنى أمهل أو أرفق. والقوارير: جمع قارورة وهي الزجاجة، سميت بذلك لاستقرار الشراب فيها؛ وكنى بها عن النساء لرقتهن وضعفهن عن الحركة. والنساء تشبه بالقوارير في الرقة واللطافة وضعف البنية؛ فشبه النساء ـ اللاتي كن على الإبل التي تساق ـ بالقوارير وأمر الحادي بالرفق في الحداء لأنه يحث الإبل حتى تسرع فإذا أسرعت لم يؤمن على النساء السقوط، وهذا من الاستعارة البديعة. وقيل أمره بالكف لأنه كان حسن الصوت بالحداء فكره أن تسمع النساء حداءه وخاف عليهن الفتنة من سماع النشيد الذي يحدو به، لأن حسن الصوت يحرك من النفوس، وشبه ضعف عزائمهنّ وسرعة تأثير الصوت فيهن بالقوارير في إسراع الكسر إليها، وفي المثل: "الغنا رقية الزنى".

ومن الحبشة أيضا أبو محمد عطاء بن أبي رباح الحبشي المشهور بالعلم والصلاح وأحد الفقهاء والأئمة، نزل مكة وحالف قريشا فكان من مواليهم، قيل إنه حج أكثر من سبعين حجة، وتوفي سنة سبع عشرة ومائة هجرية وقيل أربع عشرة ومائة.

ومن السودان أيضا ثم من النوب منهم: موالي رسول الله ﷺ؛ منهم يسار النوبي، وكان راعي إبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد رآه يحسن الصلاة فأعتقه؛ وهو الذي قتله العرنيون ومثلوا به فاقتص منهم النبي ﷺ. ومنهم أيضا رباح النوبي مولى رسول الله ﷺ قيل اشتراه من وفد عبد القيس فأعتقه، وكان يأذن على النبي صلى الله عليه وسلم ثم صيره في لقاحه بعد يسار المذكور حين قتل. ومنهم أيضا زيد بن بولي النوبي مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، أصابهُ في غزوة بني ثعلبة فأعتقه. ومنهم أيضا كركرة النوبي مولى رسول الله ﷺ أهداه له هوذة اليماني فأعتقه. ومن النوب أيضا فضة النوبية جارية فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ومن السودان أيضا عامر ابن فهيرة، مولى أبي بكر الصديق رضي الله عنه؛ وفهيرة التي ينسب إليها أمه، كان عبدا أسود اللون مملوكا للطفيل بن عبد الله بن الحارث بن سخبرة، أخي عائشة لأمّها[1]. وكان عامرُ ابن فهيرة من السابقين إلى الإسلام؛ أسلم قبل دخول النبي صلى الله عليه وسلم دار الأرقم بن أبي الأرقم وكان حسن الإسلام، وعُذّب في الله ثم اشتراه أبو بكر فأعتقه، وكان يرعى لآل

(1) كان عبد الله بن الحارث بن سخبرة الأزدي قد قدم مكة في الجاهلية بزوجه أم رومان بنت عامر بن عويمر فحالف أبا بكر قبل الإسلام، ثم توفي عن أم رومان وقد ولدت له ابنه الطفيل هذا، ثم خلف عليها أبو بكر بعده فولدت له عبد الرحمن وعائشة أم المؤمنين؛ فهما أخوا الطفيل بن عبد الله لأمه - [الاستيعاب والإصابة].

أبي بكر منحة من غنم كانت عندهم. ولما خرج رسول ا لله ﷺ هو وأبو بكر إلى غار ثور كان يرعاها في ثور ويريحها عليهما حين تذهب ساعة من العشاء فيبيتان في رسل؛ فعل ذلك في الليالي الثلاث التي أقاماها في الغار، فلما خرجا من الغار سار به أبو بكر معهما إلى المدينة ليخدمهما في الطريق فأردفه خلفه. وشهد بدرا وأحداً واستشهد ببئر معونة رضي ا لله عنه قتله جبار بن سلمى وقيل قتله عامر بن الطفيل.

ومن القَبط سرية رسول ا لله ﷺ مارية بنت شمعون القبطية[1]، أم إبراهيم بن رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم أهداها له المقوقس صاحب الاسكندرية، وأهدى له معها أختها سيرين التي وهبها النبي ﷺ لحسان بن ثابت الأنصاري فولدت له ابنه عبد الرحمن بن حسان بن ثابت (ابن خالة إبراهيم بن رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم)، وأهدى معهما خصيا اسمه مابور، كان شيخا كبيرا، قيل كان ابن عمهما (قبطيا أيضا). وتوفيت مارية سنة ست عشرة في خلافة عمر؛ فكان عمر يجمع الناس بنفسه لشهود جنازتها وصلى عليها ودفنت بالبقيع.

ومن القبط أيضا هاجر القبطية أم إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، وكانت

(1) أمها رومية اختارها ملك مصر المقوقس ولم يوجد بمصر أحسن منها، وكانت بيضاء جعدة، وكان المقوقس قد أرسلها لرسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم مع حاطب بن أبي بلتعة فأسلمت على يده قبل وصولها لرسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم بالمدينة سنة ثمان للهجرة، فأنزلها صلى ا لله عليه وسلم على أم سليم بنت ملحان ووطئها بالملك ثم حولها إلى مال له بالعالية، فكانت فيه في الصيف وفي خرافة النخل، فكان يأتيها هناك. وكانت حسنة الدين وكان صلى ا لله عليه وسلم يعجب بها، وولدت له ابنه إبراهيم عليه السلام في ذي الحجة سنة ثمان من الهجرة بالعالية؛ فسر به صلى ا لله عليه وسلم واشتدت غيرة نسائه منها حين ولدت له، وتنافست فيه نساء الأنصار أيتهن ترضعه، فدفعه رسول ا لله ﷺ إلى أم بردة بنت المنذر بن زيد (زوج البراء بن أوس) النجارية فكانت ترضعه.

هاجر هذه بنت ملك من ملوك القبط بمصر فسباها منه ملك الأردن واسمه صادوق - أو صيدوق - ثم وهبها لسارة بنت هاران بن ناحور (زوج إبراهيم عليه السلام وبنت عمه أو بنت أخيه) حين أخذها من إبراهيم عجبا منه بجمالها فصرع مكانه، فأرسلها وأخدمها هاجر هذه؛ فأهدتها سارة لزوجها إبراهيم – عليه السلام – فتسرى بها فولدت له إسماعيل أبا العرب - كما مر.

وكانت هاجر من قرية كانت أمام الفرما[1] من مصر. أما مارية – سريته صلى الله عليه وسلم - فهي من أهل "حفن"[2] من كورة "أنْصِنا"[3]. وقد روي عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك الأنصاري السلمي أن رسول الله ﷺ قال: «إذا افتتحتم مصر فاستوصوا بأهلها خيرا فإن لهم ذمة ورحما»[4]، وعن عمر مولى غفيرة بنت رباح أخت بلال أن رسول الله ﷺ قال: «الله الله في أهل الذمة أهل المدرة السوداء السحم الجعاد فإن لهم نسبا وصهرا»، قال عمر مولى غفيرة: نسبهم أن أم إسماعيل عليه السلام منهم، وصهرهم أن رسول الله ﷺ تسرى فيهم.

---

(1) الفرما: مدينة سميت باسم بانيها وهو الفرما بن قليس، أخو الاسكندر بن قليس اليوناني باني مدينة الاسكندرية بمصر، وقد روي أن الاسكندر بن قليس لما بناها قال: ابني مدينة فقيرة إلى الله غنية عن الناس فقال: الفرما: أبني مدينة فقيرة إلى الناس غنية عن الله؛ فسلط الله على مدينة الفرما الخراب سريعا فذهب رسمها وعفا أثرها، وبقيت مدينة الاسكندر إلى الآن. وذكر الطبري أن عمرو بن العاص حين افتتح مصر وقف على آثار مدينة الفرما فسأل عنها فحدث بهذا الحديث. وأما مصر فسميت بمصر بن النبيط من ولد كوش بن كنعان - [الروض الأنف].

(2) حفن: قرية بالصعيد معروفة وهي التي كلم الحسن بن علي معاوية أن يضع الخراج عن أهلها، ففعل معاوية ذلك حفظا لوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم ورعاية لحرمة الصهر - [الروض الأنف].

(3) أنصنا (بفتح الهمزة وكسر الصاد المهملة والنون مقصور): قرية بالصعيد (مصر) يقال انها كانت مدينة السحرة - [الروض الأنف ومعجم البلدان].

(4) أخرجه مسلم وأحمد.

وروي أن عمرو بن العاص حين حاصر مصر قال لأهلها: إن نبينا عليه السلام قد وعدنا بفتحها وقد أمرنا أن نستوصي بأهلها خيرا فإن لهم نسبا وصهرا، فقالوا له: هذا نسب لا يحفظ حقه إلا نبي لأنه نسب بعيد وصدق كانت أمكم امرأة لملك من ملوكنا فحاربنا أهل عين الشمس فكانت لهم علينا دولة فقتلوا الملك واحتملوها فمن هناك صارت إلى أبيكم إبراهيم أو كما قالوا.[قاله في الروض الأنف].

ومن القبط أيضا أبو رافع القبطي ــ واسمه أسلم ــ من موالي رسول الله ﷺ أهداه له العباس، وهو الذي بشر النبي ﷺ بإسلام العباس فأعتقه، وتوفي قبل عثمان بيسير، وقيل مات في خلافة علي رضي الله عنه.

ومن الفرس الصحابي الجليل سلمان الفارسي، ومنهم العبد الصالح فيروز الديلمي (قاتل العنسي) - وقد مر التعريف بهما. ومنهم أبو كبشة وهو سليم الفارسي مولى رسول الله ﷺ، قيل كان من مولدي أرض دوس. شهد بدرا والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومات في خلافة عمر في اليوم الذي ولد فيه عروة بن الزبير، ومن الفرس أيضا مَرْكَبُودُ الفارسي من أبناء الفرس بصنعاء أسلم في حياة النبي ﷺ. ومن الفرس أيضا فَنَّج بن دحرج الفارسي، اختلف في صحبته؛ روي عنه أنه قال: كنت أعمل في الدينباذ[1] وأعالج فيه فقدم يعلى بن أمية أميرا على أهل اليمن وجاء معه رجال من أصحاب النبي ﷺ فجاءني رجل ممن جاء معه وفي كمه جوز فقال لي: يا فارسي هَلُمَّ، فدنوت منه فقال: أتضمن لي غرس هذا الجوز على هذا الماء؟ فقال له فَنَّجُ: ما ينفعني ذلك؟ فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من نصب شجرة فصبر عليها ــ وفي رواية: فصبر على حفظها والقيام بها - حتى تثمر كان له في كل شيء يصاب منها صدقة - وفي رواية: كان

(1) بفتح أوله - ويكسر - وبعد الياء نون وباء موحدة وألف ثم ذال معجمة: هي قرى مرو.

له في كل شيء يصاب من ثمرتها صدقة عند الله عز وجل»، فقال فنج: أنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ؟ فقال: نعم، قال فنّج: فأنا أضمنها، قال فمنها جوز "الدينباذ"[1].

ومن أبناء الفرس - أيضا - سفينة مولى رسول الله ﷺ - وقيل من الروم وقيل من مولدي العرب - وهو من سبي بلخ من خراسان واختلف في اسمه فقيل رومان وقيل كيسان وقيل طهمان وقيل غير ذلك.. وسماه النبي ﷺ «سفينة»، لأنهم كانوا حمَّلوه كثيرا في السفر؛ فقد روي عنه أنه قال: كنا في سفر وكان كلما أعيا رجل ألقى علي ثيابه ترسًا أو سيفا حتى حملت من ذلك شيئا كثيرا، فقال صلى الله عليه وسلم: «احمل فإنما أنت سفينة»[2]، فلو حملت يومئذ وقر بعيرين أو ثلاثة أو خمسة أو سبعة.. ما ثقل علي، وكان إذا قيل له: ما اسمك؟ يقول: سماني رسول الله ﷺ سفينة فلا أريد غيره[3]، وكان رسول الله ﷺ قد اشتراه فأعتقه؛ وقيل إنه مولى لأم سلمة كانت قد أعتقته واشترطت عليه أن يخدم النبي صلى الله عليه وسلم فقال: لو لم تشترطي علي ما فارقته، فكان يقال له مولى رسول الله ﷺ ومولى أم سلمة [كما في نزهة الأفكار] وغيرها..

ثم قال رحمه الله:

هُنَا انْتَهَى مُهِـمُّ سِلْكِي النَّسَبْ ... وَالْحَمْـدُ لِلَّهِ عَلَى نَيْلِ الأَرَبْ

ثُمَّ عَلَى خَـيْرِ نَبِيٍّ أُرْسِـلاَ ... وَآلِهِ وَصَحْبِـهِ ذَوِي الْعُـلاَ

أَزْكَى الصَّلاَةِ وَالسَّلاَمِ مَا سَجَا ... لَيْلٌ وَمَا زَانَتْهُ أَنْجُمُ الدُّجَى

---

(1) رواه أحمد في المسند: 4 / 61 - 5 / 374.

(2) أخرجه أحمد في مسنده.

(3) قاله في نزهة الأفكار على قرة الأبصار.

وَشَمِلَــتْ نَاظِمَــهُ والْقَارِي مَغْفِــرَةُ الْمُهَيْمِــنِ الْغَفَّارِ

قوله **هنا انتهى**: أي كمل وتم. **ومهم**: فاعل **انتهى**. **وسلكي**: تثنية سلك (بكسر فسكون) وهو الخيط الذي ينظم فيه الخرز ونحوه (جمعه سلوك وأسلاك)، والمراد **بسلكي النسب** هنا: عمود نسبه صلى الله عليه وسلم من عبد الله إلى عدنان، وعمود نسب الأنصار إلى قحطان؛ فشبه ما نظم من ذينك العمودين بالسلك الذي ينظم فيه الخرز، لأن العرب للعمودين كالخرز للسلك ـ وهو من باب الاستعارة الظاهرة ـ وقد انحصرت أنساب العرب في هذين العمودين؛ وهذان السلكان هما المشار إليهما في بداية النظم بقوله:

علم عمـــود نسب المختار ثم عمـــود نسب الأنصـــار ..إلخ.

وقد بدأ الناظم بعدنان لأنه الصريح من ولد إسماعيل الذبيح بن إبراهيم الخليل عليهما السلام، ولأن منهم سيدَ ولد آدم محمداً ﷺ، وركز منهم على قريش الأقرب فالأقرب منه صلى الله عليه وسلم، ثم ثنى بقحطان وركز منهم على الأنصار رضي الله عنهم، لأنهم أولى الناس بذلك لتقديم الله تعالى إياهم في الفضل، ولما أظهر الله عز وجل بأيديهم من الدين فأوجب لهم بذلك حقا على كل مسلم.

قوله **والحمد لله**: مبتدأ وخبره. **والنيل**: الإصابة. **والأرب**: الغاية والحاجة، أي الحمد لله على حصول المطلوب وبلوغ المقصود الذي منه إكمال هذا النظم على الوجه الذي كنت أتمنى وأرجوه من المولى جل وعلا. وقوله **أزكى الصلاة والسلام**: مبتدأ مؤخر، أي أنماهما وأطيبهما وأكثرهما. وقوله **على خير نبي** وما عطف عليه: خبر مقدم. **وأرسل**: (بالبناء للمفعول، وألفه للاطلاق). **وذوي العلا**: صفة لآله وصحبه أي أصحاب العلا (وهو بضم العين): الرفعة والشرف. وقوله **ما**: مصدرية ظرفية، أي مدة دوام ما ذكِر، يعني على التأبيد، لأنهم يذكرون هذا في

معنى التأبيد لا محض التقييد. **وسجا الليل**: دام وسكن. وقوله **وما زانته**: أي حسنته وزخرفته، والضمير لليل. **والدجى** (بضم الدال المهملة): جمع دجية كظلمة وظلم وزناً ومعنى؛ أو هي الظلمة مع غيم، **وأنجمه**: كواكبه المضيئة.

وبهذا البيت ينتهي النظم في بعض النسخ، وفي بعضها زيادة البيت التالي: **وشملت ناظمه**..إلخ؛ **فشملت** (كنصر وفرح): أي عمت عليهم وسترتهم. **وناظمه**: يعني نفسه، وفي نسخة: "جامعه" وهما بمعنىً. **والقاري**: أي قارئه وهو عام فيشمل مقرئه وشارحه وناسخه وكاسبه والساعي في كل شيء تعلق به.. وقوله **مغفرة**: فاعل **شملت**، والمغفرة: ستر الذنب في الدنيا وعدم المؤاخذة به في الآخرة. **والمهيمن**: من أسمائه تعالى ومعناه الشاهد الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض أو المؤمِّن غيره من الخوف. **والغفّار**: من أسمائه أيضا ومعناه الذي يستر الذنوب على أهلها في الدنيا ولا يؤاخذهم بها في الأخرى. **والصحيح** أن هذا البيت ـ الأخير ـ لابن الناظم، وهو حبيب بن أحمد البدوي رحمه الله.

هذا وقد ختم الناظم كتابه بالحمد لله تعالى على نعمه التي لا تحصى والتي هذا النظم أثر من آثارها شكرا لله تعالى ثم أتى بالصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله وأصحابه وأعقب ذلك بالدعاء لنفسه ولمن اعتنى بهذا النظم امتثالا لأمر الله تعالى ورجاء للانتفاع بذلك.

تنبيه على معنى الحمد وصيغه

بدأ الناظم هذا النظم بحمد الله والصلاة والسلام على النبي ﷺ اقتداء بكتاب الله وامتثالا لأمره جل وأمر نبيه صلى الله عليه وسلم، فقد افتتح الكتاب العزيز بالحمد لله وجاء في الحديث: «كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بحمد الله

فهو أجذم»[1] وقال جل من قائل: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾[2] وقال صلى الله عليه وسلم: «من صلى علي واحدة صلى الله عليه عشرا»[3]. وأتى الناظم بالحمد بصيغتي الفعلية والاسمية وبدأ بالجملة الفعلية حين قال: **حمدا لمن رفع صيت العرب**.. فحمدا (بالنصب): معمول لفعل محذوف أي أحمد الله حمدا؛ فهي فعلية، واختارها لدلالتها على التجدد والحدوث كقوله تعالى ﴿ وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ ﴾[4] فقد دلت على التجدد، وكقول الشاعر:

أو كلما وردت عكاظ قبيلـــة بعثوا إلي عريفهـــم يتوســـــم

أي ينظرني المرة بعد المرة. ثم ختم بالجملة الاسمية حيث قال: **والحمد لله على نيل الأرب**؛ فـــ**الحمد**: مبتدأ، **ولله** خبره؛ وهي جملة اسمية واختارها لدلالتها على الدوام والاستمرار كقوله تعالى ﴿ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ ﴾[5] فقد دلت على الدوام أي كانت وما تزال، وكقول الشاعر:

لا يألف الدرهم المضروب صرتنا لكن يمـــر عليها وهو منطلــــق

أي دائم الانطلاق.

والحمد في اللغة: الوصف بالجميل على جهة التعظيم والتبجيل سواء كان من

---

(1) أخرجه أبو داوود وابن ماجه وأحمد.

(2) الأحزاب: 56.

(3) رواه مسلم وأخرجه الإمام أحمد في مسنده.

(4) التوبة: 40.

(5) التوبة: 40.

قبيل الكمال أو من قبيل الاحسان وهما سببان واردان في حمد الله عز وجل، فهو كامل تفرد بالكمال ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[1] وهو محسن على جميع المخلوقات، خلق الإنسان و لم يكن شيئا وجعل له السمع والبصر والفؤاد ورزقه من حيث لا يحتسب وأسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة.

وأما الحمد في الاصطلاح فهو فعل ينبئ عن تعظيم المنعم بسبب كونه منعما، سواء كان من ناحية القلب كالاعتقاد أو من ناحية اللسان كالثناء أو من ناحية الفعل كالعبادة. **والحمد لله** جملة خبرية لفظا، إنشائية معنى؛ لأن المقصود منها إنشاء الثناء بمضمونها على الله تعالى لاستحقاقه ذلك على الخلق. والحمد لله ثناء أثنى الله تعالى به على نفسه وفي ضمنه أمر لعباده أن يثنوا عليه فكأنه قال: قولوا الحمد الله.

وفي تفسيرالقرطبي عن ابن عباس أنه قال: "الحمد لله كلمة كل شاكر وأن آدم عليه السلام قال حين عطس: الحمد لله، وقال الله لنوح عليه السلام ﴿ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[2]، وقال إبراهيم عليه السلام: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ﴾[3]، وقال تعالى في قصة داود وسليمان ﴿ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى

---

(1) الشورى: 11.

(2) المؤمنون: 28.

(3) إبراهيم: 39.

فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[1]، وقال لنبيه ﷺ: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا ﴾[2] ؛ وقال أهل الجنة: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ﴾[3].. ﴿ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[4]، فهي كلمة كل شاكر.

والألف واللام في **الحمد**: لاستغراق الجنس من المحامد، واللام في **لله**: للاستحقاق؛ فهو سبحانه المستحق للحمد بأجمعه إذ له الأسماء الحسنى والصفات العلى. وتشتمل هذه اللفظة على ***حاء*** وهي من الوحدانية **وميم** وهي من الملك ***ودال*** وهي من الديمومة؛ ومخرج الحاء من الحلق والميم من الشفتين والدال من اللسان فمن عرف الله تعالى بالوحدانية والملك والديمومة فقد عرفه، ومن نطق بهذا اللفظ تكون المخارج الثلاثة ــ الحلق وهو أقصى المخارج واللسان وهو أوسطها والشفتان وهو أدناها ــ قد شاركت كلها في أداء نصيبها من هذا الثناء المطلوب.

ثم أتى الناظم ــ أيضا ــ في الصلاة بصيغتي الجملتين: الاسمية والفعلية في أول النظم ، وبدأه بالاسمية وثنى بالفعلية ــ عكس ما فعل في الحمد ــ تفنناً؛ ثم ختم النظم بالاسمية فكانت عبارته الأولى في الصلاة دالة على الدوام والثانية على التجدد والثالثة على الاستمرار. والصلاة هي الرحمة المقرونة بالتعظيم. وقد

---

(1) النمل: 15.
(2) الإسراء: 111.
(3) فاطر: 34.
(4) يونس: 10.

قال النووي وغيره: الصلاة من الله رحمة ومن الملائكة استغفار، ومن الآدميين تضرع ودعاء[1].

والسلام: الأمان من الآفات المنافية لغاية الكمال. وأتى بهما امتثالا لأمره تعالى وأداء لبعض ما يجب له صلى الله عليه وسلم، إذ هو الواسطة بين الله تعالى والخلق، فجميع النعم الواصلة إلينا ــ وعلى رأسها الهداية للإسلام ــ على يديه صلى الله عليه وسلم. **وآله** ــ صلى الله عليه وسلم ــ: أقاربه المؤمنون من بني هاشم (عند المالكية) أو وبني المطلب (كما للشافعية وبعض المالكية أيضا). **وصحبه**: كل من آمن به صلى الله عليه وسلم واجتمع معه أوان حمل الدعوة ولو مرة.

وعلى *هذا* القدر من معنى الحمد والصلاة على النبي ﷺ أقتصر لطول الكلام على معناهما وشهرته، وإنما ذكرت هذا منه لعدم تعرض الشارح له في البداية فجعلته ختاما لهذا التعليق شكرا لله تعالى على جميع نعمه ورجاء لقبوله منه.

﴿ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[2] ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ﴾[3]. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

انتهى بحمد الله تعالى وحسن عونه الجزء الثاني من كتاب **رياض السيرة**

---

(1) تهذيب الأسماء واللغات: 3 / 179.

(2) الجاثية: 36-37.

(3) الأعراف: 43.

والأدب في إكمال شرح عمود النسب؛ وبتمامه تم الكتاب والحمد لله الذي بنعمته وجلاله تتم الصالحات وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم تسليما.

قال مقيده عفا الله عنه: هذا آخر ما أردت جمعه من هذا الشرح المبارك إن شاء الله، وقد عنيت بجمعه وتأليفه وتهذيبه ولم آل جهدا في إتقانه وتلخيصه وتخليصه؛ وكل ما وجد فيه من نقص أو عيب فهو مني، وما وجد فيه من تمام أو فائدة فهو من توفيق الله سبحانه وتعالى. والله ربي الكريم أسأل أن يجعله عملا صالحا مقبولا ووسيلة للقرب والفوز برضوانه الأكبر وأن يغفر به غدا سيئاتي ويثقل به وزن حسناتي ويجزل به ثوابي ويجعله نورا بين يديَّ يوم حسابي ويحشرني ووالدي وجميع أحبابي في زمرة سيد المرسلين ويجعلنا من حزبه المقربين، ويرحم الله عبدا قال آمين.

وكان الفراغ من جمعه مساء يوم الاثنين المبارك آخر يوم من ذي القعدة الحرام سنة سبع عشرة وأربعمائة وألف من الهجرة النبوية المباركة الميمونة، موافق سابع نيسان (إبريل) ـ شهر مولده صلى الله عليه وسلم ـ عام سبعة وتسعين وتسعمائة وألف ميلادية.



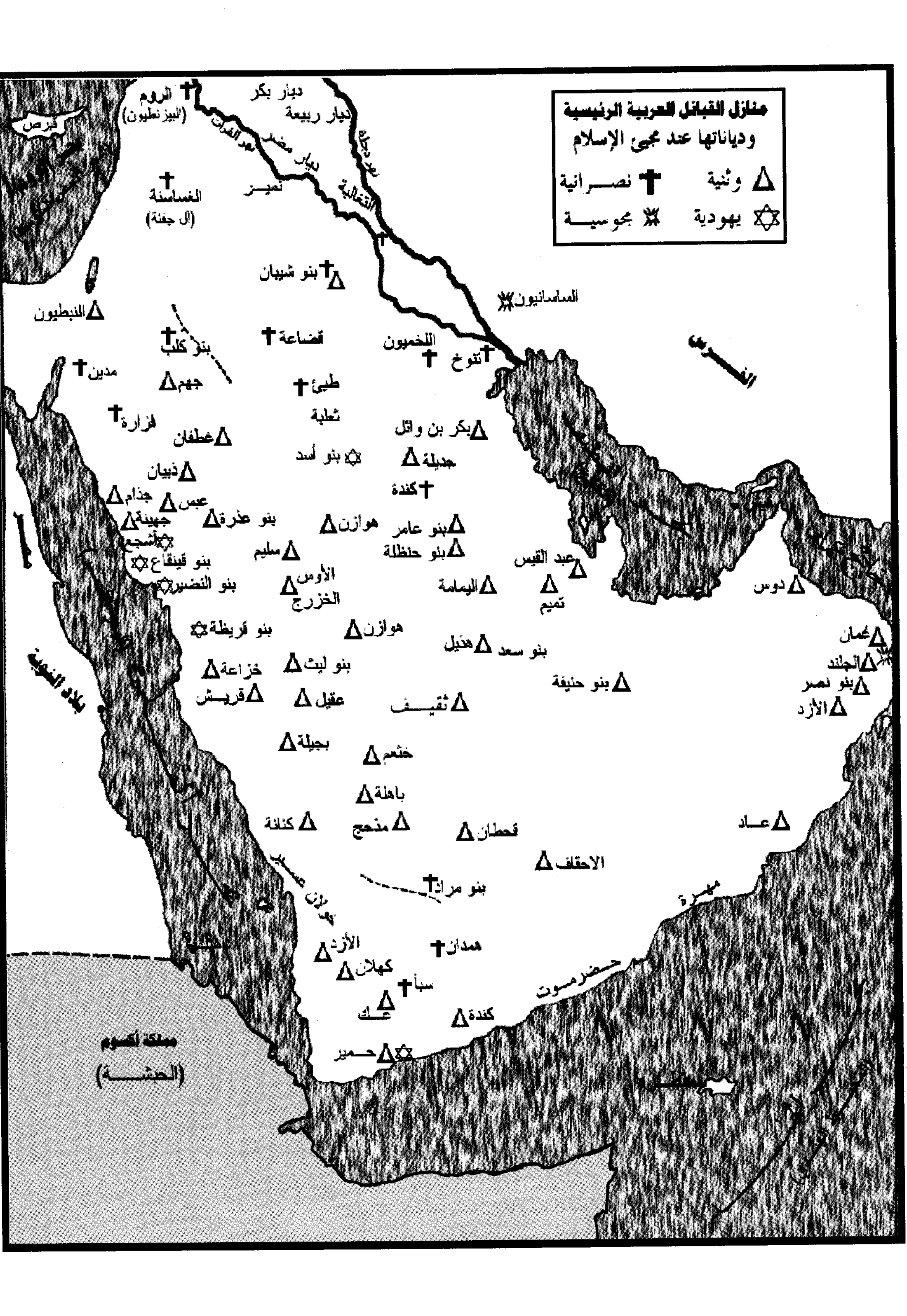
فهرس محتويات الجزء الثاني من
رياض السيرة والأدب في إكمال شرح عمود النسب

الموضوع	الصفحة

فهرس بأسماء الأعلام المترجمين والمعرفين في الجزء الثاني من التكملة

كمل شرح عمود النسب

والحمد لله رب العالمين



منازل القبائل العربية الرئيسية
ودياناتها عند مجيء الإسلام
وثنية
نصرانية
يهودية
مجوسية
الروم
(البيزنطيون)
ديار بكر
ديار ربيعة
ديار مضر
نهر الفرات
نهر دجلة
التغالبة
نمير
الغساسنة
(آل جفنة)
قبرص
بنو شيبان
الساسانيون
النبطيون
بنو كلب
قضاعة
اللخميون
تنوخ
مدين
جهم
طيئ
ثعلبة
فزارة
غطفان
بكر بن وائل
بنو أسد
جديلة
ذبيان
كندة
جذام
عبس
جهينة
بنو عذرة
هوازن
بنو عامر
أشجع
سليم
بنو حنظلة
عبد القيس
بنو قينقاع
الأوس
بنو النضير
الخزرج
اليمامة
تميم
دوس
بنو قريظة
هوازن
هذيل
بنو سعد
عمان
الجلند
خزاعة
بنو ليث
بنو حنيفة
بنو نصر
قريش
عقيل
ثقيف
الأزد
بجيلة
خثعم
باهلة
كنانة
مذحج
قحطان
عاد
الاحقاف
بنو مراد
مهرة
الأزد
همدان
كهلان
حضرموت
سبأ
عك
كندة
حمير
مملكة أكسوم
(الحبشة)
بلاد النوبة

تصريح وزارة الإعلام والثقافة
رقم/أع ش/٣٩٢ بتاريخ: ٢٠٠١/٢/٣

الطباعة النهائية
دار الفتح للطباعة والنشر والتوزيع
ص ب: ٢٣٤٢٤ الشارقة — إ ع م